حياتنا الجديدة

تقدمة هذا الجزء من الهلال

جعلنا لهذا الجزء الخاص عنواناً شاملاً هو « حياتنا الجديدة » ، فما الذي نقصد بهذا العنوان ؟

ان مجرى التاريخ متصل غير منفصل برغم ما يبدو لمن يقلب صفحاته متنقلاً بين عصوره ادثه ورجاله ، اذ يجد حروباً غيرت وجه الارض فأقامت ممالك على انقاض ممالك ، ويجد ت هدت معالم الاجتماع ، فجعلت العالي سافلاً والسافل عالياً ، ويجد طائفة من العباقرة السياسة والعلم والأدب برزوا على معاصريهم ، وصبغوا الحضارة بصبغة جديدة هي صبغتهم مة ، الى آخر ما يجد من التغييرات الجسيمة التي تتألف منها فصول التاريخ

ولكن هذه التغييرات — بل الانقلابات — لم تكن يوماً منفصلة عما تقدمها . فالحادث ثير ما كان ليحدث لولا ما سبقه من الظروف المتبئة به ، وما اكتنفه من الاحوال المهيئة له . نتيجة عوامل كثيرة بعضها بطيء خفي الفعل وبعضها راهن ظاهر الاثر . والاتصال بين الحادث ومقدماته وثيق متين لو نفذ نظر الباحث الى باطن الامور : فبين روسيا البلشفية وروسيا القيصرية مثلاً روابط وصلات قوية ، وكذلك بين عهد محمد علي وعهد المماليك ، وبين الثورة الفرنسية ومملكة البوربون — وقس على ذلك سائر حوادث التاريخ مهما تكن مفاجئة للناظر

فمجرى الحضارة اذن مستمر يمتزج فيه القديم بالجديد كما يمتزج الماضي بالحاضر . وانما لمح المؤرخون على تميُّز بعض الحوادث وبعض الرجال وأفاضوا فيها وفيهم الكلام لأن هؤلاء المؤرخين اقتصروا في الغالب على ذكر ما بدا للعيان وما طفا على السطح ، ولم يدركوا غير النزر من العوامل العميقة التي تصنع التاريخ . فما زال التاريخ كتاباً مغلقاً لم يطلع الانسان إلا على قليل من حواشيه

وعلى هذا قد لا يكون من الصواب وصف عصر من العصور بكونه « جديداً » أو أن

يقال « هنا يختم عهد ، ويبدأ عهد » . فالتجدد متواصل لا يقف يوماً ولا ساعة . فكل يوم جديد في نظر التاريخ وكل ساعة فيها تجديد

غير ان التاريخ وان يكن متصل الحوادث ـ كما ذكرنا ـ فان مجراه يختلف شدة وضعفاً كما يتفاوت سرعة وبطئاً . ففيه أحقاب هادئة وفيه فترات صاخبة ، فيه سنون كأنها أيام ، وأيام كأنها سنون بل قرون

وهذا الزمن الذي نعيش فيه أشد أزمان التاريخ اضطراباً . فقد اختلطت فيه الامور أيما اختلاط ـ اختلطت الاجناس والشعوب والافكار والاهواء والمصالح والنزعات ، حتى كاد يتعذر الاهتداء في وسط هذه التيهاء

ومع اقتناعنا بأن حياتنا الحاضرة وثيقة الاتصال بما تقدمها ، فقد تغلغل في طياتها من العوامل والعناصر ما باعد بينها و بين ألوان الحياة السالفة ، بل ما يخيل الى الناظر أنه يفصل فصلاً . فبهذا الاعتبار أسميناها « حياتنا الجديدة » وربما كان الأولى أن نسميها « حياتنا المتجددة » لأنها تتجدد بلا انقطاع

ولئن تعذر على الانسان أن يحول الحوادث من مجراها فمن استطاعته أن يقيم حول ذلك المجرى بعض السدود وأن ينشئ بعض المصارف والاقنية . وهذا ما حدانا الى تخصيص عدد من « الهلال » بحياتنا الجديدة دون أن نقل خشية من ضيق المجال الذي يتاح للمصلحين أن يبذلوا فيه جهودهم المتواضعة

• • •

من يتأمل في حياتنا الراهنة يجد أنها ترجع الى ثلاثة مصادر رئيسية استمدت منها عناصرها ، وهي :

أولاً — تراث السلف ، أي مجموع ما خلفه من عادات وتقاليد وأنظمة

ثانياً — قرن النهضة ، أي منذ عهد محمد علي الى الحرب العظمى

ثالثاً — زمن الحرب وما بعد الحرب ، أي العشرون سنة الماضية

تولى محمد علي الحكم فنفث الحياة في جميع النواحي وأخذ يقتبس من الحضارة الغربية كل ما اعتقد فيه النفع والصلاح . ومن ثم ابتدأ الصراع بين الحضارتين وما زال قائماً حتى اليوم وان اتخذ ألواناً شتى وصوراً مختلفة

وقد كان اشتباك الحضارتين واحتكاك الذهنيتين باعثاً على التأمل إذ أخذ المفكرون يتساءلون هل من الصواب اقتباس النظم الجديدة ، وهل يوافق الشرقيين اصطناع المدنية الاوربية وما الذي يجوز أخذه عنها وما الذي يجب استبعاده ، ونحو ذلك من الأسئلة التي ما زال فريق يرددها حتى الآن

على أن التطور قل أن يقف على رغبة فئة من الناس أو ينشأ عن آراء طائفة منهم ، فهو كالقضاء يدفع الناس دفعاً وهم لا يكادون يشعرون . فأصبحنا وإذا بنا قد حاكينا الغرب في كثير من شؤونه وقلدناه في معظم أحواله ــ وبعبارة أخرى أصبحنا أمام واقع لا مناص منه

وهذا المقام يضيق عن سرد جميع ما أخذنا عن الشعوب الغربية ، أو بالحري حصر تلك المناطق التي لم تتطرق اليها نزعات الغرب وأساليبه . فقد تغلغلت في كل طبقة وفي كل ناحية ، في ذهنيتنا وفي تربيتنا وفي آدابنا فضلاً عن اللباس والمسكن والطعام وسائر مظاهر العمران

* * *

على ان التطور العام الذي نساق في تياره قد زاد شدة وسرعة منذ نشوب الحرب الكبرى ، إذ تواجهت الامم وتمازجت الحضارات وتنبهت الأذهان وتشعبت المصالح وقربت المسافات . وها نحن أولاء نشهد هذه العوامل جميعاً تختلط وتتصادم بعنف كأنها في مرجل تغلي وكأن العالم يتمخض عن عالم آخر

ولقد صار من الشاق علينا أن نتبين طريقاً نسلكه مطمئنين . فكل يوم يأتي بمذهب يخالف ما علمناه وما تعلمناه . فان جانباً غير يسير مما اقتبسناه عن الغرب أو اقتبسه أهل الجيل المتقدم وعددناه في منزلة القضايا الثابتة والحقائق المقررة قد أصبح اليوم موضع شك وريبة

ففي العلم مثلاً قد تبدلت النظريات حتى إن من تلقى أصول العلوم الطبيعية في أوائل هذا القرن إذا ما تصفح المؤلفات الحديثة لا يكاد يفقه شيئاً ، بل يخيل اليه أنه يطالع علوماً غير تلك التي تلقاها . ثم إن النزعة المادية في البحث العلمي قد ضؤلت في حين اتسع مجال النظر في القوى النفسية الظاهرة والباطنة . وعلى الاجمال نرى علماء اليوم أكثر حذراً وتواضعاً من علماء القرن التاسع عشر الذين توهموا أنهم قبضوا على حقائق الكون الاولية

وفي ميدان الاقتصاديات نشهد الآن من التجارب البعيدة الغور والمدى ما لم يحلم به مفكرو القرن الماضي أو ما حصروه في حيز البحث النظري . ففي روسيا وفي أميركا ــ ونقتصر على هذين المثلين ــ قد قلب النظام الاقتصادي رأساً على عقب . فما الذي تسفر عنه تلك

التجارب ؟ . هذا ما يجب علينا ترقبه عن كثب لكي نعي ما تلقيه علينا الامم والأيام من عظات . ومهما يكن من مصير هذه التجارب فلا شك في أن العالم يتجه الى تنظيم الانتاج والاستهلاك وفقاً لخطط معينة مرسومة فلا تترك أرزاق الناس ألعوبة في أيدي القدر . . . أو أيدي فئة ضئيلة من ملوك الاعمال وغيلان الاموال

والحكم واصوله وأساليبه ؟ . لا بد لنا في هذا الميدان أيضاً من تنقيح الكثير من آرائنا ومذاهبنا . أين ديمقراطية اليوم من ديمقراطية القرن التاسع عشر ؟ . إن من الصعب في المسائل الاجتماعية إصدار أحكام مطلقة شاملة فما يصلح لأمة في دور من حياتها قد لا يصلح لسواها أو لا يصلح لها نفسها في دور آخر . على أن المتأمل في التطور السياسي في الشعوب الغربية يجد أن النظام البرلماني الذي كان أساس الديمقراطية كما عهدناها قبل الحرب آخذ في الاضمحلال ، إذ قد عجز عن حل المشاكل التي يتخبط فيها البشر الآن . ولذا قد أبدلت به كثير من الامم نظماً أخرى أو أبقته مع تعديلات شوهت صورته تشويهاً

وإذا نظرنا إلى المرأة ومكانتها في المجتمع وجدنا تحولاً يبدو غريباً أول وهلة لأنه أشبه شيء بالتقهقر . فبعد أن ملأت الآفاق صيحات المطالبين بمساواة الجنسين ، وبعد أن رأينا المرأة تزامل الرجل بل تنافسه في الحرف التي احتكرها منذ القدم ، وبعد أن رأيناها تنزل ميدان السياسة وتحوز حقوق الانتخاب وتعين في المناصب العليا ـ بعد ذلك نشهد تراجعاً يبدو واضحاً لكل من تتبع الأحوال الاجتماعية في السنوات الأخيرة . فالمرأة في ايطاليا وفي المانيا ـ على الخصوص ـ قد عادت الى الحيز الذي رسمه لها التطور الطبيعي والتاريخي ـ وليس عليها من غبن في ذلك إذا ما أدركت أن شأنها في حيزها لا يقل عن شأن الرجل في حيزه

* * *

أجل . إن العالم يتطور سريعاً ومطامعه ومثله العليا تتغير باستمرار : في الاجتماع والاقتصاد والدين واللغة والأدب والفن ، وفي كل ميدان من ميادين السعي الانساني . وعلينا أن نكون يقظين نبصر ما يجري حولنا ونفقه مداه وأثره . وأول ما نحتاج اليه قادة وزعماء يفكرون بعقول أعدت لهذا الزمن لا عقول أعدت لأزمان مضت وعفت . حتى لا تختلط عليهم ـ وعلينا جميعاً ـ حقائق اليوم بحقائق الأمس

اميل زيدان

نهضتنا الادبية وما ينقصها

للاستاذ الدكتور طه حسين

لست اخاف على نهضتنا الادبية شيئا كما اخاف عليها الغلو فى إكبارها والاعجاب بها والاطمئنان اليها. ولعلى من أجل هذا الخوف اكره التفكير فيها والوقوف عندها وتناولها بشيء من الدرس والتحليل. فهي نهضة قوية من غير شك، لها من الخصب حظ عظيم، تناولت آدابنا القديمة فأحيتها ثم لم تقف عند هذا الاحياء بل اضافت الى تلك الآداب القديمة آدابا حديثة لم يعرفها القدماء ولم يفكروا فيها. وهي ماضية فى احياء الادب القديم وانشاء الادب الحديث يصيبها الفتور من حين الى حين ويدركها الضعف من وقت الى وقت، ولكنها لا تلبث ان تخلص من هذا الفتور وتبرأ من هذا الضعف وتمضى فى طريقها نشطة قوية لا تلوى على شيء. وهي من هذه الجهة خليقة بالاكبار والاعجاب حقا

> **اظهر مواضع الضعف في نهضتنا :**
>
> * اتصالنا بادبنا العربي القديم ضعيف لم يبلغ ما ينبغي له من القوة
> * ثقافة ادبائنا من الادب الاجنبي ثقافة محدودة
> * ادباؤنا لا يحسنون الآداب الاجنبية القديمة التى انشأت الادب الاجنبي الحديث
> * لا يحفل ادباؤنا بالعلم ولا يأخذون انفسهم بدرسه والالمام بطائفة منه

فليست قصيرة هذه الطريق التى قطعناها منذ أواسط القرن الماضى، وليس قليلا هذا الجهد الذى بذلناه منذ أول هذا القرن، وليس يسيراً هذا التوفيق الذى ظفرنا به منذ وضعت الحرب الاخيرة أوزارها. وليس من شك فى ان هذا كله خليق ان يثير فينا شيئا من الرضى يوشك ان يبلغ التيه وان يدفعنا كارهين الى ان نلقى على المرآة نظرة لا تخلو من حب للنفس وثقة بها

ولكنى على ذلك — أو قل لذلك — اكره هذه النظرة لأنى اخاف ان تفتننا وتستهوينا وتضطرنا الى حب المرآة واطالة النظر فيها والانصراف الى هذه الصورة التى تعكسها لنا عن الطريق البعيدة التى لا بد من ان نمضى فيها حتى نصل الى غايتها ان كانت، وما أظن ان لها غاية تنتهى اليها. ومن ذا الذى يستطيع ان يجد الطريق التى يسلكها الطامحون الى مثلهم العليا؟ ثم أنى لست واثقاً بأن الصورة التى ستعكسها لنا المرآة ان نظرنا فيها جميلة كل الجمال محببة الى النفوس من جميع نواحيها،

ولعلى واثق بأن بعض نواحيها لا يخلو من عيب شديد بغيض ، وأنا أخشى ان وقفت ابصار الناظرين فى المرآة عند هذه العيوب ان تسوأهم وتلقى فى نفوسهم شيئاً إلا يكن يأساً فليس بعيداً من اليأس . لذلك احببت وما زلت أحب للادباء أن يمضوا فى طريقهم محبين للادب القديم ، مفتنين للأدب الحديث ، دون ان يقفوا أو دون ان يطيلوا الوقوف ، ودون أن ينظروا فى المرآة أو دون أن يطيلوا النظر فى المرآة ، لعلهم يأمنون شر الفتنة بقوتهم وشر اليأس من ضعفهم . فهم فى حقيقة الامر معرضون لهذين الشرين جميعا

ولكن « الهلال » تحب دائما أن تعرف الى أى حد بلغت النهضة والى أى حد انتهى نشاط الادب والادباء ، وهى بذلك تضطرنا الى هذا الوقوف الذى لا احبه والى هذا النظر فى المرآة الذى اكرهه للأدباء . ولكن اذا طلبت « الهلال » الينا ان نقف أو ان ننظر فى أنفسنا . فهل نستطيع ان نأبى عليها أو أن نخالف ما تريد ؟

ومن يدرى لعل « الهلال » موفقة الى الصواب حين تطلب الينا من وقت إلى آخر أن ننظر الى الطريق التى قطعناها لعلنا نجد من طولها وعرضها وخصبها ما يبعث فينا قوة ويجدد فينا نشاطاً ويدفعنا الى ان نمضى امامنا لا كسلين ولا يائسين

ولست أدرى لماذا طلبت « الهلال » الى أن ابين ما ينقص نهضتنا من أسباب القوة ولم تطلب الى أن أبين ما يزين هذه النهضة من مظاهر الكمال ، بل لست أدرى لم اختارت الهلال أن تجعلنى ترجمانا عن العيب مصوراً لمواضع الضعف ، وآثرت غيرى من الكتاب بموضوعات أخرى يسرهم أن يدرسوها ويكتبوا فيها ويسر غيرهم من الناس أن يقرأوا درسهم إياها وتصويرهم لها ؟ . أهو مكر من « الهلال » بى وكيد لى أم هو ثقة وحسن ظن ؟ فان تكن الاولى فانى خليق أن ألقى مكراً بمكر وكيداً بكيد ، وان تكن الثانية فانى خليق أن أشكر للهلال حسن رأيها فى وحسن ظنها بى

وأكبر الظن ان « الهلال » قد جمعت بين المكر وحسن الظن فلأمكر بها كما مكرت بى ولاجزل لها الشكر كما أحسنت بى الظن

ولأسجل قبل كل شىء لأرد على « الهلال » مكرها ان نهضتنا آية من آيات هذا العصر الحديث يكاد فهمها وتفسيرها يكون أبعد من أن تناله العقول وتظفر به التفكير الطويل ، فقد خلقنا أنفسنا خلقا جديداً واكرهنا العالم الاوربى لا على أن يعترف بنا ويؤمن لنا بالحياة الخصبة المنتجة فحسب ، بل على أن يحسب لنا حسابا ، ويستيقن بأن العالم الحديث لن يستطيع أن يعيش بغير جهودنا ، ولا أحد يستغنى عن مشاركتنا فى احتمال هذه الاعباء الثقال التى تفرضها الحضارة على الشعوب الراقية .

ويكفي أن تقرأ ما يكتبه المستشرقون عن جهودنا في الاحياء والانشاء لتوافقني على أننا لم نبق كما كنا من قبل شعوبا لا يفكر فيها الغربيون إلا من حيث إنها أدوات تستغل وتستذل وتسخر في سبيل المنافع والمآرب التي يسعى اليها الاستعمار. وإنما نحن شعوب قد استيقنت الامم الغربية بأنها قد افلتت من يدها وآمنت بنفسها وحقها. فهذه الامم الغربية لاتكاد تعزى عن افلاتنا من يدها، ولكنها مع ذلك تحاول ما استطاعت أن تجد الوسيلة لا لاذلالنا واستغلالنا فلم يبق الى هذا من سبيل، بل لتنظيم الصلة بينها وبيننا على أحسن وجه يلائم منافعها واغراضها وآمالها في الحياة. كل ما تقرأه في كتب المستشرقين وفصولهم الطوال التي تنشرها المجلات والتي تتناول حياتنا الحديثة وآدابنا الحديثة انما تمهد لهذا اليوم الذي لابد من أن يجيء ومن ان يجيء في وقت أقصر مما نظن ويظنون، والذي سيجد الغرب فيه نفسه امام شرق قوى عزيز كله خصب وكله انتاج وكله أمل وكله عمل. ولا بد من ان تنظم معه صلات قوامها الاحترام والسلام

فمن ظن ان هذه النهضة التي انتهت بنا الى هذه المنزلة والتي ستنتهي بنا بعد قليل الى حيث ينظر الينا الغرب كما ينظر الند الى الند والنظير الى النظير — اقول من ظن ان هذه النهضة يسيرة او ضئيلة فهو مسرف في الطمع لا يعرف لآماله حداً تقف عنده أو تنتهي اليه. وأنا احد هؤلاء المسرفين الذين يرضون عما وصلنا اليه من الرقي، ولكنهم مع ذلك يأبون ان يقفوا به أو يطمئنوا اليه أو يروه لائقاً بما نستحق وبما نستطيع من التقدم والرقي، فانا راض ساخط معا! ومن هذا الرضى وهذا السخط يأتلف لي مزاج فيه الابتسام والعبوس وفيه التفاؤل والاشفاق. ولعلك ان سألتني عما يسخطني ويبعث في نفسي الخوف والاشفاق بعد ان عرفت ما يرضيني ويبعث في نفسي الامل والرجاء، لم تجد عندي جواباً يقنعك، ولكنه يقنعني انا ويدعوني لا الى اليأس ولا الى الوقوف، بل الى الامل والى الجهاد الذي لايعرف مللا ولا فتوراً

فنهضتنا على كل هذا الفوز الذي ظفرت به تنقصها أشياء اساسية لا بقاء للنهضة من دونها. وليس الغريب أننا لم نكمل هذا النقص أو لم نتبينه، وانما الغريب أننا نهضنا ومضينا في نهضتنا برغم هذا النقص حتى انتهينا من الرقي الى حيث نحن الآن. ولكننا فيما اظن قد بلغنا طورا من حياتنا الادبية لا يمكن ان نعدوه إلا اذا تبينا مواضع الضعف في حياتنا، وبذلنا ما نملك من قوة وجهد لاصلاحها والتخلص من آثارها السيئة

وأظهر مواضع الضعف في نهضتنا الادبية الخالصة اربعة فيما اظن:

(الاول) ان اتصالنا بادبنا القديم ضعيف لم يبلغ ماينبغى له من القوة. فكثير جداً من ادبائنا

يعرفون من الادب الاجنبى أكثر مما يعرفون من الادب العربى . فالذين يأخذون بحظ من الثقافة اللاتينية يحدثونك فى تفصيل دقيق واطالة مملة عن الادباء اللاتينيين وآثارهم وخصائصهم ، فاذا سألتهم عن ادبائنا القدماء فقليل منهم — استغفر الله — قليل جداً بينهم من يستطيع أن يطيل معك الحديث. وقل مثل ذلك فى أدبائنا الذين تثقفوا بالادب السكسونى . وقد فرغ الناس من اثبات أن كل حديث لا قيمة له ولا غناء فيه اذا لم يعتمد أصدق الاعتماد على الادب القديم . فنحن فى هذه الحال التى نحن فيها الآن نبنى فى الهواء ونقيم ادبنا الحديث على غير اساس . ولا بد من مضاعفة النشاط فى احياء الادب القديم ونشره وتوثيق الصلة بينه وبين الادباء المحدثين حتى يشعروا شعوراً قويا بأنه ادبهم هم لا أدب آبائهم واجدادهم ، وبأنهم محتاجون الى أن يستمدوا منه القوة والحياة

(الثانى) أن ادباءنا لم يوفقوا الا الى ثقافة محدودة من الادب الاجنبى نفسه . فهم بين متأثر بالأدب اللاتينى لا يكاد يعدوه الى غيره ومتأثر بالادب السكسونى لا يكاد يعدوه الى غيره . وذلك نقص قبيح لابد من ازالته والتخلص من شره — هو نقص لانه يضيق افق الثقافة والمعرفة ، وهو نقص لانه يوشك أن يفنى شخصية الاديب وقرائه فى هذا الادب اللاتينى أو السكسونى الذى يتأثره ويكاد يفنى فيه . والاديب الخليق بهذا الاسم جدير أن يأخذ بأعظم حظ ممكن من الثقافات الادبية المختلفة ليتم بذلك شخصيته ويوسع بذلك افقه ويعصم بذلك نفسه من الفناء والغلو فى التقليد

(الثالث) ان ادباءنا الذين يحسنون الادب الاجنبى الحديث يحسنونه طولا وعرضا ولا يحسنونه عمقاً — ان صح هذا التعبير الغريب — فهم يجهلون الآداب القديمة التى انشأت هذا الادب الاجنبى الحديث . يجهلون الادب اليونانى واللاتينى كما يجهلون الادب العربى أو أكثر مما يجهلون الادب العربى . فهم يستطيعون على كل حال ان يقرأوا آثار العرب فى لغتها ، ولكنهم لا يستطيعون ان يقرأوا آثار اليونان والرومان الا فى التراجم ، وقليل منهم من يقرؤها فى التراجم . ولست ادرى ماذا أعجز كل العجز عن ان اصدق ان انسانا يستطيع ان يتقن شيئاً من الاشياء اذا لم يتقن اصله الذى نشأ منه وينبوعه الذى فاض منه . وانا اعلم حق العلم ان فى اوربا قوماً ممتازين لا يحرصون على درس الادب القديم ، ولكنى احب ألا يخدع ادباؤنا بهذا الميل الظاهر عند هؤلاء الاوربيين . فهم لا يريدون ان تكون الآداب القديمة واللغات القديمة فرضاً على كل المثقفين كما كانت من قبل . ولكنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أديباً خليقاً بهذا الاسم إلا إذا أحسن هذه الآداب القديمة وأتقن درسها والعلم بها . وأنا أبعد الناس من أن أفكر فى فرض الآداب القديمة على طلابنا جميعا أو على

المثقفين عندنا جميعاً . ولكنى أحرص الناس على أن يأخذ أدباؤنا المتنجون من هذه الآداب القديمة بحظ معقول

(الرابع) أن أدباءنا لا يحفلون بالعلم ولا يأخذون أنفسهم بدرسه والالمام بطائفة حسنة منه . ومن جهل العلم — ولا سيما بعض العلم — فقد جهل الحياة . ولست أدرى كيف يستطيع الأديب أن يكون أديبا حقا دون ان يكون ادبه صورة من صور الحياة . ولست ادرى كيف يستطيع الاديب ان يصور الحياة وهو يجهلها ولا يعرف من أسرارها ودقائقها ولا من ظواهرها وقوانينها شيئا

ولعل هذه الانواع التى اشرت اليها من الضعف هى التى تعلل ما نشكو منه جميعا وما يأخذنا به المستشرقون من أن ادبنا الحديث مصنوع غير مطبوع ، ومتكلف غير مصور لحياتنا . فلو قد عظم حظنا من العلم بالادب العربى القديم ولو قد عظم حظنا من العلم بأنواع الادب الحديث على اختلافها ، ولو قد عظم حظنا من العلم بالاصول الاولى لهذا الادب الحديث ، ولو قد أخذنا من العلم الخالص بحظ معقول ، لو قد كمل لنا هذا كله لما استطاعت الحياة ان تمر بنا — أو لما استطعنا نحن أن نمر بالحياة — ونحن عنها غافلون . لو كمل لنا هذا كله لحيينا حقا وتأثرنا بالحياة حقا ، فاحسسنا ما فيها من لذة وألم ومن عظة وعبرة وما يدعو إلى البحث والتفكير . ولو قد احسسنا هذا كله لما استطعنا أن ننصرف عن تصويره وأن نبلغ من ذلك ما نريد

فانت ترى اننا رغم هذه العيوب القبيحة قد استطعنا ان ننهض وان نحدث لأنفسنا أدباً معاصراً خليقا بالاكبار والاعجاب ! فكيف بنا لو محونا هذه العيوب وأكملنا هذا النقص ووضعنا أنفسنا من أدباء الغرب بحيث وضعوا أنفسهم وأبينا أن نلقاهم فنعجز عن فهمهم إذا قالوا وعن التحدث اليهم اذا انتظروا منا الحديث ؟

بديع ان نبلغ ما بلغنا على نقص الاسباب وضعف الوسائل وقصور الادوات ، ولكن أبدع من هذا وأروع أن نشعر بما فى نهضتنا من الضعف فنزيله ونضع مكانه القوة والخصب والنشاط . وكم أتمنى أن نأخذ فى أسباب ذلك منذ الآن . وكم أتمنى بعد أن تمضى أعوام غير طوال أن تعود الهلال فتعرض على مثل هذا الموضوع . اذن لا أتهمها بالمكر ولا أخاف منها الكيد ولا أتحرج من أن أجيبها إلى ما تريد سعيداً باجابتها اليه مغتبطاً بتسجيل ما نكون قد وفقنا اليه من فوز لا يذكر بجانبه ما نسجله الآن

طه حسين

التجديد في الشعر

بقلم الاستاذ خليل مطران

أردت التجديد في الشعر منذ نعومة أظفاري ولقيت دونه ما لقيت من عنت ومناوأة . وليس هنا محل وصف للآلام التي عانيتها ولا البواعث التي انبعثت منها نوازع الذين حاولوا قطع السبل عليّ بضع سنين

أردت التجديد في الشعر وبذلت فيه ما بذلت من جهد عن عقيدة راسخة في نفسي ، وهي أنه في الشعر - كما في النثر - شرط لبقاء اللغة حية نامية . على أني اضطررت مراعاة للاحوال التي حفت بها نشأتي ألا افاجيء الناس بكل ما كان يجيش بخاطري ، وخصوصاً ألا افاجئهم بالصورة التي كنت اوثرها للتعبير لو كنت طليقاً ، فجاريت المتين في الصورة بقدر ما وسعه جهدي وتضلعي من الاصول واطلاعي على مختلفات الفصحاء ، وتحررت منه - وأنا في الظاهر أتابعه - بنوع خاص من الوصف والتصوير ومتابعة الغرض الخ . وبهذه الطريقة مهدت للجديد قبولا في دوائر كانت ضيقة ثم أخذت تتسع الى ما وراء ظني ، وستستمر في الاتساع بحكم العصر وحاجاته والعلم ومقتضياته والفن ومستجداته

والآن بعد أن علت سني وطال مدى اختباري أريد التجديد أكثر مما أردته في كل آن . أريده ولا أكيفه ، ولكنني اشيم له بوارق تدل على ملامحه الكبرى من وراء مجهودات طائفة تتكاثر يوماً فيوماً ، طائفة من النابغين أو النابهين الجارين على آثارهم في مصر وفي سائر أقطار الشرق العربي . ففي كثير مما يضع هؤلاء الموضوعون في طليعة النهضة أجد التفكير بمعناه البعيد الغور الثقيل التكاليف الذي هو منبع الابتكار - أجد ذلك التفكير يحل تدريجاً محل الخيال المشتت الذاهب في تشتيت الذهن ضروب المذاهب ، الخيال الذي لا يصدر عن الحقيقة غالباً مع مصدر كل جمال ثابت ، ولا يرجع اليها الا بخيوط دقيقة أحياناً من أطرافه النائية

ولست ابتئس لأن أفراداً من تلك الطائفة لا يستمسكون بأهداب ما تقررت فصاحته من ألفاظ اللغة استمساك المتشددين المتطعين ، ولا أغضب لأن آخرين من أفراد الطائفة يحيروننا في معان يأتون بها ولما تمهد لها مطالعات الكتب المتداولة تمهيداً يحلوها لنفوسنا من غياهب التساؤل والارتياب!

وأفرح بالجزئيات التي ترضى مطالعها ، ولا أحزن للكليات التي لا ترضى من بادئ الرأي ففي زعمي أن كل هذه بوادر التجديد وعوامل قوية لصورة رائعة بديعة سيثبتها القبول

وسيجعلها درجة من درج التكامل الذى لا نهاية له فى البيان كما فى العلم كما فى الفن كما فى كل شىء قائم من أشياء الحياة الصحيحة

تلك العقول المولدة جميعاً تأتى بطرائفها وتعرضها على الناس . وليس من همى أن يكون ما وجد منها حتى الساعة هو الذى يقره الناس أو غيره هو الذى يقرونه

وانما أنا مقتنع كل الاقتناع وعلى ذلك متمن كل التمنى أن تصبح لغتنا فى شعرها وفى نثرها صالحة لضروب التعبير السليم قاطبة . أريد ألا أعتذر الى نفسى ـ وبالأحرى الى غيرى ـ أن هذا وذاك من انواع البيان غير ميسور الآن فى اللغة التى كانت ـ وما أجدرها ان تبقى ـ أم اللغات أو أشرف اللغات كما تقول مشايخنا

أريد أن أستطيع تصوير كل دقيق وجليل من معانى النفس أنعميا كان أم تخصيصياً

أريد ان أستطيع الكتابة الى عميل فى أى بلد عربى ، أصف له بلسانى العربى أداة أو نسيجاً أو مادة بسيطة أو مركبة من أى جنس ومن أى لون أو من أى مزيج من الأجناس والالوان وأجزائها فيفهمه بعينه ، فيبعث به إلى ان كان تاجراً أو يستعمله إن كان مستصنعاً

وفى الشعر خصوصاً أريد أن أخرج من الاتباع وأن أعبر عن طرق ما طرق ألف مرة ، لأعيش به فيشيع فى زمانى ، وأسرى أو أجارى أمى ما عشت وأرث أعاظم الادباء من الاحباب الذين أصبحت على اتصال روحى ووجدى دائم بهم بلا تقطيع دفعة واحدة بينى وبينهم

الزمان لا يقف لواقف ويدور ويجدد ويتسع ويعمق ، لاماً ما يولده كل يوم من مبتكرات علوم النفس وعلوم الطبيعة ومن مستحدثات لا تحصى فى الزراعة والصناعة والمعاملات المختلفة . وأنا أريد ان تكون لغتى شريكتى رؤية وسماعاً وشعوراً تلقاء كل ما يجد ، وان تتناوله وأن تعيننى على الافصاح عنه

أريد ألا أشهد الآيات الباهرات يتحلى بها عصرى وأنا كأنى بمعزل عنه ، ولا شغل لى ازاءها الا أن ارجع بعقلى الى ما كان لأقصة خلت وأن أحس كما أحس القوم فى تلك الحقب . وألا أكون اذا أقدمت وادمجت شيئاً من محدثات ايامى فى كلامى المصبوب فى قوالب تلك الايام كمن يجرؤ جرأة شبيهة بالكفر وكمن يكلف الامة العربية من الهمة لمجاراة زمنها ما هو ضد طباعها

وخلاصة مذهبى فيما اريده ـ وهو لا يختص بالشعر بل يتناول ضروب البيان بل يشمل ضروب وسائل المعاش بمعنى المعاش الراقى البالغ غاياته من جهة سمو الاخلاق وبدائع الطرف الحسية والمعنوية التى نستمتع بها فعلا ويكبر بيانا أن لنا بها أدنى صلة ـ خلاصة مذهبى اذن هى ان تتعلم أيها القارىء أولا لغتك ، وأن تتمكن منها كل التمكن ، وان تستذكر منها كل ما فى مفرداتها وتراكيبها وأساليبها السليمة الفصيحة من شائق ورائق ومطرب وجميل ، وان تمثل هذه المادة تمثيلا ثم تجمعها وهى مصهورة الى معملك الاسمى وهو ذهنك ، فتفكر وتبتكر وتحدث سبباً

صحيحاً كريماً لتكليفك الناس أن يقرأوا شعرك ونثرك. وإلا فانك لم تكن إلا محاكياً فما حاجتهم اليك والسابقون افصح منك لساناً وابلغ بياناً وأقدر على التصرف في لغتهم الطبيعية التي أخذوها بالرضاع؟

ثم ان لم تكن إلا ناقلا مترجماً أو مقتبساً كما يقولون أو مختلساً من روائع لغة اجنبية تظنها مجهولة كما يفعل غير واحد من متأدبي هذا الوقت، فما اغنى امتك عن هذه المحاولات التي تقتضيك رقعها المتعددة المتنافرة عن الخديعة لها في أمرك دون اى نفع لها من تلك المختلسات

ثم ان لم تكن الا غريبا في زمنك وليست لك - شعراً أو نثراً - نوازع انسانية سامية ولا اريحيات وطنية، ولا نفائس غير مسروقة تصف بها أحساب قومك أو مجد آبائك وأجدادك، ولا روايات تمثيلية أو كتابية ولا ولا، فلا رعاية ولا حرمة لغربتك عند الذين يعقلون. ولو تبينت ما في طوايا نفوسهم لوجدتهم يعدونك من عوامل التأخر والانحطاط والجمود

أريد ان يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا في مختلف أنواع رقيه

أريد - كما تغير كل شيء في الدنيا - ان يتغير شعرنا مع بقائه شرقياً مع بقائه عربيا مع بقائه مصرياً. وهذا ليس بالمجاز

وقبل ان اختم هذه الكلمات التي ارسلتها على عواهنها كما مرت بالخاطر لا أرى بدًا من الاجابة عن مسئلة سيحضر للمطالع انفازها على وهي قوله: هذا الجديد الذي تصيح به وتشدد في الدعوة اليه لماذا لم تكتبه كم؟

فجوابي عن هذه المسئلة هو أن التجديد كائنا ما كان لا يحيط بالمدى الواسع الذي يتشعب اليه التجديد، بل هناك مجال لعمل المفكر والمفكر المولد والمصور البارع يستطيع الاديب أو المتأدب أن يجيل بصره في لبابه أو في اطرافه متى قارن عن تدبر وروية بين ما كان عليه البيان في ازمنته الاولى وما صار اليه بعدها في حقبة حقبة. فهو بمثل هذه المقارنة سواء أكانت في مخلفات العرب ام في مخلفات الغربيين يتبين من الوجوه والسبل ما لا تبينه له التعاريف الموجزة او المفصلة. وفي الانحاء المتعددة من ذلك المجال وفي أشواطه التي يظهر من اختلافها الاختلاف في التقدير والتعبير بين ودح وآخر من الدهر - يجد العون الذي تستعين به قريحته على اختيار مذهب تنطلق فيه خالصة من الزحام مرموقة الاثر بين آلاف من القرائح التي جرت الى مثل غايتها

فالسبيل ان تطالع في ادبنا وفي ادب غيرنا كل ما تستطيع مطالعته بلا سأم ولا انقطاع وان تحفل للجزئيات والكليات وان تتبين المناحي وخصوصاً مواقع التباين بين عصر وعصر في صوغ اللفظ وسوق المعنى وخلق المذهب بعد المذهب

وبعد أن تأخذ من كل ما تطالعه مادة عملك ووسائل تمجيدك ترجع الى ما توزره سجيتك و يوحيه قلبك ويمليه عرفانك ويهذبه نقدك. وعندئذ تعرف كيف يكون المثال من امثلة تلك الكيفية التي يشعر بضرورتها ويتخيل جمالها وروعتها ولكن لا تستطاع صنعتها

هل يصبح لنا أدب عالمي ؟

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

سألني الهلال الأغر : هل يصبح لنا أدب عالمي ؟ وجوابي عن سؤاله : نعم ! يصبح لنا أدب عالمي وربما كان لنا الآن أدب صالح للذيوع في لغات العالم ، لو تيسرت له وسائل الذيوع

وأول ما يخطر على البال أن الأدب العالمي لا بد أن يكون أرقى وأجمل وأفضل من الأدب القومي المحصور في أمة واحدة . لأن الأدب العالمي يعرف في أمم عديدة ولا يعرف الأدب القومي إلا في أمة دون غيرها . وهذا وهم في الحقيقة . لأن كل أدب ذاع في أنحاء العالم إنما كان قبل ذلك مقصوراً على البلد الذي نشأ فيه ، فإذا كانت له مزية معينة فهذه المزية مستقرة فيه ملازمة له ، وليست هي بالمزية التي تطرأ عليه عندما يترجم وينقل بالترجمة إلى لغات كثيرة

كذلك يشتهر الشاعر والكاتب والأديب في سنة من السنين ، ولكن الشهرة الأدبية لا تحقق له في تلك السنة التي اشتهر فيها [illegible] من كتب [illegible] حادث [illegible] قبل أن يعرف الناس قدره وقدر آثاره

فالأدب العالمي ليس مرتبة من مراتب السمو يرتفع إليها الشاعر والكاتب ، ولكنها حالة من الحالات تتيسر أسبابها فتظهر ، وتتخلف هذه الأسباب فيتخلف الظهور

وقد كان للفرس شعراء مشهورون ولم يكن أحدهم [illegible] أعلى بالمعايير الشعرية من أدب العرب أو أدب المصريين . وكل ما في الأمر أن شعراء الفرس العالميين ظفروا بالمترجم الذي أذاع آثارهم في اللغات الأوربية لمناسبة عارضة وحدث في وقت من الأوقات . وكان من السهل ألا توجد فيبقى أولئك الشعراء مغمورين

وكثيراً ما تنال الصبغة العالمية بمزية لا علاقة لها بالنفاسة والرجحان في نوع الأدب أو في مقدرة الأدباء . فإذا كان الأدب « خاصاً » غريباً يشعر المترجم أنه يفاجيء به الأذواق الأوربية فتقبل عليه من باب الاستطلاع والاستغراب — فهذه المزية كفيلة بترويج ذلك الأدب « الخاص » الغريب في لغات كثيرة . ولا يلزم من ذلك أن يكون خيراً من الأدب الذي لا مفاجأة فيه لأذواق الأوربيين

وقد تكون الصلة قريبة بين الأمة الشرقية وبين المترجمين والناشرين في أوربا وأمريكا فتكون هذه المزية من دواعي الإذاعة والاهتمام

وأحسب أن الأمة المصرية وحدها قد حرمت هذه المزايا العرضية التي أتيحت لغيرها فحال هذا بين أدبها الحاضر وبين نصيبه من الصبغة العالمية . ولكي لا يقع هذا القول موقع الاستغراب

من بعض القراء تستعرض حالات شتى من الامم المختلفة ، لنبين هنا كيف فاتت الامة المصرية ما لم يفت تلك الامم من أسباب « الصبغة العالمية » .

فالبلجيك مثلا أمة صغيرة ضيقة ولها مع ذلك أدب عالمي معروف وأدباء عالميون مقروءون . فهل يفهم من ذلك لزاماً أن أدباءها قدروا على صفات و كفاءات يعجز عنها الادباء المصريون ؟ كلا ! فقبل أن نصل إلى هذا الحكم ينبغي أن نذكر أن فريقاً كبيراً من أدباء البلجيك يكتبون باللغة الفرنسية وهي لغة عالمية ، وينبغي أن نذكر أيضاً أن عدد القراء بين البلجيكيين أضعاف عددهم بين المصريين في طاقة هؤلاء القراء أن يزودوا كتابهم وشعراءهم بوسائل الاستقرار التي تعينهم على الانتاج والاشتهار

والهند أمة شرقية يقل فيها التعليم ، ولكن المتعلمين فيها اكثر من المتعلمين في الامة المصرية لكثرة العدد هناك . ويضاف إلى هذا أن الصلة بين الهند وشركات النشر البريطانية قريبة عريقة الاصول ، وان اللغة الانجليزية وحدها قراء في الهند يكتفي بهم الاديب الهندي اذا لم يكن له غيرهم من قراء اللغات الاوربية

والروس قد عرفت لهم روايات ومصنفات في أوربا وهم في دور الجهالة والخمول ، ولكنهم ما كانوا ليظهروا في ميدان الادب العالمي لو لم يكن لهم ادباء قادرون على الانتاج المنتظم ، ولم يكن في قدرة ادبائهم ان يثابروا على الانتاج المنتظم لولا أن قراء اللغة الروسية كثيرون يعدون بمئات الالوف إن لم نقل بالملايين

وبولونيا ومثلها بعض الشعوب الصغيرة مما لفت انظار اليها نزاع الدول عليها والدعايات الوطنية التي دارت حولها فترجمت لها روايات ومصنفات قليلة

وقس على ذلك أحوالا شتى متنوعة تيسرت لامم أخرى وحرمتها الامة المصرية جميعاً . وقد يبدو ذلك غريباً في النظرة العاجلة ولكنه هو الواقع الذي لاريب فيه

فالقراء المصريون قليلون . وقراء العربية اكثر بعض الشيء ولكنهم موزعون في بلاد مختلفة الحكومات والمعاملات فلا يسهل على شركات النشر أن تنظم فيها معاملاتها الا اذا كانت من أقوى الشركات وأغناها . وكيف تقوم شركات النشر القوية الغنية بين قراء قليلين ؟

والآن هب هذه الشركات الكبرى قامت في مصر — فما الفرق الذي يحدثه قيامها في مجال الشهرة العالمية ؟

الفرق أن هذه الشركات الكبرى ترى من مصلحتها أن تتعاقد مثيلاتها في الغرب والشرق على ترجمة مطبوعاتها ومبيعاتها . والفرق من جهة اخرى أنها تعين الادباء على تنظيم الانتاج الادبي فتتسع فروع الادب عندنا وتبرز فيه جميع الخصائص القومية والعالمية التي تحول الانظار اليه

فالادب العالمى إذن ليس بمرتبة العليا التى تسمو اليها الآداب القومية . وانما هو كما قلنا حالة من الحالات لها أسبابها ووسائلها . وفى مقدمة هذه الاسباب والوسائل أن تستقر صناعة الادب وينتظم إنتاج الادباء

ولسنا نعنى ان أدب مصر لن يكون أدباً عالميا قبل قيام الشركات الطابعة والناشرة فى الديار المصرية . كلا ! لسنا نعنى ذلك ، فقد يساق الى هذا الادب مترجمون يتفقون بعض آثاره لسبب طارىء كالسبب الذى دعا فتزجرالد الى نقل رباعيات الخيام . ونعنى قبل كل شىء ان يكون هؤلاء المترجمون ادباء يطلبون الادب ولا يكونوا مبشرين او دعاة مذاهب اجتماعية يقيسون الابداع فى آدابنا المصرية بمقياس المساس بالدين والعادات المتبعة . فاذا تهيأت وسائل الترجمة على هذا المنوال فليس ثمة ما يحول بين الادب المصرى والصبغة العالمية

عباس محمود العقاد

قطرات

للمرحوم قاسم بك امين

من سجايا الحر أن يكون صبره على استبلاء من دونه أكثر من صبره على استعتاب من فوقه ، واحتماله من ضعف عدوه أكثر من احتماله من قوى ضده

• أسرع الاشياء الى اعتلال النفس تجرع المغائظ وتصور العادات ورد النصيحة وتضاحك ذوى البحوث بذوى العقول

• ينبغى للعاقل ألا يكتسب إلا بأزيد ما فيه ولا يعدم الا المقارب له فى خلقه

• اذا خدمت رجلا رئيسا فتبين ما يحتاج اليه فان المستخدم اما ان يكون اخفض منك فيما استخدمك فيه واما ان يكون أزيد منك فيه . والناقص عنك محتاج الى ان تقل تفويضه ولا تترك شيئا من أموره بغير تامل . والزائد عليك ينبغى ان تطلعه على ما عملت به وتحررا لحجة عنده فى كل ما اتيته فانه انما يقيمك مقام حافظ له

• لا تستوف شرائط الاعمال وما يوجبه لها العدل فى الازمان المضطربة فيضيع سعيك وتنسب الى التخلف فيما تعانيه ، ولكن ناسب بعملك طبيعة الزمان مالم يقدح ذلك فى مروءتك ودينك واخلاقك ، فاذا بلغ هذه الثلاثة فخل عما فى يدك منها والا خسرت من نفسك اكثر مما تربحه فى ذات يدك

• لا ترغبن الى من قصرت همته عن همتك وزاد حرصه على حرصك وكانت حيلته اوسع من حيلتك

الشعر والنقد

للشاعر الفيلسوف
جميل صدقي الزهاوي

ما الشعر الا نغم ... يجيد فيه الملهم
يشدو به المحزون وال ... مفتون والمتيم
لقد بكى سامعه ... فدمعه منسجم
كما بكى قائله ... إبان كان ينظم
لا يعرف المؤلم في ال ... حياة إلا المؤلَم
ابك فان عبرة ال ... باكين سلوى لهم
أليس ثغر الصبح في ... وجه الحزين يبسم
ألف يعيش بائساً ... وواحد منعم

***

الشعر لا وزن ولا ... قافية تلتزم
بل هو معنى ثائر ... قد قيدته الكلم
تكاد من ثورته ... قيوده تنحطم
والشعر في الافراح والا ... أتراح شاد ملهم
والشعر موسيقي يهزّ ... النفس منها النغم
فتارة يبسطها ... وتارة يلملم
وتارة يبني المنى ... وتارة يهدّم
وهو لقوم عضّهم ... صرف الزمان مأتم
وهو لرهط أعرسوا ... قيثارة ترنم
وهو لمن قد عوجت ... اخلاقه مقوّم
الاولون ابتدأوا ... والآخرون تمموا

وهو سماء قد ملت تضيء فيها الأنجم
وهو شعور لشعو ر السامعيه يضرم
وهو بألوان الحيا ل في الحياة مفعم
وهو اذا خطب عرا بصدقه يعتصم
إن ذكر الآداب فهـ و وحده المقدَّم

∞

والشاعر الفحل له من نفسه معلّم
هومه له ترو ض والحياة تلهم
حتى اذا الشعور جا ش مثالته السكلم
يعجبى من الهزا ر الشدو والترنم
وهو على غصن من الـ دوح وريق يجثم
أني بشدوك الشجي يا هزار مغرم
فأنت هما في فؤا دي من أسى تترجم

∞

الشعر في أوطانه قد غيظ وهو يكظم
هنالك ثلة تقو ل فيه ما لا تعلم
والنقد بالأغراض في اكثره متهم
ورب ناقد يمجُّ السم فهو أرقم
وما يطفىء أوا ر حقده إلا الدم
لو حكم النقد بعد ل فهو نعم الحكم
لكنه يجور في احكامه ويظلم
وانما النقد النزيـ ه نفعه مسلَّم
ورب شعر حسن له بقبح وصموا

قد جمدوا جماله كأنهم عنه عموا

والشعر قد يثور غضـ بان وقد ينتقم
ويل لمن يصيبه شواظه المضطرم
اذا رمى الشعر فلا تطيش منه الاسهم
يومئذ يود كل ناقد لو يسلم
ويعقب الهرس الذي أفرح قوماً مأتم
ان الذي يتقدم بصخرة يصطدم
خير له ان يؤثر الا فرار فهو أسلم
الشعر لا يرقب الا ولا ذمة سيفه منثلم
لا ناره نار ولا خيبه عرمرم
لا خير في نقد امرىء جدته مرجم
لا يستوى الباطل والـ حق لدى من يفهم
هذا نهار مشرق وذاك ليل مظلم
الصدق يكفي حرمة والكذب لا يحترم
قالوا لقد مات القريـ ض بعد من تقدموا
قد كذبوا فالشعر حيٌّ بالنشاط مفعم
عش أيها الشعر فانـ ك الزعيم الأعظم
تحت لوائك القلو ب اجتمعت تزدحم
نفسي اذا مشيت تمـ شي أو جثمت تجثم
وأنت في الحياة لي يا شعر دين قيم

بغداد جميل صدقي الزهاوى

الفنون الرفيعة
وأثرها في حياة شرقنا العربي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

شهدت لبنان في الخريف الاخير جدالا لا يخلو من عنف قام بين فيلسوف الفريكة الاستاذ أمين الريحاني وبين الشاعر الكبير الاستاذ بشارة الخوري . وكان مثار هذا الجدل قصيدة بشارة التي يقول فيها :

الهوى والشباب والأمل المنشود ضاعت جميعها من يديا

فقد نعى الاستاذ الريحاني على الكتاب والشعراء هذا النوع الباكي من الادب وقام في ذلك بحملة شديدة جمعها بعد ذلك في كتاب نشره أخيراً بعنوان « أنتم الشعراء » . وكانت حملته هذه ترمي الى حمل الشباب على هجر الادب الباكي لما فيه من إضعاف العزيمة وتلوين الحياة أمام النظر بلون قاتم ، بينما في الحياة مباهج كثيرة يجدر بالانسان ان يصل اليها طواعية ان سلمت اليه نفسها ، أو كرهاً عنها وأخذاً إياها بما اعترض عليه وحاولت مقاومته . أما الاستاذ بشارة فقد كان رده على هذه الحملة ان الشعر مصدره الشعور فاذا كان الشعور باكياً كان الشعر باكياً ، واذا كان الشعور ضاحكاً كان الشعر ضاحكاً ، وان الدموع انهمرت من عيون أكبر الشعراء وأكثرهم على الزمان خلوداً وأجدرهم بتقديس الانسانية بمثل تقديسها للشعراء الذين فاضت عنهم الحماسة أو فاضت عنهم أية عاطفة غيرها . وحمل الشاعر على ان يقول غير ما يفيض به شعوره حمل له على ان يحطم قيثارة الشعر ، وان يقول كلاماً لا تفيض به عنده عاطفة ولا ينبض له به قلب

مثل هذا الجدل يمكن ان يقوم في شأن الفنون الجميلة جميعاً . وهو جدل بين الفن كما توحي به البيئة وتلهمه الطبيعة المحيطة بنا ، والفن كما يوحي به المثل الأعلى الذي يجب ان نتطلع اليه . وفي رأيي انه جدل لن ينتصر فيه أحد الرأيين على الآخر . فكلا الرأيين في طبيعة الوجود ، فالوجود يوحي بهما جميعاً . وانما الفن خلاصة وحي الوجود . ولو استطاع أديب ان يجمع بين الناحيتين وان يصدر في ذلك عن عاطفة فياضة والهام صادق لبلغ من الفن مكانة يتطلع اليها رجال الفن جميعاً

وانما أوحى بهذا الجدل في اعتقادي ما تتأثر به فنوننا الجميلة في الوقت الحاضر بحكم ما يصيب

الشرق العربي من هوان سياسي والحلال اجتماعي . واذا كان الشعراء يكون في قصائدهم بمقدار العشر منها فان فن الغناء عندنا يكاد — في هذه الظروف الاخيرة — يكون بكاء كله . استمع إلى عبد الوهاب ، استمع الى أم كلثوم ، استمع الى غيرهما ، بل استمع الى صالح عبد الحي نفسه ، تجد النغمة المحزونة تسود كل الاغاني الا قليلا . وهي تسود الاغاني اليوم أضعاف ما كانت تسودها قبل الحرب . وهذه النغمة المحزونة هي التي تستهوي الجماهير في الشرق كله استهواء يجعلها تهرع الى سماعها وتطرب أشد طرب لها . وان عبد الوهاب وصالح عبد الحي وأم كلثوم ليستقبل احدهم حيث نزل من بلاد الشرق العربي جميعاً استقبال الفاتح واكثر من استقبال الفاتح . والسر في ذلك ان هذه النغمة المحزونة تجد لها في النفوس صوتاً يحرك فيها أشجانها ، ثم ان لها ما تشاء من حرية البكاء في أمة تعيش بهذه الاشجان . ولو أن ألحان حماسة حركت الجماهير فأرادت ان تنفس عن حماستها بمظهر من المظاهر الخارجية — كما يفعل الفرنسيون حين يسمعون المارسيليز ، او الالمان حين يسمعون نشيد : المانيا فوق الجميع — لكبح هذا الاحساس نفوسهم ولزادهم ذلك هما وشجناً يزيد في ميلهم للانغام المحزونة . وقد أصبح تقدير الفن وبحاجه رهناً في زمننا الحاضر بحكم الجمهور عليه حكما بذ المال على صاحبه . ولم يبق رهناً بنقد الناقدين ذوي العلم والمعرفة في فن من الفنون ، لان الانسانية مسوقة منذ الحرب بسليقتها الفطرية البحتة اكثر مما هي مسوقة بحكم العقل الناضج وميوله

والنقش في الشرق العربي كالغناء وكالادب ، اكثر ما يروج في هذه السنين الاخيرة منه المناظر الطبيعية الصامتة ، أو الطبيعة الميتة على حد تعبير الفرنسيين وأنت اذا استثنيت الفنون الزخرفية — ولست أدري بأي مقدار يحسب هذه من الفنون الجميلة — رأيت روح الاسى والهم ظاهراً في النقش أيضاً . وما عسى توحي به الطبيعة الصامتة او الطبيعة الميتة اذا لم يعمل الانسان ليهبها من حياته حياة ومن عواطفه حباً واقداماً وحماسة وفروسية ، وما إلى ذلك مما يحرك الميت وينطق الصامت ويدفع الوجود الى السير في طريق المثل الأعلى الذى اضطربت أمام انسانية هذا الجيل صورته ، وهي في شرقنا اليوم أشد — مع الشيء الكثير من الاسف — اضطرابا

هذه حال غير طبيعية ، أو بالاحرى هي حال غير سليمة . وقد اصيبت الفنون بما اصيبت به تبعاً لظروف الحياة التي يخضع الشرق العربي والتي تخضع الانسانية من بعد الحرب لها . ولا يكون علاجها بانكار ما للدموع وما للشجن من اثر في الحياة . وانما يكون علاجها بان تبعث الدموع وان يبعث الشجن النفس إلى التماس المثل الاعلى ، كما تدفعها الحماسة وتدفعها النجدة والمروءة الى التماسه . ولو ان ارباب الفن في الادب والغناء والنقش وسائر الفنون الرفيعة وضعوا هذا المثل امام أنظارهم لارجعوا الى الفن حياة اقوى بكثير من حياته اليوم ولما كان الجدل الذى ثار في هذا الصيف الاخير بين امين الريحاني وبشارة الخوري . ومن ارباب الفن

من يتوخى هذه الوجهة فى الظروف الحاضرة ، لكنها ليست ظاهرة ظهوراً واضحاً . وهى بعد ليست مذهباً يلتف جماعة ارباب الفن حوله . فليعمل العاملون على ان تكون مذهباً وليجاهد الذين يتوخون هذه الوجهة فى قيامهم الى الدعوة اليها بقوة وحرارة . ثم منهم يضاعفون فى الفن حياته ويرتفعون بالفن إلى حكم ذوق الجمهور وتكوينه ، بدلا من ان يهبط الفن لاجابة رغائب الجمهور وشهواته

ماذا عسى أن يكون المثل الأعلى ؟ أعتقد أن الشرق قد ضل طريقه فى هذه العصور الأخيرة متأثراً بتعاليم الغرب فأصبح مثله الأعلى مادياً ، بحسب الحرية التى تسمو بها النفس إلى المكان الأرفع أن ينال الجسم وأن تنال الشهوات كل مبتغاها . وقد يكون للبيئة الطبيعية فى الغرب ما يدفع إلى التطلع إلى هذا المثل الأعلى . لكن بيئة الشرق الطبيعية وتاريخه منذ العصور الاولى ، وتاريخه بنوع خاص منذ انتشرت الحضارة الاسلامية فى ربوعه ، يجعل هذا المثل الأعلى الذى يتحده الغرب إمامه دون ما تتطلع اليه النفس الشرقية . فهذه النفس تؤمن بوحدة الوجود وترى فى هذه الوحدة والاتصال بها وبنفائس الروح فيها غاية ما ترجو . ولذلك كانت أمثال هذا الشرق تجرى بأن من اعتز بغير الله ذل ، ومن افتقر الى الله استغنى . ولا تعرف شيئاً فى الحياة يعادل تقوى الله . أفيمكن أن تصور النفس هذه المعانى وأن يصل بها من درجات السمو إلى ما يجب ان يصل اليه الفن ؟

هل تستطيع فى الغناء وفى الشعر وفى الموسيقى وفى الادب أن نطبع هذه الفنون بروح تصل من السمو إلى هذا المدى وتخلق فى الحياة صوراً شعرية أو أدبية أو موسيقية أو غنائية يتجلى فيها هذا المثل الأعلى واضحاً قوة الفن وصريحاً بأخذ الرجل عن نفسه حين يشهدها أو يستمع اليها أو يقرأها ؟

ليكن فى الفن بعد ذلك دموع أو لتكن فيه حماسة . هو ما صبا إلى هذا المثل الأعلى حقق غاية إذا وصلت اليها الانسانية بلغت غاية ما ترجو

محمد حسين هيكل

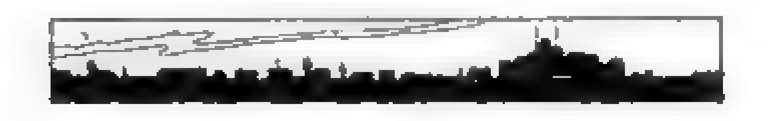

هل يتاح للشرق ان يستعيد مجده ؟

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

المجد الشرقي القديم هو مثل النسب الشريف الذي يتغنى به العظاميون لا يجلب لاصحابه منفعة ولا يدفع عنهم ضرراً ما لم يتعهدوه بأسباب الحياة ويغذوه بالعناصر التي تنميه وتبعث فيه روح الارتقاء . وكما يكون التحدث عن شرف الارومة وطيب المحتد في الاسرة العظامية الخاملة التي فقدت كل شيء سوى التشدق بعظم الآباء وفخر الجدود ، سبباً للسخرية والازدراء ، كذلك الطنطنة بذكر المجد الشرقي الرائع والبطولة الشرقية الخالدة مع بقاء الشرقيين في ربقة الذل واغلال الجمود هو مدعاة الى الاشمئزاز أيضاً

ثم إننا اذا ذكرنا المجد الشرقي القديم فأي مجد نعني ؟ أنعني مجد الحثيين والفراعنة والاشوريين والبابليين والكلدانيين والفينيقيين ومن حذا حذوهم ، وكلها أمم قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ؟ ، ولا أدل على زوالها من أن الآثار التي خلفتها أصبحت حشو لفائف البردى وتحت أنقاض الطابق أو رهن التحقيقات الأثرية ، وهذا هو الموت المطلق الدال على تحجر الحياة ، والامة تكون حية على قدر حياة ثقافتها التي تعيش بها

أم نعني مجد التبت وكوريا والصين ؟ وهذه أمم بعدت عنا ولم تتغير في نظري كثيراً عما كانت عليه منذ ألوف السنين ، فاذا كان لها مجد غابر فما هو بأحسن مما كانت عليه الامم الاخرى . والمجد الذي لا يجري مع الزمن هو مجد متراجع لان دستور الحياة أن الذي لا ينمو يموت . وفوق ذلك فالطوارئ التي تطرأ على مدنيتها لا تؤثر في مجتمعنا مباشرة

وفي الشرق امم أخرى غير من ذكرنا إما أنها ليس لها مجد غابر فتستعيده او كان لها مجد ولكنه ليس من وضعها ولا مطبوعاً بخاتمها . فلم يبق والحالة هذه سوى مجد الثقافة العربية ، وهذا ما أظنكم تقصدون في السؤال الذي اقترحتموه ، وهو مجد تلك الثورة التي انبثقت في القرن السابع للميلاد وانتشرت ألويتها في أقل من قرن من المحيط الى المحيط . فهذه الثقافة ثقافة حية ، نعيش في اجوائها ونمرح في أفيائها ونهتدي بأنوارها . وكلما حاول أناس من المبشرين أو المستعمرين أو المتعصبين أو الهدامين أن يطفئوا هذه الانوار بالدعوة الى العربية العامية رأوا من حرص المتمسكين بالفصحى على الجامعة العربية ما يقف سداً منيعاً في وجوههم ويرد كيدهم الى نحورهم

إن هذه الثقافة هي دوحة ريانة جذورها ثابتة في تربة القرون الوسطى وأغصانها تتمايل في سماء القرن العشرين

ثم ما هو مقياس المجد يا ترى ؟ هل هو العلوم والمعارف والاخلاق والحضارة وحدها وقد رأينا أهل سويسرة والبلاد السكندناوية مثلا ينالون الشطر الاوفر منها وهم مع ذلك فى هذا المجد دون الامة الايطالية التى لم تبلغ من اسباب الارتقاء شأوهم ؟ ويتجلى هذا التباين فى تقدير المجدين بما يحتلان من المقام الدولى المحمود بالنسبة اليهم . فلا يطمع أحد من السويسريين أو السكندناويين أن يكون فى تلك الهيئة الدولية التى تدعى « عصبة الامم » سيداً نافذ الكلمة مثل زميله الايطالى . والسبب فى ذلك ان المدنية الاوربية لسوء الحظ اعتدت بما تشهر الامم من مشرفيات لحز الرقاب أكثر مما تقبض على مشارط لبط الاوجاع . وبما تحمل من بنادق لخرق القلوب أكثر مما ترفع من مصاحف لشرح الصدور . وبما تنصب من الغام لاغراق المدرعات اكثر مما تشيد من منائر لهداية السفن . وبما تنشر من غاز خانق اكثر مما تلهم من وحى منعش ان الناس فى المشارق والمغارب يحسنون الاصغاء الى ازيز المقذوفات اكثر من همس الضمائر

فاذا كان مقياس المجد عند الدول حتى فى القرن العشرين لا يزال الحديد والنار فالسبيل الوحيدة الى المجد هى وياللأسف اتقان فن الذبح على عيار واسع . ومن سوء حظ الشرقيين - أو من حسن حظهم - ان معظمهم لا يزالون يذبحون على الطريقة القديمة بالسيوف وينحرون بالخناجر . وهذه طريقة شريفة قليلة الجدوى لا تتفق مع الارتقاء [illegible] الحاضر . لذلك اصبح مجدهم مثل آلاتهم عتيقاً . وبما انهم [illegible] عن [illegible] احدث [illegible] يدكوا بقذيفة واحدة قصراً أو يلغموا واحد سفينة ويقتلوا [illegible] . [illegible] لم يستطيعوا أن يستخدموا احدث الآلات المتقنة التى تعطى أطيب محصول بأقل مجهود . انكرت عليهم أوربا ليس حق المجد فقط بل حق الحياة

ولكن الشرقيين أحسوا اخيراً يحسون بشرهم ، لان سنى النسيم التى عاشوا فيها ردحاً من الزمن نبهت قابليتهم ، حتى ان اشد المتعصبين للغرب ممن يقولون بالسلالة الآرية وحدها وان من عداها كذب التسابون ، وممن ينصبون الحواجز الجنسية عالية لئلا تتدنس السلالة الآرية بالاتصال بالسلالات الاخرى ولو كانت آرية شرقية - ان اشد المتعصبين لمثل هذه السخافات البالية مرغمون على الاعتراف بأن المجد لم يعد وقفاً على ابناء جلدتهم ، وان الشرقيين حتى المتوغلين منهم يستطيعون - اذا شمروا عن ساعد الجد - ان يساهموا فى هذا المجد . وحسبنا ان نضرب على ذلك مثلا بما عمله اليابانيون فى بداءة القرن الحاضر وهم من صميم المغول ، وما عمله الترك عقب الحرب العالمية وهم من السلالة الطورانية ، لنبين ان السلالات الشرقية - حتى التى لا تمثل أرقى النماذج ، أو التى لا تمت الى الثقافات المشهورة بعرق عريق - فى مقدورها ان تنازع الغربيين مجدهم وان تفل حديدهم بالحديد الذى طبعته على غرارهم

اليابان

مما يدلك على الهمجية التى كان عليها اليابانيون إلى عصر متأخر ان الذين كانوا يلبسون الزرد

منهم لا يزالون على قيد الحياة ، ولم ينقرض بعد جميع أفرادهم من الدهماء الذين كان عليهم إذا مر الشريف من امامهم ان يسجدوا له والا مزقهم حراسه من طبقة (الساموراى) شر ممزق

وقد بقيت اليابان إلى سنة ١٨٦٦ - وهى سنة تغلب الميكادو على حكم الاقطاع وامرائه - تتخبط فى خزعبلات القرون الوسطى وتتنازعها أيدى الشقاق الداخلى والثارات والدماء المسفوكة ويتحكم فيها نفر من اهلها لا يتجاوزون الخمسة فى المائة مؤلفون من الاشراف وبطانتهم (الساموراى) وهم المحاربون الذين يقومون بحراستهم

لكن اليابان أصبحت بعد الحرب العالمية احدى الدول الخمس العظمى القابضة على ناصية الدنيا بأجمعها ، وهى التى حسب لها أكبر حساب فى مؤتمر واشنطن البحرى من بعد أميركا وانكلترا فقط ، وأصبح ممثلوها يترأسون فى بعض الأحيان جلسات عصبة الامم فى جنيف أو يديرون لها ظهرهم مدبرين اذا رأوا منها قلة اكتراث بمطالبهم التوسعية والغارات التى يشنونها على جوارهم ، فما الذى حدث يا ترى ؟ وأى حديث عن الجان كما تساءل (جاردنر) أو أية خرافة من الخرافات تفوق هذه الاعجوبة التى تمت فى زماننا ؟

ان الذى حدث محص المتعصبين لمدنيه الغربية على تفضيل طريقتهم فى الشرق أن اليابان حاربت الصين فى سنة ١٨٩٤ فقهرتها وهى لا تكاد تبلغ السدس من سكانها . واذا كان هذا البرهان ناقصا لان الحرب وقعت بين شعبين شرقيين موغولين لا يكسب الظافر منهما فيها اكليل المجد فهل يستطيع هؤلاء المتعصبون أن يحرموا اليابان منه من بعد اعلانها الحرب على الروسيا فى سنة ١٩٠٤ وما قدمت فيها من براهين قاطعة على انها لا تفوق الصينيين الشرقيين فقط فى حز الرقاب وبقر البطون وهدم المدن بل تفوق الأوربيين انفسهم كما هو ظاهر من المعارك الثلاث الآتية (الاولى) « لياو - يانغ » والاربعون ألفا من القتلى والجرحى الروس الذين ذهبوا فيها (الثانية) معركة « موكدن » والالوف المائة الروس الذين سقطوا فى الميدان بعد انهزام قائدهم « كوروباتكين » شر هزيمة (الثالثة) معركة « تسوشيما » البحرية واضمحلال الاسطول الروسى تماماً فما سلم منه من الغرق جره الاميرال « طوغو » بسلاسل الاسر . وكان هذا الانتصار اليابانى أعظم انتصار بحرى وقع منذ معركة « نلسن فى « الطرف الاغر » .

وليس فى مقدور أمة شرقية أن تدلى بحجة أقوى من هذه الحجة أو الحجج على حقها فى المجد ، حتى إن كاتبا أوربيا اشتراكى النزعة يكره الحرب وما تجره من ويلات مثل (اتش . جى . ولز) اعترف لها بهذا المجد مرغما بقوله ما خلاصته : « ما رأينا قط فى التاريخ أن امة قطعت شوطا بعيداً مثل الشوط الذى قطعته اليابان . فقد كانت فى سنة ١٨٦٦ أمة « قروسطية » أو صورة هزلية وهمية لأشد النظم الاقطاعية تطرفا فاصبحت بعد جيل واحد فقط على مستوى أرقى الدول الاوربية . وهى تفوق الروسيا الى مدى بعيد . وقد قضت قضاء

مبرماً على تلك الاسطورة الخرافية التى تزعم ان آسيا لن تبلغ شأو أوربا ، بل ان اليابان أظهرت للملأ أن الارتقاء الذى تتدرج عليه أوربا هو ارتقاء بطىء وكأنه لا يزال فى دور التجربة .

ويهم العالم العربى المتحفز للنهوض ان يعرف شأن الرجل البارز فى تكوين الامة وكيف أن فردا واحدا من افراد الامة اليابانية يعود اليه الفضل الاكبر فيما بلغته أمته من المجد الطريف . وهذا الفرد هو البرنس « ايتو » المتوفى سنة ١٩٠٩ فقد كان الروح الملهمة والقوة المحركة التى دفعت باليابان الى الامام ، ويتصل نسبه بطبقة « الساموراى » التى ذكرناها وهى طبقة الجنود حراس الاشراف وهو فرد من افرادهم العاديين ، وقد أدرك منافع المدنية الغربية من أوائل أمره ، واضطر الى مغادرة بلاده والسفر الى انكلترا مع أربعة آخرين فراراً من الموت ، وحسبه شرفاً أن بلاده كانت كلما وقعت فى ورطة أو شعرت بحاجة الى همة حكيمة تتطلب الحزم والعزم والبذل وبعد النظر ودقة التنقيب ، كان اليابانيون يشيرون اليه « اشارة غريق الى الساحل » .

ومن المشهور أن « الشنتوية » هى عقيدة اليابانيين الدينية الاصلية قبل دخول الكونفوشيوسية الى بلادهم ، وهى مزيج من عبادة أرواح السلف وتعظيم الملوك ولا يجوز أن تعد ديناً بالمعنى الذى نفهمه لانها خلو من فكرة الاخلاقية ، و يحافظون عليها محافظة امثال الدولية فى بلاد الغرب على عاداتهم . فمن التقاليد التى كان لها أثر ماض فى تدرجهم الوطنى الحديث عقيدة عملية تدعى « البوشيدو » والبا يرجع الفضل للاعتماد على ظهورها من صولة خالدة فى حربهم مع الروس ، وهى قائمة على شعور عميق بالاخلاق والواجبات التى يقتضيها الشرف ، وتتطلع الى الفقر بدلا من الغنى ، والى التواضع بدلا من التكبر ، والى الكتمان بدلا من الثرثرة والتطلع ، والى البذل بدلا من الانانية ، وترفع مصلحة المجموع فوق مصلحة الفرد ، وتذكى نار الحماسة فى الافئدة وتحث على الشجاعة وتقابل الموت وجها لوجه ، وشعارها « النار ولا العار » وتتطلب تدريبا رياضيا وعقلياً دقيقا ، وتنمى روح الجندية ، وتوصى بالاقدام والامانة والعزم وكبح جماح النفس ، وتدرب المسالمين كما تدرب المحاربين ، وتربى النساء كما تربى الرجال

هذه هى « البوشيدو » التى تتفق والشىء الكثير مما ورثناه من تقاليد « الفروسية » العربية منذ الازمنة الخالية ، وهى تقاليد لا ينقصها الا تثبيتها والضرب على نغمتها حتى ترسخ فى الاذهان

هذه هى اليابان وهى لا تمثل أرقى السلالات الشرقية . وقد ضربناها مثلا واحداً من مثلين على ما يمكن أن تبلغه أمم الشرق متى شمرت عن ساعد الجد وغيرت اتجاهها فى فهم الدنيا فاهملت المباحث العقيمة التى لا توصل الى شىء وانصرفت الى ملاحظة الشؤون العملية ودرستها درساً تجريبياً قابلا للتطبيق . أما المثل الآخر فهو سلالة شرقية أيضا قامت بأخطر الادوار بعد الحرب العالمية ، على انها ليست لها ثقافة خاصة مطبوعة بطابعها القومى بل كانت ثقافتها فى معظم النواحى عربية ، وهذه السلالة هى تركيا الطورانية الحديثة

تركيا

ليس القراء بحاجة الى من يذكرهم بتركيا قبل الحرب ولا الى العصر الحميدى وجواسيسه وجهاله وترهاته ، حتى صارت إدارته مثلا شرودا فى الفساد . ونحن الذين رأينا رأى العين شواهد على أعماله تضحك الثكلى لا نزال على قيد الحياة . وفى العصر الحميدى كان الأجانب فى المملكة يتمتعون بامتيازات أجنبية جعلتهم سادة البلاد مستقلين كل الاستقلال يفعلون ما يشاءون ولا منازع لهم ، ولكن بطش السلطان كان مطلقاً فى الرعية لا حد له . وغلطة واحدة فى الكلام أو فى الطبع كافية لالقاء صاحبها فى غياهب السجن . ومع ذلك فقد كان هذا السلطان يدعى من على سدد المنابر « سلطان البرين وخاقان البحرين ظل الله فى الأرض » !

ثم جاء الدور الاتحادى فتربعت على دست الحكم عصبة من الأغرار جهلت أصول الادارة الابتدائية ، لانها بدلا من أن تصرف جهدها لاسترضاء العرب وهم يتجاوزون نصف المملكة حاولت تتريكهم وأن تعلمهم لغتهم العربية فى عقر دارهم بكتب تركية ! . فكان ما كان من ابتداء ذلك التصدع المريع فى بناء الدولة إلى أن أتمه أحمد جمال باشا وأعوانه من السفاحين بنصب المشانق لنخبة المنتخبة من أبناء العرب . وهذه أخطاء فى الادارة لا يرتكبها صبيان الأزقة . وقصارى القول ان أفراداً من هذه العصبة تآمروا على سلامة الدولة فساقوها رغم أنفها إلى حرب سنة ١٩١٤ ، وبيانا هو مقدار الشر الذى أصاب تركيا منها قبول الخليفة محمد السادس وحكومته والمجلس الأعلى الذى عقده فى حمامها معاهدة (سيفر) القائمة على الأسس الآتية :

(١) تخفيض الدولة العثمانية من ٦١٣٥٠٠ ميل مربع و٢٠٠٠٠٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩١٤ إلى ١٧٥٠٠٠ ميل و٨٠٠٠٠٠٠ من السكان (٢) ألا يبقى للترك فى أوربا غير القسطنطينية مع شقة رقيقة لحمايتها (٣) السماح لليونان بالاستيلاء على الجهة الاوربية من الدردنيل وإدارتها باسم لجنة خاصة (٤) السماح لليونان بالاستيلاء على أزمير وداخليتها إلى أن يقرر مجلس عصبة الأمم ضمها إلى اليونان نهائياً (٥) منح الأرمن استقلالهم وتأليف دولة فى الاناضول منهم (٦) ألا يكون لتركيا أسطول بحرى أو جوى وأن يخفض جيشها إلى شرطة فقط (٧) أن تعود الامتيازات الاجنبية إلى سالف عزها قبل الغائها فى أوائل الحرب (٨) أن تؤدى تركيا غرامة باسم تعويضات وغيرها من الاعباء المالية والاقتصادية مما يجعلها فى الرق إلى الابد

وأمضت فى تلك الغضون انكلترة وفرانسة وإيطاليا اتفاقا لحماية مصالحهن الخاصة قسمن فيه مابقى من تركيا إلى مناطق نفوذ !!!

وتمت الموافقة على معاهدة سيفر هذه فى اليوم العاشر من أغسطس سنة ١٩٢٠ ووضعت أسسها موضع التنفيذ منذ شغل اليونانيون فى تلك السنة خط بورصة ـ عشاق على نهر المندريس حيث ساعدهم الايطاليون بجيوشهم عند الجناح الايمن . ثم سقطت أدرنة وأنزل الاسطول

البريطاني قوة بحرية معها جيش يوناني في رودستو في تراقيا وبانديرمه في آسيا الصغرى . وفي شهر يوليو من السنة التالية وهي سنة ١٩٢١ استولى اليونانيون بمعونة انكلترة أيضاً على أفيون قره حصار وكوتاهية واسكي شهر وواصلوا زحفهم الى نهر صقارية وكوك صو

ولكن ظل تركيا الحديثة ومنقذ شرفها الحربي من العار الغازي مصطفى كمال باشا كان قد أعلن في الثلاثين من يناير سنة ١٩٢٠ أن حكومة أنقرة هي وحدها الحكومة المسئولة عن الشعب التركي . لا جرم أن الوطنيين الترك تنفيذاً لميثاقهم الوطني المقدس أعلنوا أنهم لن يرضوا بمعاهدة سيفر ولن يخضعوا لشروطها . أما ما حدث من تقدم اليونانيين وحلفائهم فلم يفت في عضدهم ولم يضعف ايمانهم بحق الحياة . وزادهم لهباً أن تستعين انكلترة بشعب كالشعب اليوناني بقي خاضعاً لتركيا مئات السنين لارغام أنفهم وهذه خطيئة في السياسة تعد من الدرجة الاولى

واذا أراد شرقي أن يعرف كيف يستطيع الشرق أن يستعيد مجده فليقرأ بامعان نظر تاريخ الحرب التي استعرت في الاناضول بين الكماليين واليونان وكيف برهن الترك على انهم أهل للمجد والاحترام بما أتوه من ضروب البطولة والاستماتة في الدفاع عن الاوطان ، الى أن اضطرت أوربا وعلى رأسها انكلترة الى الاعتراف بالأمر الواقع وأخذت الدول ذات المصالح المتباينة تأتي الى الترك تخطب ودهم . فمن ذلك أن الفرنسيين لما شعروا بوطأة الحرج في سورية وحاجتهم الى الجنود في اخضاعها اسرعوا فسحبوا من كيليكيا جيوشهم التي ساقوها على الترك لانشاء الدولة الارمنية . ومن ثم عقد مسيو فرانكلين بويون معاهدة انقرة في ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢١ فتخلت بموجبها فرانسة عن كيليكيا جملة بعد مدافعة ألوان العذاب ، وعن حلفائها الارمن وعن الدولة التي حلموا بها ، بل لم تلبث ان شهدت طردهم الكماليون من الاناضول طرداً لا رجوع بعده . وكانت بطولة الترك الوطنيين هذه هي التي فتحت عيون الفرنسيين الى رؤية مصالحهم الخاصة والاعتراف بأنها لا تتفق مع مصالح بريطانيا وطمعها في الاستانة ومضايقها . وكان سرور ايطاليا عظيماً أيضاً ان تعقد في تلك السنة اتفاقاً مع الترك اخرجها من الورطة التي ألقيا اطماعها فيها . واعترف الكونت « سفورتزا » وزير خارجيتها بأن مصلحة ايطاليا الخاصة أن تجد لها في تركيا المسلمة سوقاً لتجارتها ومجالا لمشروعاتها ، وقد تعهدت ايطاليا في هذا الاتفاق أن تؤيد السلطان القومي التركي تأييداً تاماً وأن تعيد الى قبضته تراقيا في اوربا وازمير في آسيا الصغرى . وكذلك عقد الكماليون في تلك السنة اتفاقاً مع البولشفيك على أساس الاعتراف بحق المصير

ثم اليونانيون يتطوحون في الاناضول بتشجيع بريطانيا الى ان وصلوا الى « صقاريه » و « كوك صو » كما ذكرنا ، فكر عليهم الترك وحملوا عليهم تلك الحملات الصادقة التي كان لها دوي هائل الى أن جرفوهم جرفاً وارجعوهم بقضهم وقضيضهم الى احضان الملك قسطنطين في أقل من ثلاثة اسابيع ، فلم يبق شك من بعد تلك الدماء اليونانية المهراقة في حق تركيا في المجد . لا جرم

ان الحلفاء فى اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٢٢ دعوا انقرة للمفاوضة فى عقد معاهدة على الاسس الآتية : (١) اعادة تراقيا الشرقية الى الترك (٢) انسحاب الحلفاء من القسطنطينية (٣) صيانة حرية المضايق (٤) حماية الاقليات القومية والدينية (٥) دخول تركيا فى عصبة الامم وغير ذلك

قال الاستاذ (فيليب برون) : « وهكذا نرى الترك بعد مرور أربع سنوات على هدنة (مودروس) المزرية التى عقدوها فى اليوم الثلاثين من اكتوبر سنة ١٩١٨ قد خرجوا ظافرين فى هدنة (موداينا) » .

ولما عقد المؤتمر الرسمى فى لوزان فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ لبحث هذه الأسس واعادة السلم الى نصابه كان الكماليون قد استولوا على أهم المواقع الحربية وكانوا هم وحدهم - كما قال الاستاذ برون - مستعدين للحرب اذا اقتضت الحالة للدفاع عن القواعد الاساسية . لذلك وقف عصمت باشا مندوبهم كالجبال الراسيات فى الدفاع عن الميثاق القومى . وحاول اللورد كرزن بكل ما اوتيه من قوة سياسية - بالتهديد تارة وبالاستعطاف تارة اخرى - ان يحمله على اعادة الامتيازات الاجنبية الى تركيا [illegible] لان تركيا الحديثة لا يسمح لها شرفها ان تحقر فى عقر دارها . لقد قبل الوطنيون الترك ان يكون الاوربيون اساتذتهم ولكنهم لم يقبلوا ان يكونوا اسيادهم ، وقد سمحوا لهم ان يكونوا ضيوفهم ولكنهم لم يسمحوا لهم ان يتملكوا بيوتهم ، وقد رضوا ان يستدينوا منهم ولكنهم أبوا ان يستعبدوا لهم . وقد برهنوا لكل أمة تطلب الحياة على ان درهماً واحداً من العمل خير من قنطار من الثرثرة

هؤلاء هم الترك الذين عشنا وإياهم قروناً متواليه . وكثيراً ما كنا نفخر عليهم بلغتنا وثقافتنا وعلمائنا وتفوق أبنائنا فى صفوف مدارسهم الحربية والملكية والفنية . ولئن سبقونا اليوم فى مضمار العمل فقد برهنوا لضعفاء الايمان منا على أن فى طاقتنا إذا عدنا أن نستعيد مجدنا

وإنى أرى بوادر مجد العالم العربى قد بدت فى غير قطر واحد من أقطاره . وإذا كان أحد من أبناء العربية فى شك من المقام الرفيع الذى سيشغله عالمهم فى النشوء الدولى المقبل فليتذكر أن الغرب يحسب حساب العرب منذ الآن . قال الاستاذ (أوسكار بروتنج) : « يسيطر الاوربيون اليوم مباشرة أو بالواسطة على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، ولكن خصمهم اللدود هو العرب وسكان آسيا الشرقية فقط »

عبد الرحمن شهبندر

---

(١) A History of the Modern World, P. 840

الفرصة الضائعة

بقلم الأستاذ ابراهيم المازنى

أفلتت الفرصة ...!

« وسيظل هذا الطاغية حيا يمضى عزمه على طردى وحرمانى من الرزق وتجويع أبنائى! وأين أجد عملا لمثلى فى هذه الأيام؟ ولو أراد الله بى خيراً لألهم يدى أن تدفع هذا المفتاح الى الوراء... قيراطاً واحداً... لا أكثر... إذن لدارت الآلة وهو بين قطعها يدخل شريط الورق من هنا ويخرجه من هنا. وقد كانت رقبته تحت السكين لما هممت بأن أدفع المفتاح، ولو فعلت لحزتها السكين فى مثل لمح البصر، ثم تمزقت أشلاؤه ويموت. وإذن لعزيت ميتته الى القضاء والقدر. فما سمعه أحد وهو ينذرنى بالطرد صديقه الليلة ويخبرنى أنى من الغد مفصول. ولماذا؟؟ لا لذنب جنيته، بل لأنه جشع شره لا يشبع، وليس يكفيه ما يخرج به من الربح فهو يريد أن يستغنى عنى ليصبح الأجر الذى أتقاضاه ربحاً آخر له، وإن أجرى لزهيد. وإنه لأقل من أن يكفينى أنا وأولادى، وإنهم لصغار والأجسام نحاف منه وهزال وإنهم لمهلهلو الثياب فى هذا الشتاء القارس، ولكن هذا القليل الضئيل يمسك أن يموتوا جوعاً ولأنى... من الغد... سنفقد أيضا هذا القليل. ولا يبقى شىء يحجب غائلة الجوع والموت. وستمضى الشهور وتكر واحداً فى أثر واحد، وهو ينعم بالزيادة التى أضافها الى ربحه بطردى، وأنا أشقى وأتضور... أنا وأولادى... أطلب العمل فلا أجده... وأشتهى الكدح والتعب فتبخل الدنيا بهما على، وتأبى المقادير التى تجرى بالنحس إلا أن أتعطل... وليت لى مدخراً... ولكن ماذا عسى أن يدخر عامل لا ينيله أجره الكفاف؟ هذا ثوبى ما غيرته من عامين. وأبنائى دار عليهم العام وليس على أبدانهم ـ فى الصيف والشتاء ـ سوى هذه الخرق البالية. وإنه ليعرف هذا معرفته، ولكنه مع ذلك يطردنى ولا يحركه عطف على صغارى فلو أنى قتلته لما ظلمته.. ولقد سنحت لى الفرصة.. وأى فرصة؟...»

ومسح العرق المتصبب، وكان صوت الآلة يغرق لغط العمال وهم واقفون حيث تخرج الجريدة مطوية... نسخة فى أثر نسخة ـ مائة وثلاثا وثلاثين نسخة فى الدقيقة الواحدة ـ والعمال يتلقونها ويعدونها ويربطونها ويلقون بها الى الصبيان، ليرتبوها ويهيئوا لكل منطقة ما هو لها ـ هذه الآلاف للقاهرة، وتلك للوجه البحرى والإسكندرية، وهذه الأخرى للوجه

القبل، وهكذا ، والباعة من وراء الحاجز يصخبون ويتضاحكون ، ولا يتكلمون وإنما يصرخون لأن الأصوات تضيع في ضجة الآلة . .

وانه لغارق في هذه الخواطر السوداء ، واذا بأصوات تصرخ وتصيح به : « وقف . . . وقف . . . . . »

فقد انقطع شريط الورق ولا بد من كف الآلة عن الدوران حتى يوصل ما انقطع ، فجذب المفتاح فامتنع تيار الكهرباء وخفت الدورة وصار صوت الآلة خفيفاً ثم وقفت وصارت أصوات العمال عالية مستنكرة . فصاح بهم كبيرهم أن يسكتوا أو يخافتوا بها . ودخل في جوف الآلة بين شقيها - لانتزاع الورق الممزق وتخليص العجلات والتروس منه ، فانتعش الأمل وتجدد في نفس صاحبنا وهو واقف الى جانب المفتاح ينتظر الأمر بدفعه لتدور الآلة مرة أخرى . وحمد الله على أن أتاح له هذه الفرصة الثانية وآلى أن يغتنمها كائنة ما كانت العاقبة . وخيل اليه أن الاقدار تغريه بالقتل وتحمله عليه وتسوقه اليه . وبدا له كأن عدل الله يأبى أن يفلت هذا الظالم من العقاب الذي يستحقه

ورفع كفه الكبيرة الخشنة الملطخة ليجمع الورق مرة أخرى وفي هذه اللحظة أدار كبير العمال عينه فوقعت عليه ، ورأى الورق الذي تقطر به حده ، والكف التي تمسحه ولم تخف عليه آيات الوجوم والسهوم في هذا الوجه الصامت ، فرق اليه له وجاشت نفسه بالحدب والمرثية ، فحول وجهه عنه ورد عينه الى شريط الورق وشرع يلحمه بالنشا بعد أن مده الى حيث ينبغي أن يكون . وفي نيته حد أن ينتهي العمل أن يرفع صاحبنا عدوانه عن طارده

ولكن صاحبنا لم يكن يعرف هذا . وأنى له أن يطلع على ما في ضمير الفؤاد ؟ ؟ ولقد لمح على وجه رئيسه ابتسامة خفيفة توهمها من السرور بما وفق اليه من اقتصاد أجره بعد طرده . فشاعت النقمة عليه في نفسه ، وامتلأ صدره حقداً وصديداً وامحى من ضميره كل ما كان يمسه على التردد والاحجام عن القتل ، واستقرت نيته على الفتك . فوقف جامداً كالصخرة متربصاً كالنمر ناظراً الى رئيسه نظرة الثعبان الى العصفور ويده ترعش وتهم بأن ترتمي الى المفتاح . ولكن الرئيس لا يزال على مسافة شبر من السكين وقد لا يعود - كما حدث في المرة السابقة - الى دس عنقه تحت حدها فتضيع الفرصة مرة أخرى . . . ولكن لا ! لن تضيع هذه المرة . واذا كان هذا الظالم لا يضع عنقه تحت مهبط السكين . فان في وسعه مع ذلك أن يطحن له جسمه ويفتته ويمحق لحمه بعظمه بين التروس والعجلات . . . كلا . لن ينجيه شيء في هذه المرة ولن يخرج من هذا المكان حتى يراه - بعينيه هاتين - فطيرة معجونة بزيت العجلات . ولماذا يتركه حيا وقد أنذره أن يقطع عيشه ؟ ؟ أي حق له في تجويعه وتجويع أولاده ؟ ؟ ماذا جنى حتى ينزل به هذا !

البلاء العظيم ؟ ؟ إنه ليقضي ليله ـ كل ليلة ـ في أشق الاعمال . . في حمل الصفحات الثقيلة الى المكبس ، ثم في ردها حارة حامية تكوى جسمه على الرغم مما يلفها به من اللباد السميك ثم في كسر الاخشاب عن لفافات الورق ، وفي دحرجة هذه اللفافات الضخمة الى حيث تعلق على جانبي آلة الطباعة ، ثم في تنظيف الآلة وتزييتها ، ثم يقضي ساعتين واقفاً على قدميه الى جانب هذا المحرك الكهربائي وهذا المفتاح الذي يدير الآلة ويقفها . . . يفعل كل هذا بستة قروش ليس غير ... ستة قروش له ولاولاده الثلاثة لاتكاد تكفي ثمناً للخبز بغير إدام . . ومع ذلك يأبى هذا النذل إلا أن يستغني عنه ليشرده ويجيعه ويجيع صغاره ! أفمن كان مثله يستحق رحمة ؟ ؟ وماذا عليه لو قتله ؟ ؟ ان الآلة هي التي ستقتله وتمزق أوصاله لا هو ، ولن يفعل هو شيئاً سوى أن يدفع المفتاح قبل الأوان ثانية واحدة . . . لا بل ثالثة ... ولن يتهمه أحد ، لانه مامن أحد يعرف سر نقمته عليه ... ومتى مات فلن ينقطع رزقه هو ... ولن يجوع ابناؤه ، ولن يعرف هو ذل البطالة . . .

« دور ! دور ! »

والله على صياح العمال به من كل مكان . . « دور » !

أفلتت الفرصة مرة أخرى . . وخرج الرجل من بين شقي الآلة وهو شارد يحدث نفسه حديث الانتقام ويسوع لنفسه ، ويو حصانه ما أبى له الله أن يحققه ا

وطفرت العبرة من عينه ، وواحت الهموم تتسابق على خديه . أبكته مرارة الخيبة لنفسه بعد أن صح منه العزم ، وأبكاه هول مايسطره في عنقه بعد أن يؤوب الى حجرته ، وأبكاه الغيظ والألم والشعور بالضعف والتضعضع

ولم يرفع يده ليدفع المفتاح فما ضيت في ذراعه أعصاب ، وخار جسمه كله حتى ليكاد يقع ، ودارت الأرض به وصارت الآلة الضخمة الزاحفة تعلو وتهبط وتميل فيما يرى يمنة ويسرة كأنها على أرجوحة . واذا بالآلة تدور وحدها يملء ، واذا بكف غليظة تلمس كتفه وصوت بعيد جداً فيما يحس يقول له :

« هون عليك . لقد عدلت عن اخراجك رحمة بصغارك . فامض في عملك »

* * *

وعاد الرجل الى ابنائه في البكرة المطلوبة يحمد الله على ضياع الفرصتين

ابراهيم عبد القادر المازني

هل صحت احلام المصلحين ؟

استفتاء طائفة من المفكرين

ماذا كان يحلم به المصلحون والزعماء فى مصر ؟

وماذا تحقق من أحلامهم ؟

وماذا ينتظر تحقيقه منها فى المستقبل ؟

هذا ما أجابنا عنه طائفة من المفكرين وأصحاب الرأى عندنا . وقد تناولوا كبار المصلحين والزعماء الذين ظهروا فى مصر وكان لهم أثر بارز فى حياتنا الحديثة من النواحى السياسية او الاجتماعية أو الدينية . وقد درسوا أحلام هؤلاء القادة وما كان مداها والى أى الغايات اتجهت

ونحن ننشر هذه الاجابات فى الصفحات التالية .

محمد علي باشا والخديو اسماعيل — بقلم الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي
السيد جمال الدين الافغاني — « الدكتور يحيي احمد الدرديري
الشيخ محمد عبده — « السيد محمد رشيد رضا
مصطفى كامل باشا — « حافظ بك رمضان
قاسم بك أمين — « ابراهيم بك الهلباوى
سعد باشا زغلول — « الدكتور احمد فريد رفاعي

محمد على باشا والخديو اسماعيل

بقلم الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي

١ – محمد على باشا

لا جدال في أن محمد على باشا هو من عظماء الرجال ومن كبار مؤسسى الدول والممالك . وحسبك أنه أسس ملكا عريضاً وهو ملك مصر

كان الأمل الاكبر لمحمد على أن ينشىء الدولة المصرية المستقلة ، وقد تحقق هذا الأمل العظيم . فبعد ان كانت مصر ولاية من ولايات السلطنة العثمانية يتعاقب عليها الولاة كل سنة أو سنتين أصبحت دولة مستقلة قوية البأس عزيزة الجانب ذات ملك واسع الارجاء ، تمتد حدوده من جبال طوروس شمالا الى أقاصى السودان جنوباً ، وتشمل مصر وسورية وبلاد العرب وجزيرة كريت وقسماً من الاناضول . ولئن تراجعت حدود الدولة المصرية بعد ان تألبت عليها انجلترا وتركيا وأوربا سنة ١٨٤٠ فقد بقيت حدودها الأصلية سليمة اذ شملت استقلال مصر والسودان وتحققت بذلك وحدة وادى النيل السياسية والقومية . ومهما نالت الاحداث من هذا الملك العظيم في النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فقد بقيت الدولة المصرية المستقلة التى أسسها محمد على قائمة الى اليوم والى ماشاء الله آخذة بأسباب التقدم والرقى

اقترن أمل محمد على من هذه الناحية بأمله فى تأسيس اسرة مالكة يكون الملك فيها لشخصه ثم لذريته من بعده . وكان هذا لزاما لتأسيس الدولة وبقائها واستقرارها على الزمن . ولولا ان تحقق هذا الأمل لتبدد الملك الذى انشأه والاصلاحات التى قام بها وعادت مصر ولاية عثمانية يسودها التأخر والفوضى . وقد عمل على توطيد دعائم الدولة التى اسسها بانشاء حكومة نظامية وقوة حربية ونشر لواء العلم والحضارة فى البلاد . وتحققت آماله فى هذا الصدد . فأسس حكومة ذات نظم ولوائح وقوانين ودواوين على غرار الحكومات الاوربية . وانشأ جيشا مصرياً قوياً منظما على احدث طراز . وبنى الحصون والقلاع . وانشأ اسطولا ضخما رفع علم مصر فوق ظهر البحار . وكانت آماله السياسية معقودة بقوة مصر الحربية والبحرية اذ كان يعتقد انها السياج المنيع للدولة الفتية التى اسسها . وقد بقى استقلال مصر سليما ما بقى للجيش قوته ومنعته

وتحقق أمله فى نشر لواء العلوم فى مصر بانشاء المدارس النظامية الحديثة وإيفاد البعثات العلمية الى اوربا . فكانت تلك المدارس والبعثات قوام النهضة العلمية والادبية التى سطع نورها فى عهده . وهى الاساس لنهضة مصر الحاضرة فى العلوم والآداب والفنون

ووفق أيما توفيق فى تحقيق آماله من الناحية العمرانية فى الزراعة والتجارة والصناعة . فأحيا ثروة مصر الزراعية بمنشآت الري التي أسسها وإدخال الزراعات الحديثة . وحسبك فى هذا الصدد انه أدخل فى مصر زراعة القطن الحديث الذى اصبح اساس ثروة مصر الزراعية . ومن ناحية التجارة انشأ لمصر اسطولا تجاريا كان له الفضل الكبير فى نهضتها التجارية . وقد تبدد اسطول مصر التجارى فى عهد الاحتلال ثم تجدد الأمل فى احيائه فى عصرنا الحاضر

ومن الوجهة الصناعية كانت آماله متجهة الى احياء الصناعات الكبرى. فانشأ كثيرا من المعامل والمصانع التى تدار بالآلات ، ونجح نجاحاً عظيما فى انشاء معامل الاسلحة والبنادق والمدافع والبارود ومعامل الحديد والنحاس ، وفى تأسيس مصانع الغزل والنسيج فى مختلف المدن والعواصم . ولئن اصيب بعض هذه المصانع بالبوار فى اخريات عهده بسبب احتكار الحكومة لها وانعدام الادارة الحرة فيها فان هذه التجربة كانت سببا لظهور الصناعات الكبرى فى مصر ونواة للنهضة الصناعية التى اخذت مصر باسبابها فى العصر الحاضر

وصفوة القول ان آمال محمد على قد تحققت الى ابعد مدى فى عهده واستمر معظمها من بعده حقيقة ثابتة . فالدولة المصرية المستقلة ، والاسرة المالكة ، والحكومة ، والنهضة العلمية والادبية ، وعمران مصر وتقدمها فى الزراعة والصناعة والتجارة . كل هذه الحقائق والمنشآت اصبحت ثابتة مستقرة مطردة [illegible] والتقدم ، وهى تدل على رسوخ [illegible] الذى شاده محمد على . أما الجيش والاسطول فهما العاملان اللذان اصابهما التراجع ثم الاضمحلال من بعده مما أدى الى تصدع بناء الاستقلال واذا اتيح لها أن يستردا مكانتهما فسيكون هذا احياء للأمل الذى حققه محمد على الكبير

٢ — الخديو اسماعيل

كان الخديو اسماعيل مشغوفاً بالمدنية الغربية الى أقصى مدى ، راغباً فى ان تنال مصر على عهده أكبر قسط من هذه المدنية . وقد حقق كثيراً من آماله فى هذه الناحية ، فنمت النهضة العلمية والادبية من مرقدها ، واعاد عهد البعثات العلمية ، وانشأ المدارس العالية التى كانت واستمرت من بعده قوام انتشار المعارف وارتقاء الافكار وتقدم الثقافة الى عصرنا الحاضر . ونهض بعمران مصر بما انشأه من الترع والقناطر وسائر منشآت الري التى كان لها الفضل الكبير فى اتساع نطاق الاراضى الزراعية ، وعنى بعمران المدن وخاصة القاهرة والاسكندرية . وكان يبغى ان يجعل العاصمة باريساً ثانية بما انشأه فيها من الاحياء الجديدة والشوارع والميادين والمتنزهات والقصور والجسور (الكبارى) وقد تحقق أمله فى هذه النواحى الى مدى بعيد . ومن الجهة الاجتماعية يصح ان يسمى عهده عهد التجديد الاجتماعى لان الحياة الاجتماعية

المصرية بتأثير الخديو اسماعيل أحدث تطور نحو الرقى وتقتبس أساليب المجتمع الاوربي وعاداته فى انماط الحياة وطرائق التفكير والتهذيب . وهذه النهضة ماضية فى سبيلها إلى اليوم

وكان يأمل من الوجهة السياسية أن يكمل الاستقلال الذى وطد محمد على دعائمه ويصل به إلى الاستقلال التام . فألغى معظم القيود التى قيدته بها الفرمانات السابقة . وأكمل فتح السودان وضمه إلى حظيرة الوطن . وتحقق أمله فى هذا الصدد إلى أبعد مدى إذ وصل بحدود مصر الى منابع النيل وشواطىء المحيط الهندى وبسط حوزها فى مديرية خط الاستواء ومملكة أونيورو ومملكة أوغنده وسلطنة هرر وسواحل الصومال ، وهذا العمل يعد من مفاخر اسماعيل . وكاد يتحقق أمله الأعظم فى إنشاء أمبراطورية مصرية وطيدة الاركان باقية على الزمن تشمل وادى النيل بأكمله من منبعه إلى مصبه لولا أنه أسرف فى عقد القروض الاجنبية وبالغ فى حسن ظنه بالدول والبيوت المالية الاوربية ، فانقلبت هذه الديون اداة للتدخل الاجنبي وتأثر لها كيان الاستقلال فى أواخر عهده بما كسبته الدول من الحقوق والمزايا ، كتأسيس المحاكم المختلطة وإنشاء صندوق الدين وفرض الرقابة الثنائية على مالية مصر وتعيين لجنة تحقيق أوربية لفحص شؤون الحكومة المالية والادارية وتعيين وزيرين اجنبيين فى الوزارة المصرية لهما حق « الفيتو » أى وقف كل عمل تشريعي وتنفيذى للحكومة . وقد كانت هذه القيود عقبة فى تحقيق آمال اسماعيل ، وما يزال بعضها إلى اليوم عقبة فى سبيل الاستقلال التام

السيد جمال الدين الافغانى

بقلم الدكتور يحيى احمد الدرديرى

قال رينان على أثر المناقشات التى دارت بينه وبين جمال الدين الأفغانى فى باريس فى العلم والاسلام : « كنت أتمثل أمامى ـ عند ما كنت أخاطبه ـ ابن سيناء أو ابن رشد أو واحداً من أساطين الحكمة الشرقيين »

هذا هو جمال الدين العالم ، فأما جمال الدين الرجل فقد وصفه تلميذه أديب إسحق بقوله : « إنه أسمر ربعة ممتلىء ، قوى البنية ، جذاب النظر ، نافذ اللحظ ، خفيف العارضين ، مسترسل الشعر ، بجبة وسراويل تنطبق على الكاحلين ، وعمامة صغيرة بيضاء على زى علماء الاستانة ، عزب عفيف النفس ، قانت ، كثير القيام ، لا ينام إلا الغلس إلى الضحى ، ولا يأكل غير مرة واحدة فى اليوم ، على أنه يكثر من شرب الشاى والتدخين ، قوى العارضة ، طويل الحجة ، واسع المحفوظ ، نبيه يكاد

يكشف حجب الضمائر ، ويهتك أستار السرائر . ولكنه على فضله لا يسلم من حدة المزاج »

وقال عنه الامير شكيب ارسلان : « إنه كان يعظم نفسه عن الشهوات ، ولا يرى من اللذات إلا اللذة العقلية العالية . وقد حاول السلطان عبد الحميد أن يعلق قلبه بالمال والبنين ويشغله بزينة الدنيا وراوده على الزواج فأبى وأعرض . وكان ينظر الى المال نظره الى التراب فلا يدخره ولا يتناول منه إلا ما هو ضرورى للحياة . وحاول السلطان أن يعطيه رتبة علمية - كرتبة «قاضى عسكر» - مثلا فأبى أن يقبل الرتبة وأن يلبس كسوتها المزركشة بالقصب . وكذلك رفض قبول وسام مهما كان عالياً »

هذا هو جمال الدين الرجل ، فاما جمال الدين المثل العالى فقد وصفه أعظم تلاميذه فأبدع فى تصوير نفسيته ، قال :

« هو مشرق بشر عند اللقاء . وقد آتاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه . أما أخلاقه فسلامة القلب سائدة فى صفاته . وله حلم عظيم يسع ما شاء الله أن يسع ، الى أن يدنو منه أحد بمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب . فبينما هو حليم أواب ، اذا هو أسد وثاب . وهو كريم يبذل ما بيده ، قوى الاعتماد على الله ، لا يبالى ما تأتى به صروف الدهر ، عظيم الأمانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصده السياسى ، اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه ، وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان . وهو قليل الحرص على الدنيا ، بعيد عن الغرور بزخارفها ، ولوع بعظائم الامور ، عزوف عن صغارها ، شجاع مقدام ، لايهاب الموت كأنه لايعرفه ، إلا انه حديد المزاج . وكثيراً ما هدمت الحدة مارفعته الفطنة »

هذا جمال الدين « المثل العالى » فلننظر ماذا كان جمال الدين السياسى

قال الاستاذ الامام : « إنه كان يسعى لانهاض احدى الدول الاسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق بالدول القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيف مجده . ويدخل فى هذا تنكيس دولة بريطانيا فى الاقطار الشرقية ، وتقلص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية . وله فى عداوة الانجليز شؤون يطول بيانها »

فلنبدأ من النهاية ، لنبدأ بمطمحه الاسمى وأعنى به الجامعة الاسلامية ، ولنترك جمال الدين نفسه يحدثنا عن اخفاق فكرته تلك فى حياته ويأسه من تحقيقها بعد وفاته

قال فى سنة ١٨٩٢ ، أى قبيل وفاته بخمس سنوات : « ان المسلمين قد سقطت هممهم ، ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شىء واحد فيهم ، وهو شهواتهم »

إلا أن جمال الدين إذا كان قد أخفق فى تحقيق مثله العالى فقد حقق لأمم الشرق مثلا عليا

عديدة . وما أخفق فى واقع الامر إلا لأن ما اقتناه صعب المنال عسير المرتقى فى وقت طمع فيه الحرب فى الشرق وألب عليه الأحن والأحقاد ودس ساسته السم فى نواحى العالم العربى الاسلامى . وهو ماالذات كان يطارده الاستعمار أينما حل وسار

على أن هذا المصلح الكبير قد نجح فى حياته ونجح بعد وفاته وكان نجاحه متعدداً كثير النواحى شهى الثمرات

نهضت شخصية الأفغانى على دعائم من نور العلم وقدسية الحرية وديموقراطية الشورى

فى ناحية الفكر الحر نجده بذر بذوراً صالحة أينعت بسرعة خارقة للعادة ! فما انتشر بتعاليمه فى مصر حتى أقبل يرتشف من منهله العذب صفوة من طلاب الازهر فى رأسهم محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى ، وورد منهله الصافى من مفكرى الاسكندرية عبد الله نديم وأديب اسحق وسليم نقاش ، واستفاد من واسع علمه وجليل تفكيره وصائب رأيه جماعة من أهل المناصب والجاه : منهم محمود باشا سامى البارودى ، وعبد السلام باشا المويلحى حامل لواء المعارضة فى مجلس شورى النواب على عهد اسماعيل ، وابراهيم بك المويلحى الكاتب المشهور ووالد محمد بك المويلحى صاحب حديث عيسى بن هشام ، وعلى بك مظهر والشاعر الرقاق وأبو الوفا القونى

هؤلاء الاعلام هم تلاميذ السيد جمال الدين فى مصر ، ولا بد أنه قد تتلمذ عليه جهابذة فى سائر البلاد الشرقية التى حط فيها حاملا مشعل الحرية والفكر والجرأة على الاستبداد والنضال ضد التدخل الأجنبى والاستعمار !!

ومن ذلك يسهل عليك ادراك ان جمال الدين الأفغانى هو احد بواعث الثورة العرابية وهو من أكبر دعاة الحركة الدستورية لا فى مصر وحدها بل فى تركيا وايران ، فاننا نعلم ان السلطان عبد الحميد كان قد منح الدستور لتركيا ثم سحبه ، لكن الشعب التركى ما برح يطالب به ويسعى اليه حتى حصل عليه فى سنة ١٩٠٨ ، وكذلك الشعب الايرانى حصل على الدستور فى سنة ١٩٠٦ أى بعد وفاة الأفغانى بسنوات تعد على أصابع اليد

وعندى ان جمال الدين كان قدوة طيبة ، والقدوة أعمق أثراً من الفكر ومن العلم ومن فصاحة اللسان ومن النضال المشعلة الواسعة النطاق

لقد كان الأفغانى جريئاً فى ابداء رأيه ، لايبالى بما تجره الصراحة فى الحق من عواقب وخيمة ، ولقد طورد طوال حياته فما اشتكى ولا تململ ولا فترت عزيمته . ولقد كان ثائراً على اخلاق الضعف من ملق ودس وحسد واستخذاء وتقية . وكان مع الثوار العاملين ، يضرب المثل ويتقدم بنفسه فى الطليعة . وان نظرة واحدة الى سيرته لتبعث فى النفس سموا وترفع المرء إلى ذروة الأخلاق الفاضلة . فتأثير الأفغانى فى رفع المستوى الخلقى هو فى نظرى أجل آثاره

يأتي بعد ذلك تأثيره الفكري والأدبي ، وإن في تلاميذه لدليلا محسوساً على أن هذا التأثير لا يقل عمقاً عن تأثيره الخلقي

هذا بالاختصار مجمل الرأي في السيد جمال الدين الأفغاني كرجل قد سعى لتحقيق أمنية جليلة فات دونها لكنه حقق أمنيات غيرها . . وقد كان أمله اكبر من عزمه وفكرته أقوى من وسيلته فصرع شهيداً لمبدئه وفياً لأمنيته . . ومثل الأفغاني سائر العظماء وكبار المصلحين العالميين

الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بقلم الاستاذ السيد محمد رشيد رضا

إني قد نشرت في الجزء الأول من « تاريخ الأستاذ الامام » ما كتبه الاستاذ بيده في بيان ما دعا اليه من الاصلاح ، وهو ينحصر في ثلاث دعوات تجمعها ثلاثة مقاصد من هذه الوسائل ، وهي :

١ – الاصلاح العقلي الذي يجمع بين هداية الدين ومنافع العلم

وقد عرفه بقوله : « الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وانه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس واصلاح العمل ، كل هذا أعده أمراً واحداً » الخ . فهذا الأمر الواحد يجمع حرية الدين ، وحرية العلم ، واستقلال الفكر ، والترغيب في هداية الدين وترقي الدنيا

هذا هو الاصلاح الاعظم الذي عني به ، وله في بيانه بالقلم « رسالة التوحيد » المشهورة وهي مجملة موجزة . وأما تفصيله له بالاطناب التام فقد كان فيما قرره في دروس تفسير القرآن الحكيم في الازهر الشريف . وقد فصلته في الاجزاء الخمسة الاولى من تفسير المنار تفصيلا . وجريت عليه في سائر أجزاء التفسير وفي جميع مجلدات المنار الى الآن . وقد اقتنع به في عهده قليل من تلاميذه ، وكثر المهتدون به من بعده ، حتى صار لهم جمعيات ومصنفات ، ودعاة وأنصار في جميع الاقطار الاسلامية

وكان يرى ان أقرب الوسائل اليه اصلاح التعليم في الجامع الأزهر وملحقاته . وجهاده في

اصلاح الازهر معروف . وهو لم يتحقق كما كان يريد ولكن لا يقال إنه قد خاب سعيه له ، بل وجد من وسائله التى رسمها له : النظام ، والتخصص ، والعلوم العصرية ، وتحضير الدروس فى الاقسام العديدة بدلا من المناقشات اللفظية فى عبارات المتون والشروح والحواشى . ووجد فيه نابتة من تلاميذه وتلاميذهم ومشى خطته فى استقلال الفكر والتفصى من قيود التقليد للمؤلفين الميتين ، ثم وسط بين حزب الجمود والخرافات القديم وحزب التفرنج الذى حدث بعده . وعدنا طائفة تؤيد حزب الجمود والخرافات ، وتسلس لحزب التفرنج وتضطهد حزب الاصلاح الجامع بين هداية الدين وترقى العلم العصرى

٢ – اصلاح اللغة العربية

كان من أول نشأته يرى أن ارتقاء الأمة متوقف على ارتقاء لغتها . وكان له فى اصلاح اللغة العربية مراحل :

(أولها) طريقته فى التعليم والتدريس فى مدرسة دار العلوم ، اذ كان من أساتذتها الاولين عند انشائها ، وكان له رأى فيه مع صديقه المرحوم على باشا مبارك ، مؤسسها . ومن أنفع محاضراته فيها ما كان يحاضر به فى مقدمة ابن خلدون وينتقدها . ومن أشهر تلاميذه فيها محمد صالح باشا الذى صار مستشاراً فى العقد ، لا أهل وحفنى بك ناصف الشهير

(ثانيها) عمله فى إدارة المطبوعات ورياسة تحرير جريدة الحكومة الرسمية « الوقائع المصرية » الذى كان له به من السلطة على الجرائد وعلى الحكومة ما لم يعهد له نظير فى العالم ، فانه انشأ فى الجريدة قسماً أدبياً كان ينتقد فيه كل ما يراه منتقداً من أعمال الحكومة ولغة دواوينها ومصالحها ، بله انتقاد الاخلاق والعادات العامة فى الأمة والحكومة معاً . وكان من تأثير انتقاده للغة الدواوين أنه ألجأ جميع الكتاب فيها الى دراسة اللغة فى مدرسة ليلية انشئت لذلك ، كما شرحت ذلك فى الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام . وكان من اشهر تلاميذه فى هذه المرحلة ربيبه ومريده الشهير سعد باشا زغلول

(المرحلة الثالثة) الازهر . وكان عمله فى اصلاح اللغة فيه نوعين : أحدهما إلقاء دروسه كلها باللغة الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغة التأثير ، فكان فيه الأسوة العملية العليا . ثانيهما قراءته فيه لأعلى كتب البلاغة وأنفعها : اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لواضع فنها الاول الامام عبد القاهر الجرجانى وانهما هما الكتابان الجامعان لقواعد علمى المعانى والبيان وفلسفتهما من علم النفس ، وبلاغة العبارة وروعة البيان المفقودتين من كتب السعد التفتازانى ومن دونه من فرسان هذا الفن

وتلاميذه في هذه المرحلة كثيرون، منهم جهابذة المدرسين في دار العلوم الذين صاروا من بعده أساتذة في مدرسة القضاء الشرعي وفي الجامعة المصرية (١) ومن نوابغ الأزهريين الخلص منهم الأساتذة الشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ عبد العزيز البشرى، والشيخ عبد الرحمن البرقوقى، والمرحوم السيد مصطفى المنفلوطى. وقد وجد من بعده كثير من الكتاب المجيدين في الأزهر لا يعلمون من أين جاءهم هذا الاصلاح. ولم يكن قبله في الأزهر عالم ولا مجاور يعد كاتباً مجيداً

وكان الأستاذ الامام يرأس في كل سنة لجنة امتحان طلاب دار العلوم، ويرشد الطلبة في أثناء الامتحان إلى ما ينفعهم في اكتساب ملكة البيان فله الفضل الأكبر الأعم في جميع معاهد نهضة اللغة المصرية، وكان راضياً عن سيرها وراجياً لها بلوغ الكمال. وسأفصل كله في هذا

٣ـ الاصلاح السياسي المصري والاسلامي

كان الأستاذ الامام في هذا النوع من الاصلاح ناصراً ومؤيداً لداعيته الأول وواضع أسسه، وهو أستاذه موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني. ولذلك عبر عنه بقوله:

«وهناك أمر آخر كنت من دعاته، والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله، ولكنه الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية، وما أصابهم الوهن والذل إلا بخلو مجتمعهم منه، وهو حق الحكومة على الشعب وحق الشعب على الحكومة. والاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم، وانه لا يرده عن خطئه، ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصح الأمة له بالقول والفعل

«جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أي عبيد!»

هذه إشارة إلى عمله السياسي بمصر حين أسس مع السيد جمال الدين الحزب الوطني الأول في عهد اسماعيل باشا وهو خاص بمصر. ثم كان له معه سعي آخر للاصلاح السياسي الاسلامي الراقي العام، وتأسيسهما جمعية العروة الوثقى السياسية التي أصدرا باسمها جريدة «العروة الوثقى» في باريس. وقد فصلنا كل ذلك في تاريخه

ثم صرح بأنه ترك العمل السياسي لأنه ثمرة لتربية الأمة تربية خاصة، فالواجب الأول العناية

---

(١) قال أحدهم المرحوم الشيخ محمد مهدي لنا بعد الخروج من الدرس الأول من دروس كتاب أسرار البلاغة: اننا في هذه الليلة قد كشفنا عمى كله «علم البيان» وكان الشيخ مهدي مدرساً في دار العلوم فمفتشاً في وزارة المعارف فمدرساً للبلاغة وآداب اللغة في مدرسة القضاء والجامعة المصرية فوكيلا لمدرسة القضاء، ومنهم خلفه في الوكالة الشيخ حسن منصور (ر ح)

بهذه التربية ، وانه لايزال يدعو إلى الاصلاح الديني ولم يذكر أنه تحقق شيء منه . قال : « وأطالب بإتمام الاصلاح في اللغة وقد قارب » .

وكان كل رجائه في الاصلاح الديني منوطاً بالمنار وتحرير المنار ، كما صرح بذلك لكثير من الناس ، وأشار اليه في الأبيات التي انشدها قبيل وفاته . رحمه الله وجزاه أفضل الجزاء عن أمته ووطنه ، وعن مريديه ومحبي علمه وذكره

مصطفى باشا كامل

بقلم الاستاذ حافظ رمضان بك

« لقد قام مصطفى كامل بكل ما يمكن أن يحلم به انسان و يرغب فيه ، ليوجه قومه في طريق المطالبة بحقوقهم المشروعة

« لقد كتب كل ما كتب عن مصر تحت تأثير تلك القوة المردوجة التي كانت بالغة عنده درجة هائلة وهي ، الشعور بمفاخر عصر مجد في تاريخه القديم ، والأمل العظيم بما يمكن الوصول اليه في المستقبل

« فاذا تمكن الوارثون لتراثه الوطني من السير في الطريق التي رسمها والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي : وراثة الأسلاف في صفاتهم ، والجرأة في العمل ، والمهارة في اسلوب ذلك العمل فأنهم يضيفون حجراً في هيكل الوطنية المصرية الذي كان مصطفى كامل مهندسه النابغة » .

هذا هو حكم « مدام جوليت آدم » في مصطفى كامل ، نبي الوطنية المصرية ، بعثت به الى ضمن خطاب ، رداً على سؤالي اياها عن رأيها فيه بعد سنوات قليلة من وفاته

عرفت مصطفى كامل ولما أزل طالبا في الحقوق ، وهو في فجر حياته السياسية ـ عرفت فيه الفصاحة معقودة بلسانه ، والحماسة مكونة في جسمه النحيل ، والوطنية الصادقة ملء قلبه الكبير

كان لهذا الرجل الكبير فؤاد لا كالأفئدة ، وشعور أعلى مما يتصوره الانسان . ولقد عهدت فيه حباً جماً واحتراما عظيما لهذه الأمة ، لم أعهده في غيره ممن وقفت عليهم عيني

دب الى جسمه الضئيل دبيب المرض ، فنصحه أطباؤه أن يتقي الله في نفسه فلا يحملها فوق طاقتها من العناء ، وطلب اليه أصدقاؤه أن يتقي الله في أمته فلا يحرمها من وجوده حتى يتم مهمته التي وقف عليها حياته ، ولكنه عند ما أحس بضعف القوى ، وشعر بأن أيامه في الحياة

معدودات ، أسرع الخطى وضاعف الجهود وأخذ العدة فى تنظيم الحزب الوطنى ، وألقى بالاسكندرية فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧ خطبته المأثورة التى أعلن فيها مبادىء الحزب الوطنى فاهتزت لها البلاد ، وانهالت طلبات الانضمام التى تعد بمئات الالوف

ثم أخذ يسابق الزمن ، والمرض يلاحقه ، وآثر أن يضحى حياته لاتمام العمل الذى بدأه ، فألقى خطبة الوداع يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وهى آخر خطبه ، ثم عاد الى غرفته ولم يبارحها إلا محمولا على الاعناق ، تشيعه زفرات الباكين وعويل المنتحبين من جميع طبقات الأمة ـ مات ذلك الذى كان يهز أعصاب القلوب بصلصلة صوته الرهيب وصرير قلمه الجرى . مات ذلك الذى كان يجوب الاقطار ليبدد ظلمات الباطل بنور وطنيته الساطع ، ويحاول أن يجمع قلوب العالم حول مصر ، يقارع الحجة بالحجة ، وكانت أبلغ حججه يوم لبى نداء ربه ـ ذلك أنه ايقظ بموته وحوحى الاموات ، أموات الاحياء

فلا عجب اذا كان قاسم امين قد سمع قلب مصر يخفق يوم شيعنا مصطفى الى مثواه الاخير . أجل . لقد كانت وفاة مصطفى وما أحدثته من لوعة ومن فراغ دليلا محسوساً على أن نبى الوطنية ادى رسالته ، فأثمرت وآتت أكلها من كل زوج بهيج

وحسبه ذلك عملا جليلا وتوفيقاً فى تحقيق جوهر الفكرة قل أن يوفق اليه قادة الشعوب

ما أشبه مصطفى كامل بالزعيم الايطالى مازينى ، فكلاهما أثار شعباً مجيداً من رقدته وحفزه للمظالم . وما يضير مصطفى أن آماله لم يتحقق حتى اليوم ، فان جهاد الامم قد يكتظ حياة الافراد جيلا فجيلا ، على نحو ما وقع لبولونيا . ولم يقل أحد إن « كافور » خير من « مازينى » ولا قال أحد ان « جاريبالدى » خير من صاحبيه « كافور » و « مازينى » ، وانما قالوا : ان مازينى ذهب بمعجزات النبوة الوطنية وجعل حب الوطن ايماناً وعقيدة عند الطليان ، ونجح كافور فى تحقيق سيادة وطنه من الناحية السياسية ، بينما راح جاريبالدى يفخر النضال الدموى لتحرير بلاده

وكان من أثر الدعاية التى بثها مصطفى كامل فى اوربا ضد الاحتلال البريطانى ، ان قال المسيو فريسينيه المؤرخ الفرنسى السياسى المشهور :

« لا بد من يوم تخرج فيه مصر من قبضة انجلترا وتعود للسلطان ، أو تبقى على الحياد تحت صيانة اوربا . . . وان حلول هذا اليوم أمر محتم ، لا لأنه مقصود بمقتضى المعاهدات الكتابية بل لأنه فى طبيعة الأحوال نفسها »

قال مسيو فريسينيه هذا ، بعد وفاة مصطفى وبعد أن استقر فى تقديره ان الوطنية المصرية حقيقة رائعة ليس الى نكرانها وتهوين شأنها من سبيل

اختزلت المنية عمر مصطفى ، فاختزلت برهانه جهوده ، ولك أن تتصور ماذا كان يفعله ذلك الزعيم الثائر فى عام ١٩١٤ أو عام ١٩١٩ ، لو انه كان حياً

على انى لا أتردد فى توضيح نقطة من برنامج مصطفى كامل غمض فهمها على الناس . هذه النقطة هى رأيه فى علاقة مصر بتركيا . . دعنى أقول من علم ان مصطفى كان يتكىء على المعاهدات الدولية التى تربط مصر بتركيا ليتخلص من الاحتلال البريطانى . ولا صير وقتئذ على مصر أن تتبوأ المركز الذى كانت تتبوؤه بافاريا وغيرها من دويلات المانيا فى البناء الشامخ الذى شيده بسمارك بدهائه وعزيمته الحديدية ، والذى نعرفه باسم الامبراطورية الألمانية وعلى رأسها ملك بروسيا

فلا يغضن أحد من فكرة مصطفى كامل الاستقلالية !! لقد كان يريد التخلص من الانجليز أولا . . . وانى لأسأل : هل كانت سيادة تركيا قبل الاحتلال إلا وهما لا وجود له ، وهل كانت علاقتنا بها الا كالشعرة تربط العضو بالجسم ؟ وفى كل يوم توشك الشعرة أن تنقطع

أما نضاله ضد الاحتلال البريطانى فقد بدأ بصورة رائعة فى حادث دنشواى ، واستمر حتى اشتد واضطرم فى سنة ١٩١٩ . ولن تلقى مصر سلاح النضال المشروع حتى تسترد حريتها وحقوقها وسيادتها التامة على وادى النيل

لمصطفى كامل عشا الوطنية وجعلها عقيدة فى نفوس المصريين . ومصطفى كامل جاهد الاحتلال والخليو ، وما زال يناضل حتى سقط فى الميدان ، ذهب الى الدار الباقية وضرب لنا بموته المبكر مثلا فى التضحية جميلا . والتضحية كفيلة بتحقيق ما كان يصبو اليه ، لأن مصطفى لم يمت . وكيف يموت وقد خلف فى مصر أربعة عشر مليون مصطفى كامل !؟

قاسم بك امين

بقلم الاستاذ ابراهيم بك الهلباوى

لما طلب منى « الهلال » أن أكتب عن قاسم رأيت من الواجب على أن أرجع الى بعض زملائه الذين عاشروه أيام الدراسة . وقد كان فى تخيلى قبل الرجوع اليهم ان قاسماً كان أيام دراسته دائماً فى مقدمة الناجحين فى الامتحان . ولكنى علمت مع الدهشة من طلعت باشا أن قاسماً كان يؤدى امتحانه فى أغلب السنين بدرجات متوسطة وقل ان كان بين الأوائل اللهم إلا فى السنة الاخيرة التى نال فيها الشهادة العليا سنة ١٨٨١ فقد كان فى امتحان الليسانس أول الناجحين

قلت لطلعت باشا : « ان خاصة الذين عرفوا قاسماً بنبوغه وفرط ذكائه كانوا يظنون أنه كان دائماً فى طليعة زملائه فى الامتحان » فقال : « نعم ولكنه ألف من صغره أن يوزع مجهوده بين دروسه وبين قراءة كتب الأدب الفرنسى والتاريخ الفرنسى . فكان يحصل ضعف ما يحصله

الزملاء في الدرس وفي المعارف العامة . وقد بقي ذلك شأنه لا يكتفي بعمل واحد في الحياة بل يجمع بين الاعمال والدراسات حتى كان في القضاء قاضياً وعلامة ومؤلفاً ومحرراً المرأة ومنشئاً للجامعة ومؤسساً للجمعية الخيرية الاسلامية وغير ذلك من جلائل الأعمال .

أما مؤلفه في الرد على رسالة الدوق « دار كور » وكتاباه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » وأما اشتغاله بالجمعيات واشتراكه في تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية والجامعة المصرية ، فقد كانت كلها آيات ناطقة بمبلغ نشاط هذا الرجل الفذ

فرده على الدوق أمر يستحق الالتفات ، فهو وإن كان يتعلق بمشكلة اجتماعية فرجع البحث فيه إلى مسائل دينية اسلامية محضة . ونحن قد تعلمنا أن الذين يضيفون الى تربيتهم المصرية تربية أوربية يعودون الينا أقل عناية بالمسائل الدينية . فاشتغال قاسم بهذا الموضوع يدلك على أن شخصيته الدينية الاسلامية كانت ما تزال مرتبطة بعزته القومية وشرف وطنه

بحثه في هذه الرسالة جره الى البحث في مسألة المرأة المسلمة ، فهي من أهم المسائل الاجتماعية المحبوبة . وقبل بيان أهمية هذا الموضوع أذكر أن رجلا فيلسوفاً من فرنسا كان يرى امكان اتحاد الاديان بعضها ببعض وجعلها ديناً واحداً ، وهو اسمه (لوازون) جاء الى مصر مع زوجته حوالى سنة ١٨٩٨ وألقى محاضرة في هذا الموضوع بالاوبرا . وقد قوبل بكل حفاوة ممن عرفه وتعرفت زوجته بزوجات كثير من العائلات التي زورها ولما كنت من بين من تعرفوا به ذهبت الى داره مرة في ضواحي باريس مع محمود بك سالم والمرحومين مصطفى كامل ومحمود بك أبو النصر . وعندما استقبلتنا زوجته قالت للمرحوم مصطفى : « لقد دخلت وأنا أقرأ فيك » فقال : « لعلك راضية عما قرأت » فقالت : « كلا » ثم التفتت الى فسألتني رأيي فيما كتب مصطفى فقلت لها : « لم أطلع عليه » فقالت هي : « إنه حديث مع جريدة (لاباتري) سأله المكاتب: ما شأن المصريين الآن مع الانجليز ؟ فقال : كلما طال عهد احتلالهم كثرت كراهة المصريين لهم » ثم قالت : « ما فائدة هذا البيان هل يوجد أحد يتوهم أن هناك أمة ترضى بالاستعباد ؟ »

ثم قالت بين حديث طويل : « ذهبت مع زوجي لمصر ولأتصل بنساء مصر لعلي أجد بينهن جريحاً يتألم من وجود الاجنبي في ديارهن فأشاركهن في هذا الشعور . وذلك لأني وإن كنت فرنسية بحكم زواجي من فرنسي فانا امريكية ضحيت من عائلتي خمسة رجال استشهدوا في حرب الاستقلال ضد انجلترا . ومن الأسف أني تعرفت بكثيرات منهن فوجدتهن لاهيات عن الامر الذي ابحث عنه فعدت بخفي حنين . كل ذلك لانكم أيها الرجال حلتم بين نسائكم وبين التمتع بحق كل كائن في الحرية حتى صرن كالتحف في المنازل . وكلكم تعلمون أننا جميعاً في هذه الحياة نسير الى غرض هو أمل الجميع في الشرق أو الغرب . ولكن المصري يمشي وامرأته على كتفه والاجنبي يمشي وامرأته بجواره فهل السائرون خفافاً كالسائرين ثقالا ؟ »

من يدرك هذا المثل من هذه السيدة في سنة ١٨٩٨ يعلم مقدار ما كانت حاجتنا الى تحرير المرأة وتعليمها ، ويعلم ان قاسماً ان كان طرق هذا الباب في ذلك العصر فهو قد تقدم اليه في اباته ويغير النوائع

صلة قاسم بسعد جعلته الى حد ما بعيداً عن جو السراى والآراء التي تعطف عليها لأن السراى كانت تقليدية رجعية في هذه المسألة

ولهذا جاء مذهب قاسم في تحرير المرأة من أشد المذاهب بغضاً واستحقاقاً للمحاربة من كل الرجال الذين يستقون افكارهم من ذلك الينبوع ، ولذلك لم يكن غريباً أن يكون في مقدمة من حملوا الحملة الشعواء على مذهب قاسم هم اصحاب اللواء والمؤيد . وقد قابل قاسم هذه الحملات بما له من الشجاعة والاستخفاف بالأذى . والذين لم يكونوا متصلين بحوادث ذلك الزمن لا يدركون خطر ما يلحق من كان في مركز قاسم من العنت والاضطهاد . لم يكن من تقاليد السراى ان تقفل بابها في وجه رجل من كبار رجالات الدولة كقاسم ، ولكنها فعلت ذلك لأن حنقها كان شديداً حتى احتقرت تلك التقاليد واقفلت بابها في وجه قاسم العظيم

هذا العنت الظاهر أفقد صاحبه صبره وقتاً ما . وأذكر أنه كانت ليلة في حفلة زواج عطية هانم الفلكي بالدكتور صالح صبحي ، وكانت الحفلة تجمع صفوة رجال مصر وفي صدرهم قاسم . فاذا بأكبر امراء البيت الحاكم وأخو الخديو الشقيق يدخل في تلك الحفلة ويقوم له كل من بالسرادق اجلالاً واكباراً ، إلا رجلاً واحداً كان موضع انظار الجميع لم يقف لذلك الامير الذي وقف له الجميع ، وكان الرجل قاسم امين . . .

لم يكن يدخر مجهوداً للدفاع عن عقيدته . عرض رأى في الجمعية الخيرية الاسلامية لايقاف كل ماتملك على الوجوه الخاصة بنفقات الجمعية . ولما كان قاسم يرى أن الوقف كثيراً ما يعطل على اصحاب الشأن فيه حرية التصرف بما تقتضي الحاجة والظروف التي لا يمكن الاحاطة بها ، عارض معارضة شديدة ، وكانت الاغلبية ترى غير ذلك ، فبقى قاسم مصراً على رأيه قائلا : وان هذه مسألة من المسائل الاساسية التي لا يمكن أن أخضع فيها لحكم الاغلبية ، بل واجبى في هذه الحالة يقضى على بالاستقالة من خدمتها ، . فتراجع الجميع وسلموا رأيه ومات قاسم واتقيا خطر استقالته وبقيت الجمعية من سنة ١٩٠٨ ولم يفكر أحد من اعضائها الى اليوم في الخروج عن رأى قاسم

أما أثره في الجامعة فلم يكن أقل جلالا من آثاره في المسائل الاخرى ، فقد قام قاسم بالدعوة الى انشاء هذه الجامعة . وتقارير كرومر السنوية تنطق بأن رغبة الانجليز في تعليم الشبيبة المصرية يجب أن ينتهى الى حد تعليم الناشئة مقدار ما يراه الانجليز لاستخدامهم . فانشاء الجامعة كان اعتراضا صارخا على مبادىء المستعمرين في قتل ثقافة المصريين . وأكبر دليل على هذا أن المرحوم سعد باشا لما دعى لتولى وزارة المعارف في أواخر سنة ١٩٠٦ لم يجد عما يتفق

مع سياسة ذلك العصر أن يكون وزيراً للمعارف ورئيساً أو وكيلا أو عضواً فى لجنة الجامعة فاستقال منها . ولكن قاسماً لم يكن من بدء حياته إلى منتهاها إلا مفاخراً بأنه يقوم بما يستطيع من خدمة وطنه أرضى الغير أم أغضب

يخطىء من يظن أن قاسماً كان بعيداً عن السياسة ، لأن ذلك إن صح يناقض أخلاقه المعروفة منه . فالسياسة فى مصر أخص صورها الشكوى من وجود المستعمر والعمل لتحرير الأمة منه . ولن يستطيع من يقدر قاسماً أن يقول إنه كان يلهى عن ذلك

ولعل الكتاب ظنوا أنه كان بعيداً عن السياسة ، وذهبوا إلى ذلك لأن اسمه لم يقترن بحركة من الحركات السياسية . فهذا مرجعه إلى أن قاسماً كان يعمل ولا يتكلم ، كان يحب الوحدة والعزلة ويكره الشهرة ، ولكنه كان من أوائل المرافقين لإخوانه فى بث الشكوى ومدافعة الاحتلال فى مصر . كان يفكر ونحن نكتب ، كان يشير ونحن نعلن . كذلك كان شأن قاسم بين الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ولطيف سليم وعلوى باشا وابراهيم بك مصطفى وحسن عاصم وعلى نجرى وغيرهم من الرجال الذين قضوا كل حياتهم فى هذا السبيل

كان قاسم مشغولا من الأدب وخاصة بالفنون الجميلة . أكثر الناس تقديراً للفنانين ، مصورين وشعراء وموسيقيين . وذلك شأن الرجل الوحيد من طبقته الذى سار وراء نعش المرحوم عبده الحامولى أول المغنين المصريين المجددين

ولا أظن أحداً يسألنى بعد ذلك عن شخصية ذلك الرجل الفذ ، فهى ظاهرة فى تلك المواقف التى سردتها والتى تنطق جميعها بمقدار القوى التى كانت كامنة فى ذلك الرجل العظيم

أما طباعه وسجاياه ورقة حاشيته ، فانك كنت تكاد تحسبها الدماثة والرقة صورت رجلا فصارت انساناً كاملا ، بل كنت تكاد تحسبها طباع ملاك هبطت إلى إنسان

ولقد كانت بغية قاسم أمين وأمنية حياته تحرير المرأة المصرية ـ أو بالأحرى إطلاق المرأة من سجن الحريم والحجاب . ولم يرض لها الجهل مع الحرية فشدد فى وجوب تعليمها . . . كل ذلك ضمنه كتابيه : تحرير المرأة والمرأة الجديدة

فأما ما تحقق من أحلامه فيقظة المرأة فى مصر وما وصلت اليه من تحطيم كثير من القيود ومزاحمة الرجل فى شتى مناحى النشاط الحيوى . هذا هو الذى تحقق من هذا الحلم . والزمن كفيل بتحقيق ما بقى ، والطلائع كلها تبشر بأن دعوته إلى تحرير المرأة وتعليمها وجعلها من الأسس التى تنهض عليها دعائم القومية المصرية وحشدها مع الرجل فى ميدان الجهاد الوطنى لاحراز الاستقلال بكل ما يحمله من معان سامية ـ إن دعوته تلك أقرب إلى أن تفعل فعلها الكامل وتأتى بثمراتها الناضجة من أية دعوة إصلاحية أخرى . ولست

أنكر أن قاسماً مات ولما يتحقق من برنامجه شيء يذكر ، لكن المعول فى صيحات الاصلاح هو على النتيجة البعيدة لا الاثر القريب ـ فقاسم أمين مصلح موفق بلا ريب ، فرحمه الله وألهمنا العمل بما رسم

سعد باشا زغلول

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعى

حقاً انى لفى حيرة ! ماذا أقول عن « سعد زغلول » ؟

أقول كثيراً وكثيراً جداً . . .

شخصية حبتها الطبيعة المواتية حكمة واعتباراً وتنوعاً وابتكاراً ، وسمواً فى غير استكبار وعظمة فى غير ازورار ، مع كياسة فى غير ضعف ، ورياسة فى غير ما عنف ، وسياسة فى غير ملق ولا دهان ، وعقلية حرة فى اتئاد وحكمة ، وتفوق بصيرة فى دماثة وظرف ، ولين عريكة فى رجولة مستكنة . كلها نصح ، وكلها حزم ، وكلها إرادة ، وكلها عزم ، وكلها يقظة ، وكلها انتاج

عظمة سعد روعة كلها ، وحياة سعد مفاخر كلها ، وبطولة سعد خليقة بالدرس والامعان . ولست ارتاب أن الوقت لم يحن بعد لانصاف سعد لان زمن تمجيده لم يأت بعد . . .

على أن سعداً قد نجح فى مهماته التى حبت له وبعث بها ، والتى خلق لها وخلق بها ، والتى بذ فيها الاقران والانداد ، بل نجح نجاحاً ليس إلى تقديره من سبيل ، وكادت تلك البذور الحية الخصبة تظلنا جميعاً بدوحاتها المثمرة الفينانة . . .

ارجع البصر كرتين أوثلاثاً ، واذكر جهوده الجبارة فى افتتاح الكتاتيب ، واذكر خطاباته الثرة المتانة فى الحض على الزامية التعليم ، ثم اذكر وقفاته ، لدلوب ، فى البرامج التعليمية ، ثم اذكر مناصرته للغة العربية . ولا تنس أنه وليد الثورة العرابية ، وانه من مناصرى الاستاذ الامام ، ومن مؤيدى « قاسم امين » ومن باعثى الحياة فى الجمعية التشريعية والحياة الصحفية ، ومن مشجعى الأدباء . . .

ولا تنس أيضاً نصيب سعد فى القضاء ولا أثر سعد فى المحاماة ولا صلع سعد فى الجامعة المصرية ، ولا مؤازرة سعد فى تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية . . . ولا . . . ولا . . .

ولست أشك ذرة أنك واجد أصبعه فى شتى مرافق حياتنا المصرية إذا ما تغلغلت فى أمانة الباحث المستقصى لأرومة كل شيء

والحق ان حياتنا الجامعية مدينة لسعد ، والحق أن حياتنا التفكيرية المنطقية مدينة لسعد ، والحق أن لهجاتنا الخطابية الخاصة مدينة لسعد ، والحق ان حربتنا البرلمانية مدينة لسعد . . .

لقد آن لى أن أقرر لك شيئاً سمعته باذنى من صديق الحياة والمات ، المغفور له ثروت باشا الذى كان يقدر سعداً حق قدره ، والذى كان يكبره فى خصومته كل الاكبار . .

قال لى : « علم الله انى ما تقويت على « النبى » ، وانتزعت منه ما انتزعت ، إلا بتخويفه بمعارضة سعد . لقد كنت أقول له دائماً : إن سعداً أمامى ، وان البلد من ورائه . . . »

وهكذا كانت البلاد تستفيد من سعد سلبياً وإيجابياً . . . وهكذا كانت البلاد تستفيد من سعد فى الوزارة وخارج الوزارة . . . وهكذا تدر الشخصيات البارزة على أوطانها بأفاويق النفع والافادة . . .

على أنك سائلى : ماذا حقق سعد ، بعد أن علمت ماذا أفاد . . ؟ !

ولكنى ألفت نظرك الى أن الأسس الوطيدة ، والبذور الصالحة ، والجهود المثمرة ، والتعاليم المبثوثة ، والصيحات المذكورة ـ هذه كلها التى الى سعد مرجعها ، ومن سعد متفجرها ـ لا بد واصلة بنا حتما الى بغيتنا الجمع فى الاستقلال والحرية . . .

« أما بعد ، فاذا ما ذكرت « الرينسانس » فانك تذكر إيطاليا و « بوكاشيو » و « مديتشى » . وانك لتذكر قصصاً حين تذكر النهضة فى مصر فى مختلف نواحيها سعداً ، وسعداً فى الطليعة ـ فى اللغة ، فى الصحافة ، فى الخطابة ، فى القضاء ، فى البرلمان ، فى التشريع ، فى الاجتماع ، فى الكفاح ، فى السياسة . . وفى كل هذه المناحى نستطيع ـ من غير ريب ـ أن نكتب فصولا طوالا ، وان نجد لفسيح القول مجالا . .

ومهما حاول خصوم العظمة ، وخصوم المعدلة والبطولة ، الغض من الآثار العميقة التى وصلت اليها البلاد بفضل سعد وشخصيته وتعاليمه ـ مهما قالوا لماذا رفض مشروع ملنر أو مشروع الدمتيون ، فانهم لا يستطيعون أن يقولوا إن يقظة مصر وفورتها وقضية مصر ونهضتها ، لم تخدم من سعد ، ولم تظهر بفضل سعد ، ولم تضطرم جذوتها من روح سعد . . .

وإذا ما قيل إن الاستقلال يتطلب طيلة زمان ، وطيلة كفاح ، وطيلة جهود ، فان لنا من روح سعد ، ومن الأمة المؤمنة بتعاليم سعد الايمان الوطيد ، نبراساً يهدينا لتحقيق مطامعنا السياسية . وعندنا رجاء خير رجاء فى مصح شتى النواحى المدينة لسعد من حياتنا الثقافية والاجتماعية والبرلمانية والحزبية . تلك كلمة ألممنا لك بها إلمامة تحتملها مجلة سيارة فى ظروف كلها ملالة وسآمة . . .

شبابنا الجديد : آماله وأحلامه

بقلم الدكتور علي العناني

الابناء بالنسبة الى آبائهم هم فلذات أكبادهم ومنبع عواطفهم ومحل محبتهم ومعقد آمالهم . ومن أجل الابناء يكد الآباء ولإسعادهم يعملون وفي تهذيبهم يجتهدون وحول نفعهم في العموم يفكرون ثم يفكرون . وهم بالنسبة الى الوطن ذخيرته الحاضرة وروضته الناضرة وعدته في مستقبله القريب

والآباء بحكم الأبوة وعامل الوطنية وشعور القومية هم معلمو الابناء وأساتذتهم وبمقدار ذكاء المعلم وغزارة مادته وتنوع ثقافته تكون قيمة التعليم ويكون مدى نجاحه . والنتيجة اللازمة لذلك أننا إذا أردنا أن نعرف نجوى شبابنا المصرى الآن ، ونوع ما يجيش في نفسه من أمل وجب علينا أن نلقي نظرة عامة على ماضي الآباء والأبناء في مصر من صلة عقلية هي صلة التربية والتهذيب أو من مجامع حياة المدينة وصورة مدنيتنا الحاضرة في العموم

كل جيل من الأجيال يكون طبقات على الأقل — من الأجداد والآباء والابناء والاحفاد والاجداد أساتذة الآباء والآباء بدورهم أساتذة الابناء كما يقدم والابناء بدورهم أيضاً أساتذة الاحفاد . والحياة العقلية لأية أمة من الامم في عصر من عصورها هي التي تشترك فيها هذه الطبقات الاربع . وطبقة الابناء تكتسب بالكسب معظم تهذيبها لما يصل اليهم من طبقة الآباء ، وهم يكيفون بها طبقة الأحفاد . وهكذا مع ما يتابع ذلك من طبيعة الرقي المرتكز على مجهود الأمة نفسها ، أو المرتبط بتقليدها للامم الحية الراقية ، وبالاقتباس من مجهوداتها العقلية والعملية في القديم المجهول والجديد الغريب ، أو مع ما يتابع ذلك أيضاً في بعض الظروف من عوامل التدهور والاضمحلال

وإذا كان الأب معلم أبنائه والابن تلميذ آبائه فالمدرسة الحقيقية التي تكون الناشئين وتكيف عقلياتهم بحكم الطبيعة ليست هي المدرسة النظامية فقط التي تلقى في حجرها الدروس وتلقن العلوم طبق خطط موضوعة ومناهج مكتوبة وقوانين للتعلم والتعليم مشترعة ، بل هي أيضاً تلك المدرسة العامة التي لا ينصرف عنها الطالب آناء الليل وأطراف النهار مطلقاً . وتلك المدرسة في القرية هي الدار والحقل وندوة السامر وسوق المتجر . وهي في المدينة البيت والشارع والمقهى والمسرح والملهى والملعب والمسجد والمعبد والمصنع والمتجر والمربع والمتنزه . وهي في المدينة أيضاً دور الاحزاب ونوادي الجمعيات والاتحادات والصحيفة والمجلة والرواية

والكتاب والدرس والمحاضرة . هى كل ذلك وما اليه من جميع نواحى البيئة وانواع الاجتماع

فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة يخرج الآباء الابناء ويهذب الابناء الاحفاد . والشاب يستقر فى عقليته ورغباته ويستريح لحياته الحاضرة ومستقبله إذا كانت الأمور كلها فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة مستقرة والحياة فيها منظمة ومدعمة وطريق المستقبل بها ممهداً لا التواء فيه ولا تعريج ، والعكس بالعكس

والامة التى تنتبه فى حياتها وتدرك وجودها وتجل نفسها وتسمو فى رغباتها وترنو إلى التقدم فى صفوف الامم الحية الراقية تعرف ان سبيلها الاول الى ذلك ـ ولا شك ـ الرقى العلمى والتهذيب الاجتماعى فتقلد غيرها فى ذلك ، وتنتج هى أيضاً بعقلها وتفكيرها الخاص بها ، وتعين روح ثقافتها فى حدود قوميتها ، وتحدد مثلها الاعلى الذى به تمتاز . وهى فى كل ذلك ربما توفقت ووصلت الى الغاية فى المكانة القصوى باسرع ما يكون أو بعد طويل من الزمن ، وربما تخبطت وسارت على غير هداية فلا تقطع شوطاً ولا تتقدم شبراً ، وكثيراً ما تؤوب الى الوراء بصفقة المغبون

وفى الحالة الأولى يكون الشاب رزيناً فى ورعه وحكمة فيهتدى ، وماضياً فى هدوء واستقرار فينجح ، وعاملا فى ابتهاج وحبور فيفلح . وفى الثانية يكون فى اضطراب وقلق فيضل ، ويسرع فى حيرة واندفاع فيعثر ، ويتحمس فى طيش ونزق فيخطىء ، ويشط فى وجل وكدر فيخيب ويخسر . واذن فتوفيق الشاب وسروره واستقراره ، او انحرافه وكدره وحيرته ـ لا شك كل ذلك راجع الى حالة بيئته الجامعة ونوع مدرسته العامة وعقلية الآباء اساتذتها وما تنتجه هذه العقلية من أثر يكيف نوع الحياة ويصور حالة الاجتماع

فى هذه المدرسة العامة ـ أو البيئة الواسعة الجامعة والمرآة الشفافة الواضحة ـ نلمح الشاب المصرى من جهة مضطرباً فى حيرة لانها مضطربة متناقضة ، وهيمان صادياً لانها جافة وجامدة . ونراه من جهة أخرى مملوءاً بالحماسة والنشاط لانها راغبة ومرغبة فى الحرية وشاعرة بالعظمة القومية وطامرة الى الرقى والنهوض . ودين الشاب فى مصر الحرية وشعاره العظمة القومية ومطمحه التقدم والرقى . ولقد ورث هذا بالطبع عن الآباء وغالى فيه بتأثير روح الوقت والنهوض العام . لذلك هو متشبع بالحماسة وشاعر بالعظمة وملوء بالنشاط

ما تزال التربية العلمية فى مصر ـ برغم كل علاج فيها حتى الآن لاصلاحها ـ متشعبة متضاربة لا تفرق بين المروى الموروث والاسطورى القديم والعلم التجريبى الحديث . بل ما يزال التعليمان الدينى والاهلى فيها لا يلتقيان عند حقيقة واحدة وعقلية متحدة عامة . وإنما عقليتنا ـ وهى نتيجة هذه الجهات المختلفة كلها ـ ما زالت مختلفة الألوان والنزعات والمناحى والرغبات .

وكل هذا ـ ولا شك ـ من عوامل الاضطراب والقلق المحض . وماذا ننتظر من الشاب المثقف بمثل هذه الثقافة إلا الحيرة الواسعة وعدم الاستقرار

* * *

تصدر فى مصر فريق غير ناضج فى الثقافة العامة مدعياً معرفة كل شىء وناصباً نفسه إلى الارشاد فى كل شىء أو بعبارة عامة الى القيادة الفكرية ولا يتورع هذا الفريق ـ مع الاسف الشديد ـ عن التعرض لما لا يعرف ويقرر حكمه به

والامثلة على ذلك كثيرة جداً نذكر من بينها تلك الدعوة العجيبة الى اشتغال الشباب المصرى بأدب قومى مصرى وما يتبع ذلك من اهمال جانب الادب العربى العام . وبربك خبرنى : أين هذا الادب القومى المصرى ؟ أهو أدب الفراعنة أم أدب العرب المصريين ؟ وفى أية لغة على كل حال قد دون هذا الادب ؟ أفى اللغة الهيروغليفية ؟ أم فى لغة مصرية أخرى موهومة ؟ أم فى لغة العرب ؟

وإذا كان هذا الادب القومى المصرى مدوناً فى لغة العرب فأدب هذه اللغة هو أدب اللغة العربية العام منذ نهضتها الاولى حتى الآن وغاية ما فى الامر أن مصر لها ذوق خاص فيه كما لسورية وفلسطين والعراق وتونس ونجد والحجاز وبلاد افريقية الشمالية وأقطار الاندلس من الاذواق الادبية الخاصة وكل واحد منها متوقف عليه في فهمه واستساغته على فهم الاذواق العربية الادبية الاخرى فى جميع أقطارها المترامية

وبالجملة فهذه الفكرة الرائعة والدعوة الموحاة اليها ـ مع ما فيها من قول خلاب ونزعة وطنية ظاهرية براقة ـ ليس فيها سوى إغراء الشباب ضد الحضارة العربية والتضليل به فى هذا السبيل . وماذا تكون عقليته وعواطفه مع هذا الاغراء والاضلال فيما يختص بالدين وأمه ومجد السامين ؟

* * *

بعض الصحف اليومية وبعض المجلات تنهش الاعراض نهشاً قاسياً ، وتقذف فى الزعماء والقادة قذفاً فاحشاً . وهذا القذف وذاك النهش ـ وهما واقعان على آباء الناشئين ومعلميهم ـ كارثة فادحة وجريمة قومية مضاعفة تضر بأخلاقنا وقوميتنا وشرفنا ووحدتنا (المرجوة طبعاً) وهى كما تسىء الينا وتضربنا فى كل هذه النواحى تسىء أيضاً الى أبنائنا الشبان فى كل ذلك

وبأى شىء يدين الشباب والحالة هذه ؟ أبالسباب أم بالدفاع ؟ أم بهما معاً ؟ أم بأحدهما تارة وبالآخر أخرى ؟ أم يميل الى ضد السباب والمتسابين ؟ انه فى النهاية من جراء ذلك لفى اضطراب وأسف وفى نفرة واختلاف وفى شقاق ونضال . وبئس النضال نضال الدفاع عن الرذيلة !

مبدؤنا واحد فى السياسة والاجتماع سواء فى ذلك الافراد والجماعات والاحزاب . ولكن عملنا مختلف أشد الاختلاف فيهما ومتنافر كل التنافر فى هذا الباب : ننادى بالمصلحة القومية

العامة وتعمل للصالح الفردى الخاص . ويرى الشبان ذلك وأى شيء يعتقدون ؟ أيصدقون القول ؟ أم يقتنعون بالعمل ؟ . إنهم فى الواقع لفى حيرة وفى قلق . وانهم لفى اضطراب وضيق فزع . وانهم فى النهاية لفى تنافر ومخاصمة وعداء

فى كل عام يتخرج الآلاف من الطلبة . وفى كل عام يتقدم الآلاف للتعلم من الاطفال . وفى كل عام ينتقل الآلاف تلامذة وطلبة من سنى الدراسة المختلفة الى التى تليها . وفى كل عام فى النهاية تزيد النسبة فى كل ذلك عنها فى العام السابق . ومع ذلك فمستقبل الجميع ليس باسما وغموضه يشتد ويبعد مداه وماذا يكون فكر الشباب والحالة هذه سوى الحيرة والابتئاس والحنق على الزمان والمكان !!

• • •

فكروا ياقادة الامة وولاة أمورها . ويا أجداد الآباء وآباء الابناء فى شباب مصر ، فى آباء الاحفاد ومعلميهم . فكروا فيهم وتبينوا اغراضهم واعرفوا انواع آمالهم — لهم وللبلاد — وتساندوا جميعاً فى رعاية مدرسة الشباب العامة وبيئته الجامعة . وكونوا معه أساتذة مثقفين مدربين ناصحين حقاً لتربية الاحفاد والعمل لخير الوطن

إنكم إذا فعلتم ذلك بحيطة وعناية وتدبر صالح حكيم تكونون قد أديتم الامانة وقمتم بالواجب عليكم نحو انفسكم ونحو أبنائكم وأحفادكم ونحو بلادكم موطن أجدادكم السالفين وعز خلفكم الباقى تحت سماء مصر وعلى ضفاف النيل السعيد

واعلموا جميعاً أن آمال الشباب — وهى رغبة الوطن — هى التهذيب النافع العام والثقافة الحقة وحرية الوطن — وإيثار المصرى فى مصر وفتح أبواب العمل فى وجهه وارشاده اليها

ومن أكبر آماله . الاتحاد وتقدير العامل واحترام الافراد واجلال الشخصيات البارزة العاملة والتمسك بالفضيلة وتقديس الدين

وجماع كل آمال الشباب المصرى يرجع فى النهاية الى شىء واحد هو ايثار الوطن ومصلحته العامة على الفرد ومصلحته الخاصة . ففى سعادة الوطن تتحقق السعادة الكاملة للافراد من الاجداد والآباء والابناء والاحفاد جيلا بعد جيل . والوطنى الصادق هو الذى يعمل لتحقيق هذه الآمال

علي العناني

أيهما نقدم :

الرابطة الشرقية أم الاسلامية أم العربية ؟

بقلم الاستاذ محمود عزمي

أيهما نقدم . . . . . ؟

يتردد هذا السؤال بين المفكرين وفي الأوساط الاجتماعية بمصر وشقيقاتها من البلاد العربية ، بل انه ليتصل بالمستشرقين في اوربا وامريكا ، وبالخاصة ومن اليهم من اهل الهند والصين والبلقان . وستجد في هذا المقال موازنة بين الروابط الثلاث وآراء طريفة في أي الروابط أولى بالتقديم

يجتاز العالم الآن مرحلة من مراحل التفكير والتكوين تقع وسطاً بين الفردية الضيقة والجماعية الواسعة . فهو يدرك من ناحية [illegible] و [illegible] « الحدود » [illegible] الامم لم تعد تتفق وما يمتاز به العصر من سهولة الاتصال وسرعته ، وتضامن الجهود [illegible] آثارها . وهو يحس من ناحية اخرى ان الخلق البشري [illegible] من التحلل من قيود [illegible] يستطيع معه الانسان ان يؤاخي الناس جميعاً ، وان [illegible] ، وان يوفق [illegible] ومصلحة أمته بمصالح الناس والامم جميعاً . ومن اجل ذلك الموقف الوسط بين الناحيتين ومن اجل تلك الحيرة بين الطريقين أخذ الناس — اهم ودونهم — يلتمسون مخرجاً في اصطلاح على تسميته بالعرف « خلال الاحلاف » وما اليها من أنواع الروابط التي تؤلف بين المتعاونين جنساً أو حضارة أو منفعة . واخذوا يطلعون بما طلعوا به في النصف الثاني من القرن الماضي وبما لا يزالون يطالعونه في هذا الثلث الاول من القرن الحالي من « لاتينية » و « انجلوسكسونية » و « سلافية » و « جرمانية » و « آرية » و « سامية » و « طورانية » و « ملقانية » و « تحالف صغير » و « اوربية » و « بريتانية » و « دانوبية » ، ثم أخذوا يتساءلون عن أثر تلك الانحاء فيما اصطلح على تسميته بالشرق

واذا كان هذا التلمس للمخرج يصدر بالفعل عن اهل اوربا وامريكا ، وهما القارتان القابضتان الآن على نواصي الحضارة المادية والسياسة الدولية ، فانه من الطبيعي المحتوم ان يكون له صدى عند أهل افريقيا وآسيا وهما القارتان العامرتان بآثار الحضارات السابقة ومظاهر النهوض والتوثب الى ما هو جدير بهما في الحلبة البشرية من مكان ومكانة . بل ان ذلك التلمس قد كان بالفعل ديدن اهل القارتين منذ فجر القرن التاسع عشر إذ طلعت « العربية » في عهد محمد علي وابراهيم ، وبدت « الافريقية » في عهد اسمعيل ، ولاحت « الاسلامية » أيام الكواكبي

والاماني وعد الحميد ، وبعث « الشرقية » ابان الحرب الكبرى ، وانبرقت « الاسيوية » ينادي بها اليابانيون هذه السنوات ، وعاودت « العربية » في حزم وعزم هذه الايام

على ان « الاسيوية » اليابانية التي تستند الى ما كانت تستند اليه « العربية » المحمدية الابراهيمية و « الافريقية » الاسماعيلية من روح الفتح ووسائل القهر ، لا يمكن اعتبارها تياراً من التيارات العامة التي يصح اعتبارها حادثاً اجتماعياً له من النتائج الخطيرة ما يجعله جديراً بالبحث والتحقيق اللذين يقتضيان الشرقية والاسلامية والعربية الحديثة ، وهي عندنا مذاهب اجتماعيـة حقيقة ، لها مظاهرها العمرانية الواقعة بما نراه في بلادنا من مراكز وفروع لمختلف جماعات « الرابطة الشرقية » و « الشبان المسلمين » و « الثقافة العربية » وما اليها من اندية وانظمة

الرابطة الشرقية

واقصد ادنى تلك الثلاثة في السؤال الذي يتقدم به « الهلال » الاغر والذي احاول الاجابة عنه اجابة اريد أن تستند الى الواقع أيضاً ، سواء أكان واقعاً فكرياً أم واقعاً مادياً

والواقع الفكري والمادي معاً ان نرى لا يستطيع ان يحدد « الشرقية » تحديداً علمياً ولا ان يعرفها بالتالي تعريفاً اجتماعياً يصح الاطمئنان اليه . فتقسيم الكرة الارضية الى شرق وغرب وتقسيم أهل هذه الكرة الى شرقيين وغربيين انما هو تقسيم استعماري لا يستند الى قاعدة جغرافية ولا يرجع إلى نظرية عمرانية . فليس هناك خط جغرافي يعتبر هو الفاصل بين الشرق والغرب بل انه ليس هناك في الحقيقة اتفاق على ماهية البلاد الشرقية ومجموعة البلاد الغربية في ذات كل من الفريقين ، ذلك أن من الجغرافيين من يريد أن يعتبر القارة الاوربية كلها غربية ، ومنهم من يريد اعتبار الغربية في اوربا واقفة عند حدود روسيا والبلقان ، ومنهم من يذهب الى حد اعتبار بولونيا غير داخلة في البيئة الغربية ايضاً . ثم إن منهم من يقسم الغرب الى غرب قديم يقف به عند قارة أوربا نفسها — ضاقت ام اتسعت — وإلى غرب بعيد ينصب على الامريكتين ، لكنهم في الوقت عينه يخرجون من « الغربية » البعيدة اهل الاقاليم «السوداء» في القارة الجديدة . وكذلك الحال فيما يختص بالشرق الذي يقسمونه الى « أدنى » يضم دول البلقان وتركيا والى « أوسط » يتسع لمصر وما جاورها شرقاً وغرباً الى الخليج الفارسي ، ثم الى اقصى لا يدخلون فيه الهند وفارس والافغان وما اليها ، كما لا يدخلون بلاد القارة الافريقية جنوبي مصر وما جاورها الى مراكش في واحد من الشرقين الأوسط والأدنى

وان هذا المرض الجغرافي لنظرية الشرقية ليدل دلالة واضحة على درجة التخبط فيها وعلى مبلغ الاصطناعية التي تراد لها ، وان كان الشرقيين الذين يرتضون لانفسهم هذه التسمية نوع من التحديد المتعارف عليه فيما بينهم . ويلوح لي ان الاستناد الى اعتبارات الاجناس البشرية المصطلح عليها

هو وحده الذى يساعد على تكييف ذلك التحديد ، فإن « الشرقيين » يضمون الأجناس الثلاثة التى يرضى علماء البشرية بوجود اثنين منها احيانا ويترددون فى تقرير قيام الثالث تقديراً : الجنس الأصفر والجنس الأسود والجنس الأسمر . كما أن الغربيين يعتبرون أنفسهم قاصرين على الجنس الأبيض ، وإن الفريقين مصطلحان على جعل الجنس الأحمر مستقلا عنهما مكوناً له وحده خاصة

وإن هذا التقسيم الذى وصلت اليه ليصبح بخطئه من الوجهة الاجتماعية اذ أن الروابط التى تربط — أو التى يجب أن تربط — بين أجزاء الشرق جميعاً تكاد تكون معدومة فى بعض نواحيها، ذلك أن العلاقات التاريخية والاجتماعية لم تكن يوما من الايام بين الجنس الأصفر والجنسين الأسمر والأسود بحيث يحكم بينهما الاتصال وتتفاعل الحوادث فتكون الوحدة أو تتكيف . فلست أدرى ماذا يصح أن يكون حدثاً اجتماعياً بالمعنى العلمى للحوادث الاجتماعية يصح أن يكون صاهراً ومازجاً بين العنصر اليابانية والصينية من ناحية وعناصر آسيا الغربية وأفريقيا الشمالية من ناحية أخرى ، وليس بين الفئتين تقارب لغوى ولا تفاهم دينى ولا تشابه عمرانى ، بل إن بين الاسلام المنتشر فى الفئة الأخيرة والمسيحية التى تعم أوربا وبلاد الغرب من [illegible] يلتقيان معاً على البحر الأبيض المتوسط الذى كان ميداناً لتفاعل الحوادث الاجتماعية الصحيحة منذ أقدم الأزمان — بين دين هؤلاء وأولئك من التقارب ، وبين ثقافة هؤلاء وأولئك من [illegible] ما يصح أن يكون دافعا الى التوحيد بينهما والمزج مع تمييزهما بالشرقية والغربية أكثر مما يريد الاصطلاح أن يميز به بين أهل الشرق الأقصى وأهل الشرق الأوسط والغرب الأقصى

واذا تقرر هذا الذى نقدم به من حيث الاعتبارات التى تقوم عليها « الشرقية » عند الداعين اليها ، فليس بمستغرب أن يكون مصير الجماعات التى قامت لنصرة تلك الفكرة والعمل لتحقيقها هو المصير الذى نعرفه تفرقا وتشتتاً . فقد أنشئت فى مصر بالفعل « رابطة شرقية » أراد نظامها أول تأسيسها أن يشمل كل تلك الاعتبارات « الشرقية » الواسعة الفسيحة ولكن صدور أعضائها لم تتسع لكل تلك الفسحة فضيقوا منهاج العمل فيها ، فأحفوا بفسوتها شيئاً ثم أخذوا يحصرون النشاط فى الشعبة أو الشعبتين المتصلتين بالبلاد العربية والأمم الاسلامية وحدهما . والحال « الرابطة الشرقية » ومجلتها — ان كانت لا تزال تصدر إلى اليوم — لم تعن يوما ببحث شؤون اليابان والصين والهند والهند الصينية ، وشؤون السودان وما اليه من أقاليم فى القارة السوداء ، اللهم إلا اذا كان ذلك البحث متصلا باعتبار عربى أو اسلامى

واذن فالشرقية فى نظرى ابهام لا يمكن الاستناد فى تحديده الى قاعدة علمية ، وخيال لا شك على واقع ، ومحاولة لن يكون نصيبها غير الفشل بما يقتضيه النظر إلى القضية من تشتيت للمجهود وقسر للعقول على ما لا قبل لها بهضمه واحتماله

الرابطة الاسلامية

أما « الاسلامية » فعلى النقيض من الشرقية أنها تستند إلى حدث اجتماعي ثابت وإلى فلسفة عمرانية مقررة وإلى منشآت قائمة تنطق بأن النظرية قد تغلغلت في النفوس تغلغلا وأنها ربطت بالفعل بين أمم وشعوب ربطاً وأنها وحدت بينها توحيداً . ولذلك فقد كان طبيعياً أن يظل « الاسلام » زمناً طويلا رمزاً لروح خاص وعقلية خاصة وحضارة خاصة أيضاً ، وأن تكون رابطته رابطة متينة قوية لا تقوى عليها الا رابطة تستند الى اعتبار أشد بمعمه تيار جارف

وأحسبني غير مبالغ إذا أنا قلت إن العوامل الدينية كانت في بلادنا الى سنوات معدودة هي أشد العوامل عملا في التكييف الاجتماعي والمصير العمراني ، ولا سيما إذا نحن ذهبنا ببصرنا الى ما وراء حدود بعض الامم منا ووقفنا نشاهد ما يحدث في الكيان القومي تشتت الفئة الدينية الواحدة الى طوائف ومذاهب متعددة

ولقد كان للرابطة الاسلامية في بعض العصور حتى ما تزال ذكراها قائمة في أذهاننا المحل الاول من اهتمام الناس ونشاطهم ، إذ ذهبوا في سبيلها الى حد صبغ النهضات القومية بصبغتها ، وإذ حاولوا استغلال ما تكتنفه من احساس ديني استغلالا سياسياً على الرغم من الخطر الذي كان يقيمه ذلك الاستغلال في طريق النهضة الوطنية ذاتها

حدث ذلك كله في الماضي ، ولكن الاعتبارات الحديثة التي يتكيف بها العقل الحديث وتنهض على قواعدها الاصلاح الحديث ، ونهوض الشعور القومي الحديث ، كل من شأنها أن ترجع بالاحساس الديني الى الصف الثاني تتكيف به علاقة الانسان بربه ، وأن تقدم عليه الاحساس القومي تتكيف به علاقة الانسان بوطنه . أضف الى هذا أن السنوات الاخيرة كانت في بلادنا جميعاً سنوات جهاد في سبيل التحرر والاستقلال ، وهو جهاد يستدعي تضامن جميع الجهود وتراصها ، فكان محتوماً أن يقضى على كل مظهر من مظاهر التفرقة بين عناصر البلد الواحد ، ولم تكن غير المذاهب الدينية مظهراً لتلك التفرقة بينها ، فكان حتما على السائرين بالنهضة فيها أن يعملوا معولهم في ذلك الحصن الضيق الذي كان التفكير العام يستند اليه الى سنوات

على أن شيئاً من رد الفعل قد جاء بطبعه ، وهو رد فعل رجال الدين ومن اليهم وقد هالهم أن يوضع الاعتبار الديني في النهضات القومية في غير الصف الاول فوهموا أن الدين قد يتأثر بذلك الصف فهبوا يبدون نشاطاً ويؤسسون جماعات وينادون كذلك برابطة أو روابط

وعندي أن هؤلاء القوم ومن اليهم لو عرفوا كيف يميزون بين العقيدة الدينية والفلسفة الدينية أي بين الاسلام و « الاسلامية » ، لاطمأنوا وهدأوا كثيراً من روعهم ولم يدفعوا بأنفسهم في تيار قد

يسوء الكثيرون تصير انتفاعهم فيه ، فيصيبهم ويصيب تعاليمهم من جرائه شيء من السوء أو غير الخير

ذلك بأن الاسلام عقيدة أنما هو من غير اختصاص العاملين للنهضات القومية بمختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية أيضاً . أما « الاسلامية » وهي ناحية النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الاسلام ، فانما هي مبدأ يخضع له جميع العاملين في الميدين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بلادنا مهما كانت عقيدتهم عقيدة المسلمين أو المسيحيين أو اليهود أو الملحدين . ذلك بأن بلادنا قد عرفت « الاسلامية » بالمعنى الذي نفهمه . وذلك بأن أي مصلح أو راغب في سبيل الاصلاح يجب عليه أن يعتبر الامر الواقع وأن يعتبر التطور التاريخي وأن يستند في حركة اصلاحه ــ كي تمضي في غير قلق ــ الى اعتبار هذا التطور التاريخي

لكن الداعين الى « الاسلامية ورابطتها » لا يفهمونها على النحو الذي نفهمه ، بل انهم ليفهمونها على النحو الشامل الجامع بين العقيدة والنظام الاجتماعي . فهم ينظرون اليها رابطة « بين المسلمين » لا رابطة بين « الاسلاميين » الذين يضمون في نظرنا المسلمين والمسيحيين واليهود والملحدين في البلاد التي انتشرت فيها تعاليم الاسلام وأصول حكمه وقواعد نظمه الاقتصادية والاجتماعية . وعلى هذه القاعدة المتشرة لا يمكن أن تقوم [illegible] في عدد الا . ولا في يجيء بعدها من عصور . فان اختلاف الأديان في المجموع الواحد يجعل دعوة [illegible] عملا اصلاحيا قوميا ــ وقوف قومي كعمل الرابطة التي يجب أن تربط بين أكثر من شعب وأكثر من دولة ــ الى اعتبار ديني خاص ، وان الدعوة الى رابطة الاسلامية على النحو الذي نفهمه أصحابها لمن نتائجها المحتومة أن تبيد الى صفوف شتى من الانقسام الذي كل [illegible] فيها مضى والذي تتفشا جيما الصدمات حين حامت الحوادث تتداعى في سبيل القضاء عليه قضاء مبرما . وضرر هذا الانقسام محقق اذ يبث سموم البغضاء والشحناء في الصفوف فينال منها الضعف ولا تصبح قادرة على المضي في أي عمل عام ولا في تحقيق رابطتها الاسلامية ذاتها

على ان فهم « الاسلامية » بالمعنى الذي افهمه انا لا يساوي هو الآخر على اتخاذ « الاسلامية » رابطة يصح الاستناد اليها في سبيل اصلاح اجتماعي أو نهوض قومي . ذلك بان البلاد « الاسلامية » بهذا المعنى الفلسفي الاجتماعي لا يربطها جميعاً من الاواصر المحكمة ما يصح الاستناد اليه في اقامة وحدة أو منطقة نفوذ متماسكة . وها هي تركيا « الاسلامية » بمعناها الجديد تتباعد بتياراتها جميعاً عن غيرها من البلاد التي كانت ترتبط وإياها برباط الاسلام ، وهي لن تلبث طويلا حتى تتكيف حياتها الاجتماعية بنوع جديد من التكيف ، الذي اذا لم يصح في ان يكون هو التكيف الاوربي الصرف فلن يكون على أي حال هو التكيف الاسيوي أو الافريقي أو الشرقي أو الاسلامي بحال . ومثل هذا القول قد ينطبق ــ ان لم يكن الآن ففي القريب العاجل ــ على فارس أيضاً

الرابطة العربية

واذن فقد بقيت « الرابطة العربية » وهى — فى نظرى — امتن الروابط التى يصح ان تقوم عليها مساعينا فى سبيل التكيف الجديد المتمشى مع حوادث العصر الحديث . بل انها هى الرابطة الوحيدة التى يجب ان يستند اليها تطورنا المحتوم

ومعنى الرابطة العربية انها تلك التى تستند الى حوادث التاريخ التى وحدت بين نوع التفكير ونوع الحياة وأساليب الحكم وقواعد الاقتصاد فى تلك الكتلة المتصلة من المحيط الاطلنطى الى الخليج الفارسى . فالثقافة الغالبة فى تلك الكتلة جميعاً انما هى ثقافة الامة العربية التى يعتبرها الاهلون جميعاً امة أصيلة لهم جميعاً . والحضارة الغالبة فى تلك الكتلة منها انما هى الحضارة « الاسلامية » يأخذ بها فى الحياة اليومية وفى السلوك الاجتماعى اهل تلك الكتلة كلهم مهما اختلفوا ديناً أو عقيدة . والمطمح الأعلى الذى يشخصون اليه جميعاً انما هو مطمح الاستقلال والتحرر . والثقافة والحضارة والمطمح الأعلى انما هى العناصر الفعالة فى توحيد الاتجاه وتوجيه العمل فى هذا الاتجاه . واذا كان معلوماً كما قررنا فى بدء هذا المقال ان تجمع من قوام الارض فى هذا العصر « احلاف » تجمع بين الشعوب المتفقة فى مصيرها واهدافها ومصالحها او التى لا ترى احد مصيرها وسبيل تحقيقها ، فان الرابطة العربية هى التى يجب أن تدفع بها الدول العربية للسير فى طريق ذلك « الحلف » الذى يجب ان يكون من الاحلاف التى يراد تكوينها حوالينا . واذا كانت هذه الاحلاف التى تتكون فى الغرب ليس فيها مثل ما فى الحلف العربى من عناصر التوحيد الثقافى والتاريخى فان توافر هذه العناصر جميعاً عندنا مما يجب أن يشجع القائمين بالامر فينا على المضى فى سبيل الرابطة العربية المحققة الموفقة . وهى انما تقوم على واقع جغرافى وعلى واقع اجتماعى يؤيدها واقع روحى عظيم ايضاً . وهى امور لم تتوافر للرابطة الشرقية ولا للرابطة الاسلامية على نحو ماقدمنا من تدليل

هى الرابطة العربية التى ادين بها اذن . وهى التى اوثرها على سواها من الروابط الشائع امرها فى بلادنا . وهى التى يجب ان تقدم على غيرها من تلك التى سيأتى عهد « الحلف » الأعز

محمود عزمي

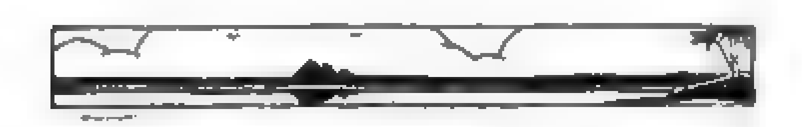

الاصلاح الاجتماعي كما اريده

بقلم الاستاذ فكري أباظه

• تربية الرجولة ...

• حاجتنا الى زعامة تقود الجماهير

• لتسقط السياسة ...

• وجوب تأليف حزب اجتماعي

• قميص اجتماعي وطني

• تشجيع فرق الكشافة

• تحطيم الامتيازات الاجنبية

• تشريع محسوس ... من قوانين جديدة

• احلال الشباب محل الشيوخ

تمهيد

سيتضح لك بعد أن تقرأ كلمتي هذه أن النسبة مفقودة بين عنوان الموضوع الضخم وبين الموضوع نفسه تماماً ، كالنسبة بين دفيئاء العاصمة الضخمة والتماسيك الضئيلة ... وهكذا نحن الكتاب في مصر ، لا نملك أن نبعض وأن نطلق العنان لاقلامنا ولافكارنا لاننا ان فعلنا لم نجد الحبر والورق [illegible] الا على حساب ، وحساب كما تعلمون متواضع ضعيف ، وإن وجدنا الحبر والورق لم نجد الا القارىء الذي خلقت منه [illegible] والشائعات المسمومة قارئاً عصبياً ملولا يضيق بالاخبار ويمقت الاطالة والتطويل ...

فرصة [illegible] لتكبيح جماح القلم والفكر ، ولنحاول أن نخلق للقراء فناً جديداً اسمه « فن الاختزال الانيق » والمسئولية عليكم لا علينا ...

هذا موضوع خطير يستغرق مساحة « الهلال » كلها . ولكن « الهلال » أكبر مني وارفع فلأتمس ، ولأتمس ، ولأسخط ، ولأسخط ، حتى أظفر بصفحتين فقط أو ثلاث صفحات ! ...

عنصر الرجولة

هذا الوطن المصري في حاجة إلى عنصر الرجولة . . . الرجولة متوافرة والحمد لله ، ولكني اريدها من نوع رجولة موسوليني ، وهتلر ، ومصطفى كمال . . . رجولة من النوع

الذي لا يتملق الجماهير ولا يداهن الشعب ولا يجرى وراء الرأى العام ، وإنما من النوع الذى يجرى وراءه الجماهير ويخضعهم لإرادته ويبهرهم بجرمه وشجاعته فى رأيه وعقيدته ولو تراءت للناظرين والسامعين فى بادىء الأمر غريبة ، سخيفة ، رقيقة ، مثيرة للدهشة والعجب ! . .

الزعامة فى مصر تتبع الناس ولا يتبعها الناس . والاصلاح الاجتماعى ميدانه غير ميدان السياسة . السياسة تعيش على الخداع والتمرير واستحداث الثقة . ولكن الاصلاح الاجتماعى يصادم القلوب والآراء والتقاليد والعادات . فمهمة الزعامة الاجتماعية أشق من مهمة الزعامة السياسية لأنها فى ميدان الاجتماع « عمل » وفى ميدان السياسة هذيان وشقشقة لسان . . .

فدلونى أولا على الرجل الذى يبكر بمائه ويتحمل بشجاعة والاقدام أرسم لكم وله برنامجى الاصلاحى الاجتماعى وأدله على السبيل . . .

لتسقط السياسة !

افرضوا — جدلا — أنى أنا ذلك الرجل ! . . . من باب الخيال والأمانى . . .

أول ما أفعله أن أقصى نفسه مرغماً عن « السياسة » مدة عامين متواليين على الأقل . لقد أنهكتنا السياسة ومزقت القوى المفكرة بعضها عن البعض الآخر . وحسب بين الشخصيات المطبعة الثارات والحزازات فصنع شخصيات عديمة الجدوى ، غير صحيحة ، عقيمة .

سقطت هذه الشخصيات لكونها عقيمة . وسقط معها الوطن ! . . .

هذه الأمة عانت كثيراً فتعبت . أصبحت فى حاجة ماسة للراحة والاستشفاء ، والجو السياسى يضنيها ولا يشفيها ! . . .

والسياسة الانكليزية تلمح هذا الوضع وتلحظه . فهى تطاول وتسوف وتعد فى حل المشكلة السياسية لتضمحل القوة المعنوية وتحتضر ؟!

لهذا أحس احساسا قويا بأن العلاج الوحيد هو ترك « السياسة » لمدة طويلة كافية أقدرها بعامين . لأن الأمانى السياسية فى نظرى قد بلغت درجة اليأس فى الوقت الحاضر . فاذا ما انفضت الأحزاب واتفق الزعماء على نظرية « الاضراب السياسى » أتيحت للأمة الفرصة للتوجه كتلة واحدة لوجهة « الاصلاح الاجتماعى » . وفى هذا الميدان الفسيح الرحب الخصب لا تعيش الحزازات ولا الثارات ولا الأهواء ! . . .

ويعمل الكل منا وزن لمجد الوطن فى ماليه . وعائلته . وأخلاقه التى تدهورت فى الجيل الأخير !

ال Uniform :

قد يبدو غريباً سخيفاً ما سوف أقوله تحت هذا العنوان . ولكن العقيدة الراسخة فى نفسى

أصبحت كالجبل الصخم لا تترعرع ولا تتزحزح . وهي خطتي التي زرعتها ورويتها في رأسي المجنون العائش والتي سنبت منها في رسائلي وأحوالي وأقوالي . ومن يدري فقد يحتوي تاريخي المقبل مغامرات ومجازفات . وبالاختصار وبالصراحة أصبحت كمسرى لا أطيق الموقف الحاضر . إن زياراتي للمخارج عرست في نفسي عرس الثورة الخادعة . ولكنها بحمد الله ثورة بعيدة عن طائلة قانون العقوبات . لأنها ثورة لا تمس السياسة ولا السياسيين . هي ثورة اجتماعية إصلاحية في ظل القانون وفي ظل الشريعة وفي ظل الملك . . . بعد هذه المقدمة الطويلة نوعا افهم جيداً ما أقول :

لا بد من تأليف حزب اجتماعي في مصر النظر بأسره . بعيد عن السياسة وعن الأحزاب . يكون برنامجه الوحيد الاصلاح الاجتماعي وحده . ويجب أن يبقى هذا الحزب ـ ما دام يعمل في دائرته المرضي عنها من الجميع ـ بالحصول على مؤازرة « الحكومة » له ومؤازرة جميع الأحزاب السياسية . ولن يقيم الانكليز في طريقه العقبات ما دام عمله لا يمس السودان ولا قنال السويس ولا مصالحهم في البلد . لأن هذا الواجب ملقى على عاتق السياسيين والحزب الذي أدعو إليه لا علاقة له بالسياسة ! . . . .

لا بد لهذا الحزب الاجتماعي من لباس رسمي ـ من (Uniform) ـ يميز أنصاره وأعضاءه عن غيرهم من الناس . ويجمعهم في دائرة واحدة [illegible] الأمر [illegible] الحزب [illegible] بشجاعة وجلد وإقدام !

هذه « التقليعة » [illegible] أثرها الفعال في [illegible] وفي الشرق بنوع خاص . سائلوا أنفسكم ماذا صنع « القميص الحديدي » في [illegible] ، و « القميص [illegible] » في [illegible] و « القميص الأزرق » في ايرلندا ؟ !

ماذا لجأ هؤلاء الزعماء العقلاء الحكماء للباس الرسمي « (Uniform) » فألبسوه أنصارهم وأتباعهم ؟ !

لأنهم يعلمون أن الطبائع الانسانية من نفسها ، ومن سليقتها ، تميل للنظام والمظهر وللروح العسكرية أو شبه العسكرية . ولهذا راجت « مودة » اللباس الرسمي الحزبي قبل أن تروج المبادىء والعقائد ، وسهل على العضو في الحزب أن يميز زميله العضو في الحزب من غير تعارف . وأوجد اللباس الرسمي الملاقة والرابطة بمجرد « التقليد » حتى جاءت العقيدة فاحتلت مكانها في نفوس الآلاف والملايين ! ...

وبعث اللباس الرسمي في نفوس لابسيه روح النظام الحربي العسكري الدقيق فخضع الأنصار للزعماء خضوعاً من القلوب لا من الألسنة فنجحت الدعوة ونجحت خطط الاصلاح ووسائل الاصلاح ! . . .

« اللباس الرسمي » يخلق من الصبي والفتى رجلا مكتمل الرجولة ، لأنه حين يلبسه وحين

يقسم يمين الاخلاص يشعر انه قد اندمج فى نظام عسكرى مقدس وانه يحمل على جسمه شارة الشرف والاخلاص لحزبه ولمبادىء حزبه . . .

مبادىء الحزب

اذا استقر الامر وشجعت « الحكومة » هذه الفكرة الاصلاحية البحتة البعيدة عن السياسة ـ استطاع الحزب أن يجوب القطر كله داعياً لخططه ومبادئه واستطاع أن يجمع « رأس مال » كاف متواضع بطرق ووسائل غير مرهقة . هذا ماتقوت ناحيته المالية اقتحم ميدان التنفيذ

واليك برنامجا اجماليا تمثيليا لمبادئه القومية المصرية البحتة :

(أولا) تشجيع فرق « الكشافة » فى بلاد القطر وقراه وبث روح الرجولة فى الاولاد بتلقينهم مبادىء الكشافة الانسانية العالية ، وتربيتهم تربية خشنة عسكرية اساسها الكبرياء والاعتداد بالنفس وتكوين الشخصية ! . . .

لقد ادرك جلالة ملك مصر هذه الحاجة الماسة لرفع الروح المصرية من فوضاها الحاضرة الى مستوى التربية الاعدادية فعين « ولى عهده » حريراً على رأس هذه النهضة الفتية ولبس وجلاله المعظم لباس الكشافة وسار فى مقدمتهم . . . فلماذا تكون المديريات نائمة وما بال المديرين لا يقتدون فى الارياف بهذا المثال العالى ؟ !

أيخشى هؤلاء المديرون ناحية أخرى ؟ قولوا بصراحة ما الذى يمسككم والتاج فى المقدمة ؟ ؟ حسب هذه المجلة هذه الاشارة الخاطفة وسنعود لهذه الحركة المباركة بالبحث فى صفحات اخرى

(ثانياً) الامتيازات : هذا هو قيد الذل يجب أن نحطمه تحطيما ونهشمه تهشيما . . . هذا هو الغرض الاساسى من حزب الاجتماعى الاصلاحى . . . لم يعد مصرى واحد يطيق أن يعيش تحت تأثير نير الامتيازات ، أبداً أبداً أبداً ! ! ! عبارة يتفجر بها صدر الموظف والمحامى والتاجر والطفل والشيخ والمرأة والرجل ! . . . لن يقبض حزب بقميصه على المتاجر الاجنبية فيهشم واجهاتها الزجاجية ولن يحدث ضرراً باحد ! انما سينشر دعوته السلمية فى أنحاء القطر ، حتى تنطق الحجارة بأن بقاء هذا النظام مستحيل ! . . . مصر المتمدنة الراجحة لن تكون وحدها ـ فى هذه الدنيا العامرة ـ الذليلة التى تقدم خيرها للغريب فيلتهمه التهاماً ، فاذا حلّ الغرم انصب وحده على رءوس الابناء . . .

هنا تظهر بوضوح وطنية « الحكومة » القائمة . وليس من شأنها إلا مراعاة النظام واحترام القانون . وثقوا أنهما سيكونان مكفولين لا يمسهما أذى . . . أعدكم أيها المواطنون أني سأكرس

لنشاطى كله لمقاومة الامتيازات . وخذوها منى كلمة اسخروا منها ما شئتم لكم السخرية . وسيقول المستقبل كلمته ان شاء الله . . .

(ثالثاً) التشريع « الملحوس » : لا بد من أن يصاحب هذه الحركة تشريع من نوع « التشريع الملحوس » الشائع اليوم فى الامم الغربية الناهضة . والتشريع « الملحوس » هو ذلك النوع من التقنين الذى تدهش له الاذواق القضائية العتيقة ، والذى يفاجىء بمرارته الرأى العام لاول وهلة . تشريع فيه عنصر ثائر طائش من وجهة النظر الرزين ، ولكنه مفيد كل الفائدة فى الامم التى لا تصلح نفسها ولا يصلحها الدهر . . .

انظر إلى تشريعات اليوم فى « المانيا » الجديدة أليست كلها غريبة ومضحكة ؟ . ولكنها فى الوقت نفسه مثمرة ؟ ! انظر إلى « موسوليني » كيف فرض ضريبة العزوبة ، وكيف حرم على الناس التصييف فى الخارج ، وكيف منع السيدات من التبرج والتبهرج والخلاعة ؟ ! وانظر الى « تركيا » كيف عبثت بالمهر فى الزواج ، وكيف حددت لمال العرس وقيمة الجهاز ، وكيف حرمت على الاجانب احتراف صناعات معينة تشجيعاً لصناعة الوطنية حتى تترعرع بدون مزاحمة أجنبية ؟ !

على هذا الغرار أريد أن تصدر تشريعات من النوع « الملحوس » ، واليك نماذج لبعض القوانين التى أقترحها :

قانون بعدم هجر الاعيان للريف وتمصير المشتغلين ــ قانون بقمع سائر موادى القمار بأنواعه ــ قانون بتحريم شرب الخمور على الشبان والفتيات لسن معينة ــ قانون بفرض ضريبة قاسية على العزوبة ــ قانون بتقديم الموظف المتزوج على الاعزب فى الترقيات والعلاوات والتنقلات ــ قانون بتحريم الادوار والمواويل و الطقاطيق المزدحمة بالأنات والتحسرات والوصل والصد ــ قانون بمعاقبة الذين يطلقون نساءهم لاسباب غير جدية وغير وجيهة ــ قانون بمجازاة موظفى الارياف المقيمين فى القاهرة ــ قانون بتحريم السفر إلى الخارج لمجرد النزهة لا الدراسة ولا الصحة ــ قانون بمقاسمة الحكومة للوارثين فى ميراثهم الضخم ــ قانون لحماية الموظف من أوامر رئيسه الخارجة عن القانون ــ قانون بانشاء القرى على طراز صحى يحمى الفلاحين البؤساء وأولادهم ــ قانون بفرض ضريبة قاسية على الكماليات كالجوهرات والسيارات والموبيليات الفاخرة ... الخ الخ ! !

(رابعاً) استبعاد الاسماء العتيقة من سلك الوظائف وتوظيف الشبان فى الوظائف الكبيرة . اصبحت الاسماء الضخمة نكبة على الامة . والشيخوخة فى مصر تسير فى حكمها على نمط قديم موروث خال من الشجاعة ، والكرامة ، والنشاط ، والابتكار . . .

أرأيت الى « احمد عبد الوهاب » وكيف يعمل فى وزارة المالية ؟ الى « حسين سرى » وكيف

فعل في مصلحة المساحة ؟؟ وإلى « شاكر العظيم » وكيف فعل في مصلحة السكة الحديدية . . . هذا المثل الأخير الحي قريب إلى النفس وإلى القلب فانظر أي تطور وأية ثورة أدار بها المصلحة المقيدة في عهدها الأخير ؟!

لقد احتلت من « الأستاذ الحصري » وهو أحد مرءوسيه تفاصيل رائعة عن جلده وحماسته وغيرته وفتحه كل باب لكل رأي جديد وتفرغه للابتكار حتى استطاع في عدة شهور أن يفعل ما لم يفعله أسلافه في أجيال ؟!!

فكرة إحلال الشبان محل الشيوخ فكرة اختارها « موسوليني » لوطنه فنجحت التجربة كل النجاح ... هؤلاء وزراء إيطاليا كلهم في ربيع العمر وكلهم كفء بارع وكلهم نار متقدة وطيب مستمر . هؤلاء هم المحدثون بأن يحكموا « مصر الجديدة » إن أردتم لها النجاح ! . . .

(خامساً) الجيش هو الحارس الرسمي ، سيكون قوة منظمة لإرشاد الناس بقوة التأثير الأدبي . وسيكون سلاحه سلاح الرأي العام المنظم الذي يقول للمسيء أسأت ، وللمحسن أحسنت . والذي يتولى توجيه الجماهير إلى تشجيع [illegible] . [illegible] والذي يرغم الأجانب على الإذعان لعدالة صرحاتنا [illegible] فتضعضعت مرابية الحكومة فتح الإصلاح ذراعيه [illegible] ! . .

✿ ✿ ✿

هذا هو رسم وتصوير [illegible] الإصلاح الاجتماعي الذي [illegible] وعندي مجموعة وافية من الخطط العملية التي [illegible] سوف أقوله وأكتبه في المستقبل

والخلاصة أن خطتي المقترحة تقوم على هذه القاعدة :

لا تطلب إلى الحكومة أن تعمل ـ ولا إلى الأمة أن تعمل ـ وإنما ادفع الجماهير إلى العمل بنفسك ـ واقنع من الحكومة بالوقوف على الحياد

فكري اباظه
المحامي

الرياضة البدنية كتربية وثقافة

بقلم احمد بك حسنين

الأمين الأول لجلالة الملك

« ... نحن في حاجة الى استاذ رياضي عليم بشؤون النفس ، خبير بميولها ونوازعها ، واقف على حقيقة الجانب السري من حياة النشء . هذا الاستاذ هو الذي ننتظر أن يؤدي وظيفته الكبرى في مدرسة ، وهو الذي نرجو أن نراه يلقن الطالب رسالة الفضيلة والخلق الكريم ، ويعرف كيف يفيد عقول التلاميذ من رياضة البدن ... »

« العقل السليم فى الجسم السليم »

مثل يتذرع به الفتى الرياضى البارع فى الرياضة المولع بها المنصرف اليها إذا ما لامه ولى أمره على إهماله وتقصيره فى تحصيل دروسه

وهذا المثل عينه يتذرع به الطالب النابغ فى دروسه الذى وهب عقلا عبقريا وميلا غريزيا الى الدرس والتحصيل مع ضعف جسمه واعتلال صحته ، ليدلل انطباقه على الواقع ، وليثبت أن العقل السليم لايحتاج لجسم سليم

وتكاد تكون حجة هذا الأخير اعتقاداً شائعاً فى نفوس كثير منا ، حتى ليدهشنا فى اغلب الاحيان ان نرى رجلا فى صحة كاملة وجسم سليم قد اشتهر فى الوقت نفسه بذكاء نادر وتفوق باهر على زملائه فى المسائل العقلية

ولئن كان هذا هو الواقع فى بلادنا فى كثير من الاحوال ، إلا انه يدل على نقص فى طريقة ادماج الالعاب الرياضية فى حياة الطالب . ولن يمس هذا صحة المثل ، إذ اعتاد مدربو الرياضة فى المدارس أن يختاروا لفرق الالعاب الرياضية الطلبة ذوى الاجسام القوية والصحة الجيدة لتدريبهم واعدادهم للمباريات ، وأن يهملوا فى الوقت نفسه ذوى الاجسام الضعيفة وهم هم الذين يجب أن يعنى باجسامهم وصحتهم قبل الأولين

وتلك هى الطريقة التى تدفع الطالب ذا الجسم القوى الى اهمال دروسه والانصراف الى الألعاب الرياضية والتفوق فيها ، وهى التى تدفع من جهة أخرى الطالب ذا الجسم الضعيف الى الانصراف الى تمرين ذهنه وتقوية عقله والتفوق فى دروسه

سنة الشباب الطموح الى المثل الاعلى والتفوق فى ناحية من نواحي الحياة

ويظهر أن هذا المثل الشائع المأثور قد أول بغير المقصود منه ، وفهم على غير معناه الدقيق . والواقع الذى لاريب فيه انه لم يقصد منه سوى ان العقل السليم لايمكن أن يستخدم اقصى مجهوده وينتج أحسن انتاج إلا اذا سكن جسما سليما صحيحاً . وليس من اللازم أن العقل السليم لايسكن إلا الجسم السليم فقط ، ولا أن الجسم السليم من وظيفته ان يلد عقلا سليما ، وانما المسألة مسألة نسبة وقياس . فالقاعدة ان كل ثمرة نتيجة غرسها ، وبقدر العناية تكون الثمرة . وادن فالطالب الذى أوتى عقلا غنياً ودما حصا يستحيل عليه أن يستخدم أقصى مجهوده ويجنى أحسن ثمرة لهذه القوة الذهنية إلا اذا كان ناضج الجسم صحيح الاعضاء متمتعاً بصحة كاملة

كما أن الطالب الذى نضج جسمه ، واكتمل بناؤه ، واستخدم قواه الذهنية ، ولكنه لم ينبغ ولم يتفوق ، فقد وصل الى أقصى ما سمحت به موهبته وما وسعت قواه الذهنية أن تهيئه له . ولو كان جسمه ضعيفاً وبناؤه معتلا لما وصل الى ماوصل اليه من الانتفاع بقواه الذهنية الى هذا الحد

أما الطالب الموفور الصحة الممتلىء القوة الذى أقبل على الرياضة اقبالا تاماً ، وأعرض عن دروسه اعراضاً تاماً فانه مستثنى من هذه القاعدة النسبية ، لأنه لم يستخدم قواه الذهنية حتى تكون هناك صلة بين جسمه وعقله

ولهذا وجب علينا أن نساعد الصحة لانتاج أقصى ما يمكن انتاجه من مجهودهم العقلى بان نسهل لهم الوصول الى حالة جسمية كاملة أو أكثر كمالا تساعد عقل كل منهم ليصل الى أسمى ما يمكن من الكمال

وما أكثر ما يجهد المعلم نفسه في سبيل تلقين طلابه كريم الاخلاق ورفيع الفضائل . إنه ليمضى ساعات غير قصار يحدثهم فيها عن الاخلاق يوماً بعد يوم ، ويظلون يتذوقون منطقها أسبوعاً بعد أسبوع ، ويستمر الشأن بين المعلم وطلابه على هذا النحو : المعلم ينفق غاية ما يملك من قوة وجهد في سبيل تلقين طلابه محاسن الاخلاق ورفيع الفضائل ، ويحتال عليهم ما شاء ابتغاء هذا القصد الشريف ، تارة يزينها لهم تزييناً ، وتارة يحسنها لهم تحسيناً ، يرغبهم فيها ويحضهم عليها ، ويعين في ذلك بضرب الامثال ، امثالا من التاريخ ، وامثالا من الايام التى يعيشون فيها

أما الطلاب فيستمعون الى هذا كله ، كما يستمعون لدرس غير مقرر عليهم وغير مطالبين بالامتحان فيه ، فان اعجبتهم متنه سيرته فقدر ، وان تذوقوا منطقه فالى حين

فاذا استقرأنا حياة الطالب الدراسية بعد أن يترك درسه ويغادر مدرسته ، وأخرجنا الدور الذى لعبته الرياضة البدنية منها ، لوجدنا في الحق شيئاً عجباً ، وجدنا أن الطالب لم يمر بظروف عملية بل لم يمر بظروف نظرية تمكنه من الأخذ بهذه الفضائل التى طالما سمعها ، والتأدب بآدابها التى طالما القيت عليه ، والتوفق الى فهمها كما يجب أن تفهم ، وادراك وجوه الرأى فيها كما يجب أن تدرك ، ومعرفة صلتها بنفسه كما يجب أن تعرف

هو اذن قضى سنى دراسته يسمع عن هذه الفضائل وتصبو نفسه الى التحلي بها ، وقد يشعر بأنه وفق الى ما أراد ، غير ان هذا شعور غير صادق ، شعور اوحت به الرغبة فيه ، شعور إلهامي ذاتي . فاذا ما احتواه المجتمع وشمله معترك الحياة تلمس هذه الفضائل فاذا هي قد تبخرت ، وافتقد هذه السجايا فاذا هي دخان في الهواء . لا يتأثر الانسان بشيء إلا إذا خبره ، ولا يسيغه إلا إذا ذاقه وبلاه . كيف اذن يتأثر الطالب بمعنية لم يتهيأ لها ولم يروض نفسه عليها ؟ كيف اذن يطبع على خلق كل ما أعده له من زاد أذن سمعت به والاعتماد على الاذن في تربية الاخلاق وباء لا نتيجة له ؟

إن كل ما ظن أنه قد حصل عليه من درس الاخلاق واستوعبه من حديث الفضيلة لا يلبث أن تعصف به الصدمة الاولى من صدمات الحياة . والصدمة الاولى هي أيسر ما ادخرته الايام من صدمات ، هي دعابة فكهة من دعابات الدهر

لزام علينا أمام هذا كله أن نتخذ من الالعاب الرياضية دعامة من اوسع الدعائم التي تعتز بها المدرسة في سبيل التربية الصادقة . لزام علينا أن ننظر الى الرياضة البدنية ، لا كمادة ثانوية أو سبب من أسباب اللهو أو طريقة لاضاعة الوقت بل كمادة رئيسية ووسيلة من الوسائل التي تؤدي مباشرة الى الغرض المرجو من التربية الحقة

وما سبيل ذلك في التوفق الى مدربين لتلك الالعاب ، فهذه فرعية بالقياس الى جوهر الأمر الذي نحن بصدده ، فالطريق الى ذلك المدربين سهل ميسور ، وعمل هؤلاء معلوم محدود وتأدية وظيفتهم من الناحية الفنية البحتة شيء غير ذي خطر . اما السبيل السوي الذي يسدد خطانا نحو الغاية الرئيسية التي ننشدها من التربية الصحيحة فهو التوفق الى استاذ رياضي للاخلاق

هناك مدرب للالعاب الرياضية ، وهناك استاذ . وقد ألمعنا طرفا الى مدرب الالعاب الرياضي ، فماذا عسى ان يكون هذا الاستاذ الذي يعنى من الرياضة البدنية بالاخلاق ؟

الجسم السليم تربة خصبة صالحة لان تغرس فيها الاخلاق الفاضلة . وليس معنى ذلك ان الرياضة البدنية تبث في نفس صاحبها من تلقاء نفسها أحسن السجايا وخير الخلال ، بل انها تمهد السبيل لهذا النبت الصالح وتعين على نموه وانماثه ، شأن الارض ذات التربة الخصبة المعدة لان تنبت الورود العطرة ، فهي صالحة لان تنبت هذه الازهار ، ولكن ليس معنى ذلك ان طبيعتها اللينة تنتج من تلقاء نفسها الازهار الذكية ، وانما لكل شيء ظرفه الذي يهيئه للانتاج ، وكما ان هذه الارض الخصبة اللينة تحتاج الى « بستاني » يعدها لانتاج الورد الجميل ، كذلك الجسم الرياضي يحتاج الى معلم خبير يروضه على الاخلاق الفاضلة

نحن اذاً في حاجة الى استاذ رياضي عليم بشؤون النفس ، خبير بميولها ونوازعها ، واقف على

حقيقة الجانب السرى من حياة النشء . هذا الاستاذ هو الذى ننتظر ان يؤدى وظيفته الكبرى فى المدرسة ، وهو الذى نرجو أن نراه يلقن الطالب رسالة الفضيلة والخلق الكريم ، ويعرف كيف يفيد عقول التلاميذ من رياضة البدن ، وكيف تستطيع تلك الرياضة ان تهذب العقل كما تملأ النفس الحية بجميل الخصال

أى صنف من أساتذة المدارس هذا الصنف يكون ؟

نرجو أن يكون رجلا اضطلع باسباب هذا النوع من العلم وانقطع له وتأثر به الى حد بعيد ، نرجو ان يكون رجلا واسع العلم غزير المعرفة كثير التجارب ملماً بطبائع الناس ، كانت الحياة نفسها عنصراً بين العناصر التى كونته من الكتب والمدرسة والمجتمع

مثل هذا المربى يسهل عليه ان يقف على ميول طلابه واهواء نفوسهم واقدار عقولهم . فيتمكن من طباعهم ويبلغ من نفوسهم ويملك ازمتهم لا يعسر عليه منهم شىء . فكأن بيده مصباحاً يضىء له من حياة الطالب ما استغلق على سواه من ابيه وذويه وصحبه ومدرسيه . ولا اكون مسرفاً إذا قلت مامن مدرسة غربية كبيرة وما من كلية فى اوربا مهما كانت رعتها العلمية الا لها عدان العنصران مدرب للألعاب الرياضية واستاذ رياضى للاخلاق . مهمة الاول فنية بحتة ومهمة الثانى خلقية فى أى شىء . ولذلك نرى دور العلم فى البلاد الغربية تبذل جهداً عظيما فى سبيل التوفق الى هذا الاستاذ ولن ترخص له بالعمل الا بعد ان تستوثق منه وقد تتخيره من عدد كبير بعد عناء طويل

وفى حياة الرياضة البدنية تبدأ وظيفة من حيث تنتهى وصفة أخرى . فوظيفة المدرب الفنى تنتهى عند اختصاص كل طالب بالعبه التى توافق جسمه ويطمئن لها هذا الجسم والتى يرتاح لها ميله ولا تضجر منها نفسه . وتنتهى أيضا بعد ما يعلم طلابه مواقف العابهم الفنية ويجعلهم يمارسون العابهم الى حد أنهم يستطيعون فى يوم ما أن يبذلوا فى سبيلها غاية ما يملكون من جهد جسمى

ولا تكاد تنتهى وظيفة المدرب الفنى ـ وهى تنتهى غالباً عند هذا الحد ـ حتى تبدأ الوظيفة الأخرى ، وظيفة استاذ الرياضة ، وهى فى الحق وظيفة دقيقة شاقة هامة تعوزها مزايا وتعوزها صفات وتعوزها مؤهلات . فمن مزاياها الرجولة وسعة الصدر وبعد النظر وصدق الحكم على غوامض الاشياء . ومن صفاتها صفاء الخاطر وحضور الذهن وقوة الارادة . ومن مؤهلاتها سعة الثقافة ومعرفة فن التربية وسلامة المنطق

يجىء بعد ذلك كله أو قبل ذلك كله أمران لا غنى لاستاذ الاخلاق الرياضى عنهما :

(أولها) ان يكون هو نفسه مثلا أعلى لطلابه ، جديراً بأن يتخذوه اماماً لهم يقتدون به راغبين غير مكرهين فى سائر نواحيه المادية والمعنوية والنفسية

(ثانيهما) أن يكون مرناً على الاندماج فى الطلاب ، ملماً بشؤونهم المدرسية ، عليماً بما يستقر فى كل منهم من مواطن الضعف ، سواء أكان هذا الضعف خلقياً أم ذهنياً ، فليس غيره يستطيع أن يفهم هذه النقائص ، وليس غيره يستطيع ان يعود بالشيء إلى أصله أو يعالج الداء بما يملك من دواء

وصفوة القول أنه ما من أحد غيره يمكنه ان يقوم من خلقهم ما اعوج ، وان ييسر من دروسهم ما عسر ، وأن ينير من نفوسهم ما أظلم ، وأن يعد منهم رجالا خيرين نافعين

ومن طبيعة الحياة الرياضية الصحيحة أنها تستدعى فضائل جمة ، أو تكسب تلك الفضائل الجمة ، وهى فضائل تمس حياة الانسان العامة ، كالشجاعة والاقدام والجرأة فى سبيل الحق والواجب أو الانسانية ، والاعتماد على الذات وضبط النفس ورياضتها على المشاق وتعويدها الجوع والظمأ والحرمان وترفيها عن كل ما استحال

ثم هى تستدعى فضائل غير هذه الفضائل وسجايا غير هذه السجايا ـ تستدعى انكار الذات أى اعاق غاية الجهد الفردى ابتغاء صالح الجماعة ، وتتطلب رياضة النفس على الايمان بالنظام وتقديره حق قدره ، وتلتمس السبيل الذى تتلقى منه الاوامر كما تلتمس السبيل الذى تعطى منه الأوامر ـ تلتمس توحيد الأيدى والاخلاص فى العمل وصدق النية والتضامن فى المسعى ابتغاء النجاح

فاذا أخطأ فى الرياضة نجاح لا يجزع ولا ييأس ولا يفر من مسئولية ، بل يوطن نفسه على أن تأخذ ما تستحق من نقد وتدفع ما يجب من ثمن ، ويعمل هذا فى شيء من الثبات والصراحة . ولا يهون عليه الأمر انه أبدع فى لعبة كل الابداع ، أو أنه وفق فى جولته غاية التوفيق

هذه بعض الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الفتى الرياضى ، والتى تستطيع أن تخلقها الرياضة فيه خلقاً إذا أخذ بها أخذاً نظامياً بين مدرب الرياضة ، واستاذ الاخلاق الرياضى

وإذا نظرنا إلى الالعاب الفردية كالعاب الجمباز وحمل الاثقال وما اليها ، ووضعناها موضع البحث النفسى والدرس الخلقى اهتدينا منها إلى فضائل كبيرة ، فهى فوق ما تكسب الجسم صحة وقوة وتناسباً فى الاعضاء وانسجاماً فى الشكل ، تروض نفس الطالب ترويضاً مباشراً على فضيلة ذات شأن عظيم ، هى فضيلة ضبط النفس ، فان فى ممارسة هذه الالعاب تكتسب النفس شيئين : الصبر على المشاق فى غير ضجر ، وبذل غاية ما تملك من قوة لتصل بالتفوق إلى ما تصبو اليه من حظ تعجز عنه جهود الآخرين

غير أنى من الآخذين بفكرة الالعاب المشتركة ، أى أرى أن يمارس كل طالب لعبة يشترك فيها مع غيره ، فهى حركة الاحتكاك بالغير ومنازلته ترويض على الحياة القوية ، واعداد للتنافس الشريف ، وتهيئة صالحة لسائر ما تنشده النفس الشابة من تفوق وخلق كريم

أستطيع إذن أن أقول إن تربية مدرسية خالية من الالعاب الرياضية التى يشترك فيها المدرب والاستاذ، هى تربية خاملة لا قيمة لها ولا خير فيها، فاذا انتظرنا الغد وترقبنا مصير أبنائنا الذين ربيناهم هذه التربية الخاملة، وجدنا أنهم خلو من الفضائل لانها كانت خلواً منهم، وأنهم بعيدون عنها لأنها كانت بعيدة عنهم. ولا عجب فالحياة مقدمة ونتيجة أو غرس وثمر، فنحن لم نهيئهم لهذه بالأمس، ولم نمهد لهم سبيلا اليها. فكيف ننتظر منهم غداً أن نلتمس لها أثراً فيهم؟ أو كيف نرقب لها عدم صدى فى يوم من الايام؟

سبقت انجلترا سواها من البلدان فى العناية بالالعاب الرياضية، ولم تذهب هذا المذهب عفواً عن غير قصد بل إنها ادركت ما لهذا الفن الحيوى من فضائل خلقية وجسمية. وعماد التربية عند الانجليز هو «الاخلاق». فقد يضحون فى كثير من الاحيان بشؤون علمية فى سبيل تفوقهم فى الشؤون الرياضية وقد يكون دافعهم الى ذلك أن من طبيعة التقاليد عندهم أن يقربوا الى النوع الرياضى أقصى ما يستطاع من فضائل الرجولة. فهم يحتمون على الرياضى المتفوق ان يكون حائزاً لقسط كبير منها، حتى إنه لا يجوز أن يظهر شىء من مظاهر النقائص وإن مالت نفسه اليها، لا خوفاً من انتقاد فارص، بل خضوعاً لتقاليد الموروثة التى تحتم عليه أن يقترب ما أمكن من المثل الاعلى. ولهذا كان شعار الرياضى الانجليزى هو كمال الرجولة ومن الطبيعى بعد ذلك أن يستطيع الرياضى الانجليزى المتفوق ان يستقبل حياته الجديدة أعظم صلاحية من غيره وأكمل استعداداً من سواه

وإن أذكر مصر الرياضية فلا أستطيع أن أنسى أسوأ عصر رياضى اجتازته - ذلك العصر الذى كان الرياضى الممتاز به هو ذلك الشاب الضخم الجسم، العريض الاكتاف، الموفور القوة، المعربد المشاكس الشرير، واحمد الله اذ مضت تلك الايام الى غير عود. وها نحن الآن نخطو خطوات أولى فى مرحلة رياضية أخرى. وهذه الخطوات وان كانت وئيدة فهى موفقة بعض التوفيق، كما ان تلك المرحلة وان كانت قصيرة جداً فهى صالحة مباركة

والحق ان الروح الرياضية عندنا انما هى روح أولية - روح وليدة ناعمة ناشئة تعوزها التربية الواسعة الناضجة، تلك التربية التى توحى الى نفس الفتى خير ماتنشده من الفضائل العلوية. ومثل هذه التربية لايقدر على الاضطلاع بها الا أساتذة الاخلاق الرياضيون

هنالك مسألة من مسائل الحياة الرياضية، مسألة هامة خطرة، لا أظننى أخطىء فى التعبير عنها إذا قلت إنها نقص شائع فى التربية الرياضية عندنا وعند سوانا من البلاد الحديثة العهد بالرياضة البدنية

تلك هى الاشادة بالفائز والاحتفاء به والتغنى باسمه وتحويله كل لون من ألوان التكريم والتمجيد، ثم التحامل فى الوقت نفسه على غير الموفق واغفال شأنه والمضى فى تجريحه والتشهير

به جراء خذلانه أو فشله وعدم توفيقه ، كأنه أجرم فهو يعاقب على جرمه أو أذنب فهو يؤخذ بذنبه

نقف من الغالب هذا الموقف ونقف من المغلوب ذاك ، وغاب عنا في الحالين الغرض المقصود من الرياضة ، وما هو في الحق الا بذل غاية ما يمكن اللاعب ان يبذل من جهد ، واعاق اقصى ما يستطيع ان يعقه من حيلة . وما دام كل من اللاعبين قد ادى هذا الواجب كأحسن ما يمكن ان يؤدى ، فيجب علينا ان نحمد لكليهما المجهود الذى بذله

الفشل هنا فشل شريف . والفشل الشريف في طبيعته كالنجاح الشريف سيان . ولكن هناك شخص واحد من اللاعبين يجب ان تنحى عليه ملاذع اللوم ، وننظر اليه بعين الازدراء — هذا الشخص هو ذلك الفاشل في ميدان اللعب لجبن اصابه أو خور أدركه ، او لنقص غير طبيعي في ناحية من نواحي حياته الرياضية . هذا اللاعب الفاشل هو الجدير بالمؤاخذة والتثريب . اما الاول فلا جناح عليه لانه ادى واجبه وسعى في الوصول الى مراده

ولعل تلك النقيصة لمصحوبة بعبء أحد الفاشل الشريف بالنقد والتشهير هي التي تسول لكثير من الطلاب سواء في شؤونهم المدرسية أو في شؤونهم الرياضية ان يخرجوا على فضيلة الشرف ويلجأوا الى الغش والخديعة غير المشروعة في سبيل النجاح خشية ان يصيبهم ما يصيب زملاءهم — اذا هم فشلوا — من نقد وتشهير

وقد يكون من اسباب التخلص من تلك النقيصة ان تنزع عنها صفة الذنب . فيال كل من حدثته نفسه أن يفوز في الالعاب الرياضية من طريق غير شريف عقاب صارم يزجره عن العودة الى التسامح في فضيلة من اجل الفضائل ، وهي فضيلة الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية من غير حرج ، ويكفه عن التورط في سيئة من احط السيئات ، وهي سيئة الغش والاحتيال الوضيع

• • •

تكلمنا عن الرياضة البدنية كوسيلة لتربية الاخلاق وتثقيف النفس ، وابنا ما أبناه من فضائلها التي يجب ان يكون الرياضي متحليا بها ، والتي تخلقها الرياضة فيه خلقاً . غير ان هناك فضيلة انسانية عظيمة لايستطيع الانسان ان يكتسبها بنفسه وانما يسهل نوالها من طريق الرياضة البدنية ، تلك هي الديمقراطية

الرياضة البدنية معلم ديمقراطي محبوب . والميادين الرياضية مدارس للديمقراطية وثيقة العرى . فاختلاط النشء بعضهم ببعض على تباين بيئاتهم المنزلية واحتكاك التلاميذ في سائر جوانب الحياة الرياضية — هذا كله جدير بان يمحو ما بينهم من الفوارق العائلية والاجتماعية ،

قين بأن يسوى بينهم سبيل الحياة ، كفيل بأن يؤلف بين قلوبهم ويلقى فى نفوسهم اجمعين المبادىء الانسانية الصالحة

نعود الآن الى ما بدأنا به فنتساءل : وهل لتلك النواحى الخلقية جميعاً أثر فى تنمية العقل حتى يستقيم المنطق فى مثلنا الشائع المأثور « العقل السليم فى الجسم السليم » ؟ . ومن الغريب اننا لانعرف جواباً عن هذا السؤال غير : « نعم » .

فالنفس الصافية الهادئة ، والخلق الرفيع المستقيم يستحيل عليهما أن يجاورا عقلا بليداً أو عقلا ناقصاً

يجب أن نلاحظ أن التجانس المعنوى مفروض فى كل انسان أو فى غالبية الناس على الاقل ، وان تربية الجسم وتهذيب النفس أمران لاتخلو العقل من المساهمة فيهما والتأثر بهما ، وان صفاء النفس وصحة الجسم يساعدان العقل على أن ينضج ويصحو ، وليس الشأن كذلك من جانب العقل ، فان حدته وذكاءه قد لا يؤثران تأثيراً ما فى صحة الجسم وصفاء النفس . واذن فالجسم الكامل والخلق الكامل لايستقيمان مع عقل غير كامل و ... هما سوى

احمد محمد حسنين

كيف ينهض الشرق

للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

انما ينهض بالشرق مستبد عادل — مستبد يكره المتناكرين على التعارف ويلجىء الاهل الى التراحم ويقهر الجيران على التناصف يحمل الناس على رأيه فى منافعهم بالرهبة ان لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة — عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الاولى الى شعبه الذى يحكمه فان عرض حظ لنفسه فليقع دائماً تحت النظرة الثانية فهو لهم اكثر مما هو لنفسه . . يكفى لانلاعهم غاية لا يسقطون بعدها خمس عشرة سنة وهى سن مولود يبلغ الحلم يولد فيها الفكر الصالح وينمو تحت رعاية الولى الصالح ويشتد حتى يصرع من يصرعه . خمس عشرة سنة يثنى فيها اعناق الكبار الى ما هو خير لهم ولاعقابهم ويعالج ما اعتل من طباعهم بأنجع أنواع العلاج ومنها البتر والكى اذا اقتضت الحال . وينشىء فيها نفوس الصغار على ما توجبه العزيمة نحوه ويسدد نياتهم بالتثقيف . . . خمس عشرة سنة تحشد له جمهوراً عظيماً من أعوان الاصلاح من صالحين كانوا ينتظرونه وناشئين نشوا وهم ينتظرونه وآخرين رهبوه فاتبعوه وغيرهم رغبوا فى فضله فجاروه . .

هل يعدم الشرق كله مستبداً عادلا فى قومه يتمكن به العدل ان يصنع فى خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحده فى خمسة عشر قرناً ؟!

صاحبة الجلالة الصحافة

أعظم قوة تقود الجماهير والحكومات

بقلم الأستاذ عبد القادر حمزه

زميلى صاحب الهلال الأغر

اقترحتم على أن أكتب للهلال كلمة فى « الصحافة كأعظم قوة تقود الجماهير » . فاقترح أنا عليكم أن يكون كلامى فى « الصحافة كأعظم قوة تقود الجماهير والحكومات » وأرجو ألا تجدوا ضيراً فى هذه الزيادة التى قد ترى طفيفة ولكنها ضرورية

لقبت الصحافة فى أوربا بصاحبة الجلالة دلالة على أنها ارتفعت بنفوذها إلى مرتبة الحكام الجالسين على العروش . وسجل لها مسيو استيفان لوزان رئيس تحرير « الماتان » هذا اللقب فوضع منذ سنوات قليلة كتاباً فى الصحافة جعل عنوانه « Sa Majesté la Presse » . وقد كانوا يصفون الصحافة إلى بضع سنوات بأنها سلطة رابعة فى الدولة ، يعنون بذلك أنها تجانب السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية سلطة رابعة . فأما الآن فإن الذين يلقبونها بصاحبة الجلالة لا يكتفون بأن تكون إحدى السلطات بل يريدون لها أن تكون فوق جميع السلطات

وفى الواقع أن الصحافة تحاول أن تكون فوق جميع السلطات لأنها رقيبة عليها . وهى لا تصل إلى هذه الرقابة من طريق إنشاء كالعضو فى مجلس أو موظف رئيس ومرءوس ، بل تصل إليها من طريق الإبصار بالفكرة إلى الرأى العام . فإن كانت الفكرة صحيحة وكانت قائمة على دعائم تجعلها مقبولة من الرأى العام فهذا الرأى يقتنع بها ، وحينئذ لا تجد الحكومة بسلطاتها الثلاث — إن كانت هذه الحكومة ديمقراطية — مناصاً من الخضوع لها . أما الحكومة الدكتاتورية فإنها لا تخضع خضوع الحكومة الديمقراطية ، ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تمنع نفسها من أن تشعر — فى بعض الأحيان على الأقل — بأن الصحافة متأهبة لانتقادها وتحريك الرأى العام ضدها ، وهذا الشعور يكفى لأن يصدها عن كثير من الأعمال

فالصحافة على هذا تستمد قوتها من الانتقاد ومن توجيه الرأى العام . فهى إذن العامل الأول الذى يحرك الأمة ، والأمة هى مصدر جميع السلطات . ولهذا لم يكن عجيباً — ولن يكون عجيباً — أن توضع الصحافة فى مرتبة الحكام الجالسين على العروش وأن تلقب بصاحبة الجلالة

لا بل إن الصحافة رافقت حتى الحكام الجالسين على العروش وأشعرتهم سلطانها عليهم فى كثير من البلاد وفى كثير من الأحيان

وبديهى ان الصحافة التى توصف بهذا الوصف هى الصحافة فى مجموعها لا الصحيفة الواحدة ولا الصحيفتان . وبديهى أيضاً أن سلطة الرقابة التى تستعملها الصحافة ليست كالسلطة الادارية تظهر فى أوامر تصدر وقرارات تنفذ فى ساعات أو أيام . بل هى كما قلنا تحريك للرأى العام بعد اقناعه بالفكرة . ولهذا يتيسر للحكام فى كثير من الأحيان أن يقفوا بازائها غير عابئين امام الفكرة حينما تلق . وقد يتيسر لهم أن يسخروا منها ويشوشوا عليها . ولكن اذا كان الحكم ديمقراطيا وكانت الفكرة قوية وكانت التربة صالحة لها ، فالصحافة تغلبهم مهما يكن عنادهم . وهى تغلبهم أيضاً فى الحكم الدكتاتورى ولكن بعد زمن يطول او يقصر ، وبعد متاعب تطول أو تقصر ، تبعاً للظروف

وهذه الصحافة التى اردتها هنا هى صحافة الآراء السياسية . أما الصحافة العلمية والادبية والفنية فقوتها فى قيادة الجمهور ليست محل نزاع ، وذلك أن هذه الصحافة صارت الآن جامعة الثقافة التى يواصل المتعلمون فيها مابدأوه فى مقعد الدرس ، اذ المدارس لاتخرج غير رجال صاروا مستعدين لأن يتعلموا . وهؤلاء الرجال اما أن يهملوا انفسهم بعد ذلك فيطفئوا استعدادهم ، واما أن يشمروا عن تنميتها بالبحث والدرس فتتسع مداركهم وتتسع معلوماتهم . وسبيلهم الى ذلك هو الكتب والصحف . فان الكتب مهما وان جرت مع تقدم العلم لاتستطيع من أن تقف فى هذا المجرى عند حد . و لكن الصحف عليها ان تجرى مع التقدم يوما فيوما . على ان هذا القدر من الكتب دائما على تغذية العقل بالجديد من البحث والآراء و الكتاب ... يبحث بحثا فى موضوع واحد ، على حين أن الصحف متنوعة البحوث ... تشمل عدة لايستطيع الكتاب فى الترويح عن القارىء وتفتيح ذهنه ما يريد أن ... به

* * *

والآن فلنضرب مثلا ، وليكن هذا المثل الصحافة المصرية التى نعرفها والتى ما تزال فى أول أدوار نهوضها ، لاصحافة بلاد اخرى

اذا نحن اقتصرنا على أن يكون موضوع بحثنا ان الصحافة قوة تقود الجمهور ثم سألنا هل هذا الوصف ينطبق على الصحافة المصرية ، كان البحث فى نظرى تافها لايستحق الحبر الذى يكتب به . أما موضوع البحث الذى أرى أنه يستحق ان يكتب فهو « هل الصحافة المصرية ذات جلالة أم لا ؟ » وهذا السؤال هو الذى أجيب هنا عليه

لا ريب فى ان الصحافة المصرية لم تعرف طول الستين عاما التى مضت غير التعطيل الادارى وغير قوانين قيدتها وما زالت تقيدها بأثقل القيود ، وقد كانت رغبة الحاكم هى التى أوجدت هذه القيود ليضعف بها صوت الصحافة من جهة وليحتم لنفسه منها من جهة أخرى . فهو هنا يظهر قوياً عليها قادراً على أن يتصرف فى مصيرها . وهى تظهر ضعيفة امامه خاضعة لسلطته عاجزة

عن أن يكون لها عليه سلطان . ولكني أزعم مع ذلك أنها قوية ، وأن لها سلطاناً أقوى من سلطانه ، وأن لها عليه هو كل السلطان ، وأنها لذلك استحقت وتستحق لقب « صاحبة الجلالة »

أزعم ذلك وبعض دليلي عليه نفس هذه القيود التي قيدت بها الصحافة ، ونفس أوامر التعطيل التي عطلت بها الصحافة ، ونفس هذه الحرب المستمرة التي يعلنها الحاكم على الصحافة

ماذا يشعر الحاكم بأن عليه أن يقيد الصحافة ويعطلها ؟ . . . . . . لأنه يخافها . . . . فهو اذن يعرف ان لها سلطانا يجد أثره في نفسه . . . . وهذا الأثر هو الخوف ممزوجاً بالحذر

ولقد حارب الحاكم هذه الصحافة التي يخافها ويحذر منها . فهل نجح وقار عليها ؟ . . . كلا ، بل هي التي نجحت وقارت عليه . بدليل انها ما تزال قائمة لم تمت . وبدليل أنها تنمو يوما بعد يوم ، وبدليل ان نفوذها على الجماهير يتسع يوما بعد يوم

وهذا الحاكم الذي يحارب الصحافة ، أتراه استطاع أن يستغني عنها و يزهد في أن يلجأ اليها ؟ . كلا ، وهو اذ يحارب الصحافة لايقصد بهذه الحرب غير بعض منها . وهو في الوقت نفسه يلجأ الى بعضها الآخر . فهو امام الصحافة موزع بين عاطفتين : واحدة هي عاطفة الخوف من بعض وثانية هي عاطفة الالتجاء الى بعض . وليس فوق هذا سلطان للصحافة على الحاكم والحكومة

وانظر بعد ذلك نظرة خاطفة في ماضي الصحافة المصرية في نصف هذا القرن الذي مضى ، وسل نفسك : أي شيء كان يبقى من جهود مصطفى كامل باشا اذا فرض ان خلت البلاد من كل ما يسمى صحافة ؟ وسل نفسك ايضا : أي شيء كان يبقى من الوفد المصري في سنة ١٩١٨ إذا فرض أن خلت البلاد من كل ما يسمى صحافة ؟ . . . ومن نفسك هذين السؤالين فهل ترى أن الحركة الوطنية التي بعثها مصطفى كامل باشا والحزب الوطني كانت توجد ؟ . . . . أو هل ترى أن مصطفى كامل باشا نفسه كان يوجد ؟ . . . ثم هل ترى أن ثورة سنة ١٩١٩ والحوادث السياسية التي توالت وما زالت تتوالى الى اليوم كانت توجد ؟ أو هل ترى ان الوفد نفسه كان يوجد ؟

وسؤال آخر : اذا فرض ان خلت البلاد من كل ما يسمى صحافة . فهل ترى ان نهضتنا الفكرية في السياسة وفي العلم كانت تصل الى هذا الحد الذي وصلت اليه ؟ أو هل ترى ان شيئاً يسمى نهضة فكرية كان يوجد ؟

فالصحافة المصرية قد كسرت اذن كل قيودها ، وتغلبت على كل العقبات التي في طريقها ، واستطاعت أن تحصل على كل السلطان الواجب لها ، وان تؤدي كل رسالتها

فهي اذن صاحبة جلالة حقاً . ومهما يتعب الحاكم نفسه في حربها فسلطانها عليه نافذ ، وقيادتها له وللجماهير هي قيادة قوة صاحبة جلالة

عبد القادر حمزه

مهمة رجل الدين في الوقت الحاضر

بقلم الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون

في مصر الآن حركة انقلاب شديدة ، هي الخروج على الاخلاق والآداب التي ظللنا عليها أجيالا ونحن نحتفظ بها ونذخر فيها القوة والصرامة ، فأصبحنا في حياة جديدة خالية من روح النظام ومن شارات نمتاز بها عن سائر الاقوام ، فهي خليط من الفوضى ، أساسها حب المحاكاة حبا لاغناء فيه والتشبث بالمدنية الزائفة والعاطفة الموجهة

أفضت بنا الحياة الجديدة إلى فقدان الحياة القومية التي تسري روحها في الروابط الاجتماعية بين أفراد الأمة الواحدة ، فتوحد عناصرها وتجعل لها كيانا معنويا ومناعة حصينة تدفع عنها التلاشي والاضمحلال

فتنا بمظاهر المدنية الغربية ، وترامينا في أحضانها ، وأهدرنا آدابنا الموروثة في سبيلها ، واستحوذ علينا الجهل بحقيقة ديننا ومصالح دنيانا ، حتى تمت دولة الاباحية المطلقة على كل ما يقيد نزوات النفوس من دين وآداب وأخلاق

كذلك قل عن العقيدة — العقيدة في الله — والايمان بالحق وطمأنينة النفس للعدل الالهي ، كل ذلك قد خلت منه الافئدة ، ولما تزعزعت العقيدة في الله ، ولما تجردت النفوس من فضيلة الايمان بالحق ، واذا لم تستروح النفس انفاس الله فيها ، فقد ذابت وهانت وأصبحت مركبا ذلولا للشهوات وعبادة الأوهام

حقاً ان الالحاد قد اتخذ من نفوس أهل هذا الجيل مكانا خصيباً وظهرت طلائعه وكتائبه في كل مكان — في دور العلم ، في النوادي الادبية ، في المحافل الخاصة — وظهرت في الصحف والمجلات وفي المؤلفات الحديثة على أشكال متنوعة وصور مختلفة . ومن وراء هذه القوى المتسلطة عصابة من السوء تمدها بالكفاية والمعونة

ان الظاهرة الجديدة التي استرعت الانظار في الوقت الحاضر هي الكتابة والمحاضرات والمناظرات حول طهارة الفطر الدينية وقداسة الايمان ، بقصد التشكيك ومعارضة التعاليم الدينية وزعزعة العقائد الصافية وتحقيق مبادىء المدرسة الحديثة ، التي يزعمونها طليعة النهضة الحديثة والرقي الفكري ، في الناشئة الاسلامية واعداد نفوسهم لبذر الفتنة والضلال وليكونوا أداة هدم وتدمير

إن الالحاد الذي يكون أساسه التشكيك حرب على الفضيلة وعلى الحق وعلى الانسانية وعلى

الاديان كلها وعلى الخير من جميع نواحيه وعلى كل معنى من المعانى السامية . معناه هدم كل شىء من اعتقاد وأدب وتشريع

ومن تلك الظاهرة ما هو عجيب وغريب ، فان بعضاً من المتأدبين فينا يحاول نشر مذهب جديد يسميه الأدب المكشوف . وفى الادب المكشوف مجلات منديات ، واستهتار بالادب نفسه ، ودعاية للاباحة الزارية بالفضيلة والاخلاق . انما يقصد بالادب المكشوف إغراء النفوس بالاشتهاء المادى وامتاعها بذكر اللذات الجسدية . واذا لم تكن حياة الامة مذخورة بالجد والعفاف ، وتصون الاقلام والالسنة عن ذكر الهفوات الخفية ، وتصوير المعانى والخيالات المثيرة للشهوات ، وإبرازها فى ثوب الفتنة والاغراء ــ اذا لم تكن الامة كذلك فانها تعيش كما تعيش الامم البادرة فى الهمجية والسذاجة الاولى . ان فكرة العرى فى بعض ممالك اوربا المتحضرة ترجع فى منشئها الى الادب المكشوف . وفى اعتقادى أن انصار ذلك المذهب لا يحجمون عن الدعاية لتلك الفكرة اذا استقام لهم الامر وأمكنتهم الفرصة

يوشك أن تبرز [illegible] جديدة كما هى ، [illegible] فى صورة مرآة الملوك ، تشين وتضر ، ولا تتأثم عن قبيح ومنقصة

ليس من المنكور أن لدينا [illegible] موفورة من الحضارة وتقدماً [illegible] فى العلوم والفنون ، ولكن حضارتنا مادية محضة ، أساسها [illegible] والمال والاثراء و[illegible] و[illegible] . والعلوم والفنون مثبتة ومحصورة فى غير كافة [illegible] فى [illegible] ولا [illegible] الاخرى

لقد نفذ التحلل الخلقى والانحلال الادبى الى كل [illegible] و[illegible] فعمت البلوى واستعصى الداء . فأينا يكون الهادى وأينا يكون المهتدى ؟ ان العناصر الرشيدة التى كانت تتزعم الاقوام وكانت مصدراً للفضيلة ومبعث هدى وقدوة للخلق الكريم اصبحت وقد تنكبت الطريقة المثلى وشاركت الطبقة الدنيا فيما يصدر عنها من المشاين والمثالب . وليس لها من ذلك عاصم لان النفوس نشأت فاحلة من أصول التربية والتعاليم الصحيحة

إننا فى حالة لا تساعد على تربية نشء غض متسلح بسلاح الصبر يحمل اعباء الحياة الجديدة ببسالة واقدام . إننا فى حياتنا أحوج ما نكون الى شباب يغامر فى سوح الكفاح والجلاد ويفتح مغاليق المستقبل ويرسم لجيله قوس النصر والصلاح ويعيد تراث اجداده العظام ومجد تاريخهم الغابر

إن أنصار الفضيلة وحماة الاخلاق ليضمون أيديهم على قلوبهم اشفاقاً على البلاد من المصير المجهول . ويحق أعوذ بالخير وأرجى للقائمة من الخلق الى هداية الدين واتباع سنته فى هذه الطغمة العمياء . فانه العلاج الوحيد والعامل المجدى لاصلاح الشأن ورأب الصدع ، وهو الجامع

لكل ما تحتاج اليه الشعوب من السعادة الدينية والدنيوية

ومن الخير لهذا البلد أن يكون فيه رجل دين على جانب كبير من الذكاء وسعة الاطلاع وطلاقة اللسان . وان يكون ذا ثقافة وتعليم لائقين بمقتضيات عصر العلوم والمعارف والمدنية ومنها فلسفة الأديان والمجادلات الكلامية وبكثير من اللغات الحية » . ومهمته في الوقت الحاضر شاقة ومجهدة ، فلقد مضى الزمن الذي كان يهيب فيه الزعيم الديني فتعنو له الوجوه وتخضع له القلوب ، وحسبه من الدين أن يتسم سمته ويأخذ الناس سخطه . فقد كانت مظاهر الحياة في ذلك الزمن محدودة . وكانت عقول الشعوب والجماهير مأخوذة بما يلقى عليها من التعاليم التي اختص بها أولئك الأئمة والقادة من رجال الدين . وكان الحكام والملوك يخشونهم ويؤيدون سلطتهم ويسمعون لنصائحهم لأنهم كانوا خير الناس في زمانهم وكانوا قدوة صالحة وهداة مرشدين

روى انه لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت اليه خراسان ـ وذلك في أيام يزيد ابن عبد الملك ـ استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي فقال لهم : « ان يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة . وقد ولاني ما ترون ويكتب الي بالأمر من أمره فأنفذه ما تقلده من ذلك الأمر فما ترون ؟ » فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية . فقال ابن هبيرة : « ما تقول يا حسن ؟ » فقال : « يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله . إن الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله . وأوشك ان يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك لا ينجيك الا عملك . يا ابن هبيرة إن تعص الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده ، فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »

وروى أن الخليفة المنصور قال يوما لعمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٤ هـ : « هل من حاجة؟ » قال : « لا تبعث الى حتى آتيك » قال : « اذن لن تلقاني » قال : « هي حاجتي » ومضى فأتبعه المنصور طرفه وقال :

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ورثاه المنصور بقوله :

صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به على مروان
قبرا تضمن مؤمنا متحنفا صدق الاله ودان بالعرفان
لو أن هذا الدهر ابقى صالحا أبقى لنا عمرا أبا عثمان

ولم يسمع بخليفة يرثي من دونه سواه

وقدم الخليفة هرون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة . فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج الخشب فلما رأت الناس قالت : « ما هذا ؟ » قالوا : « عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك » قالت : « هذا والله الملك لا ملك هرون الذى لا يجمع الناس حوله الا بشرطة وأعوان »

أرأيت كيف كانت منزلة رجال الدين وعلماء الملة فى نفوس الحكام والملوك ؟ أرأيت أن منزلتهم كانت تنقطع دونها منازل أولئك الملوك مع احاطتهم بمظاهر الملك وابهة السلطان ؟

لهذا ولغيره كانت عظاتهم بالغة وارشاداتهم نافذة واقوالهم مطاعة

هذه الصفات المتميزة هى التى يجب أن تكون فيمن أقام نفسه للزعامة الدينية والاضطلاع بدراسة الشؤون الاسلامية وأخذ الناس بها على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم

هذا هو رجل الدين الذى عنى به فى حديثى والذى أشرنا اليه فيما مضى من القول . هو من نصب نفسه لنفع الناس وهو عنهم مستغن لا يحمل رغبة فى دنيا ولا يسكت رهبة من عقاب عن الحق وقوله الصدق وهديه يرشد وسلوكه طريق التقوى ، إن قال أثر فيمن قصد به وإن أمر بشىء كان ألزم الناس له وإن نهى عن شىء كان أبعد الناس عنه

مهمة رجل الدين فى الوقت الحاضر دقيقة وخطيرة كما قلت ، وهى تتلخص فى أن يتصل بالجماهير المختلفة ويبين لهم حقيقة الدين فى وضوح تام ويبين لهم مكانته وخطورة آثاره فى طبائع الاكوان وحقائق الوجود

ويبين لهم أن الدين يساير العلم ولا ينافيه وليس بينه وبين العقل عداء وأن الميزة العليا للعقيدة الدينية هى ألا تتنافى مع نتاج العلم الصحيح وأن ترتكز على العقل السليم وتعتصم بالبرهان الحق

ويبين لهم ما انطوى عليه هذا الدين من ضروب التعليم والتربية ، سواء أكان فى تربية النفوس على التزام الفادة أم فى تعويدها الاخلاق الفاضلة أم فى تنفيرها من الرذائل ، مما يسمو بها فى اتجاهاتها إلى المثل العليا ويضعها فى المنزلة اللائقة بكرامة الانسانية وشرف الحياة

يبين لهم ان الله غنى عن العالمين وانه إنما وضع هذا الدين ليكون قانونا منظما لحياة البشر تعليما وارشادا وتربية وتهذيباً وصالحاً لكل الامم فى جميع الازمنة والامكنة ، وان هذا القانون تضمن الدعوة إلى التراحم والتعاطف فيما بين الناس والدعوة الى الترابط بين المؤمنين وشد أزر بعضهم بعضا وأنهم متكافئون فى دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم . وأنه أمر بالعدل والاحسان . ونص الحض على التواصى بالحق وبالصبر وعلى طلب العلم ورفع درجات العلماء على غيرهم والمحافظة على النفس والعقل والمال والعناية بأمر الاعراض والامومة والبنوة ، ونهى عن كل ما يشين الانسانية الكاملة والخلق الفاضل . وأنه وضع نظام المعاملات ونظام الاقتصاد ونظام الانساب ونظام الاسرة

ونظام الارث . وساوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق والمعاملات وفى العقائد والعبادات إلا فى النزر اليسير . ودعا الى المصالح العامة والى الوفاء بالعهد والى عمل الخير واسداء البر للاقارب والاباعد . وحث على الحلم والاناة والصفح والعفو والكرم والسخاء والاخذ فى الاسباب وبين أنها أسباب مادية لنوال المقصود

وحث الدين على حب الوطن ورفع رايته والدفاع عن بيضته وعلى تعبئة الجيوش وسد الثغور واحكام الربط وقضى على الفوارق الجنسية والابعاد الاقليمية معتبراً أن أهله ملة واحدة وقومية واحدة ووطن واحد

وضع هذا القانون السماوى رحمة للناس . فيه جمع من أسمى الفضائل ما فيه تطامين النفوس وراحة القلوب وسعادة بنى الانسان

يشرح رجل الدين هذا القانون للناس مترسما فى ذلك سيرة السلف الصالح من الدعوة إلى هذا الدين بسيرتهم وأخلاقهم قبل ان يكونوا دعاة بأقوالهم كما أسلفنا

ويأخذهم بالنصيحة والعظة والتذكرة ويحثهم على تربية نشئهم تربية صحيحة تتفق مع تقاليدنا الصالحة وبيئتنا الشرقية السليمة من حب والامراض وتتناسب مع سماحة ديننا التى لا تشوبها شوائب الضعف ولا شيء من طوارئ الاخلال او تغيير . ويبين لهم القواعد والاصول الاجتماعية والاخلاقية ، والاحكام التى تضمنها كتاب الله تعالى وما خلفته الرسل الكرام من الاحكام والوصايا والارشادات ، ويكشف لهم عن مفاسد المدنية ومخاطر المدنية الحديثة التى تفاقم شرها فى هذا العهد ، ويصور لحاضرهم تصويراً مرعباً مخيفاً على حقيقته الواقعية مرة بالكتابة وأخرى بالمحاضرات ، مبيناً لهم فى غضون ذلك سنن المؤمنين فى طاعتهم ومعصيتهم ومصيرهم فى الحالتين على اشرطة الخيالة (السينما) مرتقباً فى كل ذلك الفرص والظروف الملائمة

ونحن نعتقد مخلصين ان رجل الدين اذا بلغ حكم الله وأدى الرسالة التى ورثها عن الانبياء والرسل وصبر كما صبروا وساندته من خلفه جماعة قوية مخلصة وحكومة رشيدة عاملة وقامت بجانبه معاهد التربية والتعليم الدينى فى دور العلم ــ فان الامل فى اصلاح الحال يكون قوياً والرجاء عظيماً

محمود ابو العيون

عهد جديد للعلم والفلسفة

تغلب العلم على المذهب المادى

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

للمذهب المادى فلسفة لا علم، وفرق كبير بينهما. فالعلم يرود بوسائله مجاهل هذا الوجود الضخم، ويدون العلاقات الموجودة بين ظواهره منها، ويضم الأشياء الى نظائرها، ثم يبذل وسعه ليجد النواميس العاملة فى كل طائفة منها. وهو يحلل المواد ليعرف عناصرها الأولية. ولكنه يعترف بأن ما يسميه عناصر أولية قد تكون مركبة من عناصر أدق منها، لم تمكنه ذرائعه الناقصة من العثور عليها. ألم يكن العلم الى عصر لافوازييه فى القرن الثامن عشر يقرر بأن العالم المادى يقوم على أربعة عناصر، الهواء والماء والنار والتراب، فلما نبغ هذا الكيماوى فى تحليل الهواء الى عنصريه الأوكسيجين والأزوت امتنع علماء وقته عن التسليم بنتائجه التجريبية، إبقاء منهم على صرح العلم الذى قام على هذه العناصر الأربعة أن ينهار. فظل خمسا وعشرين سنة يدعوهم الى تجربة ما يدعيه فيأبون، حتى تغلبت عليهم الأحوال فجربوا اقتراحه فشاهدوا بأعينهم ما أثبته بأن الهواء مركب من عنصرين، وما كادوا يفعلون

ولعلك تسألنى: ماذا كان يسمى الناس غاز الأوكسيجين؟ فنجيبك: هكذا كانت الحال وأنت حر بعدها فإما أن تجمد على ما وصلت اليه العلوم فى عصر من العصور وإما أن تفتح ذهنك لتلقى كل اكتشاف جديد يتحقق فيه شرطا العلم من التحليل والتركيب، وركناه من المشاهدة والتجربة

هذا هو العلم. أما الفلسفة فهى جهاد من العقل وراء ادراك الحقيقة الكلية للوجود. وقد دخلت من عهد نشوئها الى اليوم فى أطوار كثيرة. فبعد أن كانت تعتمد على العقل وحده أصبحت اليوم تعتمد عليه وعلى العلم أيضا. ومن هذا الطريق وصلت الفلسفة التى وصفت نفسها بالطبيعية — وهى التى يعتمد عليها المذهب المادى — الى الحكم بأن الوجود مادة محضة، محكوم بنظام آلى لا يتخلف. وأن ما يسمى عقلا وروحاً وعواطف حالات راقية من المادة وليس لها وجود خاص تستمده من ينبوع سواها

ولكن العلم فى الخمسين سنة الأخيرة — عقب اكتشافات خطيرة فى قوى المادة الكامنة، وفى خصائص البروتوبلاسما، أى المادة الأولية للخلية، وفى الأحياء الميكروسكوبية، ومن احتمال وجود أدق منها مما شوهدت آثارها ولم يعثر على أشخاصها، ومن الأشعة المعتمة وما اليها — دخل فى

طور جديد من التشكك دفع باقطابه أن يضعوا يقينياته فى الميزان من جديد ، فنظروا فيها نظرات انتقادية لم يكونوا لينظروها من قبل . وتغيرت لهجة ممثليه فاصبحوا يكثرون من قولهم : ان الوجود مشحون بالمجاهيل حتى فيما ندعي اننا قد فرغنا من بحثـه . فالى القارىء كلمة قيمة فى هذا الباب لعالم من اشهر علماء الارض هو « جوستاف لوبون » أتى بها فى مقدمة كتابه « تحول المادة » قال :

« كان إذا اتفق ان فيلسوفاً من المنصرفين الى درس الموضوعات ذات الحدود المبهمة والنتائج غير المحققة — كعلم النفس والسياسة والتاريخ — قرأ منذ عدة سنين كتاباً فى العلم الطبيعى ، كان يدهش من وضوح التحديدات فيه ، ومن صحة البراهين وضبط التجارب ، إذ كان يرى كل ما فى ذلك الكتاب متسلسلا بعضه يشرح بعضاً بدقة ، وكان يرى أن بجانب كل ظاهرة طبيعية مهما بلغت من التركب تفسيراً يبين غامضها ويوضح مبهمها

« فاذا حمل حب الاطلاع هذا الفيلسوف نفسه على ان يبحث عن الاصول العامة لهذه العلوم المضبوطة الى هذا الحد ، كان لا يتمالك نفسه من التعجب من بساطتها المدهشة ، ومن عظمتها المهيبة ، فيجد فى قاعدة علم الكيمياء نظرية (الجوهر الفرد) الذى لا يقبل الانقسام . ويجد فى قاعدة علم الطبيعة (القوة) التى لا تتلاشى ، ويرى معادلات عقلية ولغتها التجربة والعقل المحض تشتمل فى نظريات صارمة اصاصر الاصلية الاربعة للاشياء وهى الزمن والفضاء والمادة والقوة ، ويعرف ان جميع الجواهر الموجودة — من الكوكب العظيم الدائر فى الفضاء بنواميسه الازلية الابدية ، الى ذرة الغبار الحقيرة التى يظهر أن الريح تدفعها اتفاقاً — تخضع كلها لنواميس سائدة عليها

« كان العالم يختال بهذا العلم الذى هو ثمرة جهود بذلت فى عدة قرون ، وكانت الوحدة والبساطة سائدتين بفضله فى كل مكان ، حتى إن بعض العقول المغرمة بالنظريات كانت تعتقد امكان تبسيط العلم أكثر مما هو عليه بعدم اعتبار شيء غير العلاقات الرياضية بين الظواهر الطبيعية . فان هذه الظواهر كانت تتراءى لهم كأنها مظاهر لموجود واحد وهو القوة . وكان يخيل لهم ان تكون بعض المعادلات الفرقية تكفى لتفسير جميع الحوادث التى تقع تحت المشاهدة . وكانوا يظنون أن الغرض الاول للعلم هو كشف نظريات جديدة تشير على العور كأنها نواميس عامة يجب أن تخضع لها الطبيعة

« فكان الفيلسوف المتقدم ذكره لا يسعه إلا الانحناء أمام هذه النتائج الفخمة ، معترفاً بأنه إن عدم اليقين فى البيئة الفلسفية التى هو فيها ، فمن الممكن الحصول على ذلك اليقين فى محل العلم المحض

« كيف يمكن أن يشك فى ذلك ؟ أما كان يرى أن أكثر العلماء كانوا من الوثوق ببراهينهم بحيث لا تتطرق أخف الشكوك اليهم ؟ وانهم بتسلطهم على التيار المتحول للاشياء ، وعلى فوضى الآراء المتغيرة والمتناقضة ، يسكنون هذا الجو الصافى من الاطلاق الذى تتلاشى فيه جميع الشكوك وتغرق فيه أنوار الحقيقة النقية الآخذة بالابصار ؟ . . .

« دامت هذه العقيدة فى المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها الى أن حدثت فى الايام الاخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على الفكر العلمى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه الى الابد . فان الصرح العلمى ـ الذى كان لا يرى صدعه الا عدد قليل من اهل العقول العالية ـ تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت المتناقضات والمستحيلات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تكاد تبلغها الظنون

« أدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين . وأسرعوا يتساءلون : هل الاصول التى كانت مؤلفة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضاً واهية ، تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور ؟ فحدث إذ ذاك فى المقررات العلمية مثلما حدث قبل ذلك فى العقائد الدينية عندما شرعوا يناقشونها الحساب . فكان دور الانحطاط ثم تلاه دور الزوال والنسيان

« لا مشاحة فى أن الاصول التى كان العلم يحتفل بها احتفالا لم تزل كل الزوال أمداً طويلا فى نظر الدهماء كحقائق مقررة . وستستمر الكتب الابتدائية على نشرها . ولكنها قد فقدت ما كان لها من الاجلال فى نظر العلماء الحقيقيين

« تلك المكتشفات التى وجدت من عهد قريب قد تشعبت المذاهب من نتائجها حتى بدأت تعرضها الكتب الحديثة . وبذلك دخل العلم نفسه فى دور من الفوضى كانوا يظنون أنه قد سلم منه الى الابد . وأصبحنا نرى اصولا كان يحتمى بها دعامة رياضية عتيقة صارت موضوعا للنزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها والدفاع عنها . وقد صدرت كتب على مثال الكتاب القيم المسمى « العلم والافتراض » لهنرى بوانكاريه تأتينا ببراهين على ما نقول فى كل صفحة من صفحاته . ولقد أرانا هذا الرياضى المشهور أننا نعيش وسط الافتراضات والاتفاقات حتى فى مجال العلوم الرياضية

« وقد بين لنا زميل كبير له فى مجمع العلماء ـ وهو العالم الرياضى « اميل بيكار » فى بعض مؤلفاته ـ مقدار تداعى الاصول الحالية لعلم الميكانيكا ، وهو العلم الاساسى الذى يتطاول الى تصور النواميس العامة للكون . فاليك ما قاله فى هذا الموضوع : « فى آخر القرن الثامن عشر كانت أصول علم الميكانيكا تظهر فوق متناول كل نقد . وكانت أعمال مؤسسى هذا العلم تؤلف كتلة ظن الناس أنها تكافح الزمان . ولكن بعد ذلك الحين أخذ التحليل العلمى الدقيق يبحث القواعد التى يقوم عليها هذا البناء بمساعدة الزجاجات المكبرة . وقد أفضى ذلك إلى أننا نصادف الآن عقبات صعبة التذليل حيث كان لا يتخيل أمثال العالمين (لاجرانج) و (لابلاس) إلا بسائط وبديهيات . ولقد شعر كل من تكلفوا تعليم بدايات الميكانيكا بعد قليل من التروى بمبلغ تداعى اصولها التقليدية إذا أريد عرضها على الناظرين »

« وقد أبدى الاستاذ (ماتيو) فى كتاب علم الميكانيكا الذى نشره حديثاً رأيا من هذا القبيل

فقال: «إن الاصول الميكانيكية التي تظهر أبسط الاصول هي في الواقع من طبيعة تعتبر غاية في التركيب، فانها أسست على تجارب لم تتحقق ولا يمكن تحقيقها. وعليه فلا يمكن بأية وسيلة من الوسائل أن نعتبركلها حقائق مثبتة»

«إننا نملك الآن ثلاثة مذاهب لعلم الميكانيكا يصم كل منها الآخر بالبطلان. فاذا لم يكن واحد منها يستحق هذا الوصف فيمكن أن نعتبر جميعهـا ناقصة المتانة. ولا يمكن أن نعطيها إلا قليلا من التفسيرات المقبولة عن حوادث الكون»

«وقد كتب المسيو (لوسيان بوانكاريه) من جهة يقول: «إنه لا توجد لدينا نظريات كبيرة الآن يمكن قبولها قبولا تاماً، ويجمع عليها المجربون إجماعاً عاماً، بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى. وقد اتسع المجال للاحتمالات الممكنة. ولم يظهر أن ناموساً من النواميس يعتبر ضرورياً ضرورة مطلقة. فنحن نشهد في هذه الآونة أعمالا هي بالهدم أشبه منها باقامة بناء نهائي. فالآراء التي كانت تظهر لمن سبقنا كأنها تأسست تأسيساً ثابتاً صارت اليوم لدينا موضوعاً للمناقشة. وقد رفض اليوم على وجه عام الرأي القائل بأن كل الظواهر الطبيعية تقبل تفسيرات ميكانيكية، فان أصول علم الميكانيكا نفسها صارت متشكوكا فيها. وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة بصحة بعض النواميس التي اعتبرت أساسية إلى اليوم» انتهى كلام الاستاذ لوسيان بوانكاريه. ثم ختم العلامة الاستاذ (جوستاف لوبون) مقدمته بهذه الكلمات:

«من حسن الحظ أنه لا شيء أحسن ملاءمة لترقي العلم من هذه الفوضى، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها، والحجاب الذي يحجب عنا مجموعاً عظيماً من الأشياء نصله أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي، فلا يمكن عمل خطوة للامام إلا بعد تفكك عرى الآراء السابقة. والاشد خطراً على تقدم العقل الانساني هو تقديم الظنيات للقراء لابسة حلل الحقائق المقررة على نحو ماتعمله كتب التعليم، والتطاول لوضع تخوم للعلم ورسم حدود لما يمكن معرفته كما كان يود ذلك (اجوست كومت)». انتهى

وقال العلامة الجليل الاستاذ (شارل ريشيه) المدرس بجامعة الطب البارزية والعضو بمجمع العلماء الفرنسي من مقدمة كتبها لكتاب «الظواهر النفسية» للدكتور ماكسويل قال:

«ماذا لا نصرح بصوت جهوري بأن كل هذا العلم الذي نفتخر به إلى هذا الحد ليس في حقيقته إلا إدراكاً لظواهر الاشياء. وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا. والطبيعة الصحيحة للنواميس التي تقود المادة الحية والجامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا. مثال ذلك أننا إذا ألقينا حجراً في الهواء نراه يسقط إلى الارض. فلماذا سقط؟ يجيب (نوتن) سقط بجذب الارض إياه جذباً مناسباً لكتلته ولمسافته التي سقط منها. ولكن ما هو هذا الناموس ان لم يكن مجرد تحصيل

حاصل ، والا فهل فهم أحد تلك الشبيبة الجاذبة التى تجعل الحجر يسقط على الارض ؟ ان ظاهرة سقوط حجر على الارض من الشيوع بحيث لا تدهشنا ، ولكن الواقع أنه لا يوجد عقل انسانى يفهم ذلك . ان هذه الظاهرة عادية وعامة ومقبولة ، ولكنها غير مفهومة ككل ظواهر الطبيعة بغير استثناء (تأمل)

« ونرى البيضة تلقح فتصبح جنيناً . ورأينا نصف أدوار هذه الظاهرة ونحن بين مخطئين ومصيبين ، ولكن هل فهمنا وعياً عن وصفنا الدقيق لها سر ذلك التحول الذى يحدث فى البروتوبلاسم الخلوية فيقلبها الى كائن حى عظيم ؟ وبأى معجزة تحدث تلك التجزؤات ؟ ولماذا تجمع تلك التحببات هنالك ؟ ولماذا تتهادم هنالك لتعيد تكونها فى مكان آخر ؟

« اننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى حولنا ولا نفهم سر واحدة منها فهماً يليق بدرجته ، حتى إن أكثرها سذاجة لا يزال سراً من الاسرار المحجوبة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد الايدروجين بالاوكسيجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا الاتحاد ، وهو يفضى الى ابطال خواص الجسمين المتحدين وايجاد جسم ثالث مخالف للاولين كل المخالفة ؟ ان العلماء لم يتفقوا للآن حتى على حقيقة الجوهر الفرد الذى يوصف بأنه غير قابل للوزن وهو مع ذلك يصير قابلا له متى اجتمع عدد كبير منه

« فالاولى بالعالم الحق أن يكون متواضعاً وجريئاً فى آن واحد ، متواضعاً لان علومنا ضئيلة وجريئاً لان مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه »

وقال العلامة الكبير (وليم كروكس) من أعضاء مجمع العلوم الملكى الانجليزى من خطبة له وقد أسندت اليه رئاسة هذا المجمع كما ورد فى صفحة ٨ من مجموع خطبه :

« من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى مباحثى النفسية وذللت طرق اكتشافاتى الطبيعية — وكانت تلك الاكتشافات أحيانا غير منتظرة — فقد من بين تلك الصفات عندى اعتقادى الراسخ بجهلى . وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا الى الاهمال الكلى لجانب عظيم من رأس مالهم العلمى المزعوم ، لانهم يرون أن رأس مالهم هذا وهمى محض »

وقال الاستاذ الجليل والفيلسوف الطائر الصيت (هربرت سبنسر) فى كتابه « الاصول الاولية » صفحة ٢٤٧

قال بعد أن سرد الاصول التى يحاول بها فهم الوجود :

« أى وظيفة تؤديها هذه الاصول فى تكوين هذا الفهم ؟ هل يستطيع واحد منها أن يعطينا وحده فكرة عن هذا الوجود ، أعنى عن مجموع ظواهر الموجود الذى لا يستطاع ادراكه ؟ واذا اعتبرناها مجتمعة فهل تستطيع أن تعطى فكرة تساوى جلالة هذا الوجود ؟ واذا رتبت وجعلت

مذهبا فهل تستطيع أن تكون لنا هذه الفكرة المرجوة ؟ ليس لنا على كل هذه المسائل الا جواب واحد وهو : لا .

فاذا ان المذهب المادي يستمد وجوده من الفلسفة الطبيعية ، فهل سلمت هي الاخرى من النقد ؟ وهل لا يزال يصدع بها عمالها في أعلى بقاع الارض ؟ ليس لنا في الجواب على هذا السؤال الا استشهاد أحد كبار ممثليها ، وهو العلامة (أمبريه كريسون) مدرس الفلسفة في جامعة ليون في كتابه « قواعد الفلسفة الطبيعية » فقد قال في صفحة ١٧٠ منه :

« العلم لا يعطينا عن الوجود في جملته إلا معارف مبهمة لمدية . فانا لا نعلم العدد الحقيقي للنجوم ولا للكواكب التي تحيط بالشموس البعيدة . فابتداء فرض واحالة حده على تركيب مجموع الكون لا يمكن أن يكون الا تحكما . فالفلاسفة الطبيعيون المتحفظون يرفضون أن يبنوا من النظريات ما يمكن ان يسمى بالقصة الخيالية للسماء ، فهم لذلك يفضلون القيام على أرض ثابتة اقرب الى روح العلم

الى ان قال :

« ما هي الفلسفة الطبيعية اليوم في الواقع ان لم تكن [illegible] فوق متناول العلم ؟ هل يقتصر الطبيعي على قول ما يعرفه ؟ وهل يمتنع عن الحكم على الاشياء التي يجهلها ؟ لا ، فان مذهبه يكبر ويمتد لانه في كل خطوة من خطواته يعمل اكثر مما يعمل عنده . [illegible] يؤكد لك تصريحا أو تلميحا بأنه سيحل مسائل لم يحلها العلم ، [illegible] فيه من ناحية معينة . أحقق الكيميائيون التركيب الحيوي واثبتوا امكان التولد الذاتي ؟ أفسر أحد منهم [illegible] ؟ [illegible] صحت اصول فلسفة النشوء والارتقاء كلها ، وترجحت على كل [illegible] ؟ أقامت نظرية [illegible] على حالة نهائية ؟ أتفق العلماء على جميع المسائل التي يبحثونها ؟ أصار مما لا جدال فيه ان جميع ما في الوجود خاضع لنظام محدد لا يتغير ؟ ألا يوجد عالم الطلاق تتخلف فيه النواميس في ناحية اخرى ؟

« يستطيع العالم المدقق أن يجيب على هذه الاسئلة بانه ربما كانت له عن هذه المسائل عقائد مؤسسة على المرجحات ، ولكنه لا يستطيع ان يبت فيها بالقول الفصل الذي يتطلبه العلم . ومع ذلك فالفيلسوف الطبيعي يتكلف هذا التحفظ ويبني مذاهب وهو هادئ البال ، لعل من يعتقد ان الاستكشافات المقبلة لن تكذبه !

الى ان قال :

« فالذي يعتبر نتائج الفلسفة الطبيعية لا يجوز له ان ينسى ان هذه النتائج لم تثبت ثبوتا مطلقا ، ولا يمكن ان تصل الى هذه الدرجة ابداً . فهي تفوق جهد العلم البشري بما لا يقدر ، ولا يمكن ان تعتنقها بدون التسليم بهذا الفرض الخطير وهو : ان الشيء الذي لا يستطيع عقلنا ان يحلله فيه هو مظهر الحقيقة الواقعة . فلنقل بايجاز ان الفلسفة الطبيعية ملأى بعقائد غير مثبتة ولا تقبل الاثبات » انتهى

نقول فماذا بقى للمذهب المادى من مصدر علمى يستمد منه وجوده بعد أن أعلنت الفلسفة الطبيعية بلسانها أنها غير قائمة على أساس يقيني ؟ وليت الأمر قد وقف بها عند هذا الحد ، فإن كبار الماديين المعاصرين قد صرحوا على رءوس الاشهاد بأن مذهبهم قد تصدع الى حد أنه لا بد له من ادخال عنصر روحانى فى بنائه ليستطيع أن يقوم كمذهب يأخذ على عاتقه تفسير قيام الكون بنفسه ، ومتى سمح بقبول هذا العنصر الروحانى فيه استحال الى فلسفة روحانية ، وأصبح ضربة قاضية على الفكرة الالحادية التى انتدب المذهب المادى لنشرها بين الناس

قال الفيلسوف (جيو) فى كتابه « عدم التدين فى المستقبل » فى طبعته السادسة وهو كما ترى من ألد أعداء الاديان :

« ان الافتراض الذى مؤداه إن الجوهر الفرد لا يقبل الانقسام ولا التجزؤ يعتبر من الناحية الفلسفية من الآراء العتيقة . فقد اثبت طومسون وهلمولتز أن الجواهر الفردة زوبعات متشابهة التركيب مكونة من الاثير (كحلقات الدخان ودورات الأمواج مثلا) . فمثلا ان كل حلقة زوبعية منها تتألف من جزيئات واحدة ولا يمكن فصل جزء منها عن سائرها ، فكل منها والحالة هذه شخصية ثابتة

« اذا وسع المذهب المادى بحث عنه ولا بد ان يتجاوز الى العنصر الهام بدلا من ان يفترضه مادة صماء . قال الفيلسوف سبنسر : « كل جيل من النجوم يكشف فى المادة المسماة صماء قوى ما كان يحلم بوجودها أعلم علماء الطبيعة فى قرون خلت منذ سنين معدودة » . فإنا لما رأينا اجساما جامدة تحس رغما عن جمودها الظاهر بتأثير قوى لا يحصى عددها ، ولما اكتشف لنا التحليل الطيفى (السبكترسكوب) بأن الذرات الارضية تتحرك بالاتفاق مع الذرات الموجودة فى الكواكب ، ولما اضطررنا الى ان نستنتج من ذلك ان ذبذبات لا يحصى لها عدد تخترق الفضاء فى كل وجهة وتحركه ـ لما رأينا ذلك كله وجب علينا ان ندرك كما يقول سبنسر (ان الوجود ليس يتألف من مادة ميتة ، ولكنه وجود حى فى كل ناحية من نواحيه ، حى بأعم معنى هذه الكلمة ان لم يكن بأخص معانيها) . . .

« الاصلاح الثانى الذى يحتاج اليه المذهب المادى ـ لكى يفى بحاجة البحث عن العلل الاولية ـ هو أن يفترض أن للمادة مع الحياة جرثومة روحانية . ولما كانت هذه المادة الاولية هى عبارة عن قوة صالحة للحياة والفكر معاً فليس هذا ما يفهم عقليا بل ولا علميا من معنى المادة ، فضلا عما يفهم من معنى الايدروجين (الذى يظن البعض انه المادة الاولية) . فالمادى البحت الذى يلمس بيديه كرة الدنيا معتمدا على الحاسة الغليظة وهى حاسة اللمس يصيح قائلا : الكل مادة . ولكن المادة نفسها تستحيل فى نظره الى قوة . والقوة ليست الا صورة أولية من صور الحياة . وعلى هذا يستحيل المذهب المادى الى مذهب روحانى . ونجده مضطراً امام الكرة الارضية الدائرة لأن يقول إنها حية

واد ذلك يتدخل شخص ثالث يضرب هذه الكرة برجله كما فعل « غاليليه » ويقول : نعم هي قوة » هي حركة ، هي حياة . نقول ومع ذلك فهي أيضاً شيء آخر لانها تفكر فيّ وتدرك ذاتها بي »

ثم قال :

« اذا كان المذهب المادي الذي يدعى انه علمي محض لا يقبل ان الطبيعة تعطي بقدر ما يدرك العقل ، واذا انكر وجود الفكر والطبيعة معا ، كان بذلك منكرا انطباق الطبيعة على أحكام العقل وهو الاصل الذي تعتمد عليه كل فلسفة تدعى لها علمية محضة »

ثم قال :

« أما عوضا عن ان نحاول ادماج المادة في العقل والعقل في المادة يجب ان نشير الاثنين معا في هذا التركيب وهو الحياة ، وهذا التركيب اضطر العلم نفسه في تنزهه عن الغرض - سواء أكان أدبيا أم دينيا - للاعتراف به . فالعلم يوسع كل يوم دائرة الحياة حتى صار لا يوجد خط انفصال ثابت بين العالم العضوي والعالم غير العضوي » . انتهى

لا مشاحة بعد هذا في أن العلم نفسه قد أتى على المذهب المادي من أساسه الذي يقوم عليه ، واذا اضفت الى هذا فتوحات علمية أخرى وفق إليها العلم نفسه في مجال المباحث النفسية ، ادركت أن دولة ذلك المذهب قد دالت ، وان عهداً جديداً قد بدأ يظهر تتحقق فيه حاجة العقل وحاجة الروح على أسلوب علمي محض ، فيزول التزاحم المتقدم بينهما ، ويولد يقين ويزول بزواله مذهب سمم العقول والقلوب آماداً طويلة ، وكاد يدفع الناس الى اباحة حيوانية لا يعرف غير الله مدى كانت تجنيه عليهم

وان اليوم الذي يعلن فيه العلم ان الاصل الروحاني ضروري لنشاء مذهب يحل معضلات الكون لهو أجل يوم في تاريخ العقل البشري ، وأول عهد الانسانية بمدنية فاضلة تصل بها الى ما لا يتخيله التصور من الجلال والكمال

محمد فريد وجدي

مدنية العقل ومدنية الخيال

انى ارى خيال الشرق
يطل على العالم من جديد

بقلم الاستاذ ميخائيل نعيمه

الشرق اليوم ضعيف
لكنما الغرب اضعف

فى الغرب مدنيات لا مدنية ، لكنها تنضوى كلها تحت لواء واحد هو العقل . والعقل هو المصباح الذى تسكب فيه الحواس زيوت اختباراتها . فعلى قدر ما تكون تلك الاختبارات غزيرة أو شحيحة يكون مصباح العقل نيراً أو ضئيلا . إلا انه — نيراً كان أم ضئيلا — لا هداية فيه لمن يطلب الوصول الى ضمير المحسوسات

وفى الشرق مدنيات لا مدنية ، لكنها تسير كلها خلف حاد واحد هو الخيال . والخيال هو الشمس التى تنير فى طرفة عين ما ليس تنيره ربوات من المصابيح فى ربوات من السنين . أو هو السلم السحرى الذى نرقى به من المحسوس فينا الى غير المحسوس . والعقل درجة من درجاته

انا ما قلت ان مدنية الغرب هى مدنية العقل [illegible] على انها [illegible] من الخيال بل ان عقلها يسوق مركبة خيالها . وكذلك عندما نعت المدنية الشرقية بمدنية الخيال لا اعنى انها طاهرة من العقل بل ان خيالها يقود عقلها

منذ المقابلة التى جرت بين الحية وحواء فى جنة عدن والخيال والعقل يتنازعان قيادة البشرية . فقد كان من ذلك الحديث [illegible] الكلام [illegible] الذى دار بين ام الانسانية وشيطانها ، ان استيقظ الاله الهاجع فى حواء . فادركت ان سر الالوهية فى المعرفة — معرفة الخير والشر — وبعين خيالها رأت نفسها ورفيقها آدم إلهين مثيلين ليهوه . ولو أنها وقفت عند ذلك الحد لكان لها ما تخيلته ولكانت وآدم الهين قابضين على كل اسرار الوجود . غير أنها ما نبه الاله فيها — وهو خيالها — حتى نبه معه الانسان وهو عقلها . والعقل الذى يستمد كل نوره من الحواس الخارجية يستحيل عليه ان يسلم بوجود شىء إلا اذا خبره بواسطتها . لذلك مد يده الى الثمرة ليتلمس فيها الله بيديه ويتأمله بعينيه ويتذوقه بلسانه ويسحقه بأسنانه ويهضمه فى معدته . وإذ ان الله لا يبصر ولا يلمس ولا يؤكل ولا يهضم ، لم يحصل العقل من اختباره على شىء إلا على ذاته . لقد شاء أن يلمس السطوة القصوى فلم يلمس سوى الوجع الاقصى ، وان يبصر المعرفة الوهاجة فلم يبصر سوى الجهل الدامس ، وان يتذوق حلاوة الخلود فلم يتذوق إلا مرارة الموت . لقد شاء أن يجد الله فى الانسان فلم يجد سوى الانسان فى الله ، وان يعرف بالماء عدم الفناء فلم يعرف سوى الفناء

عندما أكل الانسان الله أكل الموت الانسان ، لانه حاول ان يحصر خياله الذى لا يحد فى

حظيرة عقله المحدود، فكان كالضفدع تنتفخ لتزدرد الثور فتنفجر ويبقى الثور حياً، وكالشمعة تحاول أن تحصر في فتيلها نور الشمس فتذوب وتظل الشمس شمساً ويبقى الانسان ميتاً بعقله، حياً بخياله إلى ان يذعن العقل للخيال. غير ان العقل عنيد لأنه جاهل، وليس «يؤمن» بالخيال فينقاد اليه إلا متى صار الخيال «معقولاً» أي محسوساً. ما أشبهه من هذا القبيل بتلاميذ الناصري الذي كان يحدثهم عن أبيه السماوي فيقولون له: «أرنا الآب» وعن «ملكوت الله» فيتآمرون فيمن سيكون الوزير الاول فيه! . بل ما أشبه العقل بذلك التلميذ توما الذي أخبره رفاقه غير مرة عن قيامة معلمهم فظل يجيبهم: «ان لم أعاين أثر المسامير في يديه . . . وأضع يدي في جنبه لا أومن» وما أجمل ما قاله له يسوع: «لأنك رأيتني يا توما آمنت! طوبى للذين لم يروا وآمنوا».

لقد بلغ من عناد العقل وجهالته أنه أصبح يسخر من الخيال فيدعوه وهماً ويدعو كل ما ليس «ينطبق على العقل» خرافة، مع أنك لو تفقدت أمنع الحصون التي يلجأ اليها العقل لوجدتها قائمة على الخيال، وأمنع حصونه هي علومه الرياضية. فأنت لو سألت أحد الرياضيين ان يحدد لك «الواحد» الذي تبدأ وتنتهي به كل الرياضيات لأجابك أن لا وجود له الا في خيالك. ولو سألت عالماً في الهندسة ان يدلك على «النقطة» التي تتكون منها الخطوط، ومن الخطوط المقاييس الثلاثة التي نعرفها حتى الآن — الطول والعرض والعمق — لأجابك أن لا وجود لها الا في خيالك

ولئن مدد العقل بصره بالميكروسكوبات والتلسكوبات فظل ضريراً عن كل ما لا تبصره عين الخيال. ولئن عزز سمعه بالتلفون والراديو فهو أصم عن أن يسمع بأذن التلفون والراديو ما ليس تسمعه الا أذن الخيال. ولئن شد الى جنبيه أجنحة من ريح يظل مقعداً وقاصراً عن ارتياد آفاق الوجود التي يرتادها الخيال بلحظة

يجهل العقل مسالك الخيال فينفر منه. ويعرف الخيال سبل العقل، فيعطف عليه ويماشيه ليقوده اليه. لذلك «يتجسد» الخيال كيما يجعل من جسده عبارة للعقل. فما المكونة بكل ما فيها من محسوس سوى أجساد مختلفة للخيال الواحد، وان شئت فقل هي رموز ذلك الخيال. وما القصد منها الا مساعدة العقل على التخلص من ذاته. فان هو أحسن قراءة الرموز صار خيالاً وتغلب على الموت والانحلال. وان هو أساء قراءتها فاتخذ الرمز بديلاً من المرموز اليه بقي في قبضة الألم والفناء، لأن الرموز تتحول وتتبدل. أما الذي ترمز اليه فواحد لا يتغير ولا يتحول

لو كان لنا ان نستفتي الناس كلهم في أيهما أفضل: العقل أم الخيال؟ لوجدناهم شرقاً وغرباً — ما خلا أفراداً قلائل — ينتصرون للاول دون الثاني. لانهم — بقطع النظر عن أجناسهم وطبقاتهم — لا يزالون مقيدين بحواسهم. فهم يفهمون أو يحسبون أنهم يفهمون «الحجر» ولكنك لو قلت لهم إن الحجر خيال تجمد وإنهم لن يعرفوه حتى يعرفوا خياله، لظنوك تكلمهم بالطلاسم والأحاجي.

وهم يعرفون — أو يعتقدون أنهم يعرفون — الله لأنهم حصروه إنساناً على صورتهم ومثالهم . الا انك عندما تقول لهم ان الله خيال مجرد مطلق وانه تجسد فيهم لينتشي بهم اليه ، يفغرون أفواههم ويحملقون بعيونهم كبدوي في الصحراء تسأله ان يحدد لك مبدأ النسبية

لقد تسلق الشرق بخياله ذرى شاهقة أطل منها على الحياة بمجموعها لا بأجزائها ، فرآها جبلة بكاملها كاملة بجملتها . ورآها روحاً أو خيالا واحداً لا يتجزأ ولا ينقسم . فعلى طور سينا سمع ذلك الخيال يقول له ان لا حقيقة إلاه : « أنا هو الرب الهك . . . لا يكن لك اله غيرى » ونهاه عن الاستسلام للعقل الذى لا « يؤمن » الا بالمحسوسات : « لا تصنع لك تمثالا ولا صورة ما » وفى « الاوبانيشاد » الهندية ، لا سيما فى تلك المحاورة الطويلة التى تدور بين الامير « ارجونا » والاله « كريشنا » والتى تعرف باسم « البهاجفاد جيتا » (الجيم مصرية) تلمح أعلى قمة أدركها الخيال اذ رأى الحياة ذاتاً واحدة لا كيان لذات أخرى الا فيها ولا وصول لانسان اليها الا بنكران ذاته الحسية المنفردة — وهى عقله — والاعتصام بذاته الكلية الشاملة — وهى خياله — مثل تلك القمة تلمحها فى كرازة بوذا عن « الذات المنعمة » و « نرفانا » وفيما تبقى من حوليات لاوتسو فى عالم « الطاو » و « التيه » . وفى بشارة يسوع « بالآب » و « الملكوت » . وفى شهادة محمد أن « لا اله الا الله » . وفيما اتصل بنا من آثار آشور وبابل . وفى ذلك السفر الغريب المعروف « بكتاب الاموات » الذى انتشله العقل الغربى المنقب — [illegible] — من بين أنقاض المدنية المصرية . وفى الاهرام وأبى الهول ، وكلها رموز لخيال مصرى فى [illegible] ([illegible]) أو ما ترى الاهرام تنتهى كلها « مستدقة » فى الفضاء ؟ هى رمز الخيال الانسانى . وفى قاعدتها هى النفس وحواسه المؤدية الى الخيال . أم لا ترى أن الهول ونصفه الاول حيوان — أو العقل وحواسه — ينتهى برأس انسان ذى خيال ؟ فما بالك تستعظم فكرة جاءك بها فى الزمان الاخير رجل غربى اسمه داروين وتنسى أبا الهول ؟

فى ظلال تلك القمم واخواتها الاصغر منها — التى ادركها عدد كبير من الانبياء الثانويين — عاش الشرق اجيالا طويلة . فكان اذا تطلع اليها بعين عقله رآها صماً ، أو بعين خياله ابصرها شموساً ملتهبة . غير أنه — سواء تطلع اليها بعين عقله ام بعين خياله — كان يشعر ابداً بهيبتها وجلالها . فاذا ما نسج ثوباً أو حاك طنفسة او جبل ابريقاً من طين او نقش رسماً على لوحة او فى حجر أو نظم قصيدة أو بنى معبداً أو نظم ملكاً ودرب جيشاً — تسرب شعوره هذا إلى كل اعماله . فكان — من حيث لا يدرى — يعبد خياله بعقله . ومن حيث لا يدرى كان يجر خياله من شاهق علوه لينزل به الى مستوى عقله . والخيال لا يعبد الا بالخيال . وهكذا اختلط عليه امره . وأصبحت عبادته مزيجاً غريباً من عبادة البطن والروح ومجموعة من التقاليد والطقوس والرموز المتحجرة التى يتلهى بها العقل عن الخيال . فانت لا تكاد تمر بحى من مدينة شرقية فخمة حتى تسمع اسم الله الف مرة —

باسم الله وحق الله وإكراماً لوجه الله الخ — الا انك لو فتشت عن الله في الذين يتدهظون باسمه لوجدته اما كلمة على شفاههم او فلساً في جيوبهم أو لقمة في بطونهم

لقد ضاع الشرق ما بين عقله وخياله فاصبح من السهل على الغرب المنصرف الى عقله دون خياله ان يسطو عليه فيستعمره ويستغله ويمتهنه . لكنه لا يستطيع أن يستعمر أو يستغل أو يمتهن من غير عقله . اما خياله فلا ولن يصل اليه لا بتلسكوبه، ولا بطيارته ولا بمدرعاته . ولا بدباباته . لعمري لو قلت اليوم لبوذه : « اننا يا غوتاما قد اخترعنا آلة نطير بها الى قمة افرست » فاذا عساه يقول لك ؟ انه ليجيبك : « ما شأني وشأن آلتك هذه ؟ فانا قد طرت الى قمة الحياة — الى النرفانا — بجناحين ليسا من خشب ولا من حديد . ولا محرك لها الا خيالي » أو لو قلت ليسوع : « اننا يا ابن مريم قد اكتشفنا أشعة نبصر بنورها موضع الداء في داخل الجسم البشري فنداويه » لأجابك : « ما لي ولأشعتكم هذه ؟ فانا ابصر الداء وأداويه بأشعة غير منظورة — هي أشعة خيالي » أو لو قلت لمحمد : « ها نحن يا رسول الله نتكلم اليوم في دمشق فيسمعنا في الحال بالراديو من هم في مكة » ، وما كان مجيبك . « وما انا فاسمع باذن خيالي صوت جبريل من غير راديو . وفي صوته أسمع صوت الله . وفي صوت الله كل أصوات الحياة » ؟

لا تعرف المدنية الغربية من أي الطرق الا طرقاً ذللته حتى كتفيه . اما رأسه الخامل سحر الخيال ومقدرة الوصول إلى الله فيكاد لا يعلم منه شيء على الاطلاق . بل هي تنكره على أي الحول الا متى توصلت اليه بالعقل وبراهينه . وني لأشفق على أي هول لو هو عرض على الغرب قبل ان يعطيه الشرق رأسه . ترى أي شكل من الرموس كان يلبسه الغرب ؟ بل كم كان يبدل له من رموس بين يوم وآخر حسبما تقتضي « فحوصه واستقصاءاته وبراهينه العلمية » ؟ ولعله بعد جهود طويلة مضنية كان يبني عليه برأس ثعلب ! وقل مثل ذلك في ثور اشور وجناحيه

جل ما فعلته المدنية الغربية حتى اليوم — مثل كل ما سبقها من مدنيات عقلية — هو أنها وسعت نطاق المحسوسات . وبذلك اكثرت من شهوات الجسد وحاجاته الى حد أن الحصول عليها أصبح مقتلة للروح والجسد معاً . فهي ما أكثرت خيرات الأرض حتى اكثرت البطون الفارغة منها باكثار البطون المتخمة بها . وهي ما اطالت متوسط العمر سنة حتى اطالت شقاءه سنين . ولا قربت المسافات بين تخوم الامم فرسخاً حتى ابعدت بين قلوبها فراسخ . ولا نشرت العلم حتى نشرت الجهل . لانها في كل ما تعلم لا تستخدم الا العقل الذي لا يعلم وليس بامكانه ان يعلم . وهي ما عززت الفنون الا لتجعل ما فيها من روح مطية لما فيها من مادة . ولا قصرت ساعات العمل حتى مددت ساعات الطيش والرذيلة والفحشاء . فلا عجب أن يكون لها في كل يوم ازمة اقتصادية ، أو مشكل سياسي ، أو صدمة تسيل فيها دماؤها وتمزق لحومها وتتقطع أمعاؤها

قال لي احد الادباء الشرقيين وقد سمعني أبسط مثل هذه الافكار : « ان قناعة الشرق بخياله قد اوصلته الى ماهو فيه اليوم من فقر وضعف وعبودية . اما الغرب الذي لا يعرف القناعة معنى فقوي وغني . وهو زاحف علينا بسياراته وطياراته ودباباته ، وبمدارسه وموارسه ومشاربه ، وبزيته الباقي وسمه الباقي وحريره الباقي ، وبعيون « كوابه » المكحلة واحضانهن العارية . وبمواعد مصارعه ونبصت ملاكمه . واخشى — ان نمشت افكارك في الشرق — ألا يبقى هنالك من شرق » . وأنا اعيد هنا ماقلته لذلك الاديب : —

الفقير من اشتهى الغنى ولم تكن له المقدرة على الوصول اليه . والغني من توافرت له المقدرة دون الشهوة . أما الفقير المدقع هو من توافرت له الشهوة والمقدرة دون الخيال الذي يميت الشهوة واوجاعها ويستخدم المقدرة للوصول الى ما هو ابقى من الغنى . الشرق اليوم فقير . اما الغرب فمدقع

والضعيف من اعتقد أن بامكانه نيل حق بالقوة ولم تكن له القوة . والقوي من توافرت له القوة ومعها الخيال العارف بان الحق لا يؤخذ ولا يرد بالسيف . لذاك يترفع عن امتشاق السيف . أما الضعيف الضعيف من كانت له القوة دون المعرفة بأن الحق لا ارض له يكسر بالفأس ويجبر بالمدفع . الشرق اليوم ضعيف . لكنما الغرب اضعف

والعبد من انقاد لمشيئة غيره مشيئته ولا قوة له على ردها . والحر من اذا استسلم لمشيئة جعلها مشيئته . أما عبد العبد هو سيد عبد . الشرق اليوم عبد . أما الغرب فعبد العبد

ان مقاومتك العقل بالعقل كضربك الصخر بالصخر — الاثنان يتحطمان ان لم يكن اليوم فغداً . أما مقاومتك العقل بالخيال فكمقاومة السيف بالهواء — يتكرر به الضرب ويصدأ السيف ويبقى الهواء طليقاً لا جرح في صدره ولا خوف في قلبه ولا انة بين شفتيه

ستغمر امواج المدنية الغربية وجه المعمور شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً . لكنها عندما تبلغ اقدام قمم الخيال الشرقي ستنقف عليها غاضبة ثم يائسة ثم نادمة ثم تقبلها مستغفرة وترتد عنها وقد تكسرت في زبدها أشعة الجمال الملتهب فوقها

اني أرى خيال الشرق يطل على العالم من جديد . والذي سيحمل مشعاله نبي عزيمة الارض في رجليه وقوة السماء في ساعديه وبهاء الحق في ناظريه ووداعة المعرفة في لسانه وحلاوة المحبة في قلبه

وسيمشي هذا النبي بين الناس شرقاً وغرباً فيتبعه بعض من هم أشد تعلقاً بالعقل ومحسوساته ، ويهرب منه الكثير ممن يحسبون انفسهم في رأس ابي الهول وهم ما يزالون في ذنبه

وسيحمل هذا النبي قلبه على كفه طعاماً لكل جائع . فيأكلون منه في الغرب ويتسممون ، ويتناولون منه في الشرق ويحيون . ولن يصلب

ميخائيل نعيمه

المجددون بين امس واليوم

بقلم الاستاذ احمد امين

> الشرق الآن في مفترق الطرق في كل شأن من شؤون الحياة : في اللغة ، في الادب ، في نظام الاسرة ، في نظام المجتمع ، في السياسة ، في الاقتصاد . وهو في كل شيء من ذلك في اشد الحاجة الى هداة مصلحين مجددين ، وظيفتهم وضع الاساس في هذا الموقف الحرج ، وفي يدهم انتشال الجيل الحاضر ، ووضع الحجر الاول للجيل القادم

كل الدلائل عندي تدل على أن العالم سائر الى الامام دائماً . قد ترقى أمة ثم تنحط وتصبح أمسها خيراً من يومها . وقد تنحط بعض الاخلاق وتكون في الماضي خيراً منها في الحاضر ، ولكن العالم — ككل — في رقي أبداً ويومه خير من أمسه دائماً وغده خير من يومه على كل حال

وللعالم قوانين في الرقي يخضع لها كقوانين الطبيعة وان كانت اكثر تعقداً وأشد غموضاً وأدق في الاستكشاف . ولكنها قوانين ثابتة تخضع لها كل الامم وتمر في أدوارها

من هذه القوانين التي لها مساس بموضوعنا ان الامة في كل شأن من شؤونها الاجتماعية تمر بأدوار ثلاثة : فهي في أول أمرها صغيرة بدوية ، محكومة بنوع من الابوية . ثم تنتقل من ذلك الى دور تتحكم فيه بالخيالات والاوهام وتسود فيه الفوضى والاضطراب . وبعد ذلك تدخل في دور تميل فيه الى تنظيم ما هي فيه من فوضى بحكم العقل مسترشدة في ذلك بتجاربها الماضية وأخطائها السابقة. ويمكن تطبيق هذه الادوار على كل مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية كالاسرة والسياسة والاقتصاد

وليست تنتقل الامة من دور من هذه الادوار الى دور آخر الا بمجهود شاق وفي عصور طويلة ومنازعات قاسية تؤدي غالباً الى دماء تسفك وأرواح تزهق وحرب عوان بين القديم والجديد ، ونزعات لبقاء القديم على قدمه ونزعات للأخذ بالجديد والانتفاع به

ولكل دور مصلحون ومجددون ميزتهم أنهم ابعد نظراً من أهل عصرهم واكثر شعورا واحساساً بضرر ما عليه قومهم وأشد تطلعاً لان يحل الصالح الذي يرونه محل الفاسد الذي يعيش الناس فيه

يبدأ المصلحون أو المجددون بدعوتهم وهم يدعونها — عادة — بحججهم وبراهينهم فيتصدى لهم أنصار القديم وهم عادة من المحافظين . وهؤلاء المحافظون يتبعهم العامة لانهم عادوا ما ألفوا . وكثيراً ما يتمكن المرض من الجسم حتى يعسر البرء منه وحتى يصبح المرض هو المألوف وحتى لا يفكر المريض في طريق علاجه بل لا يشعر بانه مرض

ويلتف حول المصلح أو المجدد قوم أكثر ما يكونون من الشباب لأن المرض لم يتمكن من نفوسهم ولأنهم – عادة – ينظرون الى الامام والى المستقبل كما ينظر الشيوخ الى الوراء والى الماضى . ويكون أنصار القديم وأنصار الجديد جيشين متحاربين بالحجج والبراهين أحيانا وبالدسائس والمكايد أحياناً بل وبالسيف أحياناً

وقد يبدأ المصلح برأيه فى هدوء ورزانة ولكنه يرى مهاجمة عنيفة فيضطره ذلك الى العنف أيضاً ويتحمس لفكرته ورأيه ويخرجه عن هدوئه الى وضع خطط يصدم بها عزة الجامدين . وكثيراً ما يضطره ذلك الى الغلو فى رأيه والافراط فى مطالبه

كثيرا ما يضطهد أصحاب الرأى الجديد ويرمون فى عقلهم ودينهم وتسفه أحلامهم ولكنهم يكسبون من اضطهادهم كما يكسبون من صبرهم ولا يزال رأيهم يفشو وأتباعهم يزدادون حتى يكون هو الرأى السائد وهو المألوف وهو الذى عليه الناس ويستمر العمل به الى أن يظهر رأى جديد آخر يحاربه ويحل محله

هذا تاريخ الجديد والقديم منذ خلق الله الانسان وهذا قانونه لا يتغير – حدث فى الماضى ويحدث بيننا الآن وسيحدث فى المستقبل

* * *

ويظهر أن الاصلاح كان أكثر ما يكون دينياً ثم كان أكثر ما يكون سياسياً ثم صار أكثر ما يكون اجتماعياً واقتصادياً . وسبب ذلك أن الاصلاح يتبع حياة الناس وتفكيرهم فاذا ساد الدين فى قوم رأيت أكثر دعاة الاصلاح يأتون باصلاحهم من ناحية الدين ، فاذا انغمسوا فى السياسة وشؤونها كان دعاة الاصلاح من السياسيين غالباً ، حتى اذا استقرت الشؤون السياسية نوعا ما رأيت الاصلاح يتجه الى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بل رأيتها هى التى تسير السياسة وتحدد اتجاهها

وهذا ما حدث فى الشرق فقد كان أكثر المصلحين أو كلهم رجال دين اذ كان الدين هو السائد ، باسمه تصدر الاحكام وبه تنظم شؤون الدولة وبه يعيش الناس فى بيوتهم ومعاملاتهم . والسلطة الدينية هى التى تسير ذلك كله . فكان طبيعياً أن يأتى المصلحون دينيين . وظل هذا الى عهد قريب حتى جاءت موجة السياسة وعمت نزعة الوطنية فرأيت دعاة الاصلاح سياسيين لا يأتون باصلاحهم من ناحية الدين ولكن من ناحية الوطن وتنظيم الشؤون السياسية وما اليها

وأظن أن الدور الثالث لم يعمر الشرق بعد وهو دور الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى فليس منه إلا نصيب ضئيل . وسبب ذلك أن سياسته لم تستقر بعد حتى يبنى عليها الاصلاح الاجتماعى . ولست أعنى أن كل دور من هذه الادوار يقتصر فيه الاصلاح على ناحية خاصة وأنه فى دور الاصلاح الدينى – مثلا – لا يكون هناك اصلاح سياسى ولا اقتصادى . وإنما أعنى أن كل دور فيه

احدى هذه النزعات هي المظهر الواضح والاتجاه البين وان كان في كل دور توجد النزعات الثلاث على اختلاف في أقواها وأوضحها وأشملها

☆☆☆

والمجددون في الشرق الآن أدق موقفاً وأحرج مركزاً وأشد عناء من أمثالهم في الغرب . وذلك يرجع الى اسباب :

(١) أن الحرية لم تستقر بعد في الشرق استقرارها في الغرب فليس لكل فرد أن يقول ما يعتقد ويدعو الى نوع الاصلاح الذي يرى من غير أن يتعرض لكثير من المقت والمحاربة — ولست أعني محاربة الرأي ودحض الحجة بالحجة فذلك حسن ولا بد منه ، وهو في الغرب على خير ما يكون ، ولكن أعني المحاربة فيما وراء رأيه وليس يستقبل قوله ورأيه بنوع من السماحة وليس يعد مجتهداً بذل جهده حتى وصل الى رأي قد يخطيء فيه أو يصيب ، ولكنه يقابل بكثير من المجابهة والعنف . وهذا ما يدعو كثيراً من ذوي الآراء القيمة أن يخفوا آراءهم في انفسهم وأن يحتقنوها في أدمغتهم وإذا صرحوا بها فلجماعة تصدمهم وليس كل ذي رأي مستطيعاً أن يجهر برأيه ويتحمل ما وراء ذلك من تضحية

(٢) أن مهمة المصلح في الشرق أشق وأصعب لأن دعوته الى التجديد والاصلاح يجب أن تسبق بدراستين عميقتين كل العمق : دراسة المسألة التي يتعرض لها من ناحية شرقيته وتاريخ أمته وعقليتها وقابليتها وأثر الاصلاح فيها ومداه فيها ، ودراسة نشأته في الغرب وكيف نشأت وتطورت وأثرت ، ذلك أن للشرق تاريخاً خاصاً يخالف تاريخ الغرب وله كذلك عقلية ومدنية قديمة وأنماط في الحياة تخالف ما للغرب — وقد بدأ الشرق بنته وإنما الغرب قد قطع في تقدمه أشواطاً . ولكن الغرب نما نمواً طبيعياً وكان نموه داخلياً من نفسه فحاول قوم من المصلحين غير الناصحين أن يأتوا للشرق بكثير مما للغرب فكان نموا خارجياً لا من نفسه وكان أثر ذلك مشوهاً في بعض الاحيان . فالمصلح الشرقي — حقاً — هو من يفتح احدى عينيه على أمته وماضيها ويفتح الاخرى على ما للغرب وتاريخه ثم يتخير وينتخب ويعدل ثم يدعو دعوته الى الاصلاح

(٣) ومما يجعل الاصلاح في الشرق عسيراً أن الحياة فيه أكثر تعقداً وليس هناك بين افراده وحدة مشتركة . ولنضرب لذلك مثلا — التفكير بين افراده ، فمنهم جامد في منتهى الجمود وآراؤه في منتهى الانحطاط ، ومنهم حر في منتهى الحرية وآراؤه في منتهى التقدم . نعم قد يكون ذلك في كل أمة ولكنه في الشرق أبين منه في الغرب لان الثقافة العامة في الغرب أوجدت وحدة ما بين افراد الامة . فهناك قدر مشترك من القراءة والكتابة وقدر مشترك من العلوم الطبيعية ان لم يتلقها في المدرسة تلقاها في البيت أو في الشارع أو في الاحاديث العامة أو في الصحافة السهلة أو نحو ذلك .

وهذا قد جعل الفروق بين أفراد الامة الواحدة في الغرب أقل منها في الشرق . وقس على ذلك سائر الشؤون الاجتماعية — فطعام الاسرة الفقيرة في المأكل والمشرب والمعيشة لا يختلف كثيرا في الغرب عن طعام الاسرة الغنية فيه ، نعم يختلف في أنواع الصحاف ونوع المأكول والمشروب ولكن الاساس في كل متقارب ، وعلى العكس من ذلك في الشرق . والامثلة على ذلك كثيرة . وهذا يجعل مهمة المصلح شاقة اذ حيث توجد وحدة مابين الافراد يسهل توجيهها وحيث لا وحدة يصعب الاصلاح

☆ ☆ ☆

وعمل المجددين يختلف باختلاف الامم ويتنوع بتنوع موقفها . وكلما كثرت المدنية تعقدت الحياة وتركبت واحتاجت في كل لون من الوانها الى الاصلاح . وهذا هو موقف الشرق اليوم ــ كانت حياته قبل اليوم بسيطة ساذجة فكان المصلحون يكادون يكونون من واد واحد ، وتكاد تعد المجددين سلسلة واحدة متصلة الحلقات أعلمهم مصلح ديني أو داع الى رقي خلقي من ناحية المدنية . أما اليوم فكثرت مشاكله وتعددت الوانه واختلفت مناحيه فصارت كل ناحية تتطلب مصلحا بل مصلحين ، وكان شأن الاصلاح شأن الصنائع والعلوم . قد كان العالم عالماً بكل شيء ولكل شيء . وكانت الفلسفة طباً وطبيعة وكيمياء ورياضة وماوراء المادة . وكان الطبيب طبيب كل شيء — طبيب عيون وآذان وأمراض باطنية للرجال والنساء والأطفال . ثم سار العلم في التخصص فصار العالم لا عالم طبيعة فقط بل عالم للمغناطيسية فقط وصار الطبيب طبيب عيون فقط بل جزء من العيون وهو سائر إلى تخصص التخصص . وكان طبيعيا أن يجرى هذا القانون على الاصلاح والمصلحين والتجديد والمجددين لان المصلح لا يكون مصلحا حقاً حتى يتخصص في مادته بل في فرعه بل في جزء من الفرع ، ويتمه بحثا وتحقيقاً حتى يدرك عيوبه ويتطلب اصلاحها . من اجل هذا تنوع الاصلاح وتعددت نواحيه فكان عندنا مصلحون في الادب ومصلحون في السياسة ومصلحون في الدين ومصلحون في الاجتماع . واذا تقدم الشرق تقدم التخصص تقدم التخصص في الاصلاح ، فلا ترى مصلحاً في الادب على العموم وانما ترى مصلحا في الشعر ومصلحاً في النثر ، كما أنك سوف لا ترى مصلحاً اجتماعياً على الاطلاق وانما سترى مصلحاً للاطفال في المعامل ومصلحاً لماء الشرب في القرى ومصلحاً يدعو الى النظافة ومصلحاً لحفظ الارجل ومصلحاً لحفظ الرأس ، وسترى كل مصلح يعكف على موضوعه يدرسه من جميع نواحيه حتى يكون فيه حجة فاذا تكلم تكلم عن علم واسع وخبرة تامة وتكلم عن إيمان صادق وخصص حياته لموضوعه ووسائل الدعوة اليه ورسم خطة السير فيه حتى يصل الى غرضه

☆ ☆ ☆

ولعل الشرق الآن أحوج الى دعاة الاصلاح منه في أي زمان . ذلك لانه بدأ ينتبه بعد سبات عميق ويفتح عينه بعد أن طال العهد باغماضها وشعر بآلامه وقصوره وضعفه ونقصه . والشعور

بالنقص بعد الكمال — بدأ ينتبه فرأى له ماضياً من تاريخ وحضارة ، وهذا الماضي منه الجيد ومنه الرديء ، منه ما يصلح لزمنه ومنه ما لا يصلح ومنه ما يصلح بعد تعديل وتحوير . ورأى نفسه أمام مدنية غربية معقدة ملتوية منها السم الناقع ، ومنها الترياق النافع ، منها ما ينفع الغرب لأنه يلتئم مع تاريخه وماضيه وعقليته ودرجته في الحضارة . ولا ينفع الشرقي لأنه لا يلتئم مع تاريخه وماضيه وعقليته ودينه ، منها ما يمكن الشرقي أن ينتفع به كما هو ومنها ما لا ينفع إلا بضرب من التعديل والتغيير يختلف كثرة وقلة

والشرق الآن في مفترق الطرق في كل شأن من شؤون الحياة — في اللغة ، في الأدب ، في نظام الأسرة ، في نظام المجتمع ، في السياسة ، في الاقتصاد . وهو في كل شيء من ذلك في أشد الحاجة إلى هداة مصلحين مجددين وظيفتهم وضع الأساس في هذا الوقت الحرج وفي يدهم انتشال الجيل الحاضر ووضع الحجر الأول للجيل القادم . والنجاح في وضع الأساس لا تقدر قيمته للأجيال المستقبلة . والخيبة فيه سيئة الوقع بعيدة الأثر لا يعلم مدى ضررها إلا الله . وليس يتسنى لهم ذلك النجاح إلا بما أشرت إليه قبل من تخصص بجزئية من جزئيات الإصلاح ودراسة عميقة للمسألة التي يتعرض لها ومعرفة دقيقة بتاريخها في أمته وبحث مفصل لحالها في المدنية الغربية وما أدخلوه فيها من إصلاح وتقدير صحيح لصلاحية ما عند الغرب للشرق أو عدم صلاحيته . وهو منصب عسير لا يصل إليه إلا الخاصة ، وقليل ما هم . وهم في كل عصر لا يسمح الزمن بهم إلا بقدر — هم كالملكة في مملكة النحل ، يمتازون بعقلهم وقوة نفوسهم وصبرهم على احتمال المشاق . لا يعبأون بمال ولا يعبأون بعذاب ولا يعبأون في الوجود إلا بتحقيق ما يدعون له . هو كل أملهم وهو مصدر سرورهم ، هاموا به هياما واستعذبوا العذاب في سبيله وآمنوا به إيمانا وصل إلى أعماق نفوسهم وسويداء قلوبهم

☆ ☆ ☆

ومما ألاحظه — مع الأسف — أن عصرنا هذا مع كثرة متعلميه لم يحظ بزعماء مجددين يتناسبون في رقيهم مع رقي الأوساط وأن الجيل الماضي — حتى الماضي القريب — مع جهله وقلة العلم فيه حظي من الزعماء بما لم نحظ به — كان الأستاذان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده دعاة إصلاح ديني فلما فقدا لم نر منهما عوضاً . وكان قاسم أمين مصلحاً اجتماعياً لم نجد له فيما بيننا خلفاً . وقبلهم كان رفاعة رافع ومدرسته في الترجمة والتأليف ومتابعة النهضة الأوربية لم نعوض إلى اليوم . بل بالأمس القريب مات شاعرا الشرق حافظ وشوقي فظل مكانهما خاليا . وكان الظن أن انتشار التعليم واتساع أفقه واختلاف مناحيه يمنحنا قادة ومجددين أرقى ممن قبلهم تكون نسبتهم إلى جمهرة متعلمينا كنسبة السابقين إلى جمهرة متعلميهم ، فضاع الأمل وخاب الظن

لقد أبديت هذه الملاحظة لأستاذ لي أدرك أكثر من ستين من الزعماء وخالطهم وأخذ

عنهم ، فلم يسلم لي بها وقال : «إن أكثر من سميت كانوا زعماء لزمنهم وإن القدم أسبل عليهم كثيرا من العظمة والإكبار ، وإن عصرنا مليء بمن هم أعلم منهم وأقدر على الإصلاح ، وإن الأيام غطت أخطاءهم وأبقت محاسنهم وأعظمتها ، وإنهم لو كانوا في زمننا هذا لقل شأنهم بجانب عظمائنا وقادة الرأي والعلم والأدب فينا» .

لم أقنع بهذا الرأي كثيراً ، فربما كان صحيحاً أن فينا من هم أكثر منهم علماً وأصح رأياً ، وربما كان صحيحاً أنهم لو كانوا بيننا الآن لعددنا آراءهم اليوم عادية مألوفة ، وهكذا الشأن في كل الزعماء ، فقوانين نيوتن في الجذب يعرفها وأكثر منها تلاميذ المدارس اليوم ، ولكن دعواي التي لا أزال أراها صوابا أن ليس لنا قادة اليوم يتناسبون مع رقينا وليس لنا مجددون في الدين والأدب والعلم والاجتماع كالذي يتطلبه موقفنا . وليس العلم والنضج وحده كافيين لتكوين الزعامة في التجديد ، فقد يكون من الحق أن فينا علماء في كل فرع من فروع الحياة وإن لم يبلغوا المدى الذي نطلب ، ولكن الزعامة تتطلب فوق ذلك حماسة في الدعوة تنتج عن إخلاص تام وإيمان صادق وتتطلب رجلا يهب حياته لفكرته .

لعل السبب فيما أذهب من ملاحظة أن التعليم عندنا في الأزهر ونحوه كان فوضى وكان شاقا متعباً لا يستطيع أن يحصل [illegible] ، وكان من ينبغ من هذه الفوضى إنما ينبغ بعد جهد واعتماد على النفس [illegible] وهذا [illegible] أمره [illegible] للزعامة والقيادة . أما التعليم اليوم فممهد [illegible] وحددت مراحله . وهذا كله يسهل [illegible] ويكثر عدد [illegible] متعلمون نصف تعليم أو ربع تعليم ، أما المتعلمون تعليما كاملا فوطنهم الجامعات وما تهيئه من نضج وما تلقي من أشعة على طلبتها وعلى ما حولها وما تعلم من طريق بحث وجد في عمل ورغبة صادقة في العلم . ونحن إلى الآن قريبو عهد بجامعة لم نألف منهجها ولم نتذوق طعمها ولم نتشرب روحها . ويوم يكون ذلك يكون المصلحون والمجددون

أحمد أمين

مزايا الادب البليغ

للاستاذ أنيس الخوري المقدسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت

> ان الفن الادبي لا يقوم على التلاعب بضروب الكلام، بل على ما نراه في الكاتب من خيال مرح، وفكر منير، وعاطفة صادقة مجلوة لنا في أفضل العبارات

مهما كان اعجابنا ببلاغة نعظم من شأن السلف القول بأن نظرهم الى الادب مقاييس البلاغة عندهم غير الى الماضي وراجع أيا شئت فهل تجد عادة إلا احكاما المفردات أو التراكيب وما البيان والبديع ؟ . وكل ذلك في خصائص الأدب . على

القدماء ومهما حاولنا أن الصالح ، فلا محيص لنا عن يختلف عن نظرنا وان مقاييسها عندنا . ارجع قليلا من كتب البلاغة أو النقد مقررة لما يجب أن تكون يجب أن نزلل به من حلل حس لا يستغنى عنه باحث أن الادب الحقيقي شيء

غير اداته - هو جوهر [illegible] معاني (عاطفة أو فكر أو خيال) يتجلى لنا في حلل الالفاظ والتراكيب . والفرق بين النظر القديم والنظر الحديث أن الأول ينصرف الى أساليب التعبير في الأدب دون خصائصه الذاتية . ومن هنا ما نراه في الجرجاني والباقلاني والسكاكي وابن الاثير والعسكري وسائر النقادين من التوافر على نقد الالفاظ والجمل وحصر البلاغة في الصناعة البيانية . ولا يغرنك ما قد تشاهده من ظواهر التجدد في العصر العباسي وما يذهب اليه بعض النقدة من المغالاة في وصف أدب المترسلين ، فانك لن تجد في ذلك على العموم ما نفهمه نحن اليوم من النظر الى الحياة أو الطبيعة نظراً يتناولها بالوصف والتحليل أو يبرز لنا منهما صورة الوحي والجمال

ان الادب القديم قد انصرف الى الشخص ومقدرته على التعبير اللغوي وأهمل ما تقدمه له الطبيعة والحياة على انواعها من مواضيع هي اليوم متجه الأدب الحديث . نعم ان للمقدرة على التعبير أهميتها الكبرى وان الادب العالي لا ينفصل عن حسن الأداء ، ولكن ذلك لا ينفي أن مادة الأدب غير اداته . ومن الخطأ حسباننا أن الفرق بين القديم والحديث قائم على ضعف الأسلوب أو متانته ، ففي كليهما تجد الضعيف وفي كليهما تجد المتين . وانما الفرق في ان ما يعتبره الأول غاية يعتبره الثاني وسيلة الى غاية ، فتراه لذلك أوسع نظراً في الكون وأدق إحساساً بخفايا الالهام

ومن أحب أن يطلع على آراء الأقدمين فى الأداة الكلامية فليراجع اقوالهم فى كتب البلاغة ، وحبذا لو اتسع المقام لاثباتها هنا . وانى اشهد انهم قد بلغوا فى ذلك من الاتقان ما لم يبلغه سواهم وتركوا لنا من دقيق مباحثهم ما يضعهم بحق فى مراتب الأئمة . على انى سأحاول فى هذا البحث الوجيز ان أحلل مزايا الادب البليغ متمماً آراء احدث النقاد . وسأحصر الكلام الآن فى نوعين من خصائصه الفنية مرجئاً البحث فى سواهما الى فرصة أخرى

أركان الفن الادبي

للفن الأدبي أربعة أركان هي : العاطفة والخيال والفكر والاسلوب . ويراد بالعاطفة تلك القوة الداخلية التى تؤثر فى نفوسنا فتثيرها . على انه ليس كل ما يثير النفس داخلا فى باب الأدب الحقيقى . ألا ترى أن بعض الشعراء والخطباء يعرفون اميال العامة فيتلاعبون بشعورهم إذ يضربون على أوتارهم الحساسة ببعض الفاظ تروقهم كالوطنية والمجد الحربى والحرية وحقوق الشعب واللغة القومية ؟ فاذا جردت كلامهم من مثل تلك الالفاظ لم يبق فيه ما يصح أن نسميه أدبا . وانما غايتهم استهواء الجمهور لكسب استحسانهم ، فاذا زالت دوبة الاستهواء طويت اقوالهم وأدرجت لساعتها فى مدارج الاهمال . أما العاطفة التى يمتاز بها الادب البليغ فلها روعة فنية قائمة على مزايا راهنة أهمها الصدق والاتقاد والثبات والسمو

ولننظر فى كل من هذه المزايا لنتحقق ماهيتها ومبلغ البلاغة فيها :

الصدق

وذلك أن يكون للعاطفة أساس حقيقى . فلماذا نكره التشابيه الباردة والأوصاف التافهة والمبالغات المتكلفة ؟ لان صاحبها يتكلف عرض عواطف مزيفة . يحاول أن يثير فى نفوسنا ما لا يشعر به حقيقة فتتمرد طباعنا عليه وتنفر نفوسنا من أدبه . الأدب البليغ لا يقوم على الوهم أو الكذب كما قد يتوهم البعض . خذ الغزل فى أدبنا العربى مثلا ـ فنه الصادق الذى يمس القلوب ويرتفع الى ذروات الجمال كقول ابن زريق فى قصيدته التى مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

ففى هذه القصيدة من البلاغة الأدبية (أى صدق العاطفة) ما كان وسيبقى مؤثراً فى النفوس مثيرا لخوالج الحب والحنان . ومثلها فى أدبنا كثير ، ومنه ما هو متصنع كأكثر المقدمات الغزلية التى كان الشعراء يصطنعونها تمهيداً لمدائحهم . وإنك لقد تجد فى هذه المقدمات من الفن اللفظى والبيانى ما يذكره لهم علماء اللغة والأدب ، ولكنك لاتجد عادة فيها العاطفة التى تحرك عواطفك . فهى على جمالها احياناً رسوم لا حياة فيها وليس جمالها عند التحقيق بشىء من الأدب العالى . تناول ما شئت من غزل البحترى أو أبى تمام أو المتنبى واضرابهم فانظر فيه وقابله بغزل المحبين

كجميل والعباس بن الاحنف وابن زريق وابن زيدون وسواهم فيتضح لك ما نحن بصدده . وعلى سبيل المثال ننقل لك هذه القطعة الغزلية من شعر البحتري - وهو من المعروفين برقة الكلام وجماله - قال في احدى مدائحه للمتوكل :

قل للسحاب اذا حدته الشمال   وسرى بليل ركبه المتحمل
عرج على حلب مغنى عليه   مأنوسة فيها لعلوة منزل
لغريرة أدنو وتبعد في الهوى   وأجود بالود المصون وتبخل
ومليحة الالحاظ ناعمة الصبا   غرى الوشاة بها ولج العذل
احنو اليك وفي فؤادي لوعة   واصد عنك ووجه ودي مقبل
وأعز ثم أذل ذلة عاشق   والحب فيه تعزز وتذلل

فأنت ترى فيها كلاماً في الحب كل ما يقال فيه انه حسن الرصف والوصف ولكنه خال من العاطفة التي تمس القلب وتهزه إذ تثير فيه شعور المحبين واختباراتهم . وأين هذا الغزل المتكلف من قول ابن زيدون :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبينكم أيامنا فغدت   سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا   ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية   قطوفها فجنينا منه ماشينا

فهنا تلمس شعوراً صادقاً - نفثات محب أثاره الشوق الى حبيب ملك فؤاده فجرى شعره بشعوره وكان منه هذا الكلام الرقيق يتلألأ بنور الشباب رغم الكدر ويفيض ببهجة الحب رغم الألم

ومثل الغزل الرثاء ، فمنه ما هو صنعة كلامية جميلة لا يشعر القارىء فيه بصلة روحية بين الراثي والمرثي ومنه ما يخرج من قلب مسه الحزن وعرف قهر الفقد فكان صادقاً في التعبير عن حس صاحبه . وكذلك قل في كل ماله علاقة بحياة الفرد والمجموع - في المديح والفخر والوصف - في الوطنية والمكارم الانسانية ومجالي الحياة العمرانية . فالادب الحقيقي عاطفة صادقة . والناقد البصير من يستطيع التمييز بينها وبين العاطفة المزيفة التي قد يخدع بها غير الأديب

الانتقاد

قد تجد شاعراً أو ناثراً جميل التأمل ولكنه لا يستطيع ان يحمل سواه على التأثر بجمال تأملاته . وذلك لان عواطفه على صدقها لم تبلغ من الانتقاد درجة عالية . وهذا الانتقاد قد يتوقف

على نوع الموضوع الموحى . على أن ذلك لا يبنى عليه حكم ، فان من المواضيع ما هو بطبيعته ناري تتلهب فيه العواطف كالوطنية أو الحب او الحزن او البطولة ، ومنها ما هو هادئ يكثر فيه التفكير والتروي كالتأملات الفلسفية والوقفات التاريخية والنظرات العمرانية . والاديب البليغ هو الذي يستطيع ان يثير رغبة القارئ في اي موضوع يتناوله لا لصدق عاطفته فقط ولكن لشدة تأثره به ولانصراف نفسه الى ما في موضوعه من جمال خلاب . ولقد يختلف الادباء في ذلك فترى لشاعر من الاتقاد ما لا تراه لسواه . واذا دققت النظر وجدت ذلك راجعاً بالاكثر الى ما ذكرنا من طبيعته الشعرية ومبلغ تأثره او اقتناعه بما يعرضه على الجمهور . قابل « يسوع ابن الانسان» لجبران «بحياة يسوع» لرنان . فبينا ترى رنان يصور حياة المسيح تصوير المؤرخ ـ وبالتالي يحاول ان يبسط التاريخ بسطاً أدبياً يقبله العقل ، ترى جبران ينظر الى تلك الحياة نظرة شعرية ـ نظرة تخترق حجب التاريخ لكي تصل الى قضية ابن الانسان . وانما دفع جبران الى ذلك شغف بشخصية المسيح ـ شغف اوقد عواطفه فجاء كلامه موقداً لشعور القارئ . فالفرق بين مسيح رنان ومسيح جبران ان الأول يصوره مفكر كبير ، يحاول ان يجمع فيه بين العلم والأدب ، والثاني يصوره شاعر كبير ، يفيض عاطفة ، فتظهر تأججها بين سطوره . وعلى ذلك نقابل رسالة الغفران للمعري بالرواية الالهية لدانتي ـ كلتاهما لشاعر كبير ، ولكن الشاعر في الاولى يقف موقف المحدث ثم يحملك الى الجنة والى الجحيم ويعرض عليك مشاهدهما ، ولكنه يفعل ذلك دون ان تشعر بانتفاض في نفسه او اضطراب في مخيلته ـ دون ان ترى نفسه تتأجج بما يملأها من ايمان او شك ـ يحدثك عن أدباء العرب ويريك مصيرهم ويسير بك في منعطفات الآخرة فترى غرائب وعجائب ، ولكنك لا تشعر بعاطفة الشاعر الذي يحدثك ولا ترى في أقواله الا نادراً من يوقد نيران صدرك . وأنى له ذلك وهو منصرف عن تصور الحياة ومصيرها الى ذكر نكات لغوية يعلق بها غفران الله لاصحابها . وأما دانتي فمع جريه مجرى المعري في الآخرة يشحذ قوة الخيال بك فيصور لك عاقبة الايام ويرسم لك طريقه الخاصة رسوماً ناطقة بخوالج نفسه ، مشرقة بانوار ايمانه ، متقدة بنيران حياته

وهذا هو الفرق بين الرحلتين الالهيتين ـ الأولى على جمالها ودقة صاحبها خالية من الاتقاد العاطفي الذي يميز الثانية ويضعها في أعلى طبقة من روائع الاجيال

النشاط

لكل كاتب أو شاعر أوقات تهبط فيها عواطفه من الأفق الرائع الى المبتذل التافه . وقد أدرك نقاد العرب هذا النقص ، ولذلك عابوا على أبي نواس قوله :

جن على جن وان كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالابر

فهو فى الشطر الاول يصف الفرسان بالمهارة والثبات حتى كأنهم الجن على خيولهم . وفى ذلك - إذا اعتبرنا نظر العرب إلى الجن - مافيه من روعة وعظمة ، ولكن الشاعر فى الشطر الثانى هبط إلى تشبيه تافه فذهب بروعة الكلام وانقلب عليه القصد من الوصف . ومثل ذلك عيبهم لمن رثى المتوكل بقوله : « مات الخليفة أيها الثقلان » قالوا جيد ، نعى الخليفة الى الجن والانس فى نصف بيت ، ثم قال : « فكأنني أفطرت فى رمضان » فضحكوا منه . وما ذلك إلا لانقطاع العاطفة وعدم استوائها فى النشاط . على انه لا يراد بنشاط العاطفة ان تجرى على وتيرة واحدة تملها النفس فان ذلك مغاير لأصول البلاغة

وقد تناول ذلك الاستاذ ضومط فى كتابه فلسفة البلاغة فقال : « ان على الكاتب التحول فى كتابته والانتقال من صورة إلى صورة فى سائر ما يأخذ به من ضروب الهيئات الكلامية ، فتشاكل العاطفة (أو استمرارها على وتيرة واحدة) كهبوطها مضعف للبلاغة . وعلى الكاتب حفظا لنشاط النفس ان ينهى حتى تستجم النفس قواها وتستطيع بعدها ان تتابع الكلام وتبقى على تأثرها منه إلى النهاية » وهذا التشاكل الممل فى الادب قد يكون فى الاسلوب كأن يستخدم الكاتب لغرضه السجع أو البديع فيطيل فيه ويفتر النفس عليه . وقد يكون فى المعنى كما يفعل بعض الروائيين فى الوصف فيسهبون ذاتب. يطيلون فى وصفهم بضع صفحات فيشعر القارىء من جراء ذلك بفتور فى عزيمته - أو كما كان يفعل بعض الشعراء الاقدمين فى الوقوف على غرض لهم كوصف الفرس أو الناقة أو الخيل فيطيلون حتى تضعف العاطفة فتتراخى او تموت

فنشاط العاطفة اذن معنى شيئين : جودة الغرض الادبى والتعمق فى توجيه نفس القارىء اليه . ولا شك فى ان ذلك اهون فى الشعر الغنائى او الوجدانى منه فى سواه . وسببه قصر القصائد الغنائية وعدم ارتباطها بغاية واحدة . على اننا عند التحرى نرى الملاحم المطبعة قد استطاع ناظموها أن يحافظوا على جمال العواطف فيها محافظة قد لا تراها فى كثير من القصائد الغنائية . وهذه الملاحم صعبة المرتقى لا يعرف قيمتها الادبية إلا الذين عرفوا معنى الادب الحقيقى

السمو

هل فى الادب سام وسافل ؟ سؤال يختلف فيه الناس . فبعضهم يرى السمو فى كل عاطفة فيه مهما كان مصدرها ، وعلى ذلك يجعلون لأهل المجون والعبث مكاناً فى الادب البليغ . ويخالفهم البعض الآخر فيفرقون بين العواطف السامية والعواطف السافلة ، ويريدون بالاولى تلك التى تصدر عن نزعات الطبيعة الانسانية الشريفة كالشجاعة والتضحية والصبر والكرم ، أو عن مقتضيات العمران كالاخاء والحرية والتعاون والصداقة والحب ، وبالثانية تلك التى تنشأ عن الاهواء البهيمية الهدامة كالجشع والتعدى والشهوة والنهم والبخل وما شاكل . ولا يتسع المقام

للخوض فى هذه المسألة وتبيان حقيقتها . ومما لا ريب فيه ان البلاغة درجات وان البلاغة العليا متصلة أبداً بتلك الرزانة العليا التى تسمو بالنفس الى أعالى الوجود والتى تجمل الحياة وتساعد الانسان وتدفعه فى سبيل النشوء الى غاياته العليا

الخيال فى الادب

للخيال فى الأدب مقام خاص إذ هو يتعلق بما يثير العاطفة ويذكيها فى النفوس . نقرأ فى جريدة خبر طوفان حدث فى الصين مثلا وأن ألوفاً أصبحوا بلا مأوى فلا تتحرك لذلك كثيراً لأن الخبر الذى قرأناه لم يرسم أمام أعيننا رسما نشاهده أو نحس به ، فى حين أنا إذا قرأنا رواية موضوعة شعرنا بميل خاص إلى بطلها وأصبحت نفوسنا تتأثر بكل ما يصيبه . وما ذلك إلا لأن الكاتب استطاع بحسن تخيله أن يؤثر فى مخيلتنا وتمكن بطريقته الاخاذة من أن يسوقنا إلى محبة بطله والاهتمام به . وليس الفرق بين الخبر البسيط نمر به فى جريدة يومية وبين قصة تروى لنا بأسلوب أدبى شائق إلا فرقاً بين كاتبيهما فى درجة التخيل . ولايضاح المراد من الخيال الأدبى نعرضه فى ثلاثة أنواع :

١ ـ الخيال المبدع

وهو الذى يتناول المركبات وصورها بشكل لم يسبق اليه . وقد تناول ذلك ابن الاثير فى المثل السائر ، وسماه المعنى المخترع من غير شاهد حال وجاء منه بعدة أمثلة فليرجع الباحث اليها . واجتزىء منها بالمثل الآتى وهو من قول ابن بقى الاندلسى :

بأبى غزالا غازلته مقلتى   بين العذيب وبين شطى بارق
حتى إذا مالت به سنة الكرى   زحزحته شيئاً وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه   كى لاينام على وساد خافق

والشاهد فى البيت الأخير ، والجمال فيه تخيل الشاعر صدر المحب وساداً مضطرباً لخفقان القلب تحته وأنه ظناً لراحة الحبيب النائم أبعد رأسه عن ذلك الوساد الخافق (برغم ما فى نفسه من شديد الشوق اليه)

والذى يفهم من كلام ابن الاثير وسائر نقاد العرب أن الابداع منحصر فى الكلام المجازى من تشبيه واستعارة ، وكل أمثلتهم من هذا القبيل ، ولا يزال شعراء البلدان العربية حتى هذا اليوم ينزعون الى ذلك

على أن الخيال المبدع قد يتناول أيضاً ما هو أهم من ذلك ، أعنى موضوع الكلام والسبيل التى يسلكها اليه . وبذلك نحكم اليوم على الملاحم الشعرية من عروبية أوقصصية وعلى المصنفات النثرية من روايات أو رسائل أو سواها ، بل بذلك تتفوق طيها وتتكشف لنا أسرارها . خذ

مثلا «رسالة الغفران» للمعرى واسأل نفسك لماذا أجعلها فى مصاف الآداب الخالدة برغم ما فيها من تكلف لفظى ووهن فى العاطفة . فاذا تحريت ذلك وجدت الجواب أن فيها خيالا يتجلى فى تصور الشاعر النعيم والجحيم ومن يسكنهما من رجال الادب وما كان لبعض أقوالهم من تأثير فى إقامتهم هناك . وقس على ذلك كثيراً من الملاحم وكتب الادب . وبينا ترى العرب قد تقدموا كثيراً فى إبداع المعانى المجازية (التشبيه والاستعارة) ترى أدباء الافرنج قد أصابوا إلى ذلك الابداع فى المواضيع والاساليب . وليس عليك إلا أن تطالع دواوين شعرائهم وكتب أدبائهم لترى ما نقصد اليه . واليك مثلا صغيراً من ذلك وهو قصيدة انكليزية أنقل للقارىء معناها :

يتخيل فيها الناظم عظماء الارض يسعون نحو السعادة ويمثل السعادة بمدينة لها أسوار عظيمة ولكن بابها ضيق واطىء جداً ، يقصدها أحدهم وهو رجل حرب فتح الممالك وقهر الاعداء فيصل إلى باب السعادة وقد لبس بزته العسكرية فتألقت عليها النياشين وحمل سلاحه متفاخراً ولكنه يقف هناك حائراً لان الباب أضيق من أن يتسع له ولما عليه من الالبسة والسلاح ، ثم يصل عظيم آخر وهو رجل عالم وقد وضع على لباسه الحلى الضافى وحمل مؤلفاته الضخمة ، ومثل الاول يقف أمام الباب لانه لا يستطيع الدخول ، ثم يأتى آخر وآخر من كبار أهل المال أو السياسة ويقف الجميع حائرين لا يدرون ما يصنعون ، وبينا هم فى حيرتهم تأتى فتاة صغيرة تطفر مرحاً فتجتاز الباب وتدخل منه ثم تخرج وتقول لهؤلاء العظماء : لماذا لا تدخلون وترون ما فى داخل المدينة من جمال ؟ فيشيرون إلى ضيق الباب فتقول لهم : اخلعوا ما عليكم من الالبسة وانزعوا ما معكم من حطام الدنيا فيسهل عليكم ذلك . فيلتفت بعضهم إلى بعض مترددين محجمين وتلح عليهم الفتاة فيتقدم أحدهم ويخلع ما عليه من شارات العظمة ويرمى ما بيده من كنوز الدنيا فيدخل ويفعل فعله الآخرون فيفوز الجميع بالدخول إلى مدينة السعادة . وهنا جمال القصيدة . تخيل الشاعر معنى السعادة وتخيله السبل اليها هو ما نعنيه بالخيال المبدع . ولجبران خليل جبران من ذلك ما يعد فى الطبقة الاولى من الفن

٢ — الخيال المصور

وهو المنتزع مما يشاهده الاديب ويختبره بنفسه . ومن أمثلته أن تشاهد ركان بركان ينفث دخاناً بالقرب من خرائب بومباى فتتخيله غضب الطبيعة أو الآلهة من ترف الرومان ، أو ترى كما رأى الانبارى فاصلا مصلوباً فتتخيل ما تخيله وتقول معه :

ولما ضاق بطن الارض عن أن	يضم علاك من بعد الوفاة
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا	عن الاكفان ثوب السافيات

أو ترى جثة توتنخ آمون وما أحدثته من الضجة فى مصر والخارج فتتخيل مع شوقى أنها

كانت حديث عصبة الامم فى جنيف فتخاطبه وتبين له حالة مصر السياسية وعلاقتها بسياسة أوربا (راجع قصيدته « قفى يا أخت يوشع حدثينا ») أو تشعر بالحمى كما شعر المتنبى فتتخيلها زائرة ذات حياء تجىء تحت ستر الظلام ثم يطردها الصباح فتجرى مدامعها . وأمثال هذه التخيلات لا تحصى . وهى تختلف عن الاوهام فى أن لها أساساً معقولا وأنها صورة لحقيقة مشاهدة . أما الوهم فليس له أساس معقول ، ولذلك لا يدخل فى باب الادب الصحيح

٣ ــ الخيال المفسر

وهو الذى يرى فى الاشياء قيما روحية أو أدبية فيخترق المشاهد المادية إلى تلك القيم الخفية ثم يبرزها فى معرض التأمل . ومن ذلك الوقفات التاريخية أو الفلسفية ، كأن تشاهد نهراً كنهر الفرات أو النيل مثلا فتتجلى لك به الحوادث التى مرت عليه وتتراءى لك على صفحاته عبر الوقائع المرتبطة به . ومثل ذلك إذا وقفت أمام أعمدة بعلبك أو الكرنك أو تدمر أو قبور بيترا . أو على قمة صنين والمقطم وجبل الزيتون وما إلى ذلك مما يثير فى نفسك ذكريات الماضى فيحملك الخيال على التأمل عندها والتفكر . وقد تناول ذلك العرب فى أدبهم القديم . وأقرب ما رأيته إلى ذلك قصيدة البحترى فى إيوان كسرى وهى معروفة . فلم يكن للعرب مع ميلهم الشعرى الشديد ذلك الخيال الذى يرفعهم عن المشاهدات المادية إلى ما وراءها من عبر تاريخية أو أدبية أو اجتماعية . وقد خطا أدبنا الحديث فى ذلك خطوة جديدة وأخذنا نرى بعضاً من أدبائنا المفكرين يعنون بهذه الوجهة الرفيعة من الفن ويخرجون لنا من هذه الرقعات الشعرية والنثرية ما يحق أن نفاخر به . ويدخل فى ذلك القصص التى تمثل لنا تاريخنا القومى أو حياتنا الاجتماعية ، والسير الشخصية التى تجلو لنا عبر الحياة فى حياة شخص من الاشخاص ، والنقد الاخلاقى والاجتماعى الذى يحاوله بعض أدبائنا ويفتنون به افتناناً يدخله فى باب الأدب الراقى . وهم يحاولون فيه أن يفسروا الحياة المثلى وما تتطلبه من مزايا خلقية . وليس ذلك بمستحدث فى الادب ، ولكن الاسلوب الخيالى الذى يجرون عليه جديد يلفت النظر

والخلاصة أن بلاغة الأدب كما نراها اليوم قائمة على ما فى الادب من عاطفة وخيال وفكر يعرضها الاديب بما يناسبها من الحلل اللفظية . وأن الفن الادبى لا يقوم على التلاعب بضروب الكلام بل على ما نراه فى الكاتب من خيال مرح وفكر منير وعاطفة صادقة مجلوة لنا فى أفضل العبارات وأروعها وأقربها إلى معانى الكلام

الياس الخورى المقدسى

التجديد في اللغة العربية

بقلم الدكتور بشر فارس

إذا قال قائل في نفسه : ما اللغة ؟ رأى على نحو ما يرى سواد الناس أنها أداة يعبر بها الخلق عما يجول في ضمائرهم ويقع تحت حواسهم . وإن هو تدبر اللغة فجردها من الغاية التي تجري إليها أدرك أنها وضع من الأوضاع الاجتماعية بينها وبين أحوال الجماعة وذهنيتهم وأساليب نطقهم أسباب ثابتة

أما أن اللغة وضع اجتماعي فشاهد ذلك أن الانسان يجدها موضوعة مستقرة في مكانها ، فيأخذها اعتياداً كالصبي يسمع أبويه وغيرهما أو تلقناً كالتلميذ يتخرج على استاذه . وكلاهما لا يقوى في الحالتين إلا أن يتلقاها على هيئتها ، ذلك أنها تفرض عليه فرضاً — حتى أنه من البعيد أن يخطر للانسان ارتجال لغة جديدة ، فان اللغة ناشئة عن حاجة الناس الى التفاهم

ثم انك لتتوسم أحوال الجماعة في اللغة عندما تنتهي الى أن ملازمة العرب للابل والرمل في زمن الجاهلية قد دعتهم الى وضع المفردات — لا تعي الحافظة ما لا يحصرها العد — في مختلف شؤون الابل والرمل

وأما أن اللغة تمت الى ذهنية الجماعة بسبب فدليل ذلك أن أوضاع اللغة انتقلت من جانب الفطرة ومحاكاة الطبيعة الى جانب المواضعة عند ما استطاع الانسان أن يسلخ من كلامه خصائص العاطفة من صياح وتنهد وتأوه وترنم ، فراح يعد اللغة مجموعة رموز بينها وبين ما تعبر عنه صلة متواطأ عليها (١)

وأما أن اللغة منقادة الى أساليب نطق الجماعة فحسبك أن تعلم أن العرب قد أهملوا ما لا يجوز ائتلاف حروفه في كلامهم مثل جيم تؤلف مع كاف أو عين مع غين ، وأن ليس في اللسان العربي بعض حروف اللغات الاوربية نحو حرف P و V والعكس بالعكس

✿ ✿

---

(١) ولرب معترض يقول : ان اللغة لا تنهض الا على المنطق ، وحجته في ذلك أن النحو يطل أوضاعها . والتحقيق ان كلاماً كثيراً ما يجري على بديهة الذهن ، ومن سنن تلك البديهة تجاذب الافكار والاعتياد ثم القياس والحمل والجوار — فأين المنطق في قولهم : « خمسة رجال وخمس نساء » ثم أين هو في قولهم : « ثلاث شخوص » والصواب « ثلاثة » استناداً الى قاعدة العدد المعروفة ، ولكنهم حملوا الشخوص على أنهن نساء — وأين هو في قولهم : « اعوذ بك من السامة واللامة » والوجه « اللمة » ، ولكنهم اتوا بها على وزن السامة محاذاة — وأين هو في اعرابهم « صولة » على « صيلة » في النسبة ، تشبيها اياها — وأين هو في قولهم للديغ « سليماً » ، تفاؤلا — ثم أين هو في « التقديم والتأخير » وضروب « المجاز » ؟

غير أن أحوال الجماعة وذهنيتهم وأساليب نطقهم ما تنفك تتحول عن مواضعها على مر القرون ، فتتحول اللغة معها جميعاً . والسبب في ذلك التحول يرجع الى عوامل كثيرة : منها لغوية فيدخل تحتها القياس . ومنها تاريخية فيندرج فيها علاقات الجماعات بعضهم ببعض بين فتح وجلاء ومتاجرة ، ومنها سياسية بين تقدم لهجة على اخواتها واتحاد الامة او تفرقها . ومنها حضرية بين انبساط مذاهب العمران واتساع ألوان الترف وانتشار العلوم والصناعات ونشوء المدارس والصحف . فضلا عن الاسباب المقصورة على النطق وأجلها شأناً ميلنا الى ارسال الكلام في أقل جهد باجتناب ما يثقل على اللسان

وخلاصة القول أن اللغة ليست قائمة برأسها ولا جامدة في مكانها . فما هي توقيف كما يزعم فريق من أئمة اللغة العربية وتوفر من علماء الغرب، وانما هي تواضع اجتماعي يرجع الى ثلاثة أصول : احوال الجماعة وذهنيتهم وأساليب نطقهم . فاذا كان الامر هكذا فما عسى أن تكون اللغة العربية لهذا العهد ؟

✽ ✽ ✽

إن حياتنا قد انبسطت حسا ومعنى إذ هجم عليها من جانب الفرنجة ضروب من المعيش ووجوه من التفكير لم يكن لاجدادنا عهد بها . فعجزت اللغة عن الاعراب عنها لأن جل تلك الضروب والالوان نبتت ثم نمت في أرض غير أرضنا حتى انه لا بد من تدارك ذلك العجز في سبيل انزال العربية منزلة اللغة الحديثة الوافية . وهنالك مسالك تتسع اللغة بها لأحوال هذا العصر . وهذه المسالك على وجهين : نقلي وعقلي . أما النقلي فمرادنا مطالعة تصانيف العرب المختلفة . وأما العقلي فعمدته تحدي العرب في وضع كلامهم مع الاعتداد بخصائصها وأساليب نطقها

✽ ✽

مسلك النقل

اذا قيل إن العرب لم يكونوا أول أمرهم على شيء من الحضارة فما لا مجال فيه للشك أنهم كانوا قوماً يشعرون ويتأملون . فكان لهم مسميات معنوية وأخرى حسية نعيها في أشعارهم وأخبارهم ثم في القرآن والحديث ثم في دواوين الادب والمعجمات المتداولة والمعجمات المرتبة على المعاني نحو كتب الخيل والابل والطير والسلاح وخلق الانسان وغيرها مثل « المخصص » لابن سيده و « فقه اللغة » للثعالبي

وإن أنت تأملت تلك المسميات رأيت فيها عدداً غير قليل بنا حاجة ماسة اليه . منه « الجمة » للشعر المستعار « Perruque » (ارجع الى « الاغاني » ج ١ ص ٩٧) . و « الابزن » (على وزن أفعل) وهو حوض من نحاس يستنقع فيه الرجل (ارجع الى « لسان العرب ») (١) والعامة تعبر عنه اليوم بلفظة « بانيو » الايطالية . و « العقة » (بضم العين وتسكين القاف) وهو ما تنشقه بعد الصمام من

(١) تأمل مشابهة هذه اللفظة للفظ الانجليزي خاصة « basin »

حلوى » « Entremets » (عن « المحيط ») . و « آلات الحرب » وهي جميع أدواتها « Armements » . و « المنامة » وهو ثوب ينام فيه « Pyjama » (عن « لسان العرب »)

وبالاطلاع على تلك التصانيف نتوصل الى التنبه على أوهام أهل هذا العصر . ومثال ذلك قولهم : « أعلنه بالحرب » ، والعرب تقول « آذنه بها » — وقولهم « نشال » لمن يشق الجيوب ويأخذ ما فيها من النقود . والوجه أن يقال « طرار » (عن « فقه اللغة ») لأن « النشل » لفظ عام يفيد السرعة في نزع الشيء ، ومتى ورد اللفظ الخاص استغنى به عن اللفظ العام في الكلام « الحقيقي »

إلا أنه ينبغي لمن يتطلب إحياء بعض الألفاظ اللغوية أن يتحرى في الاخذ عن الثقات وأن يميز الصحيح من المصنوع والمفتعل ، وأن يهمل الوحشي والغريب والمبتذل ، وان يغترف مما تواتر من كلام العرب (١)

٭

على أنه من القصور أن نقف عند ما دار على ألسنة العرب الاولى ، لان القوم كانوا أهل رعاء وغزو في الغالب ولأن كلامهم لم يصل إلينا كله وربما تشكل علينا بعضه . ومن أجل ذلك لا مندوحة عما أحدثه المولدون وعربوه من الألفاظ الاصطلاحية في أفانين الحياة ومستحدثات العيش وصنوف الفنون

وإنك لتصيب المولد والمعرب في المعجمات والدواوين ثم في مؤلفات موقوفة على الألفاظ الدخيلة ، مثل « المعرب » للجواليقي و « شفاء الغليل » للخفاجي و « الألفاظ الفارسية المعربة » لادى شير و « تكملة المعجمات العربية » للمستشرق (دوزي) . وأما مصطلحات الفنون والعلوم فكانت في مصنفات محبوسة عليها ، ومن هذه شيء « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي و « التعريفات » للجرجاني و « الكليات » لأبي البقاء و « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الى غير ذلك مما يتعلق بالتصوف والفلسفة والطب والهندسة وغيرها

وقد عول على مثل تلك المصنفات المستشرق « ماسينيون » في « معجم الصوفية » و « معجم الفلسفة » (٢) والدكتور احمد بك عيسى في « معجم النبات » والدكتور شرف في « معجم العلوم الطبية » والفريق امين المعلوف باشا في « معجم الحيوان » .

هذا وإن بدا لأحد أن يستخرج اصطلاحات موسيقية قال للصوت المرح « البسطي » وللصوت الحزين « القبضي » (عن « رسالة الكندي ») ، ولشد الأوتار « البص » وللأوتار المختلة « المشوشة » (عن « الأغاني ») ، وفي ترتيب أجناس الاصوات المثبتة « الناظم فالموني فالراسم » وللسلم الموسيقي التام

(١) هذا وإنا إذا تبصرنا في الألفاظ العامية — وجدنا جلها يرجع الى أصل فصيح — انتهت بنا بعد تخليصها من التحريف والقلب والابدال والزيادة والنقصان الى مسميات يحسن استعمالها اليوم . ومن قبيل ذلك قول عامة مصر « جرجعه » والأصل « جرى به » وهلم جرا

(٢) ما يزال مخطوطاً

« الجماعة » او « الجمع »(١) (عن « كتاب الموسيقى الكبير » للفارابى) ، ولنقر الاوتار بالسبابة والابهام دون مضراب « الجس » Pizzicato (عن « مفاتيح العلوم ») ، ولمصاحبة آلة آلة اخرى فى العزف او النفخ أو النقر « المساوقة » accompagnement (عن « مقدمة ابن خلدون ») ، الى غير ذلك مما لا يتسع المكان لسرده

✿ ✿

بيد أن ذلك التراث — مهما جل قدره — لا يغنى عنا الاغناء الشىء . ذلك بأن مرافق الحياة وحاجات العيش ما فتئت تتسع وان العلوم والفنون جعلت تنتقل من موضع الى موضع آخر . والنتيجة انه لا بد من توليد الفاظ تسد الخلل

مسلك العقل

ان لوضع الالفاظ العربية اصولا ننتهى اليها عند التفحص عن سنن العرب فى مآخذ كلامها . وهذه الاصول لاتعدو سنة من سنن [illegible] ، ودونكها : [illegible] للصبى كالنونو والتداء — وحكاية الاصوات الخارجية مع [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] ، مثل قولهم « حفيف الشجر وسقسق العصفور » — وحكاية الحركات الخارجية [illegible] نحو قولهم : « ارتعد المحموم وانتفض العصفور » — والاشتقاق — والنحت — والتعريب

ولا حاجة الى تبيين قواعد هذه الاصول [illegible] [illegible] ، فكتب اللغة مشحونة بها . ومما يحسن ذكره فى هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كثرة معولين فى وضعهم لها على بعض تلك الاصول . فما اشتقوه « الباخرة والمجهر والصحافة والاستفتاء » — ومما وضعوه من باب المجاز « القطار » (من قطار الابل ، اذا جاءت على نسق واحد) ، و « الانتاج » (من انتاج الناقة) ، و « الحوذى » لقائد عجلة الخيل (وهو من باب اطلاق العام على الخاص ، لان الحوذى فى الاصل هو الطارد المستحث على السير) — ومما نحتوه من كلمتين عربيتين « برمائى » (وهو حيوان يستطيع أن يعيش فى البر والماء معاً) ومن كلمتين اعجميتين « كرتة » فى « كرانتينه » (ارجع الى الجبرتى والطهطاوى) و « تلفرة » فى Télévision (ارجع الى « المقتطف ») — ومما عربوه « البنطلون » و « الطربة » و « والفنوغراف » و « الشيزى »

✿ ✿

تلك هى المسالك التى تصير بنا الى الزيادة فى متن اللغة . والحاصل ان حاجتنا الى التعبير عما طرأ

---

(١) تأمل مشابهة مابين اللفظين لفظ الفرنسي Gamme (جمع) واللفظ الذي جرى قبله ثم مدت Gamma'at (جماعة) . الا أن هناك تأويلا يرد هذين اللفظين الى اصل غير عربى والله اعلم

علينا تدفعنا الى احياء الفاظ فتوليد اخرى فتعريب ما ليس من كلامنا . الا انه ينبغي لك ان تراعي في ذلك كله ذهنيتنا وأساليب نطقنا على ما مر بك

أما الذهنية فمجاراة ما صارت اليه أذهان خاصة أهل هذا العهد من عدول عن الالفاظ المركبة الى البسيطة ، والمحسوسة الى المثوية ، والشعرية الى الوضعية ، والتخيلية الى التفكيرية ، والاحساسية الى الرمزية ، و « التحليلية » الى التركيبية ، والمثالثة الى الدقيقة ، والخاصة الى العامة

وأما اساليب النطق فالمسألة على قسمين :

اما ان تكون اللفظة عربية فالمستحسن ان تنزل إلى حكم السنة التي اشرت اليها في مقدمة هذا المقال — تلك السنة البديهية التي تحث على ارسال الكلام باقل كلفة في النطق . وعليه فالخير في ان نؤثر استعمال الثلاثي على الرباعي والخلو لخفته على اللسان في ضروب تصاريفه ، وان ننصرف عن الاوزان المركبة نحو ما يجيء على « سمنة » (بتشديد النون) و « خدلجة » (بتشديد اللام) و « عدقن » (بتشديد النون) ، وان نعرض عن الحروف المتنافرة نحو ما في « أنقد » و « قمع » والاصوات المنكرة نحو ما في « زحق » و « صمحمح » و « سموحد »

هذا واما أن تكون اللفظة معربة فلك فيها وجهان : أن تجريها مجرى الكلام العربي وتلحقها بأبنيته ، أو تبقيها على صيغتها الاعجمية مع شيء من التحريف والابدال . والوجه الاول يحسن في اسماء الاجناس واصطلاحات الفنون لتتسع فيها الاشتقاق والاعراب والتصريف ، حالة ان الوجه الثاني يحسن في اسماء الاعلام وانواع النبات وانواع الحيوان الى ما شاكل ذلك مما لا حاجة بك الى تصريفه ولا اعرابه ولا اشتقاقه . ومما لا مفر منه في كلا ذينك الوجهين ان تنطق بالحرف الاعجمي وتؤدي الامالة الاعجمية بما يقارب كلا منهما في مخارج حروفها وأصواتها ، وللعرب في ذلك قواعد (١)

☆ ☆ ☆

بيد أن اللغة ليست محبوسة على المتن ما دام وراءه الاسلوب . وأسلوب اللغة العربية اليوم على عدة ضروب : فكاتب يعارض كتبة القرن الثالث والرابع . وكاتب يجري على مذهب الافرنج في الانشاء . وكاتب يستقل بقلمه عن هؤلاء واولئك . والذي يلوح لمن يتدبر احوال هذا الجيل من الناس ان أسلوب العصر ما كان سريع العبارة ، سهل المنال ، واضح الطريقة ، دقيق الاداء ، متجاوب المعاني ، مطرد التنسيق ، مقسم الجمل (حتى بالترقيم Ponctuation) ، بعيدا عما يتصل بالعاطفة من تنهد وتطلع الى ما يلي ذلك من الجمل المؤلفة في مد ولي وعطف كأنهما لحن من الالحان .

(١) الا ان العرب درجت على استبدال حرف Y بالواو وحرف P بالفاء ، ونحن اليوم نستبدل الاول بالفاء فنقول « فولتير » والثاني بالباء فنقول « اوربا » . ثم ان العرب عربت الحروف الاعجمية غير واحد من حروفها ، فاستبدلت ما بين الكاف والجيم — مثلا — بالجيم او الكاف او القاف ، والثال اليونانية بالثاء والتاء . فيجدر بنا اليوم ان نتدارك هذا الخلط ، فنستبدل الحرف الاعجمي بحرف واحد متواضع عليه

وحقيق بأسلوب هذا العصر أن يختلف باختلاف فنون الانشاء : فتارة يكون أدبيا وتارة علمياً وأخرى مبتذلا لافهام العامة . ثم انه ليجدر بصاحب اسلوب هذا العصر أن يرغب عن التعابير والتشابيه والاستعارات التي مضت مع من وضعها ، فيعتاض عنها ما يستخرجه من الاشياء المحيطة به وما يقتبسه من بيان العامية على أن يبقى على الفصحى البقاء الذي لا غبار عليه

☆ ☆ ☆

على أن اللغة تنهض بمتنها وأسلوبها من ناحية العمل . وأما من ناحية العلم فانها تضم بين مكاسرها فنوناً شتى تدخل اليوم في طور جديد . ومما لا يثلج الصدر ان فريقاً من اللغويين لهذا العهد يظنون ان الاشتغال باللغة مقصور على فن التخريج والمناظرة في الصرف والنحو والمتن . والحقيقة ان العناية باللغة على هذا الشكل لا تغني من الخير شيئاً بل تدل على ذهنية مستمسكة بالتقاليد مولعة بالسفسطة

وأحرى بمن يعنى باللغة في هذا العهد ان يعالج أمرين : الاول عملي ، والثاني علمي

ان الامر العملي لينهض على تهذيب القواعد وتهذيب اللغة . اما تهذيب القواعد فلا مندوحة عن تقويم ما فيها من المتشعبات والمرتبكات والملتبسات والمتشعبات . وأما تهذيب اللغة فلا بد من تنزيهها عما يشوبها من الالفاظ المهملة والرديئة والمتروكة ، ولا منصرف عن اطلاقها عما يثقلها من النوادر والشوارد والغرائب والوحشي و[illegible] ، والغرض من ذلك كله تسهيل مناهلها لطالبها [illegible] أخرى ، وتقريب موردها [illegible] ، فكلاهما لا يعدها الا اداة شأنها الافصاح عما يجول في الضمائر ويقع تحت الحواس

وأما علوم اللغة التي ترجع الى العلم المحض فوجهتها شتى ما يبحث في أساليب النطق من اخراج الحروف وتقطيع الصوت ، وفي منشأ اللغة وصيغة الالفاظ وتاريخها وتأليف الجمل وتاريخه ووزن الكلام بين منطقية وذهنية واجتماعية ، وفي مقارنة اللغة بغيرها من اللغات اجنبية عنها كانت أم أخوات لها

☆ ☆ ☆

وختاماً ان اللغة العربية تنتقل في هذا العهد من طور ولى زمنه الى طور يصدر عنه وينهض عليه . والذي يدفع اللغة (متنها واسلوبها وعلومها) في هذا الطور الجديد ما يكتنفها من الاحوال الطارئة على ما يتصل بالحس والمنى ، ثم ذهنيتنا وأساليب نطقنا . ولقد حاولت ان ابين ذلك ، ولكني ملت في الايجاز والايماء . ولو فسح لي من المكان فوق ما لدي لأطنبت حيث يحسن الاطناب واستدللت حيث يجب الاستدلال

بشر فارس

دكتور في الآداب من السوربون

(٨)

سر الحياة

للشاعر الشاب احمد سامي

من للضلول الذي ضاعت أمانيه — بمن يضيء سبيل العيش يهديه

أظل أخبط في ظلماء داجية — من ترهات وتضليل وتمويه

كأنني طائر أصماه قانصه — فضل في دوحة شجراء كالتيه

لى مطمح في حياتي قد كلفت به — يفوت شأو الدراري في تعاليه

وكيف أدركه والنفس قد سكنت — من هيكل الجسم سجناً لا تخليه

لو أن لى من ضياء النجم خافية — أطلقت نفسي طلاباً خوافيه

وطالب المثل الأعلى مشعبة — آماله مشرئبات مراميه

يكلف النفس أمراً عز مطلبه — ويسأل الدهر شيئاً ليس يعطيه

يرى السهى بعيون حار ناظرها — كأنها فكرة في رأس مشدوه

غريبة بين أهليه طبائعه — إن العظيم غريب بين أهليه

يقيم فيهم ولكن روحه اتصلت — بعالم ليس يدري ما أقاصيه

•••

كم أسأل البدر لم تصفرّ صفحته — أللزمان وما تجني دواهيه

وأسأل النجم لِمْ ترفضّ مقلته — أللبكاء على آلامنا فيه

وأسأل الرعد إما مدّ قهقهة — أساخر بالذي بتنا نرجيه

في عيشة غر هذا الناس ظاهرها — كما يغرّ سراب البيد رائيه

ان الحياة فلاة أنت قاطعها — وكل مرحلة يوم تقضيه

وأنت بالعمر طاويها على عجل — لابد للقفر من تعريس طاويه

والناس صنفان ريان أخو شبع — منضر الوجه غض الجسم حاليه

ونضرة الوجه مرُّ العمر يذبلها — وزاهر الثوب طول العهد يبليه

وآخر ضامر من طول مسغبة — عريان لكن له خيم يحليه

ومطرف الحلق الأسنى اذا انصرمت — به السنون أجلت روح كاسيه

وربما عمر المكسال تحسبه — نعاه في ساعة الميلاد ناعيه

وربما اختصر الآب قد ملأت — صحف الخواطر والاسفار أيديه

لاشيء يبقى سوى ذكر نردّده — اما جميل نثت عطراً غواليه

أو سيء ذاع بين الناس فنشرت — منه روائح تبغيض وتكريه

فعاشر الناس بالحسنى وكن مرحاً — جذلان واطلب قد عزت أواسيه

فرب ضاحك سن وهو مكتئب — كباب لدمح فيه الدود ينخره

وعز نفسك لاتحزنك نائبة — ونم منام رخي البال هانيه

ان الحياة بنعماها وأبؤسها — بطل وكذب الاماني كل ترفيه

احمد رامي

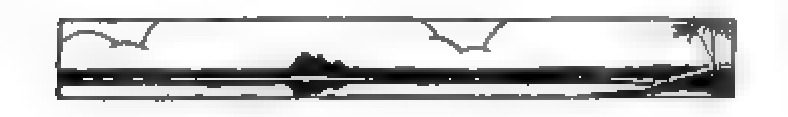

تقدم العلم والعالم

متى عرف الانسان النار

فى سنة ١٩٣٠ عثر العلماء على جمجمة انسان بالقرب من مدينة بابنج بالصين وسموها جمجمة إنسان الصين ، وهى من أقدم آثار الانسان فى هذا العالم . وعثروا أيضاً بجانبها على آثار قطعة خشب محروقة مدفونة فى طبقة من الأرض يرجع تاريخها إلى العصور الجيولوجية الحالية ، وهى دليل على أن الانسان فى تلك العصور عرف النار واستخدمها ولعل العلماء يدرسون الآن هذه القطعة الخشبية لتحديد تاريخها ومعرفة علاقتها بجمجمة إنسان الصين . وهم يعتقدون أن عمر الجمجمة لا يقل عن مليون سنة

مصدر جديد للقاح الجدري

توصل العلماء إلى اكتشاف مصدر جديد للقاح الواقى من الجدرى هو بيض الدجاج الاعتيادى . وتقول إحدى المجلات العلمية الاميركية : إن الدكتور نطر الانجليزى مدير معمل اللقاح البريطانى تمكن من صنع لقاح يكفى لتطعيم سبعة آلاف شخص من ثمان وعشرين بيضة فقط . ويمتاز هذا اللقاح عن النوع الاعتيادى بأنه مقاوم للبكتيريا ويمكن حفظه مدة طويلة

لمقاومة الزلازل

كلما وقعت زلزلة فى جهة من جهات الولايات المتحدة أوفدت اليها الحكومة الاميركية فريقاً من العلماء لدرس تأثير الزلزلة فى الابنية التى فيها . ولما حدثت الزلزلة الاخيرة فى ولاية كاليفورنيا — وكانت من أشد الزلازل التى عرفتها تلك الولاية — درس المهندسون والعلماء تأثيرها ، فثبت لهم أن البيوت المبنية بالاسمنت المسلح والحديد تقوى على مقاومة الزلازل ، وأن البيوت التى لا يعتنى بموادها لا تقوى عليها . ومما يجدر بالذكر أنه ما من بناية من البنايات الاميركية الشاهقة المعروفة بناطحات السحاب تأثرت أى تأثر بالزلازل التى وقعت فى اميركا منذ أول القرن الحاضر بل منذ أول بدء إنشاء تلك البنايات

خلق المادة

يزعم بعض العلماء الآن أن دقائق المادة تنشأ من أمواج النور ومن الاشعة الكونية التى اكتشفها الدكتور مليكان الاميركى منذ بضع سنوات والتى لم يتفق العلماء حتى الآن على تحديد مصدرها . ويؤخذ من التجارب التى قام بها فريق منهم فى انجلترا واميركا أن نشوء المادة

على الوجه المذكور يتم باستمرار ليس في فضاء الكون فقط بل على سطح كرتنا الارضية نفسها . وإذا صدقت هذه النظرية كان نشوء المادة وانحلالها عمليتين مكملة كل منهما للاخرى ولا وجود لاحداهما من دون مكملتها . ذلك لان كل عنصر من عناصر المادة يشع ، وهذا الاشعاع هو مظهر من مظاهر انحلال المادة إذ ليس الاشعاع الا احتراق دقائق وتفتتها وانطلاقها في الفضاء لتتحد مع غيرها من الجواهر التي تصادفها فتكون من اتحادها عناصر جديدة

فاذا لم يكن هذا دليلا على خلود المادة فأي شيء يمكننا أن نتخذه دليلا على ذلك ؟

سرعة الارض

اذا قابلنا سرعة الكرة الارضية بسرعة أسرع الطيارات الحديثة بدت لنا العجب ، كالقوقعة (الحلزون) بسبب بطء سيرها . فالارض تدور حول الشمس بسرعة الف ومائة ميل في الدقيقة . وتسير مع مجموعة الاجرام المعروفة ، بالنظام الشمسي ، (وهي عضو في ذلك النظام) بسرعة تسعة آلاف ميل في الدقيقة . ويقول علماء الفلك إن جميع النظم الفلكية تدور على نفسها أي على جرم فلكي مركزي يعتبر بمنزلة محورها وان رصد السدم الاولية وغيرها يدل على أن كل مجموعة منها تدور على نفسها بسرعة تفوق حد التصور ، وان سرعة الاجرام القريبة من المركز هي اقل من سرعة الاجرام الخارجية ، وهو شيء طبيعي في كل جرم يدور على نفسه فان الجزء القريب من المركز هو اقل سرعة من اجزاء المحيط

عزل ميكروب الجذام

في سنة ١٨٧٢ اكتشف أحد علماء البكتيريولوجيا النروجيين ميكروباً قيل انه ميكروب الجذام ولكن لم يستطع أحد منذ ذلك اليوم عزل هذا الميكروب واستيلاده بالطريقة العلمية . وقد قرأنا الآن في احدى المجلات العلمية الاميركية ان معهد «ليونارد وود التذكاري» (Leonard Wood Memorial) أعلن أن أحد العلماء المنتمين اليه قد تمكن من عزل هذا الميكروب واستيلاده خارج الجسم . وقد اكتشف بعضهم أيضاً طريقة يتاح بها استيلاد سلالات جديدة منه في كل وقت من أنسجة الجذام . وبذلك قد قوي الامل الآن بالتغلب على داء الجذام العضال

في أعماق الاوقيانوس

أعماق الاوقيانوسات هي ظلمات بعضها فوق بعض . وفيها حيوانات مائية مفترسة يأكل بعضها بعضاً ولا تبصر النور ولا تصعد الى طبقات الماء التي يصل اليها النور . وقد انقرض بعض أنواعها وكانت هناك هائلة ولم يبق منها إلا آثار نادرة . وتقول إحدى المجلات الاميركية العلمية إن المعهد السميثسوني أوفد بعثة علمية إلى إحدى جهات الاوقيانوس فتمكنت من الحصول على بعض آثار تلك الحيوانات من قاع الاوقيانوس بطريقة لايتسع هذا المجال لشرحها

دم الانسان والجو

يقول الاستاذ جيمس باركروفت من علماء الفيسيولوجيا الانجليز إن دماغ الانسان يتحكم فى دمه تحكماً من شأنه أن يجعل الانسان قادراً على احتمال عوامل البرد والحر مهما اشتدت وقويت . أما الحيوانات السفلى فقد قضى ناموس التطور بان يتشاكل فريق منها فى الجهات التى يلائمه جوها . وناموس الانتخاب الطبيعى هو الذى يساعد تلك الحيوانات على تكييف معيشتها بموجب بيئتها . فالدب مثلا لايعيش إلا فى البلاد الباردة . والفيل لايعيش إلا فى البلاد الحارة . وهكذا قل فى بقية حيوانات العالم فهى تتعود بيئتها بمرور الزمن وكلما نشأ منها جيل جديد كان أقوى على احتمال عوامل بيئته الى أن يصبح لايستطيع العيش فى غير تلك البيئة . أما الانسان فبفضل تحكم دماغه فى دمه يستطيع احتمال أشد عوامل الحر والبرد على السواء

نشوء الجبال

أحدث النظريات العلمية فى نشوء الجبال هى أنها تنشأ عن تقلص قشرة الارض . وهذا التقلص ناشيء عن برودة نواة الكرة الارضية برودة تدريجية . ويقول الدكتور تيرا أحد العلماء الجيولوجيين الاميركان : ان جبال الهملايا فى شمال الهند (وهى أعلى جبال العالم) نشأت بهذه الكيفية ، وهى حديثة العهد بالنسبة الى غيرها من جبال العالم ولا يقل عمرها عن مائة مليون سنة

حرارة باطن الارض

يستطيع العلماء تقدير حرارة باطن الأرض بطريقة علمية حسابية بسيطة . ذلك أن هذه الحرارة تزداد درجة بمقياس فهرنهيت عن كل ستة عشر ياردا ، ولايخفى أن أعمق منجم للفحم فى العالم هو منجم كيلنجورث بانجلترا حيث تبلغ درجة الحرارة عند الفوهة (أى عند مدخل المنجم) ٤٨ بمقياس فهرنهيت وعلى عمق أربعمائة يارد سبعين درجة . واذا اعتبرنا عوامل الضغط وخلاءها والقاعدة التى تقول ان الحرارة تزداد درجة واحدة لكل ستة عشر ياردا أمكننا أن نحكم على حرارة بطن الارض على أعماق مختلفة كما يمكننا أن نعرف عمق أى نبع حار من درجة حرارة مائه

أقدم كائن حي

هو بلا شك شجرة من السرو فى قرية من قرى هنود اميركا تبعد بضعة أميال عن مدينة اوكساكا بالمكسيك . ويقول الدكتور فان شربك انه فحص هذه الشجرة فحصاً علمياً دقيقاً فاتضح له أن عمرها لا يقل عن أربعة آلاف سنة . وكان هذا العالم قد سبق منذ ثلاثين سنة ففحص هذه الشجرة وقدر عمرها يومئذ بمثل ما قدرها به فى المرة الثانية

والى جانب هذه الشجرة شجرة سرو اخرى لا يقل عمرها عن الف سنة وارتفاعها نحو ١١٧ قدماً . أما الشجرة الاولى فيبلغ ارتفاعها مائة واربعين قدماً

لغات العالم

فى العالم ثمانمائة وستون لغة من اللغات الكبرى فضلا عن خمسة آلاف لهجة مختلفة وهذه اللغات موزعة كما يأتى :

١٢٣ لغة فى آسيا
١١٤ لغة فى افريقيا
١١٧ لغة فى اميركا
٤١٧ لغة فى جزائر الباسفيك والاوقيانوس الهندى
٨٩ لغة فى اوربا
٨٦٠ المجموع

ولعل أعظم نابغة فى اللغات ظهر فى العالم هو جوسيبى كاسبار ميزوفانتى الذى ولد فى روما سنة ١٧٧٤ وتوفى سنة ١٨٤٩ وأتقن ١١٤ لغة ولهجة

أعمق نقطة فى الباسفيك

هى نقطة بالقرب من جزائر اليابان يزيد عمقها على ثلاثة وثلاثين الف قدم أى انها تنقص قليلا عن أعمق نقطة معروفة فى العالم وهى بجوار جزائر الفيلبين ، ويبلغ عمقها ٣٤٢١٠ اقدام . ولا يخفى ان أعلى قمة فى العالم هى قمة جبل افريست ويبلغ ارتفاعها ٢٩٠١٢ قدما . وبناء عليه تكون المسافة بين أعلى نقطة وأعمق نقطة فى العالم نحو اثنى عشر ميلا

أول سفينة بخارية

استغرقت سفرة اول سفينة بخارية عبر الاوقيانوس الاتلانتيكى خمسة وعشرين يوما

فى عالم الفلك

يؤخذ من احدى النظريات الفلكية أن جميع المجاميع الفلكية السابحة فى فضاء هذا الكون - من نجوم وسيارات وأقمار وغيرها - كانت منذ نحو خمسة آلاف الف مليون سنة متجمعة فى موضع واحد من الفضاء . ثم وقع حادث فلكى غير معروف تماماً أدى الى انفصالها وتشتتها فصارت كل مجموعة منها - كالمجرة والنظام الشمسى والجزائر الكونية والسدم الاوليــــة السحيقة - مستقلة بعضها تتألف من ملايين لا تحصى من النجوم والاجرام الفلكية الاخرى . ويقول الاستاذ دى سيتر العالم الفلكى الهولندى المشهور ان حساب الحركات وأوضاع النظم المذكورة كانت تشغل فى القدم حيزاً لا يزيد على الحيز الذى تشغله اليوم مجموعة واحدة فقط منها (وهناك ملايين من هذه المجاميع) وانه لو أعدنا تلك المجاميع الى مكانها الاصلى لوسعها بكل سهولة وبقى بين كل جرم فلكى وآخر مسافة لا تقل عن بضعة ملايين من الاميال . فتأمل فى سعة هذا الكون المدهشة !

محطة راديو قوية

شرع الانجليز فى إقامة محطة قوية جداً للراديو ستكون من اقوى محطات الراديو فى العالم وربما أغنت عن كل محطة أخرى فى الجزائر البريطانية . وستكون قوتها مائة الف كيلواط

اقدم نسخة خطية للانجيل

في المعهد السميثسوني بالولايات المتحدة نسخة خطية قديمة من الانجيل يرجح الخبيرون انها كتبت في القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس للميلاد . وهذه النسخة هي مجموعة الاناجيل الاربعة. وقد اشتراها احد السياح من تاجر من تجار العاديات بالقاهرة سنة ١٩٠٦ . وهي مملوءة بالاغلاط النسخية . وسببها على ما يظهر ضعف الناسخ في فن الكتابة وعدم معرفته اصولها . والمظنون ان هذه النسخة ظلت مدفونة في جهة من جهات الصحراء بمصر مدة الف عام أو اكثر وانها منقولة عن نسخة اغريقية أو عن احدى النسخ اللاتينية التي كانت شائعة في الكنيسة الغربية في اوائل العهد المسيحي

ومما يجدر بالذكر أن في هذه النسخة بضع آيات غير موجودة في أية نسخة معروفة من نسخ الانجيل الخطية وهي في الاصحاح الأخير (السادس عشر) من بشارة مرقس وتصف قيامة المسيح . وقد جاء فيها ان التلاميذ خاطبوا السيد المسيح بعد قيامته فقالوا له ما ترجمته :

« فأجابوا قائلين ان هذا الجيل الملتوي وغير البار هو تحت سلطان ابليس الذي لا يأذن لاولئك الذين تنجست قلوبهم بالارواح الشريرة أن يدركوا حق الله وقوته . فاعلن اذن برك الآن . فاجابهم يسوع قائلا : ان نهاية سني سلطة الشيطان قد كملت . ولكن ثمة اموراً اهول قد اقتربت ولقد اسلمت من أجل الذين اخطأوا لكي يتوبوا ويرجعوا الى الحق ولا يخطئوا فيما بعد . فيرثوا مجد البر الروحي الذي لا يفنى والذي هو في السماء . ولكن اذهبوا الى العالم واكرزوا بالانجيل »

وهذه النسخة من الانجيل معروضة لجميع الزائرين لكي يتسنى لهم فحصها

الاختراعات البسيطة

يؤخذ من عدة احصاءات ان الاختراعات البسيطة هي التي تدر على اصحابها المكاسب الطائلة وان الكثيرين من الذين اخترعوا الاختراعات العظيمة الخطيرة ماتوا من دون أن ينتفعوا بثمرة عملهم

فقد ربح مخترع دمية من الدمى البسيطة في امريكا عدة آلاف من الدولارات . كانت تدر عليه نحو مئة الف دولار في كل سنة من عمر اختراعه . وربح مخترع مزلاج « الباتيناج » نحو مليون دولار . وربح مخترع رباط الحذاء مليوني ريال ونصف مليون . وربح مخترع المظلة الواقية من المطر عشرة ملايين ريال . وربح مخترع ريش الكتابة (الصلب) عدة ملايين من الدولارات . وربح مخترع الحديدة التي تسمر الى كعب حذاء الولد الصغير نحو مليوني دولار في السنة . واخترعت إحدى نساء جنوبي افريقيا مهداً مريحا للاطفال فكانت تكسب من اختراعها نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . واخترعت سيدة اخرى مكواة لتجعيد الشعر فربحت من اختراعها نحو ثمانية آلاف جنيه في السنة .

ثلاثة رجال بأقلام ثلاثة كتاب

١ – الملك فيصل

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزير خارجيته السابق في سورية

أترك للهاشميين أن يندبوا الابن النبيل، وللثورة في الحجاز أن تبكي المجاهد الجليل، وللجيش المنقذ أن يجزع لفقد القائد المحنك، ولديار الشام أن تخشع لموت الثائر المدرّب، وللبلاط في بغداد أن يستكين لسيده الحلاحل، وللعراق أن يهلع للمليك الراحل. وأندب باسم العروبة خادماً أميناً من خدمة العروبة، وبطلاً كريماً من أبطالها

يكون الرجل وطنياً ولا يكون مجاهداً، ويكون وطنياً ومجاهداً ولا يكون حكيماً. ولكن فيصل بن الحسين جمع الثلاثة فكان وطنياً ومجاهداً وحكيماً

امرؤ عظيم بقدر اتساع المطامح التي يضعها نصب عينيه، وعظيم بقدر ما يستكشف لها من قوى يدفع بها أهل تلك الطبقة في الأمم، ويقاس بمقدار ما يضع النظر موضع العمل والخيال على محز التطبيق. وكان الفقيد الراحل عظيماً لأنه وضع نصب عينيه إنقاذ شعوب بحذافيرها، وعالماً لأنه استكشف ما فيها من قوة معنوية وثيقة تربط بعضها ببعض، وعاملاً لأنه عرف كيف يضع تصوراته موضع التنفيذ

• • •

ثم ما هي الزعامة يا ترى؟

الزعامة سلطة شخصية تجمع العدد الوافر من الخلق تحت لواء واحد لتأييد حق من الحقوق، مادية كانت أم معنوية. فالزعيم في العلم هو الذي يقود العقول ليحررها من الجهل ويحلها مكانها من بحبوحة البحث. والزعيم في الدين هو الذي يقود النفوس لينقذها من السخافات ويطهرها في الأخلاق والأعراق. والزعيم في الوطنية هو الذي يقود الشعب لينجيه من براثن العبودية ولعنة الذل والصغار

فهل كان فيصل زعيماً؟

لقد كنا قبل هذه اليقظة القومية الحديثة متفرقين متشتتين ، حتى أصبحنا غرضاً ترمى بالقذائف في بلادنا وتشن علينا غارات الاضطهاد في عقر دارنا ، فلما لعلع صوت فيصل قالت له الامة لبيك وسعديك ، ثم أتته من كل فج عميق لتخضع تحت اللواء الهاشمي الذي ارتفع هذه المرة لغاية قومية شاملة كما ارتفع منذ أربعة عشر قرناً لغاية إنسانية عالمية ، فسار وسار الخلق وراءه تحقيقاً لما لا ينتزعهم فيه منتزع من حق في الحياة الحرة المستقلة . ومضت هذه الجموع حتى قطعت شوطاً بعيداً تارة بالعنف والشدة ، وأخرى باللين والموادة إلى أن بلغت بعض الأقطار العربية مكاناً محموداً . فيصل كان رعيماً لأنه قاد حركة برمتها في سبيل النجاة وعمل على الجبابرة لانقاذ شعب كامل من الأسر ووصمة الاستعمار . وما أغمض عينيه حتى كان لصوته هزة ترددت في العالم العربي الشاسع من المحيط إلى المحيط . أفلا يستحق الرجل الذي يرفع عن قومه ذل العبودية أن يسمى في سجل أقدارها زعيمها الجبار ؟

***

إن أسلوب فيصل في الحياة هو الأسلوب الذي يطلق عليه في الأدب كلمة « السهل الممتنع » فمن يتتبع سيرته في بيته وفي عشيرته وفي بلاده ومع رجاله وفي رحلاته وفي مقابلاته الداخلية والخارجية وعلاقاته الخاصة والعامة ... لا يجد تبرماً ولا تعقيداً ، وهو بعيد عن الموشي والمهجور ، ولا محل في سيرته للتعقيد ، بل يسيل في طرق الحياة كما يسيل الماء الزلال في الساقية خالياً من الكدرات والشوائب ليسقي الزرع ويستدر الضرع . وقد يبدو العمل الواحد من أعماله بمفرده هيناً بيناً ليس فيه مثار للدهشة أو الاستغراب ، ولكن متى اتصلت أعماله بعضها الى بعض فهنالك الاعجاز والسحر الحلال !

قال فيصل وهو يجود بنفسه على فراش الموت : « إنني أموت مرتاحاً » وقد صدق ، لأن القائد الكبير المثخن بالجراح في ساحة الوغى لا يشعر بغصص الموت ، فالغاية العظيمة التي يرجي البالغ لبلوغها هي أكبر من أن تدع للألم إلى فؤاده سبيلاً . وقد مات فيصل وهو مهتم بتحقيق خطة عالمية غرضها إنقاذ ثمانين مليوناً من البشر يتكلمون لغة تدعى العربية ويعانون مرضاً يدعى الاستعمار . فاضطراب قلبه وضغط صدره وحشرجة الموت — كل ذلك كان أصغر من أن يلفت نظره عما وضع نصب عينيه من الهدف الأسمى

***

الموت مصيبة تعظم في عين الصغير الذي لا همّ له إلا التمتع بملاذ الحياة البهيمية . ولكنه حادث طبيعي عند المشغول بالشؤون الكبرى . فكما تكون الولادة ظاهرة طبيعية لكل مولود كذلك الموت ظاهرة طبيعية للرجل الكبير .

ليس حقاً أن كل من حمل على النعش وسار الى المقبرة على أعناق الرجال وتوارى في ظلمة اللحد انقطع عمله . إن الذي ينقطع عمله هو الصعلوك في نفسه الفقير في عقله . والذي أمضى حياته على سطح الأرض آناساً بالمعنى الاعتيادي الحقير ، هو الذي يسمن على هزال إخوانه ، ويثري على فقر بلاده ، ويرتقي على جماجم أبناء وطنه . ولكن فيصلاً كان قوياً في نفسه ، غنياً في عقله ، عاش لغيره لأنه هزّل جسمه لسمن إخوانه وافتقر ماله لثروة بلاده وارتقى في سلم المجد ولكن على جماجم أعداء العروبة . لذلك ما توارى في ظلمة اللحد حتى هبّت روحه من جديد تبعث الحياة في المبدأ الذي مات في سبيله . وما هذه المآتم التي تقام له في المشارق والمغارب إلا شهادة الشعوب العربية بفقده له بمثابة الأمين . هذا هو الميت الحي وهذه هي أعمال الخالدين .

وفي الصفحات الأولى من علم الطبيعيات أن القوة حية لا تتلاشى ، وإنما تتحول الى شكل آخر من الحركة والاهتزاز ، فتتحول إلى صوت أو حرارة أو نور أو كهرباء أو غير ذلك ولكنها لا تندثر . وكذلك القوة الروحية ـ فهي تغيب عن الأبصار ولكنها لا تتوارى عن البصائر ، وهي تموت بالمعنى العامي ولكنها تتحول بالمعنى العلمي . ولئن انقطعت حياة فيصل المادية ولم تعد قائمة على الهواء والماء والغذاء فحياته المعنوية ستظل لن تموت ، لأنها تحولت إلى اهتزازات روحية تتغلغل في صدور الملايين وعشرات الملايين من البشر . إنها لقوة هائلة لأنها استطاعت أن تقرب شعوباً متناكرة بعضها من بعض ، وإنها لجذابة ساحرة لأنها جمعت بلداناً متنائية حول مركز واحد هو الحياة العربية المستقلة . إنها الشمس من تلك الشموس الساطعة التي تسبح في فضاء اللانهاية وتتغلغل في أركان الأزل .

هذا هو الخلود العلمي الذي يقيم لصاحبه تذكاراً من الانسانية وينحت له تمثالاً من الدهر .

عبد الرحمن شهبندر

٢ ـ عدلي باشا يكن

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

كان أول اتصالي بالمغفور له عدلي باشا في سنة ١٩٢٠ عند ما قدمت لجنة ملنر الى مصر . في ذلك الظرف أعلنت الامة المصرية مقاطعة اللجنة الانكليزية وأراد عدلي باشا ان يقف على ميول الشباب المصري المتعلم . وكان صديقي الاستاذ محمود عزمي على اتصال من يومئذ بعدلي باشا وزملائه في ذلك الحين : رشدي وثروت وصدقي . وكان صدقي باشا اشبه ما يكون بما يسمونه بالانجليزية ضابط اتصال بين العظماء الثلاثة عدلي ورشدي وثروت وبين الشباب المصري المتعلم . وكنت أنا يومئذ وصديقي عزمي عضوين بالحزب الديمقراطي وقد عرفت منه أنا نستطيع ان نقف على معلومات في السياسة تفيد في توجيهات حزبنا إذا نحن اتصلنا عن طريق صدقي باشا بأقطاب الوزارة التي تكون الوفد المصري سنة ١٩١٩ في ظلالها . وضرب لي وله بالفعل موعداً مع صدقي باشا في كلوب محمد علي . وتقابلنا وتحادثنا في الامر وفي موقف مصر من لجنة ملنر . ثم اخبرنا صدقي باشا ان عدلي باشا يسره ان يرانا . واقبل الرجل فرأيته لأول مرة بقوامه الممشوق وطلعته المشوش في وقار وهيبة . وبنظراته الحادة المملوءة ذكاء وروية . وجلس الرجل ينصت الينا اكثر مما يحدثنا وبدا عليه الاقتناع بأن مقاطعة مصر للجنة ملنر كما يكون الوفد المصري هو وحده الذي يحادثها اكمل لسلامة الوحدة القومية

وسافر عدلي باشا بعد ذلك الى اوربا ووصل ما بين الوفد المصري ولجنة ملنر وحضر محادثاتهما وكان له من التأثير ما يعرفه الذين تتبعوا حوادث ذلك الوقت . فلما انتهت المحادثات الى مشروع ملنر طلبت انكلترا الى عظمة السلطان إذ ذاك أن توفد حكومته وفداً يتفاوض لاقامة علاقة بين الدولتين غير الحماية . وجرى الحديث في إسناد الوزارة التي تقوم بالمفاوضات الى المغفور له مظلوم باشا . وقد رأى جماعة منا يومئذ من أعضاء الحزب الديمقراطي أن اسناد المفاوضات لمن لم يكن لهم ضلع ظاهر في النشاط السياسي الذي أدى بانكلترا الى طلب المفاوضة لا مصلحة لمصر فيه ، وأن عدلي باشا هو الرجل الذي يجب أن تسند له الوزارة . وقد خاطبه بعضنا برأينا فأراد أن يتحدث الينا وضرب لنا موعداً بمنزله بقصر الدوبارة وكنا يومئذ عشرين أو ثلاثين أكثرنا من الشباب المتعلمين أو الذين أتموا تعليمهم في أوربا . وجعل الرجل ينصت الينا اكثر مما يحدثنا وكل همه أن يقتنع بأن الشباب المتعلم يؤيده في مهمته ، ايماناً منه بأن الشباب المتعلم نزيه القصد ، وبأنه هو الذي يوجه تيار الرأي العام . ولعله يومئذ كان يخشى ـ إذا انتهت المفاوضات الى معاهدة ـ أن تثور في البلاد عناصر متطرفة تطرفاً لا يستند الى قوة حقيقية تشد أزره ، ولكنها

تستطيع مع ذلك أن تشوه مقاصد المعاهدة التي تعقد . فأراد عدلي أن يطمئن الى وقوف الشباب المثقف في صفه ليوجه الرأى العام لمصلحة مصر توجيهاً يجنبها طغيان التطرف الطائش ، وما يجره التطرف الطائش من سوء النتائج

وكنت مؤمناً بأن سعد باشا والوفد المصرى يجب أن يظل بعيداً عن المفاوضة الرسمية واقفاً منها موقف الرقيب ليوجه الرأى العام في أمرها التوجيه الذي تقضى به مصلحة البلاد . فلما اختلف سعد وعدلي لم أتردد في الوقوف في صف عدلي وقوفاً جياً لى مقابلته بضع مرات قليلة قبل سفره على رأس الوفد الرسمي للمفاوضة . وكانت مرات قليلة لكثرة مشاغل الرجل من ناحية ، ولما في طبعي من الحياء ، حياء يحول بيني وبين الاكثار من التردد على من لا تربطني بهم أواصر أدنى الى الصداقة منها الى أى شيء آخر . في هذه المرات القليلة كنت أرى الرجل كثير التفكير في الموقف الذي نشأ عن خلاف سعد معه ، وكنت أراه عاطفاً دائماً برشدى وثروت وصدقى ، حتى كان - اذا دخلت اليهم في غرفة رئاسة الوزارة - يدع مكتبه ويتنحى وإياى جانباً من الغرفة الفسيحة الى مقعد عند إحدى نوافذها . وكان في هذه المرات أيضاً قليل الكلام كثير الانصات ظاهر القلق ، لا على مصير وزارته ، ولكن على مصير المفاوضات التي يوشك أن يتولاها . وقد علمت أنه فكر يومئذ في الاستقالة لولا ما أعلن المغفور له سعد باشا من أنه ثائر على الحكومة المصرية ، ولولا خوف عدلي ، لو هو تخلى عن الوزارة فأسندت الى غيره فاختلف هذا الغير مع سعد ، أن يلجأ في تصرفاته الى وسائل لا يرعى فيها من الحكمة النصيب الذي تقضى به المصلحة الوطنية ، فتؤدى الأمور في تلك الآونة بعينها الى مآزق غاية في الخطورة

لم تنجح المفاوضات بين عدلي واستقال وبقيت الحكومة المصرية بغير وزارة من ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ الى أول مارس سنة ١٩٢٢ حين ألف ثروت باشا وزارته بعد أن اعترفت انكلترا من جانبها بمصر دولة مستقلة ذات سيادة مع الاحتفاظ بالمسائل الأربع المعلقة في تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ لمفاوضات مقبلة . وكأثر لسياسة التصريح ألفت وزارة ثروت باشا لجنة لوضع دستور لمصر يهيء الجو لعقد معاهدة مع انكلترا . فلما وضع مشروع هذا الدستور بدت في الجو ظاهرات تدل على أن صدوره لن يكون سهلاً ، فألف عدلي باشا حزب الأحرار الدستوريين واتفق على انشاء جريدة السياسة لتكون لسان حاله وطلب إلى أن أكون رئيساً لتحريرها . من ذلك الوقت ازدادت صلاتي بعدلي بما جعلني أزداد له معرفة ولصفاته تقديراً . عرفته رجلا عف اللسان نزيه القصد أبياً لا يتملق قط بالصغار ويسمو بنفسه عن أن يوجه الحقد تفكيره . لا يبطره الظفر ولا يدعوه الى الاندفاع لما بعد الغاية التي اليها يقصد ، ولا تفجعه الهزيمة أو تدعوه للنزول عن رأى من آرائه . تولت وزارة توفيق نسيم باشا في أول ديسمبر سنة ١٩٢٢ لتكون صلة مابين القصر والوفد بعدت من كانوا يلقون من وزارة ثروت باشا عضداً . فلما

أبلغت انكلترا انذارها الخاص بنص السودان من نصوص الدستور ، وتراجعت وزارة نسيم باشا و بدت عليها بوادر الزوال الذى يسبق الاستقالة جاء عدلى باشا الى دار السياسة حيث كانت بنمرة ١٠ فى شارع المبتديان ، فاستقبلته أول ما اقبل ووقفت واياه فى الشرفة المطلة على حديقة الدار ، فاخبرنى أن الوزارة قدمت استقالتها أو أوشكت وأظهر لى أنه يسره أن تقابل السياسة هذه الاستقالة بكل قصد واعتدال . ودعى رحمه الله ليؤلف الوزارة التى تعقب وزارة نسيم فوضع برنامجاً نشرته السياسة أياماً متكررة اساسه عود وحدة البلاد . ومع أن الأمر ظل بين يديه اسبوعين كاملين أبدت مصر خلالها ميلا الى تحقيق هذه الوحدة فان ظروفاً خاصة جعلته يتنحى عن تأليف الوزارة مما دل على أن الظفر السياسى الذى فاز به الأحرار الدستوريون حين استقالت وزارة نسيم باشا لم يجعل عدلى يسارع الى الحكم متأثراً بهذا الظفر حريصاً على الحكم لذاته . وفى أواخر سنة ١٩٢٣ أثناء المعركة الانتخابية الأولى التى أعقبت صدور الدستور القى الأستاذ محمد على علوبه باشا خطاباً انتخابياً بفناء السياسة (١٠ شارع المبتديان) وجه فيه أموراً معيبة للمغفور له سعد زغلول باشا تردد بعض اعضاء الحزب فى صواب نشرها . فذهبت فقابلت عدلى باشا بداره بقصر الدوبارة وعرضت عليه الفقرات موضع الاعتراض فى النشر . فسألنى رأيى . فقلت إن عبارة واحدة تتعلق بصاحب العرش وما دار فى محادثات ملنر هذه هى التى تقتضى الحكمة الاشارة اليها دون ذكر نصها . أما ما سوى ذلك فقد قاله سكرتير الأحرار الدستوريين بحضرة الفين أو يزيدون فلا يمكن اغفال نشره . وتحادثنا فى الأمر فأبدى هو بعض ملاحظات على رأيى فأصررت عليه . وخرجنا معاً الى مكتب محمد على فوجدنا صدقى باشا به فعدنا نتحدث فى الأمر . وانضم صدقى باشا الى ملاحظات عدلى باشا وتمسكت أنا برأيى ، فسأل عدلى عن ثروت فقيل إنه غادر منزله حاضراً الى المكتب . ولن أنسى قط دخوله الينا فى غرفة استقبال الزائرين وجلوسه على الكنبة فى صدر المكان ومشاركته إيانا الحديث وطلبه منى أن اطلعه على الفقرات موضع الاعتراض ووضعه منظاره على عينيه وتلاوته الفقرات وهو يرفع النظارة الى جبينه حيناً ويهبط بها الى عينيه حيناً ثم تأييده أن خطاباً ألقى بالحزب لا يمكن عدم نشره لأن كرامة الحزب مرتبطة بهذا النشر فلما اشار عدلى باشا الى الفقرة الخاصة بالجالس على العرش والى ما اقترحت انا من الاكتفاء بالاشارة اليها تردد ثروت فى قبول رأيى تردداً رأيت عدلى باشا يكاد يبتسم له . لكنهم آثروا آخر الأمر مراعاة اللباقة فى هذا المقام وحده . وكذلك كفت الاشارة الى كرامة الحزب ليتنازل عدلى عن ملاحظاته الأولى وأذن بأن ينشر الخطاب كما هو مع الاشارة الى الفقرة الخاصة بالعرش

ولما تمت تلك الانتخابات فى ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ وفاز فيها سعد فوزاً اسندت اليه الوزارة بعده رأى عدلى ظاهرة كانت الأولى من نوعها ، أو كانت على الأقل واضحة وضوحاً لم يسبق مثاله .

فجماعة من النواب الذين انتخبوا أحراراً دستوريين ، وبعضهم متمم التعليم العالى ، وبعضهم غنى طائل الغنى ، وبعضهم عضو بمجلس ادارة الأحرار الدستوريين ، ما فتئوا أن رأوا سعداً تولى الحكم وعزل بعض المديرين وأخذ بسياسة الشدة فى الحكم حتى تركوا صفوفهم فى الاحرار الدستوريين واعلنوا انضوامهم تحت لواء سعد. ولما كان النضال العنيف مما لا تسيغه نفس عدلى فانه رأى فى هذه الظاهرة ما زاده رغبة عن النضال وميلا الى اعتزال الحياة الحزبية . وقد ترك رئاسة الأحرار الدستوريين بالفعل فى ذلك الظرف ولم يعد من بعد اليها ، وإن بقى حراً دستورياً طوال أيامه ، وإن بقى طوال أيامه حريصاً على فكرته الأساسية ، وهى أن وحدة الأمة وحدة صادقة نزيهة القصد بعيدة عن شوائب الاعراض الذاتية هى وحدها وسيلة النجاح فى تحقيق غاياتها

بقى حراً دستورياً طوال أيامه . كان كذلك أيام وزارة الائتلاف فى سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ ، وبقى كذلك فى ظرف حسبه الاحرار الدستوريون قد تغير عليهم كل التغير ، ذلك حين تولى الوزارة لاجراء الانتخابات فى سنة ١٩٢٩ بعد استقالة وزارة محمد محمود باشا . فى ذلك الظرف أخذ الأحرار الدستوريون عليه أنه خالف سياسة وزارة الأحرار الدستوريين بما أجرى من نقل المديرين ومن دعوته الوفديين دونهم الى مأدبة [illegible] عقب توليه الوزارة مباشرة ومن بعض أمور أخرى قد يراها الانسان اليوم صغيرة ولكنها تبدو جسيمة فى ظرفها . وقفت فى السياسة بحملة حول الأمر الملكى الذى صدر فى ١٩ يوليه سنة ١٩٢٨ أول قيام وزارة محمد محمود باشا وطلبت الى الوزارة أن تبدى رأيها فيما اذا كان هذا الامر باطلا أم غير باطل . إذ ذاك دعانى عدلى باشا لمقابلته بالاسكندرية فرأى أخوانى الأحرار الدستوريون أن يحملونى اليه عتبهم عليه . فلما سردت أمامه مواضع العتب ناقشها واحدة واحدة فى سكينة وهدوء ، ثم قال : وهل تحسب أنت او يحسب الأحرار الدستوريون أن يكون عطفى يوما ما مع غيرهم ؟

وبقى حراً دستورياً طوال أيامه . فلما عرضت فكرة الوزارة القومية وأشار اليه مندوب انكلترا السامى بصددها فى أواخر سنة ١٩٣١ وحدثت مناقشتها فى سنة ١٩٣٢ كان تفكيره فيها حراً دستورياً . لكنه كان يختلف مع الأحرار الدستوريين فى أنه كان عزوفا عن النضال الذى يحبون ، وكان لا يرضى التقدم الى العمل السياسى إلا فى الجو المطمئن . وميله عن النضال العنيف وعدم حرصه على تولى الحكم الا حيث يصفو الجو جعله من المصريين القلائل الذين تستطيع أن تتبع آراءهم وحياتهم فتراهم متفقين دائماً ، وترى بينهم وحدة متصلة رغم كل التطورات ، وحدة اوضح مافيها نزاهة القصد وسمو الكرامة

محمد حسين هيكل

٢ – داود بركات

بقلم صديقه الاستاذ خليل مطران

هذه أول مرة أخط بها اسمه بعد وفاته. سألتمونى أن أقول كلمة فى رثائه وغير يسير ما سألتمونى. أأعكف بصرى على قلبى وفيه جرح متسع كاتساع القبر؟. أأنبش منه ذكريات كلها دام وكلها أليم؟. أقبل الاندمال وقبل أن يفعل الزمن فعله فى تسكين سورة النوازع يتأتى لى أن أخرج صورة لداود وهى الصورة البهية الرائعة التامة التى أعرفها له، الصورة المعدة للخلود فوق أعراض الحياة ـ فوق الحوادث والأهواء، فوق العوامل الوقتية التى تتنكر معها الاعلام؟ لقد كلفتمونى ما لا تعين عليه الساعة

أخط اسم داود بركات واطرق كثيراً وأفكر ملياً فى ذلك الذى ملأ باسمه الاسماع والابصار فى الشرق طيلة أربعين عاماً، يوماً بيوم، ثم سما متواريا بالحجاب تاركا ذلك الاسم يدوى فى الحنايا أو تنطلق به الالسنة أو تعود اليه الاذهان فى التماس حكمة توحى أو نور يقتبس أو سنن يستن لحل المعاضل أو لدرء المكاره، أو للذود عن الحقوق أو لدفع المظالم والمغارم أو لتوخى الاصلح والاجدى للناس فى كل حال. أفكر ثم أفكر وأعود ملتزماً جانب الاجمال لان التفصيل يسومنى ما لا قبل لى به الآن

أربعون سنة عرفت داود فيها وصادقته وماشيته الى غاية كانت الغاية التى توافقت أمانينا لادراكها فى خدمة مصر خاصة والاقطار العربية عامة، أربعون سنة لم أزدد فيها إلا حباً له واعجاباً به، من لى بأن يسكن روعى ويصفو ذهنى ابان فجيعتى لاستخلص منها ما يمثله تمثيلا يفى ببعض الوفاء بما يجب

ترون يا قرائى الكرام انى احوم حول الموضوع ولا اجرؤ على طرق بابه والدخول فيه، فاسمحوا لى عذراً وحسبكم منى ان أصف جانباً منه وهو جانب الصحفى بكلمات تتضمن كل منها حقيقة لم يفت علمها أحداً منكم

داود صحفياً

كان رحمه الله على استعداد فطرى للجد فى كل عمل يتولاه. فلما احترف الصحافة وقفه انزع اليها وأكلف بها لم يضن عليها بكل جهده وكل وقته ولم يأذن لامر غير عالق بها ان يشغله عنها، فعنى بالكثير والقليل من شؤونها ورقب الصحف الغربية الكبرى فى أطوار تكاملها

المصطلح الشريف أو نظم «البروتوكول» فى الدول الاسلامية المصرية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

تنظم العلائق الدبلوماسية فى عصرنا بين مختلف الدول وفقاً لعهود واجراءات خاصة ، يرجع بعضها إلى أصول القانون الدولى العام التى أقرتها الامم الغربية فى العصر الحديث لتكون حكماً بينها فيما يمس علائقها ومصالحها الخارجية ، ويرجع البعض الآخر الى ما جرت عليه الدول من رسوم وتقاليد خاصة أدمجت مع الزمن فى قوانين ولوائح خاصة . ومن هذه الرسوم والتقاليد ما يعرف فى اصطلاح الدبلوماسية الحديثة « بالبروتوكول » ، وهى كلمة مشتقة من اليونانية ، ومعناها فى الأصل المسودة أو الصورة الاولى لمعاهدة أو وثيقة أو مكاتبة سياسية . وتطلق أحياناً على بعض العهود والاتفاقات الدولية ، ولكن تطلق بالاخص على الرسوم والاجراءات التى تجرى عليها دولة من الدول فى تنظيم علائقها الخارجية ، سواء فى اجراء المفاوضات السياسية أم فى عقد المعاهدات ، أو مخاطبة الدول الأخرى أو استقبال ممثليها ومعاملتهم ومخاطبتهم أو تحرير المكاتبات الدبلوماسية . وتتفق معظم الدول المتمدنة فى تنظيم « البروتوكول » على أصول وقواعد متماثلة ، وإن كانت تختلف فى كثير من التفاصيل التى ترجع إلى التقاليد الخاصة

وقد عرفت الدول الاسلامية نظم « البروتوكول » فى عصر متقدم جداً ، كما عرفت نظم التمثيل السياسى . فالعلائق الخارجية والمفاوضات السياسية والمكاتبات الدبلوماسية والاستقبالات الملوكية ، كانت تجرى فى الدول الاسلامية وفقاً لقواعد وتقاليد خاصة تراعى فيها ظروف الدولة أو الأمير الذى تعقد معه العلائق أو تجرى معه المفاوضة او المراسلة ، ومدى سلطانه ومنزلته من القوة والنفوذ ، ومدى الاشتراك فى المصالح بين الدولتين . وكان أمر هذه العلائق والمفاوضات والمراسلات يرجع بالاخص إلى ديوان الكتابة والرسائل أو ديوان الانشاء . ولهذا الديوان أهمية خاصة فى نظم الدولة الاسلامية ، ولا سيما فى عصورها المتأخرة ، فقد كان مجمع العلائق والمخاطبات السلطانية ، ومصدر الاوامر والمراسيم السلطانية ، ومرجع العلائق والمكاتبات الدبلوماسية . وفى هذا الديوان نشأت

أصول « البروتوكول » وتقاليده فى الدول الاسلامية . وقد تأثرت هذه الاصول والتقاليد الدبلوماسية فى البداية بتقاليد الدولة البيزنطية ، التى كانت أعرق الدول القديمة نظما وحضارة ، ولكن الدول والقصور الاسلامية استطاعت قبل بعيد أن تنشىء لها نظما ورسوما خاصة تتميز بطابعها الاسلامي . وبلغت هذه النظم والرسوم فى دول السلاطين المصرية اوج الدقة والفخامة والبهاء ، خصوصا مذ خاضت مصر غمار الحروب الصليبية وتولت زعامة الاسلام فى المشرق ضد النصرانية ، واشتبكت فى خصومات ومحالفات وعلائق دبلوماسية لانهاية لها ، مع معظم الدول النصرانية وأصبحت كعبة العلائق بين الاسلام والنصرانية

وكانت مجموعة الرسوم والاجراءات التى تجرى عليها دولة السلاطين المصرية فى هذا الميدان تعرف « بالمصطلح الشريف » أو تكون جزءاً منه لان « المصطلح الشريف » كان يشتمل أيضاً فضلا عن رسوم العهود والمفاوضات ورتب المكاتبات السلطانية الداخلية والخارجية ، على اجراءات المناشير والمراسيم والتوقيعات . والمصطلح الشريف فى الدول الاسلامية يقابل فى عصرنا نظم « البروتوكول » تقريباً ولو أنه أوسع مدى . وكان لهذه النظم فى البلاط المصرى فى العصور الوسطى أصول وتقاليد راسخة ، تثير الدهشة والاعجاب بدقتها وروعة تنسيقها ويكفى ان نستعرض طرفا من المكاتبات والمراسلات الدبلوماسية التى كانت تجرى بين البلاط المصرى وبين مختلف الدول النصرانية لنرى الى أى حد كان البلاط المصرى عليما بمعظم هذه الدول وتقلباتها السياسية ، وبعيد علائقه الدبلوماسية . وكانت هذه الدول عديدة منذ الدولة البيزنطية إلى الدول والامارات الايطالية ، ثم الدول الغربية الاخرى التى ارتبطت مصر بها معرفة وعلائق منذ الحروب الصليبية كفرنسا والمانيا وانكلترا . وكان البلاط المصرى يتتبع شؤون هذه الدول وأحوالها بمنتهى الدقة ، ولها فى قلم « المصطلح الشريف » بديوان الانشاء ملفات ووثائق خاصة

واليك نماذج موجزة من هذه المكاتبات والمراسلات الدبلوماسية الشهيرة التى كان البلاط المصرى يوجهها الى مختلف الدول النصرانية :

(١) لبثت الدولة البيزنطية مدى عصور زعيمة الدول النصرانية فى نظر الاسلام ، وكان قيصر قسطنطينية لذلك يوضع على رأس أمراء النصرانية فى ترتيب المصطلح الشريف ويخاطب على النحو الآتى : « ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة العالية المكرمة حضرة الملك الجليل الخطير الهمام الاسد الغضنفر الباسل الضرغام المعرق الاصيل الممجد الاثير الاثيل ابللاوس الوريد أرغون ضابط الممالك الرومية جامع البلاد الساحلية، وارث القياصرة القدماء ، محيي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه

العادل في ممالكه عز النصرانية مؤيد المسيحية أوحد ملوك اليسوعية محول التخوت والتيجان حامي البحار والخلجان آخر ملوك اليونان ملك ملوك السريان رضي الباب بابا رومية ثقة الأصدقاء صديق المسلمين أسوة الملوك والسلاطين .... (فلان) » الخ أو يلقب بعد النعوت السابقة بما يأتي :

« الدوقس الأنجالوس الكمنينوس البالالوغوس (١) صديق الملوك والسلاطين .... » الخ (٢)

(٢) وكان البابا زعيم النصرانية الديني يخاطب بما يأتي : « ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملة المسيحية قدوة الطائفة اليسوعية مملك ملوك النصرانية حافظ الجسور والخلجان ملاذ البطاركة والأساقفة والقسوس والرهبان تالي الإنجيل معرف طائفته التحريم والتحليل صديق الملوك والسلاطين .... الخ » (٣)

(٣) وكانت الدول والامارات الايطالية المختلفة رغم اختلاف مراتبها وتباين زعامتها ونظمها تعرف جيداً في ديوان الانشاء المصرى، وتدرس وترتب في المصطلح الشريف بدقة. فكانت المكاتبة الى جمهورية البندقية توجه الى رئيسها المسمى « الدوج » على النحو الآتي : « وردت مكاتبة حضرة الدوج المحتشم المكرم الخطير المبجل الموقر المعظم المركريو فخر الملة المسيحية جمال الطائفة الصليبية دوج البندقية والمانسية ذخر الدين النصرانية عمدة العمودية صديق الملوك والسلاطين .... » الخ

والمكاتبة إلى رؤساء جمهورية جنوه على النحو الآتي : « صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة البودشطا والكبتان الجليلين المكرمين الموقرين المبجلين الخطيرين ... ومشايخ والاكابر المحترمين أصحاب الرأى والمشورة الكمون بجنوه أمجاد الامة المسيحية أكابر دين النصرانية أصدقاء الملوك والسلاطين ... » الخ (٤)

وكانت جنة أو جوانا ملكة « بولى » « نابل » تخاطب بما يأتي : « صدرت هذه المكاتبة الى الملكة الجليلة المكرمة المبجلة الموقرة المحتشمة المعروة « فلانة » العالمة في ملتها العادلة في مملكتها كبيرة

---

(١) الدوقس هي Dux اللاتينية ومعناها الزعيم أو القائد. والكمينوس Comneus وبالالوغوس palaeologus من ألقاب الاسر التي تولت عرش قسطنطينية : الاولى في أواسط القرن الحادى عشر، والثانية منذ أواخر القرن الثالث عشر

(٢) راجع صبح الاعشى ج ٨ ص ٤٤ و ٤٥

(٣) صبح الاعشى ج ٨ ص ٤٣

(٤) صبح الاعشى ج ٨ ص ٤٦ و ٤٧ والبودشطا هو Podesta كبير القضاة في بعض الجمهوريات الإيطالية في العصور الوسطى. والكبتان Capitane مقدم الجيش أو الاسطول وكان على رأس جمهورية جنوة في العصر الذى نتحدث عنه . والكمون Commune شكل حكومة جنوة حينا

دين النصرانية نصيرة الأمة اليسوعية حامية الثغور صديقة الملوك والسلاطين . . . » الخ

هذه نماذج قليلة من مجموعة حافلة انتهت إلينا من هذه المكاتبات والوثائق الدبلوماسية التي كان ديوان الانشاء المصري يجري في وضعها على أصول وتقاليد خاصة . ويدخل في هذه الوثائق بالطبع صور المعاهدات والعهود والأمانات والمراسيم الخارجية المختلفة مما لا يتسع المقام لنقله . وكانت المكاتبات والوثائق المختلفة تصاغ بصور وأساليب مختلفة من حيث البداية والنهاية طبقاً لأهميتها أو مقام الطرف المخاطب فيها . كذلك كان نوع الورق الذي تكتب فيه وحجمه وقطعه مما يختلف باختلاف الأشخاص والظروف

وقد انتهى إلينا في هـذا الموضوع أثران في منتهى الأهمية والطرافة أولهما كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » لشهاب الدين بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م وصاحب الموسوعة الجغرافية الشهيرة « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » . والثاني كتاب « صبح الأعشى » لأبي العباس القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م ، وهو موسوعة عظيمة حافلة . وكان العمري على رأس ديوان الانشاء والرسائل أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فنهض به وملأه بآثاره واستحدث فيه كثيراً من الرسوم والصيغ . وكتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » يشرح فيه رتب المكاتبات وعبارات العهود والتقاليد والمراسيم والمناشير وصيغها ، ويقدم إلينا نماذج عديدة من الوثائق والمكاتبات الرسمية والدبلوماسية . وقد تناول العمري فوق ذلك أحوال الممالك النصرانية في عصره وعلائقها الحكومية في فصل خاص في موسوعته « مسالك الأبصار » عنوانه « أمر مشاهير ممالك عباد الصليب في البر دون البحر (١) » . وأما « صبح الأعشى » فهو موسوعة أدبية تاريخية جغرافية كبيرة . وقد عنى صاحبه بالأخص بموضوع الانشاء والرسائل وأفاض في نظمها وإجراءاتها وتطورها في مختلف العصور والدول الاسلامية وأورد لنا نماذج عديدة من المكاتبات السلطانية والدبلوماسية . وبه مئات من الوثائق التي تلقي أكبر الضياء على تاريخ مصر السياسي وعلائقها الدبلوماسية في العصور الوسطى

محمد عبد الله عنان
المحامي

---

(١) نشر المستشرق الإيطالي أماري هذا الفصل مقروناً بترجمة إيطالية بعنوان : Condizioni degli Stati cristiani dell' Occidente (سنة ١٨٨٣) . وأما كتاب « مسالك الأبصار » فلم ينشر منه سوى جزء واحد نشرته دار الكتب . وبالدار نسخة فتوغرافية كاملة منه في عشرين مجلداً كبيراً

شخصيات الشهر

(سيتناول هذا الباب الكلام على الشخصيات العربية والغربية التي يتردد ذكرها في خلال الشهر . ولم نتناول الكلام اليوم عن الملك فيصل وعدلي يكن باشا وداود بركات ، اذ قد تكلم عنهم ثلاثة كتاب أعلام في أول هذا الجزء)

الملك غازي

ورث المغفور له الملك فيصل عن والده الملك حسين الهاشمي روح البداوة واخلاقها مع الاقدام والذكاء والشجاعة ، ثم صقل هذا كله باقامته في الاستانة سنوات قبل الحرب العظمى ، وسفره الى أوربا بعد ذلك غير مرة ، حتى اذا ارتقى عرش سورية أولا ثم عرش العراق عرف كيف يجمع بين التقاليد والعادات العربية ومقتضيات الحضارة والعمران في العصر الذى يعيش فيه . ولم يعمر ملكه في سورية لكى تظهر آثاره فيها ، ولكنه تمت في العراق حيث أتيح له أن يحقق جانباً كبيراً من مشروعاته الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، مع انهما كان يحل قضية البلاد السياسية ، وقد أظهر في حلها حنكة وبراعة كسبته مرتبة خاصة في نفوس العرب قاطبة . فانه لما عقد المعاهدة الاولى مع حلفائها لم يرقها للعراقيون بالاستهجان والاستنكار واتهمه الناس بمشايعة السياسة الانجليزية وتنفيذ أغراضها في حين أنه لم يكن يشايعها من كان يساورها ، ولم يكن ينفذ اغراضها بل كان يفادي اضرارها ، رغبة منه في اكتساب ثقة الاخير ، حتى إذا اكتسبها جاء لبلاده بمعاهدة ثانية حلت محل الاولى ثم ألغيت الثانية بدورها واستعيض بمعاهدة ثالثة . وكذلك ظل فيصل يخطو خطوة ويجتاز طريق الاستقلال مرحلة مرحلة الى أن فاز بالغاء الانتداب ونال اقراراً باستقلال العراق عزز بقبوله عضواً في جمعية الامم . وعندئذ عرف العراقيون والعرب حقيقة فيصل فأكبروه وكأن العناية لم تشأ أن ينتقل إلى جوار ربه قبل ان يثبت للعالم ما وصل اليه العراق على يده فوقعت فتنة الاشوريين فأخمدها الجيش العراقي بما دعم استقلال البلاد . وليس هذا الجيش سوى اثر من آثار فيصل في العراق

وكانت وفاة الملك فيصل في سويسرا فما كاد نعيه يصل الى بغداد حتى نودى بوحيده « غازى » ملكا على العراق خلفاً له وهو في العشرين من عمره

وقد تلقى جلالة الملك غازى علومه الاولية في الحجاز . وقيل انه سمى « غازى » لأن والده كان يغزو حين ولادته . ولما جلس الملك فيصل على عرش العراق جاء لولى عهده بمعلمين يعلمونه العربية والانجليزية والعلوم الرياضية والتاريخية والجغرافية ، حتى اذا بلغ الثالثة عشرة أرسله الى انجلترا وألحقه بكلية من أشهر كلياتها فخبر المدنية الافرنجية وزار أشهر العواصم الاوربية

وكأن الفقيد العظيم كان يشعر بان أجله قصير فما كاد ولى عهده يمضى في انجلترا نحو ثلاث

سنوات حتى اعاده الى العراق لينشأ نشأة قومية وادخله المدرسة الحربية العراقية فأفادته السنوات الثلاث التي مكثها فيها فائدة عظيمة لاسباب شتى ، اهمها اختلاطه نخبة من الشبان العراقيين ووقوفه على حقيقة اماني الشعب ومراميه

وكان جلالته ينتهز كل فرصة تسنح له في خلال تلك السنوات الثلاث فيزور مقاطعة عراقية دارساً أحوالها . ولما تخرج في المدرسة الحربية منذ نحو سنة عينه والده ياوراً عنده ليكون على مقربة منه وليشركه في ادارة شؤون المملكة . ولما سافر رحمه الله الى اوربا في الصيف الماضي اقامه نائباً عنه . وفي أثناء توليه العرش بالنيابة اندلعت نار فتنة الاشوريين فاثبت بشجاعته وحزمه انه ابن فيصل وأحبه الشعب وتعلق به

وما كاد جلالته يعتلي العرش حتى عقد خطبته على ابنة عمه كريمة جلالة الملك علي ملك الحجاز السابق ، فقابل العراقيون هذا النبأ بارتياح لما اشتهر به الملك علي من مكارم الاخلاق

ويبدو غازي لمن يعرفه ضعيف البنية ولكنه في الحقيقة قوي البنية. وقد تشرفت بالاجتماع به ومحادثته غير مرة ، سواء كان ذلك في القاهرة أم في بغداد ، فوجدته دائماً صورة لابيه العظيم في بساطته

نادر شاه وظاهر شاه

يرى السائر في كابل ، عاصمة افغانستان نصباً تذكارياً قائماً في ميدان من اكبر ميادينها لتخليد ذكرى فوز افغانستان بتحقيق استقلالها بعد حرب طاحنة دارت رحاها بينها وبين الانجليز في عهد الملك امان الله وقد كتب على هذا النصب التذكاري انه شيد لتخليد النصر الباهر الذى احرزه المرشال نادر خان على الانجليز في حرب الاستقلال

وليس « المرشال نادر خان » الذى يعده الافغان بطل استقلالهم سوى الملك نادر شاه الذى نعته الينا التلغرافات أخيراً قائلة انه اغتيل بيد طالب افغاني اثيم

ولم يكن جلالته دخيلا على العرش فانه كان يمت للعائلة المالكة بصلة القرابة والنسب من زمان طويل . وانتظم في سلك الجيش وهو لايزال في ريعان الشباب . ولما دارت رحى الحرب بين الافغان والانجليز كان جلالته القائد العام للجيش الافغاني ، وخيل الى الملك أمان الله يوماً ان الانجليز سيتغلبون على جيشه ، فكتب الى قائده العام نادر خان يستشيره في الشروط التي يشترطها الانجليز لعقد الصلح ، وكانت هذه الشروط تنطوي على بسط حماية مقنعة على افغانستان ، فرد عليه قائلا : إنه مادام في الافغان عرق واحد ينبض فمن العار عليهم ان يسلموا بتلك الشروط ، ومضى في منازلة الانجليز الى ان تغلب عليهم واضطرهم الى عقد صلح شريف مع مليكه

ولكن الملك أمان الله لم يعرف كيف يستفيد بهذا النصر العظيم وأخذ يسير على غير إرادة الشعب فنبهه نادر خان الى خطئه ، فلم ينتبه ، فأعرب له حينئذ عن رغبته في الرحيل عن البلاد ، فعينه سفيراً لافغانستان في باريس فتقلد هذا المنصب فترة من الزمن ، ثم استقال منه أيضاً لمخالفته

لأمان الله فى كل أعماله وإجراءاته واعتزل الحياة العامة فى ضيعة هادئة فى فرنسا

وظل نادر خان مقيما فى فرنسا الى أن تنازل امان الله عن العرش وقبض اللص «بچه سقا» على زمام الحكم فى افغانستان وبالغ فى ظلمه وعناده، فقرر نادر خان عندئذ أن يعود الى بلاده بالرغم من اعتلال صحته ليفقدها من شر «بچه سقا» فعاد اليها عن طريق قنال السويس والهند وما كاد يطأ أرض وطنه حتى التفت حوله جموع كثيرة فألف منها جيشاً قوياً قاوم به جيش «بچه سقا» الى أن تغلب عليه ودخل «كابل» ظافراً فأبى «بچه سقا» مع ذلك ان يستسلم وظل يحارب الى ان أسره رجال نادر خان وزجوه فى السجن

ونادى الافغان بنادر خان ملكا عليهم فقبل العرش بعد إلحاح شديد منهم، وكان أول ماعمله أن تنازل عن حقوقه فيما يتعلق «ببچه سقا»، ولكن زعماء القبائل ورؤساء العشائر أبوا أن يتنازلوا عن حقوقهم من جهتهم وأعدموه بأنفسهم

وانصرف الملك نادر شاه بعد اعتلائه العرش الى تنظيم الحكومة فنظمها على القواعد الحديثة ثم أعاد تنظيم الجيش وانشا مجلساً نيابياً للامة ومحكمة لفض المنازعات التجارية ومجلساً لترقية الجيش وجمعية لاحياء اللغة الافغانية، وهذا علاوة على تعبيد الطرق وانشاء الملاجىء وبناء المستوصفات والمستشفيات

وبينما كان الافغان والشرقيون يعقدون آمالا واسعة على هذا الملك العظيم فوجئوا بنبأ اغتياله ولم ينقض على جلوسه على العرش أكثر من أربع سنوات. وليس له من العمر أكثر من خمسين سنة

• • •

وحذا الافغان حذو العراقيين فما كاد نبأ مصرع مليكهم ينتشر بينهم حتى بايعوا وحيده «محمد ظاهر شاه» ملكا عليهم بدلا منه وبين فى بادىء الامر إن أشقاء الملك الراحل لم يبايعوا الملك الشاب الجديد وان بعضاً منهم يطمع فى العرش، ولكن الاخبار الرسمية مالبثت أن جاءت بأن المبايعة شملت جميع الطبقات بما فيها طبقة الامراء وأشقاء الملك الراحل

وما يزال الملك الجديد فى العشرين من عمره، وقد اقام مع والده فى فرنسا أربع سنوات أو أكثر قليلا ثم عاد معه الى افغانستان وانتظم فى سلك المدرسة الحربية فى كابل وتخرج فيها فى السنة الماضية بعدما تخصص فى البيادة والمدفعية الخفيفة، فعينه جلالة والده وكيلا لوزارة الحربية ثم عينه وكيلا فخرياً لوزارة المعارف، وكان الغرض من هذين التعيينين تدريبه على تصريف شؤون الدولة. والملك الجديد متزوج وله أولاد

وقد كان أحد عمومته رئيساً للحكومة فى عهد والده فاحتفظ بهذا المنصب

كاظم الحسيني باشا

كان من نتيجة اضطهاد اليهود فى المانيا انهم اخذوا يفدون على فلسطين وكانت كل باخرة ترسو فى يافا أو فى حيفا فى الصيف الماضى تنزل اليها بضع مئات من مهاجريهم، فهال ذلك الوطنيين واحتجوا عليه لدى الحكومة فلم تعر احتجاجهم التفاتاً، فقررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر

الفلسطيني - وهي الهيئة الوطنية الكبرى في البلاد - ان تقام كل اسبوع مظاهرة كبيرة في مدينة من المدن الفلسطينية بالتعاقب ، الى أن تجيب انجلترا الشعب الفلسطيني الى مطالبه الجوهرية ، وهي أولا وقف الهجرة اليهودية وثانياً منع بيع الاراضي لليهود ، وثالثاً انشاء مجلس نيابي في البلاد ينتخب اعضاؤه انتخاباً حراً

واقيمت المظاهرة الاولى في القدس يوم ١٨ اكتوبر الماضي فحاول البوليس قمعها بالقوة فقتل بعض الاهلين وجرح آخرون ، ولكن الحوادث الدامية حدثت في مظاهرة يافا وقد اقيمت بعد ذلك التاريخ باسبوع ، اذ لجأ فيها بعض الضباط الانجليز للقوة فهاج الشعب هياجاً عظيما لافي يافا وحدها بل في جميع انحاء فلسطين

وليس من شك في انه كان لما اظهره اعضاء اللجنة التنفيذية من روح التفاني والبذل والاقدام أثر كبير في اذكاء نار الحماسة والوطنية في قلوب الاهلين ، ولا سيما اذ رؤى عطوفة كاظم الحسيني باشا رئيس اللجنة وزعيم فلسطين يسير في طليعة المتظاهرين في القدس وفي يافا

وكاظم باشا عميد اسرة الحسينية من أكبر عائلات فلسطين ان لم يكن أكبرها ومنها سماحة الحاج امين الحسيني المفتي الاكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى

ولما أصيب عطوفته برصاص في مظاهرة يافا أحاط به كثيرون يهنئونه بنجاته وينوهون بوطنيته وبسالته ، فقال لهم : « ما انا الا جندي من جنود الوطن أزحف الى حيث ينادي الواجب الوطني » . وعطوفته في العقد الثامن من عمره !!

هتلر

لما قابلت الهر هتلر في مصيفه في الصيف الماضي (اواخر يوليو) كان اهم ما استوقف نظري في حديثه معي صراحته في كلامه ، وهي صراحة لا نعهد في رؤساء الحكومات عادة ، وكان أهم ما قاله لي يومئذ : « ان المانيا تطلب المساواة في السلاح ، فاما ان ترفعنا الدول العظمى الى مستواها أو تنزل هي الى مستوانا . . وأنا اتكلم باسم ألمانيا كلها . . . المانيا الفتية ، المانيا الناهضة » ثم شفع ذلك بقوله : « واذا كان التهديد قد نفع مع بعض الحكومات الالمانية السابقة فانه لن ينفع معنا بعد الآن »

وقد نفذ هتلر ما قاله . . فانه لما رأى ان الدول العظمى لاتجيبه الى طلبه انسحب من مؤتمر نزع السلاح ومن جمعية الامم ، وحل مجلس الرشستاج واجرى انتخابات جديدة ليقول الشعب الالماني كلمته فيما عمله ، وقد تقدم لها ٩٦ في المائة من مجموع الناخبين واعطى ٩٣ في المائة منهم اصواتهم للهر هتلر وحكومته ، فاثبت زعيم النازي للعالم انه يتكلم ويعمل باسم المانيا كلها !!

وقد قوبلت نتيجة هذه الانتخابات باهتمام عظيم في اوربا بوجه خاص . ومع أن موقف دولها الكبرى تجاه المانيا الجديدة لم يظهر بعد الا ان جميع الدلائل تدل على انها ستسعى لخطب ود هتلر وحكومته ، ولا سيما بعدما عقدت المانيا غداة الانتخابات الاخيرة معاهدة عدم الاعتداء مع بولونيا . لتقيم الدليل على انها لا تطلب الحرب وانما تطلب المساواة

كريم ثابت

لم يعرف تاريخ الرقص تطوراً أشد حدة من التطور الذي مر به اليوم فقد بلغ الغاية من التقدم ، ولكنه على شيء عظيم من الاضطراب حيث تطوى المظاهر القديمة تجاذبها النزعات الحديثة . وأكبر دليل على أهمية الرقص وعصريته انه توغل في المسارح المختلفة الميول ، وأصبح يتأثر بالرياضة البدنية ، كرقص « البنات الاميركيات » ، وتموج الجسم الافريقي والاميركي ، ومن هذا القبيل ما اطلق عليه اسم « الرومبا » و « البيجين » . وقد كان لذيوع « الجازبند » تأثير كبير في انتشار الرقص السوداني المملوء زواناً الحامل بين جنبيه آثار البربرية القديمة . وهناك مظاهر اخرى موزعة بين نحن الروس والاسبان والكامبودجيين والهنود والصين . ولنعرض هنا الى بعض تلك النواحي

الرقص الروسي

كان الرقص الروسي منذ عشرين سنة يسحر الناس وكان من أعلى مظاهر الفن ، ولكن كسدت سوقه اليوم وهوى نجمه ، ولم يصبح له المحل الاول في المسرح ، بل صار عماداً للموسيقى ووسيلة من وسائل عرض الروائع التي تزين المسرح من أثاث وملبس . وقد شابه الحركات المتصنعة التي تشير الى مختلف الاحساسات والعواطف ، فنشأ عن ذلك التكلف والتصنع اللذان يشوهان الفن . الا ان الرقص الروسي ظل زماناً قائماً على اساس الرقص (الكلاسيك) ولكن اصحابه ارادوا أن يستحدثوا فادخلوا عليه ما خرج عن الاتزان وصار

به إلى ماهو أقرب الى البهلوانية والتمثيل الصامت . والراقص فى كل هذا لا تطلق جوارحه وينقاد لايقاع الموسيقى الانقياد كله . وكيف للفن ان ينهض إذا كانت مظاهره مسيرة ؟

أنا بافلوفا

وقد تخلص الرقص الروسي اليوم أو كاد من تلك الشوائب بفضل الراقصة الشهيرة «أنا بافلوفا» التى زارت مصر منذ ١٢ سنة . فقد طافت (بافلوفا) فى انحاء العالم والناس معجبون بها مسحورون ، ونقاد الفن لا يستطيعون ان يجدوا الالفاظ التى يعبرون بها عن روعة رقصها .

وجل ما يقال فى (بافلوفا) ان رقصها ضرب من العجائب إذ يحرك فيك شتى الاحساسات وكأنه يردك شخصاً آخر . ففى رقصها تمتزج الروح بالجسم امتزاجاً قوياً فيؤثر كل منهما فيك . فكل حركة من حركاتها تشير الى كل فكرة ، وكل انعطاف من انعطافات جسمها يثير التلذذ

ومما يذكر ان (بافلوفا) تمثل المشهد الفاجع فى كثير من الألم والتوجع ، والمشهد الفرح فى كثير من الانشراح والطلاقة . وكأن رقصها داء يعدى كل من اراد مشاهدته . والذى

الراقصة الروسية انا بافلوفا فى رقصة البجعة

يزيد في جمال رقصها انه لا كلفة فيه ولا تصنع

ومن يتأمل رقص (بافلوفا) لا يعرف السر في تأثيره ، ولكنه يشعر بأن روحه تلتهب وجسمه يتمعض ونفسه تتساقط من بين جنبيه . ولا يستطيع الناقد أن يعلل ذلك الرقص لانشغال عقله أمام وحدتها المتماسكة الاطراف . ويجمل القول ان ميزة بافلوفا ليست في براعتها البهلوانية ولا في خفتها ولا في حذقها ، ولكن في تميز جسمها إلى الرقص كأن أعضاءه قد خلقت لتلتوى وتنعطف وتمتد وتتقبض على انغام الموسيقى . فرقص (بافلوفا) سر من اسرار الكون لا مظهر من مظاهر الفن

الراقصة ازادورا دونكان

ازادورا دونكان

ان سيرة هذه الفتاة الاميركية عجيبة حقاً ! فقد غادرت منذ ثلاثين سنة وطنها وساحت في اوربا لتذيع في الناس ضرباً جديداً من الرقص تؤمن بجماله الايمان كله . وكانت لا تقل حماسة في ايمانها وفي عزمها على اذاعة رقصها عن رجل يدعو الناس الى دين أو مذهب . وكان رقصها لا يعبأ بتقاليد الرقص الكلاسيكي . فقد كانت (دونكان) ترقص اطلاقاً كما يترنم الطير ، منقادة الى اندفاع قلبها واضطراب جسمها ووحي الساعة . فكأن لها شيطاناً على شاكلة شيطان الشاعر

اوجنينا الراقصة الاسبانية

وقد خلعت (ازادورا) اللباس الملتصق بالجسم (maillot) ولم تترك وهي ترقص الا ما يكاد يستر خصائص المرأة ، لان الرقص عندها شيء طبيعي كالغناء ، فلا بد له من ان يكون حراً طليقاً . وليس عريها مظهراً من مظاهر الدعارة ، بل لوناً من ألوان الغبطة الفردوسية البعيدة عن الخير والشر معاً

ماتت (ازادورا) وذكراها ما تزال تشغل القلوب ، لأنها اطلقت الرقص من قيود الجمود والتعمد واقامته على اطلاق الطبيعة وبثت في حياته شيئاً من الايمان بالفن الأعلى ، ورفعت نفوس الجمهور ، فأصبح الرقص عنده مظهراً من المظاهر السامية . ولكنها لم تؤسس مدرسة لأن فنها لم يكن لينهض على طريقة عقلية ولا على نظام حراكي ، ولكنه كان منبعثاً منها محبوساً على نبوغها

الرقص الاسباني

ان اصول الرقص الاسباني تكاد تكون مطوية ، فن المتعسر على الناقد ان يلم بتاريخها . وما نراه فيها من نضال بين الوداعة والحماسة ناشيء عن ذلك الصراع الذي طالما نازع النفس الاسبانية .

صراع العنصر الشرقي والعنصر الغربي، صراع العرب والقوط . ففي الرقص الاسباني هيجان الدم الاندلسي وعنف عزيمة اهل (كاستيليا) . وفيه ترى الطريقة العربية والطريقة الافرنجية، هذه تبسط الايدي والارجل وتبرز الصدر وتنشر الاعضاء في حين ان تلك تقبض الايدي والارجل وتحرك العضلات من تحت الجلد وتجمع الاعضاء الى اجداعها

تلك خصائص الرقص الاسباني . ولكنه مازال على حاله حتى مله الناس ثم قيض الله له فتاة تدعى (الارجنتينا) فمنته من مرقده ونفثت فيه روحا استمدتها من أنظمة الرقص العلمية . فانها قد هذبت تلك الحركات المستديرة والتموجات المفرطة والخطرات المتشابكة وجعلتها تخضع لقوانين انتقال الاقدام وبسط الاذرع في شكل منسق متزن . وكأنها خلصت تلك الانعطافات الاندلسية مما يشوبها من الجسمانية وابرزت ما فيها من روحانيات تدخل الى النفس تواً كأنها ضرب من ضروب الرقية

الراقصة الزنجية جوزفين بيكر في احدى رقصاتها

الرقص السوداني

ان الرقص السوداني اقرب شيء الى مظاهر البربرية . فكله ضجيج وجلبة ولكنه لا يعجز عن ان يبلغ أعلى درجات الفن . وقد بلغها اليوم مع الراقصة الشهيرة

(جوزفين بيكر) فلا شك ان تمكك اعضائها وانتفاض حركاتها واختلاج عضلاتها يصب في نواحي جسمها شيئاً من الخبط الشيطاني ، وفي ذلك الخبط روعة تملك العقل وإن لم تحل في العين . ثم ان ملامح وجه (جوزفين بيكر) ما تنفك تنقبض وتنطلق وتلتوي وتنبسط جريا على تموجات جسمها ونبرات (الجازبند) وفي هذا ما يجعل المشاهد يحس باحساسها ، وان ضحك اغرابة هيئتها تأثر باطنا وربما بلغ به التأثر كل مبلغ . وان معظم الهيئات التي تتخذها (جوزفين بيكر) تمثل لنا اشكال النحت والرسم عند الامم السودانية على ما فيها من اغراب وافراط واهتمام بالاعضاء التناسلية

الرقص الشرقي

ان رقص (اوداي شنكر) خير مثال للرقص الهندي . وهذا الراقص طويل القامة ، رشيق ، نحيف ، مستطيل العضلات ، منسرق الاكتاف . واغرب ما فيه ليونة عمود ظهره ورشاقة اضلاعه ، وأما يداه فكأنهما ريشتا رسام تخطان في الفضاء تهاويل واشكالا عجيبة . وكأن في اصابعه سراً من اسرار الالوهية ، فاذا انتشرت هنا وهناك ارسلت شواظاً يتقد به السحر من كل جانب

راقص ياباني

وأما رقص أهل السنغال فهيهات ان يرتفع عن مرتبة الفطرة . فهو يظهر بمظاهر الضرب والطعن أو مظاهر الحماسة . والذي يزيد في هذا الشكل ما يرتديه الراقصون من خوذ واساور وتعلق لها جميعها صلصلة الاسلحة . ويجري الرقص على ايقاع طبلة تؤثر في الراقصين إلى حد يبلغ بهم التهوس ويردهم جماعة من الجن يتسكعون ويلتوون

وأما الرقص الياباني فانه يناقض الرقص الافرنجي كل المناقضة . فبينما الرقص الافرنجي يحاول ان يخط دوائر ويقيم بحركات الارجل زوايا مستقيمة إذ نرى الرقص الياباني يجتهد جهده في ان يخط

الراقص الهندى أودى
شنكر فى احدى رقصاته

فتيات أديبات يرقصن رقصة إيقاع

خطوطاً حلزونية أى خطوطاً مستديرة تتباعد شيئاً فشيئاً عن نقطة مصدرها وهى تلتوى حولها. والذى يساعد الراقص اليابانى على أحداث هذا الشكل أكمام ردائه الواسعة . فى حين أن المروحة تمد المعصم وهى تتداخل أو تنبسط شيئاً أو تنتشر مرسلة فى الفضاء خطوطاً متموجة لا عدد لها

الرقص الالمانى

اصبح الرقص يعلم فى المانيا فى جملة العلوم المدرسية . وأصبحت الحكومة تشرف عليه وترقيه. وصاحب الرقص الحديث فى المانيا يرقص مع شىء من الثقل لأنه يتعمد تحريك كل جسمه مع لايبالى بأن يناسب بين مختلف حركاته . وغرضه محصور فى التهويل على الجمهور . فهو يمثل فى رقصه مشاهد قائمة على الفزع أو القلق أو الحنون

وإنك لتجدن فى الرقص الالمانى تلك الضخامة المقصودة التى تلمحها فى معظم المظاهر الالمانية ، إلا أن فى هذا الرقص بقايا من الصون ، الكلاسيكية ، وشيئاً من هيئات الرقص الروسى ، وهى

تأخذ الآن في التضاؤل بل في الاضمحلال . وليست الموسيقى في الرقص الالماني إلا اداة معاونة فلا تسوق اقدام الراقص ولا تلهم يديه حركاتهما ، ولكنها تخرج من حين إلى حين صوتاً من الاصوات سماً او نغراً أو عرفاً لا دلالة له ولا تأثير

وعلى تلك الضروب من الرقص رقص المسارح . فتارة يغش الراقصون في الابتداع ، وتارة يقعون حركاتهم على اشكال الرياضة البدنية كسرب « الفتيات الامريكيات » ، واخرى ينصرفون الى اعمال بهلوانية . وقد بين ذلك ناقد بارع في الرقص يقال له (لوفنسون) (١)

وصفوة القول أن الرقص العربي الحديث موزع في اشكاله ، ولم يأخذ بعد شكلا واحداً ، ولاندرى أيظل على النظم « الكلاسيكية » أم يستلهم هيئات الرقص الروسي أو الشرقي أو السوداني. ولا شك ان اختلافه خير من اتحاده ، لأن الناس يجدون في مختلف مظاهره مايكفون به شتى رغباتهم

ف .

(1) André Levinson, La Danse d'Aujourd'hui, Editions Duchartre, Paris

مثال آخر من الرقص الايقاعي الالماني

الفن الاسلامي المصري
في عصوره المختلفة
بقلم الاستاذ حسن محمد الهواري
جامع
السلطان
حسن

الايوان الشرقي لجامع عمرو بن العاص

كان نصيب مصر من الحضارة الاسلامية موفوراً اتاح امامه مدنية المصريين العريقة في القدم. فمصر التي ظلت متمسكة بمدنيتها الفرعونية نحو أربعين قرناً والتي كانت تطوى كل فاتح تحت جناحها وتصبغه بصبغتها الفرعونية، اصطبغت بالمدنية الاسلامية فناً وديناً ولغة، واندمجت مع تيارها الغالب تسابق في مضمار الفنون والاجادة فيها حتى صارت في طليعة الشعوب الاسلامية

وقد حفظت مصر سلسلة متصلة الحلقات من المدنية العربية من الفتح الاسلامي الى وقتنا هذا، مع تغيير بسيط يوافق كل عصر قامت فيه

وتاريخ الفنون والصناعات في مصر مقترن بالتاريخ السياسي وادواره، فكلما تغيرت سياسة الدولة تطورت الصناعات تبعاً لذلك. وانا لا نجد في المدنيات الاخرى مثلاً للمدنية الاسلامية في مصر، فقد حفظت كل دولة لنفسها شخصية خاصة وطبعت مبانيها وصناعاتها بطابع يباين ما قام قبله وما لحقه. وقد كان لتغيير المذهب الديني ايضاً اثر في فنونهم وصناعاتهم. فالفاطميون كانوا شيعة وانفصلوا عن الخلافة الاسلامية، وجاء صلاح الدين فمحا قصورهم ورسومهم، ولكل منهم فن ممتاز. وكذلك الفرق بعيد بين صناعات المماليك والاتراك. لذلك نرى تقسيم الادوار التي تنقلت فيها الفنون والصناعات في مصر الى سبعة عصور :

الدور الاول - عصر الولاة من قبل الخلفاء

من سنة ١٨ إلى سنة ٢٥٦ الهجرية

فتح عمرو بن العاص مصر فى العام الثامن عشر من الهجرة فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتعاقب على حكمها أكثر من مائة وال فى نحو قرنين ونصف . وإذا استثنينا عمرو ابن العاص الذى انشأ أول جامع عرف فى مصر بمدينة الفسطاط فاننا لانجد غيره من الولاة له منشآت يذكر بها. ولم يتغير الحال فى مصر بقيام الدولة الاموية فى دمشق ولا الدولة العباسية فى بغداد بل ظل هذا العصر عقيما من الابنية العظيمة ولم يبق لنا التاريخ من آثاره إلا النزر اليسير . وهاك ما بقى من آثار هذا العصر :

(١) جامع عمرو - الذى شيده عمرو بن العاص بعد الفتح مباشرة سنة ٢١ الهجرية ووقف على تحرير قبلته جماعة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد طرأت عليه تقلبات عدة من توسيع وتخريب وتعمير وترك وهجران . بين صعود تارة وهبوط اخرى حتى اصبح على حالته الراهنة . وليس فيه ما يذكر ما نشأته ويرجع بنا إلى ايامه الاولى سوى موضعه الاصلى الذى اختطه يد الفاتح العظيم

جامع عمرو بن العاص بالقاهرة

الجامع الأزهر

(٢) مقياس النيل بالروضة ـ الذي بناه أسامة بن زيد الملقب بالتنوخي في عهد الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٦ الهجرية وأتمه في سنة ٩٧ الهجرية . فقد اتفق مؤرخو العرب على أن العمود الموجود به الآن هو العمود الذي وضعه أسامة . وكذلك الكتابات الكوفية المحيطة بجدرانه فان بعضها من زمن الخليفة العباسي المتوكل ويرجع عهدها إلى سنة ٢٤٧ الهجرية

(٣) اطلال مدينة الفسطاط ـ وقد كان من نتائج الحفر في السنين الاخيرة في التلال القائمة بالجهة الشرقية لمصر القديمة كشف قطعة من مدينة الفسطاط تزيد مساحتها على خمسين فدانا ، فخطت شوارعها وازقتها ودروبها فاصبحت مثالا من تخطيط المدن الأسلامية في القرون الوسطى . وقد كانت متعرجة غير مستقيمة ضيقة المساحة طلبا لتوفير الظل ، يتفاوت عرضها بين متر ونصف وستة أمتار . وفي قلب المدينة حيث جامع عمرو تقوم الاسواق والمصانع والحمامات والخانات ونحوها من أسباب العمران . وبين هذه الاطلال ظهرت نحو خمسين دارا قائمة على الصخر مباشرة وهي حسنة النسق محيطة على صحن مكشوف يجلب لها الهواء والضوء ويكفل حرمة الجوار ويكف نظر من خارجها عن رؤية من بداخلها . ولا تخلو دار فيها من حديقة فيحاء ونافورة ماء . ومعظم هذه الدور مبني بالآجر

هذا ما بقي من آثار تلك العصر الذي يدل على مستقبل المدنية الاسلامية في كافة الصناعات

الدور الثاني ـ عصر الدولة الطولونية

من سنة ٢٥٧ الى سنة ٢٩٢ الهجرية

تبتدىء الصناعات الاسلامية من عهد الدولة الطولونية ، إلا أن ما كان في العصر الاول من الزخارف التي على الشواهد والاخشاب التي عثر عليها في مقابر عين الصيرة واسوان مما يرجع عهده إلى قبيل الطولونيين ـ يدل على تمكن الروح البيزنطية في أول سني الفتح ، ولكن لم تلبث تلك الروح ان طغت عليها المدنية الاسلامية وجرفتها امامها بطراز اسلامي محض

وجامع ابن طولون يعد مفخرة في حكم هذه الدولة بل في الدولة الاسلامية جمعاء . وهو الذي اختطه وسط القطائع فوق جبل يشكر سنة ٢٦٣ الهجرية

وهذا الجامع هو الوحيد الذي بقي منذ أحد عشر قرنا لم يغيره كر الدهور والاعوام . وبه الى الآن بقايا صالحة لم تعبث بها يد الزمان ويستدل منها على ان الفنون والصناعات الاسلامية بلغت شأنا عظيما في هذه الدولة

ويشبه هذا الجامع جامع عمرو وهو يتألف من صحن مكشوف تحيط به بوائك من جهاته الاربع أكثرها عدداً في جهة المحراب

وليس بالجامع اعمدة من رخام غير عمودى المحراب . وقد استعيض عن الاعمدة بالدعائم المبنية بالآجر . وحليت العقود بزخارف جصية مشكلة غاية فى الابداع والاتقان . وسقف الجامع مصنوع بالخشب وقد بقيت بعض أجزائه الاصلية . هذا ماتخلف من آثار هذا العصر الذهبى. أما آثارهم المنقولة فلم يبق منها الزمن الا مجموعة من قطع الخزف ذى البريق الذهبي محلاة بالزخارف والصور البديعة ، وهى ما تزال تشهد بتبريزهم فى صناعة الخزف التى كانت فى مهدها

وفى عهد خمارويه بن احمد بن طولون بلغ الترف والزخرف فى القصر والميدان شأواً عظيما فكانا آية العصر واعجوبة الدهر ، وظلا فى طليعة التحف الفنية العجيبة الى ان دمرهما محمد بن سليمان بأمر الخليفة العباسى ليمحو آثار الطولونيين . وقد طلى خمارويه جدران ذلك القصر بالذهب الخالص ورسم عليها صور حظاياه بحجمها الطبيعى . وكانت تكتب الاشعار بالنباتات المختلفة على بساط بستانه الذى كان جنة لا مثيل لها

عود الى عهد الولاة من قبل الخلفاء

من سنة ٢٩٢ الى سنة ٣٢٣ الهجرية

وبعد انقراض الدولة الطولونية خضعت مصر للخلفاء العباسيين مرة أخرى واصبحت عقيمة فترة من الزمان من كل اثر فنى أو مظهر للصناعة ولم يترك لنا هذا العهد شيئاً ما

صحن جامع احمد بن طولون . ويظهر فيه المنارة ذات السلم الخارجى

الدولة الاخشيدية - من سنة ٣٢٢ الى سنة ٣٥٨ الهجرية

ولكن لم يطل عهد الولاة من قبل الخلفاء العباسيين الا القليل ، فزالت سلطة الدولة العباسية كما زالت دولة بني طولون من قبل . وفى عهد هذه الدولة حالت الحروب الداخلية دون رقي الصناعة ، ولذلك لم يصلنا شيء من آثارها لنهتدى به فى معرفة حالة الفنون والصناعات فى عهدهم

ومما ذكره التاريخ اصلاحهم لجامع عمرو فى سنة ٣٢٤ هـ . وفى دار الآثار العربية مجموعة من الخزف الذى عثر عليه فى اطلال الفسطاط ، زخارفها بين الطولونية والفاطمية وقد رؤى اعتبارها من مصنوعات هذا العهد

الدور الثالث - عصر الدولة الفاطمية
من سنة ٣٥٨ الى سنة ٥٦٧ الهجرية

وفى سنة ٣٥٨ الهجرية دخلت مصر فى دور جديد حيث خضعت لدولة الفاطميين وانتقلت السلطة من العباسيين اليهم . وكان الفاطميون لتمذهبهم بمذهب الشيعة مبغضين للعباسيين وقد كان لمذهب الشيعة أثر فى شؤونهم وصناعاتهم . ويعتبر عصر الفاطميين بحق عصر النهضة . ولأن الفاطميين شيعة أباحوا التصوير فلتحلى مصنوعاتهم بصور الآدميين والحيوانات والطيور وبلغت الزخارف النباتية فى عهدهم حد الاتقان والاعجاب

(١) ماتبقى من القصور الفاطمية - بعد ان فرغ جوهر من الفتح أسس عاصمة جديدة

جامع قايتباى الشهير بمنارته وقبته المزخرفة

سماها « القاهرة » أحاطها بالاسوار وشيد في وسطها قصراً لمولاه المعز . ولما جاء العزيز بنى القصر الصغير الغربي ، وكان بينهما ميدان فسيح ، ويتصل أحدهما بالآخر بنفق تحت الارض يسع الخليفة راكباً بغله وامامه غلمانه وجواريه . وقد اطلقوا على قصورهم « القصور الزاهرة » ، ولكن الزمن لم يبق من هذه القصور شيئاً الا أفاريز من خشب عثر عليها في موقع القصر الغربي وهي الآن محفوظة بدار الآثار العربية وبها زخارف محفورة تمثل مناظر مختلفة للصيد والرقص والموسيقى ، ومحلاة بصور الغزلان والطيور والجمال تحمل الهوادج . وهذه النماذج التي تمثل حياتهم العامة تريبا مبلغ تساعهم وحبهم في الرسم والزخرف اللذين بلغا حد الكمال والاتقان

ولئن كانت قصورهم قد انمحت آثارها فقد بقي من مساجدهم العدد الكثير وهي طراز سامية المقدار ، وكلها ذات صحن مكشوف وايوانات كجامع ابن طولون ، نذكر منها :

(١) الجامع الازهر – وهو اقدمها ، بناه في سنة ٣٥٨ ﻫ جوهر الصقلي على نسق جامع ابن طولون من حيث سقفه الافقي ، ولكن هذا السقط قد تغير وتبدل حتى أصبح الجامع عالته الراهنة يتألف من مجموعة جوامع بنيت في عصور مختلفة

ومن مميزات الجامع الاصلي عقوده التي من الطراز المسمى بالمحصى ، وهي عقود يظهر ان المتدع لها في مصر هم الفاطميون ، وهذه العقود مبنية بالآجر ، اعلى بالجص ، وما تزال منها الى اليوم بقية صالحة مزخرفة زخارف بديعة تحيط بها الكتابات الكوفية المشجرة بزخارف نباتية بسخاء واتقان

(٢) الجامع الانور – او جامع الحاكم بأمر الله وشكل عقوده من الطراز المدبب وهي العقود الوحيدة المستثناة التي على هذه الوتيرة من عهد الفواطم

وسقف جامع الحاكم محمول على دعامات مشابهة لما في جامع احمد بن طولون . وقد حليت هذه الدعامات بعمد من اصل البناء لاصقة في الاركان وزينت العقود بالكتابات الكوفية المشجرة الجميلة

ومن مميزات هذا الجامع ماراته ذات القواعد الحجرية . وقد كانت هذه المنارات موضع بحث لان الزلزال الذي حصل بمصر في سنة ٧٠٢ الهجرية كان قد أتى على قممها فدكها ، ثم اعاد بناءها بيبرس الجاشنكير وشيد حولها القواعد المربعة الحالية لتقويتها وعمل لها قمماً من طراز عصره

(٤) الجامع الاقمر – بني في عهد الخليفة الآمر باحكام الله . وفي هذا الجامع حاول المعمار لاول مرة ان ينشيء واجهة مزخرفة منمقة ، ففي هذه الواجهة زخارف تشهد لصانعها بالبراعة والسبق في ذلك المضمار

(٥) الجامع الافخر – وفي سنة ٥٤٣ ﻫ بنى الخليفة الظافر جامعاً بالسكرية كان يعرف

(١٢)

بالجامع الاقمر ، ويعرف الآن بجامع الفكهانى . تخرب هذا الجامع وأعاد بناءه الامير احمد كتخدا الخربوطلى فى سنة ١١٤٨ هـ وليس به من الجامع القديم سوى مصاريع أبوابه وهى منقوشة نقشاً بديعاً غاية فى الاتقان

(٦) جامع الصالح طلائع بن رزيك ـ بناه الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك فى سنة ٥٥٥ هـ

ومن مميزات هذا الجامع الطبقة السفلى التى كان فيها عدة حوانيت وهى الاولى من نوعها . وكذلك واجهاته المبنية بالحجر المنحوت

ويلاحظ فى الدولة الفاطمية استعمال جديد للقباب ، فبعد ان كانت تبنى فوق الجزء من المسجد الذى به المحراب اخذوا يشيدونها فوق مشاهد اولاد الامام على ، تعظيما لشأنهم واحتراماً لاجدادهم

وقد بقى من هذه القباب قبتان :

(١) قبة الجيوشى ـ قبة جامع الجيوشى الذى بناه الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى على سفح المقطم فى سنة ٤٦٨ هـ وتحت هذه القبة محراب يحيط به زخرف جصية ابدع فيها الصانع واتقن وزخرفها وزينها وحسن فيها . وبجامع على صغره منارة وهى الاولى من نوعها الباقية على حالها الى الآن . . .

(٢) قبة السيدة رقية ـ اما قبة مشهد السيدة رقية بنت الامام على ، رضى الله عنهما فكان بناؤها سنة ٥٢٧ هـ فيها زخرف وكتابات منقوشة . وقد كان بهذا المشهد محراب من الخشب محفوظ الآن بدار الآثار العربية ، ومكتوب عليه ما يفيد انه عمل بناء على امر زوجة الخليفة الفاطمى الآمر باحكام الله ، وهو تحفة فنية فريدة فى بابها

وفى دار الآثار العربية وكثير من متاحف اوربا تحف عدة تعزى الى هذه الدولة مصنوعة من المهو والزجاج والخزف والشبهان والمنسوجات والخشب المنقوش ، وهى دليل على ما كان للفواطم من ذوق حسن

وبدار الآثار العربية مجموعة من الخزف ذى البريق الذهبى تشهد لهم بالتبريز فى هذه الصناعة ، وقد رسم على احداها صورة المسيح وعلى الاخرى صورة ابى طالب . وعثرنا من عهد قريب فى الفسطاط على تمثال راقصة من البرونز تكاد تكون عارية وعلى رأسها هيئة إكليل مرصع

وقد وصف المؤرخون قصور الفواطم وصفاً أقرب إلى الخيال منه الى الحقيقة

فالفاطميون كانوا رسل الفن الجميل فى العالم الاسلامى ، وقد كان بلاطهم يرفل بحلل الفخامة والبهاء فى اعيادهم ويحفل بمواكب العظمة والفخار ، ولكن هذه الحياة الهنيئة لم يصحبها ادارة

طية . فقاست البلاد ازمات اقتصادية مروعة وشاخت الدولة الفاطمية وأصبح خلفاؤها لعبة فى ايدى وزرائهم ولم يبق لهم من الخلافة إلا اسمها وانقرضت الدولة وراحت قتيلة الوزراء

الدور الرابع — عصر الدولة الايوبية
من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٦٤٨ ه

جاء صلاح الدين ليكون وزيراً للخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، ولكنه ما لبث ان خلعه واعاد السنة فى مصر ونادى فى الخطبة باسم الخليفة العباسى . وكانت ايامه وايام من خلفه - وهم أول من تلقبوا بالسلاطين - أيام اضطراب وفتن فى داخل البلاد وخارجها لما وقع فيها من الحروب الكثيرة التى تفجرت بينابيع الدماء فيها وهى الحروب الصليبية

وكان صلاح الدين رجل حرب يميل الى العمارات الحربية . ولتقدم فن العمارة لم ير من اللائق الاكتفاء بقصور الفواطم فطلب الى وزيره بهى الدين الخصى (قراقوش) - ومعناه النسر الاسود - أن يبنى مسكناً فوق المقطم فبنى له قلعة الجبل وهى القلعة الحالية ثم نقش على أحد جدرانها صورة نسر وهو رمز اسمه

ولم تقتصر همة بنى أيوب على الأبنية العسكرية بل أنشأوا المدارس الكثيرة لتدريس المذاهب الاربعة

ومن المدارس التى شيدت فى عهد هذه الدولة مدرسة الكاملية بناها السلطان الكامل فى سنة ٦٢٢ ه وهى الآن خراب ولم يبق منها شىء . ومن آثار هذه الدولة القباب الجميلة التى حليت زواياها بالمقرنصات . وأشهر القباب التى بنيت فى هذا العصر

(١) قبة الصالح نجم الدين أيوب - بناها الصالح نجم الدين أيوب بجوار مدارسه وكسا جدرانها بالرخام

(٢) قبة الامام الشافعى - انشأ هذه القبة المباركة الملك الكامل فى سنة ٦٠٨ الهجرية . والتابوت الخشبى الموضوع فوق ضريح الامام الشافعى يعد آية من آيات الفن الاسلامى ، فهو أنفس طرف الصناعة الخشبية فى هذه الفترة

(٣) قبة الملكة شجرة الدر - وفى سنة ٦٤٨ ه بنت الملكة شجرة الدر مقبرة لها أثناء حياتها ، ومن مميزاتها الفسيفساء الجميلة التى تحلى محاربها التى يدخل فى صنعها الزجاج المذهب

وقد كان للانقلاب الدينى تأثير عظيم على الفنون ، فبينما كان الفنان فى العصر الفاطمى الشيعى يرسم ما شاء وما شاءت امراؤه من صور آدمية وصور طيور وحيوانات ومن مجالس انس وطرب ، أصبح فى العصر الايوبى السنى وقد حرمت عليه هذه الاشياء لحصر مقدرته الفنية فى الزخرفة فقط فظهرت عليها علامات الدقة الفائقة التى لا مثيل لها

الدور الخامس — عصر المماليك البحرية

من سنة ٦٤٨ هـ — سنة ٧٨٤ هـ

كان المماليك يجلبون الى مصر ليباعوا الى كبرائها . وكان هؤلاء يدربونهم على القتال ويتخذونهم حرساً لهم . لذلك تراهم وان كانوا أرقاء انما كانوا يتصرفون تصرف الاحرار فعلا

ولئن كانت مصر فى عهدهم مسرحاً للفوضى والاضطراب إلا انهم تركوا أكبر معرض يحوى أكثر عدد من الآثار الفخمة . وكانت قصورهم وجوامعهم وكافة مبانيهم مزخرفة منمقة مفروشة ارضها مكسوة جدرانها بالفسيفساء الدقيقة من الرخام المختلف الالوان وسقوفها مموهة بالذهب ، واحجارهم الداخلة فى المبانى منقوشة بالزخارف الهندسية والنباتية والكتابات البديعة المتقنة ، واثاثاتهم منقوشة بالزخارف ومكسوة بالسن والابنوس والصدف وغيرها مما يدل على جمال الفن وحسن الابتكار

وتعد آثار المماليك الحر الآثار الباقية من القرون الوسطى ولقد كان لهم ذوق فائق واختيار حسن نشاهده جلاء فى الاخشاب المفروشة بالحفر وأوانيهم النحاسية المحلاة بالذهب والفضة والزجاج المطلى بالمينا . والمموه بالذهب

وينقسم عهد المماليك البحرية من حيث آثارهم الباقية الى اربعة عصور :

أولا : عصر السلطان الملك الظاهر بيبرس ـ حكم من ٦٥٨ — ٦٧٦ هـ) صد المغول وحارب الصليبيين ونصب خليفة عباسياً فى مصر وجعل من القاهرة عاصمة لامبراطورية عظيمة . ومن آثاره الباقية جامع الظاهر بيبرس تم بناؤه سنة ٦٦٧ هـ . ومسقطه كجامع ابن طولون والحاكم ويمتاز بواجهاته الاربع المشيدة بالحجر الملون وهو يشعر بأنه متأثر بعمائر الصليبيين فى الشام ، وهذا ظاهر بوضوح فى ابوابه الضخمة وشرفاته المسننة

وبنى بيبرس مدرسة بجوار مسجد الصالح نجم الدين ايوب . ومما يزال من اعماله ذات المنفعة العامة قنطرة ابى منجا عليها صور سباع متتابعة وهى رمز بيبرس

ثانياً : عصر السلطان قلاوون ـ مات بيبرس العظيم بالشام ودفن بدمشق وأراد أن يولى ابنه العرش فكتب بولاية عهده له بعد وفاته ، وزوجه بنت قلاوون أحد امرائه الاشداء الذين كان يخشى بأسهم

ولكن قلاوون بالرغم من ذلك أصبح سلطانا لمصر بعد أن تنازل السعيد بن الظاهر عن الحكم وسلامش بن بيبرس

حكم قلاوون من سنة ٦٧٨ — ٦٨٩ هـ ومات موتا طبيعياً ورد المغول وبقى فى القاهرة

الجامع والقبة والمارستان . وتمتاز القبة بجدرانها المكسوة بالفسيفساء الدقيقة الداخل فى صنعها الصدف البراق الذى أعطاها رونقاً وبهاء

ثالثاً : عصر الناصر - حصلت بعد وفاة قلاوون اختلافات بين المماليك ولكن بالرغم من ذلك فان الحكم استمر فى اولاد محمد الناصر بن قلاوون مدة طويلة . وقد تولى الناصر الحكم بعد أبيه ثلاث مرات أطولها مدة المرة الاخيرة . وأشهر اعمال الناصر جامع القلعة وهو على نظام المدارس ذات الاعمدة ، وجامعه بالنحاسين وهو على نظام المدارس ذات الاربعة الألونة . وبمنارات جامع القلعه انواع من القاشانى وهى أقدم انواع القاشانى بمصر . وباب جامع النحاسين يلفت النظر وقد احضره من كنيسة القديس حنا بعكا

رابعاً : عصر السلطان حسن - وجامع السلطان حسن يعد عروس الآثار الاسلامية فى مصر فقد جمع بين الضخامة والفخامة . ويعزى بناؤه الى اثنين من امرائه صرغتمش وشيخون . وهذا الجامع أحسن مثال للمدرسة ذات الاربعة الألونة . ولضخامته اتخذه المماليك عدة مرات كقلعة يتحصنون بها . وقد تحصن به طومان باى عندما طارده العثمانيون . وتحصن به المماليك عندما هاجمهم نابليون . ويمتاز هذا المسجد بكبر عقود ايواناته وسعته ورخام ومقرنصات واجهته

الدور السادس - عصر المماليك الشراكسة

من سنة ٧٨٤ - ٩٢٣ ﻫ

ضاقت القاهرة فامتدت من الجهة الغربية الى تركها النيل حتى ساحل بولاق وعمرت القرافة الشرقية بكثير من المساجد والقباب التى تسمى خطأ قباب الخلفاء وحقيقتها مقابر المماليك ، وكثر بناء الفنادق فى هذا العصر نظراً لموقع مصر الجغرافى ورواج التجارة

وفى عهد هذه الدولة صغرت مساحة المساجد وصاروا يسقفون صحونها ولكنها تمتاز بانتشار الزخارف فى جميع اجزائها

وينقسم عهد المماليك الشراكسة من حيث آثارهم الباقية إلى خمسة عصور :

اولاً : عصر برقوق الذى حكم من سنة ٧٨٤ الى سنة ٨٠١ ﻫ - وله مدرسة بالنحاسين وخانقاه بالقرافة الشرقية ، وهذان الاثران غريبان فى بابهما ، فالمدرسة ذات إيوانات متعامدة ، إلا أن ايوانها الشرقى به صفا اعمدة ، والخانقاه لها صحن مكشوف وحواليها اعمدة بوائكها مسقوفة بقباب صغيرة

ثانياً : عصر المؤيد شيخ الذى حكم من ٨١٥ الى ٨٢٤ ﻫ - بنى جامعه بجوار باب زويلة (باب المتولى) وشيد منارتيه على دعامتى الباب وهاماتهما تان وشيقتان . واخذ باب جامع السلطان

حس المصفح بالنحاس والمشغول بدقة فائقة وركبه على بابه . ويمتاز المسجد بجدرانه المكسوة بالفسيفساء الدقيقة وبمحرابه ومنبره

ثالثاً : عصر بارسباى ـ حكم من سنة ٨٢٥ الى ٨٤٢ هـ . وامتاز عصره باحتلال جزيرة قبرص ، وقد بقيت قبرص بعد أن احتلها فى أيدى المصريين حتى سنة ٩٢٣ هـ عندما خضعوا للأتراك

وللأشرف بارسباى جامعان : احدهما فى مدينة القاهرة بالاشرفية وهو من الطراز ذى الايوانات المتعامدة ، والآخر ببلدة الخانقاه شمالى القاهرة وهو ذو صحن مكشوف وايوانات ذات أعمدة

رابعاً : عصر قايتباى ـ حكم من سنة ٨٧٢ الى سنة ٩٠١ هـ . وهو اطول المماليك حكماً بعد محمد الناصر بن قلاوون . وفى عهده انتعش فن العمارة ، وأكثر من بناء المساجد فى مصر والشام وأصلح كثيراً من المساجد التى كانت فى حاجة الى الاصلاح ، فقل ان تجد أثراً لايحمل اسم قايتباى دليلا على ما قام به نحو حفظه وصيانته . ومن اشهر آثاره جامعه الذى بالقرافة ذو المنارة الرشيقة والقبة المحمة الانيقة المشيدة بالحجر المزخرف البديع

خامساً : عصر الغورى ـ حكم من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩٢٢ هـ . وفى زمنه فتح سليم مصر وضمها إلى املاك الدولة العثمانية . واشهر آثاره جامعه بالغورية والقبة المقابلة للجامع التى شيدها لتضم رفاته ، وهما اثران جليلان يكونان معاً مجموعة مؤتلفة متناسقة

الدور السابع ـ عصر الدولة العثمانية

من سنة ٩٢٣ هـ الى استقلال محمد على باشا بمصر

وعندما دخل العثمانيون مصر أدخلوا الفن البيزنطى وامتزجت الصناعة التركية التى خضعت للمدنية البيزنطية بالصناعة العربية ونشأ عن هذا الامتزاج ضعف لم تقم للفن الاسلامى بمصر بعده قائمة

وأصبح للجامع طراز آخر جديد . وأهم شيء دخل فى وضعه اتخاذ القباب . وهذه البدعة المخالفة للتقاليد القديمة صارت هى الاساس الذى عليه المعول فى زمن الترك . وأصبحت تتخذ فى وسط الجامع بعد أن كانت اشارة للأضرحة والمقابر فيما سبق ذلك من الآثار . ويتضح هذا الطراز بجلاء فى جامع محمد على الذى يمتاز بجدرانه المكسوة بالمرمر الشفاف وبمنارتيه الرشيقتين اللتين تناطحان السحاب

حسن محمد الهوارى

تورجنيف ☆ العاشق الصامت

[في شهر سبتمبر الماضي احتفل ادباء فرنسا بمرور خمسين سنة على موت الكاتب الروسي تورجنيف، الذي تجلى نبوغه تحت سماء فرنسا والذي قضى نحبه في بوجيفال، في ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٣ . والاستاذ حبيب جاماتي يرسم لك في هذا المقال ناحية من نواحي حياة تورجنيف، وهي الناحية الغرامية، التي كان فيها ذلك الاديب الروسي العظيم أنموذجاً للعاشق الصامت في حبه العذري]

أراد الكاتب الفرنسي اندريه موروا أن يصف الاديب الروسي الكبير ايفان سرجفتش تورجنيف Tourgueniev في كلمات قليلة فقال : « ان تورجنيف يقطع شجيرات صغيرة بيضاء لكي يشيد بها مسا كن كبيرة ! » ويعني موروا بذلك أن الاديب الروسي يعالج الحوادث التافهة فيجعل منها وقائع رائعة، ويتناول موضوعاً بسيطاً فيجعل منه قصة طريفة . وهذا ما يمتاز به ذلك القصاص الروسي الماهر، والكاتب الذي اختلج صدره بانواع الشعور على اختلافها وتباينها، فقد ساهم بقسط وافر في الذخيرة الادبية التي تركها الجيل الماضي . وسوف تظل اقاصيصه وقصصه درراً في جيد الادب العالمي، ما بقيت في قلوب القراء عواطف تحركها بساطة التعبير وسمو المعاني والروح الشاعرة الحساسة

يعود الفضل إلى تورجنيف وحده دون سواه في اذاعة الادب الروسي ونشر اسلوبه وتعريفه إلى قراء الامم الاوربية الاخرى في الجيل الماضي . فقد كان تورجنيف أول اديب روسي هجر بلاده واستوطن باريس وهي في اوج مجدها، وكان أول من حمل ادباء فرنسا على الاهتمام بزملائهم الروس، ونقل نفثات اقلامهم ونتاج قرائحهم إلى اللغة الفرنسية، في انتظار اليوم الذي يقدم فيه اولئك الادباء الروس على اتخاذ اللغة الفرنسية اداة لنشر آرائهم وافكارهم . فتورجنيف يعد بلا شك فاتح الطريق أمام تولستوى ودوستويفسكي وغيرهما من ادباء روسيا ومفكريها وإذا كانوا قد وجدوا السبيل ممهداً، وباب الشهرة والذيوع مفتوحاً امامهم على مصراعيه، فانهم مدينون بذلك إلى تورجنيف وحده، الذي اساء إلى نفسه من حيث لايدري، إذ أن شهرة تولستوى ودوستويفسكي ما لبثت ان اكتسحت شهرته، فراح ذلك الاديب النبيل ضحية خدمة اسداها إلى مواطنيه !

ولم تكن علاقاته مع ادباء عصره من الروس على شيء من الصفاء والوئام . فدوستويفسكي كان يكرهه كرهاً شديداً ولا يكتمه ذلك بل يحمل عليه حملات شعواء . وكان تولستوى ايضاً يحقد عليه ويسعى الى الحاق الضرر المادي والادبي به كلما وجد إلى ذلك سبيلا . وبلغ تحدى تولستوى في وقت من الاوقات حداً لايطاق، فاضطر تورجنيف أن يدعوه للمبارزة مرتين

متواليتين ، ولو لم يتدخل زملاؤهما الفرنسيون لاصلاح ذات البين لوقعت المبارزة بين الاديبين الكبيرين

ومع ذلك فان تورجنيف الذى كان مواطنوه يضمرون له الشر ويدسون له فى الخفاء أو يحاربونه علناً ـ تورجنيف الطيب القلب المسالم ـ تورجنيف الذى لم يفكر فى الحاق الأذى بأحد ، لم يكن يحقد على اولئك الحقودين ، ولم يقابل قط الدس بالدس والشر بالشر ! وكان دائماً يقول : « لقد غفر السيد المسيح لاعدائه وجلاديه وهو معلق على الصليب ، أفلا يجمل بى ـ انا الاديب التعس الشقى ـ ان أغفر لاعدائى وجلادى ؟ »

وكان يقول عن تولستوى : « انه كاتب هذا العصر ونبى القومية الروسية . فاحترامه واجب على ، ان لم يكن حباً له ، فحباً لروسيا التى اعبدها ! » وكان يقول عن دوستويفسكى : « انه عدوى ولا يحبنى ولكنه كاتب عظيم ومفكر بليغ واديب بائس ، وقد يفطن يوماً من الايام الى خطئه فلننتظر ! »

• • •

ذلك هو تورجنيف وذلك كان شعوره نحو خصومه وعداته وحديثنا اليوم لا يتناول آثاره الادبية ، بل ناحية من نواحى حياته ، هى الناحية الغرامية . وما بسطنا فى مقدمة البحث إلا لكى نصف ما كان عليه ذلك الاديب البائس من سمو الخلق ، ومن الترفع عن الدنايا والاحقاد والعوامل الشخصية فى علاقاته ومعاملاته الادبية

كان تورجنيف عاشقاً ، ولكنه من اولئك العشاق الصامتين ، الذين لا أمل لهم فى وصال لأنهم يعلمون قبل الانصراف الى غرامهم انه غرام عقيم لا عمل فيه للجسم البشرى ولا نصيب فيه للحواس ! غرام تلعب فيه العاطفة البريئة دورها ، ويذوب فيه القلب ذوباناً يؤدى عاجلا أو آجلا الى ذوبان الجسم ايضاً ، فيذهب العاشق الصامت شهيد ذلك الحب العذرى ، الذى يغذى الروح ويقتل الجسد !

وقد وجد تورجنيف فى غرامه الصامت ـ طول حياته ـ غذاء وسعادة لروحه السامية ، وموتاً بطيئاً ، وشقاء لاحد له لجسده الفانى

فى أول نوفمبر سنة ١٨٤٣ شاءت الاقدار ان تدفع امرأة فاتنة ساحرة فى طريق الاديب الشاب . ومنذ ذلك اليوم كتب لتورجنيف فى صفحات القدر المصير الذى سير حياته إلى ان وافاه الأجل بعد اربعين سنة من ذلك اليوم

ففى أول نوفمبر ١٨٤٣ عرف تورجنيف « مدام فياردو » Viardot وكان ذلك فى مدينة بطرسبرج ، عاصمة روسيا فى ذلك الوقت ، حيث كانت مدام فياردو تغنى فى الاوبرا الايطالية بصوتها الذى ظل العالم عشرات السنين تحت تأثير سحره

رأى تورجنيف تلك المرأة فأحبها ، وكانت أول نظرة منها « انقضاض الصاعقة » كما يقول الفرنسيون . وقال تورجنيف للشخص الذى كان صلة التعارف بينه وبين مدام فياردو : « لقد طوقت عنقى بفضلك ، وخدمتنى خدمة عظيمة ، ولكنك اتيت عملا سوف يكون له أبعد أثر فى حياتى ! »

ولكن مدام فياردو كانت متزوجة ، وكانت تحب زوجها وتخلص له الحب وتحترمه . واسم ذلك الزوج « لويس فياردو » وكان فى ذلك الوقت مديراً للاوبرا الايطالية بباريس

أدرك تورجنيف أن حبه سيبقى عقيما ، وان لا أمل له فى الوصال مع امرأة هذا شأنها ، ولكنه مضى فى حبه وهو عالم انه سيكون حباً صامتاً راضياً ، وانه لن يخرج عن الدائرة الروحية وعن حدود العاطفة البريئة

واذا كان تورجنيف قد اختار الاقامة فى باريس ، وانتهى به الأمر ان استوطن فرنسا ، ومهد السبيل فيها لذيوع الادب الروسى ، وكان أول من فتح ابوابها لزملائه الروس ، وعلى رأسهم تولستوى ودوستويفسكى ـ اذا كان تورجنيف قد فعل ذلك فالفضل كل الفضل يرجع فى هذا الى غرامه الصامت ، والى تلك النظرة التى اطلق سهمها من مقلتى مدام فياردو ، فى أول نوفمبر سنة ١٨٤٣ ، عندما ... ...

أصبح تورجنيف صديق اسرة فياردو ، وعزم على التعلق بالمرأة الفاتنة التى أحبها الى حيث تذهب . ولم يفارقها الى اليوم الذى فارقته فيه الحياة وقد لفظ نفسه الاخير بعد اربعين سنة وهو يتحدث عنها

قال يوماً لاحد اصدقائه : « لو خيرت بين امرين . ان اصبح اعظم عبقرى فى العالم على شرط ان أحرم من رؤية مدام فياردو وزوجها ، أو أن أصبح بواباً أمام بيتهما فى بقعة نائية فى اطراف العالم ، لاخترت الامر الثانى ، ولآثرت ان أكون بواباً على أن أكون عبقرياً ! »

وكتب اليها مرة يقول : « فى استطاعتى أن أؤكد لك ان العاطفة التى اشعر بها نحوك ، عاطفة لم يعرفها العالم الى الآن : فهى عاطفة لم يشعر ولن يشعر أحد بمثلها ! »

وكان أصدقاؤه الفرنسيون ـ وعلى الخصوص الادباء منهم الذين كان تورجنيف يقضى أوقاته معهم ـ يسخرون منه احياناً بسبب ذلك الغرام الصامت والحب العذرى . وكان تورجنيف يتألم لتلك السخرية ويصيح بهم قائلا : « ألا تفهمون ان للحب مقراً فى النفس ومقراً آخر فى الجسد ؟ ألا تفهمون الحب الا مقروناً بما حرمت منه أنا فى حبى ؟ ألا تفهمون أن الروح شىء والمادة شىء آخر ، وان العاطفة شىء والحواس شىء آخر ، وان فى استطاعة الرجل أن يرضى بهذه دون تلك ، أو بتلك دون هذه ؟ »

ولم يفهمه أحد من اولئك الذين كان يقضى حياته الادبية معهم ، غير زميل واحد هو

جوستاف فلوبير ، فهو الوحيد الذي كان يوافقه على المضى في غرامه الصامت ، مادام يجد في ذلك الغرام غذاء لروحه . وامتنع تورجنيف عن الزواج ، وهو يعلم أن شيخوخته ستكون شديدة الوطأة عليه ، لأنه وحيد في هذا العالم . ومع ذلك فانه لم يفكر قط في الزواج ، قائلا انه يؤثر عليه حبه الروحى واخلاصه لمدام فياردو

وكثيراً ما كان تورجنيف ينصح الشبان بتجنب الزواج والامتناع عنه ، ولكنه في اواخر حياته عدل عن هذا الرأى ، وكتب يقول : « تزوجوا أيها الشبان ولا تصغوا الى النصائح التى اسديتها اليكم من قبل فقد كنت مخطئاً ، ولا يمكنكم ان تتصوروا مبلغ التعس الذى يعانيه الرجل في شيخوخته ، وما أشد وطأة هذه الشيخوخة عند ما يضطر الرجل ـ بالرغم من ارادته ـ ان يجلس على طرف عش رجل آخر ، ويتلقى التعطف كما يتلقى الاحسان ، ويعيش كالكلب الهرم الذى يوشك صاحبه ان يطرده لو لم يكن قد ألفه واشفق عليه ! »

وهذه الكلمات تصف وصفاً دقيقاً تاماً حياة تورجنيف في أيامه الاخيرة ، فقد قضاها ذلك العاشق الصامت القنوع على طرف سرير رجل آخر ، بجوار امرأة احبها اربعين سنة ، وظل مخلصاً لها في حبه ، والزوج عالم بهذه العاطفة التى خفق بها قلب تورجنيف طول تلك المدة ، وبقيت حية في صدره بعد ان خطت عليه الشيخوخة باثقالها ، وبعد ان تكلل جبين المرأة المحبوبة بالبياض !

وعند ما دنت ساعة تورجنيف الاخيرة وشعر بالفناء يقترب منه صاح قائلا : « ان الموت لشيء قبيح ، ولو كان الموت يصل فجأة وبضربة واحدة لما حق لنا ان نشكو ، فان كل شيء ينتهى عند هذا الحد . ولكن الموت يتسلل الينا من الوراء كاللص السارق ، فيأخذ من الرجل روحه وذكاءه وحبه لكل ما هو جميل ، فهو يسطو على خلاصة الانسان البشرى ، فلا يبقى منه غير الغلاف ! » . ثم قال هذه الكلمات : « نعم ان الموت هو الكذب المجسم ! »

وعندما دخلت مدام فياردو ـ المعشوقة المعبودة ـ الى الغرفة التى كان الاديب الكبير يعالج فيها سكرات الموت ، نظر اليها نظرة اخيرة ، ورفع رأسه وارتسمت على فمه ابتسامة الرضى والارتياح ، بل ابتسامة الفرح والغبطة ، وتمتم قائلا : « هذه ملكة الملكات ، ما أكثر الخير الذى صنعته في هذا العالم ! »

وانكبت مدام فياردو على رأس العاشق الصامت ، واغمضت عينيه بيدها . ولا شك في انها تذكرت في تلك اللحظة الرهيبة ـ في ٣ سبتمبر ١٨٨٣ ـ تلك الليلة البعيدة ، التى رآها فيها تورجنيف للمرة الاولى ، في بطرسبرج ، في اول نوفمبر ١٨٤٣ . ولا شك ايضاً في أنها أكبرت اخلاص ذلك الرجل النبيل ، الذى اخلص لها الحب مدة اربعين سنة ، راضياً بعطفها ، مكتفياً بسحر عينيها وبابتسامة اخوية كان يجد فيها الغذاء والعزاء !

حبيب جاماتي

انقلاب

قصة مصرية • بقلم الأستاذ محمود تيمور

(خطاب من سعاد المقيمة فى القاهرة والمتزوجة من سامح بك القاضي الى صديقتها صبحية المقيمة فى باريس والمتزوجة من عدلى بك أحد رجال السلك السياسي)

القاهرة فى ١٨ يناير سنة ١٩٢٩

عزيزتى صبحية :

لم أكتب لك منذ أمد طويل بعد أن كانت رسائلى تصلك كل أسبوع . وهذا تقصير شنيع لا أغتفره لنفسى . وها أنت ذى قد قطعت عنى خطاباتك بعد يأسك منى . وأرسلت تسألين الأقارب والصديقات عما دهانى . وما زلت أحمل فى محفظتى كتابك الأخير الذى ملأته عتباً . يحق لك يا صديقتى أن تغضبى ، ولكن لو علمت ما أنا فيه لعذرتنى

ها أنذا أخرج من صمتى وأفتح لك عن مكنونات قلبى . إنى فى حاجة الى الكلام بعد هذا الصمت الطويل ، إلى الكلام مع شخص مثلك يعرفنى ويفهمنى . إذن اسمعى :

لعلك تدهشين إذا قلت لك أول وهلة وبالرغم من كل الظواهر التى تكذب قولى : إن حياتى الزوجية التى كنت تعتقدين أنها مثال السعادة والهناء لم تكن فى الواقع كذلك . هذا اعتراف جاء متأخراً ولكنه جاء فى حينه . ستة أعوام عشتها مع سامح وأنا أشعر بفراغ هائل يحيط بى فيخيل لى أنى أعيش فى قصر من القصور الخربة الموحشة التى يخيم عليها الصمت والظلام ، فكنت أرتجف مذعورة أبحث عن نور أضوى به ظلمة نفسى وعن ضجة أملأ بها فراغ حياتى . أراك الآن تنظرين الى مشدوهة حائرة وتسائلينى فى جزع : هل تسمعين حقاً هذا الكلام من صديقتك سعاد ، الزوجة التى يحسدها الكل على زوجها . أليس سامح هذا هو ذلك الزوج الطيب الكريم العفيف اللسان النزيه الذى يشبه قلبه فى صفائه وطهارته قلب الطفل البرىء ؟ أجل يا صبحية هو كذلك وأكثر . وإنى لأعجب من نفسى كيف لم أحس لذلك الزوج الكامل بأكبر حب فى الوجود . إنه لم يكن يستحق منى أقل من ذلك . ولكن وا أسفاه ! كنت أشعر نحوه ببرود غريب لا أفهم له معنى ! ولا أغالى إذا قلت إن ذلك البرود كان ينقلب بعض الأحيان الى شىء من الكره . يالله ! كيف أستطيع أن أقول ذلك عن سامح ؟

وكثيراً ما رآنى صامتة مطوية على نفسى اجتر همى الغريب فيأتى الى منشيا فى هدوء ويلاطفنى فى عذوبة ويسألنى عن سبب صمتى وهل انا متضايقة من شيء. فكنت اصرخ فى وجهه متسائلة: هل يحق لى ان أصمت برهة من الزمن ؟

فينظر الى مبهوتاً ثم ينسحب خجلا. ولا ألبث أن استدرك غلطتى فأقوم اليه اسأله العفو معتذرة بأنى مريضة وانى اشكو صداعا وأن حتى له لايقدر!

ثم أحتضنه وأقبله. ولكن أى قبلات هذه التى كنت اطبعها على جبينه ؟ كنت انتزعها من فمى انتزاعا، وعندما انفرد بنفسى فى حجرتى كنت اترك العنان لدموعى

وما رأيك ياسمية فى أننى كنت أخاصمه أياما بلا سبب مطلقا! واشعر فى داخلية نفسى بنوع من السعادة الوحشية عندما كنت آراه متحيراً مهموما. وكان يحاول عبثا ارضائى فى مذلة وخضوع.. آه. لقد كانت هذه المحاولات مما تزيد فى غيظى منه وسخطى عليه

وكانت صويحباتى يحدثننى عن خيانة ازواجهن لهن ويروين لى قصص حياتهن القلقة المتألمة ويغبطننى على حياتى السعيدة مع زوجى الوفى. فكنت أضحك لنفسى لأننى لا أشعر أبداً بهذه السعادة التى يغبطننى عليها! وعندما كنت انفرد بزوجى كنت اسئله

— احقا لم تخنى يا سامح؟

فينظر الى مبهوتا ويجيب:

— وهل تشكين فى ذلك ياسعاد؟

— حتى ولا مرة واحدة؟

— مامعنى ذلك؟ انك بلا ريب تريدين إغضابى!

واميل عليه وبى احساس غامض غريب واقول له هامسة:

— حدثنى عن شيء من ماضيك

— ماضى؟!

— أجل ماضيك قبل الزواج وعلاقاتك مع عشيقاتك. ارو لى دقائق هذه الاسرار.

فينظر الى متحيراً ويقول:

— ماذا تقولين ياسعاد؟ أنت مجنونة!

واطوقه بذراعى وأقول له:

— اريد ذلك. لاتخش بأساً..

— ليس لدى ماض ارويه لك. هذا شيء لايصح أن يتحدث به الزوجان

فأقوم ثائرة وأرميه بالوسادة وأسرع الى غرفتى الخاصة وأقفل بشدة بابها على

هذا فيما مضى. أما اليوم فأمرى عجب! اصغى الى جيداً. منذ بضعة أشهر بدأت ألاحظ

على سامح شيئاً من التغير ـ تغير كان يزداد على توالى الأيام . لاحظت عليه أولا ميله إلى الموسيقى بعد ما كان يهرب من الحجرة التى كنت أدير فيها الفونوغراف . وأصبح يحرص على سماع الراديو كل ليلة حتى منتصف الليل ، وهو الذى كان يغلق عليه باب مكتبه ولا يتركها إلا حوالى الفجر منهوك القوى من بحوثه القانونية . ووجدته يعنى بملابسه ويدقق فى انتخاب القميص والكرافت اللذين يوافقان البدلة . ثم أخذ يملأ حرانة التواليت بالعطور ولا يخرج من المنزل إلا كالزهرة العبقة تملأ الجو حولها أريجا جميلا . ورأيته يطيل النظر فى عينى وهو يبتسم فى غموض . وكنت ألاحظ أن قوة حارة تنبعث من شفتيه . فاذا ما اقترب منى يريد تقبيلى شعرت باسترخاء وتخاذل وأغمضت عينى فى استسلام لذيذ

وقال لى مرة إنه سيتغدى مع رشدى بك ابن عمه . وحوالى الساعة الثالثة دق التليفون وكان رشدى بك هو المتكلم . وعلمت أن سامح كذب على . ياقه ! أول كذبة فى حياتنا الزوجية . وشعرت كأن أثراً حامياً قد انقد دفعة واحدة فى قلبى . وقضيت الوقت انتظره وأنا أروح وأجىء فى الردهة كالنمرة الهائجة وفى الساعة السابعة حضر دخل يغنى ويهز سلسلة ساعته . وما كاد يخطو بضع خطوات حتى برزت له ووقفت أمامه وجهاً لوجه وقلت له :

ـ لم تتغد مع رشدى بك اليوم . لا تحاول أن تنكر

فنظر الى برهة نظرة فاحصة . ثم ابتسم يتهمه فأمسكت يده وشددت عليها وقلت :

ـ كيف تجرأ ان تكذب على يا سامح ؟

فقبل من صحكه وهو ينظر الى نظرات عميقة ملأى باحساسات حارة وقال فى هدوء :

ـ ياقه ! يدك باردة . . . .

ـ اخبرنى أين كنت ؟

ـ كنت عند صديق لا تعرفينه

ـ سمه لى

ـ بما أنك لا تعرفينه فيمكنك ان تسميه أنت كما تشائين !

ـ أنت وغد . . .

ـ بدأنا نتشاجر الآن حقاً

ـ لماذا كذبت على ؟ .. أجب

ـ لماذا كذبة ؟ أجب . . وأنا ساجيب بالطبع ؟

ـ كذاب منافق خائن

ـ أحقاً أنا كذلك ؟

— وأكثر

— شكراً

— أجب لماذا كذبت علي ؟

— لم أكذب عليك مطلقاً . كان في نيتي أن اتناول العشاء مع رشدي بك فغيرت رأيي وذهبت عند غيره . أليس الانسان حراً ؟

— وقد شربت معها كثيراً من الشمبانيا !

— ان حاسة الشم عندك يا سعاد اصبحت تفوق حاسة الشم عند القطط

— كفى يا فاجر . ولكني سأريك . . . سأريك

واندفعت اضربه بكلتا يدي على صدره . وقطعت له ازرار صداره . وشددت سلسلة ساعته ورميت بها على الارض وكنت أضرب الارض وأنا اصيح وألطم ولم يحرك ساكناً بل تركني افعل ما اريد . وكان يبتسم . وبغتة امسكني بقوة وأخذ يحدق بنظره القوي وقال متمتماً :

— كم انت رائعة في غضبك يا سعاد ! دعيني أقبلك

ثم أقبل علي يقبلني في وحشية غريبة . في عنقي في عيني في فمي في كل موضع تقع عليه شفتاه . يا لله ! كم كانت لذة هذه القبلات العنيفة لن استطيع أن أصف وقعها في نفسي !

. . . ومرت الأيام وازدادت حياة سامي غموضاً . وأصبح لغزاً لا استطيع الوصول الى حله ، وكانت ابتسامته الغريبة هي كل ما عنده من جواب على حيرتي

ومرة عندما كنا ندخن بعد طعام الافطار باغته بقولي :

— سامي ، اني سأخونك

فنظر الى مبتسماً وقال :

— تمزحين طبعاً

— أقسم بالله سأخونك

— وما الذي يمنعك عن ذلك ؟

— لا يستطيع أن يمنعني أحد . . اصغ الي . ان لي عشيقاً

— شيء ظريف . . !

— واني أحبه

— ألاحظ ذلك

— ما رأيك ؟

— الطبيعة لا تنافي وجود العشاق

— هذا كل ما عندك ؟ — طبعاً

— ألا تريد أن تعرف اسمه ؟ — كلا

— لأنك تغار منه ؟ — بل لأنى أعرفه

— أحقاً ؟ ومن هو ؟

— مادمنا نعرفه نحن الاثنين فلا داعى لذكر اسمه

— أقسم بالله أنك متضايق

— ألاحظين ذلك ؟ — كل الملاحظة

— اذن أنا متضايق !

— . . وسأخرج مع هذا العشيق الليلة

— على ضوء القمر

— فى قارب يمخر بنا عباب النيل

— ومعنا عازف يضرب على العود

— وسنكرع من الشمبانيا ما نشاء

— يا لها من نزهة تذكرنا بأيام الرشيد !

وغمرنا الصمت برهة ثم قام بعد ذلك سامح الى التليفون وسمعته يكلم شخصاً ويقول .

— جهز لنا قاربا عظيما تجاه « سميراميس » ، واحضر معك زين الدين العواد وبضع زجاجات من الشمبانيا الفاخرة . . فى الساعة التاسعة

رفعت اليه وأنا منفعلة وقلت :

— لا أفهم شيئاً

فوضع سماعة التليفون فى هدوء واقترب منى . ثم أمسك برأسى وأحدق فى طويلا بعينيه المتقدتين ثم قبلنى قبلة طويلة عميقة تجمعت فيها لذائذ الحياة كلها !

. . . . . وفى الساعة التاسعة مساء خرجت معه الى سميراميس وركبنا القارب وأمضينا وقتاً من أشهى الاوقات

. . . . والآن ياصديقتى بعد ما أطلعتك على الجانب المهم من أسرار حياتى الحاضرة لعلك تريدين أن تسأليني قائلة : « ما الذى تشعرين به نحو سامح اليوم ياسعاد ؟ » ، وهنا أقف أمامك بلا جواب ، ولكنى أعترف لك بأن هذا الزوج الغريب أصبح اليوم يشغل أكبر حيز فى حياتى !

وختاما أرسل لك قبلاتى الحارة   المخلصة سعاد

محمود تيمور

ماذا يقرأ العامة

للأستاذ أمير بقطر

العامة بأوسع معنى الكلمة هم الأغلبية الساحقة في كل أمة. وسيكون الكلام في هذا المقال مقصوراً على الأمم المتمدينة، أو نصف المتمدينة، أو الشبيهة بها. إن الطبقة الممتازة من الأفراد المهذبين المثقفين – على ضآلة عددهم – تنزل إلى مستوى الرعاع في فترات معلومة من حين إلى حين وتطرح جانباً الكتب والمجلات والصحف الراقية والعلم الصحيح والأدب العالي والثقافة السامية وتهوى إلى القراءات فتقرأ الأوراق الصفراء، وتتصفح الكتب الدنيئة، وتلجأ إلى المجون والخلاعة في القصص والروايات، وتبحث عن أخبط الأخبار في الصحف التي تلعب بعواطف الجمهور وأعمق أسرار البيوت وخفايا الأسر والأزواج التي تستهوى بها المجلات قلوب الفتيان، وفضائح العظماء والأمراء وربات الخدور وأخبار المسارح ودور الرقص ورجال الفنون الجميلة ونسائها، التي تحرك بها الصحافة والمطابع عشاق اللذة، ورقيق الشعر، نثراً وشعراً وصوراً.

وقد لا نعجب كثيراً إذا رأينا العامة يعجزون عن قراءة الكتب العلمية والأدبية والمقالات الراقية التي تستند على حقائق علمية وآراء اجتماعية محضة، لأن معلوماتهم الضئيلة لا تمكنهم من فهم الأسرار العلمية أو إدراك المرامي الأدبية أو الاجتماعية، فلابد لهم إذاً من الخضوع للفطرة والاستسلام للطبيعة الإنسانية الساذجة التي تتطلب الإشباع أنى وجدت مصادره.

ولكنا نعجب أن نرى مهذباً وافر التهذيب، ومثقفاً عميق الثقافة ينزل إلى مستوى الرعاع، فيطالع من الكتب والمقالات ما يطالعون، ويستمع إلى الأغاني والأناشيد التي إليها يستمعون، ويحضر من الروايات المسرحية والسينمائية ما يحضرون ويمتع نظره بصور الخلاعة ورسوم الفجور التي بها يتمتعون.

غير أننا إذا رجعنا إلى طبيعة الإنسان، واستأنسنا بآراء الثقات من علماء النفس، أدركنا أن هذه الطبائع الإنسانية وتلك الغرائز البشرية لا تزال نازعة إلى الفطرة ميالة إلى السذاجة القديمة التي ورثناها من أسلافنا منذ عشرات الألوف من السنين، حينما كانوا يتسلقون الأشجار ويأوون الأدغال والأجمات. ومن الغريب أن هذا الجنوح إلى الطبيعة الفطرية الموروثة ما يزال مشاهداً في الأفراد، مهما كان نصيبهم من المدنية ومهما صقلتهم التربية وعملت فيهم أيدي التهذيب. ويؤكد لنا العلماء أن ما نال الطبائع الإنسانية من الصقل والتهذيب في خلال العشرين ألف سنة الماضية، لا يعد شيئاً في جانب ما لا يزال عليه من الخشونة والسذاجة والنزوع إلى الحيوانية.

وإذا كان تقدمها يسير بهذه الخطى الثقيلة فلا بد أن ننتظر مئات الألوف من السنين — إن لم يكن مليون سنة — قبل أن تبلغ درجة عظيمة من الرقي والتهذيب الصحيح

ولا أريد أن ينسى القارىء أننا نتكلم الآن عن الطبيعة الانسانية وما تشمل من خوف وقتال وحب وبغضاء وجوع وميل جنسي وغير ذلك . ولا نتكلم عن الرقي المادي في الصناعة والزراعة والاختراع وطرق البحث والمواصلات

وربما لا يغيب عن الأذهان أن معظم المقالات والكتب والصور المبتذلة ، التي تنشر للعامة إنما يقوم بتأليفها أو تصويرها أو نشرها جماعة من غير العامة ومن طبقة يقال عن أفرادها على الأقل إنهم مثقفون ، وقد اتخذوا الكتابة للعامة صناعة والضرب على أوتار العامة حرفة ، بعد أن فهموا نفسياتهم ووزنوا عقلياتهم ، وعرفوا كيف تؤكل الكتف وكيف تستدر الأموال وتستهوى العقول

* * *

وهنا نعود إلى السؤال الذي اتخذناه عنواناً لمقال ، وهو : « ماذا يقرأ العامة ؟ »

أولا — يقرأ العامة كل ماله صلة بغريزة الدفاع عن النفس . ويدخل في ذلك أخبار التعدي والضرب ، وجنايات القتل ، وقصص الاستعمار ، والروايات الجاسوسية ، وحكايات اللصوص والعصابات المسلحة . ولعل الصحف المصرية — خصوصاً اليومية منها — أقل اهتماماً بهذه من أي صحف أخرى في العالم . فالجرائد الاميركية والانجليزية والفرنسية تسهب في وصف الوقائع الجنائية المثيرة للعواطف وتجعل رؤوس مقالاتها مثيرة صاخبة ، وعناوين أخبارها أعمدة جذابة لا يسع القارىء إلا تفضيلها على سواها من المسائل الهامة العامة

وإذا تصفحت الجرائد اليومية الرسمية أو الشبيهة بالرسمية تجدها تتأثر بقية الجرائد في وضع المسائل العامة في المنزلة الأولى وإحلال الاخبار الحادثية المشار اليها المحل الثاني . فجريدة الطان في فرنسا لا تفسح إلا القليل من أعمدتها لحوادث القتل ، ولا تجعل لها عناوين بارزة ، في حين أن بقية الجرائد كالجورنال وبتي جورنال وباري سوار وباري مدي والانترانسيجان ، وحتى جريدة الماتن — تملأ أظهر مكان فيها بهذه الاخبار . ويشاهد أن صحيفة البتي باريزيان وهي شبيهة بالرسمية لا تغالي كالصحف التي ذكرنا في تفصيل حوادث القتل ، ولا تهملها أو تقلل من أهميتها كما تفعل جريدة الطان

كذلك صحيفتا نيويورك تيمس والصن (Sun) مثلا لا تسترسلان في هذه الاخبار ، بل تشيران اليها في مكان غير ظاهر ، وتخصصان أهم صفحاتهما للاخبار الدولية والمسائل العامة من المالية والتجارة الاميركية ، في حين أن عدداً كبيراً من بقية الصحف الاميركية تحمل الاخبار المثيرة

بالعواطف شغلها الشاغل وتبحث بحكايتها ومصوريها إلى الأماكن التى حدثت فيها هذه الوقائع . فيسهبون فى الوصف ويستقصون خفايا الحوادث ويصورونها بطرق تحمل الجمهور يقبل بنهمة على قراءتها . وكأنهم يساقون اليها سوق الأغنام

وكنت أعتقد الى عهد قريب أن الصحف الاميركية أكثر انهماكاً فى التلاعب بعواطف الجمهور والضرب على الأوتار التى تحرك مشاعرهم من غيرها من صحف العالم . غير أن ما لشاهده فى الصحف الانجليزية منذ بضع سنوات ـ من عدا التيمس ـ غير فى هذا الاعتقاد . وكنت فى خلال عدة عطلات صيفية أطالع الصحف الفرنسية بكثرة ، خصوصاً فى صيف هذا العام حيث قضيت أكثر من ثلاثة أشهر فى قرية فرنسية . وقد أصبحت الآن أميل الى الاعتقاد أن معظم الجرائد الفرنسية يمكن ان يقال عنها إنها لا تقل مقدرة على التهليل والتكبير والاغراق فى استهواء العامة عن الجرائد الاميركية

ثانياً ـ يقرأ العامة كل ما له صلة بالعلائق الجنسية ، من أخبار الزواج وقصص الحب والطلاق ، وحوادث هتك العرض والفسق واللواط والسحق ونقل تلك الفضائح ، والجرائم الناجمة عن الغيرة ومواقف الغرام وما الى ذلك . وهذه لا تحتاج الى بيان ، فما عليك الا أن تلقى نظرة واحدة على المجلات المرصوصة فى مواقف باعة الصحف فى مدن بلاد انكلترا ، حتى تدرك مقدار الصور والمقالات التى تخصص لهذا الغرض . وما عليك إلا أن تتصفح جريدة صباحية أو مسائية فى نيويورك أو لندره أو باريس ، حتى تجد الحوادث السالفة ، ووقائع الغرامية محوكة فى لغة تثير النفوس وتدفع القراء الى مطالعتها يوماً بعد يوم

ثالثاً ـ يقرأ العامة كل ما له صلة بأخبار المخاطرة والمجازفة والمسابقات الرياضية ، وغرائب المخترعات والاكتشافات ، والمطامع الجنسية ، والنجاح المحالى فى جميع مظاهر الحياة ، وما شاكل ذلك

ويتضح مما سبق أن السواد الأعظم قليلو الاهتمام بأخبار الميزانيات والضرائب ونزع السلاح والمنافع العامة وأعمال البلديات ، إلا فى أحوال استثنائية أو لأسباب محلية ، كما فى الضرائب عند الانجليز مثلا لأن لها أهمية خاصة ، إذ يدفع الانجليزى ثلث دخله تقريباً تسديداً لها على اختلاف أنواعها . ولذا لا تلوم معظم الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية إذا أغرقت صفحاتها بالمقالات المفصلة عن حوادث القتل والسرقة والغرام والحريق والغرق والملاكمة والمصارعة وفضائح البيوت العريقة ، وأخبار الملوك والزعماء وقادة الرأى وأصحاب الملايين واشتعال لهب الثورات ، وتنافس الأحزاب السياسية وتطاحن الهيئات النيابية ، والمفاجآت الغريبة فى عوالم الاختراع والصناعة ، وبالاجمال كل ما يستفز العواطف ويشبع الطبيعة الانسانية

ولما كانت الصحف تعيش من قرائها فانها تتجنب أحياناً أهم الأخبار إذا علمت أن قراءها

لا يجدونها طلية جذابة . وقد تنشر الاخبار التافهة عديمة الاهمية اذا توافرت فيها الشروط التى تجتذب اليها القراء . فقد يضطر رئيس التحرير أن يقنع الجمهور برأى فى لهجة شديدة ولغة محشوة عباراتها بالبارود والديناميت ، وهو بعيد عن الاخذ بهذا الرأى بعد الارض عن السماء . ومثله مثل الراقص أو المغنى يطرب الجمهور ويلهو معهم فى ظروف قد يكون فيها مثقلا بالهموم والاحزان

وصاحب الجريدة يعلم أنه إذا نشر خبراً عن كلب عض رجلا ، فقلما يهتم بهذا الخبر قارىء . أما إذا نشر أن امرأة أو رجلا عض كلباً ، فان هذا الخبر يصبح حديث المائدة فى كثير من البيوت والاندية والمجتمعات

وقد يندفع العامة وراء تيار خاص منشؤه جريدة ساقطة . ويلاحظ فى بادىء الامر أن الصحف الراقية تمتنع عن تغذية هذا التيار ، ولكنها تتدرج اليه مدفوعة برغبات العامة ومطالب السواد الاعظم من القراء ، فتنشر أمهات الجرائد سخافات يسخر بها صاحب الجريدة فى سره ، ويهزأ بها رئيس التحرير ، ولكنه لا يجرؤ على العوم والسباحة ضد التيار ويصبح مثله مثل جاليليو الذى رغم على الاعتراف ساجداً أن الارض لا تدور حول الشمس . وما ان انتهى من اعترافه نهض من سجوده وهو يقول بصوت منخفض منتهياً : « ومع ذلك فالارض تدور حول الشمس يقيناً »

ومن أذكر ماقرأت من هذا القبيل مقال نقل عنوانه صحيفة مصرية مشهورة شاء رئيس تحريرها أن يذيله بتعليقات أو مقال آخر بقلم أحد قراء صحيفته . وكان مما يسترعى الأنظار فى هذا المقال وملحقاته أن الكاتب الاصلى عالم مثقف ، اسهب فى بحثه بنظريات بيولوجية فى النشوء والارتقاء ومبادىء سيكولوجية عميقة فى الطبيعة البشرية ، وأن الكاتب « الملحق » استند فى تعليقاته على ما يشبه التعاويذ وقراءة الكف وضرب الرمل ، وبرهن على جهله المطلق بالحقائق العلمية الحديثة . وكان لاشك موضع السخرية من قراء الجريدة من غير العامة

ولا بد أن رئيس التحرير ـ بعد قراءة هذه التعليقات التى استمد الكاتب حكمته من الصور المظلمة ـ أخذ يوازن بينها وبين المقال الاصلى الذى استمد الكاتب حقائقه من نور القرن العشرين . ثم ابتسم بسمة المنتصر وهو يضغط كرسى مكتبه إلى الوراء إلى أقصى ما يؤدى به اللولب ، لانه استطاع أن يغذى العامة بالسفاسف التى يريدون ، وأن يتجنب غضبهم مما جاء فى المقال الاصلى

ومن ألطف ما رأيت من الصور الهزلية (كاريكاتور) رسم يمثل امرأة أوربية ، يستوقفها أحد الصبية من باعة الجرائد فى منتصف طريق عام فى إحدى المدن الكبرى ، ويعرض عليها شراء واحدة من جريدتين . وقد أمسك باليد اليمنى جريدة كتب على الصفحة الاولى منها بخط كبير بارز « فتاة فاجرة تقتل خليلها رمياً بالرصاص » وباليد اليسرى الجريدة الاخرى ، وقد كتب عليها

بخط كبير أيضاً « انفجار في مصنع يصرع عشرين شابة » فتتناول السيدة « المونوكل » وتضعه على عينيها ، ولا يكاد يقع نظرها على الصحيفتين حتى تختطف الأولى من يد الصبي ، وهي تقول له : « أفضل القتل على الانفجار »

وولع الجمهور بقراءة أخبار القتل وتفاصيل حوادثه بإسهاب يرجع كما ذكرنا إلى طبيعة الإنسان الأصلية في المحافظة على النفس ، كما أن رغبة جمهور القراء في مطالعة أخبار الألعاب الرياضية والملاكمات والمصارعات وغيرها — خصوصاً الدولية منها — يعود إلى غريزتي القتال والتنافس . وقد كان سكان فرنسا هذا الصيف يرقبون نتيجة مسابقة التنس الدولية وإحراز كأس ديفز بفارغ الصبر ، حتى أن الكبار والصغار والأسياد والخدم والصناع والعمال والتجار ظلوا ينصتون إلى الراديو ساعات طويلة إلى أن أعلنت نتيجة الحكم

واتفق منذ عهد قريب أن التأم في نيويورك مؤتمر كبير للتربية حضره نحو عشرين ألفاً من جميع بلدان العالم ، تحت إشراف جمعية للتربية مشهورة هناك تعرف باسم « N.E.A. » وأعضاؤها يربون على مائتي ألف — اتفق انعقاد هذا المؤتمر الخطير في يوم أقيمت فيه أيضاً حفلة ملاكمة . أيدري القارىء نصيب مؤتمر التربية من النشر عنه في الصحف الأمريكية في جانب نصيب حفلة الملاكمة ؟ هاك الأرقام نقلا عن حساب قام به أحد أعضاء المؤتمر :

(١) كان مجموع الأعمدة التي خصصتها كافة الجرائد الكبرى في نيويورك لحفلة الملاكمة بقدر ما خصص لحفلة المؤتمر أربع عشرة مرة

(٢) في أهم جرائد شيكاغو لم يزد كل ما كتب عن المؤتمر عن بوصتين (٥ سنتيمترات) في حين أن ما نشر عن الملاكمة بلغ أكثر من ١٣٠٣ عموداً

(٣) في فيلادلفيا لم تذكر الصحف كلمة واحدة عن المؤتمر ، وملأت صفحاتها بأخبار وتفاصيل الملاكمة

(٤) ولم تشذ عن هذه القاعدة إلا جريدة واحدة مشهورة يظهر أنها ضربت صفحاً عن رغبات العامة فنشرت ٢٦٧ بوصة عن المؤتمر ولم تذكر كلمة واحدة عن الملاكمة

☆☆☆

وإذا تساءلنا هل يحس الكاتب أو المحرر نجاح المقالة أو الرواية أو الكتاب ، بعد أن أدركنا ما يستهوي الجمهور أو العامة ، حرنا في الجواب ، لأن الواقع يدلنا على أن أبرع الكتاب قد تفشل كتبهم ومقالاتهم ، برغم أنها في نظرهم أثمن ما خطته أقلامهم . ومخرجو الروايات التمثيلية والأشرطة السينمائية ، مع ما مر عليهم من صنوف الروايات وما خبروه من أميال الجمهور ، قد تصل إلى أيديهم روايات يخيل إليهم أنها من أبدع ثمرات العقول ، فيحملهم هذا الاعتقاد إلى الإنفاق على سخاء ، ومتى حل يوم الامتحان ورفع الستار قابلها النظارة بالفتور أو الاشمئزاز ،

وأحياناً بالاستهجان والتصغير وماتت وهي في المهد صبية

وبعكس ذلك قد يترددون في قبول رواية، ويحكمون بالاجماع على أنها سخيفة، وأن مصيرها السقوط، ويشحون في الانفاق عليها، ولا تكاد تعرض على العامة حتى تقابل بزوبعة من الاستحسان ويستمر تمثيلها يومياً سنتين أو ثلاثاً أو اكثر. وقد اعترف بهذه الحقيقة مديرو المسارح الاميركية وشركات الصور المتحركة في هوليوود، وقالوا إجابة عن أسئلة وردت اليهم من بعض أساتذة علماء النفس إنهم لا يدرون تشر ما يعجب الجمهور إلا بطريقة احتمالية، وإن جل ما يعلمون في هذا الشأن أن الروايات كالكتب والمقالات تنجح اذا ما توافرت فيها شروط التسلية، وتفشل فعلا اذا ما كانت لمجرد الثقافة أو العلم، ولا يستثنى من ذلك إلا القليل

وكثيراً ما يظن أن مؤلفاً خاصاً يغضب الجمهور لانه لا يتفق مع تقاليدهم وعاداتهم أو عقائدهم، ومع ذلك يدلنا الواقع على العكس، فها هي الرواية المعروفة باسم « المراعي الخضراء » في أميركا، كان ثمة ما يحمل على الاعتقاد بأنها لا تصادف نجاحاً لسببين: أولا لان موضوعها يجرح الشعور الديني العام، والمعروف عن سكان الولايات المتحدة الامركية أنهم يحترمون هذا الشعور ويقدرونه. فمثل الرواية « الله » وبقية أشخاص الرواية أعلام التوراة والانجيل. ووجه الشذوذ فيها أن واضعها صور الله والأنبياء والملائكة كالبشر في مشاعرهم وحاجاتهم وأقوالهم. فترى « الله » جالساً الى مكتبه كأنه أحد رجال الأعمال، وأمامه سكرتيره الخاص، وهو أحد الملائكة الذين يتقنون الاختزال واستعمال الآلة الكاتبة، وتجد الملاك جبرائيل يقدم له علبة من التبغ من النوع الجيد لتدخينها، وتسمع الله يشكو لوكيله جبرائيل مما حمله من كثرة الأعمال ويكاد يعتزل وظيفة الألوهية، وهو يقول في ضجر وأسف « حتى الألوهية ليست فراشاً من الورد » Even to be a God is no bed of roses . وترى الخدم وهم من الملائكة يتحدثون عن الأثر البادي على وجه الله والهموم التي تساوره من عدوان بني الانسان وشرهم. وترى فوق جناح الملك الخادم الخرقة التي يستعملها لتنظيف أثاث المكتب

أراد المؤلف في الرواية أن يصور الذات العلية في صورة انسان بشري، يسر ويحزن، ويحقد ويتألم، ويرضى ويغضب، حتى يقربه الى الافهام ولكن هناك نقطة ثانية حساسة جاءت في تمثيل الرواية وهي أن فرقة الممثلين التي وضعت الرواية خصيصاً لها من الزنوج (السود). فكنت ترى على المسرح الذين يقومون بدور الله والملائكة والأنبياء كلهم من الزنوج. كذلك الفتيات اللاتي كن يمثلن أدوار السكرتيرة، التي تكتب على الآلة الكاتبة والخادمات كلهن من الزنجيات في شكل ملائكة ذوي اجنحة

كان ينتظر ان تسقط هذه الرواية أو يقاطعها الناس، ولكنها صادفت نجاحاً لم يسبق له مثيل الا في أقوى الروايات. فقد أراد كاتب هذه السطور حضورها في نيويورك فقيل له انه لا يستطيع

شراء تذكرة لهذا الاسبوع ولا يمكنه حضورها قبل مرور ثلاثة أسابيع ، مع العلم أنه كان قد مضى عليها سنتان وستة أشهر ، كانت تمثل في خلالها مرتين يوميا « ماتينيه » و « سواريه » وقد غادرت نيويورك وهي ماتزال تمثل فيها . وقد قرأت أخيراً أن الفرقة الآن في شيكاغو تقوم بتمثيلها هناك

ومن المدهش أن انجلترا — وهي أكثر تسامحاً من أميركا فيما يتعلق بمسألة الاجناس « والملونة » — رفضت ان تمثل فرقة زنجية رواية تستمد حوادثها من التوراة والانجيل . وقال أولو الشأن إن الجمهور قد يتعدون على الممثلين ويهيج خواطرهم اذا شاهدوا زنجياً يمثل الله وزنجياً يمثل المسيح . واما عن القارىء مقدار المشاكل التي تحدثها المسألة الجنسية اللونية في اميركا والعزلة التامة التي يجبر السود على اتخاذها هناك — عرف كيف ان رواية كهذه تنجح هذا النجاح . واول ما خطر ببالي بعد مشاهدتي هذه الرواية مع شدة اعجابي بها انه اذا زحفت الى الغرب ومثلت في مصر سواء أكان الممثلون والممثلات من السود أم من البيض ، فان النظارة يقضون على افراد الفرقة قبل نهاية الفصل الاول

ومن الروايات التي كان سقوطها منتظراً ثم نالت وصلها حديثاً أونيل (O' Neil) الروائي الاميركي الذائع الصيت ، على نمط روايات الكاتب اليوناني سوفكليس مؤلف رواية « أوديب الملك » المعروفة . وكان ينتظر سقوطها لأمرين : أولا لانها مفعمة بالوقائع المحزنة مترعة ملأى بالحوادث المفجعة ، حتى ان ثمانية من أبطالها يلقون حتفهم إما انتحاراً أو قتلاً . وهناك فصل كامل تقع حوادثه في غرفة ميت راقد في تابوته وعرض للجمهور ، ومن المعلوم ان الانجلوسكسونيين — بعكس اللاتينيين — يستهجنون الروايات والقصص المزعجة التي تكثر فيها القتل أو الموت . وثانياً ان هذه الرواية طويلة جداً حتى ان تمثيلها يستغرق خمس ساعات . وقد جعلت فترة الاستراحة بعد النصف الاول من الرواية طويلة حتى يتمكن فيها النظارة من تناول العشاء . غير أن معظمهم كان يحضرها على دفعتين . وقد احتاطت الادارة لذلك فاصدرت تذكرتين بدلا من تذكرة واحدة ، يستطيع حاملها ان يحضر بالواحدة الجزء الاول — وانه ستة فصول — ثم يستريح يوماً أو اكثر ، ويحضر بالتذكرة الثانية الجزء الثاني وعدد فصوله ايضا ستة

أما الاقبال على هذه الرواية فقد فاق حد المعقول ، لان كاتب هذه السطور ابتاع تذكرة ثمنها خمسة ريالات ، وكان نصيبه بالقرب من أعلى « التياترو » لان الزحم كان شديداً ، وقد عاد آخر الليل وهو ساخط على موضوع الرواية وطولها وجرائمها المروعة ، وشخصياتها المكروهة ، ونام مثقلا بكابوس الاحلام من قتل وجثث مضرجة بالدماء

ولست أدرى سبب الاقبال على تلك المأساة سوى ان واضعها مشهور . وقد أذيع هناك بعد مرور عدة شهور على تمثيلها ان سبب نجاحها ان العامة يندفعون وراء التيار أحياناً ، حتى يقال

عنهم انهم يقدرون الروايات « الكلاسيكية » . كما يهرع بعضهم (أو معظم الناس) الى الاوبرا ويجلسون في ملابس السهرة ، حتى يقال عنهم انهم مثقفون ، مولعون بالموسيقى ، وهم لا يفهمون منها شيئاً

ويشتد اقبال العامة على قراءة مؤلف اذا ما صادرته السلطة المختصة بدعوى انه خطر على الآداب أو السياسة العامة . ومثال ذلك كثير . وربما يذكر القراء الكتاب المعروف « The Well of Loneliness » الذي منع بيعه في انجلترا ، فطبع في فرنسا وبيعت النسخة الواحدة منه بجنيه وستة شلنات ، مع أنه لا خطر فيه على الاخلاق ، وليس فيه ما يستحق العناية لان موضوعه ينحصر في ان امرأة تؤثر النساء على الرجال في حياتها الجنسية . وقد بلغ من شغف العامة الانجليز به أن فرقة انجليزية وضعت الكتاب في قالب رواية تمثيلية وظلت تعرضها في فرنسا على انجليز كانوا يرحلون من انجلترا إلى باريس خصيصاً لحضورها

ومن الغريب أن العامة في مصر لم يحضروا ، وأن قلم المطبوعات لم يتوقع حضورهم ، عندما ترجمت الرواية الاخيرة لبرنارد شو الى العربية ، لان فيها تهكماً جلياً على الاديان . وكثيراً ما يقبل العامة على قراءة شيء أو حضور خطبة لان الموضوع جذاب في ذاته . فاذا ما قرأوا المؤلف أو سمعوا الخطيب وكان الاسلوب علمياً والمادة علمية ضجروا وسخطوا . واني أذكر محاضرات علمية نفيسة في الطيران ألقيت في القاهرة منذ سنوات قليلة . ولما أن أعلن عنها ضاقت القاعة بالمستمعين من العامة في أول محاضرة ، ونقص العدد في الثانية . وكاد المكان يكون قاعاً صفصفاً في الاخيرتين . ولا يعجب القارئ اذا قلت له ان العامة كانوا يتوقعون أن يشاهدوا طيارة في قاعة المحاضرات أو ما يماثلها

في ولايات أميركا المتحدة يقرأ الناس كل يوم ٦٦ مليون نسخة من الجرائد (اليومية) . ويقرأون أيضاً ١٨٧ مليون نسخة من المجلات (كل أسبوع أو شهر بحسب مواعيد صدورها) و٣٩٢ مليوناً من الكتب . وإن ٩٧ في المائة من الاسر الاميركية تقرأ كل أسرة منها مجلة دورية على الاقل . ومعظم ما يكتب طبعاً للعامة . فان مجلة واحدة تصدر ثلاثة ملايين نسخة كل اسبوع في حين أن عشر مجلات شهرية وأسبوعية تصدر كلها مليوني نسخة . وإن عدة أسبوعية خليعة مبتذلة تبيع كل أسبوع مليون نسخة أيضاً . وفي مصر لا يعد قراء الهلال والمقتطف شيئاً بجانب قراء بعض المجلات الاخرى التي تنشر لغرض التسلية . وهذا دليل على أن معظم الطبقة التي نسميها المتعلمة عندنا من العامة

امير بقطر

قيمة العملة والسلع والاجور

تسير على ناموس النسبية

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

لا يندر ان تحدث مناقشة بين اصحاب الاعمال المترددين بين الاخذ والعطاء والبيع والشراء كالمناقشة التالية :ـ

قال احدهم : ارتفع الفرنك اليوم ارتفاعاً كبيراً . كان الجنيه امس يساوى ١٠٠ فرنك فاصبح اليوم يساوى ٩٨

فاجاب الآخر : الفرنك لم يرتفع بل الجنيه انخفض . لانه كان أمس يساوى ١٠٠ فنزل اليوم الى ٩٨ . أفلا يكون هو المنخفض ؟

— لا بل الفرنك هو المرتفع لان السلعة الفرنسية من وزن ثمن ١٠٠ فرنك مثلا كنا أمس ندفع ثمنها جنيها مصرياً . وأما اليوم فلم يعد الجنيه كافياً بل يجب ان نضيف اليه نحو قرشين لكى يكفى . أليس الفرنك قد ارتفع ؟

— ان هذا الذى تقوله هو البرهان القاطع على ان الجنيه هو الذى هبط لا أن الفرنك هو الذى ارتفع . لان ما كنت تشتريه بمائة فرنك مازال ثمنه ١٠٠ فرنك ولكن كنت تدفع ثمنه ١٠٠ قرش فاصبحت تدفع ١٠٢ فاذن الجنيه هبط

— ولكن الجنيه لم يزل جنيها يساوى مائة قرش . وبالجنيه أشترى اليوم ما كنت اشتريه به أمس وأول أمس من خبز ولحم واجرة منزل واجرة عامل الخ

— نعم لم يزل الجنيه جنيهاً عندنا يساوى مثل قيمته من اشيائنا . ولكنك لم تعد تستطيع أن تشترى به من البضاعة الفرنسية المعروضة فى اسواقنا نفس المقدار الذى كنت تشتريه أمس بل أقل

— زه زه . اراك رجعت الى طريقى وهى ان البضاعة الفرنسية ارتفعت قيمتها عندنا لأن الفرنك ارتفعت قيمته

وهنا انبرى ثالث وقال : كل منكما مصيب فى قوله : الفرنك مرتفع والجنيه منخفض . وكلاكما مخطىء فى اطلاق القول بالارتفاع أو الانخفاض . ولكن لكى يكون القول سديداً يجب ان يقترن بالنسبة الى المكان والزمان . فالفرنك ارتفع بالنسبة إلى مصر ولكنه لم يزل على قيمته

فى فرنسا . وهكذا الجنيه انخفض بالنسبة إلى فرنسا ولكنه لم يزل يساوى ١٠٠ قرش فى مصر أى لم يزل هنا على قيمته

فقال الاول : اذن . كيف نعرف الحقيقة فيما إذا كان الفرنك هو الذى ارتفع أو الجنيه هو الذى انخفض ؟!

فقال الثالث : لا حقيقة مطلقة . فمهما تغلغلنا فى المسألة لا نصل إلى حقيقة مطلقة . الحقيقة نسبية أيضاً فى كل حال

فقال الثانى : ولكن اذا وسعنا دائرة المقابلة نكتشف ايهما الاصوب : نزول الجنيه أم ارتفاع الفرنك . نرى الجنيه المصرى والجنيه الانجليزى والريال الاميركى ما تزال متوازنة كما كانت أمس . وان الفرنك وحده هو الذى شذ عن هذه الموازنة إذ ارتفع عنها جميعاً . فاذن هو المرتفع لا هى المنخفضة

ـــ حسن فلنوسع دائرة المقابلة ايضاً فنجد ان الليرا الطليانى والمارك الالمانى والفرنك السويسرى والبلجيكى والاسبانى و و الخ لم تزل متوازنة مع الفرنك كما كانت أمس . فهل يصح القول انها ارتفعت جميعاً وان الجنيه المصرى والانكليزى والريال الاميركى لم تزل حافظة مركزها ؟

فقال الثانى : اذاً ننظر إلى المسألة من وجه عام ونرى العملة التى شذت عن ذلك التوازن العام فنقول بهبوطها او بارتفاعها . كانت جميع العملات متوازنة أمس واليوم خرج الجنيه والريال عن هذا التوازن هبوطاً فنقول انهما هبطا

فقال الثالث : مهما حاولت فلا تستطيع ان تقرر هبوطاً مطلقاً أو ارتفاعاً مطلقاً . تقول ان الجنيه هبط عن توازن أمس . فهل كان توازن أمس مطلقاً أى ثابتاً ؟ ألم يكن توازن امس شذوذاً عن توازن الشهر السابق أو العام السابق ؟ أليس توازن هذا العام غير توازن العام السابق والعام الاسبق والعام القادم ؟ فالتوازن الذى تشير اليه نسبى أيضاً

فقال الاول : لماذا وجع القلب هذا ؟ لماذا لا نعود إلى قيمة الذهب ونجعلها قيمة ثابتة مطلقة فى كل زمان ومكان ونرى ما قيمة كل عملة منه فنعلم ايها ارتفع وأيها انخفض ؟

ـــ حسن ! فلنر

قيمة الذهب نسبية

أصبح جوهر الموضوع هو : هل قيمة الذهب ثابتة فى كل مكان وزمان حتى إذا نسبت اليه قيم الاشياء والاعمال كانت النسبة بين الاشياء والاعمال ايضاً ثابتة ؟ أم ان الذهب هو كسائر الاشياء يختلف قيمة ايضاً فى المكان والزمان ؟ فاذا كان الامر الثانى هو الواقع فهل ثمت

شيء آخر ثابت القيمة يمكن ان تنسب اليه الاشياء ومن جملتها الذهب ايضاً ؟ أم ان قيمة الاشياء نسبية ولسبتها تختلف باختلاف المكان والزمان ؟ فلنر

وزن الجنيه الاسترليني ٨ جرامات . فاذا كانت ثمانية جرامات من الذهب الخالص تساوى قبل الحرب جنيهاً استرليناً و ½ ٩٧ قرشاً مصرياً و ٢٥ فرنكاً و ٥ ريالات اميركية إلا ½ ١٢ سنت و ٢٠ ماركا المانيا - إلى غير ذلك من عملات الممالك الاخرى مما يطول شرحه ، وكانت السلع تسعر بالنسبة الى الذهب فترتفع الاسعار أو تنخفض على هذه النسبة تبعاً للعرض والطلب ، وكذلك كان شأن الاجور . فكأن الذهب يعتبر قاعدة التسعير ، أى ان اسعار الاشياء والاجور تنسب اليه باعتبار ان قيمته ثابتة لاتتغير ، حتى إذا كانت الاسعار والاجور تعلو او تهبط عن قيمة الذهب ، عزى هذا التذبذب فى الاسعار والاجور إلى تغير قيمتها لا إلى قيمة الذهب . فهل هذا حقيقى ؟

بعد الحرب اضطرب التوازن الذى كان بين عملات الدول فالمارك الالمانى جعل يتسفل رويداً الى أن بلغ الصفر . والفرنك تنازل حتى بلغ خمس قيمته ، وكذلك الليرا الايطالى وغيرها من عملات كثير من الدول . وباضطراب هذا التوازن بين العملات اضطربت الاسعار والاجور أيضاً اضطراباً عظيماً فكانت كالبحر المائج المتلاطم الامواج لا تستمر على مستوى واحد . فهل يمكن ان نقول حينئذ ان الذهب الذى كان يعتبر قاعدة التسعير بقى على قيمته أم ان قيمته اضطربت ايضاً وتذبذبت بين صعود ونزول ؟

ان شرح هذه المسألة فى مطلق الزمان والمكان يكاد يكون مستحيلا لأن اسعار الاشياء بنسبة بعضها الى بعض فى المملكة الواحدة - وبين مملكة وأخرى - اضطربت ايضاً وفقدت توازنها المعهود فى أيام السلم والطمأنينة . لذلك نقتصر على شرح المسألة فى مملكة واحدة فقط تفادياً للتعقيد ، ونختار مصر مثلا حيث الاضطراب كان أخف منه فى أى مملكة اخرى

كان الجنيه المصرى الورق منذ سنتين يساوى قيمة ٨ جرامات ونيفاً من الذهب الخالص ، ونحو ١٢٥ فرنكا و ٥ دلارات الخ . فلما هبط مع هبوط الجنيه الاسترلينى لأنه مستند الى هذا أصبح يساوى نحو ٦ جرامات من الذهب وأقل من ١٠٠ فرنك ومن ٤ دلارات الخ . ولكن نسبته الى السلع المحلية لم تتغير . بقينا نشترى حاجتنا اليومية بأثمانها المعتادة بالعملة المصرية . ما شعرنا بفرق فى الاسعار الا فى اسعار بعض الواردات الاجنبية . فما معنى هذا ؟ احد أمرين : إما ان جميع سلعنا هبطت اسعارها عن سعر الذهب (أو بالاحرى عن قيمته) هبوطاً متناسباً بحيث انها بقيت متوازنة . أو ان سعر الذهب ارتفع . فأى القولين هو الاصح أو الاصوب ؟

إذا اصررنا على القول ان الذهب ما زال قاعدة التسعير الثابتة وان اسعار الاشياء بالنسبة اليه هبطت فكان الواجب ان اسعار الواردات الانكليزية تهبط أيضاً عن سعر الذهب كما هبط

سعر الاسترليني عنه ، مادام الاسترليني والجنيه المصري قد هبطا معاً وبقيت النسبة بينهما كما كانت قبلا ، والحال في انكلترا وفي مصر واحدة . ولكن الواقع غير ذلك فان الواردات الانكليزية ارتفعت لان المنتج الانكليزي الذي يستورد مواده الخام من الخارج باسعار العملة الاجنبية (أي بأغلى ثمناً بسبب هبوط الاسترليني) لم يعد في امكانه ان يبيعها بالسعر السابق ، فاذن ارتفاع اسعار الواردات الانكليزية بمقدار هبوط النقدين الانكليزي والمصري بحيث يبقى موازناً لسعره السابق يدلنا على ان الذهب لم يزل موازناً لقيمة الواردات الانكليزية كما كان قبلا ، ولكنه ارتفع قيمة بالنسبة الى منتجاتنا المحلية . فهو اذن مرتفع في ناحية ولم يزل على قيمته في ناحية أخرى . وإذن لم تعد قيمته ثابتة كما ظن ولا يعتبر قاعدة ثابتة للتسعير . فهو كسائر الاشياء مذبذب القيمة

ذلك بيان جلي لتذبذب قيمة الذهب في مكان واحد وزمن واحد . فاذا ادخلنا اعتبار اختلاف الزمان في المسألة اتجلى لنا ان الذهب غير ثابت القيمة بل ان قيمته نسبية كسائر الاشياء . . .

في آخر القرن الماضي أي منذ ٤٠ سنة تقريباً كان رطل اللحم يساوي نحو قرشين (أي جزءاً من الجنيه) وكانت اجرة الفاعل نحو ٥ قروش . ثم ارتفعت قيمة اللحم حتى بلغت الى ٦ قروش واجرة الفاعل الى عشرة قروش ، وكانت اجرة المنزل ذي اخس الغرف في شارع متوسط ٣ جنيهات أو أقل ثم ارتفعت الى ٧ و ٨ جنيهات وقس على ذلك سائر المواد والاجور . وكانت النسبة بينها مرتبطة بقيمة الذهب نفسه ثابتة تقريباً . فلما ارتفعت الاسعار اختل هذا الارتباط وتغيرت نسبتها بعضها الى بعض تغيراً عظيماً . فهل يصح القول ان الذهب بقي على قيمته ولكن الاشياء كلها ارتفعت اسعارها ؟

لم تزل اللحمة التي كنا نأكلها منذ ٤٠ سنة هي كاللحمة التي نأكلها اليوم . ولم يزل الفاعل يعمل العمل الذي كان يعمله الفاعل منذ ٤٠ سنة . فما عمل الفاعل اليوم بأشد من عمل الفاعل في ذلك الزمان . ولم يزل المنزل الذي سكناه منذ ٤٠ سنة إياه نفسه . فهذه المذكورات وجميع حاجات الحياة لم تزل على حالها . فما ارتفعت قيمتها ولا ازدادت فائدتها ولا تضاعفت ثمرة استعمالها . فلماذا إذن نقول إنها غلت ثمناً او ارتفع سعرها وان الذهب لم يزل حافظاً قيمته ؟ أليس الاصح ان نقول ان قيمة الذهب نفسها هبطت ، أو بعبارة أصح ان النسبة بين الفريقين تغيرت

اذن الذهب لا يعتبر قاعدة ثابتة لتسعير الاشياء والاجور بل هو كسائر الاشياء قيمته عرضة للهبوط والصعود . لا بأس في ان يصطلح على تعيين الذهب قاعدة للاسعار فتنسب اليه قيمة الاشياء ، ولكن هذا التعيين لا يجعل قيمته ثابتة في كل مكان وزمان كما رأيت . وانما يكون هذا التعيين اعتبارياً اصطلاحياً لا حقيقياً . فهو كاعتبار الفلكي الارض ثابتة والشمس وسائر

السيارات والنجوم متحركة بالنسبة اليها . وهو يحسب حساباته الفلكية بناء على هذا الاعتبار . فاذا جاءت حساباته صحيحة فلا يكون المعنى ان الارض ثابتة حقيقة

إذاً يفضي بنا البحث إلى هذا السؤال : إذا كان الذهب غير ثابت القيمة ولا تعتبر قيمته قيمة مطلقة ، تقاس بها سائر قيم الاشياء وتنسب اليها فاين اذن الشيء الثابت القيمة الذى يصح ان يعتبر قاعدة للتسعير ؟ وهل هناك شيء آخر يحق ان يكون له هذا الشرف الذى منح للذهب بغير حق كما رأيت ؟

قيمة العمل نسبية أيضاً

ربما لاح فى بال القارىء أن عمل العامل يليق أن يكون قاعدة التسعير لانه هو مصدر كل إنتاج ، حتى إن الذهب نفسه هو ثمرة عمل العامل ، لان القوة التى يستطيع أن يبذلها العامل عضلية أو عقلية لاتختلف فى زمان عنها فى زمان آخر ولا فى مكان دون مكان اختلافاً يذكر . ثم إن عامل اليوم لايبذل من الجهد أكثر مما كان يبذله عامل الامس ، بل بالعكس ربما كان عامل اليوم يبذل جهداً أقل من هذا . وانما نتيجة جهد عامل اليوم أعظم جداً من نتيجة جهد عامل الامس ، بفضل الالات والمخترعات المتنوعة وفضل ارشادات العلم الحديث . ولذلك يتمتع انسان اليوم باضعاف ما كان يتمتع به اسلافه . (واذا كان ما يزال يشعر بتعاسة فلأن نظم المجتمع لم ترق مع رقى العلم والاختراع رقياً مماثلا لهما) فعلى الرغم من أن جهد الانسان الطبيعى باقياً كما هو فان قيمة هذا الجهد اليوم أعظم جداً من قيمة جهد السلف ، مع أن الجهد المبذول اليوم لم يزد بل قل . واذن لايمكن أن يعتبر عمل العامل قاعدة لتثمين الاشيا

يستفاد مما تقدم أن قيمة عمل العامل تختلف فى زمان ما عنه فى زمان آخر . على أن هذا الاختلاف لايقتصر على الزمان فقط بل يطلق على المكان أيضاً ، أى أن اجر عمل العامل فى مكان يختلف عنه فى مكان آخر . كان متوسط كراء الفاعل الشرقى قبل الحرب نحو عشرة قروش . فكان الشرقى اذا هاجر الى الولايات المتحدة يتقاضى هناك عن قيمة عمله نحو ٥٠ قرشاً على الاقل مع أنه لايبذل مجهوداً أعظم . والآن يتقاضى هنا أجراً أقل جداً مما كان يتقاضاه قبلا . فاذن قيمة العمل تختلف باختلاف المكان كما تختلف باختلاف الزمان . ولذلك لايصلح العمل قاعدة للتسعير والتثمين . فاين نجد هذه القاعدة ؟

كلما فكرنا فى المسألة انجلى لنا أنه لايمكن أن نجد شيئاً ذا قيمة ثابتة يمكن أن تنسب اليها قيم الاشياء الاخرى وتسعر بها بل بالاحرى نكتشف أن قيم الاشياء جميعاً من ذهب وسلع وجهد الخ نسبية بعضها الى بعض غير ثابتة القيمة يرتفع بعضها عن بعض ويهبط بعضها دون بعض باختلاف الزمان والمكان . فليس ثمة فى عالم الاقتصاديات شيء ذو قيمة ثابتة مطلقة

لا ينتسب الى شيء آخر ذي قيمة أخرى . فمن يتدبر هذا المقال ويمعن النظر فيه جيداً يفهم معنى نظرية النسبية التي ضبط نواميسها آنشتين . فكل شيء في الوجود نسبي يختلف مقامه باختلاف مواقع الناظرين اليه

واذا جئنا نفاضل بين الذهب والجهد في العمل لنعلم أيهما أفضل ليجعل (اصطلاحاً) قاعدة لتقدير قيمة السلع والامور وسائر الاشياء ، فبقليل تفكير نجد أن جهد العامل أولى بهذه الوظيفة وأن الذهب لاقيمة له البتة . وربما كان أحط قيمة من الرصاص والحديد والنحاس ، لان هذه أفيد استعمالا في حاجات الجنس البشري ، واستخراجها يكلف أقل عناء جداً من العناء في استخراج الذهب . وما جعل للذهب قيمة الا انه كان للزينة ثم ثمين (اصطلاحا) وسيلة للمقايضة ثم قاعدة للتثمين ، فاكتسب هذه الاهمية . على أنه لم يعد في هذا العصر صالحاً كوسيلة للمقايضة لان المقدار الموجود منه لم يعد كافيا لاجل حركة المعاملة التي استفحلت في هذا العصر فاستعيض عنه بالورق وجعل هو سنداً من وراء الورق . مع ذلك لم يستطع اسناد الورق فاعتصمت اليه الثقة بالحكومة لاسناد الورق مع ذلك بقي الورق مزعزعا وأصبحنا اليوم نرى ان رسوخ قيمة العملة الورقية لايتوقف على وجود الذهب بل على ما للحكومة التي تسندها من ثقة الناس . فاذا تزعزعت هذه الثقة هبط الورق ولو كان وراءه نصف ذهب العالم كما هو الآن في الولايات المتحدة

ويظن بعض الناس انه لو كانت الدول التي تكنز الذهب تخرجه نقداً الى الاسواق للمعاملة لكانت الازمة تنفرج

وفي رأي هذا العاجز: أنه لو نزلت الى الاسواق اضعاف الذهب المكنوز ولكن لاثقة في المعاملات فلا يفعل الذهب شيئاً في تخفيف الازمة لانه بذاته لا قيمة له . رطل الدقيق في بعض الاحوال يكون أكثر قيمة من الجنيه الذهب كما كان في لبنان في عهد جمال باشا الطاغية

شبرا — مصر نقولا الحداد

قلنا إن حكم الشورى ليس حديثاً في العالم بل قد كان للانسان عهد به منذ أوائل العمران وبمرور الأحقاب طرأت عليه ضروب من التغيير والتبديل فكان كل جيل يختار ما يلائمه من أساليبه . فاذا تفشت فيه العيوب عدل عنه الى الحكم المطلق . كذلك وقع لليونان والرومان وغيرهم فكانوا ينقلون من الشورى الى الاستبداد ثم يعودون الى الجمهورية ، فاذا أنسوا من الحاكم نزوعاً الى الظلم نقموا منه ذلك وثاروا عليه

وفي الواقع أن حكم الشورى ـ كالحكم المطلق ـ لم يخل في زمن من الأزمان من الشوائب . والنظم الديمقراطية الحاضرة لا تسلم من تلك الشوائب ، وهي اذا لم تبرأ منها فلن تقوم للشورى قائمة

ولقد يخيل إلى البعض أن الديمقراطية تنافى تعدد طبقات الامة وان وجود هذه الطبقات لا يتفق مع مبدأ المساواة . وهذا خطأ شائع لان تعدد فرق الناس لازم لقيام الاجتماع وليس للعمران مندوحة عنه . وانت تعلم أن اختلاف الصور من مستلزمات الجمال وأن تباين الاشياء في ملاكها ومظهرها متمم لشروط الاجتماع بيد أن هذا لا يستلزم أن يكون ثمة فرق في موقف الطبقات حيال القانون بل القانون وضع لمعاملة الجميع بالعدل والمساواة ولاعطاء كل ذي حق حقه

ومن دواعي الاسف ان الشورى كثيراً ما كانت وسيلة لانهيار صرح الدولة كما وقع في الجمهوريات القديمة التي أسسها اليونان والرومان والجرمان وغيرهم . وفي مقدمة أسباب ذلك الانهيار أن جماعة تدعي النيابة عما يسمونه الكثرة ـ والكثرة في كل أمة هي العامة لا الخاصة ـ كانت تغتصب مقاليد السلطة وتتحكم في الرعية فتوجهها حسب أهوائها الجامحة . فكانت المظالم ترتكب باسم الديمقراطية والديمقراطية بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فيفضي ذلك إلى الفوضى والفساد

• • •

ورب سائل يسأل وكيف تصلح الديمقراطية وما هي الشوائب التي يجب ازالتها ؟

فالجواب عن ذلك أن إصلاح الديمقراطية لن يجيء فجأة بل سيتدرج بما يلائم مقتضيات الزمان والمكان . ولعل أشنع ما ترمى به الشورى هذا التعدد في الرأى والتباين في الاهواء مما يحسبونه مظهراً من مظاهر الحرية وهو في الحقيقة أشد ما يبعث الخلل والفساد في الدولة ويمنعها من الاستقرار . وقد روى المؤرخون عن بطرس الاكبر عاهل الروس أنه لما زار بلاد الانجليز ورأى في غوتها ذلك الحشد الكبير من النوب (١) في هاش ومشادة قال للذين معه :

(١) النوب النواب

« وما عمل هؤلاء . وما نفع مناقشاتهم ؟ لقد كان عندى رجلان فى علكتى شنقت أحدهما رأنا ذاهب لانظر فى أمر ثانيهما » .

وليس ذلك كل ماتؤاخذ به الشورى بل هنالك شوائب أخرى لاتقل عنها شناعة وأهمها عدم استقرار السلطة للحاكم ووقوعها تحت اهواء النوب وجعلها مسؤولة أمام جماعات مختلفة تسمى لجانات (جمع لجنة) وسعى كل حزب من أحزاب الدولة الى الاستئثار بالحكم والانفراد به ، وما يستلزمه ذلك من الدسائس وأساليب الحيل والخداع ، وما الى ذلك مما لايتفق مع مصلحة الامة بل يلائم أهواء شيعة معينة منها فقط

ولا حاجة الى القول إن انفراد حزب واحد من الاحزاب بالحكم دون غيره لايرضى إلا أفراد ذلك الحزب . ومن الطبيعى أن يسعى هؤلاء الى تحقيق أغراضهم قبل أغراض خصومهم . وهذا وايم الحق ليكفى نقصاً للديمقراطية . وقد سعى الكثيرون من علماء القانون الى استنباط وسيلة لازالته فلم يوفقوا الى ذلك لان طائفة كبيرة من تلك الشوائب مرجعها الى طبائع الناس فليس من السهل اجتنابها

اذن كيف تصلح الشورى وعلى أية صورة يجب أن تكون اذا أريد نجاحها ؟

يجب قبل كل شيء أن تزول منها روح الحزبية التى تتغلغل فيها بعض الاحيان . فالشورى فى روسيا مثلا تلازمها تلك الروح ويتخللها الاستبداد المبنى القائم على الطمع فى الحكم لاشباع شهوة النفس لا للسهر على مصالح الرعية وهذا شر أنواع الحكم لانه ظلم وطغيان مقنعان . ولا شك أنه اذا أريد أن تتأصل روح الشورى فى الأمة وتدوم فيها وجب تنشئة الأمة عليها احقاباً طويلة حتى تصبح خلقاً فيها . كما يجب أيضا إزالة شوائبها وتطهيرها من كل ماتؤاخذ به

وقد حاولت الدول أن تستنبط نظاماً نيابياً يخلو من العيوب فلم توفق الى ذلك . تشهد بهذا الأساليب التى سارت عليها الحكومات المختلفة فى تأليف انديتها النيابية ، وضروب الاقتراع التى تتبعها لاشتراك الأمة جمعاء فى اختيار اسلوب الحكم . ومما يدلك على نقص النظام النيابى انك اذا أخذت مرشحين من حزبين مختلفين فاقترع على أولهما خمسة آلاف من الانصار وعلى ثانيهما أربعة آلاف فاز الأول على الثانى وانتخب نائباً وبقى انصار المرشح الثانى بلا نائب

هذه شائبة يكاد يتعذر تلافيها لانها ملازمة لملاك النظام النيابى . فاذا امكن إزالتها زال سبب من أقوى أسباب الشكوى من ذلك النظام

ويجب أيضا كبح جماح الاحزاب وجعل تنازعها قائماً على مصلحة الجماعة لا على مصلحة الفرد أو مصلحة الحزب ، وذلك بحرمان الحزب الذى يولى الحكم قضاء أية مصلحة حزبية ، وبحرمان الذين يولون السلطان قضاء أية مصلحة فردية . ولقد يكون فى ذلك صعوبة كبيرة ،

ولكن يجب تدبير علاج ناجع لهذا الداء والا تفشى الفساد فى الدولة ودب الضعف فى جميع انحائها

ومن شوائب الشورى أيضا تعدد مصادر السلطان وتشعبها على وجه تضيع معه المصلحة ويتعذر استقرار الحكم وتتفشى الدسائس والمحاباة وتتعطل شؤون الدولة ويتطرق اليها الخلل والفساد . والوجه فى معالجة هذا الداء مزج الشورى بيسير من السلطان المطلق لمصلحة المجموع دون الفرد وتخويل حكام الولايات المختلفة حق الفصل فى كثير من الشؤون التى يراجع فيها مقر الحكم وهو مايعبر عنه بلغة المولدين « باللامركزية »

على أن وجوه هذا الاصلاح متعذرة إلا اذا طرأ على العمران الحاضر تغيير يتناول جميع مناحيه المادية والمعنوية من علم ومال وأدب وسياسة ودين وصناعة واجتماع . فاذا لم يقع هذا الاصلاح فلا رجاء للشورى فى المستقبل ولا قيام لها على الاطلاق

ولايضاح ذلك نضرب لك بعض الامثلة على وجوه الاصلاح المنشودة لتكون على بينة مما نقول :

فى الوجه السياسى لابد للدولة من نبذ فكرة العصبية القومية ليحل محلها فكرة أسمى وأشرف وهى روح المصلحة العامة أو العالمية المعبر عنها بروح العصبية الدولية Esprit d'internationalisme والمراد منها انضمام بعض الدول الى بعض بحكم الجوار والمصلحة وتكوين عصب من الحكومات أشبه بما يسمونه ولايات متحدة . كأن يكون هنالك الدول المتحدة الاوربية والدول المتحدة الاميركية والدول المتحدة الاسيوية والدول المتحدة البريطانية وهلم جرا

ولا بد فى هذه الحالة من إعادة النظر فى تخطيط البلدان وتقويم التخوم الجغرافية على وجه يلائم أساليب الانتقال الحديثة فى البر والبحر والهواء . فقد قصت هذه الاساليب على التخوم الجغرافية فقصرت المراحل وسخرت من الزمن وجعلت الناس يدركون أنهم أمة واحدة وان تراميت بهم البلاد وفرقتهم الامصار

وستتغير نظم الاقتصاد وأساليب التجارة وقيود العمل بحيث ينظر دائما الى مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد . وتتقيد المصانع والمعامل بقيود مشتركة حتى لا يزيد ما تنتجه على حاجة الجماعة . ولا بد فى هذه الحالة من انشاء لجنة للمراقبة العامة تقدر حاجة الجماعة وتوصى المعامل والمصانع بان لاتفرط فى مقدار ماتنتجه من السلع والحاجات المختلفة

وستتغير نظم التعليم أيضا بحيث يعنى بالجانب العملى منه ولا يضاع الوقت فى النظريات الخيالية . وسيطرأ تبدل على الدين أيضا فيشعر الناس بان الدين الحقيقى ليس هو التظاهر بالتقوى الكاذبة والقيام بالفروض والشعائر الظاهرة بل هو حسن المعاملة والتحلى بالاخلاق

الطبية والمكارم العالية وتنبذ الصفات القديمة الذميمة، وما الى ذلك من المحامد

وسيكون أهم ما يشغل بال العلماء ازدحام البشر ووجوب تقييد التناسل بحسب ما تستلزمه
مصلحة العمران. وستفشو الدعوة الى تقييد النسل واختيار الاصلح واهمال غير الصالح حتى
يكون الجيل القادم عن اشتهر آباؤهم بسمو الادراك وارتقاء القوى العاقلة. وفي ذلك توطئة
لما يسمونه جيل «السوبرمان» أو «الانسان المتفوق». ولهذا بحث ليس هذا مجاله

وستظهر في المستقبل علوم جديدة لا وجود لها الآن إلا في مخيلة نزر يسير من العلماء.
وستتغير شروط العمران وقيود الاقامة بالمدن ووسائل المعيشة فيها. وسيجيء كل ذلك تدريجاً
ويؤثر في نظام العمران من جهة السياسة والاجتماع بحيث تكون أسس الشورى مختلفة كل
الاختلاف عما هي اليوم، أي مزيجاً من العلم والسياسة والادب والاجتماع، ولا تقصر على
الوجه السياسي فقط من شؤون الحياة

ولعل نظام الحكم في المستقبل سيكون أقرب الى الاستبداد المقرون بالعدل منه الى الشورى
التي قد كثرت شوائبها وعمت الشكوى منها كما مر بك. وفي الواقع أن هنالك قرائن تشعر بذلك
وتدل على أن العالم قد بدأ يسأم تجربات الديمقراطية الحالية ويدرك أن الاستبداد المقرون
بالعدل خير منها. ففي اسبانيا وتركيا وايطاليا وفارس وروسيا وغيرها نرى الدكتاتورية العادلة
ناشرة سلطانها والناس من حولها مطمئنين الى السكينة. وهم اذا قابلوا ديمقراطيتهم الماضية
بدكتاتوريتهم الحاضرة أدركوا فضل هذه على تلك ورأوا أن الفرق بين الشورى والفوضى
قد لا يزيد على خطوة واحدة. هذا ترى الشعب الايطالي يسير وراء دكتاتوره ويؤيده في جميع
أعماله وخططه. وكذلك يفعل غيره من الشعوب الذين ملوا مساوىء الشورى فقلبوا لها ظهر
المجن وعادوا الى الحكم المطلق يلتمسون السعادة في ظلاله

وفي الواقع اننا اذا نظرنا الى العالم نظرة اجمالية لم تخف علينا هذه الحركة العامة التي تحاول
أن تعود بالعالم الى ذلك النظام الطبيعي وهو الحكم المطلق المقرون بالعدل الذي كان اساس
الاجتماع منذ أول نشأته والذي لم ينقلب عليه الناس إلا لان مساوىء طارئة علقت به ومرجعها
الى طبائع البشر

وسيظل العالم يتقلب بين الحكم المطلق وحكم الشورى متكيفاً بموجب ظروف المكان
والزمان فيختار من الحكم الاسلوب الذي يلائمه منه الى أن يستقر نظام الاجتماع على أساس
أقرب الى الديمومة من كل ما تقدمه

سليم عبد الاحد

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

سر الحياة الغامضة

(ملخصة من كتاب للأستاذ جوردون جرابيديان)

(عن مجلة ريدرز دايجست)

ما من أحد إلا وقد خطرت له هذه الأسئلة وهي : ما هو المرض ؟ ولماذا يهرم الإنسان ؟ ولماذا يموت ؟ وما هي الحياة ؟

لقد عني العلماء في هذا العصر بدرس الحياة وخصائصها . ومنذ عهد قريب أخذ بعضهم يسعى لخلق الحياة أو الخلية الحية على أساس الكيميائي . والمساعي التي قد تبذل إلى حتى الآن تقوى فيهم الأمل بالنجاح . ومنهم من يعتقد اليوم أن الموت حادث طارئ وليس أمراً طبيعياً

وقد ثبت الآن أن الإنسان إذا مات تبقى أعضاء جسمه حية عدة ساعات . فأظافر اليد مثلا تظل تنمو بعد الموت لأن الخلايا التي تتألف منها تظل حية . ومن أخبار روسيا العلمية أن الأستاذ تشتشولين قام بعملية جراحية غريبة ، فإنه قطع رأس كلب وتمكن من إبقاء الرأس حياً مدة تزيد على ثلاث ساعات . وتمكن الدكتور كوليابكو الروسي أيضاً من إبقاء قلب إنسان حياً ينبض مدة ثلاثين ساعة متوالية بعد إخراجه من جسم صاحبه

وأثبت الدكتور وودروف من أساتذة جامعة ييل أنه ليس من الضروري أن تموت الحيوانات المؤلفة من خلايا مفردة ، وأن الخلية المعروفة باسم برامسيوم (Paramecium) تتوالد بلا انقطاع . وقد راقبها مرة مدة طويلة حتى ولدت ثمانية آلاف وخمسمائة جيل (نحو ربع مليون سنة من حياة الإنسان) وهذا دليل آخر على خلود الخلية

وهنالك عدة تجارب علمية تؤيد هذا القول . ومنها تجارب قام بها الدكتور ألكسيس كاريل مدير معهد روكفلر بمدينة نيويورك ومن أشهر علماء الجراحة في العالم . ولا يخفى أن متوسط حياة الدجاجة نحو خمس سنوات . وفي معمل الدكتور كاريل المذكور خلايا مأخوذة من قلب جنين

دجاجة وهذه الخلايا ما تزال حية منذ أكثر من عشرين سنة . وقد تمكن هذا الطبيب أيضاً من استحياء خلايا أنسجة مأخوذة من جرذ وفئران وخنازير ولجسام بشرية منذ سنين كثيرة . أما خلايا الدماغ فلا تعيش طويلا . ويؤخذ من ذلك أن الخلايا الحية في جسم الانسان إذا أمكن فصلها بعناية تامة ووضعها في البيئة الملائمة لها امكنها أن تحيا وتتوالد الى الابد . والغريب أنها عندما تتحد معاً لتكوين الجسم الانسانى تموت ولا تعيش كثيراً . فما سبب ذلك ياترى ؟

يعتقد الدكتور كاريل أن الخلية المفردة عندما تحفظ في بيئة نصف سائلة (وهي البيئة الاعتيادية التى تربى فيها الخلايا) تفرز سما تتلقاه البيئة فينصرف ويزول وتظل الخلية حية . أما فى جسم الانسان أو غيره من الحيوانات ، فان السم الذى تفرزه يتجمع ولا يجد له مصرفاً فيسبب الموت والفناء

ومن العجائب التى صنعها الدكتور كرايل مدير عيادة كليفلند بالولايات المتحدة أنه تمكن من احياء المادة بعد موتها . وليس ذلك فقط بل تمكن من إيجاد خلايا فيها كثير من خواص الحياة . ذلك أنه اخذ أنسجة من دماغ جنين مقتول حديثاً وحولها رماداً بواسطة الكهربائية ثم استخرج من هذا الرماد بعض الاملاح والعناصر الاخرى ، وأضاف اليها قليلا من بروتايين ومن مواد كيميائية أخرى ، فعمل من ذلك مزيج هلامى له خواص المادة الحية فكان يستهلك الاوكسجين ثم يطرده عنه فى حالة ثانى أوكسيد الكربون (كربون ديوكسيد) كما تعمل الصور الحية تماماً . وليس ذلك فقط ، بل كان المزيج يتحرك ويتغذى وينمو فى الحجم ويتوالد !

ويعتقد الدكتور كرايل أن الحياة هى الكهربائية عينها أو هى على الاقل شديدة العلاقة بها . ومن أقوى الأدلة على أن الومضة الكهربائية هى شرارة الحياة بعينها أو على الاقل هى قوام الحياة أن الدكتور كرايل فحص كتلة من « الاميا » بآلة كهربائية دقيقة ، فوجد ان بها قوة كهربائية تعادل جزءاً من ستين من الفولت ، فلما أطلق عليها تياراً كهربائياً موجبا يكفى لافناء التيار السالب ماتت تلك الكتلة ولم يبق بها أثر للحياة . وقد ثبت من هذه التجربة أن « الاميا » تعيش اذا زادت قوتها الكهربائية أونقصت ، ولكنها تموت إذا تعادلت (neutralized)

وهذا يدل على ان فى النباتات والحيوانات تيارات كهربائية مستمرة ــ الامر الذى يحمل علماء على القول بأن كل خلية من خلايا الجسم هى بطارية كهربائية . وتختلف القوة الكهربائية المتولدة من كل خلية باختلاف حجمها . فهى قوية فى الخلايا الكبيرة وضعيفة فى الصغيرة ومعدومة فى الميتة . وزوالها اما أن ينشأ عن سم او اصابة أوضعف تدريجى . وهذا هو سر الموت فى نظر الدكتور كرايل . فما دام الانسان مشبعاً بالكهربائية فهو حى ، فاذا عدم التيار الكهربائى منه حصلت الوفاة

أزمة الاخلاق

(من مقالة للاستاذ جيمس ادمس البسيكولوجي الاميركي)

(عن مجلة هاربر)

نشهد اليوم في أميركا ثلاث ازمات عامة : اقتصادية ، وسياسية ، وخلقية . وقد مل الجمهور سماع حديث الازمتين الاوليين ، ولكنه لم يسمع عن حديث الازمة الثالثة الا القليل ، ومع ذلك فان لازمة الاخلاق تأثيراً بعيد الغور لابد أن يستمر حتى بعد ان تسترد البلاد رخاءها

ونجد أعراض هذه الازمة في عدم وجود زعماء يركن اليهم ، وفي الفساد المتفشي بين جميع الطبقات ، وفي افتقار البلاد الى زعماء مصلحين

سئل مرة فريق من التجار الاميركيين : ماهي أبرز الصفات التي يرونها في الشعب الاميركي؟ فكان جوابهم : إنها الخيلاء ، والغرور ، والشهوة الى الغير ، والحسد ، وحب الظهور ، وهلم جراً

ولا شك أن عوامل جديدة قد طرأت على خلق الرجل الاميركي في خلال السنوات الاخيرة ، وفي مقدمة أسبابها في الارجح ظهور مخترعات كثيرة . ولا شك ان هذه الاختراعات قد أثرت في الاخلاق عن طريقين . فقد كانت مقدرة الرجل على شراء وسائل الراحة منذ بضعة عقود من السنين محدودة ، فكان أهم ما يستطيع الرجل المتوسط ان يقتنيه هو بيته وأمتعته وثيابه وكتبه ، وفي بعض الحالات كان يقتني مركبة يجرها جواد أو جوادان . وبزيادة الرخاء زاد ما صار يشتريه من وسائل الرفاهية ومن الادوات المنزلية لضمان راحته وراحة أسرته ، فكثرت أبواب الانفاق . وكلما ظهر اختراع جديد صار يسعى لاقتنائه . وصار باعة هذه الاختراعات يستعملون جميع ضروب الترغيب والتملق ليستثيروا رغبته في الحصول على تلك الاشياء . وبمرور الزمن اشتدت حاجته الى المال واشتدت عزيمته للحصول عليه بكل طريقة

وكان للاشياء والاختراعات التي اشتراها تأثير يذكر في أخلاقه . ولايضاح ذلك نقول :

ان تدفئة البيوت مثلا تتم اليوم بأجهزة كهربائية . وكانت تتم منذ بضع عشرات من السنين بواسطة الفحم أو الحطب ، فكان الرجل يستيقظ في الصباح ويوقد النار لتدفئة غرف المنزل ثم يشرع في عمله اليومي . وكان ذلك ينشطه ويعوده الاستيقاظ باكراً والاقبال على عمله بكل همة ونشاط . أما اليوم فانه يظل نائماً أو مضطجعاً على سريره لانه بضغطه زراً كهربائياً موضوعاً الى جانب مخدعه يستطيع تسخين جهاز التدفئة ، ومثل هذا العمل مدعاة الى الكسل ولا بد أن يؤثر في الاخلاق والطباع

وانظر الى مثل آخر — كان الرجل أو الفلاح الاميركى الذى يقتنى حصاناً يستيقظ كل يوم مبكراً للعناية بالحصان ولتقديم العلف اللازم له . فكان (كوقد النار فى المثل السابق) يروض نفسه على النهوض باكراً ويبدى جميع ضروب النشاط منذ أول النهار . أما اليوم فقد حل الاوتوموبيل محل الحصان ، والاوتوموبيل لا يحتاج الى علف ولا الى النهوض باكراً ولا الى ابداء الهمة والنشاط بل هو بالعكس مشجع على الكسل

فترى من المثلين المتقدمين — وقد ضربناهما على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر — أن الاختراعات الحديثة قد أثرت فى حياة الفرد من حيث انها قد قللت الاعمال البدنية التى كانت تستلزم همة ونشاطاً ، ومثل هذا الامر لا بد أن يؤثر فى الاخلاق تأثيراً معيناً

ويظهر أن الصفة الغالبة اليوم على الشعب الاميركى هى رغبته فى كثرة الانفاق . وأبواب الانفاق أمامه كثيرة لا تحصى . فهناك لوازم معيشته ومعيشة أسرته وتعليم أولاده وأجرة انضمامه الى ناد أو عدة أندية ومستلزمات راحته وراحة أهله ووسائل لهوه وتسليته وما الى ذلك من وجوه الانفاق . ولا تنس العلاقات الادبية بين الأسر والافراد وما تستلزمه من ضروب الانفاق على الولائم والحفلات وما فى حكمها ، لا يتسع له هذا المقال

ان الواجب يقضى على الاشخاص المعهود اليهم فى تربية الجيل الحديث بأن يغرسوا فى أذهان الطلبة أن الحياة البسيطة قد تكون أقرب الى السعادة من الحياة المندفعة بتيار مقتضيات الاجتماع الحديث ، وأن من دواعى الاسف أن يصاب أولئك الطلبة — وهم بعد فى طور التلمذة — بكثرة الانفاق والاندفاع فى سبيل التبذير بما يغريهم بمعرفة مستوفاة وسائل الراحة ورفاهة العيش وبانفاقهم على ثيابهم ووسائل لهوهم وتسليتهم أكثر مما كان أسلافهم ينفقونه قديماً

ترى هل يتعذر ايجاد حل لهذه المعضلة ؟ لا نعتقد ذلك . فاخلاق الامة هى مجموعة أخلاق الفرد ، فاذا أصلحنا أخلاق الفرد — وليس ذلك بمستحيل — تسنى لنا اصلاح أخلاق الامة

انظر إلى خلق الشعب البريطانى — لقد كانت النقائص فى انجلترا متفشية حتى أوائل عصر الملكة فكتوريا فى جميع دوائر الحكومة . أما اليوم فان دوائر الحكومة الانجليزية لا تفوقها دوائر أية حكومة فى العالم فى النزاهة والامانة والاستقامة . ولا يدرى أحد كيف وقع هذا التغير العظيم ! وقد ابتدأ فى أميركا أيضاً فقد تحسنت الاداة الحكومية عما كانت عليه من قبل مع وجود شوائب كثيرة ما تزال متفشية هنالك

وثمة حقيقة لابد لنا من التسليم بها وهى أننا اذا أردنا اصلاح خلقنا القومى لم يكن لنا بد من اصلاح أخلاق الفرد . ومثل هذا الاصلاح لا يأتى بواسطة تأليف الجمعيات واللجان بل يجب ان يأتى من الداخل وذلك بان يطرأ على قلب المرء تغير خفى

نهاية العالم : سنة ١٨٩٣ أم سنة ١٩٣٣ ؟

(مقتطفة من مقالة للاستاذ دوفوس)

(عن مجلة سكربنر)

سواء أصدق القول بأن فى الضائقات المالية عاملا سيكولوجيا أم لم يصدق ، فان هناك ما يصح تسميته بسيكولوجيا الضائقات . ذلك أن موجة من موجات هستيريا اليسر والرخاء تطغو على هستيريا الضيق والكساد كما يبدو من درس أطوار الضائقة التى اجتاحت العالم من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٨٩٧ . ولنقتبس فيما يلى أقوال بعض الخطباء والكتاب فى ذلك العهد

ففى ١ يوليه سنة ١٨٩٣ ألقى المستر اوليفر برى مدير بنك التجار بمدينة نيويورك خطبة جاء فيها ما يأتى : « يلوح لى أن هذه البلاد (يقصد الولايات المتحدة) قد اجتازت أسوأ أطوار الازمة وان نهايتها قد باتت قريبة » .

وفى ٢٧ يوليه من تلك السنة عينها ألقى المستر فلاور محافظ ولاية نيويورك خطبة جاء فيها :

« انى أعتقد أن هذا اليوم هو حد الفصل بين مرحلتى الضيق والرخاء فى تاريخ هذه الازمة وان دور التحسين قد بدأت طلائعه . وانى واثق بأننا قد اجتزنا أسوأ أطوار الازمة وانا منذ هذا اليوم سنرى الثقة تعود والنشر والرخاء يصحبان » .

وفى ٨ سبتمبر من تلك السنة كتب المستر ماكوب الزعيم الاميركى يقول .

« ان الاحوال الحاضرة تسوغ لنا التفاؤل بعودة دولاب الاعمال ، وان لم يدر هذا الدولاب بالنشاط منذ أول الامر » .

وفى أواخر أغسطس من السنة التالية (١٨٩٤) نشرت احدى كبريات صحف نيويورك مقالة جاء فيها : « يشعر التجار فى كل مكان بأن الازمة قد انقضت ويتوقعون أن يبدأوا بجنى المكاسب » .

ترى هل كانت هذه الاقوال صحيحة ، وهل كانت صفحة الضائقة قد انطوت ؟

الحقيقة ان الازمة يومئذ كانت فى بدء شدتها . وقد بدأ الطور الثانى من أطوارها بعد ذلك بقليل وبلغ من شدته أن زعم الجميع ان اركان النظام العمرانى قد تقوضت وان الاجتماع مقضى عليه بالفناء . ومع ذلك فقد ظل بعض الزعماء يستمدون من الخوف شجاعة ويحملون ضمائرهم ما لا يصدقونه من الاقوال ويفعلون ما يفعله الولد الصغير وهو سائر فى الظلام اذ يصفر بفمه ليس لانه لا يخاف ، بل لانه يستمد من خوفه شجاعة

وفى أوائل سنة ١٨٩٤ ألقى المستر دالزيل نائب ولاية بنسلفانيا خطبة فى مجلس النواب الاميركى جاء فيها قوله : « ان هذه الازمة من أشد ما عرف فى تاريخنا الاقتصادى فقد اجتاحت جميع دوائرنا

الاقتصادية وشلت تجارتنا الداخلية والخارجية فاستولى الخوف على جميعنا وها نحن نسير اليوم ملتمسين طريقنا فى الظلام »

وجاء فى جريدة « واشنطون تيمس » بتاريخ يناير سنة ١٨٩٠ : « ان فى هذه البلاد عدة ملايين من العمال لا يجدون ما يعملونه وهم يتضورون جوعاً . وقد أصيبت التجارة والصناعة بشلل وأصبحت المصانع معطلة وهبطت الاجور الى ادنى مستوى عرفته هذه البلاد »

وفى جزء فبراير سنة ١٨٩٠ من مجلة لبنكوت ما يأتى : « سيظل زراع هذه البلاد فقراء معدمين فى الحسين سنة القادمة وسيعملون فى مزارع لا يملكونها . وسيكون جانب قليل منهم ملاكا يملكون مساحات صغيرة من الاراضى يأكلون من غلتها ما لا يستطيعون بيعه »

وفى مجلة « بلاكوود » بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٨٩٠ مقالة بقلم احد كبار رجال الاقتصاد فى ذلك العهد نقتطف منها العبارة التالية :

« تدل الاحصاءات على استمرار الهبوط فى الاعمال . ويجب ان نتوقع منذ الآن وفى المستقبل ازمات اقتصادية أطول وأشد تتخللها أدوار رخاء قصيرة . ونحن نعيش الآن فى دور انتقال خطير تخفق فيه القلوب لاننا لا نعرف ما يخبئه لنا المستقبل »

هذه بعض الامثلة مما كان يكتب ويقال فى ذلك العهد . ولا شك ان هذه الاقوال كانت تزيد فى تخفيف لوعة الناس كما أن سكان كثيراً منها يخفف لوعة الحزن

وأخيراً جاء الفرج المزعوم . وكان يقوم على امرين (اولهما) سك نقود فضية بلا قيد بنسبة ١٦ الى واحد (وثانيهما) الاعتماد على الذهب واصلاح نظام العملة . وبعد زمن وصلت الازمة الى نهايتها وانقشعت السحب . وساعد على ذلك انتخاب المستر ماكنلى رئيساً للجمهورية ورخص الذهب على اثر استنباط طريقة « السيانيد » لاستخراجه . وعادت الثقة الى النفوس وانتعش نظام دار أسبابها . وظلت الامور جارية فى مجراها الطبيعى الى ان تجددت الازمة فى سنة ١٩٣٠ وزعزعت اركان العالم مرة أخرى

ان التاريخ يعيد اليوم نفسه ولكن العويل والمناداة بالثبور اللذين نسمعهما اليوم ليسا أشد مما كنا نسمعه منذ اربعين سنة . وان كان قد طرأ على العالم أى تغير سيكولوجى منذ ذلك الحين فقد نشأ عن اعتقاد الناس ان العوامل المؤدية الى العمل او البطالة ليست خارجة عن سلطة الانسان وان هنالك ميلا متزايداً الى وجوب الاكثار من العمل والاقلال من الكلام

وان من يقرأ صحف سنة ١٨٩٠ ويتتبع سيكولوجيا النفوس تردد بين الامل واليأس وتنتقل من اليأس الى الرجاء لا يسعه الا الاعتراف بضعف الانسان وسرعة تأثره بالعوامل الباعثة على اليأس واضطرابه بين اليأس والرجاء

وقود المستقبل

(من مقال للاستاذ هكسلي العالم الانجليزي الشهير)

(من مجلة العصر العلمي)

يستمد الانسان ثلاثة ارباع القوة التي يستخدمها من الفحم والزيت . والمعروف عند العلماء ان الزيت الموجود في بطن الكرة الارضية سوف ينضب بعد زمن غير طويل . أما الفحم فهو أغزر في بطن الارض وسيكفي الانسان مدة أطول ولكن استخراجه من مناجمه سيكون أصعب فأصعب ، فاذا اردنا أن نكون دائماً مزودين بالقوة اللازمة لادارة آلاتنا ومصانعنا فلا بد لنا من البحث عن مصادر جديدة للقوة . لاننا اذا اعتمدنا على الفحم والزيت فقط فاننا نستنفد رأس مالنا المتجمع في جوف الكرة الارضية منذ أحقاب طويلة

ومما يجدر بالذكر ان أقل من عشر القوة التي يستخدمها العالم مستمد من مياه المساقط . ومع انه في الامكان زيادة هذا المقدار فهو لا يسد الا جزءاً يسيراً من حاجة العالم . وفي الواقع انه يستحيل الانتفاع بقوة الماء الا اذا استعملت آلات كهربائية عظيمة تنقل هذه القوة من مكان توليدها الى حيث تدعو الحاجة الى استعمالها . ففي الغيب آلات من هذا القبيل تبلغ قوتها اكثر من مائتي الف فولت . وهذه الآلات الكبيرة تستطيع نقل القوة الى مدى يزيد على ثلاثمائة ميل . ومن المحتمل جداً أن نتمكن في المستقبل القريب من صنع آلات ذات نصف مليون « فولت »

وهنالك حركة المد والجزر وهي من المصادر التي يمكن استمداد القوة منها . وقد يبلغ ارتفاع المد في بعض الاماكن خمسين قدماً في اليوم . على ان حركة الماء هذه لا تفيد الا في مساحات محدودة

والهواء ؟ . . .

ان الهواء أيضاً مصدر للقوة ولكن هبوبه غير منتظم بحيث لا يمكن الاعتماد عليه . نعم في الامكان اقامة رحى هوائية تدفع الماء الى ارتفاع عال يهبط منه في أنابيب لتوليد القوة الكهربائية . ولكن احسن الاماكن لتوليد القوة من الهواء هي الصحارى الجافة المكشوفة

وحرارة الشمس ؟

أقام بعضهم آلات لتوليد القوة من هذه الحرارة في كاليفورنيا بالولايات المتحدة . وقيل إن آلات شبيهة بها اقيمت في مصر ايضاً في مكان بحلوان تبلغ مساحته ثلث فدان . واخترع الدكتور لانج الالماني « خلية شمسية » اذا وقعت عليها أشعة الشمس انشأت فيها تياراً كهربائياً تتولد منه القوة . ولكن مثل هذا المشروع صعب التحقيق من الوجه العملي

وهنالك أيضا مشروع يرمى الى استيلاد القوة من اختلاف درجة الحرارة بين سطح البحر وقاعه . وقد جرب الاميركيون هذه الطريقة فى مكان يبعد قليلا عن جزيرة كوبا ، ولكن التجربة لم تسفر عن نجاح عملى وان تكن الفكرة التى يقوم عليها المشروع صحيحة من الوجه العلمى

أما استغلال القوة التى فى الجوهر الفرد فالقرائن تدل على انه لا يتوقع تحقيق هذه الامنية فى القريب العاجل . وقد يكون هذا خير العمران لان العالم غير مستعد لاستعمال مثل هذا الاستنباط . ولا يخفى ان فى قطرة واحدة من الماء قوة اذا أطلقت من عقالها تكفى لنسف مدينة لندن كلها . وفى الواقع ان استعمال قوة كهذه خطر على العمران بل هى لعنة لا يعرف اذاها الا الذين يعرفون هول القوة الكهربائية الكائنة فى الجوهر الفرد

ترى مما تقدم ان معظم المصادر المشار اليها لا يمكن أن تفيد العالم فى القريب العاجل . ولو فرضنا اننا استطعنا استغلال تلك المصادر (ما عدا القوة الكامنة فى الجوهر الفرد) فانها لا تسد اكثر من نصف حاجة العالم . . اذن على أى مصدر يمكننا ان نعتمد ؟

يظهر ان النبات هو احسن مصادر القوة . فدفينات الفحم المطمورة فى جوف الارض منذ الاحقاب الجيولوجية خازنة ما كانت حتى الآن اهم مصدر للقوة التى نستعملها . وكذلك ستكون مصدر القوة التى سنحتاج اليها فى المستقبل لان مصدر على الارجح فى استعمال الكحول . وفى الامكان استخراج الكحول من النباتات بكل سهولة وبطريقة لا تتطلب نفقات تذكر ، فضلا عن ان الكحول من افضل انواع الوقود فى العالم . وقد وفق احد علماء الكيمياء حديثا الى اكتشاف علمى يمكننا من الحصول على الكحول النقى (٩٩٫٩ فى المائة) من دبس السكر او من البطاطس . وكنا منذ عشر سنوات نقنع بالحصول على الكحول الممزوج بالماء بنسبة ٤ فى المائة وكان وجود هذه الكمية الضئيلة من الماء يحول دون استعمال الكحول وقودا عاماً

ومما يجدر بالذكر أن مركبات « الاوتوبيس » بباريس تستعمل اليوم وقوداً مركباً من الكحول والغازولين (نصفه من هذا ونصفه من ذاك) وفى بلاد أسوج وألمانيا وأوستراليا وغيرها قاطرات تستعمل وقوداً يدخل الكحول فى تركيبه . ومن المحتمل جدا ان يتمكن الناس فى المستقبل القريب من الاقلال من شراء الوقود اللازم لبيوتهم ولمعاملهم باستخراجهم الكحول من نباتات يزرعونها فى بيوتهم لهذا الغرض خاصة . على ان المناطق الاستوائية ستكون اغزر ينابيع الكحول فى المستقبل لكثرة ما فيها من النباتات التى تصلح لاستخراج هذا الوقود . بل ان فى المناطق الحارة فى الوقت الحاضر نباتات يكفى الكحول الكامن فيها لسد حاجات العالم كله . والارجح ان الانسان سيبنى بقرب خط الاستواء فى المستقبل مصانع عظيمة لاستخراج الكحول وتوزيعه من هناك على أنحاء العالم المختلفة . وسيعم استعماله وينتشر انتشاراً عظيما . وسيعرف ذلك العصر بعصر الكحول

تقدم العلم والعالم

انقراض الحوت

يقول الدكتور رادكليف مدير مصلحة المصايد في أميركا إن حيتان البحار قد أخذت في الانقراض وإنه إذا لم تتخذ الحكومات الاحتياط اللازم فلن ينقضي ربع من الزمن حتى يزول هذا الحيوان البحري من الوجود. نعم إن هنالك معاهدة قديمة قد وقعتها بعض الدول لهذا الغرض ولكن عدد الدول الموقعة لها قليل وهي لا تتضمن عقوبة [illegible] إذ ما زال صيد الحيتان [illegible] على سواحل الاوقيانوس الباسيفيكي كما كان [illegible] وقد [illegible] عدد الحيتان التي صادتها شركة [illegible] في السنة الماضية ٣٦٩ حوتاً تنتج منها ٦٠١٦٦٣ جالوناً من زيت كبد الحوت و٣٢٣ طناً من [illegible]

المادة المنومة

يقول الدكتور هنري بيرون من أطباء باريس المشهورين إن الانسان عند ما يمضي عليه ليال تبدأ مادة تسمى ابسو توكسين تتكون في دماغه. وقد تمكن هذا الطبيب من عزل هذه المادة من الدماغ بطريقة دقيقة جداً. وقد جرب تأثيرها في بعض الأشخاص فحقنهم بها، فكانت النتيجة أن النعاس استولى عليهم في الحال. وحقن بها أيضاً أشخاصاً قد استيقظوا من نوم طويل فعادوا وناموا مرة أخرى

الطرق المعبدة

كانت الطرق المعبدة الموصلة بين مدينة وأخرى شائعة في بلاد الفرس منذ القرن الخامس قبل الميلاد

الزجاج الحديث

ما تزال المواد المستعملة في صناعة الزجاج هي المواد التي كانت تستعمل في هذه الصناعة في العصور المتوسطة، مما يدل على أن هذه الصناعة قد بلغت أوج اتقانها

حفظ البيض

[illegible] التجارب على أن البيض إذا وضع في [illegible] أمكن حفظه من الفساد طويلا وأنه إذا كانت حرارة الجو المحيط به الخامسة فوق الصفر أمكن حفظه نحو شهرين من الفساد

الوقاية من الدفتيريا

لا يخفى أن للدفتيريا لقاحاً خاصاً يجب أن يلقح به المرء ثلاث مرات لكي تتم له المناعة من هذا المرض طول العمر. وقد قرأنا الآن في احدى المجلات الطبية الاميركية أن الدكتور ليون هيفنس (Dr. L. C. Havens) الطبيب بمعمل مكتب الصحة بولاية الاباما قد اكتشف لقاحاً جديداً للوقاية من الدفتيريا تكفي حقنة واحدة منه لاحداث المناعة طول العمر. وتقول

المجلة التى نقلت عنها هذا الخبر إن اللقاح الجديد مأخوذ من اللقاح المستعمل فى الوقت الحاضر

كبريت جديد

اخترع أحد الاميركيين كبريتاً جديداً لا يفنى اذ يمكن استعماله ألوفاً من المرات من دون أن ينفد . وهو نقاب مصنوع من معدن معالج بمواد كيماوية تجعله يشتعل كنقاب الكبريت تماماً وبعد استعماله يطفأ ويوضع جانباً لكى يشعل مرة أخرى عند الحاجة

أخطار الحريق

كثيراً ما يموت البعض عند حصول الحريق ويذهبون ضحايا النيران . وقد أثبتت التجارب التى قام بها بعض العلماء بمعهد روكفلر للعلم ان ضحايا الحريق يموتون فى معظم الاحيان بسبب اختناقهم بالدواخن (جمع دخان) المتصاعدة من الثياب المحترقة ومن الخشب ومن المواد المصنوعة من السليولويد فان غازات سامة تنبعث من تلك المواد المشتعلة وفى مقدمتها غاز أول اوكسيد الكربون وغاز ثانى اوكسيد الكربون وكلاهما سم قاتل . أما الغازات التى تنبعث من احتراق الزيوت وأمثالها من المواد الدهنية فأقل خطراً

من فوائد الخل

من الامور المعروفة أن الاكثار من أكل المواد التى يدخلها الخل تحول دون السمنة . ولعل الخل من أهم المواد المنزلية وأنفعها فانه اذا خفف بالماء وأضيف اليه قليل من الملح الاعتيادى كان منه أحسن مادة لتنظيف الادوات المعدنية والزجاجية . واذا أضيف قليل من هذا المحلول الى مواد لزجة قد نشفت أو كادت تنشف فانه يلينها ويجعلها سهلة للاستعمال

ناطحات السحاب

الابنية المعروفة بناطحات السحاب لا توجد الا فى الولايات المتحدة . ولا تجد فى أوربا بناء للسكن يزيد ارتفاعه على عشر طبقات . الا أن أهالى جنوى مسقط رأس كولومبس قد عزموا على تشييد بناية من ناطحات السحاب ستكون مؤلفة من عشرين طبقة وستكون أعلى بناية فى أوربا

مصنع قديم للزجاج

اكتشف الاميركيون آثار فرن قديم بالقرب من مدينة جمستون بولاية فرجينيا . ويظنون أن هذا الفرن كان لصنع أدوات زجاجية

للاهتداء الى السمك

من الامور المعروفة لدى الصيادين أن بعض الطيور التى تحوم فوق البحار تتبع السمك فى اتجاهه وكلما صادفت سمكاً انقض عليها الطير لاقتناصها . لذلك يراقب الصيادون تلك الطيور ليهتدوا بواسطتها الى الجهات التى يكثر فيها السمك

الصواعق فى منطقة القطب

يقول العلماء انه قلما تحدث صواعق فى منطقة القطب الشمالى وان الصواعق التى تقع هناك لا تزيد على صاعقة واحدة فى كل عشر سنوات

من عقائد الاشوريين

في متحف شيكاجو الحالي لوح من الخزف قد نقشت عليه بالكتابة الاشورية القديمة (المعروفة بالمسمارية) عبارة مؤداها ان تسوس الاسنان ناشيء عن ديدان صغيرة تدخل الفم وتتربى على فضلات الطعام التي تتخلل الاسنان

لتسجيل الوفيات

في سنة ١٩٠٢ — أي منذ أكثر من واحد وثلاثين عاماً — أنشأت الحكومة الاميركية مصلحة خاصة لاحصاء الوفيات التي كانت تشمل في أول الامر بعض الولايات ثم انضمت اليها سائر الولايات بالتدريج الى ولاية تكساس. وهذه المصلحة تجمع احصاءات دقيقة عن الوفيات وتسجل المعلومات الوافية الخاصة بها كعمر المتوفى وجنسه وصناعته وأسباب وفاته وعلاقتها بالوراثة الى غير ذلك من المعلومات المفيدة

الحجة المقنعة

تدل التجارب الكثيرة التي قام بها فريق من أساتذة المدارس الجامعة في اميركا على ان اقناع الخصم بالحجة شعهاً أسهل من اقناعه كتابة وان المرأة أسرع الى الاقتناع من الرجل وان اقناع كل فرد وحده أسهل من اقناع جمهور كبير معاً

السيار التائه

لا يخفى أن هنالك عدة سيارات صغيرة تدور حول الشمس ولا يدري بها الا علماء الفلك. ومن هذه السيارات سيار صغير يعرف عند علماء الفلك باسم دلبيا. ومنذ مدة توارى هذا السيار عن الابصار ولم يعلم أحد بمكان وجوده، الى أن عثر عليه في الشهر الماضي الدكتور كاربنتر أستاذ علم الفلك بجامعة اريزونا

الازمة العالمية والعلم

تدل الاحصاءات الموثوق بها على أن الازمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم منذ ثلاث سنوات لم تؤثر في العلم تأثيراً سيئاً كما كان متوقعاً بل بالعكس زادت عدد المتعلمين في جميع أنحاء العالم حتى لقد غصت المدارس بطلاب العلم. وفي سنة ١٩٢٩ — وهي السنة التي تقدمت الازمة — كان عدد الذين حازوا شهادة الدكتوراه في العلوم المختلفة في الولايات المتحدة ألفاً وخمسة وعشرين وفي صيف هذا العام بلغ عددهم ١٢٤٣ وهم كما يلي:

٤١٢	نالوا الدكتوراه في الكيمياء
١٢٣	« « « علم الحيوان
١٠١	« « « البسيكولوجيا
٧٩	« « « النبات
٧٨	« « « الرياضيات العليا
٢٥	« « « الهندسة

ونال الباقون شهادات البيولوجيا والفيسيولوجيا والزراعة والباتولوجيا والانثروبولوجيا والفلك والجغرافيا والطب والجراحة وعلم جبرا

جو الكرة الارضية

إذا درس الانسان بيانات رصد الاحوال الجوية وقابل بعضها بالبعض الآخر وتتبع تقلب تلك الاحوال على مدى السنين ثبت له أنها أشبه

بدائرة يستغرق دورانها مدداً معينة من الزمن يقول بعض العلماء إنها لا تزيد على سبع وستين سنة . ومعنى ذلك أن الأحوال الجوية فى قطر من أقطار العالم تتكرر كل سبع وستين سنة . فاذا اشتد الحر أو البرد فى سنة من السنين فان شدة ذلك الحر أو البرد تتكرر فى ذلك المكان عينه بعد سبع وستين سنة . على أن هنالك عوامل طبيعية تطرأ على الكرة الارضية فى أثناء سيرها حول الشمس وهذه العوامل تؤثر فى دورة السبع والستين سنة . فقد تمر الكرة الارضية فى فلكها بسديم أو لطخ سحابية تحول دون وصول أشعة الشمس إلى الأرض . وهذا هو أحدث تعليل للعصر الجليدى الذى مرت به الكرة الارضية غير مرة . فان سحباً من السديم حالت دون وصول أشعة الشمس الى الارض مدة بضعة ألوف من السنين . فانقرض معظم العالم الحيوانى ولم ينج إلا من كان أصلح للبقاء

الزائدة الدودية

مر الآن خمسون سنة تماماً على الزمن الذى اكتشف فيه اثنان من الاطباء الاميركيين سبب المرض المعروف بالتهاب الزائدة الدودية . وفى أحدث الانباء الطبية أن اثنين من الاطباء الفرنسيين اكتشفا « لقاحاً » لشفاء المصابين بهذا الداء من دون الحاجة الى سكين الجراح

الصواعق فى العالم

يقول العلماء ان نحو أربعة وأربعين ألف صاعقة تحدث فى جو الكرة الارضية فى كل أربع وعشرين ساعة . وأكثر هذه الصواعق تقع فى المناطق المعتدلة وأقلها فى منطقتى القطب الشمالى والقطب الجنوبى . وهنالك عدد غير يسير من هذه الصواعق يقع فى المناطق الاستوائية أيضاً

حجر اللازورد

فى متحف فيلادلفيا بالولايات المتحدة أكبر حجر من اللازورد فى العالم يبلغ حجمه قدمين طولا وقدماً واحدة عرضاً وعُمق بوصات ثمانية . وقد عثر المنقبون على هذا الكنز فى أثناء قيامهم بأعمال الحفر فى مكان ببلاد بيرو فيه قبور ملوك الانكا الذين استعمروا [illegible] فى أمريكا الجنوبية فى العصور الخالية

الكريات الحمراء

فى كل ملليمتر مكعب من دم الانسان نحو ستة ملايين كرة من كريات الدم الحمراء . أما كريات الدم البيضاء فأقل من ذلك بكثير

فى عالم الطيور

بعض الطيور تنام على أغصان الاشجار معلقة من سيقانها . وبعضها تنام معلقة من مناقيرها . أما النسر والصقر فانهما ينامان وهما واقفان على سيقانهما

فئران غريبة

فى بعض صحارى اميركا الجنوبية فئران كبيرة لها وبر شائك يشبه شوك القنفذ . وهى تدافع به عن نفسها عند ما تهاجمها الاعداء

السكر والفيتامين

من الامور التي ادهشت العلماء انهم لم يعثروا حتى الآن على أثر لاية مادة من مواد الفيتامين في السكر، مع ان من الامور الثابتة ان السكر لازم لجسم الانسان. وقد كان الاعتقاد الشائع حتى الآن أنه من أحسن المواد الغذائية، حتى ان بعض الناس الذين يصومون مدة طويلة يستغنون عن جميع المواد الغذائية ويكتفون بالماء والسكر فقط ويعيشون طويلا

ضعف البصر

تدل المباحث العلمية الاخيرة على ان من أهم اسباب ضعف البصر في الانسان نقص مادة الكلسيوم من غذائه. فان هذا النقص يؤثر في عصب البصر تأثيراً يؤدي على الى ضعف البصر بتمادي الزمن

اطول الحيوانات عمراً

المعروف بين الناس ان الحيتان هي من اطول الحيوانات اعماراً. إلا ان المباحث العلمية الاخيرة تدل على ان التماسيح قد لا تقل عنها في طول العمر، وهي على الارجح أطول أعماراً من السلاحف التي كان يظن أنها تلي الحيتان في طول العمر

أجنحة الذبابة

لا يخفى أن الصوت هو تموجات هوائية. فرنين الاوتار مثلا هو تتابع أمواج هوائية تضعف رويداً رويداً كلما ابتعدت عن مركز الصوت. وقد تمكن العلماء من احصاء عدد الامواج الصوتية التي تسبب طنين الذبابة الاعتيادية وهي ثلثمائة وثلاثون موجة في الثانية الواحدة

الحشرات في العالم

يقول أحد علماء الحيوان إن نصف حشرات العالم مؤذ للانسان والحيوان والنبات على وجه الاجمال والنصف الآخر نافع لها

علاج الروماتيزم

كان بعض أطباء القرن السادس عشر يطبخون الصنف المعروف بالروماتزم بزيت مستخرج من بعض ... الارض. كانوا يدلكون به أعضاء الجسم المصابة بالروماتزم

الاسنان في المستقبل

يتوقع الكثيرون من العلماء انقلاباً كبيراً في صناعة حشو الاسنان في المستقبل فتحشى هذه الاسنان بمواد غير معدنية لا تنشأ منها تفاعلات كيميائية ولا تؤثر في سلامة الجسم بوجه الاجمال

الراوند

الراوند بالاعتبار العلمي نبات له قوة غذائية تعادل قوة بعض البقول المعروفة. ويقول أحد علماء النبات إنه لازم لغذاء الانسان لزوم الفواكه له ولذلك يحسن الاكثار من استعماله

بين الهلال وقرائه

البكتريا

(طنطا - مصر) ع . ب طالب بالمدرسة الثانوية

المعروف عن البكتريا انها جراثيم أو ميكروبات مؤذية . ولكنى قرأت فى كتاب ان البكتريا كثيراً ماتكون ضرورية للحياة . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم ليست جميع انواع البكتريا مؤذية بل منها ماهو مفيد جداً وهي لازمة لتربة الارض الزراعية من [illegible] كثيرة . ويعتقد بعض العلماء أن الميكروبات تساعد الانسان ايضاً على هضم بعض المواد الغذائية . وبعض الصناعات (كدباغة الجلود وغيرها) لاغنى لها عنها كما ان البكتريا ضرورية لحصول الاختمار

نبات غريب

(طنطا - مصر) ومنه

قرأت فى مجلة علمية ان هنالك نباتاً يزهر مرة كل مائة سنة . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) الارجح انكم تشيرون الى النبات المعروف بالانجليزية بنبات القرن (Century Plant) والمعروف عنه انه يورق ويزهر مرة كل خمسة وعشرين أو ثلاثين عاماً

الوحي وموسى الكليم

(القاهرة - مصر) ج . مسعوده

كيف نزلت التوراة على موسى الكليم ؟ هل نزلت آية آية بحسب الحوادث أم مرة واحدة ؟

(الهلال) للمسيحيين فى مسألة الوحي نظريات مختلفة أكثرها شيوعاً وأقربها الى العقل ان الله لم يقيد موسى (وغيره من كتاب أسفار العهد القديم) باحرف والفاظ معينة بل الوحي يلهم بتدوين ما دونوه تاركا لهم حرية اختيار الالفاظ والعبارات المؤدية الى المعنى المطلوب وعليه فان اصحاب هذه النظرية يقولون بأن الفاظ التوراة وعباراتها غير موحى بها وان الوحي لايتناول إلا الفكرة الاساسية التى تنطوى عليها . وليس من المهم ان نعلم هل نزل الوحي متقطعاً أو مرة واحدة لأن العبرة بجوهر المعنى وروحه لا بالالفاظ التى وضع بها ؟

علوم حديثة

(القاهرة - مصر) ومنه

ما هى الفسيولوجيا . والبيولوجيا والميكولوجيا . والبكتيريولوجيا . والميتورولوجيا

(الهلال) الفسيولوجيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين معناها البحث فى وظائف

أعضاء الاجسام الحية . والميكولوجيا مركبة من كلمة ميكيس اليونانية ، ومعناها فطر ، ولوجوس اليونانية ومعناها كلام أو بحث . فالميكولوجيا علم الفطريات . والبكتيريولوجيا (يونانية أيضاً) علم يبحث في خواص البكتيريا أو الخلايا الحية المفردة المستطيلة الشكل . والميتورولوجيا مركبة من كلمتين يونانيتين معناهما البحث في العوامل الجوية

سمك لا يبصر

(ايه جان - ساحل العاج) حسن جابر

قرأت في كتاب لمؤلف أسباني ان في بعض أنحاء الولايات المتحدة مستنقعات وبحيرات داخل كهوف ومغاور مظلمة لا يصل اليها نور الشمس وفيها أسماك لا تبصر لانها لم تعتد رؤية نور الشمس . وان بعض العلماء نقلوا تلك الاسماك وعرضوها لنور الشمس فلم تبصر في أول الامر ولكنها ابصرت بمرور الزمن . فهل تصدقون خبراً كهذا ؟

(الهلال) أما القول بوجود أسماك تعيش في الظلام ولا تبصر نور الشمس تماماً فهو قول صحيح معروف عند العلماء منذ أقدم الازمنة . ففي قيعان الاوقيانوسات أسماك وحيوانات كثيرة تولد وتموت في الظلام ولا ترتفع الى سطح البحر أو الى طبقات الماء التي يصل اليها نور الشمس . ولا يخفى أن قيعان البحار عميقة جداً ومظلمة لان أشعة الشمس لا تصل اليها . أما نقل الحيوانات التي بها إلى مناطق أو طبقات من الماء تستطيع رؤية نور الشمس فيهـا فما يصعب تصديقه . واذا استطاعت تلك الحيوانات ان تعيش في مكان تصل اليه أشعة الشمس فليس ذلك برهاناً على انها تستطيع أن تبصر ، ولا سيما انها بمقتضى ناموس الانتخاب الطبيعي ليس لها اعين تبصر وليس العمى طارئاً عليها بل هو صفة ملازمة لنوعها

عدد العرب

(ايه جان - ساحل العاج) ومنه

ذكرتم في جواب عن سؤال لاحد المشتركين في جزء مايو من «الهلال» ان عدد العرب على ما جاء في دائرة المعارف البريطانية الاخيرة يبلغ نحو سبعة ملايين ببلاد اليمن وعسير والحجاز وعمان وحضرموت . ولم يذكروا شيئاً عن سوريا ولبنان . فهل سكان هذه الانحاء ليسوا عرباً ؟

(الهلال) هم عرب باعتبار لغتهم وان اختلطت بهم أجناس أخرى . ومع ذلك فانا اذا أضفناهم الى عرب اليمن وعسير والحجاز وغيرها لم يزد عدد العرب على ما قدرتهم به دائرة المعارف البريطانية

العلامات الحسابية

(كفر الدوار - مصر) محمد عبد الغفار

ان العلامات المستعملة في عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة في الحساب هي هي في اللغات العربية والافرنجية . فأية لغة أخذتها عن الاخرى ؟

(الهلال) هذه العلامات حديثة العهد لم تكن معروفة عند الاقدمين الذين كانوا يستعملون بدلا منها الالفاظ التي هي رمز اليها . أما الارقام العددية نفسها فقد أخذها العرب عن الهنود وأخذها الغربيون عن العرب

الجذام

(طنطا - مصر) زكريا محمود البدوى

لى قريب مصاب بالجذام ذهبنا به الى أطباء عديدين والى مستشفيات كثيرة فقيل لنا انه لا أمل بشفائه لان هذا المرض ليس له دواء . فماذا تنصحون لنا ؟

(الهلال) كان الجذام وما زال من أشد الامراض استعصاء . ولكن تقدم الطب الحديث يجعلنا نثق بان العلم سوف ينتصر نهائياً عليه . وفي الواقع ان طرق معالجته قد ارتقت كثيراً فصار في الامكان شفاؤه شفاء أكيداً في أدواره الاولى . وقد قوي الامل بالانتصار عليه في الادوار المتقدمة ايضاً . وفي أوربا واميركا والهند والفيليبين وغيرها من انحاء العالم مستشفيات خاصة بمرض الجذام يعزل فيها المرضى لمنع عدواهم ويعالجون فيها بالحقن . ولا يسعنا ان نسهب في وصف علاج هذا الداء وانواع المواد التي يحقن بها المصاب بين العضلات وفي مقدمتها بعض مركبات الاتيل . وكان الاخصائيون يحقنون المصاب حتى عهد قريب باملاح الصوديوم وغيره . ويظهر أن احدث طرق المعالجة هي طريقة الدكتور موير الشائعة في مستشفيات الهند وهي حقن المصاب بمادة جديدة تسمى « صوديوم هيدروكاربات » (Sodium hydrocarpate) وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً عظيما ويعتقد الكثيرون أن الطب سوف ينتصر على الجذام بهذه الحقنة او بما عائلها

وهنالك مواد أخرى مايزال بعض الاطباء يستعملونها ولا يتسع المجال لوصفها والافضل مراجعة طبيب اخصائي يمكنكم الاعتماد عليه

الخنثى

(عكا - فلسطين) كامل نشاره

كيف تعللون انقلاب الفتاة شاباً ؟

(الهلال) في بعض الاشخاص تكون أعضاء الانوثة والرجولة موجودة معاً في حالة غير تامة . وبمرور الزمن - أو بواسطة عملية جراحية - تتغلب أعضاء الانوثة أو أعضاء الرجولة فيصبح ذلك الشخص الشاذ شخصاً طبيعياً . أما سبب هذا الشذوذ من الوجه الفيسيولوجي فما يصعب بسطه في هذا المجال . وهو على كل حال شذوذ نادر قد لا يزيد على واحد في المليون

غياب الشمس

(عكا - فلسطين) ومنه

الشمس تغيب كل يوم في الساعة الثانية عشرة مساء صيفا وشتاء بحساب الساعة العربية وهي تختلف عن الساعة الافرنجية . فلماذا هذا الاختلاف ؟

(الهلال) من قال لكم إن الشمس تغيب دائماً في الساعة الثانية عشرة صيفاً وشتاء ؟

إن مواعيد غيابها تختلف باختلاف أيام السنة . وما عليكم إلا أن تراجعوا أى تقويم فلكى حتى يتضح لكم أن الشمس فى الشتاء تغيب قبل ميعاد غيابها فى الصيف وأن نهار الشتاء أقصر بكثير من نهار الصيف

أما اختلاف الساعة الافرنجية عن الساعة العربية فسببه أنه يبدأ حساب الوقت (بمقتضى الساعة الافرنجية) بعد منتصف الليل . أما الوقت العربى فالمفروض فيه أنه يبدأ من شروق الشمس ومع ذلك فان مواعيد انتصاف الليل وشروق الشمس وغروبها ليست متعادلة على مدار السنة

عبور المحيط الباسفيكى

(سان باولو - البرازيل) أحد القراء

قرأت فى إحدى الصحف أن هنالك دلائل على أن الانسان عبر المحيط الاطلنطى منذ نحو خمسة آلاف سنة . فما رأيكم فى هذه الخرافة ؟

(الهلال) ولماذا تسمونها خرافة ؟ وبماذا تعللون وجود الانسان فى القارة الامريكية منذ الوف السنين ؟ هل ذهب الى تلك القارة من أوربا وآسيا سباحة ؟ أم خلق الله الانسان هنالك فجأة من دون أن تكون ثمة أية علاقة بينه وبين الانسان فى سائر أنحاء المعمور ؟ . وفى الواقع أن الأدلة على أن الانسان عبر المحيط الباسفيكى الى القارتين الامريكيتين منذ آلاف السنين كثيرة متوافرة . وهى ترجح أن الذين ذهبوا لاستيطان أمريكا فى العصور الخالية ذهبوا من منشوريا الى كمشتكا براً أو بحراً ، ومن هنالك الى جزائر آلوشيا ومنها الى سواحل آلاسكا فى سواحل أمريكا الشمالية

وهنالك قرائن أخرى تدل على أن غير هؤلاء اتخذوا فى نزوحهم الى القارة الامريكية طريقاً آخر من جزائر الفيلبين شمالا شرقياً ثم الى جزائر مارشال وهاياواى فسواحل كاليفورنيا . واتخذ غيرهم طرقاً أخرى غير هذه . وكلها دليل على ان الانسان عبر المحيط الباسفيكى - بل جميع بحار العالم - منذ اقدم الازمنة

ابرة الملاح

(سان باولو - البرازيل) ومنه

من هو مخترع ابرة الملاح المعروفة عند العامة بالبوصلة ؟

(الهلال) ادعاه كثيرون وكان المعروف حتى عهد قريب أن رجلا ايطالياً يسمى جويا (عاش حوالى سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد) هو الذى اخترعها . ولكن المباحث التى قام بها أخيراً الدكتور برتولد لاوفر مدير قسم الانثروبولوجيا بمتحف التاريخ الطبيعى بأمريكا قد أثبتت أن البوصلة (كغيرها من الاختراعات الكثيرة) هى من ابتكار الصينيين وانها كانت معروفة عندهم حوالى سنة ١١١٥ قبل الميلاد ، وعنهم أخذها العرب والفرس ، وعن هؤلاء أخذها الملاحون الاسبان فى العصور الوسطى

الصابون والنبات

(خربا - حوران) فريد عوام

هل يضر ماء الصابون بالنبات ؟

(الهلال) يختلف تركيب الصابون باختلاف أنواعه . وفى أكثره مواد تضر معظم النباتات ولا سيما الصودا الكاوية التى فيه

مراحل الهلال

من الجزء الثالث والرابع من السنة الرابعة : صدرا في أكتوبر سنة ١٨٩٥

ما هو الانسان

عرف المنطقيون الانسان تعاريف عديدة لا ينطبق واحد منها عليه انطباقاً جامعاً مانعاً، فقالوا مثلا: «حيوان ضاحك» فوجدوا بعض أنواع القردة يضحكون، فعدلوا عن هذا التعريف، وقالوا انه «حيوان اجتماعي» أي انه يمتاز بميله إلى الاجتماع فوجد بعض أنواع الحيوان كالكراكي وغيرها تجتمع شتاء وصيفاً في أماكن معلومة في أزمنة معينة كأنها تجتمع في مؤتمر أو مجمع سياسي أو ندوة علمية. فقالوا «هو حيوان منتصب القامة» ثم وجدوا بعض القردة تنتصب مثل انتصابه، فقالوا هو «حيوان صانع» ثم رأوا بين أنواع الحيوان ما يستطيع أن يقوم بصناعات يعجز هو عنها، فقالوا: «إنه حيوان كاتب» فاعترض عليها بأن الكتابة ليست صفة لازمة للانسان، فقالوا إذن هو: «حيوان ناطق». وهو تعريف لا نرى أقرب منه إلى الحقيقة إذا اعتبرنا النطق شاملا للوازم التكلم من الاجتماع والتعقل، وما شاكل ذلك. لأن الانسان من حيث تركيب جسمه طبيعياً وكيمياوياً، وبالنظر إلى تناسب أعضائه وأنواع غذائه وكيفية الأعمال الحيوية فيه، وكل ما يتعلق بذلك حيوان كسائر الحيوانات، لكنه يمتاز عنها ببعض الظواهر العارضة، كما تختلف سائر أنواع الحيوان بعضها عن بعض. أما النطق فلا يراد به مجرد التكلم أو التفاهم إذ قد يكون بين بعض أنواع الحيوان لغة يتفاهم بها أفراده. وما أدرانا لعل نباح الكلب ومواء الهر وخوار الثور وصهيل الفرس ونهيق الحمار وتغريد الطير ونقيق الضفدع — لغات يتفاهم بها أفراد كل نوع منها فيما بينها، إذ لا يشترط في اللغة أن تكون أصواتها مقطعة

على أن أصوات الانسان إنما امتازت بتقطعها، وفي بعض أنواع الحيوان خصائص صوتية يقصر عنها الانسان كأصوات بعض الطيور والهوام. فامتياز أصوات الانسان بالمقاطع لا يجعلها منفردة، ولا يمنع وقوع التفاهم بين سائر أنواع الحيوان

فالنطق الذي ميزنا به الانسان هو غير التكلم وربما صح تعريفه بأنه القوى الخاصة بالمتكلمين أو هو القوى المنطقية التي يدركون بها الأحكام المنطقية كالقياس والبرهان وما جرى مجرى ذلك، على أننا لا نستطيع الجزم بأن الحيوان الأعجم خلو من هذه القوى أو بعضها أو ما يقاربها أو

يشا كلها ومن رأى بعض الفلاسفة أن القوى العاقلة في الحيوان انما تختلف عن القوى العاقلة في الانسان بالمقدار وليس بالنوع ، اى أن للحيوان عقلا كعقل الانسان ولكنه يختلف عنه بالكمية فقط ، كأنهم يقولون ان عقل الحيوان قد يبلغ مبلغ عقل الانسان وهو قول العلماء الطبيعيين ولا سيما القائلين بالارتقاء الطبيعي أنصار المذهب الداروينى ، وأما علماء العقليات والادبيات فمنهم أن عقل الانسان يختلف عن عقل سائر أنواع الحيوان بالنوع وليس بالمقدار ، وبعبارة أخرى ان عقل الحيوان مهما ارتقى لايمكنه ادراك عقل الانسان . وما يزال الخلاف قائما بين الفئتين وربما وجدت فئة ثالثة تقول غير قوليهما

الزواج بين الاخوة والاخوات

(من رد على سؤال)

لا ريب في أن عقد النكاح بين الاخوة والاخوات وسائر الاقارب الاقربين كان أمراً اعتيادياً في الازمنة الغابرة قبل نزول الشريعة الموسوية وأما الشريعة التي جوزت ذلك النكاح فهي عدم وجود الشريعة التي تمنعه . أما الحامل عليه فهو الضرورة في أول عهد الانسان . وقد كان نكاح آدم أول حاصل على ذلك فانه تزوج امرأة هي ضلع من أضلاعه ولحم من لحمه فهي أقرب اليه من الاخت . وأولاده تزوج الذكور منهم الاناث بحكم الضرورة اذ لم يكن الزواج على غير هذه الكيفية ممكناً . واقتدى بذلك سائر الآباء بين آدم وموسى . فابراهيم تزوج أخته من أبيه ، وأخوه ناحور تزوج أخت أخيه هاران أو هي ابنة أخته . ويعقوب تزوج امرأتين أختين في وقت معاً . ولم يكن ذلك مقصوراً على آباء اليهود ولكن الامم القديمة كانت تجيز الزواج بالاقارب الاقربين أيضاً . فالاثينيون كانوا يجيزون الاقتران بالاخوات من الأب ، والسبارطيون أجازوه بالاخوات من الام . والآشوريون والمصريون القدماء كانوا يجيزون الاقتران بين الاخوة والاخوات من الاب والام وهكذا يقال في كثير من الامم الاخرى قبل دخول الشرائع الالهية فيما بينهم . وأول شريعة وضعت للزواج حدوداً الشريعة الموسوية ثم الشريعة المسيحية ثم الاسلامية حتى بلغت ما هي عليه الآن

فترون مما تقدم أن الاقتران بالاخوة والاقارب الاقربين لا يوجب الاستغراب بل هو طبيعي ضروري كما رأيت ، ولكن منعه حادث بحدوث الشرائع ولا يمكن الحكم في الزمن الذي أبطلت فيه تلك العوائد فان لكل أمة تدرجاً خاصاً من هذا القبيل . فاليهود مثلا أبطلوه عند نزول شريعتهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وأما المصريون فانهم ما زالوا عليه حتى اعتنقوا الديانة المسيحية ، فان الملكة كليوبترا التي تولت سلطان مصر في القرن الاخير قبل الميلاد تزوجت أخاها وهكذا يقال في سائر الامم القديمة . على أن الزواج بالاخوات والاقارب الاقربين جار الآن بين كثير من القبائل المتوحشة في أواسط افريقيا واميركا واوستراليا وجزائر المحيط جرياً على الطبيعة اذ لم يتخذوا شريعة تحظر عليهم ذلك

طعام الامم القديمة

كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس أو منقوعاً في الماء الملح ، ويتناولون كثيرا من اللحوم نيئة كالسلوى والبط وبعض أنواع الطيور بعد تمليحها، وبعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحرارة الشمس فقط

وكانوا يتناولون طعامهم على أنغام الموسيقى ويجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل أجساماً محنطة كأنهم يرمزون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير أصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل . وقد يطوفون بتمثال جثة محنطة حول المنزل يغنون الاغاني ويقولون كل واشرب وتمتع بملذات الدنيا قبل أن يدركك الموت

والبابليون ومن قبلهم من السومريين كانوا كالمصريين في الاكثار من أكل السمك ولكنهم كانوا يزيدون على المصريين بأنهم يجففون السمك جيداً ويدقونه بالهاون ثم ينخلونه بقماش ناعم ويصنعونه أقراصاً ويخبزونه كالخبز ويتناولونه

والفرس كانوا يأكلون قليلا من اللحم ويتناولون الأثمار كميات قليلة على دفعات متعددة وكان من أمثالهم : « إن الاغريق يأكل ليسد جوعه لانه لو قدم له ما طاب أكله بعد الطعام وقد انقطع عن الاكل لاكله » وكانوا يكثرون من شرب الخمر

وكان اليونان في أكثر أزمانهم يقتاتون على ثمر الارض ويشربون الماء القراح ، ولم يعتادوا تناول اللحوم الا في أوائل عهدهم ثم أخذوا يتوسعون في الترف والتأنق بتوسع سلطانهم وانتشار نفوذهم . على أن كثيرين من فقرائهم كانوا يقتاتون على الجنادب والفراش وأطراف أوراق الشجر . أما أعيانهم فكانوا منغمسين في الترف مكثرين من تناول اللحوم

وهكذا كان الرومانيون في أول أيامهم ، كانوا يقتاتون على ألبان الماشية والبقول ونوع من الحلوى يصنعونه من الدقيق والماء فلما قامت دولتهم واتسعت سطوتهم تأنقوا في المآكل والمشارب وأكثروا من أكل اللحوم وأنواع المطبوخات والمحموصات ، وبالغوا في أيام جمهوريتهم في الاكثار من أكل الطيور، وكان بعض أعيانهم وولاة أمورهم لا يرضون بالمائدة الا اذا كان عليها شيء فخم من رؤوس الاسماك وأدمغة بعض الطيور الصغيرة النادرة الوجود

وكان العرب في جاهليتهم على جانب من شظف العيش لمحولة بلادهم . وقد ذكر ابن خلدون أنهم كانوا يأكلون العقارب والخنافس ويفاخرون بأكل العلهز وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة ويطبخونه في الدم . أما طعامهم الاعتيادي بالاجمال فهو اللبن والتمر وبعض أنواع الحبوب ، وكثيراً ما كانوا يطبخون دقيق الحنطة أو الذرة باللبن أو اللحم أو ما شاكل فيصطنعون من ذلك أنواعاً من الأطعمة تعد عندهم بالعشرات . وأنواع الحلوى تصنع عادة من الدقيق والعسل أو السمن والعسل أو الحليب والسمن والعسل اوما شاكل ذلك

قصة رأس العام

الشمعة تحترق

بقلم الآنسة مي

وضعت الأخت بولينا صحن اللبن الحليب على الطاولة الصغيرة القائمة الى جانب السرير من ناحية الرأس، وحنت على الرجل النائم تقول بصوت خافت:

— صباح الخير، يا قبطان

فتح الرجل عينيه بشيء من الدهشة لأنه لم يشعر بدخول أحد عليه. وتململ يحاول الجلوس وهو يبتسم قائلا

— صباح الخير، يا أختاه

— أما زلت نائماً حتى في الساعة العاشرة؟

حرك يده اليسرى مشيراً إلى الصحيفة التي كان يطالعها

— لست نائماً. ولكني تعبت من القراءة [illegible] والأخبار المنشورة في الجريدة، فأغمضت عيني طلباً للراحة

ثم استدرك بصوت كصوت الأطفال إذ يحملهم الاشتباه على العصيان:

— أو بالحري ما زلت نائماً لأن ملكي الحارس لم يوقظني في هذا الصباح أيضاً. كان لي ملك حارس يعنى بي فأهملني الآن ونسيني، ويقظتي ورقادي عنده سيان

— ملكنا الحارس لا يفارقنا، يا قبطان. هو دائماً معنا. ولكن علينا نحن أن نبحث عنه بعين الروح لنراه

— أنا، يا أختاه، لا أرى إلا بعين الجسد

— ليست هي عين الجسد التي نعاين بها وجه الله، يا قبطان

— أما أنا فخشيتي من عين الجسد أنها تبصر بعض ملائكة الله على الأرض، يا أختاه

أسبلت الراهبة جفنيها على عينيها الدعجاوين، وكانت أهدابها من الطول والكثافة

بحيث ألقت ظلاً على أعلى خديها . وقالت بصوتها المرهوف :

— أتيتك بالحليب الذي اعتدت شربه كل صباح في مثل هذه الساعة . فهلا شربت؟

— أجل . شربت

قال هذا ومدّ يده اليسرى تعاون يدها على حمل الصحاف في توازن . غير أنه لم يشرب . بل ظل ينظر إلى وجهها صامتاً يتذوق في سرور على مهل ما يحسه من السرور . ثم سأل :

— علامَ لم تأتي لايقاظي من النوم في هذا الصباح ، ولا أمس ، ولا أمس الأول ، ولا الأمس الذي سبقه ؟ علامَ جاءتني راهبة غيرك ، وحملت لى اخرى طعام الافطار ؟

أجابت تشرح في بساطة ومن غير ما تودد :

— لا أزور في الساعة المبكرة إلا المرضى . والمرضى عندنا كثير في هذه الأيام . والاطباء صارمون في أوامرهم ، فلا بد لى من تنفيذها شخصياً ، أو الرقابة الدقيقة على تنفيذها لأتمكن من تقديم تقرير عن حالة المرضى جميعاً عندما يمر الأطباء فى الصباح . اما وأنت فى دور النقاهة من الحمى التي اصبت بها على أثر جرح في ذراعك فيستطيع ان يقوم لديك بالخدمة البسيطة

— إذاً ليت جرحي لم يندمل !

ولمس مكان الجرح من ذراعه بيمينه وهو ...

— أأتمنى لتعاودني الحمى فتسهري بجانبي من جديد ؟

ابتسمت بذلك التحفظ الذى هو دستور حياة الراهبات وقالت :

— الحمد لله على سلامتك . ثم لدي فى هذا الاسبوع مشاغل اخرى ـ وبخاصة اليوم ـ فنحن نقوم بتنسيق الكنيسة وبالباسها حلل الزينة لتكون جميلة يوم غد عيد رأس السنة . وسيغادر المستشفى اليوم أكثر الناقهين فيصرفون الى منازلهم ليقضوا الأعياد بين ذويهم . أما العمل في الكنيسة فيظل متتابعاً حتى اليوم السادس من يناير ، وهو يوم عيد الغطاس . هذا الاسبوع موسم الاعياد كما تعلم

— انا ابقى هنا الموسم كله لأن عائلتي بعيدة ولا اصدقاء لى في القاهرة . اتقبلونني ، يا اختاه ؟

— حسناً تصنع بالبقاء هنا اياماً اخرى ، يا قبطان ، لان المعيشة في المستشفى اتم تنظيماً وتوقيتاً ووقاية منها في الخارج حيث قد تعرض صحتك للانتكاس . وانت بعد لن تشعر

بالضجر. لانها تعدّ لمرضاها حفلات صغيرة لطيفة يلهون فيها ويسرّون بغير ما غلوّ ولا إرهاق.
أوَلا تشرب الحليب؟

— أشربه، أشربه

وإذ همّ بتعديل جلوسه لم يتمالك من التأوّه وإرسال صيحة مجاهدة فأقصت الفنجان عنه قليلاً وسألت:

— اي شيء؟ أتتألم؟

— ألماً لا يذكر، كلما حركت ذراعي اليمنى بدون انتباه، ساعة أنسى انها جريح، فلا احملها على الاستعداد للحركة بشيء من المداورة

— هذا يزول مع الوقت. وهل نمت نوماً حسناً؟

— حسناً جداً. انام كالطفل، واستيقظ كالطفل، وكالطفل اعيش نهاري انظر الى الحياة بعينين جديدتين [illegible] لتبتسم [illegible] عليه، بدلاً من ان يرى فيه دواماً القسوة [illegible] والإدلاء [illegible]. أليس كذلك؟

— لكلٍ منا واحة يؤديه في [illegible] أية كانت النتيجة. أوَلا تشرب يا قبطان؟ وبعد [illegible] تذهب الى الحديقة [illegible] فيتيسر للخدم ان ينظفوا غرفتك ويصلحوا سريرك. انظر الى هذا النهار ما أجمله! لن تجد في غير مصر شمساً كهذه مشرقة في مثل هذا الفصل. لكأننا في [illegible] الربيع! اشرب واسرع في النهوض

استوى جالساً في سريره ومدّ يده اليمنى يعاون يدها على إدناء الفنجان من شفتيه. وكانت يدها تتحرك في [illegible] رفقاً بيده المريضة. وعندما لمس الفنجان شفتيه لم يشرب هذه المرة ايضاً. ظلّ ناظراً الى وجهها المنحني عليه. ظل متأملاً في هدبيها المسبلين على حدقتين تخفيان أسرارها. ظل ينظر صامتاً ويتأمل صامتاً. ثم زحزح يده وأدار بها في تريّث على معصم الراهبة، وأصبعاً بعد أصبع لمست اصابعه يدها كأنما هو يجرب عليها قوّته. ولما شعر بأن القوة لا تنقصه ضغط بحرارة على اليد التي لم تتحرك خوفاً من دلق الحليب ورفقاً بيده المريضة

رعشةٌ خفيفة دبّت في اهدابها المسبلة. ولكن وجهها ظل ساكناً مطمئنّ الملامح كأن شيئاً لم يحدث. وبصوت هادئ وعلى علاته قالت:

— اشرب، يا سيدي

— ما أعجب الصعوبة في وجهك ، يا أخته ! أأنت اكتسبتها بممارسة الصبر في حياتك الرهبانية ، حبة الحرمان والزهد والتقشف والانعطاف الروحي ؟ أم هي نجمت عن عملك في حضور العمليات الجراحية وتعودك العطف على المرضى ومواساتهم ومخاطبتهم رجالاً ونساء كباراً وصغاراً بمثل ما يخاطب به الرضيع المحتاج إلى العناية وغيره ؟ أم هذه الصعوبة منحة من الله لك ؟

— ليس لدى الانسان شيء إلا وهو من منح الله ، يا قبطان . اشرب وسارع الى حيث تبعث أشعة الشمس . سأسأل الأطباء ان يوافوك إلى هناك . لقد باشروا التطواف اليومي بالمرضى في الساعة العاشرة ، ولا يطول حتى يجيء دورك فيوافوك الى الحديقة

• • •

خرجت بخطوات لا وقع لها كأنما هي تحتذي حذاء من القطن . وما سارت في البهو قليلاً حتى أبصرت الجندي « المراسلة » [illegible] الى الغرفة التي غادرته

— صباح الخير ، يا أخته . هل [illegible] لي قميصي ؟

— ماذا أنت [illegible] ؟ [illegible] القبطان على [illegible] تشديد الأطباء في وجوب احتفاظه بهدوء الأعصاب . [illegible] لا [illegible] له هذه الرسائل التي قد تحمل أخباراً مزعجة

— خطابان لا غير ، يا أخته . أما هذا [وعرض ظرفاً كبيراً أسمر] فمخاطبة رسمية من مركز القيادة . والمخاطبات الرسمية التي توجه إلى ضابط جريح عليل لا تكون عادة مزعجة . هذا ان لم يكن فيها ما يبهج . وأما هذا الخطاب [وعرض ظرفاً أزرق طبع عليه اسم فندق بالاسكندرية] فوارد اليه ممن يسر بتلقي أخبارهم . [قال هذا وحرك « المراسلة » جانباً من وجهه حركة ذات مغزى]

— اذهب اليه اذن قبل ان يغادر غرفته الى الحديقة

استأنفت طريقها متمهلة . وطوت الكآبة على وجهها اذ هي ترنو الى اليد التي لمستها يده منذ حين مناجية نفسها : لماذا لمسني بهذه الكيفية ؟ ليس هو اللمس الذي ألفته من المرضى عند ما يتوجعون ويشكون طالبين تخفيف الوجع ، متوقعين كلمات الرجاء . ولا هو لمسني من قبل هكذا . لمسه اليوم كان فيه أمر وكان فيه ابتهال أيضاً . أهذا لمس الرجل الذي تحذرنا من شره أمنا الكنيسة المقدسة الرومانية الرسولية الكاثوليكية ؟ أكذلك يمس الرجال النساء

في حياة الجسم ؟ يا إلهي اغفر لي لأني لم أُبد استياء ولم أشعر باستياء ! اعف عن الغبطة الرحيبة التي غمرت قلبي ! انها لغلطة آثمة . . . يا لله من شب فتان ! يا لنظره الطويل العميق ولشفتيه الملتهبتين حينما تسارعان الى الشرب كأنهما تحرقان في اللبن كلمات تحوم عليهما ! شيء منه يلتصق بيدي . يده ألقت في يدي شرارة . يا يسوع الطفل ، طهّر يدي من الوصمة العالقة بها واقص عني هذه التجربة ! . . .

* * *

مرّت الساعة الحادية عشرة والاخت يولندا رئيسة الممرضات تقوم بعديد واجباتها من محادثة الاطباء وتلقي اوامرهم ، الى زيارة المرضى والاستماع الى شكاياتهم ، الى تقديم الدواء لبعضهم ، الى رقابة الخدم في تنظيف الغرف المتغيب أصحابها في الحديقة أو على الشرفات . وعندما وصلت الى غرفة القبطان وجدت الخدم فيها فأمرت بتبديل ملاآت السرير وخفت تنزعها بيدها عن الفرش [illegible] عثرت على [illegible] من تحت الوسادة . فأدركت أن القبطان [illegible] وقرأها [illegible] فتركها تحت الوسادة [illegible] . حملتها لتلقي بها على الطاولة دون [illegible] . [illegible] وقد تلت الكلمات الاولى في الرسالة الزرقاء [illegible] لا يجوز لها الاطلاع على الرسائل الشخصية ولو وجدتها مفتوحة . [illegible] على السطور [illegible] قرأت ما يلي

« عزيزي موريس

« كنت دوماً تقول عن خطيبتك هذه انها صاحبة سياسة بارعة . وأنا الآن اوافقك على رأيك فيّ وأصارحك بأني استحقه ذلك لأني أفلحت في اقناع امي ابنة خالتي بزيارة مصر خلال عطلة الموسم مع زوجها بدلاً من الذهاب الى « الريفيرا » على عادتهما . ولا يهمني من امر عطلتها إلا التمكن من مرافقتها في السفر لأصل إليك فأراك ولو يوماً واحداً قبل عودتك الى المعسكر

« أتستطيع أن تتخيل مبلغ قلقي وعذابي كل هذه المدة منذ أن علمت أنك جريح عليل ؟ أحدثك الآن عما قاسيت لأني اعلم انك شفيت . أعلم ذلك من قنصلنا في القاهرة الذي تلقينا منه قبل سفرنا ما ينبئ بقرب خروجك من المستشفى

« وصلنا الاسكندرية في هذا الصباح بالباخرة « ماريت باشا » ، وغداً عندما تتلقى أنت

هذه الرسالة نكون نحن على أهبة السفر بقطار الظهر الى القاهرة . فنصلها حوالي الساعة الرابعة ، على ما يقولون لنا ، ونذهب توًّا الى القنصلاتو لنسأل عن مكان إقامتك . فليتنا نلتقي بك بدار القنصلاتو في تلك الساعة لتتمّ سعادتنا !

« ولكن حسبي سعادةً أني سأراك غداً في صحة تامة ، فأقضي معك آخر يوم من السنة الراحلة وأول يوم من السنة الجديدة ! حسبي سعادة أن سيتيسر لي أن أخدمك وأدللك وأجعلك تشعر بشيء من حبي لك !

« ألمس من بعيد ذراعك الجريح في شوق ولهفة ، وإلى غد !

ميمي »

. . . .

الكنيسة هادئة في أواخر الليل ، وبنات الصليب ناعسات كمصابيح أضناها السهر . وعلى الهيكل شمعة [illegible] شمعة وضعتها الراهبة الممرضة على نية الضابط الذي مضى يجتمع بخطيبته ، فاشتركت لهب الشمعة مع [illegible] في الابتهال الى الله أن يشمل القبطان وخطيبته بعنايته وأن يجعل حبهما حياة سعادة .

لم تأت الراهبة [illegible] الضابط المعافى الذي جاء في صباح عيدها ليشاهدها ويودعها ويشكرها قبل مغادرة المستشفى . كيف تودعه وتسمع منه كلمات الشكر ؟ بل كيف تجرؤ على مجرّد النظر اليه ؟ لا ! هي تشتغل في الدير حيث هو لا يستطيع الوصول اليها . . .

وها هي ذي قد قضت الليل كلّه في الكنيسة جاثيةً على ركبتيها تخفي وجهها باليد التي حرقها لمسه ، وتصلّي قائلة . لقد وهبتك حياتي دفعةً واحدةً ، يا إلهي ، فيدي لك وليست لمخلوق . وأقلعتُ عن سبل العالم لأسير في سبيلك . وتركت ملذات الدنيا وأفراحها لأطلب الآلام والاوجاع التي تدنيني من طهرك . قدّمت حياتي شمعة تحترق عند قدميك احتراق هذه الشمعة الصغيرة على الهيكل . فما هذه العاصفة التي عصفت بي ؟ أفتغفر لي ضعفي ، أيها الاله الرحيم ؟ أتصفح عني لأني وجدتُ في لمس الرجل الاثيم حلاوةً لم أجد مثلها ، يا يسوع الطفل ، في حبك وعبادتك ؟

« مي »

في ثلاثة كتب

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

الأعاصير • تأليف الأستاذ رشيد سليم الخوري

مجموعة من القصائد الوطنية الحماسية نظمها الشاعر الفاضل رشيد سليم الخوري أو « الشاعر القروي » كما يعرفه قراء قصائده الكثيرة التي تذيل بهـــذا التوقيع ، وهو من أدباء السوريين المعدودين في أقطار الهجرة الامريكية

وقد وقف هذه المجموعة على المعاني الوطنية وقال في مقدمتها : « لم أخصها بالنشر على ما فيها من شدة وعرام — قبل مختلف المواضيع التي يشتمل عليها ديواني — إلا لاعتقادي أننا الى ما يبعث فينا الاثرة ويقوى العصبية أحوج منا الى ما يزيدنا حباً للانسانية وإصلاحا للبشرية »

ثم قال : « اني لم اسم هذه المجموعة « الاعاصير » إلا لما كان يعصف بين جوانحي عند نظمها من العواطف الزاخرة بالحماسة والغضب والألم والتنهدات والدموع . ولعمري ما حاق بالبلاد العربية عامة من البلاء في العقدين الأخيرين ، وما توالى على وطني لبنان خاصة من ضربات الحرب والوباء والجوع والهول مما لم يعهد له في تاريخ هذه الأمة نظير — لخليق بأن يخلق لها شاعراً بل شعراء تتكوى بهم مصيبتها وتتصبح عن جهلها ينفثون بقصائدهم كروبها ويخففون آلامها ويبثون آمالها ويستنهضون هممها ويشددون عزمتها »

وهذه النزعة العاصفة التي يحسها القارئ من هذه الكلمات تسرى في كل قصيدة من القصائد وكل بيت من الابيات ، فتغلب فيها النخوة الوطنية على كل شعور وتزمع على أوهام العصبيات السائدة والاحقاد الدينية المعرضة والعداوات المصرية التي تذل جميع العناصر وتسلم زمام الرابح والخاسر منها لعدوهم اجمعين . ولا سبيل الى الاختيار بين قصيدة وقصيدة في هذا المعنى ، فكلها على نمط واحد في الشدة والعرام ، يقبلها من يحبون نحو الشاعر في الوطنية الصارمة ولا يأخذ عليها المخالفون إلا الغلو الذي يؤخذ على كل حماسة ، ولا سيما حماسة المغلوب المهضوم

أما القصائد من حيث هي شعر ومطلب فني فانت لا تعطى في واحدة منها تلك النار التي تبعث العواطف وتحييها ، وفيها أبيات بارعة قوية في الوصف والتخييل كقوله في قصيدة « ما مجد لا مراعي » :

فدون حماك أبطال العوالي ... مؤزرة بأبطال اليراع
رماح كالأفاعي مشرعات ... وأقلام كأنياب الأفاعي
أطل واشهدي منهم هجوما ... ترى وثب القلاع على القلاع

وقوله فى قصيدة « عيد الاستقلال » يخاطب الوطن :

حسب الحزن عليك امك ماتت قد عدت احبابه لماته
شقوا له الاعلام من أكفانه ونادلوا الاغصاب من عبراته
أعلام اذلال كأن خفوقها فى جوه لطم على وجناته
ملفوحة تحسرات سرائه خفاقة بتنهدات هداته
مادت رواسيه لثقل ظلالها وعلا دخان الغيظ من قناته

ويتفاوت حظ الابيات من الصياغة وبلاغة الأداء فيتفق له فى القصيدة الواحدة أن يجمع بين نقيضين فى العلو والهبوط

فبينما يقول هذه الابيات السلسة المنغومة الماضية فى قصيدة « لبنان وثورة حوران » :

وكيف الوم فى وطنى الزمانا وما ذلك لامن سوانا
ألسنا قد اهناه هانا وقلنا كن فرنسياً فكانا
إذن فليهنا نيل المراد

إذا به يقول فى تلك القصيدة عينها :

بل انى نمت بكل ماحل ففر بعد سالف عزه دل
فلم اشتم ولم تشمت به بل وذهب لاهله الموت الممحل
عند السيف أم بأيدى الاعادى

وعلى هذا المثال يتردد التفاوت فى قصائد أخرى

وينبغى ألا يفهم من وصف المجموعة كلها على الدعوة الوطنية أن الموضوع فيها مكرر غير منوع . فانها قد جمعت اغراضاً شتى « كتحية الاندلس » و « عيد الاضحى » و « وعد بلفور » و « هديان شاعر » و « سلطان باشا الاطرش والتنك » وغير هذه الاغراض ، والقصيدة الأخيرة منظومة فى موضوع قليل النظير بين مأثورات البطولة فى جميع الامم . فالشاعر يصف بها كما قال « زحف سلطان باشا الاطرش برجاله على السويداء لانقاذ الأسير الذى نصت عليه السلطة الافرنسية فى بيت سلطان . . . والتقاء البطل العربى بالتنك ـ الدبابة ـ وهجومه عليها تحت وابل من الرصاص وتعطيلها بعد هبر قطانها ومعاونه » .

وهذا موضوع جدير بالملاحم الحورية وما اليها ، فحبذا لو خصه الشاعر بقصيدة مطولة يوفى بها حق هذا الحادث من جوانبه النفسية والشعرية والوطنية ، فان البطولة حقيقة بالتخليد والتمجيد فى كل عصر ، ولا سيما العصر الذى يعاها فيه النماة عنطئين أو مصيبين

الفلسفة فى كل العصور * تأليف الاستاذ عبد خار

عندما يكتب الشرقى تاريخاً للفلسفة ـ ولا سيما الفلسفة فى كل العصور ـ ينبغى أن ينصرف النظر

عن دعوى الغربيين احتكار الفلسفة والشوق الى المعرفة وزعمهم أن اليونان الاقدمين هم أول من بحث فى أصول الاشياء حباً للعلم وإيثاراً للاطلاع دون الاتباع . فهذه الدعوى تناقض الحقيقة وتناقض الفلسفة نفسها ، إذ المشاهد أن حب الاستطلاع متأصل فى الطبيعة البشرية من عهد الطفولة على اختلاف الاجناس والاجيال . وانما ظهرت حرية التفكير فى اليونان لانهم أمة بغير دولة وبغير كهانة قوية ، فالبحث فى أصول الاشياء عندهم مباح لمن يشاء ، وليس بالمحصور فى كهان الهياكل الذين يتوارثون العقائد ويتقيدون بالمراسيم ويحظرون البحث فى هذه الشئون على الناس كافة . أما فى مصر وبين النهرين والهند حيث تجرى الانهار ويتسع المجال لتأسيس الدول الموطدة وقيام الكهانات القوية ، فليس من السهل أن يترك البحث فى حقائق الوجود وأصول الاشياء حراً مفتوحاً لمن يشاء ، ومن هنا نشأ الفرق فى التفكير بين اليونان والشعوب الشرقية العريقة ، ولم ينشأ كما زعموا من تفاوت فى الطبيعة ورجحان لعقول الغربيين على عقول الشرقيين

والى جانب هذه الحقيقة ينبغى أن يلاحظ الشرقى حقائق أخرى فى تحرى الاصول الفلسفية والرجوع بها الى مناشئها الأولى . فمن ذلك أن فلاسفة اليونان الاسيويين سبقوا فلاسفة البلاد التى تعرف الآن باسم بلاد اليونان ، ومن ذلك أن بعض الاساتذة الذين أسسوا المدارس الفلسفية اليونانية كانوا شرقيين فى الجنس والمولد

ومن ذلك أن اليونان اقتبسوا آراءهم الاولى وعقائدهم فى أصول الاشياء من المصادر الشرقية كما يظهر من أسماء الارباب والكواكب وغيرها من الازياج والعقود

ويدل على أن الشرقيين لم يصبغوا آراءهم الفلسفية بالصبغة الدينية عجزاً عن التفكير الصحيح . أنهم طلبوا العلم حباً للعلم حين نشأت بينهم دول لا تقيدها الكهانة والهياكل كما حدث فى عهد العباسيين وعصر الامويين بالاندلس . ويدل كذلك على أن الغربيين لم يجردوا تفكيرهم من الصبغة الدينية لعلومهم فى الفكر ورجحانهم فى طبيعة المنطق . أنهم فقدوا هذا التجريد حين نشأت فيهم الكهانة القوية واستأثر رجال الدين بالمعرفة والدراسة

هذه الحقائق ينبغى أن يذكرها الكاتب الشرقى حين يؤرخ الفلسفة لانها تصحيح للتفكير الفلسفى من جهة ، ثم هى من جهة أخرى تدفع عنا وصمة وترفعنا من مذمة

ولهذا كنا نود ان نرى لها مكاناً فى هذا الكتاب الذى الفه الاستاذ حنا خباز عن الفلسفة فى كل العصور ، ولا نزال نود ان نرى لها هذا المكان فى أجزاء تالية أو فى طبعة أخرى من الكتاب

أما عذر المؤلف فى تاريخ الفلسفة على هذا النحو فهو أنه اعتمد على المراجع الاوربية فى تلخيصه ، وقصر اعتماده عليها حتى فيما كتبه عن المشارقة وفيما ترجمه من المصطلحات ، وهو عذر يشفع لحسن النية ولا يشفع للتحقيق والاستقصاء

ويقول المؤلف فى تمهيده « واعتمدت فى تأليف هذا الكتاب بخمسة عشر كتاباً لمؤلفين معروفين

وقد وضعت اسم المؤلف فى أول ما أخذته من تأليفه ، ولا يعنى ذلك انى نقلت من كتابه حرفياً، لانى فى بعض المواضع التزمت التلخيص ، وفى بعضها الجمع بين جمل منقطعة من صفحات عديدة ، على ان كل ما فى الكتاب - تقريباً - هو مقتبس من تلك الكتب ، وبعد ما انهيت جمع المواد التزمت فى ترتيبها فهرس جوهان ادوارد اردمن الالمانى المعروف ولم أخالفه إلا جزئيا .

ولزيادة الايضاح نقول ان الاستاذ المؤلف جرى فى تأليفه على طريقة حسنة لمن يطلبون المراجع ويرغبون فى الالمام بمواضع التفصيل ، فبدأ مثلا ، بماهية الفلسفة ووظائفها ، فينقل عن الثقات نحو عشرين تعريفاً موجزا فى هذا الموضوع ، أو ينظر نظرة عامة فى الفلسفة اليونانية فينقل فى هذا الصدد أقوال دريبر وثلى وروجرس واردمن وجاننيه وسيال ، على النمط الذى أجمله فى التمهيد المتقدم ، وهكذا يتدرج فى العصور على حسب الفهرس الذى اتبعه اردمان كما قال ، فيخرج منه القارىء بخلاصة طيبة وإجمال صالح ، ويعرف المتدىء المستقصى اين يلتمس المزيد اذا احتاج اليه . على أننا نلاحظ هنا ملاحظة لا بد منها لانها تمس اللباب وان كانت لا تتناول غير العنوان ، فأردمان الذى اعتمد الاستاذ على فهرسه قد وضع كتاباً تقع ترجمته الانجليزية فى نحو ألفى صفحة كبيرة وسماه « مخطط الفلسفة » وسماه مترجموه « تاريخا للفلسفة » ولم يرد هو ولا مترجموه أن يقولوا إنه تاريخ الفلسفة الجامع أو انه « الفلسفة فى كل العصور »

وهذه دقة فى التسمية تناسب المباحث الفلسفية ، لانها تدل القارىء على حدود الموضوع وتدفع الاعتراض على طريقة المؤلف وأسلوبه . اذ أن الاعتراض كائنا ما كان لا ينفى ان يسمى الكتاب تخطيطاً يبنى الآخرون على اساسه ، ولا ينفى أنه يسمى تاريخا للفلسفة بطريقة اردمان . ومن ثم نقترح على الاستاذ المؤلف أن يلحظ هذا المعنى فى تسمية كتابه . لان القول القائل أن الكتاب يعرف من عنوانه كثيرا ما يصيب

ابن خلدون * تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

قل بين المؤرخين الكبار من تعد حياته هو نفسه تاريخاً يدرس ويطول دارسه المتعة والعبرة ، ومن هؤلاء المؤرخين القليلين ابن خلدون الذى يصح ان يقال فيه انه تاريخ مجسم قضى حياته كلها يصوغ التاريخ ويصاغ على يديه ، لانه فضلا عن كونه إمام الفلسفة التاريخية غير مدافع قد عاش واشترك احياناً فى مصارع الدول بين الاندلس والمغرب ومصر والشرق القريب والشرق البعيد . فلو كتبت سيرته مفصلة محللة لكانت هى بعينها سيرة خمسين أو ستين دولة حدث فى قيامها وسقوطها من المساعى والدسائس واختلاف الاساليب والدعايات ما يكفى للاحاطة بأسرار الدول فى الزمن كله . وكأنما خلق ابن خلدون مرشحاً للاستفادة من هذه العبر المتلاحقة بوراثته وحلائقه الفطرية فى وقت واحد ، فهو سليل بيت من بيوت الرآسة القديمة ، فمن هنا كان مدفوعاً

إلى المغامرة في السياسة والتطلع الى المناصب والمشاركة في مصائر الدول التي تقبل وتدبر من حوله، وهو رجل نشأ في حجر الرآسة المفقودة دون الرآسة الموجودة، فمن هنا كان اقرب الى رجال الدرس والتحصيل منه الى رجال العمل والتنفيذ، فله من حظوظ الدولة حظ المساعد المفكر، وليس له منها حظ المقتحم المدبر، وهذا وذاك رشحته الايام لامامة الفلسفة التاريخية ولم تسعفه في حوادث السياسة العملية

ويندر ان نرى في تكوينه صفة ظاهرة إلا أمكنك ان تردها الى شيء له علاقة بالتاريخ والسياسة، فهو مداور قليل الوفاء مشغوف بالمنصب. وهكذا كان المؤرخون الذين عاشوا في زمان مثل زمانه ونشأوا في بيئة مثل بيئته، فمن درس ترجمة يوسفيوس الاسرائيلي وميكيافلي الايطالي لم ير كبير فرق بينهما وبين ابن خلدون في هذه الخلال خاصة. وسبب ذلك انهم يطلعون على خفايا الدول في زمن لاحق فيه لمنازع على منازع إلا بالطمع والحيلة واغتنام الفرصة، فلا يتقيدون بالوفاء ولا يؤمنون بمكارم الاخلاق، بل لايرون للاخلاق قيمة ما لم يكن على صلة بالمناصب ومظاهر الرآسة، ولا يرون له ملامة في غير الحيطة والروغان والمسارعة الى الاقبال مع المقبلين والاعراض عن المدبرين. وقد تكون لهم من وراء ذلك نفوس طيبة وخلائق مرضية كما ظهر من اخلاص يوسفيوس في خدمة قومه واخلاص ابن خلدون في قضائه واخلاص ميكيافلي في نصحه. والحكماء لايسعهم من امورهم ان يصدموا مساوىء العصر ولا يأمنون من الجهل ان يغفلوا عن حكمة العصر واسباب التعديل فيه، فهم يأخذون أيسر الامرين ويمشون في اسهل الطريقين

وقد أحسن الاستاذ محمد عبد الله عنان في تأليفه الكتاب الذي عرض فيه لحياة ابن خلدون وتراثه الفكري، لان خلو اللغة العربية من كتاب في هذا الغرض لا يليق بنا بعد ما استفاض من بحث الاوربيين فيه. ويبدو لنا من اسماء المراجع الكثيرة التي ذكرها الاستاذ عنان انه احاط بمعرفة الاصول التي يستند اليها من يؤلف في هذا الباب، فظهرت آثار هذه الاحاطة في الفصل الرابع من الكتاب الثاني الذي افرده للكلام على ابن خلدون والنقد الحديث، وهو في الحقيقة اقوم الفصول. ومن مزايا كتاب الاستاذ عنان انه حسن التقسيم واضح الاسلوب على هفوات قليلة في اللغة لا تخل بمزية الموضوع، ولا شك انه يمهد بين يدى القارىء مادة حسنة لدراسة ذلك المؤرخ الكبير، ففيه فصل عن نشأة ابن خلدون واسرته وفصل عن ابن خلدون في افريقية والاندلس وفصل عن ابن خلدون في مصر وابن خلدون وتيمورلنك، وفصول شتى عن دراساته ودراسات سابقيه. وحبذا لو اضيف الى الكتاب فصل مطول عن «شخصيته» وعناصر تكوينها في معيشته وحوادث زمنه ووراثته عن اسلافه. فمثل هذا الفصل لا غنى عنه في سيرة ابن خلدون خاصة وفي سير جميع المترجمين

عباس محمود العقاد

هل اللغة العربية في حاجة إلى إصلاح

تتردد على الألسنة في هذه الآونة مسألة الإصلاح اللغوي بمناسبة تأليف مجمع اللغة العربية الجديد ، وقد تعارضت الآراء وتشعبت في نواحي الاصلاح وفي الحاجة اليه ، وفي الوجه الذي يجب أن يكون عليه . ولقد رأينا أن نستمع في هذا الموضوع كلام : الدكتور طه حسين ، والدكتور منصور فهمي ، والاستاذ محمد كرد علي ، والاستاذ الشيخ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق ، والاستاذ علي عبد الرازق ، فاجابنا حضراتهم بما يلي :

رأي الدكتور طه حسين

« ليست اللغة العربية وحدها في حاجة إلى الاصلاح ، بل ان كل لغة حية في حاجة دائماً الى الاصلاح . وهذا يختلف باختلاف النواحي التي تعتبر الى الاصلاح

« فاللغة في حاجة الى الاصلاح من حيث استخدام الالفاظ فيما تدل عليه من المعاني ، سواء أكان ذلك في الحديث ، أم في الكتابة نثراً أو شعراً

« وهذا النوع من الاصلاح يتصل بمرونة اللغة وقدرتها على أن تؤدي المعاني التي تجول بنفوس المتكلمين والمنشئين مهما دقت . وذلك لا يمكن أن تحدده ، ولا أن يتم في المكاتب ، ولا أن ينظم بقانون . وانما هو نتيجة لازمة لحياة الذين يستعملون اللغة . فهم الذين يمرنون ، فيرققون اللغة ، ويمرنونها — إن صح هذا التعبير — ويمكنونها من أن تصل الى أعماق النفوس ، وتصور تصويراً صحيحاً ما يثور فيها من أنواع الخواطر والشعور والآمال

« وهذا الاصلاح اذن مرتبط بترقي العقل في أي شعب من الشعوب ، والذين يستعملون اللغة من الادباء ، والعلماء ، والمفكرين والمتحدثين منزلتهم في هذه الناحية منزلة الشعوب في الحياة السياسية ، فهم مصدر السلطة كما أن الشعوب هي مصدر السلطة السياسية ، وهم الذين يفرضون الالفاظ على العلماء فرضاً . ولا يمكن بحال من الاحوال ان يتلقوا اللغة من هيئة من الهيئات مهما تكن

« والآن نضطر الى ان أذكر ناحية أخرى من نواحي الاصلاح ، وهي الناحية التي تنشأ لها المجامع اللغوية وتنظم لها الهيئات العلمية وتبذل فيها جهود الافراد ، وهي ناحية التسجيل والتنظيم فمن الخير أن ترقى اللغة بفضل أصحابها ، ولكن من الواجب أن يسجل رقيها ، ونقيد نتائج هذا الرقي ، وتستنبط منها الاصول والقواعد التي يخضع لها تطور اللغة . فالذين يضعون المعاجم على

اختلافهم ليسوا الا مسجلين لما يوفق اليه أصحاب اللغة على تباين صناعاتهم من نجاح فى ترقيتها وتهذيبها

« ومن هنا يظهر لك أن الذين يظنون أن المجامع اللغوية تستطيع ان تضع للناس الفاظاً أو اصطلاحات يستعملونها فى أغراضهم المختلفة ، لايفهمون عمل هذه المجامع على وجهه

« انما عمل المجامع اللغوية هو ان تسجل تطور اللغة ورقيها فيما تضعه من المعاجم ، وفيما تؤلفه من كتب النحو . وقد تعمل المجامع للترقية الادبية فى اللغة حين تقترح موضوعات على الكتاب والشعراء ليعالجوها

« وعلى هذا فالمجامع اللغوية ليست فى حقيقة الامر إلا هيئات تقوم من المتخصصين فى اللغة والادب مقام السكرتير الذى يسجل ما يملى عليه

« وليس عملها هينا ولا تافهة ، بل هو عسير جداً ، واجب أشد الوجوب ، لانه هو الذى يضمن نقل أطوار اللغة إلى الاجيال المختلفة ويحول بينها وبين الضياع . ومن المحقق أن لغتنا العربية ترقى فى هذه الآونة رقياً قوياً معتدلاً سريعاً . وان هذا الرقى بحاجة شديدة الى أن يسجل فى المعاجم وكتب النحو التى تلائمه ملاءمة صحيحة . فقد ظهر ظهوراً واضحاً جداً أن معاجم القدماء وما تركوا من كتب النحو عاجزة عن أن تلائم لغة المحدثين ومذاهبهم فى الكلام

« والواقع أن الادباء والعلماء قد عمدوا فى حاجة الى الفاظ يضعها المجمع ويضعها لهم أية هيئة أخرى ، فانهم هم الذين يستعملون الالفاظ . فاذا ألفها الناس واستساغوها كان من وظيفة المجمع أن يسجلها . وكذلك قل فى أساليب الكلام . فقد نشأت عبارات جديدة لم تكن فى العهد القديم . وهذه العبارات اما متأثرة بالثقافة الفرنسية أو الانجليزية أو غيرها من اللغات الاجنبية . فاذا ألفها الناس واستساغوها كان من مهمة المجمع أن يسجل هذه العبارات باعتبارها من المعجم اليومى أو المعجم الحديث الذى تتطور اليه اللغة . فان لدينا معجما يومياً ، وهو الذى يتناول شئوننا الحاضرة ويسجلها ، ولدينا معجم تاريخى ، وهو المعجم الذى ينقل الينا اللغة على صورتها كما استعملها الناس فى العصور السالفة . ويختلف المعجم اليومى عن التاريخى بأن فيه الفاظاً لا يعرفها المتقدمون ، لأنهم لا عهد لهم بمدلولاتها كالمخترعات والمكتشفات ومصطلحات العلوم الحديثة . وأظن انى لست بحاجة الى أن أقول ليس فى وسع مجمع أو عدة مجامع أن يفرضوا على المخترعين والمكتشفين ورجال هذه العلوم الحديثة الفاظاً من عندهم أو يضعوا لهم اصطلاحات خاصة لا تنطبق على الحقيقة ، وان هى قامت على النحو القديم »

رأي الدكتور منصور فهمى

« جئت تسألنى الرأى فى أمر من الامور المتصلة بهذه الحركة الكبرى من حركات العصر

الفؤادي . ووددت لو استأخرت حاجتك حتى يجتمع أعضاء هذا المجمع للتلاقي ويتبينوا الروح التي تسيطر على جماعتهم وتؤثر فيما يسوقونه للجمهور من ثمرات جهودهم . لكنكم معشر الصحافيين ترون أن تستعجلوا الانباء . ومهما يكن الامر فإن يكون الخير فيما وددت أو ان يكون على ما ترى ، فإني أذكر لك الآن الرأي العاجل الذي لا يخلي مستقبل الاعلان ولا يقيد أحداً

« أرى أن اللغة العربية لا يعوزها سبب من الاسباب التي ترتفع بها الى كمال اللغات ، فهي تقبل التصريف في الالفاظ والنحت منها والاشتقاق ، وقد وجدت فيها عبارات تصور أدق المعاني . وهي ككل لغة من اللغات التي تتأثر برقي متكلميها تخضع لناموس التقدم العام ، فلا بد أن المعاني والمكتشفات الجديدة والتشبيهات التي تأتي بها سنن الرقي والتحضر قد تحتم على اللغة العربية ألفاظاً وأساليب غير ما عرف منها وما ألف فيها . على أني لا أقصد بذلك التيسير لكل دخيل من الالفاظ أو من الاساليب من غير قيد ولا شرط . إنما الذي أقصد اليه قبول ما لا يتسع له باب التعريب أو النحت وما يتقبله ذوق الزمن من التشابيه والاوضاع والاساليب

« والمجمع لن يكون منه — على ما أظن — مثل المسجل لكل لفظ مستحدث أو أسلوب مبتدع ، إنما لعل منه سيكون مثل ذلك الناقد الذي يأخذ [illegible] حوله بصبوره [illegible] الناس على تذوق هذا الجمال . فالمجمع قد [illegible] أنه أهل للتمحيص من الالفاظ أو الاساليب ويعمل على تقويته وشد أزره

« ويذهب رينان الى أن مهمة المجامع اللغوية هي حراسة نهج القدماء ، والنهج القويم الذي يذكره رينان إنما هو في الذوق السليم والتفكير المستقيم [illegible] وإني في ذلك على رأي رينان ويجمل إلى أن أول المجامع ذات المكانة التي أنشئت في أواخر النصف الاول من القرن السابع عشر كان همها خدمة اللغة في أساليبها والعطف ثم تطورت المجامع بعد ذلك الى خدمات أخرى . ومن الطبيعي أن يكون المجمع الاول المصري يعنى كأول المجامع باللغة وأساليبها ثم يصيبه ما أصابها من التطور على مرور الايام

« ولا شك أن المجمع قد يخلو من الكثيرين من أهل الفضل والعلم ، لكن المجامع لا تتسع لكل أهل الفضل وأهل العلم . فأعماله في داخله وأعمال علماء اللغة والادباء الذين ليسوا من أعضائه — كل ذلك سيكون ما أثر جيد يسجل لنهضة هذا العصر البارزة ان شاء الله »

رأي الاستاذ محمد كرد علي

« كل من عانى التدريس في العلوم المختلفة ولا سيما الطبيعيات والرياضيات والميكانيكا والكيمياء والأقرباذين والاقتصاد والاجتماع والمالية والزراعة وغيرها ، يدرك كل الادراك أن اللغة العربية ينقصها كثير من الالفاظ والمصطلحات لا تعد بالمئات ، بل بعشرات الالوف

« واللغة اذا لم تكن لغة علم قبل كل شيء كانت لغة أدب وشعر فقط . وهذا لا تنهض به لغة ولا ترتقى به أمة

« فاللغة اذن فى حاجة الى وضع مصطلحات والفاظ كثيرة ، إما بالاخذ مما خلفه العرب فى مدوناتهم من المعاجم وغيرها أو بالنحت أو بالاقتباس على الصورة التى جرى عليها العرب القدماء يوم تمثلوا المدنية الرومية والفارسية . واللغة لا يضيرها أن تأخذ مصطلحات والفاظاً وسواها لم يكن للعرب أيام حضارتهم عهد بمثلها . والفرق ظاهر بين القرن الرابع من الهجرة والقرن الرابع عشر « فالعلم يسير سير الايام والليالى . وإذا نظرنا الى العلم من عهد جليله وكوبرنيكوس وليبنز ، حتى انشتين الآن ، نجده انقلب رأساً على عقب بحيث أن من نظر اليه فى صورته الاولى ورآه فى صورته الراهنة يتمثل له هذا القلب والابدال الذى لا يكاد يصدق . فكيف بالعلم فى عهد العرب فى القرن الرابع وفى عهدهم فى هذا القرن ؟

« وهذا الاصلاح لاينهض به فى الحقيقة غير مجمع لغوى يؤلف من رجالات اللغة والادب والعلم على اختلاف أممهم ، ومصر أحق البلاد بذلك ، لأن ما تقرره مصر — ولو كان بمعزل عن الأقطار الاخرى — يكون له موقع من القبول ، فى حين أنها متى اتفقت من مختلف الاقطار على اقرار اللفظ الواحد والمصطلح الواحد ، فانه عند ذلك يسير سيراً مشكوراً . ويدخل فى التدريس والصحافة والادب وغيرها من نواحى النهضة »

رأى الاستاذ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق

« للاجابة عن سؤالك يجب أن أرجع الى سنة ١٩١٧ حينما تألف المجمع اللغوى الذى دعا اليه وانشأه الاستاذ احمد لطفى السيد بك . وعقد له عدة جلسات بدار الكتب

« فقد ضم هذا المجمع طائفة من العلماء والادباء أذكر منهم معالى حلمى عيسى باشا والمرحوم عاطف بركات باشا ، والمرحوم حفنى بك ناصف ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمرحوم احمد باشا تيمور ، والاستاذ احمد السكندرى

« وكان من رأينا جميعاً أن اللغة العربية فى حاجة الى الاصلاح ، واتفقنا على وجوب توحيد الترجمة فلا يسمح بالاختلاف فى الالفاظ التى تنقل من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية كأن يقول واحد مثلا : اميركا ، والآخر يقول امريكا ، والثالث أمريقة الخ . ولكن اختلفنا فى وضع أسماء المخترعات والمبتكرات الحديثة ، فقال فريق ، منه الاستاذ الشيخ السكندرى ، وحفنى بك ناصف ، بوجوب وقف التعريب الى القرن الثانى الهجرى ، فلا يسمح بدخول لفظة أجنبية فى اللغة العربية ، بل يجب أن يبحث لمبتكرات العلوم والفنون عن الفاظ عربية صرفة إما باحياء الالفاظ المماتة أو بواسطة المجاز

«وقال فريقنا وفيه الاستاذ لطفى السيد بك والمرحوم عاطف بركات انه يجب أن تنقل ألفاظ المستحدثات العلمية والفنية وغيرها كما هى إلا اذا أمكن وضع ألفاظ عربية بطريق الاشتقاق أو المجاز . لان العرب كانوا فى عهد جاهليتهم يسافرون الى بلاد الفرس والروم ، ويبادلونهم فى تجاراتهم ويأخذون عنهم ألفاظاً لمسميات لاعهد لهم بها ولكنهم عربوها بعد اختلاطهم بهم . وفى اللغة العربية والقرآن الكريم شواهد على ذلك . واللغة لاتخرج عن كونها اداة للتبادل . وحركة العمران قائمة على هذا التبادل

«وكان من رأى الفريق الاول أن نبحث فى اللغة عن الالفاظ المماتة ، فنضعها لمستحدثات العلوم ، وقد رددنا عليهم بأنه ليس من الرأى ان نلبس الاحياء أكفان الموتى ، فضلا عن ان الفرق اذا أحييته من قبره وسألته عن معنى اللفظ المهجور لما عرف إلا المعنى الذى وضع له لا الذى نضعه له

«ثم لاننس مافى التنقيب والبحث من إضاعة الوقت فى عصر يهتم الناس فيه أولا بالغايات والمقاصد ، لا بالوسائل والادوات . واللغة لم تخرج عن كونها وسيلة لاغاية . وقومية اللغة انما هى فى اسلوبها وقواعدها

«أما الالفاظ فهى تبوءت محل التبديل دون أن يمس ذلك الجوهر أو يضيع الشكل ، مثال ذلك إذا أردت أن تبنى بيتاً عربياً فستحضرت موادّ مثلا من روسيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا ، ثم ألفت من هذه المواد بيتاً عربياً على الطراز العربى ، فهل تظن أن الناس فى هذا البيت يقول عنه انه روسى أو فرنسى مثلا ؟ أو تقول إنه عربى ؟

«ثم اذا أتيت بمواد عربية ، فبنيت من هذه المواد بيتاً على الطراز الفرنسى أو الانجليزى ، فهل تظن أن يقول عنه انسان إنه عربى ؟

«فاللغة كما قلت باسلوبها وقواعدها ، وليس من الحكمة وحصافة الرأى أن نجعل مهمتنا فى هذا العصر ان نضيع الوقت فى وضع الالفاظ فى حين ان الغربيين يكتسبون هذا الوقت فى الاكتشافات والمخترعات والابداع والافتنان فى فنون الاعمال والعمران . وقد كتبت كلمة وافية بهذا المعنى وطبعت ووزعتها على الاعضاء جميعاً وقتئذ»

رأى الاستاذ على عبد الرازق

«اللغة العربية كائن من الكائنات . وكل كائن فى حاجة الى الكمال . ولا يعرف الكمال المطلق إلا الله وحده . واللغة العربية بطبيعة الحال قابلة للكمال الذى نسميه الاصلاح ، بل هى محتاجة الى الاصلاح ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من اللغات الاخرى ، فما لاشك فيه ان اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية وسواها من اللغات الاوربية قابلة للاصلاح ومحتاجة اليه

« فاذا نحن قلنا ان اللغة العربية فى حاجة الى الاصلاح لا يكون معنى هذا انها بوجه من الوجوه أقل من غيرها من اللغات الراقية

« والاصلاح الذى تحتاج اليه أية لغة من اللغات لا أعتقد أن له معنى أكثر من أن هذه اللغة تصبح صالحة لأن تؤدى جميع الحاجات التى تشعر بها الأمة فى حياتها اليومية وفى حياتها العامة والخاصة وفى جميع مرافقها العلمية والأدبية والسياسية وغيرها

« ونحن لا نشك فى ان اللغة العربية قد مرت عليها أطوار ازدهار وأطوار ذبول ، وانها كانت فى جميع الأطوار التى مرت بها صالحة كل الصلاح لأداء ما كانت تشعر به الأمة العربية من حاجات مختلفة فى جميع مرافق الحياة

« واذا نحن نظرنا الى حالة اللغة العربية فى هذا الطور الذى نحن فيه نكاد نشعر بأنها لم تساير التطور العجيب الذى تطورت اليه حياتنا الحاضرة ، فقد تنقلنا فجأة الى ألوان من الحياة ، وأنواع من العلوم والمخترعات أضعاف ما كان يعرف آباؤنا الأقربون وما كانوا يشعرون به ويتحدثون عنه

« ومعنى هذا اننا فى عصر كثرت فيه المخترعات والمستحدثات ، وهذه تحتاج الى أسماء جديدة لم تعرفها اللغة ، واستحدثت فيه أيضاً مباحث جديدة فى الصنعة والتشريع والفنون وغيرها ، وكل هذه أمور نشعر بحاجتنا فى العصر الحديث ، لأننا لا نجد فى اللغة التى وصلت الينا طرقاً موروثة للدلالة عليها . فنحن من هذه الجهة محتاجون الى ما يسهل للأمة طريقة التعبير عن هذه الأمور الجديدة فى حياتها

« وهنالك جهات أخرى للاصلاح ، فقد تكون ثمة حاجة الى الاصلاح فى قواعد الاملاء وطرق الكتابة وقواعد النحو والبلاغة ، وفى مباحث اللغة . ومعنى حاجتها الى الاصلاح فى هذه الأبواب ونحوها ان الناس أصبحوا فى العصر الحاضر يلتمسون السهولة فى كل شىء ، والاقتصاد فى كل شىء ، فهم يريدون أن تكون اللغة العربية سهلة الكتابة ، سهلة الطباعة ، سهلة التحصيل ميسرة تمكن الاحاطة بقواعد نحوها وبفنون بلاغتها ومعانى مفرداتها فى أسرع وقت وبأيسر طريقة لأننا فى عصر يتطور سريعاً ويمتاز بالسرعة فى جميع نواحيه

« هذه هى بعض الوجوه التى يخطر لى بادىء الرأى انها قد تكون مثلا من أمثلة الاصلاح الذى تحتاج اليه اللغة العربية

« وانى أعتقد ان اصلاح اللغة لا يمكن ان تقوم به هيئة من الهيئات حكومية أو غير حكومية ، ولا فرد من الأفراد كبيراً أو صغيراً . وانما يكون اصلاح اللغة باصلاح الأمة التى تتكلم بها ، وبانتشار أسباب الثقافة والعلم فيها ، فان الأمة الناهضة المثقفة هى التى تستطيع أن تبين ما غمض من لغتها ، وان تفتح ما استغلق منها ، وان ترد العسير منها يسيراً »

الحكمة الهندية

بقلم الأستاذ الدكتور علي العناني

تنقسم الحياة العقلية الهندية إلى قسمين كبيرين يرجع الأول منهما إلى الوثنية الأولى عند الهنود . ويكون ثانيهما المجهود الفلسفي الحكيم الذي قد نشأ عن القسم الأول وتفرع إلى عدة فروع أساسية عرفت بالمذاهب الفلسفية الهندية . وهي مذهب البراهمة ، وفلسفة السكيا ، وحكمة الفيراشيكا ، والمذهب المادي ، وتعاليم بوذا أو بودها

الوثنية الهندية الأولى

والحياة الوثنية الهندية ترجع في أسسها إلى تقديس الهنود الأقدمين – منذ ألفي سنة قبل الميلاد تقريباً – القوى الطبيعية لما رأوا فيها من التأثير المحسوس بالخير في بعضها ، والشر في البعض الآخر ، فاعتقدوا بوجود آلهة فيها كانت على اختلافها من حيث التأثير أصل عقيدتهم ومحل احترامهم ومرجع عبادتهم ومورد طقوس عبادتهم . وكان قدماء الهنود يأملون الوصول بوساطتها إلى التخلص من شرور الطبيعة وآلامها المحدقة بهم . وقد تأصل في نفوسهم هذا الأمل منذ بدء هذه العقيدة الوثنية . وفي جميع أدوار الحياة العقلية الهندية دينية كانت أم فلسفية منذ القدم إلى الوقت الحاضر نرى أيضاً ميل الهنود إلى التفكير العميق في الإنقاذ من الشرور والتخلص من الألم . ولهذا يمكننا أن نحكم بأن المجهود الفكري الهندي على تشعبه وتعدد فروعه كان بأكمله يدور منذ نشأته حتى الآن حول هذه النقطة الوحيدة الأساسية التي هي الألم والإنقاذ

ومن هذا الينبوع الوثني الأول نشأت الحكمة الهندية والمذاهب الفلسفية الكثيرة عند الهنود كما قلنا . وهي في هذه النشأة ليست كلها راجعة في تكوينها من النظر الوثني إلى طبيعة واحدة بل اختلفت معه كل الاختلاف في بعض المواطن . ووصلت في مواطن أخرى إلى حد التضاد . وإذا نظرت إلى الحكمة الهندية من هذه الجهة فإنك ترى بعضها يتصل بالوثنية الأولى عند الهنود القدامى اتصال تحوير وتهذيب لها . وهذا ما نراه في حكمة البراهمة . بيد أن بعضاً آخر منها قد أخذ له طريقاً خاصاً . ويتجلى ذلك في مذهبي السكيا والفيراشيكا . وهناك قسم ثالث يرجع إلى المذهب المادي وتعاليم بوذا اللذين كانت علاقتهما بالمبادىء الوثنية الأولى علاقات النضال والتضاد

حكمة البراهمة

وفلسفة البراهمة أو الفلسفة الفيدية هي التفكير الديني الفلسفي الذي تشتمل عليه أسفار الفيدا الاربعة . وهي كتاب الرجفيدا المحتوي على الاغاني الدينية . وكتاب الساماڤيدا وفيه الاناشيد والادعية المأثورة ، وكتاب الياجور فيدا ويشتمل على الادعية والصلوات المستعملة عند تقريب القرابين . وكتاب الاترفافيدا وهو عبارة عن أدعية وتسابيح وتعاويذ وعن كل ما يرجع الى السحر من تمائم وعزائم وطلاسم وتعاويذ

والفلسفة الفيدية أو حكمة البراهمة هي الفلسفة المكونة لمذهب البانتئيسم - أو وحدة الوجود - تكوينا نظريا سريا (تصوفيا) . وقد نشأ هذا المذهب متصلا بالوثنية الهندية الاولى فقد أخذ كهنتها يعتقدون بوجود اله جديد بجوار الآلهة المعروفين لهم من قبل ، أناطوا به مهمة تنظيم الطقوس الدينية في أداء أنواع العبادات المختلفة باختلاف الآلهة ، وأسندوا اليه تدبير شئونها بقوة من عنده حسب طبيعة كل إله . وقد أطلقوا على هذا الاله الجديد اسم ابراهما (عبادة). وأنت ترى من مهمة هذا الاله المبتكر انه في مركز ثانوي بالنسبة للآلهة الاقدمين أو انه في منزلة الخادم لهم

لم يستمر هذا الاله طويلا يعمل في هذه المهمة لان كهنة الوثنية الهندية قد ثار ثائرهم ضد الآلهة ووصلوا بتفكيرهم الفلسفي الى عدم ودرئهم من الوجود مع استبقاء ابراهما خادمهم وحده ، ولكن ليس بمعنى الخادم ومنظم طقوس العبادات ، بل بمعنى الواحد الأحد الذي لا يوجد سواه . واذاً فهو عندهم الكل ، وهو الكون العام (أي أن كل موجود هو ابراهما . وما ليس بابراهما فليس بموجود بل عدم على الاطلاق) وهكذا يكون الخطأ ارتفاع من الخدمة الى السيادة والتفرد حتى في عالم الآلهة الموجود في خيال الانسان !!

وتصف حكمة البراهمة إلهها الأوحد ابراهما بأنه القوة التامة اللانهائية ، المنفرد بالوجود الحقيقي الصحيح ، الذي كل ما عداه ليس بموجود

واذا كانت كائنات الكون العام تظهر عديدة ومتغايرة بالنسبة الى نفسها من جهة ، وبالنسبة الى ابراهما من جهة أخرى فان ذلك - على ما يقولون - ليس سوى غلط حسي لا يطابق الحقيقة في شيء . واذا كان من الممكن أن يعتقد الانسان ان هذه الكائنات الحسية صادرة عنه بمحض ارادته وبتأثير قوته فان ذلك يؤدي إلى الحكم بأن ابراهما محدود وغير تام لأن هذه الكائنات المدركة المتغايرة محدودة به . وينتج من هذا أنه هو أيضاً محدود بها . وهذا يبطل مبدأ اللانهائية والتمام المطلق فيه وهو محال

واذا صح أن يقال إن العالم حادث ومخلوق ومتغير فمعنى ذلك بروز ابراهما في صور متعددة ومتعاقبة إذ هو السبب الفعال والعنصر المادي اللذان يرجع اليهما هذا الوجود . وهذا لا يعد

من تمامه ووحدته . ومثل براهما فى تعدد صوره وتعاقب أعراضه مع وحدته وتمامه كمثل اللبن يتحول إلى زبد وسمن وسويق ، وحقيقته فى الجميع واحدة . وكمثل الماء يكون سائلا وزبداً وبرداً وجليداً ، وجوهره الحقيقى واحد لا اختلاف فيه

وإذا كان العنكبوت ينسج له بيتاً من مادته فكذلك براهما قد أبرز العالم بأ كمله من جوهره وأظهر هو بصوره المختلفة فى كائنات هذا العالم . وإذاً فالعالم الحس هو براهما وبراهما هو نفس هذا العالم . والتغير والحدوث المستمران فى المادة وما يتبعهما من كون وفساد فى الطبيعة العامة إنما هى كلها مظاهر براهما وصوره وأعراضه المختلفة اختلافاً لا يؤثر فى جوهره من حيث هو جوهر . فهو تام ، وهو جليل فى تمامه المطلق . وهو فوق كل الحوادث . وهو الكل وليس من الكل فى شىء

وبما أن وجود براهما يظهر متغيراً دون أن يمسه هذا التغير بشىء فى حقيقته وفى تمامه فكذلك يؤوب اليه كل كائن دون أن يحدث فيه زيادة ما مطلقاً

والذى ينتج من كل ذلك أن ليس الخلق وليست الخليقة سوى ألعاب إلهية هى ألعاب براهما مع براهما . وما مادة الوجود العام فى هذه الألعاب الإلهية سوى حلماً حسى ، أو طيف خيال من وجود براهما الأزلى الأبدى ينمو ويستمر وهكذا إلى ما لا نهاية . ومن هذا ندرك ـ من هذا الايجاز ـ السر فى تسمية هذا المذهب بمذهب وحدة الوجود الذى عبر به قول الحلاج : « أنا الله وما فى الجبة إلا الله »

وهذا المذهب الذى أخذ نشأته الأولى عند الهنود هو غير مذهب الحلول الذى كانت نشأته الأولى عند قدماء المصريين

النفس الانسانية عند البراهمة

اهتمت حكمة البراهمة بعد عنونها العميقة فى مذهب وحدة الوجود وتدعيم هذا المذهب بالنظر الحكيم ، اهتماماً عظيماً بايضاح حقيقة النفس الانسانية وشرح أعراضها واتجاهاتها بما يلائم عقيدة وحدة الوجود وبما يجعل الانسان سعيداً وصائراً إلى الخلود السعيد

ويتلخص ماتراه حكمة البراهمة فى النفس الانسانية فى أنها نشأت من القوة التامة اللانهائية الخالدة (براهما) نشوء الشرارة من النار المتأججة ، فهى بذلك عين تلك القوة الخالدة ، ولاتقع تحت تأثير كون أو فساد وإذاً فهى غير حادثة ولا فانية . وصلاتها بالجسم بناء على ذلك هى صلات ألم وعذاب ، لأن الجسم من عالم الغلط الحسى ، عالم المادة المظلمة ، فهو سجنها ولكنها متعلقة به ، وهى بهذا كله قد فقدت ما كان لها من دعة وهناءة بطبيعتها ، وصارت تحت سلطان الحركة المادية الظاهرية وما فيها من عناء وألم

وبما أن براهما فى نفسه وبنفسه مطمئن وسعيد إلى الأبد فمصير النفس الانسانية الناشئة من

جوهره لا شك واصل إلى الاطمئنان الكلى والسعادة المطلقة بعد خلاصها من سجن المادة وظلام الجسم وتحللها من العمل الدنيوى الذى وضعت فيه رغم إرادتها

وينتج من ذلك كله أن غرض النفس الاسمى وواجبها الاخلاقى نحو كيانها إنما هو العمل المتواصل لانقاذها من آلام الحمل الثقيل الملقى على عاتقها بهبوطها من الملأ الأسمى (براهما) إلى حضيض الجسم المادى ، وأن تجد وتجتهد فى رجوعها إلى أصلها الذى نشأت منه لتتحد معه وتمتزج به كما كانت من قبل . ويجب أن تكون هذه الغاية القصوى أو الغرض النهائى الأسمى مرجعاً وأصلا لكل المجهودات الانسانية ، وأساساً يرتكز عليه عمل الانسان ليصل إلى الانقاذ من الألم والتمتع بالغبطة الكبرى فى ملأ الاسعاد

ويرى البراهمة أن تحقيق عملية تحرير النفس من الجسد ، وانقاذها من ظلامه إنما يحصل بالمعرفة وهى : اليقين بأن براهما الواحد التام اللانهائى وبأن النفس الانسانية منه ، وهما معاً واحد وكل لا يتجزأ إلى الحد الذى يصل الانسان يقول : « هذا هو أنا » أو « أنا براهما »

وهذه المعرفة لا يصل إليها الانسان ببحث أو وصف وإنما تأتى اليه مباشرة من نور البصيرة ورفع الحجب التى تعوق دون الالهام الحق والشهود الكامل . أضف إلى ذلك أيضاً اليقين بوحدة الاشباح جميعها مع براهما ، وأنها مظاهره وأعراضه التى يتجلى فيها هذا الاله . ومعنى ذلك أن الوجود الحسى هو تجلى براهما ، فهو نفس براهما ، وبراهما هو نفس هذا التجلى . وليس سوى ذلك فى هذا الوجود العام

هذه المعرفة وإن كانت لا تحصل فى النفس ببحث أو وصف وإنما تأتى للانسان إلهاماً ونوراً تتكشف عنه الحجب ، فانها فى مقدور الانسان إذا سلك سبيل الوصول اليها بالتوبة والاقلاع عن الشهوات وتعذيب الغرائز والزهد فى المتاع الزائل والتجافى عن العالم المحسوس الظاهرى ، عالم الخطأ والغرور

وما دامت النفس تعيش فى أسر المادة وفى صورها الظاهرية فلا سبيل إلى الانقاذ والخلاص . أما إذا انحصرت فى ذاتها بعد إلهامها بالمعرفة المتقدمة والتغلب على شهواتها بالزهد والتجافى عن عالم المادة ، فانها بعد اجتياز هاتين المرحلتين تصل إلى مرحلة ثالثة تعرف بمرحلة (الاطمئنان الالهى) ومعنى ذلك أن تطمئن النفس فى جوهرها اطمئناناً لا يجعل لأى كائن آخر تأثيراً فيها ، بل تسكن إلى ذاتها فى ذاتها وتصير بذلك إلهية لا يشبعها سوى براهما ولا تعرف وجوداً سواه

وإذا وصلت النفس الانسانية إلى هذه المرحلة الثالثة التى تصير بها قوة إلهية محضة أشرق أمامها نور اليقين من جميع جوانبها وظهر صفاؤها لامعاً وضاء ممتزجاً بضوء براهما وبحقيقته النورانية ، وتكون معه وحدة لا تتجزأ . وحينئذ تتاح لها معرفة حقيقتها وجوهرها ، وتدرك

أنها عين الذات (براهما) وان الوجود وأشباحه وأرواحه على ما فيه من كون وفساد وتغير وتعاقب متحد مع براهما وواحد بالحقيقة والجوهر

وفي الحالة التي تصل فيها النفس إلى هذه المعرفة التامة الكاملة لا تعد جوهراً عارفاً بل تكون نفس براهما وبراهما هو نفسه المعرفة فتكون هي نفس المعرفة كالنهر يجري في المحيط ولا يبقى نهراً في المحيط بل يمتزج به ويكون معه كلا متصل الاجزاء . وهنا تكون النفس - وهي ذات المعرفة - قد ربحت السعادة الكبرى والغبطة الخالدة والهناء الذي لا تقدر على نعته لغة ولا يقوى على وصفه جنان انسان

والانسان الذي تصل روحه الى الامتزاج ببراهما ليس في أعماله خطيئة مطلقاً . فهو حر من قيود العصبية وأوامر القوانين الاجتماعية لانه جليل ولانه في مكانة أسمى من التقيد بالعصبية وأمر القانون . وكل ما يكون قد اقترفه من ذنب قبل الوصول الى هذه الغاية السامية يسقط عنه ببلوغه اياها ويعود بها معصوماً في مستقبله لا يقع منه الا الخير وما هو في حدود الخير . حتى ولو فرض انه في الظاهر قد انغمس في رجس وارتكب خطيئة فهو بعد عنها بطبعه ولا تناله بشيء كما لا يبلل الماء ورقة (اللوتوس) اذا انغمست فيه

وفي العموم ان ذلك الانسان قد تطهر من الخطيئة ، وانتزعت منه شهوات الاثم فهو بطبيعته معصوم لا سبيل مطلقاً الى اقترافه ذنباً من الذنوب . وليس صاحب هذه النفس الممتزجة ببراهما مايشاء ان يعمل ولا تأثير ولا حرج عليه ، وهو لا يتقيد بقانون ولا يؤخذ بعصبية يجب عليه أن يتبعها ولا تحدد له رذيلة يفرض عليه تجنبها ، وما ذلك على الأخص الا لان القانون قيد والعصبية قيد والرذيلة قيد وشر هو القيد أياً كان نوعه ، وأياً كانت مادته . وبأي كيفية يصاغ اذ لا فرق بين قيد يسبك من العسجد وآخر يصنع من الحديد ، والمعرفة المكتسبة بالطريقة المتقدمة ، والحرية المترتبة عليها لا تحتملان معاً الاغلال حتى ولو كانت من الذهب الابريز

وكما ان ذلك الانسان الواصل لا يتقيد بقانون ولا عصبية ولا يقع عليه اثم فهو غير معاقب وغير مثاب اذ لا ثواب اكبر مما وصل اليه من سعادة خالدة في ملأ الغبطة والاطمئنان

وتقرر حكمة البراهمة ان الارواح إذا فارقت الاشباح الانسانية تنتقل الى دار الخلود . ولكنها في سبيل الوصول اليها تختلف حالتها باختلاف ما كانت عليه في الاجساد . فالنفوس العارفة تصل مباشرة الى اصل نشأتها ، الى الملأ الاعلى ، الى براهما ، وهي لا تسأل عما فعلت في حياتها الدنيا . والنفوس الجاهلة التي لم تتح لها فرصة المعرفة تعاق عن السمو الى ما تصل اليه النفوس الصافية المتقدمة ، فتقع في التناسخ . وهو استقرارها في كائن بعد كائن ، وهكذا دواليك ، حتى تتاح لها فرصة المعرفة وحينئذ تدرك السبيل الى براهما وما في رحابه من سعادة وغبطة وما الى ذلك من هناء خالد وحبور مستديم

(البحث بقية)

علي العناني

شخصيات الشهر

[تناول الكاتب في هذا المقال أهم شخصيات الشهر مناسبة للأعمال العظيمة التي عملوها أو يعملونها . وبهذه المناسبة نقول إنه سيتكلم كل شهر عن أهم الشخصيات العالمية من ناحية أعمالهم التي تكون موضوع حديث الناس في خلال الشهر]

السنيور موسوليني ومجلس نوابه الجديد

لما قابلت السنيور موسوليني لأول مرة في سنة ١٩٢٩ قال لي في حديثه معي : « اذا كان النظام البرلماني الشائع قد نجح في انجلترا مثلا فليس معنى ذلك أنه من المحتم أن ينجح في اليونان أو بلغاريا مثلا . وقد وجدت النظام الملائم لايطاليا ولكن ليس من الضروري أن يلائم بلاداً أخرى ، فلكل شعب مزاجه وأحواله وتقاليده . ولذلك يتعين على كل شعب أن يبحث عن النظام الذي يلائمه »

قال لي زعيم ايطاليا هذا الكلام على أثر تعديل نظام الانتخابات في بلاده على قاعدة إعداد المجلس الفاشستي الأعلى كشوفاً بأسماء الذين يرشحهم لعضوية مجلس النواب ثم يطلب الى الناخبين أن يقترعوا عليها كشفاً كشفاً . ولكي يدرك هذا على الحقيقة كانت تلك الكشوف تحوي ضعفي العدد المطلوب لعضوية المجلس . فكان في استطاعة الناخبين أن يشطبوا النصف ويعدوا النصف الآخر

واستمر هذا النظام قائماً الى أن كان شهر مارس الماضي فقرر السنيور موسوليني الغاءه واحلال نظام آخر محله أوفق — في رأيه — بالغرض من وجود النظام التمثيلي

ولكي يدرك القارىء روح النظام الجديد لابد من الاشارة الى أن الحكومة الفاشستية انشأت لكل صناعة في ايطاليا نقابة بل نقابتين : احداهما للعمال والأخرى لأصحاب العمل ، وأنشأت الى جانب هاتين النقابتين نقابة مشتركة بين الفريقين اسمها « كوربوراسيون » ، وأوجدت وزارة خاصة لهذه الهيئات سمتها وزارة « الكوربوراسيون » وبنت لها داراً من أضخم دور روما . ومهمة هذه الوزارة الاشراف على انتظام سير العمل في جميع الصناعات ، والتحقق من أنه يسير طبقاً للمبادىء الفاشستية ، وفي مقدمتها أنه لا يجوز للعمال أن يضربوا عن العمل كما أنه لا يجوز لأصحاب المصانع والمعامل أن يقفلوا مصانعهم ومعاملهم بدون أن يرجعوا الى الحكومة في ذلك

فالسنيور موسوليني قد أراد أن يقوم مجلس نواب ايطاليا الجديد على أساس مجموع النقابات المشتركة الموجودة في ايطاليا الآن ، وهي تمثل مصالح البلاد الحقيقية . ومن مزايا هذا النظام أن يكون جميع أعضاء مجلس النواب من الفنيين المحيطين بالموضوعات التي يدور عليها البحث ، فاذا دار

البحث على سكة الحديد مثلا وجد من يبحث فيها بحث الفني الخبير بالموضوع الذى يعالجه ولا يترك مثل هذا الموضوع للاطباء أو المحامين مثلا وهلم جرا

وفاجأ السنيور موسوليني العالم في الشهر الماضي أيضاً بمفاجأة أخرى تتعلق بالسياسة الخارجية ومعنى مذكرته للدول العظمى بوجوب تعديل ميثاق جمعية الامم أو بعبارة أخرى المبادىء التى قامت عليها هذه الجمعية . وحجته في ذلك أن هذه الجمعية على حالتها الحاضرة لا يحقق الاغراض التى أنشئت من أجلها لانها تقسم الدول في اوربا الى قسمين : قسم الغالبين وقسم المغلوبين . ومعنى هذا أن تظل السيطرة فيها لانجلترا وفرنسا . فالسنيور موسوليني يريد تعديل ميثاق الجمعية لكي يحررها من قيود معاهدات الصلح التى وضعت بعد الحرب العظمى وفي مقدمتها معاهدة فرساي . ومعنى ذلك أنه يرمي الى تعديل تلك المعاهدات لانه يرى أن ظروف أوربا الحالية تقضي بتعديلها وهو حريص على أن يتم هذا التعديل سلمياً بمفاوضات تدور بين الدول المختصة بدلا من أن تعدل بحد الحسام

وهكذا أصبح موسوليني في منزلة من يملى ارادته على الدول وهى تحسب لآرائه واقتراحاته أكبر حساب ، بعد ما كانت تعده مغروراً ومخرفاً

الشاه رضا بهلوي واتصاله بالشعب مباشرة

كنت قبل أن أزور ايران في صيف سنة ١٩٣٢ أسمع أن « تيمور طاش » وزير البلاط هو كل شيء في بلاد فارس وأنه صاحب الأمر والنهي في كل كبيرة وصغيرة وأنه هو الذى يدير جلالة الشاه رضا بهلوي ويحركه حتى أن بعضهم كان يعده الشاه غير المتوج

ولما وصلت الى طهران كان « تيمور طاش » أول من عرفته من عظمائها فألفيته على أعظم جانب من الذكاء وتوقد الذهن وسرعة الخاطر ولين العريكة . وكان الحديث يدور بيننا بالفرنسية فكان يخاطبني بعبارات فصحى كأنه متخرج في أرقى مدارسها . وأتيح لي أن أرى شيئاً من مظاهر نفوذه في المرة الاولى التى اجتمعنا فيها ، وكان ذلك في استقبال جلالة الملك فيصل عند وصوله الى طهران ، فانه بينما كان جلالة الشاه جالساً مع المغفور له الملك فيصل كان « تيمورطاش » شعلة حركة دائمة ... ينادى هذا ثم يصرفه ويقرب اليه ذاك ويصغي اليه ثم يشير اليه اشارة فيعود من حيث أتى . . . ورأيت الوزراء والكبراء الذين يحادثونه يقفون أمامه باحترام وإجلال

وانتظرت بعد ذلك أن ارى الشاه وتيمور طاش واقفين جنباً الى جنب فلم ألبث أن رأيتهما وقد وقف تيمورطاش أمام مليكه كما يقف الجندي أمام قائده ، ولما أراد تيمور طاش في مساء ذلك اليوم أن يقدمني للشاه رأيته يخاطبه كما يخاطب العبد سيده

وبعد أشهر جاءت الاخبار من طهران بأن « تيمور طاش » اوقف . ثم جاءت أخبار أخرى

بانه سيحاكم بتهمة قبول الرشوة ، ثم أذيع انه حكم عليه بالسجن ومصادرة أملاكه ، ثم اعلن انه توفى في سجنه ! . ودلت الدلائل بعد ذلك على ان « الرشوة » لم تكن السبب الوحيد الذي ادى الى سقوط تيمورطاش ، وان السبب الاكبر كان شعور جلالة الشاه بأن وزير بلاطه يحجب عنه الحقيقة في امور كثيرة ويحول بينه وبين رغبات شعبه في مسائل عديدة فنقم عليه ، ومن ثم قرر الغاء منصب وزير البلاط . ولم يكتف جلالته بذلك بل امر بتأليف لجان تحقيق تجوب انحاء ايران وتستطلع « المخازي » التي ارتكبت في عهد تيمور طاش وتحقق مع الموظفين المسئولين وتسمع شكاوى الناس وتقف على رغباتهم لترفعها الى جلالة الشاه

ويظهر ان بعض زعماء قبائل البختاريين اعترضوا على عمل تلك اللجان فأمر جلالة الشاه باعتقالهم ، ويظهر كذلك انه كان لهؤلاء الزعماء صلة بأسعد خان وزير الحربية وهو من زعماء البختاريين كذلك ، فأمر بوقفه مع انه كان من احب الناس اليه ، وما ذلك كله سوى دليل على ان جلالة الشاه يريد معرفة ما يجرى في بلاده مهما يكلفه الامر

وما دام الجيش الايراني في قبضة جلالة الشاه وطوع يمينه فهو ذو سلطان كبير ، لان القوة في تلك البلاد هي لمن يسيطر على الجيش ، وقد عرف جلالته بعد ارتقائه العرش كيف يحافظ على صلته بالجيش الذي انشأه ، حتى انه بنى لقصره مقام المدرسة الحربية ليكون قريباً منها

الرفيق لتفينوف وتغيير سياسة روسيا الخارجية

عدل الرفيق لتفينوف وزير خارجية روسيا سياسة السوفييت الخارجية تعديلا عظيما في المدة الاخيرة ، بل قضى على اهم غاية كانت ترمى اليها روسيا السوفياتية واستبدل بها غاية اخرى

فقد كان السوفيات — ولا سيما في عهد نفوذ تروتسكي — انما يرمون الى بذر بذور الثورة في جميع انحاء العالم لاشعال نار ثورة عالمية تقضى على الرأسمالية في كل مكان وتشيد دعائم النظم الشيوعية على انقاض المجتمع الحالي

ولكن الرفيق لتفينوف رأى — ووافقه على رأيه ستالين رئيس جمهوريات السوفيات — ان في الاستمرار في تلك السياسة الفاشلة اخطاراً عظيمة تهدد روسيا ولا سيما من ناحية اليابان

وزاد توجس الرفيق لتفينوف من تلك الاخطار بعد قيام النظام الهتلري في المانيا بما هو معروف عن مناوأته للنظام الماركسي الذي تقوم على اساسه الدولة السوفياتية

وعندئذ قرر الرفيق لتفينوف وجوب تغيير الخطط في السياسة الخارجية فطوى صفحة المساعي لاشعال الثورة العالمية وعمل على انشاء علاقات طيبة مع الدول التي ترغب في هذه العلاقات

ورأى ان يبدأ بخطب ود بعض الدول الصغيرة وهي بولندا ورومانيا وتشكوسلوفاكيا ، فعقد

معها معاهدات سياسية واقتصادية شتى أهمها معاهدة عدم الاعتداء . وأدرك جانبه أن هذه الدول المتحالفة مع فرنسا والتي تعتبر مشمولة بحمايتها لاتقدم على التفاهم معه مالم تكن فرنسا راغبة في هذا التفاهم ، فسعى للتقرب منها ودعا المسيو هريو الى زيارة روسيا حيث أكرموا وفادته واحتفلوا به احتفالا عظيما . ولم يكن من المعقول ان يقوم المسيو هريو بهذه الزيارة لو لم تنظر حكومته اليها بارتياح لانه رجل مسئول ، وان كان خارج الوزارة الآن إلا انه رئيس أكبر حزب في فرنسا ، وقد تقلد رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية غير مرة . وعلى أثر عودة المسيو هريو الى بلاده سافر المسيو كوت وزير الطيران الفرنسي الى روسيا ، فكانت هذه الزيارة أكبر مظهر لتوطيد الصداقة بين فرنسا وروسيا . ولم يقنع الرفيق لتفينوف بما تقدم بل سافر الى الولايات المتحدة للاجتماع بالرئيس روزفلت والبحث معه في العلاقات الروسية الأميركية ، ومع انه يقال ان المفاوضات التي دارت بينهما لم تسفر عن نتيجة عملية إلا أن في رحلة وزير خارجية السوفيات الى الولايات المتحدة مظهراً من مظاهر السياسة الجديدة التي تريد روسيا انتهاجها

ولا يفوتنا أن نذكر بهذه المناسبة أن الحكومة الروسية أهدت أخيراً اربع طيارات كبيرة الى الحكومة التركية بمناسبة حفلات انقضاء عشر سنوات على نشوء الجمهورية التركية

ابن سعود والامام يحيى

هل في الجزيرة العربية حرب وقتال؟

ان المعلومات التي لدينا عما كتبته الصحف لا تؤيد وقوع الحرب ، غير ان الفريقين يستعدان للحرب ويتأهبان لها

ومحور الخلاف في الظاهر هو بلاد عسير أو امارة عسير . فابن سعود يريد الاحتفاظ بسيطرته عليها بحجة أن أميرها وزعماءها هم الذين دعوه الى بلادهم وطلبوا بسط نفوذه عليها . والامام يحيى يريد منه ان يجلو عنها لكي تسترد استقلالها وتكون حداً بين الاثنين

ويقول ابن سعود ان الامام يحيى يريد منه ان يجلو عن عسير لكي يحتلها هو

ويرد الامام يحيى على ذلك بانه لا يطمع في عسير بدليل انه مستعد لضمان استقلالها

هذا هو محور الخلاف في الظاهر . أما محور الخلاف الحقيقي أو الباطني فهو طموح الملكين ، فكلاهما يريد التوسع وكلاهما يبغي السيادة ، ولكن ابن سعود يفتقر الى المال ، والحرب خارج نجد وخارج الحجاز تكلفه مالا طائلا غير متوافر لديه الآن . والامام يحيى عنده المال ولكنه يضن به ، ثم انه على خلاف مع انكلترا بشأن عدن وبعض المناطق الاخرى التي يريد ضمها الى مملكته ، وهو يعلم ان حرباً تنشب بينه وبين ابن سعود تضعفه تجاه الانكليز فهو لذلك يتردد !

أما العرب فيقولون لساحلى الجزيرة : لا تخاطرا باستقلال الجزيرة وبأرواح العرب ومصالحهم فى مغامرة لا يستفيد منها فى آخر الامر إلا الاجنبى . فهل يسمعان ؟!

الرئيس روزفلت وتجاربه المالية والاقتصادية

لما اصيب المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة بالمرض الذى اقعده زمناً وصف له اطباؤه دواء غريباً ليعالج به قدميه بعدما عجزت العقاقير عن شفائه، وهو ان يضع رجليه فى الماء كل يوم ويظل كذلك الى ان يتعب . فما كان منه إلا أن رحل الى جهة بالقرب من بحيرة وأخذ يتردد يومياً على هذه البحيرة ويقضى نهاره غائصاً فيها حتى ركبتيه . ولكيلا يسأم هذه الحال كان يحمل معه بعض الكتب التى تلذ له مطالعتها، وظل دائباً على هذا العلاج الى ان استردت رجلاه بعض قواها واصبح قادراً على المشى مستعيناً بعكازين . فقيل فى ذلك الحين انه تغلب على مرضه بقوة ارادته . ويلوح الآن من اعماله وتصرفاته ان قوة الارادة التى تحلت فيه فى شبابه عادت فتجلت الآن فى التدبير والاجراءات الحازمة التى يتخذها لمعالجة الازمة الاقتصادية فى بلاده، غير مكترث للعقبات التى يصادفها فى طريقه وغير مبال بالحملات التى يحملها عليه خصومه من كل جانب

وقد اتجه الرئيس روزفلت فى بدء الامر الى السيطرة على « الدولار » ليروج المصنوعات الاميركية فى الخارج من جهة ويحسن حال الصناعات نفسها فى اميركا من جهة أخرى، ولكن لما كانت اسعار الحاصلات الزراعية فى اميركا منخفضة بسبب رخصها من جهة، أدى تحسين حال العمال الى توسيع شقة التفاوت بينهم وبين الزراع، ولذلك اصبح الرئيس روزفلت فى المدة الاخيرة مهتماً بتحسين حال الزراع ورفع مستوى اسعار الحاصلات الزراعية

وفى مقدمة المسائل التى يعنى ببحثها مسألة تخفيض الديون الفردية فى الولايات المتحدة فهو يريد أن يقنع الدائنين بالتساهل مع مدينيهم، ولا سيما الزراع منهم، لان الاحوال اليوم ليست كما كانت بالامس، بمعنى ان الزارع الذى كان يحتاج أمس الى بيع مائة قنطار من القطن أو الحنطة لتسديد مبلغ كذا من المال، يحتاج اليوم الى بيع مائتى قنطار أو أكثر لتسديد المبلغ عينه . فاذا نجح الرئيس روزفلت فى حل هذه المسألة اسدى خدمة جليلة الى طبقة الزراع فى بلاده

ولا غرو أن يكون الرئيس روزفلت موضع انتقاد من بعض صحف اميركا وهيآتها العمومية والسياسية، فما من رئيس من رؤساء الولايات المتحدة الذين تعاقبوا منذ الحرب العظمى نجا من مثل هذه الحملات، بل ان بعضهم ارتقى الى الرياسة والبلاد كلها تصفق له ثم غادر « البيت الابيض » والبلاد كلها تسخط عليه — وما عهد الدكتور ولسن ببعيد

كريم ثابت

النصوص التاريخية بمشهد الامام الشافعى

بقلم الاستاذ جاستون فييت [1]

(نقلها الى العربية من الفرنسية ملخصة الاستاذ حسن محمد الهوارى)

تشغل المدافن الاسلامية لمدينة القاهرة ومصر القديمة الجزء القائم بين النيل وجبل المقطم، وكانت في القرون الأولى من الهجرة مجاورة الفسطاط من الجهة الشرقية، وكانوا يطلقون عليها اسم القرافة نسبة إلى بني قرافة قبيلة من العرب

وبالرغم من امتداد المدافن الاسلامية فيما بعد الى شمالي مدينة القاهرة، فقد ظلت القرافة الجنوبية محل الاعتبار والاجلال لما فيها من أضرحة لاهل بيت رسول الله والاولياء الذين ظلوا على مر السنين محل اعجاب الاتقياء من الجماهير

وهذه المنطقة حافلة بالاضرحة التي يحج اليها الناس تيمناً وتبركاً. وقبة الامام الشافعي اشهرها واعظمها قدراً. وقد أولى الأمراء والسلاطين والملوك في مصر عناية خاصة بهذه القبة التي تضم

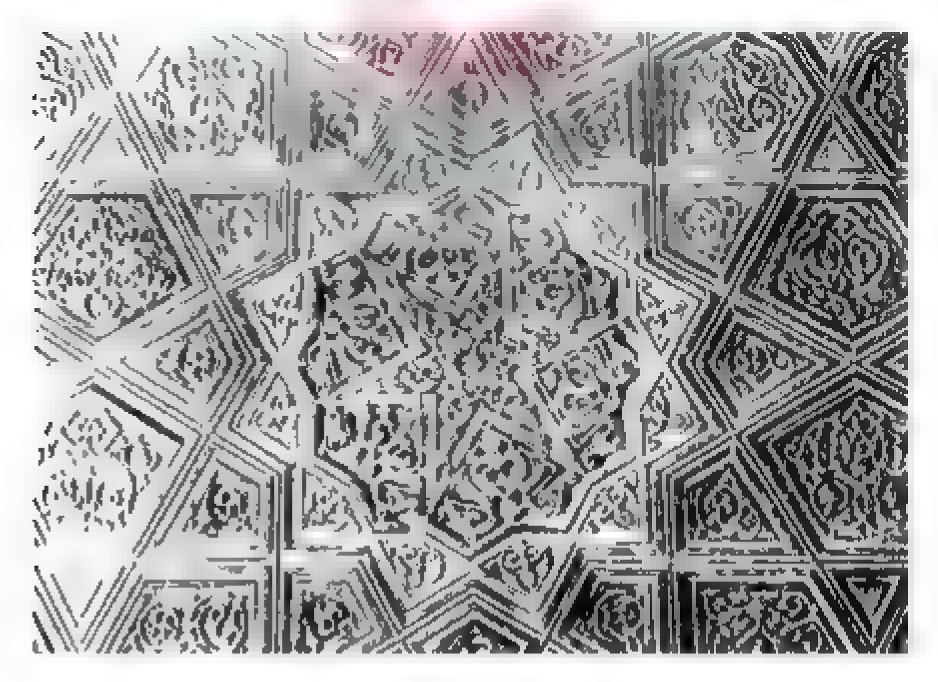

في تابوت الامام الشافعي

---

(1) ألقى الاستاذ جاستون فييت مدير دار الآثار العربية هذه المحاضرة في المجمع العلمي المصري بتاريخ 9 فبراير سنة 1933

وفاة مؤسس المذهب السني السائد في مصر . وقد بحث صديق للسيد هو تكير الادو والمعمارية التي مرت على قبة الشافعي، فأحيل من يريد بيانا وافيا في هذه الناحية الى كتاب جوامع مدينة القاهرة، أما ما سأبحثه الآن فهو النصوص التاريخية المنقوشة في قبة الشافعي من عصور مختلفة

قال المسعودي : « وفي خلافة المأمون كانت وفاة الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر يومئذ . ودفن الشافعي نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبني زهرة . وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العمود الذي عند رأسه حجر قد كتب فيه في ذلك الحجر : « هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله »

يدل ذلك على البساطة المتناهية التي كان عليها ضريح الشافعي، وقد أيد المسعودي كتاب آخرون وبقي الضريح بسيطا إبان دولة الاخشيديين والفاطميين

ويقول المقريزي إن الوزير نظام الملك لما بنى المدرسة النظامية في بغداد أراد ان ينقل الامام الشافعي من مقبرته في مصر إلى مدرسته في بغداد وكتب الى صدر الخالق بذلك . ولما نبش القبر هاجت الناس وثارت وهموا برجم أمير الجيوش وطردت العامة وأتوه من حوله ونبش القبر مرة ثانية فخرج من اللحد رائحة عطرية سكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى فاعادوا ردم القبر وكتبوا لنظام الملك بذلك فرجع الكتب الى الامصار وزاد امر الامام الشافعي

ولما جاء صلاح الدين مصر ابطل المذهب الشيعي وانشأ مدرسة شافعية بجوار جامع عمرو . وعندما تم له ملك مصر أمر في سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ – ١١٧٧) ببناء مدرسة اخرى بالقرب من مشهد الامام الشافعي وتم بناء هذه المدرسة بعد نحو ثلاث سنوات من بدء العمل كما يتبين ذلك من النص التذكاري المنقوش على لوح من الرخام محفوظ الآن بدار الآثار العربية

وأنشأ صلاح الدين مشهدا لضريح الامام الشافعي فسيح الارجاء عظيم القدر. يؤيد ذلك ما قاله الرحالة ابن جبير عند ما وصف الاعمال الجارية في المدرسة الشافعية وقوله إن مشهد الامام الشافعي من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا وقد بقي من آثار صلاح الدين بمشهد الشافعي تابوت فاخر من الخشب شكله منشور مستطيل طوله حزء هري، وقبل أن نصفه وصفا مسهبا أرى نشر الكتابات التاريخية المنقوشة عليه

وأول هذه الكتابات كتابة منقوشة على حشوة كبيرة بمقدمة التابوت في اربع أسطر بخط كوفي جميل نصها : « (١) بسم الله الرحمن الرحيم وان ليس للانسان الا ما سعى (كذا) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٢) هذا قبر الفقيه الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن (٣) عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف . ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى (٤) سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر »

الى اليسار :
تابوت الامام الشافعي

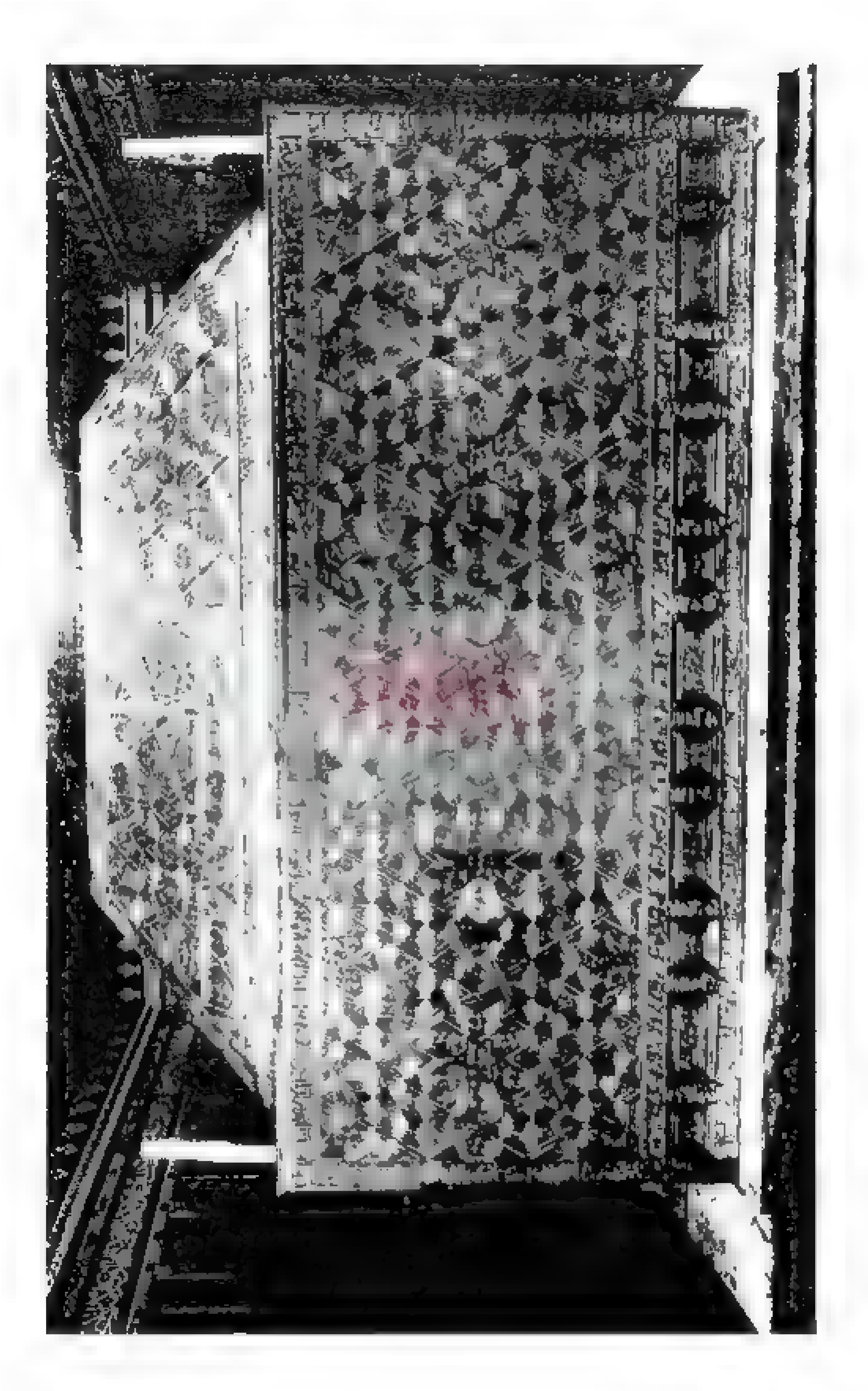

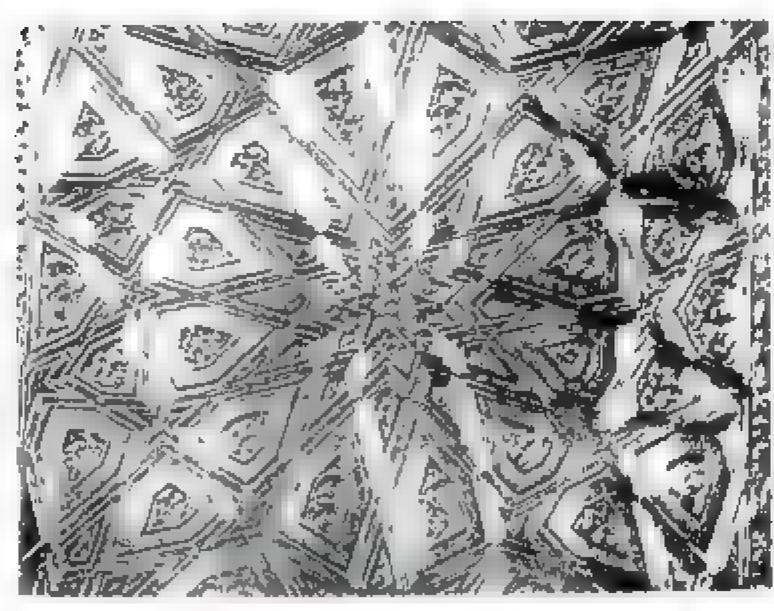

جزء من تابوت زوجة السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب وهي محفوظة داخل قبة الإمام الشافعي

ومنقوش في نهاية [illegible]

« عمل هذا التابوت المبارك للامام الفقيه أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب [illegible] رحمه الله. صنعة (كذا) عبيد النجار (٢) المعروف بابن معالى [illegible] في شهور سنة [illegible] وخمسمائة . رحمه الله ورحم من ترحم عليه ودعا له بالرحمة [illegible] والمسلمين وجميع المؤمنين »

وجميع وجوه هذا التابوت مكونة من أطباق [illegible] منقوشة بزخارف نباتية دقيقة من غصون متفرعة وأوراق مفرقة في تقاسيم متماثلة يتخللها أشكال [illegible] ومثلثة [illegible] ويحيط بهذه الحشوات اطارات عليها كتابات كوفية ونسخية بارزة على أرضية مشجرة. وأهمية هذه التحفة الفريدة في اشتمالها على نصين تاريخيين بنوعين مختلفين من الكتابة

وصناعة جمع الحشوات الخشبية وتعشيقها كانت معروفة في مصر في القرن الرابع الهجري. ويعتبر الباب الذي عليه اسم الحاكم بامر الله والذي عمل خصيصاً للجامع الازهر أقدم أنواع التعشيق ولو أنه لم يحتو على حشوات كثيرة الاضلاع . أما أقدم تحفة بها حشوات كثيرة الاضلاع فهي منبر جامع [illegible] المؤرخ سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وحشواته عليها فروع نباتية دقيقة الصنع وجميعها وتعشيقها بالغان حد الاتقان حتى إن الدلايات التي تحصرها عليها أيضاً زخارف نباتية . ويأتي بعد هاتين التحفتين المحرابان الشهيران وهما : محراب السيدة نفيسة ، ومحراب السيدة رقية ، فمنبر جامع [illegible] الذي يرجع عهده الى منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أي قبل تابوت الامام الشافعي بربع قرن والدلايات الخابية لحشوات تابوت الامام الشافعي عليها خطوط متوازية محفورة أظهرت ما للحشوات من حسن رونق وجمال [illegible] . وهذه القاعدة اتبعت في منبر الجامع الاقصى الذي صنع في حلب سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م) [illegible] السبب الذي دعا صلاح الدين

انقل هذا المنبر من حلب الى بيت المقدس تنفيذا لرغبة نور الدين محمود بن زنكي. وذكر هذه الحادثة مفيد لنا في بحثنا لأن هذا المنبر ممهور بامضاء عدة صناع من بينهم من يدعى سلمان بن معالى . مما يحمل بميل الى الاعتقاد بان صانع تابوت الامام الشافعي والذى مهره باسمه عبيد المعروف بابن معالى هو احد أفراد عائلة سلمان بن معالى وقد يكون صنعه بناء على أمر صلاح الدين

وامام هذا التابوت عمود من الرخام عليه كتابة طويلة نرى انها من عهد صنع التابوت نظراً للجمل الواردة في نصها وشكل حروفها القديم . فهي من سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) بلا نزاع . وهذه الكتابة منقوشة بالخط النسخ البارز في ستة عشر سطراً ونصها يشابه النص المنقوش على التابوت نفسه

• • •

احترم السلاطين الايوبيون الذين جاءوا بعد صلاح الدين مشهد الامام الشافعي والحقوه بمبنيهم . ودفن السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بجوار الامام الشافعي . وكذلك امه الملكة شمسه ، إلا ان موضع قبريهما داخل المشهد ما يزال غير معروف الى الآن

وبمشهد الشافعي تابوت آخر مستطيل الشكل سطوحه الاربعة مكونة من حشوات كحشوات تابوت الامام الشافعي ومنقوش على هذه [illegible] بالخط النسخ الايوبي المشجر وهي مقسمة الى ثلاث مناطق . الوسطى [illegible] تشتمل على [illegible] عقود مثلثة مرتبة بالتماثل كل اثنين معاً [illegible] المنطقة العليا وكانت تحوي كتابة كوفية [illegible] أما المنطقة السفلى فهي مكونة من حشوات [illegible] بعضها عن بعض قوائم بها كتابات رأسية

والجانبان الكبيران للتابوت وأحد الجانبين الصغيرين تحوي نصوصاً قرآنية . أما النص التاريخي فمنقوش على الجانب الرابع بالقلم النسخ الايوبي وهو باسم والدة الملك الكامل ومؤرخ سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) . ونرى ان هذا التابوت كان غطاءً لمدفن مكون من عدة حشوات من نوع حشوات التابوت لانه بدار الآثار العربية اجزاء اصلها من مشهد الامام الشافعي عليها بقية كتابة تاريخية باسم والدة الملك الكامل

ويقول المؤرخون ان الملك الكامل رأى لمناسبة دفن امه بضريح الامام الشافعي ان يشيد فوقه قبة عظيمة وان نفقات ذلك بلغت ٥٠٠٠٠ دينار أي حوالى ٢٥٠٠٠ الف جنيه

وقد وصف ابن بطوطة مشهد الامام الشافعي عند زيارته مصر في رحلته المشهورة وكان ذلك بعد انشاء القبة فقال : ان مشهد الشافعي من عجائب المنشآت بقبته العظيمة وبنائها المتين وعلوها الكبير . وهذا الوصف يبين السبب الذى جعل السلطان بيبرس شديد الرغبة في بناء قبة في مسجده شبيهة بقبة الامام الشافعي

وتذكارا لتشييد الملك الكامل هذه القبة نقش على العصب الخشبي للشباك البحري من الخارج سطران بالخط النسخ الايوبي نصهما :

١ « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الكامل محمد ابن مولانا السلطان الملك العادل أبي بكر

٢ « بن ايوب خليل امير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك في يوم الاحد لسبع خلون من جمادى الاولى من سنة ثمان وستمائة (كلمة ممحوة) الله (كلمة أخرى ممحوة) » .

وكتابة هذا النص ممحوة في بعض اجزائها . وفي هذا العهد لم يكن محمد الكامل سلطانا لمصر بل كان والده الملك العادل هو السلطان .

وتاريخ نهاية العمل في القبة منقوش على بابين بخط نسخ أيوبي مشجر . احدهما ما يزال في قبة الامام الشافعي ومكتوب عليه في اربع حشوات ما نصه :

« الشافعي امام الناس كلهم في العلم والحلم والعلياء والباس »
« له الامامة في الدنيا مسلمة كما الخلافة في اولاد عباس »
« اصحابه خير اصحاب ومذهبه خير المذاهب عند الله والناس »
« وذلك لسبع خلون من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة »

والباب الآخر نقل الى متحف الامام الليث ومنقوش عليه الاشعار السابقة مع تغيير بسيط في التاريخ
« وذلك لعشر خلون من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة »

• • •

بقيت هذه القبة ثلاثة قرون عديدة و[illegible] الاصلاح في كل الارباع [illegible] ولاسيما مقامة على ارض صلبة لا [illegible] ... ونتج [illegible]

وفي أواخر القرن السابع [illegible] سقطها و[illegible] من الرخام بالجدارين الشرقي والغربي على ارتفاع متر من الارض عثر عليه [illegible] عند التجديد

ويقول المؤرخون ان قايتباي عندما ارتقى عرش مصر في سنة ٨٧٣ هـ (١٤٧٨م) زار ضريح الشافعي وبعد هذه الزيارة بثلاثة عشر عاما أمر بتجديد القبة كما يتضح ذلك من النصوص التاريخية ولكن لم توضح لنا هذه النصوص ولا ابن اياس المؤرخ المعاصر لقايتباي ماهية هذا التجديد . وأمر الغوري بتجديد القبة كما يستدل على ذلك من لوح رخام ملصق على أحد جدران القبة من الداخل

• • • •

بقي نص تاريخي واحد بقبة الامام الشافعي وهو سطر بالخط النسخ المنقوش بالبوية بلون ذهبي على أرضية خضراء قائمة يحيط برقبة القبة من الداخل . ونصه بعد البسملة وبعض آيات قرآنية هو :

« أمر بتجديد هذه القبة المباركة على التخصيص وتشييد اركان وضعها بصنوف النقش والترصيص عزيز مصر وحاكمها من ثبت احكامه في اقاليمها ومعالمها المتوكل على الله مولانا القائم في الرعية بما يحبه ويرضاه على الاسم والقدر والجاه الحاكم بامر الله . ايد الله بالنصر لوائه وخلد عزه وبقاءه وخذل اضداده وأعداءه وبلغه قصده ورجاءه . انه الملك اللطيف ببركة صاحب هذا المقام الشريف وذلك في افتتاح سنة ست وثمانين ومائة والف من الهجرة . ادام الله عزه ونصره . »

وهذا النص التاريخي هو أهم نص باق من العصر التركي وهو يوضح لنا شخصية عظيمة لا حراء

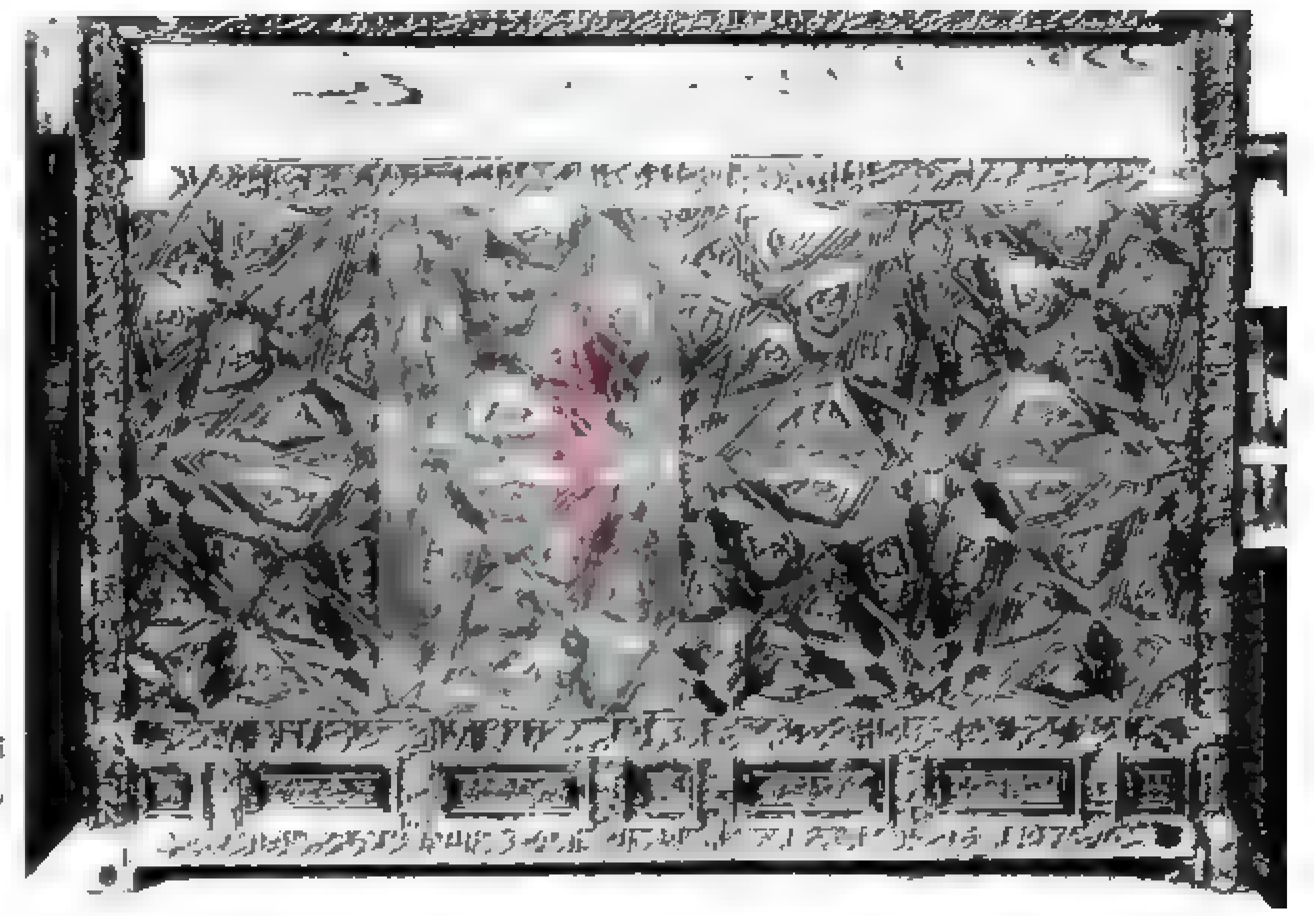

أحد جوانب تابوت
زوجة الملك الصالح
أبي بكر

من ألقاب تدل على القدرة والقوة والانتقام من الأعداء « نصر من عند الله » وقد لحق الأمر بالتجديد الذي تمّت من أجله هذه الألقاب اسمه بطرس وكيلته ولكنه ذكر التاريخ . وعلى كل حال فذكر التاريخ لا يعنينا كثيرا لأن هذا العهد كان حافلا بشخصيات كثيرة مثل علي بك الكبير ومحمد بك أبو الذهب وأحمد باشا الجزار . وقد أنار لنا سبيل البحث ما كتبه الجبرتي عن هذا العصر فإليه يرجع الفضل في إثبات أن التجديد والنص عملا بأمر من علي بك . ولسنا نريد انتهاز الفرص لنسرد تاريخ علي بك بأجمعه بل نرى أنه ليس من العبث أن نثبت هنا تقدير الجبرتي لعلي بك — وهو مؤرخ معاصر له — ذلك التقدير الذي يفسر لنا بجلاء ما حواه النص التاريخي من عظمة وتفخيم .

قال الجبرتي عن علي بك : « إنه كان رجلا قوي المراس شديد الشكيمة عظيم الهمة لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى والرياسة الكبرى لا يميل لسوى الجد ولا يحب اللهو ولا المزح ولا الهزل ويحب معالي الأمور من صغره حتى إنه قال مرة لمريديه : أنا لا أتقلد الإمارة إلا بسيفي . وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصريين ويقول لبعض خاصته إن ملوك مصر كانوا مثلنا مماليك الأكراد مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاوون وأولاده وكذلك ملوك الجراكسة وهم مماليك بني قلاوون إلى آخرهم كانوا كذلك وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها .

» وكان علي بك عظيم الهيبة [illegible] من هيبته وكثيرا ما كانت تأخذهم الرعدة عند المثول بين يديه . وصار منفردا في سلطنة مصر لا يشاركه مشارك في رأيه ولا في أحكامه »

وكشف الجبرتي مرة أخرى [illegible] أن علي بك جدد قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه وكشف ما علا أعلى الرصاص [illegible] في القرن الخامس وقد صدئ بطول الزمان [illegible] من الخشب النقي الجديد ثم جملوا عليه صفائح الرصاص [illegible] وهو عمل كثير وجدد نقوش القبة من الداخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب تاريخها تاريخا منظوما بخط صالح أفندي .

* * *

هذه هي البيانات القيمة التي وضحتها لنا النصوص التاريخية المنقوشة في قبة الإمام الشافعي ونرى تلخيصها لنستعرض ما ورد فيها من أسماء عظماء تاريخ مصر الإسلامي

فبعد ما مات الشافعي دفن في مقبرة بني عبد الحكم الذي منهم أول مؤرخ لمصر الإسلامية . والبناء الحالي يذكرنا صلاح الدين محيي السنة والمجاهد ضد الصليبيين الذين يشيدون بذكره إعجابا وتقديرا ويذكرنا بالملك الكامل الأيوبي وما جرى بينه وبين فردريك الثاني وفرنسوا . ثم يذكرنا بقايتباي [illegible] أسعد ملوك الجراكسة حظا وأطولهم عهدا وأعظمهم ذكرا . فقانصوه الغوري الذي بالرغم من شيخوخته تولى قيادة جيشه وهو ابن سبعين سنة وعرض حياته للخطر ليصون ملكه . وأخيرا يذكرنا بعلي بك الكبير ذي المطامع الواسعة والجهود الجبارة للاستقلال بمصر وهو حجر درس ومثال احتذاه محمد علي باشا الكبير فيما بعد . وكان علي بك رجلا قد [illegible] بعصر آخر ومسرح أوسع لسياسته ومطامعه ليدهش العالم بحنكته ويبهره بكياسته

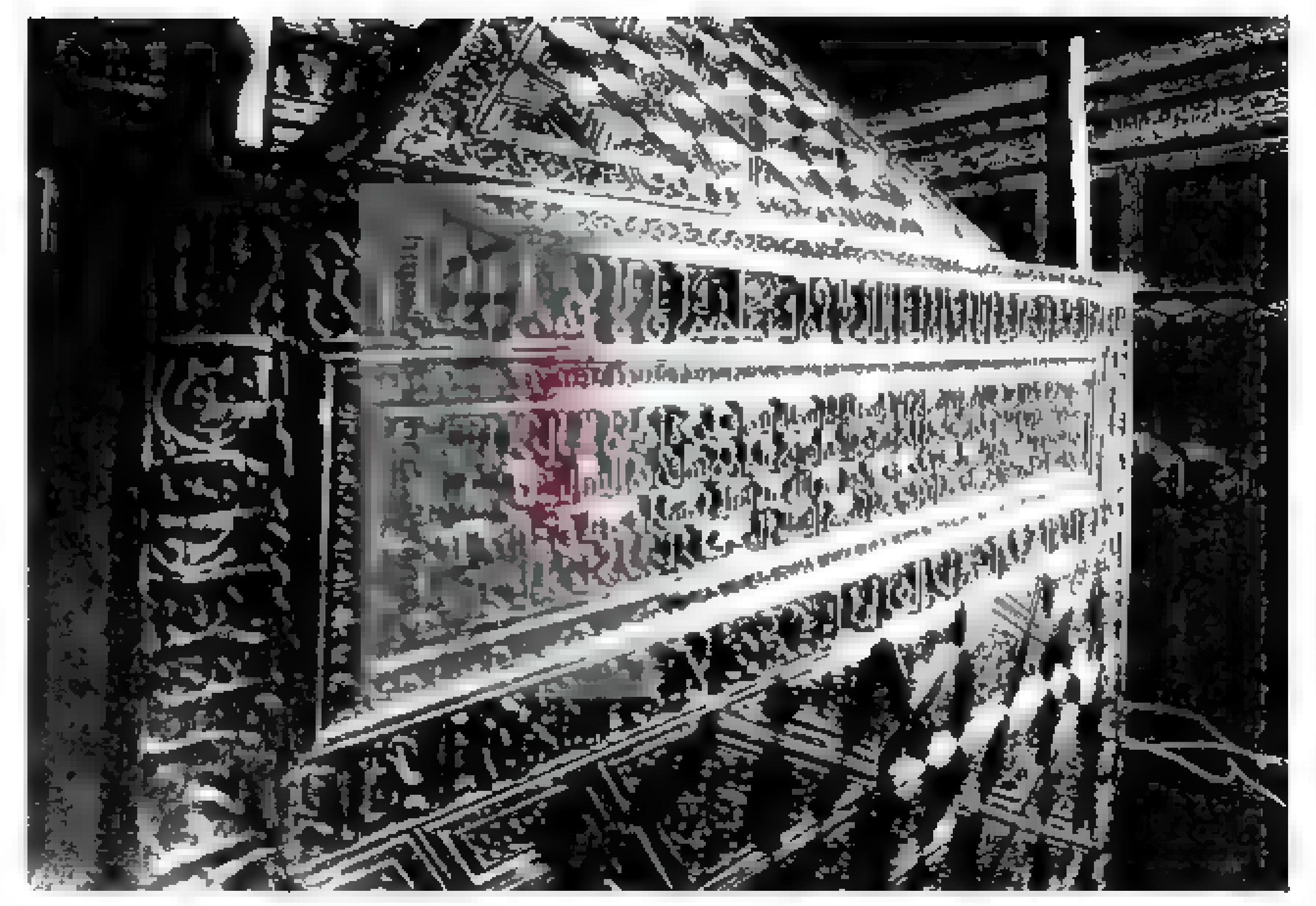

ـب من تابوت الامام
الشافعي عليه أربعة
سطور بخط الكوفي
المزهر البارز تتضمن
نسب الامام الشافعي
وتاريخ وفاته

[illegible] صاحب مشروع [illegible] الاطلنطروبا [illegible] عدة لاقامة المعرض الخاص بمشروعه اوصال اوربا بافريقيا . وقد كان الجزء الشمالي من قارة افريقيا في عهد الرومان من اخصب بقاع [illegible] سهول جنوباً من ساحل البحر الابيض . ويقول الثلاث ان في الامكان تعمير ما مساحته ثلاثة ملايين كيلو متر مربع من قارة افريقيا بالوسائل الحديثة وان هذا التعمير سيؤثر في جو تلك القارة ويجعلها ملائماً للعمران

لو عددنا المشروعات الخطيرة التي أخرجها المهندسون إلى حيز الوجود منذ أقدم الأزمنة حتى الآن — ومن أحدثها حفر ترعتي السويس وبناما — ما وجدنا بينها ما يوازي المشروع الخطير الذي نحن بصدده الآن والذي إذا أخرج الى حيز الوجود سيحدث أكبر انقلاب أحدثه عمل الانسان في الكرة الارضية جغرافياً واجتماعياً واقتصادياً

ولطالما سمعنا بمشروعات امتلأت بها مخيلة الانسان ثم أهملت ودفنت في زوايا النسيان ، كمشروع نفق المانش ومشروع نفق جبل طارق وغيرهما . وقد تكون العقبات المالية هي الحائل دون انجاز أمثال هذه الاعمال ، ولكن الاعتبارات السياسية أو الحربية كثيراً ما تكون هي الحائل الحقيقي

وأمامنا الآن مشروع هندسي عظيم يقضي بتغيير شكل الكرة الارضية وجغرافيتها وخلق قارة

صورة ممثلة لمشروع «الأطلنتروبا» ، يرى منها ان انخفاض مستوى البحر الابيض المتوسط يؤدي الى ظهور أراض جديدة في جنوبي اوربا وشمالي افريقيا فيخف الضغط عن تلك وتكثر وسائل العمران في هذه . ويظن الهر سورجل واضع أساس المشروع ان المانيا ستقوم بنصيب عظيم من العمل وتستفيد من المشروع فائدة عظيمة جداً

البحر الابيض المتوسط ووصل قارتي أوربا وافريقا عند بوغاز جبل طارق وبالقرب من جزيرة صقلية ومدينة تونس لكي يتسنى توسيع قارة أوربا وتكبير مساحتها لان خفض قاع البحر الابيض المتوسط يجعل الماء ينحسر فتنكشف الارض عن مساحات جديدة يمكن تعميرها وتخفيف الضغط الواقع على اوربا المزدحمة بالسكان

تبلغ زيادة عدد السكان في آسيا نحو عشرة ملايين نفس كل سنة . أما في اوربا فان الزيادة ضئيلة جداً نسبياً ، بل يكاد يصح القول بانه ليس ثمة أية زيادة في عدد سكانها . وسبب ذلك شدة ازدحام القارة الاوربية وعدم وجود متسع لأية زيادة . وفي الواقع ان متوسط الزيادة في الشعوب الشرقية توازي خمسة أضعاف متوسط الزيادة في الشعوب الغربية . وشعوب افريقا من أكثر الشعوب الشرقية توالداً . ومع ذلك فان في القارة الافريقية مجاهل وصحاري لو عمرت لزادت موارد العالم الاقتصادية والمالية وهذا الاعتبار وحده يكفي لحمل علماء الاقتصاد على التفكير في تعمير افريقا

ومما يجدر بالذكر أن الدلائل العلمية ، كبقايا النباتات والحيوانات المتحجرة وطبيعة الطبقات الجيولوجية في كلتا أوربا وافريقا ، تدل على ان هاتين القارتين كانتا في العصور الجيولوجية الخالية متصلتين معاً . وكانت القارة الافريقية في تلك العصور من أخصب بقاع العالم وأطيبها جواً وأكثرها غلة وأغناها موارد . وفي عهد الامبراطورية الرومانية كان شمال افريقا من سواحل البحر الابيض المتوسط إلى مدى ... من ... وأكثرها ... وصل المساحات ... التي

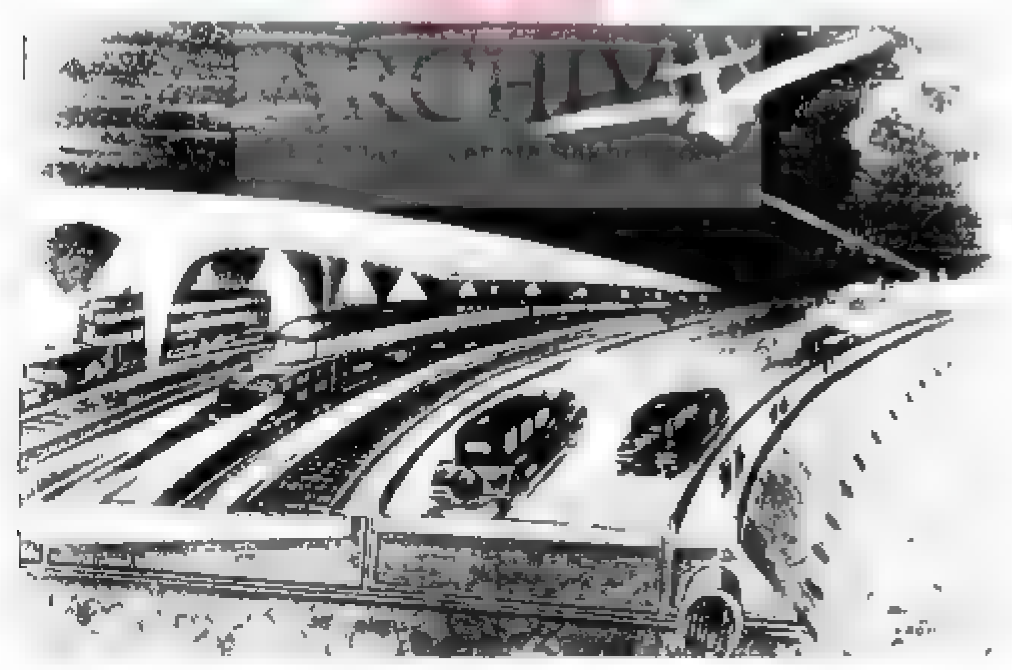

* تصميم « السد » المراد انشاؤه لوصل قارتي اوربا وافريقا عند بوغاز جبل طارق . وبواسطة هذا السد والسد الآخر المراد انشاؤه بين جزيرة صقلية ومدينة تونس يستطيع الانسان أن يسافر من أية جهة في اوربا براً الى مدينة الكاب من دون أن يركب البحر دقيقة واحدة

طوبوغرافيه افريقيا المقبلة بعد اتمام مشروع « اطلانتروبا » ونرى في هذه الصورة الابواب الهائلة التي يصب بواسطتها ماء البحر الابيض المتوسط في صحاري افريقيا وقفارها فيكسبها خصباً وغناء بما يحيي فيها من البحيرات ونحوها

قام بها فريق من علماء الاقتصاد على أدرس الامكان استغلال نحو ثلاثة ملايين كيلو متر مربع من القارة الافريقية بالوسائل الزراعية الحديثة . ويؤكد الثقات أن في الامكان التحكم في جو تلك القارة وجعله معتدلا وملائما لتعمير مجاهلها حتى تزيد المساحات الصالحة لسكنى البشر

وليس في وسعنا ان نشرح تفاصيل المشروع الذي نحن بصدده ، وانما نقول على سبيل الايجاز ان واضعه شاب مهندس الماني يدعى هرمان سورجل وهو من اهالي مدينة ميونخ ، ويعاونه في مشروعه اربعون مهندسا من أشهر مهندسي العالم . وقد ألفوا شركة مركزها مدينة جنيف بسويسرا بقصد نشر الدعوة لهذا المشروع واخراجه الى حيز الوجود . وسيقام هناك معرض لهذا المشروع . وقد

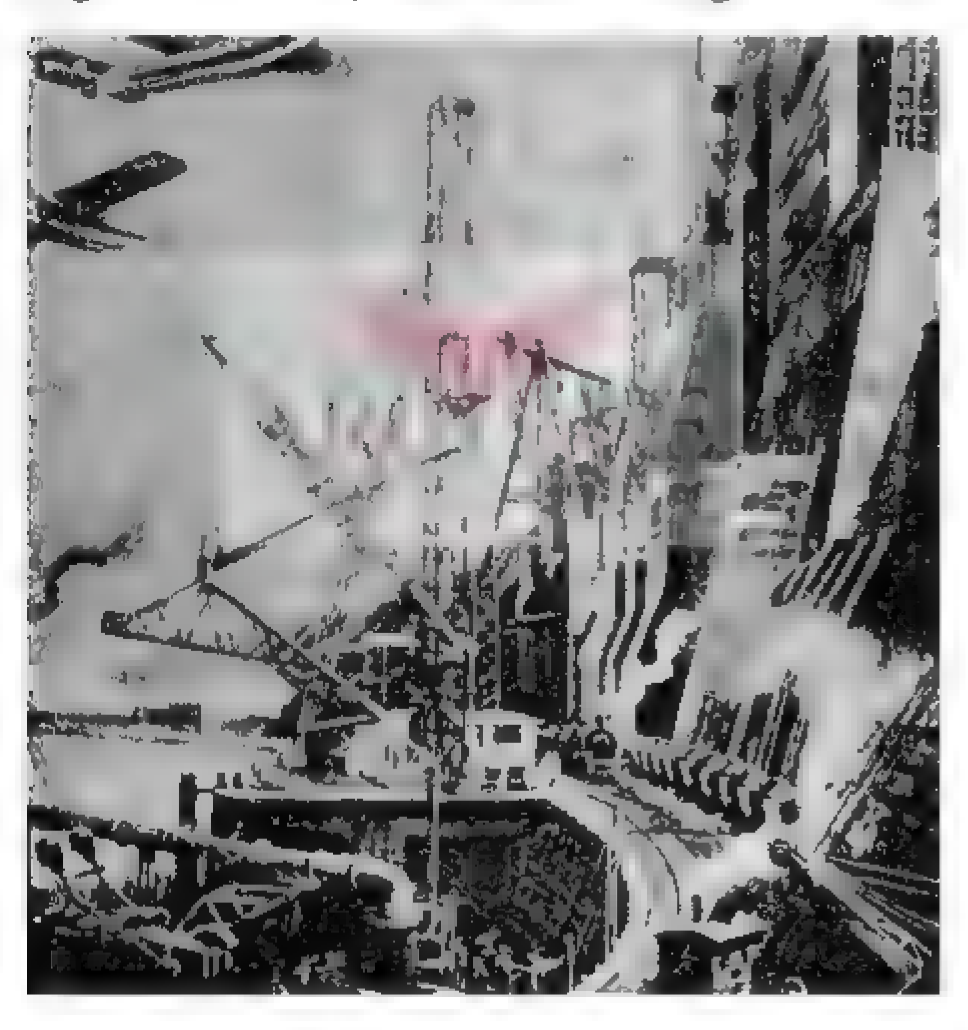

صورة ممثلة لمعرض « اتلانتروبا » الذي سيقام في مدينة جنيف ، وهي تمثل السد المراد انشاؤه فوق بوغاز جبل طارق

أطلق عليه اسم مشروع «أتلانتوربا» ـ مختصر كلمتي اتلانتيك واوربا ـ ويعتقد أنصاره أن في امكانهم الشروع في تنفيذه بعد زمن وجيز.

يبلغ اتساع بوغاز جبل طارق نحو اربعة عشر كيلومتراً وربع كيلومتر عند نقطة تقابل اسبانيا ومراكش. وينوي الاستاذ سورجل انشاء سد كبير يصل قارتي اوربا وافريقيا عند هذه النقطة حيث يجري في السد ثمانية وثمانون الف متر مكعب من ماء الاوقيانوس الاتلانتيك الى البحر الابيض المتوسط في كل ثانية على ان يحول هذا الماء وجانب من ماء البحر الابيض المذكور الى القارة الافريقية فتنشأ فيها البحيرات وتنقلب صحاريها الى اراضي خصبة ويؤثر في جوها تأثيراً كبيراً بحيث يجعلها صالحة للمعيشة.

وسيحتوي السد اثر انشائه على محطات كبيرة لاستيلاد قوة كهربائية تكفي حاجات صحراء افريقيا ولتنظيم ري القارة كلها

صورة أخرى معدة لمعرض «أتلانتوربا» الذي سيقام في مدينة جنيف وهذه الثلاثة الابراج تمثل اجتماع الفن والاقتصاد والسياسة في مشروع «أتلانتوربا»

خارطة [illegible] لمدينة [illegible] البحر [illegible] ما ستكون عليه [illegible] بعد انخفاض مستوى البحر الابيض المتوسط [illegible] الارض [illegible] ارتفاع [illegible]

[illegible]

وسينخفض مستوى البحر الابيض المتوسط [illegible] وتنكشف ارض جديدة على سواحل اوربا وسواحل افريقا وتظهر الى الوجود ارض يمكن تعميرها وانشاء مدن كبيرة فيها . ويقول اصحاب المشروع ان هذه الاراضي ستكون من أخصب بقاع العالم واكثرها عمرانا وان في الامكان انشاء مدن فيها تضم الملايين من السكان

ولن يكون توحيد اوربا وافريقا في مصلحة العمران فقط ، بل في مصلحة النظم الاقتصادية والسياسية القويمة أيضا إذ يتسنى بواسطة هذا العمل مقاومة الشيوعية التي يخشى أن تجرف اوربا من جهة الشرق وان يطغى سيلها على العالم أجمع

ومن فوائد هذا المشروع انه سيتمكن الانسان من السفر من اوربا الى مدينة الكاب رأسا بطريق البر من دون أن يسافر بالبحر دقيقة واحدة ، وفي ذلك اختصار عظيم لطريق البحر الذي تجتازه السفن اليوم في عدة اسابيع اذ هي مضطرة أن تسافر عن طريق رأس الرجاء الصالح

أضف الى ذلك ان القيام على هذا المشروع يخفف من وطأة الضائقة المالية التي تجتاح اليوم العالم إذ يوجد عملا لمئات الالوف من العمال ، لا للعمل في انشاء السد فقط بل لصنع الآلات واستيراد المواد اللازمة للمشروع

وقد قلنا ان المشروع يقضي بوصل اوربا بافريقا عند نقطتين هما بوغاز جبل طارق ونقطة تقابل جزيرة صقلية ومدينة تونس . وترى بعض تفاصيل ذلك في الصور المنشورة هنا

اثر المدنية العربية القديمة

في ثقافة مصر الحديثة

تتمة محاضرة الاستاذ محمد كرد علي

نشرنا في العدد الماضي الجزء الاول من هذه المحاضرة القيمة . وهي اول المحاضرات التي القاها الاستاذ الكبير محمد كرد علي في قاعة يورت بالجامعة الامريكية بالقاهرة . وقد ألم في هذا الجزء بموضوع الفتح العربي وصلات العرب بمصر ، وتناول البحث عن روح الفاتح العربي وعن حالة البلاد المصرية في ذلك الوقت ، وعن سياسة الفتح التي ادت الى سرعة انتشار تلك الثقافة التي حملها العرب الفاتحون الى مصر . وفيما يلي الجزء الثاني من هذه المحاضرة

أصبح سكان مصر في القرن الرابع أخلاطاً من الناس مختلفي الاجناس من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وترك وأرمن وحبشان وغير ذلك من الأصناف والاجناس وجمهورهم القبط واختلطت الانساب واقتصروا من الانتساب على ذكر مساقط رؤوسهم . وفي هذا القرن كان القبط يتحدثون بالقبطية على رواية المقدسي . وقلم كما قال ابن حوقل البيع الكثيرة وهم أهل يسار وفيهم قلة شر وكثرة خير . وقول الظاهري في القرن التاسع ان بالصعيد من الكنائس والديورة قريب الف ، وغالب اهله نصارى أي أقباط

اذا عرفنا هذا فليس ما يمنع من القول ان ثقافة مصر في الدول الاسلامية كانت تتمثل فيها العناصر العربية فتصبغها بصبغتها وتحيلها مصرية صرفة بعد جيل أو جيلين . وساعد على مزج الدخيل والاصيل فيها ورود النهي عن التفاخر بالجنسية والقومية وعدم التفاضل بين العربي والاعجمي الا بالتقوى . ومن مصطلح العرب ان كل من أقام ببلد ولو مدة وجيزة ثم مات فيه عد من اهله ونسب اليه ولما كان ابن وادي النيل ابداً بطبعه مولعاً بمائه وهوائه صعب عليه ان يهجره الى أقطار اخرى ليكثر سواد شعب غير شعبه . والمصري منذ القديم لا يبغي عن مصر حولا فهو مغتبط بنيله عاشق تربته راض بما قسم له . فكأن مصر منذ عهد الفراعنة الاولين بلد استيراد أكثر مما هو بلد استصدار . ولولا فريضة الحج في الاسلام ما خرج المصري الى الحجاز ايضاً يفارق ما في داره من النعيم المقيم

وكانت مصر في الدول العربية بارباب الرحلات من المحدثين والفقهاء والادباء والعلماء اكثر اتصالا فكرياً بالاقطار الاخرى من معظم الامصار لتوسطها بين البلدان العربية ، وترسل الى الامصار الاخرى ما لا يكلفها حمله كبير عناء من بضائع علمها وفنها وتفكيرها . واذا هاجر أحد ابنائها فهجرته مؤقتة ، والغريب قد تفتنه فيتخذها سكناً دائماً . وقد كثرت هجرة العلماء

اليها من اقطار الارض بعد القرن الثالث لان الفتن اندلع لسانها ولا سيما في العراق والشام ، والعلماء احوج الناس الى السلام . وكانت مصر ساكنة هادئة بفضل من استولوا عليها في ذلك الدور . ولما خرب المغول بغداد في القرن السابع رحل العلماء منها الى مصر على نحو ما جرى لما استولى الاتراك على الاستانة في القرن التاسع فرحل منها الى ايطاليا بعض علماء اليونان وكانوا من عوامل نهضتها . وفي رحلات المرتحلين من مصر واليها ضرب من ضروب تبادل الافكار . وكانت الجوامع تؤوي هذه الطبقات قبل ان تنشأ المدارس في القرن السادس ، وما خلت بيوت العلية من الناس في كل محلة ومنزلة من قبول النزلاء على الرحب والسعة ، والكرم ما انقطع من مصر في دور من أدوارها ، ذلك لان المصري كالعربي بعد الشح مثلة وأي مثلة

وفي قصة المرأة القبطية المشهورة مثال من هذا الكرم الفطري . ذلك أن الخليفة المأمون مر بقريتها «طا النمل» لما وافى مصر فسألته أن ينزل قراها ، ولما اعتذر بكت بكاء كثيراً وقالت : «لا تشمت بي الأعداء ولا تحرمني هذا الشرف الذي توليه وعقبي» ، فنزل عليها برجاله وجيشه فاطعمتهم من فاخر الطعام ولذيذه وبعثت الى الخليفة في الصباح بعشر وصائف مع كل وصيفة طبق في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وامرها باعادته فقالت : «والله لا أفعل» ، فتأمل المأمون الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله دنانير ، فقال : «هذا والله أعجب وربما يعجز بيت مالنا من مثل ذلك» . فقالت : «يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا» . فقال : «إن في بعض ما صنعت لكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيه» . فاخذت قطعة من الارض وقالت : «يا أمير المؤمنين هذا (وأشارت الى الذهب) من هذا (وأشارت الى الطين) ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير» . فأمر به فاخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعفاها من بعض خراج أرضها

رأينا العرب ينقلون منذ ابتداء افتراقهم أساس الثقافة العربية على نحو ما جروا عليه في كل قطر فتحوه فيشخص اليها رجال القرآن والفقه والرواة من الحجاز واليمن وفيهم الجهني والفهري والتميمي والتنوخي والمخزومي والمزني والعبسي واللخمي والقرشي والخزاعي والقضاعي والأزدي والحضرمي . ثم صار يغشاها الجرجاني والنيسابوري والمروزي والشيرازي والدينوري والسمرقندي والخوارزمي والبستي والطبري والهمداني والطوسي والجويني والتبريزي والشهرزوري والقزويني والغزنوي والهروي والخراساني والنسائي والبلخي والبيهقي والاصطخري والاهوازي والسيرافي والبغدادي والاربلي والكوفي والبصري والموصلي والحراني والواسطي والمصيصي والاسعردي والجزري والماورديني والطرسوسي والتفليسي ، والدمشقي والحلبي والحمصي والبعلبكي والحوي والطرابلسي والنابلسي والصفدي والمقدسي والعسقلاني والصباني . ثم الغرناطي والقرطبي والقيرواني والفاسي والتونسي والسوسي والصفاقسي والصقلي والميورقي

والصنهاجي والتلمساني . فكان علماؤها والممتازون من رجالها من أصول عربية أو من المستعربة . وبعد حين صرت تسمع باسم الاسكندرانى والدمياطي والرشيدى والتنيسى والمحلى والاسيوطي والبرلطي والاسوانى والطحاوى والقفطاوى والصدفى والبلقينى والبوصيرى والاخيمي والسخاوى والقلقشندى والاسنوى والاسنائى والصعيدى والقوصى والبحيرى والقليونى والطوخى والبيجورى والديروطى والشرقاوى والجيزى والجيزاوى والجرجاوى والدشناوى والدمهورى والفيومى والقفطي والارمنتى والاسكلوني والمناوى والمنياوى والبلبيسى والابيارى والادفوى والحوفى والشنطوفى والقنائى والبهساوى أو البهنسى والاشمونى والسمنودى ، الى غيرهم من الرجال الذين نسبوا الى مساقط رؤوسهم ، فادركنا لأول وهلة انهم من صميم المصريين ؟

عرفنا أن الثقافة التى انتشرت فى مصر جمعت بين القرآن والسنة والشعر والأدب . ولما تعينت المذاهب انتشر فقه المالكى والشافعى ثم فقه أبى حنيفة والفقه الحنبلى ثم الفقه الاسماعيلى مذهب الفاطميين من آل البيت ، وانقرض هذا الفقه الشيعى فى أوائل عهد دولة بنى أيوب . وانتشر التصوف أكثر من الفلسفة وصرف الناس همهم الى الحديث وعدوا من فروعها التصوف ونابذ الفقهاء الفلاسفة ولكن الامصار ما خلت فى عصر من الاعصار من مفسين وحكماء لو وقع الينا كل ما دون فى هذا لشغل لعرفنا طبقة كبيرة من هذه الاصناف . فعندنا طبقات المفسرين والمحدثين والحفاظ والشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة والادباء والشعراء والاطباء والحكماء والصوفية ، وما حفظنا فى تركة السلف على طبقات المصورين والنقاشين والمهندسين والموسيقاريين ، بل عرفناهم بالشيء القليل الذى جاء عرضا فى الكتب الباقية التى ما كتبت عليهم . ولو كتبوا هم باسمهم عن أنفسهم لاطلعنا من مخلفاتهم على أسرار فى هذه المدنية التى نمت عليها مصانعهم وتجلت بها هندستهم الجليلة وتراتيبهم التى ماخلت من ابداع ، وتم بذلك تاريخ التهذيب العربى وما انتج من بدائع وروائع . ولا يعقل ألا يترجم المفننون لرجالهم . والغالب ان مدوناتهم فقدت فى جملة ما فقد من ثروتنا العلمية والادبية فى الفتن والثورات والعوامل الارضية والسماوية

ولو وقع الينا مادونه أرباب الصنائع والفنون كما انتهى الينا مادونه علماء الشريعة والادب والتاريخ لعرفنا خبوراً نجهله . وكم من علم اندفن فى صدر ومن فن مافقده الناس فقدره فزهد الناس فيه . وهذه المصانع التى أبقت الايام على رسومها فى الفسطاط والقطائع وما فى جوارها من القاهرة المعزية من المدارس والجوامع والرباطات والمستشفيات ـ شاهدة بما ابدعت تلك العقول والانامل التى حملت شيئاً كثيراً من العلم والعمل . وقد اشتركت الطوائف الدينية الثلاث فى إخراجها للناس وكان سواد الاطباء والمنجمين والمهندسين من غير المسلمين وخاصتهم اليهود

بادىء بدء . فأصبح سوادهم الاعظم من المسلمين فى الادوار التى كثر فيها من انتحلوا الاسلام

أخذ القوم فى القرن السادس ينشئون المدارس ينزلون فيها كل من يحب طلب العلم ويتصدقون على الدارسين والمدرسين مايقوم بهم على حد الكفاية . بدعة حسنة ابتدعها عقل صلاح الدين بن يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام . وكثرت المدارس بعد ذلك حتى لاتكاد تخلو منها الحواضر الصغيرة . وضاع كثير من أخبارها فى جملة ما اتت عليه الايام . فقد كان فى قوص فى القرن السابع ستة عشر مكانا للتدريس وبأسوان ثلاثة وباسنا مدرستان وبالاقصر مدرسة وبارمنت مدرسة وبقنا مدرستان . لاجرم انه كان فى المدن الاخرى كالاسكندرية وبلبيس ودمنهور وغيرها مجالس ومدارس لطلب العلم الدينى . وعلوم العربية تابعة له ومعينة على تفهمه .

وانشأ الحاكم بامر الله الفاطمى فى سنة ٣٩٥ دار العلم أودار الحكمة فى القاهرة يجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والاخبار ورتب فيها قوما يدرسون الناس العلوم وسبل عليهم حزانة فيها كتب عظيمة فيها من كل فن خبر . وكان من جملة مايعلم فيها الطب والرياضيات والمنطق وبقيت نحو ١١٥ سنة عامرة . وعاد الافضل فى آخر أيام العبيديين فأسس دار العلم سنة ٥٧١ واستخدم فيها مقرئين ولم تزل عامرة الى انقراض الدولة الفاطمية . وكان القائد جوهر الصقلى فاتح مصر باسم الفاطميين انشأ الازهر فاصبح منذ عهدهم الى اليوم مصدر العلوم الشرعية ومباءة الآداب انشأوه لنشر التشيع وظل على ذلك طول أيامهم . وكان غرامهم كثيراً فى الدعوة لمذهبهم تقرأ على تبعه ـ ويسمونه داعى الدعاة ـ كتبهم بدار العلم وطبيعى أن يتبع تعليم المذهب تفقه العربية على اصولها

وبقى الناس فى مصر يستفيدون من كل ماتأتيهم به الدولة الحاكمة . والواقع ان كل دولة حكمت مصر ولو حقبة صغيرة من الدهر ابقت اثراً من آثار غيرتها على العلوم والصنائع وعنيت بنشر الآداب . يتراءى ذلك من النظر الى المصانع والآثار وما دون المدونون من تاريخ وأخبار . وكان غرامهم ظاهراً بانشاء المساجد . وقد ضاقت مرة بيوت الاموال من مال الخمس فى مصر فصدر أمر الخليفة ببناء المساجد واستفق الناس أيام كافور الاخشيدى ولم يجد أرباب الاموال من يقبل منهم الزكاة فأمرهم أن يبنوا بها المساجد ويتخذوا لها الاوقاف . وما كانوا يغفلون مع هذا عن بناء القناطر والجسور والعمائر النافعة لجلب السعة الى المصريين ولئلا يقل الارتفاع اذا اهمل امرها . وبعد فمن كان يظن ان دولة الايوبيين التى خلفت وماتت فى الحروب الصليبية وبها كانت الشام ومصر فى أمر مريج ـ تعنى أيضاً بالعلوم والصناعات واعمال العمران ؟ هذا والدولة فى حالة تقلقل عظيم لدفع صائل أهل أوربا عن هذا القطر والديار الشامية

وقد وصف ابن جبير فى القرن السادس مفاخر الاسكندرية وعد منها المدارس والمحارس أى الابراج الموضوعة فيها لاهل الطلب والتعبد يفدون من الاقطار النائية فيلقى كل واحد منهم

مسكناً يأوى اليه ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه. قال: «واتسع اعتناء السلطان أبى صلاح الدين بن أيوب بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى امر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم». وقال فى كلامه على مصر والقاهرة: «وما منها جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوى اليها ويلزم السكنى فيها تهون عليه فى ذلك نفقات بيوت الاموال وانه امر بعمارة محاضر الزمها معلمين لكتاب الله عز وجل يعلمون ابناء الفقراء والايتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم». وذكر غيره ان جامع مصر كان غاصاً بين العشاءين بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الادب والحكمة، ولا ترى اجل من مجالس القراء به وان هذه المجالس كثيرة وربما لا يكاد يخلو مسجد كبير من مجلس يسمع فيه الناس علماً وحكمة وعظة. ويقول المقدسى فى الفسطاط: أنه ليس فى الاسلام أكبر مجالس من جامعه وانه معدن العلماء وان نغمة أهل مصر بالقرآن حسنة

بل من كان يظن ان دولتى المماليك البرجية والبحرية – وفى ادارتهما بعض الشدة – تعنيان بالآداب والمعارف على مثال الدول العربية السالفة، حتى كثرت فى ايامهم المدارس والجوامع والترب كثرة عجيبة وارتقى فن البناء وظهرت علائم الترف وكثر المؤلفون والباحثون وزادت علاقات مصر بدول الغرب، وعلاقاتها بدول الشرق. بل فى ايامهم تنافس الامراء فى تشييد الزوايا وكانت كل زاوية تعمر بطائفة من معمريه. وفى عهد بعض ملوكهم تنافس الامراء والكبراء فى بناء المساجد وزادوا فيها غلوا لأن أمير الوقت كان يغلب عليه الصلاح، وحبيب الى قلبه ان يرى ذلك من رعيته ورجاله، والناس على دين ملوكهم. وما نراه فى بعض الاحياء القديمة فى القاهرة من قيام الجامع الى جانب أخيه هو أثر من آثار هذه العناية ولو كان اجتمع جماعة على بناء الجامع الواحد بدل اختصاص كل فرد بعمله لجاء العمران فى مصر وغير مصر صورة عظيمة من صور التضامن الاجتماعى ولكتب البقاء للمصانع الكبرى أكثر من غيرها

وأكثر ما نعم مصر فى علمها وجعل لمعظم مظاهر العقل فيها مظهراً خاصاً انها تمتعت من العهد الاموى والعباسى بأجمل ايامهما، وكان لها ابداً شبه إدارة خاصة، ولطالما نزعت الى الاستقلال الجزئى أو الكلى. وباستقلال ابن طولون بها عمرت عمرانا غريباً ما عهدته منذ قرون. ومن أهم ما حفظ لمصر شخصيتها وأبقى عليها آثارها قيام صحراء التيه فى طريقها الى بلاد الشرق، فتحامى كثير من الفاتحين اقتحامها من البر وكان من الصعب اقتحامها من طريق البحر فى عصور سفن الهواء. ومن سعادة مصر أن بيت المقدس بعيد عن حدودها لما غزاها الصليبيون مائتى سنة لاستخلاصه كما وقع فى الشام. ومن حسن الطالع ايضا ان اشرار الفاتحين امثال جنكيز وهولاكو وغازان وتيمورلنك ما حدثتهم انفسهم فى التقدم لاحتلالها فنجت من

تخريبهم على ما خربوا فى بلد نزلوه من بلاد الاسلام فى القرن السابع والثامن والتاسع

وأبت الأقدار الا أن تسلم مصر بأخرة سائر الأقطار العربية فى حظها من الفاتحين لجاء سليم الأول العثمانى المدعو بالجبار (ياوز) من طريق صحراء التيه يضرب على أيدى المماليك فيها . وكانت نفوس المصريين قد سئمت أحكامهم أواخر أيامهم ونمى الى المصريين من أخبار الدولة العثمانية ما يغرى بها ، فعلقوا على انضمام مصر الى الأتراك آمالا طوالا . بيد أن الاحتكاك بالترك العثمانيين أظهر ان طبيعة المغول واحدة لانهم والترك من جنس واحد ، وهؤلاء لايفضلونهم إلا لأنهم دانوا بالاسلام بيد أنهم تعاموا تخريب البلاد التى يمتلونها على الغالب ، فلا يتحرجون من إدخال الوهن على مقوماتها . فقد عمل السلطان سليم فى هذا القطر أعمالا نابية عن حد الانصاف . ومن أهمها أنه أخذ الى القسطنطينية الممتازين من رجالها والناشئين من أرباب الصنائع بها فبطلت فيها خمسون صنعة . هذا الى ما حمله معه من ذهبها وجواهرها وعادياتها وكتبها وأعلاقها . واتفق قبل فتحه أن وفق البرتغاليون الى الطواف حول افريقية ففتحوا طريق رأس الرجاء الصالح وحولوا تجارة الشرق عن مصر وكانت سوقها الكبرى دهراً طويلا ، وبحر القلزم أم معبد لها . وكان من هذا الاختلاط والتمازج مع أهل الاقطار الأخرى فائدة لمصر ، فلما ضعفت تجارتها افتقرت وكان من عوامل التقهقر انتشار الأوبئة كل مدة لا تبقى من الناس ولا تذر ، ولئن قلت ولا تزيد مصر ، فكم ما دامت على عهد الجارة !

كانت الحكومات التى حكمت العثمانيين بأجمعها ـ مهما كان لونها ـ تفكر فى خير مصر لأنها تأكل منه وتستمتع به . فعطف على رجال الأدب وحملة الشريعة ونشط الصناعات والتجارة والزراعة . ومنذ فتح الفاتح مدينة القسطنطينية حاول أن ينشىء له مدينة اسلامية تضاهى على الأقل مدينة مصر فى عهد المماليك فأخفق لأن استعداد أمته للصناعات العلية والعملية كان ضعيفاً وأمته حربية صرفة . وربما عد الأتراك اعمال اليد والفكر مما لا يتناسب مع عظمة الأمة المالكة فتركوا العناصر الاسلامية وشأنها تنتج وهم يتنعمون

وما كان هم الدولة الوحيد فى مصر غير جمع المال من رعاياها واغناء طبقة خاصة من رجالها كما كان من رجال رومية على عهد دولة الرومان . فتركت القطر غرض الرماة من الولاة . وكثيراً ما كانت تصيبهم أشهراً قليلة لئلا يخرجوا بطول الزمن عن طاعتها . ومن كان منزله منزل قلعة كيف يتسع له الوقت ليفكر فى اصلاح مختل وإيجاد مفقود ؟ هذا إن كان على استعداد لعمل الخير للناس . وظل بقايا المماليك على كثرة من قتل منهم فى الفتح العثمانى حكام مصر بالفعل . ولا تكاد تقع فى أهل هذه الدولة الأعجمية على شىء اسمه ثقافة أو أدب أو عمران ، واضمحل فى عهدها كثير من شخصيات الأمم ، وأصبحت المدارس اصطبلات ودوراً وبطل التدريس واستصفيت الوقوف التى حبسها عليها أهل الاحسان من الملوك والأمراء والاغنياء

وانحط الازهر فى أيامهم ، ورفع منه معظم ما يفتح النفس ، وشيبت العلوم الدينية بما لم يكن فيها فضلت الافهام لزهد العلماء فى كتب الاقدمين السهلة الواضحة وتعلقهم بكتب المتأخرين . وسقط الشعر الى الدرك الاسفل وأمسى النثر ابرد من عضرس وآض الطب والهندسة وسائر الفنون اسما بلا مسمى

ثم ضعفت الآداب حتى ما تكاد تعد مصر بعد القرن الثامن من الشعراء من يجدر بالناس أن يتناقلوا كلامهم وفسدت الكتابة بالسجع السخيف . وفى الكتب نموذجات من كل عصر لا ترضيك منها السلطانيات ولا الاخوانيات ، اى ما صدر عن الملوك والامراء وما صدر عن الافراد من الادباء وعلى تلك النسبة انحطت الخطابة وكان لها فى عصور الارتقاء مواسم جنية الثمرات تنفع فى رفع مستوى العقول فى الاخلاق والسياسة ومعظم المظاهر الاجتماعية ، فأصبحت فى هذا العهد عاملا من عوامل الزهد والتوكل وتسويد الدنيا فى وجوه من يسمعونها وتعليمهم الرضى بالدون من العيش ، فأماتت الهمم وزعزعت الشمم ولقنت الناس مبادئ لو سار عليها المسلمون فى قرونهم الاول لما أعمروا مدنية جميلة ولا أسسوا ملكا صحيحاً

وتضعضعت الاعصاب فوهنت المدنية ، وهل المدنية غير هذه الاعصاب القوية ؟ وذلك بما انتشر فى أرجاء القطر من اهواء جديدة علمت الناس الكسل وأبعدتهم عن حياة العمل ورواجت الخرافات والترهات والعقد من الاعتقاد بالكرامات والاستمداد من اهل القبور والنذر لها والاجتماع حولها بما لم يعهد له مثيل فى مجتمع القرون الاولى للاسلام ، كأن المتأخرين عرفوا من روح الدين ما لم يعرفه جماعات الصحابة والتابعين وتابعوهم وبطل حكم العلوم المادية وما عادت الآداب تنفع فى إنارة الافهام وعمى حال المجتمع وجهلت من يستحسنها او يستهجنها ، ومن يقرها أو ينقدها . وغدا الناس لايتفاهمون فى مصالحهم الجزئية مع حكامهم إلا بواسطة التراجمة وأصبح القضاء تركياً والادارة تركية والروح تركياً ومئات الالوف من أهل مصر لاتقص لهم ولا ابرام فى ترتيب بلادهم وموارد حياتهم

يقول مؤرخو الترك ان السلطان سليما فاتح مصر وبلاد العرب كان ينوى أن يجلى غير المسلمين عن بلاده بحيث تصبح اسلامية صرفة فمنعه من ذلك شيخ الاسلام زنبيلى على افندى وقال ليس لك أن تزحزحهم عن أرضهم ولا حق لك فى غير الجزية منهم ، وانه كان من أمانى هذا السلطان ان يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ولكن الاجل لم يساعده على إنفاذ أمانيه لما شغل به مدة حكمه من الحروب والغارات . ومهما أحسن الظن بما كان من نيته فالعبرة باخراج أمانيه من حيز القول الى ميدان العمل . ولو بدأ على الاقل بان يكتب أوامره الى البلاد العربية بلغتها لقلنا انه يمهد السبيل لما يرى فيه سلامة الدولة والامة ، وإلا فالتفكرات كثيرة والمناهج لاحد لها . وقد يبيت آحاد الناس افكاراً جيدة لاتعد فى معرض العمل إلا من عالم الخيال ، وبعض الافكار النافعة أيضا اذا طبقت كانت شيئاً مذكوراً

وما زالت حال القطر المصرى الى تقهقر خلال القرون الثلاثة التى حكمت الدولة العثمانية فيه مباشرة حتى قيض له رجل اعجمى صحت عزيمته على تأسيس مملكة عربية. عنينا به محمد على الكبير. وسار فى ملكه بسيرة من ملكوا فى الاسلام من أجناس الترك والشراكسة والكرد والبربر والفرس والديلم، أى انه لم يتخذ غير العربية لغة ورسم خطها، من سبقوه الى حكم مصر من غير العثمانيين، وعنى عناية خاصة بنشر الثقافة الغربية ينقلها عن فرنسا وغيرها فاحيا ربما كادت تفنى وادخل روحا الى جسم على بلى، والعلم منذ كان محتاج الى العلم، فالتهم المصريون العلوم المادية التى اتاهم بها المصلح الجديد. وما قاوم رجال الدين التيار الطارىء الذى انساب اليهم فاغضوا عما لم يستحسنوه كثيراً فى باطنهم، خلافاً لما كان من جماعة انتظموا فى مثل سلكهم فى فروق عاصمة الخلافة، فانهم قاوموا الطباعة وافتى بعضهم بتحريم طبع القرآن وقاوموا العلوم المادية وحظروا تعلمها وقاوموا اللباس الغربى والطربوش كما كانوا من قبل حرموا القهوة والدخان، فتنزل فى هذه السبيل أولا وآخرا الوف من الخلق. والمصرى على مايظهر أكثر الشعوب الاسلامية تسامحا وحرية، وان كان العرب وما زالوا منذ عصر صاحب الرسالة دعاة الدين وأمناءه، وتسامحهم مع من يخالفهم موضع العجب

دخل الاصلاح ديار مصر يتناول أكثر الفروع وامتاز قسم المدنيون بنشر ثقافتهم والحكومة من ورائهم تحميهم وتنصرهم ولم ير المتدينون بعد قليل من الشكوى الا ان يسايروا الزمن ورضوا أن يدخلوا فى انفسهم ورا ءهم شيئاً من الجديد المفيد وسدوا أو كادوا ما وضع من الكتب فى عصور الانحطاط الفكرى وانشأوا يطبقون مفاصل الاصلاح على طرائقهم بطء وتأن، وفتحوا السبيل الى ان يتذوق طلاب العلم الدينى ما فاته من العلوم التى دعوها بالعصرية وكان الاولى أن تسمى بالعلوم القديمة كالرياضيات والطبيعيات والفلك والتاريخ وتقويم البلدان، فتخرج من الازهر وسائر المعاهد الدينية فى القطر علماء تعلموا فى الجملة على غير الطريقة التى كانوا يمارسونها قبل ثلاثة اجيال وكانت تضعف العقل وتثلم الحواس

وكان الفضل الاعظم فى ايجاد هذه المجموعة الجديدة من الثقافة واحياء الآداب العربية لمدارس الحكومة على اختلاف درجاتها حتى يصل الطالب الى الجامعة. وأخرجت دار العلوم تلاميذ كان منهم اقدر العلماء والادباء. وعمد اخيرا قصد المدارس الخاصة التى تؤهل طلابها للحياة الحرة. لاجرم ان وزارة المعارف منذ تأسيسها لم تأل جهدا فى تحقيق رغبتها فى نشر العلم، ولذلك كانت تساير الزمن فى نشوئها وارتقائها. ومنذ انتظم امر البعوث الى مدارس الغرب ترسلها الحكومة أو الافراد دخلت ثقافة مصر فى طور جديد واصبح فريق الدينيين وفريق الدنياويين لا ينظر كل منهما الى صاحبه النظر الاول، وربما اضمر الواحد للثانى حرمة وحدثته نفسه لو شاركه فى كل ماوعى ودرس. وقام فى مصر ارقى رجال العهد القديم الذين تخرجوا

بالتعاليم الدينية، وارتقى طبقة من رجال العلم الحديث ثقفوا احدث الاساليب الغربية واستساغ كلاهما طريقته وقام بقسطه من تربية ابناء مصر، وتوشك ألا تبقى ناحية من نواحي العلوم والفنون لم يعالجها المصريون ويبرزوا فيها بقدر ما سمحت قرائحهم وساعدهم اتساعهم، واصبح الاحصاء — وهو العلة الاولى في ارتقاء العلم في الغرب — مما يحرص على الاخذ به المتعلمون وكان من يطلق عليه اسم العالم في القرون الغابرة ثمة يدعي معرفة كل شيء ولا يكاد يتقن مسألة من المسائل

ومن نظر اليوم في المدارس على اختلاف درجاتها وعارضها بما كان من نوعها منذ جيلين من الناس، وأمعن النظر فيما تخرج اليوم من الطلاب المجهزين بأجمل جهاز عقلي، وما كان يصدر عن المؤلفين والكتاب والشعراء من الآثار وما يخرجون للناس منها لعهدنا، وما كانت عليه الصحافة المصرية زمن الخديو اسمعيل وعهد ابنه الملك فؤاد الاول، وكيف كادت صحافة مصر في هذه الاعوام القليلة تضاهي صحافة الامم التي بدأت بالنهضة منذ أربعة قرون — من رأى هذا يسجل مسروراً بأن قرناً واحداً تخلله فترات وهجمات كفى هذا القطر بان يصطنع له ثقافة فيها كل الخير لحياة مصر في مادياتها ومعنوياتها

الجوامع والبيع والمدارس والمحاكم والاندية والصحف ودور التمثيل والغناء غيرت لهجات القوم حتى قربت اللغة العامية من الفصحى قرباً غريباً. ولئن اديسون اخترع الحاكي في القرن الماضي فحفظت لنا في اسطواناته لهجة الناس منذ مائة سنة لنقارنها بلهجتهم اليوم ونسمع كيف كانت أحاديثهم في المجالس والمدارس ومواعظهم في الجوامع والكنائس وخطبهم في الاندية وقضاؤهم في المحاكم. وعسى ألا ينقضي جيل أو بعض جيل حتى تصبح لغة التخاطب كلغة الكتابة . والكمال في ذلك مضمون كلما تسلسل الترقي في أبناء مصر واستوفوا نصيبهم من المعارف ودأبوا على التحصيل والاتقان، حباً بالعلم للعلم لا رغبة في نيل الشهادات والالقاب ثم احتلال المناصب فقط . وعندما يعلون عن أنفسهم ويضمون من كانوا الى أمس ينكرون — بعوامل جنسية أو دينية أو سياسية — يصل المصري في تقدمه أشواطاً في طريق الحضارة العالمية

وبعد فلا علينا — وقد أجملنا الادوار التي تقلبت على ثقافة مصر — ان نوجز في تعريف هذه النهضة الحديثة التي تمت في ظل الدولة العلوية وفضل من اختارتهم من خيرة المصريين. وما جماع ما يقال فيها الا انها اصلاح ثقافة قديمة واقتباس ثقافة حديثة ضمت الى جملتها، فكانت سيرة الدولة المصرية في هذا الشأن سيرة الدولة العباسية في أول أمرها، ارتقت فيها العلوم النقلية والعلوم العقلية معاً، نظرت في عامة علوم الدين وما ينبغي لها، واقتبست علوماً مادية كانت راسخة عند من تقدموها في الاخذ بمذاهب الحضارة، فصح ان تدعى الثقافة المصرية الآن ثقافة عربية غربية اسلامية، تحس فيها روح العرب وروح الغرب وروح الاسلام وفيها أثر حكمة القدماء والمحدثين ومن كل معنى طرب

دار الحكمة المصرية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

في هذا الفصل يجد القارىء خلاصة وافية لتاريخ دار الحكمة المصرية الفاطمية ومجالسها الشهيرة ، وشرحاً لنظم الدعوة الفاطمية ومراتبها ، ووسائل بثها على يد داعي الدعاة ورسله

يبعث استعراض العصر الفاطمي في مصر الى كثير من التأمل ، فهو على عظمته وقوته لايزال كثير الغموض ، بينما نراه في بعض المواقف يسطع بهاء ووضوحاً وقوة ، إذ نراه في مواقف أخرى قاتماً قليل الوضوح كثير الريب . ويبدو ذلك بوجه خاص في نواحيه الدينية والسرية ، فهنا تعرض من آن لآخر ظلمات يصعب استجلاؤها . ويرجع ذلك بلا ريب الى أنه لم نتلق الكثير من مصادر هذا العصر وتراثه ، وان هذا التراث قد عصفت به يد الحكومات والدعوات الدينية الخصيمة التي قامت على أنقاض الدولة الفاطمية

وقد لانجد في تلك المرحلة العظيمة من تاريخ مصر — وهي مرحلة امتدت أكثر من قرنين — أغرب وأغمض من عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ و ٩٩٦ — ١٠٢١ م) ثالث الخلفاء الفاطميين في مصر ، وولد العزيز بالله وحفيد المعز لدين الله . ومع أنا نعرف الكثير عن سيرة الحاكم ، فان هذه الشخصية العجيبة ما زالت تبدو وسط حجب كثيفة من الخفاء والغموض ، وتكتنفها الأسرار من كل ناحية . واذا كنا نستطيع أن نستخلص من أعمال الحاكم ، وتصرفاته العجيبة المتناقضة ، أنه كان رجلاً وافر الاقدام والجرأة ، ولكن وافر الاضطراب والتناقض ، مضطرم النزعات والأهواء ، مختل المنطق ، فانه يصعب علينا من جهة أخرى أن نستخلص حقيقة البواعث والعوامل التي حملت هذا الذهن الهائم الى ذروة الخفاء والشذوذ ، وأملت عليه تلك الأعمال والتصرفات العجيبة التي قلبت المجتمع المصري رأساً على عقب ، وبثت به كثيراً من بواعث الدهشة والروع

بيد أن هنالك حقيقة نستطيع أن نلمسها وراء هذه الحجب القاتمة ، وهي أن الحاكم بأمر الله كان يعمل لغاية جوهرية عملت لها أسرته دائماً ، وهي تقوية الدعوة الشيعية التي قام عليها ملك الفاطميين السياسي . وكانت هذه الدعوة حديثة بمصر . ولما كانت مصر قد غدت منزل الفاطميين ومثوى ملكهم ودولتهم ، فيجب أن تغدو مركز الدعوة الشيعية الفاطمية ومسرحها ، ويجب أن تقوى هذه الدعوة وتدعم بكل الوسائل السياسية والفكرية . ولم يكن اعتماد الفاطميين في بث دعوتهم على سلاح التشريع قدر اعتمادهم على الدعاية السرية وغزو الاذهان بطريقة منظمة ، لأنه إذا كان التشريع وسيلة السيادة المادية ، فان الدعوة المنظمة هي الوسيلة لغزو الأذهان المستنيرة . وقد كانت الدعاية السرية وسيلتهم الى تبوء الملك ، فلما ظفروا بالملك رأوا أن يستمروا في الدعوة السرية الى

جانب الوسائل السياسية ، فكان لهم دعاة فى سائر الاقطار الاسلامية ، وكانت مصر مركز هـذه الدعوة ومجمعها . ومن القريب ان يكون الحاكم بأمر الله ، ذلك الذهن المضطرب الحائر هو أول من فكر من الخلفاء الفاطميين فى انشاء معهد رسمى منظم يعمل لبث الدعوة الفاطمية السرية ويكون مركز الدعاة ومرجع الوحى والتوجيه

هذا المعهد الغريب الفذ فى صحف الدعوات السرية الاسلامية ، هو دار الحكمة المصرية أو دار العلم ، انشأه الحاكم بأمر الله فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس سنة ١٠٠٥ م)، وكانت الدعوة الفاطمية تلقى قبل ذلك بطريقة رسمية علنية على يد قاضى القضاة . فكان يجلس بالقصر ويهرع اليه الناس أفواجاً محتشدة لتلقى الدعوة والدخول فيها . وكان يخصص يوم للرجال ويوم للنساء من الكافة ، ويخصص يوم لأبناء الطبقات الرفيعة . ولكن الحاكم رأى ان تكون هذه المجالس أوسع مدى وأن تنظم فى سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمى واحد ، فأنشئت دار الحكمة . ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه العلمى الحر الذى أريد أن تتخذه هذه المدرسة أو بالحرى هذه الجامعة التى كانت تضم هذه [illegible] وكانت عامة ، وفى دار الحكمة جناح كبير بالقصر الفاطمى ، وعين فيها أساتذة [illegible] ، وخصصت فى مجالس للقراءة [illegible] والطب والتنجيم . وأنشئت لها مكتبة عظيمة [illegible] صفحة . وكان التعليم فيها حراً على نفقة الدولة ، [illegible] اليها طلاب من كل صوب . وأفردت [illegible] بها مجالس خاصة . بيد أن هذه الجامعة الحرة [illegible] الا ستاراً ووسيلة لتحقيق الغاية الأصلية ، وهى بث الدعوة الفاطمية ، [illegible] ونشر دروسها للاولياء والانصار ، ويتولى أمرها داعيا قاضى القضاة

وفى أواخر سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) الغيت مجالس دار الحكمة بالقصر ، ولكنها أعيدت فى العام التالى ، والغيت مرة أخرى فى أواخر سنة ٤٠٢ هـ ثم أعيدت بعد بضعة اشهر . ولكن الظاهر أن مجالس الدعوة كانت تعقد دائماً . وكانت هذه المجالس فى الواقع من رسوم الخلافة الفاطمية . وقد بدىء بها بمصر منذ أيام العزيز بعد سنة ٣٨٠ هـ . وكانت تخصص فى المبدأ لقراءة علوم آل البيت طبق الاصول والتقاليد الشيعية ، ثم تطورت الى نوع من الدعوة الدينية السياسية واتخذت سبيلا لحشد الدعاة والانصار تحت اللواء الفاطمى الدينى والسياسى ، ونظمت كما رأينا فى مجالس الحكمة ، وأحيطت بذلك الجو العلمى الحر الذى اتخذت دار الحكمة ثلثه بحلقاتها وكلياتها المختلفة

واذا كنا لا نستطيع أن نتتبع تاريخ ذلك المعهد الفاطمى الغريب بأوضاعه التى وصفت كهيئة علمية مستقلة من بعد عصر الحاكم بأمر الله (سنة ٤١٠ هـ) فانا نستطيع بالعكس أن نتتبع مجالس الحكمة أو مجالس الدعوة حتى أواخر عهد الدولة الفاطمية ، وان كانت قد فترت قبل بعيد وفقدت كثيراً

من أحيائها ونشاطها . وكان تنظيم هذه الدعوة وبثها اولا من اختصاص قاضي القضاة ، ولكنها لما نمت واتسع مداها عهد بها منذ قيام دار الحكمة الى زعيم خاص يلي قاضي القضاة في الرتبة ويسمى « داعي الدعاة » أو رئيسهم ، وأنشيء لها بين وظائف الدولة ديوان خاص ، وكان هذا المنصب الخطير من أغرب الخطط الدينية التي انشأتها الدولة الفاطمية ، كما كان داعي الدعاة من اغرب الشخصيات الرسمية التي عرفت . والمفروض أن داعي الدعاة يكون من العلماء المتفوقين في علوم الشيعة والدعوة الفاطمية ، وله من العلماء المرءوسين أو « النقباء » اثنا عشر ، وله نواب في سائر النواحي ، ويتصل به فقهاء الدولة ويشرف على أعمالهم ومهامهم ، ويعقد مجالس الحكمة بالقصر للرجال تارة وللنساء أخرى ، ويقبل عليه المؤمنون من كل صوب فيقفون بين يديه ، ويمسح على رءوسهم بدفتر به توقيع الخليفة . وله أن يقبض النجوى من المؤمنين وهي جعل اختياري قدره ثلاثة دراهم ونصف يفرق من دخله عليه وعلى النقباء والدعاة . وكانت هذه المجالس حرة عامة ، بيد أنها لم تكن أهم ما يعنى به الدعاة . ذلك أنه كانت تعقد مجالس أخرى خاصة يشهدها أهل الطبقات الرفيعة من الاولياء والخاصة وأكابر الدولة وخلافهم خاصة بالدعاة والحرم . وكانت تعقد أيضاً بالقصر ، وتعقد المجالس النسوية أحياناً بالجامع الأزهر . وكان يرد هذه المجالس جموع من الشيوخ والكهول ، ويحظر شهودها على الكافة ، وتتلى بها بعض الدعوات الفاطمية السرية على يد دعاة تفقهوا في درسها وعرضها . وكان تلقين هذه الدعوات هو أخطر مهمة يقوم بها الدعاة ، وكان في الواقع هو الغاية الاولى من عقد مجالس الحكمة الشهيرة .

والآن لنر ماذا كانت تقوم عليه هذه الدعوة السرية التي انتهت إلينا تفاصيلها ـ رغم تبدد تراث الشيعة الادبي ـ على يد مؤرخين كالمقريزي وقفوا على شيء من هذا التراث . كانت هذه الدعوة تجري على نسق الحيات السرية في مراتب متعاقبة في الاهبة والخطورة . وعدد مراتبها تسع يتقدم فيها الدعاة طبقاً لاستعداد التلاميذ وجدارتهم لتلقيها . فلا يصل الى مراتبها العليا الا من كان موضع الثقة والاعتماد كتوما للسر . ولا يتسع المقام هنا لايراد هذه الدعوات التسع بنصها وتفاصيلها . ولهذا نكتفي بتلخيصها على النحو الآتي :

(١) يفتتح الداعي دعوته بتلقين المدعو أن الدين مكتوم يجهله السواد والكافة ، وان انصراف الناس عن أئمة الدين الحقيقيين الذين يعرفون مسائله ويؤدون اموره على حقيقتها هو أصل الشر والخلاف في الامة الاسلامية ، وان أولئك الائمة ليسوا هم أولئك الطغاة الذين خرجوا على رسول الله وأمته وغيروا كتاب الله وسنته واتبعوا الدنيا وزخرفها ، وانما الدين سر الله المكتوم لا يطيق حمله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن(٢) فاذا آنس الداعي في المدعو قبولا ووثق بحرصه وكتمانه انتقل به الى الدعوة الثانية ، ولقنه أن الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما

شرعه لعباده إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته (٣) فاذا وثق الداعى من رسوخ نظرية الأئمة المختارين فى نفس المدعو نقله الى الدعوة الثالثة ، ولقنه ان هؤلاء الأئمة المختارين سبعة رتبهم الله كما رتب الكواكب السيارة والسموات والارض وغيرها من الامور الجليلة وجعلها سبعا . وهؤلاء الأئمة السبعة هم : على بن ابى طالب ، والحسن بن على ، والحسين بن على ، وعلى بن الحسين الملقب بزين العابدين ، ومحمد بن على ، وجعفر بن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان ، وان الامامة انتقلت واستقرت فى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وانه هو الذى عنده علم المستور وبواطن الامور (٤) وفى الدعوة الرابعة يعلم المدعو أن الانبياء المشرعين الناسخين الشرائع هم كالأئمة سبعة فقط ، وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) هؤلاء نسخ كل منهم شريعة سلفه ، وكان صاحب محمد ووليه على بن ابى طالب ، ثم من بعده أئمة ستة حلوا تراث الشريعة المحمدية ، وهم الذين تقدم ذكرهم ، واختتموا بصاحب الزمان محمد بن اسماعيل ، فهو الذى استقرت فيه الامامة وعلى جميع الكافة اتباعه والانقياد اليه (٥) وفى الدعوة الخامسة يعلم المدعو انه لا بد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض ، وعدد هؤلاء الحجج أبداً اثنا عشر ، مثلا فى كل زمن (٦) ، وفى الدعوة السادسة يعلم المدعو ان شرائع الاسلام وفروضه ترجع فى وضعها الى معان وحكم غير ظاهرة ، وانها وضعت لمصلحة العامة وسياستهم تحقيقاً لخضوعهم وانقيادهم ثم ينتقل به الى مذاهب الفلسفة وتعاليم الفلاسفة ويلقنه ان منطق العقل وحده هو المعول عليه فى فهم الامور . وفى هذه المرتبة تبدأ مهمة الدعاة الحقيقية وهى العمل على هدم العقيدة الدينية (٧) وفى السابعة ـ وهى أولى المراتب العليا ـ يلقن المدعو ان صاحب الشريعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه (٨) وفى الثامنة يعلم ان معجزات الانبياء انما هى أشياء تنتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة ، وانها تكون تارة رموزاً يعقلها العالمون ، وتارة واضحة مفهومة ، وان الاحكام الدينية أنما هى غير ما يفهمه العامة (٩) وفى المرتبة التاسعة والأخيرة ينتقل المدعو الى العلوم الفلسفية والطبيعية وما بعد الطبيعة ويدخل حظيرة الاسرار الاخيرة ، فيعلم ان الشرائع أنما توضع لمصلحة الكافة بحسب الظروف ولا يعمل بها الا طبق الحاجة ، وليس على المستنير ان يعمل بها ، وان الانبياء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة ، ولكن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة . . . الى غير ذلك من التعاليم والشروح الفلسفية

هذا هو ملخص الدعوة الفاطمية السرية التى كانت تلقن فى مجالس الحكمة والتى نقلها الينا المقريزى مفصلة منقولة عن مصادر شيعية كانت موجودة فى عصره . ولا ريب ان هذه الدعوة نظمت بالأخص لغاية سياسية هى حشد الخاصة والمستنيرين تحت لواء الزعامة الفاطمية . وهى دعوة

لم تكن مبتكرة فى الواقع ، ولم يبتدعها الفاطميون ولا الحاكم بأمر الله ، ولكنها اشتقت من الدعوة الاسماعيلية السرية التى نظمها عبد الله بن ميمون القداح الاهوازى فى جنوب فارس فى منتصف القرن الثالث ، ثم الدعوة التى قام بها القرامطة فى البحرين فى أواخر القرن الثالث ، والتى اشتقت من دعوة ابن ميمون. وكانت دعوة ابن ميمون ذات مراتب سبع ، وكانت فى الواقع هى روح تلك الثورة الدينية الخفية التى تمخضت بادىء بدء عن ثورة القرامطة الرائعة . وكانت بعد ذلك مادة لدعوة الشيعة فى اليمن ثم فى شمال افريقية حيث قامت الدولة العبيدية الفاطمية ثم افتتحت مصر . وهنالك مسألة الشك فى نسب الفاطميين والطعن فى نسبتهم الى آل البيت وكون بعض الروايات ترجع نسبتهم الى بنى القداح ، ففى ذلك أيضاً ما يفسر ذلك الشبه القوى بين دعوة ابن ميمون والدعوة الفاطمية من حيث المادة والتنسيق

هكذا كانت دار الحكمة المصرية ومجالسها الشهيرة . ولا ريب ان تنظيم الفاطميين لتلك الدعوة على هذا النحو المدهش يشهد بكثير من الذكاء السياسى والبراعة النفسية . ولا ريب ان مجالس الحكمة قد فعلت كثيراً لتوطيد الدعوة الفاطمية وتقويض الدعوات الدينية الخصيمة ، وان كانت فى الوقت نفسه قد ألقت سجفاً من الريب على عقيدة الفاطميين الدينية (١)

محمد عبد الله عنان
المحامي

---

(١) راجع فى هذا البحث وما يتصل به . خطط المقريزي (الطبعة الاهلية) ج ٤ ص ٧٠ - ٧٢ و ص ١٥٨ وج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ وما بعدها حيث يورد المقريزي الدعوات التسع مفصلة . وراجع نهاية الارب (مخطوط دار الكتب الفوتوغرافي) — المجلد الحادي والعشرين حيث تفصل دعوة القرامطة ومراتبها . وراجع الملل والنحل للشهرستاني حيث تفصل مذاهب الشيعة وفرقها ، ومقدمة ابن خلدون (ص ١٦٤ وما بعدها).
وراجع من المصادر الغربية : دوزي Essai sur l'Islamisme ودي خويه Les Carmathes ووستنفلد Gesch. der Fatimiden وفون هامر Gesch. der Assassinen

هذا ويوجد بدار الكتب المصرية بعض آثار مخطوطة تلقى بعض الضياء على عقائد الشيعة ، منها مخطوط هام لا عنوان له لانه ناقص من أوله وآخره (رقم ٢٠ عقائد النحل) وفيه رسائل وأحكام وفتاوى شيعية ، ورسائل الى الدعاة . ومنها رسائل حمزة بن على الذي دعا بألوهية الحاكم بأمر الله فى أواخر عصر الحاكم (رقم ٣٥ و ٥٤ عقائد النحل)

المعلومات . وكنت أتتبع تلك المصادر فأجدها راجعة إلى بيئة واحدة هي جماعة المستشرقين

في الادب الافرنجي الحي كتب قيمة جداً تبحث في التاريخ العام والخاص ، وتاريخ الامم والنهضات العلمية ، وهذه الكتب محترمة عند الاوربيين . فكنت أطالع هذه الكتب فأجد فرقا كبيراً عند ما تكتب عن التاريخ القديم أو الحديث بلباقة ودقة علمية كوصف مصر القديمة وآثارها وسوريا وتاريخها ، والعراق وماضيها ، ولكنها إذا تكلمت عن الجزء الاسلامي أو عن حياة سيدنا محمد (ص) أجد تحريفاً ظاهراً وكذباً واضحاً وتجنياً كبيراً ، فالنبي العربي العظيم يوصف بأنه مؤسس دين حربي لا صلة بينه وبين الفضيلة ، بل أكثر من ذلك قرأت في فصل من « تاريخ العالم العام » أن سيدنا محمداً (ص) هو ابن عبد الله ، وعبد الله يطلق على الوالد المجهول وربما كانت هذه التسمية من هذا القبيل . وبحثت عن اسم الكاتب فاذا هو مستشرق انجليزي معروف وهو أستاذ في جامعة اكسفورد هو « مرجوليوث » والرجل زار مصر ومعروف فيها

وكنت أقلب كتاب « دائرة المعارف الاسلامية » فأجد استقصاء تاريخياً للصغيرة والكبيرة من التاريخ الاسلامي . أما عن شخص النبي الكريم فكنت أرى طعناً جارحاً وكلاماً أقل ما يوصف به أنه من قبيل قلة الذوق في المعاملات والآداب العادية . وهؤلاء الكتاب كلهم من المستشرقين

ثم وقع في يدي كتاب تقرير من جمعية العمل المغربي فرأيت هذا التقرير يتتبع السياسة الاستعمارية ويصف طرق مقاومة الاسلام والتقارير السرية التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الاسلام ، لأنه لا يتفق مع الاستعمار ، وأن أول واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية وصرف الناس عنها باحياء اللهجات المحلية في شمالي افريقيا واللغات العامية ، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ويمكن التغلب على عواطفهم . فكان هذا التقرير تفسيراً لكل ما سردته لك من الاكاذيب التي تتردد في الكتب الافرنجية . وفي زيارتي لاوربا كان الحديث بيني وبين الناس يجرنا إلى البحث في الاسلام فعلمت من ذلك أن الاوربيين يربون على كراهية الاسلام واحتقار الشعوب الاسلامية حتى لا يعطفوا عليها أو يختلطوا بها

نترك هذه المقدمات جانباً ونبحث في ناحية أخرى عن المستشرقين

فالمستشرقون جماعة من مدرسي اللغات الشرقية في جامعات أوربا . وهؤلاء الطلبة الذين يتلقون تلك العلوم ليسوا مغرمين بسواد عيون الشرق ، وليسوا مولعين حباً بجمال اللغات الشرقية ، ولكنهم جماعة من الاجانب الشبان يربون أنفسهم تربية استعمارية ليعملوا في المستعمرات . وكان لابد لهذه الجامعات أن تعلمهم على أسلوب يضمن لها قومية هؤلاء الطلبة وتحذرهم من العطف على الشرق أو الميل للاسلام ، ولا أستطيع أن أفهم من مهمة كهذه أن يكون الاستاذ منصفا للشرق أو دعاية للاسلام ، بل بالعكس يجب أن يقوم بالدور المطلوب منه سواء كان في الكلية مع الطلبة أم خارجاً عنها في مؤلفاته !

اذا ألف مستشرق كتاباً أو كتيباً أو نشرة ظهرت هذه النشرة بثلاث لغات حية تقريبا فى وقت واحد : الألمانية والانجليزية والفرنسية ، مع أن طبع هذه الكتب يتكلف نفقات باهظة قد تستنزف ثروة المستشرق نفسه . وترى فى مقدمة كل كتاب من كتب المستشرقين أسماء زملاء له فى البلدان الاخرى يقومون بالترجمة والطبع والنشر والمراجعة ، وفى كل عام ينعقد لهؤلاء المستشرقين مؤتمر ليتفقوا فيه على خطة العام الجديد

وأنا أعرف مواضع دسائس المستشرقين ، فهم يتكلمون فى التاريخ الاسلامى بروح المؤرخ ، أما عن سيدنا محمد (ص) وعن الاسلام وعن القرآن فهم يتكلمون بروح المنفر الذى يخيف الناس من الاسلام وبروح المتحامل الذى يكيل الدسائس والشتائم من غير وزن

وكنت أعلم أن المستشرقين ينقصهم فى مباحثهم عن الاسلام الروح العلمية وأن لهم فى الاستقصاء طريقة لا تعرف العلم ، وهى أنهم يفرضون فرضا ثم يتلمسون أسبابه فاذا وجدوا فى القرآن آيات تتناسب فى معانيها مع فرضهم اقتبسوها واذا وجدوا آيات لا تتناسب مع اغراضهم تجاهلوها وقالوا إنها غير موجودة فى القرآن ، فتخرج الفتاوى من كلامهم وهو يتهم الاسلام بالتلفيق كما يتهمونه

ولذلك لم أتوان أن أكتب «لفنسنك» رئيس تحرير دائرة المعارف الاسلامية هذا الخطاب وأن أظهر مساوئه ، لانه كرئيس تحرير هذه الدائرة يعتبر له قيمة ، ولا بأس أن أناقشه فى ميدان العلم مناقشة علمية واضحة وأن أظهر أن طريقة المستشرقين فى البحث طريقة ممقوتة فلا يحترم آراءهم بعد اليوم أوربى ولا شرقى ، وإن فضحنا أمامهم تلك الدعوى الجريئة من اللوم الذى أحاطوا به أنفسهم فقد أظهرنا حقيقتهم للناس ، إنهم قوم مخالفون فى ما هم فى الاسلام من ريبة

ولفنسنك مبحثان فى دائرة المعارف الاسلامية هما نموذج لشعوذة المستشرقين ، أولهما عن ابراهيم ، وثانيهما هو كلمة الكعبة . ونحن نقتصر هنا على ما كتبه عن ابراهيم فقد كتب ما يأتى :

« كان اسبرنجر أول من لاحظ ان شخصية ابراهيم كما فى القرآن مرت باطوار قبل أن تصبح فى نهاية الامر مؤسسة الكعبة . وجاء سنوك هرجرونيه بعد ذلك بزمن فتوسع فى بسط هذه الدعوى ، فقال ان ابراهيم فى اقدم ما نزل من الوحي (فى الذاريات آية ٢٤ وما بعدها ــ الحجر آية ٥٠ ــ الصافات آية ٨١ وما بعدها ــ الأنعام آية ٧٤ وما بعدها ــ مريم آية ٤٢ وما بعدها الخ) هو رسول من الله انذر قومه كما تنذر الرسل ولم تذكر لاسماعيل صلة به ، والى جانب هذا يشار الى أن الله لم يرسل للعرب نذيراً (السجدة آية ٢ ــ سبأ آية ٤٣ ــ يس آية ٥) ولم يذكر قط ان ابراهيم هو واضع البيت ولا أنه أول المسلمين

« أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك فابراهيم يدعى حنيفاً مسلماً وهو واضع ملة ابراهيم رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم (البقرة آية ٨٨ وما بعدها ــ آل عمران آية ٦٠ وما بعدها) الخ

« وسر هذا الاختلاف ان محمدا كان قد اعتمد على اليهود فى مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة

عداء، فلم يكن بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا، هناك هداه ذكاء محمد الى شأن جديد لأبى العرب ابراهيم. وبذلك استطاع ان يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية ابراهيم، تلك اليهودية التى كانت ممهدة للاسلام. ولما احدثت مكة تشغل حل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس». ويتراءى لك عند قراءة هذه القطعة ان فنسنك باحث عميق يستقصى آيات القرآن واحدة واحدة. ويخيل اليك ان الرجل صادق فى أقواله، وانه يعتمد على المستندات من الآيات التى احصاها واحدة واحدة

ولكن لم يغب عن مواضع الضعف فى قوله، لانه كالمثل الذى على امرسح يكثر من الاشخاص الذين لا يتكلمون حتى يوهم الناظر أن الرواية قوية، ولكنه ماصنع هذا فى الحقيقة الا ليسترضعها. ولذلك لم يخدعنا هذا المظهر البراق، لا سيما وانا نعلم تماما اغراض المستشرقين، فلا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. فنحن قبل كل شىء نؤمن بصحة القرآن، اذن ماذا يقصد الرجل ؟ يريد أن يقول ان رسالة محمد عليه السلام مفتعلة وان هذه الآيات كلها مظاهر براقة. اذن فلنتمش معه فى البحث

فقد انكر ان الآيات المكية فيها اشارة الى أن ابراهيم هو واضع البيت وانه لا يوجد اشارة أو ذكر لصلة اسماعيل به

اما الآيات المكية التى فيها ذكر البيت وان اسماعيل هو ابن ابراهيم فهى موجودة فى سورة ابراهيم فى الآية ٣٧ وما بعدها «ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» الى قوله تعالى: «الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل». فهذه آيات مكية لا نعرف لماذا حذفها فنسنك. ولكن النظرية التى شرحناها تدلنا على أن الموضوع كله يدور حول الغرض وتلمس الدليل فاذا وجد ما يهدم نظريته حذفه. وهذا يدل على عدم الامانة فى العلم، لا سيما فى موضوع دقيق يهم عقيدة يدين بها نحو ثلثمائة مليون مسلم. ولا يمكن ان نلتمس لفنسنك فى هذا حسن النية، لان هناك قواميس للقرآن واذا بحث عن كلمة ابراهيم فانه يعثر على هذه الآية

ويقول فنسنك: ان الآيات المدنية هى التى اختصت بذكر ملة ابراهيم. ولكن هذا غير حقيقى فالآية ١٦١ من الانعام مكية وهى: «قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين». والآية ١٢٣ من سورة النحل مكية وهى: «ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين»

ويهوذا الذى تنتسب له اليهودية هو من احفاد احفاد ابراهيم فليس معقولا ان يوصف دين ابراهيم باليهودية التى أتت بعده بمئات السنين

ومن هذا يتبين لك اغراض المستشرقين وانهم ليسوا من العلم ولا من الامانة كما يتصورهم الناس، وانهم ممن لا يوثق بهم فى البحث العلمى

الدكتور حسين الهراوي

نفعهم أكثر من ضررهم

بقلم الدكتور زكي مبارك

أسارع فأقرر أني قبلت هذا العنوان كما اقترحه الهلال ، وإلا فمن البداهة أن الاستشراق عمل واقع ، وأن المستشرقين طائفة من العلماء الجادين يجب الاتصال بهم ، والتعاون معهم ، ولسنا من الساعين الى قطع الأواصر الأدبية والعلمية التي يطرد نموها بين الممالك والشعوب .

قالوا ان المستشرقين طلائع المستعمرين ، وهذا صحيح ، ولكن هل الاستعمار في ذاته جريمة ؟ وكيف وهو شريعة حيوانية ؟ والشرائع الحيوانية أبقى على الزمان ! وليس يكفي في دفع الاستعمار أن تبغض أهله وأن تقاطعهم على الطريقة العطرية التي تقف عند رسم الطلاق وكف التحيات الى أن يفصل القتال . لا ، فهناك وسائل سلبية لدفع الاستعمار : هي أن تعرف أهله وتقف على أسرارهم في العلوم والفنون والآداب ، وتفهم من أين يطمعون فيك وكيف يتيسر لك أن تصدهم عنك . فإن عرضت لك هذه الفرصة ثم [illegible] ، فقد أثمت في حق نفسك وفي حق وطنك ، ثم لا تكون [illegible] في الوقوف على [illegible] ، وكيف [illegible] الأمثلة بأن يتواصوا عليك ويعدوا لك في [illegible] الأشراك !

على أن المستشرقين لا يستطيعون أن [illegible] وهم أدوات استعمارية ، فإن بداية الاستشراق أن يرغب الشباب الأوربي في عمل يعيش منه في المستعمرات . ومن أجل هؤلاء الشبان أنشأت الممالك الكبرى في أوربا مدارس خاصة لتعليم اللغات الشرقية الحية كالعربية والفارسية .

والمتخرجون في مدارس اللغات الشرقية يستخدمون غالباً في السفارات ومكاتب الترجمة وبعض مناصب التدريس . وقد يقف أكثرهم عند الهمة التي تنفعه في المعاش ، ولا يقف حياته على درس الشرق وآدابه وعلومه الا طائفة قليلة سمت بها الهمة الى مطامح الرجال . وهؤلاء يتحولون مع الزمن الى علماء — بكل ما تؤدي هذه الكلمة من معنى — وتكون النتيجة أن تضعف فيهم النزعة الاستعمارية وتغلب عليهم النزعة العلمية . وأريد بهذا أنهم يصبحون من دعاة المجد الشرقي ومن أنصار حضارته وتقاليده — ودياناته أيضاً — فمن عرف شيئاً أحبه ومن جهل شيئاً عاداه .

ومن دلائل هذا الميل الخالص انكباب كثير من المستشرقين على مسائل نظرية بحتة لا تقدم ولا تؤخر في خدمة الاستعمار . فقد يتفق لكثير منهم أن يشغل بدرس الفروق بين مذهب البصريين والكوفيين ويقضي أعواماً في جمع المصادر وطبع بعض النصوص واستفتاء العلماء ، واستنطاق بعض القبائل ، وتوجيه ما اختلف من اللهجات ، الخ . الخ . أيظن القارىء المتعسف ان مثل هذا العمل لا يخلو من نزعة استعمارية ؟ أنا لا أتصور ذلك . وانما أفهم ان مثل هذا الباحث تحولت حماسته الى

نشاط خصب يمضي به إلى آفاق الابتكار والابتداع في مسائل دقيقة لا يعرض لها العلماء إلا حين تصفو نفوسهم من شوائب الأغراض

قالوا : وللمستشرقين أغلاط ؛ وهذا صحيح . وأكثر ما يعرض لهم الغلط حين يتصدون إلى شرح النصوص . فان اللغة العربية كسائر اللغات لها دقائق لا يدركها الا أهلها الاقربون . وكبار المستشرقين لهم أغلاط مضحكة في فهم المعاني الشعرية ، نذكر منها مثالين اثنين من باب التمثيل . الشاهد الاول ما اتفق للمستشرق الشهير جداً المستر مرجوليوث حين عرض لقول أبي الفتح ابن العميد :

تقول لى الواشون كيف تحبها فقلت لهم بين المقصر والغالى
ولولا حذارى منهمو لصدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط أمثالى
وكم من شفيق قال مالك واجماً فقلت أنا مالى وتسألني مالى

والابيات واضحة الا الشطر الثاني من البيت الاخير فقد حار المستر مرجوليوث في فهمه ثم حاول اصلاحه فقال :

« لعل الصواب : فقلت أنا مالى وان تسألني مالى »

وهذا تصحيح مضحك وهو أشنع من سقط الاول ، ولو رجع المستر مرجوليوث الى أصل الابيات في « ابن خلكان » لرأى أن الصواب :

فقلت ترى ما يبعدنها المرء من حالى !

والشاهد الثاني ما وقع لجماعة من فضلاء المستشرقين تعاونوا مع المسيو دوزى على تحقيق كتاب « نفح الطيب » حين عرضوا لقول أبي الوليد بن حزم :

اليك أبا حفص وما عن ملالة ثنيت عنانى والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته ومن تحته قلب عليك يذوب

فقد وقفوا عند كلمة « مقالا » من البيت الثاني وذكروا أنها رويت في كتاب آخر « مطالا » ثم كتبوا بالفرنسية ما ترجمته :

« لا الكلمة الاولى ولا الثانية تقدم معنى شعرياً . ومن المحتمل أن يكون هناك بيت سقط من بين هذين البيتين : » (١)

والواقع أن البيتين على هذه الرواية في غاية من الجودة . ولكن الغلط وقع لاولئك المصححين حين جهلوا وجه الاعراب في كلمة « مقالا » ولو تأملوا لعرفوا أنها معمول به لكلمة « اليك » في البيت الأول . فانها اسم فعل أمر . وهو اسم فعل منقول

وانما ذكرت هذين الشاهدين من أغلاط المستشرقين لانهما يقيمان حجتي . فالشاهد الاول وقع في كتاب « معجم الادباء » الذى نشره للمستر مرجوليوث . ومن الممكن أن تتعقب أغلاط

(١) أنظر هامش ص ٣٧٢ ج ٢ من « نفح الطيب » طبع ليدن

مصححي ذلك الكتاب فرآها تعد بالعشرات . ولكن أين تلك الأغلاط وأين يقع شرها بجانب الفضل العظيم الذي أسداه المستر مرجوليوث الى لغة العرب حين نشر ذلك المعجم في سبعة مجلدات وتفانى في تحقيقه السنين الطوال ؟

ان طبع « معجم الأدباء » ونشره على تلك الصورة الجميلة ليعد منقبة عظيمة تصغر بجانبها منكرات الأغلاط عند من يقومون أعمال الرجال

والشاهد الثاني وقع في « نفح الطيب » ولو مضيت أحاسب مصححي ذلك الكتاب لنشرت لهم من أغلاط أقبح وأشنع . ولكن ما قيمة تلك الأغلاط بجانب الجهد الذي بذل في تنظيم كتاب يعد المصدر الأول لأدب الأندلس ؟. لقد طبع هذا الكتاب في مصر طبعة يغلب عليها التحريف ، وظل الى اليوم بلا فهرس يجمع أطرافه ويمكن الباحث من الوصول الى ما فيه من دقائق الأدب والتاريخ . وقد اكتفى أولئك المستشرقون بطبع الجزء الأول والثاني وسكتوا عن الثالث والرابع . لأن الجزءين الأخيرين قصرا على نقطة واحدة هي حياة لسان الدين بن الخطيب . أما الجزآن الأولان ففيهما مراجع وافية لما تحمل به الأندلسيون من الأدب والفلسفة والتشريع

قالوا : والمستشرقون أخطأوا في شرح قواعد الإسلام . وهذا أيضاً صحيح . فلكثير منهم فضول لا يجمل بالعلماء ، وخاصة حين يتحدثون عن حياة الرسول ، فلهم تعرضات الى حياته المنزلية والاجتماعية والتشريعية بما يدل على أن فريقاً منهم يجهل بعض الحرمات الدينية ؛

والعيب الأكبر أن يبيح [illegible] ذات المحمدية تصويره كيف شاء وتصبغ أسلوب تفكيره بمختلف الألوان . و[illegible] في هذه [illegible] وفق ما تجري [illegible] وفي الزمن الذي صارت فيه المادة إلهاً يعبد ويطاع ، ولكن في هذا أيضاً ما يغنم حجتي ، وهو عجيب عجاب ! والى القراء بعض البيان :

ان خصوم الإسلام من المستشرقين خدموا الإسلام بخصومتهم أجل الخدمات . فقد عمدوا الى القرآن والحديث فطبعوا كل ما يتصل بهما من جيد المؤلفات ، وفهرسوه وبوبوه ورتبوه ترتيباً تعجز عنه مشيخة الأزهر الشريف . والمسيو فنسنك الذي تعقبه صديقنا الدكتور حسين الهراوي ورماه بسوء الفهم والنية — هذا الرجل نفسه خدم الإسلام بكتابه في الأحاديث النبوية . ولنفرض جدلاً أنه لم يقصد وجه الحق بنشر كتابه ذلك فإن هذا لا يمنع أنه خدم الإسلام من حيث لا يريد ، وهل هناك خدمة أجل من نشر الآثار الإسلامية في الأقطار الأوربية والأمريكية ؟ ان هذه الخدمة كانت تنتظر من المسلمين أنفسهم فغفلوا عنها وتركوا الأجانب يتصرفون في تراثهم بما يشتهون . . . أضف الى ذلك أن حياة الأفكار في تقلبها وترديدها وتمثيلها بألوان من القيل والقال . والإسلام يستفيد ممن يتحدثون عنه بالشر كما يستفيد ممن يذكرونه بالخير . وآفة الفكرة

أن تهمل وأن يسكت الناس عنها فلا يتناولونها بحمد ولا ملام . وقد كنت وأنا فى باريس أغار من المطبوعات الكثيرة التى تذاع عن البوذية وخرافاتها وأساطيرها . وأتمنى لو رزق الاسلام ناسا يدورون حوله فينبعون من فضائله ومن سيئات أهله ما يقيم له وجوداً ذهبيا وروحيا فى تلك البلاد التى يتطلع أهلها بفضل حيويتهم الى كل طريف .

أفهمتم الآن أن أسوأ جانب فى حياة المستشرقين لا يخلو من خير ونفع ؟

وأضيف الى كل ما سلف أن المستشرقين سبقونا الى الدراسات الادبية والاسلامية بنحو ثلاثة قرون . والباحث الجاد فى مصر والشرق لا يستطيع الفرار من بحوثهم التى تطالعه من كل جانب . أليس من المخجل أيها الناس أن نحدثكم بأن الازهر الذى يعد معقل الاسلام لم يعرف أهله كيف يدرس التاريخ الاسلامى إلا منذ سنوات معدودات ؟ أليس من العار أن نحدثكم بأن عدد الطلبة فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية أقل من عدد الطلبة بقسم اللغة العربية فى السوربون ؟ أليس من الفضيحة أن أخبركم أنى كنت أجد بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية فى باريس مصادر عربية مطبوعة لم أجد لها ظلا فى دار الكتب المصرية ؟

أنا رجل أعيش فى ضوء الحكمة التى تقول : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » وكل مناى أن أصبح حجة فى اللغة العربية على نحو ما يكون الباحث الاوربى حجة فى لغته القومية . وليس لدى ما يمنع من الاعتراف بأن أثر المستشرقين يبقى فى ذهنى أوضح . وإنى مسلم على أطهر وأرجح . ومن النصيحة لأمتى أن أشير الى خصومات المستشرقين فى غير ريبة ولا ضلال . ولا ننس أن المستشرقين ناس لهم مطامع ولهم أهواء ، وأكثرهم لا يخلص من [illegible] وزارة المستعمرات ، فهم ليسوا ملائكة ولا قديسين ، وانما هم بشر مثلكم يخطئون ويصيبون ، وخطؤهم أبقى أثراً فى أذهان الناس لأن لهم من وسائل النشر مالا يملك الشرقيون

وبعد ، فأنا لا أهون أغلاط المستشرقين ، ولا أدعو الى متابعتهم فى غير بصيرة ولا روية ، ولكنى أجزم بأن أعمالهم أدخلت كثيراً من عناصر الحيوية فى الدراسات اللغوية والاسلامية . وليس فى الدنيا شر خالص ولا خير خالص ، وانما النفع فى أعمال هؤلاء الباحثين أقوى وأغلب

زكى مبارك

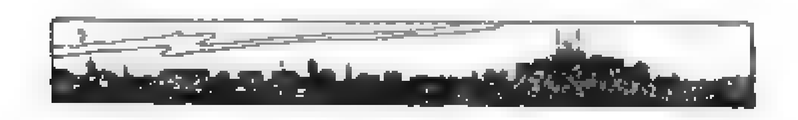

كشف جديد

عن كتاب مفقود لابي العلاء المعرى

عثر المرحوم احمد تيمور باشا على جزء من كتاب مفقود لابي العلاء المعري عنوانه : « الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ » . وهذا الجزء لم يطلع عليه جميع الذين ترجموا لابي العلاء ، وان كان بعضهم قد نقل شيئاً من اوصافه . وقد اشترى هذا الجزء المرحوم احمد باشا تيمور واودعه مكتبته كذخيرة ثمينة لم يظفر بها احد . وقد تناوله الاستاذ طاهر الطناحي بهذا البحث القيم فكشف اللثام عنه وعن اخطاء المؤرخين فيه

ما توفى المرحوم تيمور باشا كنت ممن كتب عن حياته التي قضاها كلها فى البحث والتنقيب وجمع نفائس الكتب القديمة، وتناولت فى الكتابة عنه مكتبته الشهيرة ، التى تضم بين جدرانها ثمانية عشر الف كتاب من أنفس الكتب . واقتضانى البحث فى هذه المكتبة أن أراجع بعض فهارسها ، فعثرت على جزء مخطوط لابى العلاء المعرى باسم « الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ » .

وكنت أعلم أن لابى العلاء كتباً مفقودة غير هذه الكتب المعروفة التى تتداولها الايدى ، وكنت قرأت بين هذه الكتب المفقودة التى ذكرها المؤرخون اسم « الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات » فحفزتنى هذه المصادفة الحسنة الى الاطلاع على هذا الجزء ، بيد أن مهمتى فى مشاهدة انحاء هذه المكتبة والكتابة عنها صرفتنى وقتئذ عن الاطلاع على هذا الجزء ، فبارحت المكتبة وانا احتفظ باسمه فى ذاكرتى ، وبالعودة اليه فى نفسى ، وبحثه فى فرصة أخرى

ثم كان أن أتيحت لى الفرصة فى هذه الايام بزيارة مكتبة تيمور باشا ، والاطلاع على هذا الجزء وبحثه واستقصاء كلام المؤرخين عنه ، والوقوف على خلطهم فيه ، وتحاملهم على مؤلفه

وزادنى حرصاً على البحث فى هذا الموضوع ان هذه النسخة قديمة جداً ، ربما رجع تاريخ كتابتها الى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى طوى نصفه الاول ابو العلاء المعرى ، بل ربما كانت هى النسخة التى املاها كما يظهر لك فيما بعد

وصف هذا الجزء

هذا الجزء هو الجزء الأول من كتاب الفصول والغايات وهو جزء من عدة أجزاء ، ذكر ياقوت الرومى انها سبعة أجزاء ، وهو يتألف فى حجمه الحالى من ٢٣٢ صفحة ، تنقص من أوله مقدمته وبعض صفحات منه . وينقص من وسطه أربع ورقات متفرقة وهو مقسم الى

فصول، كل فصل يحتوى على عدة أقسام صغيرة، سمى أبو العلاء القسم منها «رجعاً» أى فائدة، ولا يزيد «الرجع» عن صفحة أو ثلاثة ارباع صفحة. وبعض هذه الرجعان لا يزيد عن سطر أو سطرين. وينتهى كل رجع بحرف يلتزمه فى نهاية رجعان الفصل، كما تنتهى أبيات القصيدة الواحدة بحرف واحد هو «الروى». أما نهاية كل رجع فيسمى «غاية». وقد رتب هذه الفصول حسب ترتيب الحروف الهجائية، وذكر بين كل رجع وآخر تفسير الكلمات الغريبة، حتى اذا انتهى من التفسير عاد فقال: «رجع» ويستأنف الكلام. ونحن ننقل منه مايلى على سبيل المثال قال: «فصل غاياته تاء»

«قال أبو العلاء المعرى احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى: خوف الله معاقل الأمن، والحكم له فى العاقبة والمبتدأ. لايرد عليه عجب. وكيف يعجب من شىء خالق العجائب ومبتدع الآزال؟ أيقن فما استفهم. وهل يستفهم عالم اسرار الفهمين؟ ولا تعرض له الاماني انما تخطر لمن تضعف قدرته دون المراد. فليت جسدى من حيثه مثل الشن، وأدمعى لذلك شبيهة القطر. طوبى للترغين بالتسبيح ترنم مرح النهار، حتى اذا النجم طلع ترنم بالذكر مع البعوض إعظاماً لوارث الورات - غاية (تفسير): الآزال جمع أزل وهو الدهر، ومرح النهار الذباب، والبعوض البق..»

«- رجع - أعدل ناحاكم على خلقه ناميه، يجدون من خطب الى سواه. والحام سائقه جيوش الخطوب. ماأطلعت النعيمة تمرة تعمى لمال، وترمع هدال الشجر بقصبى ظلام، وتلبس حلة الورى، وتطأ على مثل المحار أعلقتها أمس الحبالة مخلصت بالجريض، وصادفتها فى اليوم ضراء المكلب، فكاد إهابها يعمد عن قلب مروع، وسمت بعد الشد المحيص، وفى الغد يتخطفها بعض سهام المرتمين فلم ينفها الفرق من الاحداث - غاية (تفسير): هدال الشجر ماتهدل من الاغصان، والمحار الصدف، والجريض الغصص، والمحيص العدو الشديد يقال محص الظبي». وكل هذا الجزء على هذا النسق أى انه يبدأ كل فصل بقول: «قال ابو العلاء..» الخ ثم يذكر فقرات فى تمجيد الله والمواعظ والحكم والاخلاق، تنتهى بحرف واحد يلتزم فى نهاية كل رجع من رجعان الفصل. كما رأيت فى كلمتى «الورات» و«الاحداث».

ولما كان هذا الجزء ينقص بعض صفحات من أوله، فقد ابتدأت الصفحة الاولى بجزء من «رجع» فى فصل الالف. وينتهى هذا الجزء بفصل غاياته خاء. وقد كتب فى آخر صفحة منه بعد نهاية هذا الفصل: «الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ بصنعة أبى العلاء بن عبد الله بن سليمان التنوخى، واملاء. والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبى وعلى آله الطاهرين»

ويغلب على ظنى ان هذه النسخة هى التى املاها ابو العلاء نفسه على كاتبه لعدة اعتبارات تحتمل الرجحان: أولاً - لان خطها من الخطوط التى يغلب انها كتبت بين القرن الثالث والقرن

السادس للهجرة . وقد قارنتها بمخطوطات لهذا العهد بدار الكتب المصرية . ثانياً — لان ياقوت الرومي صاحب « معجم الادباء » المتوفى سنة ٦٢٢ نقل أوصاف هذا الكتاب عن غيره بصيغة تدل على أنه كان مفقوداً في عهده ، مع ان وفاته كانت بعد وفاة أبي العلاء بمائة وثلاث وسبعين سنة . فلو كانت هذه النسخة كتبت بعد هذا العهد لكان ياقوت اطلع على الكتاب . ثالثاً — قد يكون في عدم نص الكاتب على الجزء الثاني خلافاً لما يعمله النساخ وفي ذكره كلمة « واملاء » ما يشعر بان هذه النسخة هي التي أملاها ابو العلاء وكتبت عن لسانه خصوصاً وأن كلمة بصنعة أبي العلاء كلمة قديمة . وعلى كل حال اذا لم تصح هذه الاحتمالات كلها فإنا لا نشك فيه ان هذا الجزء لايقل تاريخ كتابته عن القرن الخامس أو السادس الهجري

اسلوب الكتاب وموضوعه

أسمى ابو العلاء كتابه « الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ » وأخذ على نفسه ان يقسمه فصولا يحتوي كل فصل على رجمان (جمع رجمة) وهذه الفصول كما هو واضح من التسمية تختص بتمجيد الله والمواعظ و ... الاخلاقية أو انها هي موضوع فلسفته الاخلاقية ، بعضها مسجوع وبعضها غير مسجوع ، إلا انه التزم حرفاً واحداً في كل فصل . واحدث بهذا الاسلوب حدثاً جديداً في الكتابة العربية ، و ... كما ... شأنه في كثير من مؤلفاته ، وأتى فيها بالغريب ، ثم فسر الغريب حتى لا ... على القارئ . وقد روى بعض المؤرخين انه بدأ بتأليف هذا الكتاب من رحلته الى بغداد سنة ٣٩٨ ، ثم أتمه بعد عودته الى معرة النعمان . ويؤيد هذه الرواية قوله في أحد فصوله : « ما أمل وقد ... أخرى ، وأخذت الشيبة من يدي » ويعلم الذين اطلعوا على تاريخه أنه مكث ببغداد نحو سنتين ، ثم برحها عائداً إلى المعرة لما علم بمرض والدته ، ولكنه لم يكد يصل اليها حتى وصله نعيها

ويهمنا من هذه الرواية أن الرجل إنما ألف هذا الكتاب لا معارضاً للقرآن ، بل بعد أن تشبع من الفلسفة الهندية اثناء مقامه ببغداد . تلك الفلسفة التي تدعو الى التقشف وقهر النفس والزهد في ملاذ الحياة وشهواتها . فابو العلاء في هذا الكتاب يقيم نفسه مقام الحكيم الواعظ الذي يدعو الى تقوى الله ، والزهد في شهوات الدنيا . ويضرب لذلك الامثال والعظات

ويختلف اسلوبه في الوعظ في هذا الكتاب عن اسلوبه في اللزوميات ، بان هذه العظات خالية إلا من الفلسفة الخلقية ، وهو لا يمزج هنا تمجيد الله بالنظر في الكون والتفكير في المسائل الطبيعية والدينية ، بل ينكب عنها ، ويسلك في (الفصول والغايات) مسلك المربين الذين يحثون الفضيلة ، ويشيدون بالاخلاق الكريمة ، ويضربون الامثال ، أمثالا من التاريخ ، وامثالا من الحياة العامة . وهو الى ذلك يخلع على اسلوبه نوعاً من الادب جديداً ، ويلبسه ثوباً من

الغريب ليجمع بين ثلاث فوائد : فائدة تقويم الاخلاق ، وفائدة تعليم اللغة ، وفائدة تهذيب النفس وتربية الملكة بهذه الفقرات والعبارات الادبية

تفنن أبي العلاء في التأليف

بعد أن رجع أبو العلاء المعري من بغداد سنة اربعمائة عكف على التأليف فالف ما يربو على خمسين مؤلفاً لم يسبقه أحد الى طريقة تأليفها وتفننه فيها . فقد مشى فيها تفنناً عجيباً لا يتاح الا لمن لو أن له مثيلا بين العلماء المتقدمين والمتأخرين . وقد كان الرجل مجدداً حقاً ، وكان يعشق التجديد في نثره وشعره فاتت نثره اسلوبا جديداً لم يظهر من قبل ، وطريقة خاصة في الكتابة والشعر لم يعرفها الادباء . وأنت ترى التجديد في لزومياته وفي «الفصول والغايات» وفي غيرهما من كتبه ، فمن ذلك كتاب «الايك والغصون» وهو كتاب مفقود في العظات وذم الدنيا على مثال «الفصول والغايات» الا أنه يخالفه في ان نظامه على الهمزة والردف في آخر فصوله ويبنى على إحدى عشرة حالة : الهمزة في حالة افرادها واضافتها . مثال ذلك : السماء بالرفع والسماء بالنصب والسماء بالخفض ، وسماء (تقع الهمزة منونة رفعاً ونصباً وجراً) وسماؤه (مرفوع مضاف) وسماءه (منصوب مضاف) الخ فاذا ضرب في حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج منها ثلثمائة فصل وثمانية فصول . وهي مستوفاة في هذا الكتاب الذي يبلغ اثنين وتسعين جزءاً

ومنها كتاب «سجع الحمائم» يتكلم فيه على لسان أربع حمائم . الى غير ذلك من مؤلفات ابي العلاء التي تدل دلالة واضحة على انه كان مجدداً يعشق التجديد والابتكار ، ويحب التفنن في التأليف ، ولا يضن بثروته الضخمة من اللغة والحكمة والتفكير

غلط المؤرخين

وهنا نناقش المؤرخين الذين اتهموا هذا الرجل بانه عارض القرآن بكتابه «الفصول والغايات» فقد ذكر ياقوت الرومي أن لأبي العلاء كتاباً يعارض به القرآن . قال : ومما ظهر منه : «اقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بليل ، بين الشرق ومطالع سهيل ، ان الكافر لطويل الويل ... » الخ . وقد راجعنا مانقله ياقوت في الجزء الذي عثرنا عليه ، فوجدناه مأخوذاً عن «رجع» بفصل الجيم أخذاً ناقصاً مشوشاً . ويدل ذلك على ان ياقوتاً يعنى بالكتاب الذي عارض به أبو العلاء القرآن ، كتاب «الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ» .

وذكر ابن الجوزي في كتاب المنتظم في تاريخ الملوك قال : «وقد رأيت للمعري كتاباً سماه الفصول والغايات يعارض به السور والآيات . وهو كلام في نهاية الركة والبرود ، فسبحان من اعمى بصره وبصيرته . وقد ذكر على حروف المعجم في آخر كلماته» ثم مثل ابن الجوزي لذلك برجع من هذا الكتاب . . وقال مرجوليوث نقلا عن الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في تاريخ

الامم : « وانما تحدثت الالسن باساءته لكتابه الذى زعموا انه عارض به القرآن . وعنونه بالفصول والغايات فى محاذاة السور والآيات » . ويفهم منه ان الذهبى لم يطلع على هذا الكتاب

اما صاحب كشف الظنون فقد اطلع على عبارة ابن الجوزى السابقة ، وبدلاً أن ينقلها بنصها نقلها محرفة ، فسمى الكتاب : « الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات » .

ونرى من كلام هؤلاء المؤرخين انهم لم يطلعوا على هذا الكتاب حتى ابن الجوزى الذى زعم انه رآه ، فانه لم يطلع عليه اطلاعاً صحيحاً ، او انه اطلع عليه ولم يفهم الغاية منه . وقد كان ابن الجوزى فى ترجمته لابى العلاء متحاملاً عليه ، فصرفه هذا التحامل عن الانصاف ومعرفة حقيقة هذا الكتاب ، ورأى فى كلمتى الفصول والغايات موازنة لكلمتى السور والآيات ، وعنه أخذ الذين تكلموا بعده عن هذا الكتاب ، فظلموا ابا العلاء وظلموا التاريخ أيضاً وادعوا ان الرجل يعارض القرآن بهذا الكتاب الذى يختلف عن القرآن اختلافاً واضحاً فى اسلوبه وموضوعه . ولو أن ابا العلاء اراد ان يعارض القرآن لما أتى بهذا الاسلوب . ولو أن أبا العلاء اراد أن يحتذى القرآن لما التزم فى هذا الكتاب ما لا يلزم من تقسيمه إلى فصول ورجعات وغايات مرتبة على حروف المعجم ، ولما جعله كتاب أدب ولغة ووعظ فى آن واحد ، بل لجعله كتاب تشريع وقصص ومعاملة بين العباد بعضهم مع بعض كالبيع والشراء والزواج والعقوبات وغيرها . وليس يخفى على أبى العلاء هذه الشروط التى يجب ان تتوافر فى معارضة القرآن . وليس ابو العلاء من الغفلة بحيث يريد أن يعارض القرآن بكتاب يبعد كل البعد فى اسلوبه وموضوعه ونظمه عن القرآن . ولكن صنيع هذا الكتاب كان سبباً فى هذا التخبط .
ثم ان تحامل ابن الجوزى وغيره من المؤرخين الذين رموه بالزندقة والالحاد كان داعياً الى الخطأ فى تسمية هذا الكتاب اولا ، وفى الاشتباه فى موضوعه ثانيا . لان أبا العلاء وقد عرف بتفكيره الحر وآرائه الجريئة فى الطبيعة والكون والمادة والزمان والمكان والاديان ، وبحثه فى علل الكائنات ، وذمه للدنيا ، وتململه بالوجود وضجره من الحياة - كل ذلك على ما يظهر - ربما جعل الذين لم يفهموه ولم يطلعوا على هذا الكتاب ولم يعرفوا غرضه منه أنه ليس من البعيد أن يعارض القرآن ، وانه وقد أوتى من البلاغة والثروة اللغوية حظاً وفيراً ليس من الغريب أن يكون قد وضع الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات . ولكن ذلك على ما بينا فى هذا الفصل ليس من الحق فى شىء . فقد كان ابو العلاء على جرأته لايحب أن يقيم حوله ثورة دينية ، وكان يكتفى فى كثير من آرائه بالرمز والتلويح . ومع ذلك فلم يسلم من الايذاء والرمى بالالحاد . وقد أوذى فى امتناعه عن أكل اللحم رفقاً بالحيوان ، واتهموه بالكفر لانه يحرم ما احله الله . فما بالك اذا الف كتاباً عارض به القرآن ؟ إذن لكانت الطامة الكبرى ولقى من الايذاء والبلاء شر ما يلقاه انسان

طاهر احمد الطناحي

أين تظفر بالسعادة

بقلم الاستاذ الشيخ محمود أبو العيون

السعادة التي نتحدث عنها صفة من الصفات البارزة في الحياة ينشدها جميع الناس على اختلاف نحلهم ومذاهبهم، ويصفونها على غرار ملابساتهم وأحوالهم وميولهم النفسية، فدونوها في مباحثهم وقصصهم، ومثلوها في مسرح تمثيلهم، وصوروها بمختلف الصور وشتى الأعراض والمرامي. ومع أن للحياة غرضاً واحداً هو العيش على أكمل الأحوال، والحصول على أكبر قسط من السعادة الممكنة، إلا أن الانسان قد تعمى عليه الطريق التي توصله الى الغرض، فيبحث عنها في تروية جميع شهواته بما يسعه امكانه من متاع مادي وعقلي

فناس يرون السعادة في السكون وروعته، ويلمحونها في الطبيعة الساحرة، يرون في الكون الواسع المدى جمالاً أخاذاً، يرون فيه الكواكب الزاهرة، والسحب الماطرة، والأمواج المتكسرة، ويرون الجمال الفاتن في زرقة السماء، وزهرة الصحراء، والمروج الخضراء، وفي هدير الماء، وهديل الحمام، وثغاء الشاء، وحنين الإبل

وناس يرونها في الحب ويرون فيه أنه صنو السحر

هو السحر إلا أن للسحر رقية   وإني لا ألقى من الحب واقياً

ويرون فيه أنه ارتياح في النفس، وفرح يجول في الروح، وسرور ينساب في جميع أجزاء القوى. ويقولون إنه بقدر ما يكون الانسان حصيفاً راجح العقل يكون حبه صحيحاً مدرباً، يسير به الى مستوى الفضائل ومكارم الأخلاق، ذلك لأن الحب غصوناً تغرس في القلوب، فتثمر على قدر العقول، ولو لم يكن فيه إلا أنه يشجع الجبان، ويصقل الأذهان، ويستحرم العاجز، لكفاه شرفاً

وناس يرون السعادة في الصحة والشباب، ففي الصحة تذوق العيش الهنيء، والحياة الصافية، وفي الشباب لذة الفتاء والصبوة، والأماني المعسولة الحلوة. ويقول المتنبي في ذلك:

آلة العيش صحة وشباب   فإذا وليا عن المرء ولى

وناس يرونها في المال والبنين، ففي تلك الثروة المرجوة من بسطة العيش والحصول على كل مأمول، وفي البنين زهرة الحياة الدنيا وزينتها. ويقول الطغرائي مشيراً الى مزية جمع المال، وسعادة الانسان به:

أريد بسطة عيش أستعين بها   على قضاء حقوق للعلى قبلي

ومن الناس من يراها في سعادة الوطن، وأن سعادته مرتبطة بسعادته فهو يتفانى في حبه،

ويضحي بنفسه في الدفاع عنه ، ويتغنى بأنشودته وذكرى صباه في مربعه ومروجه . ويقول أبو الحسن علي بن عباس الرومي في ذلك :

ولي وطن آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعماً ... بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه ... لها جسد إن بان غودر هالكا

ومن الناس من يرى السعادة في جمال الزوجة وفي البطولة والعظمة ، وفي الرياسة والملك ، وفي الغناء والموسيقى والتصوير ، إلى سائر الفنون الجميلة .

ذلك الذي فهمناه وغيره مما لم يتسع المقام لذكره مما يعده سواد الناس في السعادة ، وأين تكون . وعلى نحو ذلك يقولون : فلان حياته سعيدة ، وفلان شقي ، وهم في ذلك واهمون ، فإن السعادة الحقيقية ليست في شيء من هذه الشهوات وإن كانت مشروعة ، فجميع السعادات العرضية فانية متحولة وليس لها اعتبار ، لا تصدر منها النفس ، والشباب الصقيل يذبل ، والصحة تضمحل ، والثروة تفنى ، والولد يموت ، والشهرة تزول وهكذا ، وقد تنعدم ... وتنكرت له الأيام فلا تبقى له بهجة الحياة وصفو العيش .

إن السعادة التي نعنيها ليست في ... سعادة بمعنى التكامل . ... السعادة الحقيقية فهي استكمال القوتين العلمية والعملية ، هي تكميل النفس بالعلم ، وتكميلها بالفضائل . فمتى تحلى الإنسان بالعلوم والمعارف وعمل بما علم ، كانت حياته حافلة بأنبل العواطف وأشرف الغايات . وكلما تزيد الإنسان من هاتين القوتين كان أدنى من السعادة ، وأقرب إلى الخير . ولقد بلغ الأنبياء والرسل درجة الكمال فيهما فكانوا أسعد الخلق في هذه الحياة ، وكانوا أكثر أجراً في الدعوة إلى الخير وجلاء أسرار الخالق ، ثم الذين ترسموا خطاهم من مصلحي الأمم وحكمائها وذوي القدوة الحسنة فيها ، كل على قدر درجته من العلم والعمل .

محال أن يصل المرء إلى السعادة الحقيقية التي ينشدها طلاب الكمال في هذه الحياة بغير طريق العلم وأخذ النفس بكماله المعنوي ، فالعلم حياة والجهل موت . من المعروف أن الإنسان قد يطلب العلم لغاية مادية ، فإذا ما أمعن فيه انقلب هو نفسه غاية ، وأصبح يطلب لذاته وكان لذة من لذات النفس الباقية الأثر عميقة التكوين . ولسنا نجد له ضريباً في ذلك سوى المال عند عبيده ، ولكن المال قد يعقب عند هؤلاء حسرة دائمة وعيشاً نكداً ، أما العلم فلا خطر فيه ولا يخشى من عنته ، والعلم إذا أثمر فضيلة وخلقاً كان أجدى لصاحبه وأعود بالخير عليه . وهم يقولون إن هناك

علاقة بين العلم والاخلاق أي ان هناك رابطة بين التربية العقلية والتربية الخلقية ، وليس ذلك موضوع بحث الآن ، وانما نريد أن نكرر ما قلناه وهو أن السعادة الحقيقية هي في رياضة العقل بالبحث العلمي ، وأخذ النفس بتطبيق نظرياته عملا وخلقاً ، وبذلك يكون الانسان ذا مظهر للاخلاق العالية ، وقدوة صالحة ، وعاملا قوياً في استقامة الحياة وهداية خلق كثير

ألم تر الى العرب قبل الاسلام كيف كانوا ؟ كانوا جفاة غلاظاً لا يهتدون بخلق ، ولا يستقيمون لفضيلة ، فلما جاء الاسلام وأثار كتاب الله عقولهم ونبه فيهم حاسة الخير ، انتقلوا من وحوش كاسرة الى هداة مصلحين ، وفتحوا بلاد القياصرة والاكاسرة بقواتهم المعنوية أكثر مما فتحوا بقواتهم المادية

العظمة والبطولة وقيادة الجماهير إلى خير السبل ، وتجديد الامم بالاصلاح والتعمير ، كل ذلك نتيجة العقول المستنيرة بالمعرفة والعامرة بالاخلاق ، وهذه هي السعادة المنشودة والتي هي خير سبيل إلى إصلاح الحال في الدنيا والآخرة . ولقد تجد أولئك العظماء والابطال والقادة الذين استنارت عقولهم وكملت أخلاقهم ، لا يرون في الحياة آلاماً في سبيل خدمة الحق ونصرة الانسانية ، وهم يستعذبون العذاب والآلام في سبيلهما

والتاريخ يحدثنا في كل حين عن رجال من ذلك الصنف طفقوا يجاهدون بالاصلاح ، ويعملون على انهاض أممهم ، فأصيبوا في طريق ذلك بالتشريد والتعذيب والويلات في النفس والمال والولد وهم عاكفون على دعوتهم وتوجيه نفوسهم إلى تلك الغاية في الحياة ، راضون عن كل ما يلحقهم من الاذى ، غير ساخطين على القدر ولا زارين بالقضاء

والأمم التي عرفت بالعقول الراجحة والاخلاق المستقيمة عاشت سعيدة ، والتي حرمت الامرين لا قيمة لحياتها ، بل تكون قطيعاً من البهائم السائمة . واذا كثر المتعلمون فيها من غير أن تكون محصلة للاخلاق كانت على نفسها شراً من الأمة الجاهلة ، فان العلم يفتح لها أبواب النزق فتتردى في أودية الهلاك والضلالة ، اما أن تكون أمة ذات خلق بغير علم ومعرفة فذلك لم نصل الى معرفته ولم نعرف باحثاً وصل اليه

محمود ابو العيون

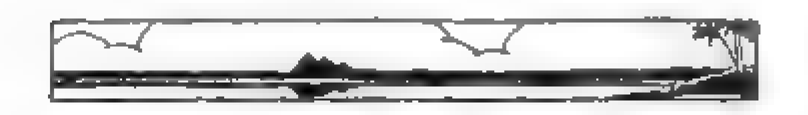

تاريخ البغاء

من اقدم عصور الحضارة الى الآن

لسنا نعرف شراً أجمع الناس على استنكاره ثم تسامحوا فيه وأباحوه كشر البغاء. فهو في نظر الكثيرين من المحظورات التي تبيحها الضرورات، أو هو ذلك الشر الذي لابد منه ـ لا لدعم صرح الاجتماع، بل لاشباع شهوات الانسان وغرائزه البهيمية، على أن يتم ذلك الاشباع بقيود وفي حالات تكون أكثر ما يمكن انطباقاً على المصلحة العامة. وفي الواقع ان اباحة البغاء ليست دليلا على صلاحه لعمران بل هي من قبيل اختيار أهون الشرين. فقد رأت الحكومات في مختلف العصور والبلدان أن تبيح هذا الشر مكرهة وأن تقيده بقيود تخفف وطأته إلى الحد الذي يتفق ومصلحة الاجتماع. وحاولت بعض تلك الحكومات في أوقات مختلفة أن تلغيه الغاء تاماً ثم عدلت عن ذلك لاعتبارات ليس هنا مجال الكلام عنها

ولا ريب أن من أقوى العوامل التي ساعدت في انتشار البغاء في العصور الماضية ما كان له في نظر بعض الأقدمين من معنى ديني. فقد نبغ من عباد الشمس من كانوا يعبدون الشهوات ويخلقون لها الآلهة. وقد اشتهرت بابل ولسبوس وكورنثوس وغيرها من المدن القديمة بما كان يقام فيها من ضروب العبادات الشهوانية. ومن الثابت أنهم كانوا يفرضون البغاء على بناتهم في الهياكل والمعابد بل في أمور أخرى كما سنرى فيما يلي

ولننظر الآن في نشوء هذا الشر قديماً وكيف وصل الى حالته الحاضرة، وما هي القيود التي فرضت عليه

☆☆☆

اذا استثنينا الشعب اليهودي نجد أن معظم الشعوب الشرقية القديمة كانت تبيح البغاء وتدعو اليه وتعده من الفرائض الدينية. وفي سفر اللاويين من التوراة امر يحتم على اليهود ألا يحذوا حذو مصر وكنعان في اباحة الفرائض الشهوانية. ولم تكن هذه الفرائض محصورة في مصر فقط بل كانت عامة في فينيقية وآشور وبابل وبلاد العرب والكلدان وغيرهم. وما عبادة ايزيس ومولك والبعل وعشتاروت وغيرها سوى ضرب من أشنع ضروب الفرائض الشهوانية التي كان الاقدمون يمارسونها ويحافظون عليها. بل أن هنالك قرائن تدل على أن البغاء في بعض البلدان (كبابل مثلا) كان اجبارياً تكره عليه الفتيات اكراماً للآلهة المسماة «ميليتا». وما يزال البغاء في بعض أنحاء الهند

مرتبطاً بالعقائد الدينية إلى هذا اليوم . اما الصين فمع قدم حضارتها لم يكن للبغاء فيها صلة بالعبادة مع انه منتشر فيها منذ أقدم الازمنة

واذا رجعنا الى الشريعة الموسوية نجد انها لا تحرم البغاء تحريماً صريحاً ولكنها تحصره في النساء الاجنبيات فقط . ففي سفر اللاويين « ١٩ : ٢٩ » قوله : « لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى » . وفي سفر التثنية (٢٣ : ١٧) نهي صريح للاسرائيليات عن مزاولة البغاء . الا ان الشريعة الموسوية لا تفرض أية عقوبة على من يعصي هذا الامر الا اذا كان من طغمة الكهنة فان ابنته كانت اذ ذاك تحرق لانها تدنس اباها (لاويين ٢١ : ٩) وهذا مناقض لما كانت عليه الحال عند الامم الاخرى فان « كاهنات » المعابد عندها ما كن سوى عاهرات . وكانت عقوبة الزنى في الشريعة الموسوية القتل ، فاذا زنت فتاة مخطوبة وجب قتلها رجما

وفي أسفار العهد القديم اشارات كثيرة إلى البغاء في فلسطين تدل على انه كان منتشراً فيها انتشاراً كبيراً . وقد نهى الناموس الموسوي العاهرات عن الدنو من اورشليم ومن اماكن العبادة عامة فكان هؤلاء النسوة يجلسن على قوارع الطرق . وهنالك اشارات تدل على ان العاهرات كن يلبسن ثيابا معينة تميزهن عن غيرهن . وكانت هذه العادة (أي عادة لبس ثياب معينة) شائعة بين بغايا اليونان والرومان أيضا

☆ ☆ ☆

أما في بلاد اليونان فكان للبغاء نظام خاص . وكان صولون المشرع اليوناني الحكيم قد سن قانونا خاصا لتقييده بقيود صارمة . من ضمنها انشاء منازل خاصة (مواخير) لاقامة البغايا . وكانت تلك المواخير احتكاراً للحكومة ومحصورة في أحياء معينة من المدن . وكان محتوماً على البغي ان تلبس ثيابا معينة . ومع انه كان للبغاء صبغة دينية في كثير من البلدان القديمة لم يكن كذلك في بلاد اليونان بل لم يكن يؤذن للبغايا هنالك ان يشتركن في الحفلات الدينية . وبعد الحروب الفارسية اضطر اليونان الى سن قوانين مشددة لتقييد البغاء ، ووضعت المواخير تحت رقابة البوليس وفرضت عقوبات مشددة على البغايا اللواتي يتسببن في خراب الشبان ماليا وصحيا واللواتي يتهتكن علنا أو يدنسن المعابد . ومما يجدر بالذكر ان البغايا كن طبقات مختلفة وان كن على مستوى واحد في نظر القانون . واكتسبت بعض السراري نفوذاً عظيما حتى ان بعضهن كن يتحدين سلطة البوليس ويفعلن مايحسن في نظرهن . وبمرور الزمن بطل احتكار الحكومة للمواخير وصار في وسع كل امرىء ان ينشىء ماخوراً بشرط ان يدفع للحكومة ضريبة معينة

وكانت كورنثوس في مقدمة مدن اليونان شهرة لكثرة ما كان فيها من المواخير وما كان يقع فيها من ضروب التهتك والخلاعة حتى صارت مضربا للامثال . وكان فيها معبد شهير لافروديت

آلهة الشهوات . وكانت الشعائر الدينية المتعلقة بها من أحط الفرائض الشهوانية التي يتصورها الانسان

* * *

أما في روما فقد كانت وطأة البغاء أخف لان الرومان كانوا في أول العهد أكثر تمسكاً بأهداب الفضيلة وكانوا في أيام الجمهورية يغارون على العرض ويحتقرون الذين يترددون الى المواخير أو يظهرون مع البغايا علناً . وكانت قوانين البغاء عندهم شديدة ثقيلة . وهم أول من أوجب على البغي تسجيل اسمها في سجل خاص للحصول على الاذن بمزاولة مهنتها كما هي الحالة الآن في البلاد المتمدنة . وكانت البغايا يلبسن ثياباً معينة ويصبغن شعورهن أو يلبسن عارية صفراء ويخضعن لقيود كثيرة ويدفعن للحكومة حملاً معيناً . وكانت البغي اذا احترفت البغاء ثم أرادت التوبة لم يجرؤ أحد على معاشرتها أو الاجتماع بها

على أن جميع هذه القيود المشددة ضعفت بمرور الزمن فأخذ الرومان ينهمكون في شهواتهم . وانتبه بعض قادة الشعب الى الخطر الادبي الذي يتهددهم من هذه الناحية فألهموا الحكومة – في أواخر عهد الجمهورية – بأن تسن قانوناً جديداً للبغاء تقيده بقيود ثقيلة . ومع أن الحكومة سنت قانوناً كهذا وفرضت على البغايا هذه القيود فإن مستوى الآداب الرومانية انحط كثيراً

ولما جاءت الديانة المسيحية طرأ على البغاء تغيير عظيم . ذلك أن هذه الديانة تنظر الى البغايا نظرة الشفقة وتدعو إلى العفو عن أخطائهن . وفي القرن السادس للميلاد – أي في عصر الامبراطور انستاسيوس الاول – ألغيت الضريبة التي كانت تفرض على البغاء (وكانت قد أصبحت بمرور الزمن مصدر ربح كبير للامبراطور) وأحرقت السجلات القديمة وكان فيها أسماء البغايا وبيانات أخرى متعلقة بهن . وقد علل المؤرخ جبون ذلك بقوله : إن الامبراطور يوستنيان فعل هذا لانه كان يريد أن يتزوج تيودورا التي اشتهرت بالتهتك والخلاعة في ذلك الزمن . على أن جبون نفسه اعترف بأن تيودورا هذه أصبحت من فضليات النساء بعد زواجها فانصرفت الى عمل البر والاحسان . ومن أشهر آثارها الملجأ الذي انشأته في القسطنطينية لانقاذ الساقطات والعناية بهن . وكانت القوانين الرومانية في ذلك الزمن – مع اباحتها البغاء – تفرض على سماسرة السوء عقوبات مشددة

ولما علم الأباطرة الرومان بشدة محافظة المسيحيين على العفة واستنكافهم من البغاء أخذ بعضهم يضطهد المسيحيين باكراه بناتهم على احتراف البغاء . على أن ذلك لم يفت في ساعد المسيحيين الذين كانوا يستشهدون ويقبلون الموت بطيبة خاطر في سبيل دينهم . وكان من نتيجة ذلك أن القوط لما غزوا الامبراطورية الرومانية واجتاحوا ايالاتها كانوا يرعون حرمة المسيحيات أشد الرعاية . على ان بعض زعماء المسيحية في تلك العصور – وفي مقدمتهم القديس أوغسطينوس – كانوا يرون البغاء شراً لابد منه ولا يرون أية فائدة من محاربته لئلا يفضي الداء الى انتشار الرذيلة انتشاراً ذريعاً

ولما جاء الامبراطور شرلمان حاول اصلاح الحال . ومع أنه اصدر أمراً بجلد كل بغي وكل سمسار من سماسرة البغاء فقد كانت معيشته مشوبة بكثير من التهتك وفساد الآداب . فلم تكن غيرته على الآداب ناجمة عن اخلاص . ولما جاء عصر الفتوة (المعروف بعصر الفروسية) ارتقت الآداب الى مستوى رفيع وصار للمرأة فى نظر الناس مقام عال . وتعاونت الروح المسيحية والروح الدينية التى نشأت عن الحروب الصليبية على اعلاء شأن الفضيلة ومحاربة الفساد الذى كان منتشراً فى ذلك العهد . وقامت الكنيسة بنصيب وافر من العمل وانشأت دوراً وملاجىء خاصة لانقاذ الساقطات التائبات وايوائهن . وليس ذلك فقط بل خصت أكثرهن بمبالغ من المال « دوطة » لتزويجهن . ومن أشهر الذين عملوا فى هذا السبيل « فولك دى نوبلى » فانه أخذ يطوف بأوربا واعظاً داعياً الى قبول توبة الساقطات . وأصدر البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ — ١٢١٦) منشوراً جاء فيه أن كل من يتزوج بغياً تائبة يستحق الثواب — وكتب البابا غريغوريوس التاسع بعد ذلك ببضع سنوات الى الحكومة الالمانية ينهى أصحاب المواخير عن التعرض للبغايا اللواتى يرغبن فى حضور الوعظ والارشاد فى الكنائس ويحرم كل من يتاجر بعفاف امرأة ويشجع الشبان على الاقتران « بالتائبات » ويحرض من لم يتزوج من هؤلاء على دخول الاديرة

ومع كل ذلك انتشر البغاء فى أوربا فى العصور المتوسطة انتشاراً حمل جميع الحكومات على سن قوانين خاصة لتقييده . وكثرت المواخير فى أنحاء كثيرة من فرنسا وفى انكلترا حتى هال أمرها العقلاء . فأصدر هنرى الثانى ملك انكلترا أمراً بتحديد جميع المواخير سنة ١١٦١ . أما فى فرنسا فكان يفرض على البغايا أن يلبسن ثياباً خاصة ولا يؤذن لهن أن يسكن محلات معينة أو ان يقربن أحياء معينة من المدن . وانشئت مواخير عامة فى باريس وطولوز وافينيون ومونبليه . وكانت المكاسب الناشئة عنها فى طولوز تقسم مناصفة بين المدينة (البلدية) والجامعة . أما فى افنيون ومونبليه فكان البغاء احتكاراً للمدينة فكانت هذه تبيع « امتياز » انشاء المواخير وادارتها الى أشخاص بشرط أن يدفعوا جعلا معيناً . وكانت البغايا فى افنيون مرغمات بأن يتقدمن للكشف الطبى مرة فى الاسبوع . الا أن لويس التاسع أصدر أمراً فى سنة ١٢٥٤ يقضى بالغاء المواخير وبنفى أصحابها ومديريها والبغايا اللواتى فيها . ولكن هذا الامر الغى مرة أخرى بعد ذلك بسنين . وفى الوقت عينه شددت العقوبة على سماسرة البغاء . وكانت البغايا فى بعض أنحاء فرنسا يدفعن ضرائب للموالى الاقطاعيين

ولم تكن الحالة فى المانيا تختلف كثيراً عنها فى غيرها من بلدان أوربا فى ذلك العهد . فكانت المواخير مقيدة بقيود مختلفة وتدفع جعلا للمجالس البلدية . وفى أكثر مدن المانيا لم يكن يؤذن للمتزوجين فى ارتياد المواخير . وكان محظوراً على اليهود ورجال الدين أيضاً أن يغشوها . وكانت تقفل عادة فى أيام الآحاد وفى الاعياد الدينية

وفى القرن الثالث عشر أصدر فردريك الثانى قانوناً خاصاً بالبغاء يتضمن أوامر ونواهى هى فى

حماية القرابة . مثال ذلك أن كل من اعتدى على بغى وحاول اغتصابها عرض نفسه للموت بقطع رأسه . وكل بغى تتهم رجلا بريئاً تهمة كاذبة من هذا القبيل تعاقب بتلك العقوبة عينها . وإذا أبى إنسان أن يمد يد المعونة إلى بغى لانقاذها ممن يحاول الاعتداء عليها عوقب بغرامة كبيرة . إلى غير ذلك من القوانين التى تقرأ روح الفتوة (الشيفالرى) بين سطورها . وكان يحظر أيضاً على البغايا أن يتخذن سكنا بين الأسر الشريفة أو أن يذهبن إلى الحمامات العامة مع النساء الشريفات

ومن تقاليد ذلك العصر فيما يتعلق بحقوق الضيافة أن يضع المضيف مواخير المدينة تحت أمر ضيفه ليقضى فيها ليلته . ومما يروى من هذا القبيل أنه لما زار الملك سجسموند (الذى أصبح فيما بعد امبراطوراً) مدينة « برن » فى سنة ١٤١٤ ومدينة « اولم » فى سنة ١٤٣٤ ملبيا دعوة بعض أصدقائه من الاشراف وضعت المواخير العامة تحت تصرفه . وقد سر بذلك سروراً أعرب عنه لمضيفيه علنا أمام حاشيته ! . . .

وكان فى ألمانيا فضلا عن المواخير العامة بيوت سرية تنافس المواخير منافسة شديدة . وفى سنة ١٤٩٢ رفعت بغايا مدينة نورمبرج شكوى إلى محافظ المدينة بسبب تلك المنافسة . وفى سنة ١٥٠٨ هجمت البغايا على تلك البيوت السرية وأرغمن ساكناتها على الفرار

* * *

ولم يكن نظام البغاء فى إيطاليا وأسبانيا يختلف عنه فى غيرها من بلاد أوربا . فقد كانت البغايا فى بعض المدن ملزمات بأن يلبسن ثوباً معيناً . وفى البندقية كان يحظر عليهن ارتياد الحانات . وكان فى مدينة نابولى محكمة خاصة بشئون البغاء إلا أنها ألغيت فى أواخر القرن السابع عشر بسبب إساءتها استعمال سلطتها

وفى المائتين السادسة عشرة والسابعة عشرة طرأ على نظام البغاء انقلاب عظيم نشأ عن عاملين مهمين : أولهما الاصلاح الدينى وثانيهما انتباه الناس الى مرض الزهرى الذى أخذ يتفشى فى ذلك العصر . ومع أن القرائن متوافرة على أن هذا المرض كان معروفا منذ أقدم الأزمنة إلا أنه لم ينتشر كثيراً فى أوربا على ما يظهر إلا فى أوائل القرن السادس عشر أى على أثر رجوع بعثة كولمبوس من امريكا . وهذا ما حمل الكثيرين فى ذلك العهد على القول بأن داء الزهرى وصل الى اوربا من هنود امريكا بواسطة رجال كولمبوس . إلا أن الذين يعول على آرائهم من كبار المؤرخين ينكرون ذلك ويقولون إن الزهرى كان منتشراً فى اوربا قبل سفر كولمبوس الى امريكا

ولما جاء عصر الاصلاح الذى سبقت الاشارة اليه ظهر تأثيره فى نظام البغاء ظهوراً واضحا فى ألمانيا ثم فى غيرها من بلاد اوربا . فأقفلت مواخير « اولم » فى سنة ١٥٣١ ومواخير « بال » فى سنة ١٥٣٤ ومواخير نورمبرج فى سنة ١٥٦٢ ومواخير لندن فى سنة ١٥٤٦ ومواخير باريس فى سنة ١٥٦٠ . وأرغمت جميع بغايا باريس فى تلك السنة على الخروج من المدينة

ومن الغريب مارواه بعض المؤرخين ، ومن جلتهم « جون ام راين » الالماني وكان من أعداء البغاء ، أن اقفال المواخير في المانيا وغيرها عقبته ظاهرة غريبة وهي انتشار جرائم قتل الاطفال وتفشي مرض الزهري تفشيا ذريعا — مما دعا ولاة الامور الى انشاء ملاجيء للاطفال ومستشفيات للمصابين بالزهري

وفي القرن السابع عشر ثارت ثورة المصلحين على البغاء مرة أخرى . ففي سنة ١٦٢٠ أصدرت الحكومة الفرنسية أمراً باغلاق جميع المواخير وسنت قانونا يقضي بسجن جميع الرجال الذين يروجون البغاء سجنا مؤبداً مع الاشغال الشاقة ، وبطرد البغايا عاجلا ونفيهن من البلاد من دون محاكمة. ولم يكن القانون الذي سنه المتحمسون من رجال الدين في انجلترا أخف وطأة . فقد كانت البغايا يجلدن وأجسامهن توسم بالحديد ويحكم عليهن بالسجن ثلاث سنوات. فاذا عادت البغي بعد ذلك الى مزاولة مهنتها مرة أخرى حكم عليها بالموت

وكذلك اصدرت بعض المدن في المانيا قوانين شديدة الوطأة على البغايا باقفال المواخير وسجن البغايا أو نفيهن من البلاد

وقد أصبح البغاء الآن من المعضلات التي تهتم بها جميع الدول على السواء ، وهو اليوم شديد العلاقة بتجارة الرقيق الابيض [illegible] في أنحاء كثيرة من العالم

ومما يدل على اهتمام الدول بهذه المعضلة أن مؤتمراً دولياً عقد في لندن سنة ١٨٩٩ عقبه مؤتمر آخر عقد في باريس في سنة ١٩٠٢ أدى الى عقد معاهدة سنة ١٩٠٤ بشأن الرقيق الابيض وقد وقعتها اثنتا عشرة دولة من دول أوربا [illegible] ما عدا [illegible] . والتزمت الدول يومئذ بموجب المعاهدة المذكورة على مراقبة الرقيق الابيض مراقبة مشددة مع ملاحظة الاسواق التي يؤتى منها بذلك الرقيق وكيفية الحصول عليه . وفي سنة ١٩١٠ سنت الولايات المتحدة قانونا خاصا بالرقيق وفي تلك السنة عينها عقد في باريس مؤتمر دولي للنظر في هذه التجارة شهدته ثلاث عشرة دولة من ضمنها النمسا واتخذت فيه قرارات تقضي بأخذ تجار الرقيق الابيض بأقصى ما يمكن من الشدة

ولما وضعت الحرب العظمى اوزارها في سنة ١٩١٨ وانشئت عصبة الامم اخذت هذه على عاتقها الاهتمام بمسألة الرقيق الابيض بمقتضى المادة ٢٣ من قانون العصبة . وفي سنة ١٩٢١ عقد في جنيف مؤتمر حضرته اربع وثلاثون دولة للنظر في تجارة الرقيق الابيض واتخذت فيه قرارات حديدة طبقا لما يقضي به الاختبار . وما تزال عصبة الامم تعنى بهذه التجارة عناية خاصة وتراقب انتشارها واتساع نطاقها بكل اهتمام

سليم عبد الاحد

الطب في خدمة العدالة

بقلم الدكتور محمد عماره

أستاذ الطب الشرعي المساعد ، بكلية الطب

تصدير

حكمت محكمة الجنايات منذ أسابيع على ثلاثة من العربان ثبت انهم قتلوا جندياً بريطانياً بمصر الجديدة ، فقضت بالاشغال الشاقة المؤبدة على احدهم وبالسجن خمسة عشر عاماً مع الاشغال الشاقة على زميليه . وجاء فى حيثيات الحكم ان تخفيف العقوبة عن الاول – برغم انه هو الذى أطلق النار على القتيل فأرداه – يرجع الى ان سنه لم تتجاوز العشرين عاماً

وفى سنة ١٩٢٦ ادعى صاحب جريدة اسبوعية ان المرحوم فتح الله باشا بركات والمغفور له سعد باشا ، حرضا شخصا على الاعتداء عليه فطعنه بسكين فى صدره ، فتبين انه كاذب فى دعواه تلك ، وحكم عليه بالسجن سنتين

وها هى المحاكم بمصر الآن تنظر قضية اتهمت فيها احدى السيدات ، بأنها ادعت بنوة طفل زاعمة انها رزقته من زوجها المرحوم ، على حين تدعى أخت المتوفى وزوجته الاخرى ان الطفل ينتسب الى أب قهوجى وأم وصيفة

هذه أمثلة ثلاثة – من كثير غيرها – يحسن ان نسوقها دليلا على ان العدالة فى عصرنا هذا تلجأ الى الطب فى حل ما أشكل تمحيصه من الحق

فأما مسألة السن فى القضية الاولى ففى وسع الطبيب الشرعى ان يقدر عمر أى انسان فى مثل هذه السن بالدقة والضبط

وأما الصحفى الذى ادعى انه طعن فى صدره ، فقد أثبت الطبيب الشرعى انه هو الذى جرح نفسه بموسى من نوع « الجيليت »

وأما الطفل الذى تدعى تلك السيدة انه من زوجها الراحل ، ففى استطاعة الطبيب الشرعى ان يكشف حقيقة الامر فيها ان ساعده الحظ ، ونقول : « ان ساعده الحظ » ونحيل القارىء الى ذيل المقال ، ليعرف ماذا قصدنا من قولنا هذا)

فما هى اذن وظيفة الطبيب الشرعى ؟ وماذا يؤديه من خدمات للعدالة ؟!

نبذة تاريخية

يرجع الطب الشرعي الى عهد قدماء المصريين ، فقد كان هناك قوانين تحتم عمل كشوف فيما يتعلق بالبكارة والاغتصاب ، والبرص والجذام . وكان الكهنة يتولون عمل هذه الكشوف

واحتذى الاسرائيليون حذو قدماء المصريين ، وعنهم أخذوا هذه الاجراءات

كذلك كان الاغريق ، وكان الرومان يحتمون عمل كشوف فيما يتعلق بالجنون والجروح المميتة والقتل بأنواعه

وانك لتجد شيئاً كهذا فى تاريخ الاجراءات القضائية على عهد الخلفاء وملوك المسلمين فى البلاد الخاضعة لنفوذهم . أما الاوربيون فى ذلك الوقت فقد أوجب شارلمان — بمقتضى قانون يسمى « كابيتولير » — ضرورة عمل كشوف طبية شرعية . واستمر ذلك فى فرنسا الى ان وضع نابوليون قانونه المشهور . على انه فى النمسا — من عهد شارلكنت فى القرن السادس عشر من الميلاد — كانت الكشوف الطبية الشرعية ضرورية وقررها فى قانونه المسمى « كارولين »

ويمكن القول بأن كتب الطب الشرعي الحقة لم تظهر قبل القرن السادس عشر ، لكن ليس معنى هذا ان كتب جالينوس وأبقراط وكتب الاطباء العرب خالية من أية اشارة الى الطب الشرعي ، فالذى تعرفه أن جالينوس مثلا فصل الكلام فى ادعاء المرض وشرح الفرق بين الامراض الكاذبة والحقيقية . واحتوت هذه الكتب القديمة على أوصاف الجنون وأنواعه وعلى أشياء أخرى مما يتصل بالطب الشرعي ، الا أن الطب الشرعي — كعلم مستقل بذاته — لم يظهر إلا فى القرن السادس عشر أى من عهد شارلكنت

وبالطبع تقدم الطب الشرعي جنباً الى جنب مع تقدم فروع الطب الاخرى ومع تقدم الصناعة وسرعة المواصلات

فالطب الشرعي الحديث هو ثمرة ناضجة من ثمرات الحضارة الراهنة فى كل شيء تقريباً . ولا مبالغة فى القول بأنه من المبتكرات الطريفة التى لم تكن تعرفها الانسانية من قبل والتى أجرت على العدالة خيراً عميماً وساعدت فى وضع الحقوق فى نصابها

الطب الشرعي

فى مدة « كلوت بك » كان طلبة الطب يحصلون على معلومات وجيزة عن الطب الشرعي ، وبقى الزمن اندثر هذا القدر الضئيل زمناً ما

وآية ذلك ان المرحوم — الدكتور ابراهيم باشا حسن — على ماورد فى كتابه « الدستور المرعى فى الطب الشرعي » ، وهو أول مؤلف من نوعه فى اللغة العربية — يقول انه لما ذهب الى باريس

لاتمام علومه الطبية وجد أن ثمة فرعاً من فروع الطب غير معروف فى مدرسة القصر العيني ، بالرغم من شدة الاحتياج اليه فى الاقاليم والمراكز المصرية ، هذا الفرع هو الطب الشرعي ، فبدا له ان يدرسه على الاستاذ تارديو العلامة الفرنسي المعروف وأحد أقطاب الطب الشرعي البارزين . فلما زار الخديوى اسماعيل باشا مدينة باريس وقتئذ توسل اليه « تارديو » ان يسمح للدكتور ابراهيم حسن بالذهاب الى النمسا لاستكمال ما ينقصه من الطب الشرعي . فأذن ساكن الجنان اسماعيل لهذا الطبيب الشرعي فى أن يتزود ما يشاء من الطب الشرعي ، على ان يتولى تدريسه فى مدرسة الطب المصرية لدى عودته

فالطب الشرعي فى مصر الحديثة يعتبر من حلة أعمال التجديد التى استحدثها اسماعيل العظيم

بقى ان أقول ان الطب الشرعي فى مصر بدأ فى أوائل عهده يقدم خدمات للعدالة ، على قدر المطلوب ، ثم تدرج فى اسداء الخدمات حتى صارت له مصلحة قائمة بذاتها يديرها طبيب مصري قدير هو صاحب العزة الدكتور محمود بك ماهر بتماون والنيابة العمومية فى اظهار الحقيقة ناصعة لا لبس يشوبها ولا ابهام ، كما أسس له قسم خاص فى كلية الطب . ولاغرو فان عهد جلالة الملك فؤاد يعتبر امتداداً لعهد اسماعيل من حيث التجديد والاصلاح

على الموتى وعلى الاحياء

الاوفق أن نجمل كلامنا عن الطب الشرعي بحيث نقدم للقراء — وجلهم لو جلهم من غير الاطباء — فكرة شاملة كاملة عن خدماته للعدالة وعن ماهيته وطرقه ووسائله ، ماجد منها وما تقادم به العهد :

الطب الشرعي يتناول الاحياء والاموات جميعاً ، وقد يكون ميدانه بين الموتى أفسح من مجاله بين الاحياء

فالدائرة التي يعمل فيها الطب الشرعي جاهداً فى البحث عن الحقيقة ووجه الصواب هي :

أولاً — الاصابات بأنواعها ، وذلك لمعرفة درجة خطورتها ، والمدة اللازمة لشفائها ، وهل تنشأ عنها عاهة مستديمة ، ودرجة هذه العاهة ونوع الآلة المستعملة فى احداثها ، وهل هي مفتعلة او حقيقية

ثانياً — السموم ، وذلك لمعرفة نوعها ، والكشف عن اعراضها ، وتحليل المشروبات التي يلفظها المسموم او تحليل احشائه بحثاً عن هذه السموم ، وبالطبع لابد من اسعاف المسموم بادىء ذي بدء

ثالثاً — هتك العرض والرق وما يتبع ذلك من حمل وولادة واجهاض . والتطويل فى شرح ذلك يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل . فالناس جميعاً يعلمون ان الطبيب الشرعي هو المختص باثبات هذه الشئون . ولهذه فصل فى الموضوع

رابعاً ـ إدعاء البنوة ، وقتل الاجنة . وسنوجز الكلام فيما يلي عن الطريقة الجديدة التي قد يمكن بواسطتها اثبات البنوة او نفيها

خامساً ـ فحص الآلات النارية وغيرها من الآلات المستعملة في الاعتداء على الارواح . وذلك لمعرفة نوعها ونوع الخراطيش او الرصاص ، وما اذا كان مقذوف ما اطلق من بندقية أو آلة نارية خاصة ، وما الى ذلك مما له اهمية خاصة من الوجهة الجنائية ـ مثل البحث عن « بصمة الأصابع » على البندقية لاثبات شخصية القاتل ، وكذلك تحليل مخلفات البارود في البندقية لمعرفة هل كانت منطلقة حديثاً أم لا

سادساً ـ البقع الدموية والمنوية وغيرها ، وسنتكلم عن ذلك في موضعه

سابعاً ـ الاستعراف على الاشخاص

هذا عن الاحياء . أما عن الموتى فنقول إن الطبيب الشرعي يعنيه ما يأتي بوجه خاص :

أولا ـ الغرقى ، وسبب وفاتهم الحقيقية ، وهل هذا السبب عرضي أو جنائي أو هو انتحار متعمد مقصود

ثانياً ـ الخنق والشنق ، وأي وسيلة استعملت لذلك ، وهل حصل ذلك بجرم أثيم أم هو من قبيل ازهاق النفس بالنفس

ثالثاً ـ كتم النفس (الاختناق) وهو شائع في الاطفال ، خصوصاً أولئك الذين يولدون سفاحاً

رابعاً ـ الموتى بالحروق ، وكيفية ذلك وسببه ومداه ومعرفة ما اذا كانت الحروق هي سبب الوفاة أو أحرقت الجثة بعد وفاتها لسبب آخر لاخفائه

خامساً ـ الضرب بالرصاص أو بمقذوف ناري آخر ، أو بأي آلة اخرى ، سواء أكانت حادة أم راضة . وفي هذا نظر وفيه كلام لعله من الخير أن نعفي القارىء من تفاصيله

سادساً ـ الاستعراف على الموتى والمقتولين ، اذا شوهوا أو انطمست معالم وجوههم وأجسامهم بوجه خاص . وكذلك يمكن التعرف على الشخص ـ او الجريمة ـ من العظام مهما صغرت ، ومن أجزاء الجسم حتى ولو كانت قطعة من الجلد

سابعا ـ الوفاة فجأة ، وهل هي حاصلة عن مرض دخيل او عرض مفاجىء ام حصلت عن غير ذلك

ثامنا ـ الوفاة تحت البنج أو بسبب العلاج الخاطىء

تاسعاً ـ الوفاة بالسموم سواء أكانت معدنية ام عضوية ام غازية الخ

الحديث في الطب الشرعي

للطبيب الشرعي طرقه ووسائله . ويكفي من ذلك ان يعرف القراء أنه يستعين بالمعلومات الطبية التي تساعده على كشف الحقائق . فهو يستخدم شيئاً من الجراحة وشيئاً من التشريح وشيئاً من الكيمياء العضوية وغير العضوية . وهو يستخدم ما ينفعه من ذلك كله على نسق مخصوص وبطرق تنهض على أساس علمي لا غبار عليه

وقد قدمنا ان الطب الشرعي يرتقي مع الطب وفروعه وما يتصل به من علوم . والآن نشرح ما نريده بذلك فنقول ان الطب الشرعي زاد دقة وتضاعفت قدرته على اماطة اللثام عن الحقيقة في عدة امور اهمها ما يأتي بيانه :

كان الطبيب الشرعي فيما مضى لا يعرف من امر البقع الدموية التي تلطخ الثياب او الارض او الآلات القاتلة اكثر من انها بقع دموية وكفى ! بمعنى انه لم يكن يستطيع ان يثبت هل هي من دم الانسان ام من دم غير الانسان . وبقي الحال على هذا المنوال الى سنة ١٩٠١ حينما بدأ « اولنهوث » يستعمل طريقة الترسيب لاثبات ان بقعة الدم التي فحصها من دم الانسان ، وبعبارة أخرى أن التحليل بهذه الطريقة يفرق بين دم الانسان والحيوان ويميز دماء الحيوانات بعضها عن بعض

لكن كان كل ما يمكن الاعتماد عليه في الماضي ـ زيادة على هذه الطريقة الترسيبية لادانة شخص من تعيين دمه ـ هو البحث عن ميكروب الزهري أو الملاريا ، لو كان من المعروف أنه مصاب بأحد هذين المرضين

هذا هو كل ما كان يمكن الاعتماد عليه في صدد ما تقدم بيانه . أما اليوم فقد ابتكرت في العهد الاخير طريقة لمعرفة نوع الدم الانساني تسمى طريقة « فصائل أو مجاميع الدم » وهي طريقة معقدة صعبة . وخلاصة القول فيها أنها تقسم الدماء الانسانية الى أربع فصائل أو مجاميع ، وهذه الطريقة تستعمل في الابحاث الطبية الشرعية في حالتين هما :

الحالة الاولى ـ ادعاء البنوة

الحالة الثانية ـ التحقق من أن البقعة الدموية التي على ملابس المتهم هي من نفس فصيلة ـ أو مجموعة ـ دم القتيل وليست من فصيلة دم المتهم ان ادعى أنها منه

ففي الحالة الاولى معروف أن خواص الدم تورث من الاب والام للابن ، مثلها في ذلك مثل الاخلاق والعادات والميول والشكل العام . ففصيلة الابن يجب ان تكون اما من فصيلة الاب أو الأم أو من كليهما

والنتائج السلبية لهذه الطريقة « الفصيلية » أقوى دلالة من النتائج الايجابية كثيراً ، اذ يمكن

بواسطتها القول بأن طفلا معيناً لا ينتسب لأم أو أب خاص ، وان كان لا يمكن القول بأنه ابن فلان أو فلانة بالذات

كذلك في البقع الدموية ، كثيراً ما يدعى متهم أن بقع الدم التي تلوث ملابسه أتت نتيجة رعاف من أنفه . فلو ثبت أن تلك البقع من فصيلة غير فصيلته ، لأمكن دحض ادعائه بسهولة . وليس يخاف ما لهذا من أهمية في تحقيق ظروف الاتهام

الأشعة والشعر

من أهم الوسائل التي أدخلت على الاجراءات الطبية الشرعية استخدام أشعة اكس (أشعة رونتجن) وادخال تعديلات على بحث أنواع الشعر

فمن أشعة اكس نقول إنها تعين على التحقق مما يلي :

أولا ــ الكسور التي تصيب العظام ، وهل التحمت أو لم تلتحم ، وهل هي قديمة أو حديثة ، وهل هي مرضية أو هي نتيجة اصابة أو سقوط

ثانياً ــ هل في الجسم مواد غريبة مثل الرصاص وغيره ؟

ثالثاً ــ تقدير الأعمار ، وذلك بمعرفة هل التحمت رؤوس العظام ، لأن هذا الالتحام يتم في أوقات مشابهة بأجزاء الهيكل العظمي المختلفة ، وكثيراً ما يركن الى الأشعة في تحديد السن ، في الخامسة عشرة في محاكمة الأحداث ، وفي السادسة عشرة في زواج البنت ، وفي السابعة عشرة في الحكم بالاعدام على من يجاوزها ، وفي الثامنة عشرة في زواج الشاب ، وفي الحادية والعشرين في بلوغ سن الرشد والتصريح بالمباهرات الخ

يأتي بعد ذلك الكلام عن الشعر وكيفية تمييز بعضه عن بعض . وهنا نقول ان الدكتور جلايستر ــ أستاذ الطب الشرعي بكلية الطب سابقاً وبجامعة جلاسجو الآن ــ قام ببحوث جليلة في هذا الشأن بحيث صار في المقدور تمييز شعر المواضع المختلفة من جلد الانسان سواء أكان من الرأس أم من الحاجب أم من الذقن الخ . وكذلك يستطاع تمييز شعور الحيوانات عن الشعر الانساني وعن بعضها

بقي بعد ذلك الاشارة الى الأسلحة النارية . وحسبنا قد تقدم تقدما عظيما يسر للعدالة تجلية وجه الحقيقة وتمحيص الجرائم كما أسلفنا . وأظن ان فيما ذكرته عن الطب الشرعي عامة فيه الكفاية للمتتبعين

دكتور محمد عمارة

في « الايحاء الذاتي » شفاء للناس

(ملخص محاضرة القيت في قاعة يورث بالجامعة الامريكية)

منذ بضع سنوات توفي رجل في مدينة نانسي بفرنسا عمره سبعون سنة . كان صيدلياً لكنه كان يخصص جانباً كبيراً من أوقاته لتخفيف آلام المرضى بواسطة قوة فطرية هي الايحاء الذاتي

ولم يكتف باسداء يده الى الوافدين عليه في نانسي لجاب جميع أنحاء فرنسا والبلدان الاوربية وذهب الى اميركا ، سعياً وراء نشر طريقته في الايحاء الذاتي واظهار ما لها من النتائج العجيبة ، فكان له ما أراد ونال بذلك شهرة عالمية . وقد أنشئت معاهد باسمه في عدة عواصم أوربية وفي الولايات المتحدة ، للاستشفاء بطريقته ... ذلك الرجل الذي خدم الانسانية هذه الخدمة الجليلة هو « اميل كويه »

لم يبتكر « كويه » فكرة الايحاء الذاتي فقد سبقه اليها غيره لكن فضله انه وجه الاذهان الى فائدة الايحاء الذاتي في أحوال الناس عامة وصحتهم خاصة ، واستخدم هذا الايحاء بنجاح باهر في شفاء المرضى بلا أجر ، ونشر طريقته في العالم المتمدين بعد ان نزع عنها وصمة الخرافات وابرزها للناس في صورة يرتاح اليها العقل السليم

فما هو الايحاء الذاتي ؟

يمكننا تعريف الايحاء الذاتي بأنه عمل نغرس به فكراً معيناً في النفس أي في السريرة غير الواعية (l'inconscient) أو العقل الباطن ، وهذه السريرة كفيلة بتحقيق ذلك الفكر أي بنقله الى حيز العمل . فماذا عسى ان تكون هذه السريرة غير الواعية ؟

لا يتبادر الى الذهن أن السريرة غير الواعية بدعة مختلقة ، فما يدل على وجودها ما يحدث للشخص « السومنامبول » الذي يقوم في الليل من غير أن يستيقظ ويرتدي ملابسه أو لا يرتديها ويخرج من غرفته ويذهب الى غرفة أخرى وينجز عملا لم يكن قد أتمه في الامس ثم يعود ويرقد ، وفي صباح الغد يندهش إذ يرى عمله قد تم ! فما دام هو الذي أتمه وهو يجهل ذلك فهذا دليل بين على أنه عمله مدفوعاً بقوة غير واعية . وهذه القوة هي ما نسميه السريرة غير الواعية

على أن الايحاء الذاتي في الواقع عظيم الخطر ما دمنا نجهل طريقة الانتفاع به

ولا شك ان طريقة كويه تمكننا من أن نستخدمه فيما يفيدنا ، فهي تعلمنا كيف نستعمل بسريرة واعية (Consciemment) وعلى وجه حسن الايحاء الذاتي الذي ما برحنا منذ الطفولة نستعمله بغير وعي السريرة وبالتالي على وجه ضار في الغالب

وليست طريقة كويه فى الايحاء الذاتى طريقة تجريبية فحسب، بل هى طريقة علمية ترتكز على مبادىء علمية تؤيدها الوقائع . وأول هذه المبادىء هى أن الفكر من شأنه أن يتحول الى الفعل وأن الصور الذهنية تنزع الى التحقيق المادى، ولذلك قيل : « يكون الانسان كما يفكر فى صميم قلبه »

فكل فكرة رسمها فى ذهننا ـ صالحة كانت او طالحة ـ لا تنزع الى التحقيق فحسب، بل تتحقق فعلا ، أى تخرج من حيز الفكر الى حيز العمل فى كل ما يدخل فى دائرة الممكنات . مثال ذلك :

رجل مصاب بضيق التنفس أو الربو يستيقظ فى الصباح وعلى وجهه علائم الانشراح والنشاط فقد قضى الليل مستريحاً . ولأن الغرفة لا يدخلها النور الكافى يتجه نحو النافذة ويرفع الستار فيرى من خلال الزجاج ضباباً كثيفاً ، فيقطب جبينه ويضيق نفسه وتأتيه نوبة ربو . فهل الضباب هو الذى أحدث هذه النوبة ؟ كلا ، لأن الضباب كان موجوداً منذ ساعات مضت ولم يكن له أدنى تأثير ، وانما أصابت النوبة العليل لما رأى الضباب لانه ظن إذ رآه أنه لابد للمصاب بضيق النفس أن تأتيه النوبة فى وقت الضباب فأتته فعلا

أزيد على ذلك وأقول يكفى أحياناً أن يفكر الشخص بأنه أصم أو أعمى أو مقعد ليصبح فعلا أصم أو أعمى أو مقعداً . وفى الواقع بين الصم والعمى والمقعدين من هم كذلك لمجرد انهم يفكرون فى أنهم كذلك . وقد ذكر كويه عدة أمثلة بذلك أكتفى بواحد منها قال : « أتت إلى يوماً فى نانسى فتاة عمرها ثلاث وعشرون سنة ولم تكن تبصر مطلقاً بالعين اليسرى منذ سنتها الثالثة ولم تكن هذه العين تشعر أقل شعور بالظل أو النور ، وقد بصرت بعد الجلسة على الفور ، فعد جميع الحضور هذا الشفاء السريع اعجوبة ، على ان تعليله طبيعى فان تلك الفتاة حصل لها وهى فى الثانية من عمرها رمد خطير فى عينها اليسرى اقتضى شفاؤه معالجة سنة كاملة . وطوال تلك السنة كانت العين المعتلة محصورة بعصابة كثيفة ومحرومة من النظر فاعتادت عدم الرؤية ، فاعتقدت الفتاة انها لا تبصر بها وظلت لا تبصر بها فعلا الى أن أتت كويه مستشفية فأوعز اليها أن الكلوم أو الأضرار التى تلحق العين تشفى تدريجياً وكلما تقدمت فى الشفاء تحسن البصر واذا تم زوال الأضرار اصبح البصر كاملا . وبما انه لم يبق فى عينيها أضرار فقد أبصرت فى الحال

يستخلص مما تقدم ما يأتى : أن كل تصور أو فكر ينطبع فى الذهن اى فى السريرة غير الواعية ، يصبح حقيقة راهنة ما دام فى حيز الامكان ، فان اتفق ان انتابنا مرض وغرسنا فى ذهننا فكرة الشفاء فهذه الفكرة تفعل فعلها تدريجياً ويصبح الشفاء أمراً واقعاً ، ان كان فى حيز الامكان

أما المبدأ الثانى الذى يرتكز عليه الايحاء الذاتى فهو أنه ليست الارادة أولى قوى الانسان

ل المخيلة . فكلما حصل نزاع بين هاتين القوتين تغلبت المخيلة على الدوام ، وكلما كانت حالتنا العقلية كما يأتي : « أريد أن أعمل كذا وكذا ولكني لا أقدر » فلا يقتصر الامر على أننا لا نعمل ما نريد ، بل نعمل على الغالب عكس ما نريد . مثال ذلك ما يأتي :

كلما حاولنا في بعض الظروف الانقطاع عن الضحك كثر ضحكنا ويشتد علينا الضحك بقدر ما نحاول الامساك عنه ، وكلما حاول راكب الدراجة المبتدىء أن يحيد عن العائق الذي يخشى الاصطدام به اتجه اليه على خط مستقيم ، وكلما حاول من يخاف أن يمتنع عن الخوف زاد خوفه ، وكلما حاول الألكن أن يمتنع عن اللكنة زاد لكنة ، فما هي حال هؤلاء الأشخاص في مختلف ظروفهم ؟ هي هذه : أريد أن أمسك عن الضحك ولكنني لا أقدر ، أريد أن أتجنب العائق ولكني لا أقدر ، أريد أن أمتنع عن الخوف ولكنني لا أقدر ، وأريد أن أمتنع عن اللكنة ولكنني لا أقدر

فيظهر جلياً أن « لا أقدر » أي المخيلة تتغلب دواماً على « أريد » أي الارادة . وما ذلك إلا لأن ما تخيله ارتسم في الذهن أي في السريرة غير الواعية

وما دامت سريرتنا غير الواعية هي التي تدبر ما فينا فان تمكنا من قيادتها تسنى لنا بواسطتها أن ندير شؤوننا على ما نريد . إن هذه السريرة أشبه بحصان شد الى عربة فان ترك بدون عنان سار بها كما يهوى وقادها سريعاً الى المهواة حيثما يروق له ، فيصعب على الغالب في طريق ملؤها الحفر والمستنقعات الى حيث يجد سبيلاً لطلب المرعى فيها . ولا يتيسر لنا قيادته وامتلاك زمام أمرنا إلا إذا وضعنا له العنان ، وعنان السريرة غير الواعية هو الإيحاء الذاتي الواعي (Autosuggestion consciente)

وطريقة كويه في استعمال الإيحاء الذاتي قسمان : قسم خاص ، وقسم عام . أما الأول فنستعمله عندما نشعر بألم أياً كان نوعه ، فان شعرت بألم نفساني أو وجع حسي فبدلاً من أن تتحمله صاغراً وتتوجع منه أكد لنفسك أنك تزيله واختل حينئذ ، على أن الخلوة ليست بالأمر الذي لا بد منه ، ففي استطاعتنا أن نختلي بفكرنا في كل مكان . واذا خلوت فاجلس واغمض عينيك ومر بيدك على موضع الألم ان كان حسياً أو على الجبين ان كان الألم نفسانياً ، وكرر بكل سرعة وبصوت خافت مسموع لك ، كرر هذا القول : « الألم يزول ، يزول » وهلم جرا . بهذه الوسيلة تكره نفسك على التفكير في زوال الألم . ومعلوم لنا أن كل فكرة تقيم في الذهن تصبح أمراً واقعاً . ولذلك ترى الألم يزول فعلاً ، وان عاودك فاطرده من جديد وأعد القول : « يزول ، يزول » كلما دعت الحاجة اليه . وفي استطاعة الانسان بقليل من المران أن يزيل الألم حسياً كان أم نفسانياً في أقل من نصف دقيقة

وأما طريقة الإيحاء العامة فتكون بتلاوة بضع كلمات في كل يوم صباحاً ومساء ، وهي :

« إن حالى من كل وجهة تتقدم كل يوم من حسن الى أحسن » . فعلى الانسان أن يتلو هذه العبارة عشرين مرة وعيناه مغمضتان كل صباح عندما يستيقظ وكل مساء حينما يرقد، وأن يتلوها بالتتابع وبصوت خافت وبدون توجيه الفكر الى شيء خاص لأن كلمات : « من كل وجهة » تطلق على كل شيء فلا فائدة من الالتجاء الى إيحاء ذاتى خاص

على انى ألفت نظر القارىء الى نقطة جوهرية هى وجوب استعمال الايحاء الذاتى بكل بساطة بدون جهد، فان الذين لا يحصلون على نتائج مرضية من مزاولة الايحاء الذاتى انما يخطئون على العموم فى ذلك ، فتراهم لشدة رغبتهم فى التخلص من أوجاعهم يستخدمون الايحاء الذاتى بقوة وحماسة ، وهذا خطأ

فعلى الراغب فى مزاولة الايحاء الذاتى أن يتلو صيغة الايحاء بلا مشقة وفى غير اسراع ، وعلى نمط واحد كاتلى الاوراد . بهذه الطريقة نتوصل الى ادخال المقول - وبالتالى الفكرة - فى السريرة غير الواعية بواسطة الاذن . ومعلوم لنا ان الفكرة متى نفذت الى السريرة تحدث تأثيرها المطلوب

ولا بد من ملاحظة أن السريرة غير الواعية لا تقوم من تلقاء نفسها بعمل لم تدع الى القيام به ، فيحسن والحالة هذه أن يصدر اليها أمراً شاملا جامعاً حتى يتيسر لها أن تعالج جميع أجزاء نظامنا الحسى والنفسانى ، وتصلح كل ما يقبل الاصلاح

وغنى عن البيان أن ممارسة الايحاء الذاتى الواعى لا تغنى عن العلاج الطبى وتناول الدواء الذى يصفه الطبيب ، لكنها عون كبير للعليل والطبيب معاً وأمرا . فضلا عن القيمة الشفائية الحقيقية التى به ، فانه وسيلة لنقل الايحاء ، فالمريض متوقع الشفاء من الشراب أو المسحوق أو البرشام الذى يصفه الطبيب ، فلا يصح النظر الى الايحاء الذاتى والطب كعدوين متنافرين بل يجب عدهما صديقين يمد أحدهما الى الآخر يد المعونة

وقد قرأنا باغتباط تلغرافاً لاسلكياً ورد من مونيخ فى نوفمبر الماضى . جاء فيه ان الحكومة الالمانية ستعترف رسمياً بمن يسمونهم الاطباء الروحانيين كما اعترفت بالاطباء النظاميين ، لانه رؤى من الجناية حرمان الامة الالمانية من منافع الايحاء الذاتى . ومن الظلم ألا يعد هذا النوع من المعالجة بجانب الوسائل الأخرى التى يستخدمها الاطباء فى معالجة المرضى

بولس مسعود

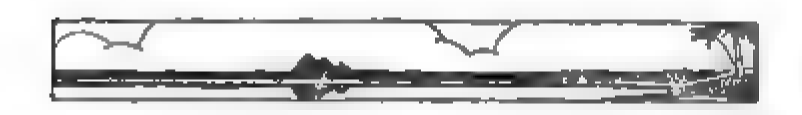

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

الامبراطورية البريطانية المتداعية

[مقتطفة من مقال نشر في مجلة « التاريخ الجاري » للاستاذ
ف . س . شيلر الاستاذ بجامعة اوكسفورد سابقا]

من مزايا النبوءات التي تتناول المستقبل البعيد ان الذي ينطق بها يموت قبل ان يجيء وقت تحقيق تلك النبوءة أو ظهور كذبها ، بحيث يأمن أن يحاسبه معاصروه عليها . ولقد تقدم لكاتب هذه المقالة بحث في مستقبل الامبراطورية البريطانية نشرته احدى المجلات ، كان يتضمن نبوءات عما ينتظر أن يحل بهذه الامبراطورية . وإليك خلاصة ما جاء في ذلك البحث :

تحدق بالامبراطورية البريطانية ثلاثة مخاطر مرتبطة بعضها ببعض وهي :

(١) مشكلة العمال (٢) سياسة الاوربيين (٣) مشاكل البلاد التي تتألف منها الامبراطورية

فأما الخطر الاول ، وهو مشكلة العمال فقد أصبح في انكلترا — وفي غيرها من بلاد العالم — معضلة أعقد من ذنب الضب [illegible] فقد كان عدد العاطلين في انكلترا منذ بضع سنوات مليوناً من الشبان أصبح الآن ثلاثة ملايين . وهم منتشرون في جميع أنحاء البلاد لا يعملون عملا ولا يرجى أن يعملوا في المستقبل أي عمل . فهم يعيشون من الاعانات المالية التي تدفعها لهم الحكومة والتي جعلها لهم طائفة من رجال السياسة كانوا يطمعون في أول الامر في الحصول على « أصواتهم » عند الانتخابات . وقد اصبحت تلك الاعانات عالة على الدولة ومصدر خطر كبير عليها

وقد اقترح الكثيرون وسائل مختلفة لمعالجة البطالة في مقدمتها تقصير ساعات العمل . ولو سن قانون لتقصيرها ما أفضى ذلك الى نقص الانتاج بل لعاد بعكس ذلك

ثم ان هنالك أعمالا كثيرة قد لا تعود على الامة بكسب مادي ، ولكنها تعود عليها بلا شك بعوائد أدبية واجتماعية وعمرانية كبيرة . فهنالك الاحياء القذرة في المدن تحتاج الى تطهير ، وهنالك جيوش الفئران والحشرات والهوام والذباب وأمثالها تدعو الحاجة الى مكافحتها وطردها . ويحسن

أن تكون ساعات العمل في هذه الشؤون أيضاً قليلة لكي يمكن توزيع العمل على اكبر عدد من الايدي العاملة

ومن المعقول ان حالة العالم تكون أفضل من الوجه الاقتصادي والعمراني لو أتيح لكل قطر من الاقطار أن ينتج الاشياء التي هو اكثر استعداداً لانتاجها . ولكن الاعتبارات السياسية كثيراً ما تحول — ويا للاسف — دون ذلك . فقد وضعت الحرب العظمى أوزارها وعقدت معاهدة الصلح انصرفت جهود كل أمة لجعل نفسها مستقلة عن غيرها بحيث تكفي نفسها بنفسها . وهي أحلام اذا أمكن تحقيقها في بلاد كالولايات المتحدة لا يمكن تحقيقها في بلاد اخرى كايسلند وارلندا واستونيا

ومن الخرق في الرأي أن تكون التجارة بين الدول مظهراً من مظاهر تنافسها وتخاصمها بدلا من أن تكون واسطة تعاون بحيث يستفيد منها كل فريق على السواء . وفي الواقع ان سياسة الضرائب الجمركية هي من أكبر العقبات في سبيل الرخاء . وفي خلال السنوات التي عقبت الحرب الماضية لم تسن أية دولة من الدول قانوناً [illegible] الجمركية . ومع ذلك فان الحكومات قد كانت وما برحت مؤيدة من الرأي العام . وأقرب شاهد على ذلك تأييد الرأي العام الارلندي لدى فاليرا في سياسته الجمركية الخرقاء

أما في السياسة الخارجية فان الحكومات البريطانية متهمة بأنها من النوع . وفي الواقع ان تلك الحكومات لم تحاول الاضطلاع بعبء الزعامة لا في اوربا ولا في الشرق . ولم تكن سياستها تدعو الى الاعجاب لا في مسألة نزع السلاح ولا في منع الحرب ولا في الشؤون الاقتصادية عامة . ويخيل لمن يدرس السياسة البريطانية في السنوات الاخيرة انها كانت مسيرة بعاملين أحدهما الخوف من اغضاب اميركا والآخر الخوف من اغضاب فرنسا

ويظهر أن اتفاقاً سرياً عقد بين انجلترا وفرنسا في سنة ١٩٢٨ — على أثر مؤتمر جنيف — لم يكن في مصلحة انجلترا لانه قيدها بقيود مرهقة . ولتسويغ هذا الاتفاق أقيمت في جو لندن « مناورات » جوية وتظاهرت بعض الطيارات بمهاجمة العاصمة الانجليزية . ثم قيل في التقرير الذي وضع عن تلك « المناورات » انه كان في وسع القوات الانجليزية اهلاك نحو مئة وعشرين طائرة من الطيارات المهاجمة ولكن بعد ان تحرق لندن . وكان الغرض من هذا التقرير الالقاء في روع الشعب الانجليزي حتى يقبل عقد محالفة مع فرنسا . وفي خريف ذلك العام اطلع أحد مراسلي صحف هرست الاميركية على الاتفاق السري المشار اليه وحصل على مستندات فرنسية تؤيده . فلما افتضح الامر نفي ذلك المراسل من فرنسا وتنحى السر اوستن تشمبرلن عن وزارة الخارجية لان رفاقه الوزراء لم يوافقوا على سياسته

ثم ان الامبراطورية البريطانية تحكم على أمم وشعوب مختلفة لا سبيل الى التوفيق بينها . فالخمس

الابيض — فى جنوبى افريقيا وروديزيا وكينيا — يسير على سياسة سوف تؤدى حتما الى حروب أهلية . والحكم البرلمانى فى مصر أى هو ستار يخفى تحته الحكم المطلق . والانتداب البريطانى فى فلسطين يحول التوفيق بين العرب واليهود على وجه لا يرضى أيا منهما . ومشكلة الهند لا تزال تزعج الامبراطورية وتقض مضجعها . وكل حل توفق اليه الحكومة البريطانية هناك انما يكون وقتيا الى أن يتم الجلاء نهائيا عن الهند . واذا أجلى الانجليز عن الهند كان ذلك مقدمة لاستقلال جميع المستعمرات البريطانية . ومتى استقلت تلك المستعمرات فما الذى يبقى من الامبراطورية ؟ واذا بقى منها مستعمرات صغيرة خاصة للتاج فستكون على الارجح عبئا عليه

الى أين ذهب الذهب

[خلاصة مقالة نشرتها مجلة بوبولار ميكانيكس بقلم ملحمه الجلة]

ما هى الطريقة التى يبحث فيها عن الذهب ؟ وأين يختفى هذا المعدن النفيس بهذه السرعة التى تفوق حد التصور ؟

لا شك أن أكبر كمية من الذهب فى الوقت الحاضر هى فى خزائن البنوك والمصارف المالية . أما فى أوقات السلام والرخاء فان أسواق الترف تستنفد جانباً كبيراً من الذهب

ترى هل تنفد الكمية المستخرجة من الذهب فى عام ما بحيث لا يبقى منه ؟ وما هى الكميات التى تستخرج منه ومن أين تستخرج ؟

يقول محرر مجلة بوبولار ميكانيكس : « إن مجموع ثمن الذهب الذى استخرجه العالم منذ سنة ١٤٩٢ — وهى السنة التى اكتشف فيها كولمبوس القارة الاميركية — الى الآن يبلغ ٢٢٩٣٧٦٤٠٠٠٠ دولار أميركى أو نحو اربعة آلاف وستمائة مليون جنيه بسعر الجنيه الحالى وان اكثر من نصف هذا الذهب استخرج منذ سنة ١٩٠٢ الى الآن

وقد ارتفع سعر هذا المعدن فى العهد الاخير بسبب عدول عدة دول عن اعتباره قاعدة لمعاملاتها الدولية . واذا أضفنا الى ارتفاع سعر الذهب وجود عدة ملايين من العمال العاطلين فى الولايات المتحدة وغيرها من أنحاء العالم أدركنا سبب امتلاء سهول كاليفورنيا وأوريغون والمكسيك وصحارى أستراليا وأوستراليا ومجموعة جزائر ملقة وسواحل افريقيا والهند بمئات الالوف من الباحثين عن الذهب

وفى كل عام تصدر الحكومات المختلفة رخصاً للبحث عن الذهب ، ولكن من هذه الرخص التى

تعد بعشرات الالوف لا يستغل سوى النزر اليسير ، وقد لايسمر استغلال بعضها عن استخراج ماتزيد قيمته على الف دولار !

وإذا كان العالم قد استخرج منذ اكتشاف امريكا الى اليوم من الذهب ماقيمته زهاء ٢٣٠٠٠ مليون دولار فقد كانت الولايات المتحدة — حتى شهر ابريل الماضي — تملك ما قيمته نحو ٤٢٠٠ مليون دولار ، وهي أكبر كمية من الذهب خزنتها أية دولة من الدول . وفى السنة الماضية بلغت كمية الذهب المستخرج من جميع مناجم العالم ٢٣٩١١٠٠٠ أوقية ، بلغت قيمتها تقديراً ٤٩٤ مليون دولار . وبلغ ثمن ما استخرج من ولاية كاليفورنيا وحدها ١١٨٠٢٠٠٠ دولار

ولاستخراج الذهب عدة طرق ، فهنالك الآلات الايدروليكية والآلات الناسفة و « الكراكات » وغيرها . أما الآلات الايدروليكية فانها تغسل منحدرات التلال الغنية بالتبر لتصفية هذا المعدن من الاتربة وغيرها من المواد العالقة به . ومنذ اختراع هذه الآلات بلغ ثمن الذهب الذى استخرج من كاليفورنيا وحدها الف مليون دولار أو اكثر

ويقول الخبيرون ان فى ولاية كاليفورنيا المذكورة نحو سبعة آلاف مليون « يارد » مكعب من الاتربة الحاوية للتبر ، وان الآلات الايدروليكية تستغل منها اكثر من اربعة آلاف مليون « يارد » مكعب من تلك الاتربة والتقدير انه ستبقى قيمة بذهب غنى سيستخرج منها نحو ستمائة مليون دولار . أما بقية تلك الاتربة ومقدارها نحو ثلاثة آلاف مليون « يارد » مكعب فستستغل بالطرق الاخرى

وهنالك « كراكات » تعمل فى قيعان الانهر بطرق فنية لا يتسع هذا المجال لشرحها . وقد بلغ ماحفرته إحدى شركات « الكراكات » نحو ٢٧٥ مليون يارد مكعب من الاتربة الحاوية لتبر الذهب أو نحو نصف كمية الاتربة التى أزيلت من ترعة بناما . وبلغ ثمن الذهب الذى استخرج من تلك الاتربة فى خلال خمس وعشرين سنة أكثر من ستين مليون دولار

وهنالك ماء البحر وهو أيضاً غنى بالذهب . ويقول علماء الكيمياء ان نسبة هذا الذهب الى الماء الذى فيه تختلف من خمسة أجزاء الى ٢٦٧ جزءاً فى كل مائة مليون جزء من الماء . ومثل هذه الكمية كبير جداً يدل على ان ماء البحر كنز لا يقدر بثمن . ولكن استخراج الذهب منه يقتضى نفقات هائلة لاتفى باستخراج هذا المعدن

وعلى كل فان أزمة الذهب الحالية ليست الاولى من نوعها فهى أزمة تتجدد فى جميع الاوقات العصيبة ولا سيما فى ابان الحروب وعلى أثرها . ويرجع تعامل الانسان بالذهب الى عهد قارون ملك ليديا إذ يقال انه اول من سك النقود الذهبية

أصول حروف الهجاء

[خلاصة مقالة نشرت في
جريدة الطان للاستاذ دورم]

قال « لوكان » الشاعر الروماني الذي عاش في المائة الاولى بعد المسيح ان التقاليد المتواترة في مصر، تقول ان الفينيقيين هم أول من حاول أن يعبر عن الاصوات بصور رمزية ، وذهب بليوس إلى أن الاشوريين هم أول من اخترع حروف الهجاء . أما تاسيتوس المؤرخ فزعم أن الفينيقيين انتحلوا لانفسهم فخر اختراع تلك الحروف

وكان علماء التاريخ حتى أوائل القرن الحاضر يحاولون التوفيق بين المزاعم المختلفة المتعلقة باختراع حروف الهجاء . وكان الرأي السائد بينهم أن اليونان أخذوا حروفهم الهجائية عن الفينيقيين الذين استعانوا بالكتابة الهيروغليفية القديمة

وفي سنة ١٩٠٠ عثر الاستاذ ايفانس الانكليزي على آثار قديمة في جزيرة كريت عليها نقوش مختلفة يشبه بعضها الكتابة الهيروغليفية والبعض الآخر أحرفاً أخرى غريبة . وفي سنة ١٩٠٩ عرض هذه النقوش على عدد من علماء الآثار في جميع أنحاء العالم ليستعين بهم على حل رموزها . الا أن جانباً من العلماء زعم أن هذه النقوش هي من قبيل الكتابة الكريتية التي انتشرت قديماً في بحر إيجة وأن الفينيقيين القدماء اقتبسوا حروفهم الهجائية منها أو أن تلك النقوش أوحت اليهم على الاقل بفكرة استنباط حروفهم

على أن فريقاً آخر من العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ دوسو ينكرون أن الفينيقيين اقتبسوا الحروف الكريتية القديمة ، ويقولون إنه أسهل على المرء استنباط رموز للدلالة على أصوات معينة من اقتباس رموز أو صور عن الغير . وإذا وجد شيء من الشبه بين بضعة أحرف من الحروف الفينيقية والحروف الكريتية القديمة فليس لذلك الشبه أي قيمة إلا إذا ثبت أن للاحرف المتشابهة أصواتاً متماثلة ، أضف إلى ذلك أنه لم يثبت حتى الآن هل النقوش الكريتية التي نحن بصددها هي حروف هجائية أو صور وطلاسم بحتة

وفي سنة ١٩٢٣ عثر الاستاذ مونتي الفرنسي على آثار قديمة في مدينة جبيل (على ساحل سوريا جنوبي بيروت) . وجبيل هذه هي مدينة بيبلوس القديمة . ومن جملة الآثار التي عثر عليها الاستاذ المذكور تابوت للملك أحيرام (حيرام ؟) عليه كتابات ونقوش هي أقدم الكتابات الفينيقية المعروفة حتى الآن ، وترجع على وجه التقريب إلى المائة الثالثة عشرة قبل المسيح ، وتؤيد رواية

بعض النصوص المتعلقة بملكي بيبلوس اللذين عاشا في المائة العاشرة قبل المسيح وهما « آخيمل » و « آبيمل »

وفي سنة ١٩٢٩ اكتشف الاستاذ دونان الفرنسي نقوشاً فينيقية قديمة تتعلق بملك يدعى « يحيا ملك » (بكسر الميم واسكان اللام) وهو أحد ملوك بيبلوس وقد عاش بين زمن احيرام وزمن آخيمل . وجميع هذه الاكتشافات تدل على أن بيبلوس — مدينة ادونيس القديمة — كانت مهبط العرفان الذي هبط على البشر اذ فيها تم استنباط الحروف الهجائية الفينيقية القديمة وعددها اثنان وعشرون حرفاً صحيحاً غير معتل . وقد قال الاستاذ جلوتز في ذلك انه بينما كان الفينيقيون يجوبون البحار بمتاجرهم كانوا في الوقت عينه يقومون باحياء الحروف الهجائية ، حالة ان اليونان تركوا حروفهم تندرس وتنطمس . وكتب الاستاذ دوسو يقول : « ان الفينيقيين وحدهم يعود فخر استنباط الحروف الهجائية فانهم هجروا الكتابات المعقدة التي كانت شائعة في عهدهم واخترعوا اثنين وعشرين رمزاً بسيطاً للدلالة على الاصوات المختلفة ، ومزية هذا الاختراع سهولة معرفة كل رمز أو حرف ولو وقع وحده منفصلا عن غيره »

وفي سنة ١٩٣٠ عثر الاستاذان شيفر وشينيه في راس شمرا (شمالي اللاذقية) على مجموعة من الآثار والالواح الخزفية عليها نقوش وكتابات بسيطة عديدة . وهذه الآثار هي كنز لا يقدر بثمن والرموز المنقوشة عليها تشبه حروف الكتابة المسمارية (الاشورية القديمة) شبهاً قليلا ويمكن حصرها في نحو ثلاثين حرفاً . وقد تمكن الاستاذان هانس باور وديرولو من فك رموزها فانكشفت بذلك للعالم شعائر وفرائض دينية كثيرة كان القوم يمارسونها في ذلك العهد ، وزادت معرفتنا بتاريخ الحروف الهجائية زيادة كبيرة . ويستخلص من هذا الاكتشاف ان الفينيقيين حاولوا أن يستغنوا عن الكتابتين المسمارية والهيروغليفية باستنباط رموز قليلة بسيطة يدل كل رمز منها على صوت خاص وتؤلف من مجموعها اللغة المكتوبة

وفي شهر مايو سنة ١٩٢٩ اكتشف الاستاذ دونان الفرنسي في بيبلوس لوحاً فخارياً قد نقشت عليه بالحروف البارزة نحو عشرة أسطر باللغة الفينيقية القديمة تتضمن نحو أربعين حرفاً منها سبعة أحرف شبيهة بالاحرف الموجودة على تابوت احيرام ، وخمسة عشر حرفاً شبيهة بالحروف الهيروغليفية . وما تزال هذه العشرة الاسطر مستعصية على علماء الآثار حتى الآن ، وهم يرجحون انها ترجع الى حوالى المائة الخامسة عشرة قبل المسيح . ولعلها الخطوة المتوسطة بين الكتابة الهيروغليفية والحروف الهجائية

الانتحار والجنس الضعيف

[مقتطفة من مقالة نشرت فى مجلة
« فوروم » بقلم السيدة ماريان كاسل]

يؤخذ من الاحصاءات الرسمية أن عدد الذين ينتحرون من الرجال يناهز ثلاثة أضعاف عدد اللواتى ينتحرن من النساء . أما الذين تزيد أعمارهم على خمس وأربعين سنة فان عدد المنتحرين منهم من الرجال يكاد يوازى ستة أضعاف عدد المنتحرات من النساء

يقول الذين يدافعون عن نظرية الانتحار إن زيادة عدد المنتحرين على عدد المنتحرات دليل على أن أولئك أشجع من هؤلاء وأكثر اعتياداً لمواجهة أخطار الحياة . على ان الواقع لا يؤيد هذا الزعم . والسبب الحقيقى هو انهماك النساء بمشاغل الحياة ومقتضيات المعيشة وهن أقوى رابطة بالحياة وأسرع رضى بنصيبهن . فالمرأة تدبر شؤون منزلها على مقتضى العوامل المحيطة بها ، وهى بطبيعتها معتادة معاناة مصاعب [illegible] ومتاعب [illegible] والاهتمام بشؤون المنزل وتدبيرها على مقدار دخل [illegible] وهذا [illegible] يورثها الصبر والاحتمال . فهى تقابل المصاعب برباطة جأش وتحاول الاحتيال على حلها بكل وسيلة

وليت شعرى [illegible] أن تكون [illegible] التى تدفعها إلى الانتحار ؟ الفشل فى العمل ؟ أم الخيبة فى الحياة ؟ أم انهدام صرح [illegible] أم [illegible] ؟ كل ذلك مما تتغلب عليه المرأة بدهائها وسعة حيلتها واتساع صدرها

قد لا تكون المرأة ذات قوى عقلية خارقة تمكنها من النجاح فى مهام الحياة ، ولكنها تستعيض عن تلك القوى بحيلتها وقدرتها على تدبير شؤونها وشؤون أسرتها على مقتضى العوامل المحيطة بها . وهى ترفض أن تسلم بأنها عاجزة عن مواجهة حقائق الحياة عجزاً يدعو الى الانتحار

ومع كرهنا الغريزى للانتحار فاننا ما كنا لنحجم عن احترام الذين ينتحرون لو كان انتحارهم حقيقة مظهراً من مظاهر الشجاعة او رمزاً إلى اليأس الذى قد يستولى على الابطال . وفى الواقع أن الانتحار ليس سوى الحيلة النهائية التى يلجأ اليها من به مس من الجبل والغرور وحب الذات

ومن المزاعم التى يذهب اليها بعض الناس أن الانتحار لا يقع عادة الا بين طبقات الشعب العليا فهو إذن جدير بالاعجاب والاحترام . وهذا زعم لا يؤيده برهان لان الانتحار ليس سوى دليل على اليأس والجبن وعلى الفرار من التبعات الخطيرة التى تفرضها الحياة . وفى الواقع أن الاشخاص الذين قد يكون لهم بعض العذر لو انتحروا قلما ينتحرون ، والفقير المدقع الذى يقضى أيامه الطويلة المملة فى البؤس والشقاء ، قلما يلجأ الى الانتحار

ومن الجهة الاخرى ليس الانتحار كما يزعم البعض نتيجة العزلة والوحدة ، بدليل ان الذين يقضون أكثر أيامهم في عزلة تامة ـ كرعاة الاغنام والباحثين عن مناجم الذهب والعائشين في البلاد المقفرة ـ ليسوا ممن يلجأون الى الانتحار . بل ان الانتحار يكثر بالعكس بين سكان المدن المزدحمة . وتدل الاحصاءات الرسمية على انه كلما اشتد الزحام في المدن كثرت حوادث الانتحار

والحقيقة ان الانتحار هو نتيجة حالة عقلية غير طبيعية . وكاتبة هذه المقالة تذكر انتحار رجل على اثر افلاسه وقد انتحر لكي يتيح لاسرته أن تقبض مبلغاً من المال كان قد أمن به على حياته . وكان ذلك المبلغ سبب شقاء أسرته لان أولاده لم يحسنوا التصرف به والقيام عليه

ومن هذا القبيل حوادث الانتحار التي سببها الحب . والحقيقة أن الذي يقتل نفسه بسبب الحب إنما يقتل الجشع والانانية وحب الذات . والدافع الحقيقي له الى الانتحار هو شعوره بأنه قد أوذي في كرامته وأنانيته . أما الحب الحقيقي فيغفر ويتسامح

ومما يجدر بالذكر حوادث الانتحار التي كثرت في هذه الايام بسبب الضائقة المالية . وقد حلت في السنة الماضية في الولايات المتحدة صدمة لم تشهدها البلاد منذ سنة ١٩٠٨ — وهي السنة المشؤومة المشهورة بكثرة حوادث الانتحار — على أن أكثر الذين انتحروا في ابان هذه الضائقة لم يكونوا ضحية الضائقة بل ضحية رخاء منشم . فقد كان أكثرهم حديثي النعمة لم يذوقوا طعم الرخاء بل عاشوا يشكون عيشة الفقر . ثم فجأة اغتنى أولادهم بسرعة عظيمة وبتلك السرعة عينها افتقروا وعادوا الى عيشتهم السابقة ثم دفعهم اليأس والغرور الى ارتكاب جريمة الانتحار

ان العاقل يستنكف من الانتحار لانه يعلم الاسباب الباعثة عليه . واذا درس حياة بعض الاطفال رأى الميل الى الانتحار يبدو في بعضهم منذ نعومة أظفارهم . انظر الى الطفل يبكي ويصرخ بأعلى صوته حتى تزرق وجنتاه ويضرب الارض بقدميه لانهم لا يعطونه ما يطلبه . وانظر الى طفل آخر يصيح كالمجنون ويحرق أسنانه ويقف عن التنفس حتى ليكاد يموت لانه يطلب شيئاً ولا يناله . وانظر الى الولد الصغير يبكي ويشهق لاتفه الاسباب ويحاول الفرار من بيت والديه ـ كل هؤلاء يقوى فيهم الميل الى الانتحار بمرور الزمن حتى إذا بلغوا سناً معينة بدت لهم الحياة بمظهر أسود قاتم وصور لهم الغرور أنهم ضحايا أبرياء . ومازال أمرهم كذلك الى أن يقع لهم مثل ما كان يقع لهم في عهد طفولتهم يوم كانت تنتابهم تلك النوبة الهستيرية . ويرون أنهم لا يستطيعون الحصول على ما يريدون بالعويل والبكاء وحرق الاسنان وركل الارض بأرجلهم والتوقف عن التنفس . فلا تبقى امامهم الا وسيلة واحدة يزعمون أنهم سينتقمون بها لانفسهم ويظهرون للعالم كيف يثأرون لكرامتهم فيعمدون الى الانتحار قائلين : اننا كنا قد فشلنا في لفت أنظار العالم الينا ونحن على قيد الحياة فسنلفت الانظار الينا ـ على رغم العالم ـ ونحن جثث هامدة

اصلاح الغدد ومعجزات الجراحة

[مقتطفة من مقالة نشرت في مجلة « بوبولار سيانس » بقلم الدكتور هامرو الجراح الشهير]

ما تزال جراحة الغدد مفعمة بالاحتمالات المدهشة ، وفيما سنورده هنا ما يشف عما قد نراه في المستقبل من المعجزات

خذ الغدة الدرقية مثلا وهي واقعة في العنق في مقدمة الحنجرة . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا إنها أم الغدد التي في جسم الانسان وتفرز في الدم مادة كيماوية تعرف بالهورمونات . وهذه الهورمونات تتحكم في قوى الانسان العقلية والجسدية . وقد ثبت الآن أنه اذا اشتد نشاط الغدة الدرقية نفدت قوى الانسان بسرعة قبل ان يتمكن من تجديدها أو التعويض عنها ، كما يقع للنار التي تشتعل في مهب الريح فان الفحم فيها أو الحطب يحترق بأسرع مما يستطاع التعويض عنه . ولا يخفى أن خلاصة الغدة الدرقية تسمى تيروكسين . ويقول العلماء إن بين العقل والجنون ثلاث قمحات ونصف قمحة فقط من التيروكسين !

ومن الحوادث المدهشة الدالة على ما للغدة الدرقية من شأن ما وقع لرجل من أهالي مدينة سمسنتي بامريكا ، فانه أصبح ذات يوم عصبي المزاج وأخذ وزنه ينقص بالتدريج وجحظت عيناه ولم تنقض ستة أشهر حتى أصيب بنوع من أشد أنواع الجنون خطراً حتى ألبس قميص المجانين لمنعه من ضرب الغير والاعتداء عليهم . ورأى الدكتور جورج كوري طبيب مستشفى المجاذيب أن يعمل له عملية جراحية لاصلاح غدته الدرقية ، فاستأصل منها جانباً كبيراً ولم يترك الا جزءاً صغيراً يكفي لتأدية الوظيفة المطلوبة منه . فشفي الرجل من الجنون وعاد الى حالته الطبيعية في الحال

وقد كانت العمليات الجراحية للغدد الدرقية حتى السنوات الاخيرة من العمليات الشديدة الخطر بسبب ما كان يصحبها من كثرة النزيف (لان الغدة الدرقية متصلة بأوعية دموية كثيرة) أما اليوم فقد زال خطر تلك العمليات بفضل اختراع « الابرة الكهربائية » التي تقطع اللحم وفي الوقت عينه تجمد الدم في الحال وتسد الاوعية الدموية سداً محكماً فتحول دون النزيف

وفي الجسم غدد اخرى تسمى الغدد الشبيهة بالدرقية وعددها اربع في اكثر الاجسام ولا يزيد حجم كل منها على البندقة . وهذه الغدد محاطة بإحكام عظيم حتى إن الاطباء لم يكونوا يعلمون بوجودها قبل سنة ١٨٨٠ . ومن جملة وظائف هذه الغدد السرية أنها تتحكم في كمية الكلس الذي في عظام الانسان . فاذا اشتد نشاطها أصبحت العظام لينة . واذا ضعفت أصبحت العظام قصمة سهلة

الانكسار. وقد حدث منذ بضع سنوات أنه جيء إلى مستشفى مساتشوستس العام (في ولاية بوسطن) بعلاج مصاب بمرض غريب لم يعلم الاطباء في أول الامر ما هو . وكان الرجل قد نقصت قامته في خلال ثماني سنوات نحو سبع بوصات وانكسرت عظامه مراراً بسبب سقوطه وعدم قدرته على المشي . ولما فحصه الاطباء بأشعة اكس وجدوا ان عظامه قد فقدت جانباً كبيراً من مادتها الكلسية . والحال عمل له الدكتور ادورد رتشاردسون عملية جراحية استأصل بها غدتين من الغدد الاربع الشبيهة بالدرقية فشفي الرجل وعاد الى حالته الطبيعية الاولى

ان العمليات الجراحية المتعلقة بالغدد تقتضي العناية الدقيقة لان العلم لم يقف حتى الآن على جميع وظائف تلك الغدد . فليس اذن من الحكمة ازالتها في كل حال مادمنا نجهل حتى الآن حقيقة وظائفها . ولكن هنالك حقيقة ثابتة وهي انه اذا ازيلت جميعها عقبها الموت في الحال

ولا يخفى ان من اعظم الانتصارات التي احرزها الطب هو الانتصار على مرض الديابيطس (البول السكري) بحقن المصاب بالانسولين. والانسولين مادة تفرزها غدة البنكرياس الواقعة وراء المعدة وهي تؤثر في السكر الذي في الدم وتساعد الجسم على احراقه وتحويله الى قوة . فاذا عجزت غدة البنكرياس عن افراز الكمية الكافية من الانسولين تجمع السكر في الدم ونتج عنه مرض الديابيطس وفي الولايات المتحدة وحدها نحو مليون مصاب بهذا المرض يحقنون بالانسولين المستحضر من غدد البنكرياس المأخوذة من بعض الحيوانات

وقد وفق الدكتور جورج ماكلين من أطباء مدينة شيكاغو في اجراء عملية جراحية مدهشة قد يتم من ورائها الانتصار على مرض الديابيطس نهائياً بواسطة الجراحة ذلك أنه فتح بطن رجل مصاب بالديابيطس فازاح المعدة جانباً حتى وصل الى البنكرياس فاستأصل جانباً من هذه الغدة المفرزة لعصير البنكرياس فاشتد نشاط الجزء الباقي من الغدة — وهو الجزء الذي يفرز الانسولين وبهذه الطريقة نال المريض الشفاء التام . ومنذ أتمام هذه العملية قام الجراحون بعدة عمليات شبيهة بها أسفرت عن النجاح التام

ثم إن تحت غدة البنكرياس غدتين تسميان الغدتين الادرنالينيتين تفرزان مادة الادرنالين التي هي من اقوى المواد التي عرفها الانسان . يدل على ذلك انك اذا وضعت جزءاً من هذه المادة في ثلثمائة وثلاثين مليون جزء من الماء امكنك أن تشعر بوجودها في الحال . وهذه المادة تفرز بغزارة في الجسم في حالتي الخوف والغضب . ومن خواصها أنها تستثير نشاط القلب وتجعل الاوعية الدموية تتقلص . والطب يستعمل الآن هذه المادة لوقف النزيف ولاعادة الحياة الى الجسم بعد ان تقف حركة القلب تحت سكين الجراح

ومنذ عهد قريب اكتشف ثلاثة من العلماء الاميركيين مادة الادرنالين في الثآليل الكائنة بروس بعض أنواع الضفادع فصار في الامكان الآن الحصول على الكمية اللازمة للعالم من هذه المادة الثمينة

الكتب - هل دالت دولتها ؟

[خلاصة مقالة نشرت في المجلة الفنلندية
الحديثة للكاتب الفنلندي جان ملاي]

هل قضى على دولة الكتب أن تدول ؟

قد يخيل الى القارئ أن لا محل لهذا السؤال ما دامت الاحصاءات الموثوق بها تؤكد ان ألوفاً من الكتب تنشر كل يوم في أنحاء العالم المختلفة ، وأن عدد القراء في جميع الاقطار آخذ في الازدياد ، وأن التفنن في طرق الاعلان يساعد على نشر الكتب نشراً واسعاً

ومع ذلك يقولون ان ثمة أزمة حقيقية ، وان دولة التأليف على وشك الانقراض ، وان الاحصاءات لاتقول الحقيقة بل تشوهها ، وان العبرة ليست بعدد الكتب التي تطبع وتوزع بل بنوعها وقيمتها من الوجهة الادبية

والمهم في أزمة الكتب هو

ما هي الكتب التي نقرأها ؟

وكيف نقرأها ؟

وماذا ينتظر أن نقرأ في المستقبل ؟

لابد لنا من الاعتراف بأن الكتب تنشر في جميع اللغات وفي جميع الموضوعات بحيث يجد كل قارئ ما يلائم ذوقه بين تلك الكتب

ولابد من الاعتراف أيضاً بأن عدد القراء قد زاد في جميع أنحاء العالم حتى صار يعد بمئات الملايين . وقد صار المؤلفون يبذلون جهد الطاقة لتكون الكتب التي يؤلفونها مما يوافق ذوق الشعب ورغباته . وهم اذ يفعلون ذلك يهمهم عدد القراء لامستواهم الفني لان غرضهم إما أن يكون ماليا أو تجاريا أو سياسيا أو ما إلى ذلك . وهذا ما ادى الى انحطاط مستوى الكتب الادبية وظهور ألوف المؤلفات التي لا نجد في وصفها خيراً من القول بأنها ما كان يجب ان تظهر الى الوجود

على ان المدنية الحالية هي مدنية مادية ميكانيكية لا تدع للانسان فراغا لاعمال فكره بقراءة الكتب المطولة المعقدة والكتب اليوم اعداء ليس من الحكمة انكار بأسهم وبطشهم

وأول أولئك الاعداء الصحف اليومية فقد صارت تعتدي على ما كان يعتبر من شأن الكتب بما تنشره من الملحقات العلمية والرياضية والادبية والاجتماعية والطبيــة . وفي بعض الأنحاء تنشر

الصحف طبعات خاصة فى أيام الآحاد هى أشبه شىء بموسوعات (دائرة معارف) عامة متنوعة

وهنالك صحف أدبية بحتة ومجلات تبحث فيما هو من شأن الكتب ولها أساليب فى الكتابة بحيث يستطيع المرء أن يقرأ فى خمسين سطراً ما يقرأه فى ثلثمائة صفحة من صفحات الكتب . ولقد يعمد مؤلف الكتاب نفسه الى تلخيص كتابه فى بضع صفحات تنشر فى صحيفة أو مجلة أدبية

فالصحف اليومية على اختلاف أنواعها والمجلات الاسبوعية والشهرية قد أحدث تحل محل الكتب وساعدها على الانتصار رخصها وغلاء أسعار الكتب

ومن أعداء الكتب أيضاً السينما والراديو والخطب (التى يعبرون عنها بالمحاضرات) وقد أدى تألب هؤلاء الاعداء على « الكتاب » الى اعتراف المؤلفين بجدلائهم واضطرارهم الى مجاراة روح العصر . وهذا سبب ما نلحظه من فوضى الكتب والمطبوعات ذات المستوى المنحط سواء كان فيما يتعلق بالطبع والورق أو ما يتعلق بالمحور الادبى الذى يدور عليه الكتاب

وهنا أيضاً سبب الفوضى وعدم التجانس بين أشكال الكتب وأنواع طبعها وورقها . ومنها ما هو خلاصات أو خلاصة خلاصات علمية وأدبية واقتصادية وخلافها . وأكثرها مطبوع على أنواع من الورق رخيصة التى (لا تعرض منها صفحة فصفحة) وأكثر تلك الانواع مما لا يصلح لطبع الصور والرسوم

وانظر الى الجمهور كيف يقرأ الكتب اليوم . وفى الحقيقة انه لا يقرأ الكتب بل يتصفحها تصفحاً ويلقى عليها نظرة سطحية . ولئن كان الفرنسى يجهل من اليوم من القراءة فان معظم الكتاب أيضاً يجهلون من الكتابة . وقد مر الزمن الذى كان يجتمع فيه الشبان الذين يغارون على الادب للبحث والانتقاد والتحمس . ذلك لان الالعاب الرياضية تستغرق اليوم معظم أوقاتهم واذا بقى عندهم شىء من الفراغ بعد مزاولتها عمدوا الى النزهة بالاوتوموبيل

ومن العبث أن نحكم على رواج الكتب بكثرة ما ينشر منها فان معظمها اليوم فنى لا يقصد منه إلا خدمة الفنون الميكانيكية والكهربائية وما أشبه ولا علاقة له بالادب الصرف . والعقلاء يدركون ذلك تمام الادراك ويعلمون ان انتشار الكتب التى من هذا النوع لا يدل على رقى الانسان الفكرى والادبى بل بالعكس على تقهقره وانحطاطه

واذا كان « للكتاب » اليوم أعداء ومنافسون فان للكاتب أيضاً خصوماً لا يقلون عن أولئك شدة . فالعوامل المحدقة به لا تشجعه على الكتابة والتفكير . وما نراه من رواج الكتب التافهة المنحطة وكساد الكتب ذات القيمة يجعله يندب سوء حظ الادب . وفى الواقع أن الفن والسمعة الطائرة فى سوق الادب لا ينالها اليوم الكاتب أو العالم المفكر . بل من هو أحط منه بمراحل . فضلا عن أن الناشرين وناشرى الكتب كثيراً ما يبتزون صيغة المؤلف أماليه فيستغلونه لكى يكسبوا عن قفاه . ولا شك أن حالة الكتاب فى هذه الايام تدعو الى العمل على انقاذهم واصلاح حظهم

الزعامة الحقيقية وشروطها

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نيويورك
تيمس للاستاذ جيمس ادمس]

في هذه الايام التي نحن أحوج ما نكون فيها الى الزعامة يخطر ببال كل منا هذه الاسئلة وهي : ما هي شروط الزعامة الحقيقية ، ومن هم الزعماء وما سبب فشل بعضهم ؟

وقد أجاب كاتب هذا المقال عن هذه الاسئلة إجابة صريحة فبسط شروط الزعامة الحقيقية وقال : « ان في مقدمتها أن يكون للزعيم رأى جلي واضح يؤمن أتباعه بصحته سواء أكان صواباً أم خطأ . وان يكون ذلك الرأى مبنياً على مبادىء عامة لها صلة مباشرة بفلسفة الحياة . وقد يكون الزعيم مخطئاً في آرائه وفي الوسائل التي يجري عليها في معالجة مختلف الشئون ، ولكنه يتمسك بها تمسكا شديداً ولو أدى ذلك الى التضحية بحياته »

وانتقل الكاتب بعد ذلك الى شرط آخر من شروط الزعامة الحقيقية ، وهو : « أن يكون الزعيم نفسه مؤمناً بعقيدته وبصحة نظريته ، فلا يدور مع الريح ولا يتخذ لكل حالة لبوسها ولا يبدى لكل رجل رأياً يخالف ما ابداه لغيره . ولا ينقض عهده ووعوده أي تبديل عنه . ويجب ان يكون في نظر أتباعه بحيث اذا قال كلاما في يوم الاحد فهم يصدقون انه كلامه ايضاً في يوم الاثنين »

ولكي يصدق هذا الشرط يجب ان يكون جميع اعتقاداته مؤسسة — كما يقول الكاتب — « على الروية وبعد النظر لا على أحكام طائشة يصدرها على الاشياء بغير نقد وتمحيص . . . فاذا لم يكن متحلياً بهذه الصفات فان اتباعه لا يثقون به ولا بسياسته ولا يستطيع ان ينفخ في صدورهم روح الحماسة على الاطلاق »

ثم انتقل الكاتب الى شرط آخر من شروط الزعامة وهو الشجاعة الادبية فذكر انه « ما من رجل يعقد له لواء الزعامة اذا لم تكن له الشجاعة التامة ويجب ان يشعر اتباعه بأنه لن يهجرهم مهما أحدق به وبهم من المخاطر ، ولن يتزحزح عن عقيدته مهما عظمت أمامه التجاريب ، وأنه لا المال ولا الجاه ولا الوعود الخلابة تستطيع ان تثنيه وتلويه عن الطريق القويم »

ولكن الصلابة في الحق ليس معناها العناد العقيم والتشدد الاعمى في كل شيء . فهنالك حالات يجب على الزعيم أن يستعمل فيها الظرف والكياسة ولين الجانب . وفي ذلك يقول الكاتب :

« وهنالك ظروف زمنية ومكانية تحتم على الزعيم ان يتساهل ويتسامح ، ومن أعسر الامور

تحديد تلك الظروف وتبيينها » . وبسبب هذه الصعوبة واضح فلا شك انه لا يمكن وضع قاعدة عامة تشمل جميع الحالات التي تعرض للزعيم . فيجب ترك الأمر لظرفه وكيفيته

وهنالك شرط آخر للزعامة : « وهو ان يستطيع الزعيم استفزاز الحماسة في صدور أتباعه وتعليلهم بالأماني الجميلة وبحياة سعيدة أفضل من حياتهم الحاضرة . ولا شك أن جميع الزعماء الذين حفظ التاريخ أسماءهم امتازوا بهذه الصفة فقد كانوا دائماً يوحون الى اتباعهم بالاحلام الجميلة ويسعون لاستيفاء تلك الاحلام ماثلة أمامهم »

على شرط آخر لا يقل شأناً عن الشروط المتقدمة وهو في نظر الكاتب ضروري لنجاح الزعامة ويعبر عنه بلغة كتاب هذا اليوم « بالشخصية » (personality) والشخصية تسحر قلوب أتباعها وتأسر ألبابهم وهي مجموع الصفات التي تجعل الرجل بارزاً في نظر أتباعه وعظيماً في نظر الذين يحيطون به من غير أتباعه أيضاً

هذه أهم شروط الزعامة الحقيقية . ومع ذلك فان الزعماء كثيراً ما يفشلون اما لعدم توافر هذه الشروط فيهم أو لعوامل أخرى من عوامل الخيبة تحيط بهم . قال الكاتب :

« ترى ما هي بعض عوامل الخيبة التي تؤدي الى فشل الزعامة . وما هي أسباب فشل الزعماء في العشرين سنة الماضية ؟ »

أجاب الكاتب عن ذلك بأن مصاعب الحياة [illegible] وزوائدها قد كانت عثرة في سبيل الزعماء في حالات كثيرة لا يتسع المقام لشرحها . [illegible] لا يسرد كله لا يسرد حله في ذلك :

« تنصب تكاليف الحياة ومطالب المعيشة تجعل الزعماء في حاجة مستمرة الى المال ومما يجعل الزعيم يوجه جانباً من جهده واهتمامه في سبيل الحصول على لوازم معيشته . والرجل الذي يوجه بعض جهوده في سبيل كسب معيشته لا يستطيع تنمية شروط الزعامة واستكمالها لنفسه لا في ميادين الأعمال ولا في ميادين السياسة

« أضف الى ذلك ان المدة التي عقبت الحرب العظمى الماضية قد كانت وما تزال مدة قلق واضطراب في الافكار والآراء . والمادية آخذة في الانتشار والنظم العمرانية والاجتماعية قد أصيبت بصدمات شديدة تجعل الناس يقفون حائرين وتزعزع ثقتهم بأنفسهم والتاريخ يشهد بأن أزمنة كهذا الزمان لم تنجب قط زعماء عظماء »

هذه نظرية الكاتب وقد تبدو غريبة لأن الفكرة السائدة عند الكثيرين هي ان الأوقات العصيبة هي التي تنجب الزعماء الحقيقيين . فالثورة الفرنسية مثلا انجبت في فرنسا كثيرين من زعمائها كروبسبير وميرابو ودانتون . ولكن الآراء في ذلك الزمن لم تكن مضطربة متبلبلة ، بل كانت مجمعة على مبادىء واحدة يؤيدها الشعب بجملته

الاباحة الزوجية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نورث
اميركان للاستاذ هنري نيومان]

لعل القراء يعرفون الاستاذ برتران رسل الكاتب الاجتماعي الانجليزي الذي يدعو الى إطلاق الزوجية من بعض قيودها وإباحة الحرية للزوج لكي تكون له صلة بغير زوجته من النساء بشرط ان يظل محباً في الوقت عينه لزوجه وأسرته وأن يقوم بجميع الواجبات التي تفرضها الزوجية عليه. وحجة هذا الكاتب هي أن الرجل لا يستطيع أن يتحكم في أهوائه الجنسية وإذا حاول أن يكبح جماحها شعر بثقل وطأة الزوجية فتنشأ في نفسه لذلك النقمة لها ولقيودها وتكون النتيجة زيادة عدد الناقمين على الزواج المتمردين عليه

وقد انتشرت آراء الاستاذ رسل في بعض الجهات فكان الناس بين نافر منها ومرحب بها. وقد تصدى الاستاذ هنري نيومان الكاتب الاجتماعي الاميركي للرد عليه فنشر في مجلة «نورث أميركان» مقالة قال فيها ما يأتي: «يطلب الاستاذ برتران رسل وزوجه السيدة دورا وبعض من الكتاب الروس ألا يعتبر الناس رباط الزواج صحيحاً الا اذا نتج عن ذلك الزواج أولاد، ويدعون ان هذا أدعى الى السعادة وأكثر انطباقاً على منطق [illegible] عن الاحداث بعض يتورطون في الزواج باكراً فيقترحون اباحة الحرية لهم [illegible] ويقول برتران رسل: «اذا أثمر الزواج وكان الزوجان عاقلين وجب عليهما أن يتوقعا دوام ذلك الزواج مدى حياتهما بشرط ألا يحول دون علاقات جنسية أخرى»

ومهما يكن من وجاهة الدفاع عن هذه الحرية فهي الخطر الماحق الجلي على القدر لانصارها. وبرتران رسل نفسه يقول إن من ابرز خصائص الزوجية هي انها اتحاد روحي لا جسماني فقط. ولكن أين السيدة التي تعتبر نفسها ملكاً تاماً لزوجها وهي تعلم أن زوجها ليس ملكاً تاماً لها ولا هو متحد بها اتحاداً تاماً بل هو ملك مشاع بينها وبين غيرها؟

ويقولون إن الحكمة تقضي بإباحة الحرية للشاب قبل الزواج لان هذه الحرية تزيده خبرة وحنكة وتساعده على اختيار الزوجة الملائمة له لكي يكون رباط الزواج وثيقاً محكماً على ان الزواج الهنيء هو عملية بسيطة، اذ المفروض فيه أن يتم بين أشخاص بالغين قد روضوا أنفسهم على أحسن الصفات من صبر واناة واحتمال وروية ورغبة في مشاطرة رفيق الحياة في كل شيء ومحاولة فهمه والاتفاق معه قلباً وقالباً. ترى هل يحاول الزوجان أن يروضا أنفسهما على هذه الصفات اذا

علما ان فى وسع كل منهما تغيير رفيق حياته . وهل يستيان التحلى بالاخلاق الحيدة مادام كل منهما حراً فى انشاء علاقات جنسية تعوضه عما فاته من محبة زوجه

ويطلب اصحاب هذا المبدأ أن تخمد الزوجة حدة غيرتها على زوجها وان تغض الطرف عن العلاقات الجنسية العرضية التى قد ينهمك فيها من وقت الى آخر ما دام محباً لها قائماً بجميع الواجبات التى تفرضها عليه الزوجية بازائها وازاء الاسرة كلها ، فان الغيرة تنشأ عن ضيق الخلق والصدر

كذا يزعم برتران رسل واتباعه . ولكن الزوجة — كما يقول الاستاذ بومان — « تشاطر زوجها سراءه وضراءه وتبذل حياتها فى سبيل تربية أولادها والسهر عليهم فى اثناء الصحة والمرض . وهذه الجهود تفقدها بمرور الزمن جانباً من جمالها ومن شبابها . فاذا غارت على زوجها فان غيرتها معقولة لانها تخشى ان تحل محلها من لم تتعب الحياة الزوجية وواجباتها بجمالها وشبابها . بل ان فى غيرتها تذكرة لطيفة له بوجوب مشاطرته لها واجبات الزوجية

« ومن الحجج التى يتذرع بها المستر رسل ان فى معظم انحاء العالم — كانجلترا مثلا — يزيد عدد النساء على عدد الرجال فاذا أتيح « لغير المحظوظات » منهن ان يشاطرن « المحظوظات » حب بعولتهن نقص عدد أولئك وزال كثير من الحقد الذى يختلج فى قلوبهن على المجتمع الاجتماعى وزاد الهناء والسرور فى العالم . ولكن فات المستر رسل ان الزوج الذى يخون عهده يزيل الحقد المختلج فى قلوب « غير المحظوظات » انما يوقد نار حقد جديد فى قلب زوجته لان واجبات الزوجية قد نهكت شيئاً من جمالها وشبابها ونضارتها ..

« . . . ويقول المستر رسل ان خوف الرجل من غيرة المرأة هو احد العوامل التى تثبط عزيمته وتقعده عن الزواج. لذلك يقترح اصحاب المذهب الجديد تربية الجيل الحديث والاجيال المقبلة على روح التسامح لتخفى "غيرة المرأة وهى لا تخفى" الا اذا ثار عليها الرأى العام والا اذا روضت المرأة على كرهها منذ نعومة أظفارها ... والغريب ان أصحاب هذا المذهب يسمون القضاء على عاطفة طبيعية فى المرأة مع أنهم يجاهرون بأن مذهبهم انما وضع للدفاع عن العواطف الطبيعية ومنها الميل الجنسى . فواضح اذن أنهم انما يريدون محو عاطفة الغيرة فى المرأة لانها تقف عثرة فى سبيل دعوتهم »

وهنا لابد لنا من هذا السؤال وهو : « اذا كان فى الامكان القضاء على عاطفة الغيرة فى المرأة بتربيتها تربية حديثة ، فلماذا لايربى الرجل تربية تمنعه من التسبب من تلك الغيرة ؟ » . وقد انتقل الكاتب الى تبيان مزايا الزوجية النافعة التى لا تتسامح مع الزوج الخائن أو الزوجة الخائنة . الى ان قال : « وانا أحوج ما نكون اليوم الى تعليم الاولاد شروط الزوجية الصحيحة منذ الصغر . نعم كثيراً ما يكون الزواج هنيئاً ، ولكن فى وسع كلا الوالدين ومعلمى المدارس ان يعملوا على جعل الزواج هنيئاً»

أعظم نهر في العالم

ليس هو النيل ولا المسيسبي ولا الامازون كما يزعم طلبة الجغرافيا ، بل هو مجرى أو تيار استوائي يشق عباب الاوقيانوس الباسيفيكي على بعد عشر درجات من خط الاستواء والى شماله وهو محاذ للمنطقة الاستوائية تماماً

تطور الطيران

ليس ثمة شك في أن الطائرات على جميع أنواعها ستكون أم وسائل الانتقال في المستقبل. وقد تطورت صناعة الطائرات تطوراً سريعاً جداً بعد الحرب . ويظهر من سير تطورها أن المستقبل لها دون المناطيد وغيرها من أنواع السفن الجوية . ومما يجدر بالذكر أنه قد مر الآن مائة وخمسون سنة تماماً على أول محاولة جوية قام بها الانسان للتحليق في الجو إذ كانت تلك المحاولة سنة ١٧٨٣

الجيلاته قديماً

يعتقد البعض أن «الجيلاته» أو «الدندرمة» عرفت لأول مرة في العصور المتوسطة وأن أول من صنعها رجل إيطالي . الا أن المباحث الأخيرة قد اثبتت أن بعض الهنود والصينيين كانوا يثخنون اللبن ويثلجونه حتى يصبح شبيهاً بالدندرمة الحالية . وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد

الزمرد والماس

حجر الزمرد أخف وزناً من حجر الماس. فالقيراط الواحد من الاول اكبر حجماً من قيراط واحد من الثاني . وهنالك أنواع من الزمرد النقي أغلى ثمناً من الماس

عادة فظيعة

كان أهالي جزيرة مدغشقر حتى عهد قريب يقتلون الاطفال الذين يولدون في أيام الاسابيع المحسوبة شؤماً . وكانوا يرمون جثثهم في البحر تيمناً

ركام الجليد

تكثر جبال الجليد في منطقتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي . وهذه الجبال خطر شديد على البواخر . وقد شوهد حديثاً ركام قدر بعضهم طوله بنحو ستين ميلا وهو حجم يكاد يكون طبيعياً لتلك الجبال

الحوادث الليلية

في احصاء لبعض شركات التأمين الامريكية أن نحو خمسة وثلاثين في المائة من الاصابات التي تقع في الشوارع وتنتهي بالموت تنشأ عن ضعف النور

تربيع الدائرة

منذ واحد وخمسين سنة — أي في سنة ١٨٨٢ — نشر أحد علماء الألمان الرياضيين بحثاً اثبت به استحالة تربيع الدائرة

قلوب الافيال

المعروف عن الفيلة (جمع فيل) انها مع ما هو معروف عنها من القدرة على حمل الأثقال الكبيرة فانها معرضة لضعف القلب

لحم الحيتان

أكل لحوم الحيتان شائع في اليابان . ويقول الذين ذاقوا هذا اللحم إن طعمه لا يختلف عن طعم لحم البقر

فئران غريبة

جيء الى حديقة الحيوانات بلندن بأربع فئران غريبة من مستعمرة كينيا . وهذه الفئران ذات عرف طويل . وقد وضعت احداها فأرة صغيرة لا تزال عائشة . وادارة الحديقة تعنى بها اعتناء خاصاً وتراقب اطوار نموها

أثر نفيس

عثر المنقبون بجوار مدينة نابولى على رأس تمثال الامبراطور طيباريوس من الرخام وهو بحالة جيدة تماماً وقيمته عظيمة جداً من الوجه الفنى . وكان طيباريوس المذكور ثانى امبراطور حكم روما

من اسباب الوفيات

دخان المدن فى مقدمة الاسباب التى تؤدى الى كثرة الوفيات . ولعل شكاجو من اكثر مدن العالم دخاناً بسبب كثرة المعامل بها وتقول اللجنة الصحية التى أنشئت هنالك منذ عهد قريب لدرس الشئون الصحية إنه لو امكن إزالة دخان شيكاجو لنقص عدد الوفيات فيها بنسبة السدس

احواض السباحة

كان الرومان منذ الفين ومائتى سنة يبنون أحواضاً للسباحة لاتختلف في شيء عن أحواض السباحة فى الوقت الحاضر

معدنان غريبان

الاسبستوس والميكا معدنان غريبان يمتازان — فى جملة ما يمتازان به — بكونهما يسهل ليهما وثنيهما من دون ان ينكسرا . والاسبستوس أيضاً من المعادن التى لا تقبل الاشتعال

من اعالى الجو

كان سرب من الطيارات البريطانية يحلق منذ عهد قريب فوق البحر الابيض المتوسط فابصر الطيارون من الجو فى قاع البحر آثاراً قديمة وأعمدة وخرائب . فاهتمت وزارة البحرية البريطانية بهذا الاكتشاف واخذت الأهبة لارسال غواصين الى ذلك المكان لدرس تلك الخرائب وتصويرها

في قاع البحر

بعض المضايق والاودية التى فى قيعان البحار عميقة جداً ، يبلغ ارتفاع جدرانها عدة الوف من الاقدام . ويقال ان الأودية والجبال التى فى قاع المحيط الـ... اكثر من الأودية والجبال التى على سطح الكرة الأرضية

الجراحة في الجزائر

لا يزال الاهالى فى بعض انحاء الجزائر يعتقدون أن الارواح الشريرة تدخل الانسان عن طريق رأسه . وهم اذا أرادوا طرد تلك الارواح عمدوا الى فتح الجمجمة لتخفيف ضغط الدم الذى يعتبره القوم مظهراً من مظاهر تلك الروح فى الانسان

الاسعافات الاولية

فى سنة ١٦٣٣ ظهر فى أوربا اول كتاب يتضمن ارشادات طبية للاسعافات الاولية . وبعض هذه الارشادات تقوم على مبادىء علمية ، واهم ما ينقصها افتقارها الى مسألة تعقيم الجروح وتطهيرها . ومما يجدر بالذكر أن فى هذه الارشادات إشارة إلى عد النبض بواسطة ثوانى الساعة

الارجوان الصوري

اشتهرت «صور» عاصمة الفينيقيين قديماً بالصبغة الارجوانية التي كانت تستخرج فيها وتصبغ بها ثياب الملوك والأمراء . وقد ثبت الآن أن تلك الصبغة لم تنتشر إلا في أواسط المائة الخامسة عشرة قبل الميلاد

مجاهل الجزيرة العربية

يقدر علماء الجغرافية مساحة البلاد التي مازالت مجهولة في شبه جزيرة العرب بنحو نصف مليون ميل مربع . وهذه المجاهل لم تطأها اقدام المتمدنين حتى الآن ولا يعرف العلماء شيئاً عنها على الاطلاق

انفجار الشمس المقبل

يقول الدكتور «كوراد لونكمست» مدير المرصد الملكي بعاصمة السويد ان الاسباب... المسببة لتطورات النجوم ـ ولا سيما المعروفة منها عند علماء الفلك بالجديدة ـ قد أثبتت له أن تلك النجوم أو الشموس تنفجر مرة في نحو كل أربعة آلاف مليون سنة . ولما كان العلم يؤكد ان الشمس لم يقع فيها أي انفجار منذ نحو الف مليون سنة ، فقد صار يتوقع حدوث ذلك الانفجار قبل انقضاء ثلاثة آلاف مليون سنة . ولا حاجة الى القول انه اذا حدث ذلك فيكون فيه هلاك الارض لا محالة

على ان بعض علماء الفلك يعتقدون ان مدة الاربعة الآلاف من ملايين السنوات التي قدرها الدكتور «كوراد لونكمست» هي أقل من الفترة الحقيقية . وان الانفجار لا يقع سوى مرة في كل الف وستمائة الف مليون سنة

بعد الجزر الكونية

المراد بالجزر الكونية هي السدم اللولبية وغيرها السابحة عند اطراف الكون الخارجية على بعد ملايين من السنين الضوئية . ويقول الاستاذ جينز الفلكي الانجليزي ان هذه الجزر تندفع في الفضاء مبتعدة عن النظام الشمسي بسرعة هائلة ، مما يحمل الكثيرين من علماء الفلك يعتقدون ان الكائنات في حالة انفجار وان الاجرام البعيدة أشبه بشظايا تتطاير بذلك الانفجار بحيث تتضاعف المسافة التي تفصلها عن الارض كل الف وثلثمائة مليون سنة . وهذا هو ما يعبر عنه علماء الفلك بقولهم ، ان الكون آخذ في الاتساع كما تتسع كرة الفوتبول عند ما تنفخها على ان الدكتور دي ستير استاذ علم الفلك بجامعة ليدن وأحد اقطاب علم الفلك في بلاد الغرب يقول ان اتساع الكون في الوقت الحاضر قد يعقبه رد فعل يحدث وإذ ذاك يتقلص الكون بالسرعة التي يتسع بها الآن

الابنية العالية قديماً

عثر علماء التاريخ على آثار تدل على أن الامبراطور اغسطوس قيصر الرومان اصدر في ايامه أمراً يمنع الناس من بناء بيوت يزيد ارتفاعها على ما يعادل ثمانية وستين متراً قياس هذا الزمن

الاقزام والنار

لا يزال بعض اقزام افريقيا متوحشين يجهلون استعمال النار لأنهم يأكلون اللحوم والنباتات من دون أن يطبخوها

التحكم في جنس الجنين

في المؤتمر الدولي لعلم الوراثة الذي عقد في مدينة نيويورك منذ عدة اشهر ألقى الدكتور ساندرس العالم الهولندي خطبة شرح بها طريقة الدكتور اونتربرجر الالماني في التحكم في جنس الجنين وقال ان التجارب الكثيرة التي قام بها الدكتور المذكور في طائفة كبيرة من الحيوانات ـ ولا سيما الحيوانات التي تستعمل لحومها غذاء ـ قد أثبتت أن حقن تلك الحيوانات عند لقاحها بمحلول بيكربونات الصودا يجعل نسلها يجيء من جنس الذكر في أكثر الحالات . ويقول الدكتور اونتربرجر ان المواد الحامضة تجعل النسل يجيء غالباً من جنس الانثى بخلاف المواد القلوية فانها تجعل النسل يجيء ذكراً

على أن بعض العلماء الاميركيين يدعون ان التجارب التي قاموا بها في اميركا لم تثبت صحة طريقة الدكتور اونتربرجر

وظيفة البنكرياس

البنكرياس غدة موضوعة بجوار المعدة تفرز العصير المعروف بعصير المعدة ـ وعطب هذه الغدة أو الاختلال الذي يطرأ على افرازها هو سبب مرض الديابيطس أو البول السكري . على ان احد الاطباء الاميركيين ألقى حديثاً خطبة امام جمعية تقدم العلوم الاميركية اثبت بها ان كثيرا من الحالات الغريبة التي تطرأ على قوى الانسان العقلية وتجعله أقرب الى الجنون منه الى التعقل سببها اضطراب غدة البنكرياس وعدم انتظام افرازها . وقد قام الدكتور جراهام الاميركي بعدة عمليات جراحية ازال بها بعض الاورام التي طرأت على غدد بعض الاشخاص فعادوا الى حالتهم العقلية الطبيعية بعد ان ظهرت عليهم أعراض غريبة تشبه اعراض الجنون

الطحال التائه

اذا خرج الطحال عن موضعه وأصبح « تائها » كما يقول الاطباء أدى ذلك الى آلام كثيرة مصحوبة بقيء ومغص وأعراض تشبه اعراض مرض الزائدة الدودية . ولا يخفى ان الطحال . واقع في أعلى البطن من جهة اليسار ولكنه قد يخرج من موضعه هذا ويستقر في أي موضع آخر من البطن . وكثيراً مايؤدي الى امراض خطيرة يحار الطبيب في تشخيصها أو تعيينها

قروح المعدة

يقول الاطباء الاخصائيون ان القروح التي تصيب المعدة وتسبب آلاما كثيرة تنشأ عن تناول المواد المعدنية التي يعوزها الفيتامين (أ) وقد قام احد الاطباء الألمان بتجارب لاثبات هذه النظرية فاطعم طائفة من الفئران مواد غذائية خالية من الفيتامين المذكور فنشأت في معدها قروح لم تزل إلا عند ماعادت تلك الفئران الى الاقتيات بمواد غذائية غنية بالفيتامين (أ)

مرض البري بري

مرض البري بري هو من امراض اليابان المتوطنة ، يموت به كل سنة نحو ستة عشر الفاً من الاهالي وسببه على مايقول الأطباء الاكثار من اكل الرز المقشور ، فان الرز في هذه الحالة خال من الكمية اللازمة من الفيتامين

هل للمريخ مسكون

ألقى الاستاذ سليفر الاميركي - مدير مرصد لويل الفلكي - خطبة علمية عظيمة الشأن في المعهد الملكي بلندن ذهب فيها الى ان السيار المريخ تسوده احوال طبيعية شبيهة باحوال الارض وان جميع القرائن تدل على ان الشروح التي يكتسي بها قطعه ووجود الماء والاوكسجين في جوه دليل قاطع على وجود الحياة النباتية فيه . فضلا عن أن دراسة هذا السيار في خلال الاربعة العقود الماضية لا تترك مجالا للشك في انه مأهول

آثار قديمة

عثر العلماء في اوربا (في المكان الذي عثروا فيه على بقايا الانسان النياندرتالي) على ادوات مصنوعة من عظام مطمورة في طبقات جيولوجية لا يقل عمرها عن اربعمائة الف سنة . ويقول الدكتور اوتو شيتنجن مدير متحف التاريخ الطبيعي بمدينة مانتز بالمانيا ان هذا الاكتشاف دليل قاطع على ان الانسان وجد على هذه الارض منذ أكثر من اربعمائة الف سنة

زنوج اميركا

من الامور المسلم بها عند جمهور العلماء ان زنوج اميركا جاءوا في الاصل من قارة افريقيا في الازمنة الغابرة التي لا يمكن تعيينها بوجه التحقيق ولكن الأمر المختلف عليه بين أولئك العلماء هو الجهات الافريقية التي جيء منها باولئك الزنوج . وتدل المباحث الكثيرة التي قام بها بعض العلماء الاوربيين والاميركيين على ان السواد الاعظم من الزنوج الامركيين هم في الاصل من الساحل الافريقي الغربي من البلاد الواقعة اليوم بين لوانجو وجمبيا . على أن جيء ببعضهم من انحاء أخرى من افريقيا ولكن عددهم لم يكن كبيراً

مدن العالم الكبرى

في احصاء جغرافي ان نحو ٩٢ في المائة من مدن العالم الكبرى هي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية

وكيل الهلال في الولايات المتحدة

عرف الاديب الفاضل الاستاذ توفيق حبيب بنشاطه وجده ومساعدته للنهضة العلمية والادبية . فمنذ خمس وعشرين سنة وهو مجد في هذه المساعدة الجيدة . وقد رأت فيه دار الهلال خير عون لها في الولايات المتحدة ، فاتخذته وكيلا لها في هذه البلاد ، فاخذ يعمل لمعاونتها معاونة صادقة ، ونشر مجلاتها ومطبوعاتها ، فاسدى الى هذه الدار خدمة جديرة بالثناء والتقدير ، وقد انقضى الآن على هذا المجهود الذي قام به ربع قرن . ولهذه المناسبة نسدي للاديب الفاضل الاستاذ توفيق تهانينا الخالصة ، ونزف اليه شكرنا الجزيل لمساعدته لنا في مهمتنا التي أخذت دار الهلال على عاتقها القيام بها في خدمة النهضة العلمية والادبية في الشرق

كتب جديدة

هدية الكروان

للاستاذ عباس محمود العقاد

طبع بمطبعة دار الهلال

صفحاته ١٦٠ من الحجم المتوسط

للاستاذ الكبير عباس محمود العقاد نشاط نادر فضلا عن نبوغه وعبقريته، فهو الى أعماله في الصحافة والكتابة في السياسة لا يني عن خدمة الادب والعناية به، وزيادة ثروته، ففي كل يوم يضيف اليه من انتاجه جديداً، وبين كل فترة وأخرى يصدر مؤلفاً جديداً ما بين منظوم ومنثور. وقد أصدر أخيراً ديواناً من الشعر البليغ أسماه «هدية الكروان» وهو من اسمه ينطق بشاعريته وحسه. فالكروان طائر جميل يكثر في مصر تسمعه يغني في جميع الليالي حيث السكون والهدوء، فيبعث في نفسك الخشوع والروعة ويوقظ في قلبك روح التسبيح والتقديس والفتنة بجمال الخلق والخالق. ولعل الاستاذ عباس العقاد أول أديب ناجى هذا الطائر الذي يعيش في شمال مصر وجنوبها بكثرة، ولكن الشعراء مشغولون عنه بمناجاة البلابل محاكاة وتقليداً لما ذكره المتقدمون — وبعد فهدية الكروان «هدية لادباء اللغة العربية ومتأدبيها وناشئتها»، وهو وان سمي باسم الكروان لما فيه من عدة قصائد عن هذا الطائر الجميل إلا انه يضم بين دفتيه قصائد أخرى في الغزل والمناجاة والوصف والتأملات والرثاء والهجاء وغيرها. وكلها من الشعر الجيد البليغ وحسبنا ان نقول تقريظاً لهذا الديوان انه من تأليف الاستاذ العقاد

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

صفحاته ١٩٢ من الحجم المتوسط

« هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين، لاني لم أرد بها الى العلم، ولم أقصد بها الى التاريخ، وانما هي صور عرضت لي أثناء قراءتي للسيرة فأثبتها مسرعاً. ثم لم أر بنشرها بأساً. ولعلي رأيت في نشرها شيئاً من الخير. فهي ترد على الناس أطرافاً من الادب القديم قد نبت عنهم واستعصت عليهم. فليس يقرؤها منهم الا أولئك الذين أتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة في الادب العربي القديم. وانك لتحصي الذين يقرءون ما كتب القدماء في السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تكاد تظفر بهم. انما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون في الادب الحديث

« ... فليس في هذا الكتاب اذن تكلف ولا تصنع ولا محاولة للاجادة ولا اجتناب للتقصير. وانما هو صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما أجد من الشعور حين أقرأ هذه الكتب التي لا أعدل بها كتباً أخرى مهما تكن والتي لا أمل قراءتها والأنس اليها

« ... فاذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب

الى الناس كتب السيرة خاصة ، وكتب الادب العربي القديم عامة ، والتماس المتاع الفني في صحفها الخصبة فانا سعيد حقا

« . . واذا استطاع هذا الكتاب ان يلقي في نفوس الشباب حب الحياة العربية الاولى ويلفتهم إلى ان في سذاجتها ويسرها جمالا ليس اقل روعة ولا نفاذاً الى القلوب من هذا الجمال الذي يجدونه في الحياة الحديثة المعقدة فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد

« . . . واذا استطاع هذا الكتاب ان يدفع الشباب الى استغلال الحياة العربية الاولى واتخاذها موضوعاً فنيا خصبا . لا للانتاج العلمي في التاريخ والادب الوصفي وحدهما بل للانتاج في الادب الانشائي الخالص . فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد »

هذه فقرات مما كتبه الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه « على هامش السيرة » . وانت تستطيع ان تجد في تلك الفقرات غرضاً من ذلك هذا الكتاب وامثاله مما سيكتبه في السيرة النبوية . فجدير بقراء العربية أن يحتفلوا بهذا الذي يقوم به الدكتور طه من معالجة هذه السيرة على اسلوب جديد ، وتيسير الاطلاع عليها للذين يضيقون بالاسلوب القديم . ثم جدير بهم أن يرحبوا بهذا النوع من احياء الادب القديم واماطة اللثام عن تراثه والانتفاع بما فيه من حياة خصبة وكنوز فنية ليس لغير أمثال الدكتور طه أن يعبد الطريق الى احيائها والانتفاع بها . وهذا الكتاب من هذا النوع الذي قصد الدكتور طه حسين من تأليفه الى احياء الادب القديم والانتفاع به . وهو كمقدمة أو جزء أول لعدة اجزاء يضعها في السيرة النبوية في اسلوب قصصي ممتع . وقد ابتدأه بحياة عبد المطلب جد النبي الكريم محمد ، وانتهى به الى رضاعته وربه برضعته ثوبية أمة ابي لهب . ولسنا في حاجة الى أن نطيل في وصف اسلوب الدكتور طه حسين . ولا في منهجه في الكتابة والتأليف . فالقارىء غني عن ذلك كله بما يعرفه عن العميد من عبقرية ونبوغ

النبي

وضعه بالانكليزية المرحوم جبران خليل جبران
نقله الى العربية الارشمندريت أنطونيوس بشير
طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة
صفحاته ١٥٠ من الحجم المتوسط

لفقيد الادب جبران خليل جبران إلهام سام ، جعل لكتاباته ورسومه صبغة ممتازة ، رفعتهما إلى درجة الوحي السامي

ولقد عرفه الغربيون كما عرفه الشرقيون وقدروه ، واشادوا بنبوغه . والف عدة كتب بالانكليزية كما الف أخرى بالعربية . فاسترعى انتباه الغربيين اليه وأقبلوا على قراءته . ومن هذه الكتب التي وضعها بالانكليزية كتاب « النبي » فقد صدر هذا الكتاب في سبتمبر سنة ١٩٢٣ فلم يمض عليه خمسة عشر شهراً حتى أعيد طبعه ثلاث مرات . بل لم ينته شهر فبراير سنة ١٩٢٦ حتى بلغ الطبعة العاشرة (بالانكليزية) وترجم الى عشر لغات اوربية والى اليابانية والهندستانية من اللغات الشرقية

وهذا الكتاب قد أودعه المؤلف خلاصة آرائه في الحب والزواج والابناء والمعاملة والالم واللذة والحزن والعطة والجرائم والعقوبات والحرية والشرائع والعقل والعاطفة والصداقة والدين والموت وغير ذلك . وقد

جعلها على لسان نبي اسماه (المصطفى) ويكاد يكون هذا الكتاب هو زبدة حياة جبران التي قضاها بين الادب والحكمة والفلسفة والفن . فقد اشتمل على آرائه في نواحي الحياة الاجتماعية بما مدته اليه بصيرته وأرشده اليه وحي فكره النافذ . فكل من يطلع على هذا الكتاب يعتقد ان جبران انما وضعه ليكون كتابا يرجع اليه في الآراء الحرة التي لا تتقيد إلا بوحي العقل ونور البصيرة . وقد أحسن الارشمندريت انطونيوس بشير ترجمة هذا الكتاب إلى العربية ترجمة موفقة تستحق الثناء والتقدير

دائرة المعارف الاسلامية

العدد الثاني من المجلد الاول

ترجمة الاساتذة : محمد ثابت الفندى

احمد الشنتناوى . ابراهيم زكي

خورشيد . عبد الحميد يونس

طبعته لجنة الترجمة بشارع قصر النيل رقم ٣٢ بالقاهرة . صفحات العدد ٦٤ من الحجم الكبير

قلنا في هلال نوفمبر الماضي كلمة موجزة عن هذا المجهود الجليل الذى يقوم به هؤلاء الشبان الافاضل في ترجمة هذا السفر الكبير الذى قام تأليفه بالغات الانجليزية والفرنسية والالمانية كبار المستشرقين في اوربا منذ خمس وعشرين سنة ليكون مرجعاً للحضارة الاسلامية وما يتصل بها من فنون وعلوم وآداب

ويسرنا ان نعود الى الكلام عن هذا المجهود بمناسبة صدور العدد الثاني من هذه الترجمة الذى يبدأ ببقية تاريخ الاتشيهى . وينتهى بتاريخ محمد بن احمد البستي . المعروف بابن حبان . وقد حوى هذا العدد طائفة من تراجم المؤرخين والمحدثين والنحويين والادباء والشعراء والفقهاء والاطباء كابن الابار وابن ابي أصيبعة وابن ابي الدنيا وابن ابي الرجال وابن الاثير أو ابناء الاثير الثلاثة وابن الانبارى وغيرهم

ولا يسعنا الا الاعجاب بنشاط هؤلاء الشبان وقيامهم بهذه الخدمة المحمودة للغة العربية التي هي في حاجة الى قوة الشباب ونشاط الشباب واقدامهم الذى لا يثنيه فتور ولا تثبيط . وقد امتاز العدد الثاني بمضاعفة العناية والتدقيق . ويظهر ان الاقبال الذى لقيه العدد الاول كان مشجعاً للمترجمين على مضاعفة العناية والاتقان

ديوان زكي مبارك

طبع مطبعة حجازى بالحلمية بالقاهرة صفحاته ١٥٨ من الحجم الصغير

لعل الكثيرين من قراء العربية لا يجهلون الاديب النابغة الدكتور زكي مبارك ، ولعل الكثيرين يعرفون انه جمع بين كثير من المواهب والصفات ، فهو كاتب وشاعر ، ومن متخرجي الازهر والجامعة ومن ابناء ستراسبرج وباريس ، ومن رجال التعليم والصحافة أيضاً . وعلى الجملة هو من الشبان الذين اعطوا حكمة الشيوخ وتدقيقاتهم وتحقيقاتهم ، ومن الشيوخ الذين لهم نشاط الشبان وثورة الشباب . . طوى الدكتور زكي الاربعين أى انه طوى عهد الشباب وودعه . ولكن عز عليه ألا يبقى الشباب وألا يسجل له ذكرياته الجميلة واحلامه اللطيفة ، فجمع في هذا الديوان كثيراً مما فاضت به عاطفته وجادت به قريحته الخصبة من قصائد في الحب والمجد والشباب والجمال ، واهداه تحفة ممتعة لقراء العربية ، يتصفحونها فيرون فيها نفوسهم كما يصورها الخيال الصادق والشعور

القياس والاحلام اللذيذة ، ويقرأون فيها نوعاً من الشعر جديداً بخياله وافكاره وصوره ، قديماً بنسجه العربي ، وباسلوبه الادبي ، ونظمه المحكم الذي لم يفسده شرود في القواعد ، ولا تجن على اصول اللغة بدعوى الابتكار والتجديد

مناجاة

تأليف الاستاذ حسين عفيف المحامي

طبعت بمطبعة د . سيادة بالقاهرة
صفحاته ١٥٢ من الحجم الصغير

هذه قطع أدبية تتسلسل في اسلوب روائي وان لم تكن رواية ، ولكنها تحتوي على تحليلات عامة في قالب غرامي عميق ، أشبه بما يسمونه الشعر المنثور ، ولكنه يبني على مناهي التعمل والتكلف ، فان كاتب هذه المناجاة يكتب بنفسه صادقة ونظر ثاقب وعبارة سهلة تمشي مع النفس في سهولتها وسلاستها . ونحن ننقل شيئاً من هذه المناجاة . قال تحت عنوان (الفكرة)

« سوف نظل يا حبيبتي نعلم الناس الحياة ، ولكن على غير جدوى . انهم يرموننا بالجنون لا لشيء إلا لان خيالنا يسبق حياتهم فيبدو في نظرهم خبلا . ولكن يجب أن يسبق خيالنا حياتنا كي يتسنى لنا دائماً ان نقفز بحياتنا الى حيث يكون خيالنا . وهذا نسير بالانسانية الى الامام ... فلم لا نوطن حياتنا إذن على ان يبدع لنا أبداً صورة الحياة الجديدة التي ينبغي ان نحياها في غدنا ، حتى لا تقف حياتنا بوقوف خيالنا ؟! . . » وعلى هذه الوتيرة نسج الاستاذ حسين عفيف مناجاته الرقيقة في اسلوب عاطفي ونظرات ثاقبة في الحياة والادب والاجتماع

كتب اخرى

• « الحسين » هي قصة تمثيلية شعرية عن مشهد الحسين بن علي نظمها الاستاذ الاديب محمد شرف الدين على نحو ما فعل شوقي في قصصه التمثيلية المشهورة . ويضيق المقام عن الاقامة في هذه القصة الممتعة . وحسبنا ان نثني على ناظمها الفاضل ، فقد اظهر فيها مجهوداً جديراً بالتقدير والاعجاب . طبعت طبعاً متقناً بمطبعة النجاح ببغداد . صفحاتها ٢٤٠ من الحجم الصغير

• « وثائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي » عني بجمعها الاكسرخوس اغا كيوس كوساب . وعربها عن الايطالية الارشمندريت ذ . ميانوس شارح ب . طبعت بمطبعة القديس بولس في حريصا . صفحاتها ٢١٧ من الحجم المتوسط

• « الثقافات وعلاقته بالصحة » كتاب يحكي عن الحياة التناسلية والضرر الذي ينجم من سوء استخدامها . وبه صور توضح بعض النتائج الشنيعة للامراض التناسلية . تأليف الأب الايغومانوس ابراهيم لوقا . طبعه بمطبعة رعمسيس بالقاهرة . صفحاته ١٥٤ من الحجم المتوسط

• « الحشرات والامراض » تأليف الاستاذ عادل ابو النصر . وهو يبحث في الحشرات والامراض التي تعتري الاشجار المثمرة في سوريا ولبنان . طبع بمطبعة كورما ببيروت . صفحاته ١٦٠ من الحجم المتوسط

• « الاسير » رواية تمثيلية بقلم الاديب محمد عيش طبعت بالمطبعة الوطنية بعمان . صفحاتها ٣٣ من الحجم المتوسط

بين الهلال وقرائه

سرعة الريح

(الاسكندرية — مصر) خليل سلامة

قرأت في كتاب حديث أن بعض الطيارات الحديثة تفوق سرعتها سرعة الريح . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) هو صحيح بلا شك فقد زادت سرعة الطيارات على أربعمائة ميل في الساعة ، ولا تزيد سرعة الريح على ذلك . بل قلما تزيد سرعتها على خمسين ميلا في الساعة

ويجدر بالذكر أن الريح اذا بلغت سرعتها [illegible] ميل في الساعة جرفت أمامها كل [illegible] بحيث يصعب [illegible]

ناطحات السحاب

(الاسكندرية — مصر) و . ب

لماذا لا تشاد في مصر بنايات شاهقة كناطحات السحاب الامريكية . واذا قيل ان الارض في مصر لا تحتمل ثقل تلك البنايات فلماذا لا تبنى في أوربا ؟ وما هي أعلى ناطحات السحاب في امريكا ؟

(الهلال) هنالك أسباب وجيهة — غير طبيعية — تحول دون بناء العمارات الشاهقة في مصر ، وأهم تلك الاسباب ان الحاجة لا تدعو الى بنايات تكتنفى عشرات طابقا ولا تعود على بانيها بنفع مادي . ولا حاجة الى القول ان الازدحام في المدن وعدم وجود مساحات حول تلك تصلح للتعمير من أهم الاسباب التي تقتضي البنايات الشاهقة . والمدن في مصر لم تزدحم الآن كازدحامها في الولايات المتحدة . ولكنا نرى ان هذا سيقع بالتدريج واذ ذاك يبدأ الناس ناطحات السحاب

ولعل السبب الذي بسطناه هو في مقدمة الاسباب التي تحول دون تشييد ناطحات السحاب في أوربا . أضف الى ذلك ان تشييد هذه الابنية يحول دون وصول الشمس والهواء الى الابنية غير العالية والى الطبقات السفلى من تلك الابنية

وأعلى ناطحات السحاب في امريكا هي البنايات الآتية :

بناية امباير ستيت	وتتألف	من	٨٦	طبقة
« كريسلر	«	«	٦٨	«
« وولورث	«	«	٦٠	«
« متروبوليتان	«	«	٥٠	«

وهنالك ابنية كثيرة يختلف عدد طبقاتها من خمسين الى ثلاثين طبقة

ناطحات السحاب والزلازل

(الاسكندرية — مصر) و . ب

هل على ناطحات السحاب خطر من الزلازل وهل صحيح ما يقال من انها [illegible] ؟

(الهلال) لقد [illegible] ناطحات السحاب في امريكا من الآن على فعل الزلازل . ويقول المهندسون المعماريون ان الخطر على هذه الابنية من الزلازل هو أقل منه على الابنية الاعتيادية التي لا يستعمل الاسمنت المسلح والحديد في بنائها . والمعروف ان ناطحات السحاب تترنح قليلا في مهب الرياح الشديدة ولكن قلما يشعر أحد بذلك الترنح ، كما أنه لا خطر منه على الاطلاق

المطاط الصناعي

(سان باولو — البرازيل) أسعد الشلاحي

قرأنا كثيرا ان العلماء الامريكيين يهتمون باختراع مطاط صناعي يغنيهم عن المطاط الذي يستوردونه من المستعمرات البريطانية . فهل نجحوا في سعيهم ؟

(الهلال) كانت الولايات المتحدة الامريكية ولا تزال حتى الآن تحت رحمة المستعمرات البريطانية

للحصول على المطاط التي هي في حاجة اليه . وهذه المادة لازمة كما لا يخفى لصناعة الاوتوموبيلات وغيرها مما هو مصدر ثروة كبيرة للولايات المتحدة . ومنذ الحرب العظمى الماضية أخذ الامريكيون يشعرون بالخطر الذي يتهددهم لو نشبت الحرب بينهم وبين بريطانيا العظمى . لذلك أخذوا يفكرون في طريقة للخلاص من سيطرة انكلترا على تجارة الكاوتشوك . وفي مقدمة الذين عنوا بهذه المسألة هنري فورد صاحب الاوتوموبيلات المعروفة فانه عهد الى صديقه المستر اديسون المخترع الامريكي الشهير (وقد توفي) القيام بالتجارب اللازمة لاستنباط كاوتشوك صناعي . فقام اديسون بعدة تجارب كانت تبشر بالنجاح . ويؤخذ من احدث الاخبار العلمية أن معامل شركة دوبونت بمدينة ولمنجتون بالولايات المتحدة [illegible] كاوتشوك يقال انه أقرب الانواع الصناعية الى الكاوتشوك الطبيعي بسبب مرونته ومتانته . ولا يزال أصحاب المعامل المذكورة يوالون التجارب الكيميائية لاتقان الكاوتشوك [illegible] درجة الكمال

اليهود في فلسطين

(القاهرة — مصر) س . ب

كم عدد اليهود المقيمين بفلسطين في الوقت الحاضر ؟

(الهلال) في آخر تقرير قدمته الحكومة البريطانية عن فلسطين الى جمعية الامم ان عدد اليهود المقيمين هناك يبلغ نحو مائة وخمسة وسبعين الفاً . ولكننا نعتقد أن عددهم يزيد على ذلك

البحر الميت

(القاهرة — مصر) ومنه

على أي شيء تقوم ثروة البحر الميت بفلسطين ؟

(الهلال) على المواد الكيميائية التي تدخل في صناعات كثيرة وأهمها مادتا البوتاس والبروميد . والبوتاس يصل الى البحر من طريق نهر الاردن . وهذا النهر يحمل نحو أربعين الف طن منه كل سنة الى ذلك البحر . ومصدر كلا البوتاس والبروميد ينابيع بحر الجليل . ويعتقد كثيرون من رجال الاقتصاد ان البحر الميت مصدر ثروة لا تنضب لما فيه من رواسب للمادتين المذكورتين . أما البروميد فيستعمل في صناعة اصباغ كثيرة وفي صنع الوقود للآلات المحركة ولاغراض أخرى

تعقيم اللبن

(بيروت — سوريا) أحد القراء

هل احتفاظ (اللبن) للتعقيم بطريقة باستور يحفظ بجميع خواصه ، وهل يمكن حفظه طويلاً ؟

(الهلال) ان الحليب (اللبن) المعقم بطريقة باستور هو لبن صحي مفيد ، ولكن تعقيمه بتلك الطريقة يفقده بعض خواصه ولا سيما طعمه . وقد وفق أحد علماء الكيمياء في الولايات المتحدة الى تعقيم اللبن بطريقة كهربائية تفضل طريقة باستور من [illegible] تبقى سليمة تماماً وتمكنه من ابقائه مدة طويلة من دون أن يتطرق اليه الفساد . والتعقيم بهذه الطريقة لا يستغرق سوى تسع عشرة [illegible] التعقيم بطريقة باستور يستغرق نصف ساعة

مصادر القوة في المستقبل

(بغداد — العراق) حسين النجفي

من أين ينتظر أن يستمد الانسان القوة التي سيحتاج اليها في المستقبل متى نفد الفحم والزيت الموجودان الآن في بطن الكرة الارضية ؟

(الهلال) من الشمس والهواء والانهار والبحار ومن المد والجزر . وقد حسب العلماء مجموع القوة التي يحتاج اليها العالم في كل سنة فاذا هي نحو عشرين الف الف مليون كيلو جرام — كالوري ، وتعادل القوة المستخرجة من اللجنيت وستمائة مليون طن من الفحم . ومما يجدر بالذكر أنه اذا نضبت مصادر القوة الطبيعية واضطر العالم الى الاعتماد على قوة الانسان البدنية لاحتاج الى أحد عشر الف مليون رجل أو نحو ستة أضعاف عدد البشر على سطح الكرة الارضية . أما الآن فان العالم لا يستخدم من القوة البدنية سوى ١٧ في المائة فقط من مجموع القوة

التي يستعملها . والفحم يعد الانسان بنحو خمسين في المائة من القوة التي هو في حاجة اليها . وما بقي من القوة مستمد من الزيت ومن القوى الحيوانية المختلفة

ويقدر العلماء القوة التي يمكن استخراجها من أشعة الشمس التي تصل الى الارض في عام واحد فقط بالثين وأربعين ضعف مجموع القوى المذخورة في باطن الارض من فحم وزيت وغاز وخلافه . وفي باطن الارض أيضاً حرارة يمكن بها استخراج قوة تعادل ملايين أضعاف القوة المستولدة من المصادر الطبيعية

العصر الجليدي

(الخرطوم ــ السودان) طالب بكلية غردون

هل صحيح أننا ما نزال في العصر الجليدي ؟

(الهلال) هذا هو رأي الكثيرين من العلماء وفي مقدمتهم السر دوجلاس موسن الرحالة المشهور والدكتور بروكس من علماء الميترولوجيا الانجليز وغيرهما . ومن رأي هؤلاء العلماء ان المتوسط السنوي لدرجات الحرارة يرتفع نحو ثلاث درجات كل الف سنة بسبب اقترابنا من نهاية العصر الجليدي . ولا يجهل ان الجليد الذي كان يكسو سطح ... لا ريب في العصور الخالية قد ذاب معظمه ... في شمال سكندنافيا وفي جبال كثيرة من جزيرة جرينلند وايسلندة وفي القطبين الشمالي والجنوبي . ولا شك ان الجليد الباقي في الاصقاع المذكورة آخذ في الذوبان بمرور الزمن . ويبلغ مجموع المساحات المكسوة بالجليد في الوقت الحاضر ثلاثة ملايين ونصف مليون ميل مربع ومتوسط ثخانة الجليد نحو الفي قدم ولذا ذاب هذا الجليد كله لارتفع سطح مياه البحار في الكرة الارضية كلها نحو أربعين او خمسين قدماً

مهد الانسان الاول

(الخرطوم ــ السودان) وهب

قرأت في بعض الصحف ان قارة افريقيا هي مهد الانسان الاول . فهل هذا صحيح وكيف توفق بينه وبين القول بأن الانسان الاول وجد في عدن ؟

(الهلال) من أحدث النظريات العلمية الطريفة التي تراعوها ومن كبار مؤيديها السر آرثر سميث وودوارد العالم الانثروبولوجي الانجليزي . وهو يقول ظهرت حديثاً على العظام البشرية التي عثر عليها بعض العلماء حديثاً بالقرب من طنجنيقا ، وترجع الى العصر البليستوسيني او العصر الجليدي . ويعتقد بعض علماء الانثروبولوجيا انها اقدم من آثار « انسان جاوة » وانسان « بكين » وانسان « نياندرتال » وغيرهم

ضحايا الحرب الماضية

(عمان ــ شرقي الاردن) أحد القراء

كم بلغ عدد ضحايا الحرب العظمى من المحاربين وغير المحاربين ؟

(الهلال) في احصاء دقيق لعصبة الامم ان عدد قتلى تلك الحرب من الجنود بلغ ثلاثة عشر مليوناً وعددهم من غير المحاربين ثمانية عشر مليوناً . ولنا وقفنا على احصاء آخر جاء فيه ان عدد القتلى من الجنود زاد على ستة عشر مليوناً . والارجح أن الاحصاء الاول هو الاصح

تشابه الصفات والاخلاق

(القاهرة ــ مصر) موسى طنطاوي

كثيراً ما يكون التشابه بين شخصين في خلقتهما وصورتهما متبوعاً بالتشابه في صفاتهما واخلاقهما وذكائهما أو تفاوتهما . فما السر في ذلك . وهل لهذه الظاهرة علاقة بالتيوصوفية ؟

(الهلال) الظاهرة التي تشيرون اليها نادرة غير عامة . ويمكن تعليلها بالمبادىء التي يقوم عليها علم الفراسة . فهذا العلم يقول ان من كانت أخلاقه وطباعه كيت وكيت كانت ملامحه وأعضاء جسمه على حالة معينة . وعليه فاذا وجدت شخصين متشابهين في الشكل والملامح فمن المحتمل أن يكونا متشابهين أيضاً في الصفات والاخلاق . ولا يخفى ان الملامح وأعضاء الجسم كثيراً ما تنم عن حقيقة أخلاق صاحبها . فقد تستطيع ان تحكم على أخلاق الرجل حالما ترى وجهه لان القسوة والرحمة والخشونة واللين وغير هذا من الطباع تنطبع على وجهه . وعليه فليس من الغريب ان يتبع التشابه في الاخلاق والصفات تشابه في الملامح . وليس لهذه الظاهرة اية علاقة بالتيوصوفية أو بما يتصل بها من العقائد

الأمبراطورية العربية

وهل آن أن تتحقق ؟

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

> قد تكون الدعوة الى تأسيس امبراطورية عربية حلما من الاحلام . ولكن كم من المشروعات الكبرى والحقائق العظمى كانت قبل وجودها حلما في رءوس المفكرين ، وخيالا في اذهانهم ، ثم ما لبثت أن صحت الاحلام ، وتحقق الخيال ، واذا كل شيء قد أصبح حقيقة ملموسة وأمراً واقعا .
> والامبراطورية العربية وجدت غير مرة في الاحقاب الماضية في عهد الامويين والعباسيين وغيرهم . فليس بعيداً أن تعود هذه الامبراطورية الى ما كانت عليه أو الى أحسن مما كانت عليه . وليس بعيدا أن تكون اليوم حلما ، ثم تصبح غدا حقيقة واقعة

تكاد تكون حلماً وقد كانت حقيقة ، ويكاد ينكرها أهلها ، وكانوا لا يتصورون الحياة بغيرها ! أرأيت اذن كيف تبدل [illegible] وتراءى [illegible] ؟

كنت أتحدث مع أحد [illegible] عن الوحدة [illegible] والعقبة منتظرة كنتيجة هذه الوحدة ، وكلما أمعنت في الحديث نظر الي كمن يستمع الى حلم بعيد . ثم سألني أن أظهر على الناس بهذه الفكرة فقل واحد من يؤمن بها

وما هي بدعوة جديدة ولا فيها غريب ، بل هي الاصل . واستسلام العرب في المشرق والمغرب للعيش بغير دولة هو الغريب !

فها أنا أسائل العرب في آسيا وافريقيا ، بل أسائل المرتابين في مستقبل هذه الأمة العظيمة أن يذكروا ماضيهم

ليذكروا امبراطورية الامويين والعباسيين والفاطميين والموحدين والمرابطين والحفصيين . ليذكروا مئات السنين التي كانت فيها امبراطورية العرب زاهية عزيزة

ليذكروا ذلك فيؤمنوا ببعثها اذ ما مات العرب وانما غشيهم النعاس . وقد تضاعف عددهم واتسعت أوطانهم

ليذكر المرتابون دولة الخلفاء الراشدين ، وقد بسطت في عشر سنين سلطانها على ملك كسرى وقيصر

وقد كان ملك كسرى وقيصر أعرق حضارة وأكثر علماً وأعظم ثراء. ولو أن رجلا ساح فى ذلك العهد ببلاد الفرس والرومان ورأى قلب الجزيرة ثم بعث اليوم ليطوف العالم، لشهد بأن الامة العربية الحالية فى مكان مهيأ لاقامة الامبراطورية أكثر مما كان عليه أسلافها وقت أن غيروا وجه البسيطة

فاذا تحدثت عن قيام هذه الامبراطورية اليوم، فانما نستند الى حقائق تاريخية وواقعية والى قوى طبيعية ظاهرة وكمينة فى سبعين مليوناً من البشر

أرأيت لو أن رجلا فى القرن السابع الهجرى رأى عمر بن الخطاب قبل عشر سنين من توليه الخلافة وأوحى اليه أن عمر سيكون بعد عشر سنين وارث كسرى وقيصر، أكان يرتاب فيما أوحى اليه أم كان يؤمن به؟

ومع ذلك فقد رأى الناس عمر بدوياً ضالا ورأوه سيد العالم. فما بال المرتابين من امرنا يتشكرون اليوم أن نقول إن سبعين مليوناً تربطهم عقيدة دينية ولغة موحدة وعرف مشترك يصلحون لاقامة امبراطورية

فى أوائل القرن الماضى كان بين فرقة الجند فى القاهرة رجل يعيش فى عش الفوضى والاضطراب بين قوم عمهم الجهل وسادت فيهم الخرافات. ذلك الرجل لم يمت حتى أقام امبراطورية عربية

فلو أن سائحاً تعرف الى محمد على بين طائفة «الباشى بوزوق» من الارناءوط وقيل له إن هذا الجندى سيملك مصر والسودان والشام والحجاز ونجد، أكان يسخر من ذلك القول، أم كان يؤمن به؟ ومع ذلك فقد رأى الناس محمد على على رأس الامبراطورية العربيه

وفى أواخر القرن الماضى ظهر رجل فى جزيرة «أبا» فى النيل الابيض كان يحترف فى دنقلة وغير دنقلة تعليم القرآن للصبية ويطوف البلاد لايؤبه له. ولم يمت هذا الرجل حتى هزم الدولة المصرية والدولة البريطانية جميعاً. وما كان أحد ليدرى مصير الدولة التى أقامها لو امتد به الاجل، ذلك هو محمد احمد المهدى

وقد قام على أعقابه رجل من البقارة رؤى فى كردفان يسوق حماراً هو كل ما يملك ويصحب زوجته وولده، ورؤى هذا الرجل بعد عشر سنين ملكاً عظيما كان بعض ضحاياه امبراطور الحبشة نفسها، ذلك هو عبد الله التعايشى

وفى أوائل هذا القرن كان عبد العزيز بن سعود صبياً لاجئاً مع أبيه عند أمير الكويت، وهو اليوم يستطيع أن يعبىء ثلثمائة الف مقاتل لايعرفون لنهيه أمراً

والعرب اليوم ملأوا الارض يعمرون المنطقة الممتدة فى غربى آسيا وشمالى أفريقيا وهم من أشد الاقوام بأساً، كما هم فى أمصارهم من أقربهم الى مناهل العلم والحضارة

فلما قيل إنهم على أبواب الخروج للعالم بالدولة التى تليق بعظمتهم التاريخية والحالية ظن المرتابون أننا نسبح فى حلم لذيذ

ليس بين العرب وبين بعثهم مرة أخرى الا أن يؤمنوا بأنفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم ، فقد افتتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود

وليس بين العرب وبين الامبراطورية التى تمثل عظمتهم إلا أن يكونوا كاليابانيين والصينيين والروس والترك والافغان والفرس مؤمنين بأنهم أمة لها حق تقرير مصيرها

وقد اخترت هذه الامم للمثل لان العرب فى مجموعهم ليسوا أقل منها نضجاً ولا حضارة

ففى اليابان وروسيا عشرات الملايين من البشر الذين لا يمتازون عن البقارة فى جنوبى كردفان أو الصحيان فى شرقى نجد ، ولا يعرفون من الحياة إلا أن يكدوا كما تكد النمل للعيش على غذاء من الارز أو البر

وانما هى العزة القومية والمثل الأعلى والدعوة الحسنة هى التى جعلت من هاتين الامبراطوريتين أكبر دول العالم

والامة العربية موجودة بصفات محمودة وهيئة مستقرة فهى ليست فى دور التكوين ، بل هى مخلوق سوى كامل الخلقة

وما الامبراطورية التى سنحدث عنها إلا مصير لكائن حى ما يزال فى محنة الشك فى نفسه والريب من قدره

لقد أتيح لى أن اخالط الشعوب العربية فى افريقيا وآسيا . وبالرغم من الحدود المصطنعة التى تفصل هذه الشعوب ومن الاستعمار الاوربى الذى يعمل على حل عرى الوحدة فيها ، بل بالرغم من انحدار دمائها من الاصول السامية والحامية ، فان الامة العربية الحديثة هى وحدة اجتماعية وثقافية وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهرة والخفية التى تميزها عن غيرها من الشعوب والامم

وهى بمجالدها الراهنة ـ التى هى نتيجة لعمل الاربعة عشر قرناً الماضية ـ جديرة بأن تحتل مكانتها بين أمم العالم العظيمة الموحدة

ففى برقة أو نجد وعلى نهر المغرب أو على الفرات ، وفى لبنان أو فى الاطلس ، أمة ذات مزاج مشترك لها عقيدتها ولسانها وعرفها ، تجمعها الكليات وان اختلفت الجزئيات

داؤها فى العراق والشام ومصر والسودان والمغرب هو الفتنة ، فقد فتنوا حيناً بعظمة الغير ونسوا أنفسهم . ودواؤهم الدعوة الى الايمان بالذات والمثل يضربه أفذاذ الرجال ليثبتوا به الايمان

قد يقول بعض الناس : اننا لا ننكر أن الناطقين بالضاد أمة واحدة ، ولكن أنى لهذه الشعوب

المنتشرة فى آسيا وافريقا أن تتعاون فى امبراطورية واحدة ؟ فان كان هذا هو كل ما يجعل الدعوة مستحيلة فليذكر المعترضون أن للانجليز فى افريقيا وحدها ملكا هو أوسع من أرض الامة العربية ، وفى الهند من البشر خمسة أضعاف عدد العرب يحكمهم وال واحد . وفى الامبراطورية الروسية سيبيريا وحدها أوسع رقعة

ولو ذكر العرب دول آبائهم فى الامبراطورية الاموية أو العباسية أو الفاطمية وذكروا مواصلات ذلك العهد لعلموا كيف سمت الثقة بآبائهم وقصر اليأس بهم

* * *

والآن وقد قربت الى الاذهان فكرة الوحدة ، هل لى ان أشير الى بعض الضرورات التى تقضى على المفكرين أن يتخذوها شعارهم اذا شاءوا مستقبل الشعوب العربية سيرها ؟

نحن فى القرن العشرين فى عصر التطاحن بين كتل بشرية ضخمة ، والتنافس بين قوى مجمعة تستند الى موارد متعددة من الثروات الطبيعية ، فلا سبيل لمجاراتها والعيش معها على قدم المساواة ، ولا سبيل لان يكون لأمة صوت مسموع فى مجلس الامم الا اذا كانت لها جبهة متراصة تمد وراءها عشرات الملايين وتستمد لها العيش من ثروات متنوعة فى اراضيه ومصانعه

فمن المستحيل على الشعوب القليلة العدد المشتتة فى جهتها الى امة واحدة أن تتقدم الى الصدر فى محضر الامم الكبيرة ، بل لابد ان تعيش عالة وعبئا على غيرها

نحن فى عصر « الكارتل والترست » وقد مضى زمن الدكاكين الصغيرة ، فهل يظن العراقيون او الشاميون أو المصريون أنهم يستطيعون الوصول إلى حياة محترمة بغير الوحدة ؟ وليذكر قادة الرأى وأهل البصر ألا وجود للدولة قبل النهضة ولا بقاء لها بغير الامن والسلامة ، ولا امن فى العصر الحاضر لغير القوى الكثيفة

وهنا يحسن بى أن أذكر مواطنى المصريين الى قول لنشر للاستاذ ومعال العالم الاثرى الذى مات أخيراً . فقد قال وأثبت بشواهد كثيرة ان مصر كانت على الدوام امبراطورية ، إلا حين كانت تستولى عليها أمة أجنبية ، وانها اذا شاءت أن تستقل فى هذه الايام وجب عليها أن تنظر الى تاريخها القديم وتعتبر به لانها بين أمرين لا مفر منهما : إما امبراطورية تستولى على طرابلس والسودان وفلسطين وسوريا وإما أمة مغلوبة يحكمها غيرها وتستبد بها دول اجنبية . وذلك لان مركزها الجغرافى — وهى محوطة بالصحارى المفتوحة من كل ناحية — يجبرها على ان تؤمن حدودها بعبور هذه الصحارى والتغلب على الشعوب القاطنة بعد حدودها ، وكلما تراخت قبضتها على هذه الامم وانكسرت امبراطوريتها وقعت فريسة الفاتحين

وقد ضرب ويجال مثلا فى الاسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والبطالسة والفاطميين والأيوبيين ومحمد على

وهو حق لامراء فيه وكم كنت أشعر به وقت أن قاتلت الانجليز على حدود مصر الغربية سنة ١٩١٦

وقد من الله على مصر الحديثة بأن بسط حدودها شرقا وغربا ، فجعلها قلبا فى جسم أمة عظيمة تمتد من الخليج الفارسى إلى المحيط الاطلسى

فهى فى وسط إخوة فى العقيدة والدم واللغة فيجب عليها أن تستعيد أمجاد العصور الاسلامية وأن تكون فى طليعة الدعاة الى الوحدة . فليس لها سلامة بغيرها كما انه لا حياة لبقية الشعوب العربية بدونها

٭٭٭

والنتيجة ان الدعوة الى الامبراطورية العربية ليست حلما يلده الخيال الواسع ، بل هى تستند إلى حقيقة تاريخية وإلى ضرورة حاضرة ، فالوحدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعوب العربية تستلزمها ، وهى الضمان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلى والخارجى لهذه الشعوب

وأخيراً أرجو ألا يسيء أحد فهم هذه الدعوة ، فلسنا نقصد بكلمة الامبراطورية العربية غير الوحدة عن أى مظهر عظمة وليس الغرض منها سيادة قبيلة على قبائل أو أمير على أمراء أو استئثار اقليم ببقية الاقاليم

وليست تصوراً لنظام دون آخر ولا هيئة من الهيئات التى تكون عليها الدولة دون أخرى ، وانما أول القصد وغايته التعاون بين الشعوب العربية لتكون جبهة واحدة تسير على ضوء المثل الأعلى الذى يخرجه مزاجها المشترك الى الغاية السامية التى هى جديرة بالامة الحرة الكريمة

عبد الرحمن عزام

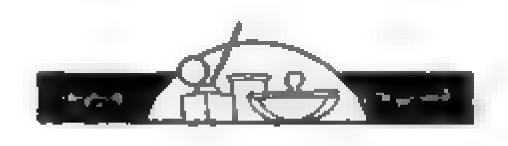

احياء الادب العربي :
ضرورته و بعض صوره

بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين

في كلمة الاحياء، هنا تجوز غير مستحسن ولا مستساغ . فليس الأدب العربي ميتاً ولم يمت الأدب العربي منذ عرفه التاريخ فيحتاج إلى الاحياء . إنما اختلفت عليه أطوار يعرفها الناس من الفتور والضعف، وكان آخر هذه الأطوار هذا الطور الذي أدركه القرن الماضي، وحدث في إزالته أو تغييره فوفق من ذلك الى الكثير . ثم جاء هذا القرن فكان حظه من التوفيق أكمل وأشمل . ولعل مصدر هذا التجوز الرديء خطأ أو تقصير في ترجمة الكلمة الفرنسية (رينيسانس Renaissance) والأمر ما خطرت لنا هذه الكلمة وخطر لنا معناها وتاريخها عند الغربيين حين وازنا بين أدبنا العربي الحديث وأدبنا العربي في العصور التي سبقت عصرنا هذا الذي نعيش فيه . فلا ريب أن أدبنا هذا قد نشط من بعد فتوره وقوي بعد ضعفه كما عبر به الغربيون عن حياة الآداب القديمة بعد موتها وبعثها بعد نومها الطويل، ومع ذلك فقد كان الفرق عظيما بين حياة الأدب العربي في عصور ضعفه وجموده، والآداب اليونانية واللاتينية في أواخر العصور الوسطى ـ كان الأدب العربي حياً ولكنه كان مريضاً . وكانت الآداب اليونانية واللاتينية ميتة أو قريبة جداً من الموت، لا يكاد احد يعرف من أمرها شيئاً . كان الناس يعرفون اللاتينية ولكنهم كانوا يعرفونها من حيث هي لغة الكنيسة ولغة ما كان عندهم من الفلسفة . فأما اللاتينية من حيث هي لغة الأدب على اختلاف صوره وأشكاله فكانوا يجهلونها جهلاً عميقاً . أما اليونانية فقد كان المثقفون من اهل القرون الوسطى إذا رأوا نصاً من نصوصها مكتوباً قالوا تلك الجملة التي سارت مسير الأمثال : « يوناني فلا يقرأ » .

فليس غريباً أن تسمى هذه الحركة ـ التي ظهرت في عصر النهضة وردت الحياة الى آداب اليونان والرومان واذاعتها بين الناس ـ إحياء أو بعثاً لأنها كانت كذلك في واقع الأمر . أما أدبنا العربي فقد كان قبل هذا العصر الحديث حياً بأدق معاني هذه الكلمة . كان الناس يتخذونه مظهراً لما يحسون و يشعرون، ووعاء لما يفكرون ويبتغون . كانوا يكتبونه ويجرونه على

السنتهم . كانوا اذا ارادوا ان ينظموا الشعر نظموه عربياً مستقيم المادة والصورة والوزن . وكانوا إذا أرادوا أن يكتبوا النثر كتبوه عربياً سائغاً لم محساً اليهم . وكانوا إذا ارادوا ان يكتبوا العلم والفلسفة كتبوهما في لغة عربية لافساد فيها . وكان كل ما يشكو منه الأدب العربي انما هو الضعف والفتور وقصور الكائن المريض . وكان مصدر هذا المرض ان اصحابه كانوا مرضى فقد ابلوا من مرضهم شيئاً ابل الأدب معهم من مرضه شيئاً . فالعصر الحديث لم يحي الأدب العربي ، وإنما نشطه وقواه واذكى حدوته . والناس يتساءلون بعد ذلك : أكان ضروريا تنشيط هذا الأدب وتقويته واذكاء حدوته ؟ ومعنى هذا السؤال ان الناس حين يلقونه يريدون ان يتبينوا أكان ضرورياً ان ينشطوا هم بعد فتور ويقووا بعد ضعف وتذكو حذوة نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بعد خمود ؟! وأوضح ان اقل ما يوصف به هذا السؤال انه غريب . فكل مريض مدفوع بطبيعته الى حب الصحة والرغبة فيها ، وكل ضعيف مدفوع بطبيعته الى حب القوة والطموح اليها . فاذا ظفر المريض بالصحة حرص على استبقائها ، واذا ظفر الضعيف بالقوة حرص على الاستزادة منها . ولقد يمكن من [illegible] أن بعض المستشرقين من العرب وقد صحت نفوسهم وعقولهم وقلوبهم . ولكن المستشرقين مع ذلك لا يريبون ، فكلامهم مع ذلك لا يجرى بما يصور هذه النفوس الصحيحة القوية ، وهذه العقول المستقيمة الزكية ، وهذه القلوب الغنية بألوان العواطف والشعور . هذا شيء لا سبيل اليه ، بل لا سبيل الى تصوره الا لمن يريد العبث والدعابة

فتنشط الادب العربي إذاً ظاهرة لم يكن منها بد دفعنا اليه دفعاً وأكرهنا عليها اكراهاً . ولم تكن لنا طاقة بالعدول عن هذه الظاهرة ولا بالمضي في حياتنا الحديثة سراعاً وتخليف الأدب من ورائنا مغرقاً في النوم . ومع ذلك فانا لم نأخذ من تنشيط الأدب العربي في اول الامر إلا بأبسط صوره وايسر اشكاله ومظاهره ـ وحدث بيننا المطبعة فأردنا استعمالها ، فنشرنا بعض ما كان عندنا من الكتب وبعض ما اوحت الينا الحياة من الخواطر ، ثم اعجبتنا نتيجة هذا النشر فأغرينا بها ومضينا ننشر الكتب ونحاول تأليفها . وكلما ظفرنا من ذلك بقسط دعانا الظفر الى ان نبتغي قسطاً آخر ، حتى انتهينا من نشر الأدب القديم الى حيث نحن الآن . وظاهر أن هذا النشر لم يكن غاية تقصد لنفسها ، وانما كنا ننشر الكتب لنقرأها ، وكنا نقرؤها لنجد فيها اللغة والعلم ، وكنا اذا وجدنا اللغة والعلم حاولنا المجاراة والتقليد . فكانت النتيجة الأولى لنشر الادب القديم في الكتب والصحف ، نشره في النفوس ، ودفع النفوس الى الانتاج .

وكل ما أخافه ، وكل ما آسف لاننا تورطنا فيه بالفعل هو أن نطل على ما كان عليه آباؤنا الاقربون من فهم النشر والاذاعة للادب القديم . فنشر الكتب عندنا الى الآن نسخ ليس غير . هو تكرار لنسخة مخطوطة من كتاب نظفر بها ، فنريد ان نكررها ونذيع منها صوراً كثيرة بين الناس . على ذلك مضينا منذ بدأنا ننشر الكتب . ولم نكد نتجاوز هذا الطور الا قليلاً . على حين أخذ الاوربيون من قبلنا ينشرون أدبنا العربي نشراً علمياً صحيحاً دقيقاً عميقاً بمقدار ما سمحت لهم ظروفهم الخاصة . فكانت الكتب التي نشروها أقوم حداً وأدنى حداً الى النفع والفائدة والصواب من الكتب التي نشرناها . ويكفي أن تنظر لتاريخ الطبري الذي أذاعه الأوربيون ، والذي أذعناه نحن ، لتتبين ما بينهما من الفرق المؤلم العظيم . وأغرب من هذا وأدعى الى الحزن ان قوماً منا اتخذوا نشر الكتب تجارة ، وليس بذلك بأس ، ولكنهم جعلوا الغش والتدليس والاهمال قوام تجارتهم . رأوا كتباً نشرها الاوربيون محققة محروسة فنشروها في غير درس ولا تحقيق ، وانتهوا بها الى لون من الفساد يراه الاوربيون فيحمقون ويسخرون ويزدرون . وأغرب من هذا أن كتباً أخرى سبقنا نحن الى نشرها من طريقتنا المهملة فتداركها الاوربيون بالتنقيح ووضع الفهارس . وقصة الاغاني وخزانة الادب وصبح الاعشى مشهورة دائعة بين الناس . وقد عنيت الجامعة منذ زمن بعيد بإحياء الادب العربي فمضت في نشر كتب كثيرة ، ولكن عنايتها هذه لم تزد على أن كررت النسخ المخطوطة واذاعتها . رقت الكم ولم ترق الكيف كما يقول أصحاب المنطق

والآن وقد قامت الجامعة وأنشيء المجمع اللغوي نرجو أن يوفق المصريون الى ان يذيعوا الكتب القديمة على وجه ملائم لحاجة الناس وأصول العلم . وما نظن أن ذلك سيكون يسيراً أو قريباً ، فان لذلك سنناً وتقاليد جاءت للاوربيين من عنايتهم القديمة بإحياء الآداب اليونانية واللاتينية . ولن نظفر نحن من ذلك بما ظفر به الاوربيون إلا إذا عرفنا ما عرفوا وسلكنا من الطرق ما سلكوا . ونحن مع الأسف بعيدون من ذلك كل البعد . على ان هذا المظهر من تنشيط الادب القديم هو أبسط المظاهر كما قلت وأدناها الى السذاجة . فأما التنشيط الصحيح الخصب فهو في شيء آخر غير النشر وغير التقليد . وله فيما أظن مظهران أساسيان : أحدهما يأتي من العلماء والثاني يأتي من الادباء

فأما المظهر الاول فهو هذا الدرس العلمي المدقق العميق الذي يمكن العلماء من تصوير الادب القديم على اختلاف أشكاله وإظهاره للناس كما كان ، وكما ينبغي أن يفهمه العقل الحديث .

وقد أخذنا نسعى في ذلك ونبلغ منه طوراً مهما يكن يسيراً فليس به بأس، وهو بدء حسن لطريق خصبة تبشر بالفوز العظيم. ويكفى أن تقرأ طائفة من الكتب التى أخذت تظهر فى درس الادب العربي منذ اول هذا القرن، لترى أننا لم نقف عند الاذاعة والتقليد

وأما المظهر الثانى فهو تأثر نفوسنا وقلوبنا وشعورنا وعواطفنا بحياة القدماء وآثارهم، وإظهار هذا التأثر في لغة حديثة بأسلوب حديث، يقرأه الناس فلا يملون به ولا يؤثرون من دونه ما يكتبه الاوربيون من آثارهم المختلفة. هو هذا التمثل لحياة القدماء والاستئثار بها والاستيلاء عليها، واتخاذها حياة لنا نحسها ونشعر بها، كما كان يحسها القدماء أنفسهم وكما كانوا يشعرون بها، ثم نصورها بلغتنا الحديثة واسلوبنا الحديث كما كانوا يصورونها بلغتهم القديمة واسلوبهم القديم. هذا هو النحو من التعاون الادبي بين الاجيال الذى جعل الالياذة غناء بعد ان كانت قصصاً ثم جعلها تمثيلاً بعد ان كانت غناء. والذي جعل آداب اليونان اوعية لحياة الرومان. ثم جعل آداب أولئك وهؤلاء أوعية لحياة الاوربيين المحدثين. هو هذا النحو الذى مكن كورني وراسين وشكسبير وجوت من أن يتمثلوا أدب القدماء من اليونان والرومان فينتجوا آثاراً خالدة من آيات البيان لا [illegible] هذا النحو هو الاحياء الصحيح للادب القديم. وهو الذى لم نكد نصطنع فيه قليلاً ولا كثيراً. واذا كان الفحول الذين أشرت الى بعضهم آنفاً من الاوربيين قد استطاعوا ان يبلغوا ما بلغوا من احياء الآداب اليونانية واللاتينية على هذا النحو مع اختلاف ما بينهم وبين اليونان والرومان من الصلات ومع بعد الزمن وتباين الجنس واللغة والدين والثقافة، فكيف بنا نحن والفروق بيننا وبين العرب القدماء ان مست الزمن والبيئة والثقافة فهي لا تكاد تمس الجنس، وهي لا تمس اللغة والدين بحال من الاحوال. ولكن السبيل الى هذا الاحياء طويلة شاقة عسيرة، قوامها قبل كل شيء تقريب الادب القديم من نفوس الشباب وتمكينهم من أن يفهموه على وجهه ومن ان يمزجوه بنفوسهم وحياتهم كلها. وانما يكون ذلك في المدرسة أولا. وأين مدرستنا من هذا؟ ومتى تصل مدرستنا الى هذا؟

طه حسين

عظمة الكون وبساطته

بقلم السر اوليفر لودج العالم الانجليزى الشهير

(خاصة بالهلال)

[العلماء في العالم مرتبطون معاً بشبه اتحاد دولي على خلاف رجال السياسة . والعلاقات الودية وثيقة بين العلماء في جميع أنحاء العالم فهم يتبادلون أخبار الاختراعات والاكتشافات بكل ولاء وإخلاص . وقد شرح السر اوليفر لودج في المقال التالي ما يشغل اليوم قادة الفكر في جميع انحاء العالم — ومنهم شبان ما يزالون في مقتبل العمر — في سبيل ادراك اسرار الكون . . .]

في سنة ١٨٧٥ قرأت مصنفاً لكلارك مكسويل يبحث في ظواهر الكهربائية المغناطيسية فشعرت بدافع يستحثني لشحذ همتي لانتاج الامواج التي اشار اليها ذلك المؤلف . ولم يكن يعلم لا هو ولا أحد غيره كيف يمكن انتاجها أو اكتشافها

وقضيت ثلاثة عشر عاماً أحاول حل تلك المعضلة الى أن وفقت الى اكتشاف تلك الامواج . الا أن العلامة هرتز تمكن من حل المعضلة بطريقة أبسط . فاصبحت تلك الامواج تعرف الآن باسمه . ولم يقدر لي أن أجعل التلغراف اللاسلكي أمراً صالحاً من الوجه التجاري . ولكنه أتيح للعلامة ماركوني الذي جمع الحقائق المعروفة في يومه . وبمعاونة موظفي الحكومة ومصلحة البريد اتقن اختراعه حتى أوصله الى حالته الحاضرة . وكان أول اختراع سجلته هو اختراعي المعروف «بصحيفة تطابق الامواج» وهو اختراع يمكن بواسطته انتخاب محطة دون غيرها . وكان ذلك في سنة ١٨٩٧ وما كان النجاح ليتم من دون ذلك الاختراع . ثم جاء فلمنج فاخترع «الصمام» وبفضل هذا الاختراع يمكنك اليوم أن تجلس في بيتك وتسمع الخطب والاغاني التي تلقى في جميع أنحاء العالم

وقد أثر اللاسلكي في الارياف تأثيراً عظيماً فان الشتاء فيما هو عادة فصل الضجر والسآمة ، لذلك كان الناس يهجرون قراهم في الشتاء ويهرعون الى المدن . أما الآن فقد صار في وسعهم أن يتمتعوا بالنور الكهربائي ومجالس الراديو وهم جالسون في بيوتهم والجو حولهم مثقل بالامواج

ان في الكون أشياء كثيرة لا نعرف كنهها ونحن نحتاج الى شبه جهاز قابل لتلقي المعلومات الخاصة بها فنحتاج أعيننا لكي نراها وآذاننا لكي نسمعها . أجل ان حوالينا أشياء كثيرة نجهلها والعالم مملوء بامور تبعث على الدهشة ومع ذلك نخجل من الاعتراف بعجزنا عن ادراكها

خذ الاثير مثلاً . فبعض الناس يقولون انه أصبح الآن خرافة لا وجود لها وان العلامة اينشتين قد أثبت بطلانها . وهذا لا ينطبق على الحقيقة فان اينشتين لم ينكر وجود الاثير . بل بالعكس ألقى ثلاث خطب أثبت بها ان وجود الاثير ضرورة لا مندوحة عنها عندما ننتقل من حيز الرياضيات إلى

حيز الطبيعيات. وفى الواقع ان وجوده حقيقة أساسية لا سبيل الى انكارها ونحن نستخدمه على الدوام. فعندما نشوى شيئاً على النار لا يمكن أن تصل الحرارة من النار الى ذلك الشيء الا بواسطة الاثير . قد يقول قائل ان الحرارة تصل اليه عن طريق الهواء الذى يصبح ساخناً . ولكن العلم ينفى ذلك . وهكذا القول فى حرارة الشمس واجتيازها من جرم الشمس الى الارض فى وسط فضاء فارغ بارد جداً . وأنت تعلم ان البعد بين الارض والشمس اثنان وتسعون مليوناً من الاميال

ترى عماذا يشعر الانسان عندما يجلس ليتدفأ بأشعة الشمس ؟ انه يشعر بامواج الاثير . وبفضل هذه الحرارة يعرف الاثير ، أى انه يستطيع أن يتحقق وجوده بطريقة غير مباشرة ، وان يستدل عليه بواسطة أثره . والاستدلال هو الطريقة التى نجرى عليها فى العلم . فنحن نستخدم الاثير والقوة كلها تصل الينا بواسطته . نستخدم التلغراف السلكى والتلغراف اللاسلكى — وفى كليهما لا غنى لنا عن الاثير لان الاشارات لا تمر فى وسط الاسلاك بل فى الاثير . وكل ما يعمله السلك هو انه يوجه القوة فى اتجاه معين ، كما ان قضبان السكة الحديدية توجه القطار فى اتجاه معلوم وليست هى التى تدفع القطار

وللاثير علاقات كثيرة [illegible] فخصائصها [illegible] منه ومن مواد أخرى . والجسد الاثيرى هو الذى سيبقى بعد جميع [illegible] ويجب ألا ننسى ان [illegible] كثيرة عن المادة وان المادة نسبياً هى ظاهرة نادرة

سمعت مرة أحد علماء الفلك يشرح [illegible] الاجرام الفلكية عن بعض بالنسبة الى حجومها . فقال : إذا نظرنا فى الليل الى [illegible] من النجوم [illegible] فى [illegible] وتبدو كأنها متلاصقة مع أنها ليست كذلك ، إذ تفصل بينها ابعاد شاسعة . ولادراك تلك الابعاد لنأخذ الشمس والخمسة النجوم التى هى أقرب اليها من غيرها . ثم لنأخذ ست تفاحات ولنضع واحدة منها فى أوربا وواحدة فى آسيا وواحدة فى افريقيا وواحدة فى امريكا الشمالية وواحدة فى امريكا الجنوبية . فهذه التفاحات تمثل النجوم الخمسة التى هى أقرب الى الشمس من غيرها مع مراعاة النسبة بين حجومها وابعادها

قاس الدكتور هبل مدير مرصد مونت ولسون بامريكا بعد السديم المعروف « بالمرأة المسلسلة » عن الارض وهو مجموعة من النجوم تشبه المجرة فاتضح له أنها تبعد عن ثمانمائة الف سنة ضوئية باعتبار سرعة النور ١٨٦ الف ميل فى الثانية . فهذا البعد الهائل يدلنا على شيء من عظمة هذا الكون التى يبلغ منا الغرور أن ننكرها

ويروعنى أكثر من كل شيء أن عقلنا وادراكنا محدودان بالنسبة الى ما يحيط بنا من حقائق الكون . وفى الواقع أن العلم يتقدم اليوم بسرعة مدهشة . نعم ان هناك أشياء كثيرة لم يحن الوقت لشرحها لعقول العامة . الا أن العقل فى جميع الانحاء قد بدأ يدرك الحقائق . ففى جميع الاقطار — فى هولندا والدنمرك والمانيا وفرنسا وامريكا وانجلترا — شبان أذكياء يتقدمون فى العلم بسرعة فائقة

بحيث أنه اذا تكلم أحدهم على اختراع تم منذ سنة كان كمن يتكلم على اختراع تم في الازمنة الخالية. وليس معنى ذلك ان الاختراع القديم لا قيمة له بل ان اختراعاً جديداً قد فاقه وتخطاه

ان أموراً عظيمة تحدث اليوم في عالم العلم وقد بدأت نظرية الاثير تتحلى وتتشت . وان المرء ليدهش من بعد غور العلم الذي يملأ صدر الفرد . ومع ذلك فما أشد غرور الانسان الذي يعتقد أنه يدرك كل شيء !

لقد بلغت الثانية والثمانين من العمر ووددي لو اعيش حتى ابلغ المائة . وأنا أعلم ان الفناء سيبتعد بنا في العالم الآخر ، ولكني اريد ان اصل الى اقصى مدى مستطاع في هذا العالم ، فان فيه متسعاً كبيراً للقيام بالاعمال الصالحة . والفرصة أمامنا سانحة سواء أكنا أفراداً أم جماعات . وعلماء الفلك يقولون لنا انه ليس ثمة ما يدل على أن كرتنا الارضية لن تكون صالحة للحياة في المستقبل او ان الشمس ستنطفىء بعد عشرة ملايين من السنين . فكيف تكون حالة الانسانية بعد الف سنة مثلا إذا ظلت تتقدم وترتقي لا طبيعياً وميكانيكياً فقط بل من أوجه كثيرة ؟

ان رجاء الانسانية عظيم جداً . والبشر حديثو العهد بهذه الكرة الارضية . فلا عجب اذا هم ارتكبوا الغلطات ، ولا عجب اذا كانوا لا يزالون اطفالا صغاراً . فمجال التقدم واسع وفي وسعنا ان ننعم ونقر عيناً بعظمة هذا الكون وبساطته . وأعتقد اننا كنا ندهش اشد الدهشة لو كنا نعرف تركيب المادة او لو كنا نعلم كيف تتركب عناصر المادة من بروتون والالكترون اللذين هما قوام كل ما نراه ونشعر بوجوده من أرض وماء وهواء وصوت واشجار واجسام واشخاص مما يقع تحت الحواس

فبصفة كوننا علماء سنظل أبداً مدهوشين . وإذا فكرنا فيما هو أسمى من المادة – في الوحي الالهي – فان دهشتنا تزداد . ترى ما هو ذلك الوحي ؟ « ان السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (١) » ولما اعلنت طبيعة الاله للانسان لكي يدركها بدت مقمطة ومضجعة في مذود (٢) فما ادهش تلك العظمة وبساطتها !

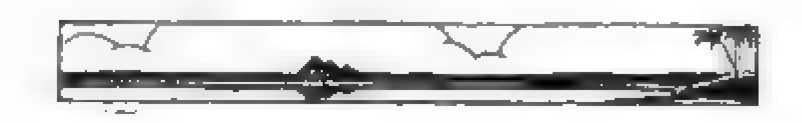

(١) سفر المزامير ١٩ : ١

(٢) اشارة الى الآية في انجيل لوقا ٢ : ١٢

ما وراء المدنية الحديثة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

انظر ! أترى هذا البناء الضخم الذي يقوم العمال بتشييده وما تزال تحيط به حواجز الخشب وسلاله . وهل تسمع ضجة هؤلاء العمال من نحاتين وبنائين ونجارين وبعضهم يتنادى والبعض يتغنى ؟! إن هذا البناء قصر يقوم مكان قصر سبقه ما تزال بعض أجزائه باقية ، وما تزال أكثر أسسه في مكانها ، لم يستطع هادمو القضاء عليها وانتزاعها من الأعماق التي بنيت فيها . وهو واحد من سلسلة هذه القصور المتصلة اتصال سلسلة قصور اللوفر بباريس أو معابد الكرنك بالأقصر ، لا تتم تشييده في جيل ولا في أجيال ، بل تتعاقب القرون حتى يبلغ تمامه . أفتظن أن هؤلاء العمال الذين [illegible] في تعميره وتشييده يستطيعون أن يرسموا لأنفسهم صورة صادقة لما سيكون بعد تمامه ، وبعد أن يصبح مجموع هذه القصور قصراً واحداً ؟ كلا . فكل في شغل [illegible] التي بين يديه والعمل الذي يشغل جهده وتفكيره . فإذا انتهى من [illegible] يتيسر له كد النهار ليطمئن إلى راحة الليل ، أو [illegible] ما يحسبه أعباءه وهمه .

وهل تظن المهندس الذي وضع تصميم هذا القصر الذي يقوم العمال اليوم بتشييده أمامك ، قديراً على أن يرسم لك صورة من هذا القصر ، دعنا من مجموعة القصر ، بعد تمام زخرفته ونقشه وتأثيثه وكمال الغاية منه ؟ كلا . فهو إنما رسم وصمم ما أمره رب هذا القصر برسمه وتصميمه . ورب هذا القصر لن يبقى أغلب الأمر إلى حين الانتهاء من إقامته وتشييده . وهل قدر الذين تعاقبوا على بناء اللوفر من ملوك فرنسا أنه سيصبح متحفاً كما أصبح اليوم ، وأنه سيصبح أعظم متحف في العالم كله ؟! إنما يقرر مصير هذه القصور التي تراها تشاد حيالك أولئك الذين يرثونها بعد أن تتم كلها ويجعلون منها ما تلهمهم روح عصرهم ووحي روحهم أنها أكثر ما تكون صلاحاً له .

هذه المدنية الحديثة التي تعمرنا اليوم بنشأتها أشبه الأشياء بذلك البناء الضخم الذي يقوم

العمال بتشييده . لقد كانت حضارة العالم إلى قرون قليلة مضت مستمدة من حياة العالم في تلك العصور ، ومن تأثر العلماء والمفكرين بتلك الحياة وتكييفهم لنظم الانسان والاجتماع على مقتضاها . ثم كانت الثورة على تلك الحياة وعلى تلك النظم ثورة بدأت بذورها دينية في القرن السادس عشر في القارة وسياسية في القرن السابع عشر في انكلترا وفي القرن الثامن عشر في فرنسا . وكانت هذه الثورة هدامة للنظم التي كانت قائمة الى يومئذ . كانت هدامة لسلطة الكنيسة ، هدامة لسلطة الملوكية المطلقة ، هدامة لسلطة الأشراف الالتزامية ، هدامة بعد ذلك وأثناءه لطرق البحث والتفكير . ومن خلال هذه الثورة خرج العلم الواقعي ، وألفى نفسه حين خرج خصماً للكنيسة ورجال الدين . وانتقل العلم سراعاً بعد خروجه من الميدان النظري إلى الميدان العملي . وبدأ العلم يغزو من ميادين الحياة والكون ما لم يكن أحد يفكر في غزوه تفكيراً قوياً مستقراً . وها هو العلم ما يزال يغزو الميدان العملي بقوة وما يزال يكشف من قوى الكون كشفاً يزيدنا علماً بها وسلطاناً عليها وبحملنا نرى . فما كان يحسبه أسلافنا معجزات وخوارق منذ بضعة قرون ـ ظواهر طبيعية تخضع لنواميس الكون التي يزداد العلم كل يوم كشفاً عنها . فهذا الهواء قد أصبح في متناولنا تعبره طائرات مخترقة اياه ، وهذا هو الأثير قد دخل في ملكنا نحمله من الرسائل والأحاديث والأصوات ما نشاء لنبعث به شرقاً أو غرباً إلى حيث نشاء . وها هم العلماء ما يزالون يجدون في معرفة طبقات الأثير إلى ارتفاع الألوف وألوف من الأمتار لمعرفة كثافتها ومكانتها من حياة الكون . وها هو النشاط العلمي موزع في كل ناحية من نواحي الحياة ـ في الجماد والنبات والحيوان ، في الأرض والماء والهواء ، في الذرات والالكترونات وما هو ادق من الذرات والالكترونات ، في مصدر الحياة وأصلها ومتوجهها . والعلم التطبيقي في هذا أكثر نشاطاً من العلم النظري وأغزر آثاراً مادية ، وان استمد العلم التطبيقي حياته من العلم النظري . وما يزال العلماء يوالون جهودهم للكشف عن كثير مما لم يكشف عنه بعد من سنن الكون . وما يزال المخترعون والمكتشفون يستمدون من العلم قوة للبلوغ الى مزيد من الاكتشاف والاختراع

هذا النشاط الحاضر هو نشاط البنائين والنحاتين والنجارين وسائر العمال في ذلك القصر الذي رأيت . وهو نشاط المهندسين الذين يوجهون مجهودات أولئك العمال ومن يقوم بالرقابة عليهم . وهو نشاط مجهد شاق يشغل صاحبه عن التفكير في الاثر المحتوم الذي ينتج عنه إذا آن لهذا النشاط أن تهدأ ثائرته ويشغله عن أن يرى هذه القصور الفخمة التي يقيم العلم حتى

يقرر مصيرها بعد الفراغ من إقامتها من يدفع اليها وحدة في حياتها كمجموعة هي وحدة الحضارة التي نحن، وراء هذه المدنية الحديثة، مدنية النشاط الانشائي تحت لواء العلم وفي ظل قيادته

ولقد ألف الناس من أهل هذا الجيل أن يسموا هذا النشاط وما يصل اليه من نتائج ـ تحكم الانسان في الطبيعة. وهؤلاء يرون أن العلم ومدنية العلم سيطوعان للانسان أن يزداد في العالم تحكماً حتى يبلغ من السلطان عليه أن يوجه كل ذرة فيه الوجهة التي يشاء. وهذه في رأينا نظرة خاطئة. فالانسان لا يزداد بالعلم تحكماً في الكون وإنما يزداد بالعلم معرفة بالكون واتصالاً به. وهذه القوى التي تسير القطر والبواخر والطائرات، وهذه الموجات الأثيرية التي أتاحت لنا أن نتصل بمختلف نواحي العالم وما يمكن أن نصل اليه بعد ذلك من المعلومات ونكشف عنه من سنن الكون، لا يزيدنا على الكون قوة ولكنه يزيدنا بالكون علماً واتصالاً. أفيزيدنا هذا الاتصال حرية أم هو يخلق لنا على العكس قيوداً جديدة؟ أفيزيدنا هذا العلم سعادة ام يخلق لنا من الشواغل ما يزيدنا للحياة تلبياً وما [illegible] صوره عما نجده في [illegible] سكينة النفس من سعادة؟ وهل يزيدنا العرفان بسنن الكون خضوعاً لهذه السنن واستسلاماً لها أم يدفعنا الى الثورة عليها والحرص كل الحرص على أن نكون نحن أصحاب السلطان المتحكمين فيها؟ هذه كلها مسائل ليس من اليسير الاجابة الآن عليها اجابة دقيقة لأن كلاً منا ما يزال [illegible] في شغل بهذا الجزء الذي ألقت الأقدار عليه أن يقوم به في سبيل الكشف عن سنن الكون وما يزيده من الاتصال لعلى به. كل منا ما يزال في شغل مثل شغل كل أولئك البنائين والنحاتين والنجارين والمزخرفين في ذلك القصر وفي تلك القصور التي رأيت. فمن العسير علينا أن نضع الاجابات الشافية لتلك الأسئلة. وكل الذي نستطيعه أن نرسم ما يدور بخيالنا كصورة لهذه القصور التي يشيدها العلم وما يمكن أن يكون الضياء الذي ينتشر من بعد فيها والروح الذي يبعث الحياة من بعد اليها

وفي هذه الحدود نتحدث اليوم إلى قراء «الهلال» عما وراء هذه المدنية الحديثة، وعما ستكون حياة هذه القصور التي يشيدها العلم على أحدث طرائقه النظرية والتطبيقية. ورأيت أن هذه القصور التي يشيدها العلم سينتهي نشاط الناس في بنائها وسيطمئنون اليها بعد قرن أو نحوه من الزمان. هنالك تصبح هذه المآثر قسماً مألوفاً من حياة الانسانية لا يثير طلعتها بمقدار ما يدعوها الى التفكير في حسن الاطمئنان اليه والمتاع به. هنالك يشتد بها الشعور الذي بدأ يظهر منذ اليوم، الشعور بالشوق الى معرفة صلة الانسان بالكون كله، الشعور بهذه الوحدة الروحية التي صبا الانسان منذ بدء حياته الى الاحاطة بها، والتي صورها في مختلف العصور

حسب ما هداه إلهام ما يعرف من الكون إياه . يومئذ نشعر بأن هذه القوى المادية التي نستخدم ليست مجرد قوى صالحة لخدمتنا ، ولكنها مظاهر لوحدة الكون كالشمس والقمر والنجوم وكالهواء والماء وككل ذلك الذي ألف الانسان منذ آلاف السنين . ستصبح الكهرباء وسيصبح الأثير كهذه الظواهر الكونية الكبرى وسنصل من العلم بهذه القوى الى مثل ما وصلنا من العلم بالماء واليابسة . وستتصل هذه القوى بشعورنا وبعواطفنا وبوجداناتنا المختلفة، وستمتزج بها وترى فيها بعض حياتنا كما أن فينا بعض حياتها . لا يصبح مرور منطاد أو طائرة أو سماع ألحان آتية من أمريكا أو من المحيط الشمالي عن طريق الأثير بعض ما يلفت النظر ، بل ستصبح هذه القوى جميعاً من مألوفات ما نعرف كلنا ، رجالاً ونساء ، شباناً وشيبا . وستنفسح بذلك دائرة علمنا الوجداني بمقدار ما يزداد اتصالنا بالكون . وسنرى يومئذ لزاماً علينا ان نبني نظام حياتنا على أساس هذا الاتصال وذلك العلم . وستكون تلك هي المدنية الحقة ، وستكون ما وراء الحضارة الحديثة

أنا مؤمن بأن هذا العلم الذي يبدأ منه ذلك التطور لانسجام الرفيع لصلتنا بالكون سيكون من عمل الشرق . فالطريقة الغيبية التي تقصر عنها العلم قد جعلت للشرق دائماً هذا التنظيم والقت عليه في مختلف العصور عبء القيام به . قامت حضارة بابل وآشور وقامت الحضارة الفرعونية معاصرة لها وكانت وثنية تلك العصور بعبادة الشمس وقوى الكون المختلفة ، ثم قامت الموسوية في مصر داعية الى التوحيد . وقام افلاطون بعد ذلك معيباً على العالم الوثني منغمساً في شهوات النعيم والترف غارقاً في المادة الى اذنيه ، ثم قام عيسى في فلسطين يعلن ان دخول ملكوت الله أيسر من دخول الغني سم الخياط . وامتدت الامبراطورية الرومانية في روما ثم في بوزنطة في التشريع جعلته الوثنية ثم المسيحية المحرفة قبلتها . وقامت امبراطورية مثلها في فارس المجوسية . ثم قام محمد في بلاد العرب يدعو الى التوحيد ، توحيد الله في أبسط صورة وأقواها وأسماها . وحكمت الحضارة الاسلامية العالم بعد ذلك في شرقه وغربه قروناً متتالية ، حتى آن لسلطانها ان يفتر وان بقي لها سلطان الغلب الحربي ممثلاً في الاتراك حين اقتحموا اسوار القسطنطينية وحين مهدوا بهذا الفتح الحربي للبعث الاوربي . ثم كانت فترة الاحياء وما عقب فترة الاحياء من ثورات دينية في اوربا توجها فولتير ومدرسته بنفي الأديان جميعاً والنعي عليها مما شق الطريق لتوا كير البحث العلمي . وهذا العلم يؤتي اليوم من الثمرات ما اشرنا اليه ويشغل الانسانية كلها ببناء قصور المستقبل . فليس من ريب في ان يكون الوقت قد آن

تتلق المقادير على كاهل الشرق حظه من تقسيم العمل في حياة الكون لتنظيم وحدة الكون على الأساس الذي آمن به الشرق دائماً ، والذى تتابعت رسائل الوحى فيه على رسله وأنبيائه

على أن الشرق يجب عليه حين يضطلع بهذا العبء أن يقف على أصدق ما قرر العلم من نظريات عن سنن الكون ومن تطبيق هذه النظريات في واقع الحياة . وهذا ما يقوم الشرق اليوم به جاهداً برغم ما يوضع من عقبات في سبيله . وهو إذ يهضم نظريات العلم ويطبق هذه النظريات ويعاون على نشرها يعمل ذلك في الأعداد الذي هيأه القدر له . فإذا جاء اليوم الذي تدوى فيه الصيحة ويطلع فيه النور كان الشرق مصدر الصيحة والنور جميعاً . وكان ذلك إيذاناً بعهد جديد في حياة الانسانية . عهد أساسه الايمان بالحق وبوحدة الوجود إيماناً مستنيراً لا يشوبه دخل ولا تعبث به خدعة

محمد حسين هيكل

رحمة الله عليه

(De profundis)

فاتك الأحباظ حزنى وحبينى فى يديه
صاحك الثغر وإمّا ر دى فى وجنتيه
حبذا الموت إذا مر فى أجرى مقلتيه
أسهد الليل وتورى قبس من عارضيه
أزجر الدمع إذا ما حزنى الشوق إليه
وأحبذ القلب عما بات يلقاه لديه
راحة القلب وروحى أمسنا فى راحتيه
فى خفوق كخفيف الروح يؤذى مسمعيه
وأنين يرجع القلـب ويشجى أذنيه
سقمى منه وبرئى من جنا شفتيه
ويح هذا القلب أردا ه الردى من ناظريه
شفه عشق ويأس وله من عتبيه
مات فى الحب شهيداً رحمة الله عليه

سليم عبد الأحد

اللغة المالطية
هل هي عربية في أساسها

بقلم محمد بك وجيه

قام أخيراً في مالطا خلاف كبير يتلخص في أن هناك لغة وطنية يتكلمها أهل الجزيرة هي « اللغة المالطية » وهي خليط من جملة لغات من بينها اللغتان العربية والايطالية . على أن ما أخذته الاخيرة في اللغة المالطية من كلمات وتعبيرات ليس هو الجزء الاكبر اذا قورن بما للغة العربية من نصيب فيها يتضاءل ازاءه نصيب كل اللغات الاخرى . والايطاليون يعملون على نشر اللغة الايطالية في الجزيرة وتعليمها للمالطيين في كل درجات التعليم ، ويساعدهم على ذلك الوطنيون المالطيون ومنهم رجال حكومة السير ميتسود التي أقيلت ، وتستنكره الحكومة البريطانية . فهي ترى أن سياسة (الطليانة) التي جرت عليها الحكومة المحلية [illegible] لا تجيز تعليم اللغة الايطالية لا في المدارس الثانوية ، ولا في المدارس الابتدائية فلا تدرس الا اللغتان المالطية والانجليزية

ذلك هو ملخص الموضوع . ويجدر بي أن [illegible] المصريين في حين أن للامم العربية جميعها شأناً فيه اذ عرفنا أن اللغة المالطية عربية في أساسها، كما تدل على ذلك كلماتها وتعابيرها وتراكيب . أما ما يوجد في اللغة المالطية من كلمات ايطالية عديدة أو انجليزية قليلة فهو دخيل تسرب اليها بعد أن زال سلطان العرب من الجزيرة

ولا أحاول بالطبع في هذه الكلمة القصيرة بحث الامر من الناحية العلمية والتاريخية لتحقيق أصل المالطيين ، وكيف حلت اللغة العربية في كلامهم محل اللغتين اليونانية والرومانية اللتين سبقتاها ، وهل يستنتج من ذلك أن المالطيين هم من العرب الذين سكنوا الجزيرة فتغلبت كثرتهم على سكانها فاندمج هؤلاء فيها . . . وانما أردت توجيه النظر الى هذا الموضوع الجدير بالدرس والتحري مع ايراد بعض البيانات التي ترجح لدى هذا الاستنتاج

لقد سبق العرب في حكم جزيرة مالطة اباطرة اليونان وظل سلطانهم في الجزيرة مدة ٣٣٧ عاماً . وجاء بعدهم العرب فبقوا مدة ٢٢٠ عاماً، وخلفهم في الجزيرة النورمانديون مدة ١٠٤ أعوام . فالالمان ٧٢ عاماً فالاسبانيون ٢٤٦ عاماً، فالفرسان من طائفة القديس حنا الاورشليمي ٢٦٨ عاماً

ومجرد المقارنة بين مدد سؤدد كل من هذه الامم في الجزيرة يبعث على التأمل والتفكير اذ أن مدة حكم العرب ليست أطول من غيرها ، ومع ذلك فقد خلفوا أثراً محا ما سبقه ولم يتأثر بما بعده . وظل المالطيون يتكلمون اللغة العربية الى اليوم

ولقد زرت الجزيرة مرتين فى أسفارى ، وكنت قبل ذلك أميل إلى معرفة بعض التفصيلات عن لغتها منذ أن تنبه سمعى الى كلام المالطيين فى القطر المصرى وامتلاء حديثهم بالكلمات والتراكيب العربية ، بل بالكلمات الفصحى التى عدلنا عن استعمالها نحن المصريين فى لغتنا الدارجة

وبحثت أثناء زيارتى عما إذا كانت اللغة المالطية مدونة ، فوجدت أن هناك جرائد يومية تطبع باللغة المالطية مكتوبة بالحروف اللاتينية مع علامات فوق الحروف العربية الأصل . وعثرت على معجم بالانجليزية والمالطية وضع خصيصاً للسائحين وجدت فيه بغيتى إذ وضع تحت نظرى ما يمكن أن يتخذ أساساً لمعرفة النسبة بين الكلمات العربية وغيرها من اللغات الاخرى فيما يسمى باللغة المالطية

وقضيت بعض الفراغ أثناء السفر فى مراجعة ذلك القاموس وانتهيت بعد النظرة الاولى إلى أن اللغة العربية هى أصل اللغة المالطية ، فان النسبة فى كلماتها تقرب من ٩٠ فى المائة فى المسائل العامة . أما المستحدثات فأغلبها باللغة الايطالية . وهذا برهان واضح على أنها دخيلة على اللغة الأصلية بعد زوال النفوذ العربى . وانى مورد فيما يلى بعض مقتطفات من ذلك القاموس ونبذاً من الجرائد منقولة كما هى بحروفها اللاتينية ، وبجوارها بعض العبارات والكلمات كما ينطق بها المالطيون مكتوبة بالحروف العربية ، إلا الكلمات الاجنبية الاصل فهى موضوعة بحروفها الاجنبية مع ترجمتها العربية بين أقواس لتتبع العبارة وفهمها

محمد وهبه

أمثلة من اللغة المالطية

كلمات

الكلمة بالعربية	الكلمة باللغة المالطية كما ينطقها المالطيون	الكلمة بالعربية	الكلمة باللغة المالطية كما ينطقها المالطيون
الخبز	حبز	الخل	حل
الماء	إلما	الدقيق	دقيق
النبيذ	إمبيت	الفرن	فرن
اللبن	حليب	السكر	زوكر
الزيت	زيت	السكينة	سكينة
الملعقة	مغرفة	المرأة	مرا
الملح	ملح	بائع اللبن	تاع الحليب
الحبر	لنقه	الخياط	خياط
الطفل	طفل	الفران	تاع الخبز

تراكيب

الثلاثاء القادم	الثلاثا الجايين
الاربعاء الماضي	الاربعا اللي عدو
كل يوم خميس	كل نهار تاع خميس
اليوم الجمعة	الاوم الجمعة
غداً الخامس عشر	بعد الغدا خمستاش
شيء جميل	شي جميل
النهار كله	النهار (جورناتة — ايطالية) كلها
دعني أنظر أسنانه	خلي نرى سنيه

جمل

هل يمكن أن أدخل ؟	نستطاع نبيب (من البيبة Pipe)
لا شأن لي	ما تخصنيش فيها (لا يخصني شيء فيها)
ماذا بك ؟	شندك أو شي تحس ؟
عندي ألم في الرأس	عندي وجع تاع راس
ليس عندي سوى واحدة	ما عندش خلاف واحده
كم هم ؟	كم هم ؟ (بكسر الكاف والهاء)
هم اثنان فقط	هم زوج بس (بكسر الهاء والباء)
هل يمكن ؟	يصلح يكون ؟
من يعرف ؟	مين يعرف (الراء مدعومة)
لا تتكلم بسرعة هكذا	تكلمش هيك مصحل
هل سبق لك أن كنت هناك ؟	قط كنت ؟
كم مضى عليك هنا ؟	كم الك هاون ؟ (بكسر الكاف)
أحب أتعلم	نشتاق نتعلم
أدرك عملك	الحق أفارك (طليانية Affare)
بكل سرور	بال (باشير) كله (طليانية بمعنى سرور)
من قال لك ؟	مين قال لك ؟
كم الساعة ؟	إيش حين هو ؟
هل هذا للبيع ؟	هذا عالبيع ؟
من فضلك	إيالك يعجبك
ماذا تريد ؟	شي تريد ؟
ناد ذلك الرجل	صيح لذاك الراجل (بتشديد الياء)

مقتطفات من صحف مالطية

توضيح

نخبر بموت . . . البالغ ٣١ سنة من بلدة . . . الذى مات الجمعة الماضية بعد مرض ١٥ يوما مزوداً باسرار الكنيسة

وخلف النكد الحزينة امرأته واولاده وأمه وأخته وقرابه وحبايبه. فلندع لهم بالصبر والصبر

المالطية كما تنطق

نخبروا الموت تاالسور فرانشيسكو سبيترى تا ٣١ سنة من حاظبار الى مات الجمعة الاخرى ورا مرضه تا ١٥ ال (جورناتا) (ايطالية بمعنى يوم) ايكو نفورتاتا (ايطالية بمعنى مزوداً) بال ءسكرامنتوء (ايطالية بمعنى باسرار الكنيسة)

خلف النكد الحلولوراتاء (ايطالية بمعنى الحزينة) مرتو وليده أمه خته قرابتو وحبايبه لنطلوهم الصبر والصبر

المالطية كما تكتب

Inhabbru il meut tas-sur FRANCESCO SPITERI ta 31 sena minn Hez-zabbar li miet il gimgha l'ohra wara marda ta 15 il giurnata ikkonfortat bis-Sacramenti Halla fin-niket lil adollorata martu, uliedu, ommu hutu, krabatu u hbiebu li nitlbuhom l ghomor u issabar.

اخبار مالطه

مدير البوسطة يعلن أنه من الآن فصاعداً. البوسطة المصدرة الى نابولى تغلق فى مكتب بوسطة البلدة فى الساعة ٨ صباحا ايام الثلاثاء والخميس والسبت

احبار ... تاع مالطه

الدريتور (ايطالية بمعنى المدير) تاع البوسطة يعرف الى مليوم لقدام، البوسطة ديرتا (ايطالية بمعنى المصدرة) على نابولى بالاروبلان (بالطيارة) تغلق فى الأوفيسيو (ايطالية بمعنى مكتب) تاع البوسطة البلد فى a. m. ٨ (اجنبية بمعنى ق. ظ) نهار الثلاثا الخميس والسبت

Ahbarijiet Ta Malta

Id Direttur tal Posta jgharraf illi minn issa il Kuddiem il posta diretta ghal napoli tghalak fil Ufficcio tal Posta il Belt fit 8 a.m. nhar il Tlieta il Hamis u is sibt.

في السنة عشر بتاع هذا
في الصباح الكافر منجل
(بتاع) الموت حصد من في
وسطنا في حوالي ٧٣ سنة
الصورة العزيزة لشخص
السير سالفاتوري ياكومو
قبطان البحر ومن أرباب
المعاشات

وخبر موته أنزل حسرة
كبيرة وجعل يتحسر لوفاته
كل من امرأته وأولاده وعدد
كبير من الاقارب والحبايب.
فنتمنى لهم بالعمر والصبر

في السادس تاع دن في
العدو الكافر منجل تاع
الموت حصد من فوسطنا في
اخته تاع ٧٣ سنة الـ (فيجورا)
(ايطالية يعني الصورة) عزيزة
تاع ميسير ? في الـ (برسونا)
(ايطالية يعني شخص) تاع
السير سالفاتوري ياكومو
قبطان تاع البحر و (بانسيونا)
(ايطالية يعني من أرباب
المعاشات). البشارة تاع الموت
تبعه نزلت حسره كبيره وخلا
يتحسروا الكثير غالباً :
الانطفد) تاعه لبل مرتو
وليله (ونوطرد) (ايطالية
بمعنى عدد) كبير قرابة
وحبايب . انطوهم العمر
(والرزيغناسيون) (ايطالية
بمعنى الصبر)

Fis-16 ta dan fil-ghodu, il chiefer mingel tal mewt hasad minn fostna fl'eta'ta 73 sene il figura ghaziza ta missier fil persuna tas sur SALVATORE JACONO Captan tal bahar u pensionat. Il hxara tal mewt tieghu nisslet hasra cbira u halla jithassru il-tetla tieghu lil martu, uliedu u numru cbir ta kraba u hbieb li natuhom l'ghomor u ir-rassenjazioni.

« إن أى بحث مهما كان مستفيضا عن ابن سينا وأثره فى الطب الحديث يعتبر ناقصاً . وأظن أن البحوث القادمة التى يقوم بها طراز جديد من علماء العرب وأطبائهم ستكشف عن جوانب جديدة فى أعمال هذا الطبيب الفيلسوف ، ومدى أثره فى الطب الحديث

« أقول ذلك لأننى عندما درست كلامه عن الطفيليات عثرت لأول مرة عن كشف لم يسبقنى اليه باحث آخر . . . وجدت ان ابن سينا :

اولا — هو أول من وصف اعراض مرض الانكلستوما (الرهقان)

ثانيا — انه أول من وصف دودة الانكلستوما المسببة لعدوى هذا المرض

ثالثا — أنه اول من وصف العلاج الناجع لشفاء من هذا المرض والذى هو الأساس حتى اليوم فى العلاج الحديث

« فاذا كنت قد وفقت الى ما اسلفت ذكره ، فان ذلك راجع إلى أنى تناولت بالبحث ما يدخل فى اختصاصى . ولهذا يغلب على ظنى أن أطباء العيون والأطباء المختصين بالحميات وغيرهم كل فى دائرة اختصاصه ـ هؤلاء جميعاً سيجدون جديداً فيما كتبه هذا الطبيب الكبير لم يكن معروفاً ، وسيستطيعون تحديد أثره فى تقدم الطب الحديث على وجه الدقة بطريقة علمية صحيحة تدعمها حقائق التاريخ

« هذا هو مجمل رأيى ، وهو فى الواقع نداء حار لعلماء العربية وأطبائها ، ليشطوا لاكمال واستيفاء البحوث التى ضرب فيها المستشرقون بسهم وافر »

النفس والحكمة

للرئيس أبى على بن سينا

هذب النفس بالعلوم لترقى	وذر الكل فهى للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة والعلـ	ـم سراج وحكمة الله زيت
فاذا اشرقت فانك حى	واذا اظلمت فانك ميت

السعادة

قالتْ ليَ النفسُ : الى ... متى تعيش حالما ؟
كلٌّ يشقُّ فعلا ... طريقه مُزاحم
إلامَ تشقى بالوعو ... دِ وتُمنّى بالأملْ ؟
فكلُّ فراغٍ في الحيا ... ةِ لا يسدُّه الكسلْ
أقبِلْ على الخير ولا ... تحمِلْ متاعاً ذاهبا
ما كان هذا الكونُ لو ... لا الخيرُ الا كاذبا
ألهاكَ عن سعادة الدُّ ... [illegible] ملا ينفع
حسبُك [illegible] هدى ... [illegible] ويجمع

***

قلتُ لها : أيتها الـ ... [illegible] أصبحتِ تشغلني
[illegible] ... [illegible]
أينَ النفس [illegible] ... [illegible]
يُلْهيك ما أعطاه ... قدماً ضلالُ المنطقِ
قلبي مَنارُ النور والـ ... إيمانِ والحبِّ النهمْ
يَصلَى لظَى الوجد اذا ... عاوده الشوقُ العرمْ
يمرّ في النشوة بالـ ... طيفِ الحبيبِ عطرِ
أو صورةٍ روعاء يهـ ... تزّ لها ويطفرِ
يشقى اذا غابت كما ... يسعدُ حين تحضر

رفيق فاخوري

شخصيات الشهر

(تناول الكاتب فى هذا المقال أهم شخصيات الشهر بالنسبة للاعمال العظيمة التى عملوها أو يعملونها . وبهذه المناسبة نعلن أنه سيكلم كل شهر عن أهم الشخصيات العالمية من ناحية أعمالهم التى تكون موضوع حديث الناس فى خلال الشهر)

المرشال بلسدسكي ورئاسة جمهورية بولندا

لما زار المرشال بلسدسكى ـ منشىء بولندا الحالية وزعيمها الأكبر ـ القطر المصرى من نحو سنتين وهجر العالم الى بقعة هادئة فى حلوان (من ضواحى القاهرة) قيل ان دكتاتور بولندا مريض وانه قدم مصر للاستشفاء . وقد جاء سعادته الى مصر يومئذ طلباً للراحة فعلا ولكن الذين تتبعوا أخبار إقامته بيننا أيقنوا أن الرجل ليس مريضاً ، فان الشيخ الذى يقضى ست ساعات أو أكثر فى الصحراء يطوى مراحلها بالسيارة لايعد مريضاً

وقد حدث فى بولندا فى خلال الشهر الماضى حدث سياسى يدل على أن الدور الذى لعبه المرشال بلسدسكى فى تاريخ بولندا الحديث لم ينته بعد . فقد عدل الدستور البولندى تعديلا أساسه تحويل جانب من سلطة البرلمان الى رئيس الجمهورية . مثال ذلك أنه بمقتضى التعديل الجديد أصبح فى استطاعة رئيس الجمهورية أن يعين وزارة أو يحلها بدون أن يبدى لأحد الباعث له على ذلك ، كما أصبح من حقه أن يعارض فى قبول أى قانون من القوانين التى يسنها البرلمان من غير أن يكون للبرلمان حق إعادة النظر فيه . وحرم التعديل البرلمان من حق أساسى آخر وهو حق الاقتراع على الثقة بالوزارة

وشمل التعديل كذلك كيفية تأليف مجلس الشيوخ بطريقة تجعل الأغلبية المطلقة فى هذا المجلس من انصار المرشال بلسدسكى

وهنا يسأل القارىء عن الغرض من ذلك التعديل كله ؟

والجواب أن اصحاب الكلمة النافذة فى بولندا يرون أن حالتها الحاضرة من ناحية السياسة الدولية تقضى بأن يكون على رأسها رجل قوى محترم فى الخارج ، وهذا الرجل هو المرشال بلسدسكى الذى تقلد رئاسة الوزارة ووزارة الحربية غير مرة . إلا أنه لما انتخبوه رئيساً للجمهورية اعتذر عن قبول المنصب ورشح أحد انصاره . ولم يخف سعادته يومئذ على مواطنيه انه لم يقبل رئاسة الجمهورية لانه منصب مقيد ، وهو لايريد أن يكون مقيداً

فاذا ذكرنا ذلك أدركنا مغزى تعديل الدستور البولندى والغرض من تعديل تأليف مجلس الشيوخ بعد ما سلب مجلس النواب أهم حقوقه الدستورية

ولا يفوتني في الختام أن اذكر أن التعديل الجديد في الدستور يمنح رئيس الجمهورية حق « ترشيح » خلفه ، أى انه اذا اضطر المرشال بلسدسكى الى اعتزال منصبه في المستقبل مراعاة لصحته حق له « ترشيح » خلفه . ولا يبعد أن يكون « الترشيح » ضرباً جديداً من ضروب التعيين

مقتل المسيو دوكا وجمعية الحرس الحديدى

حدث في الشهر المنصرم ان قصد المسيو دوكا رئيس وزارة رومانيا وزعيم حزب الاحرار فيها الى « سينايا » لمقابلة جلالة الملك كارول وبحث بعض الأمور معه ، ولما انتهت المقابلة ذهب رئيس الوزارة الى المحطة ليركب القطار العائد الى « بخارست » . وبينما كان يهم بالصعود اليه اطلق عليه شاب ثلاث رصاصات ثم قذف عليه قنبلة ففاضت روحه في الحال . وتبين بعد القبض على المعتدى والتحقيق معه أنه من اعضاء جمعية « الحرس الحديدى » وهي الجمعية التى طفحت التلغرافات الخارجية بذكرها في المدة الأخيرة . وقد دلت الحوادث على انها جمعية كبيرة وقوية وان اعضاءها منبثون في جميع انحاء رومانيا وفي جميع دوائرها الحكومية ، حتى قيل ان بعضاً منهم كان يعمل في البلاط الملكى

وجمعية « الحرس الحديدى » تكاد تكون جمعية نازية هتلرية لان مبدأها الأول مقاومة اليهود ومناهضة نفوذهم والرغبة في تقييد النظم البرلمانية تقييداً يحرم اليهود من كل نفوذ سياسى في البلاد ، وهي تناوىء بوجه خاص مدام لوبيسكو صديقة الملك كارول . اولا لعلاقتها غير الشرعية به ، وثانياً لأنها يهودية ، وثالثاً لانهم يتهمونها بالتعرض لسياسة الدولة والتأثير في الملك تأثيراً كان من شأنه ابعاد العناصر المقاومة لليهود عن الحكم . وهم يقولون أن الملك لم يقل وزارة المسيو فايدا السابقة لوزارة المسيو دوكا إلا لأنها اتخذت بعض التدابير تجاه اليهود فدعا الملك رئيسها المسيو فايدا الى مقابلته وأبلغه انه غير مرتاح الى مسلكه وشكره على خدماته فرفع اليه الوزير استقالته . ومما هو جدير بالذكر انه في خلال السنوات الثلاث التى انقضت على الملك كارول في الحكم قد تعاقبت على رومانيا تسع وزارات ، والغريب أن هذه الوزارات التسع استقالت « لأسباب غير معلومة » لان البرلمان الرومانى لم يخذل وزارة واحدة منها

وحلت وزارة المسيو دوكا على وزارة المسيو فايدا فتساهلت في الحال مع اليهود بحجة رغبتها في تعزيز النظم البرلمانية في البلاد ، فشق ذلك على جمعية « الحرس الحديدى » فنظم اعضاؤها المؤامرة التى ذهب المسيو دوكا ضحيتها ، وقيل يومئذ ان المؤامرة واسعة النطاق وان المتآمرين

مصممون على اغتيال غيره من رجال رومانيا . ولكن الى كتابة هذه السطور لم يحدث ما يؤيد هذا القول

غير ان الأمر الذى يستحق التنويه هو ان المسيو تيتلسكو لم يقبل البقاء فى وزارة الخارجية فى الوزارة الجديدة ـ التى خلفت وزارة المسيو دوقا وقد ائتلفت من الوزراء عينهم ـ الا بعدما أجابه الملك كارول الى بعض الطلبات وفى مقدمتها رحيل مدام لوبسكو من رومانيا

وستظهر لنا الايام هل حلت الازمة فى رومانيا بمقتل المسيو دوقا وبرحيل مدام لوبسكو ...

الجنرال « اودفى » وخصومته للمستر دي فاليرا

. . . وأخيراً لما رأى الانجليز ان « دى فاليرا » لم تلنه القوة ولا المساومة ، فكروا فى خطة أخرى . . . خطة « فرق تسد » ، فلجأوا اليها عن طريق المتوترين من الزعيم الارلندى الكبير وفى مقدمتهم الجنرال « اودفى » الذى يندر أن ينقضى الآن يوم بدون ان يرد ذكره فى الانباء التلغرافية

ولكى يقف القارىء على اغراض الجنرال اودفى نقول انه لما عقدت المعاهدة البريطانية الارلندية فى سنة ١٩٢١ ، وهى المعاهدة التى قامت على أساسها دولة ارلندا الحرة ، انقسم الارلنديون تجاهها الى قسمين ، احدهما يؤيدها والآخر يعارضها . وكان الجنرال « اودفى » فى طليعة المؤيدين وكان يوعد من قواد الجيش الارلندى ثم عين مديراً للبوليس وظل يتقلد هذا المنصب الى أن اقاله « دى فاليرا » منه فى أوائل السنة الماضية على أثر توليه رئاسة الحكومة

وما كاد الجنرال « اودفى » يعتزل خدمة الحكومة حتى عرض عليه خصوم « دى فاليرا » رئاسة جوعهم فقبلها واتخذ « القميص الازرق » لباساً لانصاره ، وظل نفوذه يزداد كل يوم اكثر من اليوم الذى قبله الى أن اتحدت أخيرا جميع الهيئات والجماعات المعارضة « لدى فاليرا » والفت حزباً واحداً اسمه « حزب ارلندا المتحدة » واسندت اليه زعامته

والجنرال « اودفى » يطالب باستقلال ارلندا كالمستر « دى فاليرا » ولكنه يخالفه فى الخطة التى ينبغى انتهاجها لتحقيق هذه الامنية . فبينما دى فاليرا يريد قطع كل صلة بانجلترا يدعو الجنرال « أودفى » الى مسايرة انجلترا والى توجيه الجهود فى الوقت الحاضر الى توحيد ارلندا فلا يعود هناك شىء اسمه الشمال (وهو القسم الذى مابرحت انجلترا تحكمه بواسطة حاكم عام) وشىء اسمه الجنوب (وهو القسم الذى يؤلف دولة ارلندا الحرة التى يرأس حكومتها الآن المستر دى فاليرا) ثم ان الجنرال « أودفى » يقول ان خطته فى معالجة مشكلة العمال العاطلين تختلف عن خطة « دى فاليرا » وأنه يريد ان يضرب على الشيوعيين بيد من حديد

ولكن الواقفين على حقيقة الحالة فى دولة ارلندا الحرة يرون أن مزاعم الجنرال « اودفى »

لا تسوغ خصومته لدى فاليرا ومناوأته لحكومته وان الحقيقة تتلخص فى أن الشقاق تسرب إلى صفوف الارلنديين بعد ما كان الاتحاد سر قوتهم الحقيقية

وكذلك تظل سياسة انجلترا هى هى على الدوام

السنيور الكسندر لرو . والجمهورية الاسبانية

كان انصار الجمهورية فى اسبانيا يدعون أن الملكية هى أصل مصائبهم جميعاً ، وان زوالها يفتح لهم باب السعادة والرفاهية واستقرار الحال ، فاذا امورهم الداخلية تزداد ارتباكا بعد حلول النظام الجمهورى محل النظام الملكى ، و إذا حل مشاكلهم الاهلية يستعصى عليهم بعد رحيل الفونسو الثالث عشر عن بلاده ، بل إن الحالة قد ساءت عما كانت عليه قبلا ، لأن المتطرفين من الجمهوريين والشيوعيين حسبوا أن قيام النظام الجمهورى سيتيح لهم الفرصة لنشر الوية الفوضى على ربوع البلاد وقلب انظمتها الاجتماعية رأساً على عقب

ولا يخفى انه لما غادر الملك الفونسو الثالث عشر اسبانيا كان فريق كبير من الاهلين متمسكا بعقيدته الملكية ، وقد ظل انصار الملكية محافظين على عقيدتهم حتى بعد رحيل الملك ، فلما رأى المتطرفين من الجمهوريين والشيوعيين يحاولون تقويض كل نظام قائم هاجوا وماجوا وعقدوا النية على مقاومتهم مهما كلفهم الامر ومهما تكن النتيجة ، حتى خشى العقلاء من نشوب حرب أهلية كما لا يخفى

وعندئذ برز رجل فى الميدان وجاهر بأنه سيعمل على تدعيم النظام الجمهورى فى حدود القانون والنظام ، والسكينة ، والتقاليد . وكان هذا الرجل السنيور الكسندر لرو رئيس الوزارة الاسبانية الحالية . ويتعذر على الباحث أن يتكهن من الآن بمدى النجاح الذى يصادفه هذا السياسى الجرىء وان دلت الدلائل اليوم على انه قد نجح فى كسب عطف السواد الاعظم من الاسبان

ومما هو جدير بالذكر عن المسيو لرو انه عصامى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى فانه لم يتردد فى حداثته على المدارس لأنه ولد من ابوين فقيرين فكان لا مندوحة له عن كسب عيشه بعرق جبينه منذ نعومة اظفاره ، وانما تلقى بعض الدروس الاولية عن خاله وكان قسيساً فاضلا

غير أن المسيو لرو أو السنيور لرو كان مشغوفاً بالدرس والتحصيل ، فكان إذا انتهى من عمله فى المساء عكف على الدرس والمطالعة ، وفى سنة ١٩٢٢ لم يجد على نفسه غضاضة فى التقدم لامتحان شهادة الليسانس مع أنه قد ناهز يومئذ الثامنة والخمسين من عمره

ولما الغيت الملكية ونودى بالنظام الجمهورى عين السنيور لرو وزيراً للخارجية ثم اعتزلها لخلاف نشأ بينه وبين زملائه الذين كانوا يظهرون بعض التساهل فى كبح جماح المتطرفين والشيوعيين

وأخيراً لما عجزت الوزارة السابقة عن التغلب على أولئك المتطرفين والشيوعيين لجأ رئيس الجمهورية إلى السنيور لرو فلبي الدعوة وتولى تأليف الوزارة الجديدة وهو يقول :
« انى اريد ان تكون الجمهورية الاسبانية محافظة كالجمهورية الفرنسية ! »

الملك اسكندر ، أو الملك الدكتاتور

كان جلالة الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا محور الاطار فى الاجتماعات التى عقدت أخيراً بينه وبين جلالة الملك بوريس ملك بلغاريا وجلالة الملك كارول ملك رومانيا لبحث أحوال البلقان وعلاقات دولهم بعضها ببعض

وقد امتاز الملك بطرس ، والد الملك اسكندر ، بقوة شكيمته وشجاعته ، وهو الذى رفض قبول الشروط التى تضمنها انذار النمسا النهائى فى يونيو سنة ١٩١٤ ، وآثر الحرب على العار

ويقول عارفو الملك اسكندر انه ورث خلق والده وانه قوى الشكيمة شديد المراس مثله . ويعلم متتبعو احوال سربيا (يوغسلافيا الآن) انه لما طعن الملك بطرس فى السن عين نجله نائباً عنه وخوله ادارة شئون المملكة فمارس الحكم مدة غير قصيرة تحت رقابته وإشرافه

ومن ذلك الحين والملك اسكندر يتدخل فى كل كبيرة وصغيرة فى شئون مملكته . ولما قيل من نحو ثلاث سنوات ان « السلوفان » من رعيته غير راضين عن حالتهم وانهم قد يشقون عصا الطاعة على النظام القائم زار بلادهم بالرغم من تحذير الحكومة له ولم يكترث للاخبار التى وصلت الى مسامعه من مكائد تدبر لاغتياله (وقد حاول البعض تنفيذها فعلا ولكنها حبطت جميعاً) وظل يطوف مناطق « السلوفان » ويتفرج بطرائقهم ويصغى الى رغائبهم ويلاطف صغارهم قبل كبارهم حتى اكتسب عطفهم وودهم فعاد إلى عاصمة مملكته وهو مطمئن من ناحية ذلك القسم من بلاده

ويعد العارفون أن الملك اسكندر هو صاحب فكرة اجتماع ملوك البلقان الثلاثة للتشاور فى أحوال ممالكهم وشئونها ، ولا سيما بعد قيام حكم هتلر والنازى فى المانيا وتطور الحالة السياسية العامة فى اوربا كلها

والملك اسكندر لا يقبض على دفة السياسة فى بلاده فقط ، ولكنه فى الوقت عينه القائد الفعلى لجيشه . وآراء الثقات العسكريين متفقة على انه محيط بالشئون العسكرية أكثر من أى ملك آخر من ملوك اوربا

وجلالته متزوج من كبرى شقيقات جلالة الملك كارول ملك رومانيا وقد رزق منها ثلاثة انجال لا يزال أكبرهم فى سن الحداثة

كريم ثابت

المولد الكهربائي الذي استنبطه الدكتور فان جراف لتوليد قوة سبعة ملايين فولت بقصد تحطيم الجوهر الفرد . وهذا المولد هو عبارة عن اسطوانتين كبيرتين طول كل منهما ١٧ متراً . ويقصد مستنبط الجهاز أن التيار الكهربائي الناشيء عن الاسطوانتين يكفي لتحطيم الجوهر الفرد . وترى في رأس كل اسطوانة كرة يبلغ قطرها خمسة أمتار وهي مستودع التيار

معضلة

الجوهر الفرد والكهارب أو الايلكترونات التي يتألف منها هي في مقدمة المعضلات التي يحاول العلماء حلها واكتناه أسرارها لما يرجونه من وراء ذلك من الفوائد الجمة للاجتماع. وقد كانوا حتى عهد قريب يعتقدون ان الجوهر الفرد هو قوام المادة لانه اصغر اجزائها ثم اتضح أن الجوهر الفرد يتألف من ومضات كهربائية تسمى ايلكترونات وتدور حول نواة تسمى البروتون، كما تدور الاجرام العلوية التابعة للنظام الشمسي حول جرم الشمس. وان سرعة دورانها تفوق حد التصور. واتضح أيضاً أن عناصر المادة كلها متماثلة في الأصل وانما يختلف بعضها عن بعض بعدد الايلكترونات التي يتألف منها الجوهر الفرد وبعبارة أخرى ان الجوهر الفرد لأي عنصر من العناصر لا يختلف عن جوهر أي عنصر آخر إلا بعدد الومضات الكهربائية التي يتألف منها. فاذا امكن انتزاع بعض هذه الومضات (أو الايلكترونات) من جوهر عنصر من العناصر واضافته الى جوهر عنصر آخر امكن تحويل المادة من شكل الى شكل وهذا هو السر الذي كان الاقدمون يسعون الى حله يوم كانوا يريدون تحويل المعادن ذهباً

في قاعة البحث الجوية بجوار درعوث بكاليفورنيا أقيم هذا الجهاز لتوليد تيار كهربائي تبلغ قوته سبعة ملايين فولت. وقد استعمله مساعده الدكتور فان جراف لتحطيم الجوهر الفرد وترى هنا اسطوانة على رأسها اليكترود (أي مستودع لتوليد النار) يبلغ قطره مترين، وهو موضوع على اسطوانة من الورق المضغوط يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار. وهذا الجهاز هو مثال مصغر من الجهاز المنشور في الصورة السابقة. وترى الشرر الكهربائي منبعثاً منه بقوة هائلة

صورة أخرى لجهاز الدكتور فان جراف لتوليد تيار كهربائي لا تقل قوته عن سبعة ملايين فولت لتفكيك عرى الجوهر الفرد

ولتحقيق هذا التحويل لابد من عاملين قويين هما : الضغط والحرارة بدرجة تفوق حد التصور . والحرارة اللازمة لتفكيك الجوهر الفرد لم يستطع الانسان توليدها حتى الآن . إلا أن ذلك لم يمنع العلماء من السعي لإيجادها لانهم يعلقون على تحطيم الجوهر الفرد أو تفكيكه آمالا عظيمة . ولا يخفى أن ما علموه من أسرار الجوهر الفرد هو الذي مكنهم من استنباط الراديو والتليفزيون والخلية الكهربائية الفوتوغرافية ، بل هو الذي مكنهم من تحسين المستشفيات الكثيرة . فاذا تمكنوا من تحطيم الجوهر الفرد فسيتمكنون من تحقيق كثير من الاحلام التي تجول في مخيلاتهم ، وفي مقدمتها تحويل عناصر المادة أو تحويل المادة من معدن الى معدن آخر

ولقد أماطوا اللثام عن جانب من أسرار الالكترونات وهم يوجهون اليوم قواهم لمعرفة أسرار « البروتون » أو النواة التي تدور حولها تلك الالكترونات ، والتي هي مستودع ۹۹ ، ۹ من قوة الجوهر الفرد

وقد وجه علماء الكهربائية قوتهم في بضع السنوات الاخيرة لاستنباط جهاز ذي قوة كهربائية هائلة لتحطيم الجوهر الفرد . وتمكن الدكتور فان جراف مدير معهد ماساتشوستس الفني ، من استنباط جهاز سماه « مولد القوة الكهربائية » يمكنه توليد قوة كهربائية تعادل سبعة ملايين فولت ، مع زيادتها الى خمسين مليون فولت اذا دعت الضرورة الى ذلك . وقد كان أقوى جهاز كهربائي

صنعه الانسان حتى الآن لايستطيع أن يولد أكثر من سبعمائة ألف فولت فقط أو أقل من ثلاثة ارباع مليون الفولت . ولا يخفى ان الكرسي الكهربائي الذي ينفذ عليه حكم « الاعدام » في المجرمين في اميركا لا تزيد قوته على ٢٤٠٠ فولت . فالجهاز الذي نحن بصدده الآن هو اقوى من ذلك الكرسي باكثر من ثلاثين الف مرة . بل انك اذا جمعت كل ماعند الدول من مدافع ضخمة وسريعة واطلقتها معا ما كانت قوتها مجموعة لتوازي قوة جهاز الدكتور فان جراف

كل ذلك لتفكيك الجوهر الفرد وتحطيمه بجعل الالكترونات التي يتألف منها ، ولمعرفة الاسرار التي ينطوي عليها

ونرى من الصور المنشورة هنا ان الجهاز الذي نحن بصدده هو اسطوانتان ضخمتان جداً يبلغ ارتفاعهما سبعة عشر متراً وعلى رأس كل اسطوانة منهما كرة يبلغ قطرها خمسة امتار . ومن هاتين الكرتين يتولد تيار كهربائي تختلف قوته من سبعة ملايين فولت الى خمسين مليون فولت

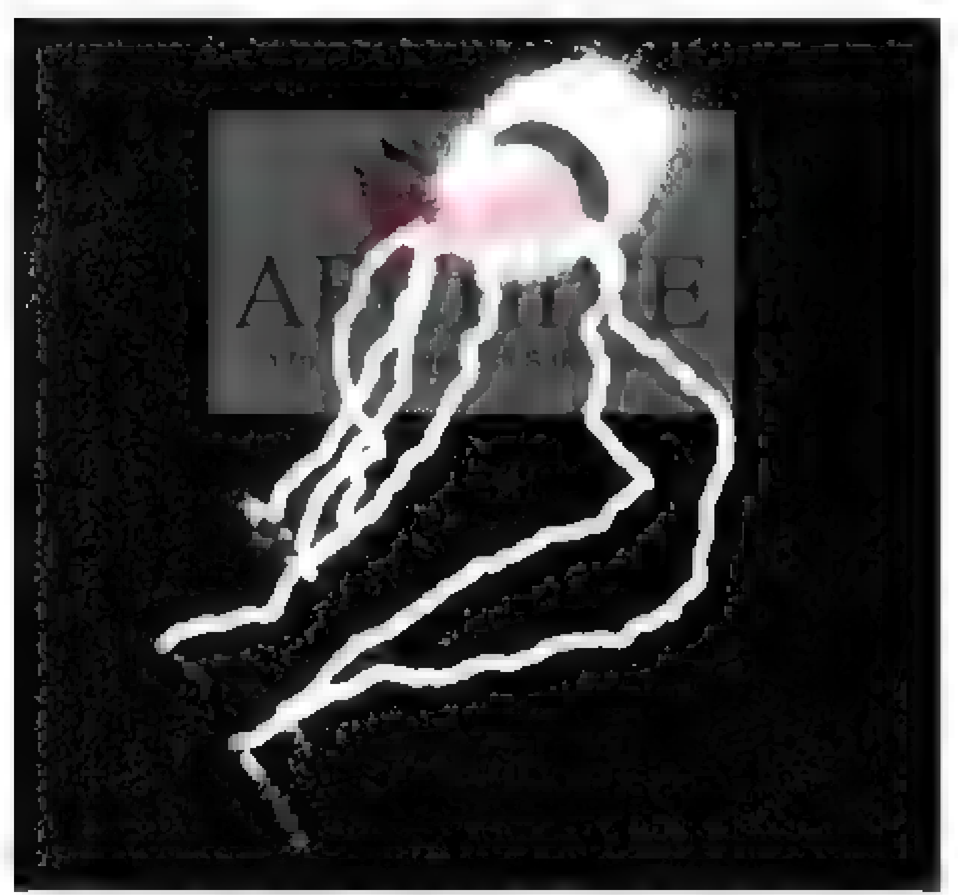

صورة الومضة الكهربائية المنبعثة من جهاز الدكتور فان جراف المسمى « مولد القوة الكهربائية » ، وقد قضى مستنبط هذا الجهاز ست سنوات لاكمال اختراعه ، وهو يرجو أن يتمكن به من تحطيم الجوهر الفرد وانتزاع سر بوابته

رأى الأستاذ احمد عطية الله حاجة مصر الى تقويم للتعليم يحوى كل الشئون التي تهم المشتغلين بالتعليم والتربية ويتقفون في دوره ومعاهده. وقد شرع في اصدار هذا التقويم الذي يجرى طبعه الآن في دار الهلال. وقد رأينا ان نقتطف من هذا المقال فيه يعالج موضوعا هاما وهو :

كيف يتعلم العميان

تعتبر مصر زعيمة العميان في العالم. وليس في هذه الزعامة موضع للفخر، لا سيما اذا أضفنا أن المجهودات التي بذلت في تعليم هؤلاء العميان لا تكاد تذكر، بل انها تعتبر في حكم العدم. وكثير من الدول الأوربية يعلم أن مصر بما فيها من العميان الذين يعدون بالآلاف قد سارت شوطاً بعيداً في سبيل رعايتهم، فيمكنها بذلك أن تكون قدوة لغيرها في النظم الخاصة برعاية العميان أو طرق تعليمهم. ولكن مع الأسف ان هذه الزعامة لا تعدو الزعامة العددية فقط. وغاية ما يقال من هذه الناحية أن الهيئة الصحية بامراض العيون قد أخذت دوراً هاماً، بفضل مستشفيات الرمد المتنقلة والثابتة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها، فخفضت شيئاً من نسبة عدد العميان لا سيما اذا عرفنا مبلغ فتك هذه الأمراض الرمدية في صغار الأطفال.

وتبعاً لاحصاء سنة ١٩٢٧ ــ وهو الاحصاء الرسمي الأخير ــ يوجد بمصر من العميان (كاملي العمى) ١٠٩٩٣٤ منهم ٥٨١٩٨ من النساء. هذا عدا ٢٦٦٥٥٥ ممن يعتبرون في حكم العميان. ومعنى ذلك أن في مصر نحو نصف مليون أعمى. وفي القاهرة وحدها يوجد من العميان ٦٥٢٢ عدا من يعتبرون في حكم العميان. وفي حي واحد كحي بولاق يوجد ١٠١٧ أعمى منهم ٥٢٥ من النساء

ماذا لدينا من مدارس العميان

ان العدد الاكبر من العميان القادرين على العمل يشتغلون في الامور الدينية كتلاوة القرآن أو العمل في الكنائس القبطية. والى عهد قريب كان هناك عدد كبير من فقهاء الكتاتيب من العميان الذين ــ بطبيعة الحال ــ لا يعرفون شيئاً عن القراءة والكتابة. وللازهر فضل كبير في تعليم العميان لا سيما وأن الدراسات العقلية التي تتميز بها الدراسة الازهرية ميسورة للأعمى، ولكن عندما أدخلت العلوم النظرية حصل شبه امتياز للعميان وهو اعفاؤهم من أداء الامتحان في العلوم النظرية كالكتابة والقراءة والرياضيات والعلوم الطبيعية بانواعها

مدرسة العميان بالزيتون

لعل المدرسة الوحيدة التي أنشئت لغرض تعليم العميان بالمعنى الصحيح هي ما أقيمت للعميان في الزيتون بضواحي القاهرة في سنة ١٩٠١ من مال تبرعت به سيدة انجليزية هي المرحومة مس

مدرس مصرى أعمى علم احدى العميان القراءة على طريقة « برايل »

برنامج ، وقد ساعدتها الحكومة الانجليزية بجوائز توصية من الملكة فكتوريا ثم من الخديوي السابق . وكان الغرض من هذه المدرسة ترقية العميان عقلا وجسدا حتى يمكنهم أن يعولوا أنفسهم بعد خروجهم من المدرسة التي لا تنتمي إلى طائفة من الطوائف

وفي سنة ١٩٠٤ كانت تدير المدرسة لجنة مؤلفة من ١٤ عضوا منهم ٧ أوربيون و٧ من المصريين وكان فيها وقتئذ ٢١ تلميذا . وقد قامت هذه المدرسة بخدمات جليلة فعلمت كثيرا من العميان مبادئ القراءة والكتابة والصناعات اليدوية . وكانت إلى عهد قريب تمنحها الحكومة إعانة مالية كل عام . إلا أنها في الوقت الحاضر في حالة يرثى لها وتحتاج إلى المعونة من وزارة المعارف ، لهذا شكلت لجنة برئاسة مستر كرغ وعضوية بعض المصريين والأجانب لتحسين حال هذه المدرسة

مدارس أخرى للعميان

وفي سنة ١٩٠٠ أسست سيدة [illegible] أيضا تدعى [illegible] مدرسة أخرى للعميان في الاسكندرية . والصعوبة التي كانت تعترض هذه المدرسة وأمثالها هي أن العميان يفضلون عيشة الشحاذة السهلة على عيشة [illegible] وفي الوقت الحاضر مدارس صغيرة للعميان في القاهرة تشرف عليها [illegible] التي بذلت في سبيل تعليم العميان ترجع إلى الأجانب [illegible] وهذا [illegible] وفي مهمشة مدرسة كليريكية بالأقباط [illegible] الصناعات

كما أنشئت جمعية برئاسة [illegible] وزارة [illegible] الصحية ، غرضها رعاية العميان لا سيما من الناحية [illegible] ولكن هذه الجمعية لا يزال يعوزها المال ولم تبدأ عملها بعد

تعليم العميان ووزارة المعارف

في عام ١٩٢٦ فكرت وزارة المعارف في شأن تعليم العميان فأنشأت قسما لتخريج معلمات لتعليم العميان ألحقته بمدرسة معلمات بولاق حينئذ

ثم أصلحت من هذا القسم لا سيما بعد إرسالها معلما للتخصص في علم تعليم العميان إلى انجلترا في سنة ١٩٢٧ ثم معلمة لدراسة طرق تعليمهم بعد ذلك . ولتحقيق الغرض من هذه البعثات وهذا القسم بدأت مراقبة التعليم الأولى بانشاء فصول لتعليم العميان ببعض مدارسها الإلزامية في القاهرة ، على أن تتعدد وتنتشر وتستقل بعد ذلك ولكن مجهودات وزارة المعارف وقفت عند هذا الحد مع أن عنايتها مازالت مستمرة بشأن تخريج معلمات العميان . لهذا كانت هذه العناية غير مثمرة ولا تؤدي الغاية منها ، لوجود طائفة من المعلمات (المبصرات) للعميان ليس محله الاهتمام بأمر العميان اطلاقا

كيف يتعلم العميان

يتعلم العميان القراءة والكتابة والحساب والعلوم المختلفة إلى حد ما ، إلى مستوى لا يقل عن

مستوى التعليم العادى ، إلا أنه تستخدم أجهزة خاصة لطرق تعليمهم . وأهم الطرق المستعملة لتعليم العميان القراءة والكتابة الطريقة المعروفة بطريقة « بريل » أو (براي) ، وهي طريقة فرنسية تستعمل الآن في كل لغة . ويرجع الفضل في إدخال هذه الطريقة إلى العربية ، إلى مجهودات سيدة إنجليزية أيضاً هي مس ليفل من المتصلات بالإرساليات التبشيرية الإنجليزية . وقد توفيت هذه السيدة منذ عامين في القدس . وطريقة بريل هذه مبنية على نظام ست نقط بارزة توجد بالتبادل لتدل على الحروف الأبجدية ، فحرف « الف » مثلا تدل عليه نقطة واحدة وحرف « ب » نقطتان رأسيتان وحرف « ت » نقطتان أفقيتان ، وهكذا . ويستعمل ما يشبه المخراز للكتابة بهذه الطريقة

ويستعمل لتعليم الحساب الطريقة الانجليزية المعروفة بطريقة « تيلر » وذلك باستعمال لوح به فتحات مثمنة الشكل توضع بها أرقام نهاياتها مختلفتان لتمس في كل وضع على الأرقام الحسابية وغيرها

وبصدور قانون التعليم الإلزامي في سنة ١٩٣٣ صارت العناية بأمر العميان أمراً لا شبهة فيه إذ أن هذا القانون لا يستثني إلا الأطفال الذين لا يمكن تعليمهم . ولكن إلى الآن لم يطبق هذا القانون تطبيقاً ما على العميان . إلا أن الروح القومية السائدة في مصر في الوقت الحاضر لا شك في أنها ستكون أكبر عون في تحقيق هذه النهضة الإنسانية ، وبذلك ترفع مصر عن عاتقها حملا ثقيلا ورثته

أحمد عطية الله

■ ■ ■

مباراة في القصة العصرية

جائزتها ٢٠ جنيها

نلفت نظر القراء إلى هذه المباراة المنشورة في صفحة أخرى من هذا العدد ، وقد رصدنا لها جائزة مالية قيمتها ٢٠ جنيها

جمعي يشتغلون صنع الأسبات

العمي يبصرون بأيديهم

كان الانسان في الزمان الغابر إذا حكم عليه القدر بالعمى لم يكد يحس شيئاً من متاعب الحياة بل يعيش في عزلة عن العالم، ولكن منذ قرن ونصف قرن تقريباً لم يعد الأعمى انساناً مهجورا لا يتمتع بالعالم ولا يستفيد العالم منه. وقد جد العلماء وذوو المروءة في البحث عن وسائل لتعليم العميان وفتح ابواب الحياة امامهم . وبعد ان اخترعت لهم حروف برايل وطبعت بها الكتب ابتكر البعض أخيراً وسيلة لجعل الحروف العادية مقروءة لهم بواسطة تسليط اشعة عليها

وقد بدأ تأسيس مدارس خاصة بالعميان منذ الثورة الفرنسية . وبعد ذلك صار كل بلد متمدن لا يخلو من مدرسة خاصة بهم تعلمهم العلوم اللازمة إلى جانب الحرف اليدوية التي يكسبون بها رزقهم

وفي برلين مدرسة للعميان تعد أرقى مدرسة في نوعها . واساس التعليم فيها هو تدريب حاسة اللمس لدى التلاميذ العميان حتى يمكنهم ان يستعيضوا بها عن حرمانهم البصر . ولهذا الغرض تستعمل في تعليمهم أدوات ونماذج تمثل الكرة الارضية بجبالها ووديانها وبحارها وأنهارها ، واخرى تمثل مختلف الحيوانات والنباتات ، او تبين لهم الاختراعات الحديثة ووسائل النقل . ويأخذ التلاميذ في تحسس هذه النماذج باصابعهم حتى تتهيأ لهم عنها فكرة معينة في خواطرهم ، فاذا ذكرت امامهم كلمة « طيارة » مثلا عرفوا تركيبها وطريقة سيرها ، ويتساءلون ويعرفون العالم وما فيه كما يعرفه المبصرون

وننشر مع هذا الكلام صورا من تلك المدرسة وطرق التعليم فيها

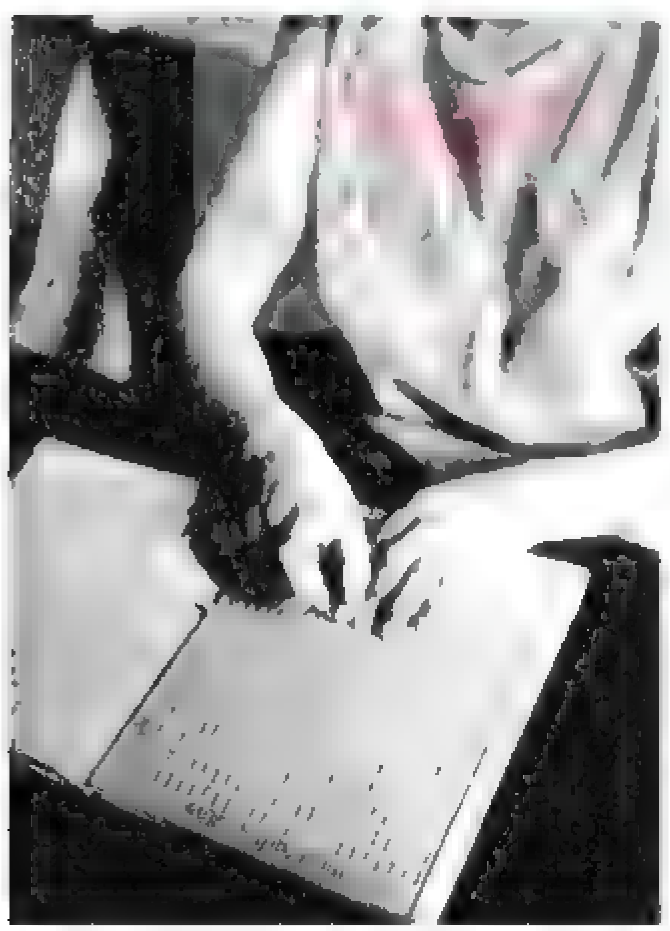

الى اليسار : فتاة تتعلم الكتابة بطريقة « برايل » وذلك بوضع نقط في خانات اللوحة بواسطة « دبوس » راه في يدها اليمنى

الصورة المنشورة على الصفحة السابقة تمثل ثلاثة من طلبة مدرسة العميان ببرلين يطوفون عرضاً في البوارج الحربية بواسطة اللمس

بعض تلاميذ مدرسة العميان [illegible] يتلقون درساً في الجغرافيا

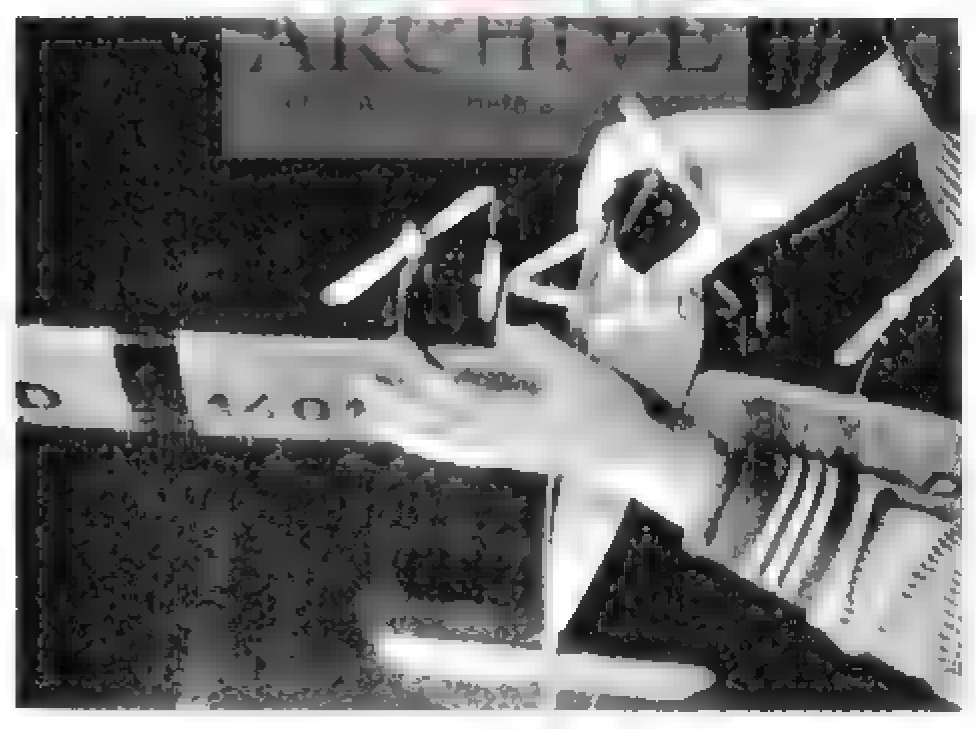

درس في الطيران بواسطة اللمس

بدائع الفسيفساء في عهد البيزنطيين

رسوم الطيور والحيوانات على ارض الغرف

تتطور الفنون الجميلة مع الايام تطوراً يرمي الى الاتقان والتجديد ، فيطمس كل عصر من العصور معالم العصر الذي سبقه . فلا يبقى من القديم غير آثار متناثرة ، يهملها الناس مدة من الزمن ، حتى إذا ما مرت عليها العصور وعثر عليها المنقبون تحت التراب والردم ، اسرعوا إلى انتزاعها بعناية ودقة واهتمام ، وانكبوا عليها يدرسونها آسفين على ما أصابها من عاديات الايام !

هذا شأن آثار الفراعنة والرومانيين واليونانيين وغيرهم من الامم والشعوب الاولى . وهكذا سيكون شأن الفنون الجميلة اليوم ، عندما تمر عليها العصور وتصبح في نظر الاعقاب المقبلة ، آثاراً قديمة .

كان العرب والبيزنطيون والرومانيون وغيرهم من الشعوب يعنون عناية خاصة برصف أرض الغرف في منازلهم وقصورهم بالفسيفساء البديعة الصنع . وكانوا يتفننون في صنعها ويتسابقون ويتبارون في اتقانها ويضعون الجوائز للفائزين من الصانعين في صنعها وتنسيقها ، فتركوا لنا منها نماذج تعد آيات فنية من حيث الصنع والذوق والاختيار . وقد كسدت صناعة الفسيفساء ، أو بالحرى كسد هذا الفن من زمن بعيد ، ولم يبق الآن غير ما عثر عليه المنقبون من وقت إلى آخر . وقد حلت محل الفسيفساء أنواع البلاط التي تخرجها المصانع الميكانيكية كل يوم بعشرات الآلاف ، والتي قد تكون من حيث الرسوم والنقوش أقرب إلى الأشكال من تلك الفسيفساء القديمة ، ولكنها لا تعادلها في حسن الذوق والاختيار والدقة الممزوجة بالبداعة ـ والبداعة قيمتها في جميع أنواع الفنون

كان الاقدمون ـ وعلى الخصوص سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية المعروفة باسم بيزنطة ـ يتقنون صنع الفسيفساء إلى ابعد حدود الاتقان . وكانوا يزينون بها منازلهم فيختارون لكل قاعة من قاعاتها ، ولكل حجرة من حجراتها ، الرسوم التي تتفق والغرض الذي انشئت من أجله تلك الحجرة أو الغرفة . فقاعة الاستقبال رسومها الخاصة . وابهو المنزل رسومه . والحمام رسوم لا ترى في حجرة أخرى . ولكل ناحية وركن من أركان المنزل ونواحيه الرسوم اللائقة الموافقة . غير أن هناك رسوماً كانت شائعة ومشاعة بين الغرف والقاعات جميعها ، تلك هي رسوم الطيور والحيوانات التي كان القوم يخرجون لاصطيادها في الجبال والبراري والغابات . وكانوا يتفننون في رسم صور تلك الحيوانات في منازلهم ، مع اعتبار توزيع تلك الرسوم طريقة لاتتنافى مع الذوق السليم

ففي الحمام مثلا كانوا يرسمون طيور الاوز والبط لانها تعيش في الماء ولأن الحمام هو « حجرة الماء » في المنزل

وفي القاعات المخصصة للرجال ومجالسهم كانوا يرسمون صور الحيوانات القوية الشرسة الكاسرة كالنمر والدببة والاسود وغيرها

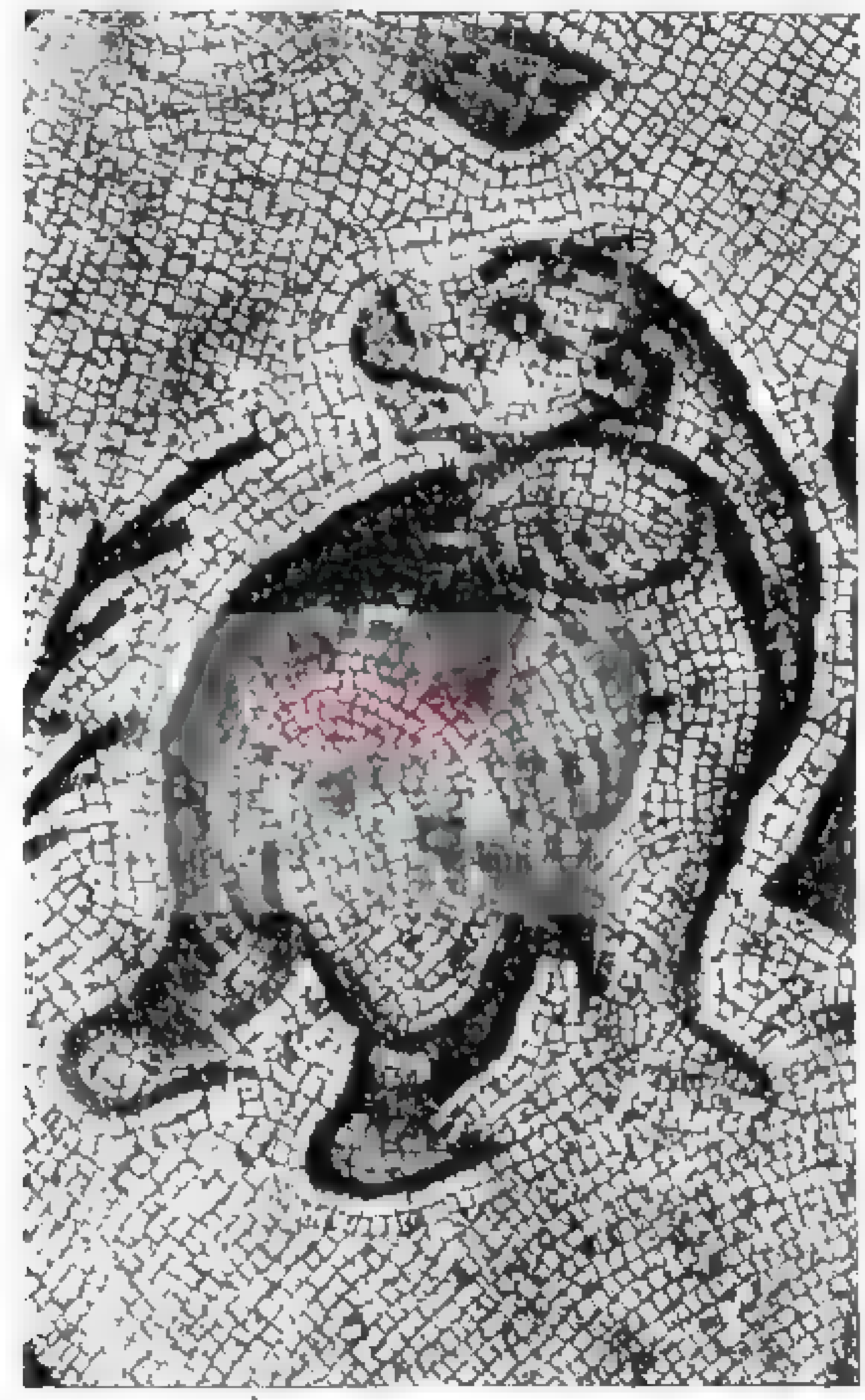

دب مرسوم بالفسيفساء في أرض منزل بيزنطي اكتشف حديثا بالقرب من بيروت

أما حجرات السيدات فإنهم كانوا يحتفظون لها بصور الغزلان والثعالب والطواويس !

وقد اكتشف المنقبون أخيراً في بيروت وغيرها من المدن السورية واللبنانية ، حيث تقوم بعثات مرتبية بأعمال الحفر والتنقيب ، طائفة من الفسيفساء القديمة الصنع ، بينها مجموعة من رسوم الحيوانات والطيور التي تقف أمامها الناظر ذاهلاً مسحوراً حائراً . ويتساءل قائلاً : « أيمكن أن تكون هذه الرسوم من صنع يد الإنسان ، منذ مئات السنين ، عندما لم يكن لديه من الأدوات اللازمة للعمل ما لدينا نحن الآن ؟ »

هذا ما يقوله الناظر إلى تلك الفسيفساء نفسه . وهذا ما يقوله نفسه أيضاً الناظر إلى التحف الرائعة التي تضمها دار الآثار المصرية ، والتي اكتشفت في مقابر الفراعنة

* * *

وقد دعانا إلى التحدث عن الفسيفساء في عهد البيزنطيين والعرب وغيرهم ، حصولنا على الصور الثلاث المنشورة مع هذا المقال ، والتي تمثل أرض حجرات ثلاث في منزل بيزنطي اكتشف أخيراً بالقرب من بيروت بلبنان . فإن تاريخ هذا الاكتشاف يرجع إلى بضعة شهور ، وقد تحدثت عنه في حينه مجلتنا « المصور » ، ولكن الاكتشاف في ذلك الوقت لم يكن قد برز بعد في صورته الحاضرة ولم تكن أهميته قد وضحت تماماً كما هي الآن . فإن المنقبين الذين أشرفوا على استخراج الفسيفساء من المنزل البيزنطي في بيروت ، قد عالجوها بالأساليب الفنية في مثل هذه الحال ، وتمكنوا من إعادتها إلى سابق عهدها من رونق وبهاء ، فإذا بها نموذج فريد في نوعه ، بديعة في صنعها ، قلما يوجد له مثيل بين نماذج الفسيفساء القديمة الموجودة الآن .

وتناولت الصحف الفرنسية قصة هذا الاكتشاف بالبحث والدرس ، فأجمعت على أنه من أهم الاكتشافات البيزنطية التي عثر عليها في الشرق ، وأن الفسيفساء البيزنطية التي أعيد رصفها بدقة ووضوح ، تعد في طليعة النماذج الموجودة منها في متاحف العالم

ويرجع تاريخ الفسيفساء التي نتحدث عنها الآن إلى القرنين الخامس والسادس للميلاد ، وقد اتضح أنها اتخذت فيما بعد أنموذجاً للفسيفساء التي صنعها الفنانون البيزنطيون لأرض الكنيسة التي شيدوها في دمشق ، والتي حولها العرب إلى مسجد في عهد الأمويين ، وعرفت منذ ذلك الوقت بالجامع الأموي

والفسيفساء البيزنطية التي نتحدث عنها ، مصنوعة من قطع صغيرة مربعة من الزجاج والحجارة ملونة ، وهي تمثل طائفة من الحيوانات في أوضاع طبيعية تدل على أن صانع الفسيفساء درس طبيعة كل حيوان من الحيوانات التي رسم صورها ، أو أنه رأى ذلك الحيوان فالتقط صورته كما تلتقط الآلة اليوم ما يريده صاحبها من صور سريعة

فهذا دب سمع صوتاً غريباً فالتفت مرعوباً غاضباً فاغراً فاه . وهذا نمر ربض على الأرض متحفزاً للوثوب . وهذا غزال يسرع إلى مورد الماء . وهي النماذج الثلاثة التي ننشر صورها مع هذا البحث المقتضب عن الفسيفساء وإتقانها في عهد البيزنطية الشرقية

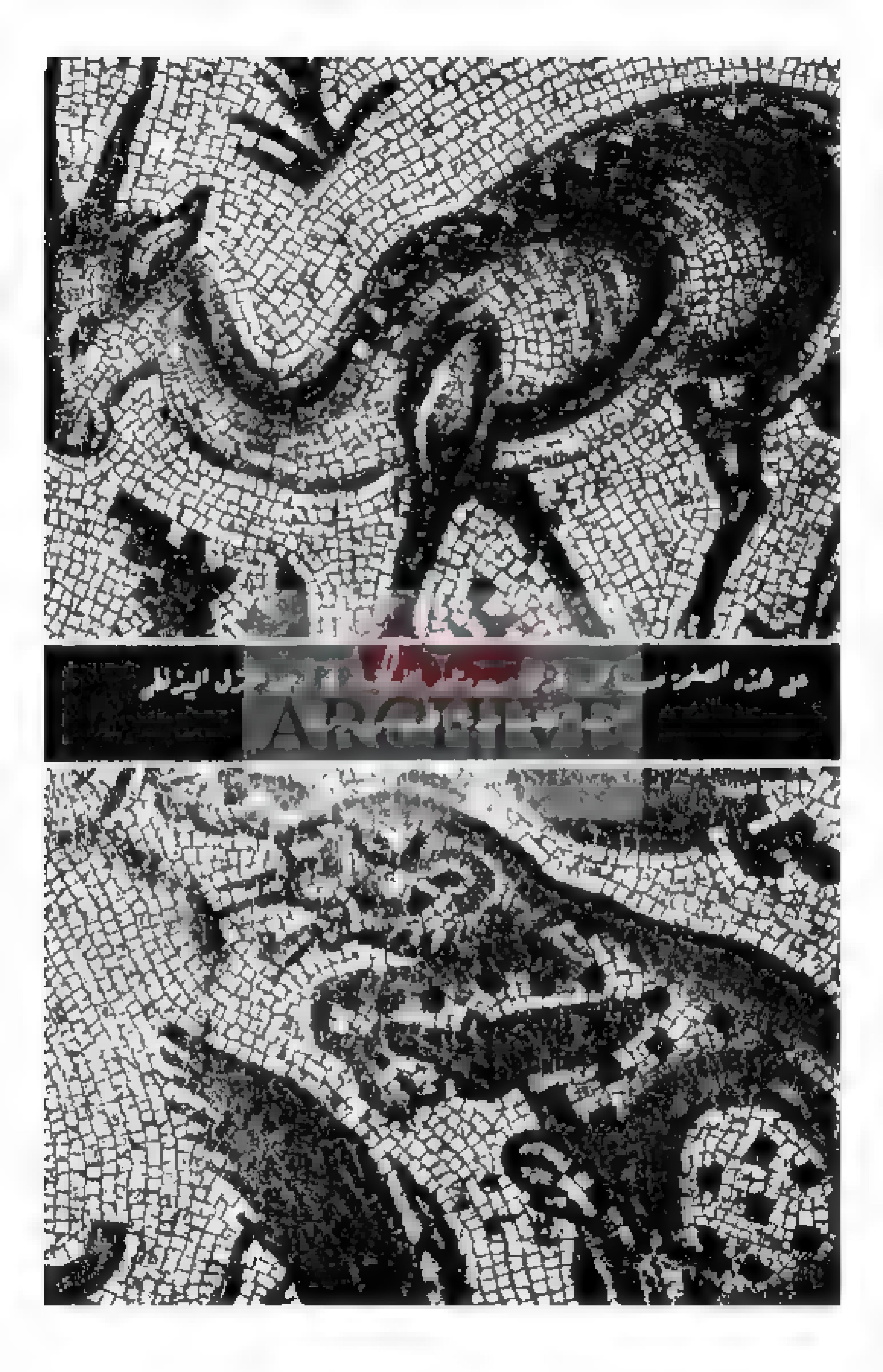

الاخطل ومكانته

في شعراء عصره

بقلم الاستاذ احمد الاسكندرى
أستاذ الادب العربي بكلية الآداب بالجامعة المصرية

هو أبو مالك غياث الاخطل بن غوث التغلبي النصراني

وتغلب وبكر ابنا وائل من اعظم قبائل ربيعة واشدها بأساً . ولما جاء الاسلام اسلمت عامة بكر بن وائل ، وبقيت بطون من تغلب على نصرانيتهم . وكانوا ينزلون غربي الجزيرة بقرب الشام والثغور الرومية على شاطئ الفرات وما بينه وبين نهر يصب فيه يسمى « الخابور »

وكان منهم بنو مالك بن بكر بن جشم رهط الاخطل ينزلون على ماء يسمى « البشر » ، ويعيشون عيشة اهل البدو ، ويقومون على رعاية نعمهم ودوابهم ، وليس لهم حاضرة . ولما فتح عياض بن غنم رضي الله عنه بلادهم ، واراد ضرب الجزية على عادتهم عملاً بأن يعاملوا معاملة الروم وهم عرب ، وجلوا عن ارضهم . فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بردهم على ان يأخذ منهم ضعف صدقة المسلمين وزكاتهم ، ولا تسمى جزية ، وان يدفعوا خراج الارض على ألا ينصروا اولادهم فرضوا ، ولكنهم بعد وفاة عمر لم يفوا بشرطه ، ونصروا اولادهم . فلما حدثت الفرقة بين المسلمين وعلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بخلافهم شرط عمر آلى اذا فرغ لهم ليقتلنهم ، لانهم خرجوا عن ذمة المسلمين . ولعل ذلك كان سبب مظاهرتهم لمعاوية وبني امية من بعده

وكان لهم بلاء عظيم في نصرة مروان بن الحكم على الضحاك بن قيس عظيم العرب القيسية شيعة ابن الزبير ، فاشتدت بذلك العداوة بينهم وبين القيسية ، وأفضت الى حروب وغارات دامت بين الفريقين دهراً طويلا ، واشترك في هذه الحروب والغارات بنو مالك بن بكر بن جشم رهط الاخطل والاخطل ، وقتل له فيها ابن يسمى « أبا غياث »

نشأة الاخطل

يؤخذ من اخبار الاخطل أنه ولد في خلافة عمر في اثناء فتح الجزيرة ، وكان يلقب في صغره « دوبلا » (١) ونشأ بين قومه نشأة صبيان الاعراب وما شب حتى قال الشعر . ولم يبدأ به بداءة خير بل سعى به على القريب والبعيد . فلقب « الاخطل » قيل لقبه ابوه ، وقيل لقبه كعب بن جعيل اكبر شعراء

---

(١) ومن معاني الدوبل : الذئب الهرم ، وولد الحمار ، أو الخنزير

تغلب فى عصره واوجههم عند الخليفة معاوية وشاعر جيشه فى حروبه مع على ، ونخ الهجاء بينهما

ولما انتهى امر الخلافة الى معاوية وهدأت الفتن وطاب العيش لاهل الحجاز بما ورثوا من آبائهم الفاتحين اخذ اهل البطالة من شبانهم يلهون بالشعر واستماع الاغانى من القيان ، ولا تطيب الاغانى الا بالتشبيب والغزل ، فأمعنوا فى الغزل والتظرف به وشببوا بمن يعرفون ومن لا يعرفون من بنات الاشراف . وكان من هؤلاء المتظرفين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فشبب بمرأة عبد الرحمن ابن الحكم اخى مروان بن الحكم ــ وكلاهما من اهل المدينة ــ وتهاجيا حتى افتضحا وبلغت اخبارهما يزيد بن معاوية بالشام فحمى وتعصب لقريبه عبد الرحمن الاموى

وقيل ان ابن حسان شبب برملة بنت معاوية اخت يزيد فأغضب يزيد . والرواية الاولى اقربهما الى الصحة لاضطراب الرواة فى الثانية وتناقضهم . وامر يزيد كعب بن جعيل ان يهجو الانصار فأبى عليه . وقال : « اترادنى انت الى الشرك ؟ اهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ؟ ولكنى ادلك على غلام منا نصرانى كأن لسانه لسان ثور ! لايبالى ان يهجوهم ! » فدله على الاخطل وكأنه كان يريد به الشعر موقعه ان ينتصف به الانصار ، فكان ذلك سبب حقده ونباهة شأنه ، فاحضره يزيد وامره ان يهجوهم فقال : « أدرك من امير المؤمنين ! » فقال : « لا تخف ! انا لك بذلك ! » فهجاهم وابن حسان بأبيات منها :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الانصار
فذروا المعالى لستم من اهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النجار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير سيد بنى النجار من الانصار ، وقد شهد مع معاوية موقعة صفين ولم يكن معه من كبار الانصار غيره . وكان له عند معاوية منزلة سنية ، فدخل على معاوية غضبان اسفاً ، فحسر عن رأسه عمامته وقال : « يا امير المؤمنين ! اترى لؤماً ؟ » قال : « لا بل ارى كرماً وخيراً ! ماذاك ؟ » قال : « زعم الاخطل ان اللؤم تحت عمائمنا ! » قال : « او فعل ؟ » قال : « نعم ! » قال : « لك لسانه ! » (اى لك ان اقطع لسانه) وكتب فيه ان يؤتى به ، فلما اتى به سأل الرسول ليدخل به الى يزيد اولا فأدخله فقال : « هذا الذى كنت اخاف ! » قال : « لا تخف شيئاً ! » ودخل على معاوية وقال : « علام ارسل الى هذا الرجل وهو يرمى من وراء حرمتنا ؟ » قال : « هجا الانصار ! » قال : « ومن زعم ذلك ؟ » قال : « النعمان بن بشير » قال : « لا يقبل قوله عليه وهو يدعى لنفسه ! ولكن تدعوه بالبينة فان اثبت شيئاً آخذته به له » فدعاه بالبينة . فلم يأت بها ، فخلى سبيله

ومن ثم اصبحت له الحظوة عند يزيد ولى عهد وخليفة ومدح اولاد يزيد ، وظاهر هو وقومه مروان وشيعة بنى امية على الزبيرية والقيسية وناضل عنه بلسانه ، وهجا اعداءه حتى كثباً اخوال يزيد لخروج الامر من ايدى بنى حرب ، وصار مروانياً بقية حياته

ولم تطل مدة مروان وخلفه عبد الملك ابنه فاتخذه لسان سياسته وسوط عذابه على مضر وشعرائها ، لمظاهرتهم آل الزبير والهاشمية عليه ، ومدحه بقصائد خالدة لم يمدح بمثلها، فوجهه عنده وعند بطانته وأغدق عليه عطاياه واحتمل تدلله وتيهه حتى سمح أن يدخل عليه بدون إذن وسماه شاعر الخليفة

ومدح في زمن عبد الملك أخاه بشر بن مروان . وكان من دأب بشر الاغراء بين الشعراء ، فيقال إنه هو الذي حمله على التدخل بين جرير والفرزدق ففضل الفرزدق على جرير ، فلقى على كبر سنه من جرير بلاء عظيما . ولم يقم له الفرزدق بأية عارفة وبقى يهاجيه ويناقضه ويساببه بقية حياته . وله مع جرير مناقضات لم تبلغ عدة ما بين جرير والفرزدق

ولم يمدح الحجاج بن يوسف الا تكلفة او كتبن بأمر من عبد الملك ، لاختصاصه بالخلفاء قبل امرائهم ولأنهم كفوه مؤونة الرحلة اليهم

ولما ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك كان له كما كان أبوه ولكن منيته عاجلته في أيامه فمات سنة ٩٠ هـ وقد نيف على السبعين وكان يقيم بدمشق قليلا وبوادى الثرثار من أرض الجزيرة كثيرا

دينه وأخلاقه

لم يصل إلينا أى مذهب نصرانى كان الأخطل ينتحل ، ومن المعروف أن نصارى الفرات وغربى الجزيرة كانوا يعاقبة ، ومنهم طائفة من النسطوريين . وسواء أكان الأخطل من الكاثوليك أم الارثوذكس ، فإن المفهوم من أخباره وشعره أنه كان متشدداً فى أصل عقيدته متهاوناً بالعمل بها شأن نصارى الأعراب فى الجاهلية والاسلام . فقد كانت جمهرة ربيعة ولخم وجذام وتنوخ وكلب وغسان وبعض طيء نصارى ، ولم يظهر لنصرانيتهم أثر فى شعرهم ولا فى أخبارهم ، ولم يكن حظ الأديان والنحل الأخرى بين بداة الأعراب فى الجاهلية بأوفى من حظ النصرانية ، فهم كانوا ينتحلون الأديان اسماً لا تعبداً .

فمع خضوع الأخطل للقساوسة يضربونه فى سب الناس وقذف المحصنات حتى يضج ويخور ويحبسونه فى بيعهم ، ولا يخرجونه حتى يتوب ويحلف ألا يعود ، ثم لا يلبث أن يعود ــ وجدنا من أخباره أنه كان يطلق النساء ، ويتزوج المطلقات كما كان نصارى أعراب الجاهلية يفعلون

أما أخلاقه فكان فى صغره رقا طائشاً بذىء اللسان بذاءة لقب بسببها بلقب « الأخطل »

وكانت أخلاقه تكون مرضية لولا إدمانه شرب الخمر وعكوفه عليها ، حتى كان لا يستطيع أن يوجع فى هجاء ، أو يدخل مع أحد فى شر ، أو ينشد شعراً يمدحه إلا إذا شرب كاسات منها ، وحتى كاد يدخل على الخلفاء وإن رائحتها لتزهر من فيه . ولقد أراده عبد الملك يوما على الاسلام فلم يشترط إلا أن تباح له الخمر ، وأن يعفى من صوم رمضان

وأصلح أخلاقه وأكرمها أنه كان عفيف الشعر فى هجائه فلم تعرض لذكر العورات وما يستحي من سماعه وإنشاده

وكان كأكثر الشعراء لا يمدح ولا يهجو عن رأى واعتقاد . وسمع شعر جرير ففضله على الفرزدق . فلما دخل الكوفة بشر بن مروان والى العراق من قبل أخيه عبد الملك (وكان يعجبه أن يغرى بين الشعراء) قدم الأخطل عليه ، فبعث إليه محمد بن عمير — أحد سادات بنى دارم رهط الفرزدق وأشرافهم — بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر ، وقال له : « لا تعن على شاعرنا ، واهج هذا الكلب الذى يهجو بنى دارم ، فإنك قد قضيت على صاحبنا ، فقل أبياتاً واقض لصاحبنا عليه » فهجا جريرا من قبل أن يعرفه أو يراه

شعره

كان الأخطل مطبوعا على الشعر منذ صباه ، فلما بلغ مبلغ الفحول زاد على هذه السليقة إجادة الصنعة — من حسن تأنق وتهذيب لفظ وتجويد معنى وتصحيح أقسام ، ثم كان لا يكتفى بتبع طبعه وصنعته حتى يعرضه على النقاد و شعراء من قومه فيصغى بنقدهم ويحاول أن يثقف ويعدل ويحذف منه السقط والحشو ، فيعمل القصيدة سبعين أو تسعين بيتا ، فلا يزال ينحى عليها بالتهذيب وطرح الردىء حتى يبقى منها ثلاثين وعشرين بيتا بما يراه من سقطها ، الشعر ينقى وتطهر وكلها عيون

ولقد اتهمه جرير لذلك بأنه لا يهجوه وحده ، وإنه يهجوه معه سبعون شاعراً من قومه لا يقلون عنه ، يجمعهم على طعامه وشرابه ويأخذ فى كل شىء ، ولكن المنصفين ينكرون على جرير هذه التهمة ، إذ رأوا أن شعر الأخطل ديباجة واحدة ، ويعرض الشعر على النقاد غير انتحال كلام الشعراء

وكانت طائفة من الخاصة وعلماء العربية يعجبون بشعره ويفضلونه على غيره ، وعلتهم فى رأيهم صحة شعره ، إذ كان لا يخل فيه ولا يناقض نفسه ولا يبهم حتى يحوج فهمه إلى تأويل أو تقدير محذوف ولا يفحش فى هجائه إفحاش جرير والفرزدق

والذى وضع شعره فى كفة المراجحة مع غيره ولم يكفل له من أول الأمر الغلب على صحته وإيجازه ، أن الأخطل لم يتفرد بالإجادة إلا فى مدح الخلفاء والأمراء والوصف عامة ونعت الخمر خاصة وقصوره عن شأو غيره فى بقية أغراض الشعر

فأما مدحه للملوك والمبالغة فيه فليس يعجب إلا الملوك أنفسهم وبطانتهم وحكيهم من جلسائهم ، ولذلك كان بنو أمية صغارهم وكبارهم حتى أحفادهم بعد زوال دولتهم يفضلون الأخطل على كل الشعراء حتى شعراء الجاهلية ، ويقولون إنه أشعر العرب . ولا يشاركهم عامة الناس فى رأيهم

وأما وصف الخمر فلا يعجب الفقهاء الذين يمقتون شاربها إلا من طريق الصناعة البلاغية ، وجمهور المسلمين فى عصر الأخطل على استنكار شربها والإشادة بذكرها ، حتى لقد حاول جرير

مرارا أن يغص من الأخطل الهجو فى شعره بالخمر وعكوفه على شربها ، فتجمع عند قوم واحتقر عند آخرين . ولذلك النجاح كان جرير يقول : أعنت عليه بخبث دينه . أى انه كان يعيره بشرب الخمر وأكل الخنزير ، وهما خصلتان لا يعيب النصرانى منهما معرة

أغراض شعره وفنونه

قال الأخطل الشعر تسيبا ومدحا وهجاء وفخرا ، وألم بقليل من اغراض أخرى

نسيب

ونريد بالنسيب ما يسمى بالتشبيب أو الغزل . وللأخطل نسيب أو غزل لم ينشأ عن غرام وحب ، وإنما حركه المتقدمين فى افتتاح القصائد به ، إما لميل النفوس إلى حديث الاحبة والاشفاق من سدهم والعطف على من اتصل بحبهم وصدهم ، وإما لاظهار التظرف فى الطبع والحذق فى الصناعة على اختلاف ألوانها . ورأينا فيه أنه ليس برقيق ولا مستجمع لمحاسن النساء فى جملته ، ولعل غزل الفرزدق يربى عليه على خشونته وعنجهيته ، ولكنه لا يصل طبعاً إلى غاية جرير فى الرقة الا فى القليل النادر

على أن هذا القليل كثير من متكلف لم يدخل العشق قلبه

ومما يؤخذ عليه أنه إذ ذكر النساء حط غزله بكثير من ذكر حجابهن ومكرهن وغدرهن وخلابتهن ، فى القليل الجيد من غزله قوله من قصيدة :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر ... وإن كان حيانا عدى آخر الدهر
وان كنت قد أقصدتنى إذ رميتنى ... بسهمك ، والرامى يصيب وما يدرى
أسيلة مجرى الدمع ، أما وشاحها ... فيجرى ، وأما الحجل منها فلا يجرى
وكنتم اذا تنأون منا تعرضت ... خيالاتكم أو بت منكم على ذكر

وقوله من أخرى يتغزل ويصف طيف خيال حبيبته :

طرق الكرى بالغانيات وربما ... طرق الكرى منهن بالأهوال
حلم سرى بالغانيات فزارنى ... من أم بكر موهناً بخيال
أسرى لأشعث ماجد بمفازة ... بخيال ناعمة السرى مكسال
فلهوت ليلة ناعم ذى لذة ... كقرير عين أو كناعم بال
بغريرة نفخ النعيم شبابها ... غرثى الوشاح شديدة الخلخال
فى صورة تمت وأكمل خلقها ... للناظرين كصورة التمثال
تمت لمن تمت النساء وأكملت ... ملحيك من حسن لها وجمال

وملاحة في منطق مترخم ... منهما وحسن تفتل ودلال
تزهو بمقلة جؤذر بخميلة ... وبمشرق بهج وجيد غزال

مدحه

كان المدح أنفس بضاعة الاخطل وأربحها وأروجها عند خلفاء بني أمية وأمرائهم فلم يعدلوا به أحداً عن مدحهم . ولا عجب فقد روى أصحاب الاخبار عن جرير والفرزدق أنهما أن الاخطل أمدح الناس للملوك . وليس وراء سليقته الشعرية من سبب لتخرجه في هـذه الصنعة الا طول انقطاعه لمدح بني أمية منذ اتصل في صباه بيزيد بن معاوية ، وهو ولي عهد أبيه إلى انتهاء أجله أي نحو خمسين سنة . وفي أقل من هذه المدة دربة لمن أراد أن يتعرف أخلاق مواليه وما ينبو عنه ذوقهم ، وما تهوى اليه أفئدتهم ، فلا يعرض عليهم مدحه الا من الناحية التي ترومها . ولعله انتفع بالدرس الذي ألقاه عليه في صباه شيخهم ومؤسس دولتهم معاوية بن أبي سفيان . فقد روى السيد المرتضى عن أبي عبيدة أن الاخطل وفد على معاوية فقال : « إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال : « ان كنت شبهتني بالحية أو الاسد أو الصقر فلا حاجة لي بها ، وإن كنت قلت في كما قالت الخنساء :

وما بلغت كف امرىء متناول ... به المجد الا حيث ما نلت أطول
وما بلغ المهدون في القول مدحة ... وان صدقوا الا الذي فيك أفضل

فهات » فقال الاخطل : « والله لقد أحسنت . وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته » فأنشده :

اذا مت مات العرف وانقطع الندى ... فلم يبق الا من قليل مصرد
وردت أكف الراغبين وأمسكوا ... عن الدين والدنيا بخلف مجدد

فأحسن صلته

فنحن نرى أن القطعتين متقاربتا المعنى . وأن الغرض منهما أن الممدوح فاق الناس جميعاً في الندى والمكارم . وهذا المعنى مبتذل يدور على ألسنة الناس في محاوراتهم ومبالغتهم في أحاديثهم في الجنس الواحد المرة والمرتين ، ولكن اذا صيغ في لفظ شريف وأسلوب أنيق أعجب من يرون في خاصة أنفسهم أنهم فوق البشر — وهم الملوك — واذا وصفهم الشاعر بوصف يشاركهم فيه أعوانهم أو يزيدون عليهم فيه كرهوه وملوا استماع بقية قصيدته . وهذا الذي لفت الخليفة معاوية نظر الاخطل اليه فعرف منه أن الملوك لا ترضى بغيره .

وانظر الى حكاية جرير حين قدم على عبد الملك ليمدحه ، فامتنع من استماع مديحه ، وقال : « انما أنت للحجاج » وطرده من مجلسه بحال مزرية حتى شفع فيه محمد بن الحجاج وأذن له في انشاده وسمعه غير مكترث بما يقول ، فلما بلغ في مدحته :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

تبسم عبد الملك وقال : « كذلك نحن ! وما زلنا كذلك ! » ، وأجزل له عطاء لم يجز بمثله . فهذا الخليفة الحازم الوقور المعتبر المؤسس الثاني لملك بني أمية كيف مدحه واستفزه وأخرجه عن حلمه ووزانته بيت واحد من الشعر وجعله يطن بين أهل عمله صحة بيت كاذب يعرف هو كذبه ويعرفه الاشهاد من جلسائه ؛ فلا هو ولا عشيرته خير من ركب المطايا ، ولا أكرم العالمين ، ولكنه حب التفرد بالملك والاثرة والرياسة

ومثل هذه القصة قصص لا تحصى للشعراء مع الملوك ، ومنها نعرف عذر الشعراء في توخيهم المبالغة وتحريهم بها رضى الملوك ، ونعرف معنى قولهم في الشعر : « أعذبه أكذبه »

وأكثر ديوان الاخطل في مدح بني أمية وأوليائهم ثم يلي المدح الهجاء ، وأكثر وصف الخمر او الفلاة أو الوحش أو الناقة أو غير ذلك من الاشياء التي يجيد وصفها يجيء عرضاً خلال مدائحه أو هجائه . وقد يكون الفخر بقومه نصيب فيها ، حتى لنجد كثيراً من مدائحه مشتملة على فخر تزيد في عدة أبياتها على المدح . ومن مدحه قوله :

حشد على الحق عيافو الخنا أنف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا
وان تدجت على الآفاق مظلمة كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جداً ينصرون به لا جد الا صغير بعد محتقر
لم يأشروا فيه اذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

وكرر معنى البيت الاخير في قصيدة أخرى :

ما ان كأحلامهم حلم اذا قدروا ولا كبطشهم بطش لدى الغضب

وقال من قصيدة يمدح بها بني أمية ويخص بشر بن مروان :

فالله لم يرض عن آل الزبير ولا عن قيس عيلان حتى طالما ضربوا
يخاطرون أبا العاصي ، وهم نفر في هامة من قريش دونها شذب
بيض مصاليت أبناء الملوك فلن يدرك ما قدموا عجم ولا عرب
ان يحلموا عنك فالاحلام شيمتهم والموت ساعة يحمى منهم الغضب
كأنهم عند ذاكم ليس بينهم وبين من حاربوا قربى ولا نسب
كانوا موالي حق يطلبون به فأدركوه ، وما ملوا وما تعبوا
ان كان للحق أسباب يمد بها ففي أكفهم الارسان والسبب

[البقية في العدد القادم]

احمد الاسكندري

أفراح الأنجال

من مذكرات صاحب السعادة احمد شفيق باشا

[يقوم سعادة احمد شفيق باشا رئيس الرابطة الشرقية بتدوين مذكراته عن الخمسين عاماً الماضية . وهذه المذكرات تهم كل من يتناول تاريخ مصر في خلال هذه الحقبة . وهي تعطيك صورة واضحة عن حوادث هذه السنين لأن كاتبها شاهدها واطلع على خفاياها بنفسه . وحصل على صور لاتتاح إلا لمثله . ونحن ننشر هنا فصلاً مما سينشره في الجزء القادم عن أفراح الأنجال]

ومن الأفراح التي شاهدتها في عهد التلمذة « أفراح الأنجال » وهم توفيق ، وحسين ، وحسن أبناء الخديو اسماعيل ، بزواج البرنسيسات : أمينة هانم أفندى كريمة الهامي باشا بن عباس باشا الأول . وعين الحياة هانم أفندى ، بنت البرنس احمد باشا بن ابراهيم باشا الاول . وخديجة هانم أفندى ، بنت البرنس محمد علي الصغير بن محمد علي باشا الكبير . وزواج اختهم البرنسيس فاطمة هانم أفندى ، بالبرنس طوسون بن محمد سعيد

وقد ابتدأت هذه الافراح بحفلة عقد (كتب الكتاب) التي دعي اليها – غير أعضاء الاسرة الخديوية – العلماء ، والنظار ، وكبار الاعيان ، في سلاملك قصر العالي . وكان يرأس الحفلة خليل اغا ، الذي كان محط الاجلال جميعاً ، حتى كانوا يقبلون يده عند المقابلة لنفوذه الكبير عند اسماعيل ووالدته ، وتحكمه في الدوائر الحكومية ، وبذلك أصبح من ذوى الثروات الضخمة

ابتدأت الحفلة بقراءة القرآن الكريم ، ولما تم اجتماع المدعوين دخل الشهود الى داخل الحريم يتقدمهم الاغوات ، حتى إذا وصلوا الى باب العروس المسدول عليه الستار ، سألوا العروس التي كانت بالداخل محاطة بقريباتها وصاحباتها : « هل تقبلين أن يكون فلان زوجك » ؟

على ان هذا يعقبه سكون تام ، فيعاد عليها السؤال ثانياً وثالثاً الى أن تجيب العروس بالقبول . فينصرف الشهود الى « السلاملك » ويمضى العقد ، وتقدم الشربات في اقداح من الذهب وتوزع الشيلان على المدعوين . وقد دامت حفلات الافراح أربعين يوماً كاملة ، زينت فيها الشوارع المؤدية إلى « القصر العالي » مقر والدة اسماعيل المطل على النيل

وكان امام القصر رحبة (١) فسيحة جداً ، يفصلها عنه شارع قصر العيني الآن ، وقد نصبت بها السرادقات الضخمة المتعددة ، لاستقبال المدعوين يتناولون صنوف الطعام في بعضها ، ويتمتعون بمشاهدة الالعاب وسماع الغناء في البعض الآخر . فقد غصت هذه الساحة بالفرق الموسيقية والغنائية

(١) هي الرحبة التي يشغلها الآن حي المنيرة

وفى مقدمتها تخت عبده الحمولى، وبأنواع الملاهى الأخرى، كما كان فوق قوس النصر (١) فى شارع الميدان، فرقة المزمار الشهيرة بجوقة «القناجيل» الدمياطى

كذلك حضر كثير من الفرق التمثيلية، والجوقات الموسيقية، وفرق الحواة المصرية والأجنبية

ومن أعجب ماشهدته فى تلك الحفلات امرأة «بهلوانة» يطلق عليها اسم «أم الشعور» وكانت تمشى فوق الحبل على ارتفاع كبير، وتحمل معها وهى كذلك شاة صغيرة فتذبحها كأنها فوق الأرض متمكنة فى جلستها. وكذا شهدت أحد الأفراح واقفا على منصة مرتفعة، وفوقه على بعد أمتار نور ساطع على هيئة القمر. وكنا فى أشد الاستغراب لهذا الشكل القمرى المتقن الحيل (٢)

وبمناسبة هذه الأفراح دعا اسماعيل تلاميذ جميع المدارس وطلبتها للاشتراك فيها بتناول الطعام ومشاهدة الألعاب وسماع الأغانى. وكانت تقدم الذبائح والخبز الى بعض الفقراء والمحتاجين، والى البعض الآخر فى أماكن مخصوصة منها: اللحوم والديكة الرومية والدجاج والخبز والحلوى وغيرها. وكانت «البازك» و«السوارج» تطلق من حديقة الأزبكية

جهاز العروس

كان جهاز كل من عروسى الأميرين حسين وحسن، وكذلك جهاز الأميرتين فاطمة هانم وأمينة هانم، مستقا فى ثلاث عرف فسيحة بالقصر المعد للعرس على النيل، وهو يتكون من أنواع الحلى المختلفة الأشكال المرصعة بالجوهر والماس، هذا عدا أوانى الذهبية والفضية والمرايا وفناجين القهوة مظروفها الذهبية محلاة بالجواهر، وقوام الشوكات التى من الكهرمان المطوق بالذهب المحلى بالجواهر. وكان كل جهاز من الجهازات الأربعة يطاف به فى أنحاء المدينة محملا على عربات تحت حراسة الجند الراكب، تتقدمه فرقة موسيقية لارساله الى سراى العروس. وكانت الشوارع التى يمر بها مزدحمة بالجماهير الغفيرة. وكانت شرفات المنازل والفنادق غاصة بالمتفرجين

وبعد ظهر يوم الأحد ١٩ يناير توجهت عروس توفيق باشا - التى كانت تقيم فى سراى الحلمية مع والدتها بعد عقد العقد، الى القصر العالى، لتقيم فيه حتى يوم الخميس، ولتشاهد حفلات التى تقام فيه بهذه المناسبة ولتزف بعدها الى سراى زوجها

وكان من المقرر اقامة المآدب العديدة فى الخارج للأجانب والمصريين، وفى داخل الحريم للأجنبيات وعدد عظيم من الوطنيات

داخل السراى

كان الأغوات يرشدون ويصحبون المدعوات الى داخل الحريم، على حين كانت القلفوات،

---

(١) الذى نصب غرب شريط سكة حديد حلوان (٢) لم تكن الكهرباء عرفت بعد

وصعين بعض من تتكلم اللغات الافرنجية واللغة التركية فى استقبالهن من الوطنيات والاجنبيات ، فيحملن عنهن ملابسهن الخارجية «اليشمق والفرجية» ومعاطف الافرنجيات ، ثم يرافقنهن الى الامكنة التى أعدت لكل منهن ، بين عزف الموسيقى بجوقاتها المختلفة ، وأصوات المغنيات ، وسحر الرقص بانواعه . وبعد تقديم التهانى للوالدة وللاميرات تقدم للمدعوات القهوة والسجاير . وعند تكامل حضور الاميرات وكبيرات المدعوات يمضين الى غرفة المائدة ، وهى غرفة فخمة واسعة تتدلى من سقفها فى الوسط ثريا كبيرة ، على حين زينت الجوانب الاربعة بأشجار نخيل مصنوع من البلور ذى جذع سميك كأنه المنشور الزجاجى يعكس الاضواء التى تسقط عليه من ثريا مثبتة فى أعلى الشجرة . وكانت المائدة على الطريقة الافرنكية

ويلبس الاميرات الملابس الفخمة الافرنجية التى جلبت خصيصا من اشهر محلات «المودة» بباريس ، وقام بضبطها وتكييفها على الجسوم أجنبيات مختصات بفن الخياطة بمصر . وقد جلسن بثيابهن البديعة حول المائدة يشنف اسماعهن أثناء المأدبة فرقة موسيقية ماهرة

وبعد العشاء يرجعن الى الصالون الاول ، وهناك تقدم لهن القهوة والسجاير ، ثم ينزلن الى صالون كبير فى الدور الاول ، فتجلس الوالدة فى احد أركانه ، وتجلس [illegible] فى كل جدرانها . ثم تبدأ الراقصات ، وتتعدد أنواع الرقص من [illegible] ، وهما رقصتان مزدوجتان على نحو الرقص الافرنجى ، [illegible] احدى الراقصات بملابس رجل — الى رقص السيف الذى ترقصه بخفة ورشاقة

وكانت الجوقات التى استدعاها الخديو لسماعهن كما قدمت تقوم بتمثيلها فى جزء من البهو معزول بشيش لتتمكن الزائرات الجالسات فوق «شلت» من مشاهدة التمثيل بدون أن يتمكن أحد من رؤيتهن من خلفه . وكان الممثلون بين الفصول يخرجون لتناول المرطبات فى محل مخصوص ، معصوبى الاعين ، ويقودهم الاغوات الى المقصف الموجود داخل الحرم ، ويفعلون مثل ذلك عند عودتهم لاستئناف التمثيل .

وفى الساعة العاشرة تزف العروس . ويصطف الاغوات صفين وبيد كل واحد «فنار» ذو شمعات تعطى ضوءاً كبيرا . وبين هذين الصفين تسير العروس فى أبهى حلل العرس ، مسدولا على وجهها الدواك الذهبى الرفيع . وتكون العروس محلاة بأكثر ما يمكن أن تحمله من الحلى والجواهر الكريمة . ويسندها فى مشيتها اثنان من الاغوات . ثم تبدر عندئذ البدرة الفضية التى تحملها احدى «القلفوات» فى كيس كبير . وعند ما تصل العروس الى غرفة العرش «الكوشة» ، تجلس على مقعد عال بين أمها وبين الوالدة . ويكثر التزاحم على الدخول لمشاهدة العروس فى حليها الجميلة بسهولة وهناك تنثر البدرة الذهبية

وبدلة العروس مرصعة من الرأس الى القدم بالماس . ثم تخرج العروس من غرفة العرش وتتوجه الى غرفتها الخصوصية . ثم تخرج بعدها البرنسيسات وتفض الحفلة

وبعد ظهر يوم الخميس ينتظم موكب زفها للذهاب الى سراى زوجها . ويتقدم الموكب الموسيقى السوارى وفرقة من المشاة ، وأخرى من السوارى . ثم تتبع ذلك العربات المقفلة ، فيها البرنسيسات قريبات العروس . ثم تأتى عربة العروس — وهى عربة تشريفة كبرى مذهبة يجرها ستة من كرام الخيل — ويقف فى مؤخرة العربة اثنان من المرلسيين بزيهم الخصوصى الابيض القصير اللاصق لاجسامهم . وصداراتهم ذات الازرار المذهبة وقبعاتهم . ويلبس الحوذى والذى بجواره مثل تلك الملابس أيضا . على حين يركب آخر فى نفس الزى على الحصان الاول الايمن . ويحف بالعربة صفان من الاغوات على جيادهم ، وكلهم يرتدون الشيلان المهداة لهم . ويلى ذلك العربات الخصوصية لكبار المدعوات لمرافقة العروس . وعند وصول العروس الى سراى زوجها يستقبلها الزوج وتنحر الذبائح وتزف داخل الحرم ويحسر زوجها النقاب عن وجهها

من كلمات قاسم امين

من الناس من اذا اراد ان يعمل الخير سعى او وقف امام باب لاعلانه فاذا رأى شهوداً وضع يده فى جيبه وأخرج كيسه وعد النقود ووضعها ببطء فى يد صاحبه بعد ان يراها الحاضرون ولكيلا يبقى عندهم شكا فى مقدارها يقول لمن تفضل بمساعدته : خذ هذه الجنيهات العشرة . فاذا خرج هذا المسكين التفت الى من حوله وشرح لهم عواطفه وحنوه واعتياده عمل البر . ثم كلما اجتمع فى نهاره بواحد من معارفه أوجد مناسبة ليقص عليه خبر هذا الحادث العظيم . هذا الرجل اراد فعل الخير لنفسه فاستعمل صاحب الحاجة وسيلة لذلك

ومنهم من يريد فعل الخير فيقبل على المحتاج ، فيفتح له قلبه ويصغى الى شكواه ويشاركه فى ألمه وحزنه ثم يبذل له من عبارات التسلية وكلمات النصح ما يقوى عزيمته ، فاذا قدم اليه مساعدة مادية دسها فى وسط الكلام والمحادثة وهو مضطرب خائف ان يجرح احساساً شريفاً . يحتال فى انتخاب طرق العرض ويعتذر عن عمله ، فاذا قبل منه شعر بفرح كمن يكون وقع فى ورطة ثم تخلص منها . ذلك هو المحسن الذى يعرف ان النفس حياء يجب احترامه كما ان فى الجسم ما ينبغى غض النظر عنه

الشرق والغرب يلتقيان

بقلم الاستاذ أمين الخولى
المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

[فى هذا الفصل يناقش الاستاذ أمين الخولى تعليقين على مادة ابرهيم كتب احداهما الشيخ يوسف الدجوى، وثانيتهما الاستاذ محمد فريد وجدى فى الجزء الاول من دائرة المعارف الاسلامية التى قام بترجمتها بعض متخرجى الجامعة المصرية . ويسرنا ان تكون هذه الترجمة قد أثارت مناقشة بين الادباء والعلماء]

.. وإن زعم الشاعر السكسونى فى كلمته الشائعة : أن لن يلتقيا ، فله من حكم الفن والهوى ما شاء . أما حكم التاريخ والواقع فلا . فقد التقى الشرق والغرب فى باحة الاعتقاد وضمائر المؤمنين ، وتلقى الغرب مسيحيته عن الشرق . والتقيا فى ساحة القتال ، وتبادلا النصر والفوز والسيطرة والحكم ، فى أقدم القدم ، وما زالا يلتقيان إلى اليوم ، ومن يدرى إلام ينتهى تلاقيهما ؟ . والتقيا فى طور الحياة الاجتماعية ، وتبادلا التأثير والتأثر ، كما تشهد بذلك ماديات ناطقة . والتقيا فى الميدان العقلى ، وتبادلا طعمة وهماً وسماً . ولا يزالان يتبادلان . التقيا كثيراً ، التقيا أمس القريب ، والتقيا اليوم حين قام نفر من شبان الشرق مجدين بترجمة « المعلمة الاسلامية » التى كتبها أقطاب علماء الغرب عن ماضى الشرق وحاضره ، وعلمه ، ودينه ، وفنه ، وخلقه ، وكل ملابسات حياته . ثم التقيا حين أبى شبان الشرق أن يدعوا إلى قومهم آراء الغربيين وحدها ، وفيها تصرفات قد تكون من جانب واحد ، فسعوا إلى رجال يسألونهم وجهة نظر الشرق يلقون بها إلى الغرب ، وجاءتهم تعاليق على آراء المستشرقين نشروها فى القسم الذى ظهر من « دائرة المعارف الاسلامية » .

ولشد ما يجب أن يكون ذلك التلاقى الحديث مشرفاً ، يحتفظ بعظمة الشرق القديمة ، ويقرع فيه علم بعلم ، ومنطق بمنطق ، وعمق بعمق ، خالصاً ذلك كله من شوائب الهوى وشبهات العصبية ، وأن يكون بحيث يقرؤه أولئك الغربيون فيعترفون ـ ولو فى دخيلة أنفسهم ـ بأنهم أخطأوا فى شىء ، ويجدون نواحى من البحث فاتتهم ، ووجهات من النظر والدقة أعوزتهم . وإن يكن أولئك الغربيون قد غلبهم الهوى أو استهوتهم الاغراض ـ وهو مالا أبرئهم منه ـ فما أحب أن نلقى جرماً بجرم ، بل أوثر ثم أوثر أن نقام على سنن آبائنا وأسلوب أسلافنا ، فلقد كانوا يلقونهم فى حومة الوغى وساحة القتال ، حيث الحرب خدعة ، والكذب شرعة ، بدستورهم النبيل قائلين : « وفاء بغدر خير من غدر بغدر » ، حتى علموا أبطال الشرق الغربيين آداب

الفروسية . فكيف بنا اليوم والمجال عقلي ، والمعلق هو الحكم ، والحقيقة هي الضالة المنشودة ، والهوى مفضوح حيث كان ؟

لقد أقول - غير مرتاح - إن ما نشر من تلك التعليقات - ولا سيما ذات الصلة منها بالدين - قد مسها من التحكم غير قليل لجاءت بحيث لا ترضى صورة لتلاق الشرق والغرب في ميدان البحث .

في القدر الذي نشر تعليقتان على مادة ابراهيم ، احداهما لفضيلة الاستاذ يوسف الدجوي ، والثانية لحضرة الاستاذ محمد فريد وجدي . ومع تقديري للاستاذين أحب أن أعرض لهاتين التعليقتين ، في أدب للبحث منتظم ، وتوخ تام للحق ، صوناً لعفية البحث ووفاء للقراء .

التعليقة الأولى للاستاذ الدجوي عن أبي ابراهيم ، إذ يقول كاتب المادة ، فنسنك ، في الدائرة عن سيدنا ابراهيم : « ... وورد في القرآن أنه ابن آزر ، وهذا الاسم مشتق فيما يظهر من اسم خادمه اليعازر » .

فيقول الاستاذ الدجوي في التعليق : « قد يفهم من ذلك أن القرآن الكريم يخالف التوراة في اسم أبي ابراهيم ... وهذا الخلاف ظاهري في الواقع . أولا : أن العرب قد تسمى العم والجد أبا ، وهذا الاستعمال معروف في القرآن الكريم نفسه ، كما قال تعالى حكاية عن أولاد يعقوب إذ قالوا لأبيهم : « نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق » . ثانياً يجوز أن يكون تارح اسماً له وآزر لقباً ... ثالثاً يجوز أن يكون آزر قد ذكر للذم ، وهو وصف أجرى مجرى العلم ، ومعناه في اللغة العبرية على ما يقول بعض العلماء ، المعين ، فيكون قد ذكر للذم والتحقير . ويقرب من هذا جعله اسماً للخادم كما في التوراة ، وأهله يطلق في لغتهم على الخادم ، إطلاق الأوصاف لا إطلاق الأعلام ... » .

فإن يكن الاستاذ قد أراد بذلك التعليق بيان وجه الحقيقة التاريخية في المسألة فلنا فيه شأن ، وإن يكن قد أراد التوفيق الديني الدافع للتناقض فلنا شأن آخر .

فأما من الناحية العلمية فأولا : أن التجوز الأول في إطلاق الأب على العم - وإن يكن قد ذكره المفسرون - فهو ليس إلا تجوزاً لم تقم عليه قرينة . وهو يفترق عن الآية التي قيس عليها ... « نعبد إلهك وإله آبائك » لأن جمع الآباء (آبائك) قرينة صارخة على أن ليس المراد الأب الوالد لأنه لا يتعدد ، فليكن الجد أو العم أو من يكون . ولا أتردد في أن أقول هنا بعدما تناولت هذه المسألة في درس التفسير بالجامعة ، إن من أوجه التوفيق الأخرى في هذا الموضوع ما لا تقره قواعد العربية وأساليبها . وليس علينا أن نقف واجمين أمام مثل هذه الأوجه بمجرد ورودها في الكتب ! على أن ما يدفع هذا إلى مكان آخر .

ثانياً : قوله في التجويز الثالث : « ومعناه في اللغة العبرية على ما يقول بعض العلماء المعين »

وقوله فى آخر التعليقة : « ولعله يطلق فى لغتهم على الخادم إطلاق الأوصاف لا إطلاق الأعلام »

مثل هذا لا ينبغى أن يقال اليوم مبهماً غير مدلل ، غير مبين فيه أصل المادة ، ومعناها ، واشتقاق الصيغة منها ، مع أن العبرية متكلمة بين ظهرانينا ومقروءة ، ومن الميسور التحقق من هذا فيها ، وإلا تركه الكاتب تماماً . على أن ذكر العبارة هكذا لا إنصاف فيه حتى لأسلافنا أنفسهم لأنهم لم يرسلوها هكذا ارسالا ، بل يقول ابن كثير فى تفسيره ج ٢ ص ٣٤٣ ما نصه : « . . . وقال ابن جرير : وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ، ومعناه معوج . ولم يسنده ولا حكاه عن أحد » . فاذا لم نعرض لتحقيق أصله فى العبرية كما يرجى منا اليوم ، فلا أقل من أن ننهى هذا المعنى اتهام القدماء له وتترك الفصل فى ذلك لذوى الشأن فيه

ثالثاً هذه الفروض المسرودة والاحتمالات المرددة ، قويها وضعيفها ، قد تحتمل وتقبل فى منع التدافع الدينى ودرء التناقض ، لكنها ليست فى حساب العلم منتهية الى نتيجة ولا محققة لشىء . والباحث الضنين بوقته وجهده انما همه تقرير وجه الرأى فى المسألة ، لا أنها قد تكون وقد تكون ، وربما لا تكون . . فان لم يكن لدينا فصل الخطاب فى الأمر فلندعها للغد ، ولنتركها متشابهة ـ هذا عن الناحية العلمية

أما عن ناحية التوفيق الدينى ـ وقد يكون هو الغرض الأول للاستاذ ـ فليسمح لى أن أسوق ملاحظاتى على طريقته فى ذلك

أولا : تقريره الخلاف بين القرآن والتوراة ، وسعيه الى التوفيق وسوق أوجهه ، كل هذا اعتراف منه بتقابل المصدرين ـ القرآن والتوراة ـ وهو ما لا أفهم اتفاقه مع المقررات الاسلامية فى تحريف التوراة وتبديلها . فانها ما دامت كذلك لا يكون لها من المركز الدينى ـ ولا العلمى أيضا ـ ما يدفع الى التماس التوفيق بينها وبين القرآن ، واعتبارها مصدراً مقابلا للقرآن . ما هى مصدر ، ولا مرجع فى خبر ولا غيره ما دام ذلك اعتقادنا فيها . ولا علينا من اعلان ذلك وترتيب آثاره عليه ، ولقد يتهمها العلم اليوم مثل اتهامنا الاعتقادى لها أو أكثر

ثانياً : استظهر الكاتب « فنسك » أن « آزر » فى القرآن مشتق من اسم الخادم ، وهو اتهام صريح للقرآن ، ويزداد الاتهام جلاء بالرجوع الى مادة آزر فى « المعلمة » نفسها (مجلد أول ص ٥٥٠ من الطبعة الالمانية) . ومع ذلك فالاستاذ يترك هذا الاستظهار دون تعليق ، بل على العكس من ذلك يفهم من كلامه أنه يعتمد عليه إذ يقول فى آخر كلامه : « ويقرب من هذا جعله اسماً للخادم كما فى التوراة ، ولعله يطلق فى لغتهم على الخادم . . » الخ . فكيف لا يواجه الاستاذ هذا الاستظهار وذلك الغرض بالهدم القوى اتماما للمهمة الدينية التى قصد اليها ؟

ثالثاً : سلم الاستاذ بوجود التدافع بين القرآن والتوراة سريعاً ، وراح يرده الى الظاهر فقط ويوفق ، فعل ذلك مع أن فى آية الانعام المذكورة أوجهاً للتفسير وقراءات لا يلزم عليها

كون آزر أبا لابراهيم لاظاهراً ولا حقيقة. فتلك كلمة آزر ترسم فى المصحف هكذا (ءازر) وفيها أكثر من قراءة وأكثر من إعراب - قرئت (أأزراً) بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام، وسكون الزاى ونصب الراء منونة، على أن (أزراً) اسم صنم أو بمعنى القوة والتصيد، وفى قراءتها بالمد مع عدم التنوين (آزر) تخريج لايجعله اسم الأب، وغير ذلك مما لاعلى لاستقصائه هنا، فاذا ما لوحظ التوفيق فى التفسير بين القراءات المختلفة لم يكن من السهل التسليم بتسمية القرآن أبا ابراهيم آزر. ولعل البحث فى مثل هذه القراءات وأوجه الاعاريب كان أجمل بالاستاذ، وفيه من التخلص ما ليس فى هذه الترديدات الفرضية، بل فيه ما قد يصحح بعض هذه الفروض التى اكتفى الأستاذ بسردها فقط. تلك جملة من الملاحظات العلمية والدينية على التعليق الاول أو المشهد الاول من تلاقى الشرق والغرب

* * *

وأما التعليق الثانى أو المنظر الثانى من هذا التلاقى ففى آخر مادة ابراهيم عند ما تعرض كاتبها لشخصيته فى القرآن، ذلك التعرض الذى كانت له أخيراً ضجة مدوية - وقد أفرده فيما بعد ببحث مستقل تصحيحاً لاساليب الناقدين - ولا أعلم هو الاصل لطوله كما لا أستطيع نقل التعليق الملاحظ عليه لطوله كذلك. فاكتفى بنقل فقراته المرادة

فى هذا التعليق لا يتوقع أن تكون الصورة الجديدة هى المصحح الأم لأن اصحاب الشأن الاول فى هذا متوافرون، بل رجو فيها إن كان تعرض لها بحقيقة أن يكون الاسلوب علمياً محدود المقدمات، مضبوط الدعاوى، سليم النتائج ملتزماً مناهج التحقيق العربية. لكن التعليق لم يف بهذا. ولى عليه من الوجهة العلمية ملاحظات منها العام ومنها الخاص

فالملاحظة العامة هى أن التعليق على طوله إجمالى خطابى لم يتناول قضايا الكاتب وملاحظاته واحدة واحدة لتعقب مواضع قصورها أو زلل قلمه فيها، بل رد على ذلك اجمالا وابجازاً، حتى ليضطرنا إنصاف الحقيقة الى أن نقول ان هذا التعليق لم يقع من ملاحظات الرجل موقعاً يذكر

وأما الملاحظات الخاصة ببعض الفقرات فمنها:

١ — يقول المعلق فى أول عبارته ما نصه: « لم يقل واحد من المؤرخين سواء أكانوا مسلمين أم أجانب أن النبى (ص) استعان فى نشر دعوته باليهود بل قالوا . . . » . فانظر لهذا التعميم الذى لا ينهض للاضطلاع به، وتحمل ثقله مائة رجل كالاستاذ وجدى. فهو ادعاء دونه اطلاع القرون وبحث الاجيال، ولن يجرأ عليه من يلزم حدود البحث العلمى. وهب هذا الادعاء صحيحاً فهل شرط قول القائل أن يكون من الناس من يقول معه أو من قال قبله؟ وماذا يلزم صاحب المادة من عدم وجود أحد فى الدنيا قبله يقول بمثل قوله ؟؟

٢ — يقول كذلك: « ولم يكن عرب الجاهلية يمحون كل ما عليه طابع يهودى أى اضرار،

بل الذى ورد أنهم كانوا يكرهونهم . . . » . فهل عرف السيد وعرف التاريخ ما يحل له هذا النفى الاستيعابى ؟ يقول العلم فى تواضع : لا . بل لو توسع هذا الادعاء غير المتناهى فما عرف عن حال اليهودية فى الجزيرة لا يؤيد هذه الفكرة . ولا نعرض لرد ذلك الآن لأن أهم ما يعنينا أسلوب البحث العلمى

٣ — يقول كذلك : « وليس القرآن الكريم أول من قال إن جد العرب الاسماعيلية أو العدنانية ابراهيم ، ولكن التوراة سبقت الى ذلك إذ قالت ... » . الخ فأى محظور يلزم كاتب المادة بهذا ؟ وهبه مقدساً للتوراة يسكت إن قلنا ذلك ؟ أمكون قد حججناه وأثبتنا دعوانا ؟ أم نكون قد ألزمناه فقط ، فكيف وهو لا يلتزم شيئاً من هذا ، ولن يمنعه من الملاحظة أن تقول التوراة وغيرها ؟ ثم نقول ثانية : ما هذا الاحتجاج بالتوراة من مسلمين يقررون دخلها ، والعلم ينقض بناءها ؟ لاشىء من هذا كله يعد نكأة علمية عند القدماء بله المحدثين

٤ — يقول المعلق فى سياق اثبات بناء ابراهيم الكعبة ما نصه : « والعرب تسمى كل شىء مربع بالكعبة ، من الطراز الذى يبنيه الناس بأنفسهم وان لم يكونوا بنائين ليجعلوه مصلى ، فهل يستبعد على ابراهيم وكان نبياً ناجح الأمم أن يبنى له ولابنه بناء من هذا الطراز يصليان فيه ؟ » . لا ياسيدى ، لا يستبعد ، بل « يستقرب » ، لكن هل وقع هذا المستبعد أو المستقرب فى الخارج ؟ هل بنى ابراهيم فعلا أو لا ؟ ما كان عدم استبعاده ليثبته ، ولا نعرف هذا دليلا اثباتياً فى مقام الخلاف بين الشرق والغرب على صفحات « مملة »

٥ — يقول فى اتمام الاثبات السابق ما نصه « . وإذا ثبت أن ابراهيم أوصل ابنه الى تلك البقعة من بلاد العرب ، وقد ثبت بنص التوراة ذلك ، فيكون من المتعين أن يتخذ له فيه بنية ساذجة يجعلها متعبداً . . . » الخ . من المتعين ؟ لماذا ؟ هب هذا معتاداً ، وكثيراً شائعاً ، وغالباً ، وما رادف ذلك ، فهل يكفيك لتقول « من المتعين » ؟ لو كان « الراجح » لجاز . أما المتعين فلن يقال فى منطق العلم نتيجة لهذه المقدمات !

واكتفى بهذا من الملاحظة على المعلقين فى « المملة » المواجهين الغرب باعد الشرق ، راجياً بل ضارعاً الى من يعملون القلم فى ذلك الميدان أن يتجنبوا الخطابيات ، والصحفيات ، والاستهوائيات ، والتسوية التى توقف الخلاف ، وأن يدعوا ما يستطيعون اثباته ، وأن يحصروا الى منطق القدماء ، وطرق مناظرتهم ، ان لم يمنعهم أن يحصروا الى ما للمحدثين من ذلك . فكلنا حريص على أن ينزل الشرق منزلا مكرماً أمام الغرب حين يلتقيان فى « المملة الاسلامية »

امين الخولى

الحكمة الهندية

بقلم الأستاذ الدكتور على العناني

[تحدث الأستاذ الدكتور على العناني في الجزء الماضي عن حكمة البراهمة ومنشئها وحقيقتها وعن النفس الإنسانية وكيف فهمها أصحاب هذا المذهب . وفي هذا المقال الممتع يتحدث عن مذهب السنكيا والميمانسكا والكرنا كاما من مذاهب الفلسفة الهندية]

مذهب السنكيا (Sankhya) أو التعدد

يشترك هذا المذهب الجديد مع فلسفة البراهمة التي شرحناها في مقالنا السابق اشتراكا نظرياً في فكرة التشاؤم وإحاطة الإنسان من كل جوانبه بالشرور ، وعمليا في طريقة التخلص من الشر والإنقاذ من الألم . وأصحاب هذا المذهب خالفوا البراهمة كل المخالفة في عقيدة التوحيد وفي التعمق في معناها إلى حد رد الوجود المادى إليها والقول بوحدة الوجود . وقالوا بالاثنينية وجحود الإله

ومؤسس هذه الفلسفة يعرف باسم كابيلا (Kapila) وقد بدأ حياته حول القرن الخامس قبل الميلاد

وكلمة سنكيا التي تسمى بها هذا المذهب معناها العدد ، ويطلق هذا الاسم عليه لأنه يقوم على تعدد المبادىء الأولى التي كونت هذه الفلسفة ، تلك المبادىء التي ترجع نشأة التكوين العام إليها . وخلاصة مذهب السنكيا أنه مذهب اثنينية وجحود وتشاؤم وتعدد كما ذكرنا وكما سيأتي من الإيضاح .

مبادىء الوجود الأولى

ينص مذهب السنكيا على أن كل موجود إما أن يكون من شأنه أن يلد وليس بمولود أو أن يلد وهو بطبعه مولود ، أو ألا يلد وهو مولود ، أو في النهاية لم يلد ولم يولد . والأول هو الطبيعة (براكريتى Prakriti) والثاني العقل (بودهى Buddhi) والمراد به هنا القوة المدبرة لشئون الكائنات ، والثالث الأنية أو الذاتية (أهنكرا Ahankara) والرابع النفس (بوروشا Puruscha) وعلاقة هذه الأجناس الأربعة وما يندرج تحتها من أنواع وما يتصل بالأنواع من أفراد وكائنات هي التغاير الكلى في الجنس والتكوين بالنسبة للأول والرابع أى الطبيعة والنفس . أما الثاني والثالث وهما العقل والأنية فيكونان درجة الاتصال بين الطبيعة والنفس

والطبيعة والنفس مختلفتان في الجوهر وفي العمل ولكنهما معا أزليتان أبديتان وبينهما علاقة كبيرة هي النقطة الأساسية في هذه الفلسفة

والمادة أو الطبيعة هي نفسها أصل الحركة والتغيير . فحركتها ذاتية فيها وكل تأثير أو تغيير يطرأ عليها ناشيء منها وليس وارداً عليها من مصدر خارج عنها . فهي والدة وليست مولودة والنفس غير متحركة بطبعها ولا ينشأ عنها شيء فهي ساكنة وهي غير متغيرة إلا انها ترى ما يحدث في الطبيعة وتدرك مافيها من حركة . واذا قارنا بين الطبيعة والنفس بناء على ذلك فانا نرى ان الطبيعة وإن كانت تتحرك وتتغير فلا عقل لها ولا إدراك فيها ، وأن النفس وان كانت تعقل وتدرك فلا حركة فيها ولا تغيير . وحدوث الكائنات في حاجة الى الحركة والتغيير والعقل والادراك . واذن فالطبيعة أو المادة والنفس مبدآن قديمان يتمم كل واحد منهما الآخر فيجتمع لها معا مايبرز الوجود وينظم الكائنات

أجل الطبيعة في حاجة الى النفس والنفس في حاجة الى الطبيعة بالنسبة الى حدوث الكائنات المختلفة عنهما ، إذ الطبيعة وإن كانت متحركة فانها عمياء لاتعرف لها غرضاً في حركتها ينظم مايحدث عنها . والنفس وان كانت ترى وتدرك من مأتراه وتدركه ساكنة ومايحدث في الطبيعة . واذا كان ماتحدثه الطبيعة غير موجود فلا ترى النفس كثيرا ولا تدرك شيئا . واذاً فكل واحدة من النفس والطبيعة محتاجة الى الأخرى في ظهور مافيها من قوة وإبراز ماها من عمل . ومثلهما في ذلك مثل الأعمى المتحرك يحمل المبصر المقعد فيحرك أحدهما وهو الحامل الضرير بارشاد الآخر وهو المحمول العاجز عن الحركة ، فيحدث عن ذلك صحة العمل والتقدم فيه وسلوك السبيل السوي وبلوغ الغرض المقصود

النفس الانسانية والانقاذ

تقرر فلسفة السنكيا أن الغرض الأسمى للحياة الانسانية انما يتحقق بتحرير النفس من قيود الطبيعة ومن الآلام المحدقة بالانسان في جميع نواحي حياته المادية . ولا يحصل ذلك إلا بوساطة المعرفة وإدراك الحقيقة والايمان بها . وهذه المعرفة الموصلة للحقيقة هي إدراك مافي جوهري النفس والطبيعة من اختلاف ، والوقوف على أن كل ما يحدث في الطبيعة انما يحدث لغرض بعينه ، هو تمكين النفس من رؤية ذاتها ، وتوصيلها الى معرفة حقيقتها ، وتعريفها بأن كل مايحدث في الوجود ليس ناشئاً عنها لانها لاتلد ، ولا يصيبها منه شيء لانها ليست مولودة ولا تتأثر بما يتأثر به المولود

واذا ماوصلت النفس بالمعرفة الى هذه الغاية وصلت بالطبع الى تحريرها من كل مايزعجها من جانب الطبيعة ومن كل تأثيرات القوى الطبيعية . ولا يضيرها مع هذا التحرير بقاؤها مع

الجسد المتحرك ، لأنها والحالة هذه قد انعزلت عنه انعزال صانع الفخار عن عجلة آلته وقد أدارها ثم تركها مستمرة فى حركتها التى لاتضره فى شىء

والنفس خالدة بعد الموت خلود الطبيعة . وهى إذا كانت قد تحررت قبل مغادرة الجسد بالمعرفة على ماسبق فان خلودها لايزيد عن دوام الوجود لها بدون إدراك و بدون شعور . واذا كانت لم تتح لها بعد فرصة التحرر

فانها تقع تحت ناموس التناسخ وتشعر بما يصيبها فيه من ألم مستمرة فى ذلك حتى تصادفها المعرفة فتنال النجاة بفقدان الادراك والشعور

تصوف السنكهيا أو اليوجا (Joga)

نشأ من مذهب السكيا تفكير تصوفى عرف باسم يوجا (Joga). ومعنى هذه الكلمة حدة التفكير أو الاستغراق أو الاتصال . ومعنى ذلك هو الاستغراق فى الحضرة الالهية والاتصال بها

وبين اليوجية والسكيا اتصال وثيق فى أكثر المبادىء إلا أن اليوجية تنكر الجحود الذى دانت به فلسفة السكيا وتدعى عمداً لا بقوة الهية وبعد استعمل اليوجيون طرقاً حادة لانقاذ النفس وخلاصها من شر بالاستغراق فى الحضرة الالهية مستعينين فى ذلك بالنوم المغناطيسى وتجريد النفس عن البدن بمختلف الرياضات الشاقة

فلسفة البراشيكا ([illegible])

مؤسس فلسفة البراشيكا هو الفيلسوف الهندى المعروف باسم كندا (Canada). وترجع هذه الفلسفة الى ايضاح مسائل الكتاب المقدس وشرح حقائقها وتكوين مذهب الذرات

تقول هذه الفلسفة الذرية : ان كل جسم مكون من جزئيات صغيرة متساوية لاتقبل الانقسام فهى جواهر فردية عناصرها الماء والتراب والهواء والنار . والاجسام من هذه الجواهر الراجعة الى العناصر الاربعة المتقدمة

وأبسط الاجسام الجسم المكون من جوهرين اثنين فقط . ويليه مايتركب من ثلاثة ثم من أربعة فخمسة . وهكذا صعدا

وهذه الذرات الصغيرة أو الاجسام الفردية لاترى بالعين . وأصغر جسم مركب منها تمكن رؤيته يشبه الذرة الحائمة فى شعاع الشمس وسط غرفة قليلة النور . ومن هذه الاجسام الضئيلة تتكون الاجسام الاخرى على اختلافها بواسطة استعداد طبيعى فيها

ويرى مذهب البراشيكا أن وراء الاستعداد الطبيعى فى الذرات الى ائتلافها ناموسا فعالا فيها . فهى لا تأتلف بنفسها ولا بمجرد الاستعداد الفطرى بها وبدون سبب آخر ، بل يحدث اجتماعها بناء على تأثير سبب عادل يتقدم تركيبها . وهذا السبب هو القوة الالهية

النفس الانسانية

أذعن هذا المذهب الفلسفي أيضاً بوجود نفس في الانسان يخالف جوهرها حقيقة مادة الانسان . وكل علاقات الجسد وما اليه من الظواهر بهذه النفس هي علاقة ألم وعذاب ، فالجسم شر ، وكذا الحواس والمحسات والعناصر الأولية والمدركات الخارجية ونفس إدراك الانسان وعلمه واللذة والاستحسان والاستهجان كلها شر . والنتيجة النهائية من ذلك أن الغرض الأسمى للانسان في حياته انما هو انقاذ النفس من الشر . والوسيلة الى ذلك هي الوصول الى المعرفة المقدسة التي تتجلى فيها تلك الحقيقة القائلة باستقلال النفس عن الجسم واختلاف جوهريهما . واذا ماوصلت النفس الى هذه المعرفة ومشاهدة ذاتها في هذه المعرفة فانها تسمو بجوهرها فوق الشهوات العملية والرغبات العادية وكل أكساب الانسان ، ويزول حجابها عن الخطايا ، وهنا تكون قد نالت الاطمئنان المطلق والسعادة الحقة على الدوام

فلسفة كرفاكا Carvaka أو المذهب المادي

تنسب هذه الفلسفة إلى كرفاكا زعيمها الأول ، وهي عبارة عن تفكير سطحي محصور في المادة ومكون للمذهب المادي

وأول ما ينكر هذا المذهب الروح أو النفس كقوة مستقلة بنفسها ، ويرى في الشعور والادراك والعقل أنها جميعاً صفات كانت كامنة في العناصر المادية في شيء . عبارة عن ظواهر عارضة في المادة أحدثها امتزاج العناصر في جسم عضوي . وبناء على ذلك فالفكر ناشيء عن التركيب المادي للعناصر الأربعة وهو مظهر لنوع خاص من التركيب ، كمظهر السرور والبهجة من تأثير العناصر المخمرة أو المشروبات الروحية التي لا تعمل أجزاؤها مفردة ولا ممتزجة بغير الامتزاج المخصوص عليها وهي على هذا الامتزاج المخصوص

وكما ينكر هذا المذهب النفس كقوة مستقلة ينكر خلودها أيضاً . ويقرر ان أسمى ما يسعى اليه الانسان في حياته إنما هو التمتع المادي

وبتقرير ذلك نعرف أن نهاية التضاد قد بلغت أقصاها بين هذا المذهب المادي وبين مذهب البراهمة الروحاني ، وانه يضاد أيضاً جميع المذاهب الفلسفية الهندية في مسألة الخلاص والانقاذ كما هو واضح مما قررناه عن المذاهب السابقة وما سيأتي تقريره في شأن مذهب بوذهي الذي سنتكلم عليه في مقال آت

علي الثاني

بين العرب والفرنج في آكام البرنيه

باب الشزرى Roncesvalles

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هذا الفصل يجلو القارئ صفحة شائقة من النضال بين العرب والفرنج وعلائق الاسلام والنصرانية ، وعبد الرحمن الداخل وكارل الاكبر ، ويجد خلاصة وافية لانشودة رولان الشهيرة]

في اواخر القرن الثامن الميلادي كان الاسلام في اسبانيا يجوز معركة الحياة والموت بعد ان كان قبل ذلك بحقبة يسيرة يتدفق الى ما وراء البرنيه (١) بقوة ويسود معظم انحاء فرنسا الجنوبية . وكانت مملكة الفرنج بالعكس قد توطدت دعائمها وانتزعت من الاسلام كل معاقله في فرنسا بعد ان لبث حيناً يروعها ، ويهدد وجودها وسيادتها . واجتمعت كلمة الفرنج بزعامة الاسرة القارلية (الكارولنجية) وأنجبت منها زعماء كارل الاكبر أو شارلمان حفيد كارل مارتل ، اذا بالاسلام في اسبانيا قد افترقت كلمته وتمزقت وحدته شر ممزق ، واذا بالاندلس تغدو فريسة الاضطراب والحرب الاهلية ، يتنازع رياستها عدة من زعماء القبائل . وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الاموي قد وفد على الاندلس من المشرق بعد ان دال ملك اسرته ، واستطاع بعد حروب وحوادث جمة أن يؤسس في قرطبة إمارة بسط سيادتها على الولايات الجنوبية (١٤٠ هـ - ٧٥٦ م) ولكن هذه الامارة الناشئة كانت تقوم على بركان مضطرم من الفتن والقلاقل المستمرة ، وكانت معظم المدن والنواحي الوسطى والشمالية بيد زعماء من العرب أو البربر استقلوا خلال الفتنة ، واشتغلوا بتدبير وسائل الخروج على حكومة قرطبة أو بقتال بعضهم بعضاً . فقضى عبد الرحمن الداخل عهده في تتبع الثورة واخماد الفتنة ، لا يكاد يخمد ثورة في احدى النواحي حتى تقوم غيرها في ناحية أخرى . هذا ونصارى الشمال خلال ذلك يغيرون على الاراضي الاسلامية ويعيثون فيها ، والفرنج يرقبون فرص العبور الى اسبانيا وسحق الاسلام فيها بعد أن طاردوه في جنوبي فرنسا وردوه الى ما وراء البرنيه

في هذا الظرف العصيب الذي كانت فيه مصاير اسبانيا المسلمة تهتز في يد القدر ، كان على عرش الفرنج رجل وافر البأس والعزم هو كارل الاكبر أو شارلمان (٢) . وكان كارل منذ ولي العرش (٧٦٨ م) يخوض غمار حرب مستمرة فيما وراء الرين ليقاتل القبائل السكسونية وليرد

---

(١) وتسمى بالعربية جبال البرت (اعني الباب) أو ملبرات (٢) وتسميه الرواية العربية قارله تعريباً لاسم Karl ، وهو الاسم الفرنجي لشارلمان (راجع ابن الاثير – مصر – ج ٦ ص ٥)

خطر اعتدائها على املاكه ، وليخضعها الى سلطانه . وكانت غزوات الاسرة القارلية تتخذ فيما وراء البرنيه منذ عهد كارل مارتل جد شارلمان لوناً دينياً عميقاً مثلما كانت تتخذ حروب الفرنج مع العرب فى غاليس (جنوبى فرنسا) . ذلك أن حروب الفرنج فيما وراء الرين كانت تقصد الى حماية النصرانية من خطر الوثنية المتدفق من الشرق ، وكانت حروبهم فى غاليس تقصد الى حماية النصرانية من خطر الاسلام المتدفق من الجنوب . وكانت الكنيسة روح هذه الغزوات توحى بها وتذكيها الى جانب شهوة الفتح والظفر . فلما ظفر الفرنج برد تيار الاسلام الى ما وراء البرنيه واستولوا على جميع معاقله وثغوره فى فرنسا ، وفترت تلك النزعة الدينية العميقة التى جعلت غاليس مدى نصف قرن مسرحاً لصراع العرب والفرنج ، هبت الاطماع والبواعث السياسية تحفز الفرنج الى قتال الاسلام ومطاردته ، وانتزاع اسبانيا أو على الأقل ولاياتها وثغورها الشمالية من يده لتكون معقلا لدرء عدوانه ووثباته من الجنوب

وكانت حوادث اسبانيا المسلمة ، وما كان يسودها يومئذ من الاضطراب والتفرق فرصة سانحة . وكانت الولايات الشمالية تضطرم يومئذ بنار الثورة على حكومة قرطبة ، وعبد الرحمن الاموى يقاتل خصومه فى اكثر من ميدان وكان أقوى هؤلاء الثوار وأشدهم خطراً سليمان ابن يقظان الكلبى (أو الاعرابى) حاكم برشلونه (أو برشونه) ، والحسين بن يحيى الانصارى حاكم سرقسطة ، فاتحدا وتحالفا على مقاومة عبد الرحمن وخلعه . وبعث عبد الرحمن لقتالها جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد ، فهزمه سليمان وأسره (سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٥ م) . واستفحل أمر الثورة فى الشمال . ولكن زعماء الثورة وعلى رأسهم سليمان بن يقظان لم يطمئنوا الى ذلك النصر المؤقت لما يعلمونه من عزم عبد الرحمن وبأسه وروعة انتقامه ، ففكروا فى الاستنصار بملك الفرنج ، وسار سليمان الى لقاء شارلمان فى بعض رحلاته فى الجنوب ، يدعوه الى غزو الولايات الشمالية ويتعهد له ان يسلمه بعض المدن والحصون . وتقول الرواية الاسبانية ان الذى دعا شارلمان الى غزو اسبانيا هو الفونسو أمير امارة ليون النصرانية (فى شمال اسبانيا) . ولكن الرواية العربية صريحة فى ان الدعوة جاءت من سليمان بن يقظان وحلفائه . وهى تقول لنا ان سليمان استدعى قارله (شارلمان) لغزو اسبانيا ووعده بتسليم برشلونه أو سرقسطه (١) . وكان شارلمان قد انتهى يومئذ من الحرب فى سكسونيه وهزم القبائل الوثنية الجرمانية واخضع زعيمها القوى فيدوكنت ، فكانت الدعوة فى وقت ملائم . وفى ربيع سنة ٧٧٨ م كان شارلمان على رأس جيشه فى أكوتين (جنوب غربى فرنسا) ، فعول على ان يفتتح الغزوة الاسبانية توا حتى لا يفاجئه الشتاء . وقسم جيشه الضخم الى قسمين : عبر احدهما جبال البرنيه من الناحية الشرقية . وعبر القسم الثانى بقيادة شارلمان من الناحية الغربية ، من الطريق الرومانى القديم فوق آكام وساب

(١) ابن الاثير ج ٦ ص ٢١ – واخبار مجموعة فى تاريخ الاندلس ص ١١٢ و ١١٣

جان دى لابور ، الشاهقة التى تشرف على معاوز رونشفال الوعرة ، على ان تجمع الجيشان على ضفاف الايبرو أمام سرقسطه حيث يلتقى شارلمان بحلفائه المسلمين . واخترق شارلمان بلاد البشكنس أو نافار الحديثة (١) وحاصر عاصمتها بنلونة واستولى عليها بعد قليل . ولما كانت نافار يومئذ بيد النصارى وكانت تابعة لمملكة ليون النصرانية فمعنى ذلك ان شارلمان كان يشهر الحرب أيضاً على مملكة ليون وان النزعة الدينية لم تكن خاصة بارزة فى هذه الغزوة وان ملك الفرنج كان يبغى تحقيق غايات السياسة والفتح قبل كل شىء

ثم زحف شارلمان على سرقسطة ، وكان يعتقد انه سيلقى هنالك حلفاءه المسلمين على اهبة لمعاونته وتحقيق رغباته . ولكن الحوادث كانت قد تطورت عندئذ ، ودب الخلاف بين الخوارج المسلمين ونشبت الخصومة بين سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى ، فامتنع الحسين بسرقسطه وعول على رد الفرنج ولما اشرف شارلمان مع حليفه سليمان على سرقسطة الفاها محصنة متأهبة للدفاع والمقاومة ، فعبر نهر الايبرو وقدم اليه سليمان رهائنه عدة من الاعيان والاكابر منهم ثعلبة بن عبيد قائد عبد الرحمن بن معاوية ، وكان أسيراً عنده كما تقدم ، ولكن شارلمان لم يستطع الاستيلاء على سرقسطه ، وردت اهدته المحصورة كل هجماته بشدة ، ولم يحقق له سليمان شيئا من وعوده فى تسليم المدن ، والحصون الواقعة فى تلك المنطقة ولم يشأ ملك الفرنج أن يعرض فى تلك الوهاد واهضاب الصعبة مفاوز ، يجهل غورها ، وارتاب من جهة أخرى فى نيات سليمان وموقفه فقبض عليه وغادر سرقسطه وارتد بجيشه نحو الشمال الشرقى فى طريق العودة . وكان ذلك فى نحو يونيه سنة ٧٧٨ م (شوال سنة ١٦١ هـ)

ولكن شارلمان لم يحسب حسابا لمطارده ومفاجأته وبينا هو أمام مدينة بنلونة يخرب حصونها واسوارها حتى لاتعود الى مقاومته اذا عاد الى تلك الانحاء ، اذا بجيش من المسلمين يندفع فى أثره ويحاول مهاجمته من الوراء . ذلك أن ولدى سليمان بن يقظان ، وهما مطروح وعيشون جمعا فى الحال انصار ابيهما واتباعه وعادا الى الاتفاق مع الحسين بن يحيى وسارا بجيشهما فى اثر ملك الفرنج يحاولان مهاجمته وانقاذ ابيهما من أسره وكان شارلمان فى ذلك الحين قد غادر بنلونه متجها صوب البرنيه ليعبرها كرة أخرى الى فرنسا ، وكان عبوره من نفس الطريق التى أتى منها اعنى من معاوز رونشفال . ويقع ممر رونشفال Roncesvalles الذى يعرف بالعربية « باب الشزرى » فى طرف البرنيه الغربى شمال شرقى بنلونة وعلى قيد نحو عشرين ميلا منها . وهو أحد ممرات عدة كانت تستعمل منذ الرومان لاختراق البرنيه من الشمال أو الجنوب ، وهى نفس الممرات أو الابواب التى كان يستعملها العرب للعبور الى غاليس(٢) ففى مفاوز رونشفال

(١) يسمى العرب نافار « بلاد البشكنس » تعريباً لكلمة الفرنجية Bascons ، ويسميها ياقوت أيضاً « بشكونية » (راجع معجم ياقوت تحت كلمة بشكنس) (٢) كانت البرنيه تعرف بالعربية كما قدمنا بجبال البرت من Puerta الاسبانية أي الباب نسبة الى الابواب والممرات المذكورة

الوعرة حسبما تقول الرواية الفرنجية وقعت المفاجأة الهائلة . ذلك ان الجيش الفرنجى ما كاد يبدأ عبور الجبال حتى اشرف المسلمون بقيادة عيشون ومطروح على مؤخرته وهاجموه بشدة رائعة وفصلوا عنه مؤخرته وانتزعوا منها الاسلاب والاسرى وفيهم سليمان بن يقظان . ولم يستطع الفرنج دفاعا عن انفسهم فى تلك الشعاب الضيقة فمزقت مؤخرة الجيش الفرنجى شر ممزق وهلك فى تلك الموقعة صفوة فرسانه وانجاده . وكانت نكبة مروعة لبث صداها يتردد مدى عصور فى أمم الغرب والنصرانية

وتضع الرواية الفرنجية تاريخ الموقعة فى ١٨ اغسطس سنة ٧٧٨ (ذى القعدة سنة ١٦١هـ) (١) وبينما تقنع الرواية العربيـــة بالاشارة اليها فى عبارات موجزة (٢) اذا بالرواية الفرنجية والكنسية تمعن فى تفاصيلها امعانا ظاهرة . وأوثق وأدق الروايات الفرنجية عنها هى رواية اينهارت مؤرخ شارلمان ومعاصره (٣) . فهو يفصل حوادثها ويذكر من هلك فيها من الامراء والسادة ومنهم ابجهارد رئيس الخاصة وانسلم حافظ القصر وهرودلاند حاكم الثغر البريتانى . وهرودلاند هو رولان بطل الانشودة الشهيرة التى نظمت عن هذه الموقعة والتى مازالت اثراً خالداً لقريض الفروسية فى العصور الوسطى . ذلك ان الاسطورة اتخذت من حوادث هذه الموقعة موضوعاً لقصة حربية حماسية حرفت فيها الوقائع الاصلية اى تحريف ولكنها تستحق مكان الموقعة وبعض اشخاصها من التاريخ . وإليك خلاصة هذه القصة أو الانشودة الشهيرة :

انشودة رولان

غزا شارلمان اسبانيا ولبث يحارب فيها سبعة اعوام حتى افتتح جميع ثغورها ومدنها ماعدا سرقسطة وهى معقل الملك العربى مرسيل . وكان يعسكر بجيشه بجوار قرطبة حين جاءته رسل مارسيل يعرض عليه الطاعة بشرط ان يجلو الفرنج عن اسبانيا . فعقد شارل مجلساً من البارونات ومنهم رولان ابن أخيه . وكان رولان يرى ان تستمر الحرب . ولكن فريقاً آخر من السادة برآسة جانلون كونت مايانس كان يرى الصلح والمهادنة فغلب رأى هذا الفريق لان الفرنج سئموا الحرب والقتال . وأرسل جانلون الى الملك مارسيل ليعقد معه شروط الهدنة . فاغراه مارسيل واستماله بالتحف والاحجار واتفق معه على الغدر برولان وفريقه . ثم عاد الى شارلمان وزعم ان مارسيل قبل شروط الفرنج . وهنا قرر شارلمان الانسحاب . وتولى رولان قيادة المؤخرة . وكان معه باقى الامراء الاثنى عشر وزهرة الفروسية الفرنجية . ولما وصل الجيش الى قمة الممرات الجبلية رأى أوليفر أحد الامراء جيشاً من العرب يبلغ اربعمائة

---

(١) ولكن الرواية العربية تقدم تاريخها على ذلك فتضعها فى سنة ١٥٧ هـ ٧٧٤ م وهى رواية ابن الاثير ج ٦ ص ٥ والمقرى فى نفح الطيب ج ٢ ص ٧٢ . ولكن الرواية الفرنجية أقرب الى الصحة والتحقيق لانها معاصرة قريبـة من الحادث (٢) راجع ابن الاثير — ج ٦ ص ٥ و ١٨ و ٢١ (٣) فى كتابه Vita Karoli Magni أو حياة كارل الأكبر

الف مقاتل . فتضرع الى رولان ان ينفخ فى بوقه ليدعو شارلمان الى نجدته . فأبى رولان . وانقض الجيش الهاجم على مؤخرة الفرنج ونشبت بينهما عدة معارك هائلة . واستمر رولان يأبى طلب النجدة حتى مزق جيشه ولم يبق منه سوى ستين رجلا . وعندئذ نفخ فى بوقه يدعو شارلمان ، ثم قتل بقية أصحابه ولم يبق سوى رولان وأوليفر واثنين آخرين . ولما شعر العرب ان شارلمان سيرتد بجيشه لقتالهم قرروا الانسحاب . وكان زملاء رولان الثلاثة قد قتلوا . وأثخن رولان نفسه جراحا حتى اشرف على الموت . ولكنه استطاع ان ينفخ فى بوقه مرة أخرى قبل ان يموت وان يسمع صرخة شارلمان الحربية . وسمع شارلمان صوت البوق على بعد مراحل عديدة ، فعاد مسرعا وطارد جيش العدو وسحقه . ودمر الفرنج تلك وعوقب جانلون الخائن أروع عقاب . وتوفيت الده خطيبة رولان حينما علمت بموته

هذه هي خلاصة القصة التى ترددها انشودة رولان الشهيرة . وهي ابعد مايكون عن وقائع التاريخ الحق . بيد انها تستمد مادتها من بعض هذه الوقائع ومن الذكريات والروايات الشفوية المتناقلة . وهي ... الاصل ظهرت لأول مرة فى القرن الحادى عشر أعنى بعد الموقعة بثلاثة قرون ، ودونت أولا فى بعض القصص اللاتينية ثم دونت بالنظم فى قصيدة طويلة تبلغ أربعة آلاف بيت بعنوان « انشودة رولان » Chanson de Roland ولبثت مدى العصور الوسطى من أعظم الآثار الادبية ومن روائع القصص الشعبي .

° ° °

ماذا كان من أمر عبد الرحمن وشارلمان بعد ذلك ؟ استطاع عبد الرحمن بكثير من العزم والجلد ان يخمد الثورة فى الشمال وان يخضع الثوار لصولته وان يحصن الثغور والاطراف الشمالية . اما شارلمان فانه لم يستطع مدى حين ان يفكر فى شئون اسبانيا لأن القبائل السكسونية عادت فنقضت طاعته بزعامة خصمه القوى فيدركند . فشغل بقتالها مدى اعوام أخر . بيد أن عبد الرحمن رأى ان يتفاهم مع زعيم الفرنجة وان يؤثر صداقته ومداراته على خصومته . فبعث اليه يطلب عقد الصـــداقة معه ويكاشفه برغبته فى مصاهرته . فأجابه شارلمان الى السلم ولم تتم المصاهرة (١) واستمر السلام معقوداً بين الملكين حتى توفى عبد الرحمن سنة ١٧٢ هـ - ٧٨٩ م وعندئذ عاد الاضطراب الى اسبانيا ، وعاد شارلمان يرقب فرص التدخل والغزو

محمد عبد الله عنان

المحامى

(١) المقرى عن ابن حيان (ج ١ ص ١٠٠) . ولا تقدم الرواية العربية لنا تفصيلا عن مشروع المصاهرة . ولكن المرجح أن عبد الرحمن خطب الاقتران باحدى بنات شارلمان والمرجح انها « جرترود » كبرى بنات شارلمان ، وكانت وحدها تصلح للزواج فى ذلك الحين

غيرة

لبول جيرالدي

ترجمها عن الفرنسية الاستاذ اسماعيل سري الدهشان

أنا غيرانُ قد سلا — كِ تلمي الريف مني
وهنا حنتُ وحدي — ليس مَن يسأل عني

أبواكِ اصطحباكِ — أنا بالصحبة أعلم
صحبة الآباء [illegible] — [illegible] المراح تسأم

[illegible] أني [illegible] — [illegible] غيرانَ كلما
من [illegible] — [illegible] حبا

ذلك الأ[illegible] — [illegible] عرماً [illegible]
وأنا [illegible] — [illegible] واليوم وأمسي !

قد أحبُّ النمسَ سكرى — بالتضني والتشكي
فلبمدى حنت أشكي — وطني رحت أبكي

صورة هالكِ أراها — لك تستمر رأسي
ما أحيلاكِ لدىَّ الا — يوم يا أنعم نفسي

أنا غيران فما أعـ — ـلم أم ماذا يكون ؟
إن في باريس جواً — مغرياً فيه الفتون

ذاك مغرٍ غير أني — غاضب أبعي كتابي
لك يا صفراي يا شمـ — ـلي ويا روح شبابي !

يا لوعتي من أراه ؟ أينعت الأوراق أينعتْ

أنت ما أجلاك في قبـ ـعة مسك أطلتْ

تزدهي في قدّها الأثـ ـمر مع زرق الزهور

تبعث الشمس الى وجـ ـهك في ألطف نور

وإذاً تسبين من بحـ ـرك في الحدس خيالا

فيرى من نيّمته أسعدَ الفادات حالا

آه أبكي وسأبكي من شجوني في غضبْ

يالشعر سوف يمحي في المآسي والتعبْ

سئموا عودك فيه فتمشي كالحقبْ

أسفي لي آه من بعـ ـد حبيبي عن كثبْ

ذهب الدهر وما كا ن يوم في شرى ذهبْ

عادني منه [illegible] [illegible] وهبْ

دبّ في أعصابي خوف [illegible] حيث دبْ

ليت [illegible] حتى [illegible] وتبْ

إنما يهنأ لي أمـ ـلك مثلي في كربْ

ذاك مني ليس ظرفاً ويكن سوء أدبْ

قد طوى الحب وفي الله يالي يقسو ما وجبْ

قدّمي لي أسفاً أو فيه عند المنقلبْ

واذكري شأن ربيع نعمةُ القلب سلبْ

وإذاً يصعب كيدي وبراعتي الطربْ

رغم، عتب يؤلم الأ س فمن حبٌ عتبْ

اسماعيل مرعه الدهشان

كيف صدمتني باريس

بقلم الدكتور بشر فارس

. . . دخلت باريس ووهمي يملأه ما قرأت عنها . وكنت أخذت ـ والقطار يحملني اليها ـ أعرض ما أعرفه عنها . ومما يعجب له اني لم أعرض ماقرأت وأنا شاب ، بل حين اندفعت أذكر ما قرأت وأنا غلام . حضرتني قصص (اسكندر دوماس الكبير) تلك القصص التي تطرد بين جنبيها الحوادث والنوادر وأخبار الفتوة لعصور ولت . والذي يؤخذ من هذا الامر العجيب ان الذي يرسخ في ذهن الانسان أيام الطفولة والمراهقة أبعد المدركات غوراً وأجل المحسات أثراً

دخلت باريس وفي ظني اني هابط داراً عمرتها من قبل . ووالله لم يدر في خلدي اني منتقل الى عيش لم يسبق اليه وهمي . ولو أنبأني أحد من الناس اني سأنقلب في تلك المدينة رجلاً أول من ينكره أنا لضحكت في وجهه

دخلت باريس ليلاً [illegible] القطار أرضها حتى أمسك سمعي وداخلني [illegible] إذ وقفت في محطة ، لو ألقيت فيها قنبلة ، لما سمع الصوت [illegible] دويها ، لو [illegible] فيها لخرجت من بين أرجائها مغموراً . [illegible] ما [illegible] إلا [illegible] دق وقرع وقع جوارحي تكسير . وسرعان ما أشرت الى واحد من [illegible] فتمسكت على مقعده ثم جعلت ـ وهو يرتفع بي وينخفض كأنه ناقة من نياق أجدادنا رحمهم الله ـ [illegible] على عيني تقع على ما حضرني من قصص (دوماس) وأنا في القطار ، واذا بي لا أصيب شيئاً منها . ولكن الصاد أخذ مني مأخذه فطفقت أتلمس ما تصورته كأني شق علي ان تتساقط تمثلاتي . وعزيز على الانسان ان ينبذ ما شيده وان كان وهماً محضاً . فتأمل يرحمك الله الانسان بما لديه ثم اضحك من مكابرته

وفيما أنا أحاول تحقيق ما تمثلت اذ انبسط أمامي ما أخذني شيئاً فشيئاً فتراجعت تمثلاتي وحل محلها صور هجمت علي هجوم العدو الكامن . ولم أعد أن أتبصر فيها لساعتي شأن من يفاجئه أمر يملك عليه مسالك شعوره فيتركه مبهوتاً لا قدرة له على التفكير

أول الصدمة

أول ما صدمني في باريس الطبيعة في فصل الخريف : سماء معكرة مربدة أبداً كأنها ربة دار جامدة الكف تتجهم لضيوفها وتقطب ما بين عينيها . سماء منهلة تترادف أمطارها ترادف الليالي السود . ثالجة أحياناً كأنها مستودع قطن ينفطر الحين بعد الحين . ثم أشجار مسودة اسوداد القدر في عين الأشقياء . متخددة عوار كأنها عجائز متجردات . باكية بدموع

المطر كأنها تنصب حافيا . منصبة الواحدة عقب الاخرى كأنها جماعة من الاسرى يعرضهم من ظلمهم على أمرهم ليتبين مبلغ مسكنتهم . ثم برد قارس يتسرب فى نواحى العظم تسرب السم فى مجارى الدم فيقعص الاصابع ويورم الرجلين ويشنج الاذنين ويدمع طرف الانف

ولقد راقنى بلعت مظاهر تلك الطبيعة منى كل مبلغ . فكنت أذهب فى الطرقات وكل من إحساسى وادراكى منتبه يقظ . وكان يعرض لى حينئذ ما يصرفنى عن مظاهر الطبيعة . ومن ذلك نساء مهرولات فى مشيهن هرولة الليالى البيض . كأنى بهن مسرعات إلى عشاق . ورجال سالكون أيديهم فى جيوبهم اتقاء البرد كلما رأوا موقداً مشعلا عند باب مقهى اطلقوا اليه وبسطوا أيديهم فوقه لحظة ثم استأنفوا سيرهم . وان وقفوا رفعوا أرجلهم ثم وضعوها لئلا تتشنج . وان تحدث بعضهم الى بعض كان أول ما ينطقون به : « لا حر اليوم ! »

صدمة الاخلاق

لما أتيح لى ان أخالط أهل باريس رأيت كيف تختلف أخلاق القوم عن أخلاقنا . ولأقصر الكلام هنا على ثلاثة أمور : الانقباض ، والامساك ، والتهاون برعاية المرأة

أما التهاون برعاية المرأة فلا يرغب عنه الباريسيون منهم أو لا يكادون ذهاباً بأنفسهم إلى ان المرأة فاجرة إذا شاءت عفيفة إذا شاءت . فليس فى وسع الرجل ان يبدل من طبيعتها أو يصرفها عن هواها

وان امرأة رزقت مسحة من جمال ... على المال ... واسعة ولا من لأهلها أن يداخلوها فى أمرها فيأخذوها بهفوتها . ولربما سمع ... الزوج ... أن يعوق ... الوجه فيملكها أمرها ويتمضى عن صنيعها على ان يجنبه وما يريد . ولتلك الامور التى لا يسوغ لنا على بين خفية وبينة ليس هنا موضع الكلام عليها

وأما الامساك فما أظن شيئاً أورثنى الاشمئزاز فنفرنى من الباريسيين بعض الشىء مثل تقتيرهم

والغريب ان القوم يفخرون بحرصهم على المال فيجعلونه من مزاياهم . ولقد اتفق لى ان أجتمع يوما بباريسى فى مقهى ، فاخذ يتبسط فى فضائل الحرص لعله يدل على رفعة شأنه . فقاطعته وقلت له : انه ليحضرنى ـ وأنت تدافع مثل هذا الدفاع عما تتساهلون فى تسميته « الميل الى الاقتصاد فى النفقات » le goût de l'épargne ـ مثل من أمثالنا العامية فى مصر . قال : هاته . قلت : « اللى على راسه بطحه يحسس عليها » ثم ترجمت له المثل وشرحته . فعرفت فى وجهه الغضب ، فما أطأت حتى استدعيت غلام المقهى ونقدته ثمن ما شربنا . فاطمأن الرجل وانبسطت نفسه ثم افترقنا حبيبين

وأما الانقباض فقد كنت عهدت فى أبناء مصر انطلاق الوجه . واذا بى فى باريس أصيب وجوهاً مقفلة . والسبب فى ذلك ان الباريسيين يميلون الى الانزواء وينفرون من الغرباء .

الا انى لا انسب بعضهم حتى أصبت عدم وجوهاً متهللة . والذى يبدو لى ان الباريسى صعب الانقياد قليل الاستسلام مزور عن الغريب استخفافاً به أو توجساً منه

تلك مثالب للباريسيين وسوس الى الشيطان ان أنشرها . وقبيح بى ان أنم فى القوم ، وبخاصة ان لبعضهم أيادى عندى ، ولكنى أشرح هنا كيف صدمتنى باريس فلم يكن لى بد من التعرض لما تعرضت له . على انى أصبت فى الباريسيين مكارم يعوزنا بعضها . منها : الصدق والصراحة وعلو الهمة والتماسك

صدمة الحرية

ان الحرية فى باريس لما يحير العقول ! وكان القوم هنالك قد شغل كلهم بنفسه عن الآخر فلا يبالى به ولا يسأل عنه ولا يرقبه . حتى ان النساء إذا اجتمع بعضهن الى بعض وتطارحن الاحاديث لا يندفعن فى القيل والقال . والحرية عند الباريسيين حق حرام يتمتع به الزوجان والولد والعامل والعامل . أفليست ركناً من أركان شعار الجمهورية ؟ ألا وهو : « الحرية والمساواة والاخاء »

ومما جعلنى أفطن الى منزلة تلك الحرية انى رأيت [illegible] تتخذ جدياً بمرأى من الناس وعرضها وافر . ومما [illegible] الامر علمت ان المرأة صاحبة الامر فى نفسها . فلها ان تهبها لمن تشاء . اللهم إلا إذا كانت متزوجة أو [illegible]

على ان حرية الواحد من [illegible] تقف حيث تتعدى حرية الآخر . ومعنى ذلك ان الحرية تقيدها مراعاة الناس . [illegible] إلا أنه لا يحق له أن يضج فى الشوارع والناس نيام

صدمة الالقاب

غادرت مصر ولفظتا « الباشا » و « البيه » تضطربان فى سمعى . وإذا لفظتا « الكونت » و « البارون » وما اليهما لا تلفظ فى باريس إلا فى هزؤ . ومعلوم ان الخلق هنالك قد خرجوا على أرباب الالقاب لخمس وأربعين ومائة خلت اذ نادوا بالمساواة . وقد علمت فكرة المساواة بالعامل أنه لا يعد نفسه دون رب العمل ، فان جلس اليه خارج العمل لم يكن بالمتذلل ولا بالمتضائل وان كلمه رب العمل لا يجوز أن يقول له : « يا شاطر » كما نقول نحن لاجرائنا

بيد أن الباريسيين على درجات ، شأن الناس فى جميع الامصار (حتى فى بلاد السوفييت) . وانما المال ما يميز الطبقة من الطبقة . وأظن أن الحسد وما يعقبه من حزازات وضغائن هو مبعث الحرب التى ينصبها العمال لارباب الاعمال من طريق النقابات وما يأخذ مأخذها

هذا وان غلت المعيشة فى باريس فانما السبب فى ذلك ان الاجراء على اختلاف ضروبهم ينظرون الى الاغنياء ويتطلعون الى عيشتهم . ومن الامثلة فى ذلك ان المرأة الخادم تلبس جوارب حريرية اقتداء بسيدتها

صدمة العلم والتعليم

قدمت باريس طالباً للعلم وكنت أحسب انني على شيء منه . فسرعان ما أدركت ان بيني وبين العلم الحق ما لا يقع البصر عليه . ذلك بأني فطنت إلى ان معارف هذا العصر على فنون كثيرة . فلابد لمن يطلب العلم ان يجعل عقله موسوعة مصغرة . ثم اني أخذت عن أساتذتي ان الذاكرة ليست بشيء بجنب التفكير . ثم تحقق لي ان ذلاقة اللسان وبراعة التعبير وغير ذلك من فنون الخطابة والبلاغة والفصاحة إنما هي في المحل الثاني ، في حين ان رجاحة الرأي في المقدمة والطليعة . وأن التحصيل ليس بين يدي الفهم والحافظة ولكنه موقوف على التزود من العلم ليوم آت . وان الأخذ بأطراف كثيرة من الفنون لا ثمرة فيه ، بل الخير كل الخير في استقصاء بعض المطالب استقصاء يحمل النظر على الادمان والتأمل ويعود الفكر الصبر على البحث . وان ما أتلقى في دور التعليم ليس إلا درجة فكأنه المعراج الذي فيه أصعد الى العلم

صدمة المرأة

كان الراسخ في ذهني قبل قدومي باريس ان المرأة فيها لا يمنعها مانع عن الفجور ولا تصون الحب عن المادة . فكذبت أمس عن عشرتها أول الامر . فلما شاء الله لي ان أختبرها عرفت فيها الحب المحض وأصبت عندها أركانه . الاخلاص والوفاق والتضحية والمتعة والشدة

ثم علمت انها لا تقوى على العيش من دون الحب مهما تحدثها الشطارة وانها بعد هذا لا تقيم على حبها فراراً من اللائم

ومهما يكن من أمرها فانها تمشي الى عمل المرأة في هذا العالم ذلك أنها علمتني كيف تكون المرأة شريكة الرجل في سعيه ، من حيث ربما تقويه ان وني وتعلي من همته ان تقاعد وتؤويه إن تشرد وتسكن منه إن ثار وتزعه لن تعب وترفه عنه ان اغتم ، ثم تشعل له ذلك المصباح الذي يهتدي بضوئه في ظلمات الحياة المادية فيطمئن الى أن الروح لم تفارق العالم ، ولولا الايمان بالروح لبطلت الحياة

• • •

تلك صدمة باريس لي . على أن ثمة أموراً أخرى نالت مني منالها وبقي أثرها بين جوانحي وسيبقى . الا أني كتمتها هنا قاصراً همي على عرض بعض مظاهر بين طبيعية وخلقية وعقلية واجتماعية . ومعلوم انني أغفلت ما دلته لي باريس من أسباب الاختبار العادي ، ذلك الاختبار الذي يصيبه الرجل كائنا من كان في بلد كائنا ما كان على أن يمتحن الدنيا

ومغزى القول ان صدمة باريس لي ردتني رجلا آخر . وان قدر لي أن التفت الى ما انصرم من الزمان كان اليوم الذي فيه دخلت باريس من الاعلام البارزة في طريق حياتي المقترنة

بشر فارس
دكتور في الآداب من السوربون

بنية المرأة

وهل تمكنها من مزاولة كل الأعمال

للدكتور محمد زكي شافعي

اذا استعرضنا الأعمال التى كانت تقوم بها المرأة منذ القدم علاوة على وظيفة الأمومة والعناية بالشئون المنزلية وجدنا أن لها الفضل الأكبر فى تقدم الصناعة ، لأن الرجل كان يقوم عادة بالأعمال الشاقة العنيفة كالصيد والقتال بينما كانت تقوم بأعباء الأعمال التى تلازمها العصابية والسكينة كالحياكة والنسج والزرع . ثم أغار الرجل تدريجا على أعمالها واشترك معها فى كل صناعة كانت فى [illegible] يديها ، وتمادى فى اغارته بأن اخترع آلات تقوم بالأعمال التى كانت من شئون المرأة ، ولكن القصد التوى على الرجل من [illegible] هذه الآلات من تحسينها [illegible] فى غير حاجة الى قوة الرجل ، فتغلبت المرأة بدورها على الصناعة ومعظم المهن والحرف وأصبحت تزاحم الرجل مزاحمة جدية فى جميع أبواب الرزق [illegible] عن الرجل أو أن تظل له متاعا وأداة لهو . واستعدت [illegible] حربا عوانا [illegible] فى جميع أبواب الرزق . وانه وان كانت هذه الحرب [illegible] الا أنه [illegible] عن دخول المرأة كل ميادين العمل مسألة لها خطرها ، ولقد اهتم لها رجال الصحة وان كانوا من جنس الذى أعلنت عليه الحرب لأن رجال الطب والصحة رسل رحمة وسلام يوفرون أسباب الصحة أين حلوا ويلبون نداء الانسانية فى كل زمان ومكان لا يميزون بين الصديق والعدو . ولما كانت النساء قد زاحمن بأنفسهن فى كل حرفة ومهنة فقد وجب على رجال الطب أن يعنوا ببحث صلاحية المرأة لأى نوع من العمل ومدى تحملها للمشاق بدون ان تتأثر أجهزتها

ولما كانت مصر قد ابتدأت نساؤها فى الخمسين سنة الماضية بالأخذ بنصيب كبير من الأعمال واحتراف مهن عدة كمهنة التعليم والحياكة والكتابة والزراعة وغيرها خصوصاً وأن تعدادهن يزيد عن نصف تعداد الأمة ومن الظلم أن يترك هذا الجيش العرمرم بأكمله بغير عمل ، لذلك رأيت أن أشير للموضوع من الوجهة الطبية والصحية تاركا الوجهة الاجتماعية لغيرى من رجال الاجتماع لكى تكون الأمة على استعداد للمحافظة على صحة نسائها التى إذا اعتلت كان فى ذلك الدمار للأمة بأجمعها . ولنبدأ بالكلام عن كفاية المرأة الجثمانية مع مقابلتها بكفاية الرجل

الكفاية الجثمانية للمرأة

المرأة عادة أقصر من الرجل وأقل قوة وهي ليست هيكلاً مصغراً للرجل فحسب ، بل ان بناءها يختلف عن بناء الرجل فجذعها أطول نسبياً من جذع الرجل وأطرافها أقصر من أطرافه والنسبة بين سواعد المرأة وسوقها وعضدها وفخذها أقل منها بين أعضاء الرجل . وأجزاء القسم السفلي قصيرة بالنسبة للقسم العلوي كما ان متوسط وزن المرأة أقل من متوسط وزن الرجل في سن واحدة . وقد وجد أنهما ولو تساويا وزناً فالمرأة لا تعدل في قوتها الا نحو نصف قوة الرجل . ويظهر ذلك جلياً في المسابقات الرياضية عدواً ، فالرجل يقطع ١٠٠ ياردة عادة في ١٠ ثوان بينما المرأة تقطع هذه المسافة في نحو ١٢ ثانية . وفي السباحة يقطع الرجل هذه المسافة في ٥٩ ثانية ، والمرأة تقطعها في دقيقة و٤ر١٠ ثانية . كما ان غالبية النساء لعدم ممارستهن الرياضة البدنية ولاعتيادهن الحياة المنزلية هن أقل كفاية من الرجال في الأعمال المتعبة وهن في حاجة دائمة الى شيء من الراحة والمرطبات أو غيرها في أثناء العمل الطويل

وأما من جهة الفوارق الفسيولوجية فيذكر (جابر) ان الكريات الحمراء أكثر عدداً في الرجال منها عند النساء ومتوسطها ستة في الرجال الى ٧ر٤ للنساء . ووجد (ثادت) ان متوسط ما في المليمتر المكعب الواحد عند الرجل ٥ر٥ ملايين كرية حمراء وفي المرأة ٩ر٤ ملايين . وان كان ذلك يختلف بحسب البنية وأصل الشعب . وهذا الفرق [illegible] ارتفاع الثقل النوعي للدم في الرجال عنه في النساء وزيادة المادة الملونة . فنخرج من هذه الحقائق بأن الرجل أكثر ملاءمة للأعمال الجثمانية . وهناك مسألة تمدد الاوردة ولا سيما في الأطراف فانه وان كان الجنسان معرضين لهذه الحالة بنسبة واحدة تقريباً فان الوقوف المستمر — ومدة طويلة مما يستدعيه كثير من الأعمال — يساعد على حصولها . وهذه الحقيقة لها اهمية خاصة بالنسبة للنساء بسبب استعدادهن لالتهاب الاوردة الذي ينشأ عن هذه الحالة والطرف السفلي الايسر عند الوضع

وقد وجد أيضاً ان الحرارة التي تتولد من جسم الرجل في اثناء الراحة تزيد — من ٥ الى ٨ في المائة — عنها في المرأة التي في نفس السن والمساوية للرجل في الوزن وطول القامة . غير ان المرأة عندها استعداد للسمن أكثر من الرجل . ولذلك كانت أكثر صبراً من الرجل على قلة الغذاء وأوفر طاقة مختزنة وعندها مادة مدخرة ترجع اليها وقت الحاجة . وهذا يفسر سر قناعة المرأة بقطعة من الشوكولاته أو بقليل من الحلوى بدل اكلة مغذية كما يفسر أيضاً شكوى السيدات العاملات من امراض الجهاز الهضمي كعسر الهضم والامساك الذي يكون سببه اما المبالغة في القناعة أو الافراط في تناول المواد الدسمة أو الحلوى

وقد يكون البحث الفسيولوجي ناقصاً إذا لم نذكر شيئاً عن الحيض وهو ظاهرة طبيعية شهرية

لا يؤثر فيها العمل الا اذا كان مضنياً — وإن كان يقول (لى) بأنها تنقص من قوة المرأة العملية فى أثناء الحيض نحو خمسة فى المائة — وقد يكون العمل العضلى الخفيف علاجاً للحيض المؤلم ، لانه ليس من شك فى ان الجلوس المستديم يسبب احتقان الاحشاء الحقْوية وينتج عن ذلك حالات مرضية فى جهاز التناسل وامساك وبواسير وأعراض مضايقة كآلام الظهر والساقين وغير ذلك . ولعل الوقوف المستديم مع ما ينشأ عنه من ضرر هو أخف ضرراً من الجلوس المستديم ولا ننسى الانيميا المشاهدة فى النساء أكثر منها فى الرجال وللامساك دخل كبير فى حدوثها

وأما التعب فالملاحظ فى النساء اللاتى يعنين بمجاراة العصر الحديث — فى ارتداء الملابس من أحدث طراز — ان تنفسهن صدرياً أكثر منه بطنياً بعكس الرجال . ولذلك كانت كمية الاوكسجين التى يحصلن عليها أقل . ولو لبسن يرتدين الثياب الفضفاضة غير الضيقة لتساوى النساء والرجال من هذه الوجهة . فهذه الحالة ليست متأصلة فى طباعهن بل طارئة بسبب تهافتهن على ما يوحى الى أسباب التسلط على عواطف الرجال ، حسب اعتقادهن ، ولكنى كطبيب ورجل اقرر أن الصحة هى الدعامة الكبرى التى يقام عليها صرح جمال المرأة

ومن الظواهر الطبيعية التى تعوق المرأة عن مجاراة الرجل فى العمل حتى النهاية استعدادها للامومة ووجوب قيامها بهذه المهمة الحيوية للامم ولبقاء النوع . وهذه الظاهرة الطبيعية تعطلها عن أى عمل تزاوله فترة تتراوح بين أربعة وستة أسابيع قبل الوضع ومثلها بعده . وقد يكون الحمل مصحوباً بمتاعب أخرى معطلة للعمل كما قد تكون الامومة مصحوبة بشواغل هامة بسبب تربية الطفل

أما عن مقاومة الامراض فليس بصحيح ما يقال من ان المرأة أكثر تأثراً من الرجل بالوسط غير الصحى الذى يكون محيطاً بها . وكما سبق يتضح ان للمرأة أكثر منه مقاومة للامراض . والواقع أن نسبة الوفيات بين النساء هى فى الغالب أقل منها بين الرجال

الكفاية السيكولوجية أو العقلية

ان متوسط وزن مخ الرجل هو من ٤٦ الى ٥٣ أوقية ووزن مخ المرأة من ٤١ الى ٤٧ أوقية ويصل مخ المرأة الى أقصى وزنه فى سن ما بين ١٠ و ٢٠ سنة ثم يتناقص حتى سن الخمسين ومخ الرجل يصل الى أقصى وزنه فى سن العشرين ويستمر فى الزيادة حتى سن ٣٠ ثم يتناقص حتى سن الخمسين . ثم يزيد فى الجنسين ما بين الخمسين والستين ثم ينقص بعدئذ بسرعة كلما تقدمت السن . هذا ونسبة وزن المخ للجسم فى الجنسين واحدة ولكن لا يمكن اتخاذ هذه الفروق مقياساً لاختلاف الذكاء بين الرجل والمرأة . أما الفروق الجنسية من الوجهتين النفسية والعقلية فلا تتوقف على الفرق فى الكفاية أو نوع النشاط العقلى بل تتوقف على اختلاف المؤثرات الاجتماعية من الطفولة الى

النوع – التي تؤثر في الانسان الثاني . وما اختلاف توزيع العمل عليهما الا نتيجة ضرورة فسيولوجية لا بسيكولوجية أي عقلية

ولا يفوتنا ان نذكر الامراض العقلية المصحوبة بتهيج عصبي وهي التي تكثر بين النساء دون الرجال كالهستيريا . واقصد بها الاضطرابات التي تحدث في بعض وظائف المخ بدون ان يكون به اي مرض عضوي . ويندر ان توجد امرأة خالية من عرض من اعراضها . وهذه الامراض مهما تقدمت طرق معالجتها فانها عسيرة الشفاء . ولا شك في ان لها دخلا كبيراً في كفاية المرأة للعمل فضلا عن راحة بالها وسعادتها . وقد عللت كثرة حدوث الهستيريا بين النساء بأسباب عدة ليس اليوم مجال الكلام عنها . ومن بين هذه الاسباب التي تمس موضوعنا عدم الزواج او الزواج المتأخر جداً . وهاتان الحالتان تلازمان المرأة اذا جنحت للعمل اذ تغلب العزوبة بين المشتغلات بالعلم او العمل أياً كان نوعه بينما لا يقلل العمل من كفاية الرجل للزواج غالباً . ولقد وجد بالتجربة ان المرأة اكثر اجتهاداً من الرجل في الاعمال التي تمارسها واكثر منه مثابرة عليها وخصوصاً الاعمال التي هي على وتيرة واحدة اي من نوع واحد متكرر اذ انها اقل منه ابتكاراً واختراعاً . ولعل سبب هذا يرجع الى ان مهمة الرجل في [illegible] نشأته كانت مقصورة [illegible] وقتها ولذلك كان مضطراً الى اختراع آلات للقتل والقنص ثم تدرج من ذلك الى اختراع مختلف العدد والآلات بصفة عامة ثم اعتاد بعد ذلك تقوية مداركه العقلية وتنميتها بينما كانت مهمة المرأة الزوج وتربية الاطفال ومزاولة بعض الصناعات كما ذكرنا . وهذه امور لا تحتاج كثيراً الى الابتكار والاختراع . ولقد كانت قوة الابتكار في المرأة موجهة الى منتجات الصيد لا للصيد نفسه . وكان يساعد على نقص قوة الابتكار عندها قلة حركتها – بخلاف الرجل في الزمن الغابر فضلا عن [illegible] . وبسبب هذا نشاط الرجل العقلي بأنه انشائي بينما انطبع نشاط المرأة بالمحافظة على ما اعتادته . ولكن تقدم المدنية وما تبعه من تطور وارتقاء دفع بالمرأة في كل ميدان من ميادين العمل . ولا شك أن صفاتها ومميزاتها الموروثة اذا تعهدت بالرعاية والعناية كانت عاملا مهماً من عوامل تقدم المدنية . واهم هذه الصفات الصبر على العمل الآلي والتغير المتنوع . وهذا ما يحتاج اليه الآن كثيراً في اغلب المهن كمهنتي الكتابة والتعليم وغيرها . ولا يمنعها استعدادها العصبي من القيام بهذه الاعمال

النتيجة

مما ذكرته ومما ثبت من تجارب من سبقونا في معالجة شئون تعليم البنات ودخول النساء مضمار الحياة العملية يتضح ان الفوارق الجنسية ليست مانعة المرأة من ان تشتغل كالرجل ولكن لكل من الجنسين ميدان للعمل يصلح له . وفي الواقع ان مركز المرأة قد تغير منذ القرن التاسع عشر اي من وقت ان دخلت الفتاة المدارس العالية في البلاد الغربية . والفتاة في الدراسة

العالية مدعاة على الدوام للاعجاب بما تظهره من الاعتدال والسكينة والاجتهاد والغيرة في عملها . ولا توجد في وقتنا الحاضر مهنة أو حرفة لم تدخلها المرأة ولكن بسبب حالتها الفسيولوجية الخاصة وضعت الأمم الغربية قيوداً خاصة بصحة النساء اللاتي يشتغلن في المصانع والمعامل . ومصر في طريق الاخذ بهذا الاحتياط

وليس هناك أدل على الميل العام لتعليم الفتاة التعليم العالي من الارقام الآتية فانه في سنة ١٨٩٠ كان عدد الفتيات في المدارس الاعدادية والعالية والخصوصية بالولايات المتحدة ٤٤٢٢٩ وقد بلغ في سنة ١٩٢٤ ــ ٢٢٥٠٢١ نال منهن الدرجات العلمية ٣٦٢٥٨ وفي عام ١٩٢٦ زاد عددهن الى اكثر من ثلث جميع الطلبة فتياناً وفتيات . وقد كان بمريطانيا العظمى بمدارس الاعانة الثانوية في سنة ١٩٢٤ ــ ١٧١١٧٦ فتـاة وكان عدد اللاتي دخلن الجامعات في سنة ١٩٠٩ ــ ٣٦١ فتاة . وفي سنة ١٩٢١ زاد عددهن الى ١٣١٤ . وفي مصر تتقدم الفتيات نحو التعليم الثانوي والعالي بخطوات واسعة . وقد قبلت المدارس الثانوية هذا العام ٥٠٠ فتاة مع قرب العهد بفتح هذه المدارس للبنات

ولقد شعروا في البلاد الانجليزية والولايات المتحدة بشيء من النقص في تعليم الفتاة فأخذوا يلقنون البنات من الـ Eugenics وهو فن يبحث في تحسين النسل وبناء الأسرة وتربية الأطفال وتحسين حالة المجتمع . وبنى بعض الكتاب ... بعض ... التبرم الناشئة عن قطع حلقة الاتصال بين تعليم الفتاة و حياتها المنزلية . ولعل ذلك نتيجة مغالاة الفتاة في تقليد الرجل في كل شيء . وها نحن أولاء قد رأينا وعرفنا ضعفها في كثير من الأحوال عن الرجل وأن تقلدها الاعمال بغير قيد ولا شرط أمر يحتاج لاعادة النظر في بعض مراكزها في ذلك من الاضرار البالغة بالمرأة نفسها وبالعمران على الاطلاق

والخلاصة ان المرأة وان كانت وظيفتها حسب طبيعة تركيب جسمها هي الأمومة فان ذلك لا يمنعها من ممارسة بعض المهن التي تصلح لها . وقد فاق النساء الرجال عدداً بحيث لو تركن بغير عمل لـكان هذا بمثابة تعطيل لأكثر من نصف الامة بغير انتاج مع تأباه حالة المجتمع الحالية من جميع الوجوه ومنها الوجه الصحي لان العمل ضروري لتوفير أسباب الصحة . ولـكن مضمار العمل للسيدات هو الميدان الذي تظهر فيه صفاتهن الموروثة وهي العطف والاناة والصبر . وهذا المضمار فسيح ولله الحمد . واما الاعمال الشاقة أو المتعبة أو التي تحتاج الى عراك عضلي أو فكري ما يضني الجسم فليست ميدان عملهن بطبيعة استعدادهن الخلقي والعقلي مهما أحيطت بسياج من القوانين الصحية وغيرها لعدم تعريضهن لخطر العمل الشاق ، فان رقتهن ودقة تركيب اجسامهن لا تمكن من دفع الضرر عنهن بالاحتياط أو القانون

دكتور محمد زكي شافعي

الادب العربي
في ضوء التحليل النفسي

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية بن أبي سفيان ، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث . فأسرع محمد بن الأشعث حتى دخل قبل الأحنف ، فلما رآه معاوية قال :

« إني والله ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله . وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي أدبكم . وما تزيد متزيد إلا لنقص يجده من نفسه »

فهذا الذي لاحظه معاوية على « محمد بن الأشعث » يسمى عند علماء التحليل النفسي « مركب النقص » . وهو شعور بالضعة والمهانة منشؤه نقص في بعض الكفايات والمؤهلات ، ينقلب إلى التظاهر بضد ذلك وانتحال الرفعة والكمال فيه

وقد عن لي — بعد قراءة هذه الحكاية — أن أدرس نواحي من الأدب العربي على ضوء التحليل النفسي ، فجمعت ملاحظات أعتقد أنها تساعد على فتح باب جديد لفهم الشخصيات الأدبية والفنية ، وتعين على الكشف عن أسرار وحل معضلات ورثناها كما هي ، فلم نزدها إيضاحاً ووقفنا حيالها حيارى عاجزين . لكن قبل المضي في إيراد الملاحظات التي أسوقها خدمة لدراسة الأدب العربي على ضوء « التحليل النفسي » ، أقول : إن عقل الإنسان « الفردي » ينمو متدرجاً في مراحل معينة . وخلال هذا التدرج تدور فيه تغيرات متعددة الأسباب عظيمة النتائج في تكوين « الشخصية » . والعقل على نوعين : عقلي وخيالي

والأدب والشعر وبقية الفنون ، ليست إلا تعبيراً عن « الشخصية » : شخصية الفنان أو الكاتب أو الشاعر . تدرس شخصية رجال الأعمال — كنابليون — من سيرتهم ومساعيهم وجهودهم ، ومن نتائج ما أحدثوه ناجحين أو فاشلين . وتدرس شخصية الشاعر من حياته وشعره ، والمثال من سيرته وتماثيله

بعد تلك المقدمة التمهيدية أضرب أمثلة توضح ما أقول :

المثل الأول أبو الطيب شاعر مجيد فحل بين الفحول ، والدارس لحياته يلاحظ ظاهرتين بارزتين : هما ادعاؤه النبوة ، وشعوره بالعظمة شعوراً يقترن بمحاولته فرض هذه العظمة على الناس

فما تعليل ذلك ، وما أثره في شعره ؟

نبت « أبو الطيب » في البادية من أبوين فقيرين حقيرين ، ونشأ في هذه البيئة المجدبة من الحيوات والموارد والكفايات . ولد عبقرياً على مواهب تميزه عن أترابه وتضعه فوق مستوى قبيلته . فأحس أن كفاياته تضيق عنها البيئة وتنهار من حولها حواجز الزمان والمكان !

لابد ان الله يحبه ، اذ ميزه على أفراد القبيلة جميعاً وعلى أهل باديته من القبائل الاخرى . . .
والبون شاسع بينه وبين أعظم هؤلاء المعاصرين المحيطين ، فهو لذن مبعوث لهدايتهم والتقدم برسالته .
فالله لا يحبه فحسب ، بل هو اختاره لاداء هذه الرسالة لهم ولسواهم . . . اذن هو « نبي » . . .
وهكذا أيقن ابو الطيب في صباه — ولما يبلغ سن الرشد — انه « نبي » وظهر في البادية بصورة
« النبي » فقبض عليه الوالي وسجنه . فلم تقع معجزة تحل وثاقه وتخرجه من محبسه . فطلب العفو
بقصيدة مدح بها الوالي واستعطفه ، وأعلن توبته

منذ خروجه من السجن تنازل « أبو الطيب » عن النبوة ، لكن « مركب النقص » ظهر بشكل
آخر — ظهر في صورة خيلاء لا تطاق واعتقاد بأنه رجل الساعة جاء ليصلح الدنيا بالسيف

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم

فلا كبير عناء تستطيع ان تدرك من قراءة ديوان المتنبي أنه مدح سيف الدولة على اعتبار أنه
يمدح نفسه — بمعنى آخر أن المتنبي كان يصور في مدحه سيف الدولة بطلاً خيالياً لا وجود له ،
معتقداً أنه هو ذلك البطل ، وأن الظروف لابد مهيئة لظهوره يوماً من الايام

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

هو يشعر بعبقريته وعظمته . ويشعر أيضاً وعلى الدوام بأنه حقير الاصل وضيع المرتبة ، فيكابد
من شعوره — أو قل من الصراع بين شعوريه — مصاعب وآلاماً ، ويزيد في مصاعبه وفي ألمه أنه يحس
احتقار الكبراء والامراء وبخاصة لأصله ونشأته ، فيتحرك « مركب النقص » للدفاع بالتمويه والبهرجة .
ومن أجل ذلك نراه يقول في رثاء جدته الحقيرة الاصل :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أما

مثــل آخر نضربه لناحية أخرى من النواحي التحليلية فنقول : إن « ابن الرومي »
كان شديد التشاؤم والتطير ، كان يخشى الماء ويفرق من رؤيته ، وله في ذلك أبيات يؤكد لنا فيها
أنه يخاف من كوب الماء خوفه من البحر الزاخر المتلاطم الامواج . فهذا الخوف يدخل في دائرة
مرض نفساني يسمى « هستيريا القلق » . وفيه يبتلى المصاب بفكرة ملحة يخيل اليه أنها حقيقة لاشك
فيها تلازمه كالكابوس . والخوف على أنواع : فمن الناس من يخاف الفراغ ، ومنهم من يخاف الظلام ،
ومنهم من يخاف الحشرات يكاد يتمزق قلبه إذا رأى « صرصوراً » أو خنفساء . ومعروف أن
حسان بن ثابت كان جباناً يخاف الدم المسفوك

مثــل ثالث كان « أبو محجن الثقفي » شاعراً مجيداً ، من عائلة نبيلة تسكن الطائف ،
والطائف من أخصب بقاع جزيرة العرب وأعلاها بالفاكهة والخمر ، وأهلها — خصوصاً الاغنياء
والنبلاء — مشهورون بالافراط في السكر وحب النساء

عاصر أبو محجن الثقفي عمر بن الخطاب . وهذا الخليفة لا يعرف في الحق هوادة . لقد أقام حد الزنى على فلذة كبده ، فلا مفر من اقامة الحد على « أبي محجن » لادمانه الخمر . وبالفعل أقيم الحد على الشاعر وضرب بالسياط . . لكنه لم يتب عنه ، فجلد ظهره مرة أخرى لم يتب ، فضربه بالسياط مرة ثالثة ، وهكذا حتى بلغ ذلك سبع مرات أو ثمان ، وهو مصر على عاده ، يقول :

اذا مت فادفني الى أصل كرمة   تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفــلاة فانني   أخاف اذا ما مت ألا أذوقها

فهذا الاصرار الشاذ على احتساء الخمر ، رغم ما لحق « ابا محجن » من العار والعقاب ، بماذا نفسره ؟ نفسره بأنه صادر من أعماق عقله الباطن ، من قرارة نفسه غير الواعية . وهو عمل لا إرادة له فيه ولا اختيار ، هو نوع كالجنون أو شبيه به . والواقع أن كثيراً من حالات الادمان ــ ادمان الخمر والمخدرات ــ ترجع في أساسها الى اللاوعي (العقل الباطن) . وثم انواع من الجنون تجعل المبتلين يأتون أعمالا خارجة عن ارادتهم ، كالجنون بالسرقة والجنون باشعال النار ، يسرق الرجل ولا يدري أنه يسرق ــ ويشعل النار عن غير عامد ولا واع

مثل رابع يقول الأستاذ عبد المجيد الصادق ، أستاذ التاريخ بكلية الآداب ، عن الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز : إنه من حيث شخصيته تحول في تلك المرة التي تولى فيها إمارة الحجاز ، فكان مترفاً مسرفاً في الترف ، يرخي شعره ويسبل إزاره ، ويلبس الثوب تبلغ قيمته مئات الدنانير ، ويكثر من الطيب حتى لتعصف رائحته متى مشيه « العمرية » ــ وهي مشية كان يتبختر فيها ويختال ــ وللاعجاب كانت الجواري تأخذها عنه .

ليس هذا فحسب ، بل كان عمر بن عبد العزيز مفتوناً بالغناء يكاد يستخفه الطرب . وما زال هذا شأنه حتى وقع له حادث جزع له جزعاً شديداً ، وجه حياته وجهة أخرى تناقض زخرف الملبس وخيلاء التبختر ، ذلك أنه ضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان ، وأوغل في القسوة عليه حتى مات . فلبس الحداد سبعين يوماً عليه . وتزهد منذ ذلك الوقت ، فصار فيما بعد ذلك الخليفة الأموي العظيم ، الذي تشبه بـ « عمر بن الخطاب » فكان خير خلف لخير سلف ! !

فهذا الذي حدث لعمر بن عبد العزيز يسمى « تسامياً » وهو النهوض بالنفس من حال لا تسر وتنذر بسوء المنقلب الى حال أحفل بالخير وأقوم سبيلا

وأظهر ما يكون « التسامي » في حياة امرىء القيس . حكوا أن أباه حجراً الملقب بآكل المرار ، أمر رجلا من رعيته أن يمضي الى أولاده جميعاً « فمنهم لم يجزع ، فادفع اليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي » ــ وذكر في وصيته من قتله وكيف كان خبره . فجزع أولاده جميعاً ، إلا امرأ القيس . جاءه الرجل فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه النرد (نوع من الميسر) فقال

له الرجل : « قتل حجر » . فلم يلتفت إلى قوله ، بينما أمسك يديه عن اللعب . فقال له امرؤ القيس : « اضرب » فضرب . حتى اذا فرغ قال : « ما كنت لأفسد عليك دستك » . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فأخبره فقال : « الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصي مائة . . . ضيعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً . لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر » وبقية أخبار امرىء القيس معروفة . ومن هنا نود أن نقرر حقيقة بارزة في شعر امرىء القيس هي انه بعد هذا الحادث نهج نهجاً جدياً رهيباً . قال :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بـ « قيصرا »
فقلت له لا تبك عينك ، انما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

« أبو نواس » أيضا تسامى في أخريات أيامه ، رهبة من الأمين بن هرون الرشيد بتحريض وزيره الفضل بن الربيع . انظر اليه يقول في صبواته :

فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر
ولا خير في فتك بغير مجانة ولا في مجون ليس يتبعه كفر

واقرأ بعد ذلك قوله وقد نسك وتاب عن الخمر والمجون :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام

المثل الأخير قد يتحول الحب من الشخص الى جزء منه أو إلى أي شيء يملكه ويتصل به ، بمعنى أن الوردة التي يهديها الحبيب ، أو الخطاب الذي ينمقه بخطه ، أو خصلة الشعر من غدائره ، أو ما يصدر عنه مما يمت إلى الحب بسبب ـ أي هذه الاشياء قد يحل محل المحبوب وينسى عنه . ومع الزمن ينسى العاشق معشوقه نسياناً تاماً ، ولا يعود يهمه أمره . لكنه يحرص كل الحرص على الوردة وعلى خصلة الشعر . فاذا ماتت حبيبته لم يتفجع ، وإنما تقع الفجيعة في قلبه إذا ضاعت الوردة أو فقدت خصلة الشعر

والشعر العربي حافل بما يثبت شيوع هذه الظاهرة المرضية النفسانية ، مثال ذلك قول جميل :

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى ، وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالعام تنقضي أواخره لا نلتقي وأوائله

بهذه الطريقة درست قدراً صالحاً من الادب العربي . وأرجو أن ينتبه الأدباء والنقاد والمفكرون إلى ضرورة التحليل النفسي كعنصر جديد ، له خطره لا في دراسة الادب وحده ، ولكن في القصص المسرحي والروائي وفي كل ما له صلة بالحياة على وجه العموم ! ! احمد خيري سعيد

المنتحرون

في الجاهلية والاسلام

كان الانتحار معروفاً عند الجاهليين كثيراً، وأصله أن يذبح الانسان نفسه، ثم اطلق على كل قتل للنفس يتعمد صاحبه المنتحر، ومنه نوع يسمى «الاعتفاد» يقال «اعتفد فلان» أي اغلق بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعا، وكانت العرب تفعل ذلك في الجدب والاعمال. وفي الاخبار أن رجلا لقي جارية تبكي، فقال لها: «مالك؟» فقالت: «نريد أن نعتفد»

ومنهم من كان ينتحر بشرب الخمر الصرف الكثير، فعل ذلك زهير بن جناب وأبو براء عامر الملقب بملاعب الأسنة وعمرو بن كلثوم، فأما زهير فانه أمر ذات يوم الحي بالرحيل، فقال عبد الله بن عليم وهو ابن أخيه «الحي مقيم» فقال زهير: «من هذا المخالف لي؟» قالوا: «ابن أخيك». فقال «أو ما أحد ينهاه؟» قالوا «لا» قال «أراني قد خولفت» ودعا بالخمر فلم يزل يشربها صرفا حتى مات

وأما أبو براء عامر ملاعب الاسنة فان النبي (ص) وجه جماعة من أصحابه الى بني عامر ليقاتلوه على رياسته، فعدى عليهم عامر فقتلهم، فغضب ودعا بالخمر فلم يزل يشربها صرفا حتى مات. وأما عمرو بن كلثوم فانه أغار على بني حنيفة باليمامة فأسره يزيد بن عمرو الحنفي فشد به الوثاق وقال له: «أأنت القائل:

متى نعقد قرينتنا بحبل ... نجذ الحبل أو نقص القرينا

«أما اني سأقرنك ببعيري ثم أطردكما فانظر أيكما يجذ؟» فنادى عمرو بن كلثوم: «أمثلة يا آل ربيعة؟» فاجتمع بنو لجيم ونهوا يزيد بن عمرو عن ذلك، فانتقل به الى قصر باليمامة فدعا عمرو بن كلثوم بالخمر فلم يزل يشربها حتى مات

وممن حاول الانتحار فلم يتممه «أبو عزة الشاعر» فقد ابتلي بالبرص بعد ما أسن، وكانت قريش تكره الابرص، وتخاف العدوى، فلم يؤاكلوه ولا شاربوه ولا جالسوه، فكبر ذلك عليه وقال «الموت خير من هذا» فتناول حديدة وصعد الى جبل حراء يريد قتل نفسه فطعن بها بطنه، فضعفت يده فلما أحس بألم الحديدة رمالت بين الصفاق (١) والجلد، فسال من جسده ماء أصفر واتفق له أن زال عنه البرص فقال:

لاهم رب وائل ونهد ... والتهمات والجبال الجرد

---

(١) الصفاق هنا الجلد الاسفل الذي يمسك البطن

وروب من يرمى بياض مجد أصبحت عبداً لك وابن عبد
ابرأنى من وضح بجلدى من بعد ما طعنت فى معدى

ومن انتحر من العرب «قزمان الظفرى» قال الواقدى فى المغازى : « وكان قزمان من المنافقين وكان قد تخلف عن أحد فلما أصبح عيره نساء بنى ظفر ، فقلن له : «يا قزمان قد خرج الرجال وبقيت ! استح يا قزمان . ألا تستحى مما صنعت ؟ ما أنت إلا امرأة ، خرج قومك وبقيت فى الدار » فاحفظنه ، وقام فدخل بيته وأخرج قوسه وكنانته وسيفه ، وكان شجاعاً . وذهب يعدو حتى انتهى الى النبى (ص) وهو يسوى صفوف المسلمين فى غزوة أحد ، فجاء من خلف الصف حتى انتهى الى الصف الأول فثبت فيه ، وكان أول من رمى بسهم من جهة المسلمين ، فقد كان يرسل نبالا كأنها الرماح ، ثم انتضى السيف ففعل بمشركى مكة الأفاعيل ، وكان يدخل وسطهم حتى يقول المسلمون : « قد قتل » ثم يطلع قائلا : « أنا الغلام الظفرى » حتى قتل منهم سبعة ، وذلك عند انكشاف المسلمين وفى اشتداد الهول وزحف الموت ، وجعل يقول : « الموت أحسن من الفرار ! للأوس ، قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع » فكثرت به الجراحات فوقع . ومر به قتادة بن النعمان فقال له : « أبا الغيداق ! » قال قزمان : « لبيك » قال : « هنيئاً لك الشهادة » فقال قزمان : « والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ ـ أن تسير قريش فتطأ سعفنا » . ثم أخرج سهما من كنانته فجعل يتوجأ به نفسه ، فلما أبطأ عليه الموت أخذ السيف فاتكأ عليه حتى خرج من ظهره فمات ، نقل ذلك ابن أبى الحديد فى الشرح

وجاء رجل الى عمر بن الخطاب (رض) فقال : « ان لى بنتا وأدتها فى الجاهلية ، فاستخرجتها قبل أن تموت فأدركت معنا الاسلام فأسلمت ، ثم قارفت حداً من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويناها حتى برئت وتابت توبة حسنة . وقد خطبها قوم أفأخبرهم بالذى كان من شأنها ؟ » فقال عمر : « أتعمد الى ما ستره الله فتبديه ؟ ! والله لئن أخبرت بشأنها أحداً لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار »

ومن انتحر فى أول الاسلام أبو لؤلؤة المجوسى الفارسى ، فقد جاء فى أكثر تواريخ الاسلام أنه اشتمل ذات ليلة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه وكمن فى زاوية من زوايا المسجد بالمدينة المنورة فى غلس السحر . فلم يزل حتى جاء عمر بن الخطاب يوقظ الناس لصلاة الفجر ـ كما كان يفعل ـ فلما دنا منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهى التى قتلته . ثم انحاز أبو لؤلؤة المجوسى الى المسلمين فى المسجد فطعن فيهم من يلى عمر بن الخطاب حتى أصاب احد عشر رجلا سوى عمر ، فطرح عبد الرحمن بن عوف خميصة كانت عليه فلما حصل فيها انتحر نفسه ومات

ومن المنتحرين بالسم « حنين بن اسحق » ومختصر أمره أن « المتوكل » خرج يوما وبه خمار

وقد مقعده فاخذته الشمس، وكان بين يديه الطيفورى الكاتب وحنين بن اسحق فقال له الطيفورى : « يا أمير المؤمنين، الشمس تضر بالخمار » فقال حنين : «الشمس لا تضر بالخمار» فلما تناقضا بين يديه قال حنين: « يا أمير المؤمنين الخمار حال المخمور » فقال المتوكل : « لقد أحرز حنين من طبائع الألفاظ وتحديد المعاني ما بان به عن نظرائه » فوجم الطيفورى . فلما كان بعد ذلك اليوم أخرج حنين من كتبه كتاباً فيه صورة المسيح مصلوباً وصور ناس من حوله ، فقال له الطيفورى : « أهؤلاء صلبوا المسيح ؟ » قال : « نعم » ابصق عليهم » قال الطيفورى : « لا اصل » فقال حنين : « ولم ؟ » قال : « لأنهم ليسوا الذين صلبوا المسيح وانما هي صور » واشهد الطيفورى على حنين في ذلك شهوداً ورفع الامر الى المتوكل ، وسأله اباحة الحكم عليه لديانة النصرانية ، فبعثوا الى الجاثليق والاساقفة يسؤال عن ذلك فأوجبوا لعنة حنين ، فلعن سبعين لعنة بحضرة الملأ من النصارى وقطع زناره . وأمر المتوكل ألا يصل اليه دواء من حنين حتى يشرف عليه الطيفورى ويحضر عمله . فانصرف حنين الى داره وسقى نفسه سماً — على المشهور — فأصبح ميتاً . وروى ابن العبرى الخبر واضحاً ، قال : « واجتمعا يوماً في دار بعض النصارى ببغداد وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقدامها قنديل يشعل بين يدى الصورة ، فقال حنين لصاحب البيت : « لم تضيع الزيت ؟ فليس هذا المسيح ولا هؤلاء التلاميذ ، وانما هي صور » فقال الطيفورى : « ان لم يستحقوا الاكرام فابصق عليهم » فبصق حنين ، وأشهد عليه الطيفورى ، ورفعه الى المتوكل ... » فالمتهاون حنين

ومنهم « عطاء الخراساني » الملقب بالمقنع كان يعرف شيئاً من السحر والنيرنجات فادعى الربوبية بطريقة التناسخ وانتهى أمره الى ان تحشدوا عليه وحصروه في قلعة سنام من رستاق كش بايران وهى القلعة التي عمرها واعتصم بها ، فحصروه فيها ، ولما أيقن بالهلاك جمع نساءه فسقاهن سماً فلم منه ثم شرب من ذلك السم فمات . وكان ذلك في سنة ١٦٣ للهجرة

ومنهم « المطهر بن عبد الله » أحد قواد عضد الدولة البويهى ، فانه شخص من بغداد سنة ٣٦٩ هـ الى اسافل واسط لمحاربة الحسن بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة من العراق الاسفل فأقام في منازلته والتاث عليه امره . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان هذه السنة جلس المطهر في مجلسه ودخل اليه الكتاب والقواد وطبقات الناس مسلمين عليه ، فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف . ونهض الى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وامره بأن يفصده . وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شداد الفصد واستنزف دمه الى ان يموت ، وكان اذ ذاك قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من اجل علة اصابته قبل خروجه من شداد للحرب . فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره المطهر وطرده ، ثم صرف من كان واقفاً بين يديه من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعاً

وادخلها الى باطن ثيابه فجرح نفسه فى المقاتل ، ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دسته الذى كان جالساً فيه مملوءاً دماً، فصاح واجتمع الناس فأدركوا المطهر وبه رمق وظنوا ان انساناً اغتاله . فتكلم هو بكلام فهموا منه أنه هو الذى فعل بنفسه ذلك، وحفظت منه الفاظ يسيرة منها: ان محمد بن عمر الدلوى حمله على ما ارتكبه من نفسه ومات من ساعته . قيل : ان أشد ما حمله على الانتحار ظنه ان قتله فى هذه الحرب يخفض منزلته ويعطلها عن رتبة الوزارة المأمولة

وفى سنة ٦٣٩ هـ دخل العدل عبدالله بن عبد الرحمن البرجونى خازن المخزن (١) ببغداد الى حجرة له ليصلى العصر ، فطلب لحاجة عرضت فى المخزن ، فوجده الطالب له مصلوبا فى الحجرة ، فأخبر البواب بذلك فتعجبوا من هذه الحادثة ، ونسب صاحب الشرطة التهمة الى بواب المخزن ، فأوصل الأمر الى الخليفة المستنصر بالله ، فأمر باعتبار المخزن لعل البواب قد صلبوه لخيانة منهم اطلع عليها ، فلم يفقدوا من الحساب شيئاً ، فعند ذلك اتضح الامر وزالت التهمة وظهرت براءة البواب . وكثر القول فى سبب الصلب ، فقيل : انه كانت له جارية سيئة عشرته غير مرضية الحركات ، وكان يحبها ولا يمكنه فراقها ، فاختار الموت ليتخلص مما كان يلاقى منها . وكان خيراً ظاهر السكون كثير الوقار قليل الكلام

وفى سنة ٦٥٣ هـ حضر عند الوزير مؤيد الدين بن العلقمى شاب وقال له : « انا قتلت فلاناً لانه تعرض بى وأنا حدث وهربت الى الشام وروت القدس وحججت وجاورت ، وقد رجعت الآن فاقتصوا منى » فسأل الوزير عن أهل المقتول فلم يوجد منهم احد ، فقال له : « قد عفونا عنك » فخيل للشاب ان القصاص لم يسقط عنه فدخل حماماً وذبح نفسه ، فضعفت يده عن قطع أوداجه فأخرج من الحمام وحمل الى المارستان فعولج وشفى وعاش مدة

وفى سنة ٦٥٤ هـ أمر المستعصم بالله بالقبض على « محمد بن ورد » الملقب ببدر الدين وهو نائب المخزن ، ووكل به فى المخزن واحتيط على داره ومن فيها ، فتغافل عنه الموكلون به فذبح نفسه بسكين صغيرة كانت معه وما أحسوا إلا بشخيره ، فأمر اولو الأمر باحضار طبيب فخاط موضع القطع وكان لم يبلغ البلعوم لان يده ارتعشت عند الذبح . فلما اعتدلت نفسه أقر بسرقة ثلاثين الف دينار من المخزن

وفى سنة ٦٧٩ هـ صلبت امرأة نفسها فى دارها من محلة الجعفرية ببغداد ، وكان سبب ذلك ان زوجها قيل عنه : انه وجد كنزاً وركازاً فى داره ، فطالبه الايوان المتولى ببغداد بما لايقدر عليه ، وخافت زوجته ان تؤخذ وتعاقب فتفتضح ، ولذلك قتلت نفسها . رحمها الله تعالى

وفى سنة ٦٨٤ هـ غلت الأسعار ببغداد فبلغ ثمن الكر (٢) من الحنطة ١٨٠ ديناراً وكر الشعير

---

(١) المخزن أطلق فى أواخر العباسيين بالعراق على « بيت المال » و « بيت الخرج »

(٢) قيل ان الكر أربعون اردبا

...١٠٠ دينار وبيع الخبز ثلاثة ارطال بدرهم ، ووصل الى بغداد من الموصل دقيق وخبز مرفق البيع والقت امرأة نفسها الى دجلة قيل انها كانت على الجسر تستعطي الناس فلم يعطها احد شيئا فآثرت إتلاف نفسها وغرقت

وفي سنة ٦٨٦ هـ طالب الديوان المتولي ببغداد نجم الدين كاتب جرائد الحساب ببقايا حساب فلم يعترف بها ، فشوشع (١) ولما أيقن من نفسه العجز عن التأدية وخشي من شدة العقاب ، قتل نفسه وكان شابا حسن الصورة

فهذه أخبار تذكرناها حينما ذكرنا المنتحرين والانتحار ، ثم جمعناها من مظانها خوف خيانة الذهن وتشتت البال . وقد أضربنا عن ذكر المنتحرين من جنون فيهم كالجوهري اسماعيل بن حماد فليس في ذلك كبير فائدة

مصطفى جواد

رد على مقال

نشرت مجلة « الهلال » الغراء في الجزء الماضي كلمة للاستاذ عباس محمود العقاد عن كتابي « الفلسفة في كل العصور » وأرى من واجبي أن أثبت البيان الآتي

لست أدعي ان الخطة التي اتبعتها في تأليفي هي المثل الواجبة الاتباع . بل أترك الحكم في شأنها لأرباب الاختصاص على أن أورد هنا بعض القواعد التي جريت عليها في تأليفي

أولا : تجردت عن كل تحيز جنسي وقومي وديني . وكنت كالمترجم أنقل الى قارئي العربي ما أملاه على بضعة عشر مؤلفاً من المشاهير . فعلت ذلك موقناً ان الحقيقة لا قومية فيها بل هي كشعاع الشمس ، ونسيم الصباح ، حق مشاع ، ووطن الحقيقة النفوس الكريمة

ثانياً : التزمت ما يجب علي من الاقرار بالعجز . فلم أقارن مذهبا بمذهب أو فيلسوفاً بفيلسوف ولا فاضلت ولا شرحت ولا ذيلت ، مخافة أن ارتكب خطأ فاقود القارىء الى الضلال ، أو ان استهدف فاكون الجاني على نفسي ، فكنت انقل عبارات المؤلفين كما هي ، واذا لزم التلخيص فبألفاظها ، ولم آخذ على عاتقي ان اناصر الشرق على الغرب أو هذا على ذاك

لاريب عندي في ان النشوء الاجتماعي والتفكير الأول نشأا على ضفاف دجلة والنيل . على انه لسوء الحظ ليس لنا في كل ما جمعنا من آثار المصريين والكلدانيين الى الآن سنة ١٩٣٤ —

---

(١) هكذا ورد في التاريخ مبنيا للمجهول من « دوشخه يدوشخه » أي علقه بآلة تسمى « دوشاخة » يعني « ذات الشعبتين »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

لا عصر كهذا العصر

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة « ريدرز دايجست » ــ بقلم الاستاذ روبنسون]

لا مشاحة في أن جيلنا الحاضر أنعم بالا من الاجيال الماضية وأوفر راحة واماناً وأهنأ عيشة . ولئلا يتوهم القارىء ان في هذا القول شيئاً من الغلو ، لنتناول شيئاً من الشقاء الذي امتازت به بعض العصور الماضية بالسعادة التي تمتع بها أهل هذا العصر . ولنبدأ بذلك العصر المعروف بعصر الفتوة والذي يسميه بعض كتاب القوم عصر الفروسية (chivalry) وفيه ظهر الفرسان وذاع صيتهم في الخافقين . كان ذلك في المائة الحادية عشرة . وقد سماه بعض المؤرخين عصر الفتيان الذهبي

ترى من كان هؤلاء الفتيان أو « الفرسان » وبأي شيء اشتهروا ؟

يؤخذ من أصدق السجلات وأقربها إلى الحقيقة انهم كانوا رجالا يجوسون خلال الديار ويقطعون الطرق على السابلة وينهبون ويسلبون ، ويعتدون على كل بائس دفعه سوء حظه إلى ايديهم وكل فلاح يدافع عن زرعه أو ماشيته من عدوانهم . وقال جيمس أحد مؤرخي ذلك الزمن في وصفهم : « انهم طغمة من أشد الناس كبرياء واجراماً وانهماكاً في الفسق وسائر الموبقات . يقضون أكثر أيامهم في الاعتداء على الابرياء والسطو على ممتلكاتهم . وهم معروفون بقذارتهم وجهلهم وميلهم إلى سفك الدماء ، ومع ذلك يتوهم البعض انهم صفوة جيلهم وزبدة عصرهم

ولننتقل من ذلك الزمن إلى عصر لويس الخامس عشر ، وهو من أشد عصور أوربا ازدهاراً ولنرجع قليلا إلى سنة ١٧٦٠ يوم كانت الولائم تقام في « فرساى » وهي أعظم ولائم التاريخ بذخاً وإسرافاً ، وكانت فرنسا اذ ذاك في ابان رخائها وتبذيرها . ومع ذلك كان فلاحوها من أشقى عباد الله . وقد وصف « لابروير » المفكر الفرنسي العظيم حالتهم في ذلك العهد قال : « يجد الجائل في الارياف جماعات مشتتة هنا وهناك من رجال ونساء ومنظرهم أقرب إلى الحيوانات منه إلى البشر ، سود البشرة قد لفحتهم الشمس يحرثون الارض نهاراً فاذا أقبل الليل أووا إلى كهوف مظلمة لا يأكلون فيها هم وأولادهم سوى الخبز الاسود وجذور النباتات ولا يشربون سوى الماء القذر »

وفي الواقع ان الفلاح الفرنسي في عهد جان جاك روسو كان مخلوقاً وسطاً بين الحيوان والانسان . وكانت الضرائب قد قصمت ظهره . وقد سجل المؤرخون منها ثمانياً وعشرين ضريبة مختلفة يدفع بعضها إلى الحكومة وبعضها إلى رجال الدين والبعض الآخر الى الموالي . ولم تكن تلك الضرائب كل ما يئن منه الفلاح بل كانت مصائبه كثيرة . من ذلك ان الاغنياء والاشراف كانوا يجوسون خلال حقوله فيتلفون المزروعات ويعيثون فيها فساداً . وما كان يجوز لأي فلاح أن يطرد كلباً أو أي حيوان آخر يجول في حقوله مهما أحدث من التلف والخراب

تلك كانت حالة الفلاح في فرنسا في ذلك العصر . ولم تكن حالته في غيرها أفضل منها . ففي العقد الثاني من القرن التاسع عشر كانت انجلترا قد بلغت أوج عظمتها العسكرية والتجارية . ومع ذلك كانت حالة العمال في المصانع الانجليزية تفتت الأكباد . فكان الرجال والنساء والأولاد يشتغلون الساعات الطويلة ويعيشون في أقباء قذرة مظلمة . وكان في مدينة ليدز وحدها اكثر من ثلاثين الفاً من هؤلاء العمال يعيشون في بيوت مظلمة لا يدخلها الهواء ولا نور الشمس وليس فيها ماء نقي للشرب ولا شيء من وسائل الراحة أو النظافة . وكان كل اثني عشر أو خمسة عشر شخصاً يسكنون في غرفة واحدة ينامون فيها ويطبخون فيها طعامهم ويطرحون فضلاتهم ولا يجدون مكاناً يقذفون اليه بالأقذار سوى الشارع الذي تطل عليه غرفتهم . اما ماء الشرب فكانت المعامل توزعه عليهم بمقدار فلا تعطي الاسرة كلها سوى ثلاثة أرباع الجالون في اليوم للشرب والطبخ والغسل . ولم يكن يؤذن لأحد من أولئك العمال ونسائهم أو أولادهم في الخروج الى الخلاء للتمتع بنور الشمس والهواء النقي لم يكونوا لاشأنهم من عباد الله

وكان العامل يومئذ يعمل ثماني عشرة ساعة من كل أربع وعشرين ساعة ولا يزيد أجره على عشرة شلنات في الاسبوع (نحو خمسين قرشاً) وزوجته تشتغل معه أيضاً ثماني عشرة ساعة في اليوم — حتى في ابان حملها — ولا تزيد أجرتها على شلن واحد في اليوم . وكذلك كان الاولاد يعملون . فمن لا تزيد سنهم على ست سنوات يشتغلون مدى اثنتي عشرة ساعة فقط في اليوم . وكان أكثرهم يعملون في مناجم الفحم . فلم يكن لهم متسع من الوقت للعب أو الراحة أو الرياضة . لذلك كانت وجوههم شاحبة وأجسامهم هزيلة وليس للابتسام أثر على وجوههم . ولم تكن أجرة أحدهم تزيد على ريال واحد في الاسبوع . فاذا كان يتيماً لم يعط أجراً عن عمله بل يكتفى باعالته . وكانت مدينة لندن قد اتفقت مع أصحاب المصانع في الشمال على امدادهم بمن يحتاجون اليهم من اللقطاء لتربيتهم وتدريبهم على العمل . والشرط الوحيد في ذلك الاتفاق أن يؤذن لمدينة لندن ألا يزيد عدد المجانين الذين ترسلهم الى تلك المعامل على خمسة في المائة ! . . .

ولم تكن الحالة في الولايات المتحدة أفضل أو أقل شقاء . فقد ذكر الاستاذ بيرد العالم الاميركي ان العامل في أوائل القرن التاسع عشر لم يكن يكسب قوت يومه . فلم تكن أجرته تزيد على خمسة

ريالات فى الشهر . وكان يعمل من مطلع الشمس الى مغربها وإذا أصيب بعاهة فى أثناء قيامه بعمله أو فقد عضواً من أعضاء جسده لم يعوض منه شيئاً . وفى سنة ١٨١٩ كان سبع أهالى مدينة نيويورك فقراء مدقعين يعيشون من الاحسان . ومع ذلك كان فى نيويورك الف وستمائة حانة تختلف اليها الرجال والنساء والاولاد من طبقة العمال وكانت الآداب منحطة والمواخير منتشرة فى كل حى وزقاق . والقوانين فى ذلك العهد تقضى بسجن المدين إذا لم يستطع وفاء دينه فكان يزج فى السجن مع المجرمين واللصوص والسفاحين . قيل ان رجلا ظل فى سجن نيويورك ثلاثين عاماً لانه لم يستطع أن يوفى بدينه ومقداره مائة وخمسون ريالا وأخيراً تطوع صديق له فجمع له ذلك المبلغ من المال من أهل الاحسان ولما جيء به الى السجان ليدفعه اتضح ان ديناً آخر قد تراكم على ذلك السجين البائس للسجان مقداره ثلاثة آلاف ريال . فلما سمع ذلك استولى عليه يأس مميت وأصيب بالجنون

وصفوة القول ان الذين يتأففون من هذا العصر ويتأوهون على العصور الماضية يظلمون التاريخ ولا ينصفون هذا الجيل . أجل أننا لم نبلغ بعد حد الكمال فى كل شيء ولكننا اذا قابلنا أنفسنا بأسلافنا وجدنا أننا أفضل منهم حالا صحياً واجتماعياً وعمرانياً واقتصادياً

منع تناسل الضعفاء

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « برث كونترول » بقلم منشىء المجلة]

هنالك اتفاق عام بين المفكرين يكاد يكون جامعاً على وجوب منع المصابين بضعف العقل منهم من التناسل . ومع أنه ليس من الضرورى أن يلد المعتوه معتوهاً فقد أثبت العلم أن الجانب الاكبر من المجانين وضعاف العقول ورثوا حالاتهم من آبائهم ، وأن الوراثة هى سبب الجنون فى ٦٥ فى المائة من الاشخاص المصابين بالامراض العقلية . فاذا تسنى لنا أن نمنع تناسل هؤلاء الاشخاص أدى ذلك الى ترقية النوع الانسانى والى رفع مستوى قواه العقلية

تدل الاحصاءات الموثوق بها على أن فى الولايات المتحدة وحدها نحو مليونى شخص مصاب بالجنون أو بمرض من الامراض العقلية . وتدل الاحصاءات أيضا على أن هؤلاء الاشخاص أسرع وأخصب تناسلا ممن يتمتعون بقواهم العقلية التامة

ولما كان عزل هؤلاء الاشخاص أو حشرهم فى مكان واحد مستحيلا فقد اتفق جمهور العلماء على منعهم من التناسل بتعقيمهم ، وهذا ما يعبرون عنه اليوم بمنع انتخاب النسل . ولما سئل أعضاء الاتحاد الاميركى لدرس الامراض العقلية : هل يوافقون على تعقيم ضعاف العقول ؟ أجاب مئتان وسبعة وعشرون من ٢٤٣ منهم بالايجاب وبسطوا حججاً كثيرة لتسويغ تعقيمهم

ويدل تاريخ بعض الأسر التى اشتهرت بضعف القوى العقلية على أن نسلها لم يكن من النوع المرغوب فيه . فأسرة « كاليكاك » الامريكية اشتهرت فى أوائل القرن الماضى بضعف عقول أفرادها. وفى الواقع أن اربعمائة وثمانين منهم اشتهروا بضعف العقل والاجرام . وكذلك أسرة « جوكس » فقد اشتهر جميع افرادها بفساد أخلاقهم وضعف قواهم العقلية وبلغ عدد المتوحشين منهم فى خلال قرن ونصف قرن الفا ومائتين . وقد حسب بعض المؤرخين أن هؤلاء المتوحشين حملوا أمتهم نفقات وخسائر تقدر بمئات الملايين من الدولارات مع أن تعقيمهم لمنع تناسلهم ما كان ليقتضى أكثر من مائة وخمسين دولاراً فقط

والدعوة الى التعقيم حديثة العهد . وأول حكومة سنت قانوناً للتعقيم هى حكومة ولاية انديانا. وكان ذلك فى سنة ١٩٠٧ . أما اليوم فان هذا القانون يسرى على ست وعشرين ولاية من الولايات المتحدة . وقد تم تعقيم نحو خمسة عشر الفاً من الامريكيين بمقتضاه ومعظمهم من المقيمين بولاية كاليفورنيا . وفى سنة ١٩٢٨ سنت مقاطعة البرتا بكندا قانوناً للتعقيم . وفى السنة التى بعدها حذت حذوها الدانمرك وفنلندا ومقاطعة « فود » بسويسرا . وفى السنة الماضية سنت مقاطعة فيرا كروز المكسيكية قانونا كهذا

وقد يتوهم القارىء أن هذا التعقيم يقتضى إزالة الاعضاء التناسلية أو إضعاف الشعور بالميل الجنسى . وليس فى ذلك شىء من الحقيقة لأن عملية التعقيم لا تؤثر فى الانسان أى تأثير من هذا القبيل ولا تستغرق أكثر من خمس دقائق فى الرجل مع تكليف المريض بالاستراحة مدة يومين . أما فى النساء فتقتضى الانقطاع عن العمل والاستراحة مدة شهرين

والقانون — حتى فى البلاد التى يسرى فيها — يحظر إجراء العملية المذكورة لاى شخص يكون فى قواه العقلية والجسمية التامة . أما تعقيم المجرمين لمنعهم من التناسل فقد كان شائعا قبلا فى سبع من الولايات الامريكية ولكن الرأى العام — حتى فى تلك الولايات — يجمع اليوم على أنه مناف لروح الدستور . وهذا يتفق وآراء الكثيرين حتى من أنصار مذهب التعقيم لانهم يقولون بوجوب قصر التعقيم على ضعاف العقول ومن شاكلهم وعدم اطلاقه على المجرمين الا فى حالة ثبوت الاجرام الوراثى

ولحل هذه المشكلة يقترح الكثيرون أن يكون التعقيم اختياريا أى للذين يطلبونه من تلقاء أنفسهم . ولا شك أنه اذا أمكن اقناع الرجل المصاب بضعف فى قواه العقلية بضرورة تعقيم نفسه كان ذلك بلا شك فى مصلحة العمران . على أن الصعوبة هى فى اقناع مثل هذا الرجل بضعف قواه العقلية لان من الصعب اقناع المجنون بضعف عقله . وهذا وجه الخلاف بين انصار التعقيم الاختيارى وأنصار التعقيم الاجبارى . . وعلى كل فاذا تقرر تعميم التعقيم — سواء أكان اختياريا ام اجباريا — فسيحدث أعظم انقلاب فى تاريخ الاجتماع . والمصلحون الاجتماعيون يعتبرون التعقيم أعظم وسيلة استنبطتها مخيلة الانسان لاصلاح النوع الانسانى ورفع مستواه

فضائلنا الزائفة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «هاربر»
بقلم ا . ويل الكاتب الامريكي]

إذا أريد لهذه الحضارة أن تدوم فلا بد من تنقيح آرائنا بشأن الفضائل التي كان أسلافنا يفخرون بها . فإن هذه الفضائل هي التي جرتنا الى الحرب الماضية وعليها تقع تبعة تلك الحرب الهائلة أكثر من وقوعها على مطامعنا الآثمة . فلولا ادعاؤنا الشجاعة والأمانة والوطنية وحب انكار الذات وأمثال هذه الفضائل ما انسقنا الى تلك الحرب ولا عرضنا حضارتنا للبوار

خذ الوطنية مثلا وهي من الفضائل التي يؤلهها بعض الكتاب الخياليين . فهذه الفضيلة ليست غريزية على الاطلاق لأنها لا تولد مع الانسان عند ولادته . ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا إن العالم لم يكن يدري عنها شيئاً قبل القرن السابع عشر . فقد كان الناس قديما يحاربون طمعاً في السلب والنهب والاستيلاء على أموال الغير لا تلبية لداعي الوطنية أو دفاعاً عن مبادئ سامية . وكانت الجنود تؤجر لهذا الغرض وتساق الى القتال . ولم يخطر ببال أحد أن يقيم أى نصب أو تمثال تذكارى لأحد من أولئك المحاربين حتى بعد القرن التاسع عشر لأن الوطنية لم تكن معروفة حتى ذلك العهد . فلما نبتت بذرتها وانتشرت مبادئها بين الناس أخذ أصحاب السلطة يستغلونها ويستثيرون بها حماسة الجماهير . وفي الواقع أن هذه الفكرة وثقت عرى الوحدة بين أفراد الامة وجعلتهم يشعرون بالتبعة الملقاة على عواتق جميعهم إزاء الوطن والاسرة وهذه الفكرة هي في حد ذاتها فكرة سامية ولكن الذين اكتشفوها أو ابتدعوها أدركوا في الحال مزاياها ، فأخذوا يستغلونها ويحقرون كل من لا يؤمن بها . وكانت النتيجة أن الوطنية أصبحت ديدن أولاد المدارس الصغار . فاذا أضربوا عن الدرس وكسروا زجاج النوافذ واكثروا من الصخب والشغب وأهانوا الاساتذة ومزقوا الكتب وقاطعوا من ليس من جنسهم من التلاميذ وفعلوا هذه الصغائر — فذلك تلبية لداعي الوطنية

ومن فضائلنا الزائفة أيضاً الشجاعة البدنية وهي ذات صلة وثيقة بالوطنية . وإن العاقل المفكر لا يدرك لماذا يقدر الناس الشجاعة البدنية في هذا العصر بعد أن أثبت العلم أن الجبن إنما هو مظهر أو نتيجة لعسر الهضم أو سوء التغذية وليس من الصفات الغريزية في الانسان ، كما أن الزكام ليس نقيصة طبيعية فيه . وإذا ثبت ذلك لم يبق ثمة مسوغ للحكم بالموت على الجندى الذى تعوزه الشجاعة البدنية في الحرب أو الذي لا يبدى من ضروب الجرأة والاقدام ما يبديه غيره ممن تكون افرازات الغدد فيهم على أكمل حال . وأنت تعلم أن الشجاع لا حيلة له اليوم في هذه الحروب التي تسخر فيها الآلات والكيمياء وقوى الطبيعة ، إذ ما عسى أن تنفعه شجاعته أمام قذائف المدافع الهائلة وفي استطاعة تلك القذائف أن تدك الجبال دكا ؟ !

لقد كانت الشجاعة البدنية تنفع فى غير هذا العصر الآن أى يوم كان الانسان يقف أمام الانسان او الحيوان وجهاً لوجه . أما اليوم فان الانسان يعيش ويعالج شؤون الحياة وهو لا يعلم أهو متحل بالشجاعة البدنية أم لا . نعم ان بعض المولعين بمظاهر البطولة لا يزالون يقيمون المباريات التى لها علاقة بالقوة البدنية ولكننا جميعاً نعلم أن العالم يستطيع ان يعيش بدونه ولو لم يوجد أولئك الابطال . وانه لا قيمة لشجاعتهم البدنية على الاطلاق ، اذ لا يكتسبون منها شيئاً الا اعجاب بعض الافراد عندما يعرض عليهم أولئك الشجعان مظاهر بطولتهم او قوامهم المادية . ولو تذكرنا ان النظافة هى ألزم اليوم للانسان من الشجاعة البدنية ، لكنا اكثر تمسكاً بالحقائق واقل اهتماماً بالخيال

وليس غرضنا مما تقدم ان نحط من شأن صفة كان لها فضل عظيم فى تكوين الاجتماع . ولكن قيمة الصفات والفضائل نسبية ، ولقد كان العالم قديماً فى حاجة الى الشجاعة البدنية . أما اليوم فهو فى حاجة الى الشجاعة الادبية والعقلية . ومن اشد بواعث الاسف ان الناس كثيراً ما يستغلون صفة من الصفات كالشجاعة البدنية ليستروا بها طائفة من النقائص . وفاتهم ان الصفات التى يحق للانسان أن يباهى بها هى الصفات الادبية او الروحية او العقلية

ومن فضائلنا المريعة الاخلاص ، والاخلاص فى نظرنا قيمة لا تقدر . ولو بحثنا عن نشوء هذه الفضيلة لوجدنا أنها كانت ذات قيمة مادية (محسوسة) فى اوائل عهد الاجتماع يوم لم يكن بد منها لحفظ كيان الاسرة والقبيلة . وفى زمن الاقطاع (عصور الظلم) كان الاخلاص للسيد أو المولى الاقطاعى لازماً كل اللزوم ولا سيما لسلامته وسلامة املاكه . فقد كان يعتمد على اخلاص عبيده واتباعه فى نضاله وحروبه . ومن كان يستطيع ان يحول عن رشوتهم او شرائهم فلا يجيء مولى اغنى منه وأوفر جاهاً فيزيد عليه مقدار الرشوة . فالقوة التى كان يعول عليها فى ذلك الزمن هى الاخلاص . وبالاخلاص كان يضمن بقاءه وسلامة املاكه . وهذه الفضيلة هى التى كانت تحول دون تفشى الفساد والرشوة بين الاتباع . ولا يزال الناس اليوم يتمسكون بهذه الفضيلة تمسكاً أعمى . فمن يولد فى دين من الاديان يظل فيه لان داعى الاخلاص يلزمه بذلك سواء اتضح له فساد ذلك الدين أولم يتضح ، وكذلك من يترعرع ويرى والده منضماً الى حزب من الاحزاب السياسية . فانه فى أغلب الاوقات يظل منتمياً الى ذلك الحزب بداعى الاخلاص . وهكذا قل فى أحوال كثيرة . وهذا يثبت لك ان الاخلاص الاعمى فضيلة مريعة ونحن نقبلها من دون ان نبحث عن الاسباب والدواعى مع ان من مقتضيات الحياة أن نكيف أنفسنا على مقتضى ظروف الزمان والمكان . فاحساسنا وعقولنا تتطور ، فاذا ظلت فضائلنا جامدة لم يكن ذلك فى مصلحتنا ولا فى مصلحة العمران

وهناك أيضاً فضيلة البر والاحسان وهى فى حد ذاتها من اسمى الفضائل وأشرفها . ولكننا كثيراً ما نشوهها باشتراط الشروط المختلفة لانجازها . وما اكثر من يحطم احساننا ويؤذيهم فى عزتهم وكرامتهم . بل ما أكثر من يضرهم احساننا ويعودهم الكسل والتعويل على الغير . ولكم

يستقبل الانسان هذه العقيدة لا ريب فى نفسه فتنقلب الفضيلة رذيلة وتفقد كل مالها من حرمة وقيمة

ان الفضائل التى يحتاج اليها هذا الجيل هى الامانة والتسامح والشجاعة الادبية فهى فضائل « عصرية » تلائم روح هذا الجيل وتوافق نزعات العصر . واذا لم نتحل بهذه الفضائل فلا أمل لنا بتقويم عوج الاجتماع والتحكم فى القوى التى قد اطلقها العلم من عقالها . وقد اثبتت حوادث العقود الاخيرة من الزمن أن هذه الفضائل لا تزال فى أوائل عهدها . ومن بواعث الاسف ان زعماء الاجتماع يدعون الى تنمية هذه الفضائل وتكوينها، ولكن دعوتهم تذهب صرخة فى واد . لان أعمالهم لا تنطبق على أقوالهم فليس للعالم ثقة بهم

ما لا يعلمه الشبان عن الحرب

[ملخص كتاب بعنوان « طريق النجاة » — بقلم السر فيليب جبز]

ليست مسألة الحرب أو السلم مهمة لنا فى هذا الزمان . فنحن الذين تقدمنا فى السن لن نخوض غمار الحرب المقبلة . ولذلك يجدر بالشبان أن يعلموا الحقيقة ولا يتركوا المستقبل الى الشيوخ فقط

ان روح الحرب التى تنتعش فى نفوس جديدة لا يمكن قهرها بتخويف الشبان وارهابهم . ولعلى لا أخطىء اذا قلت ان الكتب التى كتبت عن الحرب ومتاعبها التى قد وصفت عنها كان ضررها اكثر من نفعها لانها كانت دائما تستثير حماسة الشبان وتستفز اعجابهم بالمخاطرات التى تتطلبها الحرب وبدعوات البطولة التى تكثر فى ساحاتها . ولما نشبت الحرب العظمى الماضية كانت حماسة الشبان لا تعرف حداً . فكانت صدور الملايين منهم تجيش بالحماسة وروح البطولة الى أبعد حد . وكانوا يعتقدون أنهم مدعوون للحرب والدفاع عن مبادىء شريفة سامية . وعليه تسلم كل منهم جواز مروره الى ساحات القتال حيث شهد العالم أعظم المجازر البشرية . والوطنية تستفز عواطفهم

وكان هؤلاء الشبان يعتقدون أن فى ميادين القتال متسعا لاظهار الشجاعة والاقدام . ولكن اعتقادهم كان فى غير موضعه . فان تلك الحرب كانت تختلف عن جميع الحروب السابقة فانها لم تكن صراعا يقف فيه الانسان أمام عدوه الانسان . بل كانت صراعا بين الانسان والآلات التى هى من صنع يديه أو بين الآلات الصماء نفسها . وقد اتفق لكاتب هذه السطور ان عرف قائداً (جنرالا) فرنسيا أبلى فى تلك الحرب بلاء حسنا وقضى فى ساحة « ريمس » سنتين . ولا نشك أنه أهلك فى خلالها ألوفا من الجنود الالمان . ومع ذلك لم ير بعينيه جنديا المانيا واحداً لان كل شىء فى تلك الحرب كان يجرى بالآلات الصماء . واتفق لكاتب هذه السطور أيضا أن شهد معركة كر فيها الالمان على اعدائهم بقرب غابة تدعى « بوسى » فاستقبلهم الانجليز وكانوا كامنين لهم فى الخنادق وأهلكوهم عن

بكرة أبيهم . ومع ذلك لم يقف الاعداء وجها لوجه ولا رأى بعضهم بعضا . وإذا ثبت فيما بعد أن المدافع السريعة لم تبق منهم واحداً ولا شك أنه لم يبصر أحد منهم جنديا واحداً انجليزيا

كل ذلك يدلك على أن الحروب الحديثة هي حروب آلات لا حروب أشخاص وأن الجندي الفرد لم يبق له حساب فهو عند انفجار المفرقعات أشبه بذرة تتطاير في الفضاء وليس في وسعه تغيير مجرى القتال لان الامر والنهي هما لهذه الآلة الصماء التي نسميها المدفع والمترليوز أو القذيفة او الدبابة أو ما الى ذلك من الاسماء . وليس للشجاعة في هذه المواقف أية قيمة على الاطلاق . فاذا حاول الجندي أن يستعين بها على مواجهة الاعداء كان كمن يحاول أن ينطح الصخرة بقرنه أو كمن يحاول أن يزحزح الجبل بقوة ذراعه

وفي هذا تذكرة للشبان تؤكد لهم أن الآلة الصماء في الحرب لا تعرف العاطفة ولا الشفقة

وليت شعري ما الذي استفاده العالم من تلك المجزرة الهائلة ؟ بل أين هي الامة التي تستطيع أن تقول انها خرجت منها غانمة كاسبة ؟ واذا كانت كل أمة من تلك الامم قد خاضت غمار تلك الحرب رغبة في توسيع نطاق تجارتها واكتساب أسواق جديدة لها في أنحاء العالم المختلفة ، فلا شك أنها ندمت على ما فعلته فيما بعد وأدركت أنها بدلا من أن تكتسب عملاء جدداً كسبت أعداء كثيرين فكانت كالباحث عن حتفه بظلفه . ونعرف أن كل أمة من تلك الامم ادعت أنها انما كانت تدافع عن نفسها

ولم تحل تلك الحرب اشكالا ولا فصلت في خلاف بل ظل الفرنسيون بعد الحرب يخشون الالمان والالمان يكرهون الفرنسيين . بل لا خطىء اذا قلنا ان تلك الحرب زادت الاحقاد والضغائن بين الامم الغالبة والامم المغلوبة . ومن الحقائق التي يسلم بها جميع العقلاء أنه بعد نهاية كل حرب يزيد النفور بين الامم المتحاربة وتقول كل واحدة منها لنفسها : دعني سأوقع معاهدة الصلح وأترقب فرصة أفضل للانتقام ، وتظل اذ ذاك جذوة الحرب مستورة تحت الرماد لا يعوزها الا أن تهب الريح عليها فجأة فتذرى الرماد وتؤجج الجذوة . والشبان يعلمون أن الحرب شر عظيم وخطر أعظم ولكنهم يحبون المخاطرات ولا يعرفون أن هوان الحرب حماقة عظيمة وأنها آخر حجة الجهلاء المغرورين بل هي الوسيلة التي يلجأ اليها الغوغاء والمشاغبون . وهي قضاء رهيب اذا نزل ببلد ذهب بنضارته وجماله . وهذا يوجب على الجيل الحاضر من الشبان أن يحكموا قبل أن تأزف ساعة الحرب : هل يرخون الحبل على الغارب ويطلقون غول الحرب من عقاله أو يبذلون ما في وسعهم ليحولوا دون الحرب

ولعله لا يمكن أن تبطل الحرب إلا اذا تغيرت طبيعة الانسان تغيراً تاماً ورسخت جذور المدنية الحقيقية في العالم . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جزؤه . فاذا لم يتيسر لنا القضاء على الحرب فلا أقل من تحديد الجيوش والاساطيل ونقص معدات القتال حتى لا تكون ورطتها مغريا بحرب هجومية وحتى تقتصر الحرب على خطط الدفاع فقط وتكون مقيدة بالاتفاقات والقوانين الدولية . هذا هو طريق الرقي . وهذه هي مهمة الزعامة التي يترقبها الاجتماع

مأثرة لبونابرت فى مصر

[ملخص مقال نشر فى مجلة « المباحث النابليونية » ـ بقلم الاستاذ ادوار دريو]

ليست حملة نبوليون على مصر ـ تلك الحملة التى يحسبها الكثيرون من المغامرات التاريخية ـ مما يجهله القراء ولا سيما المعجبون منهم بسيرة نبوليون . وفى فرنسا مجلة مخصوصة بالمباحث الخاصة بحياة ذلك القائد العبقرى يقوم بنشرها طائفة من كبار الكتاب الفرنسيين . وفى أحد أجزائها الأخيرة بحث ممتع عن المجمع العلمى المصرى الذى أسسه نبوليون فى مصر فى ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٨

واليك نص الامر الصادر بتأسيسه :

فى « فروكتيدور السنة ٥ » (٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٨) من القائد العام العضو بالمعهد الاهلى (بفرنسا) ـ نأمر بما يأتى :

(المادة الاولى) يؤسس فى مصر معهد للعلوم والفنون يكون مقره القاهرة

(المادة الثانية) غرض هذا المعهد المباحث الآتية .

(١) تقدم العلوم وانتشارها فى مصر

(٢) معالجة الموضوعات الطبيعية والصناعية والتاريخية ونشر المباحث عنها

(٣) ابداء الرأى فى المسائل التى تستشيره فيها الحكومة

(المادة الثالثة) يكون المعهد أربعة فروع

(المادة الرابعة) هذه الفروع هى الرياضيات ، والطبيعيات ، والاقتصاديات ، والآداب والفنون

٭ ٭ ٭

وكان مونج أول رئيس وقع عليه الخيار . وقد انتخب فى ٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ ، وعقبه نبوليون فى ١٦ ديسمبر من ذلك العام . ثم برتوليه فى ٢٩ يونيه سنة ١٧٩٩ ثم ديجينت فى ١٠ نوفمبر من ذلك العام . ثم لروى فى ١٢ ديسمبر منه . ثم نويه ثم كونتيه ثم شاميه . والاخير منهم فى ٥ فبراير سنة ١٨٠١

وعقد المعهد أول اجتماعاته فى ٢٤ اغسطس سنة ١٧٩٨ أى فى اليوم الثانى بعد صدور الامر بانشائه . وفى هذا الاجتماع انتخب مونج (كما سبق القول) رئيساً وبونابرت نائباً للرئيس وفوريه سكرتيراً دائماً

وعرض بونابرت على المعهد طائفة من المسائل للبحث فيها . واليك منها بعض الامثلة :

(١) أفران الخبز وهل يمكن تحسينها لتحقيق فكرة الاقتصاد فى الوقود

(٢) وسائل تطهير مياه النيل

(٣) هل فى مصر موارد تصلح لصناعة البارود ؟

(٤) حالة القضاء المدنى والجنائى فى مصر ونظام التعليم فيها ووجوه تحسينه

هذا نزر يسير من الموضوعات التى كان المعهد يعالجها . وجميعها مدونة فى سجلاته الخاصة

ودارت الايام دورتها وأرادت انجلترا إخراج بونابرت وجيشه من مصر . فوجهت اليه عمارة بحرية بقيادة الاميرال نلسون . وجرت وقائع مدونة فى بطون السجلات ليس هذا موضعها . ودخل الانجليز الاسكندرية فطلب « منو » القائد الفرنسى من القائد الانجليزى أن يأذن لاعضاء المعهد المصرى من الفرنسيين أن يسافروا الى فرنسا بأمان وأن ينقلوا معهم جميع السجلات والخرائط والمذكرات والآثار والتحف المتعلقة بالمعهد . فأبى القائد الانجليزى ذلك فى أول الامر ولم يأذن الا بنقل الادوات العلمية التى جيء بها من فرنسا . فوفد اليه المعهد ثلاثة مندوبين ليفهموه أن الادوات التى يريد أعضاء المعهد أن يحملوها معهم الى فرنسا هى ملك خاص لهم لا يجوز حجزها . وأنه اذا أصر القائد الانجليزى على رأيه فسيضطرون الى اتلافها والقائها فى البحر وهو يحملونه تبعة ذلك أمام التاريخ

فلم يسع القائد الانجليزى الا التسليم فأذن لأعضاء المعهد فى أخذ ما يشاءونه من الأدوات السجلات والتحف والمذكرات . وكان ذلك ختام مهمة البعثة العلمية الفرنسية التى جاء بها نابوليون عند قدومه مصر

وقرر بونابرت أن يدون تاريخ المعهد العلمى فى كتاب خاص يتضمن جميع البيانات المتعلقة بأعمال المعهد . ومنح ذلك العمل قسطاً خاصاً من عنايته . وفى الواقع أنه ما كاد يعود الى فرنسا حتى شرع يعد المعدات لابراز ذلك المؤلف

وفى سنة ١٨٠٩ ظهر الجزء الأول منه بعنوان « وصف مصر » (Description de l'Egypte) وهو يتضمن وصفاً للآثار المصرية القديمة . وفى سنة ١٨١٣ ظهر منه جزءان آخران فى تاريخ مصر الطبيعى وفى حالتها فى ذلك العهد . وفى سنة ١٨١٨ (وكان عرش الامبراطورية البونابرتية قد زال) ظهرت أجزاء أخرى

ولا يتسع هذا المجال لبيان الاجزاء جميعها وكلها نادرة الوجود وتحتوى على رسوم وخرائط وصور ثمينة جداً . ولا شك ان المعهد العلمى الذى أسسه نابوليون فى مصر هو من أعظم الآثار العلمية بل أعظم عمل خلدت به البعثة الفرنسية ذكرها فى وادى النيل

مرور مائة سنة

على نقل المسلة المصرية الى باريس

[خلاصة مقالة نشرتها مجلة
«الالوستراسيون» بقلم اليركلويه]

فى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر الماضى انقضت مائة سنة على نقل المسلة المصرية من مدينة الاقصر إلى باريس ونصبها فى ساحة الكونكورد. وقد نشرت مجلة الالوستراسيون الفرنسية مقالة فى هذا الصدد ضمنتها طائفة من البيانات العلمية. ويؤخذ من هذه البيانات أن المسلة نقلت باشراف ليباس أشهر المهندسين الميكانيكيين فى ذلك العصر. وكان ساكن الجنان محمد على باشا قد وهبها لصديقه لويس فيليب ملك فرنسا

كانت هذه المسلة منصوبة مع مسلة أخرى أمام مدخل قصر رعمسيس الثانى بمدينة الاقصر. ولا شك أن موسى الكليم شاهدهما لأن رعمسيس الثانى حكم سنة ١٠٠٠ قبل المسيح وكان عمر موسى يومئذ ثمانية عشر عاماً

« وأدركت فرنسا ما يقوم من الصعاب دون نقل المسلة وهى قطعة من حجر تبلغ زنتها مائتى الف وخمسين الفاً من الكيلوجرامات وطولها نحو عشرين متراً وقد يكون ... بناء سفينة خاصة لنقلها. وقد تم ذلك فى مصانع طولون حيث أرسلت السفينة الى الاقصر الى البحر وأرسلت الى المياه المصرية تقطرها باخرة صغيرة بلغت مياه الاسكندرية فى ١١ أغسطس سنة ١٨٣١ ومن هنالك أخذت تصعد فى النيل حتى وصلت الى مدينة الاقصر فألقت مراسيها أمامها. وكان عدد بحارتها مائة وستة وثلاثين بينهم المهندسون والرسامون والاطباء وغيرهم من أهل الفن ... »

وهنا ينتقل الكاتب الى وصف معيشة البحارة على البر واقامتهم بأكواخ مبنية من الآجر وما كانوا يقاسونه من شظف العيش بسبب شدة الحر وكثرة الهوام والحشرات والزحافات من بعوض وعقارب وحيات. ووصف أيضاً ما اتخذه المهندسون من وسائل الحيطة لمنع تشقق السفينة بسبب الحر وما بذلوه من الجهد لزحزحة المسلة من مكانها واحاطتها بألواح الخشب المتينة لئلا تصاب بمكروه. وقال انهم عبدوا الطريق الموصل من موضع المسلة الى السفينة بعد أن هدموا الاكواخ التى كانت تعترضهم. وقد اقتضت هذه الاعمال استخدام جيش كبير من الوطنيين خلاف بحارة السفينة

« وتم نقل المسلة الى السفينة بالسلامة فسارت بها هذه تقصد الى جزيرة كريت. وبعد يومين من مغادرتها الاسكندرية — وكانت قد أصبحت على بعد سبعين فرسخاً من الشاطىء

الامريكي — هاج البحر وأزبد وهبت من جهة الغرب ريح شديدة صارت تتلاعب بالسفينة «الاقصر» وبالباخرة «سفنكس» التي كانت تقطرها . ورأى ربان الباخرة أنه اذا واصل سيره في مثل ذلك البحر عرض نفسه وجميع من معه للهلاك . ولم يبق معه من الفحم ما يكفيه إذا طال السفر فصمم على تولية وجهه شطر جزيرة رودس على أمل أن تسعده الريح . ولكن البحر ازداد هيجاناً وأصبحت الباخرة والسفينة في خطر الغرق . الا ان المسلة كانت مثبتة بالسلاسل والاخشاب المتينة على ظهر السفينة فلم تزحزح من موضعها ولا تدحرجت ولو وقع لها ذلك لغرقت هي والسفينة التي تحملها . وبعد خمسة أيام لاحت سواحل جزيرة رودس ثم ما هي الا بضع ساعات حتى رست الباخرة هناك

« وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٣ وصلت المسلة الى باريس ولكن نصبها في ميدان الكونكورد لم يتم إلا في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٣٦ وكان ذلك باشراف المهندس لباس الذي تقدمت الاشارة اليه

« وكان الاحتفال بنصبها في ذلك الميدان بالغاً غاية الروعة والجلال . ومن محاسن الاتفاق ان فرنسا كانت قد احتفلت في ذلك العام أيضاً بفتح خط السكة الحديدية بين باريس وفرساي . . . وشهد الاحتفال بنصب المسلة مئة ألف شخص يتقدمهم الملك لويس فيليب وأفراد اسرته وكانوا قد جلسوا في شرفة خاصة أعدت لهم في ديوان البحرية المطل على ذلك الميدان الفسيح . وكان المهندس لباس يشرف على جميع دقائق العمل خشية ان يقع مكروه عند نصب المسلة . ولما بدأت الحبال الضخمة ترفعها من موضعها أخذ الجميع ينظرون بقلوب واجفة خشية أن تنقطع الحبال . ويقال إنه لولا يقظة أحد العمال يومئذ لانقطعت الحبال ولتحطمت المسلة . ولكن العامل المذكور رأى ان الحبال قد بدأت تتآكل وأوشكت ان تنقطع من كثرة الاحتكاك فأسرع ورشها بالماء وحال دون الكارثة »

« واستغرق نصب المسلة ثلاث ساعات على الأقل . وبلغت نفقات نقلها من مصر واقامتها بميدان الكونكورد مليونا وثلثمائة وخمسين الفاً من الفرنكات . ومع ان بعض الصحف الفرنسية انتقدت يومئذ هذه النفقات لانها اعتادت أن تنتقد جميع أعمال الملك لويس فيليب فان جمهور الشعب الفرنسي اعجب بتحقيق ذلك العمل الهندسي الذي كان الكثيرون يعتبرونه مستحيلا بالنظر الى قلة الوسائل الميكانيكية التي كانت في متناول المهندسين في ذلك العهد »

وقد أصبح الآن منظر المسلة الفرعونية مألوفاً عند الباريسيين . وفي كل يوم يمر بها عشرات الالوف من الناس فيلقون عليها نظرة اعجاب . وقلما يخطر ببال أحدهم ان يقف ويحاول فك الرموز الهيروغليفية التي عليها . وتعتبر هذه المسلة زينة ميدان الكونكورد بباريس ، وميدان الكونكورد كما يعلم القراء زينة الميادين في العواصم الجميلة

ماذا فعلت الأزمة بأصحاب الملايين

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «الاوستراسيون»
– بقلم الاستاذ ريمار ليلسون]

كثيراً ما يخطر هذا السؤال بالبال وهو : ماذا فعلت الازمة بأصحاب الثروات الكبيرة وهل بقيت تلك الثروات على حالها أم أصابها ما أصاب غيرها من الثروات الاخرى ؟

والجواب عن هذا السؤال صعب جداً ، لان أصحاب الثروات لا يبوحون بشيء عنها . فلم يبق للباحث الا أن يرجع الى سجلات الضرائب ليرى ما يدفعه الاغنياء ويستخلص منها مقدار ثرواتهم

وقد يختلف تعريف «المليونير» (أي صاحب الملايين) باختلاف البلدان . فبعض الناس يعني «بالمليونير» من يملك مليوناً أو أكثر من النقد الاساسي الساري في بلاده . وعلى هذا التعريف يكون من يملك مليون فرنك في فرنسا ومليون دولار في أمريكا ومليون جنيه في انجلترا ومليون مارك في ألمانيا من أصحاب الملايين

والاعتقاد الشائع بين الناس أن الولايات المتحدة هي بلاد أصحاب الملايين وهي في الواقع كذلك فان فيها الكثيرين من الاغنياء . على أن معظم الثروات الثابتة هي على الارجح في انجلترا . ففي سنة ١٩٢٤ أثبتت احصاءات الضرائب أن في انجلترا أكثر من ثمانمائة مليونير لا يقل دخل الواحد منهم عن خمسين ألف جنيه في السنة . وفي سنة ١٩٣٢ كان عددهم قد هبط الى خمسمائة وأربعين «مليونيراً» ، وأصبح عدد الذين يزيد دخلهم السنوي عن مائة ألف جنيه في السنة ١٠٧ مليونيراً

أما في الولايات المتحدة فقد صدم أصحاب الملايين صدمة هائلة . ففي سنة ١٩٢٩ كان في تلك البلاد ثلاثة وأربعون ألف «مليونير» تزيد ثروة كل منهم على مليون دولار . أما في سنة ١٩٣٢ فقد هبط عددهم الى تسعة عشر ألفاً . وهبط عدد الذين يزيد ريعهم السنوي على مليون دولار من ٥١٣ في سنة ١٩٢٩ الى ١٤٩ فقط في السنة التي بعدها . وفي سنة ١٩٣١ لم يبق في نيويورك (وقد كانت مقر نصف أصحاب الملايين بأمريكا) سوى المستر روكفلر وقد ادعى أن ريعه في تلك السنة لم يزد على مليون ومائة ألف دولار مع انه دفع في سنة ١٩٢٤ ضريبة الى الحكومة الامريكية عن ريع بلغ ٦٢٧٨٠٠٠ دولار . ومما يجدر بالذكر أن القانون المالي في الولايات المتحدة يعفي «المليونير» من دفع أية ضريبة اذا أثبت أن خسارته تزيد على الضريبة السنوية التي يدفعها . وبناء على هذا القانون اعفي المستر بيربونت مورجان من دفع أية ضريبة من سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٢

وكانت الازمة ثقيلة الوطأة على أصحاب الملايين في ألمانيا أيضاً . ففي سنة ١٩١٣ كان عدد الذين يملكون مليون مارك فأكثر خمسة عشر ألفاً وخمسمائة فهبط هذا العدد في سنة ١٩٢٣ الى أقل من أربعة آلاف . أما الذين كانوا يملكون أكثر من عشرة ملايين مارك قبل الحرب فكان ٢٢٩ فهبط

بعد الحرب الى ٣٣ فقط . وقد زال اكثرهم اليوم من المانيا . ولم يبق منهم سوى مائة وثمانين مليونيراً يملك كل منهم زهاء خمسة ملايين مارك

ومن أشهر أصحاب الملايين الذين نكبوا بالافلاس ايفار كروجر ملك الكبريت . وكان دخله السنوي في سنة ١٩٢٨ يقدر بمليوني كرون . وقد دفعه الافلاس الى الانتحار كما يعلم القراء تاركاً ١٦٨ مليون دولار من الديون منها ٩٣ مليوناً ديوناً شخصية و ٧٥ مليوناً ديوناً على شركته . واصيب أيضاً بالافلاس سوسوكي اليابانى صاحب الشركة المعروفة باسمه فترك مائتي مليون دولار . وانتحر أيضاً القريد لوفنشتين البلجيكي بعد أن مني بالافلاس

أما كبار أصحاب الملايين في الوقت الحاضر فهم روكفلر ملك الزيت الامريكي . وكانت ثروته تقدر في سنة ١٩٢٩ بألف مليون دولار (اكثر من مائتي مليون جنيه) فضلا عن الاموال التي تبرع بها للعلم والاحسان وقدرها ٥٠٠ مليون دولار . اما الآن فتقدر ثروته بنحو خمسمائة مليون دولار

ويليه في الولايات المتحدة المستر هنري فورد صاحب مصانع الاتوموبيلات المعروفة باسمه . وكانت ثروته في سنة ١٩٢٨ تقدر بألف ومائتي مليون دولار (اكثر من ثروة روكفلر) ولكنه مني بخسارة عظيمة فلم يبق من ثروته على ما يقال اكثر من عشرها

وهناك الاخوان اندرو ملون وريشارد ملون . وكان ابوهما وزيراً للمالية في امريكا وكانت ثروتهما في سنة ١٩٢٩ تقدر بمائتي مليون دولار ولكنها لا تزيد الآن على نصف هذا المقدار

أما في ألمانيا فان أغنى اهلها في الوقت الحاضر فرديتز تيسن وهو حديث النعمة وصلت ثروته الى خمسمائة مليون مارك ولكنها لا تزيد الآن على مائتي مليون . ويليه اوتو ولف وتقدر ثروته بمائة مليون مارك . وكان هوجو ستنس منذ عشر سنوات أغنى اهل وطنه الالمان وقد ترك عند موته مائتي مليون مارك ذهباً

ولعل أصحاب الملايين الانجليز والفرنسيين هم في طليعة أغنياء العالم الذين تمكنوا من الاحتفاظ بثرواتهم مع شدة الازمة . وقد كان المسيو كوتي صاحب مصانع العطور الفرنسية أغنى أهل وطنه . أما الآن فان المسيو جيليه صاحب مصانع الحرير والمسيو هينسي صاحب مصانع الكونياك والمسيو مريفوس تاجر القمح هم أغنى الفرنسيين

وفي انجلترا الدوق اوف وستمنستر ويقدرون ثروته باربعين مليون جنيه واللورد ايفيا ويقدرون ثروته باحد عشر مليون جنيه والسر بازيل زهاروف وهو من كبار أغنياء العالم

وفي الهند نظام حيدر آباد ولعله اغنى أغنياء العالم ولا تعرف ثروته بالتحديد ولكن عنده من الذهب والحجارة الكريمة فقط ما يزيد ثمنه على مائة مليون جنيه . ويقدر دخله السنوي باربعة ملايين من الجنيهات . ويليه امير بارودا وتقدر ثروته في الوقت الحاضر بثلاثين مليون جنيه

ومن كبار اغنياء الهنود آغا خان ولا يجهل احد من القراء اسمه

أستاذ يحدث ثورة في العالم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «Vu»
بقلم الاستاذ ريشار لفنسون]

« منذ عدلت الولايات المتحدة عن عيار الذهب عمت الفوضى جميع النظم المالية في اميركا وغيرها . وبدلاً من التوفاق الذي كان سائداً بين الدول الصغيرة للدفاع اصبحنا نرى حرباً شديدة لا يعلم نتيجتها الا الله . ومما يزيد الطين بلة ان الولايات المتحدة قد شرعت منذ عهد قريب في شراء الذهب من اوربا . ومع ان الكميات التي اشترتها ليست كبيرة حتى الآن فقد اوقعت الذعر في الاسواق المالية فأصبح كبار الماليين يبحثون عن مكان امين يحرزون فيه اموالهم . وبعد ان كانوا آمنين عليها في خزائن فرنسا وسويسرا وهولندا صاروا يولون وجوههم شطر الجهات الاخرى من العالم يخزنونها فيها الى ان تمر العاصفة زاعمين ان هذه الخطة هي أسلم خطة تمليها الحكمة عليهم »

ولعل القارىء يتوهم ان التجربة الاميركية مبنية على نظرية حديثة العهد . الا ان الاستاذ ريشار لفينسون يقول انها قديمة بحث فيها علماء الاقتصاد في انجلترا واميركا منذ اكثر من عشر سنوات . وقد صمم الرئيس روزفلت الآن على تجربتها . فما هي خلاصة هذه النظرية ؟!

« في سنة ١٩٢٠ نشر الاستاذ ارفنج فيشر كتاباً بعنوان « تثبيت الدولار » برهن فيه على ان الدولار وغيره من النقود التي تستند الى عيار الذهب ليس لها قيمة ثابتة . وحجة ذلك ان الانسان يستطيع ان يشتري بالدولار كمية من البضائع اكثر او اقل من الكمية التي كان يشتريها قبلا او من التي يستطيع ان يشتريها غداً تبعاً لارتفاع الاسعار او انخفاضها . ومثل هذا التقلب في الاسعار لا يفيد أحداً على الاطلاق الا المضاربين . مع أن العالم كله يستفيد من ثبات الاسعار والتزامها حداً معيناً . وهذا الثبات لا يتسنى الا اذا هدم نظام العالم الاقتصادي واقيم على انقاضه نظام جديد يحول دون تقلب الاسعار »

واليك طريقة تثبيت النقد بمقتضى نظرية الدكتور فيشر :

« تؤخذ طائفة من المواد الاولية اللازمة لمعيشة الانسان ولنظام الاجتماع كالقمح والقطن والحديد وما اشبه . ويتم الاتفاق على ان مقداراً معيناً من كل من تلك المواد يساوي دولاراً . ويسمى هذا الدولار « دولار بضاعة » وتعين نسبته الى دولار الذهب وتجعل تلك النسبة ثابتة . فاذا أقبل محصول العام وكثر القمح ادى ذلك — بمقتضى نظام النقد الحالي — الى هبوط الاسعار . واما بمقتضى نظرية الاستاذ فيشر فان السعر يظل على حاله وانما تزيد ثروة صاحب المحصول . وبالعكس اذا نقص المحصول فان السعر — بمقتضى نظام النقد الحالي — يرتفع ، ولكنه بمقتضى نظرية الاستاذ فيشر يظل على حاله . ويستعان على ابقائه على حاله بالدولة نفسها فانها كلما رأت العوامل

متوافرة لرفع السعر أو خفضه تصدر قراراً مؤداه ان الدولار يساوي كمية اكثر أو أقل من الذهب وبهذه الطريقة يشتري الدولار السكمية التي كان يشتريها قبلا من المواد الاولية

« ومن مزايا هذا النظام ان الذي يملك الف دولار مثلا ينام قرير العين لان ثروته تظل هي هي وفي استطاعته أن يشتري بها السلع نفسها بلا زيادة ولا نقصان . وفضلا عن ذلك فان الفلاح الذي يستدين مقداراً من المال يستطيع أن يطمئن متى حان ميعاد الوفاء . فان الدين يظل هو هو فلا يلحقه غبن من ارتفاع سعر الذهب ولا يلحق الدائن غبن من انخفاض ذلك السعر »

قلنا ان نظرية الاستاذ فيشر ليست حديثة بل ترجع إلى سنة ١٩٢٠ وكانت اسعار المواد على اختلافها مرتفعة جداً بسبب تأثير الحرب ونفقات المعيشة ضعفي ما كانت عليه قبل الحرب . فلذلك كانت الفرصة ملائمة للاستاذ فيشر لنشر كتابه . فلما نشره احدث ثورة في الدوائر الاقتصادية . وفي أوائل سنة ١٩٢١ حدث هبوط عظيم في أسعار الحاجات زاد عن ثلاثين في المائة. فرأى أصحاب الاموال أنفسهم يزدادون ثراء من يوم إلى يوم ورأى أصحاب المصانع والمواد الاولية أنفسهم سائرين نحو هاوية الافلاس . وشعر الجميع بان الحاجة ماسة الى تثبيت النقد . وبحث البرلمان الامريكي في نظرية الدكتور فيشر بحثاً مستفيضاً ولكنه لم يصدر أي قرار بشأنها لان الازمة الاقتصادية كانت قصيرة المدى اذ انتهت في مثل السنة نفسها . وأخذت الاحوال تتحسن وبدأت تعود إلى مجاريها

الا أن علماء الاقتصاد لم يكونوا مطمئنين إلى النتيجة بل ظلوا يرقبون تطور الحال عن كثب ، ليس في اميركا فقط بل في اوربا أيضاً . ومن جهة اخرى حرضوا الحكومة على العمل بنظرية الاستاذ — مع تنقيحها قليلا — الاستاذ كينز العالم الاقتصادي الانكليزي . فقد نصح لحكومته أن تخرج عن قاعدة الذهب لان هذا المعدن في نظره سلطان مستبد منذ أقدم عصور الحضارة

وانحاز فريق كبير من علماء الاقتصاد الاميركيين الى الاستاذ فيشر . وكانت طائفة منهم تحيط بالمستر روزفلت منذ أول انتخابه رئيساً للولايات المتحدة وهؤلاء الاقتصاديون هم الذين أقنعوه بتجربة نظرية الدكتور فيشر . وعليه خرجت الولايات المتحدة عن قاعدة الذهب . فاخذت أسعار المواد الاولية ترتفع بالتدريج ولكنها لم ترتفع بعد إلى الحد الذي يعتبره الرئيس روزفلت المستوى المعقول . .

وما هو ذلك المستوى ؟

هو مستوى اسعار سنة ١٩٢٦ الذي يعتبره علماء الاقتصاد الاميركيون مستوى طبيعياً للمواد الاولية ، ومع ان خروج الولايات المتحدة عن قاعدة الذهب قد أدى إلى ارتفاع أسعار المواد الاولية ارتفاعاً كبيراً فان هذا الارتفاع لايزال دون مستوى سنة ١٩٢٦ بمقدار ثلاثين في المائة . فرغبة في الوصول إلى ذلك المستوى يأمر المستر روزفلت من وقت إلى آخر بشراء الذهب من أوربا خفضاً لقيمة الدولار الاميركي ورفعاً لاسعار المواد الاولية

تقدم العلم والعالم

مصل جديد لمقاومة السرطان

لما عقد المؤتمر الامبراطورى لمكافحة السرطان فى لندن فى الصيف الماضى اعلن الدكتور توماس لمزدن (Dr Th. Lumsden) من اطباء مستشفى لندن انه قد جرب مصلا جديداً لمعالجة السرطان فحقن به خمسة وعشرين مصابا كانوا قد عولجوا قبلا بالراديوم وبطريق الجراحة فلم يشفوا، ولكن المصل الجديد افادهم فائدة عظيمة. وكان الدكتور لمزدن قد جرب هذا المصل فى جماعة من الفئران مصابة بالسرطان فنالت الشفاء التام، وهو يريد الآن تعميم التجربة فى الانسان أيضا. ومع ان نتيجة التجربة غير حاسمة حتى الآن فان الآمال بنجاحها قوية جداً

ولم تذكر المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر شيئاً عن المواد التى يتألف منها المصل المذكور

شلل الاطفال فى مصر

يقول الدكتور «رورا» من اطباء مستشفى جون هوبكنس بامريكا ان شلل الاطفال كان معروفا فى مصر منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة. وقد بنى قوله هذا على درس هيكل عظمى لولد مصرى عاش سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد، وكان السر فلندرس بترى قد اكتشف هذا الهيكل سنة ١٨٩٧. ونظراً الى كون احدى الساقين اقصر من الاخرى زعم العلماء فى أول الامر أن صاحب الهيكل كان قد أصيب فى حياته بكسر فى عظم ساقه ثم جبر ذلك الكسر وبقيت احدى الساقين اقصر من الاخرى. إلا أن الدكتور رورا فحص الساقين فحصاً دقيقاً فلم يجد أثراً لاى كسر، وانما رأى ما حمله على القول بأن صاحب الهيكل العظمى كان قد اصيب فى حياته بالمرض المعروف عندنا بشلل الاطفال أى ان هذا المرض كان معروفا فى مصر منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة

مرض جديد

ليست الامراض التى تصيب الانسان محصورة، بل ان امراضاً جديدة تظهر بمرور الزمن تبعاً لتطور جسم الانسان ومقتضيات المدنية. واحدث الامراض التى ظهرت الى الوجود مرض غريب اكتشفه الدكتور سيل هريس من اطباء مدينة برمنجهام الاميركية، والقى عنه خطبة فى المجمع الطبى الاميركى وقد سماه «مرض الافراط فى الانسولين» أو (Hyperinsulinism) لانه ينشأ عن ما يظهر من افراط غدة البنكرياس فى افراز مادة الانسولين. فهو إذن عكس مرض السكر أو الديابيطس الذى يقل فيه افراز الانسولين. ومن أعراض هذا المرض تقلصات تشبه الصرع وتهيج الاعصاب، ورعشات من وقت الى وقت وافراز العرق بغزارة، وارتعاش فى العضلات تعقبه غيبوبة. وقد يقتضى هذا الداء إزالة جزء من غدة البنكرياس. وفى الوقت ذاته يجب أن يقتصر غذاء المصاب على المواد الدهنية والتى تقل فيها نسبة الكربوهيدرات

حفظ البقول

اذا وضعت البقول الطازجة فى جو معتدل الحرارة فقدت جانباً من سكرها خلاف ما لو وضعت فى جو بارد

من عادات فتيات الهند

من عادات بعض قبائل الهنود التى تباهى بقوتها وشجاعتها ان فتياتها يقمن الحفلات العامة ويرقصن فيها الى مطلع الفجر من دون ان يتوقفن

نقود أثرية

بينما كان عمال من مدينة لارنكا بقبرص يحفرون ارضاً لوضع أسس لمستشفى جديد عثروا على كنز كبير من نقود ونحاسية قديمة ترجع الى المائة الخامسة قبل الميلاد

الحواس باختلاف الاشخاص

تختلف الحواس باختلاف الاشخاص كثيراً جداً . فحاسة البصر مثلا قد تكون قوية فى انسان وضعيفة فى غيره ، وكذلك القول فى سائر الحواس . وقد روت احدى المجلات العلمية انه ثبت من تجارب كثيرة ان بعض الروائح هى عطرية لبعض الناس ولكنها مكروهة عند غيرهم ، وان بعض المواد هى حلوة المذاق فى بعض الافواه ومرة أو مالحة فى غيرها

للمصابين بالصمم

استنبط الدكتور هوجو ليبر من أهالى مدينة نيويورك جهازاً يستطيع الاصم بواسطته أن يسمع الاصوات عن طريق عظام الجمجمة

حرب الغازات

يقول بعض علماء الكيمياء ان الغازات هى أقرب أدوات القتال الى الانسانية . وهى أكثر انطباقاً على مبادىء الرحمة والشفقة من المدافع والمقذوفات على اختلاف انواعها . ومع ذلك تسعى بعض الدول الى تحريم استعمالها فى الحروب . ويؤخذ من سجلات الحرب العظمى الماضية ان عدد الجنود الاميركيين الذين أصيبوا بسموم الغازات كان ٧٠٧٥٢ جندياً ، لم يمت منهم سوى مائتين فقط ونيفا الناقون . ويؤخذ من تقارير علماء الكيمياء أن أخطر الغازات التى استعملت فى الحرب الماضية غاز الفوسجين ومع ذلك فهو أقل خطراً من مقذوفات المدافع

منطقة الاوزون

الاوزون أو الهواء المؤلف من الاوكسجين النقى يكثر فى طبقات الجو العالية . وقد نشر الدكتور جون الوسيرى والاستاذان دوبسون وميهام الانجليزيان مقالة فى مجلة « نايتشر » العلمية اثبتوا بها أن مادة الاوزون تكثر فى طبقات الجو على ارتفاع ثمانية اميال فوق سطح البحر

زجاج لين

استنبط أحد علماء الكيمياء الالمان نوعا ليناً من الزجاج ينثنى ولا يكسر . وقد عرض هذا الزجاج فى مدينة آخن حيث أقيم معمل لصنعه . وكان بعض الناس يعتقدون أن هذا الزجاج هو مادة صمغية شفافة تشبه السليولويد . ولكن مستنبطه اثبت امام لجنة من الخبراء انه زجاج حقيقى

مدن العالم الكبيرة

في العالم أكثر من ٥٠٠ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على مليون نفس

كلاب البحر المنقرضة

لا تزال كلاب البحر أشد الحيوانات البحرية خطراً . على ان الفصيلة الاشد خطراً منها قد انقرضت لحسن الحظ ، وكانت تملأ البحار منذ عدة ملايين من السنين ، وكان لبعضها فك طوله خمس اقدام وفيه انياب حادة قاتلة . وكانت تلك الحيوانات سريعة الحركة جداً شديدة الفتك بأعدائها

الثلج الذهبي

كثيراً ما ينزل على الارض وعلى قمم الجبال ثلج اصفر . وسبب هذا اللون هو وجود انواع من الهوام الصفراء التي تحلق على رؤوس بعض الجبال ، فاذا سقط الثلج التهمها وحملها الى الارض ، فيبدو اصفر ذهبي اللون وقد روت احدى المجلات العلمية الاميركية ان ثلجاً بهذا اللون سقط حديثاً في بعض الجهات الجبلية بالولايات المتحدة

لين العظام

كثيراً ما تكون عظام الجسم لينة جداً فيزعم الطبيب ان لينها ناشىء عن مرض الكساح المسبب عن نقص بعض انواع الفيتامين من الغذاء . على ان البحث العلمي قد أثبت أن مرض بعض الغدد الصماء قد يجعل العظام لينة جداً ، حتى لقد روى احد الاطباء ان رجلا كسر عظم ساقه لأنه عطس ، وكان مصاباً بعطب غدده الصماء

اسطورة الاتلانتس

هي اسطورة القارة الضائعة التي يزعم بعض العلماء انها حقيقية ، مع ان العلم لم يوفق الى اثباتها حتى الآن . ولا يخفى ان افلاطون فيلسوف اليونان الكبير هو أول من بسط حكاية هذه القارة وقال انه تلقى اخبارها من كهنة المصريين الذين كانوا مشهورين بالعلم وكانوا حراساً لخزائن الحكمة . وقد ذكر افلاطون أن أهالي اتلانتس المذكورة كانوا على جانب عظيم من العلم والحضارة وانهم حاربوا اليونان قبل عهد افلاطون بنحو تسعة آلاف سنة وان اليونان انتصروا عليهم فانقذوا حضارة أوربا وافريقيا منهم ، الى آخر ما في هذه الاسطورة من الاخبار الغريبة التي انقسم العلماء بسببها الى مصدق ومكذب

وقد تصدى الدكتور هايدل استاذ اللغة اليونانية القديمة بجامعة ويزليان باميركا لدرس هذه الاسطورة ، فانتهى الى هذه النتيجة وهي أن الاسطورة ملفقة من أولها الى آخرها وان افلاطون هو الذي لفقها ليستوحي بها همة قومه . وانه عزاها الى كهنة المصريين القدماء ليجعل لها قيمة عند الذين يسمعونها

الآلات الزراعية في اميركا

يعتقد البعض ان الآلات الزراعية من بخارية وكهربائية شائعة في جميع الحقول والغيطان في الولايات المتحدة . ولكن احصاء رسمياً لوزارة الزراعة هنالك يدل على ان ستة وثمانين في المائة من مجموع الحقول والغيطان الاميركية لا تزال تدار بواسطة الثيران والبغال والخيل بحسب الطرق القديمة

معالجة امراض القلب

من الاكتشافات التي وفق اليها العلم ما رواه بعض الاطباء الالمان من انهم عالجوا طائفة من أمراض القلب بازالة الغدة الدرقية من الجسم . وتقول المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر ان احد الاطباء الالمان عالج ثلاثة عشر رجلا مصابين بمرض القلب بازالة الغدة الدرقية ، فكانت النتيجة أن احد عشر منهم نالوا الشفاء التام وتحسنت صحة الاثنين الباقيين تحسناً عظيما

التحنيط قديما

كانت طرق التحنيط عند المصريين القدماء تختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف غنى الاشخاص ووجاهتهم وكان تحنيط الجثة على أفضل طريقة يقتضي شهرين من الزمن

جرو الدب

عندما يولد الدب قد لا يزيد وزنه على خمسة أرطال . ومتى كبر زاد وزنه الى خمسمائة رطل ، وربما وصل الى الف رطل

سكان القدس

في احدى الصحف الاميركية ان سكان مدينة القدس قد زادوا ٤٤ في المائة في خلال العشرة الاعوام الماضية

مدينة « سر من رأى »

بنيت هذه المدينة على شاطئ دجلة في المائة التاسعة للبلاد واتسعت بعد مدة وجيزة حتى صارت من أكبر مدن العالم واجلها في ذلك العهد، ولكن عمرها منذ انشائها الى حين هجرها اهلها لم يزد على سبعة وأربعين عاماً

حواس الفيل

يظهر أن أقوى حواس الفيل هي حاسة السمع وتليها حاسة النظر وأضعفها حاسة اللمس . أما حاستا الشم والذوق فتكادان تكونان متعادلتين

من آثار الديناميت

من آثار استنباط نوبل لمادة الديناميت أن كثيراً من المعادن كالحديد والنحاس والرصاص والزنك أصبحت رخيصة فراجت في الصناعات المختلفة رواجاً كبيراً

ضغط الدم

يظهر أن درجة ضغط الدم لا تختلف باختلاف حالات الصحة والمرض فقط بل باختلاف أجناس الشعوب أيضا . ويقول بعض العلماء ان أقل درجات الضغط الدموي هي في شعب جواتيمالا

النقوش المصرية القديمة

كانت الكتابات التي يؤمر بنقشها على جدران المعابد المصرية القديمة تعرض على « الرقيب » الرسمي لكي يأذن في نقشها بعد تنقيحها كما يتراءى له

البعثة القطبية

لا يخفى ان بعثة علمية اميركية تستعد للسفر الى المجاهل القطبية الجنوبية (وهي المعروفة ببعثة بيرد) . ومن جملة افراد هذه البعثة طبيب سيحمل معه زجاجة صغيرة خضراء اللون تحتوي على كمية من الفيتامين « C » تكفي البعثة مدة سنتين

لاعب الفوتبول

يقول أحد الاطباء الاخصائيين ان لاعب الفوتبول قد يفقد نحو سبعة ارطال أو عشرة من وزن جسمه بعد خروجه من ميدان اللعب، فاذا كان صحيح البنية استرد ما فقده من الوزن بعد يوم أو يومين

عندما تلسع النحلة

ان النحلة عندما تلسع أحداً تستخدم اثنين وعشرين عضلا من عضلات جسمها وهي تترك غالباً حتفها في جسم الملسوع

مواد معدنية غريبة

كثيراً ما نجد في بعض القفار أو الحقول مواد حجرية بلورية تشبه الزجاج ويضرب لونها الى الخضرة. وكان العلماء يحارون في تعليلها لانها مواد طبيعية غير مصنوعة وقد اثبت الآن احد علماء الجيولوجيا ان هذه المواد هي قطع من نيازك أو رجوم سقطت على الارض من فضاء الكون

معرض شيكاجو

من جملة المعروضات في متحف شيكاجو الأخير تمثال جسم انسان شفاف بالحجم الطبيعي، يستطيع الناظر اليه ان يرى جميع الاعضاء التي هي داخل الجسم كما هي

أعلى من صنم رودس

كان صنم رودس من عجائب الدنيا السبع، ومع ذلك فان تمثال الحرية المقام عند مدخل ميناء نيويورك هو أعلى من ذلك الصنم خمسين قدماً

خفة الطيور

ان سبب خفة الطيور هو فراغ عظامها من المخ وامتلاؤها بالهواء فقط

اليابانيون والسمك

يظهر أن اليابانيين هم في مقدمة الشعوب التي تأكل السمك، ويعتقد العلماء ان هذا هو سبب ذكائهم مع انهم يكثرون - كالصينيين والهنود - من أكل الرز، والرز كما يقول بعض الاخصائيين في علم التغذية ليس من المواد التي تساعد على نمو الذكاء

الصمم الوراثي والنساء

تدل مباحث الاطباء على أن الصمم الوراثي هو أكثر انتشاراً بين النساء منه بين الرجال ولمن عديد إحصاءاتهم في اوربا وامريكا هو سماعهم الصابون (؟)

في مجاهل القطب الجنوبي

يقول الذين وصلوا الى جهات القطب الجنوبي ان في الامكان سماع الاصوات عن مسافات بعيدة وانه يستطاع سماع صوت الانسان الاعتيادي عن مدى كيلو متر ونصف كيلو متر أو اكثر، ونباح الكلاب عن مسافة اربعة عشر كيلو متراً

نوم البنات والصبيان

البنات والصبيان الذين تتساوى اعمارهم يختلفون في نوع نومهم، فالبنات ينمن نوماً اهدأ وأدل على الراحة من نوم الصبيان. وليس ذلك فقط بل يستغرقن في النوم قبل الصبيان عادة

معاصر للانسان الاول

بينما كان احد العلماء يقوم بالبحث والحفر فى جهة كانام بافريقيا الشرقية عثر على بقايا انسان (اطلق عليه اسم كانام) يرجح انه عاش فى افريقيا منذ نصف مليون سنة على الاقل، فكان معاصراً للانسان القرد (بيكانثروبوس) فترى من هذا انه لايكاد يمر عام ، إلا ويكتشف العلماء آثاراً جديدة تدل على قدم الانسان على هذه الارض

جهاز غريب

اخترع الدكتور سايكس من اطباء مدينة ليدز بانجلترا جهازاً غريباً اذا صح ما قرأناه عنه وجب وضعه فى مصاف اعظم الاختراعات التى وفق اليها الانسان ، اذ يمكن بواسطته قياس قدرة المريض على احتمال العملية الجراحية التى يراد اتمامها له . وهذا الجهاز دقيق جداً ويبين بالارقام العددية حالة قلب المريض وقواه الجسمية من حيث احتماله العملية الجراحية أو عدم احتماله لها . ويقال ان التجارب الكثيرة قد اسفرت عن اثبات فائدة الجهاز المذكور

فى اثناء العمليات الجراحية

لا يخفى أن العمليات الجراحية البسيطة لا تحتاج الى أكثر من تخدير موضعى . وقد شرع اطباء مستشفى روكلن فى تجربة جديدة ، وهى انهم اذا أرادوا اتمام عملية جراحية بسيطة خدروا موضع العملية تخديراً علياً ثم ألهوا المريض بوضع سماعات راديو على أذنيه ليتمتع بسماع الانغام الشجية وينصرف عن رؤية سكين الجراح

أثر مصرى فى فلسطين

بينما كان علماء الآثار فى فلسطين يقومون باعمال الحفر فى الموضع المعروف بيت شمس عثروا على فص خاتم قديم بشكل جعران هو فص الخاتم الذى لبسته الملكة «تى» يوم اقترانها بفرعون امنوتب الثالث

من تأثير الازمة

من آثار الازمة الاقتصادية الحالية ما ذكره المستر هارى هوبكنس مدير «مصلحة الاعانات» فى الولايات المتحدة . فقد قال ان فى تلك البلاد ستة ملايين من الاولاد الصغار لايتناولون طعاماً مغذياً ، لان آباءهم قد نكبوا بويلات الازمة ولا يستطيعون أن يقدموا لهم الطعام الكافى

الزيت فى قيعان البحار

ثبت أخيراً أن فى قيعان البحار ينابيع زيت غزيرة أحدها سيع واقع على مقربة من سواحل كاليفورنيا الجنوبية

مناجم جديدة للذهب

اكتشفت مناجم جديدة للذهب فى مستعمرة الكونجو البلجيكية يقال انها غنية جداً وستشرع الحكومة البلجيكية فى استغلالها فى هذا العام

لحم الفيل

يظهر ان بعض الشعوب الافريقية تستطيب لحم الفيل وتحسبه من أفخر اللحوم . على أن الذين ذاقوه من المتمدنين يعدونه تافهاً جداً بل مكروها لانه يشبه مادة غروية لا طعم لها

كتب جديدة

صوت الجيل

تأليف الاستاذ ابراهيم المصرى

طبع بمطبعة سابا بالقاهرة ، صفحاته ١٤٩

أهدى الاستاذ ابراهيم المصرى هذا الكتاب لشباب الجيل الحاضر ، وهو مجموعة قيمة من المقالات والبحوث الممتعة التى تعبر عن نزعات هذا الجيل فى مصر والخارج . فأنت تقرؤها فترى ما يجول فى نفوس شبان اليوم من خواطر ونزعات وأفكار وآمال . و[illegible] أما مقال « بينى وبين نفسى » وهو دراسة عميقة لنفس الانسان ، الغرض منها الخروج عن النفس ومعرفة الضمير ، إذ ان ضمير الشخص يكون ضمير العالم ، ومن فكرته الشاردة البسيطة تنبثق الفكرة الكلية الكاملة

ويلى هذا المقال مقال « البطولة والعظمة » ثم « تسليم الى الشباب » ثم « جحيم المثقفين » و« المتعلمون والشعب » و« النفسية الانجليزية » و« نهضة الصين وادبها » و« اليابان الحديثة » و« الشخصية الانسانية » ، وغير هذه غيرها من المقالات والبحوث . وقد جاء فى مقال الشخصية الانسانية ، وهو من أحسن المقالات التى احتواها هذا الكتاب :

« . . . ولكن على أية قاعدة يجب أن تستند الثقافة فى تزهر وتؤتى ثمارها ؟ لا أتردد فى المصارحة ان هذه القاعدة هى الحرية ، وان شرط الثقافة الأول والاخير هو ان نحرر عقولنا من التقاليد والخرافات ، وان نقدم على التفكير الحر ، غير حافلين بما قد يصيبنا من نتائجه ، وان نبتغى الحقيقة لوجه الحقيقة . أما اذا استبدت عقائدنا وتقاليدنا بعقولنا وعواطفنا وراحت تملى علينا نوعاً خاصاً من التفكير والاحساس ، كان ذلك منا عبودية وتقهقراً وجهلا مستوراً يحول بيننا وبين معرفة العالم وبالتالى معرفة انفسنا »

فجر التاريخ

تأليف الاستاذ احمد زكى بدوى

طبع بمطابع البريد الكبرى بالاسكندرية
نشر المكتبة [illegible] . صفحاته ١١١

الانثروبولوجيا أو علم وصف الانسان فى فجر التاريخ ، تبحث عن الانسان كحيوان وعلاقته بباقى المخلوقات الحية ومكانه فى الطبيعة وتركيبه البدنى ، واعماله العضلية والعقلية على ضوء علم التشريح المقارن وعلم وصف الاعضاء وعلم الانسجة . وتبحث عن قدم الانسان كما تدل عليه بقاياه . وهذا أحد نوعيها وهو الطبيعى . أما الانثروبولوجيا الاجتماعية فهى دراسة الانسان الاول من الوجهة الاركيولوجية Archeological فى ضوء ما تخلف من آثاره وفنونه ، ثم دراسة الانسان كحيوان اجتماعى ودراسة نظمه الاجتماعية بالبحث المقارن

كالعادات والتقاليد والتعاليم والميلاد والزواج وغير ذلك . وليس من شك في ان دراسة هذا العلم تنير السبيل امام الذين يعنون بتحديد الرقي الذي وصلت اليه الحضارة الحديثة ، بالنسبة لما سبقتها ، وتوضح حقيقة العقائد والتقاليد الشائعة في المدنيات القديمة حتى لا يواجهها الباحث كمسائل معقدة

وقد أحسن الاستاذ احمد زكي بدوي حيث جمع في هذا الكتاب على صغر حجمه خلاصة وافية من هذا العلم فقدمه بفصلين عن التاريخ الجيولوجي ، والتاريخ البيولوجي ، ثم تكلم في فصول تالية عن الانسان الأول وانفصاله عن الحيوان وانواع الانسان الخ . وعن نشوء الجماعات والانتقال السلالي ونشوء الدولة وعناصر الاجتماع ، ثم عن الاسرة ، والدين والقانون ، والاخلاق والفن والمعرفة والكتابة واللغة . وختم هذه الفصول بفصل عن الحضارة المصرية وأصل المصريين

وكل من تناول الكتاب يجد فيه أثرا واضحاً من العناية ، ويقتنع بان المؤلف قد أخلص لموضوعه ، فاتقنه أجمل الاتقان

روائع من قصص الغرب

ترجمة الاستاذ كامل كيلاني

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . صفحاته ٥٧٤

يكاد يكون الأديب الفضال الأستاذ كامل كيلاني قد تخصص في إصدار القصص الممتعة . فبين آن وآخر نرى له تحفة قصصية إما موضوعة أو مقتبسة أو مترجمة ، يهديها الى الناشئين وقد أصدر عدة قصص للاطفال نالت إقبالا ورواجاً . وأصدر غيرها من القصص الأخرى التي رضي الأدباء عن كثير منها ، ولا شك أن كتاب « روائع من قصص الغرب » سوف يقابله القراء بكثير من الاعجاب والتقدير . فضلا عن أن الأستاذ كامل قد ترجمه بأسلوب فصيح ، قد أحسن اختيار قصصه من أحسن ما كتبه أدباء الغرب ، مما يحتوي على عمق التفكير وقوة الخيال ودقة التحليل ، ويتناول الاحوال الانسانية والاصلاح الاجتماعي العام الذي تشترك فيه جميع الأمم . ولهذا كانت تلك القصص قصصاً انسانية عامة لا تختص بامة دون امة ولا زمن دون زمن ، بل مادتها الانسان والحياة التي يشترك فيها جميع الأفراد والجماعات على السواء وهذا النوع هو أعلى مراتب القصص ، وهو القصص الصحيح بمعناه الفني

قلب جزيرة العرب

بقلم فؤاد بك حمزة

طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة . صفحاته ١٩٢

لعل هذا الكتاب الذي قام به الاستاذ فؤاد بك حمزة عن قلب الجزيرة العربية من أحسن الكتب التي كتبت في هذا الموضوع ان لم يكن أول كتاب الف باللغة العربية عن الطور الجديد الذي دخلت فيه بلاد عسير ونجد وتهامة والحجاز وما يتبعها من الملحقات ، وعن التغيرات الجغرافية والاجتماعية التي طرأت على هذه البلاد . فقد قضى فؤاد بك حمزة مدة في قلب الجزيرة العربية وشغل منصباً كبيراً في الحكومة الحجازية . وساعده هذا الاتصال الوثيق بالشعوب والقبائل والحكومة ، وما له

من دراية واسعة بأحوال هذه البلاد على ان يخرج لقرائه العربية هذا السفر الجليل عن المملكة العربية السعودية ، وعن أحوالها الطبيعية والعمرانية ، وعن قبائلها واصطلاحات هذه القبائل ولغاتها وعاداتها وأشعارها وأنسابها . الى غير ذلك مما يتعلق بحياة هذه البلاد . وقد ختم هذا السفر بقسم واسع عن تاريخ البلاد من عهد العرب البائدة الى وقتنا هذا أى الى عهد آل سعود . ثم ذيله بملحق عن الربع الخالى . ولا شك ان الاستاذ فؤاد بك حمزة قد أهدى الى الذين يعنون بالشئون العربية أحسن هدية يستعينون بها على خدمة القضية العربية والتعاون مع سائر الامصار التى توحد بينهم لغة الضاد

المجموعة النباتية الطبية

تأليف الاستاذ عازار ابو ماضى

طبع بالمطبعة المصرية . صفحاته ٢٠٨

يشتمل هذا الكتاب على اربعمائة نوع من النباتات المتعارفة والبقول التى تستعمل للغذاء والاستشفاء . وهى مرتبة على حروف المعجم . وقد ذكر المؤلف عن كل نوع منها فائدته ووظيفته باختصار . ولهذا فهو مفيد للجمهور خصوصاً الذين يترجون منافع العقاقير ويحرصون على استخدام انفعها

ونحن نقتبس سطوراً من هذا الكتاب كنل يطلع عليه القراء . قال تحت عنوان « حبة السوداء » :

« شونيز بالفارسية – حبة البركة والحبة المباركة – نبات بذوره تعتصر فيخرج منها زيت ينفع من السعال العصبى واوجاع الصدر ويؤخذ نقطاً على القهوة . منبه معدى مدر للبول والطمث ، مضاد للرياح كما انه من التوابل والبهار . ويضاف على الخبز معطرا . والحبة السوداء من العناصر الرئيسية الداخلة فى تركيب (المفتقة) المعروفة بالكلوكة عند الاسكندريين »

كفيل الانشاء

لمؤلفه الأستاذ ادوار مرقص

طبع بمطبعة كوبين باللاذقية . صفحاته ١٤٢

وهو كتاب مدرسى سهل المأخذ ، يشتمل على نماذج من الرسائل التجارية والوثائق الرسمية مع قواعد وارشادات ومثل وتمارين على الانشاء الحالى فى جميع انواعه ، من حل الشعر وعقده الى نزاهمه مع على نمط رسائل البلغاء . كما انه يشتمل على خلاصة وافية فى الخطابة وشروطها وقواعدها ومحاسنها ومساوئها . وكل ذلك موضح بالأمثلة والتمارين

الاخبار فى سير الرجال

تأليف السيد محمد خالص على الملا حمادى

طبع بمطبعة النجاح ببغداد . صفحاته ١٩٠

هو كتاب تاريخى اجتماعى ادبى مصور يحتوى على تراجم الزعماء والعلماء والادباء والتجار فى البلاد العربية والمهجر ، يصدر على شكل كراسات . وقد ابدع فى تأليفه السيد محمد خالص واثبت فيه وقائع ووثائق مهمة . وقد نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وهذا يدل على انه لقى من القراء قبولا حسناً

الحكيم وسلمى

تأليف الاستاذ توفيق حسن نادر الشرتونى .

صفحاتها ١٣٩

هى قصة الفتى والفتاة ، أو هى قصة المحبة التى خلقها الله بين الرجل والمرأة ، وهى قصة واقعية حدثت بين اثنين ولكنها تقع لكل فتى ولكل فتاة لانها انسانية ، ولان موضوعها انسانى مشترك بين الجميع . ولذلك يرى القارىء والقارئة نفسيهما فى هذه القصة ، التى يقول عنها مؤلفها انه كتبها بعد ان درس العواطف الانسانية دراسة مستفيضة وسبر غور نزعاتها واميالها وعرف أسباب ضعفها وعوامل آلامها ويأسها ، وجاء بكتابه هذا ناصحا مرشداً الى طريق الراحة والطمأنينة

وقد قسم المؤلف هذه القصة الى اثنى عشر يوماً ذكر فى كل يوم طوراً من أطوار المحبة منذ بدأت . وذلك على لسان شخص اسمه دعاه الحكيم ولسان فتاة اسمها سلمى ، وجعل يصف بواسطتها كل مايقع فى الحب من احلام وآلام

طرق الاعلان

تأليف الاستاذ مليكة عريان

طبع بالمطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة .

صفحاته ١١٦

أصدر الاستاذ مليكه عريان الاستاذ بمدرسة التجارة العليا بالقاهرة هذا الكتاب عن طرق الاعلان . وهو أول كتاب صدر فى هذا الموضوع باللغة العربية ، يبين اصول الاعلان واساليبه وفوائده ، ويعطيك ارشادات جليلة عما يجب عليك ان تعمله لرواج تجارتك ان كنت تاجراً وللاشادة بصناعتك ومصنوعاتك ان كنت صانعاً . وعلى الجملة هو يهديك الطريق السوى الى النجاح فى هذا المضمار الذى يتصل بالحياة الاقتصادية اتصالا وثيقاً وتعتمد عليه التجارة والصناعة خصوصاً فى العصر الحاضر الذى اصبح الاعلان فيه عن المنتجات المادية والادبية شرطاً اساسياً لنجاحها فى الحياة العامة

كتب أخرى

(اللاسلكى) تأليف الاستاذ ادمون عبد النور المدرس بالجامعة الاميركية ، وهو كتاب علمى مفيد اهدته زميلتنا المقتطف الى قرائها

(خادمة الخدر) قصة طريفة فيها عظة وعبرة . تأليف الاستاذ مهدى أحمد خليل . طبعت بمطابع مصر

(دروس الطبيعة) تأليف الاستاذ انيس هدبة استاذ الطبيعة والكيمياء فى تجهيزية حلب . وهذا الكتاب لتلاميذ الصف الرابع من المدارس التجهيزية

(مأساة التقاليد) رواية تمثيلية . تأليف الاستاذ عبد الرحمن عثمان على . طبعت بمطبعة التقدم بالاسكندرية

(صحائف مطوية) رسالة مفيدة فى تاريخ النوبة . تأليف الاستاذ محمد كامل حته . طبعت بمطبعة المنار بالقاهرة

(الحكم المنتقاة) يشتمل على عدة احاديث وأقوال من أقوال النبى محمد (ص) والخلفاء الراشدين وغيرهم . طبع بمطبعة الآداب الحديثة بالفجالة بالقاهرة

بين الهلال وقرائه

سندات للبنك العقاري

(دوما — لبنان) ميشال خليل نجم

بما ان سندات البنك العقاري القديمة (اصدار سنة ١٨٨٦) قد طرحت الاشياء، فنرجو منكم ان تفيدونا هل تقبل الشركات سهاماً عن السنة الاخيرة ؟

(الهلال) نعم ، ولكن أجور ذلك القيام (التأمين) ستكون عالية جداً لسبب لا يخفى على فطنتكم

تقمص الروح

(القاهرة — مصر) أحمد القراء

يقولون ان روح التوءم الصحيح اذا اختفت حيناً وارادت الحلول عليه تشكلت بهيئة نقطة سوداء وان ما يصيب جسم النقطة من ألم أو ضيم أو غلاؤها يشعر به التوءم شعوراً واضحاً يبدو عليه جلياً ؟ فكيف تعللون هذه الظاهرة ؟

(الهلال) هي خرافة لا يصدقها من في رأسه ذرة من العقل !

تثقيف المسيح

(بلو هوريزنتو — البرازيل) سعيد مراد

هل كانت تعاليم المسيح نتيجة وحي هبط عليه أم نتيجة دراسته في احدى مدارس ذلك العصر ؟ وفي أية مدرسة تعلم ؟

(الهلال) المسيح في نظر المسيحيين هو الاقنوم الثاني فجميع اعماله وتعاليمه في نظرهم وحي مستمر غير منقطع . ومع ذلك كان المسيح باعتبار طبيعته الجسدية يغشى الهياكل ومجالس الشيوخ والعلماء وينصت الى شروحهم وتعاليمهم حتى تفقه في حقائق الدين اليهودي منذ نعومة أظفاره وصار يدهش الناس بآرائه وأحاديثه وهو بعد فتى يافع . فكانوا اذا سمعوه يتحدث أو يخطب قالوا : أليس هذا هو النجار ابن مريم ؟ (انجيل مرقس ٦ : ٣) وفي انجيل لوقا (ص ٢ : ٤١) أنه لما كان ابن اثنتي عشرة سنة ذهب مع ابويه الى اورشليم ثم انفصل عنهما وذهب الى الهيكل فاتفقا يبحثان عنه حتى اهتديا اليه « جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته »

دخول الازهر

(جاكارهي — البرازيل) خليل مناسى

هل يقبل الازهر طلبة من غير المسلمين ؟

(الهلال) كلا

فضاء الكون

(عمان — شرقي الاردن) هارون عيسى

علم ان الاجرام السماوية تسبح في فضاء نهائي أيصح من العقل وجود فضاء آخر وراء هذا الفضاء تسبح فيه [illegible] غير الاجرام المعروفة عندنا ؟

(الهلال) ليس ثمة ما يمنع من ذلك عقلياً ، بل ان آراء العلماء مجمعة على وجود فضاء آخر لا نهاية له يحيط بالفضاء النهائي الذي تسبح فيه الاجرام العلوية . ولكن هذا الفضاء الخارجي الذي لا نهاية له هو على الارجح فراغ تام خال من المادة وهو طبقات بعضها فوق بعض . ونظراً الى هذه بعده لا تبدو اشعة الاجرام التي في الفضاء النهائي . ومع ذلك فقد يثبت العلم في المستقبل ان هذا الفضاء الخارجي الذي لا نهاية له ليس في الحقيقة فارغاً بل فيه اجرام علوية كالاجرام التي تسبح في الفضاء النهائي

ان النظرية العلمية الحديثة تقول ان العالم آخذ في الاتساع . ومعنى ذلك ان الفضاء النهائي الذي تسبح فيه جميع الكائنات يتسع اتساعاً تدريجياً كما تتسع كرة القدم (الفوتبول) عندما ننفخها . والدليل على هذا ان الاجرام السماوية — ولا سيما البعيدة منها الواقعة عند نهاية الفضاء المحدود — تندفع مبتعدة عن مركز الكائنات بسرعة هائلة الى جميع الجهات حتى يكاد يخيل لمن يرصدها بالمراقب الكبيرة

أنها شظايا قذائف متفجرة متطايرة في فراغ الكون نحو ذلك الفضاء الخارجي غير المحدود والذي قلنا انه ظلمات بعضها فوق بعض . فاذا صحت هذه النظرية وظل الكون يتسع واستمرت تلك الاجرام تندفع تلك السرعة الهائلة ، فلا بد ان يجيء يوم تتخطى فيه تلك الاجرام حدود الفضاء الخارجي الذي لا نهاية له . ومهما تكن الحقيقة فان علم الفلك ما يزال في عهد طفولته وسيتقدم بمرور الزمن بما ينكشف للانسان من الاسرار

ظاهرة فلكية غريبة

(دوريكا — فيينا الفرنسية) مدام واطي

شاهدنا الليلة البارحة (٩ اكتوبر) كواكب تتساقط من السماء من الساعة ٧ مساء الى ٩ مساء تقريباً . وكان جانب منها يندفع نحو الشرق وجانب آخر يندفع نحو الجنوب وقد حرنا في تعليل ذلك. فهل لكم أن تشرحوه لنا ؟

(الهلال) ذكرت [illegible] هذه الظاهرة الفلكية وقد شوهدت في [illegible] كثيرة من [illegible] الارضية ولا سيما في القارة الاوروبية [illegible] عنها بالتلغراف الى مرصد هرفرد وغيره من المراصد الاميركية . ويؤخذ من تقارير المراصد العلمية ان هذه الظاهرة كانت من أجمل الظواهر الفلكية بل قد كانت امثالها من الظواهر التي تقع مرة في كل نحو ثلاث وثلاثين سنة (وقد وقعت سنة ١٨٣٣ و١٨٦٦ و١٩٠٠ وفي هذا العام) وقد استمرت بضع ساعات (لا ساعتين كما تقولون) تساقط في خلالها عشرات من الشهب (بمتوسط مائة شهاب في كل دقيقة) وبلغت أشدها في الساعة ٢٠ والدقيقة ٣ ليلا بحسب وقت غرينتش (الساعة الثامنة والدقيقة ٣ ليلا) . وقد بحث الدكتور فيشر مدير مرصد هرفرد في سبب هذه الظاهرة فاتضح له أن المذنب المعروف باسم « جياكوبيني زنر » (وهو من المذنبات التي تدنو من الشمس من وقت الى آخر) كان قد دنا من تلك الارض حتى اصبحت الكرة الارضية تندفع في فضاء بسرعتها الهائلة وهي على بعد ٢٧٠ الف ميل فقط منه . فأخذت الالوف من شظايا ذلك المذنب تتساقط في تلك الارض بشكل شهب لامعة تسطع قليلا ثم تحترق وتنطفيء . وقد ابتعد المذنب عنا الآن بعد ان دنا من الارض كثيراً جداً وكان قد شوهد في شهر ابريل الماضي في مرصد مدينة همبورج بالمانيا

نفسية الشعب الفرنسي

(صيدا — لبنان) وديع شحاده

في أواخر القرن الثامن عشر هبت نار الثورة الفرنسية فتشبع الفرنسيون حب الحرية والمساواة والاخاء أي حب الديمقراطية الصحيحة . ثم ماجت الاحشية أوضاعها حتى ظهر نابليون بونابرت وأسس سلطته الاوتوقراطية الاستبدادية . ومع ذلك تعلق الشعب الفرنسي به تعلقاً غريباً . ثم ماجت الامة وجيزة حتى نبذ الشعب نابليون وعاد الى الحكم الديموقراطي . فكيف نعلل هذه الظاهرة من نفسية الشعب الفرنسي ؟

(الهلال) ليس من السهل بسط هذه الظاهرة بسطاً صحيحاً في مثل هذا المجال الضيق . ولكننا نقول [illegible] في حياة الامم أدواراً عصيبة تكون فيها نفسية الامم حساسة دقيقة الشعور تتأثر [illegible] حتى [illegible] سرأ عليها ولا سيما اذا كانت [illegible] حماستها وكثيرًا نحوها وتحيي فيها الامل والرجاء . وهذه الانقلابات التاريخية اشبه شيء بحوران بعض المواد الكيماوية اذا مسها النار . فلا تلبث تغلي وتفور الى أن تهدأ حدة فورانها وتعود الى حالتها الطبيعية . وهذا ما وقع للشعب الفرنسي المشهور بدقة احساسه وسرعة تأثره. فكانت المظالم التي عاناها زمناً طويلا تنفخ في صدره روح الكره للنظام الاوتوقراطي وتجعله يترقب الفرص للانقلاب على ذلك النظام . وقد وقع ذلك وصحبه كثير من الفظائع التي لا تخلو منها ثورات التاريخ والتي تكثر فيها الضحايا . وبعد أن ارتوى الشعب من تلك الدماء وانتقم من انصار الاوتوقراطية جاء دور رد الفعل اذ ظهر نابليون فنفخ في صدور الشعب الفرنسي روحاً جديدة . وكان تعلق الشعب به مظهراً من مظاهر عبادة الابطال . فما دام البطل في أوج مجده فهو موضع كل تقدير واحترام . فاذا هوى وذهب مجده عاد الشعب الى حالته النفسية الطبيعية

نفقات الحرب الماضية

(بغداد — العراق) خليل العباسي

قرأت في احدى المجلات أن بريطانيا العظمى كانت تنفق في الحرب العظمى الماضية ثمانية ملايين من الجنيهات كل يوم . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم كانت بريطانيا العظمى تنفق ذلك المبلغ كل يوم في السنتين الاخيرتين من سنوات تلك الحرب ، ولكنا نعتقد ان هذا المبلغ يشمل ما كانت انجلترا تنفقه على بعض حليفاتها أيضاً . وقد وقفنا على احصاء رسمي للجنرال بول الانجليزي شرح به ما أنفقه الجيش الانجليزي تمهيداً لمعركة ايبر الثالثة التي وقعت سنة ١٩١٧ واليك صورة مجملة لتلك النفقات

أطلق الانجليز ٤٢٨٣٠٠٠ قذيفة بلغ ثمنها أكثر من اثنين وعشرين مليون جنيه . وذلك في اطلاق المدافع التمهيدي فقط أي قبل بدء المعركة . وبلغ وزن تلك القذائف ١٠٧ آلاف طن حملتها سبع وعشرون باخرة ونقلها خمسمائة وأربعون قطاراً يوجد في كل قطار عشرون مركبة

فاذا كان هذا هو ما أنفق تمهيداً لاحدى معارك تلك الحرب فماذا عسى أن تكون نفقات الحرب كلها ؟ أو ليس في هذا أكبر دليل على فظاعة الحرب ؟

القطب الجنوبي

(سان باولو — البرازيل) أحمد الشتركي

متى بدأ اهتمام الناس بالقطب الجنوبي وما هي أهم التطورات التي وقعت منذ اكتشافه ؟

(الهلال) بدأ اهتمام الناس بالقطب الجنوبي سنة ١٧٧٣ . ففي تلك السنة سافر الرحالة كوك في سفينة شراعية قاصداً الى دائرة القطب الجنوبي . وبعد ذلك بسنتين تمكن الرحالة بلنجهاوزن من الدوران حول دائرة القطب . وفي سنة ١٨٤٠ أعلن الرحالة ويلكس ان القطب الجنوبي قارة فسيحة الارجاء . وحمل هذا الاعلان الرحالة روس على ارتياد سواحل تلك القارة بين سنة ١٨٤٠ — ١٨٤٢ وعقب ذلك سكوت الناس عن القطب الجنوبي الى سنة ١٩٠٨ ، اذ قام شاكلتن برحلة الى هناك ، وهو أول انسان وطئت قدماه هضاب القطب الجنوبي . وفي السنة التالية اكتشف دافيد القطب الجنوبي المغناطيسي . وبعد ذلك بسنتين — أي في آخر سنة ١٩١١ — تمكن اموندسن الرحالة النرويجي من الوصول الى القطب الجنوبي وهو أول انسان وصل اليه . وبعد ذلك بشهر — في سنة ١٩١٢ — وصل اليه الرحالة سكوت ؛ وفي سنة ١٩٢٨ طار ولكنز حول القطب الجنوبي فأثبت ان البلاد المعروفة باسم « جراهام لاند » ليست جزءاً من القطب بل مجموعة جزائر على مقربة منه . وفي السنة التالية — ١٩٢٩ — طار بيرد الاميركي لاول مرة حول القطب الجنوبي

وفي السنة الماضية — ١٩٣٣ — وضع كل من بيرد والزورث الطياريين الاميركيين الخطط المحكمة للطيران فوق القطب والهبوط على أقرب نقطة اليه . ولم نسمع شيئاً حتى الآن عن البدء بهذه الرحلة

هل يمكن تعمير القطب

(سان باولو — البرازيل) وحيد

[illegible] فائدة عاجلة من اكتشاف القطب — سواء الشمالي أو الجنوبي — وهل يمكن تعمير تلك المناطق النائية ؟

(الهلال) اذا تذكرنا ان سكان العالم في ازدياد مستمر وأن بعض البلاد مزدحمة أشد الازدحام بسكانها لم يبق عندنا شك في ان الانسان سيحتاج في القريب العاجل الى بلاد يعمرها ويسكنها . ففي البلجيك مثلا ٦٨٦ نفساً في كل ميل مربع من البلاد . وفي بريطانيا العظمى ٤٤٦ نفساً . وفي المانيا ٣٤٥ وفي الولايات المتحدة — حيث الازدحام أخف مما هو في أوربا — ٤١ نفساً في كل ميل مربع . فترى أن العالم آخذ في الازدحام وهو في أشد الحاجة الى اراض جديدة لتعميرها . وسيتمكن الانسان من تعمير القطبين الشمالي والجنوبي ، ولن تكون قسوة اجوائها حائلا دون رغبته . ويعتقد العلماء ان في القطب موارد وكنوزاً كثيرة يستطيع الانسان الانتفاع بها متى استعمر القطبين

نثرات

من رسائل لم تنشر لجبران خليل جبران

استخرجت بالامس من بين محفوظاتي مجموعة خطابات كان قد ارسلها الي جبران بين سنتي ١٩١٩ و١٩٢٢ . ولقد اعدت مطالعتها فاهاجت حزني على هذا الصديق الوفي الذي فقدته ، فضلا عن العبقري العظيم الذي خسره ابناء العربية جميعا . وقد شعرت لدى مطالعتها اني مطالب بنشرها — او بالحرى نشر ما ليست له صفة خصوصية منها — على صفحات الهلال التي طالما اغتبطت بنفثاته . وها انذا اقدمها الى القراء نثرات جليلة في موضوعات متنوعة تشف عن روح ذلك الراحل الكريم ونزعات نفسه السامية

اميل زيدان

الاهتمام بالطباعة

« منذ بضعة أيام صدر كتاب « المواكب » فبعثت اليكم بنسخة منه مع الأمل بأنكم ستجدون فيه ما يروقكم . ولقد كان قصدي باصدار هذا الكتاب بهيئة تختلف عن أكثر الكتب العربية الحديثة ، استنهاض همة أصحاب المطابع في العالم العربي ولفت أنظارهم الى مظاهر الكتب الخارجية لان الطباعة فى شرعي من الفنون التي يجب علينا الاهتمام بها خصوصاً في هذه الايام — أيام انتقالنا من طور الى طور . أقول هذا وأنا عالم بأن الشعر الجميل يبقى شعراً جميلاً وإن كُتب بفحمة على حائط ، ولكن ألا ترون في « أجساد » تلك الكراريس المعروفة بالدواوين ما يستدعي الأسف لخلوها من مظاهر الحسن والاتقان ؟ . أما « المواكب » كقصيدة فلم رأيته في العابة ولما رمت ابرازه وجدتني كمعمار يحاول صنع تمثال من ضباب السحر . وماذا يا ترى يفعل الشاعر بأحلامه وليس لديه ما يبنيها سوى الألفاظ والأوزان ، وهي سلاسل وقيود ؟ »

مستقبل سورية

« أنا من القائلين بالمحافظة على وحدة سوريا الجغرافية و باستقلال البلاد تحت حكم نيابي وطني عند ما يصبح السوريون أهلا لذلك ، أي عندما تبلغ الناشئة الجديدة أشدها ، وقد يتم

الأمر بعد مرور خمس عشرة سنة . وأنا من القائلين بأن تكون اللغة العربية هي الأولية في المدارس والرسمية في جميع دوائر الحكومة . أما وضع سورية تحت رعاية اميركا فكرة جميلة إلى درجة قصوى ، فاذا تحققت كنا أكثر شعوب الشرق حظاً ، ولكن لتعاستنا لن تتحقق لأن الحكومة الاميركية لا تريدها والصحافة الاميركية تعترض عليها والشعب الاميركي يتأفف منها . ولقد حادثت وكاتبت الكثيرين من دهاء هذه البلاد ومفكريها فظهر لي أنهم لا يريدون دخول اميركا في مشاكل أوربا إجمالاً ولا في مسألة الشرق الادنى خصوصاً

« أنا أعلم ان الاريحية قد أوحت الى بعض أفاضل أميركا فطلبوا وضع سورية وأرمينيا والجزيرة العربية تحت رعاية حكومتهم ، ولكن الاريحية شيء والسياسة الدولية شيء آخر ، وأنتم تعلمون أن المطامع الدولية مازالت تحتضن السياسة الدولية . فالولايات المتحدة لا تريد أن تقف في سبيل منازع دول أوربا . وهذا من سوء حظ الأمم الصغيرة الضعيفة . ولئن وضعت سورية تحت رعاية أميركا أو فرنسا أو انكلترا أو جمعية الأمم كما يطلب بعض السوريين — فهناك أمور رئيسية يجب علينا المطالبة بها والإصرار، وهي وحدة سورية الجغرافية والحكم الاهلي النيابي ، والتعليم الاجباري ، وجعل اللغة العربية الأولية والرسمية في كل آن . . . إذا كنا لا نريد أن نمحى ونبيد ونهضم فعلينا أن نحافظ على صبغتنا السورية حتى ولو وضعت سورية تحت رعاية الملائكة . أنا أعتقد ان السوريين يستطيعون ان يعملوا شيئاً مشكوراً بعد خروجهم من عهد النقمة الى عهد التوليد . ولولا اعتقادي هذا لفضلت الانضمام الكلي إلى اية دولة قوية . بامكان الغربيين مساعدتنا علمياً واقتصادياً وزراعياً ، ولكن ليس بامكانهم ان يعطونا الاستقلال المعنوي ، ونعني هنا ان نصير أمة حيّة . والاستقلال صفة وضعية في الانسان ، وهي موجودة في السوري ، ولكنها لم تزل هاجعة فعلينا ايقاظها »

مستقبل الثقافة العربية

« إن التأثير الذي اوجده « المجنون » في اميركا وانكلترا لمن اغرب الامور . ولقد ترجمه الى الفرنسية بير ده لانكس احد اعضاء البعثة الفرنسية العظمى الى الولايات المتحدة . وسيصدر في باريس في اواخر هذا الفصل . ولقد ترجم بعض « المجنون » الى الروسية والايطالية والنروجية ، فالظاهر ان الغربيين قد تعبوا من أحلام ارواحهم ومسارح افكارهم فأصبحوا ميالين بل حائمين الى الغريب والغير المألوف ، خصوصاً الى الاشياء الشرقية ، او ما يتوهمونه شرقياً . انا

أعتقد ان الفكرة الشرقية عموماً والعربية خصوصاً سيكون لها الشأن العظيم في المستقبل القريب »

رأي في القصة

« سوف أبعث اليك بمقال او بحكاية للجزء الاول من السنة القادمة

« وعلى ذكر « الحكاية » ألا ترى ايها القائد بلغنا في نهضتنا الادبية نقطة تستدعي تشجيع الكتاب وترغيبهم في وضع افكارهم واحلامهم ومنازعهم في قالب « الحكاية » بدلاً من وضعها دائماً في « مقالة » او « قصيدة » ؟ . لقد ملّ الناس المقالات والقصائد المعهودة وتعبوا من تلك القوالب البيانية الضيقة التي يتخذها الكتاب والشعراء لابراز ما في نفوسهم . إن الشرق يميل بالطبع الى سرد الحكايات ـ بل هو الذي ابتدع هذا الفن ـ ولكن الشرق في ايامنا هذه لا يتحول الى كاتب او شاعر حتى ينسى افضل مواهبه . ان الحكايات او الروايات هي التي سببت الانقلابات الاجتماعية والسياسية في اوربا واميركا . وعندي انه يجب علينا ايقاظ هذا الميل ، وهو وحي فينا . لانه افضل وسيلة لابراز ما تكنه ارواحنا من الغريزة الفنية . فحياتنا عقيمة لا ولن تصير ذات شأن إلا بواسطة الابتكار الفني ، وليس هناك شيء أدعى الى الابتكار الفني من « الحكاية » . وحبذا لو كتبت فصلاً في هذا الموضوع وأبديت رغبة « الهلال » في الحصول على حكايات شرقية المواضيع »

قصده من التأليف

« . . . لقد كان وسيكون قصدي الأول في تأليف الكتب اللذة النفسية والنفع المعنوي ، ولكن اذا كان هناك من نفع مادي فأنا أريد أن أكون آخر المنتفعين لا أولهم ، وما رغبتي في أن أكون آخر المنتفعين سوى شكل من الانانية فلا تظن انني غير أناني !

« صحتي أحسن الآن مما كانت عليه . بيد أنها لم تزل مثل قيثارة مقطعة الأوتار . والأمر الذي يزعجني هو أن الظروف قد أوجدتني في حالة تستدعي عشر ساعات عملاً من كل يوم . وأنا لا أستطيع ان اصرف اكثر من اربع او خمس ساعات كاتباً أو مصوراً . ليس هناك شيء اصعب من وجود روح تريد في جسد لا يستطيع »

من مقالاته

« سلام على روحك الطيبة وقلبك الكبير . وبعد فقد كان بقصدي أن أكتب اليك منذ

عشرة أيام، ولكنني لم أشأ أن تذهب رسالتي غير مصحوبة بشيء للهلال ، فتأخرت حتى تيسر إنشاء هذه المقالة — « الضائع » — وهي كما ستجدها ، غريبة مبهمة في موضوع مبهم وغريب ، فقد أحسست أثناء كتابتها كأنني أحاول صنع تمثال من الضباب . بيد أني أظن أن الكتابة في هذه المواضيع لمن الامور المفيدة للنشأة الشرقية لانها تنبه الميل الى استفسار البعيد والخفي .
وكنت في الشهر الغابر قد كتبت حكاية تحت عنوان « إرم ذات العماد » بقصد إرسالها إلى الهلال ، ولكن لم يجتمع أعضاء الرابطة القلمية — وهي جمعية الادباء في نيويورك — حتى اتفقوا باجماع الاصوات على نشرها في عدد السائح الممتاز ، والسائح كما تعلم هي جريدة الرابطة الرسمية

« لم أعلم ، حتى ولم أحلم ، أن الرقابة في سورية قد صارت حساسة الى درجة لا تستطيع فيها السماح بتحول مقالة مثل « لكم لبنانكم ولي لبناني » الى تلك البلاد المحبوبة التعسة . انما والحق حالة تبكي وتضحك في وقت واحد . واني أشعر ان الذين انتزعوا تلك المقالة من أعداد الهلال قد مدحوني وانا لا أستحق المديح وهجوا سوريين هم لا يستحقون الاهانة . ولكن يعزّ عليّ ان تكون هذه المقالة الغريبة قد سببت لك ازعاجاً وللهلال العزيز ضرراً أو شبه الضرر

« لقد سررت وتأثرت جداً لما نعضت ونسمى به من لطف الادباء وعطفهم عليّ وحسن نياتهم نحوي . غير اني أشعر — وانا لست من المتواضعين — بأنني ما زلت في اول العقبة وان العشرين سنة التي صرفتها كاتباً ومصوراً لم تكن سوى عهد استعداد ورغبة ، فانا للآن لم افعل شيئاً يستحق البقاء امام وجه الشمس . فكرمتي لم تثمر غير الحصرم ، وشبكتي ما برحت مغمورة بالماء . فهلّا طلبت يا اخي من اخواننا المحبين الغيورين ان يمهلوني قليلاً لعلني إفعل شيئاً خليقاً بكريمهم ؟ . انت تعلم ان في الكريم الذي يجيء على غير استحقاق ما يملأ القلب الماً وكآبة ويغمر النفس بالحياء والخجل

« كنت قد تأهبت في الربيع الغابر للسفر الى باريس فمصر فسورية ولكنني عدت فقيدت نفسي ببعض الاعمال التصويرية والأدبية التي تستلزم وجودي في هذه البلاد عشرين او ثمانية عشر شهراً على الاقل . ولولا هذه الاعمال والمعاهدات التي تربطني بها لكنت اليوم في القاهرة . لقد تشعبت حياتي يا أخي حتى تشوشت ، وتلك الحجارة الصغيرة التي نحتّها لأبني منها بيتاً لأحلامي قد تآلفت وتحولت الى سجن ضيق . ولكن لا بد من الرجوع الى الشرق فقد صرت مشتاقاً الى وطني وابناء وطني »

اعتماد الشرق على نفسه

« سلام على قلبك الكبير . وبعد فاني مرسل اليك مقالي في « نهضة الشرق العربي » وهو كما تراه لا يخلو من العنف والتعنيف . ولكن ما العمل وانا لا استطيع سوى اظهار ما اعتقده؟ ألا ترى اننا قد بلغنا الزمن الذي يجب علينا الاعتماد على النفس والرجوع الى الاوليات الشرقية ، فنظهر للغربيين اننا لم نمت بعد وان لنا من المطامع والمنازع الخاصة بنا ما يغنينا عن التمسك بأذيالهم؟

« نعم لقد كان بقصدي زيارة مصر وسورية في هذه السنة . ولكن انصرافي عن العمل سنة كاملة لاسباب صحية قد ارجعني عامين الى الوراء فيما يختص بتلك المعاهدات الادبية والفنية التي حدثتك عنها مرة ، فعلي ان ابقى في هذه البلاد حتى يصدر كتاب « النبي » بالانكليزية وانتهي من بعض الرسوم التي وعدت بتتميمها . لقد صرت مشتاقاً الى الشرق ، ورغم ما يكتبه إليّ بعض الاصحاب من بعد الهبوط في مصر ويجعلني في بعض الاحيان افضل الغربة بين الغرباء على الغربة بين الاقرباء ، برغم كل ذلك سأعود الى « بيتي » القديم لأرى بعيني ما فعلت به الايام »

أنا اعتقد ان النهضة الشرقية عموماً والعربية خصوصاً سيكون لها الشأن العظيم في المستقبل القريب .

اقبلوا احترامي ومودتي والله يحفظكم بعنايته

جبران

أنموذج من رسائل جبران خليل جبران

لعنة الفراعنة

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

منذ بضعة أسابيع توفي المستر آرثر ويجال من علماء الآثار المصرية — بعد ان أصيب بمرض غريب ، ومن قبله وبعده توفي كثيرون غيره ممن حضروا فتح مقبرة الملك توت عنخ آمون . وكلما مات واحد قالت الصحف الانجليزية والامريكية ان الوفاة من لعنة الفراعنة . فما الحقيقة في أمر هذه اللعنة ؟ ؟ الجواب في الفصل الآتي . وهو ملخص مما كتبه المستر آرثر ويجال نفسه في كتابه المسمى « توت عنخ آمون » ومقالات اخرى •

في أثناء التنقيب عن مقبرة توت عنخ امون كان عند المستر هوارد كارتر عصفور مغرد ، ففي اليوم الذي تم فيه الكشف عن المقبرة تسلل افعوان — كوبرا — الى البيت والتهم العصفور . وهذا النوع من الأفاعي نادر في مصر وقلما يرى في الشتاء . والأفعوان كان في مصر القديمة يعد رمزاً للملك وكان كل فرعون يضع هذا الشعار على جبينه ، ليدل بذلك على قدرته على الايقاع بأعدائه . وقد فسر الذين يؤمنون بهذا السحر حادثة العصفور بأن روح توت عنخ امون — في صورة هذا الافعوان — قد عصفت بسعادة المنقب ممثلة في هذا العصفور الصداح

وفي أخريات ذلك العام مرض اللورد كرنارفون ومات بعد أيام . وخيل الى الناس أن هناك لعنة على جدران المقبرة هي التي اودت بحياة اللورد كرنارفون ، ولكن هذا غير صحيح ، وليس ثم إلا لعنات قليلة معروفة في عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أي قبل عهد توت عنخ امون وبعده بقرن أو اثنين . على ان الغرض من اللعنات ارهاب لصوص المقابر حتى لا يعتدوا على المومياء وهم يبحثون عن الحلى والذهب وحتى لا يفقد الميت « شخصيته » فيخسر بذلك سعادة روحه في العالم الآخر . وكان المصريون يعتقدون أن المومياء والقبر هما مسكن الروح ، فتخريبهما تشريد للروح وتضييع لاسمها . اما دخول القبر لتجديد ذكرى الميت فعمل حميد وقد وجدت كتابات على جدران القبور تنوه بأن اناسا دخلوا القبور لاصلاحها وترميمها وتجديدها

والى القارىء صيغة لعنة وجدت على تمثال مهندس عاش قبل زمن توت عنخ أمون بنحو مائة عام :

« من اعتدى على مالي أو خرب قبري أو اخرج منه مومياتي ، فان الاله الشمس سينتقم منه . ولن يورث ابناءه املاكه ، ولن يسعد قلبه في الحياة ، ولن يسقى ماء في القبر (لروحه) وتهلك روحه الى الأبد »

وهاك لعنة أخرى على قبر بأسوان :

« من دخل قبرى فإنى منقض عليه كأنه عصفور ، وسيعاقبه على ذلك الإله العظيم »

* * *

وفى سنة ١٩٠٩ كان اللورد كرنارفون ينقب فى طيبة فعثر على تابوت خشبى لجثمان قط محنط له أشباه فى متحف القاهرة ، وكان مطليا بطبقة سميكة من القصدير اللامع وله عينان صفراوان وضاءتان ، وشوارب صفراء شائكة ، ولم نهتد فى أول الأمر الى مجرى الخط الفاصل لشقى التابوت ، ولكنا كنا نعرف بالتجربة أنه يجرى من الأنف الى الرأس وعلى طول الظهر ويلف من الذيل الى الصدر . وقد حمل هذا التابوت الصغير الى بيتى فى القاهرة (١) ووضعه خادمى المصرى فى غرفة نومى فلما عدت فى الليل الى البيت ألفيته فى وسط الغرفة على الأرض . فصفقت لخادمى ، فلم يجبنى أحد ، فمضيت الى المطبخ فاذا الخدم ملتفون بأحدهم لأن عقرباً لسعه ، وكان يهذى ويزعم أن قطاً كبيراً يطارده ، فلم يدهشنى ذلك لأنه كان ممن حملوا التابوت الصغير الى غرفتى .

ورقدت على السرير لأنام ، وكان ضوء القمر يدخل من النافذة ويغمر القط – أو تابوته – فلبثت لحظة أنظر الى عينيه تحدقان فى الحجرة ، وقدرت عمر التابوت بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، وعجبت لهذا النصب فى ذلك الركن المعتم وصنع هذا التابوت الغريب ليكون نعشاً لقط ، وكان النسيم يداعب أغصان الشجر فتهتز فيوقع ظلها على وجه القط فيبدو كأنه يفتح عينيه ثم يغمضهما . وثقل رأسى وخيل الى أن القط حرك رأسه ينظر الىّ ، وأخيراً نمت ، وإذ بصوت كالمسدس يوقظنى فاعتدلت على السرير ، وإذا بقط يثب من حيث لا أدرى الى السرير فوق ركبتى ، ومن ثم الى النافذة فالحديقة ، وأرانى ضوء القمر أن نصفى التابوت قد انشقا وأنهما يهتزان على الأرض كأنهما صدفتان كبيرتان فارغتان . وبينهما جثمان القط المحنط وقد تمزق الكفن مما يلى العنق ، فوثبت الى الأرض وتأملت النصفين ، وأدركت أن الرطوبة هنا قد أحدثت فى الخشب تمدداً سبب هذا الانشقاق الذى كان مصدر الصوت الذى أزعجنى وأطار نومى . وأدع القارىء أن يقول أكان القط الذى قفز الى النافذة من فوق سريرى ، روحاً شريراً سبب للخادم لسع العقرب ، أم كان قطاً حقيقياً واغلا متطفلا أزعجه صوت الانشقاق فوثب مذعوراً ؟ ان المصادفة عامل قلما نوليه الكفاية من البحث والتأمل . وليس فى هذه القصة ما يتعذر تأويله على وجه معقول .

ويلهج كثير من الناس بالمومياء الشريرة التى فى المتحف البريطانى ، على أنها ليست مومياء وإنما هى جزء من غطاء تابوت . وقد أرسلت الى المتحف بعد أن عاثت فى كل مكان ذهبت اليه ، ويقال الآن إنها تقصر أذاها على الزوار الذين لا يولونها الاحترام الواجب . وقد أخبرتنى سيدة أنها لم

(١) كان الكاتب يومئذ مفتشاً للآثار بمصر

ترع واجب الادب حيالها . فكانت النتيجة ان زلت قدمها وهى نازلة فانكسرت ساقها . وكتب عنها صحفى بلهجة المزاح والتهكم فمات بعد أيام . وقد أخبرنى المرحوم المستر دوجلاس مرى أنه اشترى هذه المومياء فى العقد السادس من القرن الماضى . ولم يكد يفعل حتى فقد ذراعه ، وتحطمت السفينة التى حملتها الى انجلترا ، وكذلك تهشمت المركبة التى أقلتها من الميناء ، أما البيت الذى أواها فاحترق وصار كوما من التراب ، وأما المصور الذى رسمها فانتحر — أطلق على نفسه الرصاص ، وكانت لسيدة صلة ما بها ، ففقدت كثيرين من أسرتها وتحطمت بها سفينة ركبتها بعد ذلك ، ولم ينقذها — على ما روت لى — الا أنها تشبثت بصخرة طول الليل . ولا آخر للحوادث والنكبات المقرونة بذكر هذه المومياء أو عطائها . على أنى أرى أننا نستطيع أن نعوز برضى المومياء إذا أبينا أن نصدق هذا السوء المعزو اليها

⁂

والحكاية الآتية لا سبيل الى الشك فيها ، فان الدليل على صحتها صورة فوتغرافية عندى ، وخلاصتها أننا كنا ننقب فى مقبرة وزير مات حوالى ١٣٤٠ ق . م . فعثرنا على تابوت كاهن تدل صنعته على أنه يرجع الى ما بعد هذا التاريخ بنحو مئتى عام . فيظهر أن الذين دفنوه هنا كانوا من حفر قبر له . وقد يرى بعضهم أن هذا العمل من شأنه أن يثير غضب الوزير — أعنى روحه — لان المسئولين عن ذلك يرجح أن يكونوا قد أقصوا الوزير عن مكانه ليفسحوا للكاهن ، فبات الكاهن قلقاً فى مضجعه لا تهدأ روحه ولا تستقر

ولم تكد المومياء والتابوت يستقران فى مخزنى حتى بدأت أشعر باضطراب غريب كلما وقفت أمامهما ، وما فتحت الباب عليهما مرة الا رأيت عينى تنثنى الى الجثة المحنطة كأنما أتوقع ان يصيبنى منها سوء ، وكان هذا الشعور جديداً لانى ألفت ان تحيط بى الجثث المحنطة ، وكثيراً ما نمت فى المقابر بين رفات الاقدمين ، وقد يتفق لى ان اتناول طعامى من اطباق موضوعة فوق تابوت فارغ ' ولكن هذه الجثة كانت تجتذب اليها لحظى لسبب لا افهمه ، فكنت كلما جلست للعمل فى هذا المخزن أرانى أدير وجهى الى حيث الجثة

واخيراً حللت الاربطة وحسرت عن وجه الجثة ليتيسر لى بعد الفراغ من تدوين الملاحظات وأخذ الصور ، أن ابعث بها وبالتابوت الى متحف القاهرة ، فوضعتها فى الصندوق لتذهب الى مصر ، وكان بعض النسيج الذى يغطى الوجه آية فى الجمال فأخذته ليراه اصدقاء لى كانوا فى ذلك الوقت يقيمون معى فى البيت ، واتفق ان خادما وضع هذا النسيج على رف خزانة فى غرفة النوم وكانت مفردة لسيدة وابنتها ، فبعد يومين من تجهيز الجثة للرحيل ووضع النسيج على الرف اصيبت الفتاة بمرض شديد ، واشتدت وطأته عليها فقلقنا وجزعنا ، وفى صباح يوم زارنا الطبيب وتركنا مترددى

السحن فأقبلت أم الفتاة وفي يدها هذا الشيخ وصاحت بي بصوت حاد : « خذ هذا واحرقه ، وأستحلفك أن تعجل بترحيل هذا التابوت وإلا ماتت الفتاة »

وذهب الصندوق بما فيه إلى القاهرة ومضت الأيام بطيئة وانية ، وشفيت الفتاة . وبعد شهرين أو نحو ذلك عدت إلى الصور التي أخذتها للجثة ، لأخرج منها الرسوم اللازمة . فإذا بي أجد أن خيال وجه قد اعترض بين آلة التصوير وبين الجثة ! وقد يكون من المحتمل أني رسمت صورتين على زجاجة واحدة . على أني لا أذكر فقد كانت أعصابي مضطربة من كثرة العمل

❋ ❋ ❋

ومما يرويه المستر ويجال أيضاً في كتابه هذا أنه هو وأصدقاء له خطر لهم أن يمثلوا رواية يصنعونها عن اخناتون ، فاشتغلوا في الأقصر بإعداد العدة لهذه الرواية ووكلوا إلى المستر ويجال أن يكتبها لهم ، ففعل ، واتفقوا على يوم التمثيل وعلى أن يكون المكان وادي مقابر الملكات في طيبة . وانتقلوا قبل الموعد ببضعة أيام إلى الصحراء حيث ضربوا الخيام وأقبلوا على الأدوار يحفظونها ويجربون تمثيلها ، وهنا يقول المستر ويجال :

« ولم تكد المسز سميث تنطق بالجمل الأولى من دورها حتى أحست بألم فظيع في عينيها ، وبعد ساعتين اثنتين كانت محمومة تهذي . فنقلناها في عجلة إلى الأقصر . وفي اليوم التالي قررنا أن نرسلها إلى القاهرة لتستشفي من الرمد الصديدي الحاد الذي أصابها والذي كان يخشى أن يفقدها البصر . وفي اليوم نفسه مرضت زوجتي مرضاً شديداً [illegible] في القاهرة . وفي صبح اليوم التالي أصيب المستر سميث بحمى . ولحقت به [illegible] . أما المستر وجلي فأصيبت سيارته بصدمة انكسرت فيها ساق أمه . وهكذا لم يبق واحد ممن لهم أدوار في الرواية لم ينزل به مكروه

« وظلت عينا المسز سميث وحياة زوجتي في خطر بضعة أسابيع . ولطف الله بهما فشفيتا . على أنه لم تبق لأحد رغبة في هذا التمثيل . وقد يرى بعضهم في هذا دليلاً على سخط الأرواح المصرية ولكن الذين قد يذهبون إلى هذا يجب أن يذكروا أن الرواية لم يكن فيها شيء من الزراية أو الاستخفاف »

❋ ❋ ❋

هذه خلاصة لبعض ما رواه المستر ويجال في كتابه . ولا سبيل إلى الجزم بشيء ، فلكل قارئ أن يستخلص ما يشاء من قصصه

ابرهيم عبد القادر المازني

هل اللغة العربية فى حاجة الى الاصلاح

رأي الدكتور يوليوس جرمانوس

الاستاذ بالمعهد الشرقي بمدينة بودابست

[بعث الينا العلامة المستشرق الدكتور يوليوس جرمانوس الاستاذ بالمعهد الشرقي بمدينة بودابست وسكرتير نادي القلم المجاري بالرسالة الآتية ترجمها من الانجليزية مبدياً رأيه في حاجة اللغة العربية الى الاصلاح . وهو الموضوع الذي استفتى الهلال فيه طائفة من كبار العلماء]

قرأت بمزيد الاهتمام الفصول التى تنشرونها فى مختلف آراء بشأن اصلاح اللغة العربية وهى لطائفة من كبار العلماء والادباء فى مصر . وقد يكون من الجرأة ان يتصدى لابداء الرأى فى هذا الموضوع الخطير رجل مثلى تعلم اللغة العربية من الكتب دون ان تكون له صلة بالناطقين بالضاد . وانما يشفع لى فى ذلك أن من كان فى الخارج قد يرى من الصور ما لا يراه غيره من الداخل بسبب طول عهده بتلك الصور . وهذا قد حفزنى للملاحظات التى سأبديها فى هذا الشأن

والذى أراه ان اللغة العربية يمكن اعتبارها مثالاً ممتازاً بين جميع لغات العالم . فان تاريخها متصل غير منقطع منذ الف واربعمائة سنة . وكل من درس هذا التاريخ وتخرج فى آداب اللغة العربية فى العصور التى تعاقبت يستطيع ان يفهم مما يكتب الآن فى هذا العصر من دون ان يعثر بمشقة . وفى الواقع ان طالب اللغة العربية قد يجد فى فهم مفردات اللغة الحديثة وادراك تعابيرها صعوبة أعظم مما يجده فى تطبيق المعانى الحديثة على مفردات منحوتة من مصادر أو مفردات قديمة ، لانه يعيش فى بيئة حديثة مملوءة بالافكار المتصلة بها . وقد يتفق أن تنطبق المعانى الحديثة انطباقاً تاماً على المعنى القديم . خذ كلمة « العظامى » مثلا وهى الكلمة التى يعبر عنها اليوم بعضهم بكلمة ارستقراطى اليونانية « فالعظامى » هو الذى يفتخر بشرف آبائه الذين صاروا عظاماً . وقد كان لكلمة « ارستقراطى » فى الاصل اليونانى معنى آخر . ولذلك أرى أن المعنى الذى تنطوى عليه الكلمة العربية أجل لانها تؤدى معنى بليغاً

ومن الجهة الاخرى — ماذا عسى أن يكون رأى ابن خلدون لو بعث اليوم وما رأى غيره من المفكرين فى مثل كلمة « القاطرة » و « الباخرة » وغيرها من الالفاظ التى لم يستعملها العرب ولا هى فى شىء من لغة العيس والجمال ؟ « فالقاطرة » تشير الى « قطرة » فى سلسلة الرتل المعروفة بالقافلة . وهى ترجمة بديعة للمركبة التى تتقدم سائر المركبات التى يتألف منها « القطار » وكلمة (Train) بالانجليزية والفرنسية والايطالية مشتقة من كلمة (Trahere) اللاتينية . ومعناها جر « والباخرة »

منحوتة من كلمة البخار . وما من أحد يجهل اليوم أن معناها السفينة التى تسير بقوة البخار

فصوغ الفاظ ذات معان جديدة من الفاظ عربية قديمة يتيح لهذه اللغة أن تستغنى عن الفاظ اجنبية وان تحتفظ بصياغتها العربية . وقدرة اللغة العربية على « ازدواج » الالفاظ المنحوتة عظيمة جداً بحيث انها لا تتسامح بقبول الفاظ أعجمية (اجنبية) تقتحم اللغة وهى بثوبها الاصلى . والالفاظ الفارسية واليونانية التى دخلت اللغة العربية اليست صيغاً لا يمكن تمييزها عن الصيغ العربية . وفى الواقع أن تعريب الالفاظ الاعجمية يضفى على تلك الالفاظ ثوباً عربياً لا شك فيه . وفى كتب اللغة العربية ألوف من الالفاظ المعربة عن اللغات . وما كلمة « قاموس » نفسها — ومعناها البحر — سوى مثل واحد منها ولا يقرأها قارئ الا ويذكر كلمة اوقيانوس اليونانية ومعناها البحر العظيم

تقدم القول بأن تاريخ اللغة العربية متصل غير منقطع منذ الف وأربعمائة سنة . وهذه المزية التى تمتاز بها العربية هى متأصلة فى روح اللغة متمثلة فى مبناها . فاليونانية واللاتينية والتوتونية القديمة والسنسكريتية مثلا قد تشعبت فنشأت عنها لغات أخرى بفضل مرونتها وسهولة تكييفها . اما اللغة العربية فقد ثبتت على حادثات الزمن و[illegible] كأنها أثر من آثار القدم . وفى الواقع ان « بناءها » هو أثر فنى يقوم على قواعد دقيقة تحدد شكل [illegible] الظاهرة . ولكن روح اللغة متجدد أبداً . فهى بهذا الاعتبار [illegible] لان تلك اللغات لم تستطع ان تساير نشوء التقدم الفكرى ، وقد عجزت قواعد [illegible] التجدد الفكرى .

فاذا أردنا ان نوسع نطاق التعبير فى اللغة العربية لكى يشتمل على المقتضيات الحديثة فيجب الا نعزب عن بالنا المزية المشار اليها وهى مزية تمتاز بها اللغة العربية مع شقيقاتها اللغات السامية . أما « تقليد » اللغات الاخرى ففيه تفريط فى اللغة وفى روحها وأدبها . ولا يخفى أنه قد كان لمرونة اللغة وبلاغتها أكبر الاثر فى نفوس الفرس ومن بعدهم الاتراك ، حتى انهم اقتبسوا طائفة من الالفاظ العربية حلت محل ما يقابلها من الالفاظ الفارسية والتركية . وقد أصبح وجود الالفاظ العربية فى تينك اللغتين من مقومات الفصاحة والبلاغة . فكلما كثرت تلك الالفاظ كان الكلام أفصح وأبلغ . ولما وقعت النهضة الفارسية والتركية وتجددت روح الوطنية اخذ القوم يستعيضون عن الالفاظ العربية بما يقابلها من الالفاظ الفارسية والتركية القديمة . ولكن روح الاقتباس الذى استمر عدة قرون لم يكن من السهل القضاء عليه . ولذلك تجد كتاب القوم ، وهم مدفوعون بروح العصبية القومية ، يستبدلون فى مواقع كثيرة بالفاظ عربية الفاظاً أخرى يزعمون انها تركية وهى فى الواقع عربية الاصل وان تكن فى صورة جديدة . وفى وسع هذا الكاتب ان يورد مئات من الامثلة على ذلك ، ولكنا نكتفى بمثل واحد منها هو كلمة « الفلك » العربية . فقد دخلت هذه اللفظة فى عدة لغات شرقية وغربية ودخل معها عديد من المصطلحات البحرية . واستبدلها الاتراك بكلمة « فلوكه »

وقد صاغها الإيطاليون من اللفظ العربي الأصل . فأخذه الأتراك إذن من هذا القبيل ليس دليلا على الرقي بل هو بالعكس جمود وتأسن

ثم إن من تتبع ما ينشر إلى اليوم من الآثار الأدبية باللغة العربية لا يسعه إلا التسليم بوفرة الثروة الأدبية التي قد أضافها أدباء هذا العصر (ومعظمهم من المصريين) إلى اللغة العربية . وكيفما قلبت الطرف في المؤلفات الأدبية تجد ألفاظا جديدة منحوتة قد حلت محل ألفاظ قديمة وأخذت مكانها من اللغة . خذ كلمة « شريط » مثلا فهي مشتقة في الأصل من كلمة « شرط » ومعناها شق وهي تعني الآن خيطاً يشبه الخط الذي يحدثه الحجام عندما « يشرط » الجلد أي يبزغه . ويستعملونها للدلالة على الشقة التي توضع على معاطف الجنود . وقد اقتبسها الفرس والأتراك بهذا المعنى . إلا أنها اكتسبت في اللغة العربية معنى آخر وهو « الخيط » ثم توسع الكتاب فألبسوها معنى آخر وهو « الخطوط » أو « القضبان » التي تسير عليها القطرات الحديدية . ومنها تدرجوا أيضا إلى قولهم « شريط الصور المتحركة » ومعناه معروف اليوم لدى كل من يقرأ اللغة العربية

فالنحت أو الاشتقاق إذن مصدر ثروة كبيرة للغة العربية لا تجد لها في غيرها من اللغات الأجنبية التي كثيراً ما تضطر إلى اقتباس ألفاظ أجنبية للدلالة على معان جديدة وهي تدخل تلك الألفاظ في معجم لغتها . ولا يخفى أن أهم ما يجب مراعاته في الاشتقاق هو المحافظة على معنى الكلمة الأصل مع التوسع فيه وإلباس اللفظ المشتق معنى جديداً أعم . وقد يكون في هذا التوسع كثير من التكلف في اللغات الأوربية . وأما في اللغة العربية فهو طبيعي يتفق مع روح اللغة فضلا عن كونه ممكناً ومباحاً من وجهة قواعد اللغة والاصطلاح . ولذلك يجب أن نستغل جهدنا هذه المزية الفريدة التي تمتاز بها اللغة العربية ونعني بها مرونتها ، وأن نلجأ إليها كلما أردنا التعبير عن معاني الاختراعات الجديدة بأن نشتق ألفاظاً جديدة من كلمات معروفة في اللغة للدلالة على تلك المعاني

ولإيضاح مزية اللغة هذه نقول إنك لا تجد أية لغة من لغات العالم (ما عدا اللغتين التشكية والهنغارية) تستطيع التعبير عن كلمة تياترو اليونانية ولذلك اقتبست تلك اللغات هذه الكلمة . أما العربية فقد حلت فيها « دار التمثيل » محل تلك الكلمة وأدت المعنى المراد على أفضل وجه

كذلك ترى أنه ما من لغة أوربية تحتوي على كلمة للدلالة على آلة التصوير المسماة (Photo-graphic Camera) ولذلك عمدت تلك اللغات إلى التعبير عن هذه الآلة بكلمتين مستعارتين إحداهما من اللغة اليونانية والأخرى من اللغة اللاتينية . أما اللغة العربية فقد استغنت عن اللغات الأجنبية وعبرت عن المعنى المطلوب بكلمتي « مصورة شمسية »

وكذلك أظهر كتاب العربية ذكاء عظيماً بترجمتهم كلمة (Producer) الإنجليزية بكلمة « مخرج » للدلالة على من يتولى إبراز رواية تمثيلية وتنسيق مشاهدها واللفظ العربي لبق كل اللبق

وقد ذكر ابن خلدون (ذلك المفكر العظيم الذى نبغ فى الاسلام) ان لكل طائفة من الكتاب اسلوباً خاصاً بها تبعاً لما تلقته من علوم أو فنون . فالعالم اذا حاول نظم الشعر اورد مايريد ان يقوله مقسما الى فصول وابواب كما يفعل العلماء فى مباحثهم لانه اعتاد تبويب ما يعن له من افكار وتقسيمه بحيث لا يجد امامه محيصاً عن استقصاء الفرق بين شيء وآخر

وكان ابن خلدون بعيد النظر جداً دقيق الملاحظة . وقد علم ان لكل مقام مقالا ولكل دولة رجالا . وقد سارت اللغة العربية شوطاً بعيداً فى سبيل التعبير عن الافكار المختلفة بالاساليب التى تشترك فيها جميع اللغات . وفى الواقع ان من يقرأ اليوم اللغة العربية لايسعه الا ان يلحظ من خلال اساليبها الحديثة آثار العربيـة والانجليزية والالمانية وغيرها . وفى وسعنا ايراد المئات من الامثلة على ذلك لولا ضيق المقام . وانما نكتفى بذكر مثل واحد وهو قول كتاب هذا اليوم : « لعب دوراً » اى قام بنصيب من العمل . وهـذه ترجمة قولهم بالانجليزية (He played a role) وبالفرنسية (Il a joué son rôle) وكلمة (Rôle) تعنى فى الاصل طوماراً او صحيفة ملفوفة . وكان الممثلون قديماً يتلون الفصول او الاجزاء الخاصة بهم من تلك الصحف بتلاوة ولا يلمونها عن ظهر قلوبهم . ولذلك يقولون « لعب » او « مثل » طوماره او صحيفته ، ثم توسعوا فى المعنى فصاروا يقولون لعب دوراً أى قام بنصيب من العمل وهو ترجمة التعبير الفرنسى الاصل . ولايقتصر هذا التعبير الآن على الممثلين فقط بل هو اشمل واعم . ومن امثلة ذلك أيضاً قولهم أضرب عن العمل اى انقطع عنه . وبين كلمة « اضرب » العربية و (To strike) الانجليزية توافق كبير فى كلا المعنيين الحقيقى والمجازى . وقد يكون هذا التوافق عرضاً ولكنه بديع جداً

إن وسائل الاتصال (المواصلات) بين البلدان المختلفة كثيرة متشعبة والاتصال بينها يتم اليوم بسرعة فائقة بحيث لا يمكن اجتناب وقوع الشبه او التماثل بين اساليب اللغات المختلفة . ذلك لان ما يؤثر فى تفكير قوم وفى حضارتهم ومدنيتهم ينتقل من مكان الى مكان بسرعة عظيمة وينشر ذلك التأثير عينه فى كل مكان . وانى ارى ان اتصال اللغة العربية بالآداب الاوربية سيكون له أثر بعيد فى اللغة . فاذا ادرك كتاب اللغة العربية المعانى التى تنطوى عليها الحضارة الاوربية والبسوها الثوب الذى يتفق وتقاليد اللغة فلا شك أنهم سيجدون فى مرونة اللغة العربية معيناً لا ينضب وكنزاً لا يفنى ، اذ سيتمكنون بذلك من الباس المعانى الجديدة ثياباً قشيبة . وان تنطع البعض وشدة تعصبهم فى اللغة لما يعوق روح الابتداع والاستنباط . ولا شك أن الانتقاد النزيه سيقضى على بعض الالفاظ الجديدة التى لاتصلح للبقاء . كما ان انتشار العلم والتهذيب سيجعل معانى الالفاظ الجديدة ترسخ فى الاذهان من دون مساس بالتقاليد القديمة

يوليوس جرمانوس

« على هامش السيرة »

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

[« على هامش السيرة » كتاب نفيس اصدره اخيراً الأستاذ الدكتور طه حسين ، وقد تفضل الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، فكتب عنه هذا الفصل القيم الذي ننشره فيما يلي]

قصة ممتعة موحية ، يتابعها القارىء بشوق وينتهي منها الى فائدة

وهي ممتعة لانها تنقل الشخوص والاسماء من عالم التاريخ والخبر الى عالم الحياة والشعور : فالشخوص فيها آباء وأمهات وأزواج وأحباب ، وليسوا بعناوين مسطورة كعناوين المعالم المذكورة في الصحائف المهجورة . والعلاقة بينهم علاقة حب ورحمة أو بغض ونقمة ، أو اخلاص وغيرة ، أو طمع وخديعة ، وليست علاقة كلام بكلام أو أشياء بأشياء

وتزيدها البساطة فيها شغفاً بها وعطفاً عليها ، فهي قد نقلت الينا الحياة الجاهلية والحياة في أوائل ظهور الاسلام كما كان يراها أصحابها لا كما نراها نحن ، أو كما نصورها بالبداهة والفطرة لا كما نفهمها نحن بالتحليل والتعليل . فأسباب انتشار اليهودية في اليمن - مثلا - هي أسباب المعجزة والكهانة والاسرار الغيبية وليست هي الأسباب التي نعقلها نحن بعد ان نعرضها على الفكر ونقابل بينها وبين النظائر والاشباه . وانكار الحكماء اليونان للاساطير الوثنية هو انكار الالهام والرؤيا وليس بانكار التمحيص والنقد . وكذلك كل ما في القصة من أسباب ومن ايمان ومن انكار . قال قائل من اللاعجبين بالنقد على غير بصيرة : ما أحسب إلا ان الدكتور طه حسين قد شبع من اغضاب الجامدين فهو يتصدى هنا لاغضاب المجددين ، وما أحسب الا انه يكتب ليثير ويستثير ! فمرة تقع النوبة على أهل الجمود ومرة أخرى تقع النوبة على اهل التجديد !

قلت : بل أنا أحسب غير ذلك ، ولا أرى في الأمر شيئاً من قصد الاثارة والاغضاب

أحسب ان الدكتور طه قد ملىء اعجاباً بالفن الهومري في تمثيل وقائع الابطال وأنباء العصور فاراد ان يخرج لنا الياذة نثرية عربية ، يشترك فيها عالم الشعر البليغ وعالم التاريخ الصادق ، وتجري حوادثها في آفاق الزمان الغابر الذي لاحدود فيه بين الغيب والشهادة وأسرار الخيال والحقيقة ، فنحن نفهم الالياذة ولا نجهلها او ننكرها لانها قد أفرغت في ذلك القالب وانتظمت على ذلك الاسلوب ، ثم نحن نفهم « هامش السيرة » ولا نجهله او ننكره لانه نقل الينا الجاهليين كما كانوا في حياتهم وعقائدهم وافكارهم ، ولم ينقلهم الينا كما نكون نحن لو انا انتقلنا بزماننا الى زمانهم . فهل أصاب الدكتور أو اخطأ ؟ وهل أحسن من ناحية القصص أولم يحسن ؟ أما أنا فارى ان أسلوب التمثيل والتحليل لا يزداد شيئاً كثيراً لو أننا جعلنا الجاهليين عصريين

يعيشون فى القرن العشرين ، ولكن اسلوب القصص يخسر كثيراً من البساطة والتخيل لو اننا سردنا القصة معللين محللين

وأقل ما يقال فى هذا المعرض ان شفاعة الدكتور فيما اختار من أسلوب ليست بالشفاعة الضعيفة ولا المردودة ، وان حجة الناقدين عليه ليست باقوى من حجته عليهم . بل لا حجة عليه للناقدين ولا وجه هنا للقوة والضعف فى الاحتجاج . انما كانوا يزنون كتاب الدكتور بميزان العلم العصرى لو انه كان يقصد الى العلم العصرى فيما كتب ثم أخطأ فى التطبيق او اساء فى التفسير . فأما وهو لم يقصد الى ذلك ولم يحاوله ولم يزعم قط انه حاوله فأى معنى للاعتراض عليه غير حب الاعتراض ؟ ذاك كمن يحمل اليك الآنية الاثرية فتقول له ان آنيتك ليست من طراز الاوانى التى نراها اليوم على الموائد ! . نعم . ومن قال لك انها كذلك . انما جمالها فى وصفها الأثرى ومعانيها الاثرية ، فان قبلتها فقد فهمتها ، وان لم تفهمها فليس الذنب على الاثريين !

لكننا لا نريد مما تقدم ان قارىء الهامش ، لن يفهم الوقائع الجاهلية ولا البيئة التى ظهر فيها النبى (عليه السلام) على الوجه الصحيح والوضع المفهوم المستقيم

كلا ! بل هو يفهمها صحيحة مستقيمة من موضعين اثنين بدلا من موضع واحد

يفهمها كما كانت فى أعين الجاهليين ، ثم يفهمها اوانئذ واستطاع كما تبدو فى أعين المحدثين ، فيجمع بين زمانين ويرى الصورة المرسومة فى نورين مختلفين

ولا نظن ان قارئاً مستنيراً يصبح على هامش السيرة حتى الانفلاع الا وهو مستطيع أن يعرف المقدمات والبشائر التى هيأت البيئة لظهور النبى وظهور الاسلام

فهنا قبيلة نبيلة قد استأثرت بمناسك البيت الحرام واستقلت بأعباء السدانة

وهنا رجل من تلك القبيلة يعرف المواقف النبيه ويبلغ من تقواه أن يعرض عن كنوز الذهب والسلاح وهو فقير اعزل ، وان ينذر ابناً من أبنائه للآلهة فلا يعدل عن التضحية به الا ان تحله الآلهة أو يحله الكهان

ذلك الرجل هو عبد المطلب جد النبي عليه السلام

وهنا فتى وسيم وضيء محبوب يتقدم الى الموت راضياً إذا دعاه اليه أبوه وكان فى الموت ايفاء بنذر البيت الحرام

ذلك الفتى هو عبد الله أبو النبي عليه السلام

وهنا طفل يولد ، فكأنما لم تخلق قبيلته ولا آباؤه الا لتكون وسيلة الى ظهوره

يحمل به فيتم أجل أبيه

ويدرج ويترعرع فيتم أجل امه

ويشب قليلا فيتم أجل جده وكفيله

فكل شيء يهيء له المكان ويمهد له الطريق ، وكل ما عدا هذه التهيئة وذلك التمهيد فضول

واقرأ خلائق آبائه وآله تعلم كيف استحقوا ان يورثوه ما ورث من فطرة وفتوت وفطنة : وكيف كان اعلام كعباً واوفاهم نصيباً واعظمهم شأناً ولكنه كان سليل ذلك الشرف ووريث ذلك البيت لا مراء

وفي خلال ذلك أي رحمة وأي مروءة وأي خليقة انسانية أطهر وأبر وأدنى الى القلب مما اشتملت عليه السيرة في مختلف الاعمار والاطوار ؟

يتيم يعطف على اليتامى ، وربيب أمة ضعيفة يعطف على الاماء الضعاف ، وفقير يوطيء أسباب العيش للفقراء ، وتقي من معشر اشقياء يغض من كبرياء السروات وهو في الذروة بين السروات ، وصاحب دين لا تأخذه في الدين هوادة ولا ينحرف عنه إلى رحم او قرابة . وكل اولئك في صورة انسانية محببة قريبة الى الفكر والفطرة فهي صورة ممتعة وموحية . وهي خليقة من اجل ذلك ان تشوق وان تفيد

• • •

قرأت «هامش السيرة» فلم انكر سياقها في موضع من المواضع . ولم أتمن لها قط ان تكون على غير ما اختار المؤلف ان تكون

وغاية ما عندي من النقد لها اني وددت لو ضمت من الصور الشخصية التي لازمت طفولة النبي فوق ما ضمت . لأن صورة الخلق الجاهلي أو صورة البعثة النبوية لن تتم بغير مثال من جحود الجاهلية وسورة العصبية ، وهل كان تمثيل أبي لهب عنا بعيداً من الموضع أو بعيداً من الزمان ؟ لقد كان لزاماً أن نعرف الجاهلية التي لقيت النبي بالغطرسة والعرام ، وكانت صورة أبي لهب من ألزم الصور الى جانب عبد الله في هذا المقام ، ولا سيما بعد أن ساومته خديجة على شراء «ثويبة» التي أرضعت النبي لكي تعتقها وترفه عنها بأسره ، فأبى ابو لهب واستكبر ، وهل يكمل تصوير الجاهلية بغير مثل جاف هذا الجفاء ، غليظ هذه الغلظة ، عتل لا يعي شيئاً غير الصلف والتجبر على الضعفاء والفخر الجهول والكبرياء بالاجداد والآباء ووفرة الثراء ؟ وهل من صورة أقرب إلى هذا المقام وأشبه بتمثيل الجانب الخشن فيه من ابي لهب ؟ ان مكانه لمفقود في هامش السيرة ، وان الجاهلية لن تبدو لنا في جانبها الذي استوجب ظهور الاسلام وشقي به المسلمون أول الامر إلا على صورة من هذا الطراز

• • •

وبعد ففى « الهامش » عبارات يقف عندها القارىء لأنه يجزم بنبوها فى كلام أهل ذلك الزمان

مثال ذلك ما أجراه المؤلف على لسان الأمة «ناصحة» وهى تخاطب سيدتها فتقول : « مهلا ياسيدتى ارفقى بنفسك ولا تذهبى بها فى الخيال كل مذهب »

ولم يكن الاماء ولا غير الاماء يفهمن الخيال بالمعنى الذى نفهمه الآن

ومن امثلته ايضا قول فاطمة الخثعمية لعبد الله : « ان خير مافى الامكنة والدور انها ثابتة باقية لاتتحول ولا تزول الا فى بطء ، وان شر مافى الزمان انه لايعرف الهدوء ولا الاستقرار »

وهذا الكلام عن الزمان والمكان ادنى الى كلام المتفلسفة فى القرن الثالث والرابع منه الى كلام النساء فيما قبل البعثة النبوية

وانما هفوات لا يتجاوز عنها فى نقد « هامش السيرة » . اذ كانت شفاعته الكبرى انه يحكى زمانه ابسط الحكاية فى العقيدة والادراك والتعبير

لكنها طابع العصر أبى الا ان يتراءى فى كتاب لو شئت ان يعدو الى عصره فى كل شىء ، ولم يكد يذكرنا المؤلف فيه بنفسه الا مرة او مرتين

عباس محمود العقاد

هدية الهلال الثانية

يهدى الهلال إلى مشتركيه فى هذا العام كتاباً تاريخيا شيقاً عن تاريخ ابراهيم باشا بعنوان « ابراهيم فى الميدان - او - العلم المصرى فى سوريا ولبنان » وقد اتى فيه مؤلفه الاستاذ حبيب جاماتى بذكر الحروب التى خاضت الجيوش المصرية غمارها بقيادة هذا القائد العظيم فى بلاد الشام والاناضول ، وادمج المؤلف تاريخ هذه الحروب فى خمس وعشرين مرحلة ، خص كل مرحلة منها بقصة وافية التفاصيل بحيث يجد القارىء بين يديه خمسا وعشرين قصة فى مجموعة واحدة تتضمن أعمال ابراهيم باشا وما تم على يديه فى ذلك العهد الذى خفق فيه العلم المصرى فى تلك البلاد

وسيقدم هذا الكتاب هدية الى مشتركى الهلال فى هذه السنة . وهو كالهدية الأولى لا يرسل إلا الى الذين سددوا قيمة الاشتراك

موجز القول في الخير

بقلم الاستاذ محمد جاد المولى بك

وجهة علماء الاخلاق الغربيين

> ... ما أزهد كثيراً من الناس في الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ...
>
> (على بن ابى طالب)

يقولون . كل ما أفضى إلى نيل مأرب أو تحصيل رغبة فهو الخير ، بيد أن الناس بما فطروا عليه من الاختلاف فى طبائعهم وغرائزهم ، اختلفت مآربهم وتباينت رغباتهم ومشاربهم : ففريق طبعوا على حب المال وجمعه ، فهو عندهم غاية الغايات ، وفريق فطروا على الحرية ومقت الاستعباد ، فلا يبغون سوى أن يظلوا أحراراً كما أخرجهم الله الى عالم الدنيا . وفريق لا يرون فى الحياة لذة لغير القوة ، فهم يتهافتون على الاعتصام بها ولا يخطر ببالهم مقصد أسمى منها . وفريق أولعوا بالشهرة وشغفوا ، فعكفوا على تحصيلها ووهبوا حياتهم للاستظلال بها ، وفريق أولعوا بالعلم وجمع شوارده ، حتى ملك عليهم سمعهم وبصرهم ، وأصبح جليسهم وسميرهم ، وآخرون أولعوا بالسعى فيما يعود على بنى الانسان بضروب المنافع - الى غير ذلك من المقاصد التى لا حد لها ، وجلى أن هذه المقاصد ليست فى الواقع مقصودة لذاتها بل وسائل لغيرها . فلو انك استطلعت طلاب المال أو القوة عن اسرارهم ووقفت على ما اسروه لبان لك أنهم يطلبونها لمنفعة فيها ويعضون عليها بالنواجذ لانها ذرائع الى نيل مقاصد أخرى ، وهذه المقاصد الأخرى وسائل الى أمور أخرى ، يتلوها غيرها حتى تنتهى الى مقصد ليس وراءه آخر ، وذلك هو ما يسمى الخير الاسمى . فالخير على ذلك ضربان : خير مطلق وهو واحد لا يتعدد ، وقل من يدركونه . وخير نسبى وهو يختلف على حسب اختلاف الناس فى استعدادهم وفطرهم . وكثير منهم يدركونه بأعمالهم وجهودهم

الوجهة الاسلامية

الخير عند الاسلام كل عمل صالح أو إحسان أو جميل أو معروف أو شىء نافع مفيد يسديه الانسان الى أخيه الانسان ، بل الى كل ذى كبد رطب حتى قال الحسن البصرى رضى الله عنه : « البر من لا يؤذى الذر » . وضد الخير « الشر » وصاحبه « الشرير » و « الفاجر » ، وهو من يرتكب الظلم والفساد ولا يألو جهداً فى إيصال الأذى والسوء الى الآخرين

والخير بهذا المعنى سبيل سلامة المجتمع الانسانى وراحته وطمأنينته ، وأجل مظاهر الاخلاق الفاضلة فى الانسان ، ولذلك قال بعض الباحثين : « إن موضوع علم الاخلاق هو فكرة الخير نفسها » . وهذا ما جعل المربين يهتمون جد الاهتمام بغرس هذه الفكرة فى الاحداث وتنميتها فى قلوبهم وتعويدهم ممارسة الخير منذ الصغر

ولما كان الناس ليسوا سواء فى غرس هذه الفكرة فيهم واستحكامها من نفوسهم ، وانما هم فيها على مراتب ودرجات ـ وضع لنا النبى صلى الله عليه وسلم ميزاناً هو القسطاس المستقيم للقوانين الخلقية ، وأصدقها فى محاكمة المرء نفسه . ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » وبه أصبحت درجة أى عمل كان ومنزلته من القبول والاعتبار تابعة لنية صاحبه وقصده ، وراجعة الى كنه ارادته . وعلما من الحسن والاعتدال فمن وفى دائنه حقه بعد حكم حاكم كان فاعلا للخير فى الجملة . ولكن ليس هو فى فعله كمن وفى دينه دون حكم ولا مطالبة . ومن أنفق على نفسه ورفهها وسد حاجتها كان فاعلا للخير ولكن ليس هو كمن أنفق مع هذا على أهله وعياله وذوى قرابته . وليس من أنفق على هؤلاء فى الفضل والمزية كمن أضاف الى ذلك الانفاق على العبد الذى لا تلزمه نفقته وانما حمله عليها الاريحية وعنصر الكرم ومطلق الارادة والاختيار

ومن يدع الشر ويفعل الخير خوفه من نعيم نفسى وممتنعهم له ، فما هو فى رسوخ هذه الفضيلة والتقدم والسبق كمن يمارس الخير لذات الخير ويدفعه الوازع الدينى والشعور بالواجب ، كخواص المتدينين وطبقة الابرار واصدقين الذين يعملون الخير لذاته كما يعبدون ربهم سبحانه وتعالى لذاته ولكونه مستحق العبادة لا رغبة فى جنته ولا رهبة من ناره . كما نقل التصريح بذلك عن كثيرين منهم رضى الله عنهم

وقد اشار إلى هذه الدرجة العالية فى التربية النفسية سيدنا عمر رضى الله عنه إذ قال فى حق سيدنا صهيب رضى الله عنه : « نعم العبد صهيب : لو لم يخف الله لم يعصه » اى انه لا يعصى ربه ولا يدع ما يجب عليه فعله . وذلك بسائق من نفسه وفطرته حتى لو فرض أنه لا يخاف الله ولم يسمع إنذاره وتحذيره من العذاب ، فكيف وهو رضى الله عنه يخاف ربه ويتقى سخطه وعذابه؟ فصهيب رضى الله عنه بشهادة عمر مثال حسن للعاملين الذين يعملون الخير لذاته وبسائق من وجدانهم وضميرهم وشعورهم بالواجب

حقاً إن فصل الخير من الشر والتمييز بينهما امر مركوز فى فطر البشر لا يختلف فيه اذا كانت فطرهم سليمة وأمزجتهم مستقيمة . اما ممارسة الخير والقيام به فشاق على النفس يحتاج الى تربية وعناية وتعويد منذ زمن الحداثة والصغر . واحسن ما تراض به نفوس الناس بحيث يعمدون على فعل الخير وترك الشر بسهولة واقتناع ـ العمل بما جاء عن سيد البشر فى هذا المعنى اذ يقول :

« ايت المعروف واجتنب المنكر ، وانظر ما يعجب اذنك ان يقول لك القوم اذا قمت من عندهم فأته ، وانظر الذى تكره ان يقول لك القوم اذا قمت من عندهم فاجتنبه »

« اذا اردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك »

« أحب الناس ما تحب لنفسك »

« ما كرهت أن يراه الناس منك ، فلا تفعله بنفسك اذا خلوت »

يشبه هذا من القرآن قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟ » ومن ذلك ما أشار به صلى الله عليه وآله وسلم الى أن ضمير الانسان ووجدانه هو الحكم الفيصل فى معرفة الخير والشر والحق والباطل والتمييز بينهما اذ يقول : « استفت قلبك وان أفتاك المفتون » ، ومن ذلك ارشاده لنا صلى الله عليه وسلم الى عمل الخير بجميع ضروبه حتى اذا عجزنا عن فعله بذواتنا أمكننا أن نمارسه بدلالة غيرنا عليه فقال : « الدال على الخير كفاعله ، والدال على الشر كفاعله » رواه الطبرانى عن سهل بن سعد

وهناك أحاديث تحض على عمل الخير وتبين بعض أنواعه وطرائقه ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم « على كل مسلم فى كل يوم صدقة ، فان لم يكن صدقة فعمل بيده ينفع نفسه ويتصدق » . قيل : فان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف أو الخير » قيل : فان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل : فان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانه له صدقة » ذكره ابن سهل السامرى فى مكارم الاخلاق

وهذا جلى فى أنه لا مندوحة للانسان المتكامل عن ممارسة الفضيلة وفعل الخير بأية طريقة ممكنة ، ولا عذر له فى الترك والاهمال

هل رأيت نبلا أرقى وكرماً أشمل مما حث عليه محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله : « الفضل فى أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » ؟

تأمل تجد أن كمال الانسانية وكرم الاخلاق فى أن تحسن الى المسيء ، لا فى أن تحسن الى المحسن ، فانما أنت اذ ذاك تاجر يعاوض ، ومثل هذا الحديث ما وصف الله تعالى به الابرار بقوله : « ويدرءون بالحسنة السيئة » وهم الذين يدفعون الشر بالخير ، بحيث اذا أساء اليهم مسيء أحسنوا اليه ولم يقابلوه على إساءته بمثلها ، فهم اذا حرموا أعطوا ، واذا ظلموا عفوا ، واذا قطعوا وصلوا

ومن كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ياسبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كنا لا نرجو جنة ، ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا ــ لكان ينبغى لنا أن نطلب مكارم الاخلاق ، فانها تدل على سبيل النجاة »

محمد احمد جاد المولى

الانسان عدو المنطق

بقلم الاستاذ امير بقطر

[في هذا المقال الطريف يبرهن الكاتب على أن الانسان ليس منطقياً بالطبع ، بل هو خاضع للفطرة والعاطفة . وهو يسوق الامثلة العدة على أن الانسان الى العاطفة أميل منه الى العمل بقوانين المنطق وقواعد العقل . ويخلص من ذلك الى أنه ليس من الصواب ان نزن الاشياء بميزان المنطق وحده أو العاطفة وحدها ، بل الحكمة أن نتخذ الوسط بين العاطفة والمنطق ميزانا لحياتنا]

اذ أردت أن تدرس طبيعة الانسان فعليك بالاطفال والحيوانات البرية . راقب الاطفال يمرحون بغير رقابة والديهم أو مرضعاتهم ، وانظر كيف تدير عواطفهم دفة حركاتهم ، وانظر كيف يحتجون ويدافعون عن أنفسهم بجهد استطاعتهم ، مهما كانوا صغاراً ، اذا ما تدخل الكبار في حريتهم ، وحاولوا كبح جماحهم ، وتهذيب فطرتهم ، وتسييرهم وفقاً لقواعد المنطق والتمييز ، او مايسمونه العقل . ألا ترى في المنزل والمدرسة عراكا مستمر الحلقات بين العاطفة والمنطق ؟ ألا ترى الوالدين والمربين يسلخون الفطرة من الاطفال سلخاً ؟

قف يوماً أمام قفص القردة في حديقة الحيوانات ، وهي تغدو وتروح ، وتتخاصم وتتصافح ، وتتقاتل وتتعانق ، وتتسلق الأشجار والأراجيح ، وتفتش شعورها بحث عن الحشرات فيها ، وجدت أولم توجد ، وانظر كيف تلعب الفطرة دورها في جو فسيح من الحرية ، إلى أن يعترضها الحارس ، ويحاول هو أيضاً ـ كالأب والأم والمرضع والمعلم ـ أن يطبق عليها قوانين المنطق ، وهي تصيح صياحاً مزعجاً ، دفاعاً عن الفطرة ، واحتجاجاً على التعسف ، واعتراضاً على المنطق ، عدو الطبيعة الحيوانية ـ (البشرية)

يولد الطفل مزوداً بعدد من العواطف (الغرائز) الحيوانية ، ولا يولد معه المنطق أو التمييز أو ما يسمونه العقل ، لأن هذا الأخير وليد المدنية ، يكتسبه الطفل من المنزل والشارع والمدرسة ودور التمثيل وأمكنة العبادة وأنظمة الحكومة وكل ما تشمله كلمة تربية من جميع مناحيها ، ومن الكتب والمجلات والصحف ، وغاية ما في الأمر أنه يرث استعداداً خاصاً لاكتساب المنطق بالمران . وليس الفرق بين الطفل والبالغ العاقل كبيراً كما يتوهم الكثيرون . فلا تخلو ساعة واحدة من حياة المرء من الصراع العنيف بين الطبيعة أو الفطرة فيه وبين المنطق ـ ذلك الدخيل الذي هجم على الانسان من أوكار المدنية وهو لا يدري

وليست الأمثلة التي سأوردها في هذا المقال نادرة كما سيزعم الكثيرون من القراء ، فإن مثلها

يقع بين ظهرانينا في كل زمان ومكان ، وما علينا اذا أردنا أن نتحقق من هذا ، إلا أن نخلو بأنفسنا هنيهة قبل أن يأخذ الكرى بمعاقد أجفاننا ليلا ، ونصغي ما بيننا وأنفسنا من الحساب

ولا يغرنك ما تزينه لك الكتاب من الامثلة العليا ، ولا يأخذن بلبك ما يصوره لك كبار الوعاظ وفطاحل الخطباء من الاخلاق الملائكية ، التي زعم جان جاك روسو أن المرء يولد بها ، لا يغرنك هذا ولا ذاك فان ما يقوله الناس شيء وما يعملونه شيء آخر . ألا ترى المنابر تهتز بدعوات السلام في الكنائس والجميات والكليات والدوائر السياسية في أوربا وأمريكا ، وأصوات المطارق والآلات في مصانع المدافع والحراب والسيوف والديناميت ، والاساطيل الجوية والبحرية ، تصم الآذان وتخرس دعاة الوئام والسلام ؟

الا ترى رجال الدين في أوربا وأمريكا يفتحون أبواب الكنائس أيام الآحاد ، فتضيق بالمصلين على رحبها ، ثم ينادون بأعلى أصواتهم (والحاضرون يؤمنون على ما يقولون) قائلين « اطعموا الفقير وتفقدوا الارامل والايتام » ومع ذلك هناك أكثر من اربعين مليونا في تلك البلاد يتضورون جوعاً ، أو يشربون كأس الحياة مترعة بالبؤس والعوز والشقاء ؟

الا ترى رئيس الاساقفة ومرءوسيه من اساقفة وقساوسة ووعاظ في ألمانيا ، ينادون ، فيكرر الناس نداءهم ، بقول المسيح « أحب قريبك كنفسك ، و حبوا أعداءكم » ومع ذلك يعمل الناس على مناهضة اليهود في البلاد بدعوى انهم ليسوا من الجنس الآري ، رغم ان تاريخ اجناسهم (ethnology) يدل على انهم توطنوا في ألمانيا منذ الحروب الصليبية (سنة ١٠٩٦)

ألا ترى المتعلمين يهزأون بالخرافات ، ومع ذلك نجد بعض طلبة الجامعات إلى يومنا هذا ، يحتفظون بضروس العقل (المخلوعة) في جيوبهم ، ويحرصون على حملها معهم إلى قاعة الامتحان في نهاية كل عام ؟ . ألا ترى الكثيرين من ذوي الثقافة يتشاءمون من الرقم ١٣ (١١ في مصر) ومن السفر أيام الجمعة ومن مشاهدة هرة سوداء ؟

أتعلم أن جان جاك روسو فيلسوف القرن الثامن عشر أودع بين دفتي كتابه الخالد « اميل » أصول تربية الأطفال ، ومبادىء التعليم التي يسير على منوالها الى يومنا هذا ، ومع ذلك فانه أهمل تربية بنيه وتركهم عالة على الغير ، يستجدون الأكف ، ولا يجدون مرشداً أو معلماً أو مربياً ؟

إذا شئت أن تعلم عنه أكثر من ذلك فاقرأ مذكراته عن نفسه « الاعترافات » .

* * *

قد تستولي علينا الدهشة إذا علمنا أن سكان القرية عند قدماء الرومان كانوا يخرجون على بكرة أبيهم ، ويحطمون معبودهم بمعاولهم ، إذا تضرعوا اليه فلم يجب دعواتهم : في شفاء زعيم ، أو رفع كارثة أو وباء ، أو نصرهم في معركة حربية . وقد تستولي علينا الدهشة اذا علمنا أن

بعض الهنود اليوم، تفادياً من تلاوة الصلوات الطويلة التي تستنفد شطراً عظيماً من أوقاتهم، يعمدون الى حيلة مضحكة، وهي أنهم يكتبون هذه الصلوات على ملف كبير من الورق أو رق الغزال، ويثبتون هذا الملف على محور من الحديد أو الخشب، في دولاب يديره بيده صاحب الصلاة أو أحد عبيده أو مأجوريه اذا كان غنياً، وهكذا يتحايلون على آلهتهم السذج فتنطلي عليها الحيلة

ولكن ألا تتضاعف دهشتنا إذا سرنا يوماً في مجاهل جبال الألب، بين أشجاره الكثيفة، وخضرته السندسية، وزهوره الجميلة، وشاهدنا بسطاء الفلاحين يحطمون تمثال العذراء، ويستبدلونه بسواه، لأنه لم يشف مرضاهم، ولم يفرج أزماتهم، ولم يرجع شجعانهم من ساحة الوغى سالمين، أحياء، منتصرين؟

• • •

منذ سنتين أو ثلاث طغت على ولايات أميركا المتحدة موجة من المسابقات والمراهنات المضحكة، التي أراد بها مبتدعوها أن يعيدوا إلى التاريخ ضرباً من الفروسية التي كانت معروفة في القرون الوسطى. فهذا رياضي يستمر في اللعب ٢٤ ساعة يزاول خصومه غير أن يستريح. وهذا راقص يستعرض طوله على نغمات الموسيقى ٣٠ ساعة متوالية أو أكثر. وهذا صبي في سن السادسة عشرة يتسلق قمة شجرة واسعة ويبني له عشاً من ورقها بين أغصانها، ويمكث فيها أسبوعاً كاملاً لا يذوق سوى الحلوى والماء.

ولكن ليس هذا كل شيء. فإن قساً أراد هو أيضاً أن يحرز قصب السبق في ميدان الدين متسماً للبطولة، فوقف يخطب ويعظ على منبر كنيسته ٥٨ ساعة متوالية ولم ينقطع عن الكلام أو يجلس سوى فترات معدودات، أباح لنفسه فيها أن يتناول قليلاً من البيض والشكولاتة، وأن يشرب قليلاً من القهوة، وقد غير قميصه مرة واحدة (نقلا عن نيويورك تيمس يوليه سنة ١٩٣١)

منذ أقل من سنتين كنت أتردد على مطعم كبير فخم، معتدل الأسعار، قريباً من جامعة كلومبيا في نيويورك. وكنت أختلف اليه على الأخص متى كنت قوي الشهية ولدي متسع من الوقت للراحة، لأن المطعم كان سخياً جداً في تقديم جميع ألوان اللحوم والحلوى والكعك والفاكهة والمشروبات (غير الروحية) في مقابل اثني عشر قرشاً مصرياً، ولأن فرقته الموسيقية كانت على جانب من الشهرة. وكان يسترعي نظري هناك شيء واحد، وهو أن كهلاً حسن البزة، يجلس الى مائدة وحده، يأكل في تؤدة، ويحتسي القهوة في هوادة، وفي معظم الأحيان لا يأكل ولا يشرب، بل يشعل «السيجار» ويطالع صحيفة أو كتاباً. وكلما ذهبت الى ذلك المطعم الواسع الأرجاء. في أية ساعة كانت ـ في الليل أو النهار ـ كنت أجد ذلك الرجل حتما

على مائدته ، مع العلم ان هذا المطعم يظل مفتوحا ٢٤ ساعة فى اليوم - أى على الدوام - ككثير من المطاعم هناك ، وتتغير الفتيات « الجرسونات » مرتين فى النهار ، ويستبدلن « بالجرسونات » الرجال فى خلال الثمانى الساعات الأخيرة من الليل ، طبقا لوائح البوليس فى أميركا .. فتشجعت يوما وناديت الفتاة التى كانت تتولى خدمة المائدة التى أنا جالس اليها وكان الزحام قد خفت وطأته حوالى الساعة الثالثة مساء فدار بيننا وبين الحديث الآتى :

— ما حكاية هذا الرجل ؟ أهو من أصحاب المطعم ؟

— كلا ياسيدى هذا من ثراة القوم ، مهذب فى غاية التهذيب ، كريم فى غاية فى الكرم . انظر ناحية الباب . أترى ذلك السائق فى امتشاق قامته وكسوته المزركشة ؟ هو سائق سيارته ينتظر هناك رهين اشارته ، يحمل اليه رسائله ويقوم بخدمته . يقضى كل يوم ثمانى ساعات هنا على هذه المائدة . ويحضر فى الساعة التى يدل عليها هذا الجدول المعلق على الحائط يوميا ماعدا ايام الثلاثاء .

— لم لا تفصحين يا آنسه ؟

— اسمع يا سيدى أترى هذه الفتاة المديدة القامه ، الممتلئة البدن ذات الشعر الأسود والملامح الاندلسية ، التى تتجه نحو السلم المؤدى إلى الطابق الثانى ؟ هذه الفتاة معبودة هذا الرجل . وهو لا ينظر أو يبتسم الى سواها ولا يقبل ان تخدمه واحدة بين الخمسين فتاة المشتغلات هنا سواها ، لذلك لا يحضر أيام الثلاثاء لأن فيها عطلة هذه الفتاة

— عجبا ! ولم لا يتزوج منها أو يوظفها عنده ، أو على الاقل يطلب منها أن تصحبه للنزهة فى سيارته الفخمة ؟

— أنت لاتزال تجهل المسألة ياسيدى . إن هذا الرجل العظيم لا يعنى بهذا كله ، ولا يهمه أن يحادث هذه الجميلة أو يغازلها ، لأن جل غرامه بها ينحصر فى مشاهدتها عن كثب ، تغدو وتروح فى فستانها الأسود و « فوطتها » البيضاء ، تحمل الأطباق على يديها ، وتضعها برشاقة على المائدة أمام الآكلين ، وهو يظن انها فى هذا المنظر المثل الأعلى للمرأة ، واذا تصادف أن شاهدها فى الخارج ، فانه قلما ينظر اليها بل يكتفى بتحيتها بابتسامة معتادة

وما كادت تأتى على آخر العبارة حتى همت واقفاً وتركت لها قطعة ذات « قرشين » ، ووضعت قعارى فى يدى ، وبينما كانت تساعدنى على لبس المعطف ، قلت لها ان عندنا مثلا عربياً يقول : « الجنون فنون » ، فلم تفهم . وعند خروجى مررت بمائدة « مجنون ليلى » فوجدت أمامه نسخة من كتاب شموطوسن الذى عنوانه Why We Misbehave like Human Beings

ومن المشاهد أن رجال السياسة الدولية أشد الناس استسلاماً لعاطفة الجشع والمطامع الفطرية ، وان كانوا يبررونها بما يسمونه قواعد الانصاف والعدل وغير ذلك . فالفرنسيون

عادة اذا ما استباحوا عملا كاستعمار بلاد أو احتلالها حملوا فعلهم على قواعد المنطق . أما الانجليز فيستحلون تدخلهم فى شئون الامم المغلوبة بدعوى انه « عبء الرجل الابيض » ، كما أن الاميركيين يبدون عذراً ظاهره الصلاح والتقوى وعمل الخير كقولهم « عملا لتقدم الانسانية وسعادة البشر ، ونشر السلام العالمى » ، وهم كغيرهم من الساسة يقولون ما لا يفعلون . ولعل سياسة ماكيفلى فى القرن الخامس عشر للميلاد كانت أكثر صراحة مما هى الآن ، إذ كان يقول ان كل عمل فى السياسة جائز

• • •

ومن غرائب ماحدث مرة من تغلب عاطفة الطمع الانسانى على المنطق ان قساً زنجياً فى أميركا اتخذ الاحسان موضوع عظة فى صباح يوم الاحد ، وفى نهاية العظة طلب من الحاضرين أن يعطوا بسخاء هذه المرة ، ولما عاد صندوق العطاء لم يجد القس الزنجى فيه سوى مبلغ زهيد جداً ، فاحتد وغضب وزأر كالأسد وأخرج من جيبه مسدساً وهدد بإطلاق رصاصاته اذا لم يبلغ مقدار مايتبرعون به سبعة ريالات على الاقل . فأعيد الصندوق الى الحاضرين ، وعدت الريالات فكانت احد عشر ، وقبض البوليس على القس (نقلا عن نيويورك سمس سنة ١٩٣٢)

ومن القضايا الغريبة التى تدل على أن الانسان غير منطقى بالطبع ما حدث منذ عامين فى انجلترا وأهلها من أكثر الناس تهذيباً وتمدناً . وهو أن امرأة خرجت إلى الغابة فى أثناء تغيب زوجها ، وهو من صغار الملاك ، فاعترضها شقى واعتدى عليها قسراً ، ولم تستطع الافلات منه . ولما عاد زوجها وجدها حاملا ، فرفع عليها دعوى الطلاق . ومع ثبوت جريمة الاغتصاب على ذلك الوحش ، واشتهار زوجته بالاستقامة والصلاح بين جيرانها ومعارفها ، فان المحكمة جنحت إلى الحكم بالطلاق بدعوى أن الرجل غير ملزم أن يعيش مع امرأة تحمل جنيناً ليس من صلبه ، وتلد له ولداً أجنبياً دخيلا ، لأن طبيعة الانسان لا تقبل ذلك وإن كانت الزوجة المسكينة بريئة

ولدى واقعة حال أخرى تمثلت حوادثها فى روسيا . وبطل هذه الواقعة فيلسوف روسى ، رحلت زوجته لزيارة أهلها ، ولم تكن من ركاب الدرجة الاولى أو الثانية أو الثالثة بل اكتفت بأن تكون على ظهر السفينة (deck)

وما كادت الباخرة تمخر عباب البحر حتى اشرأبت الاعناق واتجهت الانظار الى زوجة الفيلسوف ، فقد كانت ذات جمال فتان ، وجسم ممشوق كغصن البان . وطفق ضباط السفينة يغمزونها بعيونهم ، كعادتهم مع السيدات الجميلات . ولكنها كانت سيدة عفيفة النفس ، عزيزتها ، قوية الأخلاق . فضاعت مغازلات أولئك الذئاب الذين لا يعيشون إلا على سلب الأعراض ، هباء منثوراً . وبعد ساعات هبت العواصف والأنواء ، وثار البحر وفار ، وترنحت الباخرة كالسكير وأخذت تتمايل يميناً ويساراً ، حتى لم يبق مسافر إلا وناله من الدوار والاغماء

نصيب وافر . . . مر أحد الضباط بين ركاب الدرجة الاخيرة فألفى الغادة الجميلة ملقاة على ظهر السفينة فى حالة يرثى لها فتقدم اليها مفتاح غرفته وطلب اليها أن تحتلها حتى تهدأ الزوبعة، ولتطمئن على نفسها أوصاها أن توصد الباب من الداخل ففعلت مدفوعة بالآلام والاغماء

غير أن الضابط لم يكن حسن النية ، ولم تكن هي خبيرة بدهاء ضباط البواخر واستغلالهم المرض والضعيفات من النساء . . . وعادت الجميلة البريئة إلى زوجها وقصت عليه المأساة كأنها حدثت لامرأة سواها . ولما انتهت من سردها سألت زوجها الفيلسوف عما كان يحس به فيما لو كانت المأساة قد حدثت لها فعلا . فأجاب بكل هدوء انه كان يأسف ويحزن كثيراً

— أكنت لا تلومني أبداً ؟

— بالطبع لا ، وما كان يكون ذنبك ؟

وأعادت عليه الأسئلة مرات ، فكان فى كل مرة يؤكد أن الرجل الذى يلوم زوجته فى مثل هذا الحادث أقرب إلى الوحوش والبهائم منه إلى الانسان

وبعد أيام باحت له بكل شيء ، وهى تكاد تغمى عليها من شدة التأثر الذى كبتته أياماً . . . باحت له بكل شيء وهى لا تعلم أن الفلاسفة كسائر الناس تغلب فيهم الفطرة على المنطق ... ولم تمض أيام حتى غادرت منزل الزوجية لأنها أصبحت مطلقة ، لا فرق بينها وبين المرأة الفاجرة التى تقدم عرضها طوعاً وانقياداً ، وقد يمسون بعضهم فى أدنى المعص

• • •

غير أن المدنية كما ذكرنا تحاول زحزحة البشر قليلا من ناحية الطبيعة الاصلية تجاه المنطق . ويروى لنا علماء الاجتماع أن سكان البرازيل قديماً كانوا يتقشون من الاحجار فيعضونها بأسنانهم إذا ما كانت سبباً فى وقوعهم أو تعثرهم . وكذلك كانوا يحرقون الاشجار ويحكمون على الجمادات بالاعدام بعد محاكمتها وسماع الشهود (١) . وحدث فى فرنسا سنة ١٤٥٧ أن خنزيرة وصغارها حوكمت لأكلها طفلا فحكم على الأم بالاعدام وعلى صغارها بالبراءة لأن الأم كانت مثالا سيئاً لها . وروت التيمس الاميركية (١٩٣٢) أن أحد اباطرة الرومان ويدعى كليجولا (Caligula) كان شغوفاً جداً بجواده الكريم ، واعترافاً بذلك عينه قنصلا فى إحدى ممتلكاته . وذكر أحد الخطباء فى حفلة العيد الخرى للمتطف منذ سنوات أن أحد ملوك العرب كان يبعث بجواده مسرجاً ، يسير فى جنازات العظماء والكبراء

وتذكرنى الحادثتان الاخيرتان بمسألة وقعت فى ولاية من ولايات أميركا منذ عامين . وهو أن إحدى البغال التى كانت تجر عربة من عربات مدرسة قروية بلغت سناً عتية . فقرر

(1) Tylor, E. B. , "Primitive Culture" vol. I, page 285.

مجلس التعليم إحالتها على الاستيداع وتقرير معاش لها تقتات منه إلى أن تموت ، جزاء خدماتها نحو ٢٥ عاماً . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد ، ففى نهاية العام احتفلت المدرسة بتوزيع الدبلومات والشهادات والجوائز ، ووقف عدد كبير من البنين والبنات على المسرح والدبلومات بشرائطها الحريرية الملونة فى أيديهم ، ووقفت الخادمة الأمينة بينهم ، فقد قرر مجلس التعليم منحها دبلوم التعليم الثانوى تتويجاً لخدماتها وإشراكها فى الحفلة السنوية ، وتعليق الدبلوم ذات الشرائط الحريرية فى رقبتها ، أسوة بالتلاميذ والتلميذات . . !

وفى ولاية أخرى من ولايات أمريكا المتحدة أحيل « فراش » (Janitor) على المعاش بعد مدة طويلة فنصبوا له فى المعهد الكبير الذى كان يشتغل فيه تمثالا نصفياً أسوة بعظماء الرجال من ملوك وقواد ووزراء وزعماء

وربما كانت الحوادث الأخيرة لا تخالف تماماً قواعد المنطق و « العقل » غير أنه يمكن أن يقال اجمالا ان معظم القراء يستطيعون ان يذكروا وقائع شاهدوها أو قرأوا عنها مما لا يترك ريباً فى أن تفكير الانسان وتصرفاته لا تزال بعيدة عن المنطق . وربما يذكر بعضنا أن آل سمث الذى كان مرشحاً لرئاسة جمهورية امريكا مع الرئيس هوفر ، قامت حوله ضجة هائلة فى زمن الانتخابات ، لانه كان يخطىء فى نطق كلمة « radio » كما طرد يوماً ذلك الرجل العظيم اندرو جاكسون من البيت الابيض لانه أخطأ فى نطق كلمة development

وما يزال الكثيرون من المتمدنين فى جميع أنحاء العالم يتأففون إذا قلت لهم انهم خلقوا من القردة أو حيوانات أخرى عليا ، ولكنهم لا يبالون مطلقاً إذا قلت لهم إنهم خلقوا من الطين (التراب) . ويتأففون إذا نصحت لهم بضبط النسل ، ولا يبالون إذا توالدوا ومات أولادهم قبل بلوغ عام واحد ، أو عاشوا عالة على سواهم فى بؤس وعوز

ليس من الصواب أن نزن الاشياء بميزان المنطق وحده ، وليس من الحكمة أن ننقاد وراء الفطرة أو العاطفة كالأنعام ، بل الحكمة أن نتخذ الوسط الذهبى الذى تحدث عنه ارسطو ميزاناً لحياتنا . كان سبنوزا الفيلسوف يقول إن المنطق بغير عاطفة ميت ، والعاطفة بغير منطق (عقل) عمياء . . . غير أن الانسان لا يزال بعيداً عن هذا الوسط الذهبى ، ولا نبعد عن الصواب إذا قلنا إنه قد يكون مدنياً اجتماعياً بالطبع ، ولكنه ليس منطقياً بالطبع

امير بقطر .

شخصيات الشهر

الملك البرت ملك البلجيك

لما زار المرحوم الملك البرت مصر زيارة رسمية رأيته في مناسبات شتى ، وكان في جميع تلك المناسبات يظهر بمظهر الرجل الوديع الأخلاق ، البسيط العادات ، القليل الكلام ، البطيء الحركة الزاهد في المظاهر الرسمية التي تحيط به ، حتى أن زوجته الملكة اليصابات كانت تضطر في المتحف المصري أن ترجع اليه عند ما يتأخر عن الجماعة الملكية لتحثه على الاسراع وتلفت نظره إلى أثر أعجبها ، ولكن بساطته تجلت لي لما رأيته مرة جالساً على مقعد من المقاعد الخشبية في حديقة الحيوانات والى جانبه وزير خارجيته واضعاً إحدى قدميه على الأخرى وهو يمضغ تفاحة من التفاح

ولما زرت البلجيك وتشرفت والقائم بأعمال المفوضية المصرية بالمثول بين يديه ، لاحظ جلالته أن أحد الكرسيين (الفوتيل) في الحجرة بعيد عن مكتبه فسار اليه بعد التحية ، وجذبه بيده نحو المكتب ، ثم دعانا الى الجلوس . وبينما كان القائم بأعمال المفوضية المصرية يشكر جلالته على تفضله علينا بهذه المقابلة الاستثنائية كنت أسرح الطرف في أرجاء الحجرة فلم أر فيها لأبهة الملك وعظمته أثراً بل كانت الحجرة مكتب أي موظف كبير عندنا ، ولولا علمي أن هذا المكتب هو مكتب الملك لظننته مكتب ضابط من ضباط الأورانه لا يتجاوز

وبعد ما استهل جلالته الحديث قلت له ان المصريين يعرفون اسمه لا منذ اليوم الذي زار فيه بلادهم زيارة رسمية ، بل منذ الحرب العظمى فانه لم يبق يومئذ من لم يسمع باسمه ويعجب بشهامته وتضحيته بكل غال في سبيل كرامة وطنه ، فأطرق جلالته واحمر وجهه كأن كلامي أخجله

وتكلم جلالته معي طويلا عما تركته زيارته لمصر من ذكريات لا تمحي من قلبه ، وأعرب عن اعجابه الشديد بنشاط الفلاح المصري ، ونوه بتقديره العظيم للملك فؤاد ، وقال عنه إنه من الملوك القليلين الذين يجب أن يعرفوا صيوفاً عليه لأنه يهتم بكل شيء

ثم تكلم عن البلجيك فتجلى لي حبه الشديد لبلاده في كل عبارة من عباراته ، وقد كان وهو يحثني على زيارة أرجائها التي لم أزرها بعد يتكلم كأنه مدير مصلحة للدعاية . وأني لا أنسى قوله لي في آخر حديثه في هذا الصدد : « ان بلادنا صغيرة ، ولكنها تحتوي على شيء ، وأظن أن الشيء الذي تحويه هو من الصنف الجيد »

وموقف الملك البرت في بداية الحرب وفي أثنائها معروف ولا أحالني في حاجة الى التبسط فيه

فان المانيا وعدته بأن تكفل له استقلاله وبأن تعيد اليه بلاده كاملة بعد الحرب اذا سمح للجيوش الالمانية باجتياز البلجيك الى فرنسا ولم يتعرض لها ، ولكن جلالته أبى ذلك . . . ابى ذلك لانه ينقض الاتفاق الخاص باحترام حياد البلجيك ، وهو الاتفاق الذى تمتعت بلاده بالاستقلال والطمأنينة فى ظله سنوات طويلة . فلا يصح أن تكون هى أول من يمزقه عند أول خطر يحدق به . ومع أن جلالته كان يعلم أن هذا الخطر عظيم وان جيشه الصغير لا يقوى على رد الجيوش الالمانية الجرارة ، ذهب بنفسه الى مجلس النواب البلجيكي وهو لابس ثوبه العسكرى وأعلن النواب رفضه للانذار الالماني مهما تكن العاقبة ، فقابل النواب تصريحه بالهتاف ، وتصافح رؤساء الاحزاب متناسين ما بينهم من أحقاد وخلافات . ثم جاهر جلالته بأنه ذاهب الى حيث يكون قريباً من جيشه . ولما غادر دار مجلس النواب لم يركب السيارة الملكية التى أعدت له بل امتطى صهوة جواده وسار به الى حيث كان جيشه يتأهب للقتال فلازمه من ذلك اليوم حتى آخر يوم من أيام الحرب

وظهرت مواهب جلالته العسكرية وفوائد قلة كلامه وتؤدته فى العمل لما دارت رحى معركة « ايزر » الشهيرة ، فقد كان من رأى القيادة العامة للحلفاء أن « تهجم » القوات البلجيكية ، فلم يوافق الملك البرت على هذا الرأى وأمر جيشه بالتزام خطة « الدفاع » وأنذر قواده بأن كل قائد منهم يضعف أو يتخلى عن المكان الذى هو فيه يعزل فى الحال وأبرم فى الوقت عينه بعزل كل ضابط يقصر فى تأدية الواجب الذى هو عليه وسيق جندى شجاع مثله ، فثبت الجيش البلجيكى فى مكانه ولم يفلح الالمان فى شق طريق الى البحر

ولما اكتسح الالمان البلجيك كلها ، لم يبق لجلالة البرت من بلاده إلا تلك الشقة الصغيرة من الارض بالقرب من نهر « الايزر » فنشر عليها العلم البلجيكى وأعلن يومئذ انه « ما دام هذا العلم لا يزال يخفق فان البلجيك لم تمت »

وظل جلالته يعيش عيشة جنوده . يأكل كما يأكلون وينام كما ينامون إلى أن وضعت الحرب أوزارها فدخل « بروكسل » عاصمة مملكته على رأس جيشه الظافر ، فاستقبله شعبه استقبالا حماسياً قدر أن رأت البلجيك مثله ، ورأى بعض أعوان جلالته أن الفرصة سانحة لكى يعزز حقوق الملك ويزيد سلطته ... أما هو فاكتفى برؤية الشعب يرفع له قبعاته إجلالا واعترافاً بخدماته ، وأبى أن يمضى اليه ، فازداد تعلق الشعب « بالملك الجندى » كما لقبوه فى أثناء الحرب

وروى بعض المحيطين بجلالته أن البساطة التى رأيتها فى مكتبه تسود معيشته كلها ، ومن ذلك أنه كثيراً ما ينتقل من قصر إلى آخر بالموتوسيكل ، أو بسيارة عادية لا يرافقه فيها سوى ياوره فلا حرس ولا تعظيم ، كما أنه كثيراً ما يخرج فى شوارع بروكسل ماشياً للنزهة والرياضة

رحم الله الملك الجندى !

المسيو دومرج : من رئاسة الجمهورية الى رئاسة الوزارة

رجل كان وزيراً غير مرة ، وتقلد رئاسة مجلس الشيوخ ، ثم انتخب رئيساً للجمهورية ومكث في هذا المنصب سبع سنوات كاملة ، يعود الآن ، وهو في الخامسة والسبعين من عمره ، الى ميدان النضال السياسي ويقبل أن يؤلف الوزارة في أوقات عصيبة ودقيقة كالتي مرت بفرنسا في الشهر المنصرم — ان هذا الرجل لا يفعل ذلك طمعاً بمنصب أو قضاء لشهوة بل تأدية لواجب شعر بأن الوطن يناديه بتأديته فطلق عزلته وضحى براحته وهجر مزرعته وأسرع الى باريس ليقود السفينة الى بر السلامة ، فضرب للعالم مثالا في الوطنية الصادقة وفي احترام الواجب وايثاره على كل اعتبار آخر

والقراء يعلمون كيف نشأت الازمة الخطيرة الاخيرة في فرنسا ، وقد كان منشؤها اكتشاف فضيحة مالية كبيرة اتضح ان لوزراء ونواب وموظفين كبار ورؤساء بلديات وصحافيين صلة بها . فهاج الرأي العام وماج ، وضعفت ثقة الناس بالحكومة فتمردوا ، وانتهز دعاة الملكية هذه الفرصة فنشطوا في دعوتهم ، وحذا دعاة الشيوعية حذوهم من جانبهم ، وقام فريق آخر يدعو إلى اعلان الحكم « الدكتاتوري » وروج له بنجاح هذا النوع من انظمة الحكم في ايطاليا وقيامه في المانيا ... وحاول المسيو ابرون رئيس الجمهورية أن يحل الازمة الوزارية التي نشأت على اثر استعفاء وزارة المسيو شوتان بتأليف وزارة برئاسة رئيس حزب من الاحزاب النيابية على أن ينال الاغلبية البرلمانية ، فخابت المحاولة ، وازداد هياج الشعب ... عندئذ خطر لرئيس الجمهورية أن يلجأ الى رجل بعيد عن الاحزاب ، يحبه الجميع ، ويثق به الجميع ... ولم يكن هذا الرجل الا المسيو دومرج ، فتردد في بادىء الامر بحكم انه اعتزل السياسة والحياة العامة .. ولكنه لما رأى أن النظام الجمهوري في خطر وانه الرجل الذي يستطيع أن يمد له يد المساعدة خف الى باريس فاستقبلته الجماهير التي كانت تعتدي على البوليس ورجال الاحزاب والنواب هاتفة

ونحن نكتب هذه السطور وقد احرزت وزارة المسيو دومرج ، المؤلفة من جميع الاحزاب تقريباً ، ثقة الاغلبية في مجلس النواب ، وشرعت في أعمال التطهير في جميع الدوائر التي ظهر انها قصرت في الفضائح المالية التي ذاع أمرها أخيراً ... فاذا أتيح للمسيو دومرج أن ينجح في مهمته فيكون قد انقذ فرنسا سياسياً في سنة ١٩٣٤ كما انقذها المسيو بوانكاره مالياً في سنة ١٩٢٨ على أثر تدهور الفرنك ... والغريب ان المسيو بوانكاره قبل رئاسة الوزارة بعدما كان رئيساً للجمهورية كما قبلها المسيو دومرج في الشهر الماضي بعدما كان رئيساً للجمهورية أيضاً

الدكتور دولفوس وحركة ضم النمسا الى المانيا

فكرة ضم النمسا الى المانيا ليست فكرة جديدة فقد طرحت على بساط البحث من اكثر من

خمس سنوات لما عاد اليها بعض الزعماء النمسويين بحجة أنها الحل الوحيد لانقاذ النمسا من وحدتها . فقامت قيامة أوربا يومئذ ، ولا سيما فرنسا ، وقالت انها لا تسلم بهذا الحل ، وهددت النمسا تهديداً صريحاً ، فتدخلت جمعية الامم في الامر وقررت انه لا يجوز للنمسا أن تبت في مسألة الانضمام الى المانيا والاندماج فيها بدون أن ترجع اليها (اى الى جمعية الامم) قبل ذلك ، وقبلت جمعية الامم وبعض الدول بعد ذلك ان تساعد النمسا على حل مشكلتها الاقتصادية على الاساس المذكور ، أى على أساس طرح فكرة الانضمام الى المانيا جانباً

ولكن الوطنيين الالمان يعتبرون انضمام النمسا الى المانيا في مقدمة المبادىء التى يجب العمل على تحقيقها ، ويشاطرهم هذا الرأى انصارهم من النمسويين أنفسهم — وهؤلاء هم الذين يناوئهم الآن الدكتور دولفوس رئيس الوزارة النمسوية مناوأة حولت النمسا في الشهر المنصرم الى شبه ميدان قتال تدور رحاه بين انصار فكرة الانضمام الى المانيا ، وأنصار الاحتفاظ باستقلال النمسا ويتولى زعامتهم الدكتور دولفوس أصغر رؤساء وزارات أوربا سنا وانضرهم قامة

وقد كان النزال الذى يدور بين الفريقين لا يتعدى الخطب والمقالات في بادىء الامر ، ولكنه تحول في الشهر الماضى الى صدام وشجار ثم لم يلبث ان تحول احلاف بشكل صراع وقتال ذهب ضحيته كثيرون بين قتيل وجريح

ولما خطب الدكتور دولفوس في أوائل يونيو الماضى خطبته في فالدبيرج : انه من حقنا ان نقابل العنف بالعنف ، ظن بعض خصومه انه لايقوى على تنفيذ وعيده ، وان قواه بين عندما يرى ان الميئات المناوئة له تؤلف قوة لا يستهان بها ، ولكنه صمد لهم بشجاعة وقوة ايمان مدهشتين وصرح بانه عقد النية على المقاومة ، وانه سيثبت في مكانه وينتصر ، لان ايمانه قوى كالصخر . ولما رأى أن قوات البوليس العادية لا تكفى لصون النظام عززها بالمتطوعين من أنصاره وجهر في الوقت عينه بانه سيتوسل بجميع الوسائل لصون استقلال النمسا ، ولذلك لم يعجب لما وافتنا التلغرافات بأنه نصب المشانق لشنق معكرى صفو الامن العام من المطالبين بتحقيق فكرة الانضمام الى المانيا . وقد قال في آخر خطبة قرأناها له : « يجب على كل نمسوى أن يقول الآن ان مصيره هو المعلق في الميزان ... فالمسألة مسألة مصير كل وطنى ومصير النمسا كلها ... لا مسألة مصير حكومة ! »

ان المستقبل القريب سيفصل في سياسة الدكتور دولفوس . ولكن سواء نجحت سياسته أو لم تنجح فان التاريخ سيصفه بانه كان رجلا من أشجع رجال هذا العصر ، وبانه دافع عن مبدأ استقلال بلاده حتى الرمق الاخير من حياته السياسية

كريم ثابت

بيوت متنقلة من النحاس

تركيب الطبقة الثانية في بيت متنقل

بيوت

البيوت من الخشب والآجر والحجارة ، ولكن نزعة التجديد التي نالت كل شأن من شئون الحياة قد وصلت أيضاً إلى تشييد المنازل فصارت الآن تقام – أو على الأصح (تصنع) – من النحاس بدلا من الحجارة أو « البيتون » أو الخشب !

وقد ظهر أول بيت من النحاس في معرض للأبنية أقيم ببرلين في ربيع سنة ١٩٣١ ، وقد أعجب الذين شهدوه هناك . ولكنهم عدوه ابتكاراً شاذاً لا يلبث حتى يزول من الوجود . غير أن هذا « الاختراع » انتشر بعد حين وصار للمنازل النحاسية أنصار عديدون ، حتى اختص أحد المصانع الكبرى بصنعها وتوريدها للراغبين

ولعل أكبر ميزة للبيت النحاسي رغبت الناس فيه أنه تمكن إقامته في زهاء يومين اثنين ، وأنه كذلك يسهل هدمه – أو بالأحرى « فكه » – ونقله إلى أية جهة أخرى !

وتصنع الحيطان بالمصنع وتترك بها فوهات النوافذ ، وكذلك جميع السقف والنوافذ والأبواب هناك ، ولا يبقى سوى « تركيب » البيت في المكان المعد له بعد أن يعد له الأساس اللازم . ويتبع المصنع أنماطا معينة في صنع الحيطان وغيرها حتى يسهل استبدالها بغيرها عند الحاجة . على أنه يصنع أيضا صورا حسب الطلب وفق مواصفات خاصة كما يطلبها الراغبون

وقد يظن القارئ ، أول وهلة أن الإقامة في البيت النحاسي لا تكاد تحتمل لشدة الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، ولكن الواقع غير ذلك فإن حيطانه تعمل على [illegible] و عازل للحرارة والبرودة على طريقة [illegible] . وهناك ميزة أخرى غير كل تلك الميزات ، وهي [illegible] لا يحتاج إلى ورق يلصق على حيطانه لأن هذه الحيطان تلون في المصنع [illegible] رغبة المشترين

بيت ينقل على سيارة الى المكان الذى سيقام فوقه

حائط منزل متنقل في أثناء اقامته

اوكار العقبان في اعالي الجبال

قلاع الصليبيين والمسلمين

في سوريا ولبنان

لا عهد لنا بتلك السلسلة المتواصلة الحلقات من القلاع والحصون المنيعة، التي تمتد من حدود لبنان الجنوبية الى حدود سوريا الشمالية، عبر هذا الشريط الذي جعلناه عنواناً لهذا المقال، فهي أشبه شيء بأوكار العقبان والنسور، بناها اولئك الابطال الصناديد، قطع هائلة الحجم من الصخور الصماء، رصوها على اكتافهم القوية، وأحكموا بناءها بأذرعهم المفتولة، وجعلوا لبناتها من دمائهم الزكية. ولا تزال تلك القلاع والحصون قائمة الى الآن على قمم الرواسي، تناطح السحاب بأبراجها العالية، وتهزأ بالايام رابضة على قواعدها الصخرية، وتقص على الابناء والاحفاد جيلا بعد جيل، أحاديث الحروب الغابرة والبطولة النادرة، والدولة الخالدة.

اذا طفت سواحل سوريا ولبنان، في مركب بحري، او اشرفت منه على ما يحيط تلك السواحل

مدخل قلعة حلب

من جبال ووهاد ، وإذا توغلت في الجبال من جنوبها إلى شمالها ، ممتطياً متن جواد كما كان يفعل أولئك الأبطال الخالدون ، أو جالساً على مقعد سيارة كما يفعل أبناء هذا الجيل المتمدن ، فإنك ترى في كل بقعة موحشة من تلك البقاع الجبلية الوعرة ، عشاً وكراً من تلك الأوكار ، التي شيدها الصليبيون أو المسلمون في سوريا ولبنان

وقد هدأت عاصفة الحروب الصليبية من زمن بعيد ، وأخمدت في النفوس تلك الأحقاد الدفينة التي دفعت فرسان الغرب والعرب إلى ميادين الجهاد ، فالتحموا في مواقع دموية هائلة ، وسالت فيها دماء الفريقين أنهراً ، وتكدست فيها أشلاء الفرسان تلالاً ، ولم يبق من ذلك العهد البعيد غير الذكرى . ذكرى الحمية والشجاعة والإقدام والثبات !

ويبقى القلاع الصامتة الناطقة !

هذه بعلبك ، المدينة التي تدفقت عليها جحافل الغزاة منذ القدم ، قدس الأقداس عند الفينيقيين وعند اليونان وعند الرومانيين . والتي دخلها العرب في فجر الإسلام . فحولوا هيكلها إلى قلعة حصينة ، وأقاموا في أحد جوانبها مسجداً لعبادة الله

وهذه حلب ، التي [illegible] تلك القلعة التي أحد كل من الغزاة الفاتحين بنصيبه في ترميمها ، والتي [illegible] نور الدين [illegible] الأبراج الباقية من ذلك العهد . وأتم [illegible] الملك الظاهر بن صلاح الدين في القرن الثالث عشر للميلاد

واسم الملك الظاهر [illegible] [illegible] من حلب إلى [illegible] قلعة نجم ، المشرفة على نهر الفرات

والآن ، لنعد قليلاً إلى الجنوب ، إلى ساحل البحر [illegible] ، حيث [illegible] قصر [illegible] في طرابلس ، [illegible] المدينة [illegible] شيدها هناك في القرن الحادي عشر ، الأمير ريمون دي سان جيل ، القائد الصليبي الذي يقول المؤرخون الصليبيون إنهم لم يعرفوا أشرف منه في الميادين

ثم لننطلق إلى الجنوب أيضاً ، فنصل إلى جبيل ، أو بيبلوس كما كانوا يسمونها من قبل ، حيث تقوم إلى الآن قلعة الصليبيين التي حولتها الحكومة اللبنانية الحاضرة إلى سجن تحبس فيه المجرمين

وبعد أن نقف قليلاً في جبيل ، ننطلق من جديد ، نحو الشمال ، ولنصل إلى اللاذقية وضواحيها وهي غنية ببقايا القلاع والحصون الصليبية الإسلامية

هذا ، قصر صهيون ، كما يسميه العرب ، وقصر « ساون » كما يسميه الإفرنج على الأصح ، وبالقرب من هذا القصر ، أو من هذه القلعة ، [illegible] تعد فريدة من نوعها . وخندق حفره الصليبيون في صخرة هائلة . فكانت كتائبهم [illegible] ذلك الخندق في دخولها إلى القلعة وخروجها منها ، بينما الحراس يرقبون الأعداء من أعلى [illegible] الباقية إلى الآن

وبعد الترحم على أرواح الشهداء الذين سقطوا تحت أسوار تلك القلعة ، هيا بنا إلى الأمرة [illegible] ، إلى أعظم حصن خلفته لنا تلك الأجيال العابرة ، إلى ما يسميه الأوربيون إلى اليوم جوهرة الحصون والقلاع ، إلى « حصن الأكراد »

قلعة الحصن التى ترجع فى عهد الصليبيين

حصن مرجا الذي يعرفه العرب باسم « قلعة المرقب »

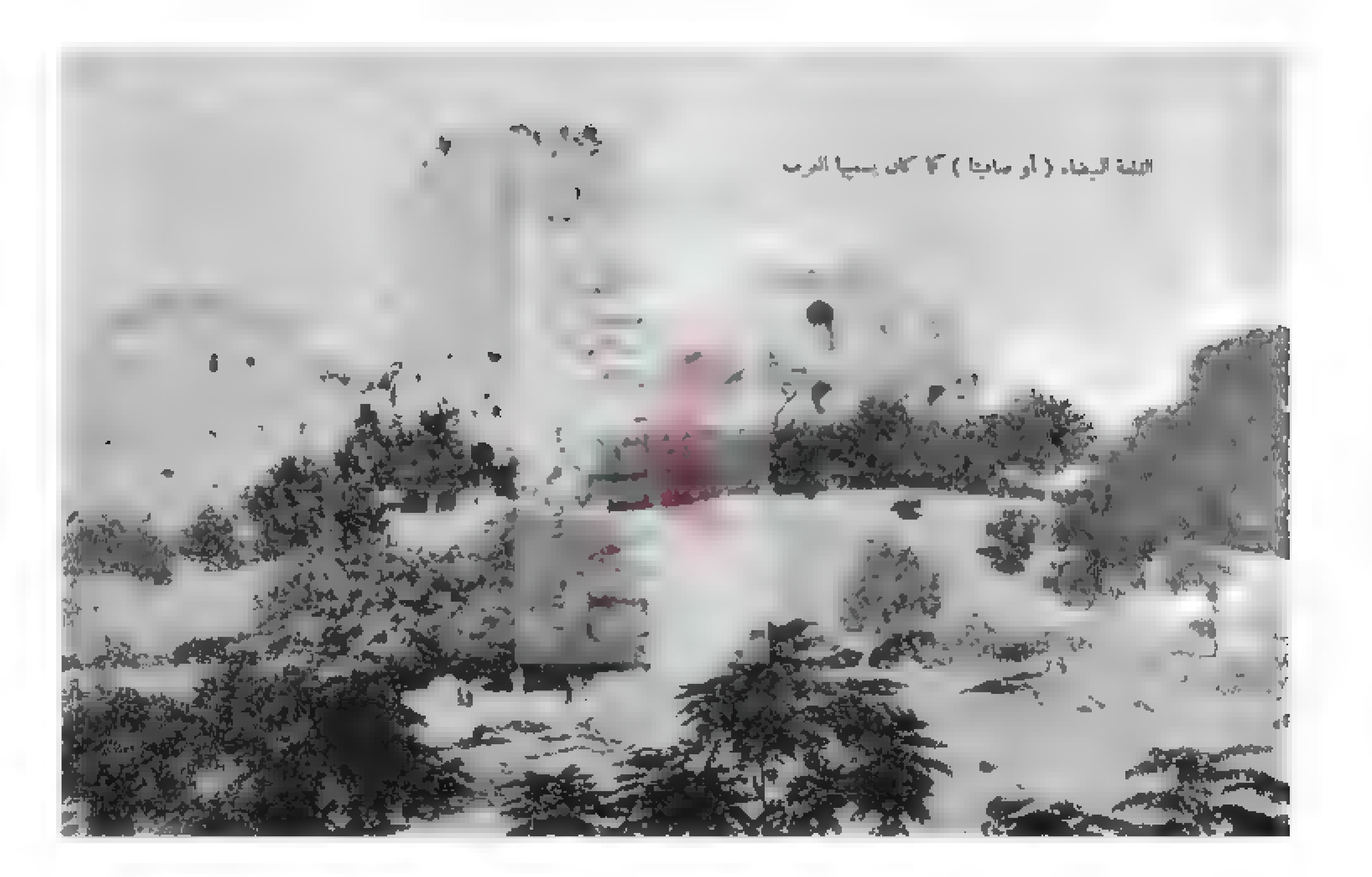

القلعة البيضاء (أو صافيتا) كما كان يسميها العرب

يقوم هذا الحصن البديع على ارتفاع ٧٥٠ متراً عن سطح البحر ، في جبل النصيرية ، وقد اطلق عليه اسم « الاكراد » نسبة الى صلاح الدين ورجاله ، وهم « اكراد » كما هو معلوم . وادخل بعد ذلك تحريف على هذه التسمية ، فصار الافرنج يقولون « اكراك » ثم « كراك » ثم اعتبروا هذا الاسم المحرف من كلمة « اكراد » واطلقوه على قلاعهم ، فصاروا يقولون « كراك الفرسان » Crac des Chevaliers وانتقلت هذه الكلمة المحرفة الى اللغة العربية ، فصار ابناء البلاد يقولون « الكرك » بمعنى « القلعة » !

ويشرف على طريق حمص ، حصن يدعى حصن « عكار » وكان هذا الحصن بمثابة نقطة اتصال بين « كرك الفرسان » أو « حصن الاكراد » وبقية الحصون والقلاع الصليبية في سوريا ولبنان ، ومركز الدفاع عن طريق حمص

وهناك قلعة أخرى ، بديعة النقوش واسعة الارجاء ، هي « القلعة البيضاء » كما كان يسميها الصليبيون ، لأنها مبنية بحجر ناصع البياض ، والتي يسميها العرب قلعة « صافيتا » وهي تشرف على الطريق بين مدينة طرطوس وحصن « الاكراد » الذي كان محور الدفاع والهجوم عند الصليبيين

وفي حصن الاكراد كانت تقوم ثلاثة صهاريج أمر بها صلاح الدين الأيوبي عندما كان لايزال جنديا بسيطا وأحبه ، وبسبب علاوة مما هي معد فائدة على آثار ما تكون من العمار والهمة

وفي تلك المنطقة ، تقوم أيضا قلعة « القلعة الحمراء » أو قلعة « صمور » التي اطلق عليها هذا الاسم بسبب لون حجارتها الحمر ، ويعرف منها « حصن كوكبات » وقد حرف العرب هذا الاسم فاسموه « قلمات » ، ثم اخذوا عنهم الافرنج يدعونه باسم « كوبات » تصغير كلمة « قلعة » فقالوا « قليعات »

ومما يذكر بهذه المناسبة ، أنه لايزال يوجد الى الآن في لبنان ، أي على مسافة بعيدة من قلعة « كوليات » بلدة صغيرة تدعى ايضا « القليعات »

وكان يزاحم حصن الاكراد في ذلك الزمن حصن آخر يدعى « حصن مرجا » الذي يعرفه العرب باسم « قلعة المرقب » من « المراقبة » وقد دارت تحت اسوار هذا الحصن ، في عهد الحروب الصليبية ، معارك رائعة بين الصليبيين والعرب

وفي مدينة صيدا هايا حصن يعرف بقصر البحر ، وهو الذي أقام فيه الملك لويس التاسع ، بعد هزيمته في معركة المنصورة ووقوعه اسيرا واطلاق سراحه . ويعرف هذا القصر أيضا باسم « قلعة الملك لويس »

وهناك عشرات من القلاع والحصون ، الباقية آثارها منتشرة على قمم الجبال من الشمال الى الجنوب ، كقلعة « الشقيف » أو « قصر بوفور » وقلعة « تبنين » أو « تورون » وقلعة بانياس في مرجعيون بلبنان ، وقلعة الصليحة وقلعة بوقيس وقلعة الصبت وغيرها وغيرها

أطلال قصر صهيون الموجود في انطاكية

قصر طرابلس الذي يرجع الى عهد الصليبيين

تعليم العصافير الموسيقى

قد لا يعلم الكثيرون أن موطن عصافير الكنار هو جبال « الهارتز » بأواسط ألمانيا ، ففيها تربى وتدرب على التغريد ، ومنها ترسل إلى مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا . ومراكز تربيتها وتجارتها في تلك الجبال هي بالضبط : كسيدلسبورج وسودروده واندريا سبرج . ولما اتجه ميل الامريكيين حديثاً إلى اقتناء تلك العصافير في بيوتهم صارت ألمانيا تصدر اليها عشرات الآلاف منها حتى أصبحت عاملا من عوامل الانتعاش لتجارتها الخارجية . ويكفي للدلالة على ذلك انها أرسلت الى أمريكا أخيراً ارسالية من عصافير الكنار لا يقل عددها عن ٤٦٠٠٠ عصفور دفعة واحدة . وقد أدرك مربوها في جبال « الهارتز » رغبة السوق الامريكية فطبعوا كتالوجات واعلانات باللغة الانجليزية وأذاعوها بين الامريكيين

والعصافير التي تربى في جبال « الهارتز » على أنواع وأشكال لاحصر لها . ويقدر ثمن العصفور العادي الذي تشوب تغريده عيوب فنية طفيفة بثلاثة ماركات في الوقت الحاضر (أي نحو ربع جنيه مصري تقريبا) ، أما العصفور الأمثل الذي يبلغ الغاية في التغريد والشكل واللون فإن ثمنه لا يقل عن ٢٥ ماركا وقد يزيد

وهناك خبراء فنيون مهمتهم سماع عصافير الكنار في أماكن تربيتها وهم يدربونها بالغناء بمهارات خاصة ينصتون إليها حتى اذا فرغت حكموا على أصواتها وقدروا درجتها من الجودة والجمال . وحكمهم في ذلك قاطع لا يتطرق إليه الشك . وقد اشتهر مربو عصافير الكنار في جبال الهارتز بأنهم لا يبعثون الى الخارج الا بالعصافير الحسنة حفظا لسمعة تلك التجارة

عصفور يتعلم الموسيقى على يد أحد الموسيقيين

[illegible]

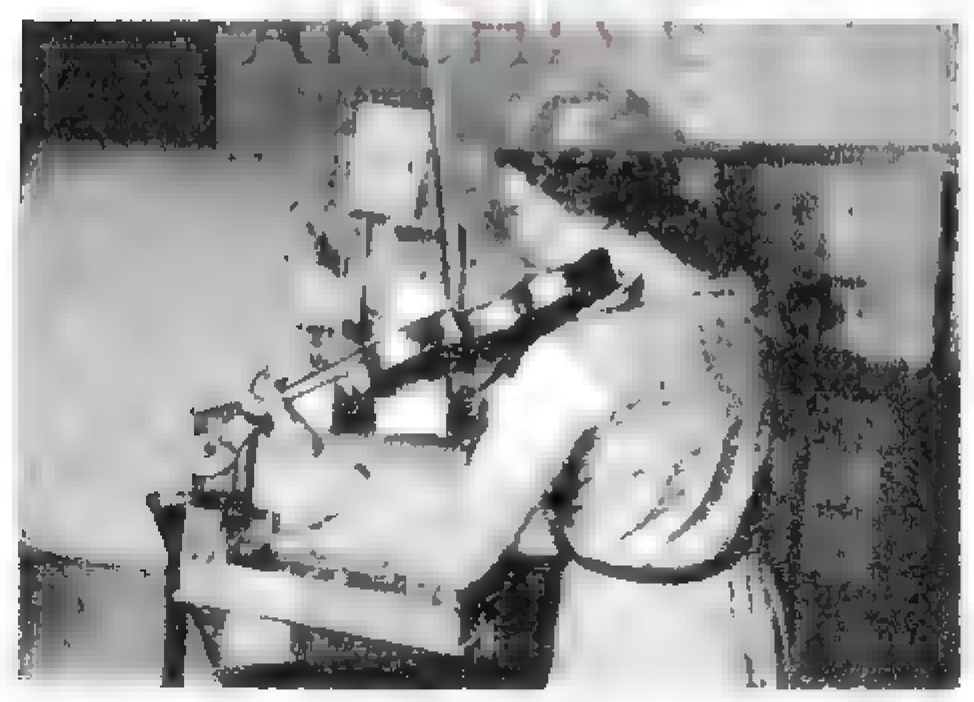

موسيقيه تدرب العصافير على الغناء

هل الصّحافى أديب؟

آراء الاستاذ عبد القادر حمزة، والاستاذ انطون بك الجميل، والاستاذ خليل مطران، والاستاذ احمد حافظ عوض بك

سؤال تتباين فيه الآراء بتباين وجهة النظر الى كل من الادب والصحافة وتحديد كل منهما، فقد يعرف الأدب بأنه التعبير بكلام جميل عما يجيش فى النفس وينبض به القلب ويبدعه الخيال، فهو من هذه الوجهة فن جميل أساسه ارهاف العاطفة وإثارة الذوق ورقة الحس والتظرف

وقد نعرفه بأنه نقد الحياة، وأنه هو الذى يوجه الانسان فى الحياة العقلية توجيها جميلا أشبه ما يكون بالانتخاب الطبيعى فى الحياة الطبيعية. ومن هذه الناحية يتناول العلوم والفنون والحياة الاجتماعية والحوادث اليومية

أما الصحافة فقد تحددها بأنها حرفة تخدم المجتمع من النواحى التى تهمه فى حياته اليومية والاجتماعية. ولا علاقة لها بالادب إلا من حيث إنه شأن من الشئون التى تهم بعض الافراد

ثم قد تحدد الصحافة بأنها موسوعة كبيرة تحوى كثيراً من العلوم وتتناول أنواعاً من الأدب والفنون، وتترجم عن الحياة العقلية والفنية والاجتماعية واليومية من جميع نواحيها. وعلى ذلك فهى من هذه الوجهة أعم من الأدب وأوسع هدفاً وأعظم مادة. وإذن فالصحافى ليس أديباً عند الذين يرون ان الصحافة حرفة. أما الذين يرون أن الصحافة موسوعة كبيرة للعلوم والفنون والحياة الاجتماعية، فعندهم أن الصحافة تشمل الادب، وان الصحافى الحق هو المثقف تثقيفاً علمياً وفنياً واجتماعياً، وهو - الى ذلك - الخبير بشئون الجماهير وحاجات المتصل بسائر البيئات، المتتبع للحوادث العامة، وهو الذى اعطى ملكة خصبة وبداهة مؤاتية، وقدرة على التصرف فى عمله بمهارة وسرعة

أما الاديب فهو جزء من الصحافى، أو بعبارة اخرى - إن الصحافى هو المثقف تثقيفاً كاملا. ولكن الاديب مثقف فى ناحية من نواحى الفن. ولكن اذا أريد بالادب التثقيف علماً ولغة وكتابة وخبرة بالناس ثم قدرة على الانتاج، فهذا هو الادب الواسع المنتج وهو نفسه الصحافة.

• • •

وقد ذهب الى هذا الرأى الأخير الاستاذ عبد القادر حمزة رئيس تحرير «البلاغ» الغراء، حيث يقول:

« ان المتعارف عليه هو أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة . ولكن الصحافة ليست الادب . بل هي فن اعم منه واوسع . فالاديب قد يكون كاتباً مبرزاً وبحاثة لا يشق له غبار ، ولكن لن يكفيه ذلك لكي يكون صحافيا ، وانما يكون بان يجمع الى الادب علوماً وفنوناً اخرى ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالاشياء وبالحوادث وبأذواق البيئات المختلفة ثم بان يرزق مع هذا كله الملكة الصحافية التي يستطيع بها ان يلفت نظر الجمهور الى ما يريد ان يبرزه امامه . فالادب على هذا بضاعة من بضاعات عدة لابد للصحافي منها ولا ريب في انه بضاعة جميلة ، ولكن اذا اقتصر الصحافي عليها او إذا هو برز فيها ولم يعط البضاعات الاخرى الا القليل من عنايته ، لم يكن صحافياً . و بالعكس اذا هو اصاب في الآداب نصيباً صالحاً من غير ان يصل فيه الى التبريز ثم أصاب مثل هذا النصيب في البضاعات الاخرى ثم كان مبرزا في ملكته الصحافية فهو صحافي

« ولكنني أعود بعد ذلك فأسأل : هل الادب الصحيح يمكن ان يتم للاديب من غير إلمام كاف بكثير من العلوم والفنون العصرية ، ومن غير خبرة كافية بالناس وبالاشياء و بالحوادث و بأذواق البيئات المختلفة ، ثم من غير ان يرزق مع هذا قدرة على ان يلفت نظر الجمهور الى ما يريد أن يبرزه أمامه ؟

« ان كان معنى الادب انه التبريز في اللغة وفي الكتابة وفي معرفة الشعر فهو حينئذ أدب ضيق غير منتج . أما إن كان معنى الادب انه التثقف الكامل علماً ولغة وكتابة وخبرة بالنـــاس والاشياء والاذواق ، ثم قدرة على الانتاج ، فهذا هو الادب الواسع المنتج . وفي هذا الادب الواسع يكون الفارق بين الاديب والصحافي ان الاول يبحث ويكتب غير مقيد بوقت ، أما الثاني فانه يكتب ويخرج كتابته مقيداً فيها بالوقت الذي تظهر فيه صحيفته

« ولكل انسان ان يقول حينئذ ان انتاج الاديب أكثر تحقيقاً وأبعد غوراً من انتاج الصحافي . وهذا صحيح . ولكن الاديب ينتهي مع ذلك بأن يتخصص في ناحية معينة يتجه اليها أدبه . لانه يختار الناحية التي تعجبه من نواحي الادب فينصرف اليها . أما الصحافي فان عمله الذي لا ينقطع يوماً ولا ساعة ، والذي يطلب منه ان يكون حاضر البديهة حاضر الجواب على كل مايعرض لان يكتب فيه ، وهو في كل ذلك لا يختار بل الحوادث هي التي تختار له كل يوم ألواناً جديدة وتدعوه لان يتجه اليها ، هذا الصحافي ينتهي بأن يتسع أفق الادب والعلم والخبرة عنده ، فيكون كأنه الموسوعة بينما يكون الاديب بجانبه كأنه كتاب في فن معين ،

• • •

أما الاستاذ أنطون بك الجميل رئيس تحرير « الاهرام » الغراء فيرى أن الصحافي بحكم مهنته وعمله ينبغي ان يكون أديباً ، وأنه أحوج ما يكون إلى الادب . فكل صحافي يجب أن يكون أديباً ولا عكس . فهو يقول :

« نعم ينبغى أن يكون الصحافى أديباً . ومن حسن المصادفة انى ألتقى هذا السؤال وأنا أرتب بعض أوراق قديمة عثرت بينها على خطبة القيتها منذ بضع سنوات فى حفلة تأبين المرحوم سليم سركيس وقد طلبت الى يومئذ أسرة الصحافة ان أقول كلمة باسمها . فعرضت لهذا الموضوع : الادب والصحافة . وأشرت الى تلك العصبة المباركة من أعلام حملة الاقلام فى القطرين الشقيقين كالشدياق والبستانى ونجيب ونديم وعبد الكريم سلمان والمويلحى ومحمد عبده وأديب اسحق ونقلا والحداد وعلى يوسف ومصطفى كامل وولى الدين يكن وغيرهم من الذين كانوا فى آن واحد من أعلام الادب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين . كانوا من مؤسسى الصحافة العربية وهم أركان النهضة الادبية فى النصف الثانى من القرن الغابر والربع الاول من القرن الحالى فمن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الادب فى تلك الحقبة من الزمن

« واذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب فى صحفنا اليوم والى كبار معاونيهم نجد الصحافى متلبساً بالاديب

« نعم ليس كل أديب صحافى ، ولكن ينبغى أن يكون كل صحافى أديباً ، لان الصحافة ، وقد ارتقت إلى المنزلة التى صارت اليها أصبحت أشبه شىء بدائرة معارف شاملة عامة ، وبات الارتباط وثيقا بينها وبين الادب

« وبعد . إذا رجعنا إلى تحديد الادب ألا نراه أحوج ما يحتاج اليه الصحافى ؟

« قالوا ان الادب صنعة تعرف بها أساليب الكلام البليغ فى كل حال من أحواله

« وقالوا أيضا ان الادب علم يتعرف منه التفاهم عما فى الضمائر بادلة الالفاظ والكتابة ، ومنفعته اظهار مافى نفس الانسان من المقاصد وايصاله إلى شخص آخر حاضراً كان أو غائبا

« وهل مهمة الصحافى غير هذا وهو يحاول ايصال مافى نفسه كل يوم الى عشرات الالوف من قرائه ؟ . وهل يستطيع ذلك اذا لم يكن عارفاً باساليب الكلام البليغ فى كل حال من الاحوال ؟

« فلا غنى للصحافى عن الصفات اللازمة عادة للاديب ، وهو فوق ذلك فى حاجة ماسة الى صفات أخرى خاصة بمهنته ، لذلك قلت . ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى للصحافى ان يكون أديبا »

* * *

وأنت تعرف صلة الاستاذ خليل مطران بالصحافة والأدب فقد اشتغل بالصحافة عدة سنوات ، ومارس خبرة واسعة فيها وفى الادب . ولكنه يرى أن الصحافة شىء والأدب شىء آخر ، على انه يمكن الجمع بينهما : « فهناك صحافى اديب وصحافى ليس باديب . فالصحافى الاديب هو الذى تعلم تعليما وافيا وتمكن فى لغته واخذ حظاً من البيان ثم زاول الصحافة وتصرف فى

الموضوعات تصرفا لاينفى معه الاساس الذى قام عليه علمه وادبه من اتقان اللغة وحسن الديباجة ومراعاة الاصول بدقة

« اما الذى تعلم تعليما بسيطاً ودخل الصحافة لتلقط الاخبار ، أو ان عنده هللة خاصة لفهم بعض الامور التى تتعلق بالجماهير ، فهذا لانستطيع ان نقول انه اديب

« وفى اوربا يتحتم عادة ان يكون الصحافى اديباً، لأن هناك وسائل للاعداد فى الصحافة، وعندهم تنافس شديد يضطر الصحافى ان يكون متضلعاً من اللغة والادب خبيراً بهما كل الخبرة . ولهذا يكثر عندهم الصحافى الاديب »

• • •

لكن الاستاذ احمد حافظ بك عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » الغراء لا يرى ما رآه الاستاذ خليل مطران ويذهب الى رأى آخر يخالف حتى الرأيين السابقين فى بعض نواحيهما ، ويقسم الصحافة الى قسمين قسم مالى وقسم يعتمد على العقيدة . فالصحافى عنده على نوعين ، صحافى مالى وصحافى عقيدة ومهمة فى الحياة ترقى به الظروف الى ان يكون صاحب جريدة

« فالاول لا يلزم أن يكون اديباً ، بل يكفى أن يكون مهذباً له دراية بما حوله من الشئون العامة ولكن يكفى أن يكون له رأى فى اتجاه جريدته . وهذا النوع موجود فاوربا بكثرة كاللورد روزربروك ومسيو كوتيه صاحب الفيجارو ، وهو فى الوقت نفسه صاحب فابريقات العطر المشهورة

« أما الثانى فيجب أن يكون أديباً وكلمة أديب كلمة مختصرة لا تفى التعبير الكافى ، ولهذا اقصد بالاديب المثقف ثقافة واسعة المتتبع للحركة الفكرية والعلمية والادبية ، الخبير بالشئون العامة . ولذلك أقول ان الادب لا ينفك عن الصحافة ، وهو أحد اجزائها وان الصحافى اديب أو يجب ان يكون اديباً متى كان من النوع الثانى الذى يحمل القلم »

• • •

فانت ترى من ذلك كيف تختلف آراء هؤلاء الكتاب فى ناحية وتجتمع فى ناحية . وأساس هذا الاختلاف هو تحديد معنى الادب والصحافة . وربما ارجعت هذه الآراء كلها الى رأى واحد اذا لاحظت ان كلا منهم يشترط فى الصحافى ان يكون مثقفاً ثقافة واسعة . وما الثقافة الواسعة إلا دائرة معارف تأخذ من كل شىء بطرف . وقد يكون الادب اظهر الانواع التى تدخل فى معنى الصحافة لان الادب هو اداة الصحافى التى تعينه فى تبليغ رسالته الى قرائه . وما الصحافى فى الواقع إلا اديب انبرى للجماهير يعالج شئونهم ويوزع مواهبه وقواه فى خدمة حياتهم على اختلاف انواعها . وربما كان من هذه الناحية انفع من الاديب الذى قصر نفسه على نوع واحد والذى لايفيد إلا طائفة معينة من الناس . .

طاهر الطناحي

وثائق مجهولة عن :

مأساة الموريسكيين أو العرب المتنصرين

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هذا الفصل يجد عشاق التاريخ الأندلسي طائفة من الوثائق الهامة الشائقة التي أوردتها الرواية الاسلامية عن الاندلس بعد سقوطها وتنصيرها . وهي وثائق لم تنل حظها من البحث والتعريف]

مرحلة من التاريخ الاسلامي لم تخصها الرواية الاسلامية بكبير عناية ، ونعتمد في تتبعها واستقصاء حوادثها على الرواية الافرنجية قبل الرواية العربية ـ تلك هي تاريخ الاسلام في الأندلس بعد سقوطها في يد اسبانيا النصرانية وانتهاء دولة الاسلام في اسبانيا ، أو بعبارة أخرى ـ هي مأساة العرب المدجنين والمتنصرين « الموريسكيين » (١) . ففي هذا الموطن نجد في الرواية العربية ثغرة يصعب ملؤها . وتاريخ الأندلس المتنصرة يشغل في تاريخ اسبانيا القومي حيزاً كبيراً عند زهاء قرن ونصف وتخصه الرواية الاسبانية بكثير من عنايتها . ولكن الرواية الاسبانية تتأثر دائماً بالعوامل القومية والدينية الى أبعد حد ، وتنظر دائماً الى سياسة الاضطهاد المنظم التي فرضتها اسبانيا على العرب المتنصرين ، والى تلك الجرائم المروعة التي كانت ترتكبها محاكم التحقيق (التفتيش) باسم الدين ، والى تلك الاجراءات والوسائل المروعة التي انتهت بتشريد العرب المتنصرين وابادتهم ـ بعين الظفر والكبرياء والرضى ، وترى فيها دفاعاً مشروعاً عن الايمان القومي وتطهيراً للدين القومي من آثار الاسلام الاخيرة . وهي فياضة دائماً في تلك المرحلة من تاريخ اسبانيا ، تحيطها بكثير من القصص والاساطير المناسبة ، التي تشيد بظفر اسبانيا النصرانية وبما أسبغته العناية الالهية على خططها وسياستها في إبادة الاسلام والعرب المتنصرين من اسبانيا ، وفي القضاء الى الابد على آثار تلك الدولة الاسلامية المجيدة الباذخة التي ازدهرت في اسبانيا النصرانية زهاء قرون ثمانية ، وعلى حضارتها وآدابها وكل ذلك التراث الباهر

أما الرواية الاسلامية فلم ينته الينا منها عن تلك المأساة سوى رسائل وشذور يسيرة . بل لم ينته الينا منها سوى القليل عن مراحل التاريخ الاندلسي الاخيرة قبل سقوط مملكة غرناطة ، ولولا

---

(١) العرب المدجنون أو أهل الدجن كلمة أطلقت على المسلمين الاندلسيين الذين دخلوا في طاعة ملك النصارى واعترفوا بها . ومقابلها الاسباني هو Mudejares . وقد شاع استعمالها منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أعني منذ كثر استيلاء النصارى على قواعد الاندلس ، وكثر الرعايا المسلمون في مملكة قشتالة النصرانية . والموريسكيون (والاسبانية Moriscos) أطلقت على العرب المتنصرين عقب سقوط غرناطة وارغام أهلها على التنصر

أن انتهى الينا تاريخ غرناطة بقلم وزيرها وكاتبها ابن الخطيب (١) ثم جاء العلامة المغربي احمد المقري في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، الحادي عشر الهجري ، فجمع لنا في موسوعته الضخمة عن تاريخ الاندلس وآدابها (٢) كثيراً من الرسائل والفصول المتعلقة بهذا العصر — مما كان للرواية الاسلامية في هذا الموطن شأن يذكر . ونستطيع أن نرجع ذلك الى عاملين : الاول هو أنه في عصور الانحلال والسقوط تخمد الحركات الفكرية والادبية وتقل العناية بالتدوين التاريخي كما تقل في جميع نواحي التفكير والادب ، والثاني هو أن كثيراً من الكتب التي وضعت عن ذلك العصر قد فقدت ولم تصل الينا ، وهي كتب ينقل المقري منها الينا بعض الشذور مما يدل على أن بعضها كان موجوداً في عصره . بيد أنه قد انتهت الينا عن سقوط مملكة غرناطة رواية عربية مفصلة بعنوان أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر ، بقلم مؤلف مجهول ، ولكنه يذكر في نهايتها انه كتبها في جمادى الثانية سنة ٩٤٧ هـ ، ١٥٤٠م ، اعني بعد سقوط غرناطة بخمسين سنة ، فهي رواية معاصرة تقريبا ويبدو من سياقها انها من تأليف أحد أشراف غرناطة الذين بقوا فيها وأرغموا على التنصر ، ولكنهم لبثوا مسلمين في روحهم وفي سريرتهم ، ويخشى أن يصرح باسمه لانه يتسخط الاسلام في كتابه ويندد بفظائع النصارى(٣) على أنه لا يقدم لنا أي تفصيل عن مقاومة حرب التنصير رغم أنه قد شهد مرحلة كبيرة منها . وكل ما نقتبسه لك عن ذلك قوله عن اكراه الاسبان للمسلمين على التنصر سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩م) : « وصارت الأندلس كلها نصرانية ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلا من يقولها في قلبه وفي خفية من الناس ، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الاذان ، وفي مساجدها الصور والصلبان ، بعد ذكر الله وتلاوة القرآن . فكم فيها من عين باكية وقلب حزين ، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين ، لم يقدروا على الهجرة واللحوق باخوانهم المسلمين ، فقلوبهم تشتعل ناراً ، ودموعهم تسيل سيلا غزيراً ، وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للاوثان ، ويأكلون الخنزير والميتات ، ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات ، فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم ، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب وعذب بأشد العذاب ، فيالها من فجيعة ما أمرها ، ومصيبة ما أعظمها ، وطامة ما أكبرها ... » ثم يشير بعد ذلك بايجاز الى ثورة المسلمين في غرب الاندلس على سياسة التنصير وانتصارهم على قوات ملك قشتالة وجوازهم الى عدوة المغرب ويختم بقوله : « وانطفأ من الاندلس الاسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ، ولينتحب

---

(١) هو كتاب « الاحاطة في أخبار غرناطة » (٢) هو كتاب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » (٣) يقع هذا الكتاب في ست وخمسين صفحة . وقد نشره المستشرق الالماني مولر سنة ١٨٦٣ (طبع مونيخ) من النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بالاسكوريال . وهي نسخة لم يرد ذكرها في معجم كازيري (معجم مخطوطات الاسكوريال) . وترجمه بترجمة للاتينية . وقد نشرنا منه قطعة من رواية اسباني مؤرخ معاصر عن حوادث سقوط غرناطة

المتنصرون . فانا لله وانا اليه راجعون . كان ذلك فى الكتاب مسطوراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (١)

وفى أوائل القرن السابع عشر وضع المؤرخ والراوية الكبير احمد المقرى (٢) موسوعته التاريخية والادبية الكبرى عن الاندلس وهى المسماة « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » . وقد نقل المقرى فى مؤلفه عن المؤرخين والرواة المتقدمين فصولا وشذورا ورسائل كثيرة لم تصل الينا الا بواسطته وفقدت مؤلفاتها الاصلية . بيد أنا نلاحظ ان هذا الاقتباس ينقبض ويقل فى عصور الاندلس الاخيرة مما يدل على أن المقرى لم يجد أمامه لتنقل كثيراً من المراجع عن حوادث هذه المرحلة . واغلب اعتماده فى هذا الموطن على ابن الخطيب مؤرخ غرناطة وابن خلدون . فاذا كان انحلال الاندلس وسقوطها النهائى نجد المقرى يعتمد فى النقل والتلخيص على مصدر واحد هو تلك الوثيقة التى أشرنا اليها والتى نجهل مؤلفها أعنى كتاب « أخبار العصر بانقضاء دولة بنى نصر » . أما تاريخ العرب المتنصرين ، فيمر المقرى عليه بسرعة ولا يقدم الينا عنه سوى شذور يسيرة هى تكرار لما ورد فى « أخبار العصر » . ويجمل المقرى مأساة العرب المتنصرين كلها فى هذه العبارة : « ثم بعد هذا كله كان من أسلم من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى ، فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مراراً ، ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر والف » (٣) ومع أن المقرى كان معاصراً لآخر فصل من المأساة وهو اخراج العرب المتنصرين (الموريسكيين) من اسبانيا فى عصر قريب منه ، سنة ١٦٠٩ م (١٠١٧ هـ) ورأى الكثير منهم فى حواضر المغرب ، فانه لم يعن بأن يقدم الينا عن هذه المأساة الشهيرة أية رواية مفصلة بل يكتفى بأن يمر عليها فى اشارة موجزة

على أنا نظفر من جهة أخرى ببعض الوثائق الهامة التى كتبتها عن مأساة العرب المتنصرين أقلام مشاهدة معاصرة . والى المقرى يرجع الفضل أيضا فى وقوفنا على هذه الوثائق . فقد كتب المقرى مؤلفاً ضخما آخر هو « ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض » (٤) ومع انه يخصص هذا الكتاب لترجمة القاضى عياض الفقيه الاندلسى الكبير (٥) ووصف آثاره ، فانه يستطرد كعادته ويشعب فى الحديث شجوناً شتى ، وينقل الينا بعض الاقوال والوثائق المتعلقة بسقوط غرناطة وتاريخ العرب

---

(١) راجع الكتاب المذكور ص ٥٤ ـ ٥٦ (٢) توفى المقرى سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م)

(٣) نفح الطيب (مصر) ج ٢ ص ٦١٧ (٤) لم يطبع من كتاب « أزهار الرياض » سوى قسم صغير فى مجلد واحد صدر بتونس سنة ١٣٢٢ هـ . بيد ان دار الكتب المصرية تحتفظ بنسخة مخطوطة كاملة من أزهار الرياض (رقم ٢٠١٣ تاريخ) كتب معظمها بخط مغربى (٥) وهو من علماء القرن السادس الهجرى

المتنصرين . ولهذه الوثائق على قلتها وإيجازها أهمية خاصة لأنها كل ما انتهى إلينا من الرواية الإسلامية في هذا الموطن . وهي أقوال معاصرين للمأساة شهدوا بعض حوادثها بأعينهم أو سمعوا أخبارها في الضفة الأخرى من الأندلسيين الوافدين على المغرب . منها رسالة لمجهول يظهر أنه من معاصري سقوط غرناطة يصف فيها نقض ملك قشتالة لعهوده إزاء المسلمين عقب استيلائه على غرناطة بأعوام قلائل وما اتخذه النصارى من وسائل الإرغام والقهر لإكراه المسلمين على التنصر ، وما فرضته محاكم التحقيق (التفتيش) للمخالفين من العقوبات المروعة (١) . ومنها قصيدة طويلة لأبي العباس أحمد الدقون أحد علماء المغرب في القرن التاسع الهجري سماها « الموعظة المرة بأخذ الحمراء » يرثي فيها الإسلام بالأندلس وينحو فيها نحو أبي البقاء الرندي صاحب المرثية الأندلسية الشهيرة (٢) ويصف فيها انطفاء الإسلام بالأندلس وما يعانيه العرب المتنصرون من شنيع الاضطهاد والمطاردة وما أصاب مساجدهم ومكاتبهم من الانتثار . ويناشدهم فيها الهجرة إلى دار الإسلام بالمغرب (٣) . بيد أن هنالك وثيقة ثالثة ذات أهمية تاريخية خاصة . وهي رسالة كتبها أندلسي متنصر عقب سقوط غرناطة في يد إسبانيا النصرانية ، إلى بايزيد الثاني سلطان الترك العثمانيين يستغيث به ويستصرخه لنصرة إخوانه العرب المتنصرين ويصف له في شعر قوي التعبير على الرغم من ركاكته ما تنزله إسبانيا النصرانية برعاياها الجدد وما يصيب العرب المتنصرين من عسف ديوان التحقيق وروائع مطاردته وعقوباته . وإلى القارئ بعض أبيات من هذه القصيدة المؤثرة تمثل أنواع الاضطهاد والعسف التي أنزلت بالعرب المتنصرين :

وكل كتاب كان في أمر ديننا ففي النار ألقوه بهزء وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم ولا مصحفا يخلى به للقراءة
ومن صام أو صلى ويعلم حاله ففي النار يلقوه على كل حالة
ومن لم يجيء منا لموضع كفرهم يعاقبه اللباط شر العقوبة
ويلطم خديه ويأخذ ماله ويجعله في السجن في سوء حالة
وفي رمضان يفسدون صيامنا بأكل وشرب مرة بعد مرة
وقد أمرونا أن نسب نبينا ولا نذكرنه في رخاء وشدة
وقد سمعوا قوما يغنون باسمه فأدركهم منهم أليم المضرة
وعاقبهم حكامهم وولاتهم بضرب وتغريم وسجن وذلة
وقد بدلت أسماؤنا وتحولت بغير رضى منا وغير إرادة (٤)

---

(١) راجع أزهار الرياض (تونس) ص ٥٩ — ٦١

(٢) ومطلعها : لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان (٣) أزهار الرياض ص ٨٩ — ٩٤ (٤) راجع هذه القصيدة بأكملها في أزهار الرياض : ص ٩٥ — ١٠١

وهذه الابيات تنم عن دقة مدهشة فى تتبع أعمال السياسة الاسبانية لمطاردة العرب المتنصرين وفى الوقوف على اجراءات ديوان التحقيق (التفتيش) وعقوباته . والظاهر أن صاحبها من الكبراء المتصلين بسير الشئون العامة . والمرجح أن هذه الرسالة وجهت إلى بايزيد الثانى حوالى سنة ١٥٠٠م اعنى بعد سقوط غرناطة بنحو اربعة عشر عاما حينما اشتدت السياسة الاسبانية فى تطبيق اجراءات التنصير على المسلمين ، واشتدت محاكم التحقيق فى مطاردتهم فى اعمق نفوسهم ومشاعرهم وضمائرهم . وقد توفى بايزيد الثانى سنة ١٥١٢ م . فلابد ان تكون الرسالة قد وجهت اليه قبل ذلك . ولم تكن هذه اول رسالة من نوعها وجهها مسلمو الاندلس والعرب المتنصرون الى قصور قسطنطينية ومصر والمغرب . فنحن نعرف ان مملكة غرناطة ارسلت قبل سقوطها تستغيث بمصر وقسطنطينية ، وان مصر أرسلت الى فرديناند الخامس تحذره من المضى فى غزو الاندلس وارهاق المسلمين وتنذره باضطهاد النصارى الذين يعيشون تحت حكمها اذا استمر فى سياسته (سنة ١٤٨٩ م) . ولكن تدخل مصر لم يغن شيئا ، وهذا ما يشير اليه صاحب القصيدة المذكورة فى قوله مخاطب السلطان بايزيد :

وقد بلغ المكتوب منكم اليهم فلم يعملوا منه جميعا بكلمة

وما زادهم إلا عــدوانا وجرأة علينا وإقداما بكل ملمة

وقد بلغت ارسال مصر اليهم وما نالهم غدر ولا هتك حرمة

وقد كانت هذه الرسائل على ما يظهر من الاسباب التى تذرعت بها السياسة الاسبانية للاشتداد فى مطاردة العرب المتنصرين واعتبارهم خطراً على سلامة الدولة لأنهم يتآمرون عليها مع ملوك الدول الاخرى

أما عن خاتمة المأساة اعنى إخراج العرب المتنصرين من اسبانيا سنة ١٦٠٩م (١٠١٧ هـ) فليس لدينا فى الرواية الاسلامية سوى شذور يسيرة . منها كلمة المقرى التى أشرنا اليها حيث يشير الى الحادث فى اسطر قلائل (١) برغم انه كان معاصراً له وانتهت اليه اخباره وتفاصيله ايام تجواله بالمغرب بعد ذلك باعوام قلائل . ومنها اشارة صغيرة لأبى القاسم الرعينى (المعروف بابن أبى دينار) فى فى كتابه « المونس فى أخبار افريقية وتونس » الى نزول بعض مهاجرى العرب المتنصرين فى تونس قبل عصره بنحو نصف قرن

هذا كل ما انتهى الينا من الرواية الاسلاميـــة عن مأساة العرب المتنصرين . وهى مع ذلك مواطن ووثائق لم تنل حقها من البحث والتعريف . أما الرواية الغربية والرواية الاسبانية بنوع خاص فتفيض بعشرات المؤلفات الجامعة عن هذه المأساة الشهيرة فى تاريخ الشرق والغرب

محمد عبد الله عنان

المحامى

---

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٧

صفحة ناجحة من حياة الشاعر بودلير [1]

زهرة الشر

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

هى عروس الشعر السوداء ، الخلاسية المولدة ، التى نفذت الى الصميم من حياة الشاعر الناشىء فكانت له شعلة الالهام ونار الحريق

* * *

غادر شارل بودلير فى إحدى الليالى أصدقاءه الادباء عقب العشاء توا فى احد مقاهى باريس . ولعله شاء أن يأوى الى داره ويعكف على العمل . لكنه درج فى الطريق مسترسلا ، ذاهباً على وجهه ، لا يبغى مقصداً بعينه . وتجاوز ساحة الاوديون ماضياً طوع قدميه حتى قبيل مسرح البانتيون ، فاستوقفه اعلان تافه لمسرح فى حى صغير ، عن رواية ذات فصل واحد وأدوار غنائية ، ولم يكن عنده شك فى سخافتها . ولكن هذا الرقيق الذوق مرهف الحس كان أحياناً لا يستكره هذه السخافات لما فيها من مباينة لمكابرة الجد وتمحلات الصنعة . فدخل الملهى ، واستمع الى بعض مقطوعات العزف والغناء . ثم ظهرت بعد حين على المسرح خادمة نطقت ثلاث كلمات لا أكثر ، وكانت جارية مولدة . فارتاح لها بودلير ، ثم ما لبث أن عاوده هوى اليها . فتعرف على اسمها فى البرنامج الذى بيده : « الآنسة جان ديفال » . ولما لم يكن فى هذا عيبة ولا شناعة ، فقد استطلع خبرها فعلم أنها لا تظهر فى رواية الليلة ، وأن دورها كممثلة لا يتجاوز قط عبارة قصيرة عما تقوله الخادمة ، تعلن قدوم زائر أو تؤذن بأن المائدة حاضرة . ومع هذا فانه لم يقصد فوراً الى ما وراء الستائر لمقابلتها كما هو المألوف مع أمثالها ، بل ابتاع باقة من الزهر أرسلها اليها مع بطاقة يعرب فيها عن أمله فى أن تسمح باستقباله فى اليوم التالى . ثم انصرف مبلبل الخاطر

ولا شك فى أن جان ديفال دهشت لهذا الادب فى تصرفه معها وللباقة من الزهر والبطاقة الناطقة بالاحترام — شأن لا عهد لها به . وزاد دهشتها أن حضر الفتى وأخذ يتحبب اليها فى غزل ونظرات متيمة . والفتى يافع أهيف فاحم الشعر ناصع الجبين ، له نظرة عميقة محدقة طويلة الأهداب ، وفم أغر الثنايا ، وشفتاه ذات حنايا ممتلئة متحركة فيها شهوة وسخرية ، وأنف أقنى خياشيمه رقيقة خفاقة ، وعلى ذقنه نونة غائرة ، تهمو على وجناته حمرة خفيفة الى جانب زرقة عذاره الحليق

(١) اعتمدنا فى هذه الكلمة على كتابات تيوفيل جوتييه وكاميل موكلير وجيليبر فلكارسكو وبول فاليرى

المحشى من مسحوق الارز الناعم مثل الحمص ، وهو مترف الملبس ، أنيق الهندام شديد العناية بيديه تطرية وبأظافره تقليما . وبالجملة فهو من أبناء العائلات

واقتضى خبث هذه المخلوقة ألا تبيحه في ليله من نفسها ما تبيحه للآخرين . وتصنعت النفور من جهته . والعجب أن هذا المرتاد لأحط بؤر الفساد ، الخبير بأساليب المماكسة والمساومة في أثمان الملذات ، شاقت له اللعبة في هذه المرة ألا يفطن إلى الحيلة . وأخيراً في ذات ليلة اصطحبته جان إلى غرفتها في شارع القديس جورج

فمن تكون جان ديفال هذه ؟

لا أحد يدري . وإنما يزعم الزاعمون أنها ولدت في سان دومنج . وهي المعروفة الآن باسم جزيرة هايتي من جزر المحيط الاطلسي بين الامريكتين . أما كيف قدمت الى باريس ، وما أحاط بقدومها من ملابسات فلا أحد يدري من أمرها شيئاً

ولقد اختلف في وصف شخصها الواصفون . فمنهم (بانفيل) يقول : « انها جارية مولدة ، مديدة الشطاط ، ذات طلعة سمراء ، غريرة ونعمة ، تعلوها حبة شعر معتدل ، تختال كالملكة ، ولمشيتها حسن نافر يجمع فيه مسحة إلهية ومسحة حيوانية في آن واحد » . ولكن بانفيل يجمل كل ما يراه . ومن خصائص عبقريته المتعبة ألا يسمح برؤية شيء أو انسان على حقيقته . . . ومنهم (براروند) يذكر « أن جان لم تكن مفرطة السواد ولا مفرطة الحسن . شعرها أسود جعد . ويكاد صدرها يكون أفسح [illegible] . مديدة [illegible] . لا تحسن [illegible] » . . . ثم (جيل بويسون) يقرر « أن لها وجنتين ناتئتين ، وفوه صغير [illegible] ، وشفتين [illegible] ، وشعراً وحفاً متموجاً في حد الجعودة »

ولكن ما لنا ولهؤلاء الشهود ، وعندنا رسوم لها بريشة بودلير ؟ وبودلير رسم بيد متمكنة ثابتة . ولقد ورث هذه الملكة عن أبيه . وكان أبوه بعد اعتزاله الوظيفة يلقب نفسه في شجاعة رساماً . والحق أن رسوم بودلير التخطيطية تنبه لنا في تبسيطها وبيانها رسوم صديقه المصور مانيه . ولئن تلك صوره التي رسمها لجان ديفال ليست بأروع ما رسمه الا أنها لتشعرنك كل الشعور بقوة الشهوة البهيمية في هذه المرأة . لا سيما الصورة التي كتب في أدناها باللاتينية هذه الكلمة التي قالها القديس بطرس في وصف الشيطان : « يطلب انساناً يفترسه » . وهي في هذه الصورة ذات عينين سوداوين نجلاوين « أشبه في سعتهما بقصاع الحساء » على حد تعبير بودلير . وشعرها غيهب حالك ، جبل أحجن كالعبد . وأنفها أذلف . وشفتاها غليظتان باللحم . وثدياها ناهدان متباعدان بارزان على صدر أعجف . أما قدها فأهيف لدن المعاطف ، يتعارض وردفيها اللفاء المكتنزة . وبالجملة فهو جسم حلوك فاجرة لا تشبع لها نهمة ، عرف كل شيء ، واستباح كل

شيء ، تعلوه طلعة سيدة ماكرة . أما العقل ، فعدم . أما القلب ، فعدم . وهـذه هي المشوقة التي افتتن بها الشاعر

فماذا ترى أوقعه في عشقها ؟

لقد عاد شاعرنا الفتى منذ عام — أو يزيد قليلا — من رحلة أجبره عليها أهله ، لاستصلاحه وصرفه عن الشعر ومزاولة الأدب . وفي هذه الرحلة الاجبارية على مركب من المراكب التجارية جاب بحار الهند ، ورأى جزائر موريس وبوربون ومدغشقر ، ولعله أيضاً رأى سيلان وبعض شواطيء الهند عند مصاب الجنج . ومن هذا السفر الطويل الشقة احتقب الشاعر وهجاً حاراً لازمه طيلة حياته . فقد راعته تلك البلاد النائية الساحرة ، بشمسها الساطعة وسمائها الصافية تتلألأ فيها أجرام لم تعرفها ربوع الغرب ، وبالنباتات الباسقة الحافلة الفاعمة الشذا ، وبيوت الأصنام الرشيقة المحنية . ولجج المحيط الهندي الزرقاء الرجراجة المطردة المرح والتراتيل ، وهؤلاء الشخوص السمر يتراءون بأجسامهم ممشوقة نصف عارية ورباطهم بيضاء ناصعة . وسائر هذه الطبيعة التي لم يعهدها بكل حرارتها وقوتها وغنى ألوانها

فلا جرم أن يحن شاعرنا إلى هاتيك البلاد ، وأن يتمثلها متجسدة حية في حسنائه السوداء

ولقد سبق أن دعا منه هذا الميل إلى الهجان من النساء ، المولدات من اختلاط الجنسين من البيض والسود . كما يبدو جلياً في هذه المقطوعة التي نشرها قبل تعرفه بجين ديفال والتي يتحدث فيها عن مولدة رآها أثناء رحلته :

« في البلاد العاطرة التي تداعبها الشمس ، وتحت ظلة عذبة من شجر وارف أرجواني ومن نخيل تفيض على الأعين فتوراً ، عرفت غانية مولدة ذات فتنة لا عهد بها

« لونها شاحب حار . وهذه الفاتنة السمراء ذات جيد نبيل السمت حلو السوالف ، وهي مديدة القامة هيفاء تمشي كأنها طاردة قانصة . لها ابتسامة هادئة ، وفي عينيها ثقة

« لو جئت يا غانية إلى بلاد المجد الأثيل على ضفاف السين أو وادي اللوار النضير ، أيتها الحسناء الرائعة الطلعة التي تليق زينة للقصور ، إذن لأطلعت في كنف حمائلها الوارفة ألف مقطوعة في عشدة الشعراء ، ولسبتهم عيناك السوداوان فباتوا لك أشد خضوعاً من عبيدك السود »

ولقد استجيبت دعوة الشاعر ، ولكن شر استجابة . فلم تفد إلى باريس هـذه الغانية ، بل ظهرت له فيها أخرى لا يعرف كيف ومتى ومن أين وفدت ، كأنما طلعت من الجحيم . وطماً استشعار له أن التقى على غير انتظار بضالة من قبيل ما يحلم به . فهام هيامه بها وارتمى في أسرها . وكانت عنده في خياله الآبد بمثابة الشمس الطليقة الساطعة على البحر الملحي ، وكسمعة النخيل المتأودة مع نفحات النسيم الدافئة . وشذا المسك الأذفر استنشأه في لياليه بتلكم الجزائر الساحرة :

« حين أكون إلى قربك ، في ليلة دافئة من ليالي الخريف أستنشق شذا صدرك الحار ، تتراءى لي شواطيء سعيدة تسطع عليها شمس متوهجة هي على الدوام واحدة لا تتغير

« وتتبدى لي جزيرة متفترة كسلى ، حبتها الطبيعة أشجاراً فريدة وثماراً شهية ، ورجالاً أجسامهم ممشوقة قوية ، ونساء يأخذ اللب طرفهن الأدعج بصراحته البالغة الناطقة

« ويجلو شذاك إلى أجواء ساحرة ، فكأني بمرفأ يحفل بالقلوع والصواري وهي بعد منهوكة من عراك اللجيج

« وأريج أشجار التمر الهندي الناضرة متضوع في الفضاء يملأ خياشيمي ويمتزج في نفسي بأغاني الملاحين »

وإنه ليتصباه من جان ديفال مثل غفلة السحر وروعة الهول ، لاسيما وهي صامتة جامدة ، رافلة في ثوب من أثواب العيشة القذرة أفرغته مباشرة على جسدها ، تروح وتجيء في الغرفة عارية القدمين ، ولبد شعرها الأشعث مرسل الريح ، فتأخذه منه عروضها وطورها ، جمودها وضراوتها :

« في غلائلها المتموجة اللألاءة ، تخال وهي تمشي أنها ترقص ، كتلكم الأفاعي الطويلة التي يرقصها على أطراف عصيهم حواة [illegible] المقدسة

« وكالرمال الموحشة والسماء الزرقاء في الصحراء كلاهما غير حافل بشقاء ابن آدم من برحاء ، وكشوارب الموج المطردة في صفحة المحيط ، تنبسط في غير اكتراث

« وكأن عينيها البراقتين من معادن ساحرة ، وفي ذاتها الغريبة المرموزة — حيث يأتلف الملاك الطاهر الكريم بأبي الهول الملغز القديم ، وحيث كل شيء ذهب وفولاذ وبريق وجوهر — ليشرق فيه على الدوام ، اشراق الكوكب المهدور الضياء في الفلاة البيداء ، ذلكم الجلال الجامد في المرأة العقيم »

غير أن هناك أيضاً سراً من الأسرار الخفية الحرية هو الذي قيده إلى جان ، وهو أن دركات انحطاط هذه المرأة بغير قرار ، وأفانين تهتكها بلا حد ، علمت جسده وأذاقته متعة لم يذقها كاملة منهكة إلا بين ذراعيها

فهو من أجل هذا يحبها ، وهو من أجل هذا يحتقرها ويحتقر نفسه ، وفي سبيل هذا انقلبت حياته طوال الأيام التي عاشها أعنف ساحة وأدماها لعراك الخير والشر والنور والظلام

أجل ، ذلكم سر الأسرار ، وبغير كلمة السر هذه لا تنفتح المغاليق عن دراسة من أنفس الدراسات النفسية ، ما برح ولن يبرح يطل في أغوارها أعاظم العلماء والنقاد ، وتستمع لأنغامها الشجية أعمق الأدباء والمتأدبين ، على اختلاف العصور والأزمان ، وتباين الملل والأجناس ، وقد

سقفا هذا السر حتى لا يصل قراء أشعاره فى مسارب معناه ومسالكها ، وحتى لا يستعجم عليهم فهم عباراته المتقطعة واشاراته الموجزة الخاطفة ، وتشبيهاته الممسوخة وتهاويله الغريبة ، ونوازعه المتعارضة المتضاربة ، وتمرغه المستهتر فى الحمأ الحيوانى ، وتهلله للفجر الروحى وسناه الشعشعانى

رغب بودلير فى أن تهجر جان المسرح لتكون له بكل جوارحها . فعملت غير خاسرة . لقد كانت فى الصفة الدنيا من بنات المسرح . وما زلت بهجرانها التمثيل عن مستقبل زاهر ولا عطلت ملكة مرجوة . واستتبع هذا بطبيعة الحال التزامه بها . وهو وقتئذ ما يزال موفور الرزق من حصته فى مال أبيه وقدره ٧٥٠٠٠ من الفرنكات (قيمتها الاصلية) كانت مودعة لحين بلوغه الرشد . فأقام هو فى جناح صغير فى فندق «بيمودان» الفاخر ، وأثث لها سكناً أنيقاً فى الشارع المجاور «شارع المرأة بلا رأس» . وذلك حرصاً منه على متابعة الادبية العظمى وما تتطلبه من تفرغ للدرس ، وحرصاً منه على حريته . ووافق هوى جان أيضاً ألا تكون ليل نهار فى عشرة هذا المفتون الذى لا ينى يسود الصفحات بكتابة غير مقروءة أو يهجس فى كلام غير مفهوم . فحسبها أن يذهب اليها كل ليلة ويعود منهوكا

وزادت مطالب امرأة . وكان بودلير بطبعه متلافاً يتسرب المال مدراراً من بين أنامله . وقد بدد مما ورثه ١٠٠٠٠٠ فرنك فى مدة وجيزة . فخشيت أمه عليه من العاقبة وهو سادر فى غلوائه يتلف صحته وشرفه وماله . فرفعت أمره الى مجلس القضاء إنقاذاً لبقية المبلغ من سوء المصير . فاستصوبت المحكمة حرمانه من التصرف فى المال وقضت بتوصيته . وهيهات أن يفى الريع بنفقات الخليلة ونفقاته . وكان العراك ينشب من حين لآخر بينهما فاشتدت حدته وتقاربت فتراته . وانحدر فى مهاوى الدين فطفق يستدين ولا يوفى . واذا أوفى القليل عاد الى استدانة الكثير . وكان على الدوام شديد الشغف بالنبيذ الابيض . فزادت عليه معاقرة الخمور القوية وأنواع الكحول وإدمان القهوة والاكثار من التدخين . وكأنما هذا لم يكفه فعمد الى الافيون يتعاطى خلاصته ومركباته . ثم انتهى أيضاً الى القنب الهندى (الحشيش) — وكان بدعة العصر فى باريس — فانتظم فى نادى الحشاشين فى فندق بيمودان يستمتع بهذا العقار السحرى المخدر ، فى صحبة من الادباء وغيرهم وهم جميعاً أصلب منه بنية وأمتن أسراً . فاذا أوى آخر الليل الى جان استرسل معها للمعاقرة والانغماس فى الموبقات كما يجدر بفتاة مثلها من الساقطات

هذا كله وضيع موجع . وهو يحس منه ووخزه أشد الاحساس ولكنه معذب العاطفة ملتاث الاعصاب كما رأينا . فاذا نجا بنفسه وطلب الخلاص من الرذيلة شعر بالوحشة المضنية والفراغ المرهق

وفى هذه الحال التى وصفنا ، تولدت منظومات عانى فى نظمها . وما زال يراجعها بالتنقيح

والتهذيب ، شأنه شأن الفنان المتطلب الموسوس . لا يترسل ولا يبعج بالقول سحاً . بل هو — على الرغم من كده وانكبابه على التحصيل — الى العبقرية الملهمة أقرب منه الى الحذق المكتسب

فما الذى استخلصه الشاعر من موضوع جان ديفال على دنسه ومقاذره ؟

لقد أغنانا هو عن البيان بقوله فى احدى مقطوعاته :

« أعطيتنى الوحل فصنعت منه الذهب »

ونحسب بعد الذى قدمناه أنه أصبح من الواجب ترك الكلمة مرة أخرى للشاعر نفسه يحدثنا حديثه الموجع المشجى فى ديوانه « أزاهير الشر » عن زهرته السوداء وحبه الملعون وعطرها المسموم فيناجيها هائما ذاقاً :

« أهيم بك هيامى بقبة الليل . يا آنية الحزن . يا حابية الصمت !

« وزاد فى حبيك أنك تخافيننى ، وأنك يا زينة ليالى تباعدين الشقة بين ذراعى وبين هدى السموات الصافية

« ولكننى أبداً عارج نحوك . أساورك وأصعد اليك . كما يصعد الى الجثة فوج من الديدان

« أنا — أيتها الضارية التى لا تنتهى لها عنة — عاشق وامق أهوى حتى جفاءك . فأنت به أبدع فى ناظرى وأروع »

ويبلغ الالم بصرخ عنده بصرخة الفسحة صرخة الحار اليائس فى حضيض أسره . لاقوة له على الخلاص إلا أن تموت آسرته . فهو هنا يفكر فى الاحرار بعشقه من دونها لا الانتقام :

« أيتها الداخلة فى قلبى الشاكى كطعنة سكين . المقبلة فى قوة كصمة من الشياطين ، المفتونة المتبرجة اتخذت سريرها وملكها فى عقلى الراغم المستكين

« أيتها الساقطة التى أنا موثق بها كالسجين بأغلاله . وصريع المقامرة بالمقامرة والسكير بزجاجة الشراب ، والديدان بالجيفة

« لعينة ، لعينة أنت

« ناشدت المنصل القاطع أن يمكننى من حريتى ، وهتفت بالسم الناقع أن يغيث نفاقى

« فازورى بى السم والمنصل وتلاحيانى : لست أهلا لاعتاقك من أسرك المنكر ، فلو عملنا — يا مأفون — على انقاذك من سلطانها لأحييت بحرارة قبلاتك جثة مصفتك ومستنزفة دمك »

وعاش شارل بودلير وجان ديفال فى صراع صامت لدود لم ينته الا بانتهاء حياته . ولم يكن ما بينهما صراع الرجل والمرأة فقط ولا صراع الاجناس فقط بل صراع الانواع . ودارت المعركة ليل نهار بغير مهادنة ، معركة حياة وموت من أجل غرام يرنضيه جسده وتنفر منه نفسه

فهل يلام بعدئذ اذا هو واجه قارئه بهذا الخطاب وعرض له ديوانه هذا العرض ؟!

« أيها القارىء المطمئن الوادع ، يا رجل الخير ، السليم الطوية القنوع ، اطرح من يدك هذا الكتاب المنحوس

« إذا كنت لم تتلق بيانك على الشيطان العميد الماكر ، فاطرح كتابي ، فلست واعيا منه شيئاً ، أو أنت معتقدي لوثة العقل والخبل

« أما إذا استطاع طرفك — غير مفتون — أن يمعن فى الأغوار ويغوص فى الغمرات ، فاقرأني تتعلم حبي

« أجل ، أيتها النفس المتطلعة التى تألم وتحوم باحثة عن فردوسها ، إرث لى . . . . وإلا عليك لعنتى »

ولئن كانت هذه المرأة الجامدة — هذه الثمرة الضارية ، قد طبعت بمخلبها الناشب الدامى جميع أشعاره ، فإن الشاعر لم يفقد روحانيته جميعاً . بل على عكس ذلك ظلت منظوماته مزيجاً من الجسد والروح ، من الجلال والحرقة والمرارة ، من كل ما هو حسى به وكل ما هو أزلى خالد :

« تبارك سوط عذابك يا رب
« بورك — يا أبتاه — فى الألم
« إن نفسى بين يديك ليست أضحوكة فارغة
« حاشاك ، فإن حكمتك لا حد لها »

عبد الرحمن صدقي

كلمات ذهبية لشوقى

- من أحب المال تعب بجمعه ، ومن أحبه المال تعب بتبديده
- الثورة جنون طرفاه عقل
- السجون اذا امتلأت انفجرت
- العامة أذناب من يمسح رءوسهم
- العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة
- الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات
- ربما تقتضيك الشجاعة ، أن تجبن ساعة
- يهدم الصدر الضيق ما يبنى العقل الواسع
- اذا كثر الشعراء قل الشعر

الشيب والصلع

أهم أسبابهما وأشهر حوادثهما في التاريخ

الشيب والصلع عرضان يعروان عادة في رأس الانسان إذا جاوز سن الشباب ودخل طور الكهولة . وقد يجيئان معاً أو منفردين ، وقد يتقدمان أو يتأخران تبعاً للعوامل الفسيولوجية أو الانفعالات النفسانية . وقد أثبت الاختبار أن الشيب عام في كلا الذكور والاناث وأن الصلع يكاد ينحصر في الرجال فقط الا في أحيان قليلة تصاب به النساء . كما أن الشيب أسبق إلى شعر الرجل منه الى شعر المرأة . فبينما ترى شاباً في الخامسة والعشرين من عمره قد بدأ الشيب يدب في رأسه قلما تجد فتاة لاح الشيب في شعرها قبل الخامسة والثلاثين أو الاربعين

وقد اختلف العلماء في تعليل الشيب فذهبوا في ذلك مذاهب شتى . أقربها الى المعقول أن خلايا الشعر في جلد الجمجمة تلد مادة ملونة وتبثها في الشعر فتكسبه لونه . فاذا عجزت هذه الخلايا عن صنع تلك المادة بسبب السن أو سوء التغذية أو عدم انتظام الدورة الدموية أو غير ذلك انقلب الشعر شائباً

وكذلك اختلف العلماء في تعليل الصلع . وأقرب ما ذهبوا اليه المعقول أن خلايا الشعر اذا أتلفت بسبب سوء التغذية أو سوء الدورة الدموية ضعف الشعر وأصيب المرء بالصلع

وللخوف تأثير عظيم في الشيب . وكثيرة جداً الشواهد على ذلك . وكثيراً ما قتل الخوف الانسان خفة . ولا يخفى أن في الجسم غدتين تعرفان بالاورناليتين وموقعهما فوق الكليتين وكل منهما بحجم الجوزة الطيبية . وهاتان الغدتان تفرزان مادة كيماوية لها أكبر الاثر في أخلاقنا وأعمالنا وانفعالاتنا . ويظهر أثرها في الخوف وانتصاب الشعر والشيب ظهوراً واضحاً

وليس هذا مكان التبسط في تبيان العلاقة بين افراز الغدتين الاورناليتين من جهة ، والشيب أو الخوف من جهة أخرى . . وانما نحن بصدد ظاهرة فسيولوجية غريبة هي الشيب الفجائي لان للشيب الطبيعي بحثاً آخر ليس هنا موضعه

كان الاقدمون يرصدون أنفسهم على دقة الملاحظة أكثر مما نفعل نحن في الوقت الحاضر . فكانوا يعللون بعض الامراض والظواهر تعليلات قد تبدو لنا اليوم غريبة ، ولكنها في الواقع لاتخلو من الحقيقة . وأكثر ما كانوا يعللونها به البرد والانفعالات . وكان العلماء حتى أوائل هذا القرن ينكرون تأثير هذين العاملين ثم عادوا الآن الى درسهما والتبحر في قوتهما . وقد انتهى الكثيرون الى التسليم بصحة نظرية الاقدمين في أحوال كثيرة

خذ داء التهاب الرئة مثلا . فقد أثبت العلم ان سببه ميكروب معروف اما الاقدمون فكانوا يقولون ان سببه البرد . والاطباء يعلمون اليوم أن البرد ملائم لميكروب هذا الداء اذ يقوى نشاطه ، ومن الجهة الاخرى يضعف قوة الجسم على المقاومة . ومعنى ذلك أن قول الاقدمين ان داء التهاب الرئة ينشأ عن البرد لا يبعد كثيراً عن الحقيقة

وكذلك القول في الانفعالات النفسانية . فقد كان الاقدمون يعللون بها كثيراً من الامراض والاعراض . ثم جاء عليه العصور الحديثة فنكروا ذلك التعليل ثم عادوا يعترفون به في حالات كثيرة . وحوادث الوفيات بسبب الانفعالات النفسانية كثيرة متعددة

وقد ثبت اليوم أن للانفعالات علاقة متينة بالشعر والجلد . وكان العلماء حتى أوائل القرن الحاضر ينكرون هذه العلاقة وقد كثر الجدل بشأنها . على ان شواهد التاريخ — وهي كثيرة — تثبت لآن تلك العلاقة . فقد ذكر كرانتر من كبار الاطباء ان جماعة من الرهبان في مدينة بريم أرادوا مرة أن ينصبوا واحداً منهم على كرسي الاسقفية وكان راهباً صغير السن . ونظراً الى حداثة سنه لم يكن بد من الحصول على اذن من [illegible] للموافقة على الامر فذهب الراهب المحكي عنه الى روما . ولما وقعت عين البابا عليه لم يأذن في نصبه اسقفاً [illegible] حداثته . فحزن الراهب حزناً لا يوصف حتى شاب شعره في الليلة التالية [illegible] ذهب [illegible] في الاسبوع [illegible] دهش هذا من ابيضاض شعره وخيل اليه ان الله قضى بذلك [illegible] انه ليس [illegible] صغيراً . وبعد عيه عاد فأذن بنصبه أسقفاً

وفي التاريخ ان احد ملوك [illegible] خرج الى الحرب تاركاً [illegible] زوجته وكان يحبها حباً جماً . الا انها كانت تحب احد اشراف المملكة حباً لا يدري به احد . وبينما كان زوجها في ميدان القتال ذات يوم ، كتبت اليه رسالة وكتبت الى عشيقها رسالة اخرى . وغلطت فوضعت رسالتها الى زوجها في غلاف رسالة عشيقها . ووضعت رسالتها الى عشيقها في غلاف رسالتها الى زوجها . فلما اطلع الملك على خيانتها هرول مسرعا الى عاصمة ملكه فقتلها هي وعشيقها . وفي تلك الليلة رأى حلماً ملأه رعبا وهلعا فلما استيقظ في صباح اليوم التالي رأى شعره قد ابيض من شدة الخوف . فلجأ الى احد الديور وقضى فيه بقية عمره

وفي تاريخ العصور الحديثة امثلة كثيرة من هذا القبيل وكلها مما يوثق بصحته لان رواتها من افاضل المؤرخين المحصين والاطباء المشهود لهم بصدق الرواية ودقة الملاحظة . ومن هؤلاء الطبيبان البير وبيشا ، وقد شهد كلاهما الثورة الفرنسية ونال بين قومه شهرة واسعة ، وكان اولهما من اهالي مدينة فيلفرانش وعاش من سنة ١٧٦٦ الى سنة ١٨٣٧ وثانيهما من اهالي توارت بجبال الجورا وقد عاش من سنة ١٧٧١ الى سنة ١٨٠٢ وله مصنف مشهور بعنوان « التشريح العام » وقد ذكر اولهما

ما وقع لرجل اصيب بهلع شديد ثلاث مرات متتالية . فعلى اثر المرة الاولى ابيضت لحيته بمقدار النصف . وعلى اثر المرة الثانية ابيض نصف شعره . وعلى اثر المرة الثالثة ابيضت خصلة من شعر صدره

وتاريخ الحرب العظمى الماضية مفعم بحوادث من هذا القبيل . فان الذعر الذى أصاب بعض الجنود فى المعارك من انفجار القنابل ورؤية الجثث تتعاظم ، شيب رؤوس الكثيرين من أولئك الجنود وترك بعضهم صلعاً . وفى سجلات تلك الحرب أن بعض الجنود الذين حكم عليهم بالموت بسبب الفرار من الجيش أو الخيانة العظمى أو ما الى ذلك ، شاب شعرهم فجأة عند ما جيء بهم لتنفيذ حكم الموت فيهم

وقد ذكر المؤرخون عن الملكة مارى انطوانيت انها لما سمعت بالحكم الذى صدر بموتها وموت زوجها ابيض شعرها فى الحال . وفى كتب التاريخ المطولة وصف للهلع الذى استولى عليها وهى فى السجن تنتظر موتها وهو وصف تقشعر منه الابدان . وفى التاريخ ايضاً أن السر توماس مور وزير هنرى الثامن ملك انكلترا ومؤلف كتاب « اوتوبيا » لما ان عارض سلطة الملك الدينية حكم عليه بالموت . ولما جيء به لتنفيذ الحكم وجدوا ان شعره قد شاب من الخوف

وفى سجلات وزارة الخارجية الفرنسية أن احد الاساتذة الفرنسيين كان فى روسيا عند نشوب الثورة البلشفية الاخيرة فحكم عليه البلاشفة بالموت ثم عفوا عنه فى اللحظة الاخيرة . وكانت نتيجة ذلك ان شاب شعره فى ليلة واحدة

ومما يروى من هذا القبيل انه لما غرقت الباخرة « تيتانيك » فى سنة ١٩١٢ غرق معها الكثيرون من الرجال والنساء والاولاد . وأسرعت الباخرة « كارباثيا » لانقاذ من يمكن انقاذهم من الغرق . وقد ذكر طبيب هذه الباخرة أنه ابصر جثث أولاد كثيرين طافين على وجه الماء وقد ابيضت شعورهم من الهلع بلا شك

وذكر شاركو الطبيب الفرنسى الشهير والاخصائى فى الامراض العصبية (عاش من سنة ١٨٢٥ الى ١٨٩٣) أن احد جنود السباهى حوكم سنة ١٨٥٩ امام مجلس عسكرى بتهمة عقوبتها الموت . ولما ادرك حقيقة العقوبة اخذ يرتجف بشدة وظهر الهلع على وجهه وفى حركاته ظهوراً واضحاً ، ثم استولى عليه الذهول من شدة الذعر ولم يمض عليه نصف ساعة حتى بدأ الشيب يدب فى شعره ، وكان اسود جداً ، ووخطه الشيب تدريجاً ولكن بسرعة حتى ابيض شعر راسه كله قبل الفراغ من محاكمته

وذكر الدكتور قابز الفرنسى ان جول جونكور المؤلف الفرنسى المشهور توفى سنة ١٨٧٠ عن أربعين عاماً . وسير به الى المقبرة وأخوه ادمون الكاتب المشهور يتبع جثمانه وقد استولى عليه

هلع ونحول عظيمان . وفى أثناء السير لحظ الجمهور أن شعر الاخ قد أخذ يشيب لحظته . وما كادوا يصلون الى باب المقبرة حتى كان الشيب قد عم رأسه كله

والتاريخ مفعم بالشواهد التى من هذا القبيل ، وكلها دليل على فعل الهلع فى شعر الانسان . ونختم تلك الامثلة بمثال يتعلق بشيب الحيوان وقد رواه الدكتور هنرى بوكيه فى جريدة والعالم ، وعنه نقلنا بعض الامثلة انفة ذكرها . وخلاصة ذلك أن باخرة انجليزية تدعى جلاديز غرقت سنة ١٩٢٩ على كثب من « لوزتوفت » وقد أمكن انقاذ الركاب وبينهم قط أسود الشعر ويظهر أن الهلع استولى على القط عند الشعور بالغرق فان شعره ابيض فجأة عند انقاذه . وهذا دليل على أن للهلع تأثيراً فى الحيوان لا يختلف عن تأثيره فى الانسان

وذكر الدكتور صوليه فى خطبة القاها فى جماعة الاطباء الجراحين فى مدينة مونبلييه عدة حوادث أخذها من سجلات الحرب وكلها شاهد على ما كان لحوادث الحرب من انفجار القذائف وتطاير الاشلاء وغير ذلك من التأثير فى لون شعر بعض الجنود

✩ ✩ ✩

وننتقل الآن من الشيب لنتحدث الى الصلع الذى يسببه الخوف . والصلع كالشيب لا يجىء بسبب شعر الرأس فقط ، الا أن الدكتور بوكيه ذكر حادثاً وقع لرجل ذى لحية سوداء أصيب بذعر خاطف فابيض شعر رأسه ولحيته ثم سقط بأسرع وقت وسقطت لحيته كلها . وهذا هو الشاهد الوحيد المعروف عن أثر الهلع فى لحية الانسان على هذا الوجه . وقد نشر الاستاذ رينار من علماء بروكسل منذ عهد قريب بحثاً مسهباً فى الصلع الذى يلحق بصاحبه حوادث تثيره كتبه . من ذلك أن ولداً صغير السن كان يحرس ذات ليلة رحى فى احدى قرى البلجيك . وعند منتصف الليل أبصر رجالا قد دخلوا وأخذوا أكياساً من الدقيق . فاستولى عليه ذعر شديد لانه ظنهم لصوصاً ولم يكونوا كذلك . وما هى الا بضعة أيام حتى أخذ شعر رأسه يتساقط بسرعة من شدة الهلع وأصيب بصلع تام

وأورد الاستاذ رينار حكاية أخرى خلاصتها أن ولداً صغير السن قتل أبوه فاستولى عليه ذعر شديد وما هى الا بضعة أيام حتى أصيب بالصلع وسقط نصف شعر رأسه

والمعروف أن الذعر الذى يستولى على بعض المضاربين فى «البورصة» يسبب الصلع ، والشواهد على ذلك كثيرة لا يتناولها الحصر

وفى سجلات الحرب أمثلة عن جنود أصيبوا بالصلع الفجائى بسبب الذعر الذى استولى عليهم عند انفجار القذائف وتطاير الاشلاء حولهم . ترى ما تعليل ذلك علمياً ؟

كان « لمينوس » من أطباء القرن السادس عشر . وقد علل ما نحن بصدده بقوله : « انه عندما يحدق خطر الموت بالانسان يتدفق الدم الى داخل الجسم فتعجز الاعضاء عن القيام بوظائفها ويمتنع

معها جانب كبير من حرارة الجسم . وينتج عن ذلك أن الأبخرة التي تتصاعد من تحت الجلد وتغذي بصيلات الشعر كما تغذى الأرض القمح،تقف ويصاب الشعر بما يصاب به النبات عند ما يقف عصيره عن السريان فيه .

وعلل الأستاذ ليبار هذه الظواهر تعليلا آخر بناه على نظرية للأستاذ متشنيكوف ، خلاصته أن الشيب ناشيء عن خلايا خاصة تسمى « الخلايا التي تمص اللون » وهذه الخلايا تمص المادة الملونة للشعر وتهضمها . وبمرور الزمن واستطراد الشيخوخة يزول سواد الشعر شيئاً فشيئاً . فعند حصول الهلع أو الذعر تقوم الخلايا المذكورة بشبه هجوم عام على المادة الملونة فتمتصها بقوة عصبية . فينشأ عن ذلك شيب الشعر

ولكن ما تأثير الذعر حتى انه يحمل تلك الخلايا على القيام بهجوم عام ؟ وبعبارة أخرى — ما فعل الذعر في تلك الخلايا ؟

تعليل ذلك على ما يظهر أن الذعر يهز الجهاز العصبي هزة عنيفة ويهيج الخلايا التي نحن بصددها فتقوم بوظيفتها بنشاط يزيد على الحد الاعتيادي

وهنالك تعليلات أخرى كثيرة لا يسعها هذا المقال وقد لا يخلو بعضها من شيء من الحقيقة . على أن المباحث الطبية الحديثة تؤكد لنا أن بين الشيب والصلع من جهة وإفرازات بعض الغدد من جهة أخرى علاقة متينة . ويقول بعض العلماء إن وجود خصل بيضاء في شعر الأشخاص المصابين بمرض « بازدو » (أي جحوظ العين عن تضخم الغدة الدرقية وبعض الأطباء ينسبونه إلى زيادة نشاط هذه الغدة) دليل على صحة هذه النظرية . وقد قام الدكتور ساتون بتجربة من هذا القبيل فحقن طائفة من الدجاج والأرانب بكميات كبيرة من خلاصة الغدة الدرقية . فكانت النتيجة أن ابيض شعر الدجاج ووبر الأرانب في الحال . وذكر أيضاً الأستاذ سيزاري انه فحص رجلا أصيب بمرض « بازدو » المشار إليه ثم أصيب بعد ذلك بالشيب والصلع متتابعين بسرعة

وفحص الدكتور داريه مريضاً أصيب بالشيب والصلع فجأة فاتضح له أن السبب ليس هو زيادة نشاط الغدة الدرقية بإفراط بل بالعكس كسلها وخمولها . ومن هذا يستدل على أن نشاط الغدة الدرقية في حد ذاته أو كسلها ليس هو سبب الشيب والصلع ، بل إن سببهما هو فساد توازن عمل الغدة وعدم انتظامها في القيام بوظيفتها . ومن المحتمل أيضاً ألا تكون الغدة الدرقية وحدها هي سبب الشيب والصلع بل أن يكون لبعض الغدد المرتبطة بها تأثير جلي

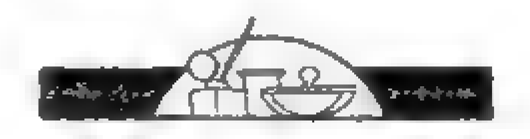

تشندورف

وقصة حصوله على التوراة السينائية

ابتاعت الحكومة الانجليزية نسخة التوراة السينائية المشهورة باسم «كودكس سينا تيكوس» بمائة ألف جنيه. وقد كتبت في أواسط القرن الرابع بعد الميلاد. وهي من أقدم نسخ التوراة إن لم تكن أقدمها. وعثر على هذه النسخة النفيسة البروفسور تشندورف في دير القديسة كاترينا بشبه جزيرة سينا. وفي هذا المقال قصة عثوره عليها وإنقاذه لها من الحرق، ثم جهوده التي بذلها حتى خرجت من الدير وأودعت في المكتبة الملكية ببطرسبرج، إلى أن اشترتها الحكومة الانجليزية وأهدتها إلى المتحف البريطاني

ولد البروفسور الدكتور كونستنتين فون تشندورف في لنجفلد من أعمال سكسونيا إحدى ممالك جرمانيا سابقاً في ١٨ يناير من السنة ١٨١٥، ودرس في أحسن المدارس الابتدائية والثانوية ثم انتظم في سلك التعليم العالي بجامعة ليبسك ووقف جهوده على درس اللاهوت الإنجيلي والفيلولوجيا (علم مقابلة اللغات) فكان يدرس بهمة لا تعرف الكلل والفتور فحاز امتحاناته النهائية بنجاح تام وتفوق في معرفة اللغات القديمة، كاليونانية والعبرية واللاتينية والسريانية، تفوقاً عظيماً حتى أصبح مرجعاً فيها. وامتاز أيضاً بمقدرته الفائقة على قراءة المخطوطات القديمة من الكتاب المقدس التي شغف بها كل الشغف، فلم يترك مخطوطاً في مكتبة جامعته أو مكتبة دون مطالعته بدقة وإمعان. وقدم إلى عمادة الجامعة في السنة ١٨٤٠ مؤلفين فيهما بحث في العهد الجديد (من الكتاب المقدس) انتقد فيهما الترجمة وعرض اقتراحات معقولة في إصلاحها وكلل بمكافأة حسنة ومنح لقب دكتور في اللاهوت. وأجيز له أن يلقي محاضرات في جامعة ليبسك وفيما بعد عين بها أستاذاً (بروفسوراً) قانونياً لعلم اللاهوت الإنجيلي وعلم مقابلة المخطوطات القديمة. ولكي يتمكن من إصلاح ترجمة العهد الجديد الإصلاح المطلوب قصد إلى جامعة باريس ليطالع في مكتبتها المخطوطات القديمة ولا سيما النسخة الافرائيمية السريانية، فلم يعسر عليه قراءة بعض النسخ ونسخها، ولكنه وجد صعوبة شديدة في قراءة النسخة الافرائيمية وحل رموزها، وبعد أن ناوله قيم المكتبة النسخة، قال له: «قد حاول أكبر علماء الفيلولوجيا وأرسخهم قدماً قراءة هذه النسخة المزدوجة الكتابة، فإنها مكتوبة على رق غزال، كتب عليها أولاً باليونانية ثم وقع فيها خطأ فكتبت ثانية بالسريانية، وحباً في الاقتصاد محيت الكتابة على الرق بمعالجتها بمواد كيماوية ثم أعيدت الكتابة على السطور، وكان الخط الجديد مختلطاً بالخط القديم الذي لم تمكن إزالة أثره تماماً، فرجع جميع المحاولين بخفي حنين. ولا بأس من محاولتك فك معمياتها. على أني أسبق وأؤكد لك بأنك لا تستفيد شيئاً، بل تضيع أوقاتك سدى، إن كتابة هذه

النسخة ستبقى على مر الاعوام مغلقة أمام كل البشر » . وأما علامتنا فلم يكن يؤمن بالمستحيل ففتحها وجعل يتأمل فيها يوماً بعد يوم بصبر جميل وجلد عجيب . وبعد جهود جبارة تمكن من حلها . وقد استغرق هذا العمل سنتين كاملتين . فدهش العلماء في باريس وسواها من هذا العمل الجبار وغمروه بالمدح والثناء . وبواسطة هذا العالم المجتهد استيقظت هذه النسخة من رقادها بعد الف سنة ونيف فكانت أشبه بخط الهيروغليف الذي لم تحل رموزه إلا قبل ذلك بعقود قليلة من السنين . وذاع اسم تشندورف بين العلماء وفتحت له المكاتب في سائر انحاء العالم أبوابها وفيها نحو ٣٠٠٠ نسخة خطية للكتاب المقدس . فقرأ عشرات من نسخ الكتاب المقدس القديمة في مكاتب لندن وهولندا وسويسرا ومكاتب مدن ايطاليا ولا سيما رومية . وفي مكتبة الفاتيكان استأذن قداسة البابا أن ينسخ النسخة الفاتيكانية وهي في القدم تكاد تكون معادلة للنسخة السينائية أي من القرن الرابع الميلادي . فقابله البابا غريغوريوس السادس عشر — وهو يقدر فضله على العلم — بغاية العطف والاكرام . وكان يميل الى تلبية طلبه . على أن الكردينال ماي (May) قيم المكتبة تمكن من اقناع البابا بالعدول عن عزمه ذلك لانه أراد هو نفسه أن ينسخها وينشرها . وقد فعل ذلك فيما بعد فسمح لتشندورف أن يتأمل فيها ست ساعات فقط . على أنه في السنة ١٨٦٧ سمح له أيضاً بنسخها وطبعها باسم « النسخة الفاتيكانية للعهد الجديد » . وتمكن في السنين التالية أن يصدر عدة طبع قيمة من الكتاب المقدس وبذلك تمكن العلماء من قراءة الكتاب المقدس بلغاته الاصلية كما وضعه الكتاب أولا

بعد أن قرأ ما استطاع قراءته من النسخ في مكاتب أوربا خطر له أنه لا بد من وجود نسخ مخطوطة قديمة للكتاب المقدس في أديرة الشرق ربما كان بعضها أقدم من النسخ المعروفة في أوربا . وصحت عزيمته على السفر اليها فصمم على أن يزور الاسكندرية فسيناء فالقدس فالقسطنطينية ومنها يتوجه إلى جبل آتوس وبلاد اليونان

في السنة ١٨٤٤ بدأ رحلته الشاقة ووصل سالماً إلى مصر ولم يقم فيها طويلا ثم واصل السفر على ظهور الجمال إلى دير (١) القديسة كاترينا في شبه جزيرة سيناء . وبعد سفر مضن دام اثني عشر

---

(١) بنى هذا الدير الامبراطور يوستنيانوس في السنة ٥٣٠ وأسماه دير القديسة كاترينا تذكاراً لاعطاء الله الشريعة المقدسة على جبل سينا . وشيد على هيئة قلعة يحتمي به الرهبان من غارات البدو المنتشرين في ضواحيه . ويحيط بالدير سور عال من الجهات الأربع . وكيلا يدخل البدو وغير المرغوب فيهم الى الدير متى شاءوا جعل الباب الذي يدخل منه الى الدير في الطابق الأعلى على علو عشرة أمتار . وكانوا يرفعون من يرغبون في إدخاله الى الدير بواسطة حبل ملفوف على بكرة عظيمة وهي تدار باليد بواسطة دولاب كبير . وفي الوقت الحاضر يدخل زائر الدير من باب في أسفله مساو للارض . والى جانب الدير جامع ذو مأذنة عالية احتال الرهبان في بناء هذا الجامع حتى لا يتعرض العرب للدير بعد أن حاربوا الروم في مصر وتغلبوا عليهم وحكموا البلاد في أواسط القرن السابع الميلادي

يوماً وصل مع القافلة إلى الدير . والتوصيات الكثيرة التي يحملها سمح له أن يدخله وأن يقيم فيه عدة أسابيع . وبعد أن ارتاح من سفره أراه الرهبان الدير ومحتوياته وذهبوا به أخيراً الى مكتبة الدير ، فدخلها بشوق شديد وقلبه يخفق لعله يجد فيها الكنوز التي يطلبها ، وشاهد على الرفوف كتباً مطبوعة وخطية ورقوقاً أكل عليها الدهر وشرب فجعل ينزل عنها كتاباً بعد كتاب ويتفحصه بدقة واعتناء فوجد كتابات كثيرة ثمينة ولكنه لم يجد ضالته أي نسخة كاملة مخطوطة للكتاب المقدس . وعند ما كاد يقطع الأمل من الوصول إلى بغيته شاهد سلة مملوءة من الكتب والرقوق القديمة فاستأذن قيم المكتبة الراهب كيريوس بتفريغها والنظر الى محتوياتها فسمح له بذلك وقال وهو يبتسم : « قد ملأنا هذه السلة الأخيرة مرتين من مثل هذه الأشياء البالية وحرقناها تخلصاً منها وهذه معدة للحرق أيضاً » فأفرغ تشندورف السلة وشرع يتفحص الكتب والرقوق . وإنه لكذلك ، إذا قلبه يخفق فرحاً وأساريره وجهه تبرق ابتهاجاً فقد وجد ما تجشم مشاق السفر لأجله ، عثر على نسخة من الكتاب المقدس مخطوطة محتوية على ١٢٩ رقاً مكتوباً باللغة اليونانية بموجب الترجمة السبعينية ومحتوية على العهد القديم وعلى كل رق أعمدة كل أربعة منها في صفحة . وعلم بما له من الممارسة والخبرة أن هذه النسخة أقدم نسخة معروفة وتفوق في قدمها النسخة الفاتيكانية . على أنه كان ينقصها العهد الجديد . ولأنها كانت معدة للحرق طلب من رئيس الدير أن يهبه منها ٤٣ رقاً فسمح له بها . وأما بقية الرقوق فاحتفظ بها الرهبان بعد ما رأوا من غبطة تشندورف واهتمامه أنه ربما كان لها فائدة . على أنه لم يمنعه من أن يستنسخ في ليلة واحدة ثمانين رقاً الباقية وأن ينسخ منها ما شاء فنسخ منها سفري أشعيا وارميا . وقبل أن يغادر الدير رجا رهبانه أن يحتفظوا بهذه الرقوق ويعيروها كل الاحتفاظ إلى أن يعود مرة ثانية إلى الدير بعد أن يكون قد قابل قيصر الروس أكبر حام للمذهب الارثوذكسي وأوصاه خيراً بالدير .

عاد تشندورف الى ليبسك في السنة ١٨٤٥ بعد أن زار أديرة عدة في الشرق ومعه نسخ كثيرة للكتاب المقدس باليونانية والسريانية والقبطية والعبرية وغيرها . وشرع في الطبع والنشر والتعليق على ما جمعه وفي جملتها الثلاثة والاربعون رقاً التي جاء بها من سيناء والمحتوية على قسم من العهد القديم . ولكنه لم يشر إلى المكان الذي وجدها فيه خوفاً من أن يطمع أحدهم في الحصول عليها بواسطة إغراء أهل الدير بمبلغ كبير يرضيهم . ثم انه حاول أن يحصل عليها بواسطة صديقه الدكتور بروتر بك طبيب الخديو السابق في القاهرة وعرض على رهبان الدير شراءها منهم بثمن يرضيهم فورد اليه الجواب بأن الرهبان يحتمون كل الامتناع عن بيعها بأي ثمن كان بعد أن عرفوا قيمتها

فعزم على السفر مرة ثانية إلى سيناء وقال في نفسه إن لم أوفق الى شرائها يمكنني على الراجح أن أنسخها كلها . وخابر بذلك وزير الأديان في سكسونيا فوافقه على مشروعه وأمده بمبلغ من

المال . وفى السنة ١٨٥٣ سافر الى سيناء بعد غيابه عنها تسع سنوات . ولما سأل عن الستة والثمانين رقاً التى تركها وقتئذ أنكر الجميع أنهم يعرفون شيئاً عنها فشعر بالخيبة والفشل ، وظن أن أحد العلماء علم بها وابتاعها وذهب بها اما الى بلاد الانكليز أو الى روسيا فترك الدير دون ان يحصل على مرغوبه ، ولكنه اعتاض عن اتعابه بأن عثر على كتابات ولمح ثمينة فى مكتبة الدير وفى مكاتب رهبان الشرق المختلفة فرجع بها فى صيف سنة ١٨٥٣ وشرع فى طبعها ونشرها وكان يترقب باهتمام خبراً عن عثور أحد على الستة والثمانين رقاً فى انكلترا أو روسيا ولكن بلا جدوى . فمضت ست سنوات دون أن يسمع شيئاً عن تلك النسخة

عزم أن يقوم برحلة ثالثة الى ذلك الدير ورغب هذه المرة فى أن يطلب مساعدة قيصر روسيا علماً منه أن رهبان الدير حالما يعلمون أنه موفد من قبل القيصر حامى ايمانهم يفتحون له أبوابهم وقلوبهم

لما عرض تشندورف هذا الفكر على وزير الاديان فى درسدن عاصمة سكسونيا وافقه عليه وقدما طلباً الى سفير روسيا فى درسدن رجوا فيه أن يوصل الطلب الى قيصر اسكندر الثانى ، وفيه رجا تشندورف القيصر فى أن يتوسط له عند رئيس دير القديسة كاترينا فى سيناء بالحصول على كتابات مقدسة قديمة ووعد ان يكون الشيء ملكاً للقيصر بعد أن ينسخه ويطبعها . وأشار الى أهمية هذه الكتابات للعالم المسيحى أجمع

وأظهر السفير من أول لحظة أعظم اهتمام بالأمر وهو يعلم اهمية المشروع ويرجو أن يكون هذا الأثر الثمين هبة مقدمة ملكاً لروسيا . وعرض المشروع على جمعية بطرسبرج فاستحسنته عمدتها كل الاستحسان . ووصل خبر المشروع الى الامير قسطنطين أخى القيصر والى الامبراطورة وأمها فاظهروا كل ارتياح الى مناصرته . ثم وصل الطلب الى القيصر فاستحسنه وكلف تشندورف أن يسافر الى هنالك كمندوب قيصر روسيا . وذات يوم دعا تشندورف سفير روسيا فى درسدن اليه ونقده مبلغاً وافراً من المال للانفاق فى سفره ولابتياع النسخة المطلوبة اذا أمكن

فى أوائل يناير سنة ١٨٥٩ قام تشندورف برحلة ثالثة الى سيناء فوصل الى الدير فى أواخر الشهر نفسه

قوبل تشندورف من أهل الدير كما يليق بمندوب قيصر روسيا من التعظيم والترحاب ، وخاطبه رئيس الدير بعد أن اطلع على توصية القيصر به قائلا : « انى آمل و أرجو أن تتوفق إلى نور جديد والى مستندات جديدة لوجدان الحق الالهى ! »

بعد أن استراح من وعثاء السفر سأل الرهبان بلهفة عن الستة والثمانين رقاً التى نجاها هو من الحرق قبل خمس عشرة سنة . فاظهر كل واحد منهم أنه لا يعلم شيئاً عنها حتى ولا قيم المكتبة الراهب

ليزلوس، فأسف أشد الأسف واعتراه حزن شديد اذ ظن ان اتعابه ومساعيه ذهبت ادراج الرياح، غير أنه وجد في المكتبة عدة رقوق وكتب ثمينة لم يعثر عليها قبلا فسمح له أن يأخذها معه وقد نسخها ونشرها فيما بعد

بعد مضي أسبوع منذ وصوله الى الدير انتهى من عمله وأخذ يستعد للرحيل فأوصى المتعهد أن يكون مستعداً هو وجماله للسفر في السابع من شهر فبراير . وفي اليوم الاخير قبل مبارحته الدير ذهب للتنزه مع ايكونيموس الدير (مديره) الى سهل الساحة حيث يظن أن الاسرائيليين كانوا واقفين يصغون الى وصايا الله العشر ، وعند رجوعهما وهما يتجاذبان أطراف الحديث أظهر الراهب اعجابه وارتياحه إلى الطبعات المختلفة اليونانية للعهد الجديد التي أصدرها تشندورف وأهدى نسخاً منها للدير ، فقال تشندورف انه يعتبر هذا العمل من أهم أعمال حياته ، وبعد أن وصلا إلى الدير أراد تشندورف أن يودعه ويصعد الى حجرته فدعاه الايكونيموس ليذهب معه إلى حجرته ويشرب شيئاً من المنعشات فلبى دعوته . وبعد أن جلس معه قال الراهب : « ولدي نسخة من العهد القديم أود أن أريك اياها » ثم ذهب ووضع حرامه وأتى منها بنسخة كبيرة جداً مغطاة بقطعة قماش حمراء ، وبعد أن أزيل الغطاء شعر تشندورف بهزة طرب وفرح أشرقت حيث وجد رقوقاً كثيرة مكتوبة باليونانية بحرف جميل كبير في أربعة حقول ومن ضمنها عدة نسخة والمائة وستون رقاً التي تركها قبل مغادرته الدير منذ خمس عشرة سنة ومنها كان قد أخذ الثلاثة والاربعين رقاً وقد طبعها في ليبسك طبعاً متقناً . اعتراه ما لا يوصف من الدهشة والبهجة اذ رأى أمامه ما يبحث عنه منذ سنين وما تجشم لاجله من أتعاب السفرتين الاخيرتين ونفقتهما الباهظة ، لا بل وجد اكثر مما كان يرجو ، وجد عدا رقوق العهد القديم رقوق العهد الجديد كاملة من أول عدد في انجيل متى الى آخر عدد من سفر الرؤيا . ووجد أيضاً انجيل برنابا الذي استعمله المسيحيون في القرون الاولى والذي حكمت المجامع فيما بعد بعدم قانونيته واختفى على توالي القرون من الوجود . وعثر كذلك على رسالة « راعي هرماس » المفقودة أيضاً والاخيرتان غير كاملتين . وكان عدد الرقوق كلها ٣٤٦ رقاً ، فرجا الايكونيموس أن يأخذها الى غرفته ليتأمل فيها . ومن عظم فرحه بهذا الكنز لم ينم تلك الليلة ، وعند الصباح ذهب تشندورف الى الايكونيموس وعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال ليتوسط لاهداء هذه النسخة لقيصر روسيا الذي يعطف عطفاً عظيماً على الدير فرفض الايكونيموس الوساطة والهبة وهو يقول : « اذا كانت هذه الرقوق ذات قيمة فهي ستبقى ملكاً للدير » على انه سمح له بعد استشارة رئيس الدير أن ينسخ منها ما شاء ، ولكن نسخها كلها وعدد اسطرها لا يقل عن ١٢٠٠٠٠ سطر يستلزم زمناً طويلا . ولو اتفق رهبان الدير لاتيح له أن يأخذها معه الى القاهرة وينسخها هناك ، ولكنهم لم يتفقوا على الامر وكان رئيس الدير وقتئذ غائباً في القاهرة وعازماً على السفر الى

القسطنطينية لأنه مشكل كنسي وهو وحده قادر أن يصرح بنقلها الى القاهرة . وفى السابع من فبراير سافر تشندورف ميمما القاهرة فاجتمع برئيس الدير وقدم اليه رجاءه فى أن يسمح له بجلب النسخة من الدير الى القاهرة لينسخها ودفع اليه كتابى توصية من الراهبين كيرلوس والابكونيموس . فأظهر الرئيس ميلا الى تلبية طلبه وعرض الأمر على اخوته الرهبان فى الدير النازل به فوافقوه بصوت واحد على ارسال رسول الى سينا ليحضر النسخة . وفى اليوم التالى أرسلوا ساعياً راكباً على جمل ليحضرها ووعده تشندورف بهدية ثمينة ان أسرع وقطع المسافة فى أقل ما يمكن من الوقت ذهاباً وإياباً . ورغبة فى الحصول على المال قام الساعى باحضار النسخة الى تشندورف المقيم فى فندق الاهرام . ثم ذهب تشندورف مع رئيس الدير الى السفارة الروسية فى القاهرة وأمضيا اتفاقاً أمام السفير ذكر فيه أن الرهبة السينائية قد سمحت لتشندورف ان يأخذ من النسخة فى كل نوبة ثمانية رقوق لينسخها ثم يردها ويتسلم غيرها على التوالى الى أن ينتهى من عمله

ووصل خبر النسخة السينائية الى أحد علماء الآثار الانكليز المقيم وقتئذ فى القاهرة فقصد الى الدير وعرض على الرئيس شراءها بمبلغ وافر من المال فرفض طلبه ، وقيل له : ان الرهبنة السينائية ترغب فى اهدائها الى القيصر اسكندر الثانى العظيم حامى الايمان الارثوذكسى ولا تود مبادلتها بمال انكليزى . ثم وصلت [illegible] هذه النسخة الى اوربا وامريكا [illegible] والمجلات مقويات بمزيد الارتياح والاعجاب [illegible] تشندورف [illegible]

ويطول القول [illegible] من الجهود [illegible] الحصول على هذه النسخة ، ويكفى أن نقول إنه سافر [illegible] الى القسطنطينية [illegible] الارض [illegible] (وقد وصف رحلته اليها بمؤلف قيم) وكلف السفير الروسى فى الاستانة أن يتوسط عند رؤساء الرهبنة السينائية للحصول على النسخة السينائية واهدائها لجلالة قيصر روسيا

ترك القاهرة فى ١٠ أغسطس ووصل القسطنطينية فى ١٧ منه ، وقابله السفير الامير لوبانوف الذى كان يعطف على العلم والعلماء بكل تعظيم واحترام ، كمندوب قيصر روسيا ودعاه السفير ليقيم فى قصره الجميل ، وكان تشندورف فى بادىء الامر يعمل على حل مشكلة الرهبنة السينائية ، ولانه مندوب القيصر كللت مساعيه بالنجاح واكتسب اعتباراً ورهبة عند أعظم ممثل الرهبنة ، ولم يلبث ان حرر السفير كتابا الى رئيس دير القديسة كاترينا وبين الرهبان وأكد لهم عطف القيصر ومساعدته للدير ورجا ان تعار النسخة السينائية اعارة وقتية فقط لتشندورف ليأخذها معه الى بطرسبرج ويعرضها على القيصر وأنه هو الكفيل باسم القيصر ان ترجع النسخة اليهم سالمة من كل ضرر اذا لم يقر رأى الرهبنة فى المستقبل على اهدائها للقيصر ، وتسلم تشندورف الرسالة من يد السفير شاكراً ثم أبحر الى مصر . وبعد ان اطلعت هيئة الدير على الرسالة وافقت بصوت واحد على اعارتها للقيصر بواسطة تشندورف وبلغ اليه القرار بدون تأخر

وفي ٢٨ سبتمبر سلمه الرئيس النسخة ملفوفة بنسيج العمامة الحمراء . وفي ٧ أكتوبر سافر من القاهرة إلى الاسكندرية حاملاً معه الكنز الثمين ومنها أبحر الى أوربا ومثل امام القيصر فرنسيس جوزيف وأراه النسخة فأظهر سروره العظيم بها وهنأه بفوزه . ثم قصد درسدن وأراها لملكة يوحنا ملك سكسونيا . ثم سافر تواً الى بطرسبرج فوصل اليها في أواسط نوفمبر فاستقبله القيصر والقيصرة بالابتهاج وجمع القيصر أفراد العائلة الملكية وأراهم النسخة السينائية ونحو مائة نسخة أخرى فضلاً عن رقوق عدة أتى بها تشندورف من الشرق وهي باللغات اليونانية والسريانية والقبطية والعبرية وغيرها . كل هذه التحف أمست منذ ذلك الحين ملكاً لروسيا وفي الأيام التالية عرضت هذه الآثار على الوزراء والعظماء والاكليروس وعامة الشعب في المكتبة الملكية في بطرسبرج . وتحدث الناس في أوربا وأميركا عن هذا الاكتشاف العجيب الذي استخلص من الغبار والنار . وغمره بابا رومية وملوك أوربا وأمراؤها وكثيرون من العلماء والمدارس الجامعة بالمدح والثناء والرتب والاوسمة

ومن ثم عمل تشندورف بجد ونشاط لا مثيل لهما في نسخ صفحات السينائية وطبعها ، ومنحه قيصر روسيا لهذه الغاية خمسة عشر ألف جنيه . وفي مدة قصيرة من سنة ١٨٦٢ فرغ من طبع النسخة في أربعة مجلدات ولم يطبع منها سوى ثلاثمائة نسخة أرسلت جميعها الى بطرسبرج ووصلت في الوقت المناسب قبل الاحتفال بمرور ألف سنة على تأسيس مملكة روسية . وأهدى القيصر منها ٢٢٣ نسخة الى أصدقائه وفي مكاتب مختلفة في جميع العالم وأهدى السبع والسبعين نسخة الباقية الى تشندورف فبيعت بأثمان عالية جداً . وقصد تشندورف الى بطرسبرج في سنة ١٨٦٨ ورغب للقيصر أن يشتري النسخة السينائية الاصلية من الدير فأجابه الى طلبه وسعى سعياً حثيثاً في ذلك وتوفق الى شرائها بمبلغ ٩٠٠ جنيه . وأرسلت النسخة في السنة التالية من دير القديسة كاترينا مرة ثانية الى القيصر وأودعت في المكتبة الملكية في بطرسبرج . وتقديراً لعمل تشندورف منحه القيصر لقب الشرف الأرثي الروسي المرموز به عند الالمان بـ (فون Von)

ولحسن الحظ أن البلاشفة بعد ان استولوا على المكتبة لم يعدموا النسخة كما أعدموا القيصر وعائلته ومئات الالوف من رجالهم فبقيت في المكتبة الى أن تسلمها الانكليز ودفعوا ثمنها مائة ألف جنيه

وتوفي الدكتور كونستنتين فون تشندورف في ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤ بعد حياة كلها عمل ونشاط حافلة بالاعمال المجيدة ، وقد ترك ما يقارب الثمانين مجلداً من مؤلفاته القيمة ، وقد أغنى العلم باكتشافاته الباهرة لا سيما ماله صلة بالدين المسيحي

بيت لحم ابراهيم ميخائيل عطاء

موباسان
أديب أفقدته النساء عقله

إذا كان تورجنيف Tourguenlev قد أحب في حياته امرأة واحدة، ظل مخلصاً لها في حبه طول حياته، متجنباً إزعاجها بالثرثرة والبكاء والنواح، الى أن وافاه أجله وهو على حبه وإخلاصه مقيم، فان جي دي موباسان Guy de Maupassant قد أحب من جهته عشرات بل مئات من النساء، وكاشف كلا منهن بحبه، وكان في مكاشفاته جميعها ثرثاراً لجوجاً، حتى اذا ما ارتشف كأس الغرام مترعة، اعرض عن معشوقة الساعة وبحث عن غيرها بين النساء بلا فرق ولا تمييز بين المتزوجات والبنات والاعمار، الى أن وافاه أجله بين المجانين، بعد أن افقدته النساء عقله!

كان تورجنيف عاشقاً، وكان ينظر الى الحب نظره الى عاطفة سامية، يجب على الرجل أن يعليها عليها من الاجلال، وأن يخصص لها كل الاخلاص ما دام في صدره قلب يخفق

فهل كان موباسان مثله عاشقاً. وهل كان ينظر الى الحب نظر تورجنيف اليه؟

كلا. فان الحب في نظر موباسان لم يكن تلك العاطفة التي أراد تورجنيف أن تخضع لها حياته في جميع ظروفها واطوارها. بل كان الحب في نظر ابنه الأديب الفرنسي عاطفة يجب إخضاعها لمقتضيات الحياة وظروفها وملابساتها. فموباسان من هذه الناحية «زير النساء» أو «دون جوان» كما يقول الافرنج، نظر طول حياته الى النساء نظر النحلة الى الازهار. فكما أن النحلة تبحث عن الزهرة النضرة التي يفوح منها الأريج العطر، فتمتص منها خلاصته وتغادرها باحثة عن غيرها، هكذا كان جي دي موباسان يصنع مع النساء الكثيرات اللواتي قادتهن الاقدار الى طريقه: «نظرة فابتسامة فسلام، فكلام فموعد فلقاء!» ثم، الفراق والهجر، بعد اللقاء والوصال، عند ما تلوح نظرة جديدة وابتسامة جديدة!

وكان موباسان يقول بين الجد والمزاح: «ان الحب الدائم وهم من الاوهام. فلا بد أن يهجر العاشقان بعضهما، آجلا أو عاجلا. فخير نصيحة أسديها لنفسي، هي ألا أدع للحب القوي منفذاً الى قلبي، ولا اترك له السبيل للتسلط عليه!»

ولكنه لم يبح للنساء اللواتي أحبهن والقين بأنفسهن بين ذراعيه بهذا الرأي في الحب، وبسابق اصراره في كل واقعة غرامية على هجر «العاشقة» — التي لم تكن دائماً «معشوقة» — في أول فرصة سانحة

غير أن اللعب بالحب يشبه اللعب بالنار. وقد دفع موباسان غالياً ثمن استخدامه هذه

العاطفة السامية آلة لارواء غليل ملذاته ، واتخاذه العشق والغرام صناعة وتجارة ، وقلوب النساء سلعاً تتداولها يداه بالقطاعي تارة ، وبالجملة تارة أخرى !

وذلك الثمن هو عقله ، ثم حياته !

• • •

ولد هنري رينه ألبرجي دي موباسان في قصر ميرومنيل ، بمدينة توردبل في سنة ١٨٥٠ من أسرة عريقة في الحسب والنسب ، وتلقى علومه في مدينة روان ، ثم دخل في خدمة الحكومة فشغل وظيفة في وزارة البحرية ثم وظيفة أخرى في وزارة المعارف العمومية

وكان جوستاف فلوبير ، الكاتب الخالد ، مؤلف « مدام بوفاري وسلامبو » وغيرهما من روائع الأدب الفرنسي ، يتردد على أسرته ويشجعه على الكتابة . فموباسان تلميذ ذلك الكاتب العظيم ، والى فلوبير دون سواه يعود الفضل في نزول موباسان الى ميدان الأدب . فمنذ سنة ١٨٨٠ — أي في سن الثلاثين — بدأ موباسان يلقي بين ايدي الجمهور رواياته المسرحية وأقاصيصه واشعاره وقصصه ، وما مضت عشر سنوات حتى كان ذلك الشاعر الناثر والاديب الساحر ، قد غزا الاسواق والعقول والقلوب

ففي أقل من عشرة أعوام بلغت مؤلفاته العشرات ، ولنذكر منها في هذه المناسبة العناوين الآتية : « بيير وجان — جنى لوريول — قوى مثل الموت — دولا — صور القمر — اليد اليسرى — هورلا — قلبنا — الحياة التائهة — في البحر — الاديب — سيل هاريت — الخ » .

وبينما موباسان في عنفوان عمره ونشاطه ، اذا به يصاب بالجنون ، فينقل الى مستشفى المجاذيب ويقضي مدة من الزمن لا يعي فيها شيئاً ، ثم تفارقه الحياة في سنة ١٨٩٣ وهو في الثالثة والاربعين من العمر !

وفقد الأدب الفرنسي بموته علماً من اعلامه ترك وراءه ارثاً أدبياً يدون اسمه الى ماشاء الله في صفحة الخلود . فقد مرت الاعوام وقامت في فرنسا وفي غيرها من الاقطار مبادىء ونظريات في الأدب جديدة ، وفتحت امام الكتاب ابواب كثيرة ، وتطورت الحياة الاجتماعية والاساليب الكتابية تطورات عديدة ، فمحيت من الاذهان اسماء ، واعرض الجمهور عن عبادة كثير من اصنام الأدب ، ولكن قراء جي دي موباسان لم ينقص عددهم ولم تفتر حماستهم ، بل تضاعفت هذه الحماسة ، وما زال ذلك العدد يزداد يوماً عن يوم . وقبيل الحرب العظمى قامت احدى الصحف الفرنسية باستفتاء عام في فرنسا لمعرفة المؤلف الذي يتمتع باوسع شهرة بين القراء ، فاذا بالنتيجة تسفر عن اسم جي دي موباسان . وقامت جريدة اخرى ، بعد الحرب العظمى ، بمثل ذلك الاستفتاء ، وأيدته بالبراهين والارقام ، فاذا بالكاتب المبدع يحتل مكانه بين ثلاثة من ادباء فرنسا يزيد عدد قرائهم عن عدد قراء سواهم من الشعراء والروائيين

واذا كان جى دى موباسان قد احتفظ لنفسه بعد موته بهذه المكانة السامية بين حملة الاقلام فذلك لان قلمه كان دائماً ابدا مبضعاً يكشف للقارىء عن الفضائل والعيوب والخير والشر والخصال والنقائص والعورات على حد سواء ، فضلا عن ذلك الاسلوب الساحر الآخذ بمجامع القلوب ، والذى امتاز به جى دى موباسان عن سواه من أدباء الغرب . وقد قال عن نفسه ان عينه تشبه آلة التصوير ، فاذا نظرت الى شيء أو الى شخص فانها تلتقط الصورة بامانة الآلة ودقتها . أما قلبه فهو كالورق الحساس الذى ينقل عليه المصور تلك الصورة التى طبعت على زجاج آلته !

• • •

لنتحدث الآن عن النساء اللواتى ملأن حياة هذا الاديب النابغة واللواتى أفقدنه عقله ، فان جى دى موباسان تصدى فى مؤلفاته لتشريح القلب بقلمه الذى سماه بحق مبضعاً . وكان لابد له أن يباشر النساء وأن يدرس اخلاقهن ، ويحاول أن يسبر غور ذلك القلب الذى تصدى لتشريحه . ولما كان الكاتب الشاب ينتمى الى اسرة شريفة غنية ويمتاز عن سواه من الكتاب بحسن هندامه وحديثه الطلى الجذاب وجمال وجهه وسحنته ومنه اضطرى الى معاركة المرأة ، فقد كان نجاحه فى المجتمع الذى عاش فيه بالغاً أقصى ما يمكن ان يبلغه نجاح شاب جمع فى شخصه تلك الصفات والمؤهلات ، فحامت النساء حوله كما يحوم الذباب على قطعة الحلوى أو كما يحوم الفراش على النور . وعرف موباسان المرأة من جميع وجوهها ، واختبرها ودرسها فى جميع حالاتها النفسية ، واطلع على ما ظهر وخفى من ذلك القلب النسوى ـ أو قلب الانثى كما يسميه ـ الذى لعب به الأديب الفاتن كرجل أولا ، ثم تناوله بمبضعه ككاتب ثانيا وتركه بعد ذلك كمية مهملة ، وخرج من ذلك كله فاقد العقل مجنوناً !

كان جى دى موباسان يهرب من النساء فى كل سنة ويذهب بعيداً عن باريس ، ويلجأ الى احدى القرى النائية ، دون ان يترك لأحد عنوانه ، رغبة منه فى ان تمتنع النساء عن مراسلته ، لكى يخلو بنفسه بضعة اسابيع ، ويدون على القرطاس ما طبع فى ذهنه وعلق بسنان قلمه

ولكن سرعان ما كانت النساء يكتشفن مقره ، فتنهال عليه الرسائل كل يوم أكداساً مكدسة ، حاملة اليه العجب العجاب من اعترافات ومكاشفات وانذارات وتهديدات . وكان المسكين يجد نفسه مضطراً الى الرد على تلك الرسائل ، خوفاً من أن يهرع ذلك الجيش النسائى اليه ، ويحدق به فى عزلته ، ويحول بينه وبين انجاز عمله

وكان موباسان من ناحية أخرى يريد تجنب الفضيحة ، ومنع اولئك العاشقات الهائجات من أن يأخذ بعضهن بشعور بعض ، إذ أن الأخذ بالشعور والضرب بالشباشب ، ليس احتكاراً

لنساء الشرق دون أخواتهن الغربيات . فقد حدث فى حياة جى دى موباسان ان وقعت معارك بين النساء الحائمات حوله ، المتسابقات الى حبه ، الغيورات عليه . وهذا ما كان ينغص على الكاتب راحته ، ويثير فيه الغضب ، ويهيج أعصابه . . . لأنه لم يكن يحب واحدة من أولئك النساء المتقاتلات من أجله !

ففى القرية التى كان موباسان يلجأ اليها ، لم يكن يشغله غير أمر واحد ، وهو ان يحول دون اجتماع اثنتين من أولئك العاشقات - وما أكثرهن ! - فى مكان واحد ، خوفاً من وقوع المعركة والفضيحة !

فماذا كان يصنع ذلك الرجل الذى هرب من النساء فحاولن اللحاق به ؟

كان يرد على كل رسالة يحملها اليه البريد ، ببرقية الى صاحبة الرسالة ، يقول فيها إنه سيغادر القرية فى اليوم التالى ، وينتظرها فى مدينة يعينها فى برقيته ويعين الفندق الذى سينزل فيه . وكان يضرب لكل امرأة موعداً فى مدينة وفندق ، وهو عازم على البقاء فى قريته ، حتى اذا ما طلع فجر اليوم التالى ، كانت هذه النساء العاشقات ترحف على المدن التى ضرب لها موباسان موعداً بها ، فتصل كل واحدة من أولئك النساء الى الفندق على أمل ان تجد الحبيب فيه ، فلا تجد غير برقية ثانية سبقتها اليه تقول فيها موباسان ان اسباباً غير منتظرة حتمت عليه السفر الى باريس !

وكان يضع أمامه خريطة فرنسا ويشطب كل مدينة يضرب فيها موعداً لاحدى النساء بدبوس يذكره أن تلك المدينة « مشغولة » خوفاً من أن يضرب فيها موعداً لعاشقة أخرى . ولكنه كثيراً ما كان يخطىء أو ينسى الدبوس ، فتلتقى فى فندق واحد ومدينة واحدة ، اثنتان أو ثلاث من النساء وتقع المعركة التى وصفناها

وكان الاديب المعشوق من النساء يردد دائماً ، على مسامع اصدقائه والمقربين اليه : « ان النساء أشد خطراً بكثير مما كنت أظن . وسوف يفقدنني عقلي ! »

وقد افقدنه ذلك العقل فى أوائل سنة ١٨٩٢ فارسل الى أحد المستشفيات . ثم تولى بعض اصدقائه الاطباء علاجه ، ولكنهم لم ينقذوا حياته ، فمات فى سنة ١٨٩٣ ، بعد أن ذاق مر العذاب مدة ثمانية عشر شهراً . وتحول جنونه الذى كان فى بادىء الامر هادئاً الى ثورة دائمة الهياج ، فجعل فى الشهور الاخيرة من حياته يضرب الناس ويصيح فى وجوههم بأنه مضطهد وان الناشرين سرقوا أمواله . وجفاه الرقاد فى وقت من الاوقات فكان يقضى الليالى ساهراً صائحاً هائجاً

ولكن الشهور التى تقدمت جنونه هى بلا شك أشد أيام حياته عذاباً إذ ان ذلك الاديب العبقرى كان يرى شبح الجنون مقبلا عليه ويدرك - وهو مالك لجميع قواه العقلية - انه سوف يفقد تلك القوى بسبب النساء !

حبيب جاماتى

نهاية العالم : كيف تكون ومتى

خلاصة بحث طريف للاستاذ رودو مدير مرصد موتفيل بفرنسا

> ما برح الانسان منذ أول عهده بالاجتماع يفكر فى مصير هذا الكون وفيما عسى أن يؤول اليه أمر الحياة على هذه الأرض. فهو يعلم أن الخلود ليس من صفات الاحياء وأن هذه الكائنات لا بد أن تبلغ نهاية مرحلتها. وفى هذا المقال بحث شائق للكبير الاستاذ رودو عن هذه النهاية. ويمثل آراء حديثة فى هذا الموضوع

النبوات بشأن نهاية العالم كثيرة متنوعة وأكثرها لا يخرج عن حيز الحدس والرجم بالظنون. ولا يكاد يمر عام حتى يقوم بعض الناعقين بالشؤم ينذرون الناس بقرب نهاية العالم، اما بصدمة تقع بين الكرة الارضية وغيرها من الاجرام العلوية أو بعلة اخرى من العلل. ولم يخل العالم فى زمن من الازمان من الانبياء الكذبة، ولذلك صار الناس لا يأبهون لما ينعق به اولئك الكاذبون

فن أمثال ذلك ما أشاعه الدجالون فى العصور المظلمة والوسطى بشأن المذنب المعروف باسم «هالى» من أنه سوف يصدم الارض ويتركها هباء منثوراً ولا يخفى أن هذا المذنب يدنو من فلك الارض مرة كل ست وسبعين سنة تقريباً. وكان آخر ظهوره سنة ١٩١٠ وقد ذكر المؤرخون انه ظهر فى الازمنة القديمة غير مرة وكان دائماً يلقى الهلع فى قلوب الناس

والذى يؤكده العلم أن وقوع صدام بين الكرة الارضية وأحد الاجرام العلوية قليل الاحتمال جداً بحيث يجوز لنا أن نفرض انه لن يقع. وليس فى تاريخ علم الفلك أى دليل على وقوع مثله فيما مضى. والسبب بسيط جداً وهو أن حركات الاجرام العلوية مقيدة بنظم ونواميس ثابتة ولا يحتمل أن يفلت أحدها من سلطة تلك النواميس. ومع ذلك فقد ظهر علماء فى كل مكان وزمان زعموا أن وقوع الصدام بين الافلاك من الامور الممكنة. كما زعم بعضهم أنه حتى فى حالة عدم وقوع صدام فلا بد من وقوع كارثة أخرى يكون فيها القضاء على العالم

مثال ذلك أن عالماً مشهوراً من علماء الدين فى القرن السابع عشر يدعى هويستون زعم ان الطوفان الذى أصاب العالم فى زمن نوح كان بسبب مرور مذنب هالى على مقربة من فلك الارض، وأن هذا المذنب سيدنو فى المستقبل من الكرة الارضية فيتسبب فى طوفان آخر سيكون فيه القضاء المبرم على الحياة. وقد ذهب ذلك العالم وذهبت معه نبوته، لان العلم أثبت انه حتى على

رض وقوع صدام بين الارض وذلك المذنب فلن تمس الارض بسوء.

وسبب ذلك أن المذنبات بوجه الاجمال هي اجرام غازية والغازات المركبة منها لطيفة جداً لا يشعر الانسان بوجودها لولا تألقها (لأنها غازات منيرة) ولذلك وصفها أحد العلماء بقوله ان المذنبات هي اشياء منظورة لا وجود لها . وفي الواقع أن كمية المادة التي تتألف منها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الارض . فاذا مست الارض فلا يمكن أن تؤثر فيها أي تأثير غير كونها تترك وراءها رائحة غازاتها . ومما يجدر بالذكر ان مذنب هالي عند ما ظهر سنة ١٨٣٣ بلغ طول ذنبه ١٨٧ مليون ميل فتأمل !

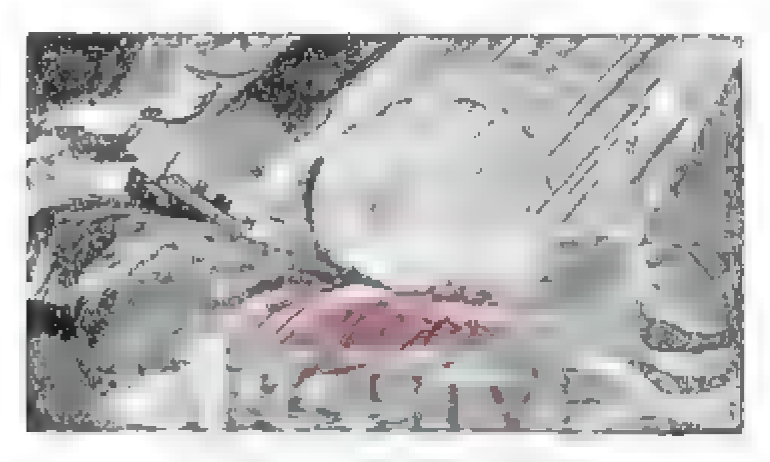

رأس المذنب يصدم البحر كما تخيله كاتب هذه المقالة

أما رأس المذنب فهو أصلب من ذنبه . ومع أن العلم يكاد يؤكد استحالة وقوع صدام بينه وبين الكرة الارضية ، فانه في حالة وقوع صدام لا يمكن أن يكون تأثيره الا علياً . وبما أن ثلاثة ارباع سطح الكرة الارضية مغطى بالمياه فالارجح أن الصدام (اذا فرضنا امكان وقوعه) يقع بين المذنب والبحر ولن يشعر به أحد

على أننا مع كوننا ننفي احتمال وقوع الصدام لا يسعنا الا التسليم باحتمال وقوع كوارث أخرى تكون فيها نهاية الكون . وربما كانت الشمس مصدر اعظم تلك الكوارث ، إذ لا يخفى أن النور والحرارة المنبعثين من الشمس بمقدار موزون هما قوام الحياة على الارض . فاذا وقع ما يؤثر في مقدار ذلك الاشعاع أثر في الكائنات الحية تأثيراً معيباً . وأبلغ برهان على ذلك أن بين الكلف الشمسية وبعض الحوادث التي تقع على الكرة الارضية علاقة متينة جداً . على ان الانباء بما يمكن وقوعه بسببها في المستقبل ليس من الأمور السهلة وان يكن الخوف منها في محله

ولعل الخوف من انفجار يقع داخل الشمس هو أعظم من الخوف من انفجار ينشأ عن وقوع صدام بين الارض والشمس . فوقوع انفجار داخل جرم الشمس ليس من الأمور المستحيلة علمياً . وعلماء الفلك يؤكدون لنا وقوع حوادث انفجار من هذا القبيل في بعض النجوم . وليس هذا مجال شرح تلك الانفجارات . ولكن اذا وقع انفجار منها في جرم الشمس فقد يكون فيه القضاء المبرم على الكرة الارضية وعلى جميع الكائنات الحية فيها

على أن جميع هذه الفروض (وان لم تكن في حكم المستحيل) نادرة جداً يحق لنا أن نضرب عنها صفحاً وان ننظر الى احتمالات أخرى قد يكون فيها القضاء على الكرة الارضية وما فيها من مخلوقات نباتية وحيوانية

إن في الطبيعة عوامل كثيرة تؤثر في شكل الارض وفي تكوينها . فالشمس والهواء ومياه البحور والانهار وغيرها تعمل في الكرة الارضية وتؤثر فيها على وجوه مختلفة . وهي تعمل معاً على « قضم » التربة الصلبة أو « اذابتها » باستمرار ومتى تم « قضم » التربة أو « اكلها » اندفعت المياه عليها وغمرتها

« . . واذا وقع انفجار في جرم الشمس فقد يكون فيه القضاء المبرم على الكرة الارضية »

لقد أجمع علماء الطبيعة والفلك والجيولوجيا والكيمياء على أن عمر الكرة الارضية هو زهاء الفي مليون سنة . وقد كانت هذه الكرة فى أول عهد نشوئها جسما سائلا أخذ يجمد بمرور الزمن حتى أصبحت له قشرة صلبة ثخينة . وهذه القشرة هى الموضوع الذى سنعالجه فى بحثنا هذا

لما نشأت هذه القشرة كان شكلها وكثافتها يختلفان باختلاف الابعاد المختلفة . وسبب هذا الاختلاف هو الحرارة التى تعمل فى باطن الارض ، والعوامل الطبيعية المختلفة التى تؤثر فيها من الخارج

وفى مقدمة تلك العوامل الماء وهو يؤثر فى الكرة الارضية على وجوه مختلفة . فهو اذ يندفع على وجه الارض بقوة الجاذبية يخد التربة خداً ويجرف كل مايصادفه فى طريقه من اتربة وغيرها، وتختلف قوته باختلاف كميته وسرعته . فاذا جرى على تربة صلبة سافت بمرور الزمن وتفتت . وهذا السوف أو التفتت يختلف باختلاف اعتبارات كثيرة ، ويكون على أشده فى الجهات الجبلية والمنحدرات . فاذا بلغ السيل السهل ضعفت قوته وقل أثره . ومع ذلك فقد يتحلل التربة فاذا جمد بسبب البرد شق تلك التربة مهما تكن صلبة جامدة

وكذلك القول فى امواج البحر فانها تندفع على الشاطىء بلا انقطاع فتنحته باستمرار « وتاكله » . وبهذه الطريقة تنقص مساحة « اليابسة » باستمرار وتتسع مساحة المياه على سطح الكرة الارضية . واذا استمرت الحال على هذا المنوال لم يبق شك فى أن المياه ستغطى المسكونة يوماً ما

وليس ذلك فقط بل ان الماء يعمل فى « اليابسة » وفى الارض الصلبة بطريقة كيماوية أيضاً ، فتأ كل الصخور وتتفتت بمرور الزمن . وعلى كل فان علم الجيولوجيا يؤكد لنا أن جبالا كثيرة كانت تعلو سطح الكرة الارضية قد زالت ولم يبق منها إلا آثار ضئيلة بسبب فعل الامطار والسيول والبخار المائى الذى يملأ الجو ، وبسبب المياه على اختلاف أنواعها

ولكن أين تذهب الاتربة والمواد التى « تاكلها » تلك المياه ؟

انها تحملها بلا شك الى البحار وتطرحها فى قيعانها . ومنها تتكون طبقات مختلفة من التربة وكثيراً ما نرى آثار تلك الطبقات فى الجهات التى قد انحسرت عنها المياه

وقد حسب العلماء الكمية التى تنقلها المياه من الاتربة الى البحار فاذا هى نحو سبعة آلاف مليون يارد مكعب كل عام . اضف الى هذه الكمية نحو نصفها مما « يتآ كل » من قشرة الارض بواسطة العوامل الكيمياوية ، ونحو الفى مليون يارد مكعب « ياكله » البحر من الشواطىء . فنجد ان مقدار ما تفقده « اليابسة » (أى الارض) كل سنة بفعل الماء لايقل عن اثنى عشر الف مليون يارد مكعب

فاذا ظلت الكرة تفقد من قشرتها اليابسة كل سنة هذه الكمية الهائلة من المواد فلا بد أن يجيء يوم تغمر فيه المياه سطح الكرة كله . أضف الى ذلك أن رسوب تلك الكميات الهائلة فى قيعان البحار يرفع مستوى تلك القيعان ويجعل مياه البحر تفيض وتغمر قشرة الارض أكثر فأكثر . وبحسبة بسيطة (بقسمة حجم الكرة الارضية على كمية المواد التى « تأكلها » المياه كل سنة) نجد أن المياه ستغمر سطح الارض كله بعد نحو أربعة ملايين سنة ... وغنى عن البيان ان هذه الحسبة تفترض أن يستمر عمل المياه الذى شرحناه على معدله وأن تظل أحوال الارض الطبيعية والجوية على حالها . ومثل هذا الافتراض صعب جداً . لان الكثيرين من علماء الجيولوجيا يعتقدون أن كمية المياه التى كانت على الكرة الارضية فى العصور الخالية كانت أكثر مما هى الآن وانها ستنقص فى العصور المقبلة نقصاناً هائلا . فتأثيرها فى « اليابسة » سيقل بالتدريج . وبناء عليه فان غمر المياه لليابسة سيستغرق أكثر من أربعة ملايين سنة

أما البراهين على أن المياه التى كانت على الكرة الارضية فى العصور الخالية كانت أكثر مما هى الآن فكثيرة لا يتسع لها هذا المجال . وانما نذكر منها وجود الصحارى الكثيرة الخالية كصحراء أفريقا الشمالية . وقد أثبت العلم أنها كانت فى العصور الخالية بلاداً خصبة وهى الآن سهول فسيحة قاحلة . وليس هذا مكان البحث فى مصير المياه وهل هى تبخرت أم نقصت بتأثير عوامل أخرى . انما العلماء يقولون إن كميتها فى تناقص مستمر وبناء عليه فمتوسط كمية المواد التى تنتزعها كل سنة من اليابسة وتضعها فى قيعان البحار هو أيضاً فى تناقص مستمر ومادرانا ؟ لعله يجيء يوم تزول فيه المياه عن سطح الكرة الارضية تماماً وبدلا من أن تكون نهاية الكائنات الحية عن طريق المياه (بطغيانها على اليابسة) ستكون تلك النهاية عن طريق نضوب المياه وصيرورة الارض كلها يابسة قاحلة كبعض الاجرام الفلكية التى لا ماء فيها ولا تصلح للحياة

وبعبارة أخرى ـ أن أقرب فرض الى العقل لنهاية العالم هو أحد أمرين (أولهما) أن تغمر المياه الكرة الارضية كلها بحيث لا تبقى على سطحها يابسة يسكنها الانسان أو الحيوان (وثانيهما) أن تنضب مياه الارض كلها فتصبح كرتنا الارضية جرداء قاحلة لا تصلح للحياة . وليس فى وسع أحد أن يثبت أى الفرضين هو اقرب الى الحقيقة . أما افتراض وقوع صدام بين الكرة الارضية وغيرها من الاجرام العلوية فليس فى العلم ما يؤيده . وبناء عليه يجب نبذه والتسليم بأن نهاية العالم ستكون عن طريقة أخرى

ويؤخذ من مجموع القرائن العلمية أن الفرض الثانى (أى نضوب مياه الكرة الارضية) هو أكثر احتمالا . وفى هذه الحال سيكون انقراض الحياة بطيئاً جداً . إذ لا يخفى أن الماء

لازم لزوماً تاماً للحياة . فاذا بدأ يشح كان تأثير ذلك فى الكائنات الحية سيئاً جداً . وسيكون من بعض نتائجه أن تصبح معالم المدنية وينقلب البشر حيوانات متوحشة كل همها فى الحياة أن تبحث لها عن ماء ومرعى . وستسفى الرياح الرمال على المدن فتطمرها وتقضى على حضارة الانسان فيهيم من بقى من البشر على وجوههم فى البرارى والقفار لا فرق بينهم وبين الحيوانات الضارية

وستنقرض الحيوانات العليا فى أول الامر ثم تلحق بها الحيوانات السفلى أيضاً . ومما يزيد الطين بلة زوال البخار المائى من جو الكرة الارضية . وأنت تعلم قيمة هذا البخار للانسان والحيوان والنبات إذ لولاه لتشتت أشعة حرارة الشمس فى الفضاء ولم يصل شىء منها الى الكرة الارضية ولأصبح جو هذه الكرة قارساً الى حد لا يستطيع الانسان أن يتصوره كما هى الحالة فى قنن الجبال العالية فان البرد فيها شديد الى الغاية بسبب لطافة البخار المائى . فاذا زال هذا البخار من جو الكرة الارضية تماماً أصبح البرد قارساً لا يطاق . فلا يبقى إذ ذاك بخار يمتص حرارة الشمس وينشرها على الكرة وتصبح جو خط الاستواء أشد برداً بما لا يقاس من جو القطبين

ومما سيعجل هذه الكارثة زوال عنصرى الاوكسجين والنتروجين من الهواء ، لأن اولهما ستمتصه بعض المواد التى على سطح الكرة الارضية ، وثانيهما ستمتصه النباتات الباقية من دون أن ترده بحالة غاز الى الجو

ولن يجىء هذا البرد فجأة بل بالتدريج وسيجد البشر أنفسهم فى أول الامر فى جو شبيه بجو القطبين فى الوقت الحاضر ثم يشتد البرد شيئاً فشيئاً الى أن يصبح غير قابل للحياة

وبعبارة أخرى ، ان الكرة الارضية ستصبح قاحلة خالية من أسباب الحياة وشديدة البرد الى حد لا تطيقه الكائنات الحية النامية النباتية أو الحيوانية . أما حرارة الشمس فلن تكون محسوسة لأن البخار سيزول كما مر بك . ومن المحتمل ان ينظر بعض المخلوقات الحية يومئذ من الكواكب العليا الى ارضنا فلا يجد فيها أثراً للحياة فيقول عنها إنها جرم خال من الحياة ككثير من الاجرام السابحة فى الفضاء

ومع ذلك ستظل الشمس تشرق على كرتنا الارضية وعلى غيرها من الاجرام من دون أن تدفئها . وهنا يعرض لنا هذا السؤال وهو : الى متى تظل الشمس تشرق وترسل اشعتها فى الفضاء ؟

يقول بعض المتطفلين على موائد العلم ان الشمس ستنطفىء بالتدريج بعد احقاب طويلة وسيكون انطفاؤها سبب انقراض الحياة وزوالها عن الكرة الارضية . ولكن ليس بين القرائن العلمية قرينة واحدة تدل على احتمال انطفاء الشمس قبل زوال الحياة عن الارض ،

بل بعد النظريات العلمية القويمة تشير الى عكس ذلك وتؤكد لنا أن الشمس ستظل تشرق ملايين من الاحقاب حتى بعد انقراض كل اثر للحياة على وجه الارض. ومن الحقائق العلمية الثابتة ان جرم الشمس اقدم من جرم الكرة الارضية كثيراً جداً. فعمر هذه نحو الفي مليون سنة كما قلنا فى صدر هذا البحث. اما عمر الشمس فاكثر من ذلك. بل ان القرائن العلمية كلها مجمعة على ان مقدار اشعاع الشمس يوم ولدت الكرة الارضية لم يكن يختلف كثيراً عن مقدار اشعاعها اليوم. وقد قدر الاستاذ ادنجتون الفلكي الانجليزي الشهير عمر الشمس بخمسة آلاف مليون سنة على الاقل. وتقديره هذا مبنى على حقائق علمية معقولة

وستظل كذلك حتى بعد انقراض الحياة. ذلك لأن العلماء يقدرون انها اذا ظلت تفقد بالاشعاع المقدار الذى تفقده فى الوقت الحاضر (وهو نحو اربعة ملايين طن من مادتها كل ثانية) فلا يمكن ان تنطفىء قبل مرور خمسة عشر الف الف مليون سنة على اقل تقدير

ولكن مهما يطل عمر الشمس فلابد أن يجيء يوم تنطفىء فيه فيزول نورها وحرارتها. ويصبح جرمها مكتنفاً بظلام بعضها فوق بعض على ان موتها أو انطفاءها سيجيء بالتدريج. وسيسبقه انقراض الحياة وزوالها عن سطح الكرة الارضية

وخلاصة ما تقدم ان المخلوقات الحية التى تعيش على سطح الكرة الارضية ستفنى. ولن يكون فناؤها بسبب حادث فجائى كوقوع صدام بين الارض وأحد الاجرام العلوية. فان هذا الفرض بعيد الاحتمال جداً. بل سيكون بسبب أحد أمرين فاما أن تغمر المياه سطح الكرة الارضية بحيث لا تبقى يابسة يسكنها الانسان وإما أن تنحسر جميع المياه وتنشف ولا يبقى لها أثر على الارض. وفى هذه الحالة يكون انقراض الحياة ناشئاً عن عاملين يعملان معاً وهما: (١) زوال الماء الذى لا غنى عنه للمخلوقات الحية و (٢) اشتداد البرد على سطح الكرة الارضية بسبب زوال البخار المائى من الجو

فترى اذن ان نبوءات المرجفين التى سمعها أجدادنا وآباؤنا وما زلنا نسمعها الى الآن بشأن وقوع صدام بين الارض وأحد الاجرام العلوية يجب الا نأبه لها أو نحسب لها حساباً. نعم ان مثل ذلك الحادث الفلكى ليس مستحيلا تماماً ولكنه بعيد الوقوع جداً بسبب النواميس الازلية التى تقيد حركة الافلاك وتشرف عليها. ونظراً الى عدم احتمال وقوعها يمكننا ان نحذفها من حسابنا. وان نثق بأن فناء الارض وما عليها من كائنات حية لن يجيء فجأة بل تدريجاً. وسيتمكن الانسان فى أول الامر من اعتياد البيئة التى توجدها فيها الطبيعة. ولكن تلك البيئة لن تكون ملائمة للحياة ولتكاثر الكائنات الحية. ولذلك سيعمل ناموس بقاء الاصلح عمله. فيقضى أولا على الاضعف فالاضعف ثم يتناول الاقوى بدوره. ولن تعفو عنه عوامل الفناء.

الاخطل ومكانته

في شعراء عصره

بقلم الاستاذ احمد الاسكندرى
استاذ الادب العربي بكلية الآداب بالجامعة المصرية

[نشرنا الشطر الأول من هذا البحث في عدد فبراير الماضي ، وهو يتضمن نشأة الاخطل وتدينه وأخلاقه وشعره ، وبعض الاغراض التي تناولها هذا الشعر كالنسيب والمديح وما كان له من أثر فيهما . وهنا ننشر بقية هذا البحث ، وهي دراسة لسائر الأغراض التي جادت في شعر هذا الشاعر الاموي الكبير]

هجاؤه

عرفت آنفا سبب احتدام الهجاء بين الاخطل وجرير وأنه هو المتعدي على جرير والمفضل للفرزدق عليه قبل أن يراهما كليهما ، وأنه بصوله وارتمائه جر على نفسه بلاء عظيما من هجاء جرير .

وأكثر الادباء على أن جريرا يفوق الاخطل في الهجاء مع ان شأنهما سواء في المشارة والمهاترة منذ شبا . والسبب في علو جرير على الاخطل في الهجاء ما قاله جرير نفسه وقد سأله ابنه نوح بعد موت الاخطل : « يا أبت ، أنت اشعر أم الاخطل ؟ » فقال : « يا بني ادركت الاخطل وله ناب واحد ، ولو ادركته وله ناب آخر لأكلني به ، ولكني اعانني عليه خصلتان : كبر سن ، وخبث دين » .

وفي الاخطل يقول أبو عبيدة : « ضيق عليه كفره القول » وجاء الاخطل رجل من بني شيبان (وشيبان من بكر بن وائل أخت تغلب) فقال له : « يا ابا مالك ، انا وان كنا بحيث تعلم ، من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة — تجمعنا ربيعة . وان لك عندي نصحا » فقال : « هاته ، فلا كذبت » قال : « انك قد هجوت جريرا ودخلت بينه وبين الفرزدق ، وأنت غني عن ذلك ، ولا سيما انه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك . وبسب ربيعة سبا لا تقدر على سب مضر بمثله . والملك فيهم والنبوة قبله . فلو شئت امسكت عن مشارته ومهاترته » فقال : « صدقت في نصحك وعرفت مرادك ، وصلتك رحم ، فوالصليب والقربان لأتخلصن الى كليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره . ثم اعلم ان العالم بالشعر لايبالي وحق الصليب اذا مر به البيت العائر السائر الجيد — أمسلم قاله ام نصراني » .

أي أن جريرا يستطيع في دولة اسلامية أن يعيره بخصال من دينه يستحسنها المسلم ولا يستطيع الاخطل أن يقابله بمثلها فيعيره بشعائر الاسلام في دولة الاسلام . فكان يهجو جريرا بدناءة أبيه عطية ورهطه الادنين من كليب خاصة ، لابني يربوع عامة . فيرميه وقومه باللؤم والبخل ورعي الحمير

وركوبها دون الخيل وسواد جلود قومه وقذرهم وجبنهم وشظف عيشهم ونحو ذلك من الجهد الذي يكون فيه أهل البادية

ومن أوجع هجائه ما هجا به كليباً قوم جرير في قوله :

ما زال فينا رباط الخيل معلمة — وفي كليب رباط اللؤم والعار

النازلين بدار الذل إن نزلوا — وتستبيح كليب حرمة الجار

والظاعنين على أهواء نسوتهم — وما لهم من قديم غير أعيار

بمعرض أو معيد أو بني الخطفى — ترجو جرير مساماتي وأخطاري ؟

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم — قالوا لأمهم : بولي على النار !

قال ابن رشيق : « ويقال إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني كليب بن يربوع رهط جرير « قوم إذا استنبح » البيت . لأنه قد جمع ضروباً من الهجاء فنسبهم إلى البخل بوقود النار لئلا يهتدي بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها للسارين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قلتها ، وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهي أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها في مثل هذه الحالة ، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم . وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء

وهجا بني تيم فقال :

وكنت إذا لقيت عبيد تيم — وتيماً قلت أيهم العبيد ؟

لئيم العالمين يسود تيماً — وسيدهم وإن كرهوا مسود

وصف

كان الأخطل يجيد وصف الخمر بخاصة ووصف غيرها بعامة

فأما وصفه للخمر فقد هون عليه الإقامة فيه والتفرد به دينه وولوعه بها وعكوفه عليها وفقد من يناضله في وصفها

ومن أوصافه للخمر :

وكأس مثل عين الديك صرف — تنسي الشاربين لها العقولا

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً — بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لا شك فيها — وأرخى من مآزره الفضولا

ومنها قوله :

وجاءوا ببيسانية هي بعد ما — يعل بها الساقي ألذ وأسهل

تمر بها الأيدي سنيحاً وبارحاً — وتوضع باللهم حي ، وتحمل

وتوقف أحياناً فيفصل بيننا غنث مغن أو شواء مرعبل

فنشت لمرتاح ، وطابت لشارب وراجعني منها مراح وأخيل

فما لبثتنا نشوة لحقت بنا توابعها مما نعل وننهل

تدب دبيباً في العظام كأنه دبيب نمال في نقا يتهيل

فقلت : اقتلوها عنكم بمزاجها فأطيب بها مقتولة حين تقتل

وأما وصفه لغيرها فعند أحاد وصف بقر الوحش والثور من هذه البقر عندما يرسل عليه الصياد كلابه فيهرب منها . حتى اذا أحرجته كر عليها بقرونه فقتل بعضها وجرح بعضها وشتت شملها ، يجعل الوصف على شكل قصة يكررها بأكثر معانيها في أكثر من عشرة مواضع

ووصف حمر الوحش وظعنها ونافة الرحلة وبوق القرى المعدة للضيفان ، ووصف الغيث ورعده وبرقه ، ووصف الركبان يسيرون في البيداء ، ووصف المهزوم ومعيشة قبائل قيس بالبادية في جهدها وبلائها وجدبها ، كل ذلك بتصوير جيد ولفظ عذب لولا تكرار بعضه مراراً . فمن ذلك قوله في وصف ثور من الوحش أخذته بية مطرة باردة فسكن تحت شجرة أرطى وفاجأه عند الصبح صياد بكلابه :

بينا يجوب [illegible] ليلة [illegible] الريح وقطر

فدنا الى [illegible] طوراً تكب على الدبى ويحفر

حتى اذا [illegible] وقال [illegible] أعفر

صرد [illegible] قبضة [illegible] ويحصر

وكأنما يصب من أعصانها در على أقرابه يتحدر

حتى اذا ما الصبح شق عموده وأنجاب عنه ليله يتحسر

ورأى مع الغلس المبين ولم يكد يبدو له منها أديم مصحر

أم الخروج فازعته ساءة روت المعارف فهو منها اوجر

فخره

وللأخطل فخر يتحدث فيه عن كرمه وحسن عشرته وبذل ماله في الملذات والتمتع بالطيبات ، وعن كرم عشيرته وشجاعتهم وأيامهم التي انتصروا فيها في الجاهلية ومظاهرتهم مروان بن الحكم على القبائل القيسية شيعة عبد الله بن الزبير وقتلهم كبير القيسية الضحاك بن قيس حتى آلت لمروان الخلافة . ويفتخر بانتصار تغلب على القيسية في أرض الجزيرة وقتلهم سيدهم عمير بن الحباب السلمي وتشتيتهم شملهم واجلائهم اياهم الى ديارهم ببادية الحجاز وعرض نجد . ويفتخر بأنه لسان قومه وان هجاءه سلاح ماض يدفع به عنهم من يهجوهم

فى فخره بنفسه وقومه قوله :

وإنى لمن علياء تغلب وائل ... لأولها بيتاً وأثبتها أصلا
أنا الجشمى الرحب فى الحى منزلا ... اذا احتل مصهود بصفنية هزلا
وقد علمت أبناء تغلب أننى ... نصار ولم أمت بقرقرة أثلا
وأنى يوماً لا مضيع ذمارها ... ولا مغلق هاج هجا كعبا بطلا

وقوله :

فما يزدهينى فى الامور أخفها ... وما أضلعتنى يوم ناب ثقيلها
ولكن جليل الرأى فى كل موطن ... وأكرم أخلاق الرجال جليلها
اذا الشعراء أبصرتنى تشعبت ... مقاحيمها وازور عنى فحولها

شعره فى السياسة

ولا تخلو قصيدة من مدائحه فى بنى أمية من التعرض لتأييد استحقاقهم للخلافة دون غيرهم . لانهم ذؤابة قريش وسادتها فى الجاهلية والاسلام ولانهم أرجحها عقولا وأكثرها حلماً عند القدرة وأصبرها شكيمة

ومن حسن تأدبه فى سلوكه السياسى أنه لم يتعرض لبنى هاشم بتقبيح ولم يشمت بقتلاهم كما شمت بقتل أبناء الزبير مع أنه نصرانى ربما لم يكن من شأنه أن يبالى بأى بيت من قريش تصير الخلافة بعد أن حرمت ربيعة النبوة والخلافة

وكأنه كان يرى فى نفسه أن بنى مروان اغتصبوا الملك غصباً بعد عجز العلويين عن المطالبة به بعد مقتل الحسين

ولم يتناول شعره غرضين كان من شأن أمثاله أن يرمى اليهما : أولهما الرثاء ، فقد كان فيه مكثاً بطبعه . فقد عمر فى ملك بنى أمية طويلا . ومات فى حياته معاوية ويزيد وعبيد الله بن زياد وبشر بن مروان وعبد الملك بن مروان فلم يعلم انه رثى أحداً منهم سوى يزيد وهو ولى نعمته بأربعة أبيات سخيفة اللفظ والمعنى وهى :

لعمرى لقد دلى الى اللحد خالد ... جنازة لا كابى الزناد ولا غمر
مقيم بحوارين ليس يريمها ... سقته الغوادى من ثوى ومن قبر
تصبح الموالى ان رأوا ام خالد ... مسلبة تبكى على الماجد الغمر
اذا جاء سرب من نساء يعدنها ... تعرت الأمن جلابيب أو خمر

وثانيهما التحدث عن النصرانية والتظاهر بشعائرها ، فلم يعرج فى شعره على شىء منها الا فى أبيات قلائل . قال فى حرب قيس وتغلب وانتصارهم على عمير بن الحباب السلمى :

وبهاً بنى تغلب ضرباً ناقعاً | أسروا اياساً وانتهبوا مجاشعا
كلاهما كان شريفا فاجعا | حتى تبلوا الحلق الدوامعا
لما رأوا والصليب طالعا | ومارسرجيس وسما ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعا | كالطير اذ تستورد الشرائعا
والبيض فى أكفنا القواطعا | خلوا لنا راذان والمزارعا
وبلدة بعيد هناك واسعا | وحنطة طيبا وكرما يانعا
وسما لابا وشاء راتعا | اصبح جمع الحى قيس شاسعا
كأنما كان غرابا واقعا

فعيره جرير بذلك من قصيدة فقال :

أعبد الصليب ومارسرجيس تتقى | شهباء ذات مناكب جمهور

وقال من أخرى :

يستنصرون بمارسرجيس وابنه | بعد الصليب وما لهم من ناصر

مع أن الاخطل فى كثير من المواضع يحلف بأيمان المسلمين والكعبة ومشاعر الحج وهدى الحجيج . وان حلف بشيء نصراني كالقساوسة والرهبان فانه لا يحلف بهم ولا بكتبهم بل يحلف برب هؤلاء المتبتلين والمنقطعين للعبادة والراغبين عن نعيم الدنيا وزينتها

وعذره فى ذلك واضح لان الاسلام دين العرب الغالب على جميع قبائلها وهو يعيش فى كنف خليفة الاسلام

معانيه وألفاظه

كان الاخطل ينزل مع رهطه بنى مالك بن جشم على ماء الغمر فى واد بين الخابور والفرات فى بيوت من الشعر والادم . وكانت أكثر الدواسم والمزارع فى أيدى قيس منذ الفتح الاسلامى الى أواسط حكم عبد الملك . فلما انتصرت تغلب على القيسية فى زمنه (وكان هوى عبد الملك مع تغلب لتعصبه على مضر شيعة ابن الزبير) جلا أكثر عشائر قيس عن الجزيرة وتراجعت الى شرق الشام والحجاز وانبسط لتغلب فسيح الجزيرة واعتقدوا المزارع والضياع . الا أن الاخطل كان قد أسن فى ذلك فلم يستفد من معيشة الحضارة كما استفادت ناشئة تغلب من بعده . وكان ينزل دمشق وافداً لا مقيما . فلذلك كانت معانيه مستمدة من البيئة البدوية والحضرية . فمن ناحية بدويته كثر فى أشعاره المعنى المفرد الساذج الذى لا يحتاج فى إدراكه الى كد خاطر وتردد فكر . ومن ناحية حضريته اشتملت أشعاره على جملة من المعانى المركبة المشكلة فى صور متعددة الاجزاء مرتبطة الاوصال مختلفة الالوان تحتاج فى تصورها الى فضل تأمل واستفادة نظر أكثر مما اشتملت عليه أشعار جرير . كما

فاقه جرير فى رقة اللفظ والسجامه ولطف مدخله وحسن وقعه وسيرورته فى الآفاق

وتدارك الاخطل مافات الفرزدق وجريراً من تهذيب شعره وطرح ركيكه وتمحيص معناه وتصحيح أقسامه حتى ليبد تلك القصيدة ويستبقي ثلثها . وهذا معنى قول جرير فيه : « إنه أكثرنا اجتزاء بالقليل » أى انه كان أقلهما مطولات وأقلهما سقطاً . ويمتاز عنهما بخلو معانيه من الصور والاخيلة الخبيثة التى تشبع عنها نفوس المتأدبين وذوى الاخلاق الكريمة

ولقد ضيقت عليه النصرانية وحشمة خلفاء المسلمين مذاهب معانى الهجاء بقدر ما وسع على جرير اسلامه . فكان اذا عيره جرير بدينه وامه وذمة لمضر عشيرته ومعاقرته للخمر ورعى أمه للخنازير ، لم يستطع أن ينقض عليه ما قال ويكذبه فيه أو يعيره بشيء من رخص الاسلام أو بذم بعض شعائره ، كما لا يستطيع أن يتمدح بشعائر النصرانية مكان سلطان الاسلام ، بل كان على نقيض ذلك يتظاهر بالتأدب بالآداب الاسلامية ويحلف بأيمانهم ويكنيتهم ومشاعر حجهم ومناسكه

والاخطل كغيره من الشعراء الاسلاميين يغير على معانى شعراء الجاهلية والمخضرمين ويسرق معانيهم وبعض ألفاظهم . فيسرق من طرفة وعنترة بعض معانيهما فى وصف الناقة ويسرق من الاعشى بعض معانيه فى وصف الخمر ويسرق من النابغة بعض معانيه فى وصف الديار والظعن وحديث النساء والنهر وركوبه

وقد عرفت آنفاً أنه لم يتيسر عليه نمط جيد فى الرثاء مع أن الرثاء ضرب من المدح ، والاخطل أمدح الناس بشهادة خصومه ، غير أن استدرار الدموع يستلزم نضجه للعرقة وتوقع زوال النعمة واستباحة الحرم بوفاة المصاب ، وهو لا يجيده الا رحيم رقيق . على سريع الانفعال

وكان الاخطل كالفرزدق كز النفس جافى القلب غليظ الكبد . وكانت ألفاظه متخيرة قليلة الغريب المتتبع وأسلوبه خالياً من المماطلة والتعقيد وكناياته قريبة اللوازم . الا أن كثرة الاعتناء على شعره بالتجويد والتحرير رفعه عن أفق العامة ، فلم يسر فيهم سيرورة شعر جرير . وكان الاخطل خشى أن يعاب بهذه الخصلة عند الخلفاء فجعلها حسنة من حسناته

قال يوما لعبد الملك : « يا أمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مدحتك (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة ، فما بلغت كما أردت » . فقال عبد الملك : « فاسمعنا يا اخطل » ، أتريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعر العرب ؟ » ، قال : « أكتفى بقول امير المؤمنين » فأجزل جائزته

احمد الاسكندري

بولونيا تزاحم اسبانيا
في اتصالها القوي بالعالم العربي

في أوروبا قطر بعث الى العالم العربي صلة قوية قديمة العهد، ويزاحم القطر الاسباني في تشابهه من ناحية الثقافة والتقاليد بالعالم العربي . وهذا القطر هو بولونيا ، التي تنظر اليها بقية الاقطار الاوربية نظرها الى دولة تجمع بين الشرق والغرب

بدأت علاقات بولونيا بالشرق منذ قيام الامارات التركية في الأراضي الاوربية وتوثقت تلك العلاقات من القرن الخامس عشر ، ولكنها كانت قائمة على أسس سياسية وحربية . فان تلك الامارات الشرقية كانت في قتال مستمر مع البولونيين ، فكان الفريقان يتحاربان ، ويقع الاسرى من الجانبين ، ويتبادل المتحاربون أولئك الأسرى ، ويتفاوضون ويتراسلون حتى اذا ماوضعت الحرب أوزارها فترة من الزمن ، تبادل الفريقان المصالح التجارية والادبية

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ، تغلبت الازياء الشرقية في بولونيا على الأزياء الوطنية ، فاصبح البولونيون يرتدون الملابس الشرقية ، ويشيدون منازلهم ويؤثثونها على الطراز الشرقي ، وحلت الدروع والاسلحة الشرقية في بلادهم محل الدروع والاسلحة الغربية المعروفة في ذلك الوقت . وأدت الحروب المتواصلة والمفاوضات المستمرة ، الى دخول طائفة من الكلمات والتعبيرات التركية والتترية على اللغة البولونية ، وما تزال باقية فيها الى الآن

ولكن علاقات بولونيا بالعالم العربي والغزاة المسلمين الذين انشأوا الممالك في الغرب ، كانت قائمة على أسس أخرى . فان بولونيا كانت بعيدة عن العالم العربي ، فلم تقم علاقاتها به على أسس سياسية وحربية ، بل على اساس واحد هو تبادل المنافع والمصالح الاقتصادية والعلمية والأدبية

ففي أواسط القرن العاشر ، وصل الى بولونيا وفد تجاري عربي برياسة التاجر ابراهيم بن يعقوب ، فاستقبله الملك اوتون الكبير ، ومهد له السبل للقيام برحلة تجارية في الاقطار الصقلبية . وقد رفع ذلك التاجر الى الخليفة العربي في قرطبة ، في ذلك العهد ، تقريراً عن رحلته تلك . ونص ذلك التقرير التجاري مدون في كتاب للعالم الجغرافي الاندلسي « ابو عبيد البكري » وهو سفر نفيس يحوي معلومات قيمة عن تاريخ بولونيا . ويشرح ابراهيم بن يعقوب في ذلك التقرير حالة بولونيا السياسية والاقتصادية منذ عهد الملك ميشك الاول ، ويقول إن مقاطعة بوميرانيا الواقعة على بحر البلطيك كانت في ذلك الوقت بولونية

نعم إن ابراهيم بن يعقوب كان يهودياً، ولكنه كان عربياً بثقافته ولغته وميوله، وقد فتح الطريق برحلته التي اشرنا اليها امام كثيرين من التجار العرب، الذين تدفقوا فيما بعد على بولونيا، ووصلوا منها الى شمال البلاد السكانديناية. وقد وجدت هناك اخيراً طائفة من النقود المعدنية، عليها كتابات يرجع تاريخها الى عهد الخلفاء العباسيين في بغداد

وفي القرن الرابع عشر، انشئت في بولونيا جامعة اسرة جاجلون في كراكوف، ومنشئها هو الملك كزمير الاكبر في سنة ١٣٦٤، وقد اعاد تنظيمها في سنة ١٤٠٠ الملك لادسلاس جاجلون. وهذه الجامعة لعبت دوراً هاماً في العلاقات العلمية بين بولونيا والعالم العربي، منذ نشأتها، بمناسبة انتشار آراء ارسطو الفلسفية في اوربا

وأوربا مدينة كما هو معلوم الى العالم العربي بمعرفة ذلك الفيلسوف العظيم، إذ أن ترجمة مؤلفاته قد نقلت الى اوربا بواسطة الفلاسفة العرب في الاندلس

وفي اللغة البولونية طائفة من الكلمات والتعبيرات العربية، معظمها علمية ورياضية وطبية وهندسية، مما يدل على علو كعب العرب في هذه العلوم ودخولها الى اوربا على ايديهم

وكانت علاقات البولونيين بالعرب قد توثقت على الخصوص بسبب قيام البولونيين بفريضة الحج الى الاراضي المقدسة بفلسطين. وقد عرج كثيرون من أولئك الحجاج على مصر وترك بعضهم مؤلفات فيها عن الاقطار العربية التي مروا بها أو أقاموا فيها

وابتداء من القرن السابع عشر، حمل البولونيون يقبلون بكثرة على دراسة اللغة العربية، فخرج منهم مستشرقون قدموا للعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب خدمات جليلة

ففي أواسط القرن السابع عشر، ظهرت أول ترجمة بولونية للقرآن الكريم، بقلم المستشرق بيير ستاركوفيك، وعهد بعده جماعة من التتار المسلمين المقيمين في بولونيا الى ترجمة القرآن أيضاً الى اللغة البولونية. والترجمة المنتشرة الى الآن بنوع خاص هي ترجمة جان تارك بوتفاك

وبلغ اهتمام البولونيين باللغة العربية والشعر العربي اقصاه في أوائل القرن التاسع عشر. وللمستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي فضل كبير في ذلك، فإن مؤلفات هذا المستشرق عن الشعر العربي والشعراء العرب انتشرت في الاوساط الادبية في بولونيا، فكان من جراء ذلك ان تأثر الشعراء البولونيون بالشعر العربي. وقد نقل كاتب بولونيا الأكبر آدم ما كيفتش الى اللغة البولونية قصيدة «لامية العرب» للشنفرى، وقصائد أخرى للمتنبي، ونظم قصيدة سماها «فارس» نحا فيها منحى القصائد العربية

وفي الوقت الذي كان فيه الشعر العربي يغزو العقول في بولونيا ويسحرها، كان المستشرقون من البولونيين يكبون على المؤلفات العلمية والفلسفية العربية، ويغوصون عباب لغة العرب،

فاخرجت بولونيا العالم، فى الجيل الماضى، رهطاً من نوابغ المستشرقين

غير أن معظم أولئك المستشرقين كانوا يضطرون الى الرحيل عن بلادهم، بسبب حكم الارهاب الذى اقامته فيها الدولة الامبراطورية الروسية، ولهذا السبب نرى فريقاً من أولئك المستشرقين البولونيين قد تركوا لنا مؤلفات بلغة غير لغتهم

وأشهر المستشرقين الذين نشير اليهم، كازيميرسكى، واضع القاموس العربى الفرنسى المعروف باسمه، والذى طبع بباريس سنة ١٨٦٠ ثم أعيد طبعه فى مصر، بمطبعة بولاق الاميرية، سنة ١٨٧٥ فى أربعة مجلدات. ولكازيميرسكى أيضاً ترجمة فرنسية للقرآن الكريم طبعت بباريس سنة ١٨٥٤ وقد ترك أيضاً باللغة البولونية مؤلفات قيمة

وفى عصرنا هذا نبغ اثنان من كبار المستشرقين البولونيين، فى دروس اللغة والعلوم العربية وهما: سيجسموند سموجورجسكى الاستاذ فى جامعة كراكوف، والذى فقدت بولونيا بموته ركناً من أركان العلم والادب والفضل. وتادى كوفالسكى، الذى ما يزال على قيد الحياة وهو أيضاً من أساتذة جامعة كراكوف

أما الأول فقد ترك مؤلفات مفيدة فريدة فى نوعها، عن انتشار الاسلام والطوائف والمذاهب الاسلامية فى افريقيا الشمالية

وأما الثانى فانه منصرف الى درس الثقافة العربية وتطور اللغة والعادات والتقاليد والعلوم قبل الاسلام وبعده، فى جميع الاقطار الناطقة بالضاد. ويخصص الاستاذ كوفالسكى شطراً من مجهوده العظيم للشعر العربى فى مختلف العصور. ومن ثمرات يراعه التى يشار اليها على الخصوص ترجمة ديوان قيس بن خطيمة، الذى تم طبعه، وديوان كعب بن زهير، الذى ما يزال الاستاذ كوفالسكى يعمل فيه إلى الآن. وله أيضاً مؤلفات كثيرة فى الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام وفى عكاظ والشعراء المخضرمين وشعراء العصر الحاضر. فالاستاذ كوفالسكى مرجع من المراجع العليا، الموثوق بها، فى كل ما يتعلق بالشعر العربى والثقافة الاسلامية فى جميع العصور. وهو مفخرة من مفاخر بولونيا صديقة العرب وأحد مواطن المسلمين فى الغرب

ومما يسر كل عربى ان يعلمه فى هذه المناسبة، ان درس اللغة العربية منتشر انتشاراً عظيماً فى بولونيا، فى عصرنا هذا، وان فى الجامعات البولونية كلها فصولا خاصة لدراسة هذه اللغة

وقد أفاقت بولونيا الآن من سباتها العميق واسترجعت حريتها واستقلالها فانطلقت من جديد فى ميدان الرقى والعمل بقيادة زعمائنا الاحرار الاوفياء. فكان أول ما أقدمت عليه حكومتها الفتية الحاضرة استئناف العلاقات الادبية والعلمية والفكرية بالعالم الاسلامى شرقاً وغرباً. فاللغة العربية تجد الآن فى جامعات بولونيا موئلا هو فى الواقع من معاقلها الحصينة. فبولونيا - فى بلاد الغرب - مركز الثقافة العربية ولغة العرب

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نحن خير من أجدادنا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سكريبنر بقلم الأستاذ تشارلس رسل]

تسمع من وقت الى آخر جمعة المتشائمين يتغنون بالويل والثبور ويقولون إن الانسان سائر في طريق الشر وإن الاجتماع آيل إلى الفوضى والاضطراب. ولقد تشعر بتلك الفوضى وبذلك الاضطراب في كل ما يحيط بك مع أنك لو تروّيت في الامر وأمعنت النظر فيه لعلمت أن الاجتماع ليس سائراً الى أردأ وأن تقدم العمران ليس اليوم أبطأ مما كان منذ بضعة عقود بل هو يرتقي ويتحسن بالتدريج

والمجال لا يتسع لسرد الامثلة على ذلك. ولكن في بعض تلك الأمثلة ما يكفي للدلالة على صحة ما نقول. خذ الحالة الاجتماعية في بعض مدن الولايات المتحدة مثلا. فقد كانت منذ خمسين سنة من أردأ ما يستطاع تصوره. كان العامل يشتغل عشر ساعات في اليوم ولا أمل له باصلاح حالته ولا رقابة على المعامل ولا على الشروط الصحية ولا وسائل لوقايته من الاخطار والاصابات. وإذا أصيب بسوء في أثناء عمله لم يمنح مكافأة ولا يهتم به أحد. ولم يكن للنساء العاملات والاولاد في تلك المصانع أي رجاء بتحسن الاحوال ولا كان أحد يعنى بمصائب الآخرين. وكانت المدن ملأى بالاحياء القذرة وهي بؤرة للمجرمين والاشقياء. والبوليس لا يحرك ساكناً لتطهيرها أو لاصلاحها. ولم يكن الفساد منتشراً في الدوائر الاجتماعية فقط بل في الدوائر السياسية والحكومية أيضاً. فلم يجر انتخاب نيابي أو خلافه إلا والرشوة والغش والخداع من مستلزماته. ولم يكن السائر يمر في شارع من شوارع المدن الا ويراه غاصاً بالحانات وأندية الميسر ودور الخلاعة. أما المجرمون واللصوص وقطاع الطرق فحدث عنهم ولا حرج. فقد كانوا يملأون المدن ويغشون المجتمعات ولا يحسبون للحكومة حساباً

كذلك كنت ترى آثار الفوضى والفساد حيثما أدرت طرفك. فالشركات والمعامل وسكك الحديد وغيرها كانت تفعل ما تريد كأنها الحاكم بأمره. إذ لم تكن ثمة قوانين

تقيدها . وكانت تلك الجماعات ترشو الصحف لتسكت عنها ثم تفعل ماتشاء . وكان باعة السلع والمواد الغذائية يستبدون بالناس على قدر ما يستطيعون

أضف الى ذلك أن الشؤون الدولية والسياسية كانت تدار بالاساليب القديمة كما كانت منذ عصور الفراعنة ، وكان الجميع — ماعدا بعض الحالمين — يعتقدون أن الحرب ضرورة لابد منها وأن الاجتماع لاتقوم له قائمة بدونها

أما الآن ؟ . . .

يقول المتشائمون ان الحالة اليوم أردأ مما كانت ، وأن العلاقات الدولية ليست في تحسن ، وأن عصبة الامم هي اسم لغير مسمى ولا تستطيع أن تفعل شيئا بدليل أنها لم تستطع منع الحرب بين الصين واليابان ، وبدليل أن بعض الدول قد خرجت منها وبعض الدول الاخرى تأبى الانضمام اليها . وقد تكون هذه الحجج على شيء من الوجاهة ولكن عصبة الامم لم تهمل الواجب المفروض عليها بل صرحت وتمسكت بمبادئها السامية ، واقترحت على بعض الدول أن تحل ما بينها من المشاكل بالطرق السلمية بدلا من ان تحلها بالسيف والمدفع . ولئن كانت قد فشلت في بعض الاحيان فان مساعيها في حد ذاتها دليل على تقدم الاجتماع وارتقاء المبادىء . نعم انه تقدم بطيء ولكنه حقيقي . واذا لم يكن للوسائل السلمية شأن في هذا العصر فسيكون لها شأن الاعظم في المستقبل

في سنة ١٨٤٢ شنت بريطانيا العظمى حرب الصين بسبب تجارة الافيون . فلم يبال أحد بتلك الحرب . أما اليوم فلا بريطانيا العظمى ولا دولة اخرى تستطيع ان تشهر الحرب على غيرها إلا بعد ان تستنفد كل وسائل الاقناع والمناقشة

وفي سنة ١٧٩٨ كانت انجلترا تحكم ارلندا بكل قسوة حتى أنها كانت تشنق علنا كل من يطالب بالاستقلال . اما اليوم فان الارلنديين يطالبون علنا بفصل بلادهم عن انجلترا

وأغرب من ذلك ان السفراء الاميركيين في انجلترا وفرنسا واسبانيا اجتمعوا مرة في اوستاند ووضعوا منشوراً رفعوه الى الحكومة الاميركية وطلبوا منها ان تعرض على الحكومة الاسبانية ان تشتري منها (اميركا) جزيرة كوبا لاغراض النخاسة فاذا ابت اسبانيا ان تبيعها تلك الجزيرة تشهر اميركا عليها الحرب وتأخذ منها تلك الجزيرة عنوة

تلك كانت مبادىء السياسة الدولية في ذلك العصر ، فهل تجرؤ اليوم أية دولة ان تفعل مثل ذلك ؟

كلا والف كلا . فلا تقل اذن ان العالم سائر الى الفوضى والفساد لانه في الحقيقة سائر في طريق الرقي والاصلاح . وحالة الاجتماع أفضل اليوم مما كانت عليه منذ خمسين سنة . فعواطف الرحمة والشفقة والعدل والصدق والاخلاص أرقى مما كانت . ولا ينقص من قدر هذا القول ما وقع من

الفظائع في الحرب العظمى الماضية . بل لقد تمخضت تلك الحرب عن نظام دولي يراد منه منع الحروب والحيلولة دون فظائعها وويلاتها

ولا شك أن كل هجوم يقوم به زعماء الاجتماع على معاقل الشر والفساد يؤدي الى ترقية العمران . نعم قد يخيب ذلك الهجوم وينتهي الى الفشل ، ولكنه لا بد أن يترك وراءه أثراً جيداً ، اذ ما من جهد يذهب سدى في هذا العالم . ولقد يستطيع الظالمون اسكات اصوات المظلومين ، ولكن تلك الاصوات لابد ان توقظ ضمير الانسانية فيما بعد . والاصلاح ليس عملا بسيطا يمكن انجازه في يوم واحد بل هو عمل تدريجي يقتضي وقتا طويلا . ولا يمكن ان يضيع اثر اي عمل صالح في العالم . نعم لقد يتجاهل البشر ذلك الاثر او يتناسونه ردحا من الزمن ولكن بذوره لا تموت

انظر الى حوادث التاريخ . لقد كانت الثورة الخاصة بماجنا كارتا ، في انجلترا سببا في الحكم على الكثيرين بالموت . وما اكثر الذين هربوا من انجلترا بسببها حتى زعمت الحكومة انها قد اجتثت جذور الثورة من أصولها ، ولكن الزمن دار دورته ونال الشعب الانجليزي الدستور الذي كان يطالب به

وهكذا قل في حوادث كثيرة . فالثورات الاصلاحية لا بد من نجاحها وان منيت بالفشل في أول الامر . والنجاح لا يتم في غالب الاحيان . ولكنه حقيق لا شك فيه

ليس العجب ان الاجتماع قد وصل في هذا العصر الى هذا الحد من الشر والفساد بهذا المقدار ، بل العجب كل العجب ان الحالة ليست أسوأ مما هي . فاذا كان الانسان مع ما يحيط به من اصناف الشر والفساد والقسوة والهمجية وشريعة الغابة ، لا يزال يقدر مبادئ السلام والامانة والرحمة والاخاء حق قدرها ، ففي ذلك ما يجب ان يحملنا على الفخر والاعجاب . لا ما يدعو الى التشاؤم من المستقبل حقا ان العالم سائر في سبيل السلام بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة

حقائق يجهلها الكثيرون

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة اميركان
ليبرتي بقلم فردريك كيلي]

تدل المباحث والاحصاءات الدقيقة المتعلقة بالزواج على اشياء كثيرة يجهلها سواد الناس . وفيما يلي بعض تلك الحقائق نوردها على سبيل الايجاز :

فمن ذلك ان الرجل الذي يعرض نفسه لفتنة الارملة ودلالها قلما ينجو من الوقوع في شرك غرامها . بخلاف الذي يعرض نفسه لفتنة فتاة حسناء غير متزوجة فان افتقارها الى الاختبار الذي تمتاز به الارملة يساعد الشاب على استرداد نفسه والنجاة من ذلك الشرك

ولا يخفى ان المرأة اذا تقدمت فى السن اعتاضت بالتيه والدلال والخبرة عما افقدتها اياه الايام . وفى هذا سر تفوق الارملة على الفتاة غير المتزوجة وفوزها عليها فى ميدان التنافس على الشبان . وتدل المباحث الدقيقة التى قام بها بعض الباحثين على ان حظ الارملة او املها بالزواج وهى بعد فى سن الاربعين لا يقل عن حظها او املها يوم كانت ما تزال فى الخامسة والثلاثين . حالة ان الفتاة غير المتزوجة اذا بلغت الاربعين فان املها بالزواج يهبط الى نصف املها يوم كانت فى الخامسة والثلاثين . اضف الى ذلك ان عدد الارامل اللواتى يتزوجن مرة ثانية وهن بين الخامسة والثلاثين والاربعين لا يقل عن عدد من يتزوجن منهن بين الخامسة والعشرين والثلاثين

وتدل الاحصاءات ايضاً على ان الارامل هن اقدر من الفتيات العوازب فى اقتناص ازواج اصغر منهن سناً . وغنى عن البيان ان الشاب يأنف عادة من ان يتزوج فتاة اكبر منه سنا ولا سيما بعد مجاوزته الخامسة والثلاثين . فاذا تزوج من هى اكبر منه سناً فلانها تفتن له الى حد انه يتناسى سنها وينقاد الى سحرها

وتدل المباحث ايضاً على ان مشابهة الاخلاق تأثيراً كبيراً فى تصميم الرجل على الزواج . فالشاب يحب الفتاة التى تفكر مثل تفكيره ، وتثق له رأى فى معظم الاشياء شبه رأيه . وهذا يعلل ما قد يمتاز به الزواج احيانا من [illegible] . وعند [illegible] وهو ان الرجل يميل الى الاقتران بمن تختلف عنه فى الصفات والاخلاق . على ان الاحصاءات تدل على ان [illegible] الرجال يفضلون الاقتران بمن ليس بينهم وبينهن خلاف كبير فى الخلق والخلق . [illegible] يتزوج فتاة أطول منه قامة . فاذا تزوجها فالارجح [illegible] من الذكاء بحيث لا [illegible] واما [illegible] استخدمت ذكاءها بدهاء عظيم بحيث أنه لم يشعر بالفارق بينه وبينها . والارجح أيضاً أنه هو نفسه من الذكاء بحيث لا يدع كرهه للمرأة الطويلة يتغلب عليه

ويؤخذ من الاحصاءات أن عدد الارامل من النساء فى العالم يكاد يكون ضعفى عدد الارامل من الرجال . لان المرأة تعمر أكثر من الرجل ولان الرجل يكون عادة أكبر سناً من زوجته فمن الطبيعى أن يموت قبلها

وتدل الاحصاءات أيضاً على أن شهر يونيو هو أوفر أشهر السنة حظاً من الزواج ويليه شهر اكتوبر . وان سوق الزواج تكون على اشدها كساداً فى شهرى مارس وديسمبر من كل سنة . ولعل سبب ذلك أن المرء أكثر تفكيراً فى لوازم الحياة فى أشهر الشتاء منه فى أشهر الصيف . فهو فى الشتاء يفكر مليا فى شؤون الثياب والدفء والاكل اكثر مما يفكر فى تلك الشؤون فى أشهر الصيف

وخاتمة القول ان المواليد فى شهر مايو اكثر منها فى أى شهر آخر من أشهر السنة فى جميع انحاء العالم . وليس لذلك تعليل علمى حتى الآن

خرافة مساواة الشعوب

[خلاصة لعرت بجريدة
الطان للاستاذ لابورد]

يعلم القراء نظرية الهر هتلر رئيس وزارة المانيا بشأن الاجناس الآرية والسامية وهى النظرية التى أدت الى استحكام الخلاف بينه وبين اليهود . وليس هتلر صاحب هذه النظرية بل هو أحد أتباعها . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان واضعها هو الاستاذ فاشى ديلابوج (Vacher de Lapouge) العالم الانتربولوجى الفرنسى الشهير ، وانه هو الذى أوحى بها هتلر ونجد فيما يلى خلاصتها نقلا عن جريدة الطان . قال الكاتب بعد مقدمة وجيزة :

وضع فاشى ديلابوج نظرية فلسفية بناها على مبدأ تنازع الاجناس . وكان العلامة جوبينو قد سبقه الى هذا البحث وانتهى منه الى القول بتفوق الجنس الآرى الا أن ديلابوج بدلا من أن يبنى نظريته على اعتبارات تاريخية كما فعل جوبينو ، بناها على الفلسفة الداروينية متتبعاً تاريخ الاجناس الآرية فى بلاد فارس واليونان والهند والجرمان

يزعم هذا الاستاذ أن لشكل الجمجمة قيمة عظيمة فى تاريخ الشعوب ، وما تاريخ الشعوب فى نظره سوى نزاع طويل بين أصحاب الجماجم المستطيلة (أى الجنس الآرى) وأصحاب الجماجم القصيرة . واذا تتبعنا تاريخ فرنسا نجد انه مظهر من مظاهر انتصار الجنس الجمجمى ذى الجمجمة القصيرة ، ذلك الشعب الذى أوقد جذوة الثورة الفرنسية المشهورة دفاعاً عن مبدأ المساواة الذى يعتبره ديلابوج خطأ ويحسبه جوبينو خيالا

ترى ما هو مستقبل هذا الجنس ؟

يزعم جوبينو أنه آخذ فى الانقراض وان انقراضه مؤذن بزوال الحضارة . ويذهب ديلابوج أيضاً هذا المذهب ، ولكنه يرى أن فى الامكان تلافى هذه الكارثة ، وقد كتب فى ذلك يقول : « ان جوبينو قد أدرك مبادىء فلسفة التاريخ حق الادراك ، ولكن فاته ناموس الانتخاب الطبيعى ومدى تأثيره فى تكوين الحضارة » . وهذا الناموس يعمل بلا فهم ولا ادراك ، وكثيراً ما يؤدى الى بقاء الأردأ ، كما ان النقود الرديئة — بحسب ناموس الاقتصاد السياسى — تطرد النقود الجيدة . وقد كانت الاديار والصوامع فى العصور الوسطى تجتذب كبار العلماء والفلاسفة فينقطعون فيها لخدمة العلم ولا يتزوجون ، فيخسرهم العالم ويبقى من هو دونهم ، أى ان البقاء لم يكن للعرق الاصلح

ويدعى ديلابوج ان اليهود هم المنافسون الوحيدون للجنس الآرى فى السعى لاخضاع العالم

وبسط السيادة عليه . وهو لذلك يظهر لهم كرهاً شديداً . ويظهر أن هتلر قد اقتبس عنه نظريته هذه وكرهه للشعوب السامية . وفى الواقع ان مؤلفات ديلابوج معروفة ورائجة فى ألمانيا منذ سنة ١٨٩٠ وكان الامبراطور غليوم من المعجبين بها ، وقد قال مرة : « ان الفرنسيين لا ينصفون . فان فاشى ديلابوج رجل عظيم ومع ذلك يجهلونه » .

وقد أفضى ديلابوج بحديث إلى أحد كتاب الصحف فقال : « ان الجنس الآرى قد قام بنصيب عظيم فى بناء صرح المدنية الحاضرة وكان أثره عظيماً جداً فى انجلترا وأميركا وأقل وضوحاً فى ألمانيا . وقد تعمد الألمان الاساءة إلى الحقيقة فنسبوا الى جوبينو النظرية القائلة بتفوق الجنس الالمانى فخلطوا بين الجنس النوردى والشعب الالمانى مع ان هذا الشعب هو كالشعب الفرنسى خليط من أجناس كثيرة ، وانما يختلف عنه بكونه ما يزال يحتفظ ببقية من سمات الشعب الآرى وعناصره »

ويقول ديلابوج إنه لا ينكر تفوق الجنس النوردى (الآرى) ولكن لا يجوز اثبات هذا التفوق بالبطش والتنكيل بالاجناس الاخرى . واليك ماقاله لكاتب هذه السطور :

« لقد اكتشف داروين مبدأ الانتخاب الطبيعى وأيده بأدلة كثيرة ، وجاء بعده جالتون فطبق ذلك المبدأ على نظم الاجتماع . وقد شرحت ذلك كله فى الكتب التى نشرتها فى سنتى ١٨٨٠ و ١٩١٠ وفى الخطب التى ألقيتها فى جامعة مونبلييه حيث كنت أستاذاً لعلمى الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الاجتماعية . وقد أخذ هتلر نظرية الانتخاب الطبيعى كما شرحتها فى مؤلفاتى المذكورة الا انه حولها الى وجهة عسكرية ، مع أن الدكتور جونثر الاستاذ بجامعة ييتا هو من أحد أتباعى وهو من أوثق الناس اتصالا بهتلر ، وكذلك الدكتور فريك وزير الداخلية وقد وضع برنامجاً لترقية الشعب الالمانى على مبادىء نظرية انتخاب النسل كما بسطتها فى كتبى . وهذه المبادىء تقوم على عاملين لهما صلة وثيقة بناموس الوراثة (أولها) منع تناسل غير المرغوب فيهم (وثانيهما) الاكثار من العناصر الراقية فى الجنس . وهذان الامران هما عكس ما يقول به أنصار الانسانية الكاذبة . وفى الواقع ان المفروض علينا رفع مستوى الانسان الى أوج الكمال . وليس من الحكمة اضاعة الوقت سدى فان عوامل الفساد والانحطاط تقضى بسرعة على عناصر الرقى ، والاجتماع فى حاجة الى العقول الكبيرة لتدفعه الى الامام وترفعه الى مستوى الكمال . وهذا لا يمكن أن يتم مع وجود عوامل الفساد والانحطاط التى تعوق سيره

« ان مبدأ انتخاب النسل يجب ان يكون ديانة الانسانية الجديدة ، وهو معمول به اليوم فى أنحاء كثيرة من أوربا الا فى فرنسا والبلدان اللاتينية . وأعتقد انه لن يمضى ردح من الوقت حتى تدرك جميع حكومات العالم أن من أول واجباتها المحافظة على عناصر الرقى والتفوق فى بلادها . أما القول بتساوى البشر فخرافة لا يسلم بها عاقل »

جولة بين الافلاك

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة مكول
بقلم الاستاذ موريس مارك]

أورد الكاتب مقدمة وجيزة لمقاله شرح بها مرصد موت ويلسون الفلكي وهو أكبر مراصد العالم في الوقت الحاضر . وفيه مرقب (تلسكوب) يبلغ قطر عدسته مائة بوصة . وليس في العالم كله مرقب يوازيه . ثم انتقل الكاتب الى وصف ما تستطيع العين رصده بذلك المرقب فقال :

إذا نظرت من خلال عدسة هذا التلسكوب الى قبة الفلك وقع نظرك على ما لايقل عن ألف مليون من النجوم ، مع أن العين المجردة لا تستطيع أن ترى في القبة الصافية أكثر من ستة آلاف نجم فقط . وإذا أدرت التلسكوب الى جهة السديم المعروف بالمرأة المسلسلة رأيت مجموعة من الكائنات تتألف من ملايين من الاجرام السماوية وكأنها قد تكدست بعضها فوق بعض فبدت بشكل غمامة كان العرب يسمونها لطخاً سحابية يضرب لونها الى البياض كالمجرة . والسديم المذكور يبعد عن عالمنا نحو مليون سنة ضوئية . وإذا تذكرت أن النور يسير بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية أدركت بعد ذلك السديم عن فلك الارض

وفي فضاء الكون ملايين من أمثال هذا السديم ويكاد كل سديم منها يكون أكبر من مجموعة العوالم المعروفة عندنا بالنظام الشمسي ، وفي حشد كواكب الاوسية جزء منه . وبعض تلك السدم يندفع في الفضاء بسرعة عشرة آلاف ميل في الثانية . وفي بعضها شموس هائلة لا يستطيع ان يتصور العقل جرماً أكبر منها فإن قطر بعضها يبلغ مائتي مليون ميل

ولندر المرقب قليلا الى جهة مجموعة النجوم المعروفة عند علماء الفلك بكوكبة الجاثي أو الراقص ففي هذه المجموعة نحو الف ومائتي نجم . والكوكبة كلها تبعد عن نحو ثلاثين الف سنة ضوئية . وفيها ١١٣ كوكبا من مختلف الاقدار . وفي وسع العالم الفلكي أن يحدد حجم كل جرم من هذه الاجرام وان يقيس درجة حرارته وأن يعلم جميع العناصر والمواد التي يتألف منها

ومما يجدر بالذكر ان المرصد الذي نحن بصدده مقام على قمة جبل ويلسون على ارتفاع ستة آلاف قدم عن سطح البحر . والعلماء الذين يقيمون به هم أشبه بأناس معتزلين عن العالم قد انقطعوا للبحث والرصد والاستقراء بعيدين عن جميع مظاهر المدنية

ومن هؤلاء العلماء ستة قد وقفوا أنفسهم على درس كل ما هو خاص بالشمس وبالكلف أو اللطخ التي تعلو سطحها . وأحدث النظريات عن هذه الكلف هي انها غازات تخرج من جوف الشمس وهي من نوع غير قابل للالتهاب ، إذ لو كانت ملتهبة لامتزج لهيبها باشعاع الشمس وضاع أثرها . وهذه الغازات تنبعث من بطن الشمس في أوقات معينة ، وقد أثبت العلم انها تؤثر في جو الكرة

الارضية وفى الكائنات النباتية والحيوانية تأثيراً عظيما . وجميع الاضطرابات الكهربائية المناطيسية التى تقع فى الجو هى مسببة عنها . كما انها تحدث أثراً محسوساً فى الكهربائية السلكية واللاسلكية

ولندر المرقب مرة أخرى حتى تقع عدسته على السيار المعروف بالزهرة (بضم الزاى وفتح الهاء) والفرنسيون يسمونه «فينوس» . ولا يختلف حجمه كثيراً عن حجم كرتنا الارضية ، وبعده عن الشمس أقل قليلا من بعد الارض عنها . ولهذا لا يختلف جوه كثيراً عن جو الارض وهذا ما يحمل علماء الفلك على القول باحتمال وجود كائنات حية فيه أشبه بالكائنات الحية على كرتنا الارضية . على أن هذا القول لا يخرج عن حد الحدس والتخمين . وفى الواقع اننا لا نستطيع أن نبدى حكما قاطعاً بشأن الزهرة لان الغيوم تكتنفها على مدار السنة ولم يتمكن أحد حتى الآن من رصد سطحها

والكلام على الزهرة يجرنا الى الكلام على المريخ . ومع أن بعض علماء الفلك يميلون الى القول بوجود الحياة العاقلة فى المريخ فليس هنالك ما يؤيد هذا القول . ورصد هذا السيار يدل دلالة أكيدة على أن جوه بارد برداً شديداً بسبب بعده عن الشمس ، فهو يبعد عنها نحو ١٤٢ مليون ميل . على ان القرائن العلمية تدل على وجود بخار مائى فى جوه هاك غيوم تظهر فيه وتختفى وتكثر وتتناقص . كما أن على سطحه خطوطاً عرضية [illegible] يعتقد البعض [illegible] قنوات مائية عظيمة من صنع مخلوقات عاقلة . وليس فى استطاعة العلم تأييد هذا الزعم أو نفيه فى الوقت الحاضر

ولندر المرقب الى زحل وهو يسبح فى الفضاء بحلقاته الثلاث ، هى حلقات متراكزة تبدو للناظر كأنها واحدة فى مستوى واحد لأن كل حلقة منها داخلة ضمن الاخرى وهى أصغر منها وليست هذه الحلقات غازات أو سوائل محيطة بذلك السيار [illegible] هى دقائق من المادة تدور حول المريخ كما يدور القمر حول كرتنا الارضية . وتبعد حافة الحلقة الصغرى الداخلية عن سطح المريخ سبعة آلاف ميل . وتختلف كل حلقة عن غيرها بكثافة المادة التى هى مركبة منها . والحلقات رقيقة جداً . وتكون حافتها متجهة الينا مرة كل خمس عشرة سنة بحيث لا تبصرها العين الا خطاً دقيقاً . وبين كل حلقة والتى تليها فراغ يسمى فراغ كاسيني نسبة الى كاسيني الفلكى الايطالى الذى اكتشفه سنة ١٦٧٥

ولندر المرقب مرة أخرى الى الجوزاء . فماذا نرى ؟

نرى مجموعة هائلة من الشموس لا يقل حجمها عن حجم مليون شمس متكدسة فى شمس واحدة . ويكاد من ينظر اليها بالتلسكوب يخيل اليه انه يسمع أجيج لهيبها الهائل يشتعل منذ بدء الزمن وسيظل يشتعل كذلك الى الابد — الى ذلك اليوم الذى سيفنى فيه الزمن . وقد قال السر جيمس جينز العالم الفلكى المشهور : ان منكب الجوزاء أكبر شيء يعرفه العلم . والايلكترون أصغر جواهر المادة . والانسان وسط بينهما . فنسبة حجم الجوزاء الى حجمه كنسبة حجمه الى حجم الايلكترون . وفى فضاء الكون نجوم لا عداد لها ولا يقل عددها عن عدد حب الرمل

المشي في النوم

[خلاصة مقال نشر في مجلة
اميركانا ويكلي بقلم منشيء المجلة]

كان اللفتنانت جون هولي من أطباء الجيش البحري الاميركي يقضي مدة شهر العسل مع عروسه في أحد فنادق نيويورك . وفي صباح يوم من أيام ذلك الشهر وجده عمال الفندق ملقى على الارض وقد سقط من الطبقة الثالثة وكسرت ساقه . وقد ظن في أول الامر أن المسألة جناية . ولكن ثبت فيما بعد أن اللفتنانت هولي كان مصاباً بمرض « السمنومبوليسم » أي المشي في النوم

ومنذ عهد غير بعيد وقعت في نيويورك حادثة أثارت اهتمام الرأي العام . فان رجلا يدعى « دوابن » اتهم بقتل صديق له يدعى ديمبس . ولكن المحلفين حكموا ببراءته عندما ثبت أن المتهم قتل غريمه وهو في حالة السمنومبوليسم ، إذ نهض من سريره وهو نائم وأخذ مسدسه وذهب الى غرفة ديمبس وقتله

ووقع مثل ذلك لالفرد موريسون من أهالي ولاية نيويورك إذ نهض ذات ليلة من سريره وسار الى غرفة زوجته وهو نائم واطلق عليها رصاصة فقتلها وعاد الى سريره وهو لايدري ما جنته يداه . ولما علم المحلفون بحقيقة ما فعله حكموا ببراءته

ووقع للمستر جيمس لامل من أهالي بلاد كنساس حادث سيء هو في أشد الاسف . ذلك انه هب من نومه ذات ليلة مذعوراً وقد سمع وقع خطوات في غرفته ثم رأى شبحاً يتقدم نحوه . فما كان منه إلا أن صوب نحوه مسدسه وأرداه قتيلا . وما كان أشد ذعره عندما علم أن القتيل زوجته وقد كانت معتادة ان تمشي في نومها

ونهض فريدريك ستوكويل من أهالي انجلترا ذات ليلة من نومه وعمد الى سكين ذبح بها زوجته وقطعها أرباً أرباً . وثبت بعد ذلك انه ارتكب جريمته وهو في نومه . ولكن المحلفين حكموا بوضعه في مستشفى المجاذيب خيفة أن يكرر جريمته ويقتل شخصاً آخر

واتفق منذ مدة أن بوليس مدينة ليون بفرنسا كاد يطيش عن أمره لان شخصاً مجهولا كان يكتب رسائل بريدية ويبعث بها الى زوجات بعض كبار رجال المدينة يخبر كلا منهن بصيغة واحدة ويحمل متماثل ان زوجها قد اتخذ السكرتيرة التي عنده خليلة . واتفق ان هذه التهمة كانت صحيحة في بعض الاحيان فاحدثت تلك الرسائل ضجة عظيمة وحيرت رجال البوليس . وبعد بحث وعناء كبيرين ثبت أن فتاة كانت في خدمة احدى الشركات المالية ثم استغنى عنها ، خيل اليها ان عضواً يمار منها قد كتب الى زوجة المدير يحذرها من علاقة زوجها بها . واستولى هذا الاعتقاد على هذه البائسة وكانت مصابة بمرض النوم . فصارت تنهض كل ليلة من نومها وتكتب رسالة الى زوجة مدير شركة من

الشركات تحذرها من « سكرتيرة » زوجها . وظلت على هذه الحال تكتب كل ليلة رسالة فى هذا المشى الى ان ابصرها أحد رجال الشرطة ذات ليلة تسير فى الشارع حافية ولابسة جلباب النوم حتى وصلت الى صندوق البريد الموضوع فى الشارع وألقت فيه الرسالة المعتادة وثبت انها كانت تعمل ذلك كل ليلة وهى فى حالة سنومبوليسم

والامثلة من هذا القبيل كثيرة لاتقع تحت حصر . وقد كان المشى فى النوم معروفاً عند الاقدمين وكانوا ينسبونه الى الشياطين والارواح الشريرة . ومن الطبيعى أن العلم الحديث ينكر هذه النظرية . والمعروف عن الذى يمشى فى نومه انه لايعرف الخوف مطلقاً فهو يمشى فى الاماكن الخطرة التى لايجرؤ على السير فيها فى ساعات يقظته . على أنه ليس صحيحاً انه يستطيع أن يمشى على الحبل أو على قمة حائط عال رفيق . ثم انه يستطيع الاحتفاظ بموازنة جسمه على وجه مدهش ، ولكن الذى يساعده على ذلك عدم ادراكه الخطر المحدق به ، ولو كان يعلم ما يعمل لأفقده الخوف توازنه وجعله يهوى الى الارض

ومن المزاعم غير الصحيحة أيضاً قولهم اننا اذا تركنا الرجل الذى يمشى فى نومه يعمل مايريد ولم نعترضه فلن يصيبه أذى ولكنه إذا أوقظ فجأة فقد يصاب بصدمة شديدة وربما مات . على أن الاختبار قد أثبت أن الكثيرين ممن يمشون فى نومهم قد يسقطون من مكان عال ويموتون من دون أن يتعرض لهم أحد . ومن الجهة الاخرى فقد ثبت الاختبار أن من يمشى فى نومه اذا أوقظ لايصاب بالضرورة بمكروه . والشواهد على ذلك كثيرة لايتسع لها المقام . ونذكر منها هذه الحادثة وخلاصته أن نوتياً فى أحد المراكب الانجليزية كان مصابا بمرض السنومبوليسم من دون أن يعلم رفاقه بذلك . وفى ذات ليلة نهض من سريره وصعد الى ظهر السفينة وهناك سقط فى الماء فأيقظه برد الماء من نومه فتمسك بحبال السفينة وصعد اليها وذهب الى غرفته حيث أبدل ثيابه المبللة ولم يصب بمكروه

ومما أثبته الاختبار أن الذى يمشى فى نومه قلما يعمل ذلك وهو فى وطنه وبين أهله وانما يقع له ذلك عندما يكون متغرباً بعيداً عن قومه ، والمصابون بالسنومبوليسم يجهلون هذه الحقيقة وتتكرر حوادث مشيهم فى النوم عندما يكونون على سفر . وهناك عدة شواهد تدل على أن المصاب بالسنومبوليسم كثيراً مايمشى فى نومه مسافات طويلة جداً قد تبلغ عدة أميال ثم يعود الى مكانه قبل ان يستيقظ من نومه . وروى أحد الاطباء أن رجلا مصابا بهذا المرض كان ينهض فى بعض الليالى فيلبس ثيابه وهو مايزال نائماً ويذهب إلى محطة السكة الحديدية فيشترى تذكرة ويركب القطار وفى صباح اليوم التالى يجد نفسه فى مدينة غير المدينة التى كان فيها فى الليلة الماضية

وتدل الاحصاءات الطبية على ان اثنين فى كل مائة الف من الناس معرضون لمرض السنومبوليسم أو هم مصابون به ، وان عددهم آخذ فى الازدياد بسبب ازدياد اشتغال البال وكثرة هموم الحياة . وأحسن علاج لهذا المرض هو الراحة والهدوء والعيشة البعيدة عن كل ما يكدر أو ينغص

المتجرون بالاسرار

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار
دي موند بقلم الاستاذ جورج فيرال]

فى اوربا — بل فى سائر انحاء العالم — طائفة خطرة من المرتزقة هم حرب على بعض الحكومات. وعدتهم عين نقادة واذن منصتة وفكر ثاقب وآلة تصوير فوتوغرافية . هــذا هو كل ما يحمله الجاسوس للقيام بمهمته ، وهو لا يسعى الى الحصول على المال بطريق السرقة او الاكراه وانما يسعى للوقوف على اسرار الغير ليقدمها لرؤسائه او ليتاجر بها

وفى الواقع انه ليس فى العالم مدينة او مركز صناعى او تجارى او سياسى او حربى الا وله اسرار يتمنى الكثيرون الحصول عليها اما بقصد المنافسة او التفوق السياسى او الحربى

فمن امثلة ذلك ان مصنعاً للزجاج بمدينة ايكس لاشابل فى فرنسا كان قد وفق الى استنباط نوع من الزجاج يعرف « بالمصفح » لان الرصاص لا يخترقه . وكان سر هذا الاختراع مدوناً فى سجلات موضوعة فى خزانة محصنة لا تصل اليها الايدى . ولكن اتضح بعد زمن ان شاباً حصل على نسخة من تلك السجلات وباعها لاحد مصانع الزجاج الاوربية

والجواسيس الدوليون طائفة من المرتزقة يتقاضون فى خدمة كل من يستأجرهم . والمعروف الآن ان فى اوربا نحو عشر شركات تقوم بمهمة التجسس لحساب كل من يطلب منها ذلك وان فى وسعها الحصول على المعلومات والاسرار والبيانات التى تطلب منها سواء فى الدوائر السياسية او الحربية او الصناعية او التجارية . وللشركات المذكورة فروع منتشرة فى جميع انحاء العالم

وعمال هذه الشركات من المقدرة والذكاء بحيث انهم يخترقون الابواب الموصدة والاسوار المغلقة ويصلون الى غاياتهم بوسائل مختلفة

وما تزال مدينتا براغ وفينا من اهم مراكز الجواسيس فى اوربا . وقد كان المعروف حتى عهد قريب ان فى فندق من الفخم فندق فينا غرفة خاصة هى بؤرة للجواسيس . وسبب اختيــار هذا الفندق هو كثرة من يختلف اليه من رجال الحرب والسياسة والاعمال المختلفة وسهولة الاتصال بهم وانتزاع الاسرار منهم

وفى مدينة ستوكهارت ايضاً شركة خطيرة للتجسس لها فروع كثيرة . ويقال ان اكثر فروعها هى فى المدن الالمانية الواقعة على الحدود الفرنسية . ومما يجدر بالذكر عنها انه كان لها فى سنة ١٩٣٠ مراسل فى مدينة باريس يساعده ثلاثة من كبار جواسيس اوربا ، وهم: بادول اوريخ من تجار الخشب الالمان ، وجان هدلنج من صانعى الحلويات ، وادمون شاك من مهرة الرسامين ، وهؤلاء الثلاثة

كلهم من مدينة ستراسبورج . وقد اتهموا بالمعلومات الخطيرة التى حصلوا عليها بشأن حصون فرنسا الشرقية لحساب احدى الدول الاوربية

والمجال لا يتسع للاسهاب فى نشر جميع حوادث التجسس التى وقعت فى فرنسا فى السنوات العشر الاخيرة . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا ان تلك الحوادث تبلغ بضعة آلاف . ومن دواعى الاسف أن جانباً كبيراً منها لم ينكشف أمره إلا بعد فوات الفرصة . ومما يجدر بالذكر أن نحو خمسين فى المائة من تلك الحوادث على الاقل لم تقم بها الحكومات بل قامت بها جماعات خاصة من تلقاء أنفسها وباعتها للدول التى دفعت لها أجراً عنها . والمعروف عن عمال الشركات المذكورة أنهم يكثرون من التردد الى الوزارات والمصانع الحربية وحدود البلاد المحصنة وغير ذلك من المواضع التى يهم الاطلاع على أسرارها . وهؤلاء العمال ليسوا هم الذين يتولون بيع المعلومات ، بل هم فى أغلب الاحيان لا يعلمون من تباع وهل هى لحساب أفراد أم حكومات . وكثيراً ما يؤمرون بجمع معلومات أو صور أو غير ذلك من الامور التى ليس لها فى الظاهر أى شأن يذكر ولا يعلمون الغرض من جمعها ولكنها فى الحقيقة معلومات خطيرة

مثال ذلك أن من عادة باعة البطاقات البريدية (بكرت بوستال) فى فرنسا أن يبيعوا صور بعض البوارج الحربية فيشتريها بعض الجنود وغيرهم ممن يهمهم الاحتفاظ بتذكاراتهم الخاصة . وقد صدرت الاوامر مرة لبعض الجواسيس بشراء كل ما يجدونه من تلك البطاقات وأن يجمعوا لكل سفينة حربية مجموعة خاصة من صورها المختلفة . ولا حاجة الى القول أن بعض تلك الصور مأخوذ عن قرب وبعضها عن بعد وبعضها عن جانب وبعضها من جهة أو عن مؤخر . أى ان لكل سفينة مجموعة من الصور بأوضاع مختلفة وعلى أبعاد شتى . ولم يكن الذين أمروا بجمع هذه البطاقات المصورة يعرفون الغرض من جمعها . ولكن اتضح فيما بعد أنه كان الغرض منها درس مواطن الضعف فيها وتعيين الجانب الذى يجب اطلاق القذائف عليه فى زمن الحرب . وهل يكون ذلك على مقدمتها أم على مؤخرتها ، وهل يمكن اصابة مدافعها لتعطيلها أو لا ، الى غير ذلك من المعلومات التى تهم البحارة

ولعل القراء يعلمون أن وزارات الحربية والبحرية قد كانت وما تزال هدف الجواسيس الاكبر . وحول هذه الوزارات كانت تحوم عصبة الجواسيس التى افتضح أمرها فى باريس منذ بضعة أسابيع وكانت تسعى للحصول على معلومات خطيرة

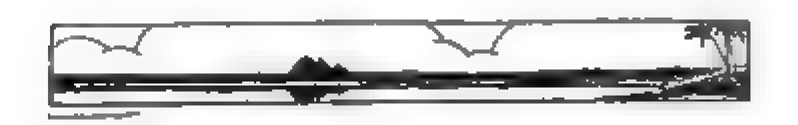

الحيوان في خدمة العلم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار
دي موند بقلم السيدة مادلين ميزار]

ليس معهد باستور بباريس من الاماكن التي يستطيع دخولها كل من أراد ، لان العلماء الذين يقومون بمباحثهم هناك يريدون أن يعملوا في جو هادىء بعيدين عن أعين الرقباء المتعنتين ، وعن الضجة التي يحدثها بعض الذين يتظاهرون برقة العواطف ويبالغون في تكلف الشفقة على الحيوان مع أنهم اذا أصيبوا بمرض فلا يأبون أن يعالجهم الطبيب بالمصل أو اللقاح الشافي . أضف إلى ذلك أنهم وهم يرفعون عقيرتهم بالاعتراض على استخدام بعض الحيوان لاستخراج الامصال واللقاحات لا يمتنعون عن أكل لحوم الخراف والعجول والخنازير ومختلف الطيور الداجنة وأنواع الاسماك مما يضحى به في سبيل اشباع شهواتهم . بل ان بعض الحيوان يضحى به على أشنع الوجوه وأشدها قسوة . فالخنزير يقطع عنقه حتى ينزف دمه [illegible] والدجاج في بعض الجهات تنتف السنتها من حلوقها وهي حية والمحار يعصر [illegible] . وبعض الحيوان البحري يؤكل حياً . فضلا عن أن معظم [illegible] تدل على وجه ان دل على شيء فعلى أنانية الانسان ووحشيته

وقد وقع لكاتبة هذه السطور حديث مع الدكتور [illegible] أحد كبار أساتذة معهد باستور بباريس فقال هذا الاستاذ بعد مقدمة وجيزة :

« ان الناس ينظرون الينا كما ينظرون الى الجلاد أو السفاك لاننا مضطرون الى التضحية ببعض الحيوانات حرصاً على خير الانسان . وفاتهم أنه لولا ما نصنعه لكان يستحيل اعداد أي مصل أو لقاح لمكافحة الامراض . . . والفرق بين المصل واللقاح هو أن المصل يؤخذ من دم الحيوان (كالحصان مثلا) بعد احداث المناعة فيه . واللقاح يهيأ من الميكروب ذاته أو من السم الذي يفرزه ذلك الميكروب (ويسمى توكسين)

« وغني عن البيان أن انقاذ حياة الملايين من البشر يسوغ لنا أن نضحي كل سنة ببضعة ألوف من الجرذ والفيران البيضاء وخنازير غينيا وغيرها من الحيوان . ومع ذلك فان العلماء يرجون ان يوفقوا إلى طريقة يستغنون بها عن التضحية بالحيوان . ولا يخفى أن كل مصل هو مادة كيماوية . فاذا تقدم علم الكيمياء واتضحت لنا حقيقة المادة التي تنمي في المصل أمكننا اعداد جميع أنواع المصل واللقاح بطريقة كيماوية نستغني بها عن الحيوان . والاعمال الباهرة التي قد وفق الاستاذ رامون الى اظهارها باكتشافه الامصال الخاصة بمقاومة الخناق (الدفتيريا) والتيتانوس هي

خطوة عظيمة في هذا السبيل . فمنذ بضع سنوات كان معهد باستور وغيره من المعاهد البكتيريولوجية التي تهيء مصل الدفتيريا تفحص هذا المصل بتجربته في « خنازير غينة » الا أن الاستاذ رامون وفق الى طريقة كيماوية لفحص هذا المصل فانقذ بذلك حياة مائة وخمسين حيواناً كان يضحى بها كل أسبوع في معهد باستور وحده . على أنه مهما يكن من تقدم العلم في المستقبل فلن يستطيع علماء البيولوجيا الاستغناء عن الحيوان بتاتاً ، بل سيحتاجون اليها على الأقل لاختبار قوة المصل واللقاح

« ولنضرب لك مثلا على المهمة التي تلقى على عاتق العالم البكتيريولوجي . ففي زمن الحرب العظمى الماضية عهد الى الدكتور فايبرج في درس الميكروب الذي هو سبب التمريا الغازية واعداد مصل لمكافحتها . فبذل الدكتور فايبرج وبعض صحبه جهوداً عظيمة حتى تمكنوا من عزل الميكروب المذكور . ولكي يتحققوا أنه سبب التمريا الغازية لم يكن لهم بد من تجربته في الحيوان المعروف « بخنزير غينة » وهو حيوان يصاب بمعظم الامراض التي يصاب بها الانسان وهو كثير التناسل ولحمه لا يؤكل . وقد ثبت من التجربة أن الميكروب هو سبب التمريا . وعليه شرعوا في تهيئة المصل اللازم . فجاءوا بحصان سليم من الامراض وأخذوا يحقنونه بذلك الميكروب على عدة مرات ، وكانت كل حقنة أقوى من سابقتها ثم أخذ منه المصل . ولاختبار قوة المصل لم يكن بد من تجربته مرة أخرى في « خنزير غينة »

« وعندما يراد اختبار قوة المصل يحقن الخنزير أو غيره من الحيوان بكمية صغيرة منه ، وبعد زمن قليل (أربع وعشرين ساعة على الأقل) يحقن ذلك الحيوان بكمية قاتلة من التوكسين أو السم الذي يفرزه الميكروب فاذا ظل الحيوان سليما كان المصل مستكملا لشروط منع المرض

« على أن التجارب التي يجريها العلماء البكتيريولوجيون في الحيوان لا يراد بها خدمة الانسان فقط بل الحيوان أيضاً . واليها يرجع الفضل في اكتشاف اللقاح الواقي من كوليرا الدجاج والحمى الفحمية التي تنتاب المواشي والجرب الذي يقضي على حياة الملايين من الخرفان كل سنة

« قلنا ان أهم الحيوانات التي يعتمد عليها معهد باستور والمعاهد الشبيهة به للقيام بالتجارب العلمية هي الجرذ والفئران البيضاء والارانب وخنازير غينة وأمثالها من الحيوان الذي يصاب بالامراض التي يصاب بها الانسان . وكثيراً ما تؤخذ الامصال من الفئران والجرذ . وقد تستعمل الفئران أيضاً لتسميم دمها ببعض الميكروبات كميكروب مرض النوم على أن يؤخذ منه فيما بعد لقاح واق

« وقد تستخدم الطيور والقردة والابقار الصغيرة السن وغيرها لاستخراج أنواع اللقاح المختلفة . وللارانب مزية خاصة إذ منها يستخرج اللقاح الواقي من الكلب بطريقة ليس هذا مكان شرحها »

الجاذبية الجنسية

[خلاصة مقالة بقلم
الاستاذ روزنباسكي]

الجاذبية الجنسية (وبالانجليزية Sex Appeal) تسمية حديثة لمعنى قديم ، نحتها الانجلوسكسون ليصفوا بها كواكب السينما وأدخلوها في قاموس لغتهم . فاذا أرادوا المبالغة في وصف فتاة حسناء قالوا أنها ذات « جاذبية جنسية » يعنون بذلك أنها ذات جمال ساحر وأوصاف تسبي العقول . وقد كانت الفاتنات في بعض العصور يعانين أشد ضروب القسوة والمهانة ، اذ كان الناس يخشون أن تعبث الفتاة الفاتنة بقلوب الشبان وتفسدهم . ولذلك كانوا يعاملونها بأشد ضروب القسوة ، حتى يقال إن الروس في أوائل عهد المسيحية بينهم كانوا اذا أحسوا خطراً على شبانهم من جانب فتاة حسناء يقبضون عليها فيوثقونها ويلقونها في أتون ملتهب هي وثيابها وما قد تملكه من متاع وطيور وحيوانات ، ثم يجيء كبير القسوس فيرش « ماء المقدس » على رماد تلك الفاتنة . و يقيم أهل القرية أو المدينة عيداً عاماً يستمر ثلاثة أيام يعبرون في خلاله الخمر على روح تلك الضحية

ولم تكن حالة الكواعب الحسان في البلاد الاخرى – في تلك العصور الماضية – أقرب إلى الراحة والهناء . ففي الاسر الشريفة كان أولياء الأمور اذا أنسوا من احداهن ميلاً إلى اللهو والدلال أو نزوعاً إلى محادثة الشبان بمصاحبتها ويتحدثون عنها بالنكير . هنالك تسحب وتحبس في أحد الاديار حيث لا يقدم لها سوى الخبز والماء . وتظل هناك طول عمرها الا إذا تطوع أحد الشبان للاقتران بها . وفي هذه الحالة تتبرع النساء – ولا سيما العجائز منهن – في اذاعة الأنباء الكاذبة عنها ويوجهن إلى الزوج النصائح المختلفة . ومن جملتها أن يقرع زوجته بالعصا في كل يوم أحد من الاسبوع تأديباً لها وزجراً لغيرها

وكانت آداب ذلك الزمن تقضي على الحسناء اذا كانت في مجتمع أن تغض طرفها وأن تطرق بنظرها الى الارض ولا تتكلم لئلا يرى الناس أسنانها وألا تكشف عن ساقها حتى لا يرى أحد كاحلها – واذا جرى حديث الزواج أمامها تتظاهر بالصمم أو تنصرف من ذلك المكان

وكان أحد أجداد كاتب هذه السطور من أهالي تركيا في الازمنة السالفة وكانت زوجته (واسمها مريم) ذات جمال ساحر فتن به الكثيرون . أي أنها كانت ذات « جاذبية جنسية » قوية . فما كان من زوجها إلا أن أوثقها ووضعها هي وقطتها ودجاجتها في غرارة (زكيبة) وقذف بها الى البوسفور حيث ماتت غرقاً

وأنموذج الفتاة ذات الجاذبية الجنسية يختلف باختلاف الاذواق . فمن مستلزمات تلك الجاذبية

قبائل الزوج مثلا أن تكون شفتا المرأة ضخمتين هائلتين . وهم يستعينون على تكبيرها بأن يشقوا لهم الفتاة وهي ما تزال صغيرة السن ويضعوا فيه قصبة تظل مدة ثم تستبدل بقصبة أكبر فأكبر الى أن يصبح فم كبيراً جداً وشفتاها أشبه بصحنين كبيرين . ومن مستلزمات الجاذبية الجنسية عند قبائل الهوتنتوت صفات لايجد فيها المتمدنون إلا دليلا على الوحشية وانحطاط الذوق . ومن مستلزماتها عند المتمدنين في الزمن الحاضر نحافة الخصر ودقة الساقين ونحول الجبين وما إلى ذلك من الصفات

واليك وصفاً موجزاً لفتاة ذات الجاذبية الجنسية في عرف أهل الفن في الوقت الحاضر : فهي تمشي بتيه ودلال متبخترة ذات اليمين وذات الشمال وكل عضو من أعضائها ينبض حركة ونشاطاً . واذا دنا منها رجل كائناً من كان ترفرف أهداب أجفانها كما ترفرف الفراشة وتلمس اجنحتها الهواء المحيط بها . ويندفع الدم إلى شفتيها الشهوتين فتنفرجان قليلا فتبدو من خلالها أسنان كاللؤلؤ في بياضها . ويفتر ثغرها عن ابتسامة ترسل عليك شبه تيار كهربائي . ثم تسمع منها صوتاً تشبه موسيقاه تغريد الأطيار . يتبعه صوت أجش ذو نبرات تحس [illegible] أنك تسمع من خلالها زئير النمر . ويتخلل ذلك كله نظرات ساحرة وسكوت أبلغ من النطق . وعهود ومواعيد . وسحب دخان تنفخها من بين شفتيها في هدوء . وعيناها ناعستان في نظرهما إلى الفضاء . ولكنهما في الواقع تسترقان النظر اليك . كأنهما تحاولان [illegible] ومدى الأثر الذي أحدثته في نفسك . وأنت ترى من خلال ذلك كله دلائل السحر والعجب والتحدي ممزوجة معاً

جميع ذلك يجب أن يكون طبيعياً في المرأة لكي تكون ذات جاذبية جنسية . وليس في وسع أية فتاة أن تصنع هذه الصفات أو تتكلفها لأن الجاذبية تولد مع الفتاة

على أن لكل منحة طبيعية ثمنها . والمرأة التي تتمتع بالسعادة الحقيقية لا تمت منها أية جاذبية جنسية الا الى رجل واحد . وهي تضن بجاذبيتها أن توزع على الكثيرين وتقصرها على الرجل الذي تختاره دون غيره . فهو الضالة التي تنشدها . ولا تملك تنشدها الى أن تجدها . وغريزتها تدفعها الى العثور عليها

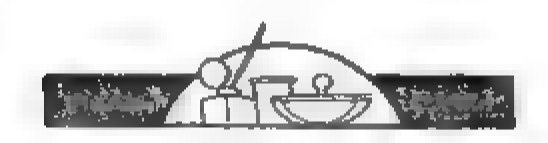

تقدم العلم والعالم

اتساع الكون

ان نظرية السر جيمس جينز العالم الفلكي الانجليزي والاستاذ ليمتر العالم البلجيكي هي ان هذا الكون آخذ في الاتساع بسرعة هائلة كما تكبر كرة القدم عندما تنفخها. والدليل على ذلك أن رصد الاجرام العلوية التي عند اقصى حدود الكون من كل جهة يدل على ان تلك الاجرام تندفع في الفضاء مبتعدة عنا بسرعة هائلة تبلغ نحو عشرة آلاف ميل في الثانية

ومع ان الكثيرين من علماء الفلك قد سلموا بهذه النظرية الحديثة فقد جاء الآن الدكتور شابلي مدير مرصد هارفرد (وهو من أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر) يقول ان المباحث التي قام بها لا تدل على أن جميع الاجرام العلوية تندفع مبتعدة عنا، بل ان بعضها يندفع مقترباً منا والبعض الآخر يندفع حول النظام الشمسي من دون أن يبتعد أو يقترب

الغذاء وطول العمر

ألقى الدكتور ماكي احد العلماء الاميركيين خطبة علمية في مجمع تقدم العلوم الاميركي اثبت بها ان النهم في الاكل من أسباب قصر العمر وان الاقلال من الغذاء إلى الحد المستطاع مطيل للعمر. ومما قاله هذا العالم انه قام بعدة تجارب لاثبات هذه النظرية فجاء بمئات من الفيران والجرذ وخلافها وقسم كل نوع منها طائفتين متساويتين في العدد وغذاها جميعها بطعام بعينه الا انه كان يعطي بعض الطوائف كميات كبيرة من الغذاء والبعض الآخر كميات قليلة. وبعد عدة أشهر كانت الطوائف الاخيرة انشط واحسن من كل وجه. حالة ان الموت قضى على جانب كبير من الطوائف التي كانت تتناول كميات كبيرة من الغذاء.

واورد العالم المذكور أدلة أخرى مقنعة تثبت ان الافراط في الغذاء في مقدمة أسباب قصر العمر ليس في الحيوان فقط بل في الانسان أيضاً

الاطفال عند الولادة

ما يزال الكثيرون من الناس يعتقدون ان الاطفال عند ولادتهم يكونون عمياً. الا أن أحد العلماء الاميركيين قام بمباحث واسعة النطاق ثبت له منها أن هذا الاعتقاد خطأ وان الطفل عند ولادته يكون مبصراً

في عالم الفلك

يقول الدكتور شابلي وغيره من كبار علماء الفلك ان عمر النظام الشمسي هو خمسة آلاف مليون سنة على الأقل، وان في الفضاء عدة مجاميع من الاجرام العلوية (منها مجموعة المجرة ومجموعة السدم اللولبية ومجموعة المرأة المسلسلة) في كل منها ملايين لا تحصى من الشموس. ومن هذه مجموعة يقول الدكتور شابلي انها أكبر المجموعات المعروفة وفيها عدة الوف من الملايين من الشموس وكل شمس منها كشمسنا او اكبر منها بما لا يقاس

ويعتقد بعض علماء الفلك ان الشمس معرضة لوقوع انفجار في باطنها كما يقع لكثير من النجوم (اي الشموس) المعروفة بالجديدة واذا وقع انفجار كهذا سيكون فيه القضاء والعياذ بالله على كل نسمة حية على وجه الارض . على أن الدكتور مكلوجلن ، وهو من كبار علماء الفلك في اميركا ، يقول إن وقوع انفجار كالانفجار المذكور يكاد يكون في حيز المستحيل كما يؤخذ من أوثق المباحث العلمية

السل والفتيات

يؤخذ من الاحصاءات الموثوق بها أن الفتيات أكثر تعرضاً للوفاة بالسل من الشبان وأن عدد الاصابات بينهن من سن العاشرة إلى العشرين أكثر منها بين الشبان في تلك السن ويعتقد فريق من الاطباء أن زيادة إصابات البنات على إصابات الشبان ترجع إلى عامل الثياب والطعام . ولكن هذا الزعم في غير محله والسبب الحقيقي هو أن جسم الفتاة أضعف فيسيولوجيا من جسم الشاب وأقل مقاومة لميكروب السل . وتدل الاحصاءات الاميركية على تناقص عدد النساء اللواتي يمتن في اميركا بالسل . إلا أن نسبتهن إلى الرجال في ازدياد . واليك إحصاء موجزاً عن نصف القرن الماضي :

من سنة ١٨٧١ – ١٨٨٠ توفيت ٣٠٨ فتيات بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٨٨١ – ١٨٩٠ توفيت ٢٣٠ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٨٩١ – ١٩٠٠ توفيت ٢٥٠ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٩٠١ – ١٩١٠ توفيت ٢٦٢ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٩١١ – ١٩٢٠ توفيت ٢٦٥ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٩٢١ – ١٩٣٠ توفيت ٢٩٣ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

فترى إذن أن الحالة باعتبار النساء لا تدعو كثيراً إلى الارتياح

البريطانيون القدماء وأكل لحوم البشر

يظهر من أحدث المباحث التاريخية أن سكان جزيرة بريطانيا كانوا إلى حين غزا الرومان بلادهم من أكلة لحوم البشر ، ومع ذلك كانوا يوصفون على جانب من المدنية . والغريب أن البريطانيين ظلوا يمارسون عادة أكل اللحوم البشرية حتى بعد أن دخلت الديانة المسيحية بينهم بمدة طويلة ويقول الاستاذ دسج من علماء الآثار الانجليز إن كثيراً من أولئك البريطانيين ظلوا يأكلون اللحوم البشرية وهم يدينون بالمسيحية ولا يرون في هذه الديانة ما يحرم أكل تلك اللحوم

سر النوم

يقضي الانسان ثلث حياته تماماً نائماً . ومع ذلك لم يوفق العلم حتى الآن إلى استجلاء غوامض النوم ومعرفة السبب المباشر له . وقد ذهب بعض العلماء إلى نظريات مختلفة لتعليله ولكن ليس بينها نظرية واحدة يقبلها المنطق . وفي مقدمة تلك النظريات أن الجهد الذي يعانيه الانسان عند قيامه بأي عمل ينشيء في الدم مواد كيميائية تتراكم فيه وتؤثر في الدماغ تأثير مادة مخدرة فينام الانسان وفي أثناء نومه يعود الدم فيفرز تلك المواد المتراكمة ويطردها فيستيقظ الانسان من النوم

على أن هذه النظرية لا تعلل جميع المظاهر والحالات التي تتعلق بالنوم . من ذلك أن كثيرين من الناس يصابون بالارق مع كونهم يعانون في النهار جهد العمل فلماذا لا ينشىء هذا الجهد تلك المادة المخدرة في الدم ؟ كذلك قد ينام الانسان على أثر جهد عظيم يوماً هادئاً ثم يوقظه صوت مزعج . فلماذا لا تحول تلك المادة المخدرة دون إيقاظه ؟

فترى إذن أن مسألة النوم لاتزال سراً من الأسرار المستغلقة على العلماء !

في سبيل النحافة

حاول الكثيرون اكتشاف وسائل ناجعة لاعفاف الجسم ولا سيما بعد ظهور الذوق الحديث . وقد ظهرت في السوق عقاقير كثيرة يدعى أصحابها انها محدثة للنحافة ولكن الاختبار لم يؤيد دعوى القوم وأشار كثيرون من الاطباء باتباع وسائل معينة من رياضة وخلافها ولكن تلك الوسائل قد تؤثر في جسم معين ولا تؤثر في غيره

وقد جاءتنا الآن مجلة اللانسيت وهي أرقى المجلات الطبية الانجليزية تقول إن اثنين من كبار الاطباء الانجليز وفقوا الى تركيب دواء لا شك في أنه يؤثر في الاجسام السمينة تأثيراً واضحاً فينحفها الى الحد المطلوب مهما تكن سمينة . واسم هذا الدواء « دينترو أورثو كريزول » (Dinitro - ortho - cresol) ويظهر ان تأثيره قوي جداً . ولذلك تشير مجلة اللانسيت بعدم استعماله الا بمشورة الطبيب . وقد فحص فريق من الاطباء الاميركيين هذا العقار فوجدوا أثره قوياً جداً فاذا بولغ في استعماله فقد يؤدي الى عواقب وخيمة

قدم حضارة المكسيك

بينما كان العمال يشتغلون بازالة الاتربة عن خرائب « المدينة الملومة » بالمكسيك عثروا على آثار منزل كبير جداً قد تهدم منذ أكثر من الف وخمسمائة سنة وكان يحتوي على خمس وتسعين غرفة وهذا دليل على رقي حضارة القوم في ذلك العهد

حضارة الصين

لا شك أن حضارة الصينيين من أقدم حضارات العالم . وقد زار ماركو بولو السائح الايطالي المشهور بلاد الصين في القرن الثالث عشر للميلاد فوصف ماشاهده بها من آثار المدنية المدهشة . من ذلك ان الاهالي كانوا يلبسون في الصيف ثياباً خفيفة جداً تصنع من نسيج دقيق شبيه بورق الكتابة. وكانت المركبات تملأ شوارع المدن الكبرى والناس يستعملونها للنزهة والانتقال ، وبعض تلك المركبات تسع ستة من الركاب . وما كان يجوز للصيني أن يشرب الماء أو غيره بقدح بعض غيره بل كان لكل انسان قدح أو كوز يحمله معه اينما سار وكانت القوانين تحرم على الانسان أن يبصق على قارعة الطريق. ولذلك كان الاشخاص الكبار في السن يحملون معهم قوارير صغيرة يبصقون فيها ويسدونها سداً محكماً كما يعمل بعض المصابين بالسل الآن. وكان الخدم والحشم في بيوت الأغنياء يضعون مناديل خصوصية على أنوفهم وأفواههم حذر أن يعطسوا أو يسعلوا أمام سادتهم . والصينيون أول من استعمل ورق النقد وأول من اتقن صناعة طب الاسنان وقدموا الفن على أحدث الطرق العلمية . ولم تكن السفن التي سيروها في ذلك العهد أقل متانة من السفن الشراعية التي يبنيها

الناس اليوم . واشتهر الصينيون في ذلك العهد بأمور كثيرة تدل على رقي مدنيتهم وما بلغته نظمهم وأساليب معيشتهم من أسباب الكمال

درجة الصفر المطلق

هي الدرجة التي تبطل عندها حركة الجوهر الفرد وتمتنع كل نسمة حية وينتفي كل أثر للحرارة. وقياسها الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر (بقياس سنتجراد) وقد حاول العلماء استيلادها بالطرق الصناعية فدنوا منها كثيراً جداً ولكن لم يصلوا اليها. وتدل آخر الانباء العلمية على انه لم يبق بين درجة الصفر المطلق والدرجة التي وصل اليها العلماء بالطرق الصناعية سوى ٨٥ جزءاً من الف من الدرجة (بقياس سنتجراد)

آثار الرجم على الارض

هي كثيرة جداً تشاهد في أنحاء العالم المختلفة ويعتقد بعض العلماء ان الاوقيانوس الباسيفيكي هو أثر رجم تساقطت على الارض منذ الوف السنين . وفي أريزونا بالولايات المتحدة حفرة أو حفرة كبيرة هي أثر من آثار تلك الرجم . وكان العلماء حتى عهد قريب يعتقدون أنها نشأت في العصر الجليدي الاخير . الا أن فريقاً آخر من علماء الجيولوجيا بأميركا وعلى رأسهم الدكتور بلاك ويلدر الاستاذ بجامعة ستانفورد يقولون ان عمر تلك الحفرة لا يقل عن خمسة وسبعين الف سنة ولهم على ذلك أدلة ليس هذا مكان بسطها

اقدم وصفة طبية

في احدى المجلات الاوربية ان أقدم وصفة طبية في العالم ترجع الى سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد أي انها كتبت منذ أكثر من خمسة آلاف وستمائة سنة . وهذه الوصفة منقوشة على لوح من الحجر . وهي وصف لعقاقير تستخرج منها رائحة اذا استنشقها المصاب بالزكام شفي

ولم تقل المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر أين توجد «الوصفة» المذكورة وبأية لغة كتبت وما هي العقاقير التي تشير اليها

العنكبوت السفاح

في بعض المناطق الاستوائية من القارة الاميركية عناكب تقتل الطيور وتفتك بكثير من الحشرات . ويبلغ طول ساقها نحو ثماني بوصات أو ما يزيد على عشرين سنتمتراً . وقد أحضر الدكتور ديتمارس مدير حدائق الحيوانات بمدينة نيويورك مجموعة من هذه العناكب لتربيتها في الحدائق المذكورة

نبات الكينا

المعروف ان «بلته» و«كافنتون» اكتشفا نبات الكينا سنة ١٨٢٠ وعرفا خواصه. على ان لينوس أو لينيه العالم النباتي الاسوجي المشهور أشار اليه في أحد مصنفاته وذكر خواصه قبل بلته وكافنتون بمدة سنين . وقد أحدث استعمال الكينا ثورة عظيمة في عالم الطب بل قيل ان الانقلاب الذي أحدثه في الطب هو كالانقلاب الذي أحدثه اختراع البارود في أساليب الحرب والقتال

اللبن المجمد

يباع اللبن الآن مجمداً في أنحاء كثيرة من أوربا وأميركا . وهذا اللبن هو على صورة قطع أشبه بقطع الصابون ويمكن حفظه مدة طويلة من دون أن يتطرق اليه الفساد . وكان المظنون ان اللبن اذا جمد فقد شيئاً من خواصه الغذائية

ولكن المباحث العلمية الاخيرة قد اثبتت فساد هذا الزعم

ناب الفيل

يستخرج العاج من ناب الفيل وتصنع منه أدوات كثيرة للزينة . وكان ملوك الشرق قديماً يتهادون العاج والتحف المصنوعة منه . ومع أن قيمة ناب الفيل قد انحطت كثيراً عما كانت عليه قديماً فلا تزال كبيرة إلى حد تغري بالمتاجرة به . والافيال الافريقية مطمح أبصار الكثيرين من التجار . ويبلغ وزن ناب الفيل نحو أربعين رطلا أو خمس عشرة أقة . الا أن بعض العارفين بطبائع الحيوان والمغرمين بصيد الوحوش يؤكدون ان أنياب بعض الفيلة قد تزن أكثر من مائتي رطل

عث هائل

في المناطق الاستوائية نوع هائل من العث يبلغ طول جناحه نحو بوصة أو اكثر من سنتمترين ونصف سنتمتر

وعلى ذكر هذه العثة التي تعيث في الثياب فساداً نقول ان أحسن وسيلة لاتقاء شرها هو « تبخير » الثياب ببخار الفورمالين فلا تعود العثة تدنو منها مدى العمر

مدن العالم الكبرى

يظهر من درس جغرافية مدن العالم الكبرى ان معظمها واقع عند مصاب الانهر ، وان عدد المقام منها على سواحل البحر لايزيد على ثلثها . وقد أحصى بعضهم المدن التي يزيد عدد سكانها على مائة الف فوجد ان ستا وستين منها في المائة هي على مقربة من الانهر و ٣٤ في المائة هي موانئ بحرية

تناقص المواليد

نشرت احدى صحف سويسرا احصاء يظهر انه مأخوذ من السجلات الخاصة بعصبة الامم . وهو يدل دلالة اكيدة على تناقص نسبة المواليد (لا عدد المواليد) في معظم أنحاء العالم المتمدن لا سيما جنوب أوربا وغربها . والقرائن كلها تدل على ان بعض الشعوب سائرة إلى الانقراض وعلى ان الشعوب الشرقية اكثر توالداً من الشعوب الغربية بوجه الاجمال

وفي الاحصاء المشار اليه ان عدد المواليد في الولايات المتحدة في السنة الماضية (١٩٣٣) نقص سبعمائة الف عن عدد المواليد سنة ١٩٢١

شجرة البن

هي من الاشجار الخاصة ببعض أنحاء بلاد العرب وبلاد الحبشة على ان زراعة البن منتشرة في بعض أنحاء اميركا الحروية ولاسيما البرازيل . ويعتقد بعض الثقات أن موطن هذه الشجرة الاصلي بلاد الحبشة وكان اكتشافها بطريقة غريبة . ذلك ان أحد رعاة الاغنام هناك رأى ان الغنم والماعز اذا رعت ذلك النبات ابدت بعد ذلك نشاطاً غريباً . وكان ذلك سبباً في استنبات شجرة البن واستغلالها حتى صار البن اليوم من مستلزمات المعيشة

وعم استعمال القهوة في اواسط القرن السابع عشر في معظم أنحاء أوربا . واستعملت في باريس لاول مرة سنة ١٦٥٤ . وفي تلك السنة أصدر الاطباء الفرنسيون منشوراً حذروا به الناس من شرب القهوة ولكن لم يعبأ بمنشورهم أحد وقد صار الفرنسيون بعد ذلك من اكثر الناس شرباً القهوة

أكاديمية افلاطون

بينما كانت احدى البعثات الأثرية تقوم ببعض اعمال الحفر في مدينة اثينا عثرت على موضع يقال انه المكان الذي كانت فيه المدرسة التي كان الفيلسوف افلاطون يلقي فيها الدروس على تلاميذه

اختراع السفن البخارية

المعروف بين الناس أن واط الانجليزي وفولتون الاميركي هما مخترعا السفن البخارية. على أن المباحث التاريخية تدل على ان كثيرين قبلهما حاولوا استنباط سفن تسير بقوة البخار ففشلوا لاسباب كثيرة. ففي سنة ١٥٤٣ صنع أحد الاسبان مركبا صغيراً يسير بالبخار وبلغت سرعته ثلاثة أميال في الساعة ولكن لم يهتم أحد بهذا الاختراع فمات صاحبه ونسيه حتى أهل وطنه. وفي سنة ١٧٠٧ حاول بابن الفرنسي صنع سفينة بخارية ولكن صانعي السفن غاروا منه فأوعزوا الى بعض الاشرار بأن يكسروا سفينته قبل أن يتم بناؤها. وظل الناس يترقبون انجاز هذا الاختراع حتى أوائل القرن التاسع عشر. ولعل فولتون الاميركي أول من أخرجه الى حيز العمل

تقلص المنسوجات

لا يخفى ان معظم أنواع المنسوجات ولا سيما الصوفية منها تتقلص بعد غسلها. على ان التجارب التي قامت بها بعض معامل النسيج تدل على ان المنسوجات القطنية والكتانية لا تتقلص بعد غسلها للمرة الرابعة أو الخامسة مع أن المنسوجات الصوفية تظل تتقلص الى أن تبلى

معجونات الوجوه

تستعمل النساء اليوم انواعاً كثيرة من المعجونات (الكريم) لتجميل وجوههن ومعظم هذه المعجونات تصنع من مواد وعقاقير متماثلة. وتقول احدى المجلات الاميركية ان جاليوس الطبيب اليوناني الذي عاش من سنة ١٣١ الى ٤٠١ بعد الميلاد وضع وصفة لصنع تلك المعجونات لا تختلف في جوهرها عن وصفة المعجونات التي تستعملها النساء في هذا العصر

الديك الرومي

ثبت الآن أن هذا الطير الذي تتبرأ منه أمم كثيرة مع أنها تحب لحمه، هو أميركي الجنس أدخله الى أوربا أحد السياح الاسبان. والدليل على أن الكثيرين يتبرأون منه ان الفرنسيين يسمونه الديك الهندي والانجليز يسمونه الديك التركي والمصريون يسمونه الديك الرومي، والسوريون يسمونه الديك الحبشي. جميع هذه الامم تكره وتحب لحمه. وكان يجدر بها أن تنسبه الى وطنه الاصلي فتسميه الديك الاميركي

تركيب الهواء

في سنة ١٦٧٤ أصدر رجل انجليزي يقال له جون مايو كتاباً عن الهواء يتضمن بحثاً مسهباً في العناصر التي يتألف منها، وعن تأثير تلك العناصر والعوامل التي تؤثر في الهواء، الى غير ذلك من البيانات الممتعة. وما يزال هذا المصنف ذا قيمة علمية كبيرة، مع انه قد انقضى عليه أكثر من قرنين ونصف قرن

كتب جديدة

أبو علي عامل ارتست

بقلم الأستاذ محمود تيمور

طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة . صفحاته ١٦٢

أصبحت للأستاذ محمود تيمور شهرة ذائعة في الأدب القصصي ، وشغل الكثيرين بقراءته والشوق إلى قصصه . لا لأنه من أكثر الكتاب إنتاجاً للقصص فقط ، بل لوقفه جهده وموهبته على خدمة هذا الفن منذ سنوات حتى عرف به . وهو يمتاز بأنه كثير الاعتماد على نفسه ، لا يميل إلى الاقتباس أو الترجمة ، بل يتخذ الحياة المصرية موضوعاً لما ينشئه من روايات وأقاصيص . ولهذا هو يؤثر صفاء أسلوبه ويتجنب التأنق ويتعمد ذلك عمداً رغبة في الترويح عن القارىء وعدم إعناته بالأسلوب الكثير التكاليف

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده مجموعة طريفة من القصص الممتعة التي دبجها هذا الأديب القصصي في ظروف شتى ونشر بعضها بجريدة البلاغ الغراء ، وبعضها بالسياسة الأسبوعية ، ثم جمعها في كتاب مستقل ، وتولاها بالتهذيب والتنقيح ، فجاءت من أمتع القصص ، وألذها موضوعاً وأنجحها غاية ومغزى

رحلة الصيف

للأستاذ توفيق حبيب

طبعته مكتبة النجاح بالقاهرة . صفحاته ١٦٠

إذا أتيحت لك الرحلة يوماً إلى بلاد ليست بلادك وإلى وطن غير وطنك ، فأنت سعيد لأنك ستشاهد في تلك البلاد أصنافاً من العادات والتقاليد ، وأنواعاً من غرائب المشاهدات ، تزداد بها معارفك ، ويتسع بها أفق إدراكك وتحتل من الحقيقة ما يبقى عنك كثيراً من الخيال . فإذا لم تتح لك هذه الرحلة لأنك مقيد في أعمالك وبدنك بكثير من مشاغل العمل وهموم الحياة ، فقد تظفر بكثير من المتعة والفائدة حين تقرأ عن هذه البلاد التي لم ترها ، وتتصفح تلك المعلومات التي ينقلها إليك أديب زار هذا الوطن الذي ليس لك به عهد ، وأفضى إليك بأخباره عما رآه ولاحظه ، ورسم لك رسماً دقيقاً كل ما يهمك ويشوقك إلى تلك الجهات النائية عنك

وهذا ما فعله الأستاذ توفيق حبيب أو (الصحافي العجوز) فقد زار في الصيف الماضي تركيا واليونان ويوجوسلافيا وإيطاليا ، ونقل بقلمه أحسن ما شاهده وعلمه من آثار هذه البلاد وعاداتها وحياتها الاجتماعية . ولا شك أن القراء سيجدون في هذا الكتاب النفيس كثيراً مما يلذ لهم ويفيدهم ، وسيجدون فيه أيضاً ما يمتعهم ويسري عنهم ، لأن أسلوب الأستاذ توفيق حبيب أسلوب سهل رشيق مشوق ، وهو الأسلوب الذي جذب إليه كثيراً من قراء الأهرام الذين يطالعون له في صباح كل يوم مقالا طريفاً بعنوان « على الهامش » . وهو الفصل الذي نشر فيه هذا الكتاب أثناء رحلته إلى تلك البلاد

حديث الاطفال

للاستاذ محمد صادق عبد الرحمن

طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة . صفحاته ٣٢

الاستاذ محمد صادق عبد الرحمن معروف لدى هواة الراديو بابا صادق . فقد تطوع بان يحدث الاطفال كل ليلة حديثاً يجمع فيه بين اللذة والفائدة والعبرة بما يقصه عليهم بواسطة آلات الراديو من القصص المفيدة . وقد جمع طائفة من هذه القصص فى هذا الكتاب وحلاها بالصور والرسوم الجميلة . وأصدرها هدية للاطفال يقرأونها فى أوقات الفراغ . فيجد من سمعها منهم فى الراديو فائدة على فائدة بغرس فضائلها فى نفوسهم وتأكيد عبرها فى أذهانهم . ويستفيد من لم يسمعها بما حوت من الاغراض النبيلة والحكم الرشيدة ، فيشبون وقد أصابوا قسطاً كبيراً من مكارم الاخلاق التى هى أساس النجاح فى الحياة

مقدمة لتاريخ العلم

(Introduction to the History of Science)

بقلم الاستاذ جورج سارتون محرر مجلة ايزيس الاميركى

هو الجزء الثانى من مصنف نفيس وضعه باللغة الانجليزية عالم من أفاضل العلماء الأميركيين وشرح به سير العلم والتطور الفكرى من عهد ابن عزرا العلامة الاسرائيلى المشهور إلى عهد روجر باكون الطبيب والعالم الانجليزى الذى توفى فى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد . وقد بسط المؤلف مراحل التطور العلمى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى الرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والتاريخ الطبيعى والطب . وشرح مقام الارقام الهندية فى علم الحساب ونشوء الجبر والهندسة وعلم المثلثات ، وأتى على تاريخ الآلات التى استعملها الاقدمون فى علم الفلك وطرق الرصد عندهم والنظريات الفلكية التى شاعت بينهم وما كانت تمتزج به من الخرافات بسبب شيوع التنجيم بين أهل ذلك الزمن . وتكلم المؤلف بعد ذلك على المهن والصناعات التى شاعت فى خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ومدى رقى القوم فى علم الحيل والهندسة . ثم انتقل من ذلك إلى الكلام على اختراع البارود وتقطير الماء وصناعة الكحول وفنون الكيمياء عند العرب وما أصابه من تقدم عند الغربيين فى القرن الثالث عشر . وبحث المؤلف بعد ذلك فى تطور علم النبات عند العرب والمدى الذى بلغه غيرهم فى هذا العلم وفى علم الحيوان بوجه الاجمال . وانتقل من ذلك إلى الكلام على علم الطب وما وصل اليه من الرقى عند العرب واليونان وسوعهم فى التشريح والجراحة وفحص النبض والبول والدم والافرازات بوجه الاجمال وفى التوليد ومداواة الأطفال ومعالجة الحميات والعلل المختلفة وأمراض الاسنان ونشوء نظام المستشفيات وتاريخ الطب بوجه عام

كل ذلك بحث فيه المؤلف بحثاً مستوفى معولا على أسانيد تاريخية ذات قيمة . وكان بودنا لو يتاح لنا أن ننقل الى القراء بعض فصول هذا المؤلف النفيس الدال من الجهة الواحدة على غزارة علم المؤلف ومن الجهة الاخرى على الشوط البعيد الذى قطعه الأقدمون ولا سيما العرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى مختلف مبادئ العلوم . وربما نشرنا بعض فصول هذا الكتاب فى أجزاء قادمة من الهلال . وعلى كل فلا يسعنا إلا أن نثنى على

المؤلف أجمل الثناء لما أداه للعلم من خدمة صادقة

والكتاب يقع فى مائة صفحة ويقع عدا مقدمته وتشتمل على فهرست يشغل خمساً وثلاثين صفحة بحجم صفحات الهلال

تعليقات على درس اللغة العربية

(Remarks on the Study and the teaching of Arabic)

بقلم الاستاذ جورج سارتون

هو بحث طريف لمؤلف الكتاب الذى سبقت الاشارة اليه . نشر أولا فى مجلة ايزيس التى تطبع فى مدينة بروكسيل عاصمة البلجيك باللغة الانجليزية والتى هى لسان حال جمعية الدولية لتاريخ العلوم . وقد بسط المؤلف فى هذا الكتاب شروط الذين يريدون درس اللغة العربية وتعليمها وفى مقدمة تلك الشروط معرفة اللغات السامية التى لها علاقة بالعربية كالعبرانية والسريانية وغيرها ويزعم المؤلف ان خير وسيلة لاتقان العربية هى درس اللغة العامية أولا والتدرج منها الى الفصحى . والذى نراه ان هذه الملاحظة لا تنطبق على اللغة العربية فقط بل على سائر لغات العالم . فان المرء كالطفل يجب أن يتعلم اللغة العامية أولا ثم يتدرج منها إلى الفصحى . والصعوبة التى تعترض الطالب هى ان اللغة العامية تختلف باختلاف المدن والامصار فاللغة العامية فى مصر غير اللغة العامية فى سوريا وفلسطين وغيرها فى العراق وبلاد العرب والجزائر . فبأية هذه اللغات يبدأ الاجنبى الذى يريد درس اللغة العربية وهو مقيم بوطنه ؟ ثم انه يتعين عليه اذا أقام باحد الاقطار العربية المشار اليها أن يبدأ بتعلم لغة ذلك القطر العامية ولكن أية لغة عامية يختار اذا أراد أن يدرس الفصحى وهو مقيم بوطنه ؟

وعلى كل فاننا نشكر للاستاذ سارتون عنايته بنشر اللغة العربية بين الغربيين

ارسطوطاليس وفيليس

(Aristotle and Phyllis)

بقلم الاستاذ جورج سارتون

هى رواية نشرها المؤلف فى مجلة ايزيس التى سبقت الاشارة اليها فى السنة السابقة وقد بناها على أسطورة قديمة خلاصتها أن الاسكندر ذا القرنين لما غزا الهند وهزم ملوكها هام بحب فتاة هندية تدعى فيليس وتزوجها . وكان من شدة هيامه بها أنه أهمل شؤون الدولة وانصرف عن كل شىء ما عدا حب زوجه . فاجتمع أشراف المملكة وتشاوروا فيما بينهم ثم دعوا إلى ارسطوطاليس مهذب الاسكندر والتمسوا منه أن ينصح تلميذه ليقلع عن حب فيليس ويعنى بشؤون مملكته . فسمع لهم وذهب إلى الاسكندر وغالى فى نصحه فانقاد له الاسكندر وهجر زوجه . ولما علمت فيليس بما كان ، أقسمت أن تنتقم من ارسطوطاليس فذهبت اليه وأخذت تتودد اليه حتى صار أسير حبها . وإذ طلب منها أن تقابل حبه بمثله اشترطت عليه أن يأذن لها بأن تركبه فرضى بذلك . وكانت فيليس قد أقسمت لزوجها الاسكندر أن تعلو ظهر ارسطوطاليس . ثم وضعت سرجاً على ظهر الفيلسوف ولجاماً فى فمه وسارت تعلو ظهره فى الشوارع . فلما رأى الاسكندر ذلك دهش وسأل ارسطوطاليس

كيف ينهى عن شيء ويأتي مثله . فأجابه الفيلسوف بما يشف عن حكمة سامية : « إذا استطاعت المرأة أن تتلاعب بعقل شيخ وقور مثلي فما أشد ما يكون خطرها على شاب مثلك ؟ اني قد جعلت نفسي عبرة لك وأضفت لك درساً الى الدروس التي القيتها عليك فما عليك إلا أن تعتبر »

هذه هي خلاصة الاسطورة . وقد بحث فيها المؤلف بحثاً تاريخياً مسهباً . فنثني على المؤلف لما يبذله من الهمة في خدمة الحقيقة

فهرست المطبوعات المتعلقة

بالانتدابات في الشرق الأدنى

هو كتاب يشمل جميع المطبوعات التي ظهرت بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٣٠ خاصة بالانتدابات في الشرق الأدنى . وقد عنيت الجامعة الأميركية ببيروت بجمع هذا الفهرست وتنسيقه وقامت بطبعه بعدة لغات أوربية . وهي خدمة جليلة لطلاب التاريخ الحديث تشكر عليها الجامعة الاميركية

كتب أخرى

• (أحياء وأموات) تأليف الكاتب الفرنسي الكبير شارل ميردفيل . وقد ترجمها الاستاذ عبد المنعم حسن ترجمة حسنة . ونحن احوج ما نكون الى من يعنون بترجمة الآثار الغربية ترجمة قوية صادقة تحتفظ بروح الكاتب او المؤلف ولا تنقص الموضوع قيمته من الوجهة العلمية والفنية . وقد نشرت هذه القصة تباعاً بجريدة الاهرام الغراء . وعنيت بنشرها مكتبة الوفد بشارع الفلكي بباب اللوق بالقاهرة . صفحاتها ٤٣٢

• (تاريخ مصر الحديثة) تأليف الاستاذ ابرهيم سيف الدين ، والأستاذ ابرهيم محمد عبده من مدرسي المدارس المصرية . وهو خلاصة مفيدة للطلاب في تاريخ مصر الحديثة ، ويحتوي على برنامج السنة الثالثة الثانوية . طبع بالمطبعة المتوسطة بالعشماوي بمصر . صفحاته ١٨٤

• (دموع) مأساة اجتماعية مؤثرة بقلم الأديب محمد فهمي وقد اجاد فيها المؤلف الى الحد الذي يستحق عليه الثناء . طبعت بمطبعة بابيل اخوان . صفحاتها ١٧٢

• (بحث في نقد الأدب العربي) بقلم محمد بديع شريف عضو البعثة العراقية بدار العلوم وهو باكورة حسنة لهذا الطالب النشط تدل على ذكائه وحسن استعداده . طبعت بمطبعة العلوم بشارع الخليج بالقاهرة . صفحاته ١٠٠

• (فن طبع الأصابع) تأليف الأستاذ عبد الحميد فهمي رئيس مكتب طبع الأصابع . طبع بمطبعة النجاح ببغداد . صفحاته ١١٦

• (ذكرى الميلاد) وهو مجموعة مقالات أدبية واجتماعية وتاريخية عن عيد الميلاد باقلام طائفة من الكتاب . صفحاته ١٤٤ من الحجم المتوسط . طبع بمطبعة النيل المسيحية

بين الهلال وقرائه

على أثر صدمة

(القاهرة — مصر) ح . ع

صدمني قطار الترام وأنا صغير صدمة عنيفة كادت تودي بحياتي . ومع انه قد مضى على تلك الصدمة أكثر من عشر سنوات فلا أزال عرضة لخيالات مزعجة تتتابع من وقت الى آخر فيخيل الى اني واقع تحت عجلات الترام أو السيارات . وكثيراً ما أحلم انى سوف أسقط من شفير جرف هار أو من مكان عال أو أني مسوق لكي يقطع رأسي . الى غير ذلك من التصورات المخيفة . فماذا ترون لي من علاج ؟

(الهلال) حالتكم عصبية فأهم ما تحتاجون اليه هو راحة اعصابكم بالابتعاد عن الاجهاد العصبي وبالاعتدال في المعيشة وعدم الافراط في الأكل والشرب ، وبالاكثار من الرياضة البدنية (دون الاجهاد) ومن النزهات الخلوية ولا سيما في الاماكن المبهجة لان الفراغ مجلبة للافكار الكئيبة

والاستحمام بالماء البارد مضر بكم فيجب الاقلاع عنه تماماً واستبداله بالماء الساخن أو الفاتر لانه مهدىء للعصب . والافضل أن تستشيروا أحد الاطباء الاخصائيين ليضع لكم نظاماً للغذاء والمعيشة بوجه الاجمال

تشتت الفكر

(القاهرة — مصر) و . ش

قد أستغرق في قراءة موضوع مهم ثم لا ألبث أن أجد نفسي بعد مدة وجيزة قد سرحت عن الموضوع وابتعدت عنه وأخذت أفكر في موضوع آخر . وأستمر على هذه الحال وفكري مشتت ينتقل من موضوع الى موضوع . فما العمل للاقلاع من هذه العادة ؟

(الهلال) هذه نتيجة الحالة العصبية التي تشكو منها . فاذا أمكنك معالجتها تحررت من تشتت الفكر وأصبح تفكيرك اعتيادياً . وعلى كل فليست معالجة حالتك من الامور الخطرة

الانسولين

(المنيا — مصر) ابو الليل راشد

أصبح المريض بالبول السكري في حيرة كثيرة بسبب تعدد الوصفات « البلدية » التي يعثر بها عليه البحث . فما رأيكم في هذه الوصفات وهل الانسولين يختلف في الحقيقة وطأة هذا الداء ؟

(الهلال) لا نعرف مرضاً كمرض الديابيطس أو البول السكري تعددت الادوية التي توصف لعلاجه ولا سيما « البلدية » منها . وقد حصل من طبيب من الاخصائيين انه يعرف نحو أربعمائة وصفة بلدية يدعي كل من استعمل وصفة منها انها الدواء الشافي من مرض البول السكري ، مع انها ليست في الحقيقة الا من قبيل الخرافات ويشهد لها الذين استعملوها . وفي الواقع ان العلم لم يتوصل حتى الآن الى اكتشاف نوع من مرض البول السكري وانما وفق منذ أكثر من عشر سنوات الى صنع الانسولين الصناعي . ولا يخفى ان الانسولين هو المادة التي تفرزها غدة البنكرياس . فاذا أصيبت هذه الغدة عجزت عن افراز الانسولين الذي هو لازم لامتصاص ما يدخل الجسم من السكر . والانسولين الصناعي مع انه أفضل علاج لمرض البول السكري لا يشفي من ذلك الداء وانما يمد الجسم بالكمية التي يحتاج اليها منه . ولا بد من مداومة استعماله وقد انقذ حياة الملايين من المصابين بمرض البول السكرى

وقد قرأنا في احدى المجلات العلمية الاخيرة ان أحد الجراحين الاميركيين عالج بعض المصابين بهذا المرض بعمليات جراحية اصلح بها عطب غدة البنكرياس بحيث عادت الى افراز الانسولين بالحالة الطبيعية . ومن المحتمل ان تعم هذه العملية الجراحية فتصبح علاجاً ناجعاً لهذا الداء الوبيل

شجرة قديمة

(كنجستون — جامايكا) فريد حنا

كتبت احدى الصحف تقول ان في بلدة ماريادلتولا بالمكسيك شجرة سرو يعتقد علماء النبات أنها أقدم شيء حي في العالم لأن عمرها يختلف من اربعة آلاف سنة الى ستة آلاف . فما رأيكم في هذا ؟

(الهلال) ليس هنالك ما يمنع أن يكون ذلك صحيحاً . ففي كاليفورنيا بالولايات المتحدة اشجار يزيد عمر كل منها على ثلاثة آلاف سنة . ولعلكم تعلمون ان عمر الشجرة يعرف من عدد الحلقات التي في ارومتها . وهذه الحلقات تزداد حلقة واحدة كل سنة الا في حالات نادرة

ومما يجدر ذكره ان غلاظة الحلقة النسبية دليل على درجة الرطوبة في السنة التي تكونت فيها تلك الحلقة . وقد استدل العلماء من هذه الحقيقة على ان درجة رطوبة الجو في كاليفورنيا والولايات المتحدة عموماً في عهد المسيح كانت أعلى منها اليوم .

الاماكن المسكونة

(عمان — شرق الاردن) ح . ع . ع

سمعت قصصاً كثيرة من لسان أشخاص أكدوا لي أنهم سمعوا في بعض الاحيان أصوات صياح وأنين منبعثة من اماكن وقعت فيها بعض حوادث القتل . فحدثني رجل كبير السن أنه سمع ذات يوم وهو يجتاز البرية قبل طلوع الشمس صوت انين آت من بعيد الى أن دنا من رجم على الطريق واذا الصوت كأنه انين رجل متألم . فما رأيكم في هذا ؟

(الهلال) لم يستطع أحد اثبات نظرية الاماكن المسكونة بطريقة علمية قاطعة وان يكن الكثيرون من العلماء — وفي مقدمتهم السر أوليفر لودج — يعتقدون صحة تلك النظريات ويعللونها تعليلات لا يتسع هذا المجال لشرحها

جو القطر المصري

(عمان — شرق الاردن) ومنه

لماذا لا ينال القطر المصري نصيبه من الشتاء والبرد كالاقطار الشقيقة ؟

(الهلال) تختلف حالات البلدان الجوية باختلاف مواقعها من خط الاستواء أو من القطبين الشمالي والجنوبي . فكلما كان القطر قريباً من خط الاستواء أو من المنطقة الاستوائية كان أكثر تعرضاً للحر . وبالعكس كلما ابتعد عن ذلك الخط . وهنالك عوامل أخرى تؤثر في جو البلدان ولا تخفى على من له أقل المام بعلم الجغرافية الطبيعية كتشكيل البلاد الطوبوغرافي وموقعها بالنسبة الى البحر وهل هي عامرة بسهول ام بجبال وهل هي قاحلة أم تكثر فيها النباتات والمزروعات — الى غير ذلك من العوامل الطبيعية التي لا يتسع لها هذا المجال

التثاؤب

(عمان — شرق الاردن) ومنه

المعروف ان التثاؤب ينشأ عن النعاس . ولكن كثيراً ما يتثاءب الانسان من دون أن يشعر بالنعاس . فما تعليل ذلك ؟

(الهلال) يحصل التثاؤب عند ما تتمدد عضلات الصدر و[illegible] ، ويحدث غالباً بعد اجهاد طويل . [illegible] بعد هذا الاجهاد فيكون تأثيره كالتثاؤب تماماً . وقد ينهض أحدنا من موضعه بعد جلوسه ساعات طويلة فيتمطى ويمدد عضلات جسمه كأنه يحاول اطلاقها من قيدها . والطبيعة هي التي رتبت لنا التثاؤب لاراحة عضلات التنفس من حالة معينة هي نتيجة مكث تلك العضلات ساكنة مدة طويلة

حكماء كالحيات

(نيوكاسل — الولايات المتحدة) سليمان جرجس

يقول السيد المسيح كونوا حكماء كالحيات فهل تمتاز الحيات حقيقة بالحكمة ؟

(الهلال) توصف الحية بالمكر والدهاء والحكمة . وكان الاقدمون يعتقدون انها أحيل جميع الحيوانات واشدها دهاء وانها لو لم تكن كذلك ما استطاعت ان تخدع آدم وتسخر منه . والارجح ان غرض المسيح كان التأثير في سامعيه ليتحلوا بالحكمة التي كانوا يعتقدون انها من صفات الحية

الحالات العصبية الشاذة

(دمشق — الشام) م . ش

لي صديق اصيب منذ شهرين ونصف وهو في المدرسة بمرض عصبي تركه في حالة ذهول لايستطيع معها أن يقرأ شيئاً ويفهمه أو أن يحل مثلاً حسابياً من دون أن يتضايق . وقد اتفق له أخيراً أنه بينما كان يحاول حل عمل هندسي تضايق جداً فهاج ومزق كتابه وخرج يطوف بالازقة كالمجنون . فلحق به احد رفاقه واعاده فدخل غرفته ورمى كتبه على الارض وحطم الآلة الكاتبة . ولا يزال الى الآن يتجنب من الرياضيات لعدم استطاعته فهمها . فماذا تشيرون على هذا الطالب ؟

(الهلال) أن ينقطع عن الدرس مدة الى أن تزول جميع الاعراض التي ذكرتموها … وطأتها عنه وتنتهي الى … وأهم ما يحتاج اليه هذا الطالب … وقد قرأنا عن حوادث كثيرة شبيهة بهذه … في بعض … اوربا بالالوان فيوضع الشخص … في بيئة تكون جميع الوانها … ولا تكون فيها الاسود ولا اللون الاحمر ولا الالوان الفاقعة (الناصعة) . وامثال هذا الشخص يكونون عادة في حالة عصبية تتطلب كل عناية واهتمام فيجب أن يعاملوا بكل لطف وتؤدة والا يصدموا في رغباتهم وميولهم الا عند اقصى الضرورة وان يجابوا بقدر الامكان الى ما يطلبونه والا يخاطبوا في الحديث ولا يتورط احد في مجادلتهم او مناقشتهم . وعلى كل يجب استشارة الاطباء الاخصائيين في طرق معالجتهم وما قد يحتاجون اليه من الادوية

وطن الانسان

(لاغوس — نيجيريا) أحد القراء

رجل نزح هو وأسرته من مسقط رأسه الى بلاد اجنبية ليقيم بها . وله ولد لم يشأ ان يقيم مع والديه بل نزح الى بلد آخر واستوطنه . ثم مات أبوه عن املاك وعقارات في مسقط رأسه . فهل يرثها الولد اذا كان قد هجر « جنسيته » واتخذ « جنسية » الوطن الذي يقيم به ، وما هو وطنه الحقيقي في هذه الحالة ؟

(الهلال) يستطيع أن يرثها الا في حالات معينة . فقوانين بعض الدول تحرم على الاجانب ان يتملكوا عقاراً في بلادها . ففي هذه الحالة يضطر الابن الذي نحن بصدده الى بيع ما يرثه . وكثيراً ما يجر اختلاف « الجنسيات » الى مشاكل سياسية دولية يصعب حلها لعدم وجود قانون دولي عام يسري على جميع الدول . أما الوطن الحقيقي للولد الوارث فهو الوطن الذي اختاره لنفسه واقام به مختاراً غير مكره . هذا في العرف القانوني ولكن «جنسيته» في العرف الادبي تتبع مسقط رأسه ورأس اهله

الامم والحكومات

(…) ع . م . م

اي الامم اهنأ بحكوماتها . واي الحكومات اهنأ بشعبها ؟

(الهلال) الحكومة التي تتخذ من الحكم وسيلة لتسهيل مسائل الراحة وسبل العدل بين الناس … من افضل الحكومات وشعبها اهنأ الشعوب . وليس المفروض في الحكومات ان تهنأ بالحكم لان الحكم ليس من اسباب الراحة والهناء بل هو تبعة ثقيلة لا يستطيع حملها الا من تجرد عن مصالحه الشخصية لخدمة وطنه . والحاكم الذي يحسن الحكم لاشباع مطامعه لا يمكن ان يهنأ او تهنأ به رعيته

الحشرات المضيئة في الليل

(. . . .) ومنه

ما هي المادة التي تضيء ليلاً في بعض الحشرات ؟

(الهلال) هي مادة فوسفورية في اجنحة الحشرات الطائرة التي يعرف العلماء منها نحو ستين نوعاً . وتعرف في اللغة العربية بالحباحب . ويظهر ان معظم النور يكون عادة في جناح الانثى منها وهي تستعين به على اجتذاب الذكر

الحياة محبة

صورة قديمة من حياة مصر الحديثة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

أهدى شاب الى اناتول فرانس كتاباً الفه وتوسل الى كاتب فرنسا العظيم أن يقرأه ويبدى له فيه رأيه . وانقضت أيام وأسابيع تردد خلالها الشاب يسأل فرانس رأيه فى الكتاب . فلما كثر تردده وإلحاحه قال له فرانس :

— يابنى . فى مثل سنى لا يقرأ الانسان جديداً . وإنما يعيد تلاوة ما قرأ من قبل

وأحسب الامر لا يقف عند الكتب وقراءتها وعود الانسان الى ما استراح له من قبل منها ، بل هو يتناول الآراء والافكار والصور التى تحيط بالانسان منذ نشأته . هو يتعشقها وحدة فواحدة وهو يعتقد فى كثير من الاحيان [illegible] ، كلما تقدمت به السن وكلما ازداد معرفة بتجربة [illegible] فى أحيان [illegible] يعود اليها [illegible] كان فيها من خير وفضل [illegible]

وهذا شعورى [illegible] . [illegible] فى هذه الساعة التى أكتب فيها ، فى صور وألوان من الحياة ، [illegible] ثم [illegible] تلك الصور والالوان وطرحت تلك الآراء والافكار و[illegible] ثم غيرها . وها أنا اليوم أستعيد صورة الحياة أيام طفولتى وأسائل نفسى اذا لم تكن ادعى لسعادة الناس من صورة الحياة التى يحيون اليوم ، واذا لم يكن من الخير أن نعمل لاعادة هذه الصورة ، لا كما كانت فذلك غير ميسور ، ولكن فى الحدود التى ترضاها قوى الحياة فى هذا الزمن الحاضر الذى انتقلنا وانتقلت الحياة اليه

والروح التى كانت تحرك تلك الصورة تتلخص فى كلمتين اثنتين : الحياة محبة . محبة شاملة لكل ما فى الحياة ، ولاخواننا بنى الانسان حباً أولا . محبة لا يمحى منها التنافس ولا يمحو عنها بقاء الاصلح ولا تعرف استغلال القوى الضعيف . محبة صادقة تعطر جو الحياة كله وتجعل الناس يتحركون فيه على انه الهواء الذى يتنفسون والنور الذى به يهتدون . . . ماذا ؟ لست أريد أن أبدأ بشرح فكرتى . . وانما أريد رسم صورة الحياة كما كانت فى دار طفولتى لأصور الفكرة كما تدور بخاطرى ولأترك لمن شاء تقديرها بما يشاء

فقد كان جدي عمدة البلد وكان يناهز السبعين حين ولدت ، ولشيخوخته هذه — على ما أظن — تواضع أهل القرية فأطلقوا عليه لقب شيخ البلد . وكان رجلا مثلا في التقى والورع . ولأنه كان أكبر اخوته فقد كان هو الذي يدير أملاك الأسرة كلها . وكانوا جميعاً كما كان أبناؤهم يقيمون وأبناء بدار واحدة أطلق الناس عليها اسم « الدار الكبيرة » لأنها كانت كبيرة بالفعل . كان بابها الواسع حتى ليدخل منه جمل بحمله يفتح على دهليز يؤدي الى فناء رحب هو وسط الدار . ومن حول هذا الفناء كانت تقوم غرف فوقها غرف يختص بطائفة منها كل رجل وزوجه وأبناؤه . وكان قطان هذه الدار من أهلها يربون على المائة عداً . وكانت لهم بها طاحون لا تهدأ الليل ولا النهار ، وأفران لتحميص الحب وأخرى لخبز العيش اختص بالعمل فيها بعض نساء الدار سواء من أهلها أو من أتباعهم يقمن قبيل الفجر ويعملن ، تلك في تجهيز الحب للطحن وتلك تنخله بعد طحنه والأخريات للخبز . وذلك كله في حركة متصلة قد تستمر أحيانا الى ضحوة النهار وأحيانا أخرى الى ما بعد الظهر . وفي جانب من هذه الدار الكبيرة تقوم زريبة لأبقار اللبن وجواميسه تحلب في المساء وفي الصباح قبل أن تذهب الى المزارع ويعمل من ألبانها الجبن والسمن . وعلى مقربة من الدار الكبيرة كان يقوم دوار للمواشي فيه مربط الثيران واصطبلات الخيل . ويلاصق هذه الدار مناخ الجمال . وهذه المواشي والخيل والجمال كانت تعمل في أراضي الأسرة كلها . لا فرق بين ما هو مملوك لجدي ولغيره من أهله وذويه لأنه [illegible] كان أبا للأسرة جميعاً فكانت كلمته في الأسرة هي العليا وكان له في قلوب اخوته وأبنائه وأبناء اخوته كل الاجلال والاكبار .

وكنا نحن الصغار نتناول الطعام في الدار . أما جدي فكان يتناول طعامه في المضيفة القائمة الى مقربة من الدار الكبيرة ومن [illegible] العائلة . ولم يكن قط يتناول طعامه من غير أن يحيط به من أهل البلد ومن الضيوف عدد غير قليل . ومن هؤلاء أناس من أهل القرية عضتهم الحاجة فلاذوا بشيخ البلد يقضون أكثر وقتهم الى مقربة منه ويتناولون الطعام وإياه . ومنهم عدد قليل من أهله . أما الدار الكبيرة فلم يكن يقتصر تناول الطعام فيها على أهل الأسرة . بل كان التملية الذين يشتغلون في المزارع يتناولون فيها طعام العشاء بعد عودتهم من عملهم ، كما كانوا يفطرون قبل ذهابهم لعملهم اليومي . أما الغداء فكانوا يتناولونه في المزارع . وهؤلاء التملية كانوا يجلسون كتفا الى كتف مع أبناء العائلة الذين يعملون وإياهم في المزارع ويشعرون جميعا كأنهم أسرة واحدة هذه الدار دارها وهذا الخير الذي ينالون جميعا خيرها المشترك بينهم جميعا

فاذا جاءت المواسم وآن لشيخ البلد ان يحضر الكسوة جيء بها الى هؤلاء جميعا ، الى التملية والى أبناء العائلة . ولن أنسى كيف كانت احدى سيدات العائلة توزع الثياب على هؤلاء الناس من هذا المجتمع تعطي الواحدة كسوتها وكسوة زوجها وأبنائها ، والتملية وأبناء العائلة في ذلك سواء لا امتياز

الا لبعض الكبراء ممن تقدمت بهم السن ومن أصبحوا بحاجة الى زى خاص يتفق مع سنهم ومقتضيات هذه السن من مبالغة فى الورع والتقوى

هذه صورة موجزة سطحية من الحياة فى دار طفولتى . وقد ظلت هذه الصورة كما هى او تكاد الى مابعد ذهابى الى المدرسة الابتدائية بسنتين أو ثلاث بدأت بعدها تتطور تطوراً خفيفاً . وها أنا أعود الآن فأستعرض هذه الصورة القديمة مصى عليها وعلى بدء تطورها مايناهز الاربعين سنة واسائل نفسى ان كانت مصر قد احسنت بالانتقال من هذا النوع من الحياة الاجتماعية الى النوع السائد اليوم . فما أشك فى أن هذه الصورة التى شهدت بدار طفولتى كانت السائدة الحاكمة منذ أكثر من ثلث قرن مضى فى مصر جميعاً . وما أشك فى أن اهل كل قرية كانوا فى ذلك العهد كأهل قريتنا يتحدون فيما بينهم ويحب بعضهم بعضا ويدين شيوخهم بما كان يدين به جدى من كراهية الاستدانة ومن اعتبار القرية وحدة يجب أن يسهر كبراؤها على حمايتها مما يستهدفونه من السوء والاذى . وقد بلغت كراهية الاستدانة هذه بجدى إلى ان أحداً من الاروام أو غيرهم من المرابين لم يستطع ان يجد له بالبلد عيشا . وكان احد اهل القرية اذا تأخر عليه لتاجر او للحكومة مال دفعه عنه غيره ونظرة الى ميسرة . وكان اكرام الضيف بعض عوائد اهل القرية جميعا حتى لتكانوا طوال شهر رمضان يخرج الواحد منهم طعام افطاره امام باب داره فاذا مر به ساعة الغروب فقير او عرس دعاه ليشاركه فى اللقمة التى امامه . ودعاه عن نفس طيبة وقلب مطمئن كما يدعو الاخ اخاه ويرى الحيم وليه الحميم

ولم يكن ابن من ابناء العائلة أو أحد من شيبة أو جيل من رجال القرية يجد الى نفسه موضعاً ذلك انهم كانوا جميعاً يؤمنون بمعل شيخ البلد ومثله رجل يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ويرعى الفقير والبائس والمحروم ويرى للاقربين ذوى المعروف ويقوم بما يقوم به من ذلك كله كما يؤدى فرائض صلاته وصيامه وزكاته وحجه ، مؤمنا بأنه يؤدى لله حق الله عليه ويقوم فى ذلك بأداء واجب الشكر لله ليزيده الله من نعمته . وكان مايضربه للناس من هذه المثل يدفعهم الى احتذائه وكان يحب احدهم اخاه أو صاحبه ، لا لأن واجبا عليه ان يحبه . ولكنه يحبه كما يتنفس الهواء وكما يتناول الطعام فى اوقات الطعام

كانت الحياة محبة إذن بين أهل القرية فى ذلك الزمن النائى القريب . ذلك الزمن الذى شهدنا نحن من لانزال فى صيف العمر لم تتخطه بعد الى الخريف . أو لو تطورت حياة الجماعة المصرية فى هذا الدرب وبقيت هذه الحياة محبة تزداد كلما ازداد الناس معرفة بالحياة واتصالا بها أفما كان ذلك خيراً من هذه الحياة التى استعرنا من الغرب والقائمة على أساس من الاثرة والتحاسد والتنافس والبغضاء؟ أو ليس غريباً ان يكون هذا الزمن الذى نفاخر به ونزعم انا قطعنا فى سبيله الخطى قد نأى بنا عن أعمق اسرار الحياة — المحبة — ودفعنا الى التفكير فيما يفكر أهل الغرب فيه من نضال العواطف وفى

استئصالها نظفه من خواننا بنى الانسان غير صالح ، وأدى بالكثيرين منا الى أن يطرحوا جانباً معانى الفضل والكرامة والشهامة والكرم والايثار والمحبة ليسلكوا الى المجد الموهوم أدنى السبل الى الجريمة وأبعدها عن الخير والحق والجميل ؟ انى افكر اليوم فى هذا وأشعر حقاً باننا قد ملنا عن الطريق وضللنا المحجة وأننا أصبحنا نتخذ المثل الاعلى فى الحياة من حثالة ابناء الغرب الذين يفدون الى شرقنا مزودين بمظاهر زائفة من علم وفضل وبطن مالئة الجوف من شره وافتراس

أشعر بهذا . فهل يرجع هذا الشعور الى تفكير غير مقيد بالذاتية ولا متصل بهذا الماضى الذى أتحدث عنه ؟ أم أنه رجعة الضمير الى منشئه الاول وتأثره بالبيئة التى نشأ فيها والتعاليم التى تغذى أول أمره بها وحرصه على استعادة صور هذه النشأة الاولى على نحو ما يفعل الاكثرون حين يبلغون سناً معينة فلا يقرأون جديداً وإنما يعيدون تلاوة ما قرأوا من قبل ؟ هذا البحث نفسى جدير بالاعتبار . و يزيده فى رأيى بالاعتبار جدارة اختلاف الناس فى النظر الى الحياة باختلاف منشئهم والتعاليم التى تلقوا أول حياتهم . كنت أتحدث الى أحد معارفى الغربيين منذ أيام فذكرت له أن لا شىء اهون من كسب الوفير من المال على شريطة واحدة : ألا يشتد الانسان فى تقدير اعتبار الفضل والنزاهة والكرامة . فكان جوابه : تلك اعتبارات عليها نشأ أشد الناس شرهاً للمال وحرصاً على اقتنائه لتكون أصحاب سهم فى ميدان [illegible] . وكان دليله على رأيه هذا أن القسس ورجال الدين ممن نصبوا أنفسهم فى العصور الذاهبة لتعليم الزهد والاعراض عن الذهب كانوا ومازالون أوفر الناس ثروة وأشدهم [illegible] شرهاً . وهو لهذا يرى أن يعمل الانسان للوصول الى المال ما دام لا يقع تحت يد القانون لان [illegible] قوة ولان الذين يعفون عن المال عجزاً منهم عن اكتنازه وادعاء منهم أنها الفضيلة والنبل هم الذين يحولون بينهم وبين ثرائه ــ هؤلاء يقعون فى كثير من الاحيان تحت سلطان أرباب المال يستغلون تفكيرهم وضمائرهم بما يشاء سلطان المال

وبينما يقول محدثى الغربى هذا الكلام تنشر الصحف أن هتلر زعيم ألمانيا اليوم إنما وصل الى ما وصل اليه من قوة لاحتقاره للمال احتقاراً أدى به الى التنازل عن مرتب المنصب الكبير الذى يشغله اكتفاء بما تدر عليه كتاباته . وهتلر يعتقد أن الايمان الصادق بالفكرة والدعوة اليها دعوة خالصة من شوائب الغرض الذاتى أقوى من المال وأقوى من كل سلطان

أفيفكر هتلر ويفكر محدثى الاجنبى وكلاهما متأثر بماض قديم هو البيئة التى نشأ فيها ؟ ليكن الجواب بالاثبات أو بالنفى فلن يغير ذلك من رأيى شيئاً فى أن أعمق أسرار الحياة هى المحبة ، وفى أن ما تقاسى الانسانية اليوم من آلام يرجع الى رغبتها عن معرفة هذا السر وعن السعادة به ظناً منها أن الاثراء والنعمة المادية يغنيان عن الايثار والمحبة ورضى النفس . وهذا الظن إثم كله . وهو لذلك لا يمكن أن يعيش إلا ريثما تعود الانسانية الى إدراك سر الحياة

محمد حسين هيكل

أصول الأدب وأركانه

بقلم الامير مصطفى الشهابي

[لما كان العالم الجليل الامير مصطفى الشهابي في مصر ، رغبنا اليه ان يتحف قراء الهلال برأيه فيما نص اليه ابن خلدون في مقدمته عن أصول الادب واركانه ، فتفضل حضرته وبعث الينا بهذا المقال الممتع]

لابن خلدون في مقدمة تاريخه جملة مشهورة هذا نصها : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (أي الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهي : « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « النوادر » لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » الخ

وكثيراً ما فكر الأدباء في هذه الجملة وفي مبلغها من الصحة . وبعضهم يرونها غريبة لأنه يتبادر إلى أذهانهم أن الأجداد الأقدمين خلفوا لنا عدداً من مصنفات الأدب السمينة غير الكتب الأربعة المذكورة ، وأن كلاً من تلك المصنفات خليق بأن يعد في الاصول والاركان إما لأنه أقدم من الكتب التي عظمها شيوخ ابن خلدون وإما لأنه حوى من فنون الأدب ما لم تحوه تلك الكتب [illegible] . ولا [illegible] في الخوض في هذا الموضوع الشائك من تعريف لفظة الأدب وهو معروف مألوف ولا سيما في خط ابن خلدون . فالفرنسيون يقولون : « ان الأدب علم الكاتب » ويقولون أيضاً [illegible] الكتب في أمة من الامم أو بلد من البلاد أو عصر من العصور » . ويرى ملا جلبي صاحب « كشف الظنون » أن الادب علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطاً . وأظنه نقل هذه الجملة أو نقل ما هو بمعناها من كليات أبي البقاء ، وهذا من علماء القرن الثامن . ويقول الانصاري في « ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد » ان الادب علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الالفاظ والكتابة ، وموضوعه اللفظ والخط الخ . أما ابن خلدون فقد عرفه تعريفاً جيداً في قوله : « إن الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف » وفي قوله : « ان ثمرة الادب الاجادة في فني المنثور والمنظوم على أساليب العرب ومناحيهم » وذكر عدا هذا جملا يستدل منها على أن الكتب الخليقة بأن تسمى كتباً أدبية هي التي تشتمل على شعر عالي الطبقة ونثر جيد ومسائل في اللغة والنحو وأحاديث عن أيام العرب وأخبارهم

ويتضح من ذلك ان الاصول الاربعة التي أوردها ابن خلدون في مقدمته يجب أن تكون متحلية بهذه الصفات الاخيرة كلها حتى تعد كتباً أدبية ، كما يجب أن تتفرد بالصفات المذكورة حتى يجوز حصر اصول دواوين الادب وأركانه بها دون غيرها . فأدب الكاتب لابن قتيبة (وهو ركن من الاركان الاربعة التي نحن بصددها) ليس كتاب ادب بالمعنى الذي يريده ابن خلدون ، بل هو في الحقيقة كتاب لغة حَسْب . ويمكن تسميته موجزاً للمعجم الذي جاء بعده وهو « المخصص » لابن سيده . فليس في « ادب الكاتب » شعر ولا قطع نثرية جيدة ولا احاديث عن ايام العرب واخبارهم . ولهذا حق على القارىء ان يستغرب قول شيوخ ابن خلدون فيه وذكرهم إياه في مقدمة الاركان الاربعة للادب وتخطيهم « عيون الاخبار » لابن قتيبة نفسه بل كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ايضاً ، وهو كتاب على صغره يعد اقرب الى المصنفات الادبية من كتاب « ادب الكاتب » ! . ولا شك ان كتاب « الشعر والشعراء » المذكور صغير الحجم كما قلت لكن فيه تراجم لأهم الشعراء الاقدمين وامثلة من اشعارهم وقصصاً ونوادر ادبية . فلا يجوز اذن ان يعد « ادب الكاتب » من الاصول الادبية وألا يعد هذا منها

واذا جوزنا جعل « ادب الكاتب » في مقدمة الاصول الادبية ـ وهو كتاب لغة لا كتاب ادب كما قلت ـ فلماذا ميز شيوخ ابن خلدون عن غيره من كتب اللغة القديمة ؟ بل لماذا سهوا عن « امثال العرب » للمفضل الضبي من اهل القرن الثاني وعن « المفضليات » وهي اشعار جمعها الضبي ونقل عنها بعض اصحاب الاركان الاربعة ؟ ولماذا لم يذكروا في جملة هذه الاركان « طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين » لابي عبد الله بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ وهو كتاب فيه شعر واخبار ونكات ادبية ؟

ومما يستغرب اشد الاستغراب عدم ذكر « العقد الفريد » لابن عبد ربه الاندلسي في جملة الاصول الادبية ، على حين ان صاحب هذا الكتاب هو من معاصري ابي علي القالي او هو ممن تقدموه ودرجوا قبله ! فكيف تكون « أمالي القالي » احد الاصول الاربعة ولا يكون « العقد الفريد » واحداً منها مع انه خزانة آداب تلك الايام وعلومها وشعرها واخبارها وحكمها وأمثالها وخطبها ومقالتها ونوادرها ، وهو من أجود الموسوعات الادبية جمع في ثلاثة أجزاء تربى صفحاتها على الستمئة . وقد قلبت وجوه الرأي فلم أجد سبباً لتخطي هذا الكتاب الثمين وعدم ذكره في جملة الاصول التي ذكرها شيوخ ابن خلدون . وقلت أخيراً لعل هؤلاء الشيوخ هم اندلسيون ولعلهم حسدوا ابن عبد ربه الاندلسي وهم أحرياء أن يأخذوا بناصره . أما إذا

كانوا يجهلون كتاب « العقد الفريد » (وهو ما يُستبعد) فقد سقطت عنهم كل تبعة . لكن جهلهم كتاباً كهذا منقصة لهم وطعن في رأيهم وتجريح له

هذا في كتب أدباء عاصروا أصحاب الاركان الاربعة أو مضوا قبلهم . وهنالك كتب كبيرة الشأن تُعد من أمهات كتب الادب صنفها أدباء مشهورون عاشوا بعد أصحاب تلك الاركان ونقلوا شيئاً عنها ، لكنهم ذكروا في تضاعيف كتبهم أشعاراً وأخباراً ونكات أدبية كثيرة خلَتْ منها الاركان المذكورة . ولهذا يصعب على المنصف أن يعد هذه الكتب تبعاً للاركان وفروعاً تفرعت عنها . ومن هذه الكتب « أمالي السيد المرتضى » وهو الشريف ابو القاسم علي بن طاهر المتوفى سنة ٤٣٦ هـ . فهذا الكتاب يقع في مجلدين ويحتوي على تراجم عدد من الادباء والشعراء وعلى اخبار العرب وعلى تفسير الكثير من النصوص الادبية ، وغير ذلك مما تتناوله كتب الادب . ومنها « العمدة » للحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ فهو كتاب أدب جامع من أجود المراجع الادبية ، فيه شعر واخبار ولغة وغيرها . وكان ابن خلدون يعرف هذا الكتاب وقد عرف قيمته لكن شيوخه لم يعدوه في جملة اركان كتب الادب . لان ابن رشيق عاش بعد أصحاب تلك الاركان ونقل عنهم شيئاً او عن بعضهم

ويستنتج مما ذكرته أن الجملة التي دونها ابن خلدون في مقدمته عن اصول الادب واركانه فيها مغمز لمن اراد استقصاء كتب الادب القديمة واحلال كل منها المكان الذي يستحقه . ولا يجوز على ما أرى إرسال حكم مضمونه تهميش أحدها وحصر أسلوب الادب العربي في نطاق هذا العدد المحدود من الكتب . ولعل أئمة الادب وشيوخه في ايامنا هذه يعمدون الى هذا البحث الذي لمسته في هذه الكلمة الموجزة فيحللونه له ويُسهبون في إيضاحه . ومن البديهي ان إنكاري لرأي ابن خلدون لا يقدح في الكتب الاربعة التي نحن بصددها ، فهي بلا ريب من انفس المؤلفات التي يجب على النشء تدارسها ، لان ملكة اللغة العربية لا تُكتسب إلا بمراجعتها ومراجعة الامهات السائرة للادب العربي ، كالعقد الفريد وغيره مما ذكرته وكالاغاني للاصبهاني و« خزانة الادب » للبغدادي (وهو من المتأخرين) وكرسائل المتقدمين ومنهم الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هرون وعمرو بن مسعدة واضرابهم من فحول الكتاب وملوك البيان

مصطفى الشهابي

في عالم الوحدة والمجد

بقلم الأندلسي

هو غريب مجهول يضرب في بلاد الله بلا هدف ولا محور — فماذا عسى يجديه الشباب والموهبة نفعاً ؟

يقولون أن الشباب غني بالآمال والتفاؤل . أما شبابه هو فغني باليأس والتشاؤم . إذ لا مال يقوم بحاجته ، ولا حبيب يؤنسه ، ولا قريب يعطف عليه ، ولا صديق يؤيده ، ولا من يعرفه فيزوده برسائل التوصية أو يقدمه إلى ذي نفوذ في وسعه أن يمهد امامه أسباب العمل

هجر وطنه — الوطن الذي لم ينسحب منه العدو إلا بعد أن جعل عمرانه خراباً — وطفق يجوب البقاع والبلاد باحثاً له عن طريق في أغاويره المجهول . فهبط أخيراً المدينة العظيمة المأخوذة بدوار السرعة ، المتلظية بحمى الطمع ، الحاوية لجميع ألوان الفن وأصنافه

يده خالية إلا من حقيبة السفر ، وحقيبة السفر خالية إلا من تلك البدلة السوداء التي لا مندوحة عنها للمثول أمام الجمهور في الاجتماعات الرسمية . وكل ذخيرته كمنجة تهتز أوتارها بشتى الألحان والأنغام كلما داعبتها أنامله

عرف الفتى مرة بعد مرة جميع صنوف الهم والألم ، وتجرع مرارة الوحدة في ديار الغربة ، ووخزته كل يوم وكل ساعة تلك النظرات الموجهة عمداً إلى الذي يسير هواماً بمفرده في الشوارع ويزور وحده المتاحف والحدائق والآثار . فيدرك سر ما يجول بخاطر كل من نظر اليه تلك النظرة كأنه يسأله بغير كلام : من تكون ياهذا ؟ وأي عمل تعمل ؟ علام تقيم بهذه الدار وأنت عنها غريب ؟ أتكون غنياً ؟ اذن أنت جئت لغرض لا يمكن أن يكون في مصلحة البلاد . أو تكون فقيراً ؟ اذن أنت جئت لغرض لا يمكن أن يكون في مصلحة البلاد ، علام تغادر بلادك وما هو السر الذي يقصيك عن أهلك ؟ أنت غريب . أولا تعلم أن الغريب مشبوه أنى توجه وكائناً من كان . . . ؟

يدرك الفتى معنى هذه الأسئلة الصامتة فتستولي عليه عاطفة أليمة ، ويغص بالدموع ، وكأنه يجيب بلا كلام : لا وطن لي غير ذلك الوطن الذي نعق فيه الغربان . ولا أهل لي غير أولئك الذين هم عبء في عنقي ، وقيود في يدي ، وحجر عثرة في طريقي . ولا مال لدي يكفيني تلك الحاجة ولا أنا من الذين يتسولون أو يقبلون منحة الصدقة . وفي نفسي عالم حال يلهبني ويعذبني لا أجد له منفذاً إلى الفضاء . هذه هي حكايتي التي تستفهمون عنها ، ولكنكم لا تستطيعون فهمها لأنكم سعداء . . .

كذلك يجيب الفتى في صمته أذ تصوب اليه النظرات الحادة فتشق صدره كالنصال متغلغلة في

حشاشته . غير انه بعد كل أزمة من هذه الازمات المتعبة حيث يخيل اليه انه فقد ذاته ونسى معنى
وجوده — كان يرسل زفرة عميقة ويعمد الى مناجاة صديقته الوحيدة فى الحياة : الكمان

انشأ يطوف بالحانات الضخمة التى تجمع بين شتى صنوف الخلق فى السهرات . فيعزف فى
جماعات اختلطت عندها المراتب والاخلاق والمطامع والميول ، وتوحد لديها طلب اللهو والرعد
ونلمس وسائل المتعة والانفعال ، دون اكتراث بالجاد من الحديث والصادق من المواهب

هوه ؛ عارف آخر ينضم الى جوقة المتسولين على آلة النغم ؟ أف ، ما أكثر أولئك الناس من
أهل الفضول ! . ولزملائه امتياز واحد على الاقل اذ يستصحبون صديقاً لهم أو غلاماً يجمع النقود
من المتسمرين فى مجلس الانس الحق، بينما العازفون يعزفون : أما هذا فيجمع النقود بنفسه بعد
الفراغ من العزف ؛ لكأنه يتعمد العرف وقتاً طويلا بدلا من أن يأخذ بسرعة الفلس الذى يلقى
فى قبعته المقلوبة فيريح الناس من صوصائه على عجل :

يطوف كل ليلة بتلك الحانات فيعرف ، ويعرف ، ويعزف فى نشوة اليأس ، وتقوم كمنجته لوصال
دموعه المكبوتة أنغاماً . فاصغى القوم بادىء ذى بدء بانزعاج وتململ ثم أصغوا بتلك السخرية الاجتماعية
التى تحسب فى نفسها الاناقة كلها ثم مزجوا السخرية بشىء من التطلع ، ثم أصغوا ببعض الانتباه
وصفقوا تصفيقاً فاتراً عن حسن تعاده ، ثم استوقف عددهم شىء ما فهم صمت ثم صفقوا متحمسين .
وأخيراً صار بعضهم لا يرتاد تلك الحانات إلا ليستمع لكمنجة الغريب الفقير الذى لا يعرفه احد

واتفق أن وجد ذات ليلة فى تلك الحانة شخص إتصب حبه فسمع فى شل أعصابه ، ولا هو
فازت بتشويه معاركه وتحجير عواطفه وصعد قوته وعطل عبقريته على استعداده الفطرى وبصفاء
روحه ونبل فكره وروعة ثقافته ، يتميز بين سائر قرنائه من أهل الوجاهة والترف والثقافة
الممسوخة . وجد شخص يقدر أتوهه وصمتى فى سكوت وفهم : فهم العظمة الكامنة فى تلك
الكمنجة ، فهم التفرد الحى الذى يحرك هاتيك الانامل ، فهم الكنز الزاخر المختفى فى تلك الروح
الوجيع . فهم بأس الغريب الفقير الذى ساقته الحاجة الى ارسال عبقريته ألحاناً عجيبة على جموع
ساحرة ، دعية ، متغطرسة تجرى وراء اللهو والرعد والاعمال والشهوات ، وبين هيا من يميز بين
فن وفن ، وبين كمنجة وكمنجة . . .

لم يدن الشخص الممتاز من الموسيقار ، أنما احتفل بصاحب أضخم هاتيك الحانات وحمله على
التعاقد مع الغريب ليعزف كل ليلة فى ناديه . وكان ذلك فتحاً لما يسمونه باب الفرج . اذ من ذلك
الحين ذاعت شهرة الغريب وصارت تتخاطفه الفرق الموسيقية والحفلات الكبيرة والمسارح العظيمة ،
وهو فى جميع مواقفه يتدرج من تفوق الى تفوق

ولم يفتح النجاح باب الغنى ورصانته ، لان الجيلاء لا تملأ غير النفوس الخاوية . أما هذه
النفس المليئة بغناها فكان النجاح يحملها على التوغل فى الاكتئاب والتأمل . . .

لم ينضب النجاح طلب الفتى ، بل كان – كالفشل من قبل – مهذب الصارم . وأنشأ يجني لنفسه مالاً غنى عنه من الحوائج والأدوات . وحصن في نوع معيشته مستمتعاً بتلك الرفاهية المتواضعة على أتقن فنه الاتقان الذي يطمع هو فيه . وبعد ما تضاءلت همومه المادية واطمأن بعض الشيء على غده ، أراد أن يحقق حلماً قديماً عزيزاً راود خياله منذ عهد الطفولة . فمضى يحج الى ضريح موسيقار خالد

هناك وقف جامداً في الظاهر لايتحرك ، غير أن رؤى الفن أخذت تتجلى في عينيه ودفقت سيول الالهام على قريحته . وقف متهيباً واجماً مضطرباً مترقباً . فخيل اليه أن الحضارة البكماء حواليه ، وحفيف الاوراق على الغصون ، وتلاطم الريح في الفضاء ، والحبة البعيدة الناجمة عن جهود الانسان ، وتفطر القلوب وتسكاب الدموع ، وأجيج العناصر ، وتعاقب الازمنة في هاوية الابد – خيل اليه ان كل أولئك جوقة رائعة تتعاون على نسج عزف واحد شامل . وتسرب اليه من جوانب قبر العبقري أمر عنيف في لطافته ، يحثه على اكتناه لغز الرهيب المبهم ليترجمه توقيعاً على أوتار الكمنجة

يا إشراق الوحي ! أأنت حلم في اليقظة أم يقظة في الحلم ؟ أأنت نور أم أنت لهيب ؟ أأنت ضراعة المخلوق الى الخالق ، أم أنت عطف البارى على براياه ؟ أأنت المكافأة العادلة لمن عرف أن يتألم في تجلد وبسالة ، أم أنت البسالة والالم [illegible] تجديد في شكل مكافأة ومنحة ؟ ما أنت وما هي ماهيتك ، يا إشراق الوحي المتعالي عن كل وصف ؟

عاد الفتى من حجته وكأنه في لحظات قلائل عاش وتعلم وجرب وجاهد ألف ألف عام : تلك هي آثار الوحي تفوق في مولدها كل وسيلة محسوسة ، وتمرق في ماتجهد في نظام موضوع . فانطلق في أفق الابداع ، ونقشت به تلك الذكرى سهل إشراق لاينضب وعطشاً سرياً يسوق اليه الانغام من عالم فوق هذا العالم . وهمسة سحرية تلقي به الاصداء من خوالم شكى تتصل بهب قبلا على تلك الألحان .. وطفق يعيش نهاره في وجود غير هذا الوجود . حتى اذا جن الليل فانبرى على خشبة المسرح بدا النور كهالة تفصل بينه وبين ما تحمل الارض من خلق وأشياء وشئون . فيمثل الفتى حيال الجموع في وحدة نورانية ، ويعزف ...

الألحان تتناثر من خشبة الكمنجة مكونة أسراباً موسيقية تفلت من السجن الضيق لتطير وترتفع وتحلق في فضاء أثيري سحيق ، ناسجة بانتشارها مقاطع لغة تسكت جميع اللغات ، مثيرة في كيان السامعين رعدة عميقة لمبدئة ، سابكة على الدموع الخاشعة بين تلك البهجة العلوية التي تذهب بالنفس شعاعاً في حين هي تخضعها لسلطتها الرفيق المتزن . حتى اذا أمعنت الاسراب في التحليق والانتشار عددت ملت شعثها وأخذت تهبط شيئاً فشيئاً آيبة الى عشها السحري في الكمنجة فتضاءلت الالحان حتى تصبح همساً ، وتتضاءل في الهمس أيضاً حتى تغدو نفساً رقيقاً شفيفاً وديعاً متقطعاً يذوب ذوبا في عالم الخيال ، دون أن ينتهي في عالم المحسوس ... فلا يدرك القوم أن العزف

قد انتهى الا بعد سكون دقائق. وعندما يحاولون الاعراب عن الرهبة والتحنان الآخذين بهم يكون الغريب المسحور قد خرج الى الشارع وسار في طريقه الى منزله الصغير

ولكن اتفق مرة أن الجمع المزدحم أخذ يتدافع بالمناكب ليلحق به. فادركوه وحملوه على الاعناق وانطلقوا به مهرجانا صخبا في قلب الظلام حتى انتهوا به الى منزله، الى غرفته، الى سريره، فأغلق بابه وراءه يطلب الراحة بالاختلاء بنفسه، وينشد علته البعد عن هذا العالم. غير أن الجماهير في الخارج ظلت تموج كمياه البحر، بينا ألوف الاصوات تندبه ليظهر على الشرفة. على النداء، وما ان بلغ الشرفة حتى رفع يده مسلما. واذا بالاصوات تتعالى وتشتد وتحتدم وتصخب حتى انقلبت صوتا واحداً شاملا مفزعا يروع المدينة. واراد الفتى أن يسكتها فلم يجد الى ذلك سبيلا

لم يجد من سبيل سوى العودة إلى صندوقه ربما يلتقط الكمنجة. وهناك على الشرفة الصغيرة، حيال الجموع المتموجة، أخذ الغريب يعزف. فسكتت الاصوات في لحظة، وكان سكوت، وكان هدوء، وكان جمود، كأن جميع أهل الحي مستغرقون في النوم. وفي السكون الشامل أقام الغريب في قلب المدينة المظلمة مملكة جديدة كلها سحر وطرب وشجن وفتنة وإشراق...

السماء صافية الاديم، والنجوم تسطع سناءها الخالد القديم، ونور القمر هنا — شأنه شأن نور الكهرباء في المسرح — يقيم حول الغريب هالة سحرية تفصل بينه وبين كل ما حملته الارض من مخلوقات وموجودات وشئون... والغريب ضمن هالة القمر يعزف، يعزف، ناسياً عادة الجماهير، يعزف جاهلا أن أحداً يصغي إليه. يعزف متكئاً على عود الكمنجة في حزن عميق، إذ لا شيء يثير دفين الحزن كالمجد العبقري المتألق..

ليست هذه رواية كاتب بارع الخيال بل هي واقعة حقيقية يرويها رجل غريب في جماعة صغيرة من أهل الثقافة التأمت حلقة في قاعة هادئة باحدى مدن أوربا. وعندما بلغ هذا الحد من الحديث سكت. ولم يلبث أن نهض صامتاً وانصرف عن القوم سائراً بخطوات هادئة متباطئة الى ناحية الباب

سألت إحدى الموجودات: ما اسم هذا الرجل؟

— أولا تعرفينه؟

— سبق أن رأيته عدة مرات بين الزملاء والزميلات. ولكني لم أتعرف به ولم أكلمه. ما رأيكم في روايته؟ أليس انه محدث ماهر؟...

— لم يرو غير حكاية حياته...

— ومن يكون هذا الرجل؟

— هذا واحد من ثلاثة، هم في هذا العصر أنبغ عازفي الكمنجة بين جميع الشعوب على الاطلاق...

«مي»

مظاهر التفكك الاجتماعي

في الممالك الاوربية

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدي

كانت الممالك الاوربية قبل الحرب العالمية فى حالة من استقرار النظم واستتباب الاوضاع بحيث كان يتوهم الناظرون اليها انها قد بلغت - على اثر الانقلابات الخطيرة التى طرأت عليها طوال القرن التاسع عشر - الى حد من الاتزان الاجتماعى ليس بعده مذهب

نعم كان الناظرون فى بنائها (جميع بنية) يلمحون مظاهر من القلق فى بعض طبقاتها تبدو اعراضها تحت اسماء مختلفة من الاشتراكية والفوضوية وما اليهما ، إلا انها كانت من الضعف بحيث لا تؤثر فى مجرى الاحوال ، ولا تقوم عقبة فى سبيل أى اتجاه تأخذه تلك الحكومات عن القيام بمهامها الخطيرة . . وكان الشيء الوحيد الذى يخشى منه على مدنية أوربا هو ما قد يتمخض عنه ذلك التنافس فى التسلح وفى اتخاذ المعدات المدمرة ، وتلك المسائل المعلقة بين الدول مما شطرها الى حلفين خطيرين ، يحوم احدهما إزاء الآخر ، ويشكو أنه منازعة جدية بينهما لأن تحملهما على تحكيم الحديد والنار فى حلها

هذه كانت حالة الممالك الاوربية فى سنة ١٩١٤ ، وما كاد يحاز العالم نصفها الاول بسلام حتى حدثت تلك الحادثة المشؤومة من مقتل ولى عهد النمسا فى بلاد الصرب ، فكانت سببا فى إيقاد نار الحرب بين الحلفين الاوربيين المتناظرين ، واندلعت ألسنة لهيبها حتى عمت الامم المتمدنة ، إذ انتهزت كل دولة منها - لما تأرثه بعض اعدائها ، أو مطمع فى التوسع على حساب جيرانها - هذه الفرصة لشفاء ما كمن بين جوانحها . فكانت مجزرة عالمية لم يشهد النوع البشرى أشنع ولا أنكى منها ، دامت نحو خمس سنين فأتت على كل مالدى الامم من عتاد وعدة

خرجت أوربا من هذه الكارثة العامة وهي من الضعف بحيث تحتاج لاستعادة قوتها ، ورأب صدوعها ، ولأم جروحها ، الى زمان طويل تقضيه فى هدوء شامل ، وسلام طويل . ولكن أنى لها ذلك وضعف الجماعات كضعف الآحاد يؤدى الى ضروب من القوى المخبوءة فيها ، ويثير فى جثمانها ما كمن فيه من العلل ، فيتأدى كثير منها الى مضاعفات خطيرة تهددها بسقوط وشيك فى دور من ادوارها . لهذا السبب تضخمت الاحزاب المتطرفة التى ترمى الى تغيير النظم المقررة ، واحداث الانقلابات الذريعة ، وكر أشياعها المطالبون بذلك ، ظنا أن

فى تغيير ها إبلالا للمجتمعات مما أصابها من الضعف الذى أوقع آحادها فى ضنك عظيم

ولكن الحقيقة أن هذا الضنك ليس سببه فساد تلك النظم الاجتماعية ، ولا دواؤه فى الخروج منها الى سواها مما يتخيله الاشتراكيون ، ولكن سببه فى العهد الذى تجتازه الانسانية اليوم أن الأمم المتحاربة بعد أن اضطرت لانفاق عشرات الآلاف من ملايين الجنيهات فى سبيل مواصلة تلك الحرب الضروس ، نضبت مذخوراتها من المال ، فاضطر كل منها لايصاد باب المبادلات فى الأمور الكمالية ، مقتصرة على الضروريات ، فتعطلت أكثر الصناعات ، أو ضعفت حركتها الى حد كبير ، فاصبح عدد العاطلين فى كل منها يبلغ بضعة ملايين ، وفى أمريكا يربون عن اثنى عشر مليونا ، فانبنى على هذا أن اضطرت الحكومات الى إقاتة هذه الملايين بصرف نصف أجورهم اليهم ، وهذا يقتضى مضاعفة الضرائب وفرض الرسوم على المنتجين والمالكين ، فكان ذلك مدعاة لتعميم الشكوى من النظم المقررة ، فانضمت العناصر التى كان يرجى منها الثبات على تلك النظم والدفاع عنها ، الى صفوف المطالبين بتغييرها ـ على الخلاف الشديد الذى بين الطائفتين فى وجهة النظر . هذه الحالة أفضت الى زعزعة أصول الحكم فى كل أمة والى عدم استقرار الوزارات فى مناصبها . فالمسألة الاجتماعية والحالة هذه تستحيل فيما نحن بصدده منها الى مسألة اقتصادية عنه لا مسألة عرضية عنه . ولعل ما أدت اليه الشئون فى روسيا أصدق مثال لما نقول ، وأوسع مجال لاستخراج وجوه العبر .

فان هذه الأمة السلافية التى يبلغ عدد افرادها نحو مائة وخمسين مليونا قد ارتكست بسبب فساد تقاليدها الحكومية السابقة ، الى أقصى مرامى الاشتراكية المتطرفة وهى الشيوعية ، ولم تتأد الى أحسن مما كانت عليه من ضنك المعيشة وتراخى الروابط الاجتماعية . وقد بلغ فيها التطرف حداً أصبحت معه تعمل على قلب كل نظام قديم رأساً على عقب ، حتى ما كان منها له جذور عميقة فى الفطرة البشرية ، وهو الدين ، فاخذت تعمل جاهدة على طمس معالمه ، وذلك بصروحه بنشر المبادىء الالحادية ، وهدم الاصول الدينية ، فحولت أكبر كنائسها الى مخازن ومدارس بعد أن جردتها من ممتلكاتها واستولت على مذخوراتها ، ونصبت إدارة رسمية للقيام ببث الآراء المادية ، وصرف الناس عن الشئون الروحية ، فأصبحت حياتها الاجتماعية ـ بذلك التجرد من التقاليد ـ موقوفة على صدمة خارجية ، فاذا حدثت وخرجت منها منهزمة سقط كل ما أقامته على انقاض ماضيها من الصروح الوقتية ، ووقعت فى فوضى لايعلم غير الله مصيرها من جرائها . وأقل مايتوقع منها انها تنقسم على نفسها ، وتتحرر جميع ممتلكاتها ، وتضطر الى الانحصار فى حدود بلادها ، لتعيد نظامها الاجتماعى من جديد وهذا يتوقف على نبوغ عقول كبيرة منها تتولى هذه الاعادة فى آماد طويلة ، وأطوار متلاحقة . . وإذا كان قد تبين لنا أن مظاهر التفكك فى النظم

الحكومية فى أكثر الممالك الاوربية ، ترجع الى تدهور فى حالاتها الاقتصادية ، اتضح لنا أن سلامتها تتوقف على عود عهد الرخاء اليها . فهل هذا العهد قريب منها ؟

الحكم فى مثل هذه الشئون يقتضى أولا حل مسائل عالمية معقدة بعضها يرجع الى العلوم الاقتصادية ، وبعضها الى الملابسات السياسية ، وبعضها الى المفاجآت الاجتماعية. فاكثر الممالك الاوربية تقوم فى الظروف الراهنة على حالة ديكتاتورية أو مايقرب منها ، يتوقف بقاؤها واستمرارها على حياة القائمين بها ، ولا يمكن أن يعرف ما تؤول اليه بعدهم

وأما من الناحية السياسية فالمتوقع وصول من بيدهم مقاليدها فى الأمم المختلفة ، الى حلول حكيمة تزيل شكوى الجماعات من معاهدات الصلح ، تفادياً من أيلولة القلق الدولى السائد فيها الى حدوث حرب جديدة تقضى على البقية الباقية من ملحوز الامم ، وتوقع أوربا فى اضطراب

بقيت المسائل الاقتصادية ، وهى وان تشعبت الى كل وجه وتعقدت ، فانها لقيامها على اصول طبيعية محضة يوشك أن تنفرج أزمتها يسيراً يسيراً بفضل الجهود التى تبذل لتنظيم الانتاج والتبادل . وقد ظهرت بوادر الانتعاش الاقتصادى آتية اليوم ، فلا يبعد أن يزداد على مدى الايام قوة ، وهو كلما استوعب من جمهور العاطلين عدداً ، قلت المشاكل الاجتماعية على نسبتهم لامحالة ، وثاب الى الرؤوس رشدها بقدر سكون جأشهم ، وطمأنينتهم على معاشهم

على أن مما يهدىء روع العالم على سلامة النظم الاجتماعية العليا التى حصلت عليها الأمم بأثمان باهظة من دمائها وأموالها ، أن أمتين عظيمتين بقيتا حارستين لها . وهما الأمة الانجليزية والأمة الامريكية فمن ثباتهما المثالى ، ورسوخهما فى النظم الحكومية الى حد أنها قد أصبحت خلقاً ثابتاً فى آحادهما ، يكفلان استمرار هذه النظم فيما سلمه من كل انحراف أو تحول

ليس مؤدى قولنا هذا أن هذه النظم قد بلغت من الكمال حداً لايمكن تجاوزه الى أفضل منه ولكن مؤداه أن هذه النظم قد وضعت بحيث ترتقى وتكمل فى دائرة معينة الحدود من الاوضاع الدستورية والحريات المذهبية . فأصبح بفضلها اللجأ الى تحكيم الحديد والنار لقلب نظام الحكم من شهوات الاحزاب المحبة للمغامرات والطامعة فى الوصول الى السلطة من طريق الغصب لامن طريق الكثرة البرلمانية التى هى المعيار الوحيد لاتجاه ميول الهيئة الاجتماعية

فالثورة والحالة هذه على مثل هذه النظم الحكيمة تعتبر من الجرائم التى لاتغتفر ولا تؤدى إلا الى نوع من الحكم لايتفق وما حصل عليه الانسان من الاوضاع الدستورية

فاذا كان رجال العلم الاجتماعى يغارون على هذه النظم الحكيمة فلأنهم يعتقدون انها قد وضعت حداً للحروب الاهلية بما سمحت من تطوراتها فى دائرة النظامات البرلمانية

هذا مانقوله فى هذا الشأن الخطير . ولعل فيه شيئاً من صدى تلك البحوث الاجتماعية

محمد فريد وجدى

الحياة في قصور اسماعيل

بقلم صاحب السعادة احمد شفيق باشا

> يقوم صاحب السعادة احمد شفيق باشا بنشر ذكرياته عن الخمسين عاماً الماضية. وهى ذكريات جليلة حوت شيئاً كثيراً من الحياة الاجتماعية والادبية والسياسية فى الجيل الماضى . وسيصدر الجزء الاول منها قريباً . وقد تفضل سعادته فاختص الهلال بهذا الفصل القيم الذى يصور الحياة الداخلية فى قصور الخديو اسماعيل

كنت أسمع فى أواخر عهد اسماعيل أخباراً عن الحياة الداخلية فى قصوره ، وكنت أعدها خيالا أو مبالغاً فيها على الاقل ، فتحدثت الى حماتى ، زوجة الفريق راشد راقب باشا ، الذى استشهد فى حرب الحبشة ، وشقيقتها حرم محمد بك عيد أحد زعماء الثورة العرابية ، واحدى كبيرات « القلفاوات » الموجودة للآن على قيد الحياة ، وكلهن من معتوقات اسماعيل . وكانت حماتى ذات مكانة خاصة لدى البرنسيسات فكانت تعرف ما لا يعرفه غيرها ، فحصلت على ما يجعلنى مطمئناً لما أذكره فى هذا الباب

فى سراى عابدين

الروايات التى تناقلها الناس عن أن سرايات اسماعيل كانت تغص بالآلاف من الجوارى والراقصات والمغنيات والضاربات على آلات الموسيقى الحماسية أو الوترية ، مبالغ فيها . بل لم يكن موجوداً فى سراى اسماعيل إلا جوقة وترية خاصة بزوجته الثالثة ومعها مغنيات

كان اسماعيل يقيم أغلب أوقاته فى عابدين مع البرنسيسات زوجاته الأربع حتى زواج ولى عهده توفيق باشا ، فقد انفصلت والدته بعد زواجه وأقامت فى سراى القبة . وذلك عقب صدور الفرمان السلطانى بجعل ولاية مصر وراثية فى اكبر أولاد اسماعيل . وقد أشار السلطان على الخديو بأن يعقد على والدة توفيق فصدع بالأمر فصارت الزوجة الرابعة

أما البرنسيسات الثلاث فكانت تقيم كل واحدة منهن فى « بلك » ـ وهو مسكن خاص مستقل ـ ولكل منهن «قلفاوات» توزع عليهن الوظائف المختلفة من خازندارة وجاشرجية الخ وكان للقلفاوات خادمات خصوصيات من الجوارى السود ، وفتيات شركسيات ، يدربنهن للقيام بما تقوم به القلفاوات إذا ما كبرن

أما اسماعيل فكان له « بلك » تقفل أبوابه عند دخوله فى المساء وكانت له أيضاً حاشية خصوصية من الخطايا والجوارى

وكان سموه يتناول الطعام مع الرئيسيات على الطراز الاوربي . وكان « المشى باشا الاسطى ابراهيم » ـ الذي خلف طاهي فرنسيا في القصر ـ والد محمود باشا فهمي وكيل دائرة المغفور لها الوالدة ، يرسل الاطعمة المخصصة للخديو ، على سنة سلاطين آل عثمان ، في أوان ملفوفة بالقماش ومختوم عليها بالشمع الأحمر ، الى غرفة متصلة بالحرم فيتسلمها محمد بك الساغي « السفرجي » المخصوص لاسماعيل ، ثم يخرج من هذه الغرفة فتتسلمها أربع « سفرجيات » من الجوارى تفك أختام الاطعمة وتقدمها الى المائدة . وهذا في الاوقات التي تسمح لسموه بتناول الطعام مع الرئيسيات

وكانت تقدم الاطعمة في أوان من الفضة ، إلا في المناسبات الخاصة فكانت من الذهب(١) ومن الاطعمة المشهورة في السراى صنف « الرز الخديوى » المصنوع بخلاصة رءوس الضأن أو البقر ، والديكة الرومية بكيفية مخصوصة

استقبال الزائرات

كان استقبال الزائرات سواء كن من الافرنج أم من أهل البلاد ، بأن يتقدم الاغا ، ويساعدهن في النزول من العربة ، ويرافقهن الى باب الحريم وهناك تتلقاهن جوار مسرمات ليتسلمن منهن « اليشمق والفراجية » أو المعاطف ويرافقهن الى « الصالون » في الدور الاسفل ، وهو مؤثث بالاثاثات الفرنسية الفاخرة . ثم تصعد الزائرات الى « الصالون » الخصوصي للاميرات بالدور الثاني . وفي الاستقبالات الهامة تتقدم الزائرات إحدى « القلفاوات » في زى رجل بملابس مزركشة ، وكانت تختار ذات وسامة وقد رشيق طويل ، تحمل في يدها عصا مفضضة غليظة فتسير بين أيديهن إلى حيث الرئيسيات . وكان يطلق عليها اسم (الشاويش)

وكانت الاميرات يلبسن الملابس الحريرية الفاخرة ، ذات الالوان الزاهية والاذيال الطويلة في زى افرنجي ، وكن يجلسن عند الاستقبال بجوار بعضهن ، وتتقدم الزائرات الى كل واحدة منهن الوصيفة الخاصة بالترجمة عند وجود الاجنبيات . وكان يقوم بهذه المهمة بالتناوب وصيفتان هما قرينيز خانم وجاره سز خانم

ثم تقدم القهوة في فنجان ذى ظرف مصنوع من الاسلاك الذهبية الرقيقة على أشكال جميلة ومرصع بالماس ، وكان يسمى « شغل شغتني أو سوداني »

ولقد حكت الداخلة لاول مرة في سراى عابدين من الزائرات تدهش لمنظر الجوارى اللائي يستقبلن الزائرات في ملابسهن الفخمة وتتساءل : أحقاً هؤلاء مملوكات ؟ !

أما في الحفلات الكبرى ، في الاعياد وأفراح الانجال ، فكانت الرئيسيات يتزين بأبهى

---

(١) وقد حمل اسماعيل معه حين سفره من مصر الاطقم الذهبية الثمينة وكانت في مخزن في الجزيرة

زينة من الملابس المزركشة بالجواهر مما لا يتباعد حتى عند الملكات الاوربيات (كما يرى القارىء فى الصور الثلاث لزوجات اسماعيل)

فى السرايات الاخرى

وكان اسماعيل ينتقل بعض الاحيان من عابدين إلى إحدى السرايات الاخرى فى الجزيرة أو الاسماعيلية أو الجيزة. وكانت الاميرات يرافقنه فيها، وكذلك كان للخديو فى كل من هذه السرايات «بلك» خصوص تقيم فيه «القلفاوات» «الخصوصيات والحظايا»

أما كيف كانت زوجات اسماعيل يعشن على وفاق مع أنهن ضرائر، فضلا عن وجود حظايا كثيرات له، فقد علمت أن الغيرة لم تكن لدرجة احداث شقاق بينهن فى الغالب. وإذا حدث شىء من ذلك كان «خليل اغا» باش أغا والدة اسماعيل، يقوم بتلافيه. والفضل فى ذلك يرجع لاسماعيل فانه عقد على من كان يعتقد فيها الرزانة والعقل الراجح، والمحافظة على المقام العالى الذى يرفعها اليه، فكن لآخر حياتهن محترمات موقرات من الجميع

وقد كانت الزوجة الثالثة لاسماعيل ذات مكانة خاصة لديه، وكانت تتمنى لو رزقت خلفاً. فلما لم يقدر لها ما تمنته فكرت فى أن تتبنى لها بنتا وقد وقع اختيارها على فائقة هانم لما رأته فيها من صفات طيبة وأخلاق فاضلة

(وهى الآن زوجة حضرة صاحب السعادة محمد عزت باشا)

والدة الخديو اسماعيل

كانت فى شبابها حسنة الصورة، وقد بقيت أثر هذا الحسن مدة حياتها، وكانت تحب السرور والانشراح، وقد أقامت مع حاشيتها الكبيرة فى سراى الزعفران بالعباسية

وقد تركت الوالدة هذه السراى بعد أن شيدت سراياً فخمة متسعة مطلة على النيل، فى حى «جاردن سيتى» الحالى. ففى هذه السراى كان «طقم» «موسيقى» كالموجود فى آلايات الجيش، مؤلف من أربعين عازفة لهن مديرة برتبة الاميرالاى، وعلى صدرها نيشانان وهى التى كانت تدير بعصاها الفضية هذا الطقم. وكان أفراد هذه الجوقة يرتدين البنطلون والجاكتة ذات الأزرار المذهبة من الجوخ الاحمر المزخرف بالقصب، ويلبس على رءوسهن طربوشاً

وفى أيام الاعياد والمواسم والاستقبالات الكبيرة وفى أفراح الانجال السابق الكلام عليها، كانت الموسيقى تعزف فى «كشك» من الخشب متصل بالحريم، وعند دخول الزائرات تعزف بالسلام، وبالادوار العربية والتركية والافرنجية. وكان يوجد فى البهو الداخلى فرقة أخرى موسيقية وترية مصحوبة بمغنيات مصريات وتركيات، بالسراويل المزركشة بالقصب

وعلى أصوات جميلة فيطربن الزائرات ، وفى مكان آخر كانت فرقة راقصات فى أحسن زى وكلهن من ربات الجمال ، وكان هناك فوق ذلك فرقة تمثيل روايات مضحكة (أورطة أويون) يمثلن من يمثلن الرجال

من ذلك يتبين أن الأميرة خوشيار خانم افندى والدة اسماعيل ، كان لها غرام بالفن الجميل وكانت تنتقى الجوارى الحسان وتأتى لهن بالمعلمين والمعلمات مصريين وأتراكا وأجانب . ولا مبالغة اذا قيل ان هذه السراى كانت تحوى من الجوارى الحسان واتباعهن السودانيات مايبلغ الالف عداً

وهؤلاء الجوارى كن يشترين من بعض الاتراك الذين كانوا يأتون بهن من الاستانة ، وأغلبهن من أصل شركسى ، يأتون بهن صغار السن ، ويربونهن ويعلمونهن ثم يبيعونهن للسرايات والكبراء . أما أميرات بيت الخديو فيرسلن احدى القلفاوات المعتادة انتقاء الجوارى فتطلع على أجسامهن ، وتختبرهن فيما تعلمنه ، وتنتقى من تصلح وتشتريها . وفى بعض الاحيان كان يوصى ، اليسرجى ، عند وجود (بضاعة طيبة) أن يجلبها للسرايات ، وكانت كل برنسيس تحب أن توجد خير ما يكون من هذه الجوارى لتنال زيادة الحظوة لدى اسماعيل

الطعام فى سراى الوالدة

كل شىء فى هذه السراى كان أميل للطريقة الشرقية ، فكانت تجلس الوالدة مع من يوجد من البرنسيسات والزائرات غير الأجنبيات على حشايا (شلت) مغطاة بقماش مزركش بالقصب وضعت على الأرض بهيئة دائرة وفى وسطها كرسى معدنى عليه الغطاء المزركش ، وتوضع فوقه صينية من الفضة وأدواتها كذلك إلا فى المناسبات الخاصة فتكون جميعها من الذهب ، ويقوم بالخدمة جوار يرتدين اللباس الفاخر ، وفى يد بعضهن مذبة (منشه)

استقبال الزائرات

كان استقبال الزائرات لغاية باب الحريم ثم استقبالهن بالحاشية على النظام المتبع فى عابدين . إلا أنه يختلف فى جلوس الزائرات فى غرفة الاستقبال على مقاعد شرقية عالية ، على حين تجلس الوصيفات على حشايا (شلت) أرضية ، وتقدم للزائرات القهوة كما فى عابدين ، وكان يقدم لهن « شكات » التدخين لمن يدخن . والشك فرع من الياسمين رفيع مجوف مذبب من طرفه ليوضع فيه حجر من الفخار الأحمر به التبغ ، وتحت الحجر يوضع طبق من الفضة (طلية) . ثم تقاد الزائرات الى غرفة استقبال الوالدة التى ترتدى الملابس الشرقية البهية . وكانت ترحب بهن باحترام وبشاشة . ثم ترجع الزائرات الى الصالون ويشربن الشربات أو « السوبيا » وبعدها يرافقهن الاغوات الى الباب الخارجى

العبقرية والمرض*

بقلم الاستاذ عبدالرحمن صدقي

> من المشهور أن العقل السليم في الجسم السليم ولكن استقراء حياة العباقرة يدل على أنهم أكثر الناس أو من أكثر الناس تألماً جسمانياً وعصبياً . وستجد في هذا المقال الطريف أمثلة عدة على أمراض العباقرة وما كان يشوب حياتهم من أطوار شاذة وعلل مختلفة

العبقرية هي القدرة الانسانية الوحيدة التي يحق أن تعنو لها الرءوس وتخر الجباه من غير ضعاضة ولا خجل . ونحن بطبيعة اجلالنا العباقرة وتعظيما قدرهم ورفعنا شأنهم ، نتسامى في معارج تنزيههم حتى نجمح في فيض شعورنا وطلبنا الكمال الى تأليههم

فهل ترانا هنا نأتي منكراً إن ذكرناهم بما يشعر أنهم بشر ؟

كلا . بل هذه الصفة البشرية هي هي علة عطفنا وحبة عظمتهم

فهذا هومير أبو الشعر ضرير ، وملتون واصف الفردوس المفقود ، وأبو العلاء المعري حكيم المعرة وحكم الروميات كلاهما ضرير . ومن سخرية القدر أن يكب بيتهوفن الموسيقار بالصمم ، ويموت بودلير المتصرف في قيود القول أبكم ، ويولد ميشيل انجيلو المثال أعسر . وليس يخلو من الدعابة مرأى كاموئس شاعر الاسبان أعور ، وبيروف صاحب الاساطير والعبر أحدب . وعزيز أن يتصور فولتير يمثل الخرافة الدينية كالتنين الهائل وهو الاعجف البين العجف مع طول القامة وتقوسها ، وأن تتمثل اللورد بيرون ، سليل العلية الرائع الطلعة ، يحلق بخياله الجامح في السماء ، ويطبع على الارض بقدمه العرجاء !!

موكب من النقائض لا ينقضي عجبه ، لاجتماع الظلمة والنور ، والزيادة والنقصان ، والرفعة والضعة . ولكن ، ماذا نقول ؟ لعل البارىء إذ اختصهم بمواهبهم العليا وفضلهم العظيم ، اقتضت مشيئته ابتلاءهم بذلك التنغيص الأليم إظهاراً لعدله ، وآية على حكمه في المساواة بين خلقه !

وبعد ، ليس هذا كل شيء . فلم يقف البحث المتعطش المسعور عند حد ، ولم يتورع عن اقتحام الهياكل وتهتيك الاستار ومجابهة القداسة وجهاً لوجه . فامتدت يد العلم الى العبقرية نفسها ، وتناولتها تمحيصاً وتشريحاً بمباضع التحليل

ولا يعد هذا الموقف تطاولا من دعاوى العلم الحديث ولا هو وقف عليه . فقد سبق اليه الاقدمون من قبل بالمشاهدة والاستقراء . فذهبوا مذهب أرسطو الى أن كثيراً من الناس

---

* اعتمدنا في هذه الكلمة على لومبروزو ، والدكتور كابانيه ، وبرنارد هارت

يصبحون من جراء احتقان المخ شعراء ودعاة نبوة ونوابغ فى السياسة والفن وهم بعد أصحاب سوداء معاتيه . ويجزم افلاطون بأن الهذيان ليس شراً بحال من الاحوال ، بل هو على النقيض فائدة من أجل الفوائد اذا أتى من فضل الآلهة وكرمها ، يجرى على ألسنة الكهان بنبوءات صادقة وفاض من أفئدة الشعراء أغانى صادحة تشدو بالبطولة وتمجيد الابطال وتبقى عبرة لمستقبل الاجيال

وهذه المشاهدات قد أساء الناس تعليلها ، وتطورت جرياً على ديدنهم الى خرافة جعلت الامم القديمة تبجل المجانين وتنظر اليهم كأنهم ملهمون من السماء . فكان لسقراط شيطانه أو الروح التى توحيه . وكان لكل فحل من شعراء الجاهلية نجى من الجن ، فما هو بشىء يذكر لولا شيطانه . وزعموا أن لافظ بن لاحظ كان صاحبا لامرىء القيس وهو الذى ألقى اليه ما أعجب العرب منه . وهاذر بن ماهر صاحبا للذبيانى يسلسل له بخرائده الرائعة . ومدرك بن واغم صاحبا للكميت . ولقد نوه الأعشى بشيطانه فى قوله :

وما كنت شاحوذاً (١)، ولكن حسبتنى إذا « مسحل » يهدى لى القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان : انسى وجن موفق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفانى ، لاعى ولا هو أخرق

وذكروا أن رجلا أتى الفرزدق فقال إنى قلت شعراً فانظره . واستهل ينشده . فما كاد يتم بيتا حتى ضحك الفرزدق وقال : يا بن أخى ، إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما « الهوبر » والآخر « الهوجل » . فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، وانهما قد اجتمعا لك فى هذا البيت ، فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت !

والتواريخ القديمة تفيض بأخبار هذه الظواهر العجيبة . وكانوا يعتبرونها شواهد على وجود روح إلهى أو شيطانى يتلبس بجسد الشخص أو يحركه من الخارج . وهذه الظاهرة اذا جاءت موافقة للمعتقدات فى عصرها استدل القوم على أن الروح المهيمنة طيبة رفيقة ، أما اذا تعارضت مع الشرعة السائدة فصاحبها لا شك فريسة شيطان مريد !

ولم تتبدل الحال فى العصور الوسطى ، إذ كانت الأفكار والآداب والفنون فى خدمة الكنيسة ذات الطول والجبروت ، وإذ يقوم الكلام مقام الفلسفة والتصوف مقام العلم فظل الرأى السائد عن هذه الظواهر انها نتيجة عامل خارق وهو إما صالح مبارك وإما خبيث شرير . وهم يسلكون تحت الشعار الاول الزهاد وأصحاب المواجد الصوفية وأهل الرؤى والنجوى والسبحات الروحية ويعتبرونهم رجال الله المقربين . على حين يحشدون من لا ترتاح اليهم الكنيسة تحت عنوان « السحر » اللعين . وكانت لهم فى هؤلاء السحرة علامات بعضها

(١) يقال شاحذت الناقة عند المخاض رمت ذنبها فأوت الواء شديداً

وهي مختلق وبعضها يسمونه « مخلب الشيطان » وما هو إلا رقعة من الجلد فاقدة الحس من أعراض الهستيريا . الى أن درج العلم الحديث واشتد ، واستقل عن الدين بطرائقه ومناحيه ، فلم يقبل التعاقب مذهب الأولين الى فكرة الشيطان علماً كان أم شيئاً في تفسير مظاهر الشذوذ عبقرية كانت أم جنوناً ، بل مضى في سبيله . وسبيل العلم يجمع المشاهدات ويسجلها ، ثم يرجع اليها بالتقسيم نسقاً نسقاً ومجاميع متسلسلة ، وأخيراً يستنبط منها قاعدة ، أو بعبارة أخرى قانوناً علمياً

وقد اعترضته عقبات وقامت دونه صعاب . منها أن المؤرخين كانوا الى ما قبل سنوات رواة وقائع لا دارسي نفسيات . وكان همهم كله الى حكاية المخاطرات ووصف الحروب والفتوح وسوق المواكب ومعارض الروعة في حياة الأمراء والشعوب على النحو الذي يشوق جمهرة الناس وسواد القراء ، وأغفلوا كل ما له علاقة بالبحث النفسي . ومنها أن معظم العباقرة من قدماء ومحدثين يمنعهم فرط غرورهم أن يكشفوا باختيارهم عن حقيقة حالهم ، فلولا - مثلا - أنه اتفق في مرة واحدة أن يشهد شاهد الكاردينال ريشليو في نوبة صرع لما خطر مرضه هذا لأحد على بال

غير أن الباحثين وقد واجهوا هذه الوجهة لم يدخروا صبراً ولم يألوا جهداً في التنقيب في بطون السجلات وثنايا التواريخ وفي دراسة مؤلفات العباقرة وتقصي رسائلهم واستقصاء شهود حياتهم وتأمل صورهم في مختلف أعمارهم . وبعد عناء البحث المتشعب المضني الى مشاهدات نورد فيما يلي موجزها

أخذوا على العباقرة فساداً في البنية والتركيب ، فمعظمهم نشأ شديد النحول . ولقد كان قيصر نحيلا وكان وهو يتمثل الجمهور ويقلب الجمهورية يتوجس خطراً من جانب كاسيوس لأن وجهه نحيل . كما أنه يغلب عليهم الشحوب حتى أصبح متعارفاً أن الشحوب لون العظماء . وهم يلفتون النظر بشكل أدمغتهم وفرط صغرها أو كبرها وعدم تناسقها ، حتى كان كتاب الفكاهة الاغريق يشيرون الى بيركليس بقولهم : « ذو الرأس الشبيه بالبصلة » . ولقد أصيب بعض العباقرة بصدع في أدمغتهم من أثر سقطة أو صدمة كانت سر عبقريتهم . والأمثلة على ذلك جمة : منها أن فالستين كان في عداد المأفونين حتى هوى ذات يوم من النافذة . ومن حينها أخذت تظهر فيه قدرة فائقة وأصبح أبرع القواد في حرب الثلاثين . كما لحظ الفاحصون في عظمة جماجمهم دروز شتى ، إلا أن أمخاخهم تمتاز جميعاً بكثرة التلافيف وعمقها

ويقل العظماء في الغالب أعزاباً . ومن تزوج منهم قل أن يرزق ولداً . قال بيكون : « أشرف المساعي وأجل المنشآت صدرت عن رجال لم يعقبوا نسلا ، فهم إذ يعيوون بالخلف الصالح من

أجسادهم يحرصون على تأدية صور أذهانهم . فالعناية بالاجيال القادمة من الاعقاب يناط معظمها بمن ليست لهم أعقاب ، وقال لابرير : « هؤلاء القوم ليس لهم سلف ولا خلف . وهم أنفسهم بمثابة ذرية بعدهم كاملة » ولا متسع هنا لتعداد الاعزاب من العباقرة فنجتزىء منهم بهذا القليل من الفلاسفة : كانت - شوبنهور - ليبنتز - سبينوزا - ديكارت - لوك - بنتام - هيوم . ومن العلماء : نيوتن - جاليليو - كوبرنيكوس - مالبرانش - دالتون . ومن الكتاب والأدباء والشعراء : فولتير - شاتوبريان - فلوبير - جيبون - ما كولى - كاموينز - ماتزيني - الفيرى . ومن الموسيقيين : بيتهوفن - هاندل - مندلسون - ميربير . ومن الفنانين : رينولدز - ميشيل انجيلو - ليوناردو دافنشي . ومن الساسة : كافور - بت - فوكس

ويؤثر عن ميشيل انجيلو قوله : « حسبي بفني زوجة وأكثر من زوجة » . ويقرر فلوبير أنه لا يمكن الجمع بين عروس الخيال والزوجة ، وعلى المرء أن يختار بينهما . ويزعم آدم سميث أنه يدخر غزله لكتبه . ويروى عن القديس بولس أنه كان يباهي بالامتناع تاماً

ولا جدال في أن لهؤلاء في هذه الوقفة التي يقفونها عللاً تتفاوت اختياراً واضطراراً . فمنهم من أحجم لعدم استقرار الحال به أو لاشفاقه من الشواغل وحرصه على توفير الوقت للانقطاع الى عمله ، ومنهم صاحب الشذوذ حتى المتأصل في طبعه ، ومنهم غير الواثق بقدرته ، ثم نعرف منهم واحداً هو كافندش العالم الطبيعي محلل الهواء وكاشف تركيب الماء ، كان معدوم الغريزة الجنسية يستكره النساء وينكرهن

وبعد هذا ننتقل بالمقارنة الى منطقة خطرة : الى شواهد التشنج والصرع . فقد كان مونتسكيو يفحص بقدمه الارض مفصلا وهو يؤلف ، وكان بوفون والدكتور جونسون يبدو على وجهيهما تقلص والتواء ، ويعترى نابليون الحين بعد الحين رجفة تعاوده في كتفه اليمنى وشفته . وكان سقراط يقفز في الطرق ويرقص لغير سبب . وغير هؤلاء كثيرون تتقبض ملامحهم وتمشى وجوههم مثل الزوبعة وينبعث من عيونهم مثل البرق وترتعد منهم الفرائص

وموليير قد كان يعوقه التشنج عن العمل أسبوعين متلاحقين . وكذلك باسكال في شبابه تعتريه نوبات تلازمه اياماً . وكان الموسيقار باجانيني عرضة للشخوص وتخشب العضلات ، ونيوتن وسويفت عرضة للدوار الشديد المؤذن بمرض الصرع . بل هنالك المصروعون بالفعل وبينهم عظيمان حق العظمة : يوليوس قيصر في التاريخ القديم ، ودوستيفسكي القصصي الروسي الذي أجمع المحدثون في الخافقين على أنه أعظم القصاصين

وننتهي - بعد التردد الطويل - الى افراغ جعبتنا بذكر شواهد اختلال الاعصاب والجنون . فقد كان شومان نهبا للسوداء . ولما تقدمت به السن صار يسمع أصواتاً تأتلف ألحاناً ، بل قطعاً للعزف كاملة . ويخيل اليه أن بيتهوفن ومندلسون يمليان عليه التواليف الموسيقية من وراء

اللحد . وقد ظل سنوات عدة فزعاً يخشى أن يودع البيمارستان . وأخيراً ألقى بنفسه فى عباب الرين فانتشلوه . وكانت وفاته بعد ذلك بعامين فى احدى دور المجانين الخاصة . أما جيراردى نرفال فتنتابه حالتان من خمود قاتط وتهلل مشبوب . وكان يعشق ممثلة اسمها كولون من بعيد ويوالى ارسال باقات الزهر اليها من غير تعارف ، ويشترى العديد من مناظير التقريب ليرقبها على المسرح . ولما انقطع أيام الفاقة عن مشاهدة كولون لم تلبث حتى صارت عنده شبه معبود يعيش معها فى تفكيره الصوفى ويخلط طوراً بينها وبين كواكب السماء وتارة بينها وبين القديسات . ولقد رسم على الطرس بسل الزهر رموزاً تشع من حول علاقة غريبة الشكل تجمع أوصاف ديانا والقديسة روزالى والممثلة كولون . وفى ذات يوم كان لشرفة المنزل عند الغروب فاذا به يرى طيفاً ويسمع هاتفاً يناديه ، فاندفع من الشرفة وهوى وكادت السقطة تكون القاضية . ولقد تملكه فى أواخر أيامه جنون العظمة فزعم أن له قصوراً منيفة ، وزعم أنه من سلالة نيرفا وان علامة أبناء هذه الاسرة الذكور ميسم على شكل خاتم سليمان على صدورهم ، وكان أثناء مقامه فى البيمارستان يتوهم أن مدير المستشفى هو المصاب ويقول . «يحسب هذا الرجل أنه المشرف على دار المجانين وهو نفسه المجنون ، وانما تتظاهر نحن بالجنون لنعبث به » ، وختم حياته بأن شنق نفسه على انبوبة بالوعة

والذين مسهم الجنون غير هؤلاء نفر غير قليل : منهم أوجست كونت صاحب الفلسفة الوضعية فقد قضى عشر سنوات وهو عائد طبيب من أشهر الاخصائيين لعهده فى أمراض العقل . والكورد بيرون وقد استشرت امرأته الطبيب فى حالته العقلية . والشاعر تاسو الذى اعترف بأعراض الجنون فى رسائله ، ومثله القصصى الفنان موباسان فى يومياته . كما أن كثيرين قضوا مجانين أمثال بودلير ، والروائى الامريكى ادجار بو ، والساخر الارلندى سويفت ، وبى القوة نيتشه

ولنترك الكلمة للكاتب الأديب تشارلس لامب فقد ابتلى فى ريعان صباه باصابة من الجنون وهو داء وراثى فى أسرته . قال فى رسالة له الى كولردج : «سوف أقص عليك فى يوم من الايام حديثاً تاماً مفصلا ـ على قدر ماوعت ذاكرتى ـ عن الاطوار العجيبة التى لابسها جنونى . وانى احياناً ألتفت ورائى الى ذلك العهد فى شىء من الحسد والاسف ، لانى طوال مدته كنت أحظى بساعات عديدة من السعادة الخالصة . ولا تحلم ياكولردج انك ذقت كل ما للخيال من روعة متأبدة وجلال باهر مالم تجن . أما أنا فكل شىء يبدو لى الآن تافهاً أو شبه تافه »

ومما يزيد فى ارتياعنا أن طائفة كبيرة من العباقرة كان آباؤهم وأبناؤهم مرضى الاعصاب . مجانين أو صرعى أو مجرمين . فكان والد فردريك الاكبر مدمنا وشبه مجنون ، ومثله مجل

بطرس الأكبر . وكانت أم بيرون نصف مجنونة ، وأبوه يلقبونه جاك بيرون المجنون . وكذلك كانت أخت هيجل وديدرو ، وأخت لامب وقد قتلت أمها في احدى النوبات الجنونية . وللعلماء في اثبات هذا احصاءات مطولة

هنا نقف ، ونقف طويلا ، ونعود الى ما تقدم جميعه بالاستقراء والتدبر

فماذا يخلص لنا ؟ أيخلص لنا فقط من هذا جميعه أن العبقرية قد تتفق ومرض الاعصاب ؟

هناك فوق هذا خاطر جريء يطوف بالاذهان متسائلا : أترى مرض الاعصاب هو العبقرية !! أترى مرض الاعصاب والعبقرية شيء واحد !! . وقصارانا في التعقيب أن نقول :

لا مرية في أن الرجل العادي يعمل ليأكل . فلا بد عند البعض من شذوذ في الخلقة من شأنه أن يستتبع خروجاً عن هذا الطريق اللاحب المعبد . فالاسكندر أو نابليون لم يفتح الممالك ويدوخ الامصار ليأكل . وطلاب الاستكشاف والاختراع ، ومرتادو المجاهل والساسة وأبطال الانقلابات وناشدو الاصلاح ، والساعون في تحقيق النظريات والفروض ، والمعبرون عن مشاعر النفس بشتى الفنون - كل هؤلاء كان لهم عن هذا الكفاح المضنى المجهول العاقبة مندوحة لو كان همهم طلب الأكل من أهون سبيل . ولكنهم يطيعون قوة لا طاقة لهم بمغالبتها ولا اختيار لهم فيها . وليس من شك في أن هذه النوازع ، هذه الاستعدادات النفسية التي تميز العباقرة عن سائر الناس بالابتكار في أفكارهم وتصوراتهم وغرابة عواطفهم أو حدتها وتفوق مواهبهم الذهنية ، انما تصدر عن نفس الحالات العصبية التي تصدر عنها النوبات المعروفة بالجنون . فالعبقرية والجنون صنوان في نشوئهما عن اختلال في وظائف الاعصاب ، وانما الاختلاف في مقدار هذا الاختلال ونوعه . ومن ثمة كان لا غنى للعبقرية عن الامراض التي تفعل في القشرة المخية ، فتحدث فيها فرط تنبه يظهر أثره في الابداع ووفرة الانتاج ومن بين هذه الامراض ما يكون في مراكز المخ أصلا مثل تضخم بعضها تضخما يقابله ضمور في المراكز الأخرى ، ومنها ما يرد تأثيره المنبه على المخ من حالات التدرن الرئوى ومرض الزهرى مثلا

وقد تنبه بعض العباقرة الى أهمية هذا التنبيه والاحتقان المخى فاحتالوا عليه بمختلف الوسائل المصطنعة . فكان شاعر الالمان شيلر يغطّ قدميه في الثلج . ووليم بت وخصمه الألد فوكس من ساسة البريطان كلاهما لا يلقى خطبه البرلمانية إلا بعد معاقرة الجعة المرة القوية . وكان ملتون ينظم ورأسه مكب على مسند كرسيه . وشيلى يدنى رأسه الى موقد النار . وروسو يعرضه لوهج الشمس وكان غيرهم يلف رأسه بالقطائف أو يدسه بين الحشايا

وختام القول أنه اذا كان العقل السليم في الجسم السليم . فان العبقرية النادرة في البنية المتفردة ولئن كان أحد الفلاسفة من هؤلاء العباقرة قال : « أنا افكر . إذن أنا أكون » فان لسان حاله وحالهم اجمعين ليقول : « انا اتألم . إذن أنا أكون »

عبد الرحمن صدقي

تاريخ العرب والاسلام في اوربا

بين تجاهل الغرب ونسيان الشرق

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هذا المقال يجد القارئ، خلاصة لبعض المواقف والحوادث العظام في تاريخ العرب والاسلام في أوربا . وهي صفحة ما تزال برغم روعتها وضخامتها عرضة للتجاهل والاغضاء والنسيان]

عفت ذكريات العرب والاسلام في أوربا منذ أحقاب طويلة، ولا تكاد الثقافة الاوربية الحديثة تعرف شيئاً عن تاريخ العرب والاسلام في أوربا، ولا عن تلك الدول الاسلامية الشامخة التي أزهرت قروناً في اسبانيا وإيطاليا، ولا عن تلك الآثار الفكرية والمعنوية التي طبعت الحضارة الاوربية في جنوب أوربا بطابع عميق ما يزال أثره ماثلا في كثير من نواحي التفكير والآداب والتقاليد الاجتماعية، بل إن الامم الاوربية التي قامت في مهادها وبسائطها تلك الامم الاسلامية لا تكاد تفسح في تاريخها كبير مجال لتلك المرحلة من التاريخ القومي، وتؤثر دائماً أن تمر عليها بمنتهى الايجاز والاغضاء. وقد كانت اسبانيا النصرانية حتى فاتحة القرن الماضي ما تزال تعتبر تاريخ اسبانيا المسلمة (الاندلس) وآثارها وذكرياتها رجساً يجب أن يطهر منه تاريخها القومي، مع أنه ليس في تاريخ اسبانيا أبهى وأفخم من هذه الصفحة. بيد أن البحث الحديث استطاع أن يتحرر نوعاً من مؤثرات هذه النزعة القومية المغرضة، وأخذ بعض علماء الغرب منذ القرن الماضي يدرسون هذه الناحية من تاريخ أوربا والحضارة الاوربية، وينوهون بأهمية الآثار الباقية التي خلفتها الحضارة الاسلامية في تراث الغرب الحديث الفكري والاجتماعي

على أنه إذا كان مؤرخو الغرب يؤثرون أن يمروا على هذه الناحية من تاريخ العرب والاسلام بالايجاز والاغضاء لاعتبارات قومية وغيرها، فواجبنا نحن أبناء هذه الامم وحملة هذا التراث، أن نحل هذه الصفحة الخالدة من تاريخنا وثقافتنا أعظم مكانة. والواقع أنها لم تأخذ حتى اليوم حقها من التعريف والتقدير في مباحثنا التاريخية. وقد يشعر جيلنا المثقف بوجودها وأهميتها، ولكنه لا يعرف كثيراً من تفاصيلها وحقائقها، وقد يدهش أحياناً إذا تليت عليه بعض هذه الحقائق والتفاصيل، ويكاد يحسب أنه يسمع تاريخ أمة أخرى. ذلك أن القومية الغربية قد اسدلت منذ بعيد على هذه الحقائق حجاباً كثيفاً من النسيان والاغضاء، فأضحت تبدو في لون من الخيال والقصة. وانقطع بها عهد البحث في الرواية الغربية منذ أحقاب بعيدة. فلم يبق علينا إلا أن نستخلصها من غمر النسيان والتجاهل، وأن نستخرجها من أشتات المراجع المختلفة، وأن

نوثق الصلة بينها وبين نواحي تاريخنا الاخرى . وسنحاول في هذا الفصل أن نلم بخلاصة ما تحتويه هذه الصفحة الخالدة من تاريخ العرب والاسلام في أوربا . وكل مانستطيع في هذا المقام هو أن نعرض بعض هذه الحقائق بسرعة وإيجاز لتكون كل منها موضعاً للتأمل والدرس الخاص

لم يمض على وفاة النبي العربي زهاء قرن حتى كان تيار الفتح العربي قد اجتاح مغرب العالم القديم بعد أن اجتاح مشرقه . وافتتح العرب مصر وإفريقية ثم عبروا إلى اسبانيا وانتزعوها من يد القوط (٩٢ هـ — ٧١١ م) وأسسوا بها دولة جديدة شامخة استقرت في اسبانيا ثمانية قرون كاملة ، ولبثت مدى أحقاب تبهر أوربا برائع حضارتها وعلومها وفنونها . وإذا كانت الاندلس وقصتها وذكرياتها ما تزال تمثل قوية في التاريخ الاسلامي ، ويتطلع جيلنا المثقف إلى استطلاع تاريخها باهتمام وشغف ، فان تاريخها لم يكتب حتى اليوم بما يجب من دقة وإفاضة . وما زال في تاريخها نواح مجهولة لايكاد يعرفها سوى خاصة الباحثين . فمثلا ما تزال تفاصيل الغزوات الاسلامية في غاليس (فرنسا) غامضة منسية ، وقلما يعرف شيء من سيرة تلك الفتوحات الباهرة التي قام بها العرب مدى نصف قرن في قلب فرنسا حتى أعالي نهر الرون وضفاف اللوار ، أو من تفاصيل موقعة بلاط الشهداء (١١٤ هـ - ٧٣٢ م) التي التقى فيها العرب والفرنج والاسلام والنصرانية في سهول تور وبواتيه وكانت من أعظم المواقع الحاسمة في مصاير الاسلام ومصاير أوربا القديمة . وقد استقر العرب في جنوب فرنسا نحو نصف قرن واستولوا على معظم قواعد وادي الرون مثل ليون (لوغدون) وبيزانصون وصانص التي تبعد عن باريس نحو مائة ميل فقط . واستولوا في الجنوب على أربونة (ناربون) وقرقشونة (كاركاسون) ونيم وجميع المنطقة التي تعرف اليوم « بالريفييرا » ، وأسسوا منها ولاية خاصة جعلوا قاعدتها أربونة . ووصلوا في غزواتهم في تلك الانحاء إلى بلاد النمرد (لومبارديا)(١) ولم يستطع الفرنج أن يستردوا هذه الانحاء من العرب إلا بعد غزوات وحروب مستمرة دامت نحو نصف قرن . وسقطت أربونة أمنع قواعدهم في يد بيبين ملك الفرنج سنة ٧٥٩ م . وفي أواخر القرن الثالث الهجري (أواخر القرن التاسع الميلادي) عاد المسلمون فدخلوا فرنسا من خليج « سان تروبيه » ، وانتشروا في بروفانس ودوفينه من مقاطعات فرنسا الجنوبية . وكانت حركة غزو واستعمار غير منظمة قامت بها جماعات مغامرة من مسلمي اسبانيا وإفريقية . وأنشأت لها في تلك الانحاء قاعدة حصينة للغزو والدفاع تعرف بحصن « فراكستوم » . وفي أوائل القرن العاشر الميلادي اخترقت بعض السرايا الاسلامية مفاوز دوفينه وعبرت جبال الالب من آكام « مون سينس » . واحتلت بعض نواحي « بيمون » و « ليجوريا » وجنوب سويسرة . ثم توغل

(١) يسمي العرب أيضا بلاد النمرد بلاد انكبردية تعريبا للاتينية القديمة Longbard

المسلمون فيما بعد فى سويسرة حتى بحيرة « كونستانس » ، وأنشأوا هنالك مستعمرة . واحتلوا فى جنوبى فرنسا فريجوس ومارسيليا وجرينوبل ونيس مدة طويلة ، وما زال ثمة فى تلك الانحاء بعض آثار وتقاليد تنم عن قيام الحكم الاسلامى والحضارة الاسلامية فيها مدى عصور

هذه حقائق فى التاريخ الاندلسى ما تزال منسية مجهولة ، وهى فى الغالب مما لم تعن الرواية الاسلامية بتدوينه أو الافاضة فيه ، وهى مما تحاول الرواية الغربية دائماً أن تغمص من شأنه وأن تغمره بحجب من التشويه والتحريف والتحامل . بيد أن الفضل يرجع أيضاً الى هذه الرواية الحرة التى كتبت فى تلك العصور وكتبها الرواة القسس على الأغلب ، والى بعض الأذهان الحرة المنصفة التى جاءت فى العصر الحديث تستخلص منها حقائق التاريخ ، فى وقوفنا على كثير من تفاصيل هذه الغزوات والمحاولات المدهشة التى تشهد للعرب والمسلمين الأوائل بروح قوى من العزم والمغامرة وشغف الغزو والاستعمار وانشاء الحضارة ، بجدر بأعظم شعوب التاريخ .

على أن غزوات العرب والاسلام فى أوربا لم تقف عند هذا الحد ، فقد كان للعرب والاسلام أيضاً أعمال ومحاولات باهرة فى جميع انحاء البحر الابيض المتوسط ، وخاصة فى المياه الإيطالية . ففى أوائل القرن الثالث غزت بعض السرايا المسلمة البحرية جزيرة اقريطش (كريت) (٢١٢ هـ - ٨٢٧ م) وانتزعتها من الدولة البيزنطية وانشأت فيها دولة لبثت زهاء قرن ونصف . وفى نفس هذا الوقت غزا المسلمون جزيرة صقلية وافتتحوها بعد حوادث ووقائع جمة (٢١٤ - ٢٦٤ هـ)و(٨٢٩ - ٨٧٨ م) وقامت فى صقلية دولة إسلامية باهرة استطالت زهاء قرنين ، ولبثت قواعدها وثغورها الشهيرة مثل بلرم (بالرمو) وجرجنت (جرجنتو) وقطانية ومسينى وسرقوسة ، مدى عصور تحمل صور الحضارة الاسلامية الى سائر الأمصار والثغور الإيطالية . وغدت صقلية منذ افتتحها المسلمون قاعدة كبرى من قواعد الحملات والغزوات البحرية الاسلامية فى المياه والثغور الايطالية . وكانت هذه الحملات تنقض بلا انقطاع على الشواطىء الايطالية الشرقية والغربية فتنشر الذعر والروع فى الامارات النصرانية . وغزا المسلمون كلابريا (قلورية) وهى ناحية جنوبى ايطاليا ، واستولوا على ثغر بارى (باره) وانشأوا به قاعدة قوية للغزو فى هذه المياه (٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م) واثخنوا فى نواحى قلورية وفرضوا الجزية على معظم مدنها . وفى سنة (٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م) سارت حملة بحرية مسلمة من صقلية الى شاطىء ايطاليا الغربى ، وبعد أن عاثت فى ثغوره ونهبت هونتى ، رست امام مصب نهر تيبرى (التيبر) الذى تقع عليه رومة ، ثم نفذت الى رومة ونهبت كنيستى القديس بطرس والقديس بولس وكانتا وقتئذ خارج رومة ولم ينقذ ملكة العالم (رومة) من الوقوع فى يدها سوى جند الامبراطور لويس الثانى ، فارتدت الى محاصرة جايتا ، واضطر البابا ليون الرابع الى تحصين ضاحية الفاتيكان . واستولى المسلمون فى نفس الوقت على ثغر تارانتو (تارانت) ثم على راجوزا (رغوس) من ثغور الادرياتيك

الشرقية ، وغدا اسمهم فى تلك المياه مثار الروع والرهبة ، وعاد المسلمون فى سنة (٢٥٦هـ - ٨٧٠ م) فساروا الى غزو رومة فى حملة بحرية كبيرة ، والتقوا باسطول الثغور الايطالية المتحدة امام مصب نهر تفيرى ، ونشبت بين الفريقين معركة بحرية هائلة ارتد فيها المسلمون امام اضطرام العواصف . بيد أنهم استمروا فى حصار رومة حتى اضطر البابا يوحنا الثامن خلف البابا ليون الرابع أن يفاوضهم فى الجلاء ، على أن يدفع لهم جزية سنوية كبيرة . واستمر نفوذ الحضارة الاسلامية مدى عصور طويلة يطبع حضارة الدول الايطالية بطابعه ، واستمرت الحضارة الاسلامية غالبة مزدهرة فى صقلية مدى عصور حتى بعد سقوط دولة الاسلام بها واسترداد الفرنج إياها

ان هذه الحقائق التاريخية المدهشة تبدو لجيلنا المثقف اذا ماتليت عليه فى ثوب من الخيال والقصة ، لانها لاتأخذ حقها من التعريف فى تواريخنا ومباحثنا ، واذا كانت تعتبر بالنسبة للبلاد الاوربية التى وقعت فيها من حوادث التاريخ القومى ، فانها من جهة أخرى صفحة من تاريخ العرب والاسلام لها جلالها وخطورتها . وهى تمثل فى الواقع فى الرواية العربية أكثر مما تمثل فى الرواية الاسلامية ، ولكن العوامل والنزعات الدينية والقومية تصوغها فى معظم الأحيان فى صور من التحريف والتحامل تسبغ على قيمتها وأهميتها وآثارها فى سير التاريخ الاوربى وتكوين الحضارة الأوربية سحبا من الريب . ولم تورد هذه الحقائق الماسية فى تاريخ الاسلام والعرب فى أوربا إلا على سبيل التمثيل فقط وهنالك طائفة كبيرة أخرى من الحوادث التى تتعلق بصراع الشرق والغرب والاسلام والنصرانية فى ميدان الحرب ، أو بالتقائهما فى مهاد السلم وتعاونهما على بناء الحضارة الانسانية ، وكلها مما يستحق الدرس والتحقيق . بيد انه اذا كانت الرواية الغربية تنتقص فى أحيان كثيرة من همة الفتوحات العربية والاسلامية فى اوربا ، وتصورها كما تصور غزوات الدول البربرية ، حملات ناهبة عابرة ، فان البحث الغربى الحديث يبدى بالعكس فى تقدير الحضارة الاسلامية وآثارها فى بناء الحضارة الأوربية كثيراً من الانصاف والتقدير ، وينحنى فى مواطن كثيرة اجلالا لاولئك الذين ارتفعوا بالتفكير البشرى الى اسمى المراتب ، وبرعوا فى الآداب والعلوم والفنون ، بينما كانت أوربا تتخبط فى غمر الجهل والتأخر

على اننا مازلنا عالة على الغرب فى استجلاء هذه المواقف ، ولم يكتب بالعربية حتى اليوم تاريخ العرب والاسلام فى أوربا بصورة علمية . ومازلنا نعتمد فى تعرف الحضارة الاسلامية على المباحث الغربية ، ولا نجد من شواهد التنويه بعظمة هذه الحضارة إلا فى اقوال مؤرخى الغرب . ومن الاسف أن جيلنا يتأثر فى أحيان كثيرة بما تعرض الرواية أو المباحث الغربية المغرضة فى ذلك من الاقوال والاحكام التى تصوغها النزعات القومية والدينية ، ولا يكلف نفسه جهد البحث فى المصادر والوثائق العربية . ألم يحن الوقت اذاً لكى نتولى نحن واجب البحث والتحقيق فى ثنايا هذا التراث الباهر ؟

محمد عبد الله عنان المحامى

شخصيات الشهر

الرئيس ماساريك : بمناسبة بلوغه الرابعة والثمانين

لم يكن والد المسيو توماس ماساريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا الحالي غير حوذي في البلاط الامبراطوري النمسوي ، وقد توفي وولده توماس مايزال فتى ، فكفله خاله وكان صاحب دكان صغير فأشركه معه في العمل ، ولكن اليتيم كان محباً للعلم طموحاً ، فأخذ يختلس الوقت اختلاساً ليلتهم ما يقع في يده من كتب ، وما زال دائباً على الدرس والتحصيل حتى ضرب بسهم وافر في الادب والفلسفة ، وأخيراً شجعه أهله فادخلوه مدرسة عليا ، وفي أثناء تردده على تلك المدرسة تعلم الروسية والبولندية والصربية والفرنسية والانجليزية والايطالية

وكان المسيو ماساريك في الثانية والثلاثين من عمره لما عين استاذاً في جامعة براغ عاصمة تشكوسلوفاكيا اليوم ، وكانت براغ وسائر بلاد التشك والسلوفاك تابعة للنمسا في ذلك الحين ، وكان أهلها أي التشك والسلوفاك يتحينون الفرص سعياً [illegible] أنفسهم وبلادهم من نير الحكم النمسوي ، فما كاد يدخل جامعة براغ حتى جعل همه إعداد أفكار الناشئة التشكية والسلوفاكية ليوم الاستقلال ، فالتف حوله الشبان المثقفون

واتسعت حركة المسيو ماساريك وشاعت على أثر تأليفه حزباً سياسياً غايته تحرير بلاد التشك والسلوفاك وتحقيق استقلالها ، ثم لم يلبث أن انتخب عضواً في مجلس النواب النمسوي فذاع اسمه في الدوائر السياسية النمسوية ، ومن ذلك الوقت بدأ النمسويون يمقتونه ويحذرون منه

ولما نشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ رأى أنها ستكون فرصة مناسبة لفصل بلاد التشك والسلوفاك عن النمسا وتأليف دولة مستقلة باسم « تشكوسلوفاكيا » . فأخذ ينشر الدعوة لذلك ، ويحث مواطنيه على الجهاد والاستشهاد ، فشعر ولاة الامور النمسويون بحركته وأحاطوه بجواسيسهم لمراقبة نشاطه . ولما أيقنوا أن خطره يزداد كل يوم قرروا اعتقاله ، ولكن أخبار هذا القرار بعث اليه سراً قبل ذلك ، فلاذ بالفرار الى سويسرا ، ومن هناك أخذ يدير حركة الثورة في داخل بلاده . وقد وقع اختياره على سويسرا لسببين ، الاول لقربها من تشكوسلوفاكيا ، والآخر لانه وهو فيها يستطيع أن يكون صلة اتصال بين مواطنيه المهاجرين ومواطنيه المقيمين في الوطن

وبعد ما أيقن المسيو ماساريك أن نار الثورة في داخل بلاده اشتعلت زار فرنسا وانجلترا لنشر الدعوة لقضية قومه فيهما ، وكان ساعده الايمن الدكتور بنش قد سبقه إلى باريس ونشر كتاباً فيها

عن مطالب التشكوسلوفاكيين ، ورحب ساسة الحلفاء بالمسيو ماساريك وأصغوا الى أقواله ، وكان المسيو بريان (وزير خارجية فرنسا إذ ذاك) أول من عطف عليه وعلى قضية مواطنيه . واتفق معهم على تأليف جيش تشكوسلوفاكي صغير يحارب مع جيوش الحلفاء جنبا الى جنب . ولتحقيق هذه الغاية سافر الى روسيا وألف ذلك الجيش من الاسرى التشكوسلوفاكيين الذين جندهم النمسويون وأرسلوهم الى ميدان القتال فأبوا أن يحاربوا الروس واستسلموا لهم

ولما كان ذلك الجيش يحتاج إلى مال سافر من روسيا إلى الولايات المتحدة وهو فى السابعة والستين من عمره ليجمع التبرعات اللازمة للجيش وللدعاية من المهاجرين التشكوسلوفاكيين . وفى أثناء اقامته فى امريكا اتصل بالدكتور ولسن وأقنعه بعدالة القضية التشكوسلوفاكية فوعده خيراً . ولكن فى ذات يوم علم المسيو ماساريك ان النمسا أرسلت إلى الدكتور ولسن تطلب الصلح على يده فخشى أن يتساهل معها ، فأعلن استقلال تشكوسلوفاكيا من مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة . وكان ذلك فى ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٨ وفى الوقت عينه أبلغ المسيو بنش حكومات الحلفاء أن المجلس الوطنى التشكوسلوفاكى الذى أدار الحركة الوطنية (وكان مقره بباريس) يؤلف الحكومة التشكوسلوفاكية الاولى وقتا . فاعترفت حكومات الحلفاء بهذه الحكومة الجديدة حالا . ولما عقدت النمسا الهدنة [illegible]

وقد عرفت المسيو ماساريك فى مصر فى سنة ١٩٢٢ اذ زارها زيارة غير رسمية ثم عرفته فى براغ فى سنة ١٩٢٩ ، وقد أدركت أنه على أعظم جانب من الديمقراطية ورقة الجانب . وأكتفى هنا بسرد النادرة التالية ، وهى انه عاد من رحلة من الاقصر فقابلته فى محطة القاهرة ، فقال لى وهو يصافحنى : « يظهر أن أجدادكم كانوا صحافيين مصريين فقد كانوا يكتبون كل شيء ويكتبون فى كل مكان » وكان يشير إلى الكتابات الهيروغليفية التى على جميع الآثار المصرية

الكبتن ايدن : رجل الساعة في انجلترا

كان السنيور موسولينى أول من قضى على تلك الفكرة العتيقة القائلة بأن الشبان لا يصلحون للسياسة ، وأثبت للملأ أن العقل الراجح والفكر الثاقب لا يعرفان سناً ، فأوفد السنيور جراندى إلى جنيف ليمثل إيطاليا فى جامعة الامم ومؤتمراتها يوم ان كان جراندى ما يزال فى الثانية والثلاثين أو الرابعة والثلاثين من عمره ، وقلد المرشال بالبو وكالة وزارة الطيران وهو فى الثامنة والعشرين . وما كاد الهرهتلر يقبض على مقاليد الحكم فى المانيا حتى نهج منهج زميله الايطالى وإذا به يختار مساعديه الاولين من الشبان ، ونعنى بهما « جورنج » و « جوبلز » وهذا علاوة على أنه ما برح فى سن الشباب

واليوم نرى انجلترا ، انجلترا التى لم يكن يحكمها حتى اليوم إلا مكدونلد أو بلدوين أو هندرسن أو السر اوستن تشمبرلن أو السر جون سيمون ، وقد تجاوزوا جميعاً الستين ، . . . اليوم نرى

انجلترا تعهد إلى شاب ما يزال فى السادسة والثلاثين من عمره فى تمثيلها فى محادثات نزع السلاح وجامعة الامم ، أى فى أهم ما يشغل أوربا الآن

وقد اشترك الكبتن ايدن فى الحرب العظمى ، واستبسل فيها فأنعم عليه بنشان صليب فكتوريا جزاء شجاعته . ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى جامعة اكسفورد وعكف على درس اللغات الشرقية . ولما نال شهادته فيها عرضت عليه وزارة الخارجية منصباً فيها ، ولكنه كان منصباً صغيراً لم يرض مطامعه فرفضه ورشح نفسه لمجلس النواب فى الانتخابات التى جرت فى سنة ١٩٢٢ ففشل فيها ، غير ان فشله لم يثنه عن عزمه . ولم يلبث ان انتهز أول فرصة سنحت له بعد ذلك ورشح نفسه مرة أخرى ، ففاز بأمنيته . وأعجب به السر اوستن تشمبرلن وزير الخارجية إذ ذاك وقدر مواهبه وعرض عليه أن يكون سكرتيراً برلمانيا له ، فقبل المنصب مغتبطا به ، ونهض بأعبائه ثلاث سنوات ، ثم اعتزله ومكث سنتين بعد ذلك لا يؤدى عملا الا عمله كنائب . ولكنه امتاز فى خلال هاتين السنتين بمواهبه فى الخطابة وفى اساليب الحوار البرلمانى وفى إحاطته بمشكلات السياسة الدولية . فلما الفت الوزارة القومية فى سنة ١٩٣١ اختير وكيلا برلمانيا لوزارة الخارجية

وكأن الظروف شاءت أن تظهر الكبتن ايدن أكثر مما أظهرته قبلا ، فأصيب السر جون سيمون وزير الخارجية فى السنة الماضية باضطراب اضطره إلى تخفيف عبء العمل عن عاتقه فألقاها على عاتق وكيله الشاب ، ومن ذلك الحين يجوب الكبتن ايدن عواصم أوربا ويسافر الى جنيف بلا انقطاع ليمثل حكومته فى محادثات نزع السلاح ومجلس جامعة الامم وتقرير مصير السار . وقد عين أخيراً حاملا لأختام الملك وهو منصب يخوله حق حضور جلسات مجلس الوزراء

وقد رأيت الكبتن ايدن فى الصيف الماضى فى سراى المستر هنرى سامون المثرى الانجليزى الكبير ووكيل وزارة الطيران البريطانية . فلفتنى شاب جميل الطلعة أنيق البزة هادئ الحركة ، وإذ لمحت كثيرين من الحاضرين يحيطونه بمظاهر التبجيل سألت أحدهم عن اسمه فقال لى : « هو الكبتن ايدن . . . رجل المستقبل فى انجلترا »

الشاه رضا بهلوي ومضيه في سياسة الاصلاح

احتفل فى الشهر المنصرم بعيد ميلاد جلالة الشاه رضا بهلوى ملك إيران . وقد كانت هذه السنة من أصعب سنى حكمه إذ واجه فيها حركات لها أغراض شتى ، ولكنه عرف كيف يقضى على هذه الحركات كما قضى على مثيلاتها قبلا ، وقد اضطره قمعها فى هذه المرة الى إبعاد رجلين طالما أعزهما واعتز بهما أولهما تيمور طاش وزير البلاط وقد قضى نحبه فى السجن ، والسردار أسعد بختيارى وزير الحربية وهو ما زال فى السجن

والذى استوقف نظرى فى جلالة الشاه بوجه خاص عند زيارتى لايران من سنتين هو شغفه

بالاصلاح وقبوله لكل اقتراح معقول مهما كان عصرياً مع أن جلالته لم يخرج من بلاده منذ ولادته . ولكن حسب المرء أن يعرض عليه فكرة فيها فائدة للمجموع حتى يأخذ بالفكرة ويعمل لتنفيذها،وقد ذكرني كثيراً من هذه الناحية بما كان عليه ساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا الكبير

مثال ذلك أن جلالته سمع أن حركة المرور في عواصم أوربا الكبرى تدار ليلا بالكهرباء فأعجبته الفكرة ولم يمض طويل زمن حتى أصبحت حركة المرور في طهران تدار بالكهرباء

قيل له إن البريد في أوربا سرايات فخمة يسير العمل فيها بدقة وانتظام فأمر ببناء سراى فخمة في طهران للبريد الايراني فجاءت أكبر سراى للبريد في الشرق

وأدرك جلالته أنه إذا أراد إصلاح جيشه وأسطوله حقيقة فلا مندوحة له عن إيفاد البعثات العسكرية الى أوربا فأوفدها اليها . وفطن جلالته الى أن دولاب التجارة في بلاده لا ينتظم الا إذا عبد طرقها وأصلحها ومد سكة الحديد فيها ففعل ذلك بقدر ما سمحت له ميزانية الحكومة

وبنى جلالته في ايطاليا أسطولا من السفن الصغيرة لحماية الشواطىء الايرانية ومراقبتها ، ولكيلا يحتاج الى ضباط أجانب فيها أوفد الى ايطاليا بعض الشبان الايرانيين فدرسوا فيها العلوم والفنون البحرية في نفس الوقت الذي كانت المصانع تشتغل فيه بصنع تلك السفن

ولم يقصر الشاه عنايته على ناحية من نواحي الاصلاح دون غيرها ، بل وجهها اليها كلها . ومن ذلك أنه يعيد بناء كل مدرسة قديمة على الطراز الحديث بحيث تستوفي جميع شروط الصحة والراحة مع استيفائها لاسباب العلم الصحيح . وقد شرع أخيراً في تشييد سراى فخمة لتكون متحفاً اهلياً

هيروتا : زعيم اليابان السياسي

يدير دفة سياسة اليابان في هذه الاوقات العصيبة رجل لولا الظروف لحرمت بلاده من مواهبه وجهوده الجبارة ، وهو « هيروتا » وزير الخارجية اليابانية الحالي . وقد نشأ هذا الوزير العصامي في أسرة فقيرة ، وكان أبوه عاملا يشتغل بقطع الاحجار ولكنه عني بتعليم ولده

ولما بلغ « هيروتا » السن التي تؤهله لدخول الحكومة اراد الانتظام في سلك التمثيل السياسي فتقدم للامتحان الدبلوماسي الذي يعقد للراغبين في الالتحاق بهذا السلك ولكنه سقط في الامتحان

وظن « هيروتا » ان باب العمل في السلك السياسي أقفل في وجهه ، فأخذ يفكر في عمل آخر ولكن المصادفة اتاحت له يومئذ رجلا كان ذا نفوذ في وزارة الخارجية فاستطاع ان يعينه في هذه الوزارة بالرغم من سقوطه . وبعد ما قضى في وزارة الخارجية مدة قصيرة عين ملحقاً في احدى المفوضيات اليابانية ، ثم ظل يتقلب في مراتب السلك السياسي الى ان بلغ مرتبة وزير مفوض ، فسفير ، وكان آخر منصب تقلده من هذا النوع منصب سفير اليابان في روسيا السوفياتية

كريم ثابت

أثر الفن الاسلامى
في الحضارة العالمية

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى

كان العلماء الى عهد قريب يصفون الفن الاسلامي بأنه دوحة الفنون التي يعتبر الفن [illegible] أصلا لها ، ويقولون انه غير ممثل لحلقات الفنون المتعاقبة ، والتي لها طابع في تكوين الحضارة العالمية الحالية . فهو مقدم كالفن الساساني أو القبطي قائم بذاته منفرد في ناحيته

ولكنهم عادوا أخيراً ففطنوا الى أنه إن لم يمكن اعتباره حلقة من سلسلة الفنون فعلى الأقل كان له تأثير عظيم في نواح عديدة في كثير من حلقات السلسلة الفنية . وحسب الحضارة الاسلامية فخراً أن تكون القابضة على زمام الحضارة العالمية في القرون الوسطى وقتما كانت أوربا غارقة في دياجير الظلمات

زعامة الحضارة الاسلامية في العالم

بزغ نور الاسلام في أوائل القرن السابع الميلادي وكان المسيطر على زمام الحضارة العالمية دولتين عريقتين في القدم دولة بني ساسان في بلاد فارس ، ودولة الروم [illegible] الشرقية في شرق البحر الابيض المتوسط . وكانت هاتان الدولتان [illegible] وأصبحت على شفا الانهيار . وكانت الدولة العربية في دور التكوين [illegible] الحضارة الاسلامية ، فبهرت الأمة الفتية العالم بمدنية حديثة وصبغت [illegible] واحد [illegible] من المحيط الهندي الى المحيط الاطلانطيقي وصبغت الممالك التي انتشر فيها سلطانهم بصبغة واحدة

أثر الحضارة الاسلامية في الشرق

وما عجزت عنه مدنيات اليونان والفرس والرومان من التأثير في البلاد التي خضعوها لسلطانهم تمكنت المدنية الاسلامية من القيام به ، فوسمت الدول المفتوحة بطابعها الاسلامي الخاص الذي استساغته هذه الدول بجملته وبساطته وحسنه وسلاسته ، شأن العرب في بداوتهم الأولى التي رافقتهم آثارها ولازمتهم في أدوار حياتهم كلها . فمصر التي ظلت متمسكة بمدنيتها الفرعونية زهاء اربعين قرناً ، والتي كانت تطوي كل فاتح تحت جناحها وتصبغه بصبغتها الفرعونية ـ اصطبغت بالمدنية الاسلامية فناً وديناً ولغة واندمجت مع تيارها العام فسابقت في مضمار الفنون والاجادة فيها حتى صارت في طليعة الشعوب الاسلامية

وما كان للمسلمين من أثر عميق في مصر كان في غير مصر من البلدان التي دانت لهم ، وأثرهم

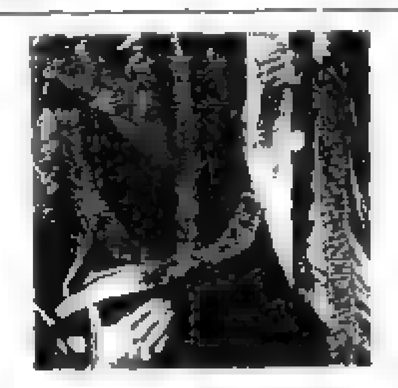

لوحة من عمل المصور [illegible] تمثل خروج المصور [illegible] والصورة العربية تكبير الجبر. للتحول للاشرطة

ظاهر واضح في الاندلس وشمال افريقيا والشام والعراق وبلاد فارس. وقد تعدى هذه البلاد الى الهند ، بل الى أبعد من الهند ، الى أقصى بلاد الصين التي لم يدخلوها فاتحين بل ارتادها تجارهم الجارفون حملوا اليها صناعتهم واثروا فيها بحضارتهم

حقا أن العرب لم يكن لهم في جاهليتهم فن ذو معالم مثبتة مثل ما كان عند جيرانهم من الدول التي طال أمد الملك والحضارة فيها وهم لم يخلقوا حضارتهم خلقا والطفرة محال ، ولكن الدين الجديد بعث فيهم روحا جديدة جعلتهم يحترمون الدول المغلوبة ويقتبسون من حضارتها ويهضمونها ويكيفونها في أسلوب يوافق بساطتهم ويلاؤمهم ، لذلك نرى الفن الاسلامي في أول عهده في كل بلد طابعه المدنية التي كانت قائمة في هذا البلد المفتوح ، ثم يأخذ في الظهور بعد الفتح بزمن يسير يتطور ويتغير ليوافق الدين الجديد وما فيه من مبادىء وتعاليم ومعتقدات . ومن الاسباب التي ساعدت على نشر الفنون الاسلامية على وتيرة واحدة في سائر البلدان التي حكمت العرب ، تنقل الصناع المصريين والفرس والسوريين في كافة الممالك الاسلامية

وعندما استقرت الحضارة الاسلامية في الدول المختلفة وبلغت الخلافة في دمشق وبغداد أوج عظمتها واتسعت ثروة المجد والتجار ، نمت جذورها و بسقت وأزهرت فروعها ، وشيدت المنشآت العظيمة من مساجد وقصور وخانات وربط وحمامات وغيرها ، وكثرت المنابر والرياش الفاخر المصنوع من الخشب المطعم بالعاج والصدف والابنوس والفضة والذهب والاواني المصنوعة من النحاس والشبهان (البرونز) والخزف والزجاج والبلور وفرش الطنافس وارتقت الكتابة والتذهيب فصنعت المصاحف المذهبة ورسمت صفحاتها بالرسوم الهندسية الملونة الدقيقة ونقلت الكتب من كافة اللغات وشرحت نصوصها بالصحف المصورة بالمناظر المختلفة ، مما يعد آية في الجمال وحسن الرونق والبهاء

وقد كانت هذه الفنون متشابهة في جلها عليها مسحة واحدة وطابع واحد انتشرعلى رقعة واحدة من قصر اشبيلية وأعمدة هرقل في الاندلس إلى مساجد سمرقند في تركستان وقصور حور في البنغال

وكان لهذا الانتشار والثبات الدائم أثر عظيم في بقاء الحضارة الاسلامية واستقرارها بالرغم مما انتاب الامبراطورية الاسلامية من التفكك والاضمحلال ،عندما أعلنت كل دولة من الدول المكونة للامبراطورية الاسلامية تستقل عن الخلافة استعصاءها ، وبدأ أقوام من المغول والاتراك وغيرهم من قبائل أواسط آسيا يسلبون عرش الولاة عن الاقاليم النائية ويستقلون بها استقلالاً تاماً ، بل عندما أخذ كثير منهم يهددون الخلافة نفسها وعندما انتزعوا السلطة من الخليفة واستبدوا بالحكم ، فأنهم لم يغيروا شيئاً مما قام به الدين الجديد من توحيد الفن ونشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية فكانوا بعد أن يتمصروا ويستتب لهم الأمر هم الذين يتميزون فيعتنقون الدين الجديد ، ويتحدثون باللغة العربية ويتحضرون بالحضارة الاسلامية ، ويشيدون القصور الشامخة والمساجد الفخمة تقرباً لله ودليلاً على حسن اعتقادهم وايمانهم

ولم يقف تأثير المسلمين في الشرق على نشر الدين واللغة والفنون من بغداد إلى نشر الثقافة والعلوم خصوصاً في بلاد الهند والصين ، فكثير مما يظنه الاوربيون من أصل هندي أو صيني هو من أصل اسلامي

أثر الحضارة الاسلامية في الغرب

ولم يقتصر تأثير الحضارة الاسلامية على الدول الشرقية فقط بل تناول كثيراً من دول أوربا الغربية ، وكان التأثير من الوجهة الدينية ضعيفاً ، ولم يشمل إلا قليلا من الجهات كالاندلس وبعض جزر البحر الابيض المتوسط . أما من الوجهة الفنية فقد اقتبس الطراز الاسلامي في جميع البلاد التي حول

إلى اليسار : كتدرائية « نوتردام دي باري » ويقال إن مهندسين من العرب استخدموا في بنائها

البحر الابيض المتوسط وتوغل أحيانا في الشمال حتى وصل الجزر البريطانية . أما أثر الحضارة الاسلامية في نشر العلوم والثقافة فقد كان عظيما جداً . فالعرب هم الذين نقلوا كثيراً من الافكار والآراء من بلاد فارس ومن الهند والصين الى الحضارة الاوربية . وقدم المسلمون قبل الاوربيين بعدة قرون فلسفة اليونان والرومان ونقلوها إلى لغتهم ومنها نقلت الى كافة اللغات في دول أوربا الحالية

وسأقتصر في بحثي هذا على مبلغ تأثير الحضارة الاسلامية في الحضارة الاوربية من الوجهة الفنية فقط في القرون الوسطى وسأقصر البحث أيضا على الجهات التي لم تخضع لحكم المسلمين . أما أسبانيا وجنوب ايطاليا وصقلية وغيرها من جزر البحر الابيض المتوسط فانها تأثرت تأثراً عميقاً كثيرها من الدول الاخرى ووجد بها فن اسلامي متجانس مع سائر الفنون الاسلامية له بحوثه الخاصة

وان أستدل على عظمة الفاموستاف ليبون في كتابه « الحضارة العربية » قال : « يجري إلى العرب وحدهم الفضل العظيم في معرفة الماضي القديم ، وليس الى قساوسة القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون وجود اليونان . والعلم مدين للعرب دينا أبديا فهم الذين حفظوا تلك الذخائر والنفائس من الضياع » وعزز ليون رأيه برأي المسيو ليبري الذي قال : « اذا محونا العرب من صفحة التاريخ لتأخرت النهضة الاوربية عدة قرون »

أثر الفن الاسلامي في الحضارة في اوربا

ان تأثير الفن الاسلامي على الفنون في أوربا من الناحية المعمارية أمر غير مشكوك فيه . وما

صحن من خزف من صناعة الاندلس عليه زخارف عربية اللون ذي البريق الذهبي يتخللها كتابات الزخرفية كتبت على نسق الكتابات العربية

صحن مزخرف من صناعة الاندلس عليه زخارف بلون ذي البريق المعدني يتخللها أربعة أشرطة تحمل كتابات افرنجية كتبت على نسق الكتابات العربية

اقتبسته العمارة الاوربية من الفن الاسلامي كبير ولا يسعني هنا الا ذكر بعض عبارات كتبها كتاب غربيون مشهود لهم بالكفاءة الفنية اعترفوا بتأثير الفن الاسلامي على كثير من المنشآت التي شيدت في بعض البلاد الاوربية . قال المسيو فيتيه « ومما لا مراء فيه ان العمارة الفرنسية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد اقتبست كثيراً من العناصر المأخوذة من الفن الشرقي »

وأكبر دليل على صدق قوله ما تركه الفن الاسلامي من أثر مهم في بعض مدن الولايات الجنوبية بفرنسا . ويرجع هذا التأثير لسببين

الاول احتلال المسلمين هذه الولايات

الثاني ما نقله حجاج هذه الولايات مما جرى من مصنوعات المسلمين عند حجهم لبيت المقدس

ويظهر هذا الاثر بوضوح وجلاء في لوبوي حيث نجد الكتابات الكوفية المقلدة والعقود المتعددة المراكز أو ذات الثلاثة المراكز التي تحلي واجهة الكاتدرائية وبرج الجرس في كاتدرائية بوي ، وفي الزخارف المسمرة والتي على شكل سعف النخل التي تحلي تيجان الأعمدة كما في مواساك وغيرها ، وفي كوابيل الخشب المصمرة المحورة كما في كنيسة نوتردام دي بور والعقود ذات الفصوص الملونة كما في كاتدرائية بوي . وقال المسيو لينورمان وهو قدير وكفء « كان فيه انه لاحظ التأثير العربي في كنائس عديدة في فرنسا وهذا التأثير جلي واضح فيما شيد في مدة ماجلون حوالى سنة ١١٧٨ م (٥٧٣ – ٥٧٤ هـ) نظراً لان هذه البلدة كانت على اتصال دائم بالشرق ، وفي كنديه وغيرها من البلدان الفرنسية

ووضح المسيو ملانك في الفقرة الآتية مبلغ تأثير العرب في الاوربيين قال « ان تأثير شعب على شعب كما يحصل في زمننا هذا أمر غير مشكوك فيه ولا يمكن انكاره أبدا ، وهو قاعدة ثابتة

اسطرلاب من عهد قايتباي

ظهر الاسطرلاب السابق وتظهر به الكتابة المتضمنة تاريخ صنعه وهو سنة ٨٨٢ هـ واسم صانعه وهو شمس الدين محمد صفار

مدعمة بالبراهين . ومن الأدلة على صحة هذا الرأي ما تأثرت به فرنسا اثناء الحروب الصليبية ، فان الفرسان الصليبيين الذين شاهدوا في الشرق المشربيات وشرفات المنارات والطرمدالات وغيرها من مفصلات العمارة الاسلامية تأثروا بها وأدخلوها في منشآتهم الحربية والمدنية عندما عادوا إلى بلادهم. وما في منشآت القرون الوسطى بفرنسا من مراقب صغيرة على الاسوار ومراغل (١) وابراج صغيرة بارزة وكرانيش على هيئة درابزينات ، شاهد صدق يؤيد رأينا

ويعترف ويس دابيي رأى مطابق لهذه الآراء وهو يقول : « انه من العرب وحدهم استعار الاوربيون هذه الابراج الصغيرة التي كانت تنشأ بكثرة في عمارات البلاد الغربية إلى نهاية القرن السادس عشر للميلاد »

ويحسب الانسي ان الاوربيين في القرون الوسطى استخدموا كثيراً من المعماريين الاجانب الذين كانوا يجلبون من كافة اقطار العالم، وقد استخدم شارلمان عدة منهم من الشرق . ويستند للمسيو فياردو الى جملة من كلام للمسيو دولور الذي كتب تاريخ باريس وقال : « ان معماريين من العرب استخدموا في بناء كنيسة نوتردام دي باري »

اثر الفن الاسلامي في الصناعات في اوربا

كانت الفكرة السائدة عند علماء الآثار الاسلامية من الاوربيين أن الميزة الأولى للصور الاسلامية هي خلو زخارفها من الصور الآدمية وذهبوا الى تخصيص عنصر الزخارف الهندسية والعربية الكبيرة . ولكن هذا في المساجد فقط . في الصور والصور . وعلى التحف المنقولة التي كانوا يستعملونها في حياتهم المدنية فهو امر ... ومنها ما يرجع إلى القرن الاول الهجري. ونضرب لذلك مثلا واحداً وهو الصور الآدمية التي على جدران قصير عمرة ببادية الشام والتي يرجع تاريخها إلى الوليد ويرجع عهدها إلى سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) وغير قصير عمرة آثار اخرى حافلة بالصور ولكن الفنان المسلم كان مضطراً الا يدخل في زخرفة المساجد الصور والحيوانات ، فاضطر الى ابتكار نوع من الزخرف يعوض عليه هذا النقص فاستعمل الكتابة في جميع الطرف والآثار ، فقل ان تجد تحفة دينية غير محلاة بالكتابات العربية المنقوشة بالقلم الكوفي أو النسخ الجميل المصحوب بالتوريق أو ابيات من الشعر أو ادعية أو حكم ، مقترنة باسم صاحبها وصانعها وتاريخ صنعها والبلد الذي صنعت فيه مما يسهل للباحثين معرفة تاريخ الزخارف الاسلامية وعصورها ومصادرها

وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على الصانع الأوربي فأخذ ينقشها على أنها زخارف وهو يجهل قراءتها . ومن الأدلة القاطعة على هذا النقل والجهل وعلى هذا التأثير الذي توغل الى أقصى الممالك الشمالية ووسع عدة بلاد حتى وصل الى انكلترا وارلندا ، قطعة من العملة الذهبية محفوظة بالمتحف البريطاني باسم اوفا ملك مرسيا (٢) وهي شديدة الشبه بالدينار الاسلامي كتب على أحد وجهيها بالخط الكوفي النقدي « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وعلى الوجه الآخر باللاتينية

(١) المراغل بواعد في الاسوار والقلاع شبه من الخارج متسعة من الداخل ليمكن الجندي من الرماية منها ويستخفي على المهاجم التصويب نحوها

(٢) كانت انجلترا في العهد الانجلو ساكسوني مقسمة الى عدة ممالك صغيرة ومن هذه ممالك مرسيا

مقلوباً Offa Rex أي الملك أوفا . يحيط بها سطر كتابة كوفية يخيل لي من الرسم الذي تحت يدي من هوليس الصورة الفوتوغرافية إذ لو كان الامر كذلك لهان علي قراءتها بأن النقوش هي من غير شك جملة « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » التي اعتاد الخلفاء نقشها على العملة الدعاية للدين الاسلامي . وقد تضمنت الكتابة تاريخ سكها وهو سنة ٧٧٤ م (١٥٧ هـ) فانظر كيف كان تأثير الفن الاسلامي شديداً وحب تقليده مرغوباً به حتى فيما هو متنافر مع اعتقاد مقلديه ، وهو أكبر البراهين على رواج الحضارة الاسلامية وهي في أوج عظمتها . ويوجد بالمتحف البريطاني أيضاً تحفة أخرى توضح مدى تأثير الفن الاسلامي على الممالك الغربية ، وهو صليب ايرلندي من الشبك (البرنز) المذهب يرجع عهده إلى القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) عليه سطر كتابة كوفية مطعمة بمينا زجاجية تتضمن « البسملة » ويقول أحد المستشرقين الذي تناول هذين الأثرين بالبحث ان هذا عجيب جداً ودليل واضح على ان الصناع الاوربيين لم يفهموا معنى الكتابات الكوفية ، إذ لو كانوا يعرفون ما ينقشون لما نقشوا على قطعة من العملة باسم ملك مسيحي « الشهادتين » وعلى صليب وهو رمز المسيحية « البسملة »

ومع توالي الزمن أكثر الاوربيون من تقليد الكتابات العربية وصاروا يرسمون ألفات ولامات ويعطونها فروعاً نباتية فتخرج أشرطة من حروف شبيهة بالكتابات الكوفية وهي ليست بكتابات أو نصوص ذات [illegible] ولكنهم عندما فطنوا إلى أنها كتابات ونصوص صاروا يكتبون حروفهم الافرنجية من الحروف الكوفية ذات [illegible] قوائم ويعطونها بالتوريق والتشجير كما يتبين ذلك من زخرفة الحرف الاسلامي [illegible] حرف مانتة الذي هو من العصر الأول بعد خروج المسلمين مباشرة ترى عليه أشرطة من كتابات [illegible] زخرفية لا غير ، ومحاطة [illegible] اسم مريم والمسيح عليهما السلام بحروف افرنجية شبيهة بالحروف الكوفية

وحب تقليد الكتابات [illegible] كثير من الزخارف الاسلامية [illegible] ودخولها في كافة الصناعات الاوربية . ومن الاسباب التي ساعدت على انتشار هذا التأثير رغبة الكثيرين من الاوربيين في حج الاراضي المقدسة وشغفهم بارتشاف مناهل العلم والعرفان من المسلمين الذين ورثوه عن الأمم العريقة في الحضارة وقبضوا على أزمته وكانوا أساتذته ، ورواج سوق التجارة الشرقية في أوربا . وكان المسلمون لوقوع بلادهم في الشرق الأدنى الواسطة في نقل متاجر الهند والصين إلى أوربا . وكان ما يحكيه السياح الاوربيون لاخوانهم عما شاهدوه من غرائب وعجائب حافزاً لهم على السياحة في البلاد الاسلامية واقتباسهم كثيراً من حضارتها وتأثرهم بها

ومن الاشياء التي لم تكن معلومة في أوربا واقتبسها الطلبة الاوربيون عند التحاقهم بحلقات الاساتذة المسلمين آلة فلكية اسمها الاصطرلاب اخترعها اليونانيون وحسنها البطالسة في مدرسة الاسكندرية وحذقها المسلمون ، وعنهم أخذتها أوربا في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) وكانت الوظيفة الاولى لهذه الآلة عند المسلمين ضبط أوقات الصلاة وتعيين موضع القبلة . ولاختلاط علم الفلك بالتنجيم في القرون الوسطى هاب الاوربيون هذه الآلة وظنوا أنها من عمل الشيطان

حسن محمد الهواري

صورة مُخيلة للبرج من القرن السادس عشر وقد تصور رسام فيها فزع الاهالي عند حدوث كوارث طبيعية [illegible]

ساد في أذهان الناس على كر العصور ان برج بابل انما شيد وحمل بضخامته وارتفاعه لان أحد الملوك أراد ان يصعد عليه حتى يتحدى السماء، فكان جزاؤه ان شتت الله شمل بناة البرج وجعل لغاتهم مختلفة حتى لم يعد أحد منهم يفقه قول الآخر

ولكن التاريخ الصحيح لبناء هذا البرج العجيب لم يعرف الا في السنوات الاخيرة بفضل الابحاث والحفريات التي أجريت في العراق

والمتفق عليه الآن ان بناء ذلك البرج لم يكن في حينه ظاهرة خاصة تلفت الانظار كبناء الهرم مثلا . والمفروض ان تشييده قد استمر زمناً طويلا . ولقد شيد البابليون منذ أقدم عصورهم معابد ضخمة في جميع مدنهم الهامة . وفي إمكان الباحث ان يستدل على وجود هذه المعابد إلى القرن الرابع قبل الميلاد . ويديهي أن المعبد القائم في العاصمة (بابل) كان أكبر تلك المعابد كلها وأضخمها . وكثيراً ما دمر هذا المعبد من جراء الحروب أو الكوارث أو العواصف والرياح . غير انه بلغ ذروته في عهد الملك بختنصر الثاني الذي حكم بين سنتي ٦٠٠ و ٥٠٠ قبل الميلاد ، فان هذا الملك العظيم قد سير آلاف الاسرى الذين أسرهم في حروبه لا كمال معبد عاصمته واصلاح خلله واقامة ما تهدم من جدرانه ، وكان أولئك الاسرى من مختلف أقطار العالم فكانت اللغات التي تسمع بالبرج خليطاً عجيباً من لغات بابل واليونان والعجم ومصر ، واللغات الاشورية والعبرية واللاتينية ولغات جهات من افريقيا كذلك . وبهذا البرج من اللغات ذاعت شهرة برج بابل حتى

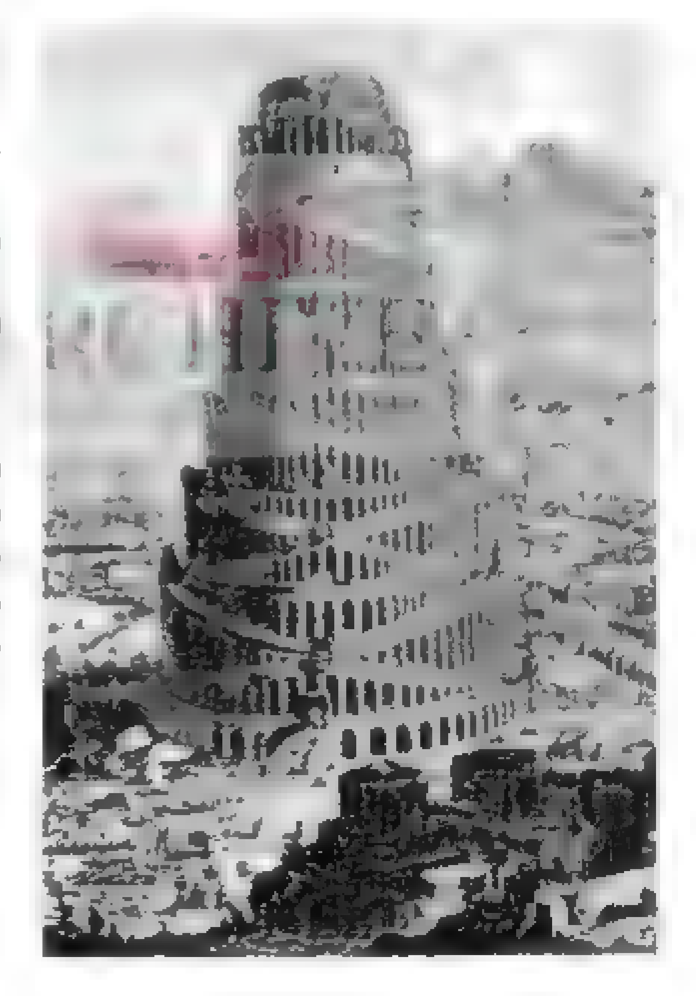

برج بابل كما تخيله العلامة الجزويتي اتناسيوس كيرشر في سنة ١٦٧٩

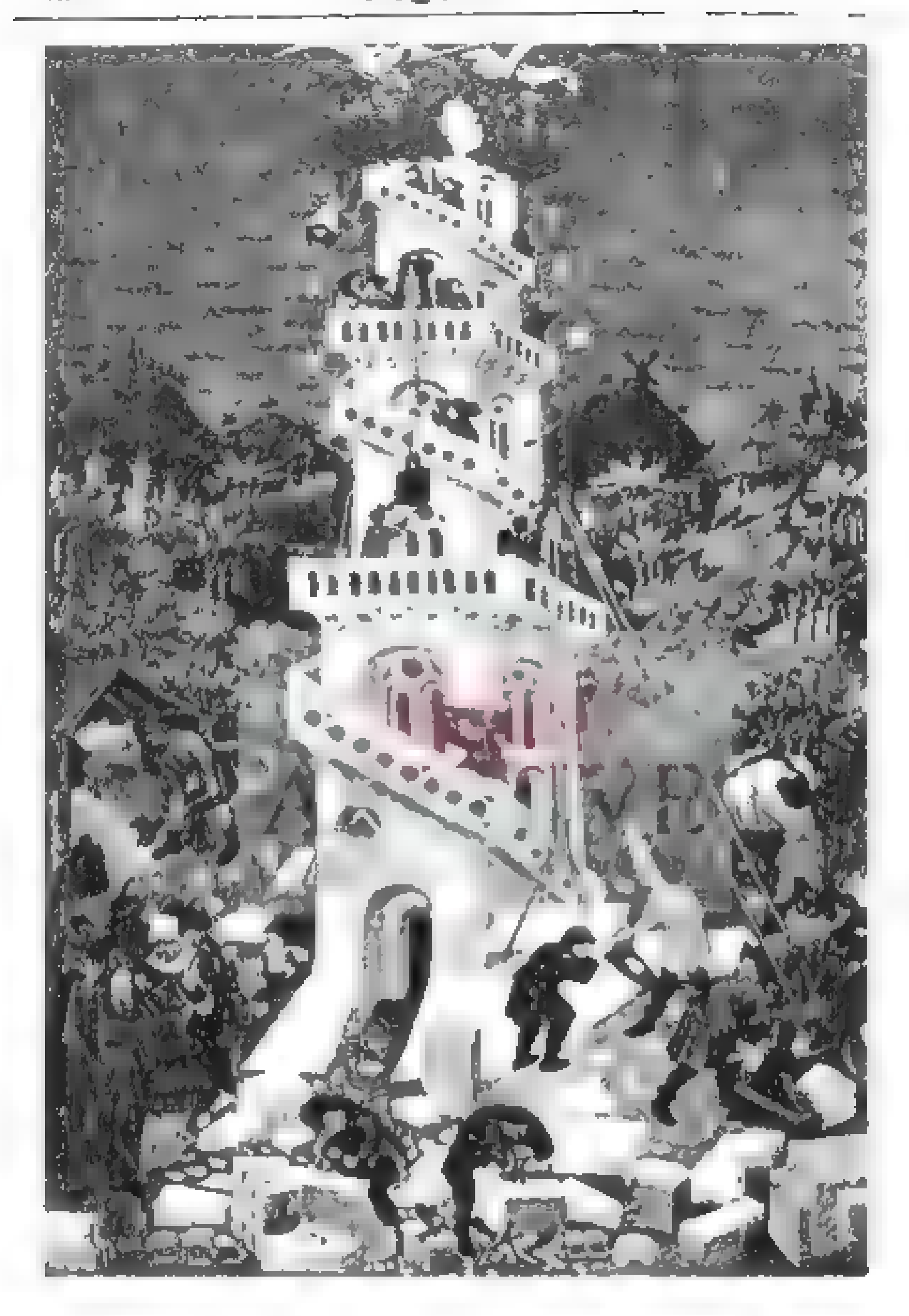

صورة نموذج البرج كما تصوره رسام فرنسي في سنة ١٤٢٤
وهذا النموذج من ضمن المقتنيات الأثرية للورد بدفورد

جزء من قاعدة البرج التي كشفها كولدوي الاثري الالماني

وورد ذكرها في الاعلان ... وقد كان عرض البرج في ذلك العهد ... وسبعين مترا وارتفاعه مثل ذلك . فلا شك انه كان صرحا عظيما بالنسبة لمباني ذلك الزمن

غير ان خلفاء بختنصر كانوا ضعاف الهمة لم يزيدوا شيئا في بناء البرج . وسرعان ما اخذ يتهدم منه حجر اثر حجر ، حتى اذا جاء الاسكندر المقدوني حوالي سنة ٣٣٠ قبل الميلاد هاله ما رأى من انقاض ذلك البرج العظيم ، فسعى الى اقامته وتشييده من جديد وحمل الآلاف من جنده يعملون ليل نهار في هذا السبيل . غير أن الموت عاجله في قصر بابل بالقرب من الحدائق المعلقة المشهورة ، وبعد وفاته لم تمتد يد بالاصلاح الى ذلك البرج المتهدم

وانما أخذ المؤرخون والكتاب والرسامون يجهدون قرائحهم ليتصوروا الشكل الذي كان عليه البرج ، وقد استمر ذلك من القرن الحادي عشر الى القرن العشرين . وكان بعض الرسامين في القرون الوسطى يمثلونه على أنه جبل هائل من الحجر تبدو اكواخ الناس الى جانبه وكأنها قلم الاظافر ، بينما كان البعض الآخر يمثلونه على أنه مجموعة من الاعمدة الرفيعة تناطح السماء

ثم بدأت حقيقة البرج تتضح بشكل علمي موثوق به بعد ارسال الجمعية الالمانية الشرقية بعثة الى العراق تحت رئاسة الاستاذ كولدوي العلامة الاثري المعروف ، ومكثت هذه البعثة تقوم بالابحاث والحفريات في مكان برج بابل من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٧

وقد بنت البعثة ابحاثها على الواح مكتوبة خلفها اوبلشوتو (الذي عاش حوالي سنة ٢٢٩ قبل الميلاد) وقد وصف فيها البرج وصفا مفصلا ، كما اعتمدت البعثة ايضا على ما كتبه هيرودوتس الذي وصف البرج بعد ان زاره في القرن الخامس قبل الميلاد

وقد بحث الاستاذ كولدوي ورفاقه طويلا عن انقاض البرج ولكن دون طائل ، وأخيراً توصلوا الى اكتشاف قاعدته وأزاحوا الاتربة عنها فوجدوها مطابقة لما كتبه اوبلشوتو . وما زال كولدوي وافراد بعثته يواصلون العمل ويبحثون فك طلاسم الالواح حتى صار في مقدورهم في سنة ١٩١٧ أن يبنوا لبرج بابل شكلا قائما على أساس علمي صحيح بعيد عن الظنون والتصورات

ولما مات كولدوي واصل رفاقه عمله وتمكنوا بعاون الفنية الثانية من طلاسم تلك الالواح التي تركها اوبلشوتو ، حتى اهتدوا الى حقائق تاريخية لا يجوزها الشك وامكنهم ان يتصوروا على اساسها شكلا للبرج يختلف قليلا عن الشكل الذي انتهى اليه العلامة كولدوي ويمتاز عنه بانه يصل الى قمة البرج

والآن إذا شاهدت المكان الذي كان به ذلك البرج لم تجد شيئاً يبنيء عما كان من صخامته وعظمته سوى حفريات يقوم بها علماء الآثار ، وفيما عدا ذلك تجد مكاناً تناثرت فيه الاحجار وضرب عليه الخراب ، ولم يبق من برج بابل سوى البحث العلمي عن مبنته وتاريخه وشكله ، وسوى أنه مضرب المثل على اختلاف اللغات واختلاط الاصوات

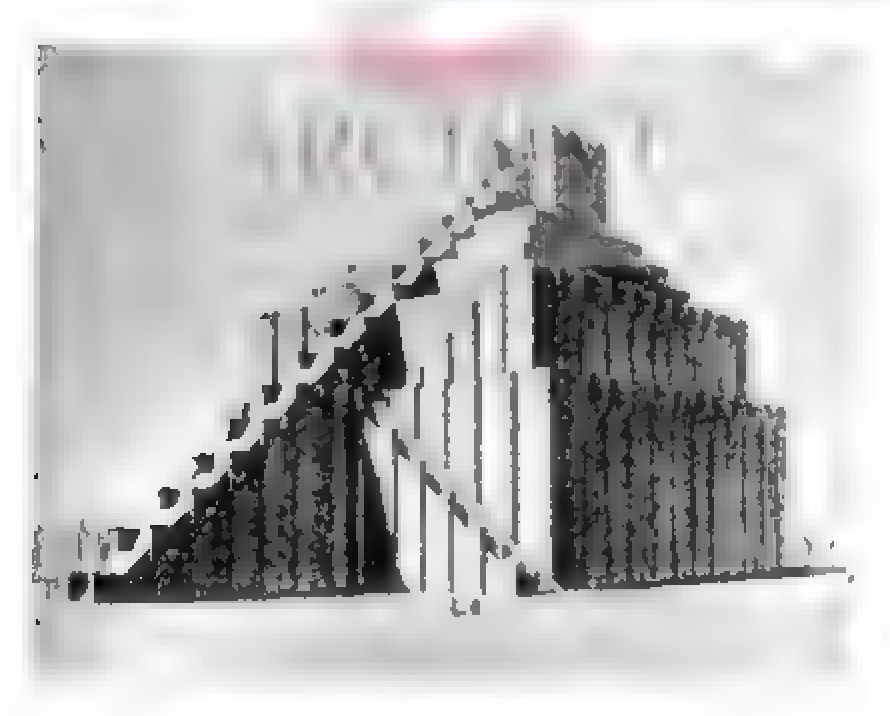

أحدث صورة لبرج بابل وفق آخر الحفريات والاكتشافات

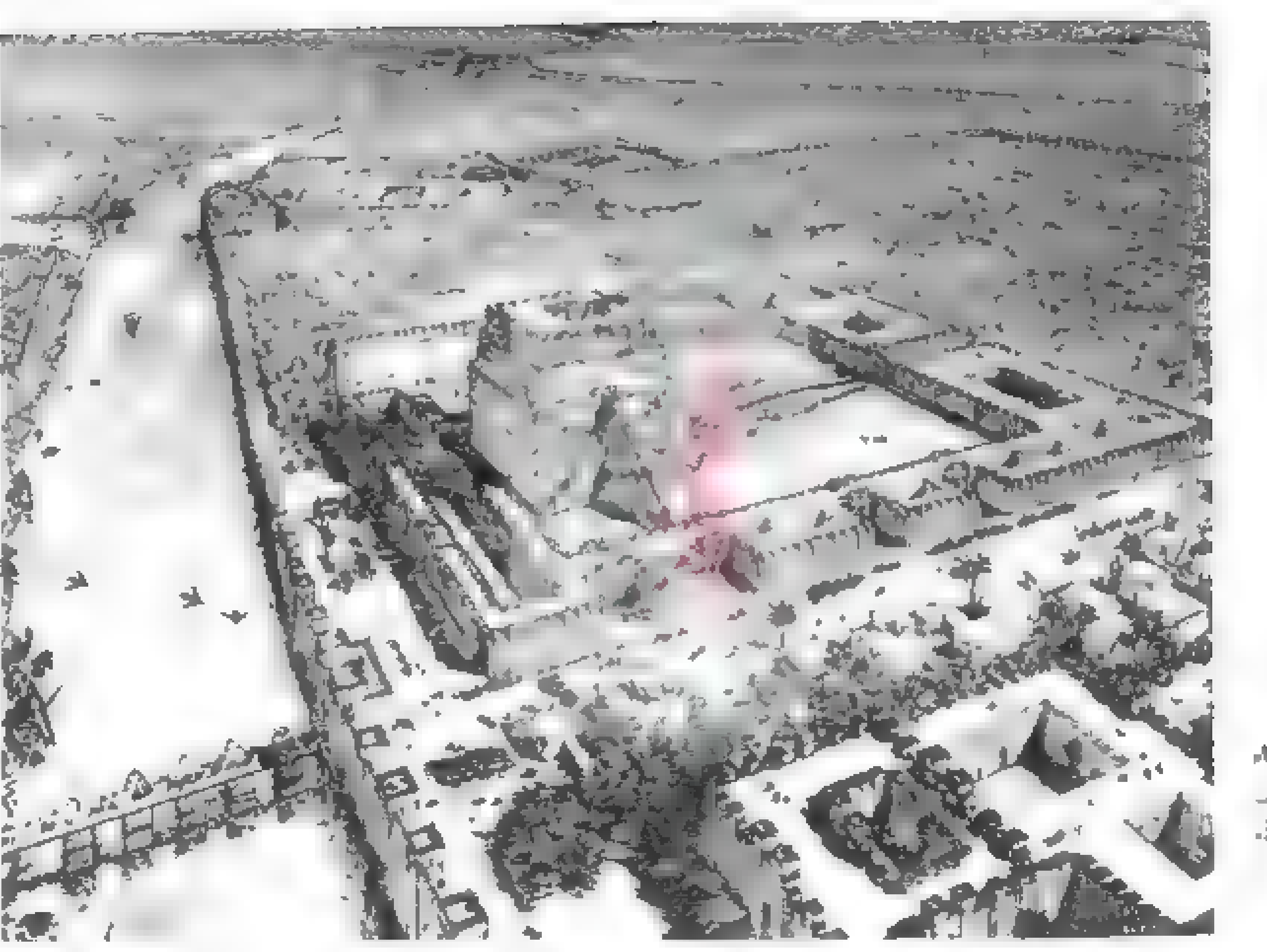

صورة البرج كما تخيله الرسام
هندريك فان كليف في منتصف
القرن السادس عشر . وترى ق.
البرج تناطح السحاب

بيانات جديدة عن :

منارة الاسكندرية

عثور العلماء على كتاب يكشف اللثام عنها

ليس بين قراء الهلال من يجهل ما لمنارة الاسكندرية من الشأن العظيم سواء أكان من الوجه الفني أم من الوجه التاريخي . وليس عجيباً أن يكون لهذه المنارة مثل هذا الشأن وهي بإجماع المؤرخين وأهل الفن الأعجوبة الثالثة من عجائب الدنيا السبع ومن أعظم ما وصل إليه فن الهندسة في العصور السالفة . وسنورد هنا في هذا المقال بعض البيانات الحديثة التي توصل إليها العلماء وما تكشف عنه هذه البيانات من تحري عن الهندسة

بنيت هذه المنارة سنة ٢٧٠ قبل الميلاد بأمر بطليموس فيلادلفوس الذي كان ملكاً على مصر . وكان ارتفاعها نحو أربعمائة قدم إلا أن ابن الصائغ أحد علماء العرب بالأندلس في المائة الثانية عشرة ذكر أن ارتفاعها كان يبلغ مائة وأربعين متراً وثلاثين سنتمتراً بمقاييس هذا الزمن . هدف بذلك ما ذهب إليه الكثيرون من المحدثين والمؤرخين الذين قالوا بأن ارتفاع المنارة كان مائة وعشرين متراً . ولعل رواية ابن الصائغ أقرب إلى مقتضيات الذوق الهندسي وإلى جمال الشكل . وذكر المؤرخون الذين يوثق بصدقهم أن نفقات بناء المنارة بلغت ثمانمائة كيس من الفضة أو ما يبلغ نحو ربع مليون جنيه بالنقود المصرية الحالية . أما المهندس الذي بناها بأمر البطليموس فهو سوستراتوس وقد اشتهر اسمه في التاريخ . ومما يجدر ذكره أن الكثيرين من كبار المهندسين في العالم درسوا مقاييس المنارة المذكورة فدهشتهم دقة صنعها والمقدرة الفائقة التي أظهرها بانيها ومعرفته لحساب ضغط الأثقال وطبيعة التربة وما إلى ذلك من المعلومات

وقد اتفق منذ عهد قريب أن انتخب دوق ألبا عضواً بالأكاديمية البريطانية . فكانت أول خطبة ألقاها في الأكاديمية المذكورة عن منارة الاسكندرية وما أسفرت عنه المباحث التاريخية الأخيرة بشأنها ولاسيما المباحث التي قام بها اثنان من كبار العلماء الأسبان وهما دون ميجل بالاسيوس ودون موديستو أوتيرو . ولا يخفى أن « تيرش » العالم الألماني نشر في سنة ١٩٠٩ كتاباً جليل القدر عن منارة الاسكندرية ضمنه طائفة كبيرة من المعلومات التي كانت في يومه مجهولة حتى عن الكثيرين من العلماء . وقد حاول في مؤلفه أن يصور المنارة المذكورة صورة تنطبق على الشكل الحقيقي كما يستفاد من البيانات التاريخية الموثوق بها وكما كانت المنارة تبدو للناظر قبل هدمها في القرن الرابع عشر . ولا حاجة إلى القول أن تيرش اطلع على مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة بكل

اللغتين اليونانية واللاتينية . وعلى معظم أقوال المؤرخين وعلماء الجغرافية والسياح الذين زاروا مصر قبل القرن الرابع عشر وشاهدوا فيها المنارة المذكورة ولا سيما مؤرخي العرب الذين اسهبوا في وصفها وكتبوا عنها كثيراً . ومن دواعي الاسف أن كثرة المؤلفات عن تلك المنارة أدت الى ظهور متناقضات كثيرة نشأتها ضاع معها جانب كبير من الحقيقة . مع أن تيرش كان من أكبر العلماء النقادين وقد بذل جهداً كبيراً لاجتناب الخطأ فيما كتبه عن المنارة ولتصويرها تصويراً يقربها من الحقيقة . ومع ذلك فانه لم يسلم من الخطأ في بعض الامور التفصيلية لانه اعتمد على أقوال كثيرة لم تثبت صحتها وكانت منقولة عن معلومات قديمة تكتنفها بعض الشكوك

ومن دواعي الارتياح أن العلماء عثروا أخيراً على مؤلف نفيس يرجع الى القرن الثاني عشر الميلاد ولم يطلع عليه تيرش عندما وضع كتابه المشار اليه . وهذا المؤلف هو لكاتب مسلم من أهالي مالقة يدعى ابن الصائغ عاش من سنة ١١٣٢ الى ١٢٠٧ بعد الميلاد وزار الاسكندرية سنة ١١٦٥ وأقام بها سنتين متواليتين وقف نفسه في خلالها على التحصيل ودرس العلوم والآداب وفن الهندسة . وقد زار جميع الآثار الهندسية التي كانت لعهده في الاسكندرية وعني بها عناية خاصة تبدو لنا الآن من خلال ما كتبه عنها . ومن جملة الآثار التي زارها واهتم بها منارة الاسكندرية . وقد مكنه من فهم أسرارها أنه كان دائم البحث عن الهندسة وأسرارها . لذلك كان يتردد اليها من وقت الى وقت فيدون مقاييسها من الداخل والخارج ويصف عنها ما يعن له . ولمقالاته هذه شأن عظيم لأنها كانت مبنية على مقاييس حققها المؤلف بنفسه غير مستند الى أقوال الكتاب والمؤلفين الذين تقدموه . ولما عاد الى مالقة بالأندلس سنة ١١٦٦ أخذ يجمع مذكراته وما دونه عن منارة الاسكندرية من بيانات ومقاييس وملاحظات ، فصنف منها كتاباً جليل القدر لا شك في أنه خير ما كتبه المؤلفون عن المنارة وأقربه إلى الحقيقة . ولم يعثر العلماء على هذا الكتاب قبل الآن

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة مسهبة ضمنها فذلكة تاريخية عن منارة الاسكندرية وكيفية بنائها والعهد الذي بنيت فيه ، وانتقل من ذلك إلى الكلام عن المكان الذي اختير لتشييدها فيه مع وصف الطريق الموصل اليه ، وهذا المكان هو جزيرة صغيرة كانت تبعد نحو ميل عن مياه الاسكندرية والى الشمال الشرقي من تلك المياه . وكان يوصل الى هذه الجزيرة بجسر كبير يقوم على اسس مركزة في قاع البحر تسندها صخور طبيعية . وكان طول الجسر ستمائة ذراع وعرضه عشرين ذراعاً وارتفاعه فوق سطح البحر ثلاث أذرع . وكان المشاة والفرسان يستطيعون السير على الجسر الا في وقت المد فقد كان مد البحر يرتفع الى ارتفاع بضعة سنتمترات ويصل الى كاحل السائر عليه . وكان عند نقطة اتصال الجسر بالمنارة قناطر منحدرة عددها ست عشرة قنطرة متدرجة في الارتفاع وطولها مائة خطوة . وكانت القنطرة الاخيرة أعلى تلك القناطر وهي ملاصقة للمنارة . وقد بلغ

من ارتفاعها انه لو وقف تحتها فارس راكب جواده ورفع يده ما استطاع أن يمس سقفها

وكانت المنارة مشيدة على جزيرة كما تقدم وفى فناء مربع ولهذا الفناء سور يحيط به من جهاته الاربع . وبخارج السور من جهة البحر رصيف يسير عليه الناس عرضه اثنا عشرة ذراعاً وارتفاعه فوق سطح البحر اثنتا عشرة ذراعاً ايضا . وكان الرصيف مبنيا بالحجارة المنحوتة وقد أريد به ان يتلقى الامواج المزبدة تتحطم عليه ويحول دون وصولها الى السور . وكانت حجارة السور مربوطة بعضها الى البعض بواسطة اطواق من حديد والحجارة ملحومة بعضها بالبعض بالرصاص زيادة فى التقوية

أما المنارة نفسها فكانت ثلاث طبقات ، وهى السفلى والوسطى والعليا . فاما السفلى فكانت مربعة الاضلاع (انظر الشكل) وطول كل ضلع منها عند قاعدة المنارة خمس وأربعون خطوة اى ان محيط هذه الطبقة عند قاعدتها كان مائة وثمانين خطوة . أما ارتفاع الطبقة فوق الارض فكان احدى وثلاثين قامة . وأعلى هذه الطبقة بمنزلة قاعدة للطبقة الثانية او الوسطى وحول هذه القاعدة سور مربع يبلغ ارتفاعه قامة

قلنا ان الطبقة السفلى كانت مربعة الاضلاع . وأما الوسطى فكانت مثمنة الاضلاع (انظر الشكل) طول كل ضلع منها عشر خطوات أى ان محيط الاضلاع كلها كان ثمانين خطوة

اما الطبقة الثالثة أو العليا فكانت مستديرة (انظر الشكل) وكان محيطها أربعين خطوة اى نصف محيط الطبقة الوسطى تماماً وارتفاعها أربع قامات وفوقها قبة مخروطية الشكل وفوق القبة تمثال رجل يحمل مصباحاً

وكان داخل المنارة سلم لولبية (حول محور المنارة) يرقى بها ويصل الى قمة الطبقة العليا وهذه السلم تشبه المرقاة اللولبية التى ترى حتى الآن فى قصر اشبيلية . وكانت مراقى هذه السلم منحنية جداً بحيث يستطيع الانسان ان يرقاها راكباً جواده . وكانت المراقى عريضة بحيث يمشى راكبين ان يصعداها معاً . وكان عددها فى الطبقة الوسطى ثمانى عشرة مرقاة ، وعددها فى الطبقة العليا اثنين وثلاثين مرقاة

ثم ان الطبقة السفلى كانت تحتوى على خمسين غرفة صغيرة منقورة فى الجدران من الداخل

وهنالك أمور تفصيلية كثيرة للمنارة من الداخل والخارج وما كان عليها من نقوش فنية دقيقة لم نقف لها على وصف دقيق ما عدا الكتابة اليونانية التى كانت على اعلى الطبقة السفلى ، فقد ذكر المؤرخون أن أحرف هذه الكتابة كانت كبيرة جداً يستطيع الانسان قراءتها عن بعد ، على ان المنارة كانت فى سنة ١١٦٥ (وهى السنة التى زارها فيها ابن الصائغ الذى سبقت الاشارة اليه) قد اصيبت بعطب كبير ، فعادت لا تصلح للغرض الذى شيدت من أجله ، فضلا عن أن بعض النقوش الاصلية التى كانت

قد عملت رسمت رسماً لاينطبق على الشكل الاصلي تمام الانطباق ومع ذلك استطاع ابن الصائغ لتبحره في علم الهندسة أن يستدل على شكل بعض تلك النقوش وعلى مقاييس المنارة الحقيقية بحيث يتسنى المهندس الآن أن يجيد بناءها على وجه ينطبق على الاصل كل الانطباق تقريباً . ولا بد لنا هنا من القول ان المقاييس التي توصل اليها تيرش لا تنطبق على الاصل كل الانطباق لانهـا كانت مبنية كما قلنا على معلومات لم يثبت التاريخ صحتها . ومع ذلك فان معلومات تيرش والمقاييس التي انتهى اليها لا تبعد عن الحقيقة إلا قليلا

ومما يجدر بالذكر ان جميع الذين كتبوا تاريخ منارة الاسكندرية وبحثوا في هندسة بنائها شهدوا بأن البناء كان آية من آيات الفن لانطباقه على شروط الهندسة ومقتضيات الجمال ومبدأ التناسق ، فضلا عن أن هذا البناء روعي به شرط المتانة لكي يثبت على فعل الامواج وعاديات الزمن . وأي دليل أصدق على متانته من كونه عاش من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الرابع عشر بعد الميلاد ؟ نعم ان البناء كان عند زيارة ابن الصائغ قد أصيب بعطب شديد ، ولكن الجزء الاكبر منه كان ما يزال قائماً دليلا على مهارة الذين شيدوه

ولا بد لنا هنا من نقول ان المقاييس الموثوق بها تدل على أن نسبة محيط الطبقة السفلى عند قاعدتها إلى نصف ارتفاع سمك الطبقة كنسبة الرقم ٤ الى الرقم ٧ . ولا جرم هذه النسبة العددية مغزى كبير فقد كان كثيراً الذين من الارقام الدالة على الكمال عند القوم فضلا عن أن هذه النسبة قد روعي فيها ناموس حمل الاثقال ومقاومة قوة الرياح وما الى ذلك من الاعتبارات الفنية

كذلك لابد لنا من نقول أن منارة الاسكندرية أصبحت فيما بعد أنموذجاً لجميع منائر العالم حتى يصح القول بان المنائر الحديثة مبنية على مثال تلك المنارة وعلى الدروس الهندسية التي تنطوي عليها . واذا لم تكن تلك المنارة لتثبت الا عن معرفة بقوة ضغط الامواج وتأثيرها في الصخور لكفى بذلك فخراً للذين قاموا بتشييدها . فضلا عن أن اختيار الموقع الذي بنيت عليه دليل على معرفة تامة باصول الملاحة وعلى الرغبة في ايصال نور المنارة الى ابعد حد ممكن

ولا شك ان الذين درسوا تاريخ هذه المنارة وعرفوا تفصيلات هندستها وبنائهـا يدهشون من ارتفاع المستوى الذي وصل اليه فن الهندسة في ذلك العهد وما عرفه القوم من نواميس الضغط واحتمال الاثقال وصدمات الامواج وما الى ذلك من البيانات التي جعلت منارة الاسكندرية من اعجب عجائب الدنيا السبع

أديب أفقد النساء عقولهن

دوماس الاب

[تحدث صاحب هذا المقال في اعداد سابقة عن تورجنيف العاشق الصامت، وعن موباسان العاشق الثرثار الذي افقدته النساء عقله. وهو اليوم يتحدث عن اسكندر دوماس الاب، العاشق « بالجملة » والذي أفقد النساء عقولهن!]

قلت عن « تورجنيف » انه كان عاشقاً صامتاً، رضي من معشوقته بنظرة يسعدها غاية سعادة في هذه الحياة. وقلت عن « موباسان » إنه كان عاشقاً ثرثاراً، يكثر من الكلام ويوقع نفسه بسبب ثرثرته في مآزق يصعب عليه فيما بعد الخروج منها. وهناك شخصية ثالثة أرى ألا مندوحة من التحدث عنها، لختام هذه اللمحة على أنواع الحب التي ينصرف اليها الادباء عادة. واعني بتلك الشخصية « اسكندر دوماس الأب » أو « دوماس الكبير » كما نسميه أحياناً. وهو من أغرب الشخصيات

لعبت المرأة في حياة هذا الرجل، من عهد [illegible]، دوراً عجيباً. وانت تجدها في كل طور من أطوار تلك الحياة، بل في كل لحظة منها، وبت لتدهش [illegible] اللواتي احتللن اماكنهن في قلب دوماس العجيب الواسع. وقد قال عنه « روبير دي فلير » انه قضى حياته، وهو هائم في حب امرأة واحدة حباً عميقاً يكفي لملء حياته، أو يحب مع ذلك حباً عجيباً بكثيرين جميعاً! فصاحبنا إذن « عاشق بالجملة » وهو مثل « جي دي موباسان » الذي تحدثنا عنه من قبل، ثرثار يكثر من المكاشفات الغرامية ويعرف امرأة التي يحب في سبيل من التكلفات العديدة. ولكن الفرق عظيم بينه وبين موباسان من حيث التأثر بعاطفة الحب وفقد التوازن تجاهها. فان النساء اللواتي ملأن حياة موباسان أفقدنه عقله فانتهى به الامر إلى الجنون. أما دوماس فانه لم يفقد عقله بسبب النساء بل أفقد كثيرات منهن عقولهن، وهو ثابت كالصخر، ينظر اليهن وهن يحترقن أمامه

ورث اسكندر دوماس عن أبيه الجنرال دوماس بنية قلما يتمتع بمثلها إنسان. وقد قال عنه فيكتور هوجو انه « فلتة من فلتات الطبيعة » في كل شيء: في جسمه الضخم وحجمه الهائل. في صوته الجهوري وحنجرته التي كان ذلك الصوت يخرج منها قاصفاً كهزيم الرعود في الفضاء الواسع. في قوته العجيبة، ورأسه الكبير ودماغه الكثير التشعبات. في احساسه الرقيق، واطلاعه الذي لا حد له. في اندفاعه الجنوني نحو الغاية التي يضعها نصب عينيه فلا يثنيه عن بلوغها شيء

لقد ربح اسكندر دوماس من مؤلفاته الكثيرة أموالا طائلة. ولو كان من أولئك الذين يحسنون

لادخار ويمسكون أيديهم عن الانفاق وتوزيع المال يميناً ويساراً، لمكان في استطاعة ذلك «الجبار الطيب القلب» ان يجمع ثروة لم يحلم بمثلها من قبل أديب ممن اتخذوا الكتابة مهنة لهم. ولكن اسكندر دوماس كان يجهل المثل السائر عندنا: «إن القرش الأبيض ينفع في اليوم الاسود» وكان يقول دائماً: «ان الذي أعطى أمس واليوم سوف يعطي غداً» وهو يعني فلا يبالي

كان دوماس اذن مبذراً من جميع الوجوه — مبذراً في مجهوده ونشاطه. مبذراً في تآليفه. مبذراً في حبه. وهل يدهشك ان يكون دوماس «الجبار الطيب» مغالياً في كل شيء ما دامت الطبيعة قد غالت في تكوينه؟

عند ما كانت خزائنه طافحة بالنقود، شيد الكاتب الكبير قصراً فخماً جعله نزلا للاصدقاء والمحبين. وفتح مسرحاً أطلق عليه اسم «مسرح التاريخ» وأعلن انه سيقدم للجمهور كل ليلة «صفحة من تاريخ فرنسا المجيد» فقال ظريف رداً على هذا الاعلان: «وسيقدم لنفسه كل ليلة صفحة جديدة من الجنس اللطيف!» وهذا في الواقع ما كان يصنعه دوماس! فقد عرف ذلك المؤلف المكثار في كل شيء، جميع «أنواع النساء وأصنافهن وسلالاتهن» كما كان يقول. وكان يحب كل امرأة يعرفها بكل جوارحه ويقسم بين يديها ان حبه خالد لن تخمد جذوته. وكان صادقاً في قسمه لان قلبه الطافح بالاحساس والشعور كان يخفق حبا لكل امرأة، حتى اذا ما ابتعدت عنه وحلت اخرى محلها عاد قلبه الى الخفقان بالحرارة الجديدة، ثم الى سدها. وهكذا على الدوام!

ان هذا الوصف قديم قدم عرف القارئ. وقد يقال ان القلب لا يمكن ان يخفق بعاطفة واحدة لأكثر من شخص واحد، وان الرجل لا يمكن ان يحب امرأتين معاً. غير ان لكل قاعدة شواذ.

احب دوماس نساء من طبقة الاشراف. واحب نساء من الطبقة الوسطى. واحب عاملات وممثلات وراقصات ومتزوجات وأرامل وعوانس واحب نساء من الالوان الثلاثة: الابيض والاسود والاحمر، ماراً بالمرأة السمراء والحنطية. وكان يقول إنه يأسف لامر واحد وهو انه لم يعرف في حياته الغرامية المرأة الصفراء. وقد اقدمت كثيرات من اولئك النساء اللواتي احببن دوماس واحبهن على اعمال لا تقدم عليها غير المرأة التي أفقدها الحب صوابها فاخرجها عن حدود التوازن. واذا كان «المارد الجبار» العاشق قد ظل محتفظا بعقله سليما من الاختلال، فان العاشقات المعشوقات الكثيرات — اللواتي شاءت الظروف ان تدفع بهن اليه — لم يصغين دائما لصوت الحكمة والروية. فانتهى الامر ببعضهن الى العار والموت الادبي والمدني او الى الجنون او ما يشبه الجنون

غير ان هناك امرأة واحدة كانت في بادىء الامر احب نساء دوماس اليه. ثم كرهها وهجرها واصبح ذكر اسمها امامه كافيا لاثارة غضبه. تلك هي زوجته، اي المرأة الوحيدة التي كانت تربطه بها امام الناس صلة القانون الديني والمدني والتي كان الواجب يقضي عليه بان يظل مخلصا لها الى النهاية

تلك هي « جوزفين مرغريت فيران » المعروفة باسم « ايدا فيريه » زوجة اسكندر دوماس الشرعية ، التي لم تحتل في حياته غير ركن صغير . ولزواج دوماس هذا قصة طريفة

ففي سنة ١٨٣١ كتب دوماس روايته التمثيلية « تيريزا » وجعل يبحث عن ممثلة يعهد اليها بدور البطلة . فقدم له أصدقاؤه « ايدا فيريه » وما وقع نظر المملاق عليها حتى انبسطت أساريره وأبرقت عيناه . فحمل الممثلة الصغيرة بين يديه ورفعها فوق رأسه صائحاً : « ما أبدع هذا التمثال »

وفي مساء ذلك اليوم كانت ايدا فيريه تحتل حجرتها في منزل الكاتب بشارع سان لازار

لم يفكر دوماس قط في الزواج ، ولكن الظروف ارغمته على التفكير فيه . فبعد مضي ثمانية أعوام على اليوم الذي عرف فيه ايدا فيريه وذهب بها الى منزله فاقامت فيه ، دعاه الدوق دورليان الى حفلة راقصة ، فلبى دوماس الدعوة وذهب الى الحفلة متأبطاً ذراع صديقته ايدا فيريه . وعندما قدمها للدوق دورليان قائلا أنها : « ممثلة نابغة وحاملة مشعل الفن الصحيح ! » أخذه الدوق الى ناحية من القاعة وقال له بصوت هادىء : « ان المرأة التي قدمتها لي يا عزيزي دوماس هي بلاشك زوجتك ؟ اذ أنني لا اعتقد أنك تقدم لي امرأة تربطك بها صلة غير صلة الزواج ! »

وجعل أصدقاؤه يلحون عليه فرضي دوماس بأن يعقد زواجه على ايدا فيريه بعد ان عاش معها ثمانية أعوام واحبها حباً جماً لم يمنعه طبعه من معاشرة غيرها من النساء

تزوج دوماس اذن سنة ١٨٤٠ وكانت حفلة زواجه من الحوادث التي أثارت اهتمام باريس وتناقل الناس خبرها في جميع الجهات : « دوماس يتزوج ! — هذا عجيب ! — يا لها من خسارة ! » بمثل هذه الأقوال قوبل خبر زواجه . وكان هذا الخبر كالبرق لاحدث ضجة بين النساء اللواتي عرفنه . ولكن ، هل بقي دوماس على حبه ، بعد الزواج ، كما بقي عليه قبل الزواج ؟

لقد عاش مع ايدا فيريه ثمانية أعوام كان يقول ويصرح وينادي بأنها أسعد ايام حياته . ولكنه على أثر عقد الزواج همس قائلا لاحد أصدقائه : « الآن أظن أن السعادة قد ولت ! » . وهذا ما حدث . فان دوماس لم يطق صبراً على احتمال قيود الزواج . وبعد أن قضى مع زوجته خمسة أعوام لم يذوقا فيها طعم الراحة والهناء ، افترق الزوج والزوجة . ورحلت ايدا فيريه المسكينة عن فرنسا في سنة ١٨٤٥ حزينة كئيبة يائسة من الحياة ، وانقطعت أخبارها عن دوماس الى ان علم ذات يوم أنها تعيش مع أحد أمراء ايطاليا « البرنس دي فيلا فرانكا » فتنهد وقال : « مسكينة ايدا ، أرجو لها السعادة والهناء ! » وقد ماتت في كنف عشيقها الامير

أما دوماس فقد استأنف حياته الاولى . ولسى الزوجة التي عاش معها ثلاث عشرة سنة ، الى أن ساءت أحواله . فاصبح عالة على ابنه « اسكندر دوماس الصغير » ولكنه ظل محتفظاً بابتسامته الى آخر لحظة من حياته

حبيب جاماتي

الانقباض والانشراح

في أخلاق الجماعة

بقلم الدكتور بشر فارس

هل ثمة ما يدعو الى تعريف « برجسون » ، ذلك الرجل الذي بث في الفلسفة روحاً جديداً وسلك طريقة تجمع — في آن — على التأمل الباطني والمشاهدة الخارجية ، فجمع منهجه بين أسلوبين مختلفين في الجوهر : أحدهما التمحيص عن الوقائع ، والآخر الاسترسال في النظر .

وكيفما كانت فلسفة « برجسون » فالرجل واحد العصر وامام الفلاسفة فيه ، ذلك بأنه أنفذهم بصيرة وأدقهم حساً . وان لم يذكره الا شيء واحد فليكن انصرافه الى الروحانيات واعتداده بها في زمن حلت فيه المادة كل مكان وشغلت عقول المفكرين والعلماء .

ان لبرجسون تآليف معدودة وكلها نفيس جزيل الفائدة . ومن المعقول أن أتعرض لها الآن ، فقد وقف الناس عليها وبسطها النقاد وأذاعتها الجامعات . الا ان لبرجسون مؤلفاً حديث عنوانه « مصدرا الاخلاقيات والدين » Les Deux Sources de la Morale et de la Religion وما أظن أحداً من كتابنا عرض لهذا المؤلف بتحليل . ومن أجل هذا يجدر بي أن أبسط نواحيه ، ولا سيما ان برجسون انحرف فيه قليلا عن منهجه السابق ، إذ نحا نحو علماء الاجتماع بعض الشيء في تدبره الاخلاق وذهب مذهب المتصوفة في تأمله شؤون الدين .

على أني أخشى ان يطول كلامي لو بسطت آراء برجسون في الاخلاق والدين معاً ، فلأقصر حديثي — إذن — على الاخلاق .

* * *

يميز برجسون — بادىء بدء — المجتمع المنقبض la société close من المجتمع المنشرح la société ouverte . فالاول يعيش أفراده منزوين فيما بينهم ، مجتمعين على الهجوم والدفاع ، وأما « شخصية » كل فرد فلا وزن لها اذ تندرج في الجماعة ، حتى ان الفرد لا يكاد يعمل ولا يفكر ولا يحس الا عن طريق جماعته . وأما المجتمع الثاني فلا ينطوي أفراده فيما بينهم ولا يقصرون همهم على التواطؤ والتماسك ، بل يحطمون القيود التي تشدهم الى جماعتهم فيتطلعون الى غيرها من الجماعات ويفسحون الصدور لها ويعملون — بهذا — الى الانسانية جمعاء . فكأن في أنفسهم نزوة المتمرد وانطلاقة المتسامح

على ان بين المجتمعين اختلافاً في الجوهر . والسبب في ذلك أن المجتمع المنقبض هيهات أن يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يبلغ المجتمع المنشرح ، جرياً على سنة النشوء والتحول . فإن خروج الخلق من جانب الانقباض الى جانب الانشراح لا يكون من طريق الاتساع وانما يأتي وثبة . فتباين المجتمعين ليس في المرتبة ولكنه في النوع . والشاهد على ذلك أن المجتمع المنقبض يرجع الى الجماعات الفطرية وخاصيتها الانزواء . على حين المجتمع المنشرح يلحق بالجماعات المتقدمة وميزتها الانبساط . فما هذه الا الانسانية l'humanité وما تلك الا الأمة la nation

ثم ان برجسون يجعل لكل من ذينك المجتمعين لوناً من الاخلاق :

فللمجتمع المنقبض « اخلاق » فطرية قوامها الغريزة على الغالب ، فتكون بمنزلة الشيء الدافع بل « الضاغط » pression . ولذلك يسميها برجسون « الفرض الخلقي » l'obligation morale

ثم ان المجتمع المنشرح « أخلاقاً » رفيعة ، لا شأن للالزام فيها ، موقوفة على نداء رجل جليل فاضل يستمع اليه الجماعة . ولذلك يسميها برجسون « الانطلاق » l'aspiration

أما « الفرض الخلقي » فهو أمر واجب الوجود ، بدليل أن الطبيعة ركزت بين جوانب المرء منذ مستهل الحياة الميل الى المعاشرة . وهذا الميل قوة تكتسب من الاعصر بمكان الثقل من الاجرام . وهذه القوة تدفع الافراد الفردية الى ناحية واحدة في سبيل منفعة الجماعة

ولكن الفرض « كل » تنطوي تحته فروض عديدة ، تترتب على [illegible] بعضها البعض قوة . ثم ان الفرض لا صلة له بالعقل ، فهو أمر طبيعي يمت الى النزوع الناشئة . ثم انه ثابت في مكانه لا يطرأ عليه تبديل ولا يحصل فيه تحول

ولهذا الفرض « وظيفة » جليلة القدر . ذلك ان النظام الاجتماعي ناهض على اذعان الخلق لمجموعة الفروض . والخلق يذعنون لها جرياً على حكم العادة واستسلاما الى التقاليد . وان بدا لأحد أن يعرض عنها جذبه اليها ارتباطه الداخلي بالجماعة ثم تداركه الرؤساء أولو الامر والنهي الحافظون على وحدة الامة وكيانها بواسطة القوانين والشرائع التي بين ايديهم

الا أن الفرض لا يأتينا من الخارج بل يندفع من دخائل انفسنا . وبيان ذلك أن لكل واحد منا شخصيتين : الاولى جماعية le moi social والثانية فردية le moi individuel . على ان الاولى أعظم شأناً وأبعد أثراً . لان كلا متصل بغيره ورديف له . والفرض يأتينا من طريق هذه الشخصية الجماعية . وليس للشخصية الفردية الا أن تنقاد ، ولو عاندت فنالت ، وبالنسبة يصير الفرض كؤوداً عند الناس — اذن — أمراً وعر المرتقى

وأما جوهر الفرض الخلقي فلا علاقة له بمقتضيات النفس ، بل ينبثق من دواعي الطبيعة ، ولو لم

يكن الاجتماع البشرى على ذلك الجانب من التحول ، ولو لم يكن على شيء من الفطنة قليل أو كثير لكان الفرض مقصوراً على الغريزة

تلك خلقيات المجمع المتقبض . وأما خلقيات المجمع المنشرح ، فهى أعلى شأناً وأوسع مجالا وأتم شكلا ، لانه روحى موقوف على نداء appel لبطل من أبطال المروءة تحل فيه مكارم الاخلاق مجموعة متسقة

ونداء هذا البطل مصدره اختلاج عصبانى موكأن هذا الاختلاج ينبعث من واعى روح البطل ليغمر الخلق . ولولا الاختلاج ما كان ابتداع فى العالم . لان « وظيفة » الاختلاج غير محصورة فى الحث والحض ، بل تثير الآراء وتولد المعانى . وما الاختلاج المبتدع الا الانبعاث الحيوى الذى عليه أقام برجسون الجانب العظيم من فلسفته

ان الاختلاج العصبانى يشرح روح البطل ويدفعها فى طريق ما ينفك يتسع ويطول . فتنطلق الروح قدما ، وتتفق بهذا مع مبدأ الحياة نفسه . وانما هذا المبدأ السير والتدرج

وصفوة القول أن بين أخلاقيات الفرض وأخلاقيات الانطلاق ما بين السكون والحركة والفرض أمر لا يرتفع الى العقل من حيث إن الطبيعة كونته ، فى حين أن الانطلاق يرتفع عن العقل من حيث أنه وثوب وعزة

والنتيجة أن مصدرى الاخلاق « ضغط الجماعة » و « انبعاث مترتب عن الحب » وهذا يواصل ذلك عن طريق العقل ، إذ يطبع النفس بطابع تأثير العقل ثم ينشرح فيمثل ثبات الابطال حتى يعم الانسانية كلها

غير ان المجمع المنشرح من أحلام النفوس الرفيعة . وقلما أحد يقف تمس الابطال عادت النفوس الحقيرة فينقبض مرة ثانية من بعد ما يدفعه ما طرأ عليه وهو فى حالة الانشراح . فينتقل هكذا من طور فى الانقباض الى طور آخر (١)

* * *

ذلك رأى برجسون فى أخلاق الجماعة . ولقد رأيته ينقلب الى مذهبه القديم مذهب « الانبعاث الحيوى » الذى ينهض عليه لنشوء الحياة . الا أنه سلك فى جانب من جوانب بحثه طريقة علماء الاجتماع اذ قسم الجماعات واعترف للمجمع بالتأثير الشديد فى كيان الفرد . ولكن برجسون ما يزال — على هذا — لسيج وحده

بشر فارس
دكتور فى الآداب من السوربون

(١) طبق برجسون تلك الاخلاقيات على التربية . فقال ان الفرض يتطلب الترويض بحيث يحمل المرء الناشىء على الاذعان للفرض ، وأما الانطلاق فيقتضى التصوف بحيث يحمل المرء الناشىء بالبطل الرفيع ويحمله على الاقتداء به

شذوذ الشبان واعوجاجهم هل من علاج ؟

بقلم الدكتور احمد محمد كمال

> يلاحظ كل متتبع لحياة الشباب في هذا الجيل ان أخلاقهم قد تدهورت ، بما فيها من الشذوذ والاعوجاج ما يشكو منه الآن المربون والمصلحون . فما سبب هذا الشذوذ والاعوجاج أوما هي العوامل التي أدت الى هذه الحال ؟ ! ذلك ما يعالجه الدكتور احمد محمد كمال مفتش أول قسم المسائل الصحية بمصلحة الصحة

تغيرت أخلاق شباننا في هذا القرن عما كانت عليه في القرن الماضي . وقبل أن أعرض للاسباب التي أدت الى هذا التغير والشذوذ يحسن بي أن اذكر أمثلة مما نشاهده بينهم كل يوم . ومن هذه الامثلة نستعين في توضيح أسباب الشذوذ والاعوجاج في أخلاقهم على ضوء السيكولوجية الحديثة . مثال ذلك :

فتاة في الخامسة عشرة من عمرها ، تقص على زميلاتها وأترابها حكايات خيالية لا أساس لها من الواقع ولا يصدقها العقل

شاب في السادسة عشرة من عمره ، يظن أن الناس يرقبون حركاته وسكناته كأنما يقفون له بالمرصاد ويشعر أنه صغير في عين نفسه . وقد خاب هذا الفتى في مدرسته وحاول الانتحار

فتاة في السادسة عشرة من عمرها ، عزوف تتحاشى الاجتماع ، تبدو غير واعية بما يدور حولها ولا تكترث لأى شيء

شاب في السابعة عشرة من عمره ، يشكو دائماً من أعراض وعلل جسمانية متباينة على الرغم من أن الفحص الطبي يبرهن على أن جسمه سليم

فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، تشعر بكابوس يجثم فوق صدرها ، تتكلم وتصيح وهي نائمة

هذا قليل من كثير مما يبتلى به الشباب في سلوكه . فما هو السبب وما هو الدواء ؟ !

هناك عوامل عدة تؤثر في سلوك الانسان منذ نشأته حتى وقت الشباب ، أهمها :

أولا — ما يرثه عن أبويه من ضعف عقلي أو جسماني أو خلقي

ثانياً — التشوهات الخلقية أو المكتسبة كالعرج والعمى والسمنة المفرطة وقصر القامة أو طولها

ثالثاً — رعاية الوالدين وميولها نحوه والطريقة التي يتبعانها في تنشئته

رابعاً — الوسط المدرسي وغير المدرسي مما يخرج عن محيط البيت

خامساً — نضج الانفعالات والعواطف

فمن المعروف ان أبناء مدمني الخمور والمخدرات تكون قواهم العقلية ضعيفة . ومما لا شك فيه ان

البلاهة والحمق والغفلة تورث. كذلك يرث الولد عن أبويه الهزال والخور. ولا ننسى أن أبناء المصابين بالأمراض السرية قلما يعيشون. فاذا عاشوا فنى أسوأ صحة. وأمثال هؤلاء تنحرف أخلاقهم ويشذ سلوكهم ولا أمل فى اصلاح اعوجاجهم

أما أصحاب العاهات الطبيعية أو اللكنة والمشوهون بالقصر والسمنة ودمامة الوجه فهؤلاء تلتوى أخلاقهم وتنحرف ميولهم نحو الشر. والسبب فى ذلك قد يخفى على الكثيرين. وللايضاح نقول

ان المشوه بين الأصحاء منظور اليه بين المقت والسخرية. فالدميم مكروه لا يستر الناس عنه اشمئزازهم فيكرههم بدوره ويظن أنهم يطاردونه ويضيقون عليه الخناق، فيضطره الوهم الى الدفاع عن نفسه بالهرب أو التحدى. وقديماً قيل: «كل ذى عاهة جبار» فلا عجب اذا حقد الدميم على الناس واسودت الدنيا فى نظر الأعرج وضاق الدميم بنفسه وبالناس ذرعاً

وبينما تجد صاحب عاهة مهيض الجناح خجولا، اذا بك تعثر على آخر مشاكساً عنيداً. والخجل قد ينتهى الى القنوط ثم الى التشاؤم فالانتحار. والشراسة قد تؤدى الى الاستهتار والثورة على كل محترم مبجل من نظم وعادات وقوانين. وربما استفحل الأمر فأدت الشراسة الى القتل والسلب والنهب. وأمثال هؤلاء فى الامكان تقويمهم باعادة الثقة الى نفوسهم وتهوين رأى الناس فيهم ولفت نظرهم الى أن المرء بعقله لا بمحاسن جسمه وجماله ونذكر أمثلة عظماء لم تعقهم العاهة، كتيمورلنك الذى كان أعرج ونابليون الذى كان قصيراً والفيلسوف كانت Kant الذى كان قزماً، والجاحظ الذى كان مثالا من الدمامة

الولد المدلل يحيط به العطف وتكتنفه الرعاية، فيجدها حاضراً ويتربع على عرش المنزل يأمر وينهى والكل مطيع. فاذا ترك تلك البيئة المرغوبة ودخل المدرسة، تبدل كل شىء، حيث لا ميزة لأحد على زميله الا بحسن السلوك والاجتهاد والتوفيق. وهنا يصطدم الخيال بالواقع والحلم بالحقيقة، فاذا بهذا الصبى المدلل قد أصبح كالنغمة النشزة، فلا يعود يرضى عن صحبه ولا عن مدرسته ويمضى فى مدة العام ثم يخيب فى النهاية وقد يتمرد فينقطع عن الدرس والتحصيل ويندس فى الأوساط التى تصفق لسخافاته لا لمكانته. وعندنا فى مصر من هذا الصنف شبان كثيرون، تلقاهم فى ميادين السباق ودور اللهو وما اليها

الوالد القاسى غليظ الطبع يرغم ابنه أو ابنته على الانزواء فى أحضان الأم الحنون ويضطره الى الخوف منه والهرب من وجهه. ومع مضى الزمن يتحول الخوف كرها. وقد يؤدى الكره الى الاعتداء بالكلام أو بالفعل. أما البنت فيتحول كرهها لأبيها الى كره للجنس الخشن جملة. ومن كانت هذا شعورها نحو الرجال لا تسعد بالزواج، فتثور على الحياة الزوجية، وربما قتلت نفسها تخلصاً من حرج الصدر، وقد تقتل زوجها

والأولاد الذين يشبون فى عصر الانقلاب عصر الصراع بين القديم والحديث ، يتحيرون صحبة البنت والخوف لأنهم يتحررون من شدة الضغط أو يرتبكون ويدلون . وأمثال هؤلاء قد يفرون من المنار وقد تتلاشى إرادتهم وتمحى شخصيتهم . ومنهم من يتلعثم ويتملق ويغذ له النفاق ويستطيب الرياء . وهذا هو المحتال النصاب المزور الذى تراه فى قفص الاتهام ، أو يتصنع أمره فى الامتحانات التى يغش فيها . وإذا أردت أمثلة من حياتنا المصرية ، ذكرتك بالذين يختنون أو يختلقون ، وأشرت إلى جيش المتملقين الأذلاء فى مختلف نواحى الأعمال

الطفل الذى لا يفقه الكلام يتأثر بحركات من يتولون تربيته ويجاوب على انفعالاتهم بمثلها أو بضدها فينشأ مطبوعا على غرارهم . والصبى يعيش فى أحلامه ويأخذ يسأل مدفوعا بغريزة حب الاستطلاع . والغلام يتدرج فى التقليد والمحاكاة ، ويتفتق ذهنه رويداً رويداً ، حتى إذا ما صار على أبواب الشباب ، حتى إذا ما بلغ الحلم ، دخل فى حياته الخاصة عامل خطير يهب على عقله وقلبه هبوب العاصفة . هذا العامل هو نضج الميول واكتمال الغرائز التناسلية . وإنك لتستطيع بسهولة رد الكثير من اعوجاج الأخلاق فى الشباب إلى أصل تناسلى . وليس هنا مقام الإفاضة والتفصيل . فلأجتزىء بقولى : إن الثقة بالعامل التناسلى يجب أن يساهم فيها الوالدان والمعلمون . وبعبارة أخرى — لا غنى لنا عن تلقين مبادىء التناسليات للطفل وللغلام وللصبى وللشباب ، كل على حسب استعداده ودرجة نموه ، بطريقة لا تخل بقواعد الخلق [illegible] ولا تجرح الكرامة [illegible] والذوق السليم

وأنتهز هذه الفرصة للتصريح [illegible] الأول [illegible] نطاق التربية بحيث تشمل مبادىء التناسليات . ومن شاء [illegible] عن أن [illegible] العامل [illegible] فيه أفسد أخلاق بعض الشباب ، فليرد صالات الرقص ، وليراقب [illegible] طعهم وعقولهم قد انصرفا إلى شىء واحد ، هو إشباع رغباتهم الجنسية

أنى طبيب يصف الأعراض . أما العلاج فمتروك أمره للآباء والمربين وأولى الأمر

فهل من علاج لهذا الاعوجاج ؟!

دكتور أحمد كمال

البعث

أراكِ فأحيا فابعثينى من البلى ... بوصلكِ كي أدري الذى وعد الرسلُ

قضى الناسُ فى ريبٍ من البعثِ حقبةً ... فجُودى بوصلٍ يؤمنوا أنه الفصلُ

طاهر الطناحي

في بولونيا الوف من المسلمين

تحدثنا في العدد الماضي عن علاقة بولونيا بالعالم العربي والثقافة الاسلامية . والمقال الذي نقدمه اليوم للقارىء يبحث في سكنى المسلمين في بولونيا وتاريخ دخولهم هذه البلاد وامتزاجهم بأهلها وانتشار الدين الاسلامي فيها وما لاقوه من حرية واضطهاد . فهو تتمة لازمة لحديثنا السابق

في الأقاليم الشمالية الشرقية من بولونيا تسكن منذ أجيال ألوف من المسلمين . يطلق عليهم عادة اسم « التتر البولونيين » ولكنهم من ناحية الجنسية يؤلفون مزيجاً مختلطاً لا جنساً واحداً معيناً . وهم وسط الخضم المسيحي في بولونيا أشبه بجزيرة ثابتة تحافظ على كيانها على مرور الأجيال . وقد بدأ المسلمون يستوطنون تلك الاقاليم منذ أوائل القرن الرابع عشر . غير أن عددهم أخذ يزداد شيئاً فشيئاً الى أن انتشروا بكثرة في الشمال والشرق في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر

ففي القرن الثالث عشر قام المسلمون القادمون من سواحل بحر قزوين والقفقاس بغزوات عديدة متوالية اكتسحوا فيها بولونيا من حدودها الشرقية الى أقصى حدودها الغربية . وذلك على الخصوص في سني ١٢٤١ و ١٢٥٩ و ١٢٨٨ . وعلى أثر كل غزوة كان فريق من الغزاة يستوطن في بولونيا وينشىء مستعمرة اسلامية . وما تزال آثار تلك المستعمرات باقية إلى الآن في أنحاء البلاد

ثم قامت الحروب المعروفة بين البولونيين والالمانيين فهب المسلمون يشدون أزر البولونيين وحاربوا معهم غمار الحروب جنباً الى جنب ضد الالمانيين . ولم يقتصر ذلك التحالف على المسلمين المقيمين في بولونيا بل جاوزه الى اخوانهم الضاربين في البلاد المجاورة . وبعد معركة « جرنفالد » في سنة ١٤١٠ بقي فريق من الجيش الاسلامي في بولونيا واستوطن في ناحية فيلنا على ضفتي نهر نيمن . ومنذ ذلك الوقت أصبح المسلمون يعدون جزءاً من السكان الوطنيين فأقطعتهم الحكومة مساحات شاسعة من الاراضي . أطلقوا عليها اسماء بولونية واتخذوا هم ايضاً اسماء بولونية محتفظين بأصول اسمائهم الاسلامية . ولما كان عدد النساء المسلمات قليلا في ذلك الوقت فقد أقبل المسلمون على الزواج من النساء البولونيات المسيحيات . غير أن أبناءهم نشأوا دائماً على الدين الاسلامي . وجعل المسلمون اللغة البولونية لغتهم ، دون أن يمس دينهم وتقاليدهم

وأعطيت لهم في بولونيا جميع الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها سكان البلاد الأصليون . وكان بينهم منذ ذلك العهد البعيد « الأشراف » أو « النبلاء » الذين يملكون الأراضي والعقارات و « البسطاء » الذين كانوا يحترفون الصناعات ويقومون بالاعمال الزراعية وتربية الماشية والنقل

والتجارة . وكان الأشراف في حالة الحرب يؤلفون جيشاً من الفرسان . وبلغ عدد المسلمين في بولونيا في القرن السادس عشر نحو مائتي ألف رجل . وكان عدد القرى التي أنشأوها نحو مائة قرية . وفي حالة دعوة السكان الى النفير العام كانوا يقدمون من ٢٠ الى ٢٥ في المائة من مجموع الفرسان المحاربين

ولكن عددهم أخذ ينقص بحالة تدعو الى القلق منذ القرن السابع عشر ، بسبب نزوح كثيرين منهم الى القرم وتركيا . واستمرت هجرتهم هذه في ازدياد ، بسبب الاضطهادات التي أنزلت بهم على أثر تقسيم بولونيا واحتلال روسيا للأقاليم التي يقيم فيها المسلمون . فقد عدتهم روسيا ، عصاة ، وجعلت تضطهدهم وترهقهم ، فلجأوا الى الرحيل عن البلاد طلباً للخلاص من ذلك النير الثقيل

خريطة توضح الاراضي البولونية . ويرى القسم الذي يزدحم فيه المسلمون في الشمال الشرقي من هذه الارض وهو المشار اليه بالنقط

وعندما تحررت بولونيا من جديد وأصبحت دولة مستقلة بعد الحرب العظمى ، أسرعت حكومتها الى الاعتراف بكيان المسلمين وباعلان حرية الدين بالنسبة اليهم . ولكن عددهم لايزيد الآن عن ستة آلاف فقط !

وهم يسكنون فى مقاطعات فيلنا وبيالستوك ونيوفوجرودك وبولزيا . وقد أصبح هؤلاء المسلمون الآن ، وهم سلالة أبطال الحروب ورجال الوغى ، تجاراً وصناعاً ومزارعين هادئين

والمسلمون البولونيون متعلمون ، وهذا ما جعل كثيرين منهم يحصلون على مناصب عدة فى الجيش والادارة ، فهم الآن ضباط وقضاة وأساتذة وأطباء وموظفون . غير أن الأغلبية منهم منصرفة الى الزراعة والصناعة

وبالرغم من المسافة التى تفصلهم عن العالم الاسلامى ، فان علاقتهم به وثيقة مستمرة . وهم يقصدون الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وقد ترك بعض الحجاج البولونيين مذكرات عن الأراضى الاسلامية المقدسة . ويسافر الحجاج البولونيون عادة الى تركيا حيث ينضمون الى قوافل الحجاج الاخرى فى طريقها الى مكة

وكثيراً ما دعى أئمة الدين فى بولونيا لزيارة تركيا وعندما يحدث خلاف بين المسلمين فان الأمر يعرض على المحاكم الشرعية فى تركيا وكان سلاطين آل عثمان يوفدون من وقت الى آخر بعض علماء الدين لزيارة المسلمين فى نواحى البولونية

وتزداد العلاقات توثقاً يوماً بعد يوم بين المسلمين البولونيين من ناحية والأقطار الاسلامية الشرقية من ناحية أخرى وهنا الآن فى مصر ستة من المسلمين البولونيين يتلقون العلوم فى جامعة الأزهر الشريف وقد اشترك مفتى بولونيا فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد بالقاهرة فى سنة ١٩٢٦ . وقام فى سنة ١٩٣٠ برحلة زار فيها مصر والحجاز وفلسطين وسورية . وفى عام ١٩٢٥ اشترك فى مؤتمر الجغرافيا الذى عقد بمصر أحد العلماء المسلمين البولونيين الدكتور كريزسكى ، وحظى بمقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول الذى تفضل وأنعم عليه بوسام النيل

ومدينة فيلنا هى مركز النشاط العلمى والادبى للمسلمين فى بولونيا . وفى هذه المدينة تصدر صحيفتان اسلاميتان : « الحياة الاسلامية » وهى مجلة شهرية و « الوقائع الاسلامية » . وتصدر فى وارسو عاصمة بولونيا صحيفة ثالثة اسمها « المجلة الاسلامية » وفى مدينة فيلنا دار للآثار تدعى « المتحف الوطنى الاسلامى » وهذا المتحف يضم طائفة من الآثار والمخطوطات الخاصة بماضى المسلمين وحياتهم ونشاطهم فى بولونيا

ان ارضنا خصبة طيبة الثروة ، ينبت فيها غالب النباتات التي تزرع على وجه المسكونة ، وحوازها ونباتها في غاية الجودة ، وبنوها أصحاب كد ونصب وذوو صبر على العمل وجلد على التعب ، ولكن ليس كل هذا بكاف وحده في الغنى والعزة والشوكة ، بل لا بد ان ينضم اليه حسن استعمال هذه الاسباب الجليلة ، ورشاد الرأي في استخدامها (محمد عبده)

الفلاح فريسة الفقر والجهل

من محاضرة للدكتور عبد الواحد الوكيل

الاستاذ المساعد لعلم الصحة بكلية الطب

إذا بحثنا في عدد سكان القطر المصري وجدنا الفلاحين هم الأكثرية العظمى بين السكان ، إذ يبلغ عددهم نحو ١٢ مليونا من الانفس . وهذا العدد يدعونا الى الاهتمام بهذه الاكثرية العظمى التي يتألف منه أغلب سكان القطر المصري ، وهي مع ذلك فريسة الفقر والجهل والامراض المختلفة

ولكي نقدر هذه الحال سريعاً يجدر بي أن اذكر خلاصة النتائج التي وصل اليها الباحثون في هذه الحال . فقد اثبت الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك أن البلهارسيا بجميع انواعها منتشرة بين ٧٥ ٪ من الفلاحين ، وأن نوع البول الدموي منها يصيب ٦٥ ٪ منهم ، بينما النوع المعوي منتشر بخاصة في شمال الدلتا

وقد أصبح الفلاحون اليوم يصابون بالبلهارسيا أكثر مما كان يصاب بها أجدادهم المصريون القدماء . وقد نشأ ذلك من تغيير نظام الري الآن من ري الحياض الى الري الدائم ، ومن ازدياد القنوات والمصارف التي نشأت عن هذا التغيير ، والتي تحوي كثيراً من القواقع

أما الانكلستوما فتسكن في امعاء ٥٠ ٪ من المصريين . والديدان المعوية عموما كثيرة الانتشار في هذه البلاد ، حتى ظهر منذ سنوات في سخط السبب بمديرية البحيرة أن سكانها مصابون بهذه الديدان بنسبة ٩٥ في المائة . بل ان المدن المصرية لا تفضل القرى في هذا الباب ، فقد وجد أن ٨٢ ٪ في بورسعيد و ٣٠ ٪ في الاسكندرية مصابون بديدان البطن

وقد تفشى داء الفيل في كثير من المناطق ، ففي قرية بجوار اهرام الجيزة وفي بلدة «كوم النور» وجد أن ٣٥ ٪ من سكانهما مصابون بأعراض ذلك المرض ، وقد دل اختبار كثير من الاطباء على أن مرض السل في ازدياد بين الفلاحين لأن الاصابات التي يراها الاطباء الآن أكثر مما يستطاع تعليله كله بتحسن طرق التشخيص أو باقبال المرضى على العلاج واستشارة الاطبا

أما مرض الرمد فكذا نعرف مقدار انتشاره بين المصريين . وقد فحص قسم الرمد سنة ١٩٣٢ - ١١١٧١٧ تلميذاً في ٢٢ مدرسة ابتدائية مختلفة فوجد أن ٩٢ ٪ منهم مصابون بذلك المرض

اما الملاريا فان خطرها عظيم في هذه البلاد . وقد اتخذت الاحتياطات حيال كثير من المناطق ، ولكن على الرغم من ذلك فان اصابتها في ازدياد . وهذه الزيادة ترجع الى اتساع مناطق زراعة الارز والى ضعف مقاومة الاجسام تأثير الازمة الاقتصادية الحاضرة

ان الامراض التي ذكرناها هي من النوع المتوطن الذي يرافق الفلاح في حياته ، اما نفسه او بمضاعفاته . ويجب أن يضاف اليه ما تحدثه الامراض الوبائية بين آن وآخر من الخراب في القرى المصرية . ويكفي أن نذكر من اسمائها التيفوس والحمى الراجعة والطاعون والجدرى والحمى الشوكية والحمة والحصبة التي تعد أخطر مايصادفه الفلاح احيانا

* * *

ولنترك الآن جانباً ما استعرضناه من ألوان الامراض ولننظر قليلا الى الفلاح في ذاته والى قريته فنرى أن كليهما فريسة لاكبر عاملين خطرين في هذه الحياة وهما . الفقر والجهل

أما الفقر فيكفي للدلالة عليه أن نذكر ما جاء بتعداد سنة ١٩٢٧ فقد ظهر أن بين ٢٦٠٠٣٩٧ من الذكور للفلاحين المشتغلين بالزراعة ١٨٧٥٥١٩ (أى ٧٢ ٪) لايمتلكون شيئا من الارض وانما يعتمدون في حياتهم وحياة عائلاتهم على قوائم الدابة وحدها

ونحن نشعر بمدى الجهل في هذه الاوساط اذا علمنا أن نحو ٩٠ ٪ من السكان لا يعرفون القراءة والكتابة . فلا عجب إذا اعمى فقرهم وجهلهم لمحملا منهم مثلا عزنا من البؤس . وقد اضطرهم فقرهم الى أن يتجمعوا في قرى مزدحمة بدلا من أن يبنوا منازلهم متفرقة كما يفعل إخوانهم في أوربا وأمريكا ، وان يستعملوا أرخص مواد البناء ، وأن تكون مساكنهم من أبسط المساكن نظاما ونظافة وكفاية

إن أوصاف القرية المصرية معروفة لكل إنسان، وقد ولد فيها الكثيرون منا وشبوا بجوارها ، فالازقة الضيقة الملتوية غير الممهدة والاكواخ المنخفضة سيئة التهوية والمياه الملوثة والبرك والمستنقعات ذات الماء الراكد واكوام السماخ والجلة وطوائف الذباب والبعوض والطعام الردىء والعادات السيئة كلها معروفة للجميع

على أن هناك ظاهرة خاصة بالقرى المصرية لا تتفق مع مبادئ النظافة والصحة وهى مشاركة الحيوانات للفلاحين في مساكنهم حيث يدفعهم حرصهم عليها الى تقريبها منهم . وهكذا انحط الانسان في حياته الى مستوى الحيوان

وليس فى حياة الفلاح المصرى شيء جميل وليس له متعة فى الحياة إلا أشعة الشمس والهواء الطلق فى الحقول . وإليهما يرجع أغلب الفضل فى عدم زوال شمسا من الوجود

إن الحالة التى وصفناها للقرى المصرية هى فى الحقيقة تركة مثقلة من الفاقة والجهل ورثناها عن أجيال متعددة . وربما كان فى ازدياد عدد السكان فى هذه البلاد أثناء الخمسين سنة الاخيرة مع هبوط دخل العائلة ما زاد الفلاح تعساً وسوءاً

لذا يجب اصلاح القرية المصرية . وأول ما يطرح قيد المناقشة هو ضمان حسن تخطيط القرى المصرية تخطيطا حسناً ، فان القرية المصرية الآن ليست مستوفية للوسائل اللازمة لحياة الفلاح وخير علاج لها هو الهدم ، وان كان ذلك قد لا يتم إلا تدريجيا . ولذا يجب أن تهيأ بجوار كل قرية مساحة أخرى من الارض تشترى وتخطط لانشاء القرى الجديدة ، ثم تمنع المبانى الجديدة فى القرية القديمة بقوة قانون صارم . ويشجع إنشاؤها فى الارض الجديدة بهبات من الارض والمال

غير أنه يعترضنا فى سبيل هذا الاصلاح مشكلتان : الاولى توفير مياه نقية للشرب والثانية اختيار أصلح أنواع المراحيض القروية وأنسب الطرق للتخلص من محتوياتها

إن أهم مورد لمياه الشرب فى مصر هو النيل والترع المتفرعة منه ، ولكن ماءها العذب معرض لأخطر أنواع التلوث الآدمى والحيوانى

وهناك مدن كثيرة تعتمد طول السنة أو بعضها على الآبار العميقة (الارتوازية او شبه الارتوازية) ومصدرها من مياه نقية الرشح العميقة . وهى مياه توجد صالحة للشرب الى خط عرض ٣١ درجة شمالا أى على بعد خمسين كيلومتراً من البحر . وهذا الخط يجرى من جنوب دمنهور الى جنوب المنصورة . وماء الآبار العميقة هو عادة فى درجة جيدة من النقاوة ، ولكن طعمه غير مستساغ كماء النيل لوجود الأملاح والحديد والمنجنيز فيه

أما الآبار السطحية أى غير العميقة فكثيرة الاستعمال فى القرى المصرية ولكن ماءها عظيم التلوث من سطح الارض ومن المواد العضوية التى تصله من المجارى والاسمدة وغير ذلك

أما اختيار أنسب أنواع المراحيض للقرى المصرية فليس بالسهولة التى يفهمها الانسان . ولا شك ان الطريقة الشائعة وهى استعمال الخزانات الراشحة التى من النوع العادى أو من النوع المعدل الذى تجربه مصلحة روكفلر فى هذه البلاد ليست وافية بالشروط الصحية . فقد دل الاختبار على أنها غير ناجحة فى أغلبية بلادنا . وذلك نظراً لسرعة امتلائها بمياه الرشح حتى انها لتطفو على الارض وقت الفيضان احيانا . ولهذا كان أصلح الطرق لمعظم القرى المصرية هو استعمال المرحاض ذى الجردل مع التصرف فى محتوياته يوميا بالدفن فى منطقة ذات موقع مناسب خارج القرية أو باستعمال المرحاض الذى توصى مصلحة الصحة بالولايات المتحدة باستعماله . وذلك لمنع تلوث الارض خوفا من مرض الانكلستوما المتفشى فى تلك الولايات

بقلم الاستاذ محمود طاهر لاشين

هذا خطاب عثرت عليه بين الرسائل التي أحتفظ بها ، ويرجع تاريخه الى عدة سنوات مضت . وقد استأذنت كاتبه في نشره ، فأذن لي على أن أبدل أسماء الأشخاص وأن أغفل الإمضاء ...

عزيزي حسين

قرأت خطابك ثم ترددت في أن اكتب اليك وألا اكتب . ذلك لأني رأيت في خطابك صورة صادقة منك ، وكان لأسئلتك الخاصة بي ، وبسفري الفجائي أو « فراري » — كما سميته — وقع بليغ في نفسي ، وإني لأشكر لك جميل احساسك

أما أنا فباستطاعتي ان أكتب اليك شيئاً — أي شيء — عن الريف مثلا وما فيه من هدوء وطمأنينة ، وعن أهله وما هم عليه من جهل وسوء حال . وقد يكون خطاباً ممتعاً ولكنه بلا شك سيكون فاقد اللون والحياة ، وسيكون مموهاً غير أمين . ذلك لأن ما يشغل شعوري وعقلي أراه دقيقاً وحرجاً وأحرى بالكتمان . وهذا سبب ما أدركني من حيرة وتردد . ولكن ما بيننا من ود قديم وثقة بصدقك لا أقص اليك به فقط ، بل ألتمس عندك فيه النصيحة

اسمع ياصديقي العزيز !

في أواخر اجازتي الصيفية الماضية ، كنت يوماً في ترام الضاحية راجعاً الى المدينة على أثر زيارة عمي في محل له . وكنت بالدرجة الأولى والساعة حوالي الحادية عشرة صباحاً . وعند شارع « عبده باشا » صعدت فتاة ، فأفسح لها الحاضرون مكانا فجلست أمامي . شيء غير نادر ان لم يكن مألوفا . وأنت تعلم أنه على الرغم من فراغ حياتنا من المرأة وتلهف قلوبنا الى ايناسها ، فاني لا أتكلف التقرب الى فتاة ، وأمقت كل المقت من يفعل ذلك

ولكن عندما كان نظري يقع عفواً على تلك الفتاة ، كنت أدرك فيها معنى لجمال غير مبتذل . فلم تكن بذات الوجه الوردي والجسم البض والسيقان المغرية ، بل كانت الى السمرة والنحافة أقرب ثم لا تبرج ولا زيف . أما عيناها وفمها اللذان كان فيهما جماع ذلك المعنى الدقيق . فقد كانت نظراتها الساهمة تدل على طوية سليمة ، وطبع غير مشوب . فحدثت عندي يقين أنها لو حركت شفتيها الرقيقتين لفاهت بالكلم العذب الحبيب . وقد أطلت اليها النظر حتى انتبهت الى ذلك فأغضت في شيء من الارتباك . وأدركني الخجل لأني استطيع أن أقول ان نظري كان يستقر

على وجهها سهواً منى وعلى غير قصد ، وحسبت أنى أكون بصوت لها سمجاً ثقيلا

ووصل بنا الترام إلى ميدان المحطة ، وكنت أنوى النزول عنده ، ولكنها أسرعت فنزلت فبقيت مكانى محطة أخرى اتقاء المشقة منها ومن الحاضرين

وفى اليوم التالى اقتضت الحال أن أزور صهرى ثانية وانصرفت من عنده فى نفس الوقت الذى انصرفت فيه يوم السبت . وما كاد ينطلق بى الترام حتى فاجأتنى فيه ذكرى فتاة الأمس ، وتمنيت لو أنى أراها ، إذن لأكون سعيداً . ووضح فى ذهنى معنى السعادة كأن إنساناً خارجاً عنى هو الذى نبهنى إليه وأكده عندى ، وما كنت – البتة – فكرت فى أمر الفتاة إلا دقائق أثر رؤيتها بالأمس

ومن العجيب يا أخى ولأمر شاءه القدر ، أنها كانت فى المكان عينه وفى لحظة كانت معى فى الدرجة الأولى ولم يكن بها سوانا . فأحسست بدمى قد جاش دفعة واحدة وخفق قلبى وخفت أن ينم وجهى على . فواريته فى صحيفة كانت معى وعالجت الهدوء ، فهدأت أو على الأقل إلى حد كبير . أما هى فما استقر بها المكان حتى فتحت كتاباً وشرعت تقرأ . وقد رجح عندى من حجم الكتاب وغلافه المقوى أنه كتاب إنجليزى . وكان منظرها وقتئذ كصورة لفنان عبقرى الأداء – فيها هدوء وعذوبة وفيها جلال . فلم أستطع إلا أن أختلس إليها النظر . وكنت أحس إحساساً صادقاً باتصال روحى بروحها وبأن قوة خفية تجذبنى إليها وحدها دون الترام . فأنست حوارا خافتا بينه وبينها ، ثم علا صوت الرجل فى عنت فأخفيت الصحيفة ونظرت كأنى أستطلع الخبر وإذا بالعامل يأبى الاعتراف بنصف ريال دفعته الفتاة إليه ، ولم يلبث حتى طلب إلى أن أكون حكماً . ففحصت القطعة وما زلت بالرجل حتى حسمت النزاع

فلما انصرف أحسست أن المجد من هذه الناحية فرصة للكلام معها . فإذا بى أشعر بأن حلقى يجف وقلبى يزداد خفقانا كما لو كنت قادماً على فعل عظيم . بيد أنى قلت شيئاً ، وبكيفية ما ، فكان فاتحة حديث خافت متقطع فى البداية ، ثم استقام حيال إصرارى على متابعته . فتكلمت – أو تكلمت أنا فى الواقع – عن العمال وإرهاق أصحاب الأعمال لهم وضآلة مرتباتهم وعدم الاعتراف بهم اعترافاً جدياً يركن إليه – عناصر تحملهم على ما هم عليه من ضجر وحنق وفساد أخلاق فى القطر الكبير منهم . وكان يشجعنى على استرسالى غير المنتظر أنها كانت تصغى إلى بغير سأم ، وتحفزنى بأسئلة واعتراضات . وكانت تتكلم فى حذر وبصوت منخفض . وقد صح ما تفرسته فيها بالأمس – صوتها حلو وحوارها رزين . . . ولكن الموضوع بلغ حده فانتهى . وحلت فترة صمت شعرت فى أثنائها بنشاط فكرى وغبطة

وعاودت قراءتها فعز على ذلك ، إذ كنت أشعر بأنه لا ينبغى أبداً أن أقطع هذا الخيط الذى مده القدر فيما بيننا ، وكان قد عاد إلى احتباس الصوت إلى حد ، لأنى كنت أدرك أن

فى استئناف الحديث جرأة قد لا ترضاها . على انى سألتها — كما لو كنت أخاطب نفسى — عن الكتاب الذى تقرأه فاذا به رواية كليوباترة لرايدرد هاجرد . وكنت قرأتها من زمن بعيد ! فكان لى من موضوعها حديث متشعب لذيذ ! . أواه ياعزيزى ! انى لأذكره وقد مضى عليه نحو ثلاثة أشهر كأنه جرى اليوم . وإن من ماحيتى أشعر بلذة كبرى فى أن أعيده عليك كلمة كلمة ، ولكنى أخاف املالك . وحسبى أن أقول لك انها ذكية متوقدة رقيقة الفؤاد . . . ظهر ذلك تماماً فى اشفاقها على « هرمكيز » حين تلاشت آماله فى حب الملكة الفاتنة ، ثم موقفه الذليل حين استماحت عنه « مارك أنطوان » . وقد وضح كذلك — فى سياق الحديث — انها مثقفة وعلى علم غير يسير بتاريخ مصر والنفسية المصرية

هذا الموضوع لم ينته ، بل انبتر حين وصلنا (ميدان المحطة) . وخلت وقتئذ اننا وصلنا اليه فجأة وأنا على غير هدى . ذلك لانى كنت فى أثناء حديثى معها أفكر فيما أصنع حينما تغادرنى ، وكان لهذه الفكرة هرج فى رأسى لم يستقر حتى نزلت . وانطلق الترام بى مليا ، ولكنى قفزت منه فجأة وعدت مسرعا ، فأبصرتها عن بعد تنتظر تراماً آخر فرينت ، فالتفت انحدرنا فاطرقت الحراقة لطيفة كأنها تقول . « حسبك هذا » فادركنى لذلك خجل شديد ، واقتبست من هورى فكرة اقتفائها وانصرفت متواريا فى الجماهير . وشرعت سحابة كثيفة تتجمع فى صدرى . ولكنها تبخرت تحت حرارة رغبتى فى أن أقنع نفسى فى يومى وأن أسعده

وكان فى نفسى سعود — سبب مجهول — ونوع بأنى سأشقى عبثا . وكان يتصل الجو حولى مرح كنت فى حطاى السريعة كأنى راكب فى دراجة ممتدة بيتر من أمامى الى اللانهاية ، وذرعت مسافات طويلة غير مكترث — أو شاعر فى الحقيقة — بحرارة الشمس وقت الظهر . ومرت بذهنى أفكار شتى كلها مبهجة وسارة وكنت أتمنى لو صادفت أحدا من الاصدقاء فيشاطرنى بعض تلك السعادة . كما انى تنكبت الطريق مرة أو مرتين لأتحاشى لقاء أناس كنت أعلم انهم لن يفهمونى . . ثم هدأت رويداً رويداً ، فادركنى من امرى العجب ، وسألت نفسى : « ماذا جرى ؟ » وحاولت ان أكبح جماحى وأن أعود الى رزانتى وهدوئى ، ولكنى آنست ارتياحاً كلما لمشاعرى تطرب وتمرح . ودار بخلدى : « هنا أستكثر على نفسى السعادة التى أتاحتها لى المصادفة ، والتى لو تنبها أحد ممن أمر بهم لحسدونى عليها ! ! »

وفى اليوم التالى لم تكن هناك حاجة للذهاب إلى العباسية ، ولكننى لم استطع مقاومة رغبتى فى الذهاب . فذهبت وكان قلبى — فى أثناء الطريق — يزداد خفقانا ، وكنت احاول بتمدد حتى يملأ صدرى ، وكلما قربت كانت اوصالى تتخاذل واطرافى تبرد . وكنت أفكر كيف ألقاها ، وكيف أتحدث اليها ، وكنت احس بذلك فى شغل شاغل عن كل شىء . . ولكن . . .

قبل أن أصل إلى المكان المعهود لحبنا فى الترام الراجع . وفى الحق أنى لم أرها بعينى بل رأيتها باحساسى . شعرت بوجودها على مقربة منى ، فاستدرت كما تستدير الإبرة تجاه مغناطيس قوى فقفزت من مكانى وعدوت خلف الترام حتى أدركته ولكنها كانت فى مقصورة « الحريم » فجزت

وجلست حانقاً إلى جانب رجل من أصدقاء عمى ومعرفتى ، ضابط قديم ثرثار ، فراح يتكلم ويتكلم كل الهراء الذى فى العالم ، وأنا عما يقوله فى ذهول . غير أنه مضى يكثر من الأسئلة فأجيب عنها ويورد الأمثال العامية مقحمة كى أعجبها وقد أوشكت أن أعجب به أسكته ، حتى وصلنا ميدان المحطة فنزلت رغم تشنه ن ، ولكن شد ما كانت دهشتى حين لم أجد الفتاة ... لقد نزلت فى محطة سابقة ولا شك ، فخيل إلى إذ ذاك أن أصعد فأبصق فى وجه ذلك الثرثار . ولكنى لم أستطع حراكا وصرت أجيل بصرى فى كل اتجاه ، حرت فى أمرى : أآلبث مكانى لعلها تجىء فى القطار التالى أم أسير فى اتجاه الطريق الذى جئت منه لعلى أصادفها . وبعد فترة وجدتنى أتقدم نحو قهوة (بلاصنا) المقابلة لمحطة الترام فأويت إليها كطير مريض الجناح

وظللت لا أفكر فى شىء ، شأن من تناعته الصدمة الكبرى ، ثم إن ضيقاً قاتماً زحف إلى قلبى ، وتحرك صدرى بالنقمة على هذا الثرثار ، حتى لقد ضربت الطاولة التى كانت أمامى وتحسست بلمسه ورحت قلقاً حتى فى جلستى وشعرت بسؤال لا مفر منه هذا ماذا جرى . ما هذا ؟ ماذا جرى ؟

أيكون مجرد إعجاب بتلك الفتاة ورغبة من حيويتها فى أن أهواها . أو معنى أدق وأسمى فى أن أسمع بحلو حديثها مرة أخرى ؟ وحسب لى أنى فتنت بها . ولكن نفسى لم تطمئن إليه . وتصور شعورى وقتئذ أى هوى غريب . أصبحت نفسى بسبب خاطر يحاول الظهور فلم تسمح . وهتف الخاطر فى فؤادى بى حبها وأنا مالى وقلت لها وعند ذلك أطلق الحبوس فقمت أمشى حتى وصلت إلى البيت وأنا بين حوهر عنده تفرحنى حد وتحزنى جداً . وقد ضايقنى أنى لا أستطيع أن أتحدث إلى أمى عما أنا فيه . فقلت أدرى يا عزيزى بأننا نعيش فى بيوتنا أغراباً عن أهلنا لا تربطنا بهم إلا القرابة . أما الاتصال الفكرى ، أى اتصال الحياة نفسها فمعدوم . ولم أشأ أيضاً أن أذهب إلى القهوة ، بل آثرت أن آوى إلى غرفتى لأخلو إلى تأملاتى وما يجيش بصدرى . على أن الغرفة المألوفة تنكرت فى نظرى وخيل إلى أنها أكثف جواً وأضيق حجماً ، وعلى كل حال بقيت فيها واكببت على مكتبى زمنا طويلا استعدت فيه ما حدث على ذاكرتى فى هدوء ، فلم يسعنى وقتئذ إلا أن أقول : حقاً أن اختصاص المرأة عاطفتنا فى حالة شاذة حتى نفاجأ بها ، وتبينت تفاهة الأمر ، فقمت فخلعت ثيابى وأنا أشعر براحة من أفاق عن كاهله عبئاً ثقيلا . وعمدت إلى القراءة ، ولكن سرعان ما مللتها ولم يعلق بذهنى شىء مما قرأت ، فعزوت ذلك إلى تعبى ، وخرجت إلى أمى وكانت جالسة فى الصالة سعيدة ، فتجاذبنا الحديث عن بيتنا وبيوت الجيران ــ موضوعات تافهة ــ ولكنى أحببت إليها ، وحاولت أن أندمج فيها قدر استطاعتى وفعلا رفهت عنى إلى حد كبير

فلما جاء الليل أويت الى فراشي مبكراً ، وانا أشعر بأني سأنام من فوري ، ولكنني لم أنم ، وعاودتني ذكرى الفتاة كأن لم يكن هدوء ولا تريث . وجعلت افكر فيما أصنع لو اني قابلتها وفيما أصنع لو اني لا اقابلها . واستطعت ان اطرد عني التشاؤم وصرت أتصور حبنا فزواجنا . فالمثل الاعلى الذى سنكونه للازواج ، حتى غلبني النوم فأكملت آمالي احلاماً

وفي اليوم الثالث ذهبت ، وذهبت في اليوم الرابع بل الخامس والسادس . . . . فما وجدتها

ليس في مقدوري ان اصف لك ما انتابني وقتئذ . . الغمة . الحسرة . اللوعة . التحرق والكرب العظيم . لقد احال اليأس قلبي الى وزن ثقيل أحس به ويؤودني ، وامتلأ رأسي بأفكار سوداء ، وضغط صدري هم جعلني اضيق بنفسي ذرعاً . واصبحت عصبياً الى درجة الحماقة ، حتى أمي عجبت لأمري ، بل تبرمت بي في تلك الايام . فقد كان اى شيء تافه يزعجني وأتشاجر من أجله شجاراً لم يألفه احد مني . حتى أنا في اثناء احتدامي أدرك عن ضلال ، وان ما آتيه هو عين السخف . واحتلتني رغبة في ان أسير ، في ان أهيم على وجهي ، وكنت كلما سرت فأبصرت عن بعد فتاة تشبه فتاتي هرعت صوبها ، ثم لا ألبث ان أعود بنقمة الخيبة . وكانت ضروب من العذاب لما أقاسيه من سهاد ممض واحلام مزعجة . ثم انتهت اجازتي الصيفية ، وعدت الى الديوان ، فاشتغلت بالعمل الاجبارى ، ومن ناحية اخرى عن مصنعي ترأسني في أنقض حسابات ... واعصابي المتعبة ، فتولتني رويداً رويداً طمأنينة المؤمن بالقضاء والقدر

وتوالت الايام حتى صرت لا أذكر الفتاة الا في الفترات المتراخية كنت أسمع لقائي بها في حساب الحلم السعيد . ولكن حدث في يوم كنت ... منذ أحدى عربات (الشبه الخضراء) مع أبي لمقابلة صاحبه وأبي يتكلم باهتمام في قضية ... فيها مركزنا ، اذ أبصرت الفتاة تهبط السلم ! تصور ذلك ، وتصور موقفي واحساسي حين تركنا مسح لها الطريق لنزول . لتمر بي مرة اخرى ! وقد حيتني بابتسامة واطراقة خفيفتين . فما وصلنا مكتب المحامي حتى عثرت في سجادة دون اعتذار

وفي لحظة عين كنت في الميدان أنظر بعينين مخلتين . أنظر في كل اتجاه كالمجنون . أهرول حيثما اتفق مجازفاً بين المركبات المتتابعة المتزاحمة . وخيل الى انني لو كنت أعرف اسمها لجأرت به ، فلما يئست من العثور عليها كرت على — بعزم أقوى — تلك الحال العصبية السابقة ، كما تكر الحمى على مريض بنكس ، وذهلت عن والدى مليا لم ذكرته فصعدت اليه كصاعد سلم الاعدام . وأضرب كيف مشاعرى في الفترة التى قضيتها عند المحامى ، ولو أنى في الواقع كنت شارد الفكر عن موضوع القضية . لذلك شعرت — بعد ان فرغنا — أن بي دواراً شديداً وطفقت أمشي في كل مكان ولا مكان ، وفكرت في كل شيء ولاشيء . . .

فكرت في أمرى وما وصل اليه وكيف انى في السابعة والعشرين من عمرى أنا الهادىء الوادع دقيق نظام الحياة — على نحو ما تعرف — والذى كنت أحفظ مكتبي وكتبي بلا مثل ، كيف

أحتل هذا الخلد وأضحى أعجوبة لغرام ساحر يهوي بي وينصب حولي أشراكا لست أدري منتهاها

وصرت أذهب عصر كل يوم فأجلس في بار تجاه العمارة التي التقينا فيها ، لعل لها حاجة عند طبيب أو مصور من سكنيها فتعود اليها وانتظر الساعة بباب ذلك المكان الزري .. وما من فائدة !!

ومع أن أعصابي هدأت على مضي الزمن كل هاتف يوحي الى بأني سألقاها . . . .

وقد لقيتها ، وفي منزلها . قدمني اليها عصمت ولا أدري بأي كلمات فعل ذلك . لأن ذهولا مطلقاً كان قد استحوذ علي ، ولكنه قدمها الي بقوله : « نعمات » . أحسست بكل جارحة مني قد ارتعدت آذاناً مرهفة فالتقطت ذلك الاسم . وفي تلك اللحظة تبينتها بوضوح كلي . فاذا هي في ثوب أبيض له أطراف ممدودة شفافة . وكانت مطرقة برأسها وحولها أهلي وأهلها ، وكل هذي الفرحة ، وأرجاء البيت تتجاوب الاغاريد فحسبت أني حالم يقظ كأحلام المصابين بالصرع حيث يتراءى الوهم كالأمر الواقع . ثم عدت مخيل الى ان ما أرى مكافأة هائلة السخف وأوشكت ان أصرخ صرخة ترد الى هؤلاء المجانين عقولهم . ولكن سرعان ما عادت الحقيقة الى رأسي ، فلا حلم ولا فكاهة . بل هي حفلة قران ــ قرانها بعصمت ابن عمي . وقد انتهت الحفلة . وانه قدمها إلي على نحو ما تجري العادة وتقضي المجاملة بين أفراد الاسرة الواحدة . وهذه هي جالسة فيما بيني وبينه ، الى جانبي ، تلك التي هملت على لقائها ما عشت . ولكنها عن حد السماء مني . أسمعه في أمل منها وزاد ضيقي أني سمعت بعض من حولي يتحدثون عن ازواج في صمت . والبعض يتخذ موضوع فكاهة من سبق ابن عمي في الزواج . عند ذلك تحرج صدري واختنق مختصري ، فلم أدر أأضج بالضحك أم أجهش بالبكاء ، أم أقوم فأبين لهم الحقيقة لا مترسلا متدللا وانما صارخاً متمرداً . وشعرت بدمي يغلي وصدري يكاد ينفجر . وصار جو الغرفة كاتما جداً وضوضاؤهم ترهقني الى حد مروع

ولكني تمالكت نفسي خيفة ان أظهر بمظهر صبياني غير لائق . وعرفت من فوري أن أتحدى القدر الذي تحداني فقهقهت لنكتة قالها أحدهم وضحك لها الجميع . وكنت الى تلك اللحظة أتحاشى النظر الى العروسين ولكني تشجعت فاستدرت اليهما ، ولا غرو فهما بعد غريبان بعضهما عن بعض اذ لم يسمح لها بلقائه الا عند مفتتح الحفلة . وقد رأيت أنها ازدادت احمرارا وانضناء حين وقع عينيها بصري . ولم يكن من شك عندي أنها تدرك حالتي ادراكا تاما ، وان وجودي يحرجها فتمنيت وقلت : « اخلص التهاني . ليجعله الله زواجاً سعيداً » وشعرت وقتئذ أني جبار العزم شديد الانتقام

على أني ما وصلت الى الشارع حتى خنقتني العبرة واغرورقت عيناي بالدموع . أواه !! . من العبث ان اقول لك شيئا بعد ذلك . على كل حال تلك قصة حبي أو قصة لهو الحب بي اطلعتك عليها ولم يبق الا أن استشيرك في سؤال تبرح الحيرة بي حياله : ماذا يكون مركزي ؟ ــ أقصد ماذا يكون سلوكي حيال عصمت وحيالها حين اعود . . ؟ أسعفني بكلمة

محمود طاهر لاشين

المصري اليوم

هل هو الفرعوني في أدبه وفنه ؟

بقلم الاستاذ محمد شكري الجمالي

تجددت فى الأيام الأخيرة فكرة قديمة . وأقول تجددت لأنها ترددت فى أوساطنا الثقافية من نحو نصف قرن تقريباً ، فى العهد الذى نشط فيه المنقبون عن مدنية الفراعنة فى وادى النيل

ظن الباحثون عن مدنية الفراعنة أن نهضة مصر الحديثة يجوز اعتبارها بعثاً للحضارة التى ازدهرت على ضفاف النيل منذ خمسة آلاف سنة . ثم لج بهم الوهم حتى حسبوا أن مراحل الزمن التى تفصل الحاضر عن الغابر قد امحت ، وأن تأثير الأحداث وتقلبات الأحوال لم يمس الشعب المصرى بعصاه السحرية . ومضوا يقولون : إن المصرى اليوم ، هو هو المصرى الذى عاش قبل التاريخ الميلادى بنحو ثلاثين قرناً أو يزيد ، خرج من المقابر ونفض عنه غبارها واستأنف الحياة ، كأنه نام سواد الليل واستيقظ بعد غفوة قصيرة . وقد أوجز كاتب فرنسى لبق هذا الرأى فى كلمتين فقال : « أبو الهول يتحرك » .

هذا هو مجمل الرأى ، فما هو برهانهم على صحته ؟

زعموا أن النيل يجرى كما كان من منبعه إلى مصبه ، ومناخ مصر ثابت لأنها لم تنتقل من قارة إلى قارة ولا طغى عليها الجليد أو ثارت بها البراكين ، والفلاح يعيش فى قرية كتلك التى كشف عنها الباحثون فى بعض المناطق الأثرية — الدار من طين وتبن لا تدخلها أشعة الشمس ولا ينفذ إليها الهواء النقى ، والماشية تساكن الانسان تحت سقف واحد وغذاء الفلاح اليوم لا يختلف كثيراً عن غذاء أجداده الأولين ، وكذلك ملابسه . بل إن آلاته الزراعية وأسلوب استثماره للارض وطريقته فى ريها ، أرمت كرش ترجع الاصابة به إلى آلاف السنين الخوالى . راض عن حاله ، جامد يحافظ على القديم ، لا يفكر فى الثورة على نظام ، يستبدل حاكماً بحاكم أو – على الأصح – يستبدل سيداً بسيد ، كالشاة تمد عنقها للجزار ، على نحو ما اعتاد أفراد الشعب فى ظل الحضارة المصرية القديمة التى توطدت دعائمها على نظام الطبقات والاقطاع ، مما لا يختلف كثيراً عن النظام الموروث فى الهند

ولا ينكر أصحاب هذه النظرية أن أجناساً عدة أغارت على مصر واستوطنتها ، وبالأخص العرب . لكنهم يقولون إن الشعب المصرى فيه خاصية مكنته فى جميع مراحل تاريخه من

عصم هذه الأجناس وإدماجها في كتلته ، بعد إحالتها إلى عنصر مصري خالص ، عنصر يمثله الفلاح في سائر مزاياه وصفاته وانفعاله لحقائق الكون والحياة

على أن الفلاح لم يهضم الأجنبي النازح وحده ، بل هضم الطبقة - أو الطبقات - الرفيعة ، تلك التي كان اليها أمر السياسة والحرب والدين . فانه عند ما انهدم كيان الحضارة الفرعونية ، انهار نظام الطبقات ، وعاد الملوك والأمراء والكهنة إلى حظيرة الشعب وصاروا أفراداً منه عاديين لا حقوق لهم غير حقوقه ، ولا امتياز لهم عليه

فهذا الفلاح الذي يمثل - اليوم - الشعب المصري الناهض ، قد كمنت فيه عبقرية الحضارة الفرعونية باندماج طبقة القسس والملوك فيه . وها هو قد أفاق من سباته ، وها هي عبقريته تستأنف نشاطها القديم على النسق القديم

ومن هنا نشأت الدعوة للرجوع إلى اتخاذ الفن الفرعوني ، والأدب الفرعوني ، والتفكير الفرعوني ، أساساً للنهضة المصرية الحديثة . ومن هنا نتجت الفكرة القائلة بإشاعة الروح الفرعونية في المبتكرات الحديثة ، في الفن والأدب والفكر ، كيما يبدع الأبناء على غرار ما أبدع الآباء

والآن ما هو قصارى ما أبدعه تلك العبقرية الفرعونية ؟ إنها أبدعت ديناً ، وشيدت حضارة على أساس هذا الدين . فانك تلمس في جميع مخلفات الفراعنة آثار دياناتهم ، وتلمح طابعها على ما تركوه من علم وفن وأدب وثقافة

كانت ديانة المصريين القدماء هي كل شيء في تلك الدنيا . مقتضاها توزع الشعب إلى طبقات ومقتضاها فقد الفرد حرية العمل وحرية الآراء وحرية التفكير . والواقع أن الحضارة الفرعونية سخرت الأعصاب الناهضة لمجموع أمة مغلوبة على أمرها ، إن هذه الأقلية الضئيلة خضعت لرجال الدين ، لدرجة أن الملك كان آلة في يد الكهنة ، وأداة لتنفيذ مآربهم

فاذا قلنا إن الفن من روح الدين وفيضه ، تساءلنا : وأين هي ديانة قدماء المصريين؟ إنها ديانة ساذجة أقيمت على أسس من الخرافة ، وأدت واجبها في عصر ساد فيه الظلم والجهل ، وساد الفقر . ولا مجال للظن بأنها ستبعث يوماً من الأيام . ذلك لأن الانسانية اطرحت الوثنية ولن تتقهقر أجيالا فتعتنق ما نبذت عقلاه . فأولى - والأمر هكذا - أن تصبغ الفنون والآداب في نهضة مصر الحديثة بصبغة الدين الاسلامي ، وتضيء جدائتها بروحه ، ويستلهم الفنان والأديب والشاعر والمفكر وحيه من الله الواحد الأحد - من الخالق الأعظم والفنان الأكرم !

وإذا قلنا إن الفن شيء والدين شيء آخر ، وإن روح الفن لا ينبغي بالضرورة أن تصبغ بروح الدين ، تساءلنا عن روح الفن ماهي ؟... هل روح الفن الرفيع على أنواع ، فمنها الفرعوني ومنها الاغريقي ومنها العربي ومنها غير ذلك ؟

الجواب عن ذلك : أن الفن الرفيع يخلد إذا توافرت فيه شرائط معينة يعرفها تلاميذ المدارس كالتناسب بين الاجزاء ، والانسجام وكمال الوحدة . ولا علاقة بين هـــذه الشرائط الضرورية للفن الجميل و بين الاجناس البشرية وعهود التاريخ ومختلف الحضارات . فاذا تهيأ لمصر الحديثة أن تبدع فنا جميلا وأدباً جديداً ، فلن تكون ثمة علاقة بين ما تبدعه وبين ما ابدعه الاجداد الفراعنه ، إلا ما يشيع فى سائر الفنون من روح التناسب والانسجام وكمال الوحدة وما إلى ذلك

هناك إحساساتنا وعواطفنا ، وهناك آمالنا وآلامنا ، وهناك الاحداث التى تقع على مرأى منا ، والتقلبات التى تمتور بيئتنا ـ بالاختصار هناك الحياة عدمها وجزرها ، وهناك الطبيعة المحيطة بنا ، وهناك الكون الذى نقع منه أرضنا موقع الذرة من الجبل الشامخ

هناك هذه كلها ، وهى مصدر الادب ، وهى مادة الفن الجميل . وليس من المعقول أن نحس كما كان يحس الاجداد ، بل المعقول أن تكون قلوبنا أمر إحساساً والطف شعوراً بالحياة ، والمعقول أننا أوسع من القدماء ذهنا وأرحب نظرة . هذا إلى أننا نعيش فى ظل مدنية اندمجت فيها سائر المدنيات ، وتتغذى عقولنا بثقافة هضمت غابر الثقافات وزادت عليها كنوزاً فوق كنوز . فكيف يقال بعد ذلك إن الروح التى تلهم الادب الجديد والفن الطريف ، وتلهم رجال الفن فيها ، هى روح فرعونية ؟ . . أو يجب أن تكون روحا فرعونية ؟

على أنك لو سألت القائلين بهذا الرأى ما : ما هى الروح الفرعونية ؟ لحاروا جوابا واستبهم عليهم المقصود بمعنى الروح إن هى إلا كلمة جوفاء لا مدلول لها وخير لنا أن تتمنى للادب الجديد والفن الناشىء عندنا أن يكونا رهمين يستوفيان عناصر الخلود وخير لنا أن نرجو لرجال الفكر بيننا أن يكونوا خالقين ومبدعين ، لا مقلدين عاكفين يرددون أفكار الغير . وقد لا يتورع بعضهم فينتحل بضاعة سواه ويدعى لنفسه السبق والتبريز

محمد شكرى الحلبي

أخوات

أنما الشام والعراق ومصر	أخوات وإن تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل	ما رجاه لخيرها الراجونا
فليقم كل طالب عربى	وليقل بعد دعوتى آمينا

عبد المحسن الكاظمى

فبفضل ما قام به مستر روك ورفاقه الجريئون من جلب هذه البذور تمكن الاميركيون في جزر هاواي من زرع أشجار الشولموغرا . وسيأتي يوم يتمكن فيه أيضاً الطب الحالي من الحصول على كميات وافرة من زيت تلك الاشجار لمداواة أولئك المصابين التعساء الذين يعدون الآن بالالوف

والبرص وان كانت قد خفت وطأته وقلت ضحاياه في هذا العصر بالنسبة إلى العصور السابقة ، الا أنه ما يزال متفشياً في كثير من المستعمرات كجزائر الفيليبين ومدغشقر والانتيل وغيرها ، وفي بعض أنحاء أوربا كفرنسا وايطاليا وأسبانيا والبرتغال والمانيا وسيبيريا ، ثم آسيا وأفريقيا واوقيانيه ، وخصوصاً البرازيل التي لا يقل عدد الاصابات فيها عن ٣٠٠ الف في ٤٠ مليوناً من السكان . اذ ان الاصابات بهذا الداء في ولاية ميناس جيراس وحدها يبلغ عددها ١٠٠٠٠ ، وفي ولاية بارا ٣٠٠٠ وفي ولاية الامازون ٦٩٠ ، وهكذا قل عن اكثر الولايات التي تتألف منها الجمهورية البرازيلية . مما أهاب بحكومة تلك البلاد الى اتخاذ تدابير خاصة لمكافحة الداء وانشاء المستشفيات لحجز المصابين به والاهتمام بأمرهم اهتماماً جدياً

ومداواة هذا الداء هي كما نوهنا في صدر هذا المقال باستعمال زيت الشولموغرا الذي له تأثير نافع في كلوم البرص وقروحه المعروفة ولكراهة طعمه يمكن تناوله بواسطة Capsules (برشام) فيبلع في اليوم من ١ الى ٤ او اكثر . وقد توصل علماء الكيمياء في العصر الحاضر الى استخراج عنصر منه تحقن به العضلات فيحرق الغلاف الشمعي الذي يحتوي على « باشلس المرض » والتي كانت في مأمن من دفاع الجسم

وقد برهنت التجارب على صحة المعالجة بزيت الشولموغرا وشفى أغلب المصابين به بدون ان يحصل لهم أي انتكاس

غير ان مدة العلاج طويلة وتحتاج الى عدة شهور ، لكن النتائج كانت باهرة كما ذكرنا ، ففي الفيليبين تحسنت حالة ٩٣ في المائة من المصابين تحسناً عظيماً في غضون ١٠ أو ١٢ شهراً وهنالك مرضى آخرون في مستشفى هاواي وغيره قد شفوا من هذا الداء شفاء تاماً

الدكتور عبده رزق

عتاب

أباعدتمونا ما أقلَّ وفاءكم ! فليس على أنا بباعدكم ندم
ولكن وُدًّا كان ياليتَ لم يكن تمرُّ له ذكرى ويتبعها ألمْ

حسين شفيق المصري

سراب

للأستاذ خير الدين الزركلي

صدقَ الظنُّ ! كل ما يحملُ الأر ... ضُ ترابٌ يسيرُ فوقَ ترابِ
ليس فيما تراهُ حين تجولُ الـ ... عينُ ، في الكائناتِ غيرُ سرابِ

•••

حيرتني هدى الخليقةُ ، بالصا ... متِ منها والصارخِ الصخّابِ
ليس مكنونُها بأخفى من البا ... دي ، وإن غلّفوهُ بالأسبابِ
الدمى ، في زجاجها ، شاخصاتٌ ... كالدمى في سطورها والنقابِ
ضحكٌ يملأ المقاصيرَ قد ذَ ... لّلَ الصوتُ فيه صوتَ انتحابِ
تتأذى من مبسمٍ [illegible] ... [illegible] الصلابِ
ولعلَّ السمومَ [illegible] ... ثغورِ العذابِ !

•••

كهرباءٌ تموتُ لو لم [illegible] ... [illegible] ما بي
كمنتْ في الحديدِ سلكاً فسلكاً ... تتمشى كالروحِ في الأصلابِ
إن تشأها صواعقاً ورجوماً ... مادتِ الأرضُ بالربى والشعابِ
أو تشأها نيازكاً ونجوماً ... لعبتْ بالنفوسِ والألبابِ

•••

يضحكُ الكوكبُ المنيرُ من الرا ... صدِ مستمسكاً بأسطرلابِ
ذرةٌ حدّقتْ بضوءٍ تراعيـ ... ـه بعينيْ ترصّدٍ وارتقابِ !

•••

ينقلُ الصوتَ ناقلٌ غيرُ مرئيّ ... ويأتيكَ صوتُهُ بالجوابِ

ما أداةُ الصَّدى، وإن خلقنا الحسْ ـسُ أداةٌ، إلا خداعٌ كذّاب!

• • •

عُمُرُ الدهرِ كلّما قلتَ: قد مرْ ـرَ نِصابٌ منه أتى بنصاب!

• • •

ناطحاتُ السحابِ، أنشأها الما لُ، ثم استقرّ في سرداب!
خُضرةُ العشبِ لاصفرارٍ، على النـ ـزْقِ، والنجمُ آيلٌ لاحتجاب
واحمرارُ السماء، والفجرُ ينشقُّ عروسٌ تجمّلتْ بخضاب

• • •

للشبابُ الشبابُ! حلمٌ جميلٌ والمشيبُ المشيبُ! فصلُ الخطاب!
بعُدَ البَوْنُ بين أمسِكَ واليو مِ، وشتّانَ ما معدٍ وكابي
ليس للشمس، والضحى متلالٍ رونقُ الشمسِ آذنتْ بغياب
ينعمُ المرءُ في الحياة ويشقى وتمامُ النعيمِ بعدَ العذاب
بالذي مرّ من حياتك تحيا ذكرياتُ الصبا زادُ الإياب
الليالي تمضي وهنّ يُولّيـ ـنَ لأهلِ الكتمانِ ترضُ الكتاب

• • •

أطلقِ العينَ، وافتحِ النفسَ، وانظر ماذا ترى خلفَ هذه الأنصاب؟
أشخوصٌ تلوحُ فوقَ رمالٍ؟ أم تُراها قوائمُ الأعشاب؟

• • •

تُخيّلَ الناسُ بالخيالِ وبالوهـ ـمِ، وضلّ النبيُّ والمتغابي
ضرّوا بالحقيقةِ الأرضَ، وانسا قوا إلى باطلٍ لهم خلّاب
طالبُ الحقِّ، جاهلٌ بطباعِ الـ ـخلقِ، يبغي الأسلابَ من سلّاب
كلُّ ما تعرضُ الطبيعةُ زورٌ! كذبَ الحسُّ إن أتى بصواب

• • •

أيّهذا الساري بنا، لا ضللتَ النهـ ـجَ، رفقاً، سُراكَ جمُّ الصعاب

نحنُ في مُطمئنٍ : من حنَّتِ الجبـ ـلِ توارتْ أمواؤه ، والضباب
تنعب العينُ في الفضاء وترتدُّ كليلاً إنسانُها ، في اضطراب
تُرقُبُ النورَ ، والظلامُ كثيفٌ في سحابٍ مُجلَّلٍ بسحاب
وتُعِدُّ اليدينِ ، في حيثُ لا تُـ ـبصر ، غرقى في لُجٍّ من عُباب
حُنَّ سِرُّ الحياة ، في ظُلُماتِ الـ ـغيبِ ، مُستخفياً وراء حجاب
حَظُّ مَن هامَ في تطلُّبِه الأز ـنة لم يجنِ غيرَ طولِ ارتياب !

• • •

مُتَعُ العيشِ هنَّ والله كلُّ الـ ـعيشِ بينَ الهوى وبينَ الشباب
الثواني نعيشهنَّ على الـ ـماءِ أرضى لنا من الأحقاب

خير الدين الزركلي

عذاب

ذابتْ دموعيَ في هواك وأماتَ طرفي عن سواك
وبذلتُ روحي ما بخلـ ـتُ بها فخذ روحي فداك
يا من أذاب حشاشتي هذا جنته مقلتاك
وأنا أسيرك يا حبيـ ـبي ما سعيتُ إلى فكاك
لم أشكُ منك ولا عتبـ ـتُ ولا طلبتُ سوى رضاك
ما راعك طيفك ماثلاً لي في رضاك وفي جفاك
يا طيفُ هل أبقيتَ غيرَ حشى يداعبها الهلاك
عذبتَ نفسي ههنا أترى تعذبها هناك

سليم عبد الاحد

الصليب

قبل المسيحية وبعدها

يخطئ من يزعم أن الصليب كان منذ أول عهد المسيحية رمزاً دينياً أو أن المسيحيين أول من اتخذه شعاراً لهم يتميزون به عن غيرهم من أتباع الأديان المنزلة . بل يخطئ من يزعم أن الصليب لم يكن عند غير المسيحيين أو أن استعماله مقصور — حتى الآن — على الشؤون الدينية فقط . فقد أثبت التاريخ أن هذا الشعار كان في العصور السالفة رمزاً قومياً ودينياً في عدة أنحاء من بلاد الشرق ، وأن دلالته على المسيحية لا ترجع إلا إلى عهد الإمبراطور قسطنطين في أوائل المائة الرابعة للميلاد

وفي الواقع أن الصليب كان شعاراً قومياً ودينياً شائعاً في مصر وسورية وبلاد فارس والهند وغير هذه من أنحاء الشرق . بل لقد كان من أقدم أدوات الزينة التي استعملها الإنسان منذ فجر المدنية . فقد عثر علماء الآثار على تحف قديمة كثيرة ترجع إلى ما قبل زمن المسيحية بكثير . وقد نقشت عليها صلبان مختلفة الأشكال في جميع أنحاء الشرق ، بل إن هنالك آثاراً قد نقش عليها الصليب وترجع إلى العصر الحجري . والرأي المجمع عليه اليوم هو أن الصليب كان شعاراً دينياً عند معظم شعوب الشرق قبل ظهور المسيحية بزمن طويل وكان بينه وبين الشعائر الدينية المختلفة ربط وثيقة

أشكال الصليب

كان الصليب منذ أقدم الأزمنة على ثلاثة أشكال وهي الآتية :

(١) صليب « تاو » أي الصليب الذي على شكل حرف « تو » باليونانية أو حرف T باللغات الافرنجية . وهو قطعة عمودية (من الخشب أو الحديد) تعلوها عارضة أفقية . ويعرف أيضاً بصليب القديس انطوان ويسمى باللاتينية (Commissa)

(٢) الصليب القائم وهو قطعة عمودية تقطعها عارضة أفقية هكذا + ويعرف بالصليب الروماني ويسمى باللاتينية (Immissa)

(٣) الصليب المائل وهو قطعتان مائلتان متعارضتان بشكل الحرف (X) باللغات الافرنجية ويعرف بصليب القديس اندراوس ويسمى باللاتينية (Decussata)

وهناك أشكال أخرى لم تكن كثيرة الاستعمال ، ولكنها كانت معروفة قبل عهد المسيحية ، وأهمها الصليب المسمى جاماديون او (Crux Gammata) سمي بذلك لأنه يشبه حرف « جاما » باليونانية وهو المستعمل اليوم شعاراً للنازي في ألمانيا

وكان النوع الأول من الأنواع التي ذكرناها (صليب تاو) كثير الشيوع في مصر وآشور حيث كان القوم يعتبرونه شعاراً دينياً ورمزاً إلى بعض آلهتهم. وكثيراً ما نجد هذا الشكل منقوشاً على الآثار المصرية تعلوه حلقة صغيرة تجعله شكل مفتاح. وكان الصليب معامليونه كثير الشيوع في الصين والهند قبل ظهور المسيحية بقرون كثيرة ونجد آثاره في أنحاء مختلفة حتى في أوربا وأميركا مما يدل على أنه كان رمزاً دينياً كثير الشيوع في الأزمنة القديمة. وقد وجد هذا الشكل منقوشاً بشكل دائرة على قطع مختلفة من النقود القديمة وعلى طائفة كبيرة من أدوات الزينة قبل عهد المسيحية في عدة أنحاء من بلاد الشرق والغرب

كل ذلك دليل على أن الصليب لم يكن في الأصل شعاراً خاصاً بالمسيحية بل هو من أقدم الرموز التي استنبطتها مخيلة الانسان وعزت إليها قوة سحرية خارقة ولهذا السبب اهتدى فكر الانسان إلى هذا الشعار. ولعل شكله هو أقدم الأشكال الهندسية التي خطرت ببال الانسان منذ فجر المدنية إلا إذا اعتبرنا الخط المستقيم شكلاً هندسياً

الصليب والصلب

رأينا أن الصليب لم يكن من مستحدثات المسيحية بل وجد منذ أقدم الأزمنة وشاع استعماله سياسياً ودينياً في جميع أنحاء الشرق. أما استعماله كعقوبة للمجرمين فليس قديماً وليس هناك دليل على أن الصلب كان معروفاً عند قدماء المصريين أو الآشوريين أو البابليين. ولكنه كان معروفاً على ما يظهر عند اليهود كما يفهم من آية في سفر التثنية، بالاصحاح الحادي والعشرين والآية ٢٢ ــ ٢٣ إذ يقول: «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله». وجاء في سفر يشوع في الاصحاح الثامن والآية التاسعة والعشرين قوله: «وعلق يشوع ملك عاي على الخشبة إلى وقت المساء. وعند غروب الشمس أمر يشوع فانزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة». وفي الاصحاح العاشر من سفر يشوع والآية السادسة والعشرين قوله: «وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء» (الاشارة هي إلى ملوك الأموريين الخمسة الذين حاربهم يشوع وانتصر عليهم)

وسواء أكان المراد بالتعليق على الخشب هو الصلب أم أي عقاب آخر، فان المعروف أن الأمم الشرقية هي التي ابتدعت عقوبة الصلب وكانت كثيرة الشيوع بين أهل قرطاجة، وعنهم أخذتها الرومان وكانوا يعتبرونها من أشد العقوبات وأفحشها ولذلك كانوا يقصرونها على العبيد والخونة. وكان اليهود يعتبرون المصلوب ملعوناً وشريعتهم تأمر بإنزال المصلوب عن الصليب ودفنه سريعاً. وكثيراً ما كان المحكوم عليه بالصلب يعذب بأقسى أنواع العذاب، وقد يرسل فيه «الخازوق» بعد أن يعرى ويوثق

يداه ورجلاه بالحبال أو السلاسل أو تسمر بالمسامير وترك ليموت عطشاً ودماؤه تنزف من جسمه. وكان القانون الروماني يقضي فوق ذلك بأن يعرى المحكوم عليه ويربط الى وتد يعلو حقويه ثم يجلد بعصى أو اسواط من جلد في أطرافها قطع من الرصاص او العظام. ومتى تم هذا الجزء من العقاب أمر المحكوم عليه بالصلب بأن يحمل صليبه ويسير به إلى المكان المعد لصلبه في إحدى الساحات العامة أو خارج المدينة. ولذلك كان ذلك البائس يموت أحياناً من شدة العذاب والاعياء قبل أن يصلب، فاذا وصل بصليبه إلى المكان المعد له عرى مرة أخرى وركز الصليب في الارض بحيث ترتفع قدما المصلوب قليلا عن الارض — نحو ذراع أو اكثر — ثم أوثقت يدا المحكوم عليه بعارضة الصليب بالحبال لكي يتسنى تسميرها بمسامير من حديد

ولا يعلم بالتمام هل كانت القدمان تسمران معا أو تربطان بحبل معا او كانت كل منهما تسمر على حدة

ولتقليل ألم المصلوب كانوا يعطونه خمراً ممزوجة بمر لكي تخدر أعصابه.وفي بعض الاحيان كانوا يعطونه خلا أو شرابا آخر لانعاشه، ثم يعهدون في حراسته الى بضعة رجال من الجنود

وكانوا يكتبون فوق الصليب سبب الحكم الصادر على المصلوب وما ارتكبه من جريمة. وكثيراً ما كانت جثته تنهش وتسقط من تلقاء نفسها الى الارض. على ان الرومان أذنوا لليهود بأن ينزلوا المسيح وهو بعد على الصليب لكي يتسنى لهم انزاله ودفنه قبل غروب الشمس طبقا لاوامر شريعتهم. وقد احتالوا على اماتته بطرق شتى كانت منها ان عمد أحدهم الى الصليب وكسر الساقين بمطرقة من حديد والطعن بالرمح

ولا حاجة الى القول إن الصلب من أفظع الطرق الوحشية التي استنبطها عقل الانسان لتعذيب المجرم. وقد قال شيشرون الخطيب المشهور في ذلك: «يجب محو كلمة الصليب من أفكار الرومان وإزالتها من امام أعينهم ومن مخيلتهم. فان ذكر الصلب وامكان وقوعه وانتظاره مما يشين كل روماني حر»

ومع شدة الآلام التي كان المصلوب يعانيها على الصليب من جراء آلامه ونزف دمه وعطشه، كان يظل أحيانا ثلاثة أيام متوالية قبل أن يموت. وهذا مما يجعل عقوبة الصلب أشنع وأفظع

الصليب في أوائل المسيحية

علمت مما تقدم أن عقوبة الصلب كانت موقوفة على شر أنواع المجرمين. ولا حاجة إلى القول إن اتخاذ المسيحيين الصليب شعاراً كان بناء على حادثة صلب المسيح التي جعلت لهذا الشعار عندهم قيمة خاصة. وإنه لغريب جداً أن يتخذوا هذا الشعار الذي كان وثنيا في الاصل والذي شاع استعماله في معظم بلدان الشرق الوثنية في الحقب الخالية. على أن الذين يزعمون ان المسيحيين اتخذوه

شعاراً منذ حدوث الصلب يخطئون . نعم ان الرسل والحواريين كانوا يهتمون بالصليب ويفتخرون بحادثة الصلب ازاء تعيير اعدائهم لهم، الا أن الصليب لم يصبح شعاراً رسميا لهم إلا في أوائل القرن الرابع بعد الميلاد أي في عهد الامبراطور قسطنطين إذ أصبحوا لا يخشون من المجاهرة بديانتهم، وقد كانوا حتى ذلك العهد عرضة لاشد أنواع الاضطهاد، فكانوا يستعملون الصليب في مجتمعاتهم الخاصة والسرية فقط . ولا يخفى أن قسطنطين تنصر في أوائل القرن الرابع وكان تنصره على أثر حادث غريب . ذلك أن حربا وقعت بينه وبين منافسه مكسنتيوس . وفي الليلة التي سبقت المعركة الفاصلة بينهما خيل الى قسطنطين انه رأى اشارة الصليب مرسومة في الجو وقد كتب تحتها هذه الكلمات وهي : «بهذا سوف تنتصر» فلما جرت الموقعة وانتصر على مكسنتيوس تنصر وتنصر معه الكثيرون من رعاياه ؛ ومنذ ذلك اليوم ارتفع شأن الصليب واصبح شعاراً معترفا به لأتباع الديانة المسيحية

وقد يخطر ببالنا هذا السؤال وهو : «هل عثر المسيحيون على صليب المسيح التاريخي ، وهل للتقاليد الكثيرة المتعلقة بوجود ذلك الصليب أي نصيب من الصحة ؟»

لعل في مقدمة القصص الخاصة بالصليب ما يقال من ان هيلانة زوجة الامبراطور قسطنطين المذكور آنفا (وقد سميت القديسة هيلانة) عثرت في اليوم الثالث من شهر مايو سنة ٣٢٦ على الصليب الحقيقي . ذلك انها كانت تطوف بلاد القدس تفتش ومعها دليلها وهو شيخ يهودي من اهالي البلاد قيل انه كان قد ورث عن آبائه واجداده معرفة المكان الذي صلب عليه المسيح تماما والمكان الذي دفن فيه وجميع الاماكن التي لها علاقة بحادثة الصلب، وقد ارشد الدليل الامبراطورة الى جميع تلك الاماكن حتى وصل بها الى الموضع الذي قيل انه دفن فيه هو وصليبه ، فامرت الامبراطورة بأن تحفر الارض هنالك ففعلوا ما أمرت وحفروا الارض الى عمق بضع أذرع فعثروا على ثلاثة صلبان مدفونة هنالك قيل انها صليب المسيح وصليبا اللصين اللذين صلبا معه . وكان على عارضة كل صليب كتابة تدل على اسم المصلوب والجريمة التي حكم عليه من اجلها ، ومن هذه الكتابة عرف صليب المسيح . وكان مع الصليب مجموعة من المسامير هي على الارجح المسامير التي استعملت عند صلب المسيح

هذه خلاصة تلك الاسطورة وكثيرون من المسيحيين يصدقونها . قيل ان الامبراطورة أو القديسة هيلانة تحققت ذلك الصليب لان امرأة عليلة كان الاطباء قد قطعوا كل أمل من شفائها اضطجعت فوق الصليب وما كان أشد ذهولها اذ نالت الشفاء التام في الحال

وقد روى هذه الاسطورة عدة كتاب ومؤرخين . الا أن أوسيبيوس اسقف قيصرية الذي عاش من سنة ٢٦٧ الى ٣٤٠ بعد الميلاد وكان من أشهر مؤرخي الديانة المسيحية ، لم يعر هذه الاسطورة أية عناية في مؤلفه المشهور — التاريخ الديني — ولهذا يرتاب الكثيرون في صدقها،

أضف الى ذلك أن هنالك أسطورة أقدم وخلاصتها ان صليب المسيح الحقيقي وجدته الامبراطورة بروتو نيسه زوجة الامبراطور تيوديوس . وعلى كل فمن المحتمل جداً أن يكون المسيحيون فى القدس فى القرن الرابع قد عثروا على الصليب الحقيقي كما أن من المحتمل أن يكونوا قد عثروا عليه فى أثناء أعمال الحفر التى قام بها مكاريوس أسقف القدس فى سنة ٣٢٧ بعد الميلاد

وفى سنة ٣٣٥ بنى المسيحيون فى القدس كنيسة فى المكان الذى كانت الاساطير تقول ان صليب المسيح نصب عليه . وفى سنة ٦١٤ غزا الفرس القدس ونهبوا تلك الكنيسة وجميع ماوجدوه فيها من آثار نفيسة . الا أن الامبراطور هرقل (امبراطور بيزنطة) تمكن من استرجاع تلك الآثار

أما الكتابة التى كانت منقوشة على صليب المسيح والتى قيل ان الامبراطورة هيلانة وجدتها على صليب المسيح فقد أرسلها زوجها الامبراطور قسطنطين الى مدينة روما حيث لا تزال محفوظة فى كنيسة « الصليب المقدس » الى هذا اليوم . اما المسامير فالاساطير بشأنها كثيرة مختلفة . ولعل اختلافها هذا ناشىء عن اختلاف الروايات المتعلقة بصلب المسيح . فبعض تلك الروايات تقول ان كل ساق من ساقي المسيح سمرت وحدها بمسمار . وبمقتضى هذه الرواية يكون مجموع عدد المسامير التى استعملت فى صلبه أربعة مسامير . وتقول رواية أخرى ان الساقين وضعتا معاً — إحداهما على الاخرى — وسمرتا معاً فتكون ثلاثة مسامير . وفى رواية أخرى أنهما سمرتا بمسمار واحد . والرأي الشائع أن مجموع المسامير التى استعملت فى صلب المسيح لا يزيد على أربعة — اثنين للذراعين واثنين للساقين . وفى بعض الاساطير أن الامبراطورة هيلانة ألقت بأحد تلك المسامير فى البحر وهو هائج هياجا شديداً فهدأ البحر وساده سكون تام . وقيل إن مسماراً آخر ذوب وصنعت منه حلقة زين بها تاج مملكة لمبارديا القديمة . وفى ميلان وتريفس وغيرهما من مدن أوربا عدة مجاميع من المسامير يزعم أصحابها انها المسامير التى سمر بها المسيح على الصليب

وقد أصبح المسيحيون يستعملون اشارة الصليب فى أحوال كثيرة . ذكر ترتليانوس وغيره من مشهورى الكتاب فى أوائل عهد النصرانية أن المسيحيين فى ذلك العهد كانوا يستعملون اشارة الصليب فى كل عمل وفى كل حالة . قال ترتليانوس : « فى كل سفر ، وعند كل خطوة ، عند الدخول وعند الخروج ، عند لبس الحذاء أو دخول الحمام أو الجلوس إلى المائدة أو انارة المصابيح أو الاضطجاع أو الجلوس أو القيام أو الشروع فى أى عمل ، يرسم المسيحي على وجهه وصدره علامة الصليب » . فلا عجب اذن ان كانت هذه الاشارة شائعة بين المسيحيين وما تزال كذلك فى جميع شعائرهم الدينية وطقوسهم المختلفة . وبلغ من اهتمامهم بها وتقديسهم لها أن القديس اغسطينوس كتب يقول : « ان الشعائر الدينية لاتعتبر تامة ومستوفاة اذا لم تصحبها اشارة الصليب . وما تزال الحال كذلك عند المسيحيين »

الصليب شعار سياسي

قلنا في صدر هذا المقال إن الصليب في العصور الخالية ـ أي قبل عصور المسيحية ـ لم يكن رمزاً دينياً فقط بل كان شعاراً قومياً أيضاً في عدة أنحاء من بلاد الشرق . وفي الواقع أن استعماله شعاراً قومياً أو سياسياً شائع عند المسيحيين وبين الدول والامارات المسيحية منذ العصور المتوسطة بل قبلها بزمن . وفي عصور الاقطاع وعصر نشوء (الفروسية أو الشيفالري) اتخذ الكثيرون من الامراء والحكام الصليب شعاراً سياسياً وحربياً لهم . فكان شعار فرسان مالطة مثلا صليباً أبيض اللون على بقعة سوداء . وكان لفرسان الحارتر واعضاء جمعية القديس ميخائيل شعار نقش عليه صليب من نوع صليب القديس اندراوس ويشبه حرف (X) كما تقدم القول . وقلما كان يخلو شعار من شعائر الامراء والحكام المسيحيين من اشارة لصليب بشكل من الاشكال . وما تزال هذه الاشارة كثيرة الشيوع بين الدول المسيحية . فالراية الانجليزية ومعظم رايات المستعمرات الخاصة للدولة البريطانية عليها صلبان بأشكال مختلفة . ولأوستراليا وكندا والدنمرك وايطاليا واسوج ونروج وسويسرا وجمهورية سان دومنيك وغيرها رايات قد نقش عليها الصليب . ولا نبالغ اذا قلنا إن المسيحيين عنوا بهذه الاشارة أكثر مما عنى المسلمون بشارة الهلال . وعلى كل فقد أصبحت هذه الشارة عند الدول شارة سياسية صرفة ، فكأنها عادت إلى ما كانت عليه منذ أقدم الازمنة

تعليق على مقال

[نشرنا في عدد فبراير الماضي مقالا للأستاذ أمين الخولي بعنوان « الشرق شرق والغرب غرب » . وقد انتقد فيه ما كتبه فضيلة الشيخ يوسف الدجوي بالجزء الاول من ترجمة دائرة المعارف الاسلامية . وقد أرسل الينا فضيلة الاستاذ الدجوي هذه الكلمة رداً على ما جاء خاصاً به في هذا المقال]

يعيب علينا الأستاذ اعتبارنا التوراة وسعينا للتوفيق بينها وبين القرآن ويقول

إن هذا اعتراف منا بتقابل المصدرين (القرآن والتوراة) وهو ما لا أفهم اتفاقه مع المقررات الاسلامية في تحريف التوراة وتبديلها . فانها ما دامت كذلك لا يكون لها من المركز الديني ولا العلمي أيضاً ما يدفع إلى التماس التوفيق بينها وبين القرآن واعتبارها مصدراً مقابلا للقرآن . ما هي مصدر ولا نرجع اليها في خبر ولا غيره ما دام ذلك اعتقادنا فيها . ولا علينا من إعلان ذلك وترتيب آثاره عليه . ولقد يتهمها العلم اليوم مثل اتهامنا الاعتقادي لها أو أكثر ، هذا ما يلاحظه علينا من الوجهة الدينية . ولو علم الأستاذ أن المترجمين لدائرة المعارف

الفرزدق

شاعر الفخر والهجاء

بقلم الأستاذ الشيخ احمد الاسكندرى

هذا فصل مفيد من حياة شاعر كبير من شعراء صدر الاسلام ، وهو أطول فصل كتبه عن هذا الشاعر أديب من شيوخ الادب العربى . وهو من النوع الذى يجري [illegible] فى مطالعه الناشئة خصوصاً على الادب القديم . ونحن ننشر هنا القسم الاول منه وفى العدد القادم ننشر القسم الثانى

ولد الفرزدق حوالى سنة ١٩ هـ فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت عشيرته من بنى مجاشع بن دارم ممن نزل البصرة من بطون تميم أول اختطاطها بعد الفتح ، وكانت لهم خطط ودور بالبصرة ينزلونها فى بعض فصول السنة ويتبدون فى بعضها الآخر ، وكان أبوه غالب بن صعصعة ينزل السيدان من بادية البصرة بالقرب من كاظمة على ماء كانت تنزل حوله قبائل شتى من قيس وتميم . وكانت البصرة فى أول أمرها تعتبر معسكراً سفاتلة من العرب لا يخالطهم فيها إلا مواليهم ، فكانت بيئة عربية محضة . نشأ الفرزدق ما بين السيدان والبصرة فصيح اللهجة معاً [illegible] حفظاً غريبها عالماً بأخبار العرب وأيامهم وأيام تميم وخاصة أيام بنى دارم فى الجاهلية والاسلام ، [illegible] فأعجب به أبوه ، وكان من شيعة أمير المؤمنين على ، فأتاه عقب [illegible] من وقعة الجمل ومعه ابنه الفرزدق ، فسأله عنه فقال : « هذا يوشك أن يكون شاعراً مجيداً » ، فقال : « أقرئه القرآن فهو خير له » . فما زالت كلمة أمير المؤمنين تعمل فى نفس الفرزدق دهراً طويلاً حتى عمل بها بعد أن جاوز الثلاثين

وكان أبوه غالب كريماً متلافاً سيداً شجاعاً ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمر حتى مات فى إمارة زياد وخلافة معاوية ودفن بكاظمة ، وكذلك كان جد الفرزدق صعصعة من أكرم الناس فى الجاهلية وأشرفهم ، وكان شاعراً مقلا يلقب بمحيي الموءودات ، لأنه كان اذا علم برجل يهم بوأد ابنته للفقر اشتراها منه بناقتين لقوحين وجمل ، فجاء الاسلام وقد فدى ستين وثلثمائة موءودة لم يشاركه فى هذه المكرمة أحد ، حتى أنزل الله تحريم الوأد فى القرآن . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم وعلمه آيات من القرآن ، وسأله : هل له فى فداء الموءودات من أجر ؟ فقال له : « هذا من البر ولك أجره إذ من الله عليك بالاسلام » .

فذلك يفتخر الفرزدق على جرير ، لأن آباءه كانوا وضعاء . وفطر الفرزدق على الهجاء من صغره . قال عن نفسه : « كنت أهاجى شعراء قومى فى خلافة عثمان بن عفان ، فكان قومى يخشون معرة لسانى منذ يومئذ » .

ولما تدخل البعيث المجاشعي بين جرير وغسان فى تهاجيهما وظاهر غسان على جرير ، هجا جرير البعيث وتعرض لقذف نساء مجاشع ، ومجاشع هم رهط الفرزدق أيضا ، وكان الفرزدق قد حج وعاهد الله بين الباب والمقام الا يهجو أحدا أبداً ، وأن يقيد نفسه ولا يحل قيده حتى يجمع القرآن (أى يحفظه جميعه) مع أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب

وبلغ نساء بنى مجاشع أفحاش جرير فى قذفهن فأتين الفرزدق مقيداً فقلن : « قبح الله قيدك ، فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم ، فاحفظه كلامهن وفض قيده وقال :

الا استهزأت منى هنيدة أن رأت	أسيراً يدانى خطوه حلق الحجل (١)
ولو علمت أن الوثاق أشده	الى النار قالت لى مقالة ذى عقل
لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما	سعيت وأوضعت المطية الجهل
ثلاثين عاماً ما أرى من عماية	اذا برقت الا شددت لها رحلى
فان يك قيدى كان نذراً نذرته	فما بى عن أحساب قومى من شغل
انا الضامن الراعى عليهم وانما	يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

ثم هجا جريراً وهجاه جرير ، فما يقول قصيدة حتى ينقضها عليه جرير ، ولا يقول جرير قصيدة حتى ينقضها الفرزدق ، وورد معهما فى تهاجيهما أكثر من ثمانين شاعرا منهم الاخطل ، فظهر جرير عليهم كلهم واسقطهم وثبت له الفرزدق والاخطل . ومات الاخطل وبقى الآخران يتشاتمان سائر حياتهما . وكان جرير فى معظم الوقت لاول من تهاجيهما يقيم متنزلا بالبادية باليمامة ويرسل بالقصائد الى من بالبصرة من بنى يربوع . والفرزدق مقيم بالبصرة حيث الرواة وجمهرة العرب ، فارسلت اليه يربوع وأحضرته اليها فكانا يتهاجيان . فاما أن يتلاقيا بالمربد وقد يؤدى ذلك الى اقتتال بنى يربوع وبنى المجاشع ، واما أن تجتمع يربوع ورواة جرير عليه بالمربد ، وتجتمع مجاشع ورواة الفرزدق عليه بمقبرة بنى حصن ، والناس يسمعون فيا بينهما بأشعارهما بالبصرة ، وفى خلال تهاجيهما يهجو كل منهما بعض أنصار الآخر أو من يتعرض له ، فهجا الفرزدق فى أول تهاجيهما بنى فقيم وبنى نهشل ، فاستعدوا عليه زياداً ، وهو والى العراق من قبل معاوية ، وكان رجل جد ، فطلبه زياد فهرب الى المدينة المنورة وعليها سعيد بن العاص ، وهو وال على المدينة لمعاوية ، ومدحه فأمنه سعيد ، فأقام فى المدينة يختلف الى قيانها ويستمع الى غنائهن ، ولم تطل الأيام حتى عزل سعيد وولى مروان بن الحكم ، فاخذه بما كان يقول وينشد من أخبات قوله وأرسل يطلبه . فلما جاءه قال : « أتدرى ما مثلك ؟ حديث تحدث به العرب أن ضبعاً مرت بحى قوم ، وقد رحلوا ، فوجدت مرآة ، فنظرت وجهها فيها ، فلما نظرت قبح وجهها ألقتها وقالت : من شر ما اطرحك أهلك ؛ ولكن من شر ما اطرحك أميرك ؛

(١) هنيدة بنته

(يريد زياداً) فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام » . فخرج يريد اليمن . فلما كان فى أثناء الطريق علم بموت زياد فخر ساجداً ورجع

ولما مات معاوية وخالف أهل المدينة على يزيد ، وكاتب أهل الكوفة الحسين بالخلافة واستنهضوه اليهم سار اليهم فى أهل بيته ، فلقيه الفرزدق فى الطريق قادماً من العراق ، فسأله الحسين عن أهل الكوفة ، فقال له : « يا ابن رسول الله قلوبهم معك وسيوفهم مع أعدائك ! » ، ومضى كل لطيته

ولما دعا عبد الله بن الزبير بمكة لنفسه بايعه أهل العراق ، وبعث اليهم أخاه مصعباً ، وكانت تميم البصرة فيمن دخل فى دعوته ، ومنهم رهط جرير والفرزدق . فولى ابن الزبير على البصرة الحارث بن أبى ربيعة المخزومى القرشى الملقب بالقباع ، وهو أخو عمر بن أبى ربيعة ، وكان متنسكا يروى عنه الفقه والحديث ، فأغضبه تساب جرير والفرزدق ، وكره منهما إذاعة الفاحشة بين المؤمنين فهدم الدارين اللتين كانا ينزلانهما بالبصرة ليتأدبا ، فذلك حيث يقول الفرزدق وكان قد هرب منه :

أحارث دارى مرتين هدمتها وأنت ابن أخت لاتخاف غوائله
وقبلك ما أعيبت كاسر عينه زياداً فلم تقدر على حبائله
فآليت لا آتيه تسعين حجة ولو كسرت عنق القباع رواحله

وفى ذلك يقول جرير :

أحارث خذ ما شئت منا ومنهم ودعنا نقس مجداً تعد فواضله
فما فى كتاب الله تهديم دارنا بتهديم ماخور خبيث مداخله

ثم لما اتفق قتل ابن الزبير وماجت العراق بالفتن حتى خيرها حتى قتل عبد الملك بن مروان مصعباً ، وولى أخاه بشراً على العراق ، وكان أديبا يحب الشعراء ويحب أن يغرى بينهم فجعل من أخص مادحيه الفرزدق وجريراً . فلما مات بشر وآلت ولاية العراق الى الحجاج كانا من مادحيه . ثم اتصلا بعبد الملك بن مروان وزاحما الاخطل فى مدحه ، إلا أن الأخطل صانع الفرزدق وناصره على جرير كما علمت

وبقى الفرزدق وجرير يتكسبان بالشعر بمدح عبد الملك واخوته والحجاج وولاته زمن عبد الملك والوليد وسليمان وهشام . إلا أن الفرزدق لسوء سيرته وجهامة طبعه كان الولاة يجبهونه ويضطهدونه ، ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز ، نفاه مرة عن المدينة ، وحبسه مالك بن المنذر والى البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسرى

ولما كبر الفرزدق خمدت فيه ثورة الشر وتنسك وتاب وتوفى بالبصرة سنة ١١٩ ﻫ ودفن فى مقبرة بنى تميم بعد أن عمر نحو مائة سنة

أخلاق وصفات

نشأ الفرزدق مع أبيه وأهل بيته يقيم بالبصرة بعض السنة وباديتها بسيدان وكاظمة من ناحية سيف البحر بقية السنة ، فجاءت أخلاقه في جملتها خليطاً من أخلاق أهل البدو وأخلاق أهل الحضر ، وهو الى جفاء أهل البدو وغلظ طباعهم أقرب

ولم يكن أهل بيته الأدنون وصغار الانفس ساقطي الهمة كأهل جرير وأبيه عطية ، بل كانوا أغنياء كراما إلى حد الاسراف ، وبخاصة أبوه غالب . وعمر الفرزدق طويلا ورويت له أخبار كثيرة نستخلص منها عامة أخلاقه

كان الفرزدق باراً بأبيه متغاليا في حبه موقراً له في حياته وبعد مماته ، حتى لقد كان يجير من يعود بقبر أبيه غالب بكاظمة . وكان في استطاعته أن يعيش في مال أبيه رخي البال هنيء العيش لو لم يستمع الى تحريش السفهاء بينه وبين الناس . على أن اطباعه على الشعر منذ طفولته ولد فيه حب الانتصار والعنف والمباهاة ، وهي أخص صفات البدوي . ولم تكن المغالبة في الشعر الا بالهجاء والسباب والاقذاع في القول . فخرج الفرزدق شريراً سليط اللسان حريصاً على الشر يبادىء من لم يؤذه به . وكان ذلك سبباً في [illegible] الولاة له بالحبس والنفي والتشريد مراراً فلم ينتفع بتأديبهم . فخافه الاشراف والعظماء [illegible] بالمال والهدايا

وكان مع ذلك جباناً [illegible] كثير الهرب من الولاة حين يرى منهم جداً في الانتقام منه . وكان فاجراً لا يتورع عن ريبة ، وربما تاب عن بعض المعاصي واقتراف المحظور ثم يعود ، وحج مراراً وحده أو مع بعض الأمراء ، وأقام بمكة أو بالمدينة فلم يؤثر ذلك في تهذيبه

وكان فيه مع ذلك — ومع مدحه خلفاء بني أمية وهجاء تميم وأعوانهم — تشيع لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسره أحياناً ويظهر أحياناً على فلتات لسانه . على خلاف ما كان عليه أهل البصرة من النصب لعلي وآله لأنهم كانوا عثمانية منذ واقعة الجمل . ولعله ورث التشيع من أبيه غالب منذ قدومه على علي وتحريضه أن ابنه من شعراء مضر فامره أن يحفظه القرآن ، فما زالت كلمة أمير المؤمنين تختلج في صدره حتى قيد نفسه ليجمع القرآن بعد أن حج وتاب . وكان يقدم على السيدة سكينة بنت الحسين متيماً مستمنحاً

وحج هشام وهو شاب في زمن عبد الملك أو الوليد فرأى علي بن الحسين يطوف البيت والناس يفسحون له في المطاف . فتجاهله وسأل عنه ، فما كان من الفرزدق الا أن عنفه على تجاهله بقصيدة مشهورة فلناس حبسه مدة

وكان فخوراً إلى حد الغلو بنفسه وآبائه كثير التحدث عنهم في شعره ، وما من قصيدة له إلا غلب عليها فخره بآبائه لا يبالي أكانت في مدح خليفة أم سوقة أم هي في هجاء أم رثاء

وكان نزر الكلام في المدح قليله في الفخر فجعل جرير يظهر عليه أحيانا من هذه الناحية.

والفرزدق كأكثر الشعراء قليل الوفاء – مدح الحجاج في حياته وهجاه في مماته

شعره

قال الفرزدق الشعر منذ طفولته فأعجب به أبوه غالب إذ لم يكن هو شاعراً. ولم يقل الشعر أحد من أهل بيته من هذه الطبقة، وإنما كان صعصعة جده يقول المقطعات الهينة المقدار، يقولها في شأن نفسه. وقد قيل للفرزدق: «مالك وللشعر وما كان أبوك غالب شاعرا ولا كان صعصعة شاعراً. فمن أين لك هذا؟» قال: «من قبل خالي العلاء بن قرظة الذي يقول:

إذا ما الدهر جر على أناس   كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

وظهر لشعره من أول أمره روعة وقوة أسر. وقد انتحى به ناحية الهجاء لما فطر عليه من طبيعة الشر وحب اللجاجة ولبادة الخصام، فهاجى شعراء قومه، فلقوا منه شراً مستطيراً وتخوفه الأشراف وصانعوه. وأطمعه ذلك في اتخاذ الشعر حرفة يتكسب بها وقد كان له في مال أبيه وقومه غنية أي غنية!.

وكان الفرزدق قوي الذاكرة فحفظ من شعر الجاهلية والإسلام الكثير الغزير. وجمع من اللغة وتاريخ العرب في جاهليتها عامة وأيام قومه خاصة ما لم يلم به شاعر من أهل زمانه حتى ولا جرير والأخطل.

وكان طويل النفس في الهجاء والمناقضات والفخر، تزيد بعض أبيات قصائده فيها على المائة، قصير النفس في المدح فلا يكاد مدحه يبلغ ثلث ما في قصيده من النسيب والفخر

ومع فحولته في الشعر وحسن تأتيه ومواتاته له فإنه كان يحسد من دونه من الشعراء على البيت أو الأبيات القليلة يقع له فيها المعنى البديع، وخاصة إذا كان الشعر في فخر لا يراه الفرزدق يليق بهذا الشاعر فيغصبه أبياته ويقول له: «أنا أولى بها منك»، ويضمها إلى شعره فلا يستطيع الشاعر أن ينكرها عليه لعجزه عن مجاراته

[بقية الفصل في العدد القادم]   احمد الاسكندري

المجمع الادبي الفرنسي

يطوى ثلثمائة سنة

في الثالث عشر من شهر مارس الماضي ، انقضت ثلثمائة سنة على انشاء « المجمع الادبي الفرنسي » او « الاكاديمي فرانسيز » اشهر المجامع الادبية على الاطلاق ، واقدمها ، واشدها ثباتاً ورسوخاً ، وابعدها صيتاً وشهرة . فيجمل بنا أن نخص هذا المجمع العظيم بكلمة ، في الوقت الذي تنشأ فيه المجامع الادبية والعلمية اللغوية بكثرة في الشرق ، وفي الوقت الذي يبدأ فيه مجمع اللغة العربية جلساته ومباحثاته في مصر

لم يصدر المرسوم الملكي بتأسيس المجمع الادبي الفرنسي رسمياً إلا في سنة ١٦٣٥ في عهد الملك لويس الثالث عشر . ولم يسجل ذلك المرسوم في البرلمان الفرنسي إلا في ١٠ يوليه سنة ١٦٣٧ . غير أن المجمع الأدبي كان قائماً في الواقع قبل ذلك الوقت . إذ أن سجلاته دونت بصورة ثابتة ابتداء من يوم ١٣ مارس سنة ١٦٣٤ ، بفضل الوزير الفرنسي الشهير الكردينال دي ريشليو . وفي تلك السجلات التاريخية أثبتت أعمال المجلس ومباحثاته وقراراته منذ ذلك العهد الى يومنا هذا . فهي من هذه الناحية أنفس مرجع يستعان به في جميع ما يتعلق بالادب الفرنسي واللغة الفرنسية وتطوراتها

كان الكردينال دي ريشليو الوزير المعروف بثاقب رأيه وبعد نظره ، مشرفاً على مقدرات فرنسا قابضاً على مقاليد الامور فيها فعلم من بعض أصدقائه أن جماعة من رجال العلم والفضل وحملة الاقلام يجتمعون في منزل أحدهم « كونرار » ويتبادلون الآراء في الشؤون الاجتماعية والعلمية والادبية فأدرك ذلك الوزير أن في استطاعته توجيه تلك الاجتماعات إلى ناحية معينة وخدمة اللغة والادب بواسطة أولئك الافاضل وتحويل مجالسهم الى هيئة منظمة ثابتة خاضعة لأنظمة وقوانين وأغراض معينة . وفي أوائل سنة ١٦٣٤ أرسل الى الجماعة يطلب منهم موافاته الى مقره للتحدث في تنظيم تلك الهيئة فلبوا طلبه . وعقد اجتماع حضره الكردينال وبعض أولئك الاصدقاء الادباء . منهم جودو وجومبو وهابر وشابلان وكونرار والاب سريزى وجيرى وغيرهم . وفي الثالث عشر من شهر مارس ١٦٣٤ كان نظام « الاكاديمي » قد أوجد فعلا . وفتحت سجلات خاصة لتدوين محاضر الجلسات وأعمال الجماعة وقراراتهم وانتخب سريزى رئيساً ودبماري نائباً وكونرار أميناً للسر

وكان عدد أعضاء المجمع في بادىء الامر ثلاثين عضواً . وبلغ الاربعين في سنة ١٦٣٥ وبقي الاعضاء محافظين على هذا العدد منذ ذلك الوقت بحيث إن مجموعهم أصبح يعرف في فرنسا

باسم « بجمع الارمين » وأطلق عليهم الناس اسم « الخالدين » اعترافاً بفضلهم ودلالة على أن أسماءهم ستظل مدونة الى ماشاء الله فى سجل التاريخ

وكان الكردينال ريشيليو يرمى بتأسيس المجمع الادبى الفرنسى الى أهداف معينة تتعلق جميعها بتهذيب اللغة . وأهمها : وضع قاموس فرنسى وكتاب فى البيان وكتاب فى قواعد الشعر وكتاب فى قواعد اللغة . وقد بدأ المجمع بوضع القاموس منذ ذلك الوقت وظهرت الطبعة الاولى منه فى سنة ١٦٩٤ ثم جعل الاعضاء ينقحونه الى أن انتهوا من عملهم هذا فظهر القاموس بصورته الثابتة فى العام الماضى فقط . أما الاعمال الاخرى والكتب التى كان ريشليو يريد من الاعضاء أن يضعوها لخدمة اللغة فقد بقيت مشروعات على ورق

كان اختيار أعضاء الاكاديمى فى بادىء الامر بالتعيين . ثم وضع النظام الذى خضعت له الهيئة فيما بعد فاصبح بالانتخاب . فيتقدم المرشحون ويسط كل واحد منهم على المجمع الاعمال التى قام بها فى حياته والتى يعتقد أنها تخوله الحق فى دخول الهيئة . وكان المجمع يعقد جلسات عمومية يتباحث فيها الاعضاء فى اعمال ذلك المرشح ويبدون فيها رأيهم . ثم يجرى الانتخاب فيفوز من المرشحين من ينال الاكثرية المطلقة من الاصوات . وقد أدخلت تعديلات على طريقة الانتخاب فى بعض الظروف السياسية ، ولكنها أعيدت الآن الى أصلها ، ولا يزال انتخاب الاعضاء يجرى بهذه الكيفية إلى يومنا هذا

ومن الشروط التى يتمسك بها الاعضاء فى اختيار زملائهم شرط يعدونه لازما أيا كانت الظروف والاحوال وهو أن يكون العضو الجديد فرنسيا أصيلا

وللمجمع الادبى الفرنسى حق إخراج عضو من المجمع وشطب اسمه منه إذا ما وجهت إليه تهمة تمت بالدراهم ، وإذا ما ارتكب العضو عملا يخالف قوانين المجمع أو يسىء الى سمعته ، ولكن الاعضاء لم يلجأوا إلى تطبيق هذا الحق إلا ثلاث مرات فقط

المرة الاولى : شطب اسم أوجيه دى موليون سنة ١٦٣٦ لانه رفض أن يعيد أمانة مالية إلى صاحبها

المرة الثانية : شطب اسم فورتير فى سنة ١٦٨٥ لانه خالف نظام المجمع وأصدر قاموسا للغة الفرنسية

المرة الثالثة : شطب اسم الاب سان بيار فى سنة ١٧١٨ لانه أصدر كتاباً أهان فيه ذكرى الملك لويس الرابع عشر

هؤلاء هم الثلاثة الذين أخرجهم زملاؤهم من عضوية المجمع بعد مداولات ومناقشات عنيفة . وقد أخرج غيرهم ولكن بارادة الحكومات القائمة وقرارات الوزراء لاعتبارات سياسية ليس لاعضاء المجمع علاقة بها

وكانت التقاليد تقضي بأن يذهب العضو الجديد الى صاحب العرش فيقدم له الخضوع . ولكن اثنين من الاعضاء رفضا القيام بهذا الواجب . الاول « شاتو بريان » لانه لم يكن راغباً في المثول بين يدي نابوليون الاول . والثاني « بريه » لانه أبى المثول بين يدي نابوليون الثالث . ولكن هذا لم يمنع المصورين من الجلوس على كرسييهما والاشتراك في أعمال المجمع . وفي هذا ما فيه من مظاهر التسامح والتساهل

وكان أعضاء المجمع الادبي يعقدون جلساتهم في بادىء الامر في المنازل الخاصة ، الى ان قرر الملك لويس الرابع عشر وضع احدى قاعات قصر اللوفر تحت تصرف الجماعة لعقد جلساتهم فيها . وأنشئت بعد ذلك مجامع أخرى خضعت لقوانين سنتها الحكومات الفرنسية لهذا الغرض وأطلقت على مجموعها اسم « انستيتو » غير أن عدد المجامع الادبية والعلمية والفنية في فرنسا يبلغ العشرات . وجميعها تتمتع برعاية الحكومة وحمايتها ومساعدتها الادبية والمادية

وقد أنشئت في كثير من الاقطار العربية مجامع أدبية ولغوية ، فكان أول عمل يقدم عليه مؤسسوها أن يدرسوا نظام « المجمع الادبي الفرنسي » للاخذ به وتطبيقه بقدر المستطاع على مجمعهم الجديد . وما ذلك إلا لان نظام الاكاديمي فرنسيز يعد من أوفى الانظمة من هذا القبيل إن لم يكن أوفاها ، بعد أن مرت ثلثمائة سنة على إنشاء هذا المجمع ، وبعد أن تطورت أنظمته وقوانينه تطورات عديدة هي نتيجة البحث والدرس والتمحيص والتجارب

وينصرف هم أعضاء المجمع الادبي الفرنسي دائماً الى السير باللغة الفرنسية جنباً الى جنب مع تطورات العصور ومقتضيات الحياة ومقتضيات العلم والاختراع بحيث أن اللغة الفرنسية تضيف كل يوم الى ثروتها الادبية كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن مألوفة أو معروفة من قبل . ومن الاعمال الجريئة التي أقدم عليها المجمع في السنوات الاخيرة الغاء جميع قواعد الصرف في اللغة الفرنسية وابدالها بقاعدتين اثنتين فقط مما سهل على التلاميذ درس اللغة في المدارس الى حد بعيد

وإذا كان لنا رجاء بهذه المناسبة فهو أن ينسج مجمع اللغة العربية في مصر على منوال المجمع الادبي الفرنسي في خدمة اللغة والسير بها مع تطورات العصر

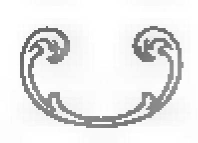

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

عظيم على الرغم منه

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة النيويوركر
بقلم الصحفي جولستون الاميركي]

الفيلسوف البرت آينشتين هو من أعظم جبابرة العقول ، والمعجزات التي أتتها تجعل العالم ينظر الى قواه العقلية كما ينظر الناس الى قوى هرقل الجسدية

ومع ذلك فالرجل من ألين الناس عريكة وأسلسهم قياداً . يدلك على ذلك كثير من الحوادث التي وقعت له والتي تدل على أن هذا الرجل ليس من الذين تشغلهم ذواتهم تعبثاً أعمى

من ذلك انه كان الى عهد قريب يرفض أن يعزف على الكمنجة في الحفلات العامة وان كانت من الحفلات الخيرية لانه كان يشعر بنقص مهارته في الموسيقى ويعتقد انه ليس من المروءة أن ينافس الموسيقيين المحترفين . ولكنه رضى بعد الالحاح أن يعزف في الحفلات الخيرية . ودعى مرة لزيارة الولايات المتحدة هو وزوجته وأرسلت اليهما تذكرتا سفر بالدرجة الفاخرة فأبى أن يسافر الا بالدرجة الثالثة لانه يحتقر الأبهة الكاذبة . فلما قيل له ان رفضه السفر بهذه الدرجة قد يؤول تأويلا يجرح عواطف الذين دعوه عاد فانقاد الى الحاح أصدقائه

ولما كان في أمريكا أرسل اليه أحدهم صكا (شيكا) بألف وخمسمائة دولار على سبيل الهدية ، فما كان منه الا أن استعمل ذلك الصك « علامة كتاب » ووضعه في كتاب كان يقرأه ، ثم ضاع الكتاب وضاع « الصك » معه وما كان اينشتين ليأبه به لو لم يفهموه ان عدم اعتنائه قد يؤول تأويلا يمس احساس الشخص الذي أرسل « الصك »

ودعى اينشتين وزوجته مرة لزيارة ملكة البلجيك (ارملة الملك البرت الذي توفي أخيراً) فلما وصلا الى محطة بروكسيل لم يرهما أحد من الموظفين الذين أوفدتهم الملكة لاستقبالهما . وما كان أشد ذهول الملكة عندما رأتهما داخلين القصر وحدهما حاملين أمتعتهما ! . . .

ولما منح اينشتين جائزة نوبل سنة ١٩٢١ وهبها لاعمال البر . وعرضت عليه ادارة احدى

المجلات الامريكية أجرة بعقالة ليوافيها بمقالة فى موضوع معين فرفض أن يسخر قلمه لاغراض مادية مستكثراً الاجرة التى عرضت عليه ثم عاد على الطلب بعد الحاح شديد

ولما استدعته جامعة وشنطون الامريكية للتدريس فيها عرضت عليه أجراً عالياً فرفضه فى أول الامر لانه كان أجراً باهظاً . ثم عاد فقبله بعد الحاح شديد وبعد أن وعد بخفض ذلك الاجر فى المستقبل

ولعله لم يقم فى العالم رجل عرضت عليه الاموال كما عرضت على اينشتين مئات مئات من الشركات التى تصنع السلع المختلفة عرضت عليه الاموال الجسيمة ليأذن لها بوضع اسمه على تلك السلع فكان يرفض ما تطلبه بكل شمم واباء . ومنذ صيرورته بطلا عالمياً لم ينقطع عنه سيل الدعوات لالقاء الخطب فى شتى الموضوعات العلمية والسياسية . على ان كبراء اليهود لا ينفأون يحرضونه على السكوت لسببين وجيهين (أولهما) الخوف من أنه اذا تكلم فى السياسة أساء الى أبناء ملته اليهود (وثانيهما) الخوف من أنه اذا نزل الى ميادين السياسة خسر العلم بسبب ذلك خسارة عظيمة

وقد لقى اينشتين فى حداثته اضطهاداً شديداً بسبب ديانته . من ذلك انه لما كان تلميذاً صغيراً فى احدى مدارس سويسرا أحضر الاستاذ ذات يوم (وكان من رجال الدين) مجموعة من المسامير وعرضها على التلاميذ وقال لهم انها المسامير التى سمر بها اليهود المسيح على الصليب . فما كان من التلاميذ الا أن هجموا على المسكين اينشتين وأوسعوه ركلا وصفعاً حتى نجا من أيديهم بصعوبة

والغريب أن اينشتين ما كان فى المدرسة تظهر عليه علامات الذكاء بل كان بالعكس تلميذاً خامل الذهن . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره نزح به والده الى ميلانو لكي يتعلم فيها الهندسة الكهربائية . وبعد ثلاث سنوات عاد به الى مدينة زوريخ بسويسرا حيث دخل المدرسة المعروفة بالاكاديمية الفنية . وتعرف وهو فى هذه المدرسة بسيدة من تلاميذ فرقته فاحبها وتزوجها سنة ١٩٠٣ وولد له منها ولدان . ولسبب يطول شرحه طلقها فيما بعد وتزوج فى سنة ١٩١١ ابنة عمه

أما شهرته العلمية فبدأت سنة ١٩٠٥ وكان عمره يومئذ ستاً وعشرين سنة اذ نشر خمس مقالات علمية من ضمنها مقالة فى «النسبية الخاصة» تحتوى على أهم مبادىء نظريته المعروفة بالنسبية . وقد أدهشت هذه المقالة جميع علماء العالم . ومنذ ذلك اليوم سجل اسم اينشتين فى سجل الخالدين

وفى سنة ١٩١٥ ظهر فى المانيا كتاب يحتوى على نظرية اينشتين فى النسبية العامة . ولكن الحرب حالت دون وصول الكتاب الى العلماء خارج المانيا . وفى سنة ١٩١٩ تمكن العلماء من تحقيق نظرية النسبية برصد الكسوف والخسوف . ومنذ ذلك الحين توالت الادلة العلمية على صحة نظرية النسبية ، ولكن هذه النظرية ليست - واأسفاه - مما يستطيع أن يفهمها الكثيرون . ويقال ان اينشتين الذى يفسر كل شىء بواسطة المعادلات الرياضية قد بسط نظريته كلها فى بضع معادلات هى كما يقول العلماء أعظم ما حاول عقل هذا الجبار أن يبتدعه لتفسير نواميس الكون وشرح نظرية النسبية

من مذكرات المسيو بوانكاره

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة الالوستراسيون بقلم المسيو بوانكاره]

ألف المسيو ريمون بوانكاره السياسي الفرنسي العظيم ورئيس الجمهورية الفرنسية في زمن الحرب كتاباً جليلا في عشرة أجزاء ضمنها مذكرات عظيمة القيمة عن تلك الحرب نقتطف منها ماياتي نقلا عن مجلة الالوستراسيون الفرنسية التي نشرتها بعيد وفاة المرحوم البير ملك البلجيك. قال المسيو بوانكاره :

وصلنا الى دنكرك بعد أن اجتزنا الحدود وسرنا في سهول تغمرها الأوحال فجاء الملك البير يستقبلنا بكل بشاشة على أرض بلجيكية وصدره محلى « بوسام » واحد فقط هو الوسام الحربي الفرنسي. وبعد أن تبادلنا التحية شكرني على زيارتي ثم طفق يثنى على بسالة الجيش الفرنسي فاجبته شاكراً ومثنياً على الجيش البلجيكي الذي صمد للالمان وثبت حتى مكن الجيش الفرنسي من أخذ الاهبة والاستعداد للكفاح

ولما فرغنا من تبادل التحيات دعاني الملك البير لركوب الاوتوموبيل معه. وتبعنا ميلران وجوفر ودوبارج وغيرهم من القواد في أوتوموبيلات أخرى. وسرنا نقطع سهول الفسنك وحزونها حتى وصلنا الى قرية « لابن » حيث كان الملك البير يقيم مع أسرته في منزل صغير منذ بدء الحرب. فترجلنا ودخلت ذلك المنزل وزينته ثابت وربض في مشى السابقة وجاءت الملكة تستقبلني وهى لابسة ثوباً أبيض وجسمها النحيف ينم عما تعانيه من أهوال الحرب وقلبها الفتى يفيض بروح الوطنية والاخلاص يفيض شجاعة وثقة بالمستقبل. وقد اشتهرت جلالتها بانها ساعد الملك الايمن وقد وقفت حياتها كلها على حب البلجيك فهي لاتريد الحياة إلا من أجلها. وتلطفت معي في الحديث فسألتني عن صحة مدام بوانكاره وعن آخر الاخبار عن باريس وبوردو وعن فرنسا كلها. ثم أخذت تتكلم على الحرب بحماسة عظيمة وكلها ثقة بالمستقبل. وكان أمراء الاسرة المالكة يقيمون يومئذ بانجلترا والملكة ترسل اليهم كل يوم تلغرافا

ولما انتهت زيارتي استأذنت في الانصراف. فطلبت مني جلالتها أن أقف الى جانب زوجها لتصورنا بالآلة الفوتوغرافية امام المنزل. وقالت انها ستعطيني نسخة من الصورة هدية الى مدام بوانكاره لكي تذكر في المستقبل هذه الساعات العصيبة

وفي ١٢ ابريل سنة ١٩١٥ — وهي السنة الثانية من الحرب — زرت البلجيك مرة ثانية وذهبت الى قرية هوتيم وكان الملك البير قد نقل اليها مركز القيادة البلجيكية العامة لان الالمان كانوا قد

دمروا قرية مورن (حيث كان مركز القيادة سابقاً) بمدافعهم الضخمة. وكان الملك الباسل يقضي هو وقواد جيشه الساعات الطوال في رسم الخطط الحربية لانقاذ بلاده. وكانت الابتسامة لاتفارق شفتيه ولكنها ابتسامة ممزوجة بقليل من الحزن بسبب ماكانت البلجيك تعانيه في تلك الحرب

واستقبلني جلالته مرحباً بي وأدخلني مسكنه الوضيع حيث شرعت تحدثت واشترك معنا في الحديث المسيو ميدان. وكان حديث جلالته ينمّ عن صلابة عوده وثقته بالمستقبل. إلا أنه لم يكن يظن أن في الامكان زيادة عدد الجيش البلجيكي الى أكثر مما كان يومئذ

وطلبت من جلالته أن يأذن لي بزيارة الملكة اليزابيث — وكانت ماتزال تقيم بالمنزل السابق بقرية لابان — فقال أن الملكة ترحب بي وأنه سيكون معها لاستقبالي هنالك في عصر ذلك اليوم. وفي الوقت المعين ذهبت لزيارة جلالتها فاستقبلتني ببشاشتها المعتادة، ولم تكن الاحوال قد أوهنت عزيمتها أو غيرت صلابة عزمها. وماكاد يستقر بي المقام حتى طفقت تحدثني عن الحرب وعن خراب ايبر وتدمير الالمان لمورن حيث كان مركز القيادة العليا سابقاً. ثم عمدت الى مجموعة من الصور الفوتوغرافية فاخرجت من بينها صور زيارتي السالفة وأعطتني نسخاً منها هدية الى مدام بوانكاره. ودخلت عندنا إذ ذاك صغرى الاميرات فقدمتها جلالتها الي

وفي ٢ اغسطس سنة ١٩١٥ — أي بعد مرور سنة تامة على نشوب الحرب — زرت جلالة الملك البير مرة أخرى وذهبت معه لتفقد الحصون الدفاعية وغيرها من وسائل القتال. وسار بنا الاوتوموبيل وأنا وجلالته منهمكان في الحديث وتوخي ما يمكن من كل وجه وكلانا معتقد أن الحرب ستطول وكلانا شاعر بوجوب ضم صفوف وروح التحد في بلجيكا لجيشين الفرنسي والبلجيكي. وأعرب لي جلالته عن قلقه من تقهقر الروس وقال انه لايستطيع ان يدرك سبب سوء الادارة في الحكومة الروسية الامبراطورية. وعلى كل فان جلالته كان وطيد الثقة بالمستقبل

ثم تحدثنا عن الامبراطور غليوم وكان قد ألقى في اليوم السابق خطبة في المانيا قال فيها: ان ضميره مستريح لان المانيا ليست هي التي أوقدت جذوة الحرب. فقال جلالة الملك البير ان المثل الفرنسي يقول: «من اعتذر فقد اعترف بذنبه» (Qui s'excuse s'accuse)

وقابلت الملك البير بعد ذلك عدة مرات. وآخرها في ٩ نوفبر سنة ١٩١٨ وكان الالمان قد طلبوا الهدنة في ذلك اليوم. وجرت لي معه أحاديث طويلة أعرب لي في خلالها عن عدم ارتياحه الى عقد الهدنة مع الالمان لانها تحرم الحلفاء ثمرة النصر. وكان الجيش البلجيكي على وشك دخول دنمته في اليوم التالي أو اليوم الذي بعده وعلى وشك الوصول الى بروكسيل بعد بضعة أيام. وكان الجنرال داجوت أيضاً على هذا الرأي متفقاً مع الملك على عدم الارتياح الى عقد الهدنة لان الجيش البلجيكي كان ما يزال محتفظا بقوته المعنوية بخلاف الجيش الالماني الذي كان شبح الهزيمة يتهدده

هل تعيش عصبة الامم ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة بكتوريال ريفيو .
بقلم ونستون تشرشل الوزير البريطاني سابقاً]

لافائدة من انكار ما تعانيه عصبة الامم في الوقت الحاضر من العلل والادواء . فهي مريضة وقد زادها مرضاً خروج المانيا واليابان منها واستيلاء الوساوس والهواجس وأسباب الحسد والنفور على الدول الباقية فيها . وقد أصبحت الآن مهددة بخروج دولة أخرى هي ايطاليا . ويظن الكثيرون أنه إذا انفصلت عنها هذه الدولة كان في ذلك خاتمة العصبة والقضاء المبرم عليها

تتألف العصبة من الدول التي انتصرت في الحرب الماضية ، والدول التي منيت بالخذلان . وهناك دول يشوب الحسد والتنافس والتخاذل ما بينها من علاقات . وهي وان تكن متوادة متصافية في الظاهر إلا أن بعضها يسيء الظن بالبعض الآخر وكل واحدة منها ترقب الاخرى بعين الحسد والبغض . وغني عن البيان أن عوامل التفرقة بينها — بل المحالفات العسكرية والدفاعية التي تربط طائفة منها — تزيد في مشاكلها وفي الصعاب التي تعترضها

أضف إلى ذلك ما يساورها من المخاوف بسبب الخلافات الدولية المعقدة والمشاكل التي لا تقع تحت حصر ، سواء أكان من جهة دويلات البلقان أم منطقة الرور أم موقف روسيا السوفياتية . أم موقف ايطاليا على سواحل البحر الابيض المتوسط ، أم غير ذلك من المعضلات

على أن العصبة قد عاشت حتى الآن وتغلبت على ما اعترضها من العقبات ، وهي تتمسك بأهداب الحياة بشدة وتدافع عن كيانها بكل ما لديها من قوة . فهي كمصباح يترجرج شعاعه الضئيل في وسط الظلمات الحالكة ولكنه لا ينطفيء . وقد كان هذا الشعاع أسطع قبلا في الاشهر الماضية . وهذا يحيي الرجاء بأنه قد يزداد قوة بمرور الزمن ويصبح منارة تضيء العالم في الليالي المظلمة

على أن في هذا استعجالا للحوادث ومسابقة للزمن . والعصبة في الوقت الحاضر تواجه أعظم أزمة واجهتها منذ تأسيسها إلى اليوم بسبب اختلافات الدول على مشكلة نزع السلاح . فقد قضت العصبة عشر سنوات وقضت لجنة تحضير مؤتمر السلاح خمس سنوات ، لوضع خطة دولية لنزع السلاح . ولكن المساعي كلها قد حبطت بسبب اختلاف الآراء والاهواء . وها هي المانيا تشكو اليوم لان سلاحها قد نزع عنها بسبب انكسارها في الحرب . وها هي روسيا تجاهر بأن السلاح عقبة في سبيل السلام العام ، وبأن الواجب على جميع الدول أن تنزعه عنها ! وكل ذلك ضائع في خداع ! . .

ومن دواعي الاسف أن الاقتراحات المتعلقة بنزع السلاح قد أسفرت عن نتيجة واحدة ، وهي أنها أتاحت الفرصة لالمانيا لتتخلى عن عصبة الامم وتنفض عنها غبارها . وأدى ذلك الى ارسال

إيطاليا انذارها النهائي للعصبة وهو انذار لا يعلم ما سيكون من أمره الا الله لانه مفعم بالاحتمالات

هذه هي الحالة في الوقت الحاضر . ولكي ندرك حقيقة الداء لابد لنا من تلمس العلة

ان خوف الدول وسوء ظن بعضها بالبعض الآخر هو علة التسلح . وغني عن البيان أن المانيا ليست راضية عن معاهدة فرساي ولن يهدأ لها خاطر بسببها فان ذكرى الالزاس واللورين ومشكلات سيليزيا العليا وممر دانتزج وروسيا الشرقية وغيرها تقض مضجعها وتطرد عنها النوم. ووراء هذه المشكلات مسألة الشعب الالماني الذي يبلغ اليوم ستين مليوناً من الانفس وهو يزداد عدداً ويزداد سخطاً على الذين أنزلوا به العقاب ، ويأبى أن يعتبر يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ (وهو اليوم الذي طلب فيه الالمان الهدنة من الحلفاء) خاتمة تاريخ المانيا المجيد

ومن الجهة الاخرى نرى فرنسا وعدد سكانها نحو أربعين مليوناً ومواليدها في تناقص . وهي تعيش في خوف مستمر من جيرانها ولكنها تامة الثقة بقوتها وقوة جيشها وهي عازمة على الدفاع عن معاهدة فرساي التي تعتبرها جزءاً لا يتجزأ من وسائل دفاعها وسلامتها . وهي كلما نظرت الى الشرق والشمال الشرقي تجد الشعب الالماني يزداد قوة وعدداً ونشاطاً ويرسل الى جيشه كل سنة عدداً كبيراً من الشبان ستضطر فرنسا الى محاربته في المستقبل . فهل عجيب بعد هذا أن يساور القلق فرنسا وأن تستولي عليها الهواجس فتحتاط للمستقبل بانشاء سلسلة من الحصون المنيعة تدافع بها عن حدودها الشمالية والشرقية وعن حدود الالب والحدود التي تفصل بينها وبين ايطاليا

لقد اقتضى الانتصار على الجيش الالماني في الحرب الماضية أن تتألب عليه جميع جيوش العالم تقريباً . فهل تضمن فرنسا أن تتضم اليها الدول كذلك في المستقبل ؟ . ان ايطاليا تجاهر اليوم علناً بالسير على سياسة تناقض المصالح الفرنسية ، وانجلترا قد سرحت جيشها ولم يبق منه سوى قوة هي أشبه بقوة بوليسية منها بجيش عامل . والولايات المتحدة مستاءة من معاملة فرنسا لها في مسألة ديون الحرب بحيث لا ينتظر أن تمد يد المعونة لفرنسا في حرب مقبلة . ونتيجة ذلك كله ان فرنسا تجد نفسها اليوم في عزلة تامة لا تستطيع أن تعتمد إلا على قوة جيشها

هذه عوامل تؤثر في مستقبل عصبة الامم ومع ذلك فان الحالة لاتدعو الى اليأس . وفي الواقع أن العصبة اذا استطاعت التغلب على الازمة الحاضرة وأزالت أسباب النفور المستحكم بين فرنسا وجاراتها قويت الآمال ببقاء العصبة وثباتها وأضيفت الى سفر التاريخ صفحات جديدة

على أن اسباب الحقد والعداوة لا تموت بسرعة وانما قد تحتاً في علاقات الدول عوامل جديدة تتغلب على تلك الاسباب وتساعد على ازالتها وفي مقدمتها العوامل المالية والاقتصادية التي قد ترغم الدول على تناسي ما بينها من بواعث الخلاف وعلى الاهتمام بالخطط السياسية الانشائية لا الخطط الهدامة . وان الواجب ليقضي علينا بالسعي لتقوية تلك العوامل فتقوى اذ ذاك سلطة عصبة الامم

اشعاع الفكر

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميوليو
دوموند بقلم السيدة مادلين ايرول]

منذ بضعة أسابيع قام الاستاذ كازاملي العضو بالمعهد العلمي الإيطالي بعدة تجارب علمية يظن أنه قد توصل بها الى تصوير فكر الانسان أو تصوير الاشعاعات المنبعثة من الدماغ . وقد وقف الكثيرون من العلماء بازاء هذا الخبر موقف الحذر ولم يحاول أحد منهم حتى الآن أن يتصدى لتحقيقه أو أن يدلي بشأنه أي بيان في أي معهد علمي . إلا أن الاستاذ جيليه ، وهو من كبار علماء الكهرباء اللاسلكية في فرنسا ، قد قام بتجارب كثيرة في هذا الشأن وألقى حديثاً خطبة في أحد المعاهد العلمية الفرنسية عن اشعاعات الدماغ الانساني أثارت دهشة الكثيرين من العلماء ، إذ لم يكن يخطر ببال أحد منهم أن في الامكان معالجة هذا الموضوع بهذه الطريقة العلمية . وقد استعان على شرح خطبته برسوم أحدثتها تيارات الكهربائية اللاسلكية المنبعثة من الدماغ والقتها على لوح خاص بحيث استطاع الجمع مشاهدتها ومشاهدة حقيقتها وأنهم لبسوا أمام مشهد وهمي هو نتيجة انخداع البصر

ولا يخفى أن لكل جسم مادي اشعاعاً خاصاً ، بل إن لكل عنصر من عناصر المادة المعروفة أمواج أشعة خاصة . ومن جملة الأمور التي تثبت ذلك أخيراً أن الحقول تحمل أشعة قوية ، والعالم جروينش مباحث مسهبة بهذا الشأن

ومما قاله الاستاذ جيليه في خطبته مشيراً الى التجارب العلمية الموثوق بها تدل على أن الدماغ الانساني تنبعث منه اشعاعات خاصة . ولا شك أن هذه الاشعاعات تعلل كثيراً من الاعمال التي يقوم بها دراويش الهند المعروفون بالفقراء . ومن دواعي الاسف أن كثيرين من العلماء حاولوا تصوير تلك الاعمال تصويراً فوتوغرافياً لعلهم يستطيعون حل اسرارها فلم يوفقوا . من ذلك ان بعض أولئك الدراويش يلقون حبلاً في الهواء فيصعد الحبل في الجو ويظل منتصباً فيه فيتسلقه الدرويش صعداً نحو السماء . ومن ذلك أنهم يلقون ببزرة في الارض فتنمو في الحال أمام الواقفين

أمثال هذه الاعمال المدهشة حاول العلماء أن يصوروها بالآلة الفوتوغرافية ، وما كان أشد ذهولهم إذ لم يبد لها أثر على الزجاجة ؛ فاستدلوا من ذلك على أن مايشاهدونه من تلك الاعمال العجيبة انما هو نتيجة الانخداع البصري الناتج عن النوم المغناطيسي الاجتماعي

ويتضح من مباحث الاستاذ كازاملي أن انتقال الافكار المعروف عند العلماء بالتليباثي (Télépathie) لا يمكن تعليله علمياً إلا بافتراض اشعاع الدماغ وانتقال أشعته (التي هي منبعثة التفكير)

على متن الاثير الى دماغ الآخرين . كذلك نجد أن بعض المرضى ينالون الشفاء من أمراضهم المستعصية اذا لمسهم بعض الاشخاص . فان تعليل ذلك هو ان أمواجاً غير منظورة تنتقل من كف اللامس الى جسم الملموس فتؤثر فيه . وتعرف هذه اللمسة في التاريخ باللمسة الملكية

ومما يجدر بالذكر أن الاقدمين كانوا أكثر ادراكا منا لقوة الاشعاع الدماغي وان كانوا لا يعرفون شيئاً من أسرار الكهربائية . وفي مقدمة الذين اضطلعوا بهم بهذه المباحث عالم ايطالي من علماء الكهربائية يدعى رايمون عاش منذ نحو قرن وله مباحث مسهبة في علاقة الكهربائية بالجهاز العصبي . وبعبارة أخرى في «صلاحية» الاعصاب لنقل التيار الكهربائي . وقد وفق الاستاذ مولر من علماء مدينة زوريخ الى استنباط جهاز دقيق سماه «نوروميتر» والغرض منه قياس قوة التيار الكهربائي الذي تنقله الاعصاب ومعرفة التغيرات التي تطرأ على الجهاز العصبي بسبب ذلك التيار . وقد تمكن بواسطة هذه الآلة الدقيقة من عمل «رسم بياني» يدل على التغيرات التي تطرأ على الجهاز العصبي في الحالات البسيكولوجية المختلفة . فاذا ألقيت مثلا على رجل خبراً مفزعا وفحصت حالة أعصابه بهذه الآلة وجدتها تختلف كل الاختلاف في مقاومتها أو احتمالها للتيار الكهربائي المنبعث من الدماغ عنها في الحالات الطبيعية

ويقول الاستاذ كازامالي انه قد تمكن من تصوير الشعاع المنبعث من دماغ الانسان تصويراً فوتوغرافيا بواسطة آلة دقيقة يصعب شرحها على هذه الصفحة لما تتطلبه من معرفة الكثير من الدقائق الفنية . وهذه الآلة تسجل جميع التغيرات التي تطرأ على الدماغ والتي تنشأ عن اختلاف المؤثرات . وقد ثبت للاستاذ كازامالي بعد مباحث دقيقة ان الامواج الكهرمغنطيسية الطويلة لا تؤثر في دماغ الانسان أي تأثير بخلاف الامواج القصيرة والقصيرة جدا فانها شديدة التأثير

اذا رويت لرجل «نائم نوما مغناطيسيا» رواية عن موقعة حربية ووصفت له وصفا دقيقا ، واذا كلمت رجلا نائما نوما طبيعيا بشأن أمر يهمه ، فان الآلة التي قد استنبطها الاستاذ كازامالي تصور الامواج المنبعثة من دماغ الاول والامواج المنبعثة من دماغ الثاني تصويراً دقيقا جدا يدل على اختلاف شكل «التموجات» الاولى عن شكل التموجات الثانية . ويستفاد من ذلك ان الانسان سيتمكن في المستقبل من قراءة الافكار بتصوير شكل الاشعاع المنبعث من الدماغ بواسطة آلة الاستاذ كازامالي المشار اليها . فان هذه الآلة تدل دلالة قاطعة على اختلاف شكل الاشعاع الذي ينبعث عن الدماغ في الحالات المختلفة — أي أن إشعاع دماغ الرجل الذي يفكر تفكيراً قلبياً مثلا يختلف عن اشعاع دماغ الرجل الذي يفكر تفكيراً حربيا . والذي يفكر في محبوبته ينبعث من دماغه اشعاع يختلف عن اشعاع دماغ الرجل الذي يفكر في عدوه أو في والديه أو أصحابه

هل الحب وحده يكفى

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة هاربرس
بقلم الاستاذ لدفيج لوزون]

لاشك أن الوقوع تحت سلطة الحب من أعظم الحوادث التى تؤثر فى حياة الانسان ، ويزعم الكثيرون أن فى وسع كل امرىء أن يجعل الحب أساساً لمعيشته ووسيلة يستديم بها سعادته فى الحياة . ولكن من منا لايعرف عشرات من قصص الزواج التى تحطمت فيها سفينة الزوجية على صخور الخيبة والفشل والندامة لان الذين عقدوا عقد الزوجية توهموا أن الحب وحده يكفى أساساً للسعادة

إن الحب ليس غاية فى حد ذاته بل هو وسيلة إلى عدة غايات . وفى الامكان تجديده من وقت إلى وقت والابقاء عليه بواسطة الزواج ، لان الزواج ، فضلا عن كونه يحتفظ بالعواطف الجنسية ، يوجد بين الزوجين عدة مصالح مشتركة يستطيعان بها تخليد حبهما واستدامة رباط وحدتهما، وهذه المصالح تجعلهما يشعران أنهما مؤلفان وحدة ، وحدة من العالم كله . وهى الملجأ الذى يعودان اليه من وقت الى آخر كلما نشب بينهما شيء من النفور أو سوء التفاهم، فيجددان عهد غرامهما القديم. ولا شك أنهما يصلان بعد أن يصبحا لا يستطيعان تجديد ذلك العهد . ولهذا السبب لا يمكن تجديد الحب فى حوادث التسرى والزواج العرفى حيث الرابطة الوحيدة بين الرجل والمرأة هي الحب الشهوانى وحيث يعيش كل منهما فى خوف مستمر من انطفاء جذوة الحب ، فيسأل نفسه : « ألم يبق فى الزمن شيئاً من السلطة على قرينى ؟ وهل فى مقدورى أن أوقد فى عينيه جذوة الحب ؟ » وقد يوفق كل منهما بعد ذلك الى عقد رباط جديد ، ولكن مآل هذا الرباط إلى مآل سابقه ، ولا بد أن ينتهى بالرفيقين — عاجلا أو آجلا — إلى الفرقة فتقضى بقية العمر شيخوخة يكتنفها البؤس والشقاء

ومن دواعى الاسف أن الكثيرات من فتيات هـذا العصر يتخذن حياة الممثلين والممثلات أنموذجاً لهن ويملن الى تقليدهم مع أن الاختبار قد أثبت بوجه لا يقبل الشك ان حياة الممثل كلها تكلف وتصنع، وان أكثر الممثلين يدفعون ثمن شهرتهم غالياً فيعيشون فى جو من الغيرة والحسد والدسائس ، وقلما تكون علاقاتهم الغرامية سبب راحة وهناء

ولا مشاحة فى أن الانسان حيوان تمتزج فيه الوظائف البيولوجية بالعواطف التى مركزها القلب والدماغ . وهذه هى الحقيقة التى يتجاهلها بعض دعاة الاباحية الذين يريدون اطلاق الحرية للانسان ليتمتع بكل مايريد من العلاقات الجنسية ولو كان متزوجاً ، مع أن الرجل والمرأة عندما

يتزوجان يتمران بان دافعاً باطنياً — هو سيكولوجي وبيولوجي معاً — يدفع كلا منهما الى محاولة الاستيلاء على الآخر استيلاء تاماً . وهذا الدافع هو غريزي فى الانسان وهو برهان قاطع على أن الارتباط الجنسي ليس عملا مادياً فقط بل هو متصل اتصالا وثيقاً بالعواطف والعوامل السيكولوجية التى لا تحيدها فى المصاولات . وهذا هو السبب فى أن الانسان اذا تزوج مرة ثانية فان زواجه الثانى يكون عادة أدعى الى الراحة والهناء من زواجه الاول لان الاختبار يعلمه وجوب مراعاة عوامل كثيرة لم يراعها فى زواجه الاول ، ولان زواجه الثانى يكون عادة مقترناً بالعوامل البيولوجية السيكولوجية التى كانت سيئة أو مهملة فى زواجه الاول

ولا حاجة الى القول بان الحب الذى ينتهى بالزواج يفترض حقيقتين لا مناص منهما اذا أريد أن يكون الزواج سعيداً . وهاتان الحقيقتان هما : اختيار شخص المحبوب ونبذ كل شخص آخر سواه . وتظهر هاتان الحقيقتان فى سكنى الزوجين معاً وفى توحيد آمالهما وأهوائهما ومقاصدهما وجميع مظاهر حياتهما

وكما أن حياتهما المعنوية تكون واحدة كذلك تكون الماديات أيضاً بالنسبة اليهما . وبعبارة أخرى أن جميع مايكون عندهما من أثاث ورياش وماعون وعقار وخلافه يكون ملكا مشتركا بينهما . وشعور الزوجين بوجود هذه الملكية المشتركة هو من أقوى العوامل التى تحمل للزواج معنى آخر غير معنى الصلات الجنسية التى يتقارب بها زواج الانسان من زواج الحيوان — وبعبارة أخرى أن وجود جو مشترك يعيش فيه الزوجان ويعملان فيه على مصلحتهما المشتركة من أقوى العوامل التى تدعم صرح الزواج

ولا ريب فى أنه ليس جميع الناس أهلا للزواج وقد يكون من مصلحة الاجتماع جعل شروط الزواج أصعب مما هى الآن مع تسهيل شروط الطلاق وقد يذعر الانسان اذا عرف أن الاحصاءات الرسمية فى جميع أنحاء العالم تدل على ازدياد نسبة الطلاق ، ولكنه ذعر فى غير محله . وفى الواقع أن هنالك صوراً مفضحة من الحياة الزوجية التى لا يمكن فصمها والتى تدل على ان الرابط بين الرجل والمرأة ليس زواجاً بالمعنى الصحيح وانما هو اتفاق بينهما يقوم على الصلات الحسية التى كانا يعتقدان انها ستدوم الى الابد

لقد تزيد حوادث الطلاق فى العالم ولكن زيادتها يجب ألا تزعج أحداً فانها فى الحقيقة تدل على أن الذين يقدمون على الطلاق قد صاروا ينظرون الى الحياة بجد واهتمام ، وأن زواجهم ما كان فى الحقيقة زواجاً بالمعنى الحقيقى ولا كان يمكن أن يقدر له الدوام

ان الزواج المبنى على اشتراك المصالح والذى ينظر فيه الى التناسل وحفظ النوع هو الزواج الذى يمكن أن يدوم . وأما الزواج المبنى على الاعتبارات الجنسية فقط فلا بد أن يندثر وتنفصم عراه وتتضح فى آخر الامر للذين يعقدونه انه كان لهواً لا يقدر له الا الفشل

كيف ظهرت الحياة على الارض

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «ميرار دوموند» بقلم الأستاذ روجيه سيمون]

لا ريب ان مشكلة جرثومة الحياة الاولى وكيف ظهرت على الارض من أعسر المشاكل التي قد حيرت وما تزال تحير العلماء . وقد ذهبوا في تعليل ظهورها مذاهب شتى ، ولكن العلم لم يثبت أي تعليل منها حتى الآن . ولعل أحدث النظريات بهذا الشأن نظرية الاستاذ سيتل الاميركي ، فقد ارتفع أخيراً بمطاد حلق به في طبقات الجو حتى وصل إلى الطبقة المعروفة « بالستراتوسفير » . وكان على مقدم منطاده من الخارج جماعات كثيرة من الخلايا الميكرسكوبية أبدت وهي في طبقات الجو العليا نشاطاً غريباً وتوالدت بكثرة مدهشة مع أن الهواء كان لطيفاً إلى أقصى حد والجو شديد البرد والاشعة التي وراء البنفسجية تملأ الفضاء . ولما عاد الاستاذ سيتل إلى الارض وجد تلك الخلايا سليمة فكأن البرودة القاسية ولطافة الهواء والاشعة التي وراء البنفسجية لم تؤثر فيها على الاطلاق

وقد أثار هذا الخبر اهتمام علماء البيولوجيا في جميع أنحاء العالم وأخذ الكثيرون منهم يتساءلون : ترى أليس من الممكن أن تكون جرثومة الحياة الأولى قد وصلت إلى عالمنا الأرضي من بعض الأجرام الفلكية البعيدة ؟

قال الفيلسوف كيررلنج : « إن الحياة أزلية كالمادة . وكائنات الحياة تسبح في الفضاء . وهي تنتقل من جرم إلى جرم ومن مكان إلى مكان ، وجراثيمها تنتقل بلا انقطاع في الفضاء الذي يفصل بين الكواكب ، فتهبط على الاجرام التي تكون حالتها الجوية والطبيعية ملائمة لنموها وتكاثرها »

هذه نظرية قديمة أراد كيررلنج أن يعلل بها ظهور الحياة على الارض ، ولكن العلماء تناسوها إلى أن جاء اللورد كلفن العالم الانجليزي المشهور ، فقال انه يحتمل كثيراً جداً أن تكون الحياة قد وصلت إلى عالمنا الارضي من عوالم أخرى

وفي الواقع ان الكثيرين من العلماء يؤكدون أن النباتات التي على سطح الكرة الارضية ليست سوى جزء يسير من النباتات التي تكسو سطح الكثير من الاجرام السماوية . ومصدر الحياة النباتية في جميعها هو على الارجح واحد . نعم إن بعض العلماء ينكرون هذه النظرية ويقولون ان مصدر الحياة لا يمكن أن يكون واحداً لان الاجرام منفصلة بعضها عن بعض وليس بينها أي اتصال ولكن زعمهم هذا لا يؤيده العلم ، وعزلة بعض الاجرام الفلكية عن البعض الآخر هي عزلة حيالية فقط بدليل أن كثيراً من الرجم والنيازك تسقط على الكرة الارضية قادمة الينا من العوالم الاخرى . أفلا يحتمل أن تكون بعض تلك الرجم قد وصلت الى الارض تحمل اليها جراثيم الحياة ؟ وغنى عن

البيان أن الجراثيم لما وصلت الى الارض نمت فيها وتكاثرت ثم تطورت وارتقت بمرور الاحقاب

على أنه لابد من القول هنا ان هنالك اعتراضاً له بعض الوجاهة يحول دون التسليم بهذه النظرية تسليماً تاماً . ذلك أن الرجم تصل الى الارض وهي تكاد تكون مصهورة لان احتكاكها بالهواء ينشىء على سطحها حرارة تكاد تجعل وجود الحياة فيها مستحيلاً

على أن آرينيوس الفيلسوف قد جاءنا بنظرية أخرى لتعليل وصول جراثيم الحياة الاولى الى الارض ، وهي أقرب الى العقل من غيرها وان لم يكن من السهل اثباتها حتى الآن . وخلاصتها أن قوة الدفع التي في أشعة النور هي التي دفعت جراثيم الحياة الاولى وأوصلتها الى الارض

وتفصيل ذلك أن أشعة النور التي تنبعث من أي جسم مضيء تدفع الجسم الذي تسقط عليه وفي الوقت عينه ترجع الى الوراء كما يرجع المدفع بعد انطلاقه . وقد تمكن العلماء من قياس قوة الدفع في أشعة النور فوجدوا انها أقل من عشرة جرامات لكل هكتار مربع . وهذا يجعل مجموع قوة الدفع في أشعة الشمس الواقعة على سطح الكرة الارضية مائة مليون كيلو جرام . ولا حاجة الى القول ان هذه القوة تكفي لدفع جراثيم الحياة من الفضاء الى الارض

ويقول آرينيوس ان هذه هي الطريقة التي وصلت بها الحياة الى الارض . وان من المحتمل أن جراثيم الحياة انتقلت من عالم الى اجرام فلكية كثيرة . فاذا صدق هذا الزعم وافترضنا أن الحياة انتقلت من هنا الى المريخ فانها تصل اليه بعد عشرين يوماً . ولكي تصل الى المشترى لابد لها من ثلاثة أشهر . ولكي تصل الى نبتون — وهو أبعد السيارات — لابد لها من أربعة عشر شهراً

أما البرد القاسي الذي يسود الفضاء بين الاجرام الفلكية فليس حائلاً دون انتقال جراثيم الحياة . فقد أثبت الاستاذ بيكل كما قلنا في صدر هذه المقالة أن تلك الجراثيم تقوى على احتمال أقصى درجات البرد بل في وسعها أن تحتمل أقصى درجات الحر أيضاً

لكن هنالك اعتراضاً له بعض الوجاهة على هذه النظرية وهو وجود الاشعة التي وراء البنفسجية وتأثيرها الشديد في طبقات الجو العليا . اذ لا يخفى ان هذه الاشعة تقتل أشد الميكروبات تمسكاً بالحياة . فكيف تسلم منها جراثيم الحياة في طبقات الجو العليا حيث تكون الاشعة على أقواها ؟

هذا سؤال يصعب الجواب عنه كما يصعب تعليل تلك الظاهرة الغريبة التي ذكرها الاستاذ بيكل في صدر هذه المقالة وهي بقاء الخلايا الحية وعدم فنائها مع انه حلق بها مرتفعاً الى طبقة الستراتوسفير

وهنالك اعتراض آخر على نظرية وصول جراثيم الحياة الى الارض بقوة الدفع التي تمتاز بها أشعة النور . وهذا الاعتراض هو اننا اذا سلمنا بالنظرية المذكورة وجب التسليم بان جراثيم الحياة لم تصل الى عالمنا الارضي مرة واحدة بل مراراً كثيرة . على ان العلم قد أثبت ان الحياة ظهرت على هذه الارض وارتقت بالتدريج بحيث أن جميع الكائنات الحية هي حلقات متتابعة في سلسلة واحدة

جنون المبارزة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
اسكواير، بقلم ادورد بارنز]

كانت المبارزة بالاسلحة القاتلة كثيرة الشيوع حتى الربع الاول من القرن الماضي — ليس في أوربا فقط بل في جميع أنحاء العالم الجديد أيضاً — فكان الناس من محامين وأطباء وسياسيين وغيرهم يتبارزون من أجل أتفه الاسباب. بل كثيراً ما كان التجار والوعاظ ومحررو الصحف ينزلون إلى ميادين المبارزة. وما هي إلا أن يقف المتبارزان وجهاً لوجه وبينهما بضع أقدام أو بضع أذرع، ثم يعد الحكم: «واحداً!... اثنين!... ثلاثة!...» ثم يلي ذلك صوت انطلاق رصاصة من كل من المتبارزين، ثم يسقط أحدهما على الارض متخبطاً بدمائه... ويكون الآخر قد انتقم لشرفه!

وكثيراً ما كان يتبارز شابان من أجل فتاة يحبانها وتحضر هي بنفسها المبارزة. فاذا سقط الشاب الذي تحبه سرعت بمدارتها القاتل وهربت مع «الحكم»!

كان الشاب في ذلك العصر إذا تحدث عن الشرف لم يعد الكلام على المبارزة وعلى أنواع الاسلحة، ولا يحفظ إلا قانون الشرف. وقانون الشرف في عرفهم هو قانون المبارزة وقيودها وكل ما يتعلق بها. ومن مقتضى هذا القانون أن يقف المتبارزان متواجهين ينتظران اشارة الحكم الشروع في اطلاق الرصاص. فاذا أطلق أحدهما عيارته قبل صدور الاشارة بربع ثانية أو بعد انقضاء وقت المبارزة بربع ثانية عد حنثاً وجاز لغريمه أن يقتله. وإذا قتل غريمه بمثل تلك الخيانة جاز لشهود غريمه أن يتولوا قتله. وإذا استوفت المبارزة جميع الشروط ولم تسفر عن جرح أحد المتبارزين أو قتله جاز لهما أن يطلبا اعادة المبارزة، وليس للحكم أو الشهود رفض مثل ذلك الطلب

أما الشهود فكانت مهمتهم شاقة وتبعاتهم خطيرة. فقد كان عليهم تنظيم المبارزة ووضع شروطها وتعيين مكانها وزمانها وتحديد نوع السلاح والمسافة التي يجب أن تفصل بين الغريمين — الى غير ذلك من التفصيلات الدقيقة. وكان عليهم في بعض الحالات أن يجهزوا على المتبارزين او احدهما

أما الاسباب التي كان يجوز للمبارزة من أجلها فلم تكن تقع تحت حصر. فالشؤون التجارية والسياسية والعلمية والغرامية والاجتماعية والادبية — كل هذه كانت مجالا لاختلاف الرأي وتسويغ المبارزة. والتاريخ مفعم بأخبار مبارزات وقعت بين فريق من العظماء لأتفه الاسباب

من ذلك أن اثنين من ربابنة السفن اختلفا على سرعة كل من سفينتيهما. فأصر أحدهما على مبارزة الآخر، ولم تجد محاولة هذا اقناع صديقه بالعدول عن طلبه. فتمت المبارزة وقتل أحدهما «فرانسيس كي» وهو من مشهوري رجال البحرية الامريكية!

واتفق في مدينة فرنكفورت مرة أن رجلاً من كبار سكان المدينة كان سائراً ذات يوم في أحد شوارع المدينة فالتقى بصديق له ومعه كلبه وداس الرجل ذنب الكلب عن غير قصد، فما كان من صاحب الكلب إلا أن طلب صديقه للمبارزة وأصر على طلبه، فلم يسع الغريم إلا اجابة الطلب. والتقى الصديقان في الزمان والمكان المتفق عليهما ووقفا متواجهين وبينهما مسافة اربع أقدام فقط. واطلق صاحب الكلب رصاصة اصابت مقتلاً من غريمه

وأنقذ الشرف بذلك ... شرف الكلب ام شرف صاحبه؟... وذهب رجل عظيم بوطأة ذنب كلب!.. وكان الناس في ذلك العهد يسمون أنفسهم متمدنين! ...

وفي التاريخ أن ديكاتور وزير البحرية الاميركية في أوائل القرن الماضي ومن أبطال الحرب الاميركيين سقط برصاصة رجل في مبارزة جرت في ظروف غريبة. وتفصيل ذلك أن توماس بارون قائد احدى البوارج الاميركية في الحرب الانجليزية الاميركية وقع أسيراً في يد الانجليز الذين استولوا على بارجته وأطلقوا سراحه. وقضى قانون الحرب بمحاكمة بارون المذكور أمام محكمة عسكرية قضت بطرده من الخدمة وبعدم الاذن له بالعودة إلى البحرية الا بعد انقضاء عدد معين من السنين. فما كان منه إلا أن طلب الوزير ديكاتور للمبارزة. وحاول ديكاتور بكل ما في وسعه لتحويل بارون عن عزمه ولكن هذا أصر على طلبه ولم يسع الوزير إلا الرضى. فقاتل بارون في ميدان المبارزة وسقط قتيلاً برصاصة منه. وخسرت أميركا يومئذ أعظم أبطالها البحريين

وفي التاريخ أيضاً أن اندرو جاكسون الذي كان رئيساً للولايات المتحدة منذ مائة عام بارز صديقاً له يدعى ديكنسون، وذلك قبل أن يصير رئيساً للجمهورية. وتفصيل ذلك أن الصديقين اختلفا على رهان في سباق الخيل وأدى بهما الخلاف إلى الشتائم. ووصلت الانباء إلى الصحف فنشرتها. وأخيراً طلب جاكسون صديقه ديكنسون (وكان محامياً) للمبارزة وألح في الطلب فلم يسع المحامي إلا تلبية الدعوة. وكانت شروط المبارزة تقضي بأن يقف الغريمان متواجهين وبينهما مسافة عشرين قدماً فقط وأن يطلق كل منهما بدوره رصاصة على غريمه على ان يبدأ ديكنسون أولا. ولما بدأت المبارزة وأعطى الحكم الاشارة صوب ديكنسون غدارته نحو جاكسون على مهل وأطلقها عليه. فاصاب كتف غريمه. ولكن هذا تماسك ولم يسقط الى الارض. فاستولى الرعب على ديكنسون وصاح: «لقد أخطأته وسوف يقتلني!» ثم صوب جاكسون غدارته بدوره نحو ديكنسون وما هي الا طرفة عين حتى انطلقت الرصاصة تئز في الفضاء واستقرت في قلب ديكنسون. ومات في تلك الليلة موتة فظيعة تاركا وراءه زوجة وثلاثة أولاد. أما جاكسون فاختير بعد ذلك رئيساً للولايات المتحدة! ...

متى يموت العليل ؟

[خلاصة مقالة نشرتها مجلة السانتفيك
أميركان ، بقلم الدكتورة فادن]

عهدت مجلة السانتفيك أميركان الى سيدة أميركية لتجمع ما تصل اليه يدها من الاحصاءات وتستدل منها على الساعات التي تقع فيها حوادث الوفيات . فقامت السيدة المذكورة بهذه المهمة خير قيام وجمعت معلومات ذات طلاوة عظيمة نورد لك فيما يلي أهمها :

وأول تلك المعلومات أن الذين يموتون في ساعات النهار الاولى هم أكثر من الذين يموتون في ساعات النهار الاخرى . وقد كان هذا الاعتقاد شائعاً بين جمهور الاطباء ، ولكنه لم يثبت بوجه علمي قاطع حتى الآن . فالاحصاءات والبيانات التي جمعتها السيدة فادن تجمع الى اثبات هذا الاعتقاد

وهنالك حقيقة أخرى معروفة عند جمهور الاطباء ولكنهم عاجزون عن تعليلها حتى الآن ، وهي أن الذين يموتون عند الظهر أو عند منتصف الليل هم قليلون جداً أو هم بلا شك أقل من الذين يموتون في أية ساعة أخرى من ساعات النهار

ترى ما سبب ذلك ؟ وهل يمكن تعليله تعليلا علمياً ؟

تدل الاحصاءات بحسبة على قلة عدد الوفيات في . . . حتى الظهر ومنتصف الليل تتبعها زيادة في عدد الوفيات وهذه الزيادة تبلغ أشدها في الساعة الاولى بعد الظهر وتستمر كثيرة حتى الساعة السادسة مساء ثم تنقص بالتدريج حتى تبلغ أدناها عند منتصف الليل وتظل قليلة حتى الساعة السابعة صباحاً ومن ثمة تأخذ في الزيادة فتبلغ أشدها في ساعات الصباح الاولى كما تقدم القول

ترى ما الذي يحدث في غرفة العليل ، وفي نفس العليل ، سواء أكان في منزله أم في المستشفى ، مما يؤجل وقوع الوفاة أو يعجل بها ؟

ليس ثمة تعليل يمكن أن نقيم له وزناً إلا مسألة الطعام . فساعتا الظهر ومنتصف الليل هي الوقت الذي يتوقع فيه العليل غذاءه بانتظام . نقول « منتصف الليل » لان المستشفيات تحافظ على تقديم الغذاء للعليل في الوقت المذكور كما تحافظ على تقديمه له عند الظهر أو في أية ساعة أخرى يشير بها الطبيب . وتقديم الغذاء للعليل في منتصف الليل هو أمر اعتيادي يأمر به جميع الاطباء في الحالات الخاصة

فن المحتمل كثيراً جداً أن الطعام الذي يقدم للعليل عند الظهر أو عند منتصف الليل هو الذي ينتصر على الموت انتصاراً وقتياً . ولا يخفى أنه عند ما يتعرف الانسان على الموت ويأخذ جسمه في الاضمحلال لا يبقى ثمة سوى عائق واحد في سبيل الموت . وهذا العائق هو الرغبة في الحياة وتمسك

العليل بها حتى آخر نفس من أنفاسه . فاذا ضعفت هذه الرغبة أو زالت قويت شوكة الموت وكانت المرضة سخة له . والاختبار يدلنا على أن الذى يعرف على الموت لا يماطل الموت ويدفعه من « ساعة الى ساعة » بل من « حادثة الى حادثة » فهو فى الصباح الباكر يتوقع ان يرى حوادث النهار من تناول الطعام ومشاهدة الطبيب وغيره . ثم تنتهى نوبة الممرضة الليلية وتحل محلها الممرضة النهارية ويؤتى بطعام الصباح ويقع من الحوادث ما ينسى العليل سآمة الليل وساعاته المملة . وكأننا بالعليل تتجدد رغبته فى الحياة وتشتد حيويته لان تتابع الحوادث بسببه فزع الليل . فيماطل الموت مرة أخرى ويدفعه بقوة إرادته إلى وقت آخر

ثم يقع سكون نسبى يستمر إلى ما قبيل الظهر بقليل حينما تنتعش آمال العليل مرة أخرى قرب وقوع حادث آخر هو تناول طعام الظهر . فتنشط الحيوية مرة أخرى وتقوى الرغبة فى الحياة . وينقضى الظهر عادة بسلام . وتتبدل الحالة بعد ذلك اذ يحل الملل محل النشاط ويبدأ اليأس يطرد الرغبة فى الحياة . وتستمر هذه الحال إلى ما قبل منتصف الليل إذ ينتعش أمل العليل لتوقعه حادثاً جديداً هو غذاء منتصف الليل

واذا انقضى هذا الحادث بسلام عادت همة العليل الى الهبوط ورأى أمامه ساعات الظلام الباقية طويلة مملة لا يتوقع فيها اى حادث حتى الفجر . والفجر على ما يلوح له بعيد جداً . ومما يجدر بالذكر أنه ليست القوة الحيوية هى التى تهبط فى العليل الى أدناها بين منتصف الليل وطلوع الفجر بل اهتمام الانسان بالحياة . وفى الواقع ان اكثر حالات الوفاة تكون بين ظلام الليل وملل العليل على أشدها . وقد ترى الممرضة جالسة على كرسيها بعد نوبات طويلة . والسكون مسدول على السكون فى الخارج فلا صوت ولا حركة . ولكنه ليس من نوع السكون الذى يزيد رغبة العليل فى الحياة أو يقوى فيه حيويته أو نشاطه . فهو يرى أمامه ست ساعات طوال هى أدعى ما يكون الى الملل وأقل ما يكون للنشاط . فيحاول أن يغفى اغفاءة قصيرة يقطع بها ما يستطيع قطعه من الوقت . ولكنها الاغفاءة الاخيرة التى لا يقظة بعدها

هذا وصف لحقيقة يجهلها الكثيرون . فالحوادث التى تقع حول سرير العليل المعرف على الموت هى التى تنعشه وتنفخ فيه روح الرغبة فى الحياة ، بل هى التى تحفظ له حياته فترة أخرى من الوقت وتلك الحوادث هى أشبه بموجة اضطراب فى بحر الحياة الهادىء . واذا كان السكون مصدر حياة للاصحاء فقد يكون سبب موت الاعلاء

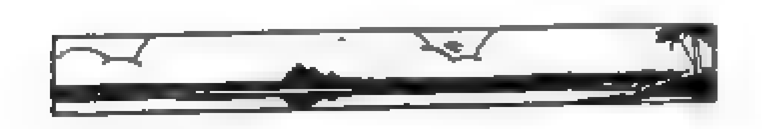

تقدم العلم والعالم

طبقة الستراتوسفير

يزداد اهتمام العلماء بطبقة الجو المعروفة بالستراتوسفير . ففي كل من روسيا وأمريكا وسويسرا والبلجيك جماعات علمية تعنى بفحص تلك الطبقة واستجلاء غوامضها . ولا يكاد يمر شهر إلا ونسمع عن محاولة جديدة يقصد بها أصحابها الوصول الى تلك الطبقة العالية

وتقول إحدى المجلات الأمريكية أن اربعين منطاداً أمريكياً ستحلق في شهري مارس وابريل من إحدى محطات الرصد بمدينة سانت لويس وفي كل منها آلات دقيقة أوتوماتيكية لتسجيل درجات الحرارة والبرودة والرطوبة وكثافة الهواء وسرعته واتجاهه ، إلى غير ذلك من المعلومات التي يعنى بها العلماء.

عدسة تلسكوب جديدة

أشرنا في أجزاء الهلال السابقة الى المرقب (التلسكوب) الهائل الذي سيقام في بازدينا بكاليفورنيا ، وسيكون اكبر تلسكوب في العالم لان قطر عدسته سيبلغ مائتي بوصة . وقد شرع مرصد مكدونالد التابع لولاية تكساس بأمريكا في بناء تلسكوب سيكون الثالث في العالم باعتبار حجمه فيكون قطر عدسته ثمانين بوصة وثقلها خمسة آلاف رطل وسبعمائة رطل. وقد صب هذه العدسة منذ عدة أسابيع ثم تركت لتبرد بالتدريج بمقدار نحو درجتين (بمقياس فهرنهيت) كل يوم وستكون في أواخر شهر ابريل الحالي جاهزة للصقل وهو المرحلة الاخيرة من مراحل صنع عدسات التلسكوبات

أشعة رنتجن

مر أربعون عاماً على اكتشاف أشعة رنتجن المعروفة بأشعة « اكس » . وبعد اكتشافها ببضعة أسابيع بدأ الاطباء يستعينون بها على فحص العظام المصابة بعطب أو كسر ، وعلى تصوير باطن جسم الانسان الذي كان حتى سنة ١٨٩٥ سفراً مغلقاً

قدم عهد الانسان

كل يوم تتجلى للعلماء أدلة جديدة تثبت أن الانسان أقدم عهداً بهذه الأرض مما يتوهم الكثيرون ، وأن حضارته أبعد كثيراً من الحضارة المسجلة في كتب التاريخ . ولما أعلن الاستاذ مور الانجليزي منذ خمس وعشرين سنة أنه اكتشف في « صفوك » بالجنوب الشرقي من انجلترا أدوات مصنوعة من حجر الصوان يرجع عهدها الى العصر المعروف « بالبليوسيني » لم يصدقه أحد من العلماء لان ذلك يقتضي ارجاع فجر المدنية أحقاباً كثيرة الى الوراء . ولكن الحقائق ما عتمت أن انجلت بالتدريج فلم يمض وقت قليل حتى آمن العلماء بما كانوا ينكرونه من قبل . وقد شرعوا في درس الادوات الصوانية التي اكتشفها الاستاذ مرير فاتضح لهم أنها لم تصنع جميعها في عصر واحد ، لأنها مختلفة الصنع متفاوتة في الاتقان . وتدل درجة اتقان الاخيرة منها على أن بينها وبين الطائفة التي هي

أقل إتقاناً منها عدة مئات الالوف من السنين. وفي الواقع أن علماء الآثار قد قسموا تلك الادوات إلى أربع طوائف بحسب زمن صنعها وبين كل طائفتين منها عدة مئات الألوف من الأحقاب. فتأمل في قدم عهد الانسان بهذه الأرض

اشعة كونية هائلة

الأشعة الكونية هي الاشعة التي اكتشفها الاستاذ مليكان العالم الامريكي منذ بضع سنوات ولم يتفق العلماء على تعيين مصدرها حتى الآن. وهي تشبه في خواصها أشعة اكس إلا أنها أقوى منها كثيراً جداً. وقد جاءتنا الآن إحدى المجلات العلمية بنبأ مدهش خلاصته أن الدكتورا كسيل كارولين العالم الفلكي الاسوجي ومدير مرصد ولمند باسوج قد اكتشف ضرباً جديداً من الاشعة الكونية أقوى من جميع الاشعة المعروفة لانه يخترق طبقة من الحديد الخام تبلغ مائة وستين متراً وهي قوة هائلة يكاد العقل يعجز عن تصورها!..

سل المواشي

كان العلماء الى عهد قريب يعتقدون أن سل المواشي والابقار لا دواء له. إلا أن المباحث العلمية التي تمت في خلال ربع القرن الاخير قد أثبتت لهم أن هذا الداء ليس من الادواء المستعصية على العلم

آثار العصر الجليدي

عثر العلماء في سان دياجو بكاليفورنيا على بقايا حيوانات من الحيوانات التي كانت تمرح على سهول تلك البلاد منذ نحو مائة الف سنة أي في أواسط العصر الجليدي الاخير الذي انتهى منذ نحو عشرين الف سنة. وقد نقلت هذه البقايا الى متحف سان دياجو الطبيعي حيث شرع العلماء في درسها وتعيين الفصائل التي تنتمي اليها وبينها آثار حيوانات من الانواع المنقرضة كالماموث والبيموث وغيرها

سكان الهند

يؤخذ من الاحصاءات الرسمية لدى حكومة الهند أن عدد الهنود زاد من سنة ١٩٢١ الى ١٩٣٢ اكثر من أربعة وثلاثين مليوناً من الانفس. ويقال إن الهنود والصينيين أكثر شعوب الأرض تناسلا

لمكافحة الضباب

الضباب هو أعظم الاخطار التي تتعرض لها السفن والطائرات وقد اخترع أحد المهندسين الامريكيين أخيراً معداً يستطاع به رؤية الاشياء من خلال الضباب واتقاء الاخطار. وقد جرب هذا الاختراع فأسفرت تجربته عن نجاح تام

الكلف الشمسية

لا يخفى أن للكلف الشمسية أدواراً يستغرق كل منها نحو احد عشر عاماً. ونحن الآن في نهاية دور من تلك الادوار. ويؤخذ من أرصاد العلماء في مرصد ويلسون بامريكا أن الباقي من تلك الكلف على سطح الشمس الآن ينتظر ان يزول بعضه قريباً. على أن دورة الكلف الجديدة قد بدأت منذ شهر اكتوبر الماضي أي قبل انتهاء الدورة القديمة. فقد شوهدت أول كلفة من كلف الدورة الجديدة في ١٠ اكتوبر وستنتهي الدورة الحالية حوالى سنة ١٩٤٤ أو ١٩٤٥

الاغاني القومية الافريقية

في أواسط أفريقا اليوم بعثة علمية تعنى بتسجيل الانغام والاغاني الوطنية لسكان تلك المجاهل وهي تستخدم لهذا الغرض الآلات التي « تملأ » بها اسطوانات الفونوغراف

المعاملات في بابل

كان في بابل قديماً - كما في جميع أنحاء العالم اليوم - أناس يعيشون مما يدره الربا عليهم من المكاسب . وكان يحق للدائن في ذلك العهد أن يطلب من المدين تقديم رهن شخصي . فكان المقترض يضطر أن يقدم له أحد عبيده ولا يحق له أن يسترده الا بعد تأدية ما عليه من الدين مع الفائدة

حرارة الجو

المعروف عند العلماء أن طبقة الجو المعروفة بالستراتوسفير هي شديدة البرودة حتى لا تكاد تصلح للحياة مع أن أشعة الشمس تملأ ... عند ذلك الارتفاع ، ولكن أشعة الشمس تكتنف قمم الجبال أيضاً ومع ذلك فان الهواء عندها بارد جداً . على أن تقارير معظم الطيارين تدل على أن الحالة ليست كذلك في الشتاء فان الجو يكون أشد برداً فوق سطح الكرة الارضية منه على ارتفاع بضعة آلاف من الاقدام . فبينما تكون الحرارة لا تزيد على عشر درجات على سطح الكرة الارضية مثلا (بمقياس فهرنهيت) تجد حرارة الجو على ارتفاع نحو خمسة آلاف قدم أربعين درجة . وقد تزيد هذه الدرجة أو تنقص تبعاً للعوامل الجوية المختلفة . ولم يتجلّ سر هذه الظاهرة الجوية انجلاء تاماً حتى الآن

متحف يهودي

أنشأ اليهود المقيمون بمدينة شيكاغو متحفاً في تلك المدينة يضم جميع آثار الفنون والعلوم والصناعات العبرانية منذ أقدم الازمنة الى هذا اليوم

اعزز مورد للكينا

يظهر أن نحو ٩٧ في المائة من مادة الكينا التي يستهلكها العالم تجيء من جاوا ومع ذلك يقول علماء النبات ان أمريكا الجنوبية كانت موطن هذا النبات

خارطة مركوبولو

عثر العلماء أخيراً على خارطة قديمة يقال انها من صنع مركوبولو الرحالة القديم المشهور، وهذه الخارطة تدل على السياحات المختلفة التي قام بها ذلك الرحالة

من اسباب الحريق

في تقرير لاحدى شركات التأمين الامريكية أن السجاير هي سبب نحو ستين في المائة من حوادث الحريق التي تقع في أمريكا . ومعنى ذلك أن الاهمال هو أعظم سبب من أسباب الحريق في الولايات المتحدة ، بل في العالم كله

ملكة البحار

عادت شركة كونارد للملاحة الى اتمام بناء الباخرة « ملكة البحار » وكان قد وقف العمل فيها منذ مدة . وستكون هذه الباخرة أكبر السفن العائمة على البحار في الوقت الحاضر وأشدها سرعة وسيبلغ محولها خمسة وسبعين الف طن

اضرار الارانب

الارانب من أشد الآفات التي تصاب بها النباتات والمزروعات. وفي تقرير لحكومة أوستراليا أن الخسارة التي منيت بها تلك البلاد في السنة الماضية بسبب الارانب بلغت ثلاثين مليون جنيه تقريباً مع أن ثمن ما أصدر الى الخارج من فراء تلك الارانب لم يزد على مائة وخمسين الف جنيه

الطرق المعبدة في امريكا

في تقرير لنادي الاتوموبيلات بمدينة نيويورك أن مجموع طول الطرق المعبدة التي تصلح للاتوموبيلات في الولايات المتحدة بلغ حتى ختام السنة الماضية مليوناً ومائة وخمسين ألفاً من الاميال منها ٢٧٥ الف ميل ملك الحكومة وما بقي للشركات والأندية الاتوموبيلات. ويبلغ مجموع طول الطرق العامة في الولايات المتحدة (ماعدا شوارع المدن) ثلاثة ملايين وأربعة آلاف ميل

الكتابة في الجو

ذكرنا في جزء سابق من الهلال أن أحد المهندسين الانجليز استنبط جهازاً للكتابة الاعلانات في الجو باحرف مضيئة. وقد قرأنا الآن في إحدى المجلات العلمية الامريكية أن تحسينا كبيراً قد أدخل على هذا الاختراع. ذلك أن طياراً يعلو بطائرته الى ارتفاع نحو أربعة أميال في الجو ومعه جهاز خاص فيه دخان أو غاز كثيف يطلقه في الجو فتكون منه أحرف يستطيع الذين هم على الارض أن يقرأوها بوضوح. ولما كان الجو على ذلك الارتفاع بارداً جداً فان الغاز المستعمل للكتابة يجمد في الجو حال خروجه من جهازه فيبدو للواقفين على الارض كأنه أحرف معلقة في الفضاء

على سطح زحل

اكتشف علماء الفلك حديثاً لطخة أو كلفة على سطح السيار «زحل» يستدل من رصدها على أن حجمها يعادل حجم الكرة الارضية لان محيطها يبلغ نحو ثمانية آلاف ميل. وقد اختلف علماء الفلك في تعليلها. وأكثرهم يعتقدون أن اللطخة هي أثر نيزك هائل الحجم صدم زحل في أثناء دورانه في الفضاء أو انها أثر ثورة بركان هائل على سطح ذلك السيار

بناء السفن

بلغ عدد السفن التي بنيت في الولايات المتحدة في السنة الماضية ٧٤٩ سفينة بين تجارية وزيتية وشراعية بنقص ١٤٩ سفينة عن عدد السفن التي بنيت في السنة التي قبلها وبنقص ٥٤٣٢١ طن من حمولتها. ولكن انتعاش البلاد في هذه السنة رخصة وطأة الضائقة المالية تحمي للأمان زيادة ما ينبني من السفن في هذا العام

أقراص زيت كبد الحوت

لاشك أن زيت كبد الحوت هو من أنفع المواد التي تعطى للاولاد لتقويتهم. ولكن طعم هذا الزيت هو الذي يجعله مكروها عند الاولاد ويمنعهم من تعاطيه. لذلك فكر أحد المعامل التي تصنع العقاقير الطبية في استنباط طريقة لجعل هذا الزيت مقبولا. وبعد تجارب كثيرة وفق الى صنع أقراص منه لذيذة الطعم وحاوية لجميع خواص زيت السمك، حتى لقد يتخيل الولد الذي يتناولها أنه يتناول (بستيليا) مصنوعة من الكاكاو أو الشكولاتة

الثروة في البحر

قام المعهد السمثسونى الامريكى، وهو من اكبر المعاهد العلمية في العالم، بدرس مياه البحار المختلفة والمواد التى تتركب منها. فاتضح له أن مجموع مساحة بحار العالم يبلغ نحو ثلثمائة وستة وستين مليون كيلومتر مربع، ومتوسط عمقها ثلاثة كيلومترات. وفيها الف وخمسمائة ألف مليون اونس من الذهب. فيصيب كل فرد من أفراد سكان العالم نحو سبعمائة وخمسين اونسا من الذهب. فاذا فرضنا أن الاونس الواحد من الذهب يساوى أربعة جنيهات كان مجموع ما من الذهب الذى يصيب كل فرد من افراد العالم نحو ثلاثة آلاف جنيه

عيون القطط

لابد أن يكون القارىء قد لحظ النور الذى يشع من عين القط فى الظلام الحالك. وهذا النور ناشىء عن انعكاس الاشعة عن بعض القطط التى تشبه مادة المرآة. ثم ثبت أن فى عيون القطط والسمك وبعض الحيوانات الاخرى مادة تشبه المادة التى تصنع منها المرايا وهى التى تعكس أشعة النور فى الظلام. وعليه فحاسة البصر فى تلك الحيوانات هى أقوى فى الليل منها فى النهار لان شدة النور فى النهار تبهرها وتضعف حاسة الابصار فيها

الانباء بالاحوال الجوية

قام علماء المعهد السمثسونى بامريكا بمباحث واسعة النطاق وجمعوا احصاءات كثيرة ثبت لهم منها أن الاحوال الجوية التى تطرأ على الكرة الارضية تتماثل كل ثلاث وعشرين سنة. فالاحوال الجوية لسنة ١٩٣٤ ستكون مماثلة تماما للاحوال الجوية التى مرت بها الارض فى سنة ١٩١١، وللاحوال الجوية التى ستجىء سنة ١٩٥٧. وقد سمى العلماء هذه الدورة «الدورة الجوية» وهى تتقدم أو تتأخر قليلا لاسباب لم تتضح حتى الآن. ولكن الاحصاءات بوجه الاجمال تدل على أن درجات الحر والبرد والرطوبة وغيرها من الاعراض الجوية لأية سنة من السنين تماثل تلك الدرجات والاعراض منذ ٢٣ سنة وستماثلها أيضا بعد مرور كل ٢٣ سنة

ومما يجدر بالذكر أن الدورة الجوية هى ضعفا دورة الكلف الشمسية أو تزيد عليها قليلا. ومن المحتمل أن يجد العلماء فى المستقبل علاقة بين الدورتين

مصابيح كشافة هائلة

يستعمل الجيش الامريكى الآن مصابيح كشافة ذات قوة هائلة ليتمكن بها من رؤية الطائرات التى تحلق فى الجو فى الليل. ولتبيان قوة هذه المصابيح نقول إن نور كل مصباح منها يعادل ثمانمائة مليون شمعة وينير الجو الى ارتفاع خمسة عشر الف قدم. ويمكن رؤية هذه الاشعة جملة من بعد نحو مائة ميل. وهذه المصابيح توضع على اتومبيلات متنقلة وهى سهلة الاستعمال وليس لجيوش الدول الاخرى ما يماثلها

احذية من بلاتين

كان الذهب يمتاز عن غيره من المعادن حتى الآن بامكان تطريقه وصنع رقائق دقيقة

منه . وقد وفق بعضهم أخيراً الى صنع رقائق من معدن البلاتين اخف من رقائق الذهب . والبلاتين كما لا يخفى أغلى من الذهب . وقد شرعت احدى شركات صنع الاحذية بامريكا فى صنع أحذية للسيدات مكسوة برقائق البلاتين وهى وان تكن أغلى ثمنا من الاحذية الاعتيادية الا أنها فى متناول الكثيرات من سيدات الطبقة الوسطى

لو بنى الهرم في امريكا

سئل جماعة من كبار المهندسين الامريكيين عن رأيهم فى بناء هرم الجيزة الاكبر وهل يعتبر عملا هندسيا كبيراً بالنسبة الى الأبنية العظيمة والى ناطحات السحاب التى تشيد الآن فى امريكا وفى غيرها من أنحاء العالم فكان جوابهم بالاجماع أن هرم الجيزة لا يقل فى عظمته من الوجهة الهندسية عن عظمة أى عمل آخر قام به الانسان فى هذا العالم منذ فجر المدنية حتى الآن قالوا ولو بنى اليوم هرم كهذا فى مدينة نيويورك واستعملت فى بنائه أحدث الاختراعات الميكانيكية والهندسية لتكلف نفقات واحدا وخمسين مليون جنيه على أقل تقدير إلا أنه إذا بنى من الحديد والاسمنت فقط فهى هذه الحالة يقتضى نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ويستغرق بناؤه على ثلاثة آلاف عامل يشتغلون مدة عشر سنوات

ولا يخفى أن بناء هرم الجيزة استغرق عشرين سنة على ماروى المؤرخ هيرودتس اليونانى . وكان عدد العمال فيه مائة الف يشتغل كل منهم ثلاثة أشهر فى السنة . وبلغ عدد الحجارة فى الهرم نحو مليونى حجر وثلثمائة الف ، بلغ مجموع حجمها نحو خمسة وثمانين مليون قدم مكعبة . فتأمل !

حوض جديد للسباحة

أنشىء فى ومبلى بمدينة لندن حوض داخل ملهى (ستاد) يسع ثمانية آلاف شخص . وهذا الحوض للسباحة ويمكن احداث امواج صناعية فيه بواسطة تيار كهربائى تشبه الامواج الطبيعية . كما يمكن أيضا تجميد مياهه بواسطة الكهربائية لكى يتسنى القيام بالالعاب الرياضية التى تجرى عادة على الجليد من تزلج وتزحلق وخلافهما . وهذا الحوض هو أغرب حوض من نوعه فى العالم . وقد بلغت نفقات انشائه اكثر من مائتى الف جنيه

في المجاهل القطبية

يقول العلماء الذين ارتادوا المجاهل القطبية إن أمواج الصوت هناك تنتقل بقوة ووضوح عظيمين جداً حتى ان صوت الكلام الاعتيادى يمكن سماعه عن بعد ميل ونصف ميل

دكان أثري

بينما كان العمال يقومون باعمال الحفر فى خرائب مدينة هركولانيوم عثروا على آثار دكان رومانى لبيع المواد الغذائية ما يزال على حالته الاصلية كما كان قديما بموازينه وآنيته والادوات التى كان صاحب الدكان يستعملها . وهذا الاكتشاف هو الوحيد من نوعه بين آثار الاقدمين

كتب جديدة

مذكراتي في نصف قرن

بقلم الحاج احمد شفيق باشا

طبعت بمطبعة مصر بالقاهرة . صفحاتها ...

لعل هذه المذكرات أثمن مذكرات ظهرت في السنين الأخيرة ، لأن كاتبها من رجالات مصر المشهورين ، ومن علمائها الاجلاء المعدودين الذين شاهدوا حوادث الجيل الماضي ، وكانوا من أوثق الناس بها وأشدهم اتصالا بسيرها . فهو اذا روى فانما يروى عن خبرة ، واذا تحدث فانما يتحدث عن مشاهدة ومشاركة ، فقد كان هو من رجالها . وحسبك صدقاً وعجباً اذا رأيت الشرح من فم من شاهد حوادثه ووقائعه وكان على أشد مايكون اتصالا به

ولذلك لاشك في أن هذه المذكرات التي يقدمها صاحب السعادة احمد شفيق باشا أصدق سفر يقدمه كاتب في تاريخ حقبة من الماضية

وقد أصدر سعادته اخيراً الجزء الأول من هذه المذكرات وهو يحوى ثلاثة ابواب كل باب يشتمل على عدة فصول . وقد مهد لهذه المذكرات أولا بمقدمة عن حياة سعادته الاولى ونشأته ودراسته واحوال المدارس والامتحانات والوظائف في ذلك العهد ثم بدأ الباب الأول بالكلام عن الخديو اسماعيل وحياته السياسية والاجتماعية بالتفصيل . ثم تكلم عن عهد توفيق باشا والثورة العرابية . وفي الباب الثاني تكلم عن عهد الدراسة في باريس ومشاهداته فيها وعن المجتمع الباريسي وعن المصريين في باريس . ويشمل الباب الثالث طائفة من الفصول عن حضارة الخديو توفيق حضرته الاجانب واستقبال معتمد امريكا وارق في الاسلام ونظارة مصطفى فهمي باشا وتحليل شخصية توفيق ووفاته الى غير ذلك من الفصول التي لايحسن كتابتها إلا شفيق باشا .. وقد حلى هذا الجزء بعدد من الصور والرسوم النادرة التي تمكن سعادته من الحصول عليها بواسطة ماله من اتصال وثيق بالعائلة العلوية التي استظل ظلها زمناً طويلا

النثر الفني في القرن الرابع

للدكتور زكي مبارك

الجزء الاول والثاني ــ طبعا بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاتهما ٣٦٢ و٣٩٩

« إن هذا الكتاب أول كتاب من نوعه في اللغة العربية أو هو ـ على الأقل ـ أول كتاب صنف عن النثر الفني في القرن الرابع ، هو بذلك أول منارة أقيمت لهداية السارين في غيابات ذلك العهد السحيق . ولن يستطيع أى مؤلف آخر ـ مهما اعتز بقوته وتعالى عن مجهود من سبقوه ـ أن ينسى أني رفعت من طريقه ألوفاً من العقبات والأشواك

« وهل يمكن الارتياب في أن مؤلف هذا

الكتاب هو أول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفني في اللغة العربية ، وقهر المستشرقين ومن لف لفهم من أهل الشرق على الاعتراف بان القرآن صورة من صور النثر الجاهلي ، وأنه دليل على أن العرب كان لهم نثر فني قبل عصر النبوة بأجيال ؟

« وهل يمكن الشك في أن مؤلف هذا الكتاب هو أول من رجع الصور الفنية في نثر كتاب الصنعة والزخرف إلى أصول عربية صميمة . وكان الباحثون يظنونها أثراً من اتصال العرب بالفرس واليونان ؟

« وهل يعتري منصف في أن ما حكيته عن أطوار السجع والتسبيب في النثر الفني باب من البحث جديد ؟

« وهل يتردد أديب في الاعتراف بأن الفصول التي كتبتها عن نشأة المقامات وعن الاخبار والاقاصيص فصول مبتكرة كتبت لأول مرة في اللغة العربية . . »

تلك فقرات مما قدم به الدكتور زكي مبارك كتابه (النثر الفني) إلى قرائه ، وسواء أكان في ذلك شيء من الاغراب أم لم يكن فالكتاب لاشك أثر أدبي نفيس من أنفس الآثار التي يعتز بها والتي أخرجتها المطبعة في السنوات الأخيرة ، فهو كمجهود من مجهود الشباب من خير المجهودات التي يضحي فيها الشبان بوقتهم وراحتهم في سبيل النهضة الحاضرة ، وفي سبيل الأدب العربي وإحيائه وكشف النقاب عن جماله وآثاره الخالدة التي طالما أماتها النسيان وجنى عليها إهمال أهلها

فاذا كان الدكتور زكي مبارك يقوم بهذا المجهود وتلك الخدمة لكشف النقاب عن النثر الفني في القرن الرابع ويكتب في ذلك كتاباً قيماً حاز بشهادة الدكتوراه من جامعة باريس بدرجة مشرف جداً - نقول إذا كان الدكتور زكي يقوم بهذا المجهود ويقدم هذه الثمرة الناضجة التي تعد احياء للادب العربي ودراسة قيمة على ضوء الاسلوب الجديد الذي يجب ان تدرس به الآثار العربية ، فانه يستحق من حماة هذه اللغة ومحبيها كل ثناء وإعجاب

الينبوع

الدكتور احمد زكي ابي شادي

طبع مطبعة التعاون بالقاهرة . صفحاته ٢١٨

للشاعر المفضال الدكتور احمد زكي ابي شادي انتاج فياض ، وموجات متوالية في الشعر العربي . ففي كل يوم يندفع هذا الفيض في دواوين ومؤلفات طريفة من الشعر الجديد حتى اصبح من المؤلفين من أكثرهم تأليفاً ، ومن الشعراء من اغزرهم نظماً ، فقد تعددت مؤلفاته ودواوينه ، ويكاد يصدر في العام الواحد ثلاثة دواوين أو أربعة وهذا ما لا عهد به من قبل في الشعر العربي . ولكن الذي يعرف قريحة هذا الاديب المجيد ونشاطه وجلده وجلاده ، لا تبلغ منه الدهشة مبلغاً كبيراً . فقد اعطى الدكتور ابو شادي قريحة خصبة ونشاطاً حاداً وجلداً طويلا يظهر في كل آثاره السابقة وفي هذا الاثر الادبي الذي نقدمه للقراء . فقد احتوى الينبوع ٢٢٠٧ أبيات في مائة واثنتين وستين قصيدة . وهذا القدر في ديوان واحد يحسده عليه الآخرون . فضلا عن دواوينه وآثاره الاخرى

وبعد فقد حادثنا قراء الهلال مراراً عن شعر الدكتور ابي شادي ومكانته من الادب العربي ونزوعه الى التجديد . ولذلك نرى لزاماً

أن نوجز القول إيجازاً مكتفين بما أسلفناه عن هذا الشعر الجديد الذى لا يعجب مجيبه . وما كان له أن يعجب وهو ينبع من نبع أبى شادى

قصة روبنسن كروزو

للاستاذ كامل كيلانى

طبعت بمطبعة المعارف بالقاهرة . صفحاتها ١١٣

« مادمنا لا نستغنى عن الكتب ولا مندوحة لنا عن المطالعة فثمة كتاب هو عندى أثمن ذخر فى التربية الاستقلالية الصحيحة . وسيكون أول كتاب يقرؤه طفل « اميل » ...

« وسيظل هذا الكتاب عمدة فى هذا الباب ويظل كل ماعداه من كتب العلوم الطبيعية حواشى وتعليقات عليه . فهو أصدق مقياس نقيس إليه أحكامنا التى نصدرها . وسيظل كذلك متجدد الروعة والأثر فى كل وقت ...

« ترى ماهذا الكتاب إذن ؟

« لعله كتاب (أرسطو) أو (بلين) أو (بوفون) كلا ليس كتاباً واحداً من هؤلاء . بل هو كتاب « روبنسن كروزو » .

هذا ما قاله فيلسوف فرنسا العظيم جان جاك روسو فى هذه القصة التى ألفها الأديب الانجليزى (دانيل ديفو) . وهى من أحسن القصص وأشهرها . وتتلخص فى أن روبنسن قام برحلات بحرية أشبه برحلات السندباد البحرى ورأى فيها كثيراً من الغرائب والعجائب وعاش فى جزيرة مقفرة لا أنيس بها . وهذه القصة تبث فى نفوس الناشئة روح الجد والنشاط وتذكى فى قلوبهم جذوة الدأب والجرأة . وقد قام الأديب المفضال الاستاذ كامل كيلانى بترجمة هذه القصة ترجمة سلسة بليغة . فكانت هدية أخرى من تلك الهدايا القصصية السنية التى يوالى اهداءها الى الاطفال لتساعدهم فى استكمال التربية والتهذيب . وهو بذلك يؤدى خدمة جليلة للمربين والجيل الجديد الذى يقومون على تربيته

تاريخ الصحافة العربية

الجزء الرابع

بقلم الفيكنت فيليب دى طرازى

طبع بالمطبعة الامريكانية فى بيروت . صفحاته ٥٠٤

كان الفيكنت فيليب دى طرازى أمين دارى الكتب والآثار فى بيروت ، شرع فى تأليف كتاب جامع لتاريخ الصحافة العربية خدمة للغة العربية وتخليداً لآثار الصحافة والصحافيين فى هذه اللغة ، فأصدر الاجزاء الاولى قبل الحرب الكبرى ، ثم أنجز الجزء الرابع الذى نحن بصدده ، وهو يحوى جميع فهارس المجلات والجرائد العربية فى الشرق والغرب منذ تكوينها لاول مرة حتى سنة ١٩٢٩

ولا شك أن هذه خدمة جليلة ومجهود شاق عمد عليه الفيكنت طرازى لأن استقصاء هذه الصحف التى صدرت منذ أكثر من مائة سنة ثم اختفت واصبحت نسياً منسياً، لمن أصعب العقبات فى طريق الباحث الذى يريد أن يدون تاريخاً شاملا لهذه الصحف وفرسانها . ولكن الفيكنت استطاع أن يتغلب على هذه العقبات ، ويذلل تلك الصعوبات ، وصدر هذا الكتاب الرابع الضخم حاويا لاسماء الصحف العربية واسماء مؤسسيها وتاريخ ظهورها . ولا شك انه لا غنى للمؤرخ والصحافى عن اقتناء هذا الكتاب

حواء بلا آدم

للاستاذ محمود طاهر لاشين

(طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة . صفحاته ١٦٠)

الاستاذ محمود طاهر لاشين من أدباء الشباب الذين أولعوا بالقصص . واطلع القراء لهم على عدة قصص ممتعة فى الهلال وبعض الصحف الاخرى . وكانت هذه القصة (حواء بلا آدم) هى التى انفردت الهلال بنشرها . ولذلك رأى فيها القراء من المتعة واللذة واتساق الاسلوب القصصى وتجويده ما اصبروا به وشوقهم الى مطالعة قصص هذا الاديب . وقد أغراه كثير من اصدقائه بجمع هذه القصة فى مؤلف مستقل ، فطبعها طبعاً انيقاً يغرى باقتنائها كما انها تغرى هى بقراءتها واستيعابها ولا شك ان الاستاذ محمود لاشين قد أحسن الاحسان كله بخدمة الأدب القصصى الذى توافر عليه فى السنين الاخيرة وانتج فيه انتاجاً حسناً

اللغة العربية فى برقة

(L'arabo parlato in Cirenaica)

بقلم الأستاذ اليديو باترنا

مؤلف هذا الكتاب ضابط من ضباط المدفعية الايطالية المرابطيرة ، وهو بحث ممتع فى اللغة العربية كما يتكلمها أهل برقة . فقد دون به المؤلف لهجة أهل تلك البلاد وشرح ميزاتها الصرفية والنحوية . ولم يقتصر على ضبط القواعد التى تقوم عليها تلك اللهجة بل وضع معجماً لمفرداتها مرتباً على أحرف الهجاء الاوربية ودون تلك المفردات بالاحرف اللاتينية ، ضابطاً طريقة نطقها بمقتضى الاصطلاحات الصوتية الدولية . وختم المؤلف كتابه بإيراد مجموعة من الامثال العربية الشائعة بين أهل تلك البلاد وأردفها بترجمة بالايطالية

وقد وضع المؤلف كتابه فى الأصل لأهل وطنه من الايطاليين كما يستفاد من ضبط الالفاظ العربية فيه بالأحرف اللاتينية مشفوعة بالاصطلاحات الصوتية الدولية . والكتاب مبوب تبويباً حسناً ، ومؤلف تأليفاً علمياً دقيقاً

مصر

(Misr — Histoire de L'Egypte)

بقلم الأستاذ نسيب وهيبه

وضع هذا الكتاب باللغة الفرنسية حضرة الاستاذ نسيب افندى وهيبه من خريجى كلية الحقوق بجامعة باريس

ويتكون من ستة أجزاء تبحث كلها فى تاريخ مصر الحديث . فالجزآن الاول والثانى يبحثان فى ظهور الاسرة العلوية وعلاقة مصر بالاتراك وحكم المماليك والحملة الفرنسية . والجزء الثالث يتناول عهد عباس الاول وسعيد وحالة مصر سياسياً واقتصادياً وعمرانيا . والجزء الرابع وهو اهم الاجزاء يبحث فى عهد ساكن الجنان الخديو اسماعيل وما وصلت اليه مصر فى عهده . وبه بحث فى المالية المصرية ونشوء صندوق الدين . ويبحث الجزء الخامس فى حكم الخديو توفيق والخديو عباس الثانى وما وقع لمصر من الحوادث التاريخية المهمة حتى سنة ١٩١٤ . أما الجزء السادس فيبحث فى عهد الحماية البريطانية ثم الاعتراف باستقلال مصر ثم تنصيب ساكن الجنان الامير حسين سلطاناً على مصر ثم عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول

بين الهلال وقرائه

معالجة الرائحة الصودية

(سيون ــ حضرموت) مشترك

قرأنا في الجزء الثاني من هلال هذه السنة في باب تقدم العلم والعمل ان اثنين من الاطباء الفرنسيين اكتشفا علاجاً لمعالجة المصابين بالرائحة الصودية دون الالتجاء الى سكين الجراح . وكنا قد قرأنا منذ بضعة اشهر خبراً بهذا المعنى في جريدة الاهرام . فهل صح نبأ هذا الاكتشاف وهل تم استعماله ؟ وهل في مصر الآن طبيب يعالج مرض الرائحة الصودية بهذا العلاج ؟

(الهلال) نقلنا الخبر المذكور عن احدى المجلات العلمية الفرنسية . وهذا الاختراع صحيح على ما يظهر ولكن لم يعم استعماله حتى الآن لانه ككل الاختراعات ، يحتاج الى الزمن لتركيبه وتجربته . وليس في مصر على ما نعلم طبيب يعالج مرض الرائحة بالعلاج المذكور . [illegible] معلومات وافية [illegible] باريس

العمي يبصرون

(جبيل ــ لبنان) الاب بطرس الكفوري

جاء في الجزء الخامس من هلال السنة الاربعين في باب سير العلوم والفنون أن مهندساً عربياً يدعى المسيو توماس اخترع آلة يستطيع الاعمى ان يقرأ بواسطتها اي كتاب يقرأه البصير . فهل نجح هذا الاختراع وهل تم استعماله ؟

(الهلال) لم نقف على اخبار هذا الاختراع وما تم من امره بعد الذي نشرناه عنه . والغالب ان هذه الاختراعات تستغرق زمناً طويلاً قبل ان تبلغ درجة الاتقان . وكثيراً ما يحول فقر المخترع وحاجته الى المال دون اتقان اختراعه وتعميم استعماله . اذ ما من اختراع ظهر الى الوجود فجأة بالغاً حد الاتقان وصالحاً للاستعمال . بل ان تاريخ اهم الاختراعات دليل على ان تلك الاختراعات مرت في اطوار كثيرة قبل ان تمت فائدتها وتصبح جديرة بالاستعمال . ولا شك ان الآلة التي اخترعها المسيو توماس لتمكين العمي من القراءة ستجتاز مراحل كثيرة قبل أن تحقق جميع الاغراض المطلوبة منها ويعم استعمالها

لماذا يجمد البيض

(جنين ــ فلسطين) سنا سلامة

لماذا يميع السمن اذا وضع على النار بينما ان البيض يجمد ؟

(الهلال) في البيض مادة بيضاء تسمى الزلال اذا وضعتها على النار حولتها الى مادة أخرى جامدة وذلك بتغيير تركيب الذرات (أو دقائق المادة) التي يتألف منها الزلال . أما السمن فاذا وضع على النار فان تأثير النار فيه ينحصر في تفكيك عرى ذراته لا في اعادة تركيبها

اكتشاف الثقل النوعي

(جنين ــ فلسطين) ومضه

كيف استطاع ارخميدس ان يبحث على تاج ملك سراقوزة مصنوعاً من الذهب الابريز أم من ذهب مغشوش ؟

(الهلال) جاء في التاريخ ان هيرون ملك سراقوزة اصطنع له تاجاً من الذهب عند أحد الصاغة ثم كلف ارخميدس ان يفحصه من دون ان يكسره ليرى هل هو ذهب خالص أم مغشوش . فظل ارخميدس عدة أيام مهموماً مفكراً الى ان كان ذات يوم في الحمام وقد غطس في حوض الماء فشعر بان الماء يرفع ساقيه وذراعيه وانه بسبب ذلك يستطيع تحريك أعضاء جسمه بسهولة أكثر مما يفعل وهو خارج الحوض . ففكر في هذا الامر مليا فاهتدى الى حقيقة علمية وهي انك اذا وضعت في الماء أو غيره من

السوائل أي جسم صلب فان السائل يقاوم ذلك الجسم بدفعه عمودياً من تحت الى فوق ، وقوة هذا الضغط تعادل ثقل كمية من ذلك السائل موازية لحجم الجسم الصلب . وتدرج من هذا الى اكتشاف ناموس الثقل النوعي . والحال وثب من حوض الماء وانطلق يعدو كالمجنون وهو يصيح : « لقد اكتشفته ! . . لقد اكتشفته ! » يريد انه اكتشف الامر الذي كان يبحث عنه ، وجهله الطريقة علم الثقل النوعي للذهب الخالص والثقل النوعي للذهب المغشوش وأصبحت عبارته من بعده قولا مأثوراً أشبه بالمثل السائر في معظم اللغات الاوربية

السوس والفول

(جنين ــ فلسطين) ومنه

لماذا يصاب الفول الاحمر والاسود بالسوس دون الابيض ؟

(الهلال) جميع انواع الفول معرضة للسوس سواء في ذلك الاحمر والاسود والابيض . ولم نسمع قط ان الفول الابيض يسلم من السوس . ووقاية الاصابة هي خزن الفول في مكان لا يصل اليه الهواء والنور باستمرار ، او من انتقال الحشرة اليه بالعدوى من مكان ملوث

تشنج الاطفال

(بغداد ــ العراق) م . ع . كبة

أعرف طفلا يغرق في البكاء أحياناً مدة لا تقل عن دقيقة واحدة يختلف لونه في خلالها من حمرة الى زرقة . وقد عجز الاطباء عن شفائه فهل تعرفون علاجاً ناجعاً له ؟ وهل تعتقدون ان علماء الارواح يستطيعون شفاءه ؟

(الهلال) هذا عرض من أعراض التشنج الذي يجدر بكم استشارة طبيب اخصائي بشأنه . واذا أهملتموه فقد يصبح مزمناً ويتحول الى المرض المعروف برقصة « سان جي » أو رقصة كوريا وكثيراً ما ينفع الماء البارد والاستحمام به في هذه الحالات في تخفيف وطأة التشنج عن الطفل . وعلى كل يجب مراعاة شروط التغذية والراحة مع تجنب ازعاجه ومضايقته . أما علماء الارواح فلا حيلة لهم فيه

درجة حرارة الشموس

(الاسكندرية ــ مصر) ن . م

ما هي أقصى درجات حرارة الشموس غير شمسنا ؟

(الهلال) بعض الشموس البعيدة ، ولا سيما المعروفة بالنجوم البيضاء ، هي ذات حرارة لا يستطيع عقل الانسان ان يتصورها ، اذ تبلغ في بعض الاحيان خمسين الف درجة بمقياس فهرنهيت على سطح النجم لا في باطنه . ومن مقتضى حرارة كهذه انه لو دنت منها كرتنا الارضية حتى أصبحت على بعد مليون ميل منها (أي ثلاثة أضعاف بعد القمر عن الارض) لصهرت الكرة في الحال هي وكل ما عليها من جماد ونبات وحيوان وتحولت غازاً في طرفة عين !

المحبة الصادقة

(كوماسي ــ الشاطىء العاجي) جبرائيل ميلاد

هل يمكن ان توجد محبة حقيقية خالصة ليس أساسها حب الذات ؟

(الهلال) حب الذات هو أساس كل حب . ومع ذلك فقد يوجد حب مجرداً منها . وفي الواقع ان المحب كثيراً ما يضحي بذاته في سبيل محبوبه . والتضحية هي أسمى محنة يختبر بها الحبيب ومنها يعلم هل حبه خالص أم هو مشوب بحب الذات

بدء العالم ونهايته

(كوماسي ــ الشاطىء العاجي) ومنه

على أي شيء نعول في كلامنا على بداءة العالم ونهايته ــ على الدين أم على العلم ؟

(الهلال) العلم الصحيح والدين الصحيح لا يختلفان في شيء . فاذا وجد بينهما خلاف فانه يكون في الظاهر فقط . أما تاريخ خلق العالم كما جاء في الكتب المنزلة فلا يختلف عن أحدث النظريات العلمية الا في أمور تفصيلية ليس لها شأن يذكر . وأما نهاية العالم فان الكتب الدينية لا تصفها الا وصفاً

رمزيا ولا تشير اليها الا اشارة مقتضبة . والعلم لا يستطيع ان يبدي بشأنها رأياً قاطعاً . ومن كانت النظريات العلمية بصدد نهاية العالم كثيرة متعددة (ارجع الى مقالة نهاية العالم المنشورة في الجزء الماضي من الهلال)

الشلل والفالج

(اسيوط — مصر) محمد علي

ما هي أحدث الطرق لمعالجة الشلل والفالج وعطب جهاز النطق ؟

(الهلال) الشلل والفالج أنواع كثيرة لا يتسع هذا المجال لشرحها . فهناك الشلل النصفي والشلل التام والشلل الجبلي والشلل السفلي العصبي والشلل الدماغي وشلل الارتعاش المعروف أيضاً بمرض باركنسون ، وشلل اللسان وجهاز النطق وهلم جرا . وقد ينشأ هذا المرض عن أسباب كثيرة كالزهري المزمن مثلا وكالسكر ... وكثرة التفكير والاضطراب العصبي والاجهاد ... النوم والمعيشة غير المنتظمة وضغط الدم الدموي وما الى ذلك من الاسباب التي يعسر حصرها . ولا حاجة الى القول ان طرق معالجته تختلف باختلاف أنواع الشلل . فالشلل العام الناشئ عن الزهري يعالج اليوم بطريقة غريبة وهي « تلقيح » المصاب بميكروبات الملاريا لتصعد حرارته الى درجة عالية فيه تقتل ميكروبات الشلل . وقد استنبط أحد الأطباء الاميركيين في السنة الماضية جهازاً كهربائياً يستعاض به عن ميكروبات الملاريا ويحدث في الجسم درجة عالية من الحرارة . والشلل النصفي يعالج بالفصد تخفيفاً للضغط الدموي الواقع على الدماغ مع استعمال بعض العقاقير والمسكنات . وعلى كل حال الالتجاء دائماً الى طبيب اخصائي

لاطالة القامة

(شبرا — مصر) عبد الله يوسف عبد الله

هل لكم ان تدلوني على عنوان معهد من المعاهد التي تعنى باطالة القامة وتنمية الجسم والمستطيع مخاطبته باللغة الانجليزية ؟

(الهلال) لا نعرف معهداً كهذا . والاعتقاد عندنا ان المعاهد التي من هذا القبيل قلما تصدق في دعواها . على ان العلم قد أثبت ان طول القامة وقصرها ناشئان عن افراز احدى الغدد التي في جسم الانسان (الغدة النخامية) فاذا قل افراز هذه الغدة فهو متحكم في طول الجسم أو قصره . وفي استطاعة بعض الاطباء الجراحيين اصلاح هذه الغدة ليكون افرازها منتظماً فيطول الجسم أو يقصر حسب الطلب . على ان هذه العمليات الجراحية قد لا تخلو من خطر

تأثير اخلاق الوالدين في الجنين

(ولشر — الولايات المتحدة) ل . ب

هل لأخلاق الوالدين تأثير في الجنين ، وهل صحيح أن الحقود يولد أزرق الجسم لاتصاف والديه بالحقد والضغينة وضيق الخلق وما الى ذلك من الصفات المكروهة ؟

(الهلال) كثيراً ما يرث الاطفال أخلاق والديهم وكثيراً ما تظهر أخلاقهما فيهم بالتقليد والاقتداء بهما ، كما ان بعض الاولاد ينشأون على طباع واخلاق تخالف أخلاق والديهم ، وهذا دليل على ان من الاخلاق ما هو وراثي ومنها ما هو اكتسابي . أما القول بأن الطفل يولد أزرق الجسم لاتصاف والديه بالحقد والضغينة وضيق الخلق وما الى ذلك فهو من الخرافات التي لا تستند الى اساس علمي

ظهور الحياة

(القاهرة — مصر) أحمد الشركي

هل عرف العلماء الزمن الذي ظهرت فيه الحياة على الكرة الارضية ؟

(الهلال) لم يهتدوا الى ذلك حتى الآن . الا ان أكثرهم يرجحون ان الحياة ظهرت على الارض منذ نحو ألف وثمانمائة مليون سنة . ولهم في ذلك نظريات وتعليلات لا يتسع لها هذا المجال . ويرى هؤلاء ان الحياة عند أول ظهورها على الارض كانت خلايا بسيطة هي أبسط أشكال الكائنات الحية التي يمكن وجودها وقد نشأت وتطورت طبقاً لناموس النشوء والارتقاء

مَنْ هو المثقف ...؟

ثلاثة آراء لثلاثة علماء

الدكتور طه حسين

تأخذنا «الهلال» من حين الى حين بهذا الامتحان الذي تعرضه على قرائها وأصدقائها فرحاً، فهي مرة تسأل عما ينقص النهضة الأدبية، ومرة تسأل عن ضرورة إحياء الأدب العربي، ومرة تسأل عن الرجل المثقف من هو؟ وماذا عسى أن يكون؟ ونحن نستجيب للهلال، راضين مغتبطين لأننا مطمئنون الى أن الهلال لاتريد بنا إلا خيراً، ولأننا طامعون في أن تكون عاقبة الامتحان حسنة محمودة تكفل لنا الفوز أو بعض الفوز، فلنؤد امتحان الهلال في أمر الثقافة والمثقفين كما أدينا امتحان الهلال في غير هذا الأمر. ولكن الامتحان في هذه المرة عسير، فليس من السهل ولا من اليسير أن نصطنع للمثقف تعريفاً جامعاً مانعاً، كما يقول أصحاب المنطق، لأن رجال المثقفين يختلفون فيما بينهم اختلافاً عظيماً، يختلفون في طبيعة ثقافتهم وفي درجتها، فهناك المثقف في الأدب، وهنالك المثقف في العلم، وهنالك المثقف في الفن، وكل واحد من هؤلاء يمكن أن يكون عظيم الحظ من ثقافته كما يمكن أن يكون متوسط الحظ، أو قليله. وما أحسب أن الهلال تقصد الى هذا النحو من الثقافة الخاصة، ولا الى هذا الضرب من المثقفين، إنما تقصد الهلال الى هذه الثقافة العامة التي يشترك فيها أكبر عدد ممكن من الناس، ويلتقي فيها أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب أو من أبناء الانسان. وهنا يصعب الجواب، ويشق التعريف. ولولا أني أخشى أن تظن الهلال بي الدعابة أو المزاح، لقلت إن الرجل المثقف عندنا هو الذي يستطيع أن يقرأ الهلال، ويستطيع اذا قرأها أن يفهمها، ويتذوق ما فيها، ولا يستطيع اذا فهم وذاق أن يهمل قراءة الهلال او يقصر في المواظبة عليها. ذلك ان في الهلال ألواناً مختلفة من المعرفة، بعضها يتصل بالعلم، وبعضها يتصل بالآداب، وبعضها يتصل بالفن، وبعضها يتصل بشئون الحياة الاجتماعية على اختلاف فروعها. وكل هذا قد كتب في يسر وسهولة، وقدم الى الناس مع ملاحظة ما بينهم من اختلاف الذوق وتفاوته، ومن تباين حظوظهم من الالمام بكل هذه

الموضوعات التي تطرق في الهلال . فاذا استطاع قارىء من القراء ان ينظر في جزء من أجزاء الهلال فلا يصعب عليه منه شيء ولا يلتوي عليه منه موضوع . وإذا استطاع أن يحب هذا النوع من الكتابة ويتحدث بما فهم منه ويواظب على قراءته ، فهو من غير شك الرجل الذي ظفر بالحظ المعقول من هذه الثقافة الوسطى التي تكون الرأي العام في العلم والأدب وفي الفن والفلسفة ، وفي غير ذلك مما يتصل بالملكات الانسانية الراقية

وأخص ما تمتاز الثقافة به او ما يمتاز به هذا النوع من الثقافة عندي أمران :

الأول أنها ليست مقصورة على لون من ألوان المعرفة دون لون ، وانما هي تتناول كل ما يتاح لأوساط الناس ان يعرفوه ويتذوقوه

والثاني انها ليست جامدة ولا راكدة ولا واقفة عند حد وانما هي متصلة نشطة متجددة تجري في اطراد كما يجري النهر أو كما يجري الغدير . فليس مثقفاً هذا الرجل الذي أحصى طائفة من الآراء والخواطر والمعلومات فوعاها وحفظها في قلبه حفظاً ، لا يجددها ، ولا يضيف اليها . إنما هو رجل جامد راكد ، إن صح ان يشبه بشيء فهو مشبه بالماء الراكد الذي لا يتحرك ولا يتجدد وحتى هو خليق أن يفسده هذا السكون

إنما الرجل المثقف هو الذي لا يقف بعلمه واطلاعه عند حد محدود ، ولكنه يضيف اليها ما يستطيع من وقت إلى وقت ، مما ينشئ ما تذيعه الصحف ، وما تنشره المجلات ، وما تتحدث به هذه الكتب اليسيرة التي لا يحصون ، ولا يقفون جهودهم على ناحية معينة من نواحي الحياة العقلية . الرجل المثقف هو كما قلت من يستطيع ان يقرأ الهلال وامثال الهلال من المجلات وان يتابع قراءتها عن فهم وذوق وشوق متصل

الاستاذ ارثر اربري

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

من القاموس المحيط للفيروزبادي :

«ثَقُف ككَرُم وفرح ثَقْفاً وثَقَفاً وثَقافة صار حاذقاً خفيفاً فطناً ، وثَقَّفه تثقيفاً سوّاه»

وأما الآن فيستعمل هذا اللفظ بمعنى العبارة الانجليزية Education كما جاء في القاموس العصري تأليف الياس انطون الياس

سألتني « الهلال » ان اجيب عن هذا السؤال وهي مسألة واسعة تحتاج الى الاستقصاء

الدقيق والتفكير العميق لا يمكن الرد الكامل عليها في هذه المقالة الوجيزة

ينقسم التثقيف قسمين : عقلي وروحاني . فأما التثقيف العقلي فيمكن أن يكون كما جاء في الحديث : « اطلبوا العلم ولو بالصين » وأيضاً : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وأما التثقيف الروحاني ، فهو كما جاء في الحديث : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

على أن الانسان بدون ريب خُلق على أحسن صورة وأكمل هيئة . ولكن لما نزل من عالم الغيب ودخل في عالم العيان ـ وذلك بالولادة ـ جنه سحاب من النسيان كما زعم أفلاطون اليوناني في كتابه المسمّى بالفيدون وكما وصف الشاعر الانجليزي Wordsworth في قصيدته Intimations of Immortality in Childhood فمن يقبل هذا الرأي يلزم أن يعتقد أن غرض المثقف هو أن يوقظ روح الطفل من نومه الطويل ويساعده في قصده الى مطمحه الجليل ، لا ان يكرر دروساً لا قيمة لها أو يعلمه علوماً لا تنسب الى الحقيقة . ضلَّ من يظن أن العقل شبيه بالجسم يجب أن يكسى بكسوة مقترضة تستر عرية مخجلة . إن عناصر التثقيف العقلي هي النحو والحساب والعلم والتاريخ ، ولكن تحتاج إلى الاحتراس والتبصر في استخدامها .

أما عناصر التثقيف الروحاني فهي العفة والشهامة والعفو من الناحية الانسانية ، والاجتهاد والزهد والورع من الناحية الالهية . وهذا التثقيف ليس مما ينبع فيه التعليم والتدريس ولكن هو عمل يقتضي الهداية والإرشاد

من هو المثقف تثقيفاً تاماً ؟ هو الذي يظهر في حياته اليومية ومعاملاته الاعتيادية فطنة حاذقة تفرق بين الحق والباطل وتميز بين الخبيث والطيب ، ونفساً كريمة تصفح عن عيوب قرينه وترغب في الوصول الى المثل الافضل والكمال الفائق

الدكتور علي مصطفى مشرفة

وكيل كلية العلوم بالجامعة المصرية

طلبت مني « الهلال » أن أشترك في الفتوى عمن هو المثقف . وأريد أن يكون واضحاً في أذهان القراء الكرام بادىء ذي بدء أن فتواي في ذلك فتوى المجتهد المبتدىء ، فليست الثقافة من الامور التي تتناولها المعادلات الرياضية أو التي يمكن قياسها بالأجهزة العلمية حتى يتيسر لمشتغل أن يتعرض لبحثها من الناحية الكمية . وإنما هي مسألة روحية تتصل بالشخصية من ناحية غير ناحية التفكير والمشاهدة

« من هو المثقف ؟ » سؤال سهل طرحه ، صعبٌ جوابه . ولعل خير جواب أستطيع أن أصوغه أنه شخص تتوافر فيه صفات نفسية خاصة . فالثقافة في نظري مجموعة صفات تقوم بالنفس ، وليست طائفة من المظاهر أو التصرفات التى يمكن أن تشاهد في المرء . إلى هذا الحد أستطيع أن أعرف المثقَّف . وإذن فما هذه الصفات ؟ وكيف السبيل الى التعرف عليها ؟ في رأيي أن هذه الصفات تتجمع كلها حول صفة واحدة أساسية هى ما يصح أن أسميه الحساسية النفسية . فنفس المثقف تمتاز بحساسية عالية تجعلها تشعر وتتأثر بطائفة من المعاني لا تتأثر بها (أو لا تكاد تتأثر بها) النفوس المصنوعة من الصلصال العادي . ولأضرب لذلك مثلاً . رجلين رأيا غروب الشمس ، أحدهما لم يرَ إلا أن الشمس تغرب ، أما الآخر فرأى جمال ألوانها وتناسق ألوانها ، فكان لذلك أثر بليغ في نفسه تملك عليها مشاعرها . فكأنما نفس هذا الأخير مرآة صافية تعكس جمال الطبيعة ، وهي في الوقت نفسه جهاز حساس يتأثر بهذا الجمال ويقدره ويحرص عليه الحرص كله . أما نفس الاول فأداة جامدة لا حساسية فيها . حول هذه الصفة الأساسية صفة الحساسية تتجمع صفات أخرى أهمها في نظري ذلك الشعور بالجمال الذى أشرت اليه ، فالشعور بالحق ، فالشعور بالتناسق . أما الشعور بالحق فشيء . . . تمتاز به النفوس المثقفة من شأنه أن يجعلها تحس بوجود الحق وتميل اليه وتريد أن تعرفه . . . به وأن تطلبه أنى وجد . وأما الشعور بالتناسق فمعناه أن . . . المثقف يحب . . . وتقدير تناسق الطبيعة ويعمل على محاكاته في حياته الخاصة . فتجد تفكيره متسقاً وحديثه متسقاً وعمله منسقاً . ولا أقصد بالتناسق الزخرف السطحي ، وإنما ذلك التناسق الداخلي الذي تنعكس فيه الشخصية القوية السليمة . هذه الصفات النفسية التى حاولت أن أصفها يظهر أثرها في أفعال الشخص وتصرفاته ، فنستدل من هذه الافعال على وجود هذه الصفات في نفس المثقف . وإياك إياك أيها القارىء الكريم أن تغرك المظاهر الخارجية للشخص عن أن تبحث عن مصدر هذه المظاهر من صفات متأصلة في النفس ، فتكون كمن غره الخيال عن الحقيقة أو صدفه القشر عن اللب . لا أريد أن أزيد على ما تقدم إلا كلمة عن علاقة العلم بالثقافة . فالعلم أو المعرفة التى يتلقاها المرء في حياته وكذلك سائر أنواع الخبرة التى يحصل عليها هي بمثابة الغذاء الروحي لثقافته بها تنمو الثقافة وتترعرع . فحيثما وجدت الصفات النفسية التى ذكرتها كان التعليم مساعداً على ظهورها واكتمالها ونموها أشدها . أما اذا غابت هذه الصفات فلا ثقافة ولو أحاط المرء بعلم الاولين والآخرين

على مصطفى مشرفة

في فلسفة اللذة وفلسفة القوة

بقلم الامير مصطفى الشهابي

تطلع علينا الصحف بين آن وآخر بأنباء تثلج صدرنا وتكشف عنا وتستثير إعجابنا ، عن أناس عاهدوا الله والنفس على خدمة الانسان وإزالة همومه وتخفيف آلامه ، بأعمال البر والإحسان والرأفة والحنان ، في هذا المجتمع البشري حيث القلوب قست ، والأكباد غلظت والعواطف جمدت ، وحيث صار المرء مادياً يقلد الطبيعة في قسوتها على الضعيف وإعناتها على المسكين . ونقرأ في جملة ما نقرأ أنباء الأجواد والغُير القائمين على افتتاح المستشفيات للمرضى والمدارس للصم والعميان ، والملاجىء للأيتام والشيوخ ، فنسر لهذه الأنباء ونقول إذا كان عطف الإنسان على الإنسان هو الدافع لهذه الأعمال الطيبة فأي قيمة تبقى لآراء « نتشه » و « هوب » و « لا روشفوكلد » وأضرابهم من قساة القلوب أصحاب فلسفة القوة واللذة والأنانية أي فلسفة التجرد مما نسميه أخلاقاً ؟

يدعي أصحاب فلسفة اللذة أن كل عمل يأتيه الانسان بإرادته لا دافع له سوى لذة يتوخاها أو كدورة يتقيها ، وفي نظرهم أن السعادة هي المطلب الذي يصبو إليه كل حي على وجه هذه الأرض ، وأن السعادة هي اللذة ، هي غاية المرء وعينه المثلى . ويرون أنه مادام الأمر كذلك فلا سبيل إلى فرض قواعد للأخلاق موضوعة ، وأنه يجدر بالمرء اطراح هذه القواعد جانباً لأنه ليس في الإنسان ، على رأيهم ، عطف على الغير ولا حب حقيقي ولا عمل خيري مجرد عن الاغراض الشخصية

ويرى نتشه الالماني أن الدافع لأعمال الانسان هو شيء غير اجتلاب اللذة والسعادة ، وأن غاية كل حي ، بل كل ذرة في المخلوق الحي ، هو تزييد قوته وتكثير متنه وتمكين أيده وسلطته . وما السرور واللذة والحزن والألم إلا نتائج عن ازدياد القوة أو نقصانها . ويتضح من ذلك أن فلسفة نتشه ترتكز على القوة ، فهي لديه الباعث الوحيد لأعمال الانسان

وتجر هاتان الفلسفتان وراءهما عدداً لا يحصى من الآراء السفسطية والأفكار السخيفة والنصائح القاسية مما لا مبرر له سوى الأساس الذي قامت هاتان الفلسفتان عليه ، وهو إنكار الرأفة والحنان والعطف والحب المجرد في الانسان . لهذا نكبت على فضيلة غايتك أن

يتحدث الناس عن رقة الشمائل منك ، او أن يرثوا لك أو أن يبكوا عليك في حينه أو ان يكفوا عن التساؤل وعن قولهم لماذا لم نبك ؟ . . واذا احسنت الى الناس فما ذلك إلا لانك ترغب منهم ان يجزوك الحسنة بعشرة أمثالها . وإذا عملت الخير فانما تبتغي بعملك التسلط على الناس . واذا شكرت لي يداً عليك فلأنك تستجديني يداً اخرى . واذا عطفت المرأة على مريض وزعته بعنايتها فما الدافع لها إلا الزهو والخيلاء والتعالي بقوتها وبصحتها وإن كان المريض الذي تتعهده يئن على فراش الموت ! . . وما الرأفة والحنان إلا انانية وخبث ، او هما ضعف وجبن وخور في قوة الارادة وفي مضاء العزيمة . وليس بناء المستشفيات والملاجيء سوى تبذير وتبديد للمال . فالمرضى والاعلاء والعاجزون واضرابهم يجب ان يهلكوا حتى يصفو الجو للأصحاء الاقوياء فيحسنوا إنفاق المال في تقديم نوع الانسان لا في المستشفيات والملاجيء ! . .

وأي سخافة إذن دفعت القائمين على مستشفى المواساة في الاسكندرية ان يقدموا على عملهم هذا فيبددوا المال في سبيل من لا يستحقونه . ومن علمهم عمل الخير ومن انبأهم ان الضعيف له حق في الحياة وإن آلام بعض البشر يجب ان تسكن ولا شك انهم ممن خولط في عقلهم وانهم لا يبغون من وراء سعيهم هذا إلا اشتراء الاصوات من ابلهاء او التبجح امام الناس بأنهم ذوو أقدام ومعمة ، او مناهضة الحكومة لسكر على مفرشهم في وطائهم ، شأنهم في هذا شأن مستوصي الجمعيات الخيرية في نجاح البلدة . . . وكيف يذهب مثلي الى القاهرة فيلفت نظره حلوها من المتسولين فيسأل عنهم فيقال له انهم فسحوا في ملاجيء ومشاغل انشأتها الحكومة لهم . فما للحكومة وللملاجيء بسبب لاناس حكمت عليهم الطبيعة بالهلاك ! وقد كان من واجب الحكومة ألا تفقر بيت المال بانفاق دراهمه عبثاً في سبل ملتوية معوجة كهذه السبل ! ومن يصدق ان للحكومة غاية انسانية في عملها هذا ؟ او ليست غايتها الوحيدة من انشاء هذه الملاجيء إبعاد المتسولين عن أعين الناس ولا سيما الأجانب منهم حتى لا يشمئزوا من قذارتهم أو من شوه أعصابهم ؟ فسيان إذن تجاه هذه الغاية أوضعت الحكومة هؤلاء المتسولين في ملاجيء ومشاغل أم وضعتهم في مهالك ومعاطب . بل ان الاماكن الثانية هي ما يجب وضعهم فيها لكي تتخلص البشرية منهم عاجلاً لا آجلاً ! . . .

هذه هي آراء أصحاب فلسفة اللذة وفلسفة القوة . وهي كما ترى آراء قسوة وإجرام وخروج على قواعد الاخلاق القويمة التي يسير عليها الناس في صلات بعضهم ببعض . وأساسها كما قلت ينكر وجود العاطفة الانسانية مجردة عن النفع الذاتي . وهذا هو الخطأ البين لأن العطف هو

الغير شيء غريزي في الحيوان والانسان معاً . فالانسان كثيراً ما يضحي نفسه في سبيل ذريته ، ولا شك أنه اذا أقدم على ذلك فهو لا يتوخى من عمله نفعاً ذاتياً . والكلب لا يفكر في نفعه وفي مستقبله عندما يحنو على صاحبه ويخلص له . والأم تعطف على ابنها حتى اذا رأته سعيداً سعدت معه ، وليست غايتها من إسعاده أن تسعد هي ، بل أن يسعد هو فتكون سعادتها لاحقة ونتيجة لسعادته . والطفل إذا رآك تبكي بكى ، ويكون بكاؤه غريزياً ميكانيكياً بادىء بدء ، ثم اذا كبر قليلاً يصير بكاؤه حسياً عصبياً منبعثاً عن العطف على من يبكي كأن تكون أمه مثلاً . ومتى كبر الولد وأخذ يعقل الأشياء يصير بكاؤه عاطفة حقيقية مصدرها العقل لا الحس والاعصاب وحدها

يتضح من هذه الامثال ان المرء يعيش لغيره مثلما يعيش لنفسه . ورب امرىء يعيش لغيره اكثر من معيشته لنفسه ، وآخر يريد لغيره اكثر مما يريد لنفسه . وما الانسان سوى جزء من الطبيعة فليس بوسعه أن يعمل لنفسه وحدها بل لا بد له من العمل للجمعية البشرية أيضاً لانه جزء منها ولانه في حاجة اليها ولا معنى لحياته ولا قيمة لها فما اضطررنا أن نعيش في عزلة عن الاسرة وعن المجتمع . وقد يصعب الرجل الاجتماعي ان يعيش منفرداً عن الناس . والدليل على ذلك أن السجن اكبر عقاب يناله المجرم لانه يجبر المسجون على اعتزال الناس والكف عن مشاركتهم مجتمعاتهم فضلاً عن أنه يسلب المسجون حريته

والخلاصة أنه ما دام للانسان حس ودماغ وعقل فحياته متصلة بحياة غيره . وعطفه على الغير مجرداً عن الأنانية شيء ملموس لا سبيل الى نكرانه . ولهذا ليست آمال الانسان وقواعده الخلقية سوى حقائق يجب العمل بها وأن خالفت سير الطبيعة أحياناً . فالطبيعة اذا قست على الضعيف وحكمت بإبادته وببقاء الاصلح فليس ما يمنع العقل البشري (وهو جزء من الطبيعة الشاملة) أن يعطف على الضعيف وأن ييسر له اسباب الحياة كلما كان ذلك في مقدوره . ومن الخطأ الاعتقاد بأن ما نسميه الطبيعة هو كل شيء في الكون . فأفكارنا جزء من هذا الكون . وهذه الافكار قوى عظيمة يجب أن يحسب لها حساب لاننا كثيراً ما نتذرع بها لمحاربة الطبيعة نفسها اذا اشتطت وجارت علينا في احكامها القاسية . لكننا اذا طرحنا قوانا الفكرية جانباً وتجردنا عن عاطفة الحب والحنان والخير وجارينا الطبيعة في اعمالها القاسية الحمقاء ، فسرعان ما يفسد مجتمعنا وتجمد عقولنا وتجرنا الانانية الى أسوأ العواقب

مصطفى الشهابي

احمد جمال باشا

وزير البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

لاشيء يصعب على الطبع مثل أن يقف المرء معتذراً أو مدافعاً وهو يطلب حقاً جوهرياً ، ولا سيما إذا كان هذا الحق عاماً يتعلق بحياة أمة أو بمحنتها . وكيف يجوز لنا ونحن نذوب في سبيل الحرية أن نشعر بالحاجة إلى ما يبرر موقفنا في مصارعة الاستبداد ؟ ويزداد هذا الاستنكار متى علمنا أن الذين نريد أن نعتذر عن مقاومتنا لهم — وهم جمعية الاتحاديين — لا يختلفون في شيء عن أحط المستعمرين إلا في الجرأة على ارتكاب أفظع الجرائم وسفك أطهر الدماء باسم شيء دعوه خلافة كان قومهم أول المنتهكين لحرمته الطامسين لمعالمه . وقد لا يجد المتتبع رهطاً استغل العقيدة الدينية البريئة للمصالح السياسية المجرمة استغلال طغمة الاتحاديين الترك لها

ونريد بادىء ذي بدء أن نعلم المسلمين في المشرق والمغارب قبل غيرهم بمنتهى الصراحة أن العرب في المملكة العثمانية طلبوا استقلالهم صوناً لحريتهم واحترامهم بعد ما تنكر لهم الاتحاديون الترك عن تيهم وأخذوا يحاولون تتريكهم من غير هوادة ، وهم إلى هذه الساعة يقاومون كل مستعمر بكل وسيلة ، ولم تزدهم الأيام إلا شدة وصلابة . ولما كان خصمهم أثقل وطأة كانوا أمضى عزيمة كما دلت الحوادث في العراق وسورية والثورات التي قامت في وجه انكلترا وفرنسا منذ نهاية الحرب العالمية إلى اليوم . وفي عقيدتي أن الذي يرتضي الاستبداد لأنه ملفق بطلاء العقيدة الدينية الوهاجة أو الذي ينجر إلى مسلخ الاستعمار برسن يدعي القابضون عليه أنه مدلى من السماء هو من السذاجة والغباوة بحيث لا يستحق أن يكون من أبناء الحرية

العقيدة الدينية رابطة حسنة وصالحة ويجوز أن يجتمع الناس حولها للخير . أما إذا أريد بها أن تكون واسطة لاستعباد الناس أو شركاً لاصطياد سلامة صدورهم ، فإنها تكون وبالاً على أصحابها وأداة لنكبتهم . وأظن أن الأرمن ودينهم النصرانية ، أدركوا بعد ويلات تشيب لها الولدان أن حماة النصرانية في الشرق تخلوا عنهم في كيليكيا عندما اقتضت مصالحهم السياسية ذلك

وإن آسف لشيء فأسفي أن يحتاج العرب في نهضتهم وانتباههم من غفلتهم إلى مظالم السفاحين من الاتحاديين الطورانيين وأذنابهم ؛ فحب الاستقلال يجب أن يكون مطلباً قائماً بنفسه ، ولو أسرع العرب إلى النهوض كما أسرع غيرهم ولم يغتروا بالأوهام وأنواع التدجيل القروسطي لكانوا عند إعلان

الحرب العامة مجهزين بالوسائل التى تمكنهم من الحصول على استقلالهم التام برغم أنف المستعمرين وما ابتدعوه من حديث الانتداب ومهازله وما سبه

ولا مراء أن فى مقدمة من استغل العقيدة الدينية على هذا النمط هو الرجل الذى نبغى سرد طرف من ترجمته ، اما عرفناه بنفسنا أو عرفناه أثناء الحرب العامة وبعدها عن عرفوه شخصياً أو كانوا زملاءه فى المدرسة أو الجيش

☆ ☆ ☆

هاجرت أسرة احمد جمال من بلاد البلغار فى جملة من هاجر من الأسر الاسلامية ونزلت فى الاستانة بحى يدعى « آق سراى » حيث ا كتسب الولد الناشىء دروسه الاولى فى الأزقة بين دور « يشيل طوليه » وهى من الاحياء الاعتيادية الحقيرة

وفى الاستانة أدخله والده المدرسة العسكرية فظهر فيها الشىء الكثير من الجبنة والعداء بحيث خرج منها رئيساً فى سلك اركان الحرب . وذكر الذين خالطوه يومئذ أنه كان شاحب اللون نحيف الجسم يظنه من نظر اليه انه مصاب بعاهة خبيثة

وعقب خروجه من المدرسة عين فى الفيلق الثالث فى سلانيك مع المشير « حسين حسنى باشا » المشهور ، لكن رئيس اركان الحرب [illegible] لم يحتمل حمل اخلاقه وما جبل عليه من الجبنة والدسيسة ، فارسله الى « سيروز » حيث يذكر الاهون [illegible] الاعمال التى قام بها ، الى ان وقع فى أيدى ديوان الحرب [illegible] ما كانت من ملك الجيش ، ولكنه استطاع بفرط حيلته ان ينجو من الطرد . ثم لم يلبث [illegible] وعين مفتشاً للطرق العسكرية فى وجهة بالاء و « ستروجه » وغير ذلك من المحلات القريبة من « [illegible] » وهناك تعرف بالعصابات البلغارية كعصابة « صاندنسكى » المشهورة [illegible] الارهاب بصورة منظمة جعلته « كومتجيا » من الطراز الاول

اخبرنى المرحوم كامل بك الصلح وكان قاضياً فى « مناستر » فى تلك الايام قال : ولا ازال أذكر احمد جمال بك « الاق سرايلى » والدعوى التى اقيمت عليه لاحتياله بقبض راتبه مكرراً من ثلاثة توابير مختلفة فى آن واحد »

وفى مناستر هذه تعرف احمد جمال بك بطاهر بك مدير المكتب الاعدادى العسكرى وأحد مؤسسى جمعية الاتحاد والترقى وكانت هذه المعرفة سبب اتصاله بشبان الترك

وبعد حين عاد الى « سلانيك » حيث عقد اواصر الصداقة بالدونمة وهم فرقة من اليهود ادعوا الاسلام فادخلوه فى جمعية الماسون ، لكن خروجه عن قواعد الماسون الاساسية واتخاذه اياها آلة للغش حملت الموج على طرده طرداً علنيا فى جلسة حضرها الضابط الذى نقلنا عنه هذه الرواية وذلك قبل الدستور

ولما بدرت بوادر الثورة سنة ١٩٠٨ وظهر على المسرح نيازى وانور وفتحى وقره صو (كراسو) وغيرهم كان المترجم فى سلانيك فانضم اليهم . ونقل لى ضابط كان فى « مكدونيا » يومئذ ان حزب الاتحاد والترقى قرر اغتيال «شمسى باشا» فوقعت القرعة على احمد جمال بك ليقوم بالمهمة ولكنه حاولها مرتين فلم يفلح لان نفسه جبنت ، فأحل المركز العام على انتقاء فدائى غيره .

وكان المركز العام قد حرم على القائمين بالعمل قبول الوظائف ، فطاعرضت متصرفية « اسكدار » على المترجم وكان برتبة قائد قبلها ، فنفر بسببه هذا الاميرالاى صادق بك المشهور واحدث فى نفسه ريبة

وكانت اسكدار مهبط أتباع عبد الحميد فرفهم بالاقامة بينهم واتخذ من التقارير التى كانوا يتقربون بها الى السلطان المخلوع فرصة الى تخويفهم وابتزاز اموالهم . وكثيراً ما كانت تنشر الاشاعات فى الصحف يومئذ عن اتخاذ القرارات بنشر هذه التقارير على الملأ ثم لا تلبث ان يسكت عنها

وعقب مذبحة الارمن فى اطنه سنة ١٩٠٩ عين والياً عليها فسافر مع الزبانية الذين فى خدمته فى « اسكدار » ولم يأل جهداً فى اكتساب مرضاة الارمن واستجلابهم . وهنا تعرف بمدام « كورنى » النمسوية التى شغف بها وجعله طوع بنانها ، وكان لهذا شأن كما يتفق بعد خروجى من سورية فى انقاذ بعض المحكومين فى الديوان العرفى فى « عاليه »

ولما حمل الاتحاديون على ناظم باشا الحر المشهور وعزلوه من ولاية بغداد انتدبوا احمد جمال ليحل محله ، فسافر مع اعوانه ، وما وطىء بغداد حتى أخذ يفرق موظفيها الكبار لغير علة وينصب هؤلاء الاعوان فى مكانهم ، فتحول الولاية كلها الى عصابة تأتمر بأمره وتنتهى بنواهيه . ولولم يكن السيد رضا باشا الركابى المفتش قائداً يومئذ فى العراق لحدث فتنة فى بغداد على أثر دخول السفاح اليها . لكن لم يطل مقامه فى عاصمة الرشيد ، بل خرج منها لسقوط الوزارة الاتحادية فى الآستانة وهو لا يلوى على شىء . فرحل ومن ثم نزل بصوفر فى فندقها الكبير فقضى فيه أياماً تعرف فيها ببعض أبناء البلاد ، وبلغ القسطنطينية فى أوائل الحرب البلقانية ، فكان فى مقدمة المهوشين الذين هاجوا الخدمة والخائنين وبعض فتيان المدارس على وزارة الغازى مختار باشا يطلبون منها شهر الحرب على البلغار ، كل ذلك انتقاماً من الائتلافيين واحراجاً لهم ولو أدت الحرب الى ضياع الملك

ومن العجيب أن الاتحاديين وقد سيروا الثورة الالبانية فى تلك الايام المضطربة بمحاولتهم نزع السلاح من الالبانيين وتطبيق قانون « الاكثرية » عليهم ومنعهم من اتخاذ الحروف اللاتينية أساساً لهجائهم ، ادعوا — كما هى العادة — أن خصومهم الائتلافيين كانوا سبباً لها ولما جرته وراءها من النكبات البلقانية المروعة . على ان الاتحاديين أنفسهم انتخبوا فيما بعد لجنة من أساتذة « دار الفنون » لاتخاذ حروف الهجاء اللاتينية بدلا من العربية ، فأباحوا لأنفسهم ما عدوه خيانة فى غيرهم

تألفت الوزارة برياسة « كامل باشا » في تلك الأيام فريع ناظم (١) على دست وزارة الحربية فاغتاله الاتحاديون في أوائل سنة ١٩١٣ والفوا وزارة « محمود شوكت باشا » وهو بغدادى والدته عربية فاروقية ووالده شركسى ، فادار دفة العمل بالاخلاص والحذاقة ولم يجار فتيان الطورانيين في خططهم مما جعله حسكة في حلوقهم وقذى في عيونهم . لذلك لما حدثت المؤامرة على حياته كان أحمد جمال بك قائد الموقع في الاستانة عارفاً بتفرعاتها قبل حدوثها، كما صرح بذلك مراراً ، وانه لو شاء لقضى عليها في المهد ، ولكن كرهه لمحمود شوكت باشا من جهة وحرصه على توريط الائتلافيين من جهة أخرى، حملاه على ترك الحبل على غارب القائمين بتلك المؤامرة من باب «ضرب سهماً فأصاب عصفورين» ، بل قال مرافق محمود شوكت باشا لأحد أصدقائنا إنه شجعهم سراً على عملهم توريطاً واستدراجاً

قتل محمود شوكت باشا في سنة ١٩١٣ فصفا الجو للاتحاديين فقاموا بلم العمالة وانقاد ... ينتقمون من جميع مخالفيهم ، وشمر أحمد جمال عن ساعده فشنق نخبة من الرجال المعروفين، منهم الداماد « صالح باشا » صهر البيت السلطاني ونجل « خير الدين باشا » التونسي . ولم تبرد غلته من المخالفين بشرب الدماء فقط بل تحين تلك الفرصة للخلاص ممن بقي منهم حياً فنفى عدداً عظيماً منهم أخرجهم من الاستانة بنفسهم وقبض على أخرى فالقاهم في غياهب السجن

عقب هذه المجازر ... سكون حصل فيه صوت ... إلى أن حصل النفير العام ودخلت الدولة العثمانية ... في الحرب الاوربية حليفة للجرمانيين ولكن الاخبار التي انتشرت يومئذ بخلاف ما ادعاه ... على ... قوم ... الاشراك

قال الدكتور « شو... » وهو الذي صرف ... الأولين من الحرب العامة في الاستانة مراسل جريدة « كولنش تزيتنغ » المشهورة في كتابه صفحة ٢١٦ :

« وأود الآن أن أصف جمال باشا وصفاً موجزاً وهو الرجل الذي يعتقد الترك أنه سيلعب دوراً مهما في السياسة التركية ... وكل من رأى هذا القائد ـ الذي وصفه ملفاً وتروراً أحد كتاب « برلينر تاجبلات » بأنه من أجمل رجال الترك ـ يعلم الكفاية من أمره . فوجهه مكتنز صغير وله لحية وعينان قاسيتان عتاتان ، وهذه أوضح صفات وجهه الذي يقل عنه باستثناء كل من تذكر دور السفاحين الذي مثله هذا الطاغية . . ولا شك أن ميوله قبل الحرب كانت غربية بالمعنى الدارج وكان أيضا مخالفا لدخول تركيا الحرب في جانب الجرمانيين . وبلغ به الحنق منتهاه لما ظهر الاسطول (المزعوم أنه تحت قيادته) تحت قيادة الاميرال الجرماني لحون ورسلو في البحر الاسود برغم أنفه

« بيد ان الحرب لما أعلنت حقيقة كيف نفسه حالا للاحوال الجديدة الطارئة . فبدلا من أن

يقدم استعفاءه أضاف الى وظيفته البحرية قيادة الفيلق الموجه الى مصر ، لان أوضح صفات جمال باشا هي تلك الصفة القبيحة : الافتراس مع الطمع الشاذ ... والعنصر الحقيقي في علامة مسلكه انما هو كرهه الشديد المعروف لجرمانيا وعداوته الشخصية لانور باشا صديقها . ومنشأ ذلك كله التعامي والشعور بالصغر النسبي . . . ولا شك ان نجاحه في الحصول على تمثيل دور في خارج الاستانة أهم من أدوار العمل في الحكومة المركزية هو طالع سوء في السياسة الجرمانية في الشرق الادنى . وجرت وزارة الحربية العثمانية في سياستها معه على إقصائه عن المركز للتخلص منه . وكل من خبر أخلاقه يتحقق على كل حال شيئا واحداً وهو أنه لايقف عند حد متى اقتضت سياسته الانانية الافتراسية ذلك حتى لو كان من لوازمها القيام في وجه الدولتين المركزيتين

« زار أمير مكة وحاشيته الكبيرة من العرب جمال باشا زيارة طويلة.وبديهي أن الوحشية التي أبداها في قتل أشراف العرب ورآها الامير بعينيه أثرت مباشرة في موقف أبيه . وستنتشر الحركة العربية حتما وستسير الهوينا على قدم ثابتة حتى تنتهي بانفصال الاقطار التي تتكلم العربية إلى حدود بلاد الكرد وشمالي سورية انفصالا تاما عن بلاد الترك . وان حركة الانفصال هذه التي حاول أن يمحقها جمال باشا في المهد في عهد من العمر هي اليوم حقيقة من الحقائق الملموسة » انتهى

وقد سارت الحركة العربية الهوينا على قدم ثابتة كما تنبأ الدكتور (شومر) قبل انتهاء الحرب العامة فتحرر الحجاز وتم تحرره تماماً ، وكاد العراق ينال بغيته ، وسورية ــ العمالية والجوبية ــ مجدة تجاهد جهاد الابطال لتحقيق الغرض الاسمى الذي من أجله سفك احمد جمال باشا وزبانيته ــ والجنرال غورو واحلافه ــ الدماء الطاهرة على رتبه ، فلو كان عند المتحدين نظرة بعيدة فبدلا من أن يقابلوا صوت الحرية العربية بالاجحاف وبمصادرة الوعود ... ، والاهانة ورجاله « فيصل » وأبيه بنصب المشانق ، بل قابلوا ذلك جميعاً بالاعتراف للعرب بحقهم في الحرية وبمراكزهم في المملكة العثمانية ، لتأخرت هذه الثورة حتما ولاخفق كل من رفع علمها يومئذ ، ولكن حكمة التاريخ بعيدة الغور . ولعل فظائع احمد جمال السفاح ورهطه من الظالمين هي سوط عذاب أصاب العرب جزاء غفلتهم ليعلموا ان الامة التي ترضى بالذل مهما كان نوعه ومهما اختلفت التوابل المقبلة التي تدر عليه ، لا تتمتع بالحصانة التي تمنع الشر عن أفرادها ، ولا يحق لها ان تطلب لها مقاما رفيعاً في القاعة التي تلتقي فيها الشعوب . . . والذي يريد جنايات احمد جمال باشا قبحاً واستنكاراً خيانته لنفس المبدأ الاسلامي العثماني الذي زعم فيما بعد ان العرب عبثوا به ، فاتخذ من ذلك حجة كاذبة للتنكيل برجالاتهم والقضاء على شبانهم بصورة تعيد الى الخاطر ذكريات من تقدم أئمة للاسترشاد امثال « هولاكو » و « جنكيز » و « تيمور » مما سنعرض له في العدد القادم

عبد الرحمن شهبندر

ليلة هادئة

بقلم الأستاذ المازني

من لم يرض بالخروج رضى بشرابه — مثل طالما لم أفهم معناه الا بعد أن وقع لى ما وقع فى الاسكندرية ، وكنت قد تعبت من العمل وأتلف أعصابى الجهد المتواصل ، ومللت هذه الحياة التى لا تتغير ولا يختلف فيها يوم عن يوم ، حتى ليمكن أن يعد العمر يوماً مكرراً ، فقلت : أستريح أسبوعاً لعل الراحة تعيد النشاط وتجدد النفس وتجلو الصدأ ، وحملت حقيبة صغيرة وسافرت إلى الاسكندرية ، ونزلت فى فندق هادىء ، وقضيت بقية النهار فى سكون ودعة ، ولم أفتح كتاباً ولم أنظر فى صحيفة ، ولم ألق مخلوقاً أعرفه ، ولم يكلمنى أحد من الناس ، فشعرت بسكينة لا عهد لى بها وطاب لى الفتور والخدر بعد الكد والعناء ، وصرت أنظر إلى الغد وما بعده مطمئناً راضياً مستمتعاً ، فما كانت حاجتى الا إلى هذا . وانحدرت الشمس فقلت : أتمشى على البحر وأملأ صدرى بهذا الهواء النقى ، فقمت وأنا أحس بشىء [illegible] لا عهد لى به من النوع ، ودنوت من باب الفندق فترددت قليلا لغير سبب سوى الكسل ، فأقبل على كاتب الفندق ، وجعل يكلمنى وأنا كالحالم لا أصغى إليه ، ولا أعيره التفاتاً ، [illegible] يذكرنى ببعض [illegible] ، فهربت [illegible] منهما ، فقد كان بى فتور حتى عن الكلام ، [illegible] عن الرحلة [illegible] أما عم ؟ فيا للسخافة ! كأنما كنت أنتظر حتى [illegible] لو كنت غير [illegible] ولكن هكذا هؤلاء [illegible] دائماً !

وأنتبهت للمشى لأن الهواء كان [illegible] ، وابترد [illegible] ، وكانت ثيابى خفيفة ، والليلة سوداء — أعنى أن ظلامها كان [illegible] ، وقمرها غائباً — فقلت : أرجع وأغير الحذاء والثياب أيضاً . فما من العقل أن أصبر على كرب فى وسعى أن أتقيه ، والثياب الصوفية عندى فلا موجب للتعرض لأذى البرد ، فما جئت لأمرض ، وإنما جئت لأستجم وأصح

ودخلت الفندق من باب الحديقة ، والمدخل ممر ضيق على جانبيه زروع كثيفة لفاء تعهدها البستانى بالتقليم والتشذيب حتى جعل منها جدارين من الشجر ، وكنت أمشى مترفقاً متمهلا ، لا أفكر إلا فى هذا السكون الذى غمرنى وتركنى مستيقظاً كنائم ، ومفتوح العينين كمغمضهما ، « ومشاهداً للأمر غير مشاهده » كما يقول شاعر لا أذكر اسمه ، وبلغت آخر المدخل وأوشكت أن أصير إلى الحديقة الواسعة الجميلة ، فسمعت صرخة خافتة ، من ورائى ، فدهشت ودرت أنظر إلى مصدر الصوت فلم أر أحداً ، فأنصت لتكرر الصيحة ، فصمت ، وكانت الحديقة خالية ، فجرى

ببالي أن هذه فرصة المجرمين ، وأن من اليسير على لص يعرف المكان أن يتربص لسيدة تمشي وحدها في بعض جوانب الحديقة . قلت لنفسي — وقد تحركت لهذا الخاطر — وماذا علي لو نظرت ؟ فدرت حول سور الشجر فوقعت عيني على أجمل فتاة رأيتها في حياتي فدنوت منها وقلت : « هل سمعتك تصرخين ؟ »

فافتر ثغرها عن أعذب ابتسامة وقالت : « هل أزعجتك ؟ إني آسفة »

قلت : « لا أسف . إنما أسفي على أني لم أدرك المجرم »

فضحكت وهي تقول : « أوه ! ليس هناك مجرم ولا جريمة ، وإنما هي ورقة من شجرة سقطت على ظهري ودخلت تحت الثوب ، فخفت أن تكون حشرة . أوه ! لقد نسيت أن أشكرك »

قلت (وقد وقع من نفسي أدبها ولطفها) : « تشكرين لي تقصيري ؟ »

فقالت وهي تضحك : « ليس ذنبك أنه لا لص هنا ولا مجرم . هل أنت نازل هنا ؟ »

قلت : « من حسن حظي — نعم »

قالت (وهي لا تزال تبتسم) : « إنك سريع ، وثاب ! »

فخجلت وقلت : « أعني . . . . »

فقاطعتني قائلة : « كلا ! دعها هكذا »

قلت مستغرباً : « أدعها هكذا ؟ ! لست أفهم »

قالت وألقت إلي نظرة : « [illegible] لا بعد معقول يشرح والتأويل »

قلت : « آه . . أشكرك . . والآن من أقص عليك تاريخ حياتي ؟ أو تبدئين أنت ؟ »

قالت : « لا تفعل . . »

قلت : « تبدئين أنت ؟ ! حسن جداً — إني كلي آذان »

قالت : « أوه ! لست أعني هذا . . . »

قلت : « حسن أيضاً . . إن كل ما يعنيني هو رضاك . . على كل حال . . اسمي . . . »

قالت : « كلي آذان ! »

وضحكت ، فلمت ربي وقلت : « أشكرك — ماذا كنت أقول ؟ آه تذكرت . . إن تاريخ حياتي صفحة بيضاء »

قالت بخبث : « ظاهر جداً ! »

فقلت لنفسي والله لأحرجنها كما تحرجني . والتفت إليها وقلت : « أعني أنه وجيز جداً وأن الماضي منه غير محسوب وأني في الحقيقة لم أولد إلا اليوم »

وكنت أتوقع أن ترتبك وتصطبغ وجهها الجميل بحمرة الخجل ، ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك

وانما نظرت الى بابتسام وزوت مابين عينيها وقالت بصوت رقيق كأنها تداعب طفلا : « يانوتى يا حبيبى يا بابا ! »

وربت كتفى ، فكدت اجن من الغيظ ، وألم الهزيمة ، وحركت كفى والتفت اليها جاداً وقلت : « اسمى . . ان هذا . . أ أ . . . »

وارتبكت ، فليس من السهل أن تبهر فتاة جميلة لم تكن تدرى انها موجودة قبل خمس دقائق ، ثم انى أنا الذى جر على نفسه هذه السخرية ، على أنها أدركتنى وقالت :

« وطفلنا عصى . . ؟ ! ياخسارة . . ! ! لا لا يابابا ! كن حليماً . ! »

فلم يسعنى الا أن أضحك فقد صار موقفى سخيفا ، وقلت : « انى آسف . . وأستحق هذا . . جلبته على نفسى بالطبع . . . »

قالت : « آه . . ! هذا أحسن »

وبدا لى ان اغير هذا الموضوع المحرج فقلت : « ان اسمى فلان . . اسم سخيف بالطبع ولكنه يكفى . . ثم انه ليس ذنبى على كل حال . . واظنك تظنين ان ابى لم يستشرنى »

قالت : « صحيح . . قرأت عن ذلك فى الكتب القديمة »

فامتعضت ، ولم أعد أدرى ماذا أصنع مع هذه الفتاة ، وخطر لى أن أهرب ، ولكن كيف . ؟ وجعلت ليلاحق اكرر لنفسى بصوت مسموع وان كان خفيضا : « الكتب القديمة . ! أ م م م م . . الكتب القديمة . ؟ ؟ ابتسم ! »

فانفجرت ضاحكة ، انا أنظر اليها مبهوتا ، ثم تملكنى الضحك فلم يسعنى الا أن اضحك

ولما هدأ الركان التفت اليها وقلت : « اسمى ! »

فقالت بتهكم رقيق على الرغم من مرارته : « اسمى . . انى كلى آذان »

قلت : « لا تتهكمى . . على كل حال . أعترف بأنى انهزمت »

فتركت الضحك فجأة — حتى لعجبت — وقالت جادة : « هل تستطيع أن تسامحنى ؟ . لقد كنت معك ثقيلة »

فأسرعت أقول لها : « ابداً ابداً . . بالعكس . . انك أخف وأرق وأظرف وألطف وأجمل فتاة فى هذه الدنيا »

فعادت تضحك وتقول : « على مهلك . ! على مهلك . ! ابق شيئاً للغد . على انى ماضية لاغير ثيابى »

فصحت بها : « ايه ؟ »

قالت وهى تبتسم برقة : « ألا تسمح لى أن أغير ثيابى ؟ »

فأفقت وقلت : « اوه . ! آه . ! معذرة . ! لم أكن واعياً . ! الصدمة كانت قوية . . . هل عندك مرآة ؟ »

فقطبت وهي تقول : « مرآة .. ؟ لماذا ؟ »

قلت : « لا شيء .. أنما أردت .. ان النظر اليها بعين جديدة قد يخفف من الرغبة فى التهكم .. أعنى انه لا حق لك فى التهكم بالناس ما دام لك هذا الوجه الرائع »

فقالت بصوت لم أعرف منه أهى مسرورة أم غاضبة : « آه هذا .. ؟ سأنظر فى الامر .. أعنى فى المرآة »

وأشارت بيدها ومضت

* * *

تلكأت فى الحديقة لحظة لأنى كنت محتاجاً أن أفكر وكنت احس انها مرغتنى فى التراب ، ولكنى كنت أحس أيضاً انى عشقتها ، ولا فائدة من المكابرة . فقد أحببتها وانتهى الامر ، وصحيح أنى لا اعرف حتى اسمها ، ولكن هذا لا قيمة له ، وما يعنينى من اسمها وأصلها وفصلها ؟ ألا يكفى انها هى هى ؟ وهل يمكن أن يكون اسمها الا جميلا مثلها .. ؟ وهل يعقل أن تخرج هذه الثمرة الا من اكرم شجرة وأعرق دوحة .. ؟ ومع ذلك ما هذه الاصول التى يلغط الناس بها .. ؟ هل يخلق بعض الناس من طينة ويخلق الآخرون من طينة أخرى ؟ ! كلام فارغ ! وعلى ان الطينة التى يكون منها مثل هذه الفتاة لابد أن يكون أخصب [illegible]

وصعدت السلم وأنا دهش . لا أعى شيئاً ولا أفهم ؟ لا أستطيع أن أقول . ولكنى على الرغم من ذلك اهتديت الى غرفتى . ولم أضل الطريق اليها . وكانت غرفة جميلة على البحر ولها شرفة عريضة واسعة ، ووضعت يدى على الباب وأدرت اليد . وفتحت [illegible] سمعت وقع قدمين تمشيان فى الغرفة . فتوقفت مسرعاً وخطر فى بالى [illegible] ثم خطر لى انى لعلى أخطأت وجئت الى غرفة غير غرفتى . ولا عجب ان أخطىء فانى مضطرب . فتراجعت مقدار خطوتين ونظرت الى رقم الغرفة . كلا لم أخطىء — هى غرفتى على التحقيق . الا أن يكون احد الاشقياء قد غير الارقام فى غيابى ! وابتسمت وعدت الى الثقة بنفسى وقلت وأنا أدخل مطمئناً : « كيف يمكن ؟ ؟ كيف يمكن ؟ ؟ »

ومضيت إلى الشرفة لأمتع عينى بجمال المنظر الذى يتراءى منها . ووقفت مستنداً على سورها بعد ان أشعلت سيجارة ، فأنا أى موجب للعجلة . وعاودنى الاحساس ، وأنا واقف ، بضيق أحد الحذاءين ، فلم أر ما يمنعنى أن أخلعه الآن فأنى فى غرفتى ، وليس هناك من يرانى ، وانحنيت وخلعت الحذاء ورميته فى الشرفة وبقيت واقفاً ، فى إحدى رجلى الحذاء ، والاخرى حافية — ليس عليها إلا الجورب — واذا بى أحس شيئاً يلمس ساقى . فالتفت فأبصرت كلباً صغيراً جميلا يتمسح بى ، فدهشت لما رأيته واطمأنت نفسى اليه ، فتناولته على ذراعى ، وأقبلت عليه ألاطفه وأمسح له شعره ، ولست فى

العادة أحب الكلاب ، ولكن هذا كان كلبا لا يسع الانسان إلا أن يحبه ولو عضه — أعني ولو عض الكلب الانسان لا الانسان الكلب !

ولست كلبيا — أعني أني لم أعتد الكلاب فلا صبر لي عليها في العادة ، فلا لبثت أن مللت صحبة هذا الكلب الصغير الجميل موضعه على الارض ، وانكفأت راجعا الى الغرفة فقد شعرت بالجوع فلما صرت فيها عجبت — فإن حقيبتي صغيرة ، وهذه الغرفة ملأى على ما يظهر بالحقائب ، وكلها كبير ضخم ، ولو كان القارىء في مكاني لطار عقله ، ولكان معذوراً ، وقد طار عقلي ، وجعلت ألتفت وأحرك رأسي يمينا وشمالا كما يفعل الناس في الأذكار ، وهم يطوحون رءوسهم يمينا وشمالا مثنى ويقولون : « الله ! الله ! أو لا إله إلا الله ! »

ولو كان القارىء مكاني لكان أول ما يخطر له أن يخرج من الغرفة ويدعو مدير الفندق ويسأله عن معنى هذا — ولكن القارىء لم يعشق أجمل فتاة على وجه الأرض ، ومن أول نظرة أيضا ، ولم يكن فوق هذا متعب الأعصاب منهوك القوى قبل أن يجب بخمس دقائق ، ولو كان مثلي لفعل فعلي

على أن المهم هو ما فعلت أنا لا ما كان يمكن أن يفعله القارىء لو وقع له ما وقع لي . فلأترك هذا ولأقل إن الشيء الوحيد الذي خطر لي أن أفعله هو أن أختفي تحت السرير . ولعل مما أغراني بذلك أني اشتهيت أن أرى ما عسى أن يحدث وأن أعرف من الواعى الذي احتل الغرفة في غيبتي ، ولم يكن هناك شيء آخر ، فقد فعلت ذلك كله ، وعلى أني لم أفكر — إذا أردت الحقيقة — في أي شيء آخر

وساد السكون ومرت لحظة خلت فيها أني مخطىء وأنه لا وعى هناك وأن الغرفة غرفتي وأن كل ما في الأمر أن الخادم أحمد قد أدخل هذه الحقائب في غرفتي ، وسيجيء ولا شك بعد قليل ليستعيدها . أما هذا الكلب فتأويله — أعني تأويل وجوده — سهل إذ ماذا يمنع أن يكون قد وثب من النافذة المجاورة للغرفة ؟ أو لم أجده في الغرفة ؟ واسترحت الى هذا الخاطر . واطمأنت نفسي الى هذا التأويل ، فلم يبق مسوغ لبقائي تحت السرير . فقلت أخرج ، ولكن بقية من الحذر جعلتني أتأنى فأخرجت رأسي أولا ، وأجلت عيني في الغرفة ، ولكن هل يليق أن ينقضي هذا الليل بسلام ؟؟ كلا ! وماذا تظنه حدث ؟ وماذا تقدر أن يكون المعقول أن يحدث ؟ أنا أقول لك وتقل أنت هل هذا يجوز أن يكون ؟ لو ظهر لص في هذه الساعة لاسترحت ، فقد كنت قد فكرت في هذا . فأنا مستعد لقبوله متهيء الأعصاب لاستقباله ، ولكن كيف يحدث الطبيعي في هذه الدنيا ؟ وكيف تكون الدنيا دنيا إذا كان كل ما يحدث فيها معقولا وطبيعيا ؟

لا يا سيدي ! لم يظهر لي لص وإنما بصرت بفتاة في قميص شفاف يكشف منها أكثر مما يستر ،

تخرج من خزانة الثياب ، أى والله من خزانة الثياب ! وأدهى من ذلك وأمر أن تكون هى الفتاة التى كنت معها فى الحديقة! ولا تسلنى كيف جاءت الى غرفتى ؟ فما كنت أنا الذى جئت بها ولا دعوتها، ولو دعوتها لما اجابت . ولا اعرف — أعنى عرفت بعد ذلك ، أى بعد ان رجعت روحى — لماذا تخلع ثيابها فى غرفتى انا دون خلق الله ولا يبقى عليها إلا هذا الشف الحبيب ؟ كلا . لا تسلنى عن شىء من ذلك ؟ فما أعرف إلا أنى رددت رأسى بسرعة وأغمضت عينى حتى لا ترى هذه الفتنة ، ولو كان يبقى ان انظر لوجب أن اتقى ان اتبع النظرة النظرة حتى لا اجن. وذاب سمعى عن عينى . ويظهر ان الفتاة اطمأنت الى خلو المكان بعد ان راحت وجاءت مرات فى الغرفة — فقد كنت أرى رجليها — وهى تمشى — من تحت السرير او على الاصح من تحت رفرف الملاءة أو الغطاء ، او ماشئت فسم هذه الطهارة التى تطرح على السرير . ولا شك انها استغربت خلو الغرفة ، ولكنها على كل حال شرعت ترتدى ثيابها ، فلولا الكلب اللعين لرجوت ان ينتهى الامر على خير — أى ان تتم لبس الثياب وتخرج فيتسنى لى ان اخرج انا ايضا من هذا المأزق الثقيل ، ولكنه كلب ، وحسبك هذا . وانا فى حياتى ما استطعت ان اطمئن الى الكلاب او ان آنس بها ، ولى الحق . وانظر ماذا صنع هذا اللعين ؟ ابى الا ان يدنو من السرير وان يدفع خطمه ويمده تحت رفرف السرير . وليته اقتصر على هذا واجترأ به ؟ اذن لهان الخطب ، ولكنه شاء ان يداعبنى فى هذه الساعة : وانا لا احب المزاح فى غير أوانه . فاضطررت ان اتقى عن وجهى أن يلعقه فدفعته عنى . والعجب لفتاة جميلة ذكية كهذه، تقتنى كلبا مملا كهذا ؟ فقد حمل يزوم ويردد صوته كالفحيح ويدنو منى وانا ارده عنى فيرجع ثم يقبل . وكان من جراء هذا المزاح ان تنبهت الفتاة الى من تحت السرير ، فصرخت فخرجت بسرعة وقد افزعنى انها صرخت وخشيت ان يجتمع كل من فى الفندق على . واسرعت فقلت :

« لا تخافى من فضلك . فانى انا الخائف لا انت »

فلما افاقت قالت : « انت ؟ لست هنا ؟ ماذا تصنع هنا ؟ »

قلت : « هذا سؤالى انا ؟ ماذا تصنعين انت هنا ؟ »

قالت: « لا تمزح ! تدخل غرفتى — فى الليل — وتختبىء تحت السرير . ثم تسألنى ماذا اصنع هنا ؟ »

فدهشت وقلت : « غرفتك ؟ تقولين غرفتك ؟ »

قالت : « بالطبع غرفتى ! ولو شئت لدعوت البوليس الآن ! »

فمسحت العرق المتصبب وقلت بصوت ضعيف: « يظهر ان هناك خطأ . ان هذه غرفتى . ولا ادرى كيف اتفق ان تكون غرفتك فى الوقت نفسه ! »

فقالت بلهجة فيها مرارة : « يظهر ؟ الذى يظهر هو أنك متعمد هذا ! »

قلت : « انى مستعد أن اقسم انى قرأت رقم الغرفة على الباب . وأنها هى عينها الغرفة التى نمت فيها بعد الظهر »

قالت : « وهل يمكن . . . ؟ »

ومسحت جبينها مسائلها : « ملذا ؟ »

قالت : « لقد أخبرنى مدير الفندق أنه رجا من صاحب هذه الغرفة أن يتركها لي لانى اعتدت النزول فيها قبل »

فتذكرت أن الرجل كان يكلمنى عن غرفة وأنا شارد الذهن ، وقد حسبته كان لا يدرى . وشرحت لها ما حدث ، ولم أكن أنتظر أن تصدقنى ، ولكنها الحقيقة على كل حال . غير أنها صدقت ولم يكفها أن تصدق بل ذهبت الى أبعد من هذا جداً فاقترحت أن نمثل رواية — أن امثل دور اللص وهي تمثل دور المستغيث ، ولا بأس من قدوم البوليس ولا خوف لان الحقيقة ستتضح في النيابة . . فأخرج سالما وتكسب هي شهرة وتصبح أسمها على كل لسان وصورتها في الصحف

فقلت : « هممم . . . ولكن يا فتاتى الحسناء إذا كانت الشهرة غايتك ، فانت مخطئة . لان الشهرة ليست إلا مصيبة . كل انسان يعرفك . . لا يبقى لك سر . . ولا يبقى في وسعك أن تعمل شيئاً وأنت حرة لان الناس يعرفونك . . . إن الشهرة هي التى تمنعنى ان أطاوعك واحقق رغبتك ولولا انى معروف لمرقت سراب الشهرة كما يعرفه الآن ولكنت أطلب مانطلبين »

قالت : « انت من ؟ »

قلت : « ربما [illegible] . واسمعي [illegible] كنت تطلبين الشهرة فانا استطيع ان احقق[illegible] في الشعر . . . . في شعرى — [illegible] استطيع ان اكون شعر الانس والجن »

قالت مجدة : « كلام [illegible] . لقد [illegible] اذهب . . اذهب »

فذهبت بلا تردد على [illegible] وعلى الرغم من [illegible] قدمي فقد [illegible] ان يمر برأسها خاطر آخر

وما صارت يدى على الباب قالت : « أنت على حق ! أنا مخطوبة ! سامحنى »

فرجعت اليها ووضعت يدى على كتفها وقلت : « تعشيت ؟ »

قالت : « لا . . لقد كنت ألبس ثيابى لانزل للعشاء »

قلت : « اذن سأكلف الخادم ان يجيئنا على مائدة واحدة »

قالت : « موافقة بالاجماع ! وعلى فكرة . اسمى فريدة »

قلت : « ظننت هذا ! »

قالت : « إيه ؟ »

قلت : « نعم . لايمكن ان يكون اسمك إلا فريدة »

فرمتنى بالحذاء الذى نسيت أن البسه

ابرهيم عبد القادر المازنى

الطرق العلمية

في البحث عن الآثار *

بقلم الاستاذ سليم حسن

ولد علم المصريات فى يوم ١٤ سبتمبر ١٨٢٢ حينما أتم شمبليون بحوثه العلمية ، وحل رموز اللغة المصرية القديمة بعد جهاد دام أعواماً عدة . وعلى أثر ذلك عين استاذاً لعلم المصريات فى كليج دى فرانس سنة ١٨٣١ ، فكانت الخطوة الاولى فى تاسيس علم الآثار المصرية فى العالم أجمع .. والآن نبدأ موضوعنا فنتكلم أولا : عن الطرق التى كانت تستعمل فى الكشف عن الآثار المصرية قبل أن يحل شمبليون رموز النقوش المصرية وقد ظلت هذه النقوش صامتة أكثر من عشرين قرناً ، ثم نعقب على هذا بالطرق التى اتبعت فى الحفر بعد شمبليون . وهذه الطرق تنقسم الى ثلاثة اقسام الاولى طريقة كشف الكنوز بالتعاويذ السحرية ، والثانية طريقة الجسات ، والثالثة الطريقة العلمية الحديثة

أولا — طريقة الشعوذة وتنحصر فى البحث عن كنوز الذهب الدفينة تحت الأرض عن طريق السحر والتعاويذ ، وهى التى يعتمد عليها المحتالون المخادعون فى كسب أرزاقهم . ولقد خدع بهم كثيرون اضاعوا ثروتهم فى البحث وراء الكنوز بهذه الطريقة . ومن العجيب حقا انك مهما اقنعت هؤلاء القوم من هذه الناحية بان تلك الكتب السحرية لاتدل أبداً على وجود كنز ما ، فانهم لايقتنعون لان توقع اكتشاف الكنز وما عسى أن يجلب من الثروة يؤثر فى عقولهم تأثيراً سحرياً ، فتمتد آمالهم ، وكلها آمال خلب ، حتى ينتهى بهم الأمر غالباً الى الخراب ثم الجنون . وليس أدل على هذا من انك تجد الآن أفراداً يهيمون على وجوههم فى الصحراء والمغاور تاركين كل عمل بحثاً وطلباً للكنوز المخبأة . وقد أنبأنى مرة أحد أصدقائى أن أحد العظماء يريد أن يحدثنى فى أمر كنز يعلم هو مكانه ، وأن الوصول اليه لايستغرق غير نصف ساعة ، وبعد أن تحادثت وهذا الكبير طويلا ، وضيقت عليه الخناق فى بعض أسئلة ، جابهنى بالجملة الآتية : « انا اعلم تماما انك تشتغل فى الآثار بطريقة السحر ، وأن كل ما عثرت عليه انما أتى عن هذا الطريق » . وكم من خطابات أرسلت الى وكم من أفراد كابدوا مشاق السفر لارشادى عن كنوز مشترطين ألا يبوحوا بمكانها ، إلا اذا ضمنت لهم نصف ما فيها من الذخائر والاموال

---

* ألقيت هذه المحاضرة فى المؤتمر الثانى السنوى الذى عقده المجمع المصرى للثقافة العلمية

ثانياً — طريقة البحث عن الآثار بالمجسات ، وهى طريقة كان يتبعها صنفان من الناس الصنف الأول لصوص يسكنون بجوار الاكوام الأثرية والمدن القديمة فيسطون عليها فى غفلة من أعين رجال مصلحة الآثار أو باتفاق مع بعض الحراس . فيعملون حفراً تؤدى أحياناً الى كشف آثار قيمة . غير أن كشفها بهذه الكيفية يكون خسارة كبيرة للعلم ، لأن اللصوص فى أكثر الاحيان لايبوحون بالمكان الذى عثر فيه على تلك الآثار عند مايبيعون ماعثروا عليه بل يضللون المشترى ، وبذلك تفقد القطعة الاثرية قيمتها التاريخية وبخاصة اذا كانت خلوا من الكتابة . والجانب الأعظم من محتويات الاقسام المصرية فى متاحف العلم قد اشترى بهذه الطريقة . وهنا أريد أن ألفت النظر الى قيمة معظم محتويات المتحف المصرى من الوجهة التاريخية فان معظم القطع التى يحتوى عليها معلوم مصدرها وتاريخ العثور عليها ، فهى فى الحقيقة تكاد تكون تاريخاً ناطقاً وهذه هى ميزة متحفنا على كل متاحف الآثار المصرية فى العالم قاطبة

على أن البحث بطريقة المجسات برغم مابه من نقص ظل شائعاً بين علماء الآثار انفسهم الى زمن غير بعيد ، فنجد فى معظم الاماكن الأثرية فى جميع انحاء القطر حفراً منتشرة هنا وهناك . واذا سألت عن تاريخها وجدت أن العالم الفلانى قام بمجسات فى هذا المكان سنة كذا ثم جاء غيره وقام بمجسات أخرى سنة كذا . وأكبر مثل على ذلك منطقة أهرام الجيزة قبل عام ١٩٠٣ فانك تجدها مشوهة بحفر كثيرة من هذا النوع . وظلت طريقة البحث عن الآثار جارية على هذا الاسلوب ، حتى جاء العالم الأثرى الألمانى « لبسيوس » الى مصر ببعثة علمية أثرية عظيمة عام ١٨٤٢ وتعد اعمالها من أكبر مجهودات أثرية ، فانه نقل كثيراً من النقوش المصرية القديمة والمناظر الأثرية ورسم خرائط لكل بقعة على حدتها وقام ببعض حفائر بسيطة كان الغرض منها إزالة الرمال والأتربة التى كانت تعترض سبيله فى نقل النقوش ، غير أنه لم يتعمق فى ذلك لانه كان يقتصر على إزالة الاتربة الخفيفة التى لاتحتاج الى عناء كبير ومال وافر ، لذلك نجد الآن بعض المقابر التى نقلها ، وبخاصة فى منطقة اهرام الجيزة ، لم تنقل على الوجه الاكمل لانه ترك اجزاء مدفونة لم يتم الكشف عنها فبقيت نقوشها ناقصة ، ولان بعض المناظر وقع فى نقلها بعض الخطأ . على أن عمله هذا يعد الى الآن من أروع الاعمال التى تمت فى عصره وقد طبع نتائج بعثته الى مصر فى اثنى عشر مجلداً . هذا المتن الذى يتألف من عدة أجزاء . وهو كتاب Denkmaler ولقد عقد له العلماء الفرنسيون وغيرهم لواء الزعامة على كل رجال البحث عن الآثار فى عصره . وجاء بعده « ماريت باشا » فنقل كثيراً من النقوش التى وجدها على جدران المعابد والمقابر وطبع بعضها ، ثم طبع « مسبيرو » الجزء الباقى منها بعد وفاته . وبالرغم من أن ماريت باشا يعد من أكبر علماء عصره ممن حافظوا على الآثار المصرية ودافعوا عنها بكل ما لديهم من قوة ، إلا أن معظم مانقله كان مشوباً بأغاليط كثيرة . ومنذ أن رأس مصلحة الآثار

عام ١٨٥٨ ، قام بعدة حفائر في أمكنة مختلفة ، ولكنه عهد بها الى رؤساء العمال ، الذين كانوا لايهتمون إلا بعمل مجهودات للحصول على تماثيل أو حلى . ولذلك لم يسر العمل على أساس علمى ، أما الاعمال التى تمت باشرافه المباشر ، فامتازت بشىء من الدقة يوائم العصر الذى حدثت فيه لهذا نجد قطعا كثيرة في المتحف المصرى من هذا العهد لم يدون تاريخ العثور عليها ، ولايعرف من أين أتى بها ، إذ لم تكن هناك طريقة علمية متبعة في الحفر . كل هذه الهفوات تتلاشى امام ما قام به هذا الرجل العظيم من جهد في وضع أساس المتحف المصرى الذى أخذ ينمو شيئاً فشيئاً منذ رياسته لمصلحة الآثار الى وقتنا هذا ، حتى أصبح من أضخم متاحف العالم .

ثالثاً — الطريقة العلمية : فى العام الذى توفى فيه ماريت باشا سنة ١٨٨١ هبط مصر « فلندرز بترى » فكان أول من وضع حجر الأساس فى طريق البحث العلمى للكشف عن الآثار المصرية . ويعد بحق أول من علم أعمال الحفر فى مصر بالطرق العلمية الحديثة التى كان لها أكبر أثر في احياء تاريخ بلادنا واظهار ثقافتها القديمة . وقبل أن أتكلم عن الطريقة العلمية التى اتبعها « فلندرز بترى » أريد أن أقف بكم لاحدثكم عن المعوقات التى قدمها لنا المصريون الأقدمون أنفسهم للكشف عن عقائدهم ولولاها لعانينا متاعب كثيرة في البحث عنها

عرف المصريون منذ أقدم عصورهم التاريخية معدن الذهب وقيمته ، فاستعملوه فى صوغ الحلى والزينة وصنعوا منه الآنية . وكان فى بدء الأمر نادراً أتى فى خلال الدولة القديمة ولكن لما كان المصرى يعتقد أنه سيحيا حياة أخرى فى قبره ، حصر كل همه مدة حياته فى جمع ماتيسر له من أثاث ثمين وحلى نفيس يضعه معه في مقره الأخير ومن ذلك نشأ حب الأحياء للاغارة على قبور الموتى ، وانتزاع كل ما يحتويه من ذهب ليتمتعوا به فى حياتهم أو يضعوه فى قبورهم . ولما انتشر هذا الداء فى اعقاب البلاد اجهد المصرى عقله فى إخفاء مكان الدفن

والسبب فى هذا ان العقائد الدينية عند المصريين القدماء ، وما كانت تقتضيه من أوضاع خاصة بالدفن أصبحت تنم عن مكان المتوفى مهما بولغ فى العمل على إخفائه فكان لزاماً على المصرى عند تشييد مقبرته ، أن يعمل لها باباً وهمياً أو بابين أو ثلاثة على قدر عدد الموتى الذين كانوا يدفنون معه فى المقبرة . وخلف هذه الابواب كانت تقع حجرات الدفن التى يبالغ فى الافتنان فى اخفائها واقامة العقبات العسيرة للوصول اليها بطرق تنحصر فيما يأتى :

أولا — كان يحفر فى الصخر خلف الباب الوهمى بئر سحيقة الغور قد يصل عمقها أحياناً نحو أربعين متراً . وفى نهايتها تحفر حجرة الدفن شرقاً أو غرباً شمالا أو جنوباً بحسب الاحوال وبعد الدفن يبنى باب هذه الحجرة بناء محكماً ، ثم يسد بقطعتين أو ثلاث من الحجر الجيرى تلحم بنوع من المونة متين شديد التماسك ، ثم تطمر البئر ببعض الاحجار الصغيرة الناتجة من نحتها فى الصخر وتبنى الفوهة باحجار ضخمة يصعب رفعها

ثانيا : كان يحفر تحت الباب الوهمى ممر منحدر يؤدى الى حجرة الدفن الواقعة وراءه ويسد ذلك بسد هذا المزلق بكتل حجرية ضخمة

ثالثاً . كان يحفر مزلق خارج المقبرة فى جهة غير الجهة التى بها الباب الوهمى غير أن حجرة الدفن كانت فى النهاية تقع خلف الباب الوهمى الخاص بها كما كان الحال فى مقبرة « عنخ حاف » ، ومقبرة « فكاؤوحور » بمنطقة اهرام الجيزة فى الدولة القديمة . وهذه الطرق الثلاث كان يعرفها قدماء المصريين ومن جاء بعدهم فى العصور المتأخرة . اللهم إلا الطريقة الأخيرة فقد كانت تخفى عليهم احياناً . لذلك لانجد من هذه المدافن إلا النادر اليسير لم تمتد اليه أيدى العابثين ، ولقد ساعد هذا الامر المنقبين فى عصرنا هذا على معرفة حجرة الدفن بسهولة

ولما وجد أن طرق إخفاء مكان الدفن أصبحت غير مجدية ، أخذوا يتوسلون بالاعترافات التى كانوا يكتبونها على الجدران لعدم نبش قبورهم . فمثلا نجد فى بعض المقابر مايشعر باشفاق الميت من نبش قبره واقتحامه . فيقول الميت إنه لم يظلم أحداً ، وإنه بنى قبره من ماله الخاص ، وإنه دفع لكل عامل أجره وإنه تلقاء هذا يرجو من الاحياء ألا يد نسوه أو ينتهكوه

وقد وصلت الينا ورقة بردى فيها تحقيقات عملت ضد نابشى القبور وهذا عهد بالمحافظة على قبور السلف فى سنة ـ خلال لدولة الحديثة ـ ان حكام المدينة كان يعمل تفتيشاً عاما كل سنة عن مقابر الملوك ، حتى اذا وجد أن هناك عبثا ما حدث ، قام الحاكم بالبحث عن الجناة وعاقبهم عقاباً صارماً غير أنه لما ساءت الحال وكثرت السرقات فى الملوك والامراء فى إخفاء مقابرهم ، حتى قيل إن الملك تحتمس كان يحفر مقبرة فى جوف الصخر فى وادى الملوك كان يستخدم فى حفرها وتشييدها فريقاً من الاسرى بحراسة بعض الكهنة ، فاذا ما أتموها أمر الكهنة بقتلهم كيلا يفشوا السر ويصبح القبر عرضة لعبث اللصوص على أن هذا كله لم يقم عثرة أمام مهرة اللصوص الذين استطاعوا الوصول الى جميع مقابر الملوك والعظماء من رجال الدولة حتى مقبرة « توت عنخ آمون » نفسها . فلما رأى ملوك الاسرة الحادية والعشرين ما حل بأسلافهم أصحاب الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ، نقلوا جثثهم وما أبقته يد العابثين من مخلفاتهم فى مخبأة بعيدة عن أيدى نابشى القبور فى البقعة المسماة الآن بالدير البحرى ، وفيها لبثت هادئة مطمئنة الى أن جاءت عصابة من أسرة عبد الرسول بالاقصر سنة ١٨٧٩ وعثرت على هذه المخبأة ، فكانت هذه العصابة سبباً فى الكشف عن جثث فراعنة الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ، وما أبقى عليه اللصوص القدماء من أثاثهم المأتمى وقد بقى سر هذا الكشف خفياً مدة حتى ظهرت منه أشياء عرضت للبيع فى أسواق العالم ، وبعد عراك شديد بين هذه العصابة ومصلحة الآثار اعترفت بمكان المخبأة فكانت أكبر صفقة للتاريخ والعلم

ومنذ ذلك العصر أعنى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ـ أخذت عناصر البحث العلمى

من الآثار المصرية تتكون شيئاً فشيئاً، وبخاصة بعد أن مضى علماء المصريات يحلون رموز اللغة المصرية القديمة مقتفين أثر شمبليون ويدرسون ما نقش على كل أثر من الرسوم وقيمة كل منها، سواء أكان من الذهب أم من الحجر. وحينذاك بدأ الباحثون عن الآثار، لا يعنون بالذهب وحده، بل اتجهت عنايتهم الى شيء يجذب النظر لحسن صنعه أو جماله الفني

ذلك بأن العلماء كانوا قد بدءوا يفهمون اللغة المصرية القديمة، وأخذوا يتذوقون جمال الفن المصرى. أما العامة من الباحثين عن الآثار فقد عرفوا ما يتطلبه مشترى الآثار المصرية والاتجار بها من الدقة والمهارة حتى إن بعضهم حذق حذقاً كبيراً فتراه يحدثك عن الفن المصرى والتماثيل المصرية فتظن أنه على نصيب من العلم، فى حين هو يجهل اللغة المصرية القديمة جهلا كاملا

والآن نعود الى سياق حديثنا فى الكلام عن الطريقة العلمية التى انتهجها السير فلندرز بترى فى البحث عن الآثار المصرية. فهو يعتبر بحق فى طليعة العلماء الذين قاموا بالبحث العلمى عن الآثار وهو أول من رسم طريقة تخطيط الاماكن التى حفرها وتبيين موضعها بالنسبة للمكان الذى وجدت فيه، ثم موضعها بالنسبة لخريطة مصر العامة. وكان أول من استخدم التصوير الشمسى فى رسم الأشياء المكتشفة فى مكانها. أضف الى ذلك أنه كان يركن الى عالم جليل فى اللغة المصرية القديمة لنقل النقوش التى تظهر عند كشفها مباشرة. أما أعظم خطة انتهجها فهو أنه كان يسجل كل قطعة أثرية يعثر عليها ويصفها وصفاً دقيقاً ويذكر المكان الذى وجدت فيه ويدون كل هذا فى سجل خاص مبيناً فيه موضعها من التاريخ المصرى، مستنبطاً ذلك من النقوش التى توجد معها. كذلك امتاز عن غيره من معاصريه بأنه كان مزوداً بمساعدين يعاونونه فى عمله، بطريقة نظامية توزع الاعمال كل حسب اختصاصه. فكان لتخطيط الاماكن مهندس، وللتصوير الشمسى فنى، ولرسم المناظر رسام كل هذا سهل عليه أن يضع تقريراً ضافياً عن عمله السنوى. ولهذا فهو يعتبر بحق أنه أكثر علماء الآثار منتجاً أثرياً فى أقصر وقت ممكن. ولقد ساعده على بلوغ هذا المأرب امران: الاول نشاطه المقطوع النظير، ووفرة المال. وقد أمدته، جمعية البحث والتنقيب عن الآثار المصرية، بكل الاسباب التى مهدت له سبيل الظفر والنجاح. وهى جمعية أسسها هو فى انجلترا واشترك فيها هواة الآثار المصرية فى كل انحاء العالم. فكان يعمل لشعبه ولغيره من الشعوب الاوربية، ولم يكن تابعاً لحكومة ما

وعند ختام القرن التاسع عشر وفى باكورة القرن العشرين، ظهر العلماء الالمان والامريكان والطليان فى ميدان البحث عن الآثار المصرية، فادخلوا بعض التحسينات على طرق البحث العلمى، وبخاصة فى تدوين كشفهم عن الآثار المكتشفة. وكانت منطقة أهرام الجيزة أهم ميدان للعمل والتنافس بين أبناء هذه الامم الثلاث، فقسموها الى ثلاث مناطق: اختص الامريكان منها بالجزء الواقع خلف هرم خوفو وكذلك المساحة الواقعة غرب هرم منقرع،

أما الجزء الاوسط والمساحة التى شرق هرم خفرع فكانت من نصيب الالمان . كما اختص الايطاليون بالقسم الجنوبى الغربى من هرم خوفو

وفى سنة ١٩١٢ اقتسم الالمان نصيبهم مع النمسويين ، ولم يمض عام ١٩١٤ حتى تخلى الايطاليون عن نصيبهم، ولم يستمر فى الحفر خلال سنى الحرب العظمى غير الامريكيين

وبعد نهاية الحرب أعادت مصلحة الآثار تقسيم المنطقة ثانية فاعطت النمسا مساحة منها تقع جنوبى هرمى خوفو وغربيه ، واستولت جامعة « هارفارد » على جزء من منطقة الايطاليين . أما المساحة الواقعة غربى أبى الهول وجنوبيه فقد احتفظت بها مصلحة الآثار لنفسها ، ثم سلمتها الى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ . على أن ما أدخله الامريكان والالمان من التحسينات فى طرق البحث العلمى عن الآثار المصرية فى هذه المنطقة ، يعد بحق خطوة جديدة فى هذا المضمار ،

واذا كان هناك عالم يجدر أن يطلق عليه لقب أثرى مصرى فهو بحق الاستاذ « هرمان يونكر » فقد تجمعت فيه كل الصفات والمميزات التى ينبغى أن تتوافر فى عالم المصريات . وها أقف برهة لأحدثكم عن أحدث الطرق العلمية فى الكشف الاثرى وهى التى اتبعها يونكر فى أعمال حفره لحساب جامعة فينا ، وكان لى الشرف أن تتلمذت له مدة عام قبل أن أتصدى لادارة حفائر الجامعة المصرية . ولفهم الموضوع يجب على ان اقسم هذا الباب الى قسمين :

١ ـ الهيئة القائمة بالعمل ٢ ـ طريقة الحفر

الهيئة القائمة بالعمل

اولا : المدير ـ يجب أن يكون ملماً باللغة المصرية القديمة وأنواع كتاباتها فى العصور المختلفة ، حتى يستطيع أن يتبين فى الحال تاريخ عصر الأثر الذى يعثر عليه . وان يكون عالماً بعض الشىء بعلم طبقات الارض حتى يمكنه ان يعرف أنواع الاحجار التى تقع تحت نظره ، وكذلك نوع التربة التى يقوم بالحفر فيها . وأن يكون له بعض العلم بالتشريح لكيلا يرتكب أخطاء جسيمة فى معرفة أصحاب المقابر التى يعثر عليها . وان تكون له دراية بمبادىء علم الكيمياء حتى يمكنه ان يحفظ بعض الآثار الهرمة فتتلف عند الكشف . وأن يكون قد درس تاريخ المعمار المصرى درساً وافياً ، حتى إذا كشف عن بناء مصرى أصبح من اليسير عليه أن يعرف تاريخه من شكل بنائه ، فضلا على ما فيه من الآثار . أضف إلى ذلك كله أن يكون قد توافر على دراسة الفن المصرى فى كل عصوره ، وان تكون له ثقافة واسعة النطاق تمكنه من أن يقرن المكتشفات المصرية بغيرها من مكتشفات الامم المجاورة

ثانيا : المساعدون ـ يجب ان تتوافر أكثر هذه المؤهلات فى المساعدين الفنيين حتى إذا غاب الرئيس كان فى مقدور مساعديه أن يحلوا محله . ثم يجب ألا يستبدل المساعدون بغيرهم فى خلال العام ، بل يحسن أن يكون المساعد دائماً حتى يمكنه أن يقوم مقام المدير ، وان يكون أهلا لأن

يتولى كراسة « قيد الآثار » وكراسة «اليومية» ، ولأن يشرف على اعمال الرسم والمساحة والتصوير

ثالثاً : المهندسون ـ يلزم للقيام بالحفر الأثرى مهندس معمارى يقوم برسم كل ما يكشف عنه ويأخذ مقاساته . على أن يساعده فى ذلك فئة من مهندسى المساحة . وهذا لا يغنى المهندس المعمارى عن الالمام بفن العمارة المصرى . وكذلك يجب أن يعلم شيئاً عن الديانة المصرية القديمة

رابعا : الرسامون ـ ثم يلزم أن يكون هناك رسام يشف النقوش التى تظهر على الجدران المكتشفة ثم يرقمها على لوحات بالحجم الطبيعى . ومن الزم ما يلزم لهذا الرسام أن يعرف أحرف اللغة المصرية القديمة وعلاماتها ، وكذلك انواع المناظر التى تتكرر . ويجب أن يكون له مساعد أو أكثر ينقل المناظر بالالوان ، وهذا يجب أن يكون ملماً بدقائق الفن المصرى القديم

خامسا : المصور ـ وكذلك يجب أن يكون هناك مصور شمسى مجهز بكل المعدات اللازمة له فى مكان الحفر نفسه ، كى يكون على استعداد لأخذ صورة أى أثر يظهر فى حينه

سادسا : العمال ـ كان السير فلندرز بترى الفضل الاكبر فى تدريب عمال من أهل الصعيد وبخاصة من بلدة قفط . وهم ما يزالون الى الآن أكبر عدة يعتمد عليها كل اثرى يريد أن يحصل على نتائج علمية دقيقة فى عمله . والحق أنهم فضلا عن دربتهم فى أعمال الحفر شديدو الجلد كثيرو الصبر يتحملون مشقات العمل بعيداً عن أهليهم مدة طويلة وينقسم هؤلاء العمال الى طائفتين :

طائفة مهرت فى تنظيف الجدران المنقوشة واخراج الآثار من مكانها بكل دقة وحرص كما يتمتعون بحظ وافر من الاتقان وتتبع الجدران ومعرفة اتجاهاتها . ويندر أن تخطىء فراستهم وهم يستعملون فؤوسهم بمهارة وخفة . ومن العجب أن الواحد منهم عندما تحس فأسه بوجود أثر ثمين تحتها كتمثال أو فخارة يكمش يده ويبرق عيناه ويلوى رأسه ويستعمل يده فى اخراج ذلك الأثر أو يقف عن العمل برهة ليبلغ مدير العمل أو مساعده ومن هذه الفئة بعض أفراد قليلين حذقوا الكشف عن الجدران المبنية باللبن وهى من أدق عمليات الحفر وأصعبها

أما الطائفة الثانية فتنحصر مهنتهم فى قوام الجسمانية . فمنهم من يشتغل بالفأس والمقطف فى حفر الآبار الموصلة لحجرات الدفن وغير ذلك ومنهم من يشتغل بالكريك لملء العربات وهؤلاء يحتاجون إلى مجهود جسمانى عظيم . والى جانب هؤلاء تعمل طائفة ثالثة من أهل الوجه القبلى والبحرى بحسب مكان الحفر ، ويتخذون من أهل القرى المجاورة لمكان الحفر بأجور ضئيلة ويشتغلون إما فى حمل المقاطف أو دفع العربات المحملة بالاتربة

على أنه من الواجب أن يكون فى مكان الحفر حداد لاصلاح العربات التى يصيبها عطب أثناء العمل ، وأن يكون هناك عامل خاص يقوم بتركيب قضبان السكة الحديدية وملاحظتها طول اليوم . ولا بد من وجود نجار لاصلاح الفؤوس والكريكات وعمل السلالم للآبار والتقالات وعمل عروش للحجرات المنقوشة المعرضة للشمس الخ

ويكون على رأس هؤلاء العمال رئيس ذو شخصية قوية وله دراية بأعمال الحفر . وبكل هذه المعدات يتمكن العالم الاثرى أن يبدأ حفره بشيء كبير من الطمأنينة والثقة. فاذا أراد أن يكون عمله منتجاً وجب عليه أن يقيم فى وسط عماله هو ومساعدوه بقدر ما تسمح له ولهم الظروف . ولا بد اذا اضطره الحال للانقطاع عن مباشرة العمل أن يعين عنه مساعديه الذين يجب عليهم أن يتناوبوا الاشراف على العمل ليكونوا على علم تام بكل جديد

طريقة الحفر

من البديهى أن العالم الاثرى عند ما يريد الحفر فى مكان معين ، لابد أن يكون قد رسم خطة للعمل وأن تكون قد تهيأت له أسباب حملته على اختيار هذا المكان دون سواه . فهو اما يريد أن يكشف عن جبانة أو بلدة أو معبد يرجع تاريخه الى عصر من عصور التاريخ المصرى الثلاثة : القديم والمتوسط والحديث . ولكل من هذه الامكنة القديمة طريقة خاصة تتبع فى الكشف عنها . وسأحصر بحثى عن طريقة الحفر فى منطقة أهرام الجيزة التى جمعت بين الجبانة والبلدة والمعبد ، ويرجع تاريخها الى المملكة القديمة أى منذ نحو ٥٠٠٠ سنة

أما الجبانة ، أى مدينة الموتى فكانت لا تختلف عن مدينة الاحياء فى شيء إلا أن الاولى كانت تقام من الحجر أو تنحت فى الصخر فى حين أن الثانية كانت تبنى من اللبن

ولهذا بقيت مدينة الموتى حافظة لكثير من صورتها الاصلية لمتانة تكوينها وأما مدينة الاحياء فلم يبق منها الا الأسس وبعض جدران مرتفعة بعض شيء . فمن أراد أن يكشف عن جبانة قديمة يجب أن يتصور أولا أنه يكشف عن مدينة للاحياء . وسأضرب لكم مثلا : فانا عندما أردنا الحفر فى [illegible] كان أمامنا الطريق العمومى الموصل ما بين الهرم الثانى ومعبد الوادى بجوار أبى الهول ، وكان هذا الطريق يعد من أعظم شوارع مدينة الموتى . فلابد اذاً من أن تكون البيوت القائمة على جانبيه مملوكة اما لافراد من الاسرة المالكة ، وإما لاناس من علية القوم . وقبل أن نبدأ عملنا ، كان الكونت دى جلارزا قد كشف مقبرة أم الملك خفرع التى تقع فى الجهة اليمنى للسائر من معبد الوادى نحو الهرم الثانى . وكان قد كشفها عرضاً بينما كان يبحث عن كنز ، فكانت نظريتى أن المقبرة الملاصقة لهذه المقبرة هى من غير شك لفرد من رجالات مصر فى عصر الدولة القديمة . وتحت تأثير هذا الاعتقاد افتتحنا موسم العمل

ففى اليوم الأول مددت السكة الحديدية واخترت المكان الذى ستلقى الرمال فيه ، وكان بعيداً عن المكان الذى قصدنا كشفه . وفى اليوم الثانى أخذنا فى التنقيب . وهنا أريد ان ألفت نظركم الى طبقات الاتربة التى تكسو هذه الجبانة . فهى أولا طبقة من الرمل الناعم . ويختلف سمك هذه الطبقة باختلاف انخفاض المكان أو ارتفاعه . وبعد هذه الطبقة الرملية طبقة أخرى

من الإحجار الصغيرة والحصى مختلطة بالرمال والطين الاسود . ويختلف سمك هذه الطبقة باختلاف عمر المبانى التى تحتها ، وبعد ازالة تينك الطبقتين تظهر المبانى القديمة . ولازالة الطبقة الاولى يشتغل رجال الكريك ، وفى الثانية يشتغل رجال الفأس والمقطف . أما عند الوصول إلى الابنية والجدران فان نفراً خاصاً من أهل قفط يقومون بالكشف عنها بكل تؤدة وانتباه . ولم تمض بضع ساعات على بدء العمل حتى ظهر جدار ضخم ، فتتبعناه برفق وتؤدة . وبعد ذلك انكشفت أمامنا قطعة ضخمة من الحجر الجيرى مكتوب عليها اسم « رع ور » . وفى نفس اليوم كشفنا عن واجهة الباب وهى منقوشة وملونة بألوان ظلت ثابتة حتى وقتنا هذا فرسمت مكانها ونقلت نقوشها . فلما ان عثرنا على تلك الواجهة ، تحققنا أن الباب لابد واقع خلفها

وفى اليوم الثالث عثرنا على باب المقبرة منقوش على جانبيه اسم صاحبه « رع ور » وألقابه وأهمها لقب « الكاهن الاكبر لوجهى القبلى والبحرى » ثم لقب مدير القصر الملكى . وبذلك تحققت نظريتى التى فرضتها من قبل . والتقطنا لكل هذا صوراً شمسية ثم نقلناها فى كراسات خاصة ودونا كل ماحدث فى كراسة هى كراسة اليومية. وأما ما كشف من القطع الاثرية الدقيقة فقد سجل فى كراسة خاصة تسمى السجل ،كما عهد الى المختصين رسمها باليد وتصويرها بالآلة الشمسية . وعلى هذا سرنا فى كشف المقابر فى هذه المقبرة حتى انتهينا منها . وكم كانت الدهشة عظيمة إذ بان لنا أنها أكبر المقابر التى عثرنا عليها الى الآن فى الدولة القديمة! ثم انتقلت من هذه المقبرة الى غيرها كما ينتقل الانسان من بيت الى آخر متبعاً نفس الطريقة الاولى . وفى الموسم الثالث من أعمال الحفر جاءت الفرصة عفواً لكشف مدينة الاحياء . وذلك أننا بعد تنظيف مقبرة « رع ور » وما جاورها من مقابر رجالات مصر فى الدولة القديمة ، امتلأ المكان الذى عيناه لتفريغ الاتربة حتى ضاق عن أن يسع اكثر مما نقل اليه منها . فاخذنا نبحث عن مفرغ آخر خال من الآثار فكان أمامنا فى الجهة الجنوبية الشرقية مكان منبسط فسيح مغطى بالرمال بجوار المقابر الحديثة الخاصة بلدة نزلة السمان . وكان منظر هذا المكان يشعر بانه خلو من الآثار . ولكن خوفاً من الوقوع فى الخطأ ، امتحنا هذه البقعة فى ثلاثة أمكنة بعيدة بعضها عن بعض ، وفى كل منها أسفر البحث عن وجود أبنية باللبن . وهنا رجح عندى احد احتمالين فاما أن نكون أمام معبد ، كما هو الحال فى معبد الملك منقرع الذى بنى من هذه المادة فيما . واما أن نكون أمام مدينة قديمة . غير أن وقوع هذه المبانى فى الجهة الشرقية لتل المطمور بالرمال والاتربة ، وهو الذى كانت تسميه العامة فرن أبى الهول ، وذكره العالم الاثرى ريزنر فى كتابه « مكرنيوس » المطبوع سنة ١٩٣١ بانه هرم شبسكاف الذى لم يتم بناؤه بعد ، جعل الشك يخامرنى فى أنه هرم ناقص كما يقول الاستاذ ريزنر . غير أنى رجحت أن تكون هذه الابنية هى معبد الوادى القائم أمام الهرم ، وحينئذ يصح فرن أبى الهول وهرم شبسكاف الذى لم يتم بناؤه فى

الرابع هرم تام لو لم يعبث الزمن بجزئه العلوي . فكان أول عملنا أن تركنا هذه المباني التي الطوب الاخضر جانباً وحصرنا همنا في اماطة اللثام عن هذا البناء المطمور في الرمال . فلم نلبث بعد عدة أيام حتى وجدناه هرما ووجدنا أن صاحبه ملكة تدعى « خنتكاوس » وكانت أول ملكة حملت لقب ملك الوجه القبلي والبحري . ثم اعدنا الكرة على الأبنية المقامة باللبن لنكشف عنها . فاتضح أخيراً انها مدينة الكهنة ، وليست معبداً الوادي كما خيل الينا . ومما لفت نظري للمرة الثانية أمر عاينته من قبل ، هو أننا عند الكشف عن هذه المدينة كانت الطبقة العلوية تتركب من رمال ناعمة ، وطبقة ثانية تتركب من طين الجدران المهدمة ، وطبقة ثالثة ظهرت بها أساسات المباني المقامة باللبن . وكان ارتفاع ما ظل قائماً منها يتراوح بين ١٠ سم و٥٠ر٢ متراً . وبعد تمام الكشف عن جزء كبير منها ، حصرنا همنا في البحث عن معبد الهرم الرابع

ولما كانت البحوث التاريخية قد أثبتت لنا أن خنتكاوس ليست سوى « نيتوكريس » التي تكلم عنها هيرودوت وقال انها هي التي أكملت هرم أبيها الفرعون منقرع ، خطر لي أن معبد الوادي التابع لها ، لابد وأن يكون بجوار معبد أبيها الذي اكتشفه ريزنر سنة ١٩١١ - فأخذنا نبحث عن الطريق الموصل الى هذا المعبد ، واذا ما عثر أثناء البحث على بحيرة مقدسة تجرى اليها المياه من مجرى منحوت في الصخر تحت الارض، ولما اقتفينا أثر هذا المجرى لنعين المنبع الاصلي الذي ينبع منه الماء ، عثرنا على بئر منحوتة في الصخر كانت تصب منها الماء إلى فرعة المجرى . ولما تحققنا أن هذه البحيرة لابد وأن تكون ملحقة بمكان مقدس خاص ، دأبنا في العمل للوصول الى هذا المكان ، وبعد عدة أيام تحريت في أثنائها الصابية ، الدقة في البحث ، بلغنا ما أردنا ، فكشفنا الطريق المؤدي الى المعبد ثم وصلنا بعمل الى المدخل وكشفنا المعبد . غير أن فناءه الكبير كان قد شغل فيما بعد بمساكن قروية من مدينة الاحياء . وهذا عين ماحدث في فناء معبد منقرع . ولا بد لنا من ازالة هذه المساكن برفق وهوادة بعد رسمها ، لنكتشف الجدران الاصلية للمعبد وهي ماتزال محفوظة من غير شك ، إذ أن الذين استعملوا المعبد مسكناً لهم ، قد جعلوا أبنيتهم فوق الانقاض دون أن يحفروا أسساً عميقة ، كما هو الحال في منازل مدن الاهرام التي نحن بصدد الكشف عنها الآن ، إذ نجد طبقتين من المباني أقيمت احداهما فوق الأخرى ، أما الطبقة السفلى فهو البناء الاصلي القديم الذي اندك بعد أن أتى جيل آخر من الناس بنى فوقه

وفي الختام أرى ان الطريقة المثلى للكشف عن الآثار المصرية القديمة يجب أن تكون بريئة من الجري وراء العثور عن الكنوز من ذهب وتماثيل وما اليها، بل يكون غرضها الاسمى اماطة اللثام عن الفجوات الناقصة في التاريخ المصري القديم ، واظهار ما كان لبلادنا من حضارة وفن وثقافة ، وذلك بكشف الاماكن الاثرية كشفاً علمياً واثبات كل ما وجد فيها من نقوش وقطع فنية وأثاث منزل ومناظر. وهذه هي الكنوز الحقيقية

سليم حسن

شخصيات الشهر

الغازي مصطفى كمال باشا وتركيز السياسة التركية الخارجية

ما كاد الغازي ينتهي من تحرير تركيا وصيان استقلالها ، حتى وجه عنايته إلى تنفيذ الاصلاحات التي كان ينشدها بشجاعة عظيمة . وأخيراً رأى فخامته أن عمله يجب أن يتوج بما يكفل لتركيا السلام حتى تظل منصرفة الى الاصلاحات الداخلية ، فتغلب على عواطفه القديمة وبسط يده لليونان .. تلك اليد التي كانت أول يد شهرت السلاح في وجوه اليونانيين في حرب الأناضول . وفي الوقت نفسه بسطها لرومانيا ويوغوسلافيا . وبعد مفاوضات طويلة بين هذه الدول الأربع أمضت حكوماتها الميثاق البلقاني ، وهو يقضي عليها باحترام المعاهدات التي بينها وبألا تعتدي دولة منها على أخرى بل على عكس ذلك يساعد بعضها بعضا في حالة وقوع أي اعتداء خارجي

ولما كان الشيء الوحيد المحتمل وقوعه هو حرب بين روسيا ورومانيا ، ولما كان هناك معاهدة صداقة وسلام بين تركيا وروسيا ، تساءل الناس عما تفعله تركيا اذا نشبت حرب بين روسيا ورومانيا وهل تحترم معاهدتها مع روسيا فتلزم الحياد أم تنفذ نصوص ميثاق البلقان وتنجد رومانيا .. وبعد تفكير طويل وصل الغازي مصطفى كمال باشا الى تدبير حل لهذا الاشكال بأن حصل من حكومة رومانيا على تصريح كتابي بأنها لا تنتظر معاونة تركيا لها اذا وقعت حرب بينها وبين روسيا

الدكتور بنش محور السياسة في وسط أوربا

أوربا الوسطى مضطربة مهتاجة في هذه الايام ، أولا لرغبة ألمانيا في ضم النمسا اليها ، وثانيا للمحاولات التي يحاولها النمس لاعادة آل هبسبورج الى العرش والمناداة بالارشدوق اوتو ملكا ، ولاعتبارات شتى أخرى . وأكثرها هياجاً تشكوسلوفاكيا وبولاندا ويوغوسلافيا . ولذلك ما برح أقطاب حكوماتها يتبادلون الزيارات في الشهرين الاخيرين لتقرير الخطة التي تسير عليها دولهم في كل مشكلة من المشاكل التي تعرض لها . ومحور تلك الحركة هو الدكتور بنش وزير خارجية تشكوسلوفاكيا ومن فطاحل رجال السياسة في أوربا في هذا العصر

وقد كان الدكتور بنش طالبا في جامعة براغ لما كان المسيو مازاريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا الحالي استاذاً فيها . فعرف الاستاذ تلميذه من ذلك الحين ، وأحبه لفرط ذكائه وشدة

اجتهاده . واذ شرع المسيو ماساريك يومئذ في اعداد نفوس الناشئة التشكية للثورة المقبلة كان تلميذه بنش أول من انضم اليه وانضوى تحت علمه

ولما نشبت الحرب العظمى كان الدكتور بنش يطلب العلم في باريس ، فما كاد المسيو ماساريك يفر من براغ ويلجأ الى سويسرا ويدعو التشك والسلوفاك الى الثورة للتحرر من حكم النمسويين ، حتى شرع الدكتور بنش من جهته في نشر الدعوة للقضية التشكية في فرنسا ، ثم الف كتاباً عنوانه «قوضوا أضحية النمسا» قال فيه : انه إذا أراد الحلفاء الانتصار على المانيا وجب عليهم القضاء على النمسا أولا ، ولا سبيل للقضاء عليها إلا بتحرير الشعوب المهضومة المحكومة منها . ووقعت نسخ من هذا الكتاب في أيدي بعض الساسة الفرنسيين فاعجبتهم النظرية واجتمعوا بالدكتور بنش ليريدهم بيان عن القضية التشكية ، ومن ذلك الحين بدأت فرنسا والجلترا تعطفان على هذه القضية ، وهو العطف الذي انتهى بالاعتراف باستقلال تشكوسلوفاكيا بوامك يمكن ان يقال أن هذا الكتاب كان في مقدمة العوامل التي ساعدت على بدء الدولة الجديدة

ولما ألفت حكومة تشكوسلوفاكيا المستقلة سنة ١٩١٨ قلد الدكتور بنش وزارة الخارجية وهو ما يزال يتقلدها الى اليوم

السنيور موسوليني وسياسة ايطاليا في الشرق

منذ أن أعلن أن مؤتمراً للطلبة الشرقيين والاسيويين سيعقد في روما وان السنيور موسوليني سيخطب في حفلة افتتاحه ، فترقب الناس أن يقول فيه الزعيم الإيطالي شيئاً جديداً يريد أن يقوله ، فلما عقد المؤتمر وخطب فيه موسوليني سمع الناس منه شيئاً جديداً إذ قال في خطبته : «ان عبارة (الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا) عبارة فاسدة عقيمة ، وأنه بالإمكان تآلف الغرب والشرق على أساس تعاون روحي واجتماعي واقتصادي

والذين يعرفون السنيور موسوليني يعلمون انه لا يلقي الكلام على عواهنه وانه لا يقول شيئاً إلا وفي نفسه غاية يرمي اليها ، فلم يكن يعقل أن يقول مقالته في مؤتمر الطلبة الشرقيين والاسيويين لمجرد الرغبة في الخطابة

ولم يمض على ذلك فترة قصيرة من الزمان حتى احتفل في روما في الشهر الماضي بانقضاء عشر سنوات على شروع الحزب الفاشستي في تحقيق اصلاحاته الداخلية ، فخطب السنيور موسوليني في تلك المناسبة خطبة طويلة اشار فيها أيضاً إلى التعاون بين الغرب والشرق ولكنه أوضح في هذه المرة ما ألمع اليه في مؤتمر الطلبة الشرقيين والاسيويين ، وقال: ان ايطاليا لا تبغي توسعاً عسكرياً واستعمارياً ولا تريد مناهضة الاماني الوطنية والقومية في البلدان الاخرى ، ولكنها تريد صلات اقتصادية وروحية وأدبية على قاعدة التعاون المشترك

ونحب السنيور موسوليني إلى أبعد من ذلك من تحديد مرامي دولته فقال : أن ايطاليا تريد تلك الصلات مع أفريقيا ومع آسيا . وقد ذكرني كلامه هذا بقوله لي لما قابلته في الصيف الماضي : « ان البحر الذي يفصل بيننا بحر صغير فليس هناك مايمنع تعاوننا »

ولا شك في أن غلطات بعض الدول الاوربية العظمى الاخرى نحت ايطاليا في نهضتها الجديدة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية ، فعلمت ان التوسع الاستعماري لا يفيد في هذا العصر وانه لايولد سوى الاحقاد والضغائن ، في حين ان التعاون الاقتصادي والروحي هو الغاية التي يجب ان تسعى لها الدول ولا سيما في هذه الازمة التي ما برح العالم يكتوي بنارها

الارشدوق أوتو المطالب بعرش المجر

لهجت الصحافة الخارجية في المدة الاخيرة باحتمال عودة آل هبسبورج الى المجر والمناداة بسمو الارشدوق اوتو ملكا عليها . ولكن الباحث يستبعد حدوث ذلك في الوقت الحاضر ولا سيما ان بعض الدول وفي مقدمتها فرنسا تعارض في هذه الفكرة معارضة شديدة

والارشدوق اوتو هو نجل الامبراطور شارل (كارل) النمسوي وولي عهده ، فانه على أثر مقتل الارشدوق فرديناند جوزيف ولي عهد النمسا في سراييفو في سنة ١٩١٤ أصبح الارشدوق شارل وليا للعهد ، ولما توفي الامبراطور فرنسوى جوزيف الشيخ قبيل انتهاء الحرب خلفه سموه على العرش . ولكن مدة حكمه لم تطل اذ اضطر إلى التنازل عن العرش عند نهاية الحرب كما فعل امبراطور المانيا . غير انه ظن في وقت ما انه يستطيع ان يسترد عرشه ، ولكن محاولته حبطت مرتين فمات كسير القلب في جزيرة ماديرا الاسبانية في شهر ابريل سنة ١٩٢٢ تاركا وراءه ارملته الامبراطورة زيتا واولادها الصغار بلا معين فعطفت عليهم بعض الاسر المالكة ولاسيما اسرة ملك البلجيك وتبرعت للامبراطورة المنكودة الحظ بما يكفيها لعيشها وعيش اولادها

وظلت الامبراطورة زيتا — وهي الآن في الثانية والاربعين من عمرها — تعيش في اسبانيا مع اولادها الى ان بلغ نجلها الاكبر الارشدوق اوتو سن الانتظام في الجامعات ، فرحلت الى البلجيك حيث دخل جامعة لوفان ، ومنذ سنتين نال شهادته في القانون وفي الفلسفة . أما سائر اخوته فما برحوا يترددون على مدارس بروكسل كأولاد الافراد العاديين

وتعامل الامبراطورة زيتا الارشدوق اوتو كرئيس لاسرة هبسبورج وتحيطه بمظاهر الاحترام والاجلال الواجبة له منذ نعومة اظفاره ، وهي لا تفتأ تجاهر بان الحق سيعود الى نصابه يوما ما ، وذلك اليوم في نظرها هو اليوم الذي يعود فيه الارشدوق « اوتو » الى عرش آبائه وأجداده

كريم ثابت

« لا يزال الانسان في [illegible] ما لا يعرفه [illegible] في حدود من الارض »

تلك كلمة حكمة قالها [illegible] وهو [illegible] عن الاعمال في مصر . لقد رزئت في نواحيها في السنين الأخيرة ، فاصطبغت [illegible] بلون [illegible] فلا [illegible] او عظيم حتى تنهمر من عيونها دموع على عبيره

وهي تبكي اليوم مثالها المصري ، وصاحب [illegible] محمود مختار الذي رفع رأسها ، وتوجها بتاج الفخار بين الامم العربية واحيا فنا جليلا اشتهر به الفراعنة الاجداد ، وخلفوا منه آثاراً خالدة ما تزال معجزة الفن وآية في الابداع والاتقان

ولقد كان من أهم آثار مختار تمثال نهضة مصر الذي نحته من حجر الجرانيت واقامته الحكومة المصرية في أكبر ميادين القاهرة ، وكان شاهداً صادقاً على قدرة مختار وبراعته وتفوقه في فن النحت الذي استقل به عهد قدماء المصريين

ولمختار عدة تماثيل هي آية من اجمل الآيات الفنية التي عرضت في اوربا ومصر ، ونالت اعجاب الغربيين قبل الشرقيين . ومن هذه التماثيل تمثال (زوجة شيخ البلد) وتمثال (على شاطئ النيل) و (نحو ماء النيل) و (بائعة الجبن) و (حارسة الاسرار) و (المتسولون العميان) و (ازيس) وغير ذلك من التماثيل التي تشعر امامها بتلك الروح القوية التي حرمتها مصر بوفاة مختار

نزهة مصر

سعد زغلول باشا

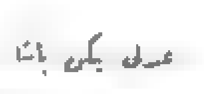

عدلي يكن باشا

عبد الخالق ثروت باشا

امرأة من القاهرة

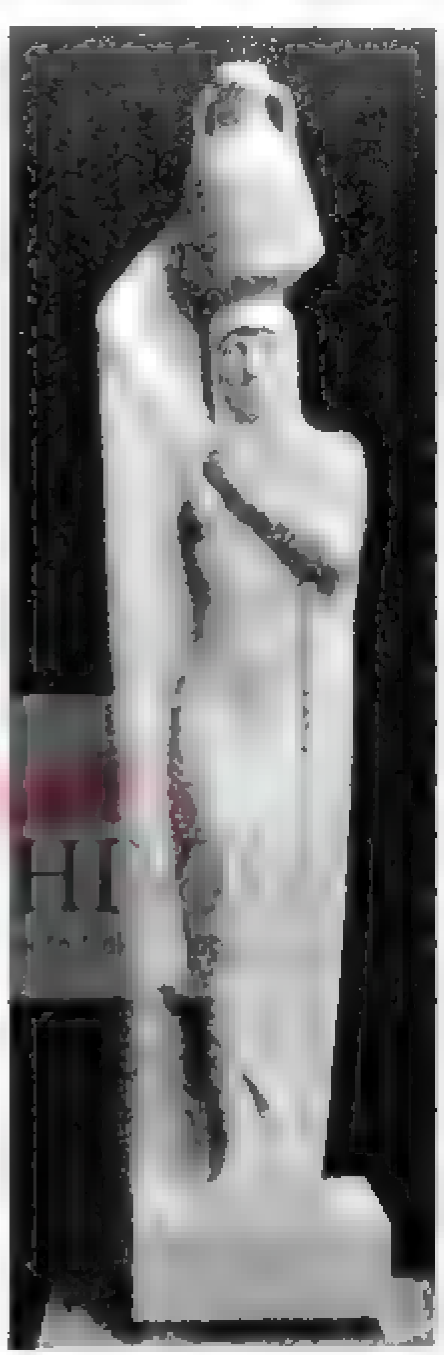

زهراء النيل

أمد أيام الـسين

رئيس قبيلة البشارين
في أسوان

قارئة الودع

العودة من الصيد

القلب الصناعي

ونقل الدم من السليم الى العليل

ابتدع الطب وسيلة حديثة للعلاج هي من أحسن الوسائل وانفعها في الحالات التي يفقد فيها الانسان مقداراً كبيراً من دمه بسبب النزيف أو غيره . ولايخفى ان الانسان في هذه الحالة تنحط قواه فلا يستطيع الجسم ان يقوم بوظيفته إلا اذا عوض من الدم الذي فقده وعاد الى حالته الطبيعية

وقد عرف الاطباء فائدة نقل الدم من جسم الى جسم منذ القرن السابع عشر إلا انهم لم يحسنوا طريقة النقل ولا ادركوا الفرق بين انواع الدماء المختلفة . ولذلك كانت حوادث نقل الدم في اغلب الاحيان تؤدي إلى عواقب وخيمة. وفي التاريخ أن طبيباً يدعى كلنج نقل في سنة ١٦٦٩ نقطاً من دم خروف اليه. وقتل طبيب ايطالي يدعى مانيان ثلاثة كلاب لانه نقل اليها دماء حيوانات اخرى. ووقعت حوادث اخرى من هذا القبيل ادت إلى وفاة الشخص او الحيوان المنقول اليه الدم ، إلى ان ثبت للعلماء في القرن الحاضر ان الدم يختلف حتى في افراد النوع الواحد وان دم الانسان اربعة انواع مختلفة ، فليس من الحكمة احلال نوع محل نوع آخر إلا النوع الرابع فانه يمكن ان يستعاض به من جميع الانواع

البحث عن موضع الشريان قبل اجراء عملية نقل الدم

اجراء عملية نقل الدم من جسم الصحيح
الى جسم المريض بواسطة انبوبة خاصة
معدة لهذا الغرض

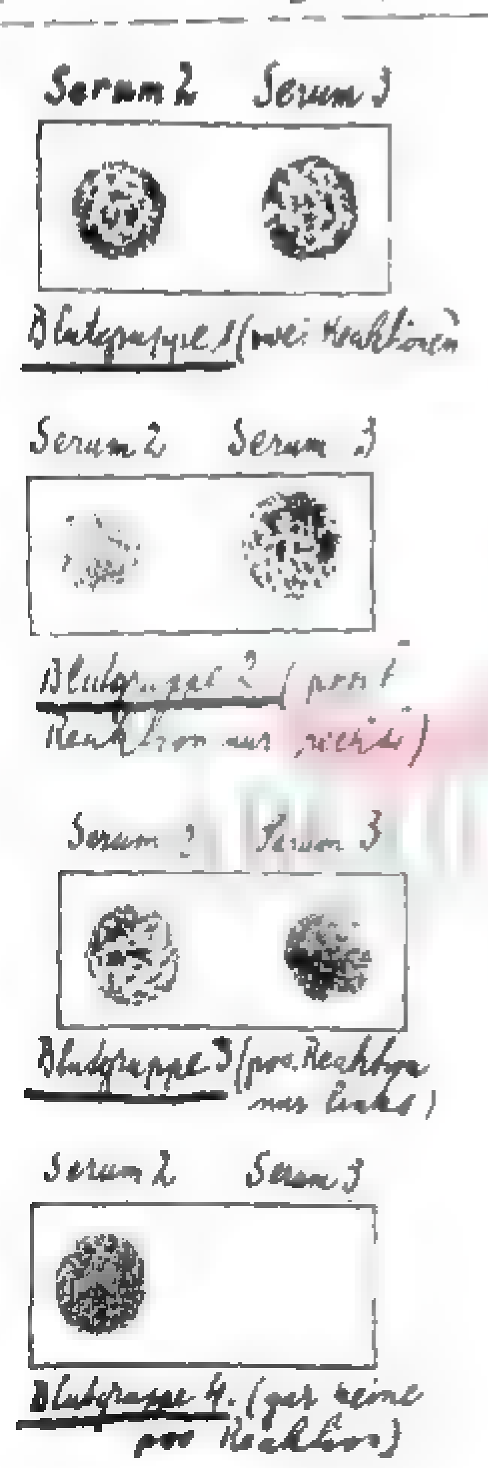

وفي الواقع ان نقل الدم من جسم انسان الى انسان آخر كثيراً ما افضى الى موت الانسان المنقول اليه الدم او على الاقل الى امراض ولو لم تكن خطرة. وعليه فاول ما يجب عمله اذا اريد نقل الدم من جسم الى جسم هو فحص دم كلا الجسمين حتى يعلم هل هما من نوع واحد او من نوعين مختلفين. فاذا كانا من نوع واحد يجب ان يكون الدم المراد نقله سليماً خالياً من الجراثيم والميكروبات ويتم فحص الدم بواسطة المجهر (الميكرسكوب) اذ توضع منه نقطتان او اكثر على نوع من الزجاج وبعد الفحص يستطيع الطبيب ان يحكم هل من الملائم نقل الدم ام لا

ولا يخفى ان من المرضى من تقل في دمائهم الكريات الحمراء. فاذا اعطوا دماً من جسم انسان سليم مماثل لهم في النوع زادت الكريات الحمراء في جسمهم وتم لهم الشفاء. وقد كثر التجاء الاطباء في السنين الاخيرة الى نقل الدم ولا يكاد يخلو مستشفى من

الى اليسار: شريطة تبين كيف تعمل اربعة انواع مختلفة من الدم

مستشفيات اوربا وامريكا من الاجهزة والآلات اللازمة لذلك . وكذلك كثر الاشخاص الاصحاء الذين يقدمون دماءهم لمن هو في حاجة اليها اما بدافع الانسانية او رغبة في الربح . ونرى هنا بعض الصور المتعلقة بنقل الدم في مستشفى « شريتيه » التابع لجامعة برلين

ومما يجدر بالذكر انه عند ما يراد نقل الدم من السليم الى العليل يضجع الاثنان متجاورين في مكان خاص ثم يؤتى بجهاز معدني مؤلف من صحفة (طلمبة) دائرة يتصل بها انبوبان من الكاوتشوك المصمم وطول كل انبوب منهما ثلاثون سنتمتراً وفي طرف كل منهما ابرة مجوفة . وعند الصحفة او الطلمبة آلة ناصعة تلمع فوقها حرفاً واحداً من ثلاثين حرفاً من حصان واحد. وهذه الآلة تدفع «الطلمبة» الى امتصاص الدم من جسم السليم (بعد وصله بالأنبوب عن طريق الابرة) ثم دفعه بالانبوب الآخر الى جسم العليل او المصاب . وللجهاز عدة صغيرة تنظم سرعة نقل الدم وتدل على المقدار المنقول . ويراعى عند نقل الدم سرعة نبض القلب في الشخص المنقول منه وتراقب بكل اهتمام

ثم ان الانبوبين المتصلين بالجهاز — ويعرف بالقلب الصناعي — هما مصنوعان من الكاوتشوك المصمم ولا يؤثران في تركيب الدم الذي يمر فيهما . ولو كانا من الكاوتشوك الاعتيادي الاسود او الاحمر لاحدثا في الدم تفاعلا كيميائياً قد يؤدي الى ارتباكات خطيرة . وقد روعي في قطر تجويف الانبوبين امر مهم وهو منع تدفق الدم وانتقاله من جسم السليم الى جسم العليل بحرارة لان ذلك ليس في مصلحة احد منهما [illegible] فلا يشعر الشخص المنقول منه او المنقول اليه بأي تعب ، ولا يخشى [illegible] على احدهما او كليهما . ومن كان شخص المنقول منه يشعر قديماً بشيء من الدوار [illegible] العمل وذلك [illegible] اثناء العمل — اما اليوم فان نقل الدم يتم بطريقة علمية لا يخشى منها على صحة الشخص المنقول منه او المنقول اليه . وكل ما تقتضيه هذه العملية هو ان يعطى الشخص المنقول منه شراباً منعشاً كالشاي او عصير البرتقال وفي الحال يعود الى حالته الطبيعية ، وما هو الا زمن قصير حتى يتناسى من الدم الذي تبرع به لغيره

الى اليسار : احدث طريقة لنقل الدم تقضي بأن لا يمس الدم [illegible] اداة النقل بعد نقله

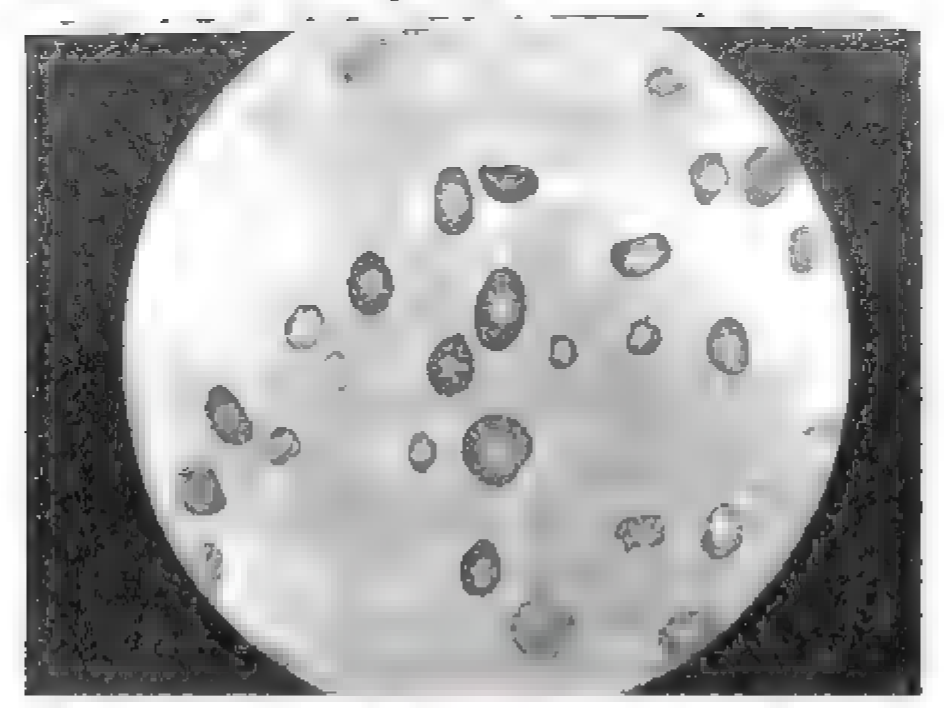

صورة [illegible] ل[illegible] مريض قبل [illegible] وقد ظهر [illegible]

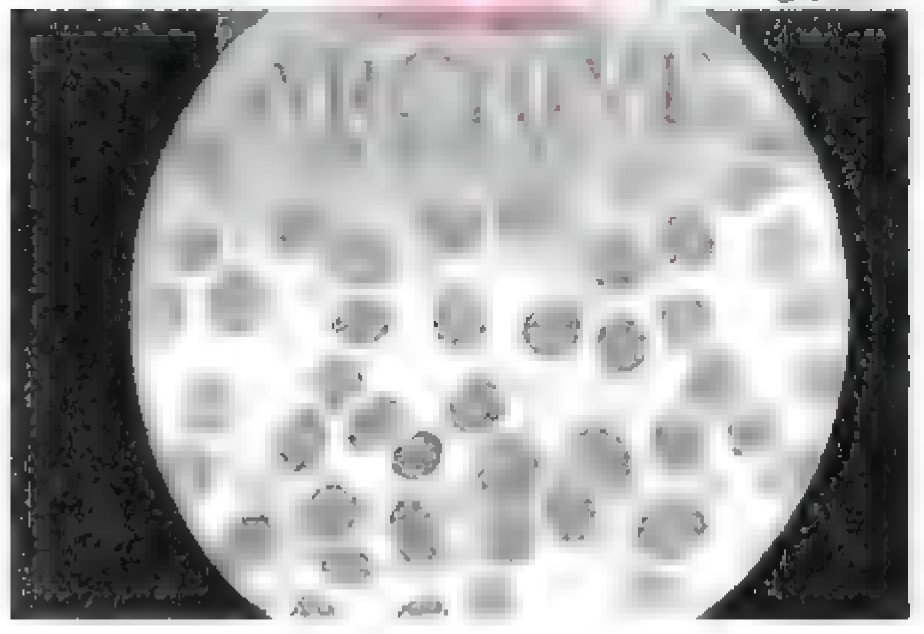

دم للمريض بعد أن نقل اليه دم صحيح عدة مرات . وقد وجد ان الأول أصبح يحتوي على ما يوجد من الكريات الحمراء في كل مليمتر مكعب وعلى ٤٠ ٪ من الهموجلوبين

قررت مصلحة الآثار اخيراً من حفرياتها العلمية في منطقة خزان اسوان ، وبذلك تمت سلسلة البحوث التي قام بها العلماء في تلك المنطقة منذ ثلث قرن وبعد بروز فكرة الخزان الى حيز الوجود . وقد أسفرت هذه البحوث المتواصلة عن كشف النقاب عن كثير من الحقائق المجهولة في تاريخ النوبة . وفي هذا المقال [illegible] صور من

الحضارة النوبية

وصلتها بالحضارة المصرية القديمة

اصطلح المؤرخون على تسمية المنطقة الواقعة فيما بين الشلال الاول والرابع ببلاد النوبة . وقد اطلقت عليها التوراة اسم « بلاد الكوش » وكوش هذا – فيما تقول التوراة – هو جد النوبيين ، واخو مصرايم جد المصريين ، وكلاهما من نسل حام بن نوح . واطلق عليها الاغريق اسم « اثيوبيا » ومعناه الوجه الشديد السمرة . ويطلق هذا الاسم الآن على بلاد الحبشة . [illegible] اسم النوبة فهو فيما يقال نسبة إلى كلمة « نب » ومعناها في اللغة النوبية الذهب ، أي أن بلاد النوبة هي بلاد الذهب [illegible] في صحاريها

وكان معظم سكان هذه البلاد قوم يختصون في نسبهم [illegible] بالمصريين ، حتى ذهب المؤرخ ديودور الى القول

الى اليمين – آنية من الفضة اكتشفتها بعثة مصلحة الآثار في بلاد النوبة

سوار من الفضة من الآثار التي عثرت عليها بعثة بلاد النوبة

الى اليمين : تاج للملكة التي اكتشفته بعثة الآثار في بلاد النوبة وهو من الفضة الخالصة المحلاة بالاحجار الكريمة

الى اسفل : سوار من الفضة مرصع بالاحجار الكريمة

أن أصل المصريين جاء من [illegible] من جنوب
ويؤيده فى ذلك براهين منها :

(أولا) أن موتى المصريين قبل أزمنة التاريخ كانت تدفن ورءوسها متجهة نحو الجنوب

(ثانياً) أن البخور كان مستعملا فى العبادة المصرية منذ القدم . وما كان ذلك ممكناً لو لم يكن المصريون قد جاءوا من الجنوب ، حيث العلائق مع الصومال وجنوب جزيرة العرب سهلة ومتبادلة

(ثالثاً) ان أشهر آلهة مصر من النوبة مثل أوزوريس الذى أنقذ مصر من الهمجية ، وعلم أهلها الزراعة ووضع لهم الشرائع وشيد المباني فى طيبة . ومثل زوجته ايزيس التى أخرجتهم من الوحشية وصرفتهم عن أكل لحوم البشر وعلمتهم قواعد الزواج الشرعى . وكذلك ابنهما حورس رب الوطنية والعروبة الذى طهر مصر من آلهة الشر والفساد

ويذهب آخرون الى أن النوبيين نزحوا قديماً من مصر الى الجنوب فى سبيل البحث عن الذهب وحملوا معهم بذور الحضارة والعقائد المصرية . ويستدل هؤلاء على ذلك بأن النوبيين كانت لهم حضارة قديمة لا تختلف كثيراً عن حضارة المصريين . كما أن الاله المصرى أمون كان مقدساً عندهم فى نباتا ومروى

وسواء أكان المصريون جالية نوبية نزحت إلى الشمال أم كان النوبيون جالية مصرية هاجرت إلى الجنوب ، فإن مما لاشك فيه أنهما من عنصر واحد ، فقد أثبتت البحوث الطبية التى أجراها العلامة الانجليزى اليوت سميث فى مقابر مصر والنوبة ، أنه لا فرق بين المصرى والنوبى فى التكوين الجثمانى ، حتى ليتعذر من هذه الوجهة تبيين حد فاصل يميز أحدهما من الآخر .

بيد أنه وقعت فى بدء الأسرات المالكة فى مصر غزوات جاءت بكثير من العناصر الزنجية ، فأثرت فى الدم المصرى والنوبى ، وكانت أشد تأثيراً فى المنطقة الواقعة فيما بين جندل السلسلة والشلال الثانى .

* * *

ويرتبط تاريخ النوبة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ مصر ، حتى ليصح القول أن كلا منهما متمم للآخر ، فإن وحدة الأصل والوطن والدين قد أحكمت بينهما أواصر القربى والجوار ، فإذا هما شعب واحد فى آلامه وآماله برغم اختلاف الأقاليم والمناخ .

وللتاريخ النوبى أطوار عدة تبتدئ منذ فجر التاريخ حيث عهد البداوة والقبيلة فى النوبة وبدء الحضارة والمملكة فى مصر . وفى هذا الطور قامت مصر بكثير من الحملات التجارية والحربية فى بلاد النوبة وبذل ملوكها جهوداً متواصلة فى فتح الطرق التجارية بين الجنادل وإخضاع القبائل النوبية المجاورة التى كانت كثيراً ما تغير على الحدود المصرية .

وكان من آثار ذلك نمو العلائق بين مصر والنوبة ، وتبادل المنافع والسلع ، فقد غزا سنوفرو آخر ملوك الأسرة الثالثة بلاد النوبة ، ثم توغل فى الجنوب وعاد ومعه سبعة آلاف أسير من الزنوج والنوبة ، ومائتا ألف رأس من الماشية ـ وقد استخدم هؤلاء الأسرى فى استثمار مناجم الفيروز بطور سيناء أو فى تشييد قبره بدهشور أو بناء هرمه فى ميدوم . واستطاع ببى الأول أحد ملوك الأسرة السادسة ـ بعد أن بسط نفوذه على شمال النوبة ـ أن يجند منها جيشاً هزم به أمراء الوجه البحرى .

ولما سهلت المواصلات بين مصر والنوبة وتوثقت بينهما العلائق هاجر كثير من المصريين إلى تلك البلاد للبحث عن مناجم الذهب أو فراراً من ظلم الولاة ، فدخلت بلاد النوبة فى طور جديد ونمت فيها بذور الحضارة المصرية وازدادت عناية الفراعنة باستعمارها ، فأقام ملوك الدولة الوسطى هنالك الحصون والقلاع للسيطرة عليها وتأمين الطريق .

وفى عهد الدولة الحديثة تم الاستيلاء على تلك البلاد ، وكثر فيها الدم المصرى ، وانتشرت المدنية المصرية . وما هى إلا فترة من الزمن حتى استقلت النوبة عن مصر ، وقامت فيها مملكة قوية عاصمتها نباتا قرب الشلال الرابع تمكنت من بسط سلطتها على مصر فيما بعد .

وقد أسفرت هذه الأطوار عن إيجاد رابطة قوية بين مصر والنوبة فإن مملكة نباتا لم تقم إلا على أساس الحضارة المصرية ورعاية كهنة آمون الذين هاجروا اليها بعد سقوط طيبة . كما أن احمس أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة تزوج بابنة ملك النوبة على عهده فأمده هذا الملك بجيش نوبي استطاع ان يطرد به الرعاة من مصر . وتزوج كاشتا ملك النوبة بابنة كاهن مصرى فأنجبت له بعض ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

* * *

وقد يكون من الصعب أن نحدد تاريخ نشوء الملكية فى بلاد النوبة — فتلك ناحية ما تزال غامضة فى التاريخ — وانما نستطيع القول بأن حياة القبيلة ظلت سائدة هناك الى عهود متأخرة حتى بعد ظهور الملكية فى نباتا ومروى لأن طبيعة تلك البلاد تمكن لحياة القبيلة فى البقاء والاستقرار

ولا شك فى أن تطور الحياة الاجتماعية والسياسية فى بلاد النوبة كان نتيجة الصلات التى وجدت بينها وبين مصر منذ فجر التاريخ . وكان من آثارها تبادل المنافع والصلات ونمو الحضارة المصرية فى تلك البلاد

وقد تمصرت بلاد النوبة فى عهد الدولة الحديثة ووجد فيها كثير من الهياكل المصرية وألوان من الحضارة المصرية وفى ذلك العهد نهضت مملكة قوية فى نباتا — ولعله ليس ببعيد العهد بالقيام — ونبصر العلائق بين مصر والنوبة قد تطورت تطوراً جديداً . فاذا بالملك أحمس يستعين بجيش نوبى على طرد الرعاة من مصر بعد أن أرهقوا المصريين أكثر من ستمائة عام . . .

ولما سقطت مملكة طيبة بعد عهد الرعامسة ونفى الملك ستنوميمون — أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين — كهنة آمون من مصر . فلجأ هؤلاء إلى بلاد النوبة لأنها كانت تعبد هذا الاله . وأمدوا ملوك النوبة برعايتهم وقووا فيهم نزعة الحرية والسيادة . فاذا بمملكة نباتا مملكة قوية ذات حضارة وسلطان . واذا بها تبسط سيادتها على وادى النيل وتعيد لآمون نفوذه وسلطانه

ومن ملوك نباتا قامت الأسرة الخامسة والعشرون . وما يزال باقيا من آثار هذه المملكة بعض الأهرام والمعابد — فهناك عدا المعابد ثلاثة عشر هرما فى جبل البرقل وخمسة وعشرون تجاهه فى نورى عند الشلال الرابع . وهى مبنية من الحجر الرملى على هيئة أهرام مصر . الا أنها أقل منها حجما . وفى واجهة كل هرم ايوان كأواوين المعابد المصرية

وبعد أن انقضت دولة نباتا ظهرت فى الجنوب مملكة مروى . وكانت معاصرة للفرس والبطالسة والرومان ولها وقائع مع كل هؤلاء . وكان سلطانها يمتد من الشلال الاول إلى الحبشة . وآثارها تدل

آثار نباتا فى القدم وتفوقها فى الأهمية . من بينها هيكل للاله آمون ومجموعة من الاهرام يبلغ عددها ثمانين هرماً

وقد بلغت مملكة مروى شأواً عظيما فى القوة والرقى حتى قيل إنها كانت تجهز للحرب جيشاً مؤلفاً من مائتين وخمسين الف مقاتل ، وكان فيها أربعمائة الف صانع . وكان للمرأة فى عهدها نصيب كبير فى الرقى والسيادة حتى ان أكثر من ملكها كان من النساء !

* * *

وبالرغم من أن الرقى المدنى ظل فى النوبة متأخراً عنه فى مصر — لأسباب اقليمية بحتة — فقد ظهرت الحضارة هناك منذ أربعة آلاف سنة ، ثم أخذت تنمو وتزدهر وتصطبغ بالصبغة الفرعونية حتى بلغت شأناً عظيماً فى الدين والسياسة والفنون ، فقامت هناك الاهرام والمعابد وارتقت الفنون والصنائع وانبسط سلطان النوبة على وادى النيل . . .

وقد كان انشاء خزان أسوان فى مطلع هذا القرن وتعليته المرة بعد الاخرى حافزاً لكثير من الهيئات العلمية إلى البحث والتنقيب فى تلك البلاد للوصول الى حقائق جديدة عن تاريخ النوبة وحضارة النوبيين

وقد وفقت هذه البعوث إلى كثير مما ترجوه واستطاعت أن تجمع صوراً قيمة لتلك الحضارة أهمها مايختص بالعصر المروى — وهى بلا شك ثروة جديدة تضاف الى معالم التاريخ

ولعل أقدم هذه الآثار ماوجد منها فى مقابر عنيبة ، ويرجع تاريخها إلى ألفى سنة قبل الميلاد منها مائتا اناء من الخزف والفخار محفور عليها نقوش مدهشة ملونة تدل على براعة وذوق فى هذا الفن

ووجد فى هذه المقابر أيضاً عدد من التماثيل الصغيرة كانت توضع مع الميت لتنوب عنه فى أداء الأعمال الشاقة فى الحياة الاخرى — وهذا لون من العقائد المصرية القديمة

أما حضارة العصر المروى فقد كانت متأثرة بالفن المصرى والروح البيزنطية . وفى مقابر قسطل وبالانة آثار ثمينة من الوجهة التاريخية والفنية تمثل هذه الحضارة فى أزهى عصورها ، فهناك تيجان من الفضة المرصعة بالجواهر والتماثيل الصغيرة ، ومجموعة ثمينة من الحلى والأسلحة والأطباق والملاعق وتحف بديعة من البرنز على شكل مواقد ومباخر ومصابيح وأباريق ، ورقعة الشطرنج من العاج والابنوس ، ومجموعة فاخرة من السروج والبراذع مصنوعة من أجود أنواع الجلود الارزق ومطعمة بالفضة والاحجار الكريمة ومحلاة بزخارف هى مثل حى من رقى الفنون الجميلة فى ذلك العهد

وهذه المقابر خاصة بطبقة الملوك والأشراف ، فكان اذا مات أحدهم ألبسوه التاج والحلى والسلاح

وزودوه بالطعام والشراب ، وأودعوا قبره بعض تحفه الخاصة . ثم يشنق العبيد أنفسهم لديه وتطعم حيوانه حيث تقتل داخل القبر ليكون الجميع في خدمته في حياته الاخرى . . .

وقد روى هيرودوت ان النوبيين كانوا يحنطون الميت ويطلون جسده بالجبس ويدهنونه بمادة تجعله قريب الشبه بالأحياء . ثم يوضع في اسطوانة من البلور بحيث يرى الميت ولاتنبعث منه رائحة الموتى . وتحفظ هذه الاسطوانة لدى أقارب الميت سنة كاملة يقدم له في خلالها الذبائح ويوايكر كل شيء حتى ينتهي العام فتنقل هذه الاسطوانة الى المقابر

وفي المتحف المصري قسم خاص بالتاريخ النوبي تمتلىء غرفه وأروقته بآثار قيمة تمثل الحضارة النوبية في كثير من العصور . ولعل أجلها تمثال بديع من المرمر للاميرة أمنرتيس الزوجة المقدسة لآمون وحاكمة طيبة ، وهو تام في الرجمة العامة على قاعدة من الجرانيت الاسود بقدأهيف وقوام رشيق ووجه صبوح ، يزينه التاج على رأسها والاساور العريضة في معصميها والحجول الكبيرة في ساقيها . وعلى قاعدة التمثال منقوش اسم الاميرة واسم أخيها الملك شبكا مؤسس الاسرة الخامسة والعشرين

محمد كامل حته

في التربية

للفيلسوف الفرنسي روسو

اياكم أن تثيروا حماسة «اميل» بروح المنافسة ، فانها تفسد روحه وتفسد نفسه دون أن تصلحها ، وتملأ قلبه حقداً وحسداً وبغضاً وكراهية ، فيرى خيره في ضر غيره وتقدمه في تأخر اخوانه . بل اعملوا دائماً إلى بث روح التعاون فيه ليعمل مع أخيه ويشاطره الخير والشر . وإن كان ثمة ضرورة لتحريك همته وإثارة روح الغيرة في نفسه فذكروه له مثلا ما كان يستطيع حمله في عامه الماضي من الأثقال والمسافة التي كان يقدر أن يقطعها ثم قارنها بما يستطيعه اليوم فيرى الفرق ظاهراً بين الاثنين ، وبذلك يعمل «اميل» على أن يزيد في نشاطه

الانسان ابن مهنته

كيف تختلف الاخلاق باختلاف المهن

للاستاذ امير بقطر

> لكل رجل وصناعته، أي مقترنان دائماً، تطبعه طابعها الخاص، وتخلع عليه ثوباً يميزه عن غيره. وفي هذا المقال يشرح الاستاذ أمير بقطر بالامثلة العديدة كيف يخضع الانسان لما تبثه في نفسه صناعته من أخلاق، وكيف ينقاد لما تفرضه هذه الصناعة من عادات وتقاليد سواء أكانت حسنة أم سيئة

تقول إنك أمين. تأصلت فيك صفة الامانة فلا تنطوي على درهم ليس لك. ولا تطمع في مال غيرك. ولا تحاول ابتزاز نقود بغير حق. وتتباهى بهذه الامانة أمام عارفيك ... فهل أنت امين حقاً؟ أمين أباً عن جد، أمين لحماً ودماً. أمين من تلقاء ذاتك؟ أم انت أمين برغم انفك؟ أمين لأن الاحوال لم تهيئ لك الفرص للسرقة أو الخيانة؟

هل كنت يوماً ناظر زراعة؟ أو صرافاً لصحبه غير منعمة؟ أو مديراً لدائرة واسعة، مرنة حساباتها، محبوكة مصروفاتها وإيراداتها بخيوط دقيقة من الضبط؟

هل عينت يوماً أميناً لصندوق جمعية خيرية، أو هيئة دينية أو مؤسسة اجتماعية. وكان يترك لك الحبل على الغارب، وتطلق يدك في التصرف في ما لديها، وكنت على علمك والضمير؟

هل نيط بك يوماً أن تكون المشرف العام على مأدبة خيرية لمئات الآكلين أو ألوف المدعوين، وقدمت حساباً فصدقته أعضاء اللجنة التي اشتركت معك في تنظيم برنامج في الهزيع الاخير من تلك الليلة الساهرة الراقصة؟.. هل وكلتك يوماً حكومة من الحكومات التعاقد مع شركة اجنبية أو اهلية، مع مراعاة مصلحة الدولة والعمال الذين يشتركون في الانتاج، والسكان الذين يدفعون أثمان السلع والمواد المستهلكة أو الاجور عما تؤديه تلك الشركات من الاعمال؟

هل هيأت لك الاحوال يوماً أن تكون وصياً على قصر او أرامل وأيتام أو وكيلا او ولياً؟ هل تقلدت إحدى هذه الوظائف أو تطوعت ان تشغل هذه المراكز الخيرية « الواوية » التي اطلق أحد علماء الشرع على الحرف الاول فيها اسم واو الخيانة؟.. هل كان رئيسك ساذجاً غبياً يأتمنك على مفاتيح الخزانة ويسلمك الاموال بغير حساب بعد ان سبكتك في بوتقة التجربة بضعة أعوام، فألفى منك ملكاً طاهراً، وضرب بأقوال الناس عنك عرض الحائط، وهزأ بما كان يهمس في أذنه العارفون عنك، اعتقاداً منه أنهم انما يدسون لك في الخفاء غيرة وحسداً؟

هل كنت طاهيا أو خادما أو رئيسا للخدم فى أسرة عريقة كبيرة . وكنت تتولى الانفاق على أهل الدار وزائريهم وتقدم « فاتورة » الحساب شهرية قبل ساعة النوم لسيدك الأمين الحسن النية ، بعد أن تكون الخمر قد لعبت برأسه فلا يميز بين الخيط الابيض والخيط الاسود ؟

اذا كنت أيها « الامين » المتورع قد تقلدت وظيفة من هذه الوظائف وأمثالها أو عرضت عليك دست عرض من هذه العروض ونظائرها وتلقيتها زاهداً ، وغلت يدك الى عنقك ولم تمدد بها الى جيبك فأنى أول من يغبطك على أمانتك ويهنئك على زهدك ، والا فانى لا أستطيع الجزم بصحة دعواك

تقول انك تتعفف عن النظر الى فتاة حسناء ولا يعرف الهوى الى قلبك سبيلا ، وان كانت المرأة كوكبا ساطعا تستهوى الافئدة وتغزو ألحاظها حبات القلوب . . . فهل أنت عفيف النفس طاهر الضمير حقا أم رغم أنفك ؟

هل اودعت فيك الطبيعة تلك الجاذبية الجنسية (التى يسمونها S. A) (١) ويفتتن بها النساء عادة فيتزاحمن ويزدحمن حول صاحبها ويقعن فى حبائل غرامه ؟ . . هل أنت من أبطال الرياضة الذين ضربوا بسهم وافر فى الملاكمة أو المصارعة أو السباحة أو اللعب على اختلاف ضروبه وألوانه ؟ هل أنت مديد القامة متين البنية قوى البدن موفور الصحة والعافية رغيد العيش وافر المال ؟

هل كنت يوما مديراً لملهى أو مرقص أو مخرجا لاشرطة سينمائية يرد عليك ألوف الفتيات من جميع البلدان ، فتقوم بالتحدث اليهن وفحصهن واختيار أكملهن وأفضلهن حسنا وجمالا وجاذبية وقامة وعيونا وسواعد وسيقانا وبطونا وشعوراً وأعناقا وصدوراً وحبا ودلالا وفصاحة وذكاء ؟

هل كنت يوما ممثلا بارعا تتهافت عليك الحسان من الممثلات وراء المسرح وتلقى عليك ربات الخدور من المقاصير الرياحين والزهور تحمل رسائل الغرام مدسوسة بين براعمها واكمامها ؟ . وهل قمت يوما بدور رداميس فى أوبرا عايدة وأخذت تغرد بصوتك الشجى أثر رجوعك من ساحة الحرب ظافراً ، فجاءتك بعد نزول الستار عشرات من الرسائل تتوسل فيها صاحباتها أن تضرب لهن موعداً على انفراد ؟ . . أو هل انت ضابط فى الجيش أو البحرية او الطيران تتألق النجوم والتيجان على كتفيك وكسوتك الكاكى أو البيضاء أو اللازوردية تنسج من الحرير الغالى شد شدا دقيقا على تمثال من المرمر ، تتبختر فى مشيتك فترنو اليك الانظار وان كان قلبك من الصخر ؟

مازال علماء النفس والاجتماع يزعمون أن هناك نسبة معينة من الناس تميل بطبيعتها الى الاجرام مهما كانت البيئات والاوساط التى يعيشون فيها . ويقولون فوق ذلك انه بين كل مائة من السكان فى أمة متمدنة أو نصف متمدنة ثلاثة أفراد يميلون الى السرقة وأقل من هذا العدد بقليل يميل

(١) اختصار عبارة Sex appeal الانجليزية التى يقابلها بالفرنسية appel de sexe

الى ارتكاب جريمة القتل . ودليلهم على ذلك ما يشاهد فى أرقى الاوساط من ظهور هذا الميل . ففى ارقى الجامعات تختفى مئات وألوف من الكتب كل عام من مكتباتها العامة . ومن أغرب ما يذكر أنه فى احدى هذه المكتبات يبلغ متوسط ما يسرق سنويا من التوراة والانجيل نحو مائة نسخة . واذا علمنا أن الكتب المقدسة حرمة تمتاز بها عن سائر الكتب ، وعلمنا أن أوساط الجامعات والكليات من أرقى الاوساط التى يتمنى لبنى الانسان أن يعيشوا فيها ، حارت أفهامنا فى تعليل هذه النقيصة . اللهم الا اذا جارينا من يعتقدون أن بين الناس – من جميع الطبقات – نسبة مئوية معينة لا بد لها من الاستيلاء على ما للغير اذا ما استطاعوا اليه سبيلا

أذكر أن استاذاً من مشاهير علماء الاجتماع دخل يوماً لالقاء محاضرته كالمعتاد على فرقة يتجاوز عدد طلبتها ستمائة ، وكان أول ما افتتح به محاضرته قوله : «إن بين أفراد هذه الفرقة نحو عشرين لصاً ويغلب أن يكون نصيب بعضهم السجن يوماً ما » غير أن الكثيرين لا يتفقون مع هذا الاستاذ فى الرأى ، بل يعزون الصفات التى يكتسبها المرء ، حسنة كانت أم سيئة ، الى البيئة والتربية والمهنة التى يعيش المرء فيها

والغش والخداع والكذب أكثر انتشاراً بين رجال التجارة والاعمال التى تدخل فيها عناصر المساومة والاخذ والعطاء منه بين غير هؤلاء . والموظف الذى تكون معاملاته المالية مقصورة على شراء حاجاته المعتادة لا يسوّل له عقله الخديعة والغش بقدر ما الذى يضطر التجر اليه اضطراراً ، بما يتعرض له من مزاحمة ومساومة ومثل هذا بين عرض وانتصب ومشادة حادة بين حياة وموت فى ميدان الحرب الاقتصادية

ومن الغريب أن الامانة والصدق والثقة وما على شاكلتها من الصفات الجيدة فى المعاملات بين الناس ، لم تترعرع الا فى أحضان التجارة ، ولم تنشأ إلا بين رجالها ، ولم تتحقق الا فى تلك الصور الحالية التى بدأت فيها المعاملات تنشأ بين سكان القرى والقبائل ، والتى أخذ فيها تبادل السلع والحاجات يحل محل السطو والنهب والسلب وتغلب القوى على الضعيف . وقد دارت الايام دورتها بعد أن اشتبكت المصالح وتقدمت الصناعة وانتشرت المواصلات وارتبط الناس فى حاجاتهم بعضهم ببعض فأيقن رجال التجارة أن الثقة والامانة والصدق دعائم المعاملات وأس النجاح فاتصفوا بها تدريجاً برغم أنوفهم ابقاء على حياتهم الاقتصادية لا حباً فى هذه الفضائل لذاتها ، ولا بد أن القارىء قد أدرك الآن ان هذه الفضائل منشؤها اقتصادى لا خلقى ولا دينى وإن كانت الاديان والاخلاق قد أوحت بها قبل قيام النظام الاقتصادى بأجيال

ومن حسن الحظ أن هذه الامانة وذلك الصدق وتلك الثقة لم تبق وقفاً على التجار وحدهم ، بل اجتازت دوائرهم وعمت سائر الدوائر والاعمال . وأغرب من هذا أنها اصبحت أسمى فى هذه

سبب في ذلك لأن التجارة كما أسلفنا ما تزال عرضة للتدليس والخديعة وضياع الذمم

ومما يجدر ذكره أن الاستعمار ما هو إلا ضرب من التجارة ، يقصد به تصريف المواد الصناعية والزراعية التي تزيد عن حاجة الدولة واستيراد المواد الأخرى التي تحتاج إليها من الخارج ، وتشغيل رءوس الأموال الزائدة عن الحاجة خارج حدود البلاد . فقبيل الحرب العظمى مثلا كانت انجلترا وفرنسا وألمانيا مجمعة تستثمر نصف أموالها ودخل رعاياها في مستعمراتها . وهذا يفسر لك أسباب المراوغة والكذب والتملق والخداع وضياع الثقة في المسائل الدولية عامة ، حتى إن أحد علماء سياسة الدول وضع تعريفاً غريباً لسفراء الدول بقوله : « السفير هو ذلك الداهية الذي يمثل دولة لدى دولة أخرى ، حتى يزاول اختلاق الأكاذيب التي تريدها الأولى ليضعها تحت تصرف الثانية » . وعلى الرغم من هذه الصورة الخلقية المظلمة فإني أستدرك قائلا إن العالم يتقدم ببطء في السياسة والتجارة من هذه الناحية . فالأمم الكبرى اليوم – شعبها وحكومتها ورجال التجارة فيها – أشد أمانة بكثير مما كانوا منذ مائة عام ، ولو أن الشعب الانجليزي مثلا أصدق أنباء من تجاره ، وهؤلاء أصدق أنباء وأكثر أمانة من أقطاب السياسيين

وليست السياسة الدولية – أو الاستعمار – وحدها هي التي تعمد إلى التملق . فإن السياسة المحلية في جميع البلدان لا تقل عن شقيقتها سياسة الدولية نفاقاً وكذباً . فكثيراً ما تتجه السياسة المحلية إلى جهة خاصة وتسير في طريق خاص لأسباب اقتصادية تجارية ومع ذلك تصدر البيانات الرسمية وتذاع المنشورات ، وتروى تصريحات زوراً لا يقصد بها إلا ذر الرماد في عيون العامة وتضليل الجمهور ووضع قطعة من الحلوى في أفواههم ، فيأخذ هؤلاء في لوكها وتذوق حلاوتها حتى تذوب . وقبل أن يبتلعوا القطعة الأخيرة تكون السياسة المحلية قد أوصت صانع الحلوى بإعداد كمية غيرها

وليست مهنة التجارة وحدها – سواء أكانت خاصة بالأفراد أم بالسياستين الدولية والمحلية – هي التي تشوبها عيوب خلقية . فإن كل مهنة من المهن تطبع ذويها بطابعها الخاص ، وتجعله عرضة لأن يوصم بنقص خلق معين . فالقصاب الذي يغتال كل يوم حياة العشرات من البقر والخراف والماعز والجاموس ، وتقع عينه على دماء تلك الحيوانات المسكينة البريئة كل صباح ، ويحس بيده الجهنمية تلك السكين العريضة الضخمة ساعات كل يوم ، يقطع بها الرقاب والرءوس ، ويبقر بها البطون ، ويسحق العظام – ذلك الوحش الضاري رغم أنفه – هل ننتظر منه أن يكون رحيماً رقيقاً لطيفاً دقيق الإحساس حلو الحديث ؟ أنستغرب كثيراً أن يتشاجر هذا لأوهى الأسباب ويرفع سكينه على رءوس الغير لأقل إشارة عدائية ؟

والمعلم – من الطراز القديم – ألا يستولي عليه الغرور ويشوبه الزهو وقصر النظر أحياناً ،

فيتوهم في المجالس انه المسيطر على الجالسين معه كما يسيطر على الصبية في المدرسة، المهيمن على ما يدور من الأحاديث كما يهيمن على ما يقوله التلاميذ في الغرفة، ويخيل اليه انه مصدر المعرفة ومرجع السائلين كما اعتاد أن يكون بين جدران المدرسة الضيقة؟

والصحافيون — أليسوا هم أيضاً عرضة لعيوب خلقية جسيمة؟ ألا يضطرون بحكم مهنتهم أن يناقضوا اليوم ما كانوا يبدون ضده بالأمس، ويحللون غداً ما يحرمونه اليوم؟ أليسوا عرضة لتضليل الرأي العام وتحويله من النور إلى الظلمة ومن الحقيقة الى البهتان ومن الهدى إلى الضلال، بين عشية وضحاها؟ ألا يضطرون أحياناً الى سبك الحوادث في قالب يستهوي الجمهور وطلاء وصفها بألوان زاهية تسترعي أنظار القراء؟

والأسر المتوسطة — ألا يفاخر أفرادها بعدم الانغماس في الملذات، وبالاعتدال في مسالكهم العامة؟ ولكن ما الذي يحدث لهؤلاء إذا ما تدفقت عليهم الأموال من حيث لا يعلمون، فأصبحوا من أهل الطبقات العليا؟ أيكونون حينئذ في خطر الاسترسال في أسباب النعيم والترف، وتسول لهم أموالهم المتدفقة أن يحتسوا أجود الخمور حتى تلعب برؤوسهم، ويستمتعوا بأحسن النساء حتى تضعف أجسامهم؟ فاذا كان الجواب بالنفي فكيف تفسر الانقلاب الخلقي السريع الذي يطرأ على أرباب النعمة الحديثة؟ ألسنا نعلم أن عدداً كبيراً من السذج الذين يسمون حتى يحسبون أن المدنية قد قضى عليها، ويتزلفون الى ... بركات الانسانية حتى تنفد أن النسب والاباء والحشمة لا أثر لها في بلادهم — أتدري أن هؤلاء يكونون عادة من حديثي النعمة؟

وما قولك في الطبقات المتوسطة التي يبلغ عيب الفقر بكلكله، فيحرف بنوها أوضع الحرف، وينزل بناتها الى قرارات الأعمال الحقيرة، فتقضي نعومة أولاد الذوات في دورهم المضخمة، ويشتغلن طاهيات وخادمات في المطاعم والقهوات وساقيات للخمر في الحانات وكاتبات وعاملات في دور الأعمال؟ هل يستطيع هؤلاء المحافظة على ذلك السمو الخلقي وتلك الطهارة الملكية التي كان يباهي بها أهلهم؟ وكيف يتسنى لهم ولهن ذلك والنعمة ثوب تمزقه الفاقة؟

والعادات والتقاليد قد عودت المجتمع أن ينزل بطبقة خاصة من الناس أشد العقوبات اذا هبطت عن المستوى الخلقي الذي يرسمه المجتمع، كما أنه عودته أن يغمض عينيه عن بعض النقائص الخلقية اذا ما بدت في طبقة خاصة. فرجال الدين مثلا ينتظر منهم أن يضربوا الرقم القياسي في الأخلاق والمعاملات، ويعبس المجتمع في وجوههم إذا ما هبط هذا الرقم هبوطاً محسوساً. والمعلم كذلك ينتظر بحكم وظيفته أن يكون مثالا حسناً لتلاميذه، وأن ينسى انه بشر عرضة للزلل. ففي أميركا مثلا تعزل المعلمة في بعض الولايات إذا ما استعملت الألوان والمساحيق تجميلا لوجهها أو قصت شعرها. وتعزل في بعض الأقاليم إذا ما رقصت، ويحرم عليها في أقاليم أخرى الرقص مع تلاميذها

ولكنها لا تحرم عليها الرقص مع الغير . وقد عزلت معلمة مرة من وظيفتها لأنها أظهرت شيئا من الصداقة للحلاق الذى كان يعنى بشعرها ، وكانت لا تكون عرضة للعزل لو كان صديقها معلما أو طبيباً أو تاجراً أو غيرهم من ذوى المهن « الشريفة » ، مع العلم ان المجتمع هناك لا يعزل فتاة لسبب من هذه الأسباب اذا كانت مشتغلة بغير التعليم

والمجتمع يغمض عينيه عن علاقات الفتاة العاملة فى الحانات والقهوات والمطاعم مع الغير ، مع تحريمه هذه العلاقات على سواها . وكثيراً ما يتساهل المجتمع مع الخادمات والعاملات فى المخازن التجارية الكبرى وبائعات السجائر فى دور الملاهى والمضيفات والممثلات من الدرجة الثالثة اذا ما تهتكن فى سلوكهن ، لأن الناس اعتادوا أن يأخذوا هذا النوع من السلوك قضية مسلمة

وهذه الجنود الحربية والبحرية — إبان الحرب والسلم على السواء — لا تكاد فرقهم تحط رحالها فى مدينة حتى تزدحم بهم الحانات والمواخير ، فكأنه لا هم لهم فى أوقات فراغهم الا الخمر والنساء . وهؤلاء بحارة البواخر وضباطها لا تكاد تلقى السفن مراسيها حتى تجدهم ثمالى على قارعة الطريق ينتهكون حرمة الآداب العامة

ظهر منذ ثلاث سنوات فى نيويورك شريط سينمائى موضوعه الأزواج المتنقلون (Travelling Husbands) عالج فيه واضعه عيباً خلقياً خطيراً ، ووصف فيه بجلاء وصراحة حياة أولئك الذين تقضى عليهم أعمالهم بالتنقل من مدينة الى قرية لعرض سلعهم وبيع كميات منها بالعمولة (Voyageurs) والبيئة التى يعيشون فيها بعيدين عن أزواجهم وأسرهم ، وما يتعرضون له من التبذل وغشيان المراقص والحانات . ولما أتيح للقراء أن يشهدوا هذا الشريط فى مصر فى المستقبل فانى أوجه اليهم حينئذ هذا السؤال : أليست هذه النقيصة الخلقية من نقائص المهنة التى يزاولونها ؟ أولم يعرض المجتمع عنها وسلم بأنه يغلب على أفراد هذه الطائفة النمسة أن تنغمس فى حمأة هذه الرذائل؟

* * *

وهناك بعض المهن التى تعد فى مقدمة المهن الشريفة ، ولكنها أيضاً لم تسلم من تعريض المشتغلين بها للوقوع فى نقائص خلقية لا يستهان بها . فهذه المحاماة يتهم المشتغلون بها فى جميع البلدان بالتعرض لعيوب « اللف » والمبالغة والتهويل و « تنويم القضاة تنويماً مغناطيسياً » .

وهذا طالب الطب فى كثير من المدن الأوربية والأميركية الكبرى يدخل الكلية ملكا طاهراً تغلب عليه سذاجة الطفولة البريئة ، ولا يكاد يتم سنته الثانية من حياته الطبية حتى يكون عرضة للانغماس فى المسائل الجنسية — بحكم عمله — خصوصا فى المدن التى يقبل على مستشفياتها وعياداتها الخارجية التى يعمل فيها زرافات من العاملات . ويقضى الطالب فى كثير من البلدان فترة التمرين

(internship) ومدتها سنتان فى أحد المستشفيات يكون فى خلالها عرضة لكثير من الأخطار الخلقية التى لا يتعرض اليها طالب الهندسة أو المحاماة أو الصيدلة مثلا

وفى احدى مدن أوروبا يقيم الطلبة الذين يقضون فترة التمرين هذه ، حفلة راقصة سنوية ، (bal des internes) يدعون اليها صديقاتهم من الممرضات ويقضون الليل رقصا مع هؤلاء فى ملابس حمامات البحر أو عراة تقريباً ، ولا يسمحون لغير زملائهم فى حضورها

وقد سألت مرة عن حال الفتيات اللواتى يلتحقن بمدرسة الطب فى إحدى عواصم أوروبا ، فقيل لى ان عددهن يبلغ ٢٠٪ من عدد الطلبة ، وانهن عادة من أسر شريفة ، ولكنهن للاسف قلما ينجون من التعرض للبيئة الشاذة ويهبطن الى الدرك الذى يهبط اليه الطلبة الذكور

ومن الفتيات التى تستحق كل عطف وحنان فئة الممرضات ، فانهن على ما يؤدينه من أجل الخدمات للانسانية يعرضن ذواتهن لاخطار خلقية لا يستهان بها . وقد رفعت أمريكا مستواهن العلمى والاجتماعى حتى انهن يتناولن الآن مرتبات حسنة . وفى جامعة ييل لا يسمح للفتاة أن تدخل مدرسة الممرضات قبل أن تنال درجة بكالوريوس فى العلوم . وتعمل المستشفيات جهد استطاعتها للمحافظة عليهن من أن تمس أخلاقهن عادات ، بحكم مهنتهن ، ولكنهن ما زلن فى كثير من البلدان هدفاً لما تجره عليهن مهنة من ملاطفة مرضى ومغازلة الاطباء

❊ ❊ ❊

وإذا اتخذنا الطلاق مقياساً من مقاييس الاخلاق ، نظراً لان التفريط الخلقى من أهم أسبابه ، فانا ننقل للقراء بهذه المناسبة ما وجده أحد علماء الاجتماع فى احصاء الزواج والطلاق فى امريكا موزعاً على المهن المختلفة ــ تدل هذه الارقام على أن أكبر نسبة مئوية للطلاق فاز بها المشتغلون بالتمثيل وادارة المسارح ودور السينما ومن على شاكلتهم . يلى هؤلاء الازواج المتنقلون ، فالاطباء والموسيقيون وعمال التليفون ، فالمشتغلون فى الحانات والقهوات الخ . أما المشتغلون بالزراعة فقد جاءوا فى آخر القائمة

❊ ❊ ❊

بقى علينا أن نلخص للقارىء ما حاولنا إيضاحه فى هذا المقال فى العبارات الآتية : (١) ان الناس جميعاً عرضة للوقوع فى الزلل ، والاتصاف بعيوب خلقية خاصة ، إما لانه نزع اليها بطبعه أو بحكم البيئة التى يعيش فيها والمهن التى تزاولها أو للامرين مجتمعين (٢) أن كل مهنة تطبع صاحبها بعيب خلقى خاص قد يكون هو بنجوة منه اذا لم يكن من أرباب هذه المهنة (٣) أن المجتمع يتغاضى عن عيوب خلقيــة خاصة تلازم مهناً معينة لانه يعرف وقوعها حتماً سلفا ، وينزل أشد العقوبات بأرباب بعض المهن الاخرى إذا ما هبطوا إلى مستوى خلقى معين (٤) ان قوانين العمل والانسانية

والرأفة تلتمس العذر لمن تعرضه مهنته لعيوب خلقية خاصة، كما أنها لا تعد حلو الآخرين من هذه العيوب معجزة لهم، لأن طبيعة مهنتهم قد تستلزم بعدهم عنها

* * *

وقد فطن التربيون إلى هذه العيوب التي تلازم المهن المختلفة، فجعلوا بين مواد الدراسة في كثير من مدارسها وكلياتها الفنية دروسا خاصة بأخلاق المهنة التي يعدون أنفسهم لها. وتدعى هذه المادة هناك (Professional Ethics) وفي ٢٨ ولاية من ولايات أميركا لا يسمح لمن يريد الاشتغال بالقانون أن يزاول مهنته قبل أن يجوز امتحانا في هذه المادة أسوة بسائر المواد. وقد قام أحدهم باحصاء عدد الكليات الفنية هناك التي تعنى بهذه المادة عناية خاصة، فوجد بين ٦٩٧ معهداً ٩١ ٪ من مدارس الممرضات و ٨٠ ٪ من مدارس طب الأسنان و ٥٠ ٪ من مدارس الطب والمعمار والتجارة والقانون والصحافة — تقوم بتدريسها. وقد جاء في هذا الاحصاء أنواع العيوب التي يعيبها المجتمع في المشتغلين بمهنة التعليم. وإني أضع أمام القراء بعضها حتى يعلموا مقدار ما يصلون إليه من عمق البحث في مثل هذا الموضوع:

عدم مراعاة واجبات الزمالة — عدم مراعاة التقاليد في حشمة الملابس — التدخين والرقص في الأقاليم التي لا توافق عليهما — تعاطي المشروبات الروحية — شبهة العلاقة بين المعلم وبعض التلميذات أو العكس — التدخين في غير حجرة التدخين المدرسية — الرقص مع التلاميذ — توتر العلاقات بين المعلم والادارة(١)

ويتضح من هذه العيوب أن بعضها عام وبعضها خاص بالمهنة. ومهما قيل من أن مجرد تقرير هذه المادة في مدارس الحقوق والطب والمعلمين والهندسة والصحافة والتجارة وغيرها، لا يأتي بنتيجة تذكر، فإن الحقيقة تخالف ذلك، لأن الناس على مدى العصور روضوا أنفسهم على حسن السجايا نظريا بالتحدث عنها وتسطيرها في بطون الكتب ثم عمليا بممارستها

أمير بقطر

سكرة

يا سكرة سكرتها في السوق بين الملل
كصابر على أذى النـ ـحل لجنى العسل

حسين شفيق المصري

---

(١) اقرأ هذا الكتاب اذا كنت تعنى بشئون التعليم: —
"Instruction in Professional Ethics in Professional Schools for Teachers" by Dr. J. D. Martin.

هل يمكن اصلاح الحروف العربية ؟

استعراض ونقد

هل يمكن إصلاح الحروف العربية أولا يمكن ؟ وإذا كان يمكن إصلاح هذه الحروف ، فما هي الطرق التي اقترحها بعض العلماء والأدباء لتحقيق هذا الاصلاح ؟ ثم إذا كانت هذه الطرق لا تفي بالغرض ، فهل ينبغي تغيير الحروف العربية ؟

هذا ما أريد ان أعرض له في هذا المقال . وقبل أن أتحدث في الموضوع يحسن أن نلم إلمامة موجزة بنشأة الحروف العربية ، وكيف تطورت ، ليستبين الطريق ، وليكون البحث مبنياً على أساس واضح ، حتى لا تخدع برأي قد يكون صاحبه من البراعة بحيث تسرع إلى الإيمان برأيه بلا نظر ولا تمحيص

فما لا شك فيه الآن أن الحروف العربية أو سلسلة الخط العربي ترجع في أصلها إلى الخط الهيروغليفي القديم ، وهو الخط المصري المقدس . ومن هذا الخط اشتق الخط الهيراطيقي وهو خط الخاصة . ومن الهيراطيقي اشتق الخط الذي كان يسميه عامة المصريين القدماء ، وهو الديموطيقي

وقد أخذ الفينيقيون حروفهم عن الحروف الديموطيقية ، واشتق الآراميون حروفهم من الحروف الفينيقية . ومن الخط الآرامي اشتق الخط السرياني والخط النبطي ، وهما الخطان اللذان اشتق منهما الخط العربي بقسميه النسخي والكوفي وهذان القسمان هما أصل الخط العربي الحاضر

بقي الخط العربي بقسميه قبل الاسلام وبعد الاسلام ، حتى كان عصر بني أمية فابتدأ في التهذيب والتحسين وتفرع الخط الكوفي الى أربعة أقلام اشتقها قطبة أكبر خطاط في عصره ، ثم تفرع الخط العربي الى أقلام كثيرة بلغت في أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً ، ثم زادت بعد ذلك عن عشرين قلماً ، حتى ظهر النابغة ابن مقلة ، فادخل في الخط تحسيناً كبيراً ، وجاء بعده جماعة من كبار الخطاطين أشهرهم علي بن هلال ، ثم ختم هذا الطور من التحسين والتجويد ياقوت الرومي المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ

ولم يأخذ العرب الحركات والاعجام من الانباط والسريان كما اشتقوا الحروف منهما . فان الخط السرياني والنبطي وسائر الخطوط التي اشتق منها هذان الخطان الى عهد القراءة لم يكن فيه اعجام ولا حركات ، ولم يكن ذلك إلا حادث بعد الاسلام كما هو مشهور

فكأن المصريين والفينيقيين والآراميين والسريان والنبطيين بقيت حروفهم طول حضاراتهم خالية من الاعجام والحركات ، كما بقيت الحروف العربية خالية منهما كذلك حتى أوائل الاسلام اعتماداً

على باحة القارىء وعلمه . ولكن لما اختلط العرب بالعجم وكثر اللحن وضع الكتاب الحركات ثم وسموا الاعجام . وانما سمي الاعجام اعجاما لان الاعجام في الاصل هو التكلم على طريقة الاعاجم وكان المتعلمون يفرون من الاعجام والحركات ، ويعدون ذلك تجهيلا ، واشتهر بينهم المثل القائل : « شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه »

وكانوا على العكس من هذه « النظرية » التي يدعو اليها بعض الكتاب الآن ، وهي « وجوب انطباق المكتوب على المنطوق » والارجح أنهم كانوا يعتبرون النطق في غنى عن ذلك كله ، وأن الحروف ما هي إلا رموز ووسيلة لا غاية ، فليس من الصواب إضاعة الوقت في كثرة النقش على القرطاس وتصحيح الكلمات بالنقط والحركات ما دام الشخص متعلما وعائشا في بيئة عربية كل أفرادها أو جلهم ينطقون بالكلمات مضبوطة ، وليس من الضروري هذه الزيادات

ولكن اتساع الفتوحات الاسلامية ، وانتشار الحضارة العربية في الامم الاخرى ، واختلاط الاعاجم بالعرب اختلاطا شديداً ، وامتزاجهم بهم امتزاجا قويا اضطرهم الى أن يستمروا على ضبط الكلمات بالنقط والحركات ، الا أن الحركات كثيراً ما تعطل الكاتب فاقتصر فيها على القرآن وكتب الحديث واللغة . وألفت القواميس مضبوطة بالشكل . وأصبحت هذه القواميس مرجعا يلجأ اليه الكاتب أو القارىء اذا التبس عليه معنى لفظ أو ضبط كلمة

وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الاسلامية وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والاوردية والافغانية والكردية والبربرية والمغولية والبربرية والسودانية والزنجية والساحلية . كما كتبت بها لغة أهل الملايو وعددهم نحو سبعين مليونا . نحو ٢٠٠ مليونا ، عدا نحو تسعين مليونا يكتبون اللغة العربية بالخط العربي . وإذا استثنينا ترك الاناضول الذين استخدموا الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية الآن بقي عندنا هذه الامم الكثيرة التي تكتب بالحروف العربية الحالية منذ نحو ألف سنة وقد دونت بها آدابها وعلومها وفنونها

فهل يمكن اصلاح الحروف العربية إذن بعد هذا الطور الذي انتهت اليه بالحضارة الاسلامية ؟

لقد رأيت كيف اشتقت هذه الحروف وكيف تطورت حتى وصلت الى ماهي عليه الآن ، وقد كتبت بها العلوم والآداب وسائر الفنون في الامة العربية وفي تلك الامم التي انتشرت فيها الحضارة الاسلامية منذ ذلك التاريخ . وقد دلت التجارب على ان هذا الطور الذي انتهت اليه هو آخر ماوصلت اليه في أطوار الاصلاح والتهذيب . ولكنا مع ذلك نسعى مع الذين يقولون باختراع طرق جديدة لتحقيق هذا الاصلاح ولتكون الكتابة مطابقة للنطق كما يقولون

فقد اقترح الاستاذ احمد لطفي السيد بك في سنة ١٨٩٩ طريقة للاصلاح بمحو الشكل وابداله بالحروف اللينة لتدل على الحركات . مثال ذلك (ضرب) تكتب هكذا (ضارابا) و (علم) تكتب

(عاليما) وحسن (حاسونا) فان قصدت الدلالة على المد رسمت علامة المد (¯) على الحرف الذي الممدود . أما التنوين فيظهر في الرسم كما يظهر في النطق وعلامته (ن) تكتب بعد الحرف . مثل سعد تكتب (ساعدون) بالرفع و (ساعدان) بالنصب . و (ساعدين) بالجر

ويجب أن يفك الادغام في كل كلمة فمثلا (مد) تكتب (ماددا) ومحمد تكتب (موحاممادون) في الرفع و (موحامامادان) في النصب و (موحامامادين) في الجر

وتكتب أداة التعريف ان كانت شمسية كما هي وان كان يجوز كتابتها حسب النطق. أما الهمزة فترسم دائما مفردة ويتبعها حرف المد حسب الاحوال

هذا ما يراه مدير الجامعة المصرية السابق . وظاهر أن هذه الطريقة تضيع جمال الخط العربي فضلا عن أنها تؤدى الى الالتباس وطول الكلام ولا تنطبق على كثير من قواعد الصرف . فاذا أردنا أن نكتب مثلا لم يقل ولم يبع ولم يرم ولم يغز كتبت على طريقة الاستاذ لطفى السيد (لام يقول) و (لام يابيع) و (لام يارمى) و (لام ياغزو) . وحينئذ وقعت في لبس لانه يجب حذف عين الفعلين الاولين ولام الفعلين الاخيرين . وكذلك قل في سعوا ويسعون واسعوا مما يحذف فيه العرب لام الفعل وهي ألف (سعى) لوقوعها قبل واو الجماعة فاذا مشينا مع طريقة الاستاذ لطفى السيد خرجنا عما ينطق به العرب . فانا حينئذ نكتب هذه الامثال هكذا : (ساعاوا) و (ياسعاون) و (إسعاوا)

***

ولما كان الاب انستاس الكرملي في مصر عند ما عرض الطرق على طريقة له في اصلاح الحروف العربية فكر فيها سنة ١٩١٤ وقال انها أحسن طريقة لكتابة الكلمات العربية لتوافق النطق بها . وهذه الطريقة تتلخص في أن تزاد على الحروف حروف لينة مشطورة تدل على الحركات . فالألف (ﺟ) المشطورة تدل على الفتحة والواو (ﻫ) المشطورة تدل على الضمة ، والياء (ﻳﻤ) المشطورة تدل على الكسرة . فاذا أردت أن تكتب ضرب كتبتها (ضـ‍ـر‍ب‍) وعلم (عـ‍لـ‍ـمـ‍ـا) وحسن (حـ‍ـسـ‍ـن‍ ـ)

أما التنوين فيكتب كما ينطق ، فتكتب كلمة (سعد) في الاحوال الثلاثة :

(ساعد ﻫ ن) و (ساعد ﺟ ن) و (ساعد ﻳﻤ ن)

ويديهى ان هذه الطريقة التى اخترعها حضرة الاب تغنى عن الحركات مع المحافظة على جسم الحروف ، وهي من جهة أخرى تضيع وقتاً طويلا ، وتضطر أصحاب المطابع الى تحمل نفقات باهظة بلا فائدة

***

وقد اطلعنا على اقتراح ثالث لبعض المتعلمين . وهو يتلخص فى أن نرمز للفتحة بحرف الباء خالياً من النقط مثل (ٮ) والكسرة بحرف الباء تحتها ثلاث نقط (ٮ) والضمة بحرف ثاء فوقها ثلاث نقط (ٹ) . وترسم الشدة فوق الحرف على هيئة رقم (١) فالطاء المشددة تكتب « طٔ » . فاذا أردت أن نكتب هذه العبارة « رضى الله المتقى عنه » كتبتها هكذا :

(بضيف الهف المتقبب عملهف)

ولسنا فى حاجة إلى تزييف هذا الاقتراح

وإذن فقد استبان لك ان الطرق التى اقترحت حتى الآن لاتفى بالغرض بل على العكس، فانها تكلف الانسان وقتاً ومجهوداً ، وتتعب بجهاز الكتابة ، ولا تأتى بالسهولة المنشودة

وهنا لا بد من الاشارة إلى ماقاله المرحوم قاسم أمين فى إحدى كلماته : « لم أر بين جميع من عرفتهم شخصاً يقرأ كل ما وقع تحت نظره من غير لحن . أليس هذا برهاناً على وجوب اصلاح اللغة العربية ؟ ان الحال فى اللغات الاخرى يقرأ الانسان ليفهم . أما فى اللغة العربية فانه يفهم ليقرأ . فاذا أراد ان يقرأ الكلمة المركبة من هذه الاحرف الثلاثة (ع ل م) يمكن أن يقرأها (عَلَمَ) او (عِلْم) او (عُلِمَ) او (عَلَّم) او (عَلَم) . ولا يستطيع ان يختار واحدة من هذه الطرق إلا بعد أن يفهم معنى الجملة ومعنى التى يقتضيه النطق الصحيح . فملكة القراءة عندنا من أصعب الفنون »

وهذه مغالطة من المرحوم قاسم أمين فات دعواه بأن الانسان فى اللغات الافرنجية يقرأ ليفهم يعنى أن المكتوب مطابق للمنطوق لا يشتبه على من له أقل إلمام باحدى اللغات الافرنجية . ففى اللغة الفرنسية مثلا كثير من الكلمات التى لاتنطبق على هذه القاعدة . ونذكر هذه الامثلة .Jacques papier. culot وفى اللغة الانجليزية اصعب واكثر من ذلك . وانظر الى هذه الكلمات الاربع الفرنسية التى تتفق فى نطقها وتختلف فى معناها ورسمها وهى : puy appui puits puis

على أن المرحوم قاسماً لم يرشدنا الى نوع من الاصلاح الذى يتطلبه . ولو أنه اخترع لنا طريقة تسهل صعوبة القراءة لكان لهذا النقد قيمته ووجاهته

* * *

وامامنا الآن مسألة تغيير الحروف العربية واختراع حروف جديدة أخرى أو استخدام الحروف اللاتينية بدلها على نحو ما فعل الأتراك . وهذه الفكرة يميل اليها طائفة من الكتاب . وهم يقولون ان الرجال والنساء والاطفال من الغربيين الذين يكتبون بالحروف اللاتينية لايخطئون فى نطق كلمة من الكلمات ، فى حين ان الشيخ منا يخطئ على اطلاعه فى اللغة العربية أربعون أو خمسون

سنة ، ومع ذلك فهو لايستطيع أن يحفظ نفسه من الخطأ فى قراءة بعض الكلمات . ثم يضربون المثل بقول المتنبى :

وَحَمَلْتُ ما حُمِّلْتِ من هذى المَها وَحَمَلْتِ ما حُمِّلْتُ من حسراتها

فأى عالم أو أديب لا بد أن يخطىء فى قراءة هذا البيت لاول مرة اذا كتب بالحروف العربية غير مشكولة ، ولكن إذا كتب بالحروف اللاتينية على هذا النحو :

Wahamalto ma hommelte men hathi elmaha
Wahamalte ma hommelto men hasarateha

اذا كتب هذا البيت بالحروف اللاتينية على هذا النحو ، فان الكبير والصغير وأطفال المكاتب وربات الاعمال يقرءونه صحيحاً بلا خطأ فى كلمة من كلماته

كذلك يقول الذين يميلون إلى تغيير الحروف العربية واستخدام الحروف اللاتينية بدلها ، وفاتهم ما قدمناه فى هذا الفصل من أن الآداب والعلوم العربية كتبت منذ نحو الف سنة أو تزيد بهذه الحروف ، وليس من السهل اعادة طبعها كلها بالحروف اللاتينية سواء أكان فى الامة المصرية وحدها أم فى سائر الامم التى كتبت آدابها وعلومها بالحروف العربية والتى يبلغ عددها نحو ثلثمائة مليون

على اننا اذا هجرنا الحروف العربية إلى حروف نخشى ان تنسى الآداب والعلوم القديمة كما نسيت آداب اللغة الهيروغليفية وغيرها من آداب اللغات الاخرى التى لا يستخدم الناس حروفها الآن ، ولاصبح بيننا وبين تراثنا المجيد ما أصبح بيننا وبين الاجيال السابقة كما بيننا نحن فى اللغة الهيروغليفية . ومما يدلك على ذلك بعض الشعوب التى تركت الحروف العربية وكتابتها بغير حروفها القديمة كالتركية والفارسية والاردية وغيرها قد نسيت آدابها القديمة وأصبح بينها وبين هذه الآداب حلقة مفقودة

إن البحث فى مسألة تغيير الحروف العربية أو اصلاحها إلى وجه من الوجوه المتقدمة أو إلى وجه آخر يشبهها ، انما هو بحث فيه مضيعة للوقت دون الوصول إلى ما يخفف التعب على المتعلمين

على ان الذين يريدون اختصار الطريق بالتشبه بالأتراك انما هم فى الحقيقة لا يريدون اصلاحا . وانما يريدون انقلابا ليس من السهل نجاحه بين هذه الملايين من الذين يستخدمون الحروف العربية بين هذه الامم ، وان نجح بعض النجاح فى أمة لا تزيد على أربعة عشر مليونا من الاتراك وليس لها بالحضارة العربية صلة إلا صلة الدين

طاهر احمد الطناحي

قصة لامبجيا

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

قصتان شهيرتان فى تاريخ الفتح الاندلسى . كلتاهما قصة غرام وسياسة ، وكلتاهما ذات أثر عظيم فى الفتح وتطور حوادثه ، هما قصة فلورنده القوطية ، وقصة لامبجيا الفرنجية . وكانت الأولى على ماتؤكد الرواية الاسلامية سبباً فى فتح العرب لاسبانيا ، وكانت الثانية سبباً فى تدفق تيار الفتح الاسلامى الى قلب فرنسا . وكانت فلورنده ولامبجيا كلتاهما آية عصرها فى الحسن ، وكانت كلتاهما بطلة لقصة غرام مبرح . فاما فلورنده فهى ابنة الكونت يوليان القوطى حاكم سبتة قبيل الفتح الاسلامى ، وكانت من وصيفات الشرف فى بلاط رودريك (لذريق) ملك القوط فهام بها رودريك حباً واغتصبها ، فأسر أبوها الكونت ذلك الاعتداء الشائن وأقسم بالانتقام ، واتصل بموسى بن نصير حاكم أفريقية ، ودعاه الى فتح اسبانيا فلبى موسى دعوته ووضع مشروع الفتح ، وكان فتح العرب لاسبانيا وذهاب ملك القوط بمعاونة الكونت يوليان وتدبيره (سنة ٩١ هـ - ٧١١ م) وهذا ماتؤكده الرواية الاسلامية . أما الرواية الاسبانية فتحملها الكبرياء القومية على انكار قصة فلورنده وتذهب أحياناً الى انكار شخصيتها التاريخية وتعتبر السيرة كلها حديث خرافة . ولكن الرواية الفرنجية تقدم الينا بالعكس عن قصة لامبجيا وعن الدور الذى أدته فى حوادث الفتح الاسلامى لفرنسا بعض التفاصيل الشائقة ، وهو ما سنعنى به فى هذا الفصل

لم يمض على افتتاح العرب لاسبانيا أعوام قلائل حتى تدفق تيار الفتح الاسلامى فيما وراء جبال البرنيه ، وعبر العرب الى ولايات فرنسا الجنوبية واستقروا فى وادى الرون الادنى وفى ثغر اربونة . وكانت إمارة اكوتين ، الواقعة فى جنوب غربى فرنسا ، مهبط الحملات والفتوحات الاسلامية فى ذلك العهد ، وفى سهولها ووديانها اضطرمت عدة معارك هائلة بين الاسلام والنصرانية . وكان سيد هذه الانحاء أمير فرنجى من الاسرة الميروفنجية هو أودو دوق اكوتين ، وكان خلال الاضطراب الذى ساد مملكة الفرنج قد استقل بامارة اكوتين وبسط حكمه على جميع غاليس (فرنسا الجنوبية) من اللوار الى البرنيه ، والتف حوله القوط والبشكنس ، وأخذ يطمح الى انتزاع عرش الفرنج ، ولكنه شغل عن مشروعه برد خطر جديد داهم ، هو خطر الفتح الاسلامى . وغزا المسلمون اكوتين غير مرة وأثخنوا فى انحائها ، ونجح أودو غير مرة فى ردهم . وفى سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠م) ، عبر المسلمون جبال البرنيه بقيادة أمير الاندلس السمح

ابن مالك ، واستولوا على سبتمانيا ، وتقدموا الى اكوتين مرة أخرى ، وقصدوا الى عاصمتها تولوشة (تولوز) وسار الدوق أودو لردهم فى جيش ضخم ، فالتقى الفريقان بظاهر تولوشة ونشبت بينهما معركة هائلة ، وتراوح النصر حينا بين الفريقين . ولكن السمح سقط قتيلا من فوق جواده ، فاختل نظام الفرسان المسلمين ، ووقع الاضطراب فى الجيش كله ، وارتد المسلمون الى سبتمانيا بعد أن فقدوا زهرة جندهم وسقط منهم عدة من الزعماء الاكابر (ذى الحجة ١٠٢ هـ يونية ٧٢٠ م) . بيد أنه لم تمض أعوام أخرى حتى عاد المسلمون الى اقتحام البرنيه مرة أخرى بقيادة أميرهم عنبسة بن سحيم الكلبى ، وغزوا وادى الرون حتى مدينة أوتون (١٠٧ هـ - ٧٢٥ م) وخشى أودو أن يقتحم المسلمون أراضيه مرة أخرى فسعى الى مفاوضتهم ومهادنتهم . ولبث خطر الفتح الاسلامى يهدد اكوتين ، ولبث أميرها يدبر الوسائل لرده والذود عن ملكه وأراضيه . وكان حاكم ولايات البرنيه الشرقية فى ذلك الحين زعيماً مسلماً قوياً هو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى الذى تعرفه الرواية الفرنجية باسم « منوزا » Menuza أو « مونز » . وكان من زعماء البربر الذين دخلوا الاندلس عند الفتح مع طارق بن زياد ، وقد عين والياً للاندلس قبل ذلك باعوام قلائل ، ولكن أمد ولايته لم يطل ، ثم عين حاكما لولايات البرنيه وسبتمانيا . وكان ابن أبى نسعة كثير الأطماع شديد التعصب لبنى جنسه (البربر) وقد كان الخلاف يضطرم منذ الفتح بين العرب والبربر ، ويحقد البربر على العرب لانهم قاموا بمعظم أعباء الفتح ، واستأثر العرب دونهم بالمناصب والمغانم الكبيرة . وكان ابن أبى نسعة يتطلع الى استرداد الولاية والرياسة ، ولكنه شهد هذا الأمل حينا عين عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى (١١٢ هـ - ٧٣١ م) والياً للاندلس ، فاضطر أن يقمع بنفسه الصغير على مضض وأخذ يرقب الفرص للخروج والثورة . ورأى الدوق أودو من جانبه أن التفاهم مع هذا الزعيم الخارج عما يقوى ساعده فى اتقاء الغزو الاسلامى ، فتفاهم مع ابن أبى نسعة ، وأكدت المصاهرة بينهما عرى التحالف . وكان للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا (أو مينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات) ، فرآها ابن أبى نسعة أثناء رحلاته فى اكوتين ، وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها كما كان ابن أبى نسعة أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن أطماع الوالد غلبت على كل شىء فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق اكوتين ، وخصص أودو ، بباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء لقبلات الملحد الافريقى وعناقه » (١)

وتحيط الروايات الفرنجية شخصية لامبجيا وقصتها بكثير من الغموض ، فتختلف أولا على

(١) جيبون الفصل الثانى والخمسون

اسمها ، وإن كانت تتفق جميعاً على انها ابنة امير أكوتين ، ثم تختلف على ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن عثمان بن ابى نسعة أسر لامبجيا فى احدى غاراته على اراضى اكوتين ثم هام بها حباً وتزوجها ، وحمل بنفوذها وتأثيرها على أن يحالف أباها الدوق وان يزمع الى الخروج والخيانة . أو تقول . ان ابنة أمير أكوتين التى تزوجت من ابن أبى نسعة هى منيا التى كانت زوجة لفرويلا أمير استورياس ، ثم احبها أمير « كردانيه » المسلم وتزوجها فيما بعد (١) وهى رواية ظاهرة الضعف . وتعليلها أنه كان لدوق اكوتين ابنتان ، وان تلك التى تزوجت من امير استورياس (غرب البرنيه) هى ابنة أخرى غير لامبجيا التى تزوجت من ابن أبى نسعة . وعلى أى حال فان المتفق عليه هو أن الزعيم المسلم قد تزوج من ابنة امير أكوتين ، وأنه كانت لتلك المصاهرة آثار ونتائج خطيرة فى سير حوادث الفتح الاندلسى

ذلك أن امير الأندلس عبد الرحمن الغافقى وقف على علائق عثمان بن أبى نسعة بامير اكوتين ، ورأى أن يقر المعاهدة التى عقدها معه بالمهادنة ووقف الحرب لانها تعارض سياسته ومشروعاته ، وارتاب فى أمر هذه التصرفات كلها . وكان يخشى من وجود ابن أبى نسعة على باب جبال البرنيه طريق المسلمين الى الشمال ، ويرتاب فى نياته ومشروعاته . وكان عبد الرحمن عربياً شديد الغيرة على زعامة العرب ، وكان ابن أبى نسعة كما قدمنا بربرياً شديد التعصب لبنى جنسه . وكان ابن أبى نسعة فى عصره واعماله ظاهر الخروج والتحدى لحكومة قرطبة ، فبعث عبد الرحمن الى الشمال جيشاً بقيادة ابن زيان للتحقق من الأمر والتحوط لسلامة الولايات الشمالية ، فامتنع ابن أبى نسعة بمواقعه الجبلية وتحصن فى عاصمة اقليمه ، وهى تسمى بالعربية ، مدينة الباب ، (٢) وكانت تقع على أحد ممرات جبال البرنيه والعرب يسمون جبال البرنيه بجبال البرت (أى الباب) أو الممرات وكان ابن أبى نسعة يعتقد أنه يستطيع الامتناع فى اقليمه الوعر على مثل الزعيم القوطى بلاجيوس ، الذى استطاع أن يمتنع بجبال جليقية مع فلول القوط ، وان يتحدى موسى بن نصير وامراء الاندلس من بعده ، وان يؤسس امارة مستقلة قدر لها أن تنمو وتستفحل فيما بعد ، ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ، فان ابن زيان قد بجيشه الى مدينة الباب وطوق الثائر فى عاصمته ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ، فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ، ومزقت ثورته ومشروعاته ، ورد حلفاؤه القوط والبشكنس الى ماوراء الجبال

ماذا كان مصير الأميرة الحسناء لامبجيا زوجة الثائر ومبعث وحيه ؟ لقد فرت مع زوجها وحليف ابيها املا فى عبور الجبال والالتجاء الى اراضى اكوتين ، ولكنها أخذت وأسرت

---

(١) راجع خلاصة الروايات الافرنجية فى موسوعة Bayle . V.LV. والتعليقات

(٢) وتسمى بالقشتالية Cuideu de la Peurta وتسمى احيانا بويكاردا

مع الاسرى ، وبعث بها ابن زيان مكرمة الى الامير عبد الرحمن ليرى فى مصيرها رأيه . فلما رأى عبد الرحمن حسنها الرائع رأى أن يبعث بها هدية الى بلاط دمشق فاستقبلها الخليفة هشام ابن عبد الملك بحفاوة وأكرم مثواها . ثم زوجت بعد ذلك من أمير أو كبير مسلم لم تذكر الرواية اسمه . هذا ماتقوله الرواية الفرنجية على الاقل . أما الرواية العربية فانها لاتشير الى هذه الحوادث ولا تعرف لامبجيا ، وان كانت تعرف فلورنده ابنة الكونت يوليان . والرواية العربية تذكر عثمان بن ابى نسعة وتشير الى ولايته الاندلس ولكنها لا تتبع اعماله ومصيره . وتنوه الرواية الفرنجية بالاخص بما أبداه عبد الرحمن نحو الاميرة الأسيرة من الرفق والادب وهنالك رواية أخرى عن مصير لامبجيا وهى انها بعد أن أرسلت الى بلاط دمشق عاد الخليفة فبعث بها الى اسبانيا لحليفه فرويلا أمير استورياس وكان يهواها فتزوجها . ولكن المرجح ان الاميرة الفرنجية لم تعد قط الى اسبانيا بعد أن استقرت فى دمشق

أما الدوق أودو فلما رأى ماحل بحليفه وبابنته واستشعر الخطر الداهم أخذ يتأهب للدفاع عن مملكته . وبدأ الفرنج والقوط فى الولايات الشمالية بالتحرك لمهاجمة المواقع الاسلامية . وكان عبد الرحمن يتوق الى الانتقام لمقتل السمح وهزيمة المسلمين عند اسوار تولوشة ويتحفز الفرصة منذ بدء ولايته لاجتياح مملكة الفرنج كلها . فلما رأى الخطر محدقا بالولايات الاسلامية لم ير بدأ من السير الى الشمال قبل أن يستكمل كل اهبته . على انه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيره المسلمون الى غاليس منذ الفتح وفى أوائل سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) سار عبد الرحمن الى الشمال مخترقا أراجون (الثغر الأعلى) ونافار (بلاد البشكنس) ودخل فرنسا فى ربيع سنة ٧٣٢ م واجتاح جنوب غاليس شرقاً وغرباً وعبر نهر الجارون ، وانقض المسلمون كالسيل على ولاية أكوتين يثخنون فى مدنها وضياعها . وحاول الدوق أودو أن يقف زحفهم بقواته ولكنه هزم ومزق جيشه شر ممزق ، وطارده عبد الرحمن حتى عاصمته بوردو (بردال) واستولى عليها وفر الدوق فى نفر من صحبه الى الشمال وسقطت أكوتين كلها فى يد المسلمين .

واستمر عبد الرحمن بعد ذلك فى سيره المظفر يفتح اقاليم فرنسا الجنوبية الوسطى حتى اشرف بجيشه الضخم على ضفاف اللوار . وهنالك التقى بجموع الفرنج بقيادة كارل مارتل حافظ القصر الفرنجى . وهنالك فى سهول تور وبواتييه التى تعرف فى الرواية العربية ببلاط الشهداء ، وقعت بين العرب والفرنج أعظم موقعة حاسمة فى تاريخ الاسلام والنصرانية ، ورد العرب ثانية الى الجنوب ووقف سير الفتح الاسلامى فى تلك الانحاء ، وأفلتت أمم الشمال من نير الاسلام والعرب . وفقد الاسلام والعرب فى هاتيك السهول سيادة العالم بأسره

محمد عبد الله عنان

المحامي

مصيدة النساء

اللورد بيرون

[تحدث الاستاذ حبيب جاماتي في مقالات سابقة عن المرأة في حياة بعض اعلام الادب في الغرب . فتناول في احاديثه العاشق الصامت « تورجنيف » والعاشق الثرثار « موباسان » والرجل الذي اهتم النساء بعواطفهن « دوماس » وهو اليوم يختم هذه السلسلة بمقال عن اللورد بيرون الذي سماه بحق « مصيدة النساء » وهو الذي قالت فيه مدام دى ستال انه « نيرون الحب ! »]

صدقت مدام دى ستال ، الاديبة الفرنسية الكبيرة ، فى قولها عن اللورد بيرون انه « نيرون الحب ! » فان الرجل كان فى علاقاته الغرامية طاغية قاسى الفؤاد . ويخيل الى من يدرس حياة هذا الشاعر ويتتبع حركاته وسكناته ، انه كان يجد فى تعذيب النساء اللواتى يقعن فى شرك حبه لذة تفوق بكثير لذة التمتع بذلك الحب

ويمكن أن اضيف الى كل هذا ان اللورد بيرون فى الحب [illegible] ان ذلك الشاعر الخالد كان ، على خلاف اخوانه الشعراء ، ينظر الى الحب نظرة عملية ، ويعده وسيلة للوصول إلى غرضين: اشباع الحواس واكتساب المال . وليس فى هذا ما يشرف رجل !

فقد كتبت أوغستا بيرون لاخيها تلك تحثه على الزواج وتقول له : « انى اجد خطيبة ! » فرد عليها اللورد بيرون قائلا : « انت تعيشين فى [illegible] فى الصحف . ورأيى أن الحب سخافة تامة ، فهو مجموعة كلمات فارغة [illegible] . أما من ناحيتى ، فلو كان لى خمسون عشيقة لنسيتهن جميعاً فى خمسة عشر يوماً ! »

وعندما ألح عليه ذووه بان يتزوج قال لهم ضاحكا متهكماً : « ان الشيء الوحيد الذى يجذبنى هو المال . اما النساء فليس بينهن من هى خير من سواها ! »

وكانت مدام دى ستال بين النساء المعجبات ببيرون . ولكنها كانت على علم باخلاقه وطبيعته ، فقالت فيه كلمتها المشهورة : « إن بيرون نيرون الحب ! » وقالت فيه أيضاً : « ان فى صدر بيرون من الاحساس مايكفى للقضاء على سعادة كل امرأة تلقى بها الاقدار بين يديه ! » وهذه أيضاً حقيقة لاشك فيها . فان جميع النساء اللواتى أحببن هذا الرجل قد أصبن فى حياتهن بالتعاسة والشقاء ، ولم تستطع واحدة منهن أن تباهى بانها عرفت مع بيرون معنى السعادة أو انها ذاقت طعم الهناء

ومع ذلك فان النساء كن يحمن حول الشاعر الشاب الجميل كما يحوم الفراش حول مصيدة تحوى

لذيذ الطعام . والفرق بينهن وبين الفأر أن كل امرأة من اللواتي أحببن بيرون كانت تعلم انه فى حبه طاغية لا يرحم ، وانه لا يعرف للاخلاص فى الحب معنى ، وان المرأة فى نظره كالثمرة الشهية يمتص عصيرها ويلقى بها جانباً . ومعلوم ان سنثيا التى قالت به قولها الذى أشرنا اليه كانت أيضاً تحبه وكانت ترغب فى ان تنال منه ما ناله سواها . فقد قالت أيضاً وهى تقرأ الشعر الذى وضعه بيرون عندما هجرته زوجته : « وددت لو كنت أنا اللادى بيرون وكنت سببه فى حب مثلها لكى يقول فى الشعر الذى قاله فيها ! »

ولد جورج جوردون لورد بيرون فى سنة ١٧٨٨ بلندن . وهو سليل أسرة كان أبناؤها يتوارثون الفتوة والكبرياء أباً عن جد . وكان أبوه ـ الكابتن جون بيرون ـ فظاً مسرفاً . وبعد أن بدد ثروته وثروة زوجته الاولى المركيزة كرمارثن وزوجته الثانية كاثرين جوردون فر هارباً من وطنه الى فرنسا لتخليل دائنيه الكثيرين . ومات ذلك الرجل المبدد فى كل شيء فى مدينة فالانسين التى لجأ اليها

ورزق الكابتن جون من زوجته الاولى ابنة سماها أوجستا ومن زوجته الثانية ابناً سماه جورج هو بطل حديثنا هذا

ولقد نشأ الابن على طراز أبيه !

واذا كان الشاب يبدأ حياته الغرامية عادة فى سن الثامنة عشرة أو قبل هذه السن أو بعدها بقليل ، فان جورج جوردون لورد بيرون قد سبق هذه القاعدة وبدأ حياته الغرامية ـ اذا حق لنا ان نسمى علاقاته بالنساء غراماً ـ فى سن التاسعة !

فقد أحب جورج إحدى قريباته ـ مارى دوف ـ وهو فى التاسعة فقط . ولكنه ما لبث أن أهملها وأحب فتاة أخرى من قريباته أيضاً (مرغريت باركر) وكان حبه هذا مقروناً بغيرة شديدة الى حد انه كان يثور ويضرب إذا ما اقترب أحد من موضوع غرامه . وقد كتب أشعاره الاولى فى ذلك الوقت وتغزل فيها بمرغريت باركر الجميلة

ولكن الفتاة التى جعلته يحنق على النساء جميعاً ويعقد النية على العبث بهن كما يلعب القط بالفأر ، هى مارى شاورث قريبته اذ ان بيرون كان يقوم بتجاربه الاولى فى الحب ضمن دائرة الاسرة !

كان أهل مارى شاورث على خلاف مع اهله . وعلى جورج نفسه فى وقت من الاوقات بأن يصلح ذات البين ويعيد المياه إلى مجاريها بين العائلتين . وكان وقتئذ فى الخامسة عشرة من عمره فقط وكانت مارى فى السابعة عشرة !

فشل بيرون فى محاولته واعرضت عنه مارى شاورث ، فغادرها غاضباً ساخطاً مهدداً بأنه سينتقم لنفسه منها . . . ومن كل امرأة تسوقها الاقدار والظروف إلى طريقه !

وقد نفذ بيرون وعيده . ومنذ ذلك الحين أقام نفسه « مصيدة للنساء ! »

ووقعت كثيرات منهن فى الشرك ، وأخذن فى المصيدة الفتانة الساحرة

كان بيرون جميلا ، بل كان بارع الجمال ، وكانت له عينان تنبعث منهما « شرارة قاتلة » كما تقول مدام دى ستال ، ولم يكن بالامكان « أن يحمل رجل فى وجهه عينين أجمل من عينى بيرون » كما يقول ستاندال !

وإذا أردنا أن تذكر أسماء « جميع » النساء اللواتى أحببن بيرون — بل اللواتى أحبته وقاسين فى حبه أنواع الذل والعذاب — فان القائمة تطول ، ولا بد ان يفوتنا اسم أو أكثر !

ولكن ، لنذكر فريقاً منهن ، صارفين صفحاً عن الأخريات :

مارى دوف ومارى باركر — فون أوثن — مارى شاورث — شرلوت هرليج — سارا صوفيا — جان فرسن — كارولين لامب — ترزا جيشيولى — مرغريتا كونى — فون سارا جوسا . . .

وأخيراً : أوغستا بيرون ، أخت الشاعر من أبيه ، وهذا الغرام الشاذ البشع هو أفظع غرام فى حياة بيرون ، بل هو من أفظع الحوادث الغرامية والعلاقات الفاسدة التى دونها التاريخ فى صفحاته !

سافر بيرون إلى أسبانيا فى سنة ١٨٠٧ وكان قد دخل فى الثالثة والعشرين من عمره ، وعرف المرأة من جميع نواحيها . وهناك ، على أنغام الأناشيد الأسبانية ، أطلق الشاعر لحواسه العنان ، وأفقد كثيرات من بنات الأندلس عقولهن وشرفهن . ثم عاد إلى وطنه ومعه طائفة من الهدايا التى بعثت بها اليه عشيقاته الأسبانيات هناك . ومن تلك الهدايا خصلة شعر يبلغ طولها ثلاث أقدام ، تركتها بين يديه أندلسية حسناء رهاناً عن تعلقها به مدى الحياة .

وقد احتفظ بيرون بهذه الهدية مدة من الزمن ، ولكن عندما سألوه عن اسم المرأة التى جزت شعرها ودفعته اليه أجاب متفكها :

— لقد نسيت اسمها !

ولعل أتعس امرأة وقعت فى « المصيدة » هى اللادى كارولين لامب . فقد أحبت هذه المرأة الورد بيرون إلى حد الجنون — الجنون بكل ما فيه من خروج على المألوف واستهتار باللياقة . فان اللادى كارولين لامب قد لقيت فى علاقاتها الغرامية ببيرون كل ما يمكن أن تلاقيه امرأة من احتقار ومذلة وهوان وعذاب الهم . وكانت العاشقة المسكينة المجنونة تهيم على وجهها فى الليالى وقت الشتاء باحثة عن الشاعر الجميل منتظرة ساعات عديدة أمام الابواب وتحت النوافذ والعرفات ، خروجه من منزل هذه أو تلك من غريماتها فى الحب . وكان بيرون يخرج من مغامرته ويرى اللادى كارولين لامب فى انتظاره فى الشارع فينهال عليها ضربا ويضربها بالشتائم والمسبات فتنطرح على قدميه وتغمرهما بالقبلات !

وقد هددته مرة بأنها ستنتحر فقدم لها خنجراً بديع الصنع مرصعاً بالحجارة الكريمة وقال : « تفضل ! »

غير أن الحاح ذويه عليه بأن يتزوج ويعيش عيشة هادئة حمله في النهاية على البحث عن المرأة التي يستطيع أن يباشرها معاشرة زوجية . وخيل اليه أنه وجد ضالته المنشودة في الفتاة أنابيلا ميلبنك وريثة أسرة وثروة الشريفة الغنية . فتزوجها في سنة ١٨١٥ . وكان في السابعة والعشرين من عمره وكانت أنابيلا في الثالثة والعشرين

لكنه أساء التصرف معها كما أساءه مع بقية النساء . وعاملها معاملة خشنة قاسية . وجعل يخونها مع كل امرأة تجمعه بها المصادفة . فلم تطق الزوجة صبراً على هذه الحياة النكدة . ومامضت سنة على زواجهما حتى عولت على هجر الزوج الطائش ، ونفذت ماعولت عليه ، باحثة عن الراحة والعزاء في عزلة عن اللورد الشاعر صياد النساء

وندم بيرون على ما فرط منه نحو زوجته ، ولكن بعد فوات الوقت . فقد رفضت أنابيلا أن تعود الى كنفه . ونظم بيرون تلك القصيدة الخالدة التي وضع لها عنوان : « الوداع ! » والتي جعلت مدام دى ستال تقول إنها تود لو كانت هي اللاهي بيرون لكي يقول فيها اللورد ما قاله في زوجته

وانفجرت موجة السخط على اللورد بيرون في انجلترا ، على أثر ما حدث بينه وبين زوجته ، ولامه الناس على سلوكه الشائن ، وحملوا عليه حملة شعواء . فهجر بلاده على ألا يعود اليها

رحل بيرون الى الخارج . وهناك نسى سريعاً الزوجة التي أسف في بادىء الامر على فراقها . فعاودته غريزته الطبيعية وانغمس من جديد في حمأة الغرام الفاسد

أحب في ايطاليا عشرات النساء ، بل إن عشرات النساء هن اللواتي أحببنه . وكان الاقدار شاءت أن تنتقم من « نيرون الحب » فأرسلت اليه امرأتين : الاولى لتعذيبه والثانية لاحياء عاطفة الحب الصحيح الحقيقي في صدره

أما المرأة الاولى فهي مرغريتا كوني التي أحبت بيرون والتي يؤكد الشعر أنه احبها . وقد تكون هذه المرأة الوحيدة التي لم يرفع بيرون يده عليها ، بل هي التي كانت تضربه !

وقد تخلص منها بحيلة وفر من البندقية هارباً منها وكتب الى أصدقائه يقول : « ان مرغريتا كوني هي الوحيدة بين النساء التي غلبتني ! »

حينئذ التقى بيرون بالكونتس تريزا زوجة الكونت جيتشيولي الشيخ ، تلك المرأة الرقيقة الشعور الفياضة العواطف التي علقت بحب الشاعر الجميل منذ اللحظة التي أحدثته فيها عينها . فضحت في سبيله بكل شيء وهجرت أهلها وزوجها وقصورها لتلحق به

لكن أسرتها أرغمتها على العودة الى زوجها فأصيبت الكونتس بداء قاتل . وعند ذلك حدث حادث يصعب على العقل أن يصدقه ، فقد أسرع الكونت جيتشيولى الى اللورد بيرون راجياً منه أن ينجده ويقيم معه فى قصره بجانب زوجته التى تحبه !

وكانت الكونتس جيتشيولى آخر امرأة أحبت بيرون ، وكان هذا الغرام الوحيد الذى جعل قلب الشاعر الخالد يخفق بالحب الحقيقى الذى تخفق به قلوب العشاق

فقد قال بيرون عن الكونتس تريزا المسكينة : « هى المرأة الوحيدة التى أحببتها — وكانت الاخيرة ! »

أما علاقاته بأخته من أبيه (أوغستا بيرون) فاننا نكتفى بالاشارة اليها دون الدخول فى التفاصيل ، فان بيرون قد أعاد الى الاذهان بغرامه هذا ما كان شائعاً عند قدماء المصريين والمديين والعبرانيين وغيرهم من الشعوب حيث كان الاخ يتزوج أخته . . .

وقد وضعت أوغستا بيرون طفلة سمتها « ميدورا » هى ثمرة الغرام بين الاخ والاخت

أما زوجة الشاعر فقد ولدت له ابنة اطلق عليها اسم « ايدا » ولكنها لم تعش طويلا ، فقد ماتت تلك الابنة التى لم تعرف اباها عندما كان بيرون يحارب فى صفوف اليونانيين ويجاهد فى سبيل تحرير اليونان

كتبت اليه أميليا المسكينة تنبئه بوفاة وحيدته ، فوصله خطاب زوجته فى اليوم الذى أسلم فيه الروح ، فى مدينة موسولونجى ، أى فى الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١٨٢٣ وهو فى السادسة والثلاثين من عمره

* * *

كفر بيرون عن سيئاته بمحو السيئ مما قام به من أعمال فى ميدان السياسة والحرب وبالتضحية السامية التى أقدم عليها مختاراً فى سبيل تحرير الشعوب ونجدة الضعيف المظلوم ، فغفر له الناس شيئاً فشيئاً فضائحه الغرامية ودونوا اسمه فى صفحة الخلد من التاريخ جنباً الى جنب مع أعلام الشعر وأبطال الاستقلال

حبيب جاماتى

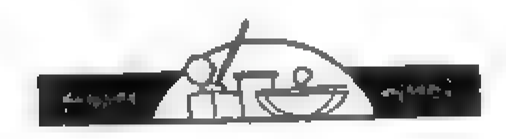

الفرزدق

شاعر الفخر والهجاء

بقلم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندرى

نشرنا في العدد الماضي القسم الأول من هذا البحث . وقد اشتمل على نشأة الفرزدق وبيته وأخلاقه وكيف قال الشعر والأوصاف العامة لأسلوبه الشعري . وفيما يلي تتمة هذا البحث المفيد

أغراض شعره

أم الأغراض التي يرمي اليها شعر الفرزدق ثلاثة : الهجاء ، والفخر ، والمدح

هجاؤه

الباحث عن أخبار الفرزدق يعرف أن الهجاء فطرة فيه منذ كان ، وفيه يبذل جهد نفسه وزبدة تفكيره وأغرب معانيه ، إذ كان يقوله عن حنق وتغيظ وإرادة نكاية وتنكيل بالخصم على أي صورة وبأي لفظ ، فخلع فيه عذار الحياء ، وصرح بما لا يبيحه شرع ولا أدب ، واضطره الهجاء الى تتبع عورات خصومه وسقطاتهم والمعرات التي لصقت بآبائهم في الجاهلية وقلة غنائهم أو عجزهم في الاسلام . بخلاف مدحه الناس فانه كان يقوله مخادعة للممدوحين واحتيالا لاقتناص أموالهم ، ولذلك كان هجوه أبلغ من مدحه وأعظم أغراضه

وكان سليط اللسان لا يبالي من يهجو سوقة أو أميرا . هجا هشام بن عبد الملك ، وهجا ابن هبيرة والي العراق ، وهجا خالداً القسري والي العراق ، ولكنه لم يجسر أن يهجو زيادا في حياته ، وهو الذي أقض مضجعه أعواما وشرده كل مشرد ، إذ كان جباراً إذا ظفر به لم يعدل بضرب عنقه شيئاً ، وانه كان يتحرج في هجوه الرحمة أو الخوف من قومه تميم

ولما ابتلي بمهاجاة جرير وجد فيه مطعنا من ضعة أبيه ورهطه كليب كما وجد فيه جرير مطعنا من فجراته وأخنائه ، ولم يستطع أن يرمي جريراً بمثلبة لعفته ودينه . فكان يعير جريراً بأنه يفتخر بغير آبائه الأدنين ، ويعدل بهم الى أجداده الأعلين من بني يربوع ، ويسب كليبا وبني الخطفي بأنهم سود كالجعلان ، وأنهم تنابيل قصار ، وأن أعينهم تنام عن الأوتار ، وأنهم رعاة حمير وغنم ، وأنهم أذلة ينزلون شر مكان ، وأن عمات جرير وخالاته كن خوادم للفرزدق يحلبن عليه عشاره كالاماء ، ونحو ذلك من كذباته . وطال تهاجيهما وجد كل منهما أن ينقض مقالة الآخر فيه على وزنه وقافيته . وصدرت عنهما في ذلك نقائض طائلة هي أطول قصائدهما ،

وأربى بعضها على خمسين ومائة بيت مما حمل الرواة وعلماء الأدب أن يفردوا لها كتباً خاصة

ولم يكتف بهجاء الأحياء حتى هجا الحجاج ميتاً ، وقد عاش فى معروفه بعد موته ، ولِيمَ فى ذلك فقال : «نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه انقلبنا عليه» . وهذه النقائض وان حوت من أرفاثها وأخبائها ما تعافه النفس وتقذى به العين فقد اشتملت على ديوان عظيم من أخبار العرب وأيامها ووصف عاداتها ومعيشتها وأخلاقها ومسارها ومباهيها فى جاهليتها لم يماثله شىء ، ولولاها لجهل كثير من أحوال العرب . فهى من جهة بمنزلة سجل صحيح وديوان جامع للمؤرخين والأدباء لا تقبل طعناً ولا نقضاً ، وهى من جهة أخرى تثبت لنا أن الاسلام عند أهل البدو نسخ وثنيتهم وشركهم وطبعهم بطابع التوحيد والعبادة ، ولكنه لم ينسخ فيهم كل النسخ عادة التنابز بالالقاب وحب الانتقام وشن الغارات والمغالبة بالهجاء والسباب والافتراء على المحصنات وعدم الاستحياء من التصريح بألفاظ السب دون تكنية ، مما كان لقاح فساد لما أتى بعدهم من مجان الدولة العباسية وخلعائها بالكوفة وبغداد

فخره

كما طبع الفرزدق من طفولته على الهجاء طبع على حب الفخر . والفخر طبيعة فى العرب منذ الجاهلية ، وجاء الاسلام فخفف من سورتها فى أهل الأمصار . وبقيت كامنة فى البداة تشتعل نيرانها أحياناً وتخمد أخرى حتى غشت مدة العرب . وانطفأت جذوة سلطانهم ، وغلبتهم الأعاجم على ملكهم فمن استخذى منهم لسلطان العجم انقرض وانقرضت معه حماسته ومن أنف منهم ملكة العجم تراجع الى الصحارى أو الى بلاد جزيرة مهدهم القديم

نشأ كل من الفرزدق وجرير وعمرا طويلا فى عصر كانت العرب فيه فى قمة العز وبسطة السلطان يمتد ملكهم من تخوم الصين الى أرباض باريس ، وخضعت لهم جبابرة الأرض وهابتهم كل ملوك المعمورة . وقد تنازعوا على الملك واستحقاق الرياسة ، فمن فاته منهم شرف النبوة والخلافة تطاول الى الرياسة بشرف العشيرة وكثرة العديد وسابقة آبائه ورياستهم فى الجاهلية . وكان الفرزدق من هؤلاء : كانت تميم من أكثر قبائل مضر عدداً وأعظمها أياماً ، وكان بنو دارم قوم الفرزدق من أكثرها مالا وأعظمها جاهاً وكرماً ، وكانت تميم جبالة فى كل مضر قمة العرب

فلما فاق جرير والفرزدق كل شعراء مضر وفرع الفرزدق جريراً بحسبه وشرف آبائه وغنائم ، أذكى كل ذلك غريزة الفخر فيه ووجد أمامه من طوله لا يلبث أن يذرب فى المفاخرة ، ووجد جرير سبيل الطعن فى آبائه الأعلين مسدوداً ـ فأنحى عليه أفيكة قيل إنه اخترعها ، وقيل إنه سبق بها ، فنفى غالباً أبا الفرزدق ، من صعصعة وزعم أنه ابن عبد حماد يسمى جبيراً كان

لصعصعة فخربه ، فشمت فيه زوجته أم غالب ، فاتهمها صعصعة به . فأكثر هجائه يدور على أنه قين ابن قين ، وقد نسب اليه كل ما يتعلق بهذه الصناعة ، ولم يكتف حتى جعل مجاشعاً كلها قيوناً أى حدادين ، واسترسل فى الكذب عليه معتمداً على مثل العرب فى قولها :

قد قيل ماقيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتـــذارك من قول اذا قيلا

ولم يكن الفرزدق على كثرة فخره قصيدة مستقلة فى الفخر بل كان يسوقه فى عرض هجائه لجرير وغيره ، حتى صار ديدناً له يقوله فى كل موضع حتى الرثاء وحتى مدائح الخلفاء

ومن غريب انطباعه على الهجاء ، وتوقحه فيه أن عماً له كان قد وفد على معاوية بن أبي سفيان فى خلافته فى وفد تميم ، وكان عثمانيا ، فأعطاه مائة ألف درهم ، فمات وهو عند معاوية ، فضم معاوية ماله الى بيت المال ، فجاءه الفرزدق وهو بعد شاب ليس له سابقة فضل ولا غناء فى حرب ، فطالب معاوية بميراث عمه بقصيدة هدده فيها وفخر عليه بأبيه غالب وجده صعصعة وفضلهما على عبد شمس وعبد مناف وعلى قصى بطل قريش وجامع شملها

وأغرب من تهديده ووقاحته حلم معاوية عليه واعطاؤه ميراث عمه مع أنه كان فيئة من ماله . فذهب الفرزدق به الى البصرة ، ولم يعط بقية الورثة منه إلا ثلاثين ألفا . وذلك ما أحفظ زياداً عليه وتربص به مصيبة يرهقها به ، فما هو إلا أن هجا بنى نهشل والفقيميين واستعدوه عليه حتى طلبه ليوقع به فهرب وبقى مشرداً طريداً حتى مات زياد كما مر آنفاً

وأكثر فخر الفرزدق بأن آباءه كانوا كراماً يقرون الضيفان ، وأن صعصعة أحيا الموءودات ، وأن أجداده انتصروا فى يوم كذا ويوم كذا من أيام الجاهلية ، وأنهم قادة الجيوش وحكام العرب وخطباؤها وفصحاؤها ، وأنهم أسروا فلاناً وفلاناً وقتلوا فلاناً من فرسان العرب وسبوا النساء ونحو ذلك . فيناقضه جرير بوقائع أخرى هزمت فيها قبيلة بنو دارم وأسر فيها أبطالها وسبيت فيها نساؤها ، ويذكرهم آباءه الاعلين من بنى يربوع ممن لايقلون فى شرفهم عن عظماء دارم

مديحه

جاء الاسلام والتكسب بالشعر حرفة عرفتها العرب واصطنع صنعتها أشرافها وضعفاؤها ، فلم يأنف زهير والنابغة الذبيانى وحسان وهم من الاشراف أن يمدحوا السادات والملوك ويقبلوا جوائزهم ، وشرف بها سفهاؤها وأخلاطها ، فنصروا بها أحياناً وشقوا بها أحياناً ، من أمثال أعشى قيس والحطيئة العبسى . فأقر الاسلام هذه الحرفة اذا كانت دفاعاً عن حق ورداً لباطل ودعاء الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونهى عن امتداح المرء مدح نفسه . وحمل استماع رسول الله (ص) الى مديح كعب بن زهير وحسان وغيرهما من شعراء الصحابة على أنه اعلاء

لشأن الاسلام الآتى على لسان رسوله ، والقرآن نفسه فيه مدح لرسول الله وثناء عليه ، وكل أنواع العبادة من الصلاة والأذان والاقامة لا تخلو من مدح رسول الله ، ومدحه هو مدح للاسلام ، فالثناء عليه مأمور به من الله تعالى

وظل مسلمو الصدر الأول والصحابة على هذه السنة زمن الخلفاء الراشدين . فلما آلت الخلافة الى معاوية ترخص فى استماع المديح لحاجته الى الاشادة بخلافته وتأييد دعايته ، وحاكاه بنو مروان حتى بعد تأثل ملكهم ، إذ كانت الدولة والسلطان فى كل زمان فى حاجة الى نشر فضائلها والدعاية الى التمسك بطاعتها بقوة الفصاحة والبيان وإذاعة فضلها فى كل مكان . وكان الشعر وروايته فى هذا الوقت بمنزلة الجرائد الجوائب فى هذه الأيام . وليس الخلفاء والأمراء وحدهم هم الذين كانوا فى حاجة الى نشر فضائلهم والتنويه بشأنهم ، بل كان ذلك أيضا من أهم ماتصبو اليه نفوس رؤساء العشائر وقواد الجيوش وكل من يرشح نفسه الى زعامة أو منصب

ولما ضرب الاسلام بجرانه فى الأرض وكثر الرؤساء والقواد والأمراء والولاة من العرب وموالى العرب من قبائل ربيعة ومضر وحمير وكهلان قصد كل شاعر أمير قبيلته وخطيبها ومدحه . فاذا نبه شأنه وعلا كعبه فى الشعر صار شركة للجميع ، واستشرف كل الى مدحه من الخليفة الى السوقة ، وهابه الناس وبجلوه وصانعوه اتقاء هجائه ، فإن كان مع بلاغته وفصاحته وجودة مدحه هجاء لذاعا زادت هيبتهم له وترضوه بما شاء

فلا جرم أن يشتهر الفرزدق وجرير بهذه الصنعة وبينهما التعادى والنضال وسب العشيرة فى سبيلها ولو كانا ذوى قربى ومنبت . وهؤلاء الشعراء الاسلاميون يربو على مدح شعراء الجاهلية بوصف الممدوح بناصرة الاسلام وحبه والائتمار بأوامره كما قدمنا ، ولكنهم يتفاوتون فى تزيين هذه الصفات وتنويعها بألوان مبتكرة وصور من الكلام مبتكرة

وقد أقر كل من جرير والفرزدق بأن الأخطل سبقهما فى حلبة المدح . ومن رأى الكثير من أهل الأدب أن جريراً يأتى بعده فى غير ما يرضى الملوك ويهش لهم نفوسهم ، وأن الفرزدق يجىء بعد جرير لا لأن الفرزدق يقل عن جرير فى تصوير المعانى وجزالة القول بل لأنه يرود القول فى المدح ومداهنه كلها فصار ولا يطيل إلا الهجاء . على أنه اذا مدح خلط مدحه بفخره ونعى على الخلفاء استماعهم كلامه ولو كان جيداً . وكان جرير يعرف ذلك منه فاذا اجتمعا على باب خليفة وخرج الآذن لما قدمه جرير على نفسه لعلمه أنه قليل المدح كثير الفخر . فاذا دخل بعده افاض فى المدح وأوجز فى غيره . واذا مهد للمدح بالنسيب جاء به رقيقاً عذباً يعيد فى الممدوح الكهل ذكرى الشباب وينشط فى الشاب قوة الطرب

دخل الفرزدق على الخليفة سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق : « أنشدنى » فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم   لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم   الى شعب الأكوار من كل جانب
اذا ابصروا ناراً يقولون ليتها   (وقد خصرت ايديهم) نار غالب

فاسود وجه سليمان وغاظه فعله فلما رأى نصيب ذلك قال : « ألا انشدك ؟ » فانشده :

أقول لركب قافلين لقيتهم   قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني   لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله   ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

فسأل سليمان الفرزدق : « كيف ترى ؟ » فقال : « هو أشعر أهل جلدته ! » فامر سليمان بصلة لنصيب وحرم الفرزدق وقال : « ألحقوه بدار أبيه ! » فخرج الفرزدق وهو يقول

وخير الشعر أكرمه رجالا   وشر الشعر ما قال العبيــد

احمد الاسكندرى

في ذمة العشاق

أنا ما [illegible] ولا سهرت [illegible]   [illegible] [illegible] وحدت الأيامُ
ميي وبيت لا اللواعج تعلق   يوماً ولا عين الرقيب تنام
تشكين من سم وشكو من أسى   والعشق [illegible] [illegible] وسقام
لا القلب يصبر عن هواك ولا أنا   سالٍ وذاك الجرح لا يلتامُ
في ذمة العشاق ذكر صبابة   تبق ونمى دونها الاعوام
الله في كبد ألم بها الأسى   والوجد واستحكمت بها الآلام
شمت الوشاة بها وأي حشاشة   سلمت ولم يشمت بها اللوام
لم يبق بعد نواك غير تنهد   حهد المحب تنهدٌ وهيام
إن كان سعيي في هواك جريمة   عند الوشاة فحبذا الاجرام
بأبي التي كثرت ذنوبي باسمها   عداً وضاقت دونها الارقام
في منك ما بك من صبابة وآلام   ان تنطقي فعلى الشباب سلام

سليم عبد الاحد

احتضار الشباب

راح شرخُ الشباب يركض ركضا

حاملاً في الشباب من كل غضّا

أيه العمرُ عهدتُه فلما اشـ

ـتدّ جاءها يحاول نقضا

حلمها نجاةٌ لها الله ذابا

دبّ في الليل يبتغي غضّا

نزع السحرَ من جفوني فصحت

لحظاتي من بعدِ ما كنّ مرضى

راعه خاتمُ الصبابةِ في خد

يَّ حتى استطير غيظاً وغضّا

مُ بالقلب موجعاً ينتحبه

جلداً بأسه حتى ان يقضا

وإذا القلب يشحب الخد والجبـ

ـين [illegible] فمعا

أسلم القلبِ عند شدةِ ذلك الـ

ـحزنِ إجلالاً ساعة ثم أغضى

• • •

يا شباباً حملتُه فوق ما في

وسعِه حاملاً فما استطاع نهضا

رُبّ جرمٍ اتيتُه إنما جنـ

ـبك قد جئتني عليه وحضا

نحن في الذنب يا شباب شريكا

ن فإن لمتني فأقصرْ وغضّا

بشر فارس

أشرب الكأس فأحن الى الجدول ، وأشرب الجدول فأحن الى الينبوع ، وأشرب الينبوع فأحن الى البحيرة ، وأشرب البحيرة فأحن الى البحر ، وأشرب البحر فأحن الى انهار الجنة .. اي أحن الى الماء الذي هو الماء ... الماء الذي يسترسل جميع اطراف النفس مجموعا .. الماء الذي يقتل الظمأ قتلا فلا يطلب الانسان بعده شيئاً آخر .. انظر الى [illegible] كيف اضمر رياً :

على مفترق الطرق

بقلم الاستاذ راجي الراعي

ضحكت فلم أطرب . . . وبكيت فلم تشف الدمعة غليلي بل زادته سعيراً . . .

آمنت فتوسط العقل طريقي يقول لي : أين تسير بين إيمانك العمياء ؟ ... أين عيني في وجهك ؟ . . . وكفرت فارتعشت في ضعفي ونقصي أمام الحياة كل التي هدمتها يدي

سجدت بين ذراعي امرأة ، ثم ملكتها فهدت قواي وتركتني أتخبط في ساحة الحياة كالجندي الذي [illegible] ، فررت من حسنها [illegible] آوياً إلى العزلة أكتب وأخطب وأنظم الشعر [illegible] بين الشهوة [illegible] ، [illegible] رأسي من اعباء الواجب ورزح قلبي تحت أثقال [illegible] ، [illegible] على [illegible] التي أهنتها من دمي ورجولتي ! . . .

شربت الخمرة فأضعت عقلي . . . وصحوت فأضعت حبي . . .

صعدت إلى قمة جبل فصببت قمة ثانية ، [illegible] أطلب الثالثة ، وظللت أصعد من جبل إلى جبل حتى بلغت أعلى قمة لأعلى جبل فلم تهدأ ثورة أطماعي ، فعشقت القمر والشمس والنجوم ثم هبطت من قمة علائي إلى السهول والصحارى ، فأحسست ما يحسه الملك المخلوع عن عرشه المتخلي عن تاجه وعشقت الأعماق وأقلقتني قناعتي ! . . .

سكت فاحتجت علي البراكين تطلب أن أشق طريقي في الفلاة ، فصرحت صرختي فأنبتني الحكمة وصاحت بي : ألا اعتدل واسكت فالسكوت من ذهب وتأمل فالتأمل من شيمة العظيم . . .

عدلت فأصبح نصف الناس أعدائي ، فظلمت فتناول الضمير حتى بحبال الضحايا . . .

قمت فنعتوني بالهوس ، فأحجمت فقالوا . يا له من جبن !

فكرت في أمسي فاشرأب إليّ بعنقه يومي، فأقبلت على يومي فسلبه مني غدي ...

أمت فخمدت وتداعى بناني، فأقبلت عليّ الحاجة تهز أركاني وتدعوني إلى الجهاد ...

جمعت المال فاستعبدني سلطانه وسجنتني قصوره، فطرحته في البحر وعدت الى الفقر والكوخ فأخذت أحلم بالثروة والرفاهية ...

بنيت بيتي فوجدتني سجيناً بين اربعة جدران، فأطلقت ساقي للريح وافترشت الصحراء لأتذوق طعم الحرية وأطلقت نفسي من ربقة الحجر، فزّ بي الشوق فسرقني ولحقت بي القيود فأعادتني الى جراحاتها التي لا تموت ! ...

أحسنت الى الناس فكثرت على شرورهم، وأسأت الى الناس فارتدت سهامي الى نحري ! ...

صبرت فدفنت ذاتي وشخصيتي، وخرجت عن صبري فأيقظت عدواني وندمي ...

تجبرت فسحقني تجبري، وأصبحت وادعاً فعشت في الذئاب براثنها القاتلة ...

رقدت فأضعت ليلي، وعدت الى النور فأعمت ...

فيارب ما هذا الأمر الذي يعتريني ... وما هذا المستقبل الذي يرددني ... وما هذه الحيرة التي أتخبط فيها ؟ ... ولم أوقفتني على مفترق معرق لا أدري أي طريق أسلك ولا على أي مذبح أضع قرباني ؟!

لقد وضعت في يدي قيثارة كلما نقرت على وتر منها ملّت نفسه فنقلت الى وتر آخر ...
وسأقضي الحياة وأنا أفتش عن نشيد ... نشيد كاملاً يطربني ويبكيني ...

لقد عشت حتى اليوم مضطرباً. فما هذه العواصف الهوج في صدري تهز أعماقي ؟!

أي شيء اريد ... أية كأس اشرب ... أية كأس إذا شربتها أعتقني من ظمائها وبردت أحشائي ؟!

أشرب الكأس فأحن الى الجدول، وأشرب الجدول فأحن الى الينبوع، وأشرب الينبوع فأحن إلى البحيرة، وأشرب البحيرة فأحن الى البحر، وأشرب البحر فأحن الى انهار الجنة...
اني أحن الى الماء الذي هو الماء ... الماء الذي يستوعب جميع اطراف النفس فيرويها ...
الماء الذي يقتل الظمأ قتلاً فلا يطلب الانسان معه شيئاً آخر ...

انظر الي ياخالقي كيف اقف حيرناً على مفترق الطرق حائراً ... انظر الى واهدني ...
مزق ضبابي وأخرجني من عواصفي ...

أملك ثم اعاف ملكي . . . وأشرب ثم أحطم كأسي . . أبني باليد الواحدة وأهدم باليد الاخرى ما أبني ! . . .

انا بين الظلمة والنور كرة تتلقفها الاهواء !

انا امام الشمس والقمر اضحوكة الاقدار وسخرية الاسرار !

انا . . . وهل لك بين امجادك وابراقك وساعاتك متسع من الوقت لتصغي الى وترأني وتقول لي من أنا ؟ . . .

انك لم تعطني النور عبثاً ! . . .

ان الله لا يشتغل عبثاً ! . . .

قل لي : ما هو هذا الشيء الذي من اجله اعطيتني النور ؟ . . .

قل لي . . . قل لي . . .

راجي الراعي

تحت صورة

بريشة رسام

بائسٌ خانه الزمان فأمسى	يصحب اليأس مستطير الجنانِ
أكل الدهر ماله وبنيه	ورماه لطارىء الحدثانِ
فتلقاه جيش خطبٍ فنادى	لا أحبه وحدنه أدركاني
فالثرى خذنه وبات عدواً	حينما صار في مجال الطعنِ
واخوه رأى الفرار نجاة	فأضاعه بين شهب السنانِ
فأخو المرء والصديق إذا ما	عمّ خطبٌ مداهمٌ غادرانِ
ليس في الناس لو علمت امانٌ	فاحذر الغدر من بني الانسانِ

طاهر الطناحي

في الادب الصيني

القصة وتطورها بين القديم والحديث

في القرن الحادي عشر للميلاد كان يجلس على عرش الصين الامبراطور « جن تسونغ » الذي يعده الصينيون من خيرة اباطرتهم ، والذي يقول عنه مؤرخوهم إن عهده كان عهداً سعيداً . وقد ملك جن تسونغ من سنة ١٠٢٣ الى سنة ١٠٥٦ الميلادية

وكان ذلك الامبراطور يحب شعبه حباً جماً ، ويرغب في الاطلاع على أحواله ، ومعرفة ما يحدث في اطراف امبراطوريته الشاسعة ، وكشف الستار عن خفايا التاريخ والعادات والتقاليد في الصين ، فكان يفتح أبواب قصره للناس ، ويدعو الى مجلسه كل من حل في ذلك العهد قلما وعرف في البلاد بسعة اطلاعه ، فيتربع الامبراطور على سرير ملكه ، ويصغي الى جلسائه وهم يقصون عليه ما يعرفونه من حوادث ونوادر ووقائع

واطلق الناس على مجالس الامبراطور اسم « سيارتشو » أو « الثرثرات » أو ايضا « الاقاصيص الصغيرة » ، وقد التقط بعض من كانوا بارعين في تدوين تلك الاحاديث طائفة من الاقاصيص التي كان الامبراطور يسمعها كل ليلة ، وجمعوها في كتاب يشبه من بعض وجوهه كتاب « الف ليلة وليلة » .

فالقصة الصينية . كالقصة العربية . وليدة تلك السهرات التي كان يحييها الامبراطور جن تسونغ في قصره ، ويرجع تاريخها بذلك الى القرن الحادي عشر للميلاد

وكانت الاقصوصة الصينية . في بدء عهدها . تشبه أيضا الاقصوصة العربية ، من حيث الموضوع والاسلوب . فان الاقاصيص الصينية الاولى تذكرنا بحوادث السندباد البحري ، التي يتغلب فيها الخيال على الحقيقة . فان المكان الاول فيها للعفاريت والمردة والسحر وعجائب المخلوقات والمغامرات التي لا يصدقها عقل . غير أن لكل ذلك في الاقاصيص الصينية اسماء اخرى غير اسمائها في الاقاصيص العربية كألف ليلة وليلة وغيرها

وظل كتاب الاقاصيص في الصين محافظين على اسلوبهم الخيالي مدة طويلة . الى أن بدأت الصين تخرج من وحدتها وعزلتها ، وبدأ الصينيون يسافرون الى الاقطار الشرقية المجاورة ، أو الى أوربا ، ويتعلمون اللغات الأخرى ، ويتأثرون بما فيها من أنواع الادب وتعدد الاساليب

ففي القرن التاسع عشر ، جعل الكتاب في الصين ينظرون نظرة جديدة الى « القصة والاقصوصة » ويعدونهما وسيلة من وسائل التعليم والدعاية ، وكانوا من قبل يعدونهما فقط

وسيلة من وسائل التسلية ، ولا يجعلون لها مكانة تذكر في دائرة الادب

وفي أوائل القرن الحاضر أخذ أعلام الادب في الصين يكتبون الاقاصيص الدينية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية ، فيدافعون فيها عن رأي أو يحاربون فيها عادة ذميمة أو يدعون فيها الى الاخذ بالحضارة الحديثة

وعند الصينيين طائفة من القصص الطويلة التي تشيد بذكر الابطال والفرسان ، وهذه القصص تشبه من بعض الوجوه أخبار قصة عنترة بن شداد والزير سالم وغيرهم من القصص الشعبية العربية ، مع هذا الفرق العظيم وهو أن أبطال القصص الصينية وهميون لا أثر لهم إلا في مخيلة واضعي القصص ، في حين أن ابطال القصص العربية ليسوا كذلك . وان واضعي هذه القصص قد بالغوا في وصف الحوادث وجعلوا على حد قول المثل « من الحبة قبة » .

ولعل اشهر القصص الصينية هي المعروفة بقصة « السواحل » التي ظهرت في القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يعرف مؤلف هذه القصة فان المؤرخين الصينيين لم يتفقوا في ذلك وكل منهم يذكر اسم مؤلف . ويدعي بعضهم أن « قصة السواحل » من وضع طائفة من الكتاب في ذلك العهد

وليس لقصة السواحل هذه بطل واحد ، بل لها مائة وثمانية أبطال . جميعهم من كبار اللصوص ، كانوا من قبل اشرافاً نبلاء ، ولكنهم تحولوا الى قطاع طرق ، فعاثوا في الارض فساداً ، واقاموا حكم الارهاب في جزء من الصين . والمؤلف يسمي أبطال روايته « فرسان الغابة الخضراء » ومعنى هذا التعبير باللغة الصينية « قطاع الطرق » .

ولكن أولئك اللصوص كانوا يظهرون احياناً عواطف نبيلة وينتصرون للضعيف على القوي ويحاربون الظلم والارهاب . وهم الطائفون الناحية هم من هذه الناحية يشبهون « اللصوص الشرفاء » الذين نقرأ عنهم في كتب الغربيين امثال فانتوماس وروكامبول وسنكلير وارسين لوبان وغيرهم

وقد تناول « لمزاك » الكاتب الفرنسي الخالد قصة « السواحل » التي نحن بصددها فلخصها باللغة الفرنسية وقارن بينها وبين طائفة من الاقاصيص الفرنسية والانجليزية والالمانية فاذا بالشبه عظيم بين هذه وتلك . واذا بالقصة الصينية التي وضعت في القرن الرابع عشر تسرد حوادث يخيل الى من يطالعها أنه يقرأ مغامرات اللصوص الاشراف في القرنين التاسع عشر والعشرين !

وأبطال القصص الصينية أقوياء اشداء مثل غيرهم من أبطال القصص الغربية والعربية . فالواحد منهم يضرب عدوه بسيفه فيشطره شطرين ويهجم على كتائب عديدة فيمزقها تمزيقاً ويشرب من النبيذ فيجف النبع قبل أن يروي البطل ظمأه ويأكل خروفاً ويطلب المزيد !

وعلى أثر ظهور «قصة السواحل» هذه ظهرت قصة ثانية ما تزال الى الآن من أشهر القصص الصينية أيضاً وهي قصة «الممالك الثلاث» التي جعلت هذا النوع من الادب يتطور نحو «القصة التاريخية» ويخطو في هذا السبيل خطوة واسعة الى الامام، بل إن قصة «الممالك الثلاث» هذه تعد فتحاً جديداً في علم الادب الصيني، ويقول المؤرخون الصينيون انها أول كتاب تاريخي ظهر في بلادهم وفتح الباب على مصراعيه امام المؤرخين انفسهم

فقصة «الممالك الثلاث» من هذه الوجهة تشبه مؤلفات كاتبين معروفين في الشرق والغرب: اسكندر دوماس الكبير، وجرجي زيدان. وهما اللذان كتبا التاريخ في قالب قصصي وعرفا كيف يمزجان بين الحقائق التي لا بد للمؤرخ أن يحترمها بوجه عام والخيال الذي لا يمكن «للقصاص» الروائي أن يقوم بمهمته دون أن يطلق له العنان. فقصة «الممالك الثلاث» الصينية هي من حيث النوع «كالفرسان الثلاثة» لدوماس الكبير. أو كقصص التاريخ الاسلامي لجرجي زيدان

أما في عصرنا هذا فان واضعي القصص والاقاصيص الصينية يرمون الى اغراض معينة معظمها سياسي أو اجتماعي. فاقاصيصهم مشبعة بروح الثقافة الاوربية العصرية التي يحاولون الآن حمل الصينيين على الميل اليها واعتناقها ظناً منهم ان هذه الوسيلة هي الوحيدة التي تمكنهم من الوقوف في وجه اليابان ومطامعها

مسابقة الهلال

وردت الينا طائفة كبيرة من القصص التي بعث بها حضرات الأدباء للاشتراك في مسابقة الهلال التي اعلنا عنها في الاعداد الماضية

وقد اجتمعت اللجنة المؤلفة من حضرات: الاستاذ خليل مطران والدكتور منصور فهمي والاستاذ مصطفى عبد الرازق لمراجعة هذه القصص وتعيين الفائز أو الفائزين.. وسوف ننشر نتيجة هذه المسابقة حالما تصدر اللجنة قرارها

الاسماء في مختلف الامم

هل يسمى الناس بالارقام في المستقبل

في هذا المقال يبحث الكاتب عن منشأ الاسماء ودلالتها بين الامم المختلفة في القديم والحديث، وعن الانظمة التي وضعت للتسمية في بعض الامم الغربية، وعن مستقبل الاسماء في هذه الامم، وعما اقترحه بعض الاميركيين على دولته من التسمية بالارقام

الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يعنى بالتسمية لان الحيوان لا يميز بين أفراد الجنس الواحد فهي جميعها في نظره سواء. ومع ذلك فقد اعتاد الناس أن يطلقوا أسماء الاعلام على المدن والانهار والاقطار، وعلى أفراد بعض الحيوانات أيضاً. واشتهر العرب بتسمية جيادهم بأسماء الاعلام كما يفعل اصحاب جياد السباق في هذه الايام، وكما يفعل بعض الناس إذ يطلقون الاعلام على ما يألفونه من الحيوانات كالكلاب والقطط وما أشبه

والأرجح ان التسمية من مميزات المدنية، وان الانسان في طور الهمجية لم يكن يسمي افراد جنسه بأسماء الاعلام. فلما تقدم قليلاً شرع في التسمية وحرص ان يكون في الاسم ما يشف عن «شخصية» المسمى وصفاته. وما يزال المتوحشون حتى الآن يستعيضون عن التسمية بذكر صفات المسمى ونوع قرابته من المتكلم ومن زعيم القبيلة أو ما الى ذلك. فيقولون مثلاً «الرجل الطويل ابن عم الزعيم» او «الرجل ذو العين الواحدة» وهلم جرا. وبعض المتوحشين يحجمون عن تسمية اولادهم بأسماء الاعلام خشية الارواح الشريرة لئلا تستحضر تلك الاسماء فتقبض ارواح اصحابها. ولاتقاء هذه المصيبة يلقبون اولادهم بصفات ذميمة كقولهم «القذر» و«القبيح» و«الدميم» و«الذميم» و«الجبان» و«الوغد» الخ. وفي قبائل اخرى من المتوحشين يسمى الطفل باسم يدل على حادث تاريخي «كالقحط» و«الحرب» وهما من الاسماء الشائعة حتى الآن وبخاصة بين شعب البازوتو بجنوبي افريقيا. وقد يستعمل بعض المتوحشين الكنية (وهي علم مصدر بلفظ الاب او الابن او الام او البنت) فيقولون ابو الماء وام الشجرة وبنت الحرب الخ. ومنهم من يغير اسم الولد اذا بلغ فيعطيه اسماً جديداً يظل مكتوماً الا عن الاخصاء، وقد يقام لمثل هذه التسمية احتفال خاص

واذا انتقلنا الى عصر المدنية نرى لاسماء الاشخاص علاقة بأسماء البلدان التي ينتمون اليها. وما يزال هذا النوع من التسمية شائعاً حتى هذا اليوم، ليس في اللغة العربية فقط بل في اللغات الاوربية ايضاً. يقولون فلان المصري وفلان الشامي وفلان الانجليزي، وما تزال اسماء الاسر العريقة

فى أوربا مأخوذة من اسماء الأمكنة أو المقاطعات التى ينتمون اليها . كدوق برنانت وبرنس أوف ويلز ومسيو دومارسك ولورد كرومر وهلم جراً

واذا رجعنا الى الازمنة القديمة نجد فى نظام التسمية عند الرومان شيئاً جديداً وهو بدء تعرض القانون العام للاسماء . فكان الرجل يعرف باسمه ولقبه كما هى الحال الآن . والاسم عندهم (Praenomen) مثل ماركوس واللقب (Nomen) مثل كاسيليوس. والمقطع «يوس» فى كاسيليوس وامثاله هو بمنزلة ياء النسبة فى اللغة العربية . وكان لكل اسم علم رومانى معنى خاص كاسم «جايوس» مثلاً فان معناه المسرور المنشرح . وكان الاولاد يعرفون باسمائهم فقط الى أن يبلغوا سن الرشد فيضاف الى الاسم اللقب ايضاً . أما البنات فكان يكتفى بتعريفهن بأسمائهن فقط حتى وفاتهن، الا اذا تزوجن فيعرفن بأسمائهن وأسماء سوولتهن معاً . يقال : « كورنيليا زوجة بليوس » مثلا . على أن بعض المؤرخين ينكرون ذلك ويقولون ان الاولاد كانوا يعرفون باسمائهم وألقابهم حتى قبـل سن البلوغ وإن بعض البنات كان يكتفى بتعريفهن بنسبتهن الى آبائهن . كأن يقال مثلا : « ابنة كاسيوس الكبرى او ابنته الوسطى او ابنته الصغرى » . فان تزوجت اعطيت اسما خاصاً يضاف الى اسم زوجها كما تقدم

وفى عهد الامبراطورية درج الرومان على اضافة وصف الى اسم الولد أو الشاب . ويعرف هذا الوصف فى القانون الرومانى باللقب (Cognomen) فكان يقال مثلا « بنيوس الجميل » و « ترتليوس الطويل » و « كلوديوس القصير » وهلم جرا . وبمرور الزمن أصبحت تلك الالقاب اسماء أعلام لتمييز أفراد الاسرة كما حدث فى هذا العصر . بل كثيراً ما كان اللقب ينتقل بالوراثة الى نسل الاسرة . وقد يتعدد اسم الشخص الواحد فيتألف من اسمه واسم أبيه ولقبه واسم عشيرته واسم وطنه ، كقولك « بوبليوس كورنيليوس سكيبيو اميليانوس افريكانوس » فالاول اسم الرجل والثانى اسم أبيه والثالث لقب أسرته والرابع اسم عشيرته والخامس اسم وطنه

وفى أوائل عهد المسيحية درج المسيحيون على تسمية أولادهم بأسماء القديسين والرسل والحواريين . ولما نظمت القوانين أصبح من الضرورى تعريف كل فرد باسمه واسم أبيـه أو لقب أسرته . وعند المعمودية يعلن اسم الولد للمعمد جهاراً فيصبح اسما معترفاً به قانوناً . ولا يستطيع الكاهن فى معظم البلدان رفض تسمية الولد واعطائه الاسم الذى يختاره له والداه ، فهما أحرار فى اختيار ما يريدانه ، الا أن هذه الحرية مقيدة بعض الشىء فى بعض البلدان كفرنسا والمانيا . ففى فرنسا ينص قانون ١١ جرمنال السنة الحادية عشرة من عهد الثورة ، على عدم جواز تسمية أى مولود بغير أسماء الاشخاص الذين ورد ذكرهم فى التاريخ وأسماء القديسين المسجلة فى تقويم الكنيسة ، أى أنه لم يكن يجوز لاحد ان يبتدع لابنه اسماً غريباً لم يعرف من قبل . وما يزال فى فرنسا حتى

هذا اليوم سجل رسمى (كشف) يحتوى على الاسماء التى يجوز للانسان ان يختارها لأولاده ، ولا يجوز الشذوذ عنها مطلقاً . وهذا السجل ينقح من وقت الى آخر باضافة اسماء جديدة أو بحذف بعض الاسماء القديمة . وفى المانيا وغيرها من البلاد الأوروبية قانون شبيه بهذا

وقد جرى العرف الحديث فى معظم البلدان أن الرجل يلقب باسم والده ،على ان بعض القوانين (كالقانون الانجليزى والفرنسى مثلا) يبيح للانسان أن يختار لنفسه لقباً غير اسم والده . فاذا أراد أن يغير اسمه ليشتهر باسم جديد فقوانين معظم البلدان تحتم عليه أن يراعى بعض الشروط لئلا يكون المراد من تغيير الأسماء الفرار من وجه القضاء أو من دين أو أى سبب آخر

ولم يكن للاديان فى الازمنة القديمة علاقة بالاسماء ، ولكن الحال تغيرت بعد ظهور النصرانية ، فأخذ المسيحيون يقلبون شيئا فشيئاً عن استعمال الاسماء الوثنية واليهودية ويختارون اسماء جديدة مع المحافظة على بعض الاسماء اليهودية ، ودرج المسلمون أيضاً على هذه الخطة وأخذوا يختارون ما يلائمهم من الاسماء مع الاحتفاظ بغيرها من الاسماء الشائعة عند أهل الاديان المنزلة . واليهود أيضاً أسماء خاصة وأسماء مشتركة . وفى الحديث : « خير الاسماء ما عبد ثم ما حمد » (بتشديد الباء والميم) أى ما اشتق من عبد وحمد كعبد الله وعبد الغنى وعبد القادر ومحمد واحمد ومحمد

ومن الاسماء المشتركة بين أهل الاديان المنزلة (اليهود والمسيحيين والمسلمين) ابراهيم ويوسف وسليمان وداود وموسى واسحق وزكى وسليم وتوفيق ويعقوب . ومن الاسماء الخاصة بكل دين من الاديان المنزلة ما تراه مدرجاً فى الجدول الآتى بالاختصار :

اسماء خاصة باليهود	اسماء خاصة بالمسيحيين	اسماء خاصة بالمسلمين
كوهين	بطرس	محمد
ليفى	ميخائيل	مصطفى
ابراهام	روفائيل	حسين
يشوع	حنا	على
نحميا	عبد المسيح	عثمان
اسكنازى	نقولا	اسماعيل
حزقيال	استيفان	ياسين
الياكيم	ميلانه	فاطمه
حانان	مارى	زينب

ومما يجدر بالذكر ان الاسماء كثيراً ما اشتقت من الحرف والصناعات ليس عند الشرقيين فقط بل عند الغربيين أيضاً . فهناك الحداد والخباز والنجار والزيات والفحام والحائك والفخارى والطبال

والزمار والحال والحلاق والدباغ والصباغ والخياط وما إلى ذلك من أصحاب المهن المختلفة . ومن الأسماء ما هو نسب إلى حي او قبيلة أو مكان ككيكي ومصري وشامي وبغدادي وصقلي وجرجاوي واسلامبولي وديراني . وهنالك أسماء تدل دلالة صريحة على الجنس كالاسماء الارمنية مثلا فجميعها تنتهي « بيان » كنكوتيان ومانوسيان وصرافيان . وفي بعض أنحاء الشرق يعرف الوالد بنسبته إلى أبيه فيقال ابن فلان ، ويعرف الرجل بابنه فيقال أبو فلان . واستعملت الكنى (جمع كنية) في مصر للدلالة على أسماء أعلام معينة . فأبو داود كناية عن سليمان ، وأبو درش كناية عن مصطفى ، وأبو السباع كناية عن اسماعيل ، وأبو علي كناية عن حسن ، وأبو حجاج كناية عن يوسف ، وأبو علوه كناية عن علي ، وأبو حميده كناية عن محمد وأحمد ومحمود ، وأبو خليل كناية عن ابراهيم وأبو عبده كناية عن كل اسم مصدر بعبد كعبد الله وعبد الرحمن وعبد الصمد وعبد القادر . ولا نجد مثل هذا الاتفاق على الاسماء في غير اللغة العربية . وفي بعض أنحاء قبرص أسماء يقال لها « قطن على صوف » أي انها مزيج من أسماء مسيحية وأسماء اسلامية كقولهم : ميخائيل محمد وجورج مصطفى ونقولا عثمان وهلم جرا . وفي بعض أنحاء لبنان أيضاً أسماء من هذا القبيل . وفي مصر عادة لانجد مثلها في مكان آخر وهي انك تجد أخوين يلقبان مختلفين . فأخو حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا يسمى محمد نجيب بك شكري . وأخو حضرة صاحب السعادة عبد العزيز فهمي باشا هو الاستاذ محمد عمر ولحضرة صاحب السعادة علي ماهر [illegible] باشا أخ هو صاحب العزة محمد بك نجيب . وللمرحوم عبد الخالق باشا ثروت أخ هو الاستاذ مصطفى رياض . وكان له أيضاً أخ آخر هو المرحوم أحمد بك كامل . ومثل هذا كثير جداً في الاسر المصرية وهو مما يدعو إلى الاسف لانه كثيراً ما يضيع نسبه لاسم الاسرة

ولما كانت الاسماء في العالم قد تعددت حتى بلغت مئات الالوف فقد اقترح أحد الاميركيين على دولته سن قانون للاستعاضة عن الاسماء بارقام معينة تلافياً لكثير مما يقع من الالتباس . ولا نظن أن هذا الاقتراح يقع عند الجمهور موقع الارتياح لان للاسماء دلالات خاصة لا يمكن أن يعبر عنها بالارقام . فضلا عن أن في التسمية بالارقام شيئا من الامتهان لانها تنزل الانسان العاقل منزلة الاشياء غير العاقلة . وأنت تعلم ان المسجونين في معظم أنحاء العالم يميزون بالارقام

ولا يتسع المجال لايراد خصائص الاسماء لكل قطر من أقطار العالم وإنما نقول بوجه الاجمال ان كل شيء في هذا العالم قد يتغير بسرعة تبعا لناموس النشوء والارتقاء الا الاسماء فانها ابطأ تغيراً من كل شيء وسيظل تطورها بطيئا مدى طويلا

حسن بلا احسان

هداكَ اللهُ للحبِ ولقّاكَ الذي ألقى
جمعتُ عليكَ آمالي فلم تَعرفْ لها حقا
سَلِ التنهيدَ ما أشقى وبَرْحَ الشوقِ ما أبقى
إذا مثّلتُ في خَلَدي سألتُكَ أحدٌ لي عِتقا

•••

وطرفٍ عابثٍ جانٍ إذا نام الهوى هبّا
فصيحٍ زانه نظري فأسبلَ جفنَهُ عُجبا
وثغرٍ مرهفٍ غضٍّ يصوغُ على المدى حُبا
يبسمه الكرى حبي ويثنيه في غَضَبا

•••

وخدٍ [illegible] عينه الهدبُ ظلالا
[illegible] لما سقاه الحسنُ سلسالا
وجيدٍ [illegible] في أشواقه حالا
وقدٍ مال من لينٍ تقول إذا مشى انهالا

•••

جمعتَ الحسنَ في جسمٍ تبددَ حوله لُبّي
ولم ترحم أخا وجدٍ ولم تشفق على صبِّ
أجِرْني منك واشفع لي إليك، فصوني دأبي
أعِرْني لحظكَ الساجي وخُذْ ما شئتَ من قلبي

(حمص) رفيق فاخوري

الفردوسى

ناظم الشاهنامة

[تحتفل ايران قريباً بمرور ألف سنة على مولد أبى القاسم الفردوسى ناظم الشاهنامة .
وبهذه المناسبة ننشر هذا المقال الذى يتضمن موجزاً عن حياة هذا الشاعر العظيم]

يقول الاستاذ براون فى كتابه « تاريخ الآداب الفارسية » :

« ومهما يكن من شىء فإن لدينا ، بالايجاز ، مايبرر لنا أن نقول إن الفردوسى كان دهقانا أى أحد أصحاب الزرع فى طوس ، ذامركز محترم ومال يغنيه ، وإنه ولد سنة ٩٢٠ ميلادية أو بعد ذلك بقليل ، وإنه كان يميل إلى البحث فى التاريخ القديم وإلى الاساطير الشعبية ، وزاد نماء هذا الميل فيه إقباله على مطالعة « سفر الملوك » النثرى الذى جمعه بالفارسية من المصادر القديمة أبو منصور المعمرى لأبى منصور ابن عبد الرزاق ، حاكم طوس ، فحمله ذلك على أن يأخذ على عاتقه نظم هذه الملحمة الوطنية ، وإنه أتم مايمكن أن نطلق عليه « النسخة الاولى » عام ٩٩٩ الميلادية ، بعد مجهود استغرق خمسة وعشرين عاما وأهداها الى أحمد بن محمد بن أبى بكر الخنلنجانى ، وإن « النسخة الثانية » التى أهديت الى السلطان محمود تمت حوالى سنة ١٠١٠ ميلادية ، وإن نزاعه مع السلطان وفراره الى غزنة أعقب ذلك مباشرة ، وإنه بعد أن لبث فترة وجيزة فى حماية أحد امراء آل بويه ، ووضع له قصيدته العظيمة الاخرى « يوسف وزليخا » عاد شيخاً فى السبعين أو مايربى على ذلك الى بلده طوس ، وهنالك مات حوالى سنة ١٠٢٠ أو ١٠٢٥ الميلادية » .

ولكن هذا الذى يقوله العلامة براون قد لقى تفنيداً فى أكثر من موضع رغم التحفظ الشديد الذى يبدو فيه . ومن ذلك أن دولتشاه ، كما نبه الاستاذ عبد الوهاب عزام فى مقدمته القيمة للشاهنامة ، لم يذكر شيئاً عن غنى الفردوسى ، بل لقد تحدث عن فقره وقال انه فر الى غزنة من ظلم حاكم طوس فما زال يتكسب بشعره حتى قدمه العنصرى الى السلطان ، وقد ذكر الاستاذ براون هذه الرواية أيضا فى كتابه الذى أشرنا اليه من قبل . ولعل الاستاذ عزاماً لمس الصواب حين قال إنه « ليس بعيداً أن يكون بعض الرواة قد لبس الأمر ، فكلمة « دهقان » تدل على صاحب الارض ، وتدل على الفلاح أيضا » .

ويقول الاستاذ براون إن الفردوسى ولد سنة ٩٢٠ أو بعد ذلك بقليل ، ولكن المستشرق الالمانى الاستاذ ولدكه يرجح أنه ولد بين عامى ٣٢٣ و٣٢٤ الهجرية ، أى ٩٣٥-٩٣٦ الميلادية .

وهذا التاريخ يطابق التاريخ الذى انتهت اليه الحكومة الايرانية وقررت إقامة الاحتفال بالفردوسى على مقتضاه . أما الاستاذ عزام فلم يقنعه واحد من التاريخين ، وانما استدل على أنه ولد سنة ٣٢٩ الهجرية أى ٩٤١ الميلادية

ويعارض الاستاذ عزام كذلك فى أن نزاعا قام بين السلطان والشاعر ، وأن الأخير غادر بلده مغاضباً فاراً كما يقول الاستاذ براون ، ويذهب الى انكار أن الشاعر هرب من محمود ، « وانما كان ذهابه الى مازندران وغيرها التماساً لما فاته فى الشرق . ولما أراد الرجوع الى بلاده رجع غير عاتب أحدا » .

من هو الفردوسى ؟

هو أبو القاسم منصور ابن مولانا فخر الدين أحمد ابن مولانا فرخ الفردوسى

والرواة يتفقون على الكنية واللقب ويختلفون فى اسمه واسم أبيه واسم جده . ويختلفون كذلك فى نسبة لقبه الشعرى . وينكر الاستاذ عزام أن السلطان محموداً لقبه بهذا حين أعجب بشعره « فأسطورة محمود واهية كلها » .

وأسطورة محمود التى يشير اليها الاستاذ تلخص فى أن الشاعر خرج من طوس الى غزنة فراراً من ظلم الوالى . ولما كان فى غزنة التقى فى بستان بثلاثة من الشعراء يشتغلون بنظم بعض قصص من تاريخ الفرس ، ورعيا عليهم وعلى أربعة من [illegible] السلطان ليرى أيهم أجود نظما ، فلما أقبل الفردوسى على الشعراء الثلاثة ، وهم العنصرى ، والفرخى ، والعسجدى ، استثقلوه ورتبوا لاحراجه وصرفه عنهم أن ينظم كل منهم شطراً من قافية صعبة على أن يقول هو الشطر الرابع ، فوفق فى سهولة الى ذلك . واستدل الشعراء من الشطر الذى ذكره أنه يعرف قصص الشاهنامة (سير ملوك الفرس) . وفى هذا البستان أيضا لقى الفردوسى أحد ندماء السلطان محمود ، وهذا أطلع السلطان على قصة من كتاب الملوك نظمها الفردوسى ، ففرح بها وقرب اليه الشاعر وعهد اليه بنظم الشاهنامة

وجاء بعد هذه الاسطورة فى مقدمة بايسنغر أن السلطان كان يثنى على شعر الفردوسى ويقول : « سمعت هذه القصص مراراً ، ولكن نظم الفردوسى شىء آخر » وقال له : « انك صيرت مجلسنا فردوساً » ولقبه الفردوسى

الشاهنامة

لا يكاد يذكر الفردوسى حتى يقفز الى الذهن اسم الشاهنامة ، وقد أوشك كل من الاسمين أن يكون مرادفا للآخر . كان هذا سبباً فى قيام شبهة خاطئة ، وهى أن الفردوسى واضع الشاهنامة

على أن الحقيقة القاطعة أنه لا فضل للفردوسي سوى فضل الناظم ، ولا يتبادرن الى الذهن أن في هذا غضاً من قيمة الفردوسي ، فحسبه فخراً أن خلد أساطير الفرس الشعبية منذ فجر التاريخ الى الفتح العربي في القرن السابع . وما كان غضاً من قدر هومر أنه هو أيضاً كان ناظماً يتقيد أحياناً بالاصل حتى لا يكاد يحيد عنه قيد شعرة . وهذا فرجيل لم يستطع أن يبلغ ببطله للاقاصيص التي اخترعها ما بلغ هومر بما نظم من أقاصيص مروية سائرة

وكأنما كان الفردوسي نفسه يشعر بأن التباهه الى النقل والتزام الأصول في الاقاصيص المسطورة أو المتناقلة ، لن يكون فيهما ما يهيض جناح الأمل الذى كان دائم الاشتغال بتحقيقه . فتراه يصرح في أكثر من موضع بأنه ناقل ، أمين في النقل لا يغفل كلمة واحدة ، ومن ذلك قوله في مقدمة قصة كاموس الكاشاني :

« الآن نشرع في حرب كاموس ، وننقلها من الدفتر الى كلامنا ، فارجع الآن الى قول الدهقان ، لترى ماذا يقول الرجل المجرب . . . »

ويقول في ختام هذه القصة :

« ختمت هذه الحرب ، حرب كاموس أيضاً ، وما سقط منها ، على طولها ، قطمير ، ولو ضاع من هذه القصة كلمة واحدة لقام عليها بعضي مأتم »

فالفردوسي اذن كان ينقل من كتاب أخبار ملوك الفرس ، ولا يجد غضاضة في أن يعترف بذلك ويسجل اعترافه في صلب الشاهنامة

وكما أن الفردوسي لم يكن واضع الشاهنامة ، فانه كذلك لم يكن أول من عالج نظمها . فقد سبقه الى هذا الغرض « فتى فصيح اللسان ، حسن البيان ، ذكي الفؤاد . فقال سأنظم هذا الكتاب لفرح الناس به أى فرح . . . ثم انقلب به جده فقتله أحد عبيده ، نظم الف بيت عن كشتاسب وأرجاسب ثم انتهى عمره فذهب والكتاب لم ينظم . . . »

هكذا يقول الفردوسي في مقدمة الشاهنامة ، والفتى الذى يشير اليه هو الدقيقي أحد شعراء الفرس الكبار في القرن الرابع الهجرى ، وكان على ذيوع صيته وعلو قدره سيء الخلق ، يقطع وقته بالبطالة وصحبة الأشرار حتى بغته الموت فتوجه بتاجه الأسود ، وكان مقتله غيلة بيد عبد من عبيده

وقد كان من وفاء الفردوسي وكريم خلقه أنه وضع في الشاهنامة الابيات الالف التي نظمها الدقيقي لانه رآه في المنام يقول له : « . . . فلا تبخل علي واكتب ما نظمته من قصة كشتاسب وأرجاسب ، فانه ان مر بسامع هذا الشاهنشاه (محمود) حصلت لي سعادة ، وتمهد به شرف وسيادة . . . »

قيمة الشاهنامة

لم يتحفظ أحد من الباحثين فى آداب الفرس فى امتداح الشاهنامة والاشادة بقيمتها سوى العلامة براون . وقد كان صريحاً غاية الصراحة حين قال إن المستشرقين الاول وغيرهم من دارسى الادب الفارسى قد أخذوا تقدير الفرس انفسهم من البداية قضية مسلمة ، وانه يتخلف عنهم فى هذا السبيل ، فهو لا يستطيع ان يجعل الشاهنامة على قدم المساواة مع المعلقات العربية. ولكنه لا يسعه برغم ذلك كله الا ان يقدر لرأى الناطقين بلغة الفردوسى وزنا راجحاً

وعندنا ان تقدير الفرس لشاهنامة الفردوسى يرى بأجلى صورة فى العبارة التى وردت على لسان السلطان محمود وذكرناها آنفاً وهى قوله : «سمعت هذه القصص مراراً ، ولكن نظم الفردوسى شىء آخر ، ولهذا نعتقد ان الشطر الاعظم من قيمة الفردوسى يضيع على الذين لايتذوقون لغته حق التذوق

جائزة الفردوسى ومغاضبة السلطان

لم يختلف الرواة فى أن الفردوسى قدم منظومته الى السلطان محمود بن سبكتكين ، وانه كان ينتظر منه جائزة مالية على جهوده ، وأن السلطان بعث اليه بشىء من المال فلم يقنع به الفردوسى وخرج بعد ذلك الى مازندران ، ونظم قصة «يوسف وزليخا» عربياً عن دياره

بيد أن الروايات تتضارب فى شأن الجائزة المالية ماقدرها ؟ وماذا فعل بها الفردوسى؟ والراجح أن السلطان أراد أن يبعث الى الفردوسى ستين ألف دينار ذهباً ولكنه عدل عن ذلك إلى ستين الف درهم فضة ، مدفوعاً باشارة بعض حساد الفردوسى من الحاشية . فلما جاء اياز خادم السلطان بحمل الجائزة وجد الفردوسى فى الحمام . فلما رأى ذلك وزعها أثلاثا بين إياز والحامى (صاحب الحمام) وفقاعى (بائع نوع من الشراب يدعى الفقاع) اشترى منه شربة وقال لاياز غاضباً : «ابلغ السلطان أنى ما تحملت هذا العناء للدرهم والدينار ، ولكن للثناء الحسن والذكر الخالد»

والاستاذ عزام ينكر القصة الأخيرة انكاراً غير مقنع ، إذ يكتفى بأن يقول : «وأحسب قصة الحامى والفقاعى أوحت بها أبيات فى الهجاء المنسوب الى الشاعر .... وأظن الفردوسى أخذ مانال من السلطان ثم خرج مغاضبا»

وبخروج الفردوسى إلى مازندران ، تبدأ مرحلة الضيق من حياة الشاعر وأعنى ضيق النفس قبل ضيق ذات اليد ، فقد أخذ يستشعر المرارة مرارة الخيبة فى أمل عاش يرجو تحقيقه خمسا وثلاثين سنة منكبا على نظم كتاب «سير الملوك» فاذا سليل هؤلاء الملوك لايحسن له الجزاء . وتحس مرارة هذه الخيبة فى أكثر من موضع فى قصة «يوسف وزليخا» ، وفى قصائده القصار .

ومنذا الذى لاتأخذه عاطفة الاشفاق على الفردوسى وقد اصبح شيخا كسير القلب يتعزى بنظم قصص الانبياء ؟ فيقول نادما حزينا :

« نظمت فى كل باب وسمع قول كل انسان . فان أكن قد وجدت فى هذا لذة فما بذرت إلا بذر التعب والآثام . وقد ندمت على ما بذرت وحشمت على قلبى ولسانى ، فلن أنطق من بعد بأحاديث الكذب ، ولن ابدر الآثام بعد أن اشتمل رأسى شيباً . لقد انقبض قلبى من أفريدون البطل ، ماذا ينبغى من أنه استولى على عرش الضحاك ؟ وملك من ملك كيقباد . وذهب تخت كيكاوس أدراج الرياح . ولست ادرى ما الذى يكون غير العذاب من كيخسرو وأفراسياب ؟ إن العقل ليسخر من الكلف بمثل هذا . أنى يرضى العقل منى أن اضيع نصف حياتى لأملأ العالم باسم رستم ؟! » ثم يقول : « لا أقص من بعد قصص الملوك لقد اقبض صدرى من عتبات الملوك . إن هذه القصص كذب صراح لاتقوم ساقان منها بذرة من التراب ! » إلى أن يقول : « يجب أن يحدث عن الانبياء الذين لم يتخذوا غير الصدق سبيلا . . . سأقص عليك قصة ، ولكنها ليست من كلام القدماء بل من كلام رب الصادقين »

ويقول الفردوسى فى قصيدة له :

« لقد عكفت اثنين وستين سنة على دراسة شتى الفنون . فأين ما افادتنى من مجد أو ذهب ؟ لاشيء لاشيء سوى الحسرة على الماضى . . . لقد غاضت كل امارات شبابى الناضر الخ »

ويتفق المؤرخون على أن السلطان رضى بعد ذلك عن الفردوسى وأمر له بستين الف دينار . ولكن الهبة وصلت ونعش الشاعر الكبير العظيم خارج الى حيث يوارى فى التراب . ولما عرضت الهبة على بنت عزيزة النفس حبيبة الفردوسى رفضت قبولها . فبنى بها رباط على طريق نيسابور

ولما توفى الفردوسى حوالى سنة ٤١٦ رفض واعظ طوس أن يدفن فى مقابر المسلمين بحجة انه كان رافضيا . فدفن الفردوسى فى بستان له داخل باب المدينة

احمد قاسم جوده
بكالوريوس فى الآداب

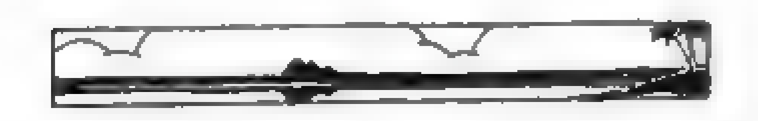

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

اليابان تغزو العالم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نوى فيشوس
النمسوية . بقلم الاستاذ ماكس رودرت]

تمهد اليابان اليوم العالم بغزوة تجارية جامحة لانها تعلم أن أسواق العالم هي لمن يستطيع الاستيلاء عليها بقوة المنافسة . ولكي تعلم قوة المنافسة اليابانية يكفي أن نورد لك الأثمان التي تباع بها طائفة من السلع اليابانية الاعتيادية في أسواق أوربا نفسها

محوارب الرجال تباع بما يوازي أقل من قرش صاغ بالنقد المصري . وأقلام الحبر المعروفة عندنا بالأميركية تباع بما يساوي قرشاً ونصف قرش . ومجموعة أكواب الشاي أو القهوة تباع بنحو نصف ريال . والدراجة (البسكليت) تباع بأربعة ريالات ونصف ريال . وهكذا قل في سائر السلع والمصنوعات اليابانية

وإذا نظرت إلى المنسوجات وجدتها تباع في أسواق أوربا بأقل من خمسين في المائة عما صنعت منها في أوربا . وقد قال أحد أصحاب معامل النسيج في أوربا : « إنني لا أستطيع أن أبيع بالأسعار التي تبيع بها اليابان ولو سرقت المواد الخام وسخرت الأيدي العاملة من دون أن أدفع لها أجراً »

والسر في استطاعة اليابان أن تبيع مصنوعاتها بهذه الأثمان البخسة يرجع إلى طول ساعات العمل وضآلة الاجور وتضخيم قيمة ورق النقد بما يوازي نحو ستين في المائة . فالعامل في اليابان يشتغل من عشر ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة في اليوم ولا يتقاضى سوى أجر زهيد

واليابان تأذن باستخدام الاولاد والاحداث متى بلغوا العاشرة من العمر . وفي الواقع أن جانباً كبيراً من العمال في اليابان هم أولاد تختلف اعمارهم من العاشرة الى الثانية عشرة ولا تزيد أجورهم عن أربعة سنتات أو ما يوازي ثمانية مليمات بالنقد المصري

فالمتمولون اليابانيون وأصحاب المعامل اليابانية يبنون اليوم تفوقهم الصناعي على السخرة واستخدام الاولاد وتجويعهم وإحاطتهم بأردأ الشروط الصحية . يضاف إلى ذلك انهم يستخدمون

فى معاملهم أحدث الآلات والاختراعات . والشركات اليابانية توزع أرباحاً لا تحلم بها الشركات الاوربية . واليك بيان بعض الارباح التى وزعت فى السنة الماضية :

شركات صنع الورق والاسمنت	٩ و ١٢ فى المائة
» الحديد والقطرات الحديدية	٥ و ١٣ » »
» الآلات الصناعية المختلفة	١ و ١٥ » »
» معامل القطن	٢ و ١٨ » »
» معامل الصوف	١ و ٢٣ » »
» معامل الحرير الصناعى	٩ و ٢٤ » »

وغنى عن البيان أن تناقص قوة الناس على الشراء هو الذى دفع اليابان الى التفكير فى غزو أسواق العالم . وقد وضعت لذلك خطة سنتها وبرنامج السنوات العشر للاصدار ، ثم شرعت فى تنفيذها بدقة لامزيد عليها . فانشأت شركات خاصة امرس مسألة « اصدار » البضائع إلى الخارج . وكان أول ما أشارت به هذه الشركات انشاء « مراكز للاصدار » ترسل منها البضائع إلى جميع أسواق العالم . وتم ذلك بكل دقة ومهارة فغمرت السلع اليابانية أسواق استراليا ونيوزيلندا ومستعمرة البوغاز والهند لانها أقرب الأسواق الى اليابان . وكانت النتيجة مدهشة مع وجود الحواجز الجمركية التى كانت انجلترا قد أقامتها حول هذه البلاد وزادت مستوردات الهند من البضائع اليابانية فى سنة واحدة أربعة أضعاف

ووقع مثل ذلك فى أفريقيا فان السماسرة اليابانيين أخذوا يجوبون تلك القارة من أقصى طرفها الجنوبى الى الشمال حتى وصلوا الى الكونغو وبلاد الحبشة . والدلالة على مبلغ نجاحهم نقول ان بلاد طنجنيقا استوردت فى الستة الاشهر الاولى من السنة الماضية ٨٧٠ الف يارد من الحرير الصناعى اليابانى ولم تستورد فى تلك المدة عينها سوى خمسة آلاف يارد فقط من غير اليابان

ثم وجه اليابانيون همهم الى أسواق الشرق الادنى ولا سيما مصر والعراق وبلاد فارس . وقد وقع أكثر البلاء على المصانع الانجليزية فان المنافسة اليابانية أثرت فيها أسوأ تأثير . ولما نهض أصحاب تلك المصانع يطالبون حكومتهم بزيادة الضرائب الجمركية الى حد يحول دون دخول البضائع اليابانية الى الاسواق الانجليزية تهددتهم اليابان بان تمتنع عن شراء المواد الخام كالقطن والصوف وغيرها من الاسواق الانجليزية وبانها ستشترى تلك المواد من أسواق أخرى كأميركا الجنوبية أو غيرها . واذ ذاك ذعر تجار القطن والصوف داخل الامبراطورية البريطانية وطلبوا من الحكومة الا تتعرض للبضائع اليابانية بسوء فاطلق الشأن لهذه حتى أصبح خطرها يعم اليوم العالم أجمع

الحرب المقبلة أقل خطراً

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ساترداي
ايفننج بوست . بقلم توماس بيلس]

في أثناء الحرب العظمى الماضية وقعت في الميدان الغربي معارك هائلة من جملتها معركة المور والارجون التي اشترك فيها مليون جندي . واستمرت ثمانية عشر يوماً قتل في خلالها ثمانية عشر ألفاً أي ألف جندي في كل يوم من أيام المعركة . وإذا رجعنا إلى تاريخ الحرب الاهلية الاميركية وجدنا أن معركة جيتسبرج كانت أهول معارك تلك الحرب وقد استمرت ثلاثة أيام واشترك فيها اثنان وثمانون ألفاً من الجنود قتل منهم ٢٨٣٤ وفي سنة ٢١٦ قبل الميلاد خاض الجيش الروماني معركة كاني وكان عدده ستة وسبعين ألفاً من الجنود قتل منهم في يوم واحد سبعون ألفاً . وكلما رجعنا بالتاريخ إلى الوراء نجد أن المعارك التي كان الجنود يشتبكون فيها بالسلاح الابيض كانت أهول وأفظع وأكثر خسائر من الحروب الحديثة

ومن غرائب ذلك فقد أصبت أنه كلما ارتقت آلات القتل الجهنمية وكثرت اختراعات الدمار والهلاك أصبحت الحرب أقل خطراً . وسبب ذلك أن الجنود يبذلون جهد الطاقة لاتقاء شر الآلات وفتكها الذريع . ومما يمكن عن ذلك أنه في أثناء الحرب العظمى الماضية استنفد المتحاربون ثمانية وعشرين ألف طلقة من طلقات البنادق والمدافع لكل جندي سقط قتيلا . وبعبارة أخرى أن كل جندي سقط قتيلا « كلف » ثمانية وعشرين ألف رصاصة وقذيفة مع أن القتل كان « أرخص » في الحروب الماضية . ففي الحرب السبعينية مثلا « كلف » كل قتيل من الفرنسيين والألمان ثمانين قذيفة أو رصاصة فقط ! وفي الحرب الروسية اليابانية التي وقعت سنة ١٩٠٤ كان « سعر القتل » أغلى قليلا لأن كل جندي هلك « كلف » مائة وخمسين قذيفة . وفي الحرب العظمى الماضية وصل ذلك « السعر » إلى ثمانمائة وستين رصاصة أو — كما سبق القول — إلى ٢٨ ألف رصاصة وقذيفة

وكان حظ السكان غير المحاربين في تلك الحرب أحسن منه في الحروب القديمة ففي أيام جنكيز خان ملك المغول المشهور بلغ عدد الصينيين الذين أهلكهم في اثنى عشر عاماً ثمانية عشر مليوناً ونصف مليون من غير المحاربين . أما في الحرب العظمى الماضية مع وجود الطيارات والغازات السامة والمدافع البعيدة المرمى لم يمت من الاهالي غير المحاربين سوى واحد بإزاء كل ألف قتيل من الجنود

هذه حقائق ثابتة تؤيدها جميع السجلات الموثوق بها ، ومع ذلك لا يكاد يمر يوم الا ونقرأ فيه مقالات عن الحرب المقبلة وأنها ستكون القضاء المبرم على المدنية

وفي الواقع أن الطيارات في الحرب العظمى الماضية لم تغرق سفينة حربية ولا دمرت مدينة .

ومع أن الطائرات الحديثة أقوى وأمتن وأسرع من طائرات تلك الحرب وأقدر على الارتفاع في الجو، إلا أنها لا تختلف في جوهرها عن سابقتها لأنها لا تستطيع الارتفاع في الجو عمودياً ولا يمكن « تصفيحها » أو « تدريعها » وكل ما تستطيع أن تعمله في الحرب هو أن ترمي بقذيفتها وتطير

وترى من الجهة الاخرى أن المدافع المختصة بمقاومة الطيارات قد تقدمت منذ الحرب العظمى الماضية وأدخلت عليها تحسينات كثيرة وأضيفت اليها آلة دقيقة لقياس بعد الاهداف (أى الطيارات) وتعيين موقعها بالضبط في كل ثانية من ثواني طيرانها . وبواسطة زر كهربائي دقيق يمكن اطلاق مائة قذيفة في الدقيقة على الطيارة بحيث لا تستطيع هذه أن تنجو من الهلاك المحقق. أضف الى ذلك أن شظايا القذائف غزيرة الفتك جداً وهي تتطاير في الهواء بسرعة أربعة آلاف قدم في الثانية وتصل في ارتفاعها الى أعلى مما تستطيعه أية طيارة في العالم . وقد أثبت الاختبار في السنوات الخمس الماضية أن متوسط حياة أية طيارة حربية تحلق في الجو لاتقاء القذائف لا يزيد على اثنتي عشرة ثانية فقط !

وفي مقدمة ما يهول به الناعقون بالشؤم قذائف الطيارات . فهم يقولون ان هذه القذائف ستدمر في المستقبل مدناً بأسرها . وفات هؤلاء المرجفين حقائق كثيرة تكذب دعاويهم

تصور نفسك تسوق أوتوموبيلا بسرعة ستين ميلا في الساعة وانت تحاول — وأنت سائر بهذه السرعة — أن تقذف حجراً على شجرة قائمة على جانب الطريق ولا تبعد عنك سوى بضع أقدام . فهل يسهل عليك وأنت سائر بهذه السرعة أن تصيب الشجرة ؟ وإذا كان ذلك لا يسهل عليك ، فهل من السهل أن طيارة تطير في الجو بسرعة مائة وخمسين ميلا في الساعة أو أكثر تصيب من أعالي الجو هدفاً يبعد عنها عدة ألوف من الامتار ؟ أضف الى ذلك أن الطيارة وهي محلقة على ارتفاع ثلاثة أميال في الجو وتسير بسرعة البرق الخاطف لاتستطيع رؤية الاشباح والاهداف بسهولة إلا اذا كان الهدف مدينة كبيرة . والطيار الذي يستطيع أن يطير فوق مدينة وينجو من الهلاك يجب أن يعتبر نفسه من أسعد خلق الله

ولننظر الآن الى الغازات السامة ونهويل المرجفين بشأنها فهذه الغازات يمكن رؤيتها وشم رائحتها قبل دنوها . ولكل منها رائحة خاصة معروفة . وقد استعمل المحاربون في الحرب العظمى الماضية أشد الغازات فتكا . وقد ثبت من الاختبار انه لاطلاق غاز كغاز الفوسجين مثلا (وهو من أشد الغازات السامة خطراً) على بقعة لاتزيد مساحتها على مائة يرد مربع ، تحتاج الطيارة الى مائتين وثلثمائة رطل من ذلك الغاز . ولاطلاق ذلك الغاز على مدينة كنيويورك مثلا لابد من ثمانية وعشرين مليون رطل من الغاز . ولاطلاق هذه الكمية الهائلة لابد من أربعة عشر الف طيارة تستطيع كل منها أن تحمل الفي رطل من الغاز ، وليس في جيوش العالم كلها أكثر من مائة طيارة فقط تستطيع كل منها ان تحمل تلك الكمية من الغاز

البرنامج الهتلرى

[نقلا عن مجلة « لو »]

وضع هذا البرنامج هتلر رئيس الوزارة الالمانية وهو يختلف عن المبادىء التى صرح بها هتلر فى كتابه « جهادى » فان البرنامج يجنح الى المبادىء الاشتراكية بخلاف النظريات المبسوطة فى الكتاب المذكور . وقد يزول العجب من هذا الخلاف إذا تذكرنا أن البرامج السياسية قد لا تكون إلا وسيلة لبث الدعوة المراد بها استمالة الجماهير . وقد قال هتلر فى الطبعة الاولى من كتابه : « ان الجمهور فى حاجة الى من يخدعه »

ينقسم البرنامج الذى نحن بشأنه خمسة أقسام : يبحث الاول منها فى الدعوة الجرمانية (بانجرمانسم) والثانى فى العصبية الجنسية ، والثالث فى المبادىء الاشتراكية ، والرابع فى تعليم الشعب ، والخامس فى العسكرية . واليك خلاصة « المواد » التى يتألف منها كل قسم .

القسم الاول — الدعوة الجرمانية

(١) نطالب بضم جميع الالمان فى مجموعة واحدة تؤلف منها المانيا الكبرى طبقاً للمبدأ الذى يقول ان لكل أمة حق تقرير مصيرها

(٢) نطالب أن يكون للشعب الالمانى ما لغيره من الحقوق مع الغاء معاهدتى فرساى وسان جرمان

(٣) نطالب الاراضى اللازمة لشعبنا المتزايد للسكنى بطريق الاستعمار

القسم الثانى — العصبية الجنسية

(٤) لا يعتبر وطنياً إلا من كان من دم المانى صميم بقطع النظر عن اعتبارات الحرف والمهن

(٥) لايحق لغير الوطنيين أن يعيشوا فى ألمانيا إلا ضيوفاً على أن يكونوا خاضعين لتشريع خاص يعمل جميع الاجانب

(٦) حق التشريع مقصور على الوطنيين فقط . ولا يجوز لأحد غيرهم أن يشغل أى منصب داخل الدولة أو داخل الحكومات التى تتألف منها الدولة . ويجب مقاومة النظام البرلمانى الفاسد الذى توزع الاماكن بموجبه تبعاً للاعتبارات الحزبية بقطع النظر عن صفات الذكاء

(٧) يجب على الدولة أن تتعهد بضمان وسائل العمل والمعيشة للوطنيين . فاذا لم تكفهم موارد الدولة وجب طرد النزلاء الاجانب

(٨) يجب منع مهاجرة الاجانب الى المانيا وطرد جميع الاجانب الذين هاجروا اليها منذ ٢ أغسطس سنة ١٩١٤

(٩) يجب أن يتساوى جميع الوطنيين فيما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات

(١٠) أول الواجبات المفروضة على كل وطني هو أن يبذل مجهوداً عقلياً أو جسمياً . ويجب ألا تناقض مجهودات الفرد مصالح الجماعة ، بل تكون لخير الجميع ولمصلحة الوطن

القسم الثالث — المبادئ الاشتراكية

(١١) يجب ازالة كل ثروة حصلت بلا تعب وإبطال عبودية الربا

(١٢) نظراً الى ما تتطلبه كل حرب من تضحيات وسفك دماء يجب اعتبار كل من يغتني بسبب الحرب مجرماً معتدياً على الامة . وعليه يجب ازالة كل ثروة مجتناة من الحرب بلا رحمة ولا شفقة

(١٣) يجب الغاء النقابات وحصر جميع المشروعات في يد الدولة

(١٤) يجب اشراك الامة في فوائد استغلال المشروعات الكبيرة

(١٥) ان العامل الواثق بأن الشقاء لن يكون نصيبه في أخريات أيامه يكون أكثر استعداداً للقيام بواجباته بإزاء الامة . وعليه يجب توسيع نطاق « تأمين الشيخوخة »

(١٦) يجب انشاء طبقة من الشعب خالية من الشوائب قائمة على نظام سليم صحيح مع المحافظة على هذه الطبقة والدفاع عنها خلافاً لمبادىء ماركس التي تقول بابادة الطبقات الوسطى بحجة أن هذه الابادة هي ناموس طبيعي . ويجب أيضاً جعل المخازن الكبرى اشتراكية مع خفض أجورها لصغار المشتغلين

(١٧) يجب اصلاح النظم الزراعية لكي تكون ملائمة لحاجات الامة مع سن قانون يجيز نزع ملكية الاراضي للمصلحة العامة من دون اعطاء أي تعويض مالي لصاحب الارض . ويجب منع المضاربة بالاراضي

(١٨) يجب شهر الحرب بلا رحمة ولا شفقة على كل من يسيء الى المصلحة العامة . ويجب الحكم بالموت على المجرمين والمحتكرين والذين يكتسبون من الحرف الدنيئة

القسم الرابع — تعليم الشعب

(١٩) يجب سن قانون ألماني عام بدلا من القانون الروماني لخدمة النظام العام

(٢٠) يجب على الدولة أن تقوم بإصلاح شامل لنظم التعليم لكي يتمكن كل رجل ألماني من العمل والتضلع من العلوم العالية ولكي يهيء نفسه لمقتضيات الاحوال

(٢١) يجب على الدولة أن تعنى برفع مستوى الصحة العامة بحماية الامهات والاولاد ومنع استخدام الاحداث وسن قانون لجعل الالعاب اجبارية

القسم الخامس — الفاشستية

(٢٢) يجب انشاء جيش وطني

(٢٣) يجب سن قانون لمكافحة الاكاذيب السياسية المتعمدة التي تذيعها الصحافة . ويجب أن يكون جميع رؤساء تحرير الصحف الالمانية ومساعدوهم المانيين . ويجب منع جميع الصحف والكتب التي يناقض وجودها مصلحة الوطن

(٢٤) يجب اطلاق الحرية لجميع الاديان بشرط ألا تكون تعاليمها مناقضة لمصلحة الشعب الالماني

(٢٥) يجب انشاء سلطة مركزية قوية في الدولة ومنح البرلمان سلطة مطلقة على الحكومة والشد على ولايات لتطبيق قوانين الدولة على جميع الاهلة

ماذا نأكل

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
اسكواير . بقلم الدكتور كريشد]

لنا نحن معشر الاميركيين أوهام وخرافات كثيرة بشأن الاكل . من ذلك شدة حرصنا على توافر الفيتامين في جميع المواد الغذائية التي نتناولها حتى لقد أصبح بعضنا يعتقد أنه إذا فاته نصيبا من الفيتامين في أية وجبة من وجبات النهار أصابه مرض « البرى برى » أو « الاسكربوط » أو غيرهما من الامراض . وفي الواقع أن الفيتامين بجميع أنواعه ضروري لغذاء الانسان ، ولكن الكمية اللازمة منه في كل وجبة هي صغيرة جداً وهي توجد بلا شك في الغذاء الاعتيادي إذا كان فيه لحم أو سمك أو بيض أو زبدة أو دهن مع قليل من البقول الطازجة . والرجل الذي لا يتناول في الصباح سوى قطعة من الخبز وقليل من القهوة ولا يأكل عند الظهر ولا في وقت العشاء سوى قطعة من السندويتش ، تظهر عليه الاعراض التي تنشأ عن سوء التغذية . ولكن هذه الاعراض ليست ناشئة عن نقص الفيتامين بل عن قلة كمية الغذاء . والذي يتناول الكمية الكافية من المواد المذكورة لا تظهر عليه أعراض سوء التغذية

ومن أوهام العامة بشأن المواد الغذائية زعمهم أن اللبن الحليب هو الغذاء النموذجي الكامل . وفي الواقع أن اللبن غذاء ناقص إذ لا يحتوي إلا على كمية ضئيلة جداً من الحديد وهو العنصر الذي يكثر في لحم الغنم والبقر وفي جميع البقول الطازجة ولا سيما السبانخ

أضف الى ذلك أن الكثيرين من البالغين والكبار في السن لا يستطيعون هضم اللبن بسهولة ، ولذلك يجب عدم العمل بنصيحة الذين يدعون الى الاقتصار على اللبن في الغذاء . نعم ان بعض الناس يتغذون باللبن وينتعشون به وهو يلائمهم كل الملاءمة ولكن هذا القول لا يصدق على الجميع . واذا كان

اللبن غذاء الاطفال فهو ليس كذلك للبالغين والكبار في السن

ومن أوهام الجمهور أيضاً أن الفواكه هي بمنزلة الدواء السحري الذي يشفي من كل علة . وهذا يخالف الحقيقة كل المخالفة فقوام كل فاكهة هو مادة السليولوز . وهذه المادة عسرة الهضم جداً . وكذلك القول في البقول والجزء الاكبر من كل بقل نفاية غير قابلة للهضم . ومما يدعو الى الاسف هذه « البروباجندا » الواسعة النطاق التي يستوجبها لبعض البقول ولا سيما التي تؤكل غير مطبوخة . ويذهب بعضهم الى حد القول بأن الامعاء لا تستطيع القيام بمهمتها الا اذا اكثرت من ازدراد تلك البقول ، وهي فكرة خاطئة لا يؤيدها العلم

ويعتقد سواد الجمهور أن الامساك ناشيء عن ضعف الامعاء وعجزها عن القيام بوظيفتها . والحقيقة ان الامعاء اذا اصيبت التصقت جدرانها بعضها ببعض وحالت دون سير محتوياتها فيها ، ومن ثم ينشأ الامساك . وتعاطي البقول والفواكه بكثرة زائدة مما يؤدي الى تهيج الامعاء والى الامساك

وكثيراً ما نسمع عن حوادث التسمم المعوي . والكثيرون من الناس يعتقدون أن هذا التسمم ناشيء عن اللحم . وفي الواقع أنه ملس طعام يبعث اليه الفساد في الامعاء الا اذا افترضنا أنه يزلق اليها من المعدة قبل أن تهضمه . ومعروف عن المواد الغذائية البروتينية كاللحم والسمك والبيض وغيرها أنها سهلة الهضم جداً ولا يحتمل أن تتسرب إلى الامعاء من قبل أن تهضمها المعدة . أما المواد التي قوامها الكاربوهيدرات من سكر ونشا وخلافه فقد تتسرب الى الامعاء من دون أن تهضم ، وخاصة إذا لم يمضغها الانسان مضغاً تاماً . وفي هذه الحالة قد تفسد وينشأ فيها سموم الاختمار . وكذلك القول في البقول والفواكه ـ وهي من نوع الكاربوهيدرات ـ فانها عسرة الهضم على الانسان بالنسبة الى الحيوان . وهي عند وصولها الى المعى الغليظ تنشيء غازات سامة بسبب اختمارها . أضف إلى ذلك أن السكر سهل الهضم جداً اذا تناوله المرء باعتدال ، والافراط فيه مضر كل الضرر . ومما يدعو الى الاسف أن استهلاك الشعب الاميركي للسكر يزداد من سنة إلى سنة . فمنذ مائة سنة كان متوسط ما يستهلكه الفرد في أميركا خمسة أرطال في العام ، فاصبح اليوم مائة رطل واثني عشر رطلا

إن الافراط في تناول المواد الكاربوهيدراتية هو سبب التسمم المعوي الذي يحدث كثيراً بين الناس ، والجمهور يتهم اللحوم والاسماك والبيض . وقد اتفق منذ بضع سنوات ان اثنين من الاميركيين عزما ألا يأكلا سوى اللحم مدة سنة كاملة ليريا تأثير ذلك . وكان الاطباء يراقبونهما مراقبة دقيقة فيزنون ثقلهما ويسجلون كل يوم ضغط دمهما ويفحصون بولهما ، وعند نهاية السنة كانت حالتهما من كل وجه تدعو الى أتم الارتياح

كيف يحارب الروس البغاء

[خلاصة مقال من كتاب بعنوان « الجيوم الاعظم » للكاتب موريس هندوس]

منذ نحو عشر سنوات كنت في احدى مدن روسيا الجنوبية فرأيت ذات يوم في أحد الشوارع منظراً غريباً — رأيت نحو مائتي امرأة يسرن بحراسة رجال البوليس وهن من أجمل النساء صحراً ومن أحسنهن هنداماً . فخيل الي في أول الامر أنهن من نساء الطبقة الوسطى قد قبض عليهن بتهمة الائتمار بحكومة السوفييت أو التجسس عليها . وما كان أشد دهشتي عندما سألت أحد حراسهن من رجال البوليس فقال لي انهن بغايا ! . . .

وعلمت بعد ذلك أن بعضهن كن سابقاً من ربات المواخير وبعضهن من نساء الطبقة العليا طوحت بهن الثورة فاحترفن البغاء . حالة أن البعض الآخر كن قبلا خليلات لبعض رجال الطبقة العليا . فلما وقعت الثورة حلت اخلاقهن أو تشتتوا . وعلى كل حال تلك الكتيبة من النساء كانت تضم طائفة من البغايا المحترفات — والبغاء كما تعلم أقدم حرف الاجتماع

تلك كانت الحالة في روسيا في ذلك العهد . كان البغاء منتشراً في جميع المدن — في موسكو ولننجراد وكياف وكازان واوديسا وغيرها . كان المار في الطرق يرى اذا خيم الظلام سرباً من النساء يخرجن الى الشوارع كالوطاويط فيتعرضن لهم ويعلن عن بضاعتهن في الحانات والقهوات والمطاعم والاندية وقاعات الرقص وغيرها وبعض مقصورات حرفهن . لم تكن مدينة من مدن روسيا تبعد عن ذلك من أقصى حدود سيبريا الى أقصى حدود الصين

أما الآن فقد تغير كل شيء ، إذ لا تجد في أوربا بلاداً قد تطهرت كما تطهرت روسيا من البغاء . فقد سنت الحكومة قانوناً قضى بإقفال المواخير وتحريم تجارة الرقيق الابيض . والذين يخالفون ذلك القانون يعاقبون أشد العقاب . والمحاكم لا ترأف بصاحب أي ماخور أو حانة يروج البغاء . وقد كان لذلك القانون أحسن النتائج إذ زال عار البغاء من روسيا وسهل الطلاق والزواج ولم يبق ما يمنع الشبان من الزواج

ولم يكتف القوم بذلك القانون بل ألحقوا به علاجاً آخر ، ذلك انهم وضعوا خطة لتنفيذ برنامجهم المشهور (المعروف ببرنامج السنوات الخمس) فأوجدوا عملا شريفاً لثلاثة ملايين امرأة كان منهن في مدينة موسكو وحدها خمسة آلاف ممن كن قبلا يحترفن البغاء

ولتسهيل انقاذ هؤلاء النساء وإعادتهن الى أحضان المجتمع انشأت لهن الحكومة معاهد سمتها « معاهد الوقاية » وهي أماكن تتوافر فيها جميع وسائل الراحة والعمل . وهذه المعاهد تقبل جميع

الفاسد اللواتي يلتجئن اليها من تلقاء أنفسهن أو تأتي بهن اليها الشرطة أو الجماعات الخيرية . ومنظر كل معهد من هذه المعاهد أشبه بمنظر مدرسة جامعة وغرفها مستوفية جميع شروط الصحة والتهوية الصحيحة

فعندما يؤتى بفتاة الى هنالك يفحصها الطبيب أولا ، فاذا وجدها مصابة بمرض كما هو الواقع غالباً وصف طريقة معالجتها . وحالما تنال الشفاء التام تبدأ بالعمل — والعمل أهم وسائل انقاذها . وهي لا تعطى الا العمل الذي يلائمها والذي تستطيع أن تتقنه ، من تفصيل وخياطة وتطريز ونقش وتصوير وموسيقى وغناء وخلافه . ويبذل القائمون بأمر المعاهد جميع جهدهم لانساء الفتاة ماضيها ومحوه محواً تاماً . وهي تعمل من ست ساعات الى ثمان في اليوم متمتعة بأفضل الشروط الصحية وبأحسن الضمانات مع تأمين مستقبلها واعطائها أيام عطلة معينة في الاوقات المخصصة لذلك طبقا لقوانين نقابات العمال

وفي الواقع ان الفتاة منذ دخولها المعهد تشعر بانقلاب عظيم يطرأ على حياتها ونظام معيشتها ، وهي لا تشعر بأية ذلة أو مهانة أو بانها مقيمة في ملجأ خيري . وفي الواقع انها تعيش مما تكسب هنالك اذ تربح ما متوسطه خمسة وعشرون روبلا في اليوم يدفع منه أربعين روبلا نفقات اقامتها ومعيشتها والعناية بها وتدخر الباقي

ولها ان تقضي ساعات فراغها في الالعاب الرياضية والدرس والمطالعة . واذا أرادت أن تدرس علماً من العلوم أو أن تتقن فناً من الفنون الجميلة وجدت كل مساعدة وتشجيع ، فان دروساً خاصة تعطى في المعهد في كل فرع من فروع العلم والفن . بل ان في وسع كل فتاة هنالك ان تدرس العلوم العليا والسياسة والمحاماة والهندسة والطب وما الى ذلك

ومع انه ليس هنالك رقباء أو حراس فان الفتيات بالمعاهد لا يحاولن الفرار مطلقاً اذ لا يجدن مكاناً آخر تتوافر لهن فيه أسباب الراحة والمتعة كما تتوافر هناك . واذا خطر ببال فتاة منهن ان تهرب (وهو نادر جداً) فان رجال البوليس يبحثون عنها ويعيدونها الى المعهد الى أن تستوفي المدة التي قدر لها قضاؤها هنالك عند أول دخولها . وهذه المدة تختلف باختلاف حكم مدير المعهد وأطبائه . ومتى انتهت المدة تعهد المعهد بأن يجد لها عملا ملائماً في الخارج أو وظيفة شريفة تضمن لها كسب الرزق . وهي عند خروجها من المعهد تعطى شهادة رسمية بما تحسنه من العلوم والفنون والاعمال ولا يذكر في هذه الشهادة شيء عن ماضيها بحيث تصبح صفحة ذلك الماضي نسياً منسياً ولا تعود هي نفسها تذكر شيئاً منه

وتدل التقارير الرسمية والاحصاءات التي يوثق بها على ان الكثيرات من أولئك النساء يتزوجن ويصبحن أمهات صالحات ومنهن من يشغلن الوظائف الخطيرة ويصبحن نافعات جداً في الاجتماع

رأى موسوليني في

الدولة والنظم الاقتصادية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «بوردن موندو» بقلم السنيور موسوليني]

انتهت مدة البرلمان الفاشيستي — وهي خمس سنوات — في العشرين من يناير الماضي بعد أن أنجز أعمالا تشريعية تعد من أعظم الاعمال التي قامت بها البرلمانات في العصور الحديثة. وقبل أن يختتم دورته وافق على قانون ينص على إنشاء «هيئة» نيابية تشريعية جديدة من ممثلي اتحاد الصناعات ومندوبي الزراعة. وستدير هذه «الهيئة» أو هذا المجلس شؤون البلاد الاقتصادية فترفع عن عاتق مجلس النواب جانباً كبيراً من عبء العمل التشريعي. وسنرى بعد هذا التطور هل يبقى ثمة أي داع لبقاء مجلس النواب. فقد يقرر هذا المجلس أن يحل نفسه بنفسه ليقوم مقامه مجلس اتحاد الصناعات العام

إن ايطاليا لم تقنع بسلامتها بدعوى بل بالعكس رسمت لكل مذهبه ووضعته على أساس متين. ولم تكتف بذلك بل عزمت على التقدم الى الامام حتى لقد أصبحت اليوم نموذجاً تحتذيه الامم ذات الصناعات الكبيرة كأميركا وانجلترا والولايات المتحدة. فقد أقرت جميع هذه الحكومات وجوب اعادة التنظيم الاقتصادي. وشبه الكثيرون نظام الانشاء الاقتصادي الذي وضعه الرئيس روزفلت ببرنامج الفاشستية. وفي الواقع ان وجوه الشبه متوافرة بين هذين النظامين ولا سيما مبادئهما الاساسية لان كليهما يخول الدولة حق الاشراف على نظام البلاد الاقتصادي خير التجميع. والغريب أن اميركا قد كانت حتى مجيء المستر روزفلت معقل الحرية الاقتصادية الفردية. وعلى كل فان للفاشستية فضل السبق إلى وضع النظام الاقتصادي الجديد الذي يخول الدولة حق الاشراف على القوى الاقتصادية التي تعمل في الدولة. وقد اصدرنا في سنة ١٩٢٦ القانون الذي انشئت بموجبه وزارة اتحاد الصناعات وفي سنة ١٩٢٧ بدىء بتنفيذ برنامج العمل

وما كادت وزارة اتحاد الصناعات تؤلف حتى شرعت تنظم الصناعات وتنوعها لا من حيث رؤوس الاموال فقط بل من حيث الايدي العاملة أيضاً. وقد كانت النتيجة ان عمال كل صناعة صاروا ينتظمون ويؤخذون باشراف الوزارة. وهذه أول مرة في تاريخ النظام الاقتصادي الحديث يستشار فيها العمال بشأن تنظيم برنامج البلاد الاقتصادي. وهذا من أسس مشروعنا الاقتصادي. لان جعل الاشراف على الصناعات من حق أصحاب الصناعات فقط لا يمكن أن يؤدي الا الى نتيجة

واحدة . وهى أن يستغل هؤلاء ذلك الحق لمصلحتهم الشخصية فيكون ذلك مجحفاً لا بالعمال فقط بل بالامة جمعاء كما رأينا فى الازمة المالية الاخيرة

ومما يدل على نفع النظام الذى جرت عليه ايطاليا أنها منذ تأليف وزارة اتحاد الصناعات لم يقع فى البلاد أى اضراب لان هذه الوزارة كانت تحل كل خلاف . وفضلا عن ذلك تمكنت هذه الوزارة من حل مشاكل واجتناب اضرار كثيرة كالازمات التى تنشأ عادة عن عدم وجود تناسب بين الانتاج والاستهلاك . وفى الواقع أن الوزارة تمكنت من تحقيق التناسب المذكور . وهذا يشرح كيفية تغلب ايطاليا على الازمة الاقتصادية التى منيت بها جميع الامم وما تزال تئن منها . وقد انشأت أيضاً ايطاليا نظاماً لنقد صحيح حال دون نشوء ثروات كبيرة كاذبة

أما نظام الانعاش الاقتصادى الذى بدىء العمل به منذ ثمانية أشهر فى الولايات المتحدة فقد دعت اليه الضرورة العاجلة إذ لم يكن بد من اعادة ترميم النظام الاقتصادى فى تلك البلاد واقامة صرح الرخاء على النظم الجديدة ببذل شىء من التضحيات . وفى الواقع أن الرئيس روزفلت قد أظهر شجاعة وحكمة نادرتين لانه أدرك أن مقاومة الازمة الاقتصادية العالمية لا تتم إلا بضمان التوازن بين الانتاج والاستهلاك . فهذا التوازن يمكن العامل من استئناف العمل واستخدام جيوش العمال فتقل البطالة وتنفرج الضائقات . وعندها فلا بد من وضع الاقتصاد الاميركى تحت إشراف الحكومة . وقد علمت من البيانات الكثيرة التى تلقيتها من الولايات المتحدة أن الكثيرين من أرباب الاعمال قد عرضوا من تلقاء أنفسهم أن يسهموا بموجب مشروع روزفلت للانعاش الاقتصادى فتنازلوا عن الكثير من حقوقهم الشخصية فيما يتعلق بأجور العمال وساعات العمل

والفاشستية تعتبر أن الجهود الاقتصادية ذات علاقة وثيقة بمصالح الدولة بحيث لا يكون من الحكمة اطلاق الحبل لاصحاب الاعمال على الغارب وتركهم يتصرفون بنظام البلاد الاقتصادى على ما يلائم مصالحهم الشخصية . وبعبارة أخرى — أن الفاشستية ترى أن من شروط رخاء البلاد أن يكون للحكومة حق الاشراف على النظم الاقتصادية وأن يشترك فى ذلك الاشراف كلا العمال وأصحاب الاموال عن طريق مندوبين يمثلونهم

لقد أعجبت كل الاعجاب ببرنامج الانعاش الاقتصادى الاميركى منذ بدىء بتنفيذه فى شهر يوليو من السنة الماضية . ولا شك أن هذا البرنامج دليل كبير على شجاعة الرئيس روزفلت واقدامه. ولذلك نرقب سير البرنامج بالاعجاب وروح العطف !

لقد تسنى لايطاليا أن تحل كثيراً من مشاكلها الاقتصادية بفضل السلطة الادارية التى هى بالتوفيق بين نظام البلاد الاقتصادى ومصالح الامة . والامة الاميركية مقبلة اليوم على عصر جديد تنظم فيه العلاقات بين حاجات المنتجين وحاجات المستهلكين . وبوادر النتيجة تبشر بحسن المستقبل

ضريبة البقشيش

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ريدرز
دیجست . بقلم الاستاذ شارلس فرجسون]

يبلغ مجموع ما يدفعه الشعب الاميركي من « البقشيش » أكثر من مائة وخمسين مليون دولار (ريال) في العام . وهذا دليل على رواج حرفة « البقشيش » ليس في الولايات المتحدة فقط بل في جميع أنحاء العالم . ومن الادلة على هذا الرواج أن احد الاميركيين استأجر من أحد الملاهي بمدينة نيويورك الغرفة التي توضع فيها القبعات والمعاطف والمظلات (الفستيير Vestiaire) بأجرة خمسة آلاف دولار في السنة فكان ربحه عظيماً جداً . وفي الواقع أن امثال هذه الغرف في فنادق نيويورك وشيكاغو الكبرى تؤجر لشركات خاصة بأجور باهظة يبلغ بعضها خمسين ألف دولار في العام

ويؤخذ من تقرير لمصلحة العمل بولاية نيويورك أن العمال يكسبون من البقشيش عدة ثلاثة أضعاف ما يتقاضونه من الاجور . وبعض تلك الفنادق لاتدفع أجوراً للعمال بل بالعكس تتقاضى منهم جعلا معيناً وهؤلاء يكتفون بما يقبضونه من البقشيش

وقد أصبح نظام البقشيش من شوائب هذا العصر وهو ليس من مستحدثات هذا الزمن بل كان معروفاً منذ زمن طويل . وكان البقشيش يدفع في الاصل مقابل حسن الخدمة ثم أصبح بمرور الزمن لا غنى عنه ساءت الخدمة أو حسنت

وفي زمن من الازمان سنت بعض الولايات الاميركية قوانين مختلفة حظرت بها البقشيش الا أن اكثر تلك القوانين ألغي ولم يبق منها إلا قانون ولاية « ايوا » وهو يحرم دفعه ويعتبره من النوع المعروف « بالمخالفات »

ويختلف مقدار البقشيش باختلاف ظروف الزمان والمكان . والرأي السائد هو أن هذا المقدار يجب ألا يزيد على عشرة في المائة من مبلغ الحساب الاصلي بشرط أن يكون هذا « الحساب » كبيراً وكلما نقص زادت نسبة البقشيش . فاذا تعشيت في مطعم وكان ثمن العشاء ريالا أو ريالين مثلا فلا ينتظر منك أن تدفع بقشيشاً أقل من شلن . واذا كان معك صديق يتعشى وجب أن تزيد مقدار « البقشيش »

والذين يحق لهم أخذ البقشيش كثيرون جداً وفي مقدمتهم خدم الفنادق والمطاعم والطهاة والخدم والحمالون والاولاد الذين يحملون الرسائل البريدية والتلغرافية إلى النزلاء في الفنادق وخدم المراكب والقطارات الحديدية والوصيفات في البواخر وعمال السكك الحديدية والحلاقون والمشتغلون والمشتغلات في « محلات الجمال » والحوذية وساقة الاوتوموبيلات وعمال دور السينما والملاهي وجيش

كثير غير هؤلاء من الناس . وتختلف المبالغ التي تدفع لهم باختلاف عوامل كثيرة بحيث لا يمكن تحديد البقشيش إلا تحديداً تقريبياً فقط . والحقيقة التي لا مناص من الاعتراف بها أن الامتناع عن دفعه قد يعود على الممتنع به بورثه الندم

على أن مبلغ البقشيش محدد في بعض البواخر والفنادق تحديداً عرفياً . خذ البواخر مثلا فالمسافر بالدرجة الاولى يجب أن يجمع نصف عينيه الاشخاص الذين يتحتم عليه أن ينفحهم به . فأما الاشخاص فهم عادة : خادم الغرفة وخادمتها واثنان من خدم قاعة الطعام وأحد النذل على ظهر الباخرة . والمبلغ الذي يتعين عليه أن يدفعه لكل منهم يختلف باختلاف درجة انتفاعه بخدمتهم ، ولكنه لا يقل عن نصف ريال ولا يزيد على ريال لكل يوم من أيام السفر . وهناك موظفون وعمال آخرون في الباخرة ينتظرونه ولكن دفعه لهم متروك لتقدير الراكب . وعلى كل فان موظفي كل باخرة يضمنون حساباً تقريبياً لما ينتظرون أن يحصلوا عليه من البقشيش من ركاب كل درجة في كل سفرة وقلما يخطىء حسابهم . وفي كثير من الحالات يقتسمون ما يجمعونه إما بالتساوي أو بموجب عرف سائد بينهم

وهنا يخطر ببالنا هذا السؤال وهو : من الذي يدفع البقشيش أكثر ـ الرجل أم المرأة ؟ والغنى أم المتوسط الحال ؟

والجواب أن الرجل أكثر سخاء من المرأة ، ومتوسط الحال أسخى من الغنى ، وحديث النعمة أسخى من تالدها

وتعليل ذلك سهل . فالرجل أكثر احتكاكا بمن يجب أن يؤدى لهم البقشيش فهو يريد أن يضمن حسن خدمتهم دائماً . ومتوسط الحال أسخى من الغنى لأن هذا أحرص على المال من ذاك . وحديث النعمة أسخى من تالدها لأن هذا اعتاد خدمة الناس له بخلاف ذاك فانه لم يعتدها فهو يريد أن يضمنها في المستقبل

والجانب الاكبر من مجموع البقشيش هو من المبالغ الصغيرة لا من المبالغ الكبيرة ، لا في أميركا فقط بل في أوربا وفي جميع أنحاء العالم أيضاً . وقد حاول بعض أصحاب الفنادق الكبرى في إيطاليا وفرنسا أن يمنعوا نزلاء الفندق من دفعه بأن يزيدوا على قائمة الحساب مقدار عشرة في المائة يسمونه « اتاوة الخدمة » . ومع أن هذا النظام قد انتشر إلا أنه لم يؤد إلا الى زيادة الطين بلة لان نازل الفندق بعد أن يدفع اتاوة الخدمة الاضافية يشعر بأن أبصار الخدم ما تزال محدقة به فلا يستطيع مغادرة الفندق من دون أن ينفحهم بشيء

وعليه يرى الكثيرون أن دولة البقشيش باقية إلى ما شاء الله مهما استنبط الناس من الحيل للخلاص منها

هل للحظ وجود

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ماكن عم .
بقلم بطل من ابطال لعبة البردج بامريكا]

ليس للحظ وجود حقيقي في اللعب . والنحس الذي يلحق اللاعب أحياناً يتصلل بالتدريج كلما طال اللعب بحيث يصبح ما لا يؤبه له

أنظر إلى اللاعب وقد لزمه شيء من النحس فصار يخيل اليه أن شيطان الشؤم مخيم فوقه وان ورق اللعب ناقم عليه مهال لقرينه . وفي الواقع أنه واهم فيما يعتقد . والورقات التي يعطاها ليست في مجموعها سوى ورقات ذات قيمة متوسطة لأن ناموس المتوسطات ثابت لا يتغير

وقد اتفق لكاتب هذه السطور يوم كان يتلقى الدراسة في الكلية ان استاذ علم الاقتصاد كان يشرح للتلاميذ ناموس المتوسطات ، فعهد إلى مائة من الطلبة أن يرمي كل منهم فلقتي النرد مائة رمية (ومجموع عدد الرميات ١٠٠ × ١٠٠ أو عشرة آلاف) فيتبينوا بوجه التقريب من عدد المرات التي يظهر فيها كل رقم من أرقام فلقة النرد طبقاً لناموس المتوسطات . و ... انبأ به :

مجموع فلقتي النرد	عدد مرات التي ... ظهورها	عدد مرات ظهورها فعلا
٢	[illegible]	٢٦٥
٣	[illegible]	٥٨٨
٤	٨٣٣	٨٤٠
٥	١١١١	١٠٥٨
٦	١٣٨٩	١٤٤٧
٧	١٦٦٦	١٦٩٢
٨	١٣٨٩	١٣٤٠
٩	١١١١	١٠٣٧
١٠	٨٣٣	٨٩٣
١١	٥٥٦	٥٠٩
١٢	٢٧٨	٣٠١
	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠

وقد يصعب على كل انسان ان يقوم بهذه التجربة عينها وأن يرمي فلقتي النرد مائة الف رمية

ولكن في استطاعته أن يجرب الف رمية فقط . ثم ان النتيجة تكون أكثر اثباتاً لحقيقة ناموس المتوسطات كلما كثر عدد الرميات ولكن المبدأ هو هو

وكذلك القول في ورق اللعب . « فاليد » التي تحصل عليها — أي مجموعة الورقات التي توزع عليك — لا تشذ في شيء عن ناموس المتوسطات . واذا فحصت عشرة آلاف « يد » أو مجموعة من مجموعات الورقات رأيت كفتي الحظ والنحس متعادلتين . وهذا هو السبب في انك تخسر اليوم ما كسبته بالأمس وتخرج — بعد وقت طويل — وقد كاد حظك من الربح والخسارة يتعادل

وناموس المتوسطات يدل على ان كل « يد » أو مجموعة من الورق هي خاضعة لذلك الناموس فليس ثمة حظ أو نحس وانما هنالك تعادل في الكفتين

على ان هنالك عاملا آخر يؤثر في كل لاعب وفي طريقة لعبه وهو عامل الخوف والتشاؤم . والذين يستسلمون إلى هذا العامل قلما يسلمون من الفشل لان الخوف يخرج بهم عن جادة الصواب فيرتكبون الخطأ أثر الخطأ ولا يستطيعون أن يحكموا اللعب . ومما يجدر بالذكر أن خوار العزيمة مرض سريع الانتشار فاذا استسلم اللاعب اليه ضاينه الفشل المحقق

وبعكس ذلك اذا كان اللاعب شديد الثقة بنفسه فان ذلك يحمله يحكم اللعب وان يصيب في حكمه المرة بعد المرة . واذا أخطأ مرة أمكنه أن يتدارك خطأه في الحال . وأشهر المقامرين في العالم أشدهم ثقة بنفوسهم

قوة الارادة

* قال أحد العلماء الاميركيين : ليس الدواء كله فيما يستقطره الكيميائيون من النبات والاعشاب بل إن نصف الدواء في اعتقاده وفي قوة ارادتنا للتغلب على الضعف والمرض

* كان نابليون كثيراً ما يزور المستشفيات المصحة بالامراض الوافدة كالطاعون ، وكان يضع يده فوق دمامل الطاعون حيث كان كثير من الاحياء يرتعدون خوفاً من النظر اليها . ومن قوله : « ان الرجل الذي لا يخاف هو الرجل الذي يقدر أن يزيل الطاعون »

* أصيب رجل من الذين يمشون على الحبال بتعقد في ظهره عاقه حتى عن الوقوف ، وكان قد عقد اتفاقا ليقوم بالعاب أمام الجماهير ، فاستدعى الطبيب وقال له : « يجب أن امشي غداً ، لان قعودي يفقدني ربحاً وضعها دفعت لك » ولكن الطبيب منعه عن التعب . فلما رأى المريض ما كان من طبيبه نهض بالرغم منه قائلا « وماذا تعني ارشاداتك وعقاقيرك إذا كنت لا تقدر على شفائي » وذهب في الوقت المعين وأتم عمله

تقدم العلم والعالم

سعة الكون والزمن

ان الارصاد الفلكية التى يقوم بها علماء الفلك فى الوقت الحاضر والتى سيواصلون القيام بها فى خلال الآلاف المقبلة من السنين، إنما هى ممكنة بفضل أشعة النور المنبعثة من الافلاك السحيقة منذ مئات الالوف بل منذ الملايين من السنين . ومع ذلك فان تلك الملايين من الحقب ليست سوى نقطة فى أوقيانوس الازل والأبد . ولا يخفى أن النور يسير فى فضاء الكون بسرعة ١٨٦ الف ميل أو نحو ثلثمائة الف كيلومتر فى الثانية . ومع أن نور بعض الاجرام قد انبثق منذ ملايين الاحقاب فهو مايزال يسير فى فضاء الكون ولم يصل الينا حتى الآن ولا ينتظر أن يصل الينا قبل مرور عدة ملايين أخرى من السنين . ومع ذلك لو سار مائة مليون سنة فى فضاء الكون بسرعة ١٨٦ الف ميل فى الثانية فلن يكون قد اجتاز من الفضاء سوى مرحلة ضئيلة جداً ليست سوى نقطة صغيرة فى أوقيانوس الكون الفسيح . فتأمل فى عظمة الكون واتساعه !

ومما يجدر بالذكر أن فكرة الزمن انما وجدت بسبب دورة الكرة الارضية على محورها وحول الشمس . فلو كانت الكرة الارضية واقفة فى مكانها وأشعة الشمس تسقط على جزء معين منها باستمرار ما تعاقبت الايام والفصول والاشهر بل لبقى الزمان جامداً لا يتحرك ولم يستطع عقل الانسان اذ ذاك (لو فرضنا امكان وجوده على الارض) أن يتصور الزمن

اشعاع العناصر

المعروف أن لكل عنصر من عناصر المادة المعروفة اشعاعاً خاصاً يمتاز به ويميزه من غيره والعلماء يسمون هذا الاشعاع « النشاط الراديومى » وهو صفة طبيعية ملازمة لكل عنصر . وقد جاءت المجلات العلمية الاخيرة بنبأ مؤداه ان الاستاذ جوليو وزوجته السيدة آرين كورى جوليو (وهى ابنة مدام كورى مكتشفة الراديوم) قد تمكنا من احداث النشاط الراديومى بطريقة صناعية لاول مرة . وقد أحدث هذا الخبر تأثيراً عظيماً فى الدوائر العلمية وشرع معمل كافنديش بجامعة كمبردج (وهو أشهر المعامل الطبيعية فى العالم) فى القيام بتجارب دقيقة لتحقق صحة هذا الخبر . وقد سئل اللورد رذرفورد، وهو من أكبر علماء الطبيعة ، عن رأيه فى هذا الامر فقال إن العمل الذى أجراه الاستاذ جوليو وزوجته دليل على جهلنا لأسرار الجوهر الفرد وأسرار النشاط الراديومى

السكك الحديدية المقبلة

فى سنة ١٩٠٦ أتيح لكاتب هذه السطور أن يزور المتحف البريطانى اليابانى الذى أقيم فى مدينة لندن حيث رأى نموذجاً لقطار يسير على قضيب حديدى واحد لا مزدوج . وكان المظنون يومئذ أن ذلك الاختراع سيحل محل القطارات الاعتيادية لانه ادعى الى الاقتصاد وأسرع حركة

فضلا عن كونه بعيداً عن الاخطار . ولسبب من الاسباب أهمل الاختراع ولم يسمع عنه شيء فيما بعد، الى أن جاءتنا اليوم إحدى المجلات العلمية الاميركية تقول ان الاهتمام بتلك الاختراع قد تجدد وإن عامل الخطر فيه قد نقص الى أدنى حد ممكن . ومما يجدر بالذكر أن هـذا الاختراع يقوم على مبدأ المراجحة والدوامة (النحلة) فان استدامة حركتهما في جهة معينة تحول دون ارتجاجهما وميلانهما الى جهة واحدة . وكما أن المراجحة كلما اسرعت في السير كانت أكثر ثباتاً وأقل تعرضاً للسقوط كذلك القطار الحديدي، فان السرعة تكسبه قوة على الثبات . وعلى كل فانه لم يبلغ بعد حد الاتقان الذي يجعله صالحاً للاستعمال

الكساح وأشعة الشمس

المعروف أن مرض الكساح الذي يصيب الاطفال ينشأ عن سوء التغذية وعن عدم وجود الفيتامين (د) في المواد الغذائية التي يتناولها الطفل . على أن الاطباء قد لحظوا أن اولاد جزيرة بورتوريكو (من جزائر الانتيل) خالون من مرض الكساح مع سوء تغذيتهم حتى ان بعضهم يكادون يتضورون جوعاً . وقد درس جمهور من الاطباء الاميركيين حالتهم ليعلموا سر عدم انتشار الكساح بينهم فوجدوا أن ذلك راجع الى معيشة أولئك الاولاد في الخلاء معرضين لأشعة شمس اقليمهم الحار ولا سيما الأشعة الوراء البنفسجية . ولا يخفى أن هذه الأشعة عندما تقع على جسم الانسان تؤثر في المادة الدهنية التي في الجلد وتحدث به تفاعلا كيماوياً يتولد منه الفيتامين (د) وهو الفيتامين الذي يحول دون مرض الكساح

التوابل

التوابل هي ابزار الطعام أي ما يطيب به الطعام من الاشياء اليابسة كالفلفل والكمون والبهار والدارصيني والقرفة والقرنفل والكزبرة وغيرها من منبهات شهوة الطعام . ويقول العلماء إن استعمال هذه التوابل باعتدال مساعد الهضم بخلاف الافراط فيها فانها تحدث تهيجاً في غشاء الجهاز الهضمي وفي هذا الغشاء حبيبات مكرسكوبية هي التي تتأثر بالتوابل وتساعد على الهضم

ويمكن أن نحسب البصل والثوم والكراث والجرجير وما أشبه من قبيل التوابل إلا أنها أضعف أثراً منها . ولعل البصل أضعفها ولكن للبصل حسنة يمتاز بها وهي أنه معقم للفم

أعلى درجات الحرارة

يؤخذ من أحدث المباحث العلمية التي قام بها بعض علماء الفلك وفي مقدمتهم السر آرثر ادنجتون الفلكي المشهور أن متوسط حرارة الشمس يبلغ اثني عشر مليون درجة بمقياس سنتجراد، وان أقصى تلك الحرارة يبلغ واحداً وعشرين مليون درجة . وكان السر ادنجتون نفسه في سنة ١٩٢٤ قد وجد أن الدرجة القصوى لتلك الحرارة هي أربعون مليوناً بمقياس سنتجراد ، ولكن الارصاد الاخيرة جعله ينقح ذلك الرقم

ويعتقد السر آرثر ادنجتون ان ٣٥ في المائة من جرم الشمس هو من عنصر الايدروجين والباقي من العناصر الأخرى وكلها في حالة غازية

قنفذ البحر

عثر الدكتور باورز من أعضاء معهد كرنجي بواشنطون على حيوان بحري من نوع قنفذ البحر (ازرسا) في مياه فلوريدا . وهو كبير الجسم يبلغ قطر جسمه ست بوصات وطول كل شوكة على ظهره اثنتا عشرة بوصة . وهنالك مئات من هذه الاشواك يتخللها عند قواعدها قطع زرقاء مستديرة تشبه شكل العين كأنها فصوص قد رصع بها ظهر الحيوان . وقد نقل هذا الحيوان وحنط ووضع في المتحف الطبيعي الأهلي بواشنطون وهو الوحيد من نوعه حتى الآن

سكان اليابان وسكان الولايات المتحدة

تدل الاحصاءات الموثوق بها على أن نسبة زيادة سكان اليابان هي أكثر من ضعفي نسبة الزيادة في سكان الولايات المتحدة . فقد كانت تلك النسبة في السنة الماضية ١٤ في الألف في اليابان و ٦ في الألف في الولايات المتحدة وبلغت الزيادة العددية ٩٤٣٩٠٠ في الأولى و ٧٩٧٠٠٠ في الثانية مع أن عدد السكان في اليابان لا يزيد على ٦٧ مليونا ونصف مليون وعدد السكان في الثانية يزيد على مائة وستة وعشرين مليونا

ومما يجدر بالذكر أن الزيادة في عدد سكان الولايات المتحدة منذ عشر سنوات كانت أكبر نسبياً وعددياً من الزيادة في عدد سكان اليابان

أما نسبة الوفيات فهي أكبر في اليابان منها في الولايات المتحدة لانها ١٩ في الألف في الاولى و ١١ في الألف في الثانية

وليس امام اليابان أي قطر ترسل اليه من يزيد من سكانها سوى منشوريا . وعليه يرى علماء الاجتماع أن زيادة عدد سكانها بمثل هذه السرعة ستسبب لها مشاكل لايستطاع الأنباء بخطرها

من أساليب القتال القديمة

لا يخفى أن كتائب الجيش المقدوني في عهد الاسكندر اشتهرت بهجومها على الأعداء بصفوف متراصة تحميها تروس فوق الرؤوس متصلة بعضها ببعض . وكانوا يسمون تلك الكتائب « فلانكس » أي الفيالق المتراصة . وكان المؤرخون حتى عهد قريب يعتقدون أن ذلك الأسلوب من القتال من مستنبطات المقدونيين . ولكن علماء الآثار عثروا أخيراً على الواح حجارية في مابين النهرين تدل على أن الاشوريين والبابليين جروا على ذلك الأسلوب من القتال قبل المقدونيين بأكثر من الفي سنة أو بأكثر من أربعة آلاف سنة

التجمل عند هنود اميركا

عثر العلماء الاميركيون على مقبرة لهنود أميركا القدماء بالقرب من مكان يدعى « مونت الان » ترجع الى أكثر من الف سنة وتمتاز جماجم جميع الذكور فيها بانها مسطحة عند مقدم القمة ، والأسنان الامامية فيها مخروطية محددة . ويؤخذ من بعض القرائن أن المدفونين في تلك المقبرة كانوا من أعيان القبيلة أو كبرائها وأن شكل جماجمهم وأسنانهم دليل على ما كانوا يبذلونه من الجهد ويتحملونه من الآلام في سبيل تحميل مرآهم الخارجي . أما النساء فلم يكن يعمدن الى التجمل بالطرق المذكورة مما يدل على أن التجمل كان من شأن الرجال فقط

من مشاكل زيادة النسل

قام بعض العلماء الاجتماعيين بجمع احصاءات المواليد بين الشعوب البيضاء والسوداء وبين الطبقات التي تختلف في مستوى تعليمها. فاتضح أن المتوحشين أكثر تناسلا من المتمدنين، وأن البيض أخصب من السود والصفر، وانه كلما تقدم الانسان في العلم كان أكثر اهتماماً بتقييد نسله. وهذه الحقيقة تجعل الكثيرين من علماء الاجتماع يشعرون بخطر تقييد النسل لانه يؤدى الى زيادة العناصر غير المرغوب فيها والى تناقص العناصر المرغوب فيها. ولا سبيل الى تلافي الكارثة التي تهدد العمران الا اذا تعلم الناس جميعهم فائدة تقييد النسل، وهذا غير متيسر في الوقت الحاضر لان الافكار غير مستعدة لقبول مبدأ التقييد

أشعة الشمس القاتلة

ثبت بالاختبار أن أشعة الشمس تقتل بعض أنواع الحيات - كالحية ذات الأجراس - اذا عرضت لها نحو عشرين دقيقة. وقد وضع بعضهم حية من ذوات الاجراس في قفص من حديد في أشعة الشمس مدة ربع ساعة فكانت هذه الحية تبذل كل ما في وسعها للنجاة من تلك الأشعة. وبعد دقيقتين أخريين بذلت آخر جهدها للنجاة. وعند نهاية ثماني عشرة دقيقة تماما توفيت وتمددت في القفص

خلايا الجسم والراديوم

يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن خلايا نسيج الجسم الجديدة أشد تأثراً بأشعة عنصر الراديوم من الخلايا القديمة. وهذا هو سبب اختلاف تأثير الراديوم في الاجسام

نيزك كبير

النيازك تتساقط على سطح الكرة الارضية من وقت الى آخر. وآخرها نيزك سقط على مقربة من بلدة هوبا بجنوب غربي افريقيا ويقدر ثقله بستة وستين طناً

الذهب والفضة في مياه البحار

مياه البحار هي أغنى كنوز الكرة الارضية وفيها الكثير من المعادن الكريمة المعروفة ومن جملتها الذهب والفضة. ويقول علماء الكيمياء إن الموجود فيها من الفضة هو ألف ضعف الموجود فيها من الذهب

الاعلانات قديما

من جملة آثار مدينتي هركولانيوم وبومباي قديما اعلانات مكتوبة مكتوبة على جدران الابنية بحروف رومانية كبيرة ماتزال ظاهرة تقرأ حتى الآن

أعظم الزلازل التاريخية

الارجح أن أهول الزلازل التاريخية التي نكب بها البشر هي الزلزلة التي حدثت في سوريا سنة ١١٥ قبل التاريخ الميلادي، فدمرت مدناً كثيرة من جملتها مدينة انطاكية التي كانت زاهرة في ذلك العهد وبلغ عدد الذين أهلكتهم تلك الزلزال أكثر من ربع مليون نسمة

الراديوم في العالم

الراديوم هو كما لايخفى من اندر عناصر المادة في الكرة الارضية. ولا تزيد الكمية التي تستعملها اليوم جميع مستشفيات العالم منه على رطلين فقط

مقبرة قديمة

عثر بعض علماء الآثار الفرنسيين على مقبرة رومانية قديمة بقرب بلدة تسمى «بلوا» تشتمل على نحو خمسمائة قبر . وترجع هذه المقبرة الى العهد الذي كان الرومان القدماء يقيمون فيه بفرنسا مستعمرين وكانوا يسمونها «غاليا»

الحيوانات المنقرضة

ليس في وسع العالم حصر جميع الحيوانات التي وجدت على سطح الكرة الارضية وانقرضت . والأرجح أن ما قد عرف من تلك الحيوانات لايزيد على واحد في المائة مما لم يتصل خبره بأحد من العلماء . والمظنون أن الحيوانات البرية المنقرضة هي اضعاف امثالها من الحيوانات البحرية ، وأن ما انقرض من الدنيا منها أكثر مما انقرض من العليا

أزياء الشعر في فينيا

ليس المتمدنون أكثر اهتماما بأزياء الشعر من غيرهم . فأهالي غينيا الجديدة هم شديدو الاهتمام بتلك الازياء ، حتى إن الازياء عندهم تدل على أعمار الناس ، إذ كلما تقدم الانسان في السن اختلف زي شعره . وكذلك تختلف أزياء الشعر عند الرجال عنها عند النساء . ولكل من الاطفال والاحداث والشبان والكهول والشيوخ أزياء معينة لايجوز مجاوزتها الى غيرها مراعاة للسن

من طرق التخاطب

من طرق التخاطب بين المتوحشين اذا فصلت بينهم المسافات الطويلة أن يقسموا تلك المسافات مراحل يضعون عند كل مرحلة منها طبالا يضرب على طبلة ضربات يفهمها الطبال الذي في المرحلة التالية فينقلها بالطريقة عينها الى الطبال الذي يليه ، فلا تمر بضع دقائق حتى يكون الطبال الذي في المرحلة الاخيرة قد وقف على الخبر المراد نقله اليه من المرحلة الاولى

في أقدم مكتبة

أشرنا في أجزاء سابقة من «الهلال» الى أعمال الحفر والتنقيب التي تقوم بها لجنة من علماء الآثار الفرنسيين في سواحل سورية الشمالية بالقرب من رأس شمرا والمينا البيضاء ، والى الالواح الحجرية التي عليها أقدم كتابة كتبها الانسان بالحروف الهجائية . وقد وجد أولئك العلماء هناك مجموعة من الالواح الهجائية هي كتاب في أمراض الخيل يظهر أن مؤلفه بيطري من الخبيرين بتلك الامراض

ثقل الدماغ

يختلف ثقل الدماغ باختلاف العمر والجنس والتعلم . ويظل الدماغ ينمو ويزيد ثقلا الى زمن الشيخوخة ، ثم يأخذ في النقصان . وكلما تقدم الانسان والعلم زاد وزن دماغه . ومتوسط وزن دماغ العاقل أكثر من متوسط وزن دماغ المجنون . ومتوسط دماغ الطفل المولود من والدين متعلمين أكبر من متوسط دماغ الطفل المولود من أبوين جاهلين

سمك غريب

في مياه اميركا الوسطى نوع غريب من السمك لكل سمكة منه أربع أعين منها اثنتان لرؤية مافوق الماء واثنتان لرؤية ماتحت الماء !

الامانة الزوجية بين الحيوانات

ليست الحيوانات على شيء من الامانة الزوجية لانها تعيش على الفطرة . ولكن أحد العالمين بطبائع الحيوان يقول إن الاوز معروف بأمانته الزوجية وإن كل ذكر منه يلازم انثى معينة مدى العمر، وكثيراً ماتسير اسرابه اثنين اثنين هما ذكر وانثى وقلما يفارق احدهما صاحبه

الفضاء والسدم

يقول علماء الفلك إن الفضاء علوء سدماً أكثر منه نجوماً . وبعض تلك السدم هي اجرام فلكية تدور في الفضاء منذ الازل وسوف تدور الى الابد، وهي كبيرة جداً حتى إن بعضها هي أكبر من الشمس ملايين الاضعاف . وقد يظن البعض أن مادة السدم كثيفة، وفي الواقع انها لطيفة جداً وبعضها تكاد يكون الطف من الهواء إلا انها غازاتملتهبة تدور على محاورها وتتكاثف بمرور الزمن . ومتوسط البعد بين كل سديمين يعادل ملايين اضعاف قطر الشمس، ويدل على كبر حجم بعض تلك السدم أن في بعضها الوف الوف الملايين من النجوم وبعض تلك النجوم هي من الكبر بحيث أن في وسعك أن تقذف في جوفها الف بليون بليون شمس كشمسنا فلا يظهر لها أثر . فسبحان الخلاق العظيم !

قصر السوفيات

لا يدع السوفيات فرصة تمر إلا انتهزوها لاظهار عظمتهم ومدى سلطانهم . وآخر ما عزموا عليه تشييد قصر فخم في موسكو يسمى قصر السوفيات . وسيكون أعلى بناء في العالم وقد تبارى ألوف من المهندسين الروس في وضع الرسوم الهندسية لهذا البناء

رصف الطرق بالزجاج

تعددت المواد التي ترصف بها الشوارع في هذا العصر . فمن شوارع ترصف « بالمكدام » الى شوارع ترصف بالقطران أو الاسفلت أو الخشب أو الكاوتشوك المقوى أو القطن أو غير ذلك . وقد جاءتنا احدى الصحف الاخيرة بنبأ مؤداه أن حكومة تشيكوسلوفاكيا تجرب الآن رصف الشوارع والميادين العامة بنوع من الزجاج الصلب لان مثل هذه الشوارع يمكن الاحتفاظ بنظافتها بسهولة فضلا عن متانتها، وهي لاتحتاج الى اصلاح أو ترميم إلا بعد مرور زمن طويل . ولا يخفى أن في مصر وفي كثير غيرها من المدن الكبرى ترصف الافاريز بعض الشوارع بالزجاج

المعارض الرومانية

كان من عادة الاباطرة الرومان أن يقيموا من وقت الى آخر في الكوليزيوم أو الفوروم معارض يعرضون فيها ماعندهم من التحف والآثار النادرة وما يمتلكونه من النفائس لكي يطلع عليها الجمهور

الناقوسات السامة قديما

كانت الغازات السامة معروفة عند هنود اميركا منذ أقدم الازمنة ولا سيما في اميركا الجنوبية . ولما غزاها الاسبان منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن كان أولئك الهنود يحرقون شجيرات النبات المعروف بالفلفل الاسباني فتنبعث منها غازات خانقة تجعل الاسبان يهربون منها مذعورين

كتب جديدة

شهر زاد

تأليف الاستاذ توفيق الحكيم
طبع بمطبعة دار الكتب المصرية
بالقاهرة . صفحاته ١٦٢

« شهر زاد » اسم اشتهر منذ وجدت « ألف ليلة وليلة » ، واقترن هو بها أو اقترن اسمها به ، ونسب هو اليها . لانها كما يقولون واضعته ، ولانها هى التى خلقته فى عالم القصص . ويروى « ألف ليلة وليلة » أنه كان فى سابق الزمان وسالف العصر والاوان ملك يدعى شهريار رأى زوجه يوماً فى أحضان عبد خسيس ، فقتله وقتلها ، ثم اقسم أنه كلما تزوج فتاة قتلها فى صباح اليوم التالى حتى تزوج ابنة وزيره تدعى « شهر زاد » فاستطاعت أن تثنيه عن القسم بما كانت تقصه عليه من الاقاصيص المتصلة المتتابعة ، فتبدأها فى الليلة الاولى ، ثم فى الثانية الى ألف ليلة وليلة . وفى كل ليلة تروى له قصة أو قصصاً تقصها لتتمها فى الليلة التالية ، وهكذا استطاعت بهذه الحيلة أن تنجو من الموت

تلك خلاصة هذه القصة التى كانت سبباً فى تأليف « ألف ليلة وليلة » ، وهى تعطينا فكرة عن طبيعة الرجل وكيف تمتلكه الغيرة حتى تدفعه الى ارتكاب أقسى الاعمال . ثم هى من جهة أخرى تمثل المرأة كأى انسان يحتال فى النجاة من الموت ، وقد فتح الله علينا بهذه القصص . ولكن الاستاذ توفيق الحكيم صاحب هذه القصة الجديدة (شهر زاد) يعمد الى هذه القصة فيشير اليها اشارة خفيفة ليبنى عليها قصة جديدة تتفق فى بعض اسماء ابطالها ولكنها تختلف فى موضوعها ، فهى على الرغم من الاشارة الى ابطال (قصة ألف ليلة وليلة) قصة جديدة يكون الصراع فيها بين العقل ، والقلب والجسد ، ثم يتغلب العقل وتتغلب الفلسفة فى النهاية ، ويظهر فيها بوضوح ان المرأة هى المرأة ، وان شهر زاد التى اصطفاها الملك ووهبها لهذه القصص الممتعة التى كانت تسليه طوال الايام ، لاتختلف عن زوجه الاولى التى أهاجت غيرته والتى من أجلها كان يقتل كل فتاة يتزوج بها فى اليوم التالى « وان » انسانة تلوها انسانة فى قانون الابدية والدوران »

ولذلك لم يعاقبها الملك كما عاقب زوجه الاولى ولم يقتلها ويقتل العبد الخسيس كما قتل الاولين ، لأن التجربة انتهت به الى فلسفة أصبح بها معلقاً بين السماء والارض أو اصبح بها بعيداً عن الارض « هذا السجن الذى يدور ، انا لانسير ولا نتقدم ولانتأخر ، لانرتفع ولا تنخفض . انما نحن ندور . كل شيء يدور . تلك هى الابدية . ياللماس خدعة ! سأل الطبيعة عن سرها ، فتجيبنا بالقف والدوران »

ولايتسع المقام لتلخيص هذه القصة النفيسة وحسبنا الاشارة الى أن الاستاذ توفيق الحكيم وفق فى قصة « شهر زاد » كما وفق فى « أهل الكهف » ، وأجاد كل الاجادة فى تنسيق القصة وتحليل الاشخاص فلا شك أنه قد بلغ فى هذا الفن غاية حسنة

مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

طبع الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاته ٢٠٦

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب التاريخي النفيس الذي قام بتأليفه المؤرخ المجيد الاستاذ محمد عبد الله عنان . وهي تمتاز بعدة ميزات ، فقد أضاف اليها المؤلف فصلين كبيرين جديدين هما (بلاط الشهداء) و (سقوط طليطلة) وأعاد كتابة عدة فصول ونقحها تنقيحاً جيداً وانفق جهـــداً كبيراً في تحقيقها ودرسها . وبوب كثيراً من فصولها تبويباً جديداً ، فضلا عن أنه أتقن طبعها اتقاناً ممتازاً

ولا ريب أن الاستاذ محمد عبد الله عنان معروف بسعة اطلاعه وعنايته بالتاريخ ، ولهذا فلا تقرأ له فصلا من الفصول إلا رأيت آثار هذه العناية واضحة جلية تشوقك إلى قراءة ما تقدم له من كتابات أو مؤلفات

ديوان الماحي

تأليف الاستاذ محمد مصطفى الماحي

طبع بمطبعة الانشا بحارة الروم بالقاهرة . صفحاته ٢٠٦

لم أقرأ للاستاذ محمد مصطفى الماحي قبل هذا الديوان كثيراً ، ولم اطلع من شعره إلا على نزر من المقطوعات ينفح بها قراء الصحف اليومية الفينة بعد الفينة ، وفي بعض المناسبات الخاصة . ولكنى كنت ألمح بين هذه الابيات التي كان ينشرها شاعرية مطبوعة وفناً صافية وقريحة مواتية ، وسهولة في الاسلوب ، لا تواتى إلا أديباً رقيق العاطفة مكيناً في فنه ، لاتعوزه موسيقى اللفظ ، كما لا ينقصه جمال المعانى ودقتها واشراقها وسمو الخيال فيها

ثم تناولت ديوانه الذي بين يدى الآن ، فاذا أنا أمام هذه المواهب كلها مجتمعة أو متفرقة في قصائده ، واذا أنا أقف بشاعر لا يعرفه إلا القليلون ، وكان جديراً أن يعرفه الكثيرون

والحق أن الاجادة الفنية لا يصح أن تقاس بمقياس الشهرة ، بل ينبغى أن تقاس بمقياس الفن نفسه ، فرب مجهول أرضى الفن بما لا يرضيه كثير من المشهورين

وهذا هو الذى رأيته فى شاعرنا الماحى ، فهو على الرغم من انزوائه تحت استار الوظيفة ومن زهده فى كثرة الاعلان عن نفسه ، أرانى فى ديوانه من الكفاية الادبية ما يخرجه من صفوف الموظفين الى صفوف الادباء العاملين والشعراء المجيدين

لقد كنتى ما حقاً هذه المقدرة فى الجمع بين القديم والجديد ، فديوانه قطعة فنية جمعت بين روعة الماضى ومتانته وجزالته ، وبين توثب الحاضر واشراقه وابتكاره . ولقد قرأت قصيدة « الحب الأول » وهى قصة فى قصيدة ، و« احلام الشباب » وهى معارضة لنونية ابن الرومى ، فرأيت الشاعر فى خلالها يلهم إلهاماً عجيباً يدل على أن الشعر قطعة من نفسه ، وجزء من سليقته ، وتلك صفة الشاعر المطبوع . ومن الظواهر التى تبدو فى شعر الماحى - ولا سيما فى العتاب - صفاء النفس والتسامح وحب الخير . وقد شبه فى عتابه بابن نباتة المصرى ، فقد كان طيب القلب اذا عتب ، هو أدنى الى الاشفاق منه الى التقريع . ولا ريب أن مصرية الشاعرين طبعتهما على كرم النفس وحسن التسامح

مصطفى كمال

تأليف الكاتب الالماني داجوبرت فون ميكوش
وترجمة الاستاذ كامل صموئيل مسيحة

طبع بمطبعة المكتبة الاهلية ببيروت . صفحاته ٣٦٨

كتب التراجم هي من خير الكتب التي تستحق العناية والدرس ، لانها تعطيك صوراً مختلفة من حياة القادة والزعماء والعظماء في نواحي الحياة الانسانية المتعددة ، فالقارىء لها انما يعرض شريطاً مختلف الحلقات متعدد الجوانب فيه العظات والعبر ، وفيه العوامل المتعددة التي تطلع الانسان على ماخفي عنه من عظمة العظماء وزعامة الزعماء التي أهلتهم لان يكونوا على رؤوس الجماهير ويصبحوا محل إعجابهم وتقديرهم

ولا شك أن « مصطفى كمال » من الرجال النادرين الذين فرضوا على التاريخ الاعتراف بهم ، وسجلوا لهم به صفحات خالدة وقد الف الكاتب الالماني الشهير داجوبرت فون ميكوش هذا الكتاب فاستوعب به حياة مصطفى كمال باشا منذ الصبي الى مابعد الانقلاب الاخير وقد قام بترجمة هذا الكتاب الاستاذ كامل صموئيل مسيحة ، وهي ترجمة تستحق الثناء على مابذل فيها من عناية واجادة في الاسلوب وحسن الاداء . وقد زادها رونقاً عناية المكتبة الاهلية في بيروت بطبعها طبعاً متقناً

تاريخ الوزارات

تأليف السيد عبد الرازق الحسني

طبع بمطبعة العرفان بصيدا . صفحاته ٢٣٣

السيد عبد الرازق الحسني من ادباء العراق المعروفين وله بحوث تاريخية مستفيضة تدل على سعة باعه وتوفره على خدمة التاريخ . وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء هو مجهود سنوات عدة قام المؤلف اثناءها بجمع معلوماته وتحقيق حوادثه ووقائعه تحقيقاً تاريخياً دقيقاً . وقد تناول نشوء الدولة العراقية والادوار التي مرت بها في خلال الوزارات التي قامت وتعاقبت على دست الحكم في البلاد العراقية

وقد اعتمد في ذلك كله على المستندات والوثائق الصحيحة واثبت به جميع المعاهدات والاتفاقات التي قامت بها الوزارات المختلفة .

وتكلم بالتعاقب عن الوزارة النقيبية الاولى ثم الثانية ، فالثالثة ، وعن الوزارة السعدونية الاولى ، فالوزارة العسكرية الاولى فالوزارة الهاشمية ، فالوزارة السعدونية الثانية وماتخلل ذلك من الحوادث الى ان وقعت النكبة الاخيرة بوفاة المغفور له جلالة الملك فيصل

الكتاب السنوي الرابع
للمجمع المصري للثقافة العلمية

طبع بمطبعة الاعتماد . صفحاته ١٠١

منذ انشىء المجمع المصري للثقافة العلمية وهو يقوم بخدمات جليلة في نشر الثقافة العلمية بواسطة المحاضرات التي يلقيها اعضاؤه وهم من خيرة العلماء والادباء المصريين . وقد اصدر في الاعوام الماضية الكتب الثلاثة السنوية التي تحوي جميع المحاضرات التي القاها حضرات الاعضاء في خلال السنوات الثلاث . وها هو ذا الكتاب السنوي الرابع وهو كسابقيه يضم طائفة نفيسة من المحاضرات العلمية التي القيت في المجمع في خلال سنة ١٩٣٣ . وقد افتتحه بخطبة الرئاسة لصاحب العزة احمد محمد حسنين ثم تليها محاضرة الدكتور محمد ولي عن « العربية

لغة العلم » ومحاضرة الدكتور على حسن عن « الأدوية والعقاقير في الامراض الطفيلية » ومحاضرة الدكتور حسن زكى عن « القناطر الخيرية من الوجهة الاقتصادية » والدكتور على مشرفة عن « فكرة اللانهائية » والدكتور كامل منصور عن « عاية الحيوان بنسله » والدكتور عبد العزيز بك احمد عن « اتمام المرحلة الأولى في كهربة القطر المصرى » والدكتور احمد زكى ابو شادى عن « استغلال مصر كنحلة عالمية النحل »

مراجع ماشر بعد الحرب العظمى

عن بلدان الانتداب في الشرق الادنى

طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت ، صفحاته ٤٥

هو كتاب ضخم يدل اسمه على مسماه أصدرته الجامعة الاميركية ببيروت ، وهو فهرس لما نشر من المطبوعات في العلوم الاجتماعية عن العراق وفلسطين وشرق الاردن وحول سورية من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٩ وهذا الفهرس مرتب بالنظر الى مؤلفي المطبوعات التى يشتمل عليها بحسب حروف الهجاء ، وهو ينشر تباعاً باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية والعبرانية . وقد قام الاستاذان ايفس فريحة والدكتور ستيوارت دود بجمعه فعانيا في سبيل ذلك مشقة عظيمة لاسباب : ومنها أن الشرق العربى لم يقدر بعد قيمة ممارسة التدوين المنظم وحفظ السجلات . . وقل ان ترى فيه داراً للنشر تحتفظ بقائمة لمطبوعاتها ومنشوراتها .

والكتاب يشف عن جهد عظيم عاناه جامعاه ليجىء وافياً بالغرض . وهو مطبوع باللغتين العربية والانجليزية

التعريفة الجمركية

من سنة ١٩١٩ — سنة ١٩٣٢

تأليف المستر نورمان برنز

أصدرته الجامعة الاميركية ببيروت ، صفحاته ٣٣٦

هو مصنف كبير وضعه بالانجليزية المستر نورمان برنز أحد أساتذة جامعة بيروت الاميركية سابقاً . وقد تولى قسم النشر بالجامعة المذكورة طبعه . وهذا الكتاب يبحث في نظام سورية التجارى في عهد الانتداب الفرنسى وفى العلاقات الجمركية التى تربط سوريا بجميع جاراتها . وهو يتضمن وثائق وسجلات واحصاءات رسمية كثيرة يستطيع من يتتبعها تكوين فكرة عامة عن حالة سورية الاقتصادية . والكتاب يحتوى على تسعة عشر فصلا عالج بها المؤلف تاريخ العلاقات الجمركية بين سورية وجاراتها منذ سنة ١٩١٩ الى الآن ، ولا سيما بين سورية من جهة وتركيا وفلسطين والعراق ومصر وبلاد العرب وأوروبا من جهة أخرى . وقد ختم المؤلف بحثه بايراد آراء الجهات والجماعات المختلفة في نظام التعريفة الجمركية السورية

والكتاب حافل بالاحصاءات والرسوم البيانية لتبيان حقيقة الحالة الاقتصادية من وجهة التعريفة الجمركية . وهو يشف عن مجهود عظيم يستحق المؤلف من أجله كل تقدير وثناء

بين الهلال وقرائه

نمو الجسم والعقل

(القاهرة — مصر) محمد فتحي السيد

ما هي السن التي يقف عندها نمو الجسم والعقل ؟

(الهلال) ليس من السهل تحديد تلك السن تحديداً دقيقاً لانها تختلف باختلاف الافراد . انما يمكننا القول بوجه الاجمال ان الكهولة هي السن التي يقف عندها النمو ولكن هناك أشخاص تظل أجسامهم تنمو الى ما بعد سن الكهولة . ولا يخفى ان لافرازات غدد الجسم وخاصة تلك الغدد علاقة كبيرة بنمو الجسم . فاذا ظل نشاط الغدد طبيعياً الى ما بعد سن الكهولة استمر الجسم ينمو . وهناك عوامل أخرى تؤثر في الجسم كنوع الغذاء ومقدار الرياضة البدنية والحالة النفسية وما الى ذلك

أما نمو العقل فقد يستمر حتى زمن الشيخوخة في بعض الاشخاص الذين تتاح لهم سلامة البدن والحواس . والاختبارات التي يكتسبها الانسان كما تقدم في السن تزيد في نماء عقله . ومن الاشخاص من يحتفظون بقواهم العقلية سليمة حتى الشيخوخة ومن هؤلاء السر أوليفر لودج الفيلسوف الانجليزي المشهور فقد جاوز الثمانين من عمره وما زال في طليعة علماء هذا العصر وعقله في نمو واتساع

بين العقل والاخلاق

(القاهرة — مصر) ومنه

هل توجد علاقة بين العقل والاخلاق ؟

(الهلال) لعلماء النفس في ذلك رأيان مختلفان . فمنهم من يقول إن بين العقل والاخلاق علاقة متينة وهم القلة . ومنهم من يقول انه ليس بين الاثنين علاقة وهؤلاء هم الكثرة . وفي الواقع ان منشأ العقل المخ ، ومنشأ الاخلاق الغدد التي في جسم الانسان . وهذا وحده يكفي دليلا على عدم وجود علاقة بين العقل والاخلاق . وكثيراً ما نجد رجلا عاقلا متصفاً بالنزق وحدة الخلق مما لا يتفق وكرامة العقلاء . على أن أكثر العلماء متصفون بالاخلاق السامية لان سعة مداركهم تحملهم على تفضيل تلك الاخلاق على غيرها

انجيل برنابا

(البياضة — مصر) يوسف ابراهيم الجلاوي

في قصة النسخة السينائية من الانجيل المنشورة في هلال مارس الماضي اشارة الى انجيل برنابا الذي اجمعت المجامع على عدم قانونيته والذي حذف من العهد الجديد . فهل لحضرتكم ان تفيدونا عن هذا الانجيل ؟

(وجاءنا سؤال آخر عن هذا الانجيل من الاستاذ اسحق حنا الديب بالسلاوين)

(الهلال) الانجيل — ومعناه البشارة المفرحة — هو سيرة المسيح والاعمال والمعجزات التي قام بها . وقد كتبه أربعة من الحواريين الذين لزموا المسيح وشهدوا أعماله ورأوا معجزاته . وبعضهم من يقول بصدق أربعة اناجيل قانونية هي متى ومرقس ولوقا ويوحنا . فليس هناك سوى انجيل واحد كتبه الاربعة الحواريون المذكورون ، أي أن كلا منهم كتب الانجيل من وجه معين . ولاسباب يطول بنا شرحها اعتبر المسيحيون أن الاناجيل التي كتبها الحواريون المذكورون هي الاناجيل القانونية وذلك تمييزاً لها من أناجيل كثيرة ظهرت بعد المسيح ، وكان أكثرها مزوراً أو غير قانوني كانجيل يعقوب وانجيل نيقوديموس وانجيل العبرانيين وانجيل المصريين وانجيل بطرس وانجيل توماس وانجيل الاثني عشر وانجيل باسيليدس وانجيل كيرنثس وانجيل حواء وانجيل برنابا وعشرات غير هذه من الاناجيل والرسائل المزورة أو غير القانونية . أما انجيل برنابا فمنسوب الى رجل كان يسمى برنابا وقد عاصر الحواريين وكان من اصدقاء بولس الرسول

ومنه أكثر من خمس وعشرين نسخة ظهرت في انجلترا كتاب بالانجليزية بعنوان انجيل برنابا وظن أنه كان مترجماً عن الايطالية . فعهدت مجلة المنار وصاحبها المرحوم الشيخ رشيد رضا ، الى الدكتور خليل سعادة في ترجمته الى العربية . وقد اطلعنا على هذه الترجمة فرأينا في الكتاب أموراً كثيرة مناقضة للتاريخ والحقيقة . وهو غير « انجيل برنابا » الذي أجمعت المجامع على اعتباره غير قانوني . والدلائل متوافرة على كونه مزوراً . والارجح أن مؤلفه هذا راهب عاش في القرن الخامس عشر . ولعله كان في الاستانة عندما استولى عليها الترك بقيادة السلطان محمد الفاتح

جمال الشكل

(طنطا — مصر) طالب

كيف يحصل الانسان على لون بشرة جميل خال من العيوب ؟ وكيف يتسنى له الخلاص من حب الشباب والبثور التي قد تظهر في الوجه ؟

(الهلال) لون البشرة يتوقف على سلامة الدم والمعدة . فاذا كان الدم نقياً والمعدة تقوم بوظيفتها باعتدال كان لون البشرة رائقاً صافياً وخلا الانسان من حبوب الشباب وغيرها من البثور التي تشوه الوجه . ولعل أفضل دواء للنجاة من هذه البثور هو « محلول مولر » الذي يوصف للزينة . ولا يجوز ان يؤخذ الا باشارة الطبيب

أعضاء الجسم غير المتناسبة

(طنطا — مصر) ومنه

كثيراً ما تكون أعضاء الجسم البارزة كالانف والاذنين والفكين غير متناسبة . فهل يمكن اصلاحها لايجاد التناسب بينها ؟

(الهلال) يمكن ذلك بطرق الجراحة . ولكن ما قد يطلبه الانسان من الجمال قد لا يوازي ما يحسه من الآلام في سبيله . وجمال النفس هو الجمال الذي يجب ان يطلبه ويفضله على جمال الشكل الظاهر

طول القامة

(دمشق — الشام) أحد المشتركين

قرأت في احدى المجلات ان الربع أي رفع الاثقال يحول دون نمو القامة . فهل هذا صحيح ، وهل اذا أراد شاب ان يمنع قامته من الاسترسال في الطول يتسنى له ذلك بممارسة الربع ؟

(الهلال) أحدث النظريات في تعليل طول القامة أو قصرها ان الجسم خاضع لتأثير بعض الغدد الصماء في بطن الانسان . ولا نعتقد ان الربع أو لأي ضرب آخر من ضروب الرياضة البدنية تأثيراً في وقف نمو القامة . واذا كان ثمة أي تأثير فلا بد انه قليل جداً لا يشعر به صاحب القامة ولا الذين يرونه

ظاهرة غريبة

(كاليفورنيا — الولايات المتحدة) سنا الملوف

غرق هناك أحد الانهر ولد صغير لرجل يوناني واختفت جثته . فأعلن الوالد انه يعطي جائزة ٢٥٠ دولاراً لمن يأتيه بالجثة . فجاء رجل صيني يحمل قصعة كبيرة عليها ديك حي فوضعها على وجه الماء فسبحها النهر قليلاً . وما هي الا بضع ثوان حتى صاح الديك فغطس الصيني في ذلك المكان وانتشل جثة الولد وأخذ صاحب وحسبه دولاراً من والد الغريق . فكيف تعللون ذلك ؟

(الهلال) ما نظنكم كنتم من شهود هذه الرائعة . والارجح انكم قرأتم عنها أو سمعتم بها . ولو كنا الحاضرين لا نستطيع العقل ان يسلم بها لانها لا تخلو من عنصر الخديعة أو الاختراع . وفي الواقع ان ما ذكرتموه من عمل الرجل الصيني أقرب الى الشعوذة منه الى الاسلوب العلمي الذي يقوم على التماس العلاقة بين العلة والمعلول ، وهذه العلاقة معدومة في الحادث الذي نحن بصدده اذ ليس بين جثة الغريق وصياح الديك اية صلة

دولة الاختراعات

(بورت ماريا — جامايكا) س . م . عازار

أي الدول أقسم في الاختراعات وأيها أحق بالمخترعين ؟

(الهلال) ما رأينا أحداً تخرج في مدارس الغرب الا يميل بمجوامعه الى دولة من الدول الغربية فاذا تعلم في مدارس الانكليز أو الجزويت مثلاً بكلية

لانكلترا والى كل ما هو فرنسي . واعتقد لانكلترا هي أرسخ الشعوب كعبا في العلم والاختراع . واذا تعلم في المدارس الانكليزية كلف بالانكليز ونسب اليهم كل علم واختراع . وكذلك اذا تخرج في المدارس الاميركية أو الالمانية أو الايطالية فانه يجري حسب الدولة التابعة لها تلك المدارس ، ويمكن لنا ان نقول ان الانكليز أو الفرنسيين أو الالمان مثلا أعظم من غيرهم في الاختراعات هذه تستوجب العجب من كل تعلم في غير المدارس التي تنتمي الى الدول المذكورة . والعاقل يعلم ان العلم والاختراع لا وطن لهما . أي ان وطنهما هو العالم أجمع وان تكن الاعتبارات الجغرافية تقضي بنسبتهما الى قطر معين من الاقطار

هذا من جهة . ومن جهة أخرى — اذا نظرنا الى الاختراعات الحديثة نرى ان عددها في الولايات المتحدة يزيد على مجموع عدد الاختراعات الحديثة في جميع أنحاء العالم . ولهذا سبب يطول بنا شرحه . ولا ريب في أن الولايات المتحدة هي أغنى من غيرها بعدد المخترعين . على ان الاختراعات لا تقاس بعددها بل بما لها من الشأن [illegible] المجتمع البشري . فمن هذا الوجه نجد ان هنالك دولا أرسخ قدما من الولايات المتحدة في الاختراعات التي أحدثت انقلابات عظيمة في نظام المجتمع ، ولها السبق في ذلك لانكلترا وفرنسا وايطاليا

الافاعي والتنويم المغناطيسي

(نيوجرزي — الولايات المتحدة) أحد المشتركين

قرأت في احدى الصحف العلمية ان الافعى تستطيع أن تنوم فريستها تنويماً مغناطيسياً يسهل عليها الفتك بها . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) يقول العارفون بغرائز الحيوان ان الطيور كالعصافير مثلا اذا أبصرت أفعى أصيبت بشبه شلل يجعلها تثبت في اماكنها وتمتنع من الحركة فكأن الافعى تنومها تنويماً مغناطيسياً يمنعها من الحركة . ويعتقد العلماء أن العلة تلك الرعب في فريستها من الطيور ، وهذا الرعب الغريزي يحدث في تلك الفريسة شللا حقيقياً فتثبت في اماكنها ويسهل على الافعى اذ ذاك أن تفترسها . وهنا يحمل البعض على القول بأن الافاعي تمارس التنويم المغناطيسي وليس في ذلك ما ينافي النظريات العلمية ولكن لم يكن العلم عاجزاً حتى الآن عن اثبات التنويم المغناطيسي للافعى

الافاعي والموسيقى

(نيوجرزي — الولايات المتحدة) ومنه

أصحيح أن للموسيقى تأثيراً في الافاعي ؟

(الهلال) يظهر أن للناي وبعض الآلات الموسيقية الاخرى تأثيراً في بعض أنواع الافاعي فهي اذا سمعت موسيقاها انتصبت وحومت كأنها تريد سماعها واستيعاب ألحانها . ولهذا نرى الكثيرين من الحواة يستعينون بالصفير وبعض الآلات الموسيقية لاستهواء الحيات

الطيور والجاذبية

(بغداد — العراق) ج . ك

هل للجاذبية الارضية تأثير في الطيور ؟ واذا كان لها تأثير فلماذا لا يسقط الطير من أعالي الجو بل يظل محمولا على أجنحة الهواء ؟

(الهلال) لا شك أن للجاذبية الارضية تأثيراً في الطيور بل في كل جسم مادي . ولولا أن الطير يرفرف بجناحيه في الجو ويكثف الهواء الذي تحته لسقط الى الارض . وهو اذا أراد الهبوط أخذ يخفف حركة جناحيه ويضمهما تدريجاً الى أن يصل الى الارض

ومما يساعده على البقاء في الجو أن عظامه خالية من النخاع ملأى بالهواء . ولو كانت ملأى بالنخاع ما تمكن [illegible] في الهواء

ثقل النور

(بغداد — العراق) ومنه

قرأت في احدى المجلات العلمية أن للنور ثقلا فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) ولماذا لا يكون صحيحاً ما دام النور مجموعة أمواج مؤلفة من وحدات مادية ؟ ثم ان نظرية النسبية لصاحبها الفيلسوف اينشتين تثبت أن للنور وزناً ولكنه قليل جداً بحيث أن ادق الآلات التي استنبطها عقل الانسان تعجز عن تبيان ذلك الوزن . ومع ذلك فقد تمكن العلماء من تحديده فقالوا انا اذا أخذنا مصباحاً كهربائياً قوته مائة شمعة وتركناه يضيء نحو مليوني سنة كان مجموع وزن النور المنبثق منه نحو اوقية واحدة

الصحافة الإنجليزية

بين الماضي والحاضر

بقلم الدكتور حافظ عفيفي باشا

« لم يحصل شيء في التاريخ أن انحطت أغراضه الأولى وتغيرت مراميه الأصلية كما حصل في صحافة انجلترا » هذا تصريح خطير للصحفي الانجليزي المعروف وليام كوبت (William Corbett) صرح به في سنة ١٨٠٧ — فهو تصريح قديم مصدره انجليزي خبير بأمور الصحافة ، وهو مع قدمه هذا يكاد ينطبق على حال الصحافة الانجليزية الحاضرة . وهذا التطور الذي حصل في أغراضها وهذا الانحطاط الذي حصل في مراميها ، لم يحصل لغرض سياسي أو لمصلحة ذاتية مقصودة ، وإنما هو تطور حتمه وليد التقدم الاجتماعي والعلمي والاقتصادي والميكانيكي ، وحصل تحت ضغط تطورات الزمان كما حصل مثله في أغلب الشئون الأخرى . فقد كان الأفراد ينشئون الجرائد في القرن الثامن عشر لغايات سياسية محضة هي ترويج مبادىء اجتماعية أو سياسية معينة . وكانت تطبع اذ ذاك على مطابع صغيرة تدار باليد . وكانت نسبة المطلعين الى عدد السكان ضئيلة وعدد المهتمين بالشئون السياسية أو الاجتماعية صغير . فكان يطبع من هذه الجرائد عدد قليل ، ولهذا كان رأس المال الذي يلزم لتأسيس جريدة محدودا يستطيع أن يقوم به فرد واحد . وقد ذكر كوبت الذي نقلنا عبارته في مقدمة هذا الموضوع في سنة ١٨٠٢ أن جريدة المورنج بوست — وكانت تأسست قبل ذلك بثلاثين سنة وتجمع بين محرريها كبار كتاب العصر — كانت لا تطبع اذ ذاك أكثر من ١١٠٠ نسخة كل يوم . وكانت التيمس التي تأسست بعد المورنج بوست بمدة قليلة لا تطبع أكثر من هذا العدد

ولم تكن قلة ذيوع الجرائد حتى نهاية القرن الثامن عشر ناشئة عن قصور في تحريرها ، وإنما نشأت كما قدمت عن قلة القارئين وصعوبة المواصلات وما يترتب عليها من صعوبة وصول الاخبار ومن بطء التوزيع . وقد ساعد على قلة انتشار الجرائد في ذلك الوقت ان الحكومة الانجليزية وضعت في سنة ١٨١٢ ضريبة لمحاربة هذه الجرائد سمتها ضريبة التمغة (Stamp Tax) وكانت مقدرة في أول الامر ببنس وضعت على كل عدد ثم زيدت تدريجا حتى وصلت الى أربعة بنسات على كل عدد في سنة ١٨١٥ فكان صاحب الجريدة وقتئذ لا يستطيع — ليربح ربحا معقولا — أن يبيعها بأقل من تسعة بنسات

ولكن حصل منذ بداية القرن التاسع عشر تطور عظيم ، فقد ظهرت في سنة ١٨١٤ مطبعة

كينج (Koenig) التي كانت تدار بالبخار بدل اليد وتطبع أربعة أمثال ماتطبعه المطبعة القديمة في وقت معين . فبينما كانت مطبعة اليد لا تخرج أكثر من ٢٠ صفحة في الساعة فان المطبعة الجديدة كانت تطبع ١٠ نسخة . واستمر التحسين سريعاً في ما كينات الطباعة حتى وصلت في زمن قصير الى طبع ٠٠٠٠ صفحة في الساعة . كذلك شمل التحسين الميكانيكي في هذا الوقت كثيراً من أدوات وأجهزة الطباعة الاخرى كأدوات سبك الحروف وغير ذلك . وحصل ارتقاء صناعي كبير في الوقت نفسه كان له أثر كبير في رواج الصحف عندما أمكن صنع الورق من لباب الخشب وبعد أن تحسنت وتقدمت آلات صناعة الورق

كان من شأن هذه التحسينات الميكانيكية السريعة المستمرة منذ بداية القرن التاسع عشر أن قللت مصاريف الطباعة إلى حد كبير . وقد سارت هذه التحسينات الميكانيكية الخطيرة جنباً لجنب مع انشاء وسائل المواصلات الحديثة كالسكة الحديدية والبوستة والتلغراف . كذلك صحب كل هذه الاصلاحات ازدياد كبير في عدد المتعلمين سنة بعد سنة ، فساعد كل ذلك في انتشار الصحف بسرعة كبيرة ، وما جاءت سنة ١٨٦ حتى ظهر اختراع ميكانيكي كان له أكبر الاثر في سرعة انتشار الجرائد الى حد لم يكن ليتنبأ به أحد . ذلك هو ظهور الروتاتيف فان هذه الماكينة الحديثة لا تطبع بسرعة مدهشة فحسب ، بل هي تطبع جميع صحائف الجريدة مرة واحدة وهي تقطع في الوقت نفسه الورق فتخرج الجريدة صالحة للبيع في عملية واحدة

وقد كانت الاخبار في بداية القرن التاسع عشر تأتي الى الجرائد من المراسلين الذين كانوا يرسلون أخبارهم بواسطة سعاة فيقطعون المسافات الشاسعة على الاقدام أو على ظهور الخيل ، فتغير هذا الحال تغيراً كبيراً في آخر هذا القرن فكانت المراسلات تأتي في أيام أو ساعات أو دقائق وذلك بعد انشاء السكك الحديدية والبوستة والتلغراف ، فزاد كل ذلك في انتشار الجرائد انتشاراً عظيماً في نهاية القرن التاسع عشر

وأعظم من كل ما ذكرنا شأناً في انتشار الجرائد وتقدمها هو ظهور الاعلان التجاري ، فانه لما تقدمت الصناعة الأوروبية ذلك التقدم العظيم في القرن التاسع عشر واحتاج الصناع والتجار لتوسيع أسواقهم ولفتح أسواق جديدة استعملوا الاعلان في الجرائد عن مصنوعاتهم وسلعهم كاحدى وسائل الترويج ، فصار هذا الاعلان على الجرائد ايراداً وفيراً يغري أمام رجال المال استغلال أموالهم في هذه الصناعة الجديدة ذات الربح الوفير ، فزاد عدد الجرائد زيادة مطردة وساعد في الوقت نفسه على هذه الزيادة ان ألغت الحكومة تحت تأثير الرأي العام ضريبة الدمغة في سنة ١٨٠٠ فتأسست على أثر هذا الالغاء وحده ١٠٧ من الجرائد الجديدة . وتدل الارقام الآتية على انتشار الجرائد السريع في هذه الفترة :

فقد كان بانجلترا في سنة	١٨٢٨	٤٨٣	جريدة
وكان بها » »	١٨٨٦	١٢٦٠	»
وكان بها في سنة ١٩٠٩	٢٣٢٢ جريدة منها ٣٨٦ كانت تطبع في لندرة وحدها		

حصل هذا الانتشار نتيجة للاعلان التجارى الذى لم يكن يدر على الجرائد قبل سنة ١٨٠٠ الا ايراداً ضئيلاً . وقد كان الاعلان قبل ذلك العهد معروفاً ولكنه كان يوضع فى أركان مجهولة من الجرائد ، فبعد ان اتضحت فائدته للصناع والتجار تفنن مديرو الصحف فى ابرازه بشكل واضح يستوقف نظر قرائها وتفننوا فى أشكال هذه الاعلانات وفى اختيار كلماتها وتصويرها الى حد كبير . وزاد من رغبة التجار فى الاعلان ان الغت الحكومة فى سنة ١٨٥٣ ضريبة خاصة كانت تحصلها على جميع الاعلانات بعد ان بقيت هذه الضريبة نحو ١٥٠ سنة . وقد ترتب على كثرة الاعلانات زيادة كبيرة فى ايراد الجرائد كما ترتب عليه زيادة كبيرة فى حجمها مما استلزم تكبير ماكينات الطباعة وزيادة سرعتها

وليظهر مادرته الاعلانات التجارية على الجرائد من الايراد الوفير نذكر بعض البيانات فى هذا الشأن

ذكر اللورد بيفربروك (Beaverbrook) أخيراً فى احدى خطبه أن ما تحصله جرائد لندرة وحدها أجراً عن الاعلانات التى تنشرها يصل الى ١٣ مليون جنيه فى السنة يصيب جرائد الصباح منه وهى كثيرة العدد نحو ٩ ملايين جنيه ويصيب جرائد المساء الاربعة الملايين الباقية . وقد كان هذا التقدير فى سنة ١٩٢٨ أى قبل أن تمس الازمة الاقتصادية الاخيرة عنها ، ولكن المؤكد أن هذا التقدير لا يختلف كثيراً عن التقدير الحالى

وقد ذكرت الانسكلوبيديا بريتانيكا (Encyclopaedia Britannica) طبعة ١٤ تحت كلمة اعلان (Advertising) أنه فى سنة ١٩٢٦ كانت جريدة الديلى ميل (Daily Mail) وعدد قرائها اذ ذاك ١٧٠٠٠٠٠ تحصل ١٤٠٠ جنيه يومياً أجراً عن صحيفتها الاولى ، وأن جريدة نيوز اوف ذى ورلد (News of the World) ـ وهى جريدة أسبوعية وأكثر جرائد العالم انتشاراً اذ يزيد عدد قرائها على ثلاثة ملايين ـ تتناول أجراً قدره ٢٤٠٠ جنيه عن كل صفحة من صفحاتها فى كل عدد ، وان مجلة البنش (Punch) الفكاهية الاسبوعية ـ ولا يزيد عدد قرائها عن ١٠٠٠٠٠ قارىء ـ تحصل من اعلاناتها على ٨٠٠٠ جنيه عن كل عدد . وقيمة الاعلانات فى الصحف تتراوح بين ثلاثة جنيهات وستة جنيهات على الانش من العمود ، وقد تتضاعف هذه القيمة فى بعض الجرائد الاسبوعية الواسعة الانتشار . وذكر بعضهم (١) ان العدد الواحد من الجرائد اليومية التى تباع الآن

(١) من كتاب (British Press)

يمس بكلف أصحاب هذه الجرائد في تحريره وطبعه والاعلان عن الجريدة والمصاريف الاخرى كالمكافآت والجوائز المالية والتأمينات التي تمنحها الجرائد الآن لزيادة انتشارها، نحو بنسين، فهي تبيع بنس ما كلفها اثنين ولكنها تعوض هذه الخسارة وتكسب بعد ذلك مكسب وفيراً من ايراد الاعلانات (١)

* * *

ترتب على ما حصلت عليه الجرائد من ربح وفير على أثر الاعلان من جهة وعلى احتياجها لرأس مال كبير لاستطاعتها أن تستوعب التقدم الصناعي العظيم الذي وصلت اليه صناعة الطباعة من جهة أخرى أن أخذت ملكية الافراد للجرائد تزول تدريجاً وتحل محلها ملكية الجماعات والشركات المالية ذات رأس المال الكبير. وقد كانت بداية هذه الحركة في سنة ١٨٩٦ بظهور جريدة «الديلى ميل» لمؤسسها اللورد نورثكليف الذي هو صاحب فكرة الصحافة الشعبية الرخيصة الثمن. وقد سارت الديلى ميل على هذه الطريقة الجديدة التي وإن كانت حديثة في انجلترا إلا أنها بدأت قبل ذلك في أمريكا بسنين عدة. وقد كانت تجربة «الديلى ميل» من أول الامر تجربة ناجحة، وذلك لانها بدأت حياتها في وقت مناسب من الوجهة السياسية، فقد ظهرت وقت تلك الزوبعة التي قامت في جنوبي افريقيا على أثر حادثة جيمسون ريد (Jameson Raid) التي أنتجت الحرب بين البوير والانجليز، فاستغلت جريدة «الديلى ميل» هذا الموقف أحسن استغلال وبدأت حياتها متطرفة في الوطنية ومغالية في الذود عن شرف بريطانيا في وقت كانت الشعور الشعبية في تحمسها شديدة. وقد ساعد في انتشارها أن كان ثمنها نصف بنس وكانت تطبع أحسن طبع وعلى ورق جيد. فلاقت من الاقبال ما اضطرها الى طبع نسخة أخرى من الجريدة تطبع في منتصف الليل لاقت هي أيضاً اقبالا عظيما، فكان هذا بداية رواج هذا النوع من الصحف الشعبية الرخيصة الثمن

وقد قام اللورد نورثكليف قبل تأسيس الديلى ميل بتجربة صغيرة هي أنه اشترى في سنة ١٨٩٤ جريدة الايفننج نيوز (Evening News) وكانت ملكا لحزب المحافظين بعد أن استنفدت هذه الجريدة من أموال الحزب مبلغ ٣٠٠٠٠٠ جنيه، لانها كانت تخسر خسارة فادحة مستمرة. فاذا بهذه الجريدة تحت يد اللورد نورثكليف تكسب سبعة جنيهات في الاسبوع الاول، واذا بها تأتي بربح قدره ١٤٠٠٠ جنيه في نهاية أول سنة، وهذا ما شجعه على تجربته الجديدة بتأسيس الديلى ميل. وكان اللورد نورثكليف يجاهر بنظرية هي «ان قيمة الجريدة هي بمقدار ما تربحه من المال لا بمقدار الأثر السياسي الذي تنتجه». وقد اعترف مرة المستر كندى جونز (Kennedy Jones) وهو

---

(١) ربحت شركة (Associated Press) وهي احدى شركات نورثكليف في السنوات الاربع التي تنتهي بسنة ١٩٢٨ مبلغ ٤٠٪ ربحا لمساهميها

أحد شركاء اللورد نورثكليف أن غايتهم من إصدار جرائدهم هي « مجرد تجارة » .

وكان اللورد نورثكليف إلى آخر حياته يشرف بالذات أو بالواسطة على الجرائد الآتية :

التيمس ، الديلي ميل ، الايفنج نيوز ، الويكلي دسباتش . وكذلك كان يشرف على نحو سبعين مجلة وجريدة أسبوعية أو شهرية . فكان أول من فكر في تكوين الشركات المالية الصحفية ، وكان أيضاً أول من سعى إلى حركة ضم الجرائد وادماج بعضها في بعض تحت إدارة شركة أو شركات بعد أن كانت ملكا لأفراد . ويلاحظ هنا أن جرائده جلبت اليه مالا أكثر مما جلبت اليه نفوذاً سياسياً ، فان هذا التطور الذي أحدثه كان من شأنه ترويج الجرائد ، ولكن كان من نتيجته في الوقت نفسه إضعاف أثرها ونفوذها السياسي في توجيه الرأي العام . وعلى أثر وفاة اللورد نورثكليف قام أخوه اللورد روذرمير (Rothermere) الذي انتقلت اليه ملكية الديلي ميرور (Daily Mirror) والسنداي بكتوريال (Sunday Pictorial) وبعض الجرائد الاخرى التي كانت تصدر في اسكتلندا ، كما انتقلت اليه أغلب أسهم الديلي ميل والايفنج نيوز ، بتأسيس شركات حديثة لهذه الجرائد ولغيرها مما استطاع ضمه من جرائد الاقاليم الكثيرة . كذلك قامت شركات أخرى تحتذي حذوه في هذا الميدان

والواقع أن أغلب الجرائد والمجلات التي تطبع الآن في الجزيرة البريطانية أصبحت ملكا لنحو عشر شركات كبرى يربو رأس مالها على مائة مليون من الجنيهات وهي التي تهيمن عليها سياسياً ومالياً

* * *

هذه هي حركة التطور الحديث الذي حول الجرائد إلى شركات تجارية كان من أثرها ان حصل الاندماج الذي تكلمنا عنه والذي كان من شأنه ان قل عدد الجرائد في انجلترا ، التي يطبع فيها الآن نحو ٢١٠٠ صحيفة ومجلة بين يومية وأسبوعية وشهرية — يطبع منها في لندرة وحدها ٣٩٢ صحيفة . وذلك بنقص ١٨١ جريدة عما كان يطبع في سنة ١٩١٠ في أنحاء بريطانيا وبنقص ٢٢ صحيفة عما كان يطبع منها في لندرة . فاننا في السنين الأخيرة عدة جرائد يومية كالاستاندرد والبورننج ليدر والديلي نيوز التي اندمجت في الديلي كرونكل وصارت النيوز كرونكل والديلي ستزن والوستمنستر جازت والغلوب والديلي سكتش والبال مال جازت والديلي جرافيك

وكان من أثر هذا التطور أيضاً ان حصل التغير الكبير الذي نوهنا عنه في مقدمة هذا الموضوع في أغراضها . فبعد أن كانت تؤسس في الماضي لنشر وترويج المذاهب الاجتماعية والسياسية ولا تعنى بما ينشر فيها الا بما يوصل لهذه الاغراض ، وكانت تجاهد في هذا السبيل جهاداً عنيفاً قد يجر عليها غضب الجماهير كما كان يجر عليها أحياناً غضب الحكومات ، وكانت مصدر خسارة حسية مستمرة

لأصحابها وحلت محلها صحافة تجارية ذات لون سياسى باهت لأنها لا تنشر إلا ما يريد الجمهور قراءته ، ولا غرض لها إلا جذب أكبر عدد من القراء بتلمس أذواقهم وشهواتهم والعمل على إرضائها ، فأصبح ميزان أهمية موضوعاتها هو تقدير جمهور القراء . فقد يلقى رئيس الوزارة خطبة سياسية خطيرة فلا تجد منها فى الجرائد الشعبية أكثر من عدة سطور ضائعة بين صفحات الجريدة المتعددة ، وقلما تجد فيها إشارة لأى خطبة فى البرلمان ، بينما تجد أخبار سبق الخيل وسباق الكلاب وأخبار السرقات والجرائم وقضايا الطلاق تنشر تحت عنوانات ضخمة فى أظهر مكان فى هذه الجرائد . وقلت بذلك مادة الجرائد الإنشائية لطغيان الأخبار على أغلب صفحات الجريدة . فأصبح لا يشترط فى المحرر ما كان يشترط قبل من الكفاءة الأدبية والقدرة على التحرير ، بل أصبحت قيمة الصحفى بمقدار جريه وراء الأخبار ووضعها فى قالب يجذب أنظار الجماهير . وأصبحت القصص تأخذ من الجريدة ما كانت تأخذه فى الماضى أخبار الجمعيات العلمية والأدبية والاجتماعية المنتشرة فى هذه البلاد والتى لا يكتب عنها الآن إلا نادراً . بل ذهبت هذه الجرائد الشعبية فى سبيل السعى فى رواجها إلى أبعد من ذلك ، فصارت تغرى القراء بالمكافآت المالية المختلفة جزاء حل أحجية تنشرها أو حل لغز تذيعه ، وأخذت تغرى الجمهور فى الزمن الأخير بما هو أسمن من هذا بإعطاء تعويض مالى هو أشبه بتأمين على الحياة أو على الإصابة بحوادث لكل مشترك فيها أو قارئ مواظب على قراءتها . وقد أنفقت فى هذا السبيل ملايين من الجنيهات . وقد نشأ عن هذه الحالة نتيجة غريبة هى أن انتشار هذه الجرائد فى العشرين سنة الماضية وذيوعها بين طبقات الشعب بهذه السرعة الهائلة لم يكن من شأنه كما كان ينتظر زيادة فى نفوذها السياسى فى جمهور قرائها ، بل صحب زيادة الانتشار قلة فى هذا النفوذ . والسبب فى ذلك هو ما قدمنا من أن هذا الانتشار كان نتيجة لضعف المادة السياسية وزيادة فى أخبار الجرائم ومسابقات حل ، ونشر أخبار الدعرة

فمن المسلم به الآن أن مقدار نفوذ الجريدة السياسى لا يسير متوازياً مع عدد ما تطبعه وإلا لكانت جريدة « النيوز أوف ذى ورلد » وهى تطبع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة ، أكبر الجرائد نفوذاً فى إنجلترا ، ولكانت جريدة « التيمس » بجانبها كالقط بجانب الأسد . ومع ذلك فإنه لا يعرف كثيرون من الإنجليز حتى اسم « النيوز أوف ذى ورلد » بينما لا يوجد إنجليزى لا يقدر رأى « التيمس » التى لم تشتهر من قديم الزمان فى إنجلترا فقط بل فى العالم أجمع

فقيمة الجريدة السياسية وأثرها فى تكوين رأى عام هو نتيجة لقيمة مادتها التحريرية واتجاهها فى الانتقاد أو التحبيذ خطة المصلحة الوطنية العامة مجردة عن كل اعتبار آخر ، وتخصيصها أكبر مكان فيها للاهتمام بمصالح الدولة الحيوية وعدم اكتراثها بما يصيبها من مكسب أو خسارة مادية فى هذا السبيل

❊ ❊ ❊

وقد ترتب على هذا التطور أيضاً أن الجرائد المحترمة التي لاتزال تعنى بمركزها السياسي لم تبلغ من الرواج مابلغته الجرائد الشعبية فأصبحت في مركز دقيق فاذا هي سعت الى زيادة رواجها اضطرت لمجاراة غيرها ففقدت مركزها الأدبي، واذا بقيت على ما هي عليه من قلة الرواج سبقتها الجرائد التجارية الأخرى في ميادين كثيرة منشية بزيادة ايرادها على ادخال تحسينات صحفية قد تضعف بها مركز جرائد الآراء. هذه هي المشكلة الاجتماعية السياسية الخطيرة التي تشغل بال الكثيرين من ذوي الرأي الآن في انجلترا الذين يريدون الاحتفاظ بمركز جرائدهم ويخشون من خطر كبير يهددها اذا ما طغت عليها الشركات التجارية التي أصبحت في يد أفراد وجماعات قليلة وأصبحت أغلب الجرائد احتكاراً في يد هذه الجماعات

وقد كتبت جريدة «الاكونومست» مقالة مشيرة الى هذا الخطر نقتطف منها ما يأتي: «نحن لا نعارض في شيء يكون من ورائه تعميم اذاعة الأخبار بين الناس أكثر اذاعة ممكنة ونعترف أن تأليف الشركات الصحفية ذات رأس المال الضخم كان من نتيجته تعميم هذه الاذاعة. ولكننا في الوقت نفسه نرى ان المصلحة العامة تقضي بأن توضع حدود لسماح لهذه الشركات، بوضع يدها على الكثير من الجرائد. فانه اذا فقدت استقلالها احدى الجرائد القليلة العدد التي بقيت مستقلة للآن والتي صارت وحدها مصدر تنمية الرأي في هذه البلاد، من احدى هذه الشركات، فان هذا يعتبر كارثة وطنية. واذا نجحت احدى هذه الشركات في ابتلاع الشركات الأخرى أو في ابتلاع بعض الجرائد المستقلة فان تدخل الحكومة وتعيينها لمراقبة صحفية يعمل بمقتضاها جميعاً يصبح أمراً لا مفر منه اذ ذاك. انا لا نزال بعيدين عن هذا العهد فان المزاحمة بين شركات الصحف ما زالت شديدة كما انما تزال عصبة الجرائد المستقلة تدافع بشجاعة عن استقلالها. ولكن ما حصل للآن من سيطرة شركات قليلة على جرائد كثيرة يدعو الى القلق الشديد خصوصاً بعد أن صارت هذه الجرائد تلجأ الى نشر مالا يروقها من الأخبار والوقائع الصحيحة في أجزاء غير ظاهرة من صفحاتها وتخصص أكبر مكان فيها للتافه من الأمور لانه يستوقف النظر. ان هذه الطرق الصحفية قد تؤدي الى خطر هو إضعاف نمو الرأي السياسي الرشيد في الأمة وإضعاف تقدير الناس للأشياء تقديراً موزوناً...»

* * *

هذا ما ذكرته جريدة الاكونومست. وفي الواقع أن ما تتوقعه هذه الجريدة من خطر استيلاء عدد قليل من الأشخاص على الجرائد الانجليزية وهيمنتهم على سياستها ليس خيالاً بل هو حقيقة ثابتة. بل قد حصل من الحوادث أخيراً ما يبرر هذا القلق الذي استولى على كثير من رجال السياسة في انجلترا الذين لم يخشوا من سيطرة هذا الفريق على الصحافة فحسب بل من استغلال هذه الصحافة

وسيلة لكسب أغلبية في الانتخابات والاستيلاء على الحكم في البلاد . فاذا نجحوا في هذه المحاولة كان الخطر على الحياة النيابية شديداً لانهم سوف يملكون في وقت واحد أغلبية في مجلس النواب ويسيطرون على الرأى العام خارج المجلس بواسطة هذه الجرائد فتضعف بذلك الحركة المعارضة داخل المجلس كما تتلاشى قوة الانتقاد في الجرائد . وكل هذا يتنافى مع الاساليب النيابية المحترمة في تلك البلاد

وقد حصلت في السنين الاخيرة محاولات من جانب أصحاب الصحف تم بها بحالج نفوسهم من هذه الاطماع

إزاء هذا الخطر النام سعت بعض جرائد الرأى التى استطاعت للآن الاحتفاظ باستقلالها وحريتها إلى تقرير ضمانات تؤمنها في المستقبل من خطر فقد استقلالها فرأى المستر جون والتر (Mr. John Walter) والماجور جون آستر (Major John Astor) وهما اصحاب اكثر أسهم جريدة التيمس ان يعملا ما من شأنه ان يحول دون دخول أسهم هذه الجريدة في حوزة شخص أو أشخاص قد يستأثرون بشؤونها ويحولون سياستها الوطنيـة المستقلة الى مجرى آخر . فوفقا للوصول الى هـذا الغرض على تأليف لجنة من رجال مستقلين لهم بحكم مراكزهم الاجتماعية المحترمة ووظائفهم العالية ما يكسب رأيهم وتقديرهم قيمة كبيرة . فتألفت هذه اللجنة من رئيس قضاة انجلترا وعميد كلية من كليات اكسفورد وهى كلية (All Souls) ورئيس الجمعيـة الملكية (Royal Society) ورئيس جمعية المحاسبين (Institute of Chartered Accountants) ومدير بنك انجلترا . ومهمة هذه اللجنة هى التصديق على بيع حملة أسهم هذه الجريدة . ويجب على اللجنة كما جاء في قرار تأليفها : (١) أن تراعى وجوب احتفاظ الجريدة باستقلالها السياسى والاجتماعى (٢) يجب عليها ابعاد الاشخاص الذين يريدون من الحصول على اسهم الجريدة الكسب المادى أو الجاه السياسى . فليس لهذه اللجنة دخل في سياستها ، ولكن وظيفتها هى منع تحول هذه الجريدة — التى تتمتع الآن بمركز سام لاستقلالها ولها أثر كبير في الرأى العام — إلى جريدة تجارية تباع أسهمها في الاسواق لاكثر مزايد . وأساس استقلال هذه الجريدة يرجع الى تقليد اتبعه أصحابها من قديم الزمان وهو يقضى بان مهمتهم هى انتخاب رئيس التحرير الذى يصبح بعد انتخابه مستقلا تمام الاستقلال في تحريرها وفي تعيين الا كفاء من المحررين في الوظائف التى تخلو فيها . ولادخل لاصحابها معه في هذه الشؤون . على هذا التقليد سارت جريدة التيمس في حياتها الطويلة . فقد بقيت مدة أربعة أجيال في يد عائلة والتر ماعدا فترة قصيرة حديثة وهى التى آلت فيها ملكية جزء من أسهم هذه الجريدة إلى اللورد نورثكليف ثم مرت هذه الاسهم بعد موته الى الماجور استر الذى وافق المستر جون والتر على ان تستمر التيمس على تقاليدها القديمة التى كان من أثرها ان تولى ادارة

تحرير التيمس فى القرن الماضى عدد قليل من كتاب ساميين يشار اليهم بالبنان . فلقد بقيت بين سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٧٧ أى مدة ٣٦ عاماً كاملا فى يد المستر دلين (Delane) الذى كان يعتبر أكبر صحافيى العصر ، والذى استطاع أن يبقى لهذه الجريدة مكانها الحالى الذى تتبوأه فى عائلة الصحافة العالمية

وقد اتخذ أصحاب جريدة الاكونومست (Economist) احتياطا باستقلال جريدتهم احتياطا من نوع الاحتياط الذى اتخذه أصحاب التيمس . فقد اتفقوا على تأليف لجنة مستقلة عن مجلس ادارة شركة الجريدة مهمتها تعيين رئيس التحرير وعزله ، كما اتفقوا على ان رئيس التحرير هو وحده المسئول عن تحرير الجريدة ويجب ان يتمتع بكامل الحرية فى تأدية وظيفته ، فليس لاحد من الشركاء او أعضاء مجلس ادارة الشركة أو لاى شخص آخر أن يتدخل فى شؤون التحرير .

ان حرية رئيس التحرير المطلقة تقليد انجليزى معمول به فى جميع جرائد الرأى ، بل فى بعض الجرائد التجارية الشعبية كذلك . لان هذه الحرية هى شرط أساسى يشترطه كل كاتب محترم لقبول مثل هذه الوظيفة الخطيرة ، فجريدة المورننج بوست مثلا وهى جريدة تسير على سياسة المحافظين التقليدية وهى أقدم الجرائد اليومية التى تظهر الآن ، بقيت هذه الجريدة من سنة ١٨٤٧ الى سنة ١٨٧٧ ، وكانت فى تلك المدة ملكا لشركة صناعة ورق تدعى شركة كومتن (Compton) فى يد رئيس تحرير واحد هو الكاتب المعروف بورثويك (Borthwick) ، وبعد ذلك تولى رئاسة التحرير ابنه لمدة طويلة وكان يتصرف كلاهما فى تحريرها طول هذه المدة بكامل الحرية وتمتع من تولاها بعدهما بهذه الميزة

وكذلك بقيت جريدة المنشستر جارديان فى يد عائلة سكوت من زمان بعيد وهى فى يدهم الى الآن . وكانوا دائما يدينون بعقيدة الديمقراطية الحرة حسب تعاليم مدرسة منشستر التقليدية وكانوا يتوارثون رئاسة تحرير الجريدة التى كانت تنتقل من الاب الى أكبر الابناء . وكان الاب يدرب ابنه طول حياته على هذا العمل ليحسن التصرف فى شؤون الجريدة التحريرية والمالية بعد وفاة أبيه . ولم تخرج عن هذا التقليد الا منذ سنتين فان المستر سكوت الحالى ترك تحريرها لغيره ولكنه فى الوقت نفسه احترم مبدأ حرية رئيس التحرير .

كذلك الشأن فى رئاسة المستر جارفن (Mr. Garvin) لتحرير جريدة الاوبزرفر (Observer) الاسبوعية . وكذلك هو الشأن فى جميع الجرائد المحترمة كما قدمنا . . .

٭ ٭ ٭

هذا هو ملخص تاريخ الصحافة الانجليزية وتطورها فى القرن الماضى والمركز الذى تتبوؤه فى الحياة الانجليزية الحاضرة . ومع كل ماذكرنا من خطر تحول أغلبها الى شركات تجارية فانه يمكن القول

بأنها لا تزال في مجموعها صحافة شريفة نزيهة تؤدي لبلادها أكبر الخدمات ولا يزال أثرها في تكوين الرأى العام وتوجيهه عظيما وهي لا تزال كما قدمنا تتمتع بقسط وافر من الحرية والاستقلال الذي يزيد أو يقل بحسب مركز كل جريدة والاغراض التي أسست من أجلها ، فهي غير خاضعة لتأثير الحكومة الانجليزية ولو انها جميعا تتحاشى أن تضعف من مركز الحكومة في مشاكلها مع الدول الاخرى . وهذا تقليد محترم لا يشذ عنه أحد ولكن لا يصل هذا التأييد أحيانا لحد الصمت التام عن أغلاط الحكومة حتى في هذه الناحية ، فهناك جرائد محترمة تستطيع أن تنتقد تصرفات الحكومة حتى في مثل هذا الظرف اذا كانت ترى ان في هذه التصرفات محلا للانتقاد (١)

أما في المسائل الداخلية فكل جريدة تدافع عن نزعتها بحرية تامة. ولكن يلاحظ دائما أن هذه الجرائد تمتاز على وجه العموم بسمتها عن الطعن الشخصي والانتقاد البذيء . فانه يندر أن تقرأ في جريدة انجليزية ما تقرؤه أحياناً في كثير من صحف البلاد الاخرى من فاحش القول وسفيه الكلام

وكما ان الجرائد مستقلة عن الحكومة فهي مستقلة عن الاحزاب فانه بعد ان احتاجت الجرائد الى رءوس الاموال الكبيرة فتحولت الى شركات عجزت الاحزاب المختلفة عن امتلاك الجرائد فانقطعت علاقتها بها واكتفت الاحزاب بنشرات ومجلات الاسبوعية والشهرية

وهناك تقليد آخر تحترمه جميع الجرائد الانجليزية وذلك هو تقليد من واجب الرسالة الصحفية، فانه يندر ان تقرأ في جريدة طعنا في جريدة اخرى . فاذا انتقدت جريدة من جرائد الرأى مقالة صدرت في جريدة أخرى فانه قلما تذكر اسم الجريدة بل الغرض أن تنتقد الرأى انتقاداً خالياً من كل تعريض بالزميلة الاخرى

والمعروف في البلاد الاجنبية عن جريدة التيمس أنها معبرة دائما عن رأى الحكومة الانجليزية، ولكن الحقيقة ان جريدة التيمس مستقلة تمام الاستقلال عن جميع الحكومات وكثيراً ما تنتقد التيمس الحكومة القائمة . ولكن يظهر ان هناك تقليداً قديماً تجرى عليه جريدة التيمس وهو أنها دائمة الاتصال بدوائر الحكومة المختلفة فهي دائماً تسعى للوقوف على جميع المعلومات الصحيحة قبل أن تنتقد أو تحبذ . وهي لا ترمي بالاتصال بالحكومة انتظاراً للوحي ولكن للوقوف على صحيح الاخبار ، وهي بعد ذلك حرة فيما تكتب . على ان الحكومة تسعى دائما للاتصال بالصحافة على اختلاف

(١) لقد انتقدت أخيراً جريدة المنشستر جارديان الحكومة الانجليزية انتقاداً مراً في تصرفها في مسألة قبض الحكومة الروسية على بعض العمال الانجليز المستخدمين في روسيا والذين اتهموا بتهمة التجسس على حكومتها . وترى هذه الجريدة أن تصرف الحكومة الانجليزية بتدخلها في الشؤون الداخلية لروسيا وطعنها في قضائها كان معيباً . ولقد كتبت هذه الجريدة ذلك والرأى العام في انجلترا هائج ضد روسيا تأثيراً بأقلام جرائد الانجليز وبتأثير الاشاعات والخطب السياسية الملهبة التي رتبت في كل مكان بل والتي لم يخل منها مجلس النواب نفسه

تزعمتها بواسطة مكاتب الصحافة المختصة المنشأة فى أغلب الدواوين ولتصلح أن تزودها بصحيح الاخبار لا لتأثيرفيها ، وبهذا تنتهى كل علاقة بين الحكومة والجرائد

☆☆☆

يخطىء الذين يعتقدون ان الصحافة نالت حريتها فى انجلترا طفرة واحدة وبلا ثمن يذكر فان رجال السلطة فى هذه البلاد كانوا فى عهد طويل من تاريخ انجلترا يكرهون الصحافة من أعماق قلوبهم . ولذلك فكثيراً ما قيدوا حريتها فى الماضى بكثير من القيود الثقيلة ، وكثيرا ماوضعوا العراقيل أمام انتشارها ، بل كثيراً ماعانى رجال الصحافة آلام السجن والتعذيب ثمناً لاستقلالهم وحريتهم

وقد امتاز عهد ملوك الاستوارت (Stuarts) وبنوع خاص عهد جيمس الاول وشارل الاول بقسوته فى بطانته فى معاملة رجال الصحافة . فقد كانت محكمة النجمة (Star Chamber) تتولى أمر عقاب العصاة من هؤلاء الصحفيين الجريئين الذين يرفضون التمويه عن أخطاء الحكام والتسبيح بحمد هؤلاء الملوك . ولم تكن عقوبات الغرم والحبس كافية بل كثيراً ما كانت توقع عليهم عقوبة الصلب (Pillory) والضرب بالسياط والتشويه الجسمى والكى بالنار (١)

وكانت هذه العقوبات تستند دائماً الى فتاوى المشرعين الذين كانوا يقولون ان انتقاد رجال السلطة هو انتقاد للملك لأنه هو الذى يوجه الحكم ، وعيب الملك جريمة لان الملك لا يخطئ.

وبقيت الصحافة مقيدة بكثير من القيود عليها حتى عهد الملكة فكتوريا . وبعد ذلك بدأت الحكومات الحرة تؤمن بأن وظيفة الصحافة هى تنوير الرأى العام وبضرورة تكوين هذا الرأى الذى هو السلاح لأى حكومة ديمقراطية فتضمنت تشريعاً قانون القذف (Libel Act) الذى أصبح الآن دستور الصحافة الانجليزية . ولا يقيد الصحف من حريتها الا قانون الاعتداء على المحكمة (Contempt of Court) ، وهذا القانون يمنع نشر ما يتضمن انتقاد أحكام المحاكم فى أثناء المحاكمة وبعد الحكم وانتقاد القضاة . ويعاقب أيضاً كل جريدة تنشر شيئاً يطلب القاضى عدم نشره وعقوبة هذه الجريمة غير محدودة فيباح للقاضى أن يحكم بغرامة غير محدودة وبالحبس مدة غير محدودة وبالعقوبتين معاً . ويمتاز قانون القذف الانجليزى بشدته فى الغرامة عند ثبوت التهمة ويقرر الحبس عقوبة فى أحوال نادرة

وهكذا لقى الصحفيون الانجليز فى معركة الحرية كثيراً من الآلام ، ولكنهم وصلوا فى النهاية الى حرية واسعة يحسدهم عليها الكثيرون من زملائهم فى البلاد الاخرى . وقد استقرت الآن فى هذه البلاد بشكل ثابت نظرية سقراط من قديم الزمان الذى قال : « قد يستغنى الناس عن حرارة الشمس ولكن لا يمكن ان تعيش جمعية بدون حرية الكلام » ونظرية ديموستين الذى قال : « لا يمكن أن يصاب شعب بكارثة أكبر من فقد حرية الكلام »

حافظ عفيفى

---

(١) راجع كتاب The Press تأليف الفرد وبتز ص ٤٧

عبرة الحرب في الجزيرة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

> قامت الحرب في الايام الاخيرة بين عاهلي الجزيرة العربية الملك ابن سعود ، والامام يحيى ملك اليمن . وقد تشاءم الناس بوقوع هذه الحرب ، وأخذ كل يتكهن بنتائجها السيئة ، وبهذا المقال يحدث اوساق الكبير الاستاذ عبد الرحمن عزام عن العبرة من هذه الحرب ، ورأيه في مصلحة الجزيرة العربية أكثر منها في ضررها

قبل ربع قرن كان في الغرب رجل بعيد عن مقر الخلافة والسلطنة العثمانية ، ولكنه لم يكن يشاطر المتعبين من رجال تركيا الفتاة آلام الحياة في فزان بل كان والياً على ملك يمتد من حدود مصر الى تونس، ذلك هو المرحوم رجب باشا الذي دعي من منصبه في ولاية طرابلس الى منصب وزير الحربية عقب الانقلاب التركي سنة ١٩٠٨

كان رجب باشا رجلا هدأً غريب الاطوار بعيد النظر ، وقع أثناء ولايته حادث جر الى حرب طاحنة بين قبائل الزنتان والرجبان وأولاد أبي سيف . وكان بين يدي رجب باشا من الوسائل المادية ما يمكنه من منع الحرب أو إيقافها على الأقل كما أن له من النفوذ الأدبي ما يعينه على عمل ما يريد ، ولكنه أبى أن يتدخل وراح ـ فضلا عن ذلك ـ يأبى على غيره أن يتدخل . فعجب الناس من أمره وألحفوا في سؤاله وهو لا يجيب . فلما حدثه أحد الاعيان مرة عن العمل لانهاء الحرب واقرار السلم ، ثم همس في أذن الناس أنه يود أن تتعلم هذه القبائل صناعة الحرب وأنه لذلك يأمل أن يكون الزنتان والرجبان وأولاد أبي سيف أعمدة الدفاع عن الصحراء وأمنها في الدفاع عن البلاد يوماً ما. ولم يعش رجب باشا طويلا ليرى كيف تحققت نبوءته . فان هذه القبائل استمرت في الكفاح ضد الطليان عشرين سنة حتى خرجت من أوطانها مهاجرة الى الجزائر في سنة ١٩٣٠

☆☆☆

هذا المثل ومافيه من عبرة جعلني من أقل الناس تشاؤماً من حرب الجزيرة العربية في الشهور الاخيرة . فكنت لا أشاطر الناس كل الحسرة التي يبدونها . وكنت أقول لأصدقائي إن الحرب صناعة ولا بد لهذه القبائل العربية من مزاولتها

والحقيقة أن الحرب في ذاتها شر ولكن أسوأ منها الركود الذي أصاب اليمن والذي كنت أخشى أن يصيب النهضة السعودية . إن ما وصل الى علمي عن حالة اليمن كاد يجعل قدرها محتوماً فالامام تدفعه بالتجارة ـ كما يقال ـ عينها لكثرة المال ووسيلتها الرهائن وحصر همه في الحسابات السبع أو التسع

وبقايا الادارسة في عسير ، بينما العالم يتمخض بحوادث أكبر مما حول اليمن ، وبينما يندره السنيور موسوليني بايطاليا الجديدة ذات الرسالة العالمية وعلى الأخص في آسيا وافريقا

استمر الامام بن حميد الدين غارقاً في مجالسه وادارسه وحوله مسترزقة يعرضون له الجيش المتوكلي تحت قصره ويظنون أنه أحب الجيوش الى الله وأقدرها على عاده . فأراد الله بلطفه أن تكشف الحقيقة على يد بعض عباده العرب بدل أن تكون على يد المستأجرين من الجند الصومالي والحبشي ، وهم أحسن أنصار الرسالة الحديثة الابطالية . وكان خيراً للاسلام والعرب أن جاء النذير من «الرياض» لاعبر البحر من «مصوع»

والآن لاشك أن إمام اليمن قد أدرك أن تعليم الجيوش وتدريبها وقيادتها شيء آخر غير عرضها تحت قصر الامام للمتاع والتفاخر وإرهاب الرعايا . كذلك لابد أن يكون إمام اليمن قد أدرك ان إعارة الجند لاجل أو غير أجل ودفع مرتباتها عينية أو عدم دفعها وتسليحها ببقايا عدة قديمة كانت تفتك في اليمن فيما مضى من الزمن ، لا يغني شيئاً ضد المعدات الحديثة

وأخيراً لابد للامام أن يعلم أن حكومته اذا لم تكن محبوبة من رعاياه فان الجند المستأجر لايضمن له السلامة متى وجد من يحاربه بالسلاح . ونحمد الله على أن محاربه في هذه المرة لم يكن من رسل الحضارة الاوربية

ثم إنا نرجو كذلك للملك عبد العزيز أن يكون قد أدرك بعض مواضع النقص في عدته وأحس الحاجة إلى وسائل الحرب الحديثة ليستغني عن مشكلها . كما أدرك المقام المحمود الذي له في نفوس المسلمين والآمال المعقودة في استرداد مجد الأمة العربية

ذلك هو بعض الدروس التي علمتها الحرب من ناحية الحرب العربية والذي كان لابد منه لسلامة هذه البلاد من الناحية العسكرية . أما من الوجهة السياسية فقد وضح الفريقين أن مطامع أجنبية ترمقهما شزراً وأنه لولا التنافس الذي دفع بعض الدول إلى التسابق لمياه الحديدة لكانت النتيجة شراً على اليمن من كل ما يتصور أهل اليمن ، ولوجد الملك عبد العزيز نفسه بين أمرين لاثالث لهما اما أن ينسحب من تهامة ذليلاً ، واما أن يقبل حرباً لانهاية لها

فالعبرة واضحة لمن يعتبر فقد ثبت أن الجيش المتوكلي بحالته الراهنة لا يضمن سلامة داخل اليمن وعاجز قطعاً عن حماية تهامة . وثبت كذلك أن الفتح السعودي كان يصبح أثراً بعد عين لولا التنافس الذي ظهر جلياً في مياه الحديدة وعلى صفحات الجرائد الأوربية . واذن عبرة هذه الحرب هي أن العرب لا يصح لهم أن يطمئنوا على حرية الجزيرة ولا يجوز لهم أن يبنوا آمالهم على دولة فيها حتى يخرجوا من هذه الحرب بحالة غير التي كانت عليها اليمن والمملكة العربية السعودية

فاما أن تترك الحرب إلى مداها والا تستقر السيوف في أغمادها حتى يكون المسئول عن سياسة

الجزيرة ممثلا في حكومة واحدة ، ولابد أن تضع الحرب أوزارها على أسس سليمة أولها وأهمها وحدة الدفاع عن بلاد العرب . يجب أن ينتهي الأمر إلى مسئولية مشتركة عن سلامة كل البلاد السعودية واليمنية . هذا من الناحية العسكرية ، أما من الجهة السياسية فقد ظهر أن أحوال العالم تستلزم من اليمنيين والسعوديين توحيد مجهودهم السياسي الخارجي . فالأولون في أشد الحاجة معين في هذا الميدان ، والأخيرون لن يأمنوا سلامة أملاكهم ولا استمرار حسن الجوار ولا حسن العلائق مادام لليمن سياسة خارجية تتضارب مع السياسة العربية السعودية . فواجب الطرفين بل ضرورة الحياة لهم تستلزم توحيد السياسة الخارجية . وكل صلح لا يتضمن المسئولية المشتركة عن الدفاع عن البلاد العربية ولا وحدة السياسة الخارجية هو صلح أبتر يؤخر الكارثة إلى أجل قريب

فعلى العرب بل على المسلمين — ومن أخص هؤلاء وفد المؤتمر الاسلامي — ألا ينصحوا للعاملين بسياسة غير هذه السياسة وأن يجتنبوا الاسترسال في سياسة العواطف والسكلمات المنمقة من اهراق دماء المسلمين الى لغة الفتنة . فما كان المسلمون ليحجموا عن اهراق دمائهم في سبيل الحق والمجد . وكل تسوية مؤقتة تحمل في جنبها بذور الشر وتترك الجزيرة العربية عرضة لمطامع الرسالة الرومانية الحديثة أو غيرها ، فهي شر على المسلمين من إراقة الدماء . بل إن تصفية مستقبل الجزيرة من الآن أحسن عاقبة من تأجيله لأن في ذلك على الأقل تحويل العرب عن وضع آمالهم فيمن لا أمل فيهم

لقد كاد الناس يلمسون الامبراطورية العربية التي تحدثنا عنها في « الهلال » مارس الماضي ، وأخذ يبدو للجميع أن رجال النهضة في مصر وفي الدول العربية التي تحيط بها جميعاً على وشك الميلاد . فلينهض العرب اذن لتحقيق الأمنية عزيزة وهي تكاد تكون بين أيديهم . وليعلم أهل اليمن أن أحداً لا يريد شراً بالامام يحيى فهو رجل صادق الاسلام كريم المحتد . ولكن يعلموا كذلك أن الامبراطورية العربية التي نتصور رؤيتها مرة أخرى قد كان أجدادهم من أكبر بناتها . فليمدوا أيديهم مرة أخرى في اقامة دعائمها ، وليلزموا أنفسهم وغيرهم بأن تكون سياسة العرب واحدة . أساسها أولا الدفاع المشترك عن أرض العرب جميعاً ، وثانياً وحدة العلاقات الخارجية مع الاجانب وغايتها احياء الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فسوى بين الجميع وجعلهم متكافلين متضامنين في داخل نظام واحد ووراء غاية سامية لا خلاف فيها

عبد الرحمن عزام

احمد جمال باشا

وزير البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

كتب الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر في العدد الماضي لمحة عن نشأة أحمد جمال باشا وتربيته العسكرية والوظائف التي تقلدها ، وعرض لبعض القضايا التي رفعت عليه والتهم التي وجهت اليه منذ دخوله الجيش في مكدونيا الى أن خرج من بغداد . وفي هذا المقال لمحة أخرى من حياته بعد قدومه الى سورية

كان قائد الجيوش العثمانية في سورية قبل مجيء السفاح اليها زكي باشا الحلبي ، فلم ترقه خطة الهجوم على مصر بل أظهر للحكومة خطأها في تجريدها حملة لهذه الغاية ، وبين لها العقبات الكأداء التي تعتور هذا المشروع المحفوف بالمخاطر ، ولا سيما أن الابل التي قدرها لهذا العمل رئيس أركان الحرب تتجاوز سبعين ألف بعير ، ناهيك بالحاجات الاخرى التي لم يكن الحصول عليها متيسراً . لكن الجرمانيين وقد أرادوا مشاغلة الحكومة البريطانية لتخفيف الحمل عن عاتقهم أصروا على تنفيذ الخطة التي وضعوها على أعرضه رجه وشوية ، . وما زالوا يسهلون لفتيان الاتحاديين السبيل حتى ألقوا الجيوش العثمانية في تيه من الرمال أضاعت فيه صوابها . وحاشوها بعد ما كانت حيدة متم فه كما تعاش الغزلان الى الحدائق لتكون في منازل المقذوفات البريطانية من ترعة السويس . لا جرم أنا نرى الضباط الجرمانيين الذين جاءوا من بلادهم للشورة الحربية يقدرون الابل الضرورية بأربعة آلاف بدلا من سبعين ألفاً . أما زكي باشا فما زال مصراً على رأيه مصرحاً بما هداه اليه العلم حتى أخرج من سورية بحجة أن يكون معتمداً لدى الامبراطور غليوم ، وحل في مكانه احمد جمال باشا حاملا لقب قائد الفيلق العثماني الرابع وناظر البحرية العثمانية بعد ما ستر بطول لحيته قصر جسمه وبحسن بزته سوء نيته . وحمل معه أعواناً واستصفى أذناباً لا يقلون عنه شراً . ومما يدل على عقم الحملة على مصر أن علي فؤاد باشا رئيس أركان الحرب في جيش جمال باشا لما رد على القيادة الالمانية في تهمتها الشرقيين بالاحلام قال : « وهل هناك حلم أسخف من حلم هذه الحملة العقيمة ؟ »

هبط السفاح سورية في أواخر سنة ١٩١٤ فتظاهر في أول الأمر بتأييد النهضة العربية وما يستلزمها من الحقوق القومية حتى انه صرح من إحدى الشرف في فندق « داماسكوس بالاس »

بأعلى صوته أنه لا يتنزل الى قبول القيادة فى بلاد لا يطالب أهلها بحقوقهم القومية

ثم عقدت له حفلة فى أحد الاندية فى دمشق فى أوائل سنة ١٩١٥ حضرها بعض حضرمن الرجال الشيخ عبدالعزيز شاويش . فصرح السفاح على رءوس الاشهاد بأنه الصديق الصدوق للعرب . ثم استطرد الى ذكر الحرب العالمية فقال انه هو الذى فاتح سفير ألمانيا بدخول الدولة العثمانية الى جانب الدولتين المركزيتين . وكثيراً ما ردد فى أحاديثه الخاصة لبعض أصحابه من السوريين قوله انه هو الذى أصر على مصالحة شبان العرب وعلى عقد تلك المعاهدة المعلومة معهم وبإرسال مدحت شكرى بك إلى باريس لمفاوضة أعضاء المؤتمر العربى الذى عقد فيها فى سنة ١٩١٣ برياسة السيد عبد الحميد الزهراوى

إنى لا أزال أذكر تلك الحفلة جيدا لانه كان من حظى أن أكون فيها خطيباً مقدم المستمعين الشيخ عبد العزيز شاويش ، وهى حفلة كبراعة الاستهلال تدلنا بجلاء على شىء مما كان يدور فى خلده فى تلك الساعة ، لانه لما ظهر فيها فتياننا من صغار الضباط بالمظهر العربى اللائق وأنشدوا : « نحن جند الله شبان البلاد نكره الظلم ونأبى الاضطهاد » تنكر لهم فأمر فى اليوم التالى بحشرهم خارج دمشق فى « سينا » وفى غيرها من الجبهات الحربية ، ثم استدعانى اليه بواسطة « صديقه » الذى شغله فيما بعد السيد عبد الكريم قاسم الخليل ، وأظهر لى رغبة أكيدة فيما شىء من الاحراج لأكون حاكما على العقبة ، بالنظر الى خطورة موقعها الحربى » ، فادركت حالا الحقيقة وهى اقصائى عن العاصمة تعرية كما أقصى الضباط المذكورين . وزادنى قناعة أن الوالى خلوصى بك ـ وهو من أشرف الولاة الترك وأصدقهم ـ رآنى ورأى بعض أخوانى فى اليوم التالى فقال على سبيل المزاح : « أين جند الله ؟ » إشارة إلى ما عمله السفاح من إقصاء جنود العرب . فلو قبلت الامر لربما كان نصيبى أنه يمهلنى فى العقبة شهرين أو ثلاثة حتى إذا جرت ريح الحرب بما يشتهى الالمان وحلفاؤهم نشر فى الصحف مثلا أن الاسطول البريطانى ضرب العقبة بالتآمر مع حاكمها فأساق الى الديوان العرفى بهذه التهمة الكاذبة غير مأسوف على . ولكننى وقد نجوت من هذه الاحبولة تحتم على من بعد اعتذارى من قبول تلك الوظيفة أن أقابله بالشكر على قوله : « إذن أنت طبيبى الخاص فستبقى معى فى المقر العام »

والذى لابد من لفت الانظار اليه هو أن السياسة النهائية التى أراد اتباعها لم تكن قد تقررت فى ذهنه بعد . فاذا كانت بعثرة تلك « الخدمة المقصورة » الذى أشرنا اليه ، ومحاولة اقصائى واقصاء اخوانى تذيراً من جهة واحدة ، فان الغارات التى كانت تشنها الاساطيل البريطانية على الدردنيل فتدك استحكامات قلعة « سد البحر » و « اناطورطه » كانت من جهة أخرى باعثاً عظيما يحمل السفاح ـ وهو من أشد المتفرسين ـ على التفكير العميق فى المصير . لانه من غير شك كان يطمع ـ فيما إذا اكتسح الاسطول البريطانى الدردنيل ـ فى نوع من الملكية على

سورية وجزء كبير من باقى الاقطار العربية والاناضول تحت حماية الحلفاء . وربما كان اطلاع عبد الكريم قاسم الخليل على هذه المؤامرة وتفرعاتها سبباً فى شنقه فى جملة من شنق من فتيان العرب فى شهر آغسطوس سنة ١٩١٥ ، وقد ذكر بعض الذين حضروا هذا الشهيد وهو ذاهب الى المشنقة انه قال : « ان من مصلحة جمال باشا الشخصية أن يشنقنى ليدفن فى قبرى ما اعرف من أسراره » . وأشهد أن وحدة الحال التى كانت بين هذا الشهيد وبين السفاح شىء يتجاوز الصداقة الاعتيادية كما سيتبينه القارىء فيما بعد

ساق الجيوش العربية السورية الى (سينا) بعدما استرضى بالوظائف بعض الادباء والخطباء والكتاب من أبناء العرب واستصحبهم فى أسفاره ، ولما حصلت الغارة على (ترعة السويس) فى اليوم الثانى من شباط — فبراير — سنة ١٩١٥ صف وراء الجيوش العربية وعلى حد منها فرقتى (أرمير) و (كركوك) وأمر قوادهما أن يرموا بالرصاص أبناء العرب إذا ما تراجعوا

صمد العرب فى موقعهم على الضفة الشرقية الى أن حصدتهم المدافع من الترعة ومن الضفة الغربية ، ومن بقى منهم حياً وقع فى الأسر وسيق الى (المعادى) على بعد أميال من القاهرة . فأحدث هذا الانكسار خيبة عظيمة من بعد تلك الآمال الكبيرة ، ثم اخذت الروايات المتنوعة تشيع على الألسنة بأن جمال باشا وقع تحت صدمة العقاب لنهاره وأنه سيق الى الاستانة مصفداً بالاغلال . وهنا أستميح القراء عذراً اذ ذكر لهم هذه الحادثة الشخصية التى تم عليه ، فقد أثرت فى كبريائه هذه الاشاعات تأثيراً كما أخبرنى بعد اليوم ، ولا يبعد أيضاً أن يكون الوالى خلوصى بك قد بالغ فى روايتها ، لما فى قلبه من الحزازات من أعمال السفاح ، خصوصاً استبداده بالأمر واهماله الموظفين الملكيين وتدخله فى جميع الاعمال بما أشاع فى البلاد وزرع المخاوف فى قلوب الرعية ، واذ كان الحال كما ذكرت جاءنى الطلب من الوالى ، فقص على ما فى نفس جمال باشا من اهتياج والغضب بسبب هذه الاشاعات ، وأنه اقترح عليه أن أعمل شيئاً لتهدئة الافكار . وفى اليوم التالى أخذت برقية من جمال باشا يطلبنى الى القدس حالا ، فقررت السفر وذكرت ذلك لصديقى ، وصديقه ، : عبد الكريم قاسم الخليل فقال سأكون رفيقك فى هذا السفر فنلت على الرحب والسعة

وفى أثناء السفر بالقطار الى القدس فى أواخر الاسبوع الاول من شهر نيسان — ابريل — سنة ١٩١٥ التقينا بشكرى افندى الالوسى فقيه العراق وجان افندى الاعظمى والرئيس بكر بك فقصوا علينا خبر المهمة التى أرسلهم بها السفاح الى ابن سعود ليستفزوه الى الجهاد ويستميلوه الى جانب الدولة بانواع المغريات وكيف أخفقوا . ذلك ان ابن سعود أصر على موقفه فى اعتبار المتحاربين من الوجهة الدينية سواسية . بل قال انه يجوز له أكل ذبيحة الانكليز لانهم أهل كتاب ولا يجوز له أكل ذبيحة ملاحدة الاتحاديين لانهم مرتدون

بلغنا القدس في نحو اليوم العاشر من نيسان ـ ابريل ـ فدخلنا على السفاح في العمارة الالمانية المعروفة ـ اوغوسطا فيكتوريا ـ فوجدناه في حالة ذهول واضعاً يده على خده والكآبة بادية على وجهه . فافتتح الحديث المرحوم عبدالكريم قاسم الخليل بقوله « ما دوشو نيوسكر باشا ؟ » وغير ذلك من الكلام الدال على وحدة الحال وزوال التكلف . وكانت الحال في الدردنيل متقلقلة لا يستطاع الحكم على مصيرها ، وان كانت الضربة التي كالها العثمانيون للحلفاء قاسية من حيث المدرعات التي أغرقوها . ولكن الحلفاء كانوا عازمين على جعل الدردنيل حرجاً في تلك الايام بما أذاعوه على الملأ من المنشورات التي أعلنوا فيها أن ابواب الدردنيل ستفتح في خلال الاسبوع للبواخر . وقد تبين لي من مجرى الحديث أن السفاح كان في حيرة لا يدري ماذا يعمل ، غير أن النكاية التي بثت عليه في سورية ووصلت أخبارها اليه مبالغاً فيها أقضت مضجعه فأراد أن أساعده على إطفاء جذوتها . والمهم من جميع هذا الحديث أن إخفاق الحلفاء من بعد ما ملأوا الدنيا صياحاً بالاعلان عن عزيمتهم على فتح الدردنيل للملاحة الحرة غير في الوجهة التي كان عليها السفاح ، فتمر من بعد ذلك الهبوط والاعياء وأخذ يظهر على الدولة غيرة لا تتفق مع الاخبار التي ذاعت عن مطامعه الشخصية في بلاد العرب وتشجيعه الناس في سورية حيثما حل على المطالبة بحقوقهم ، وأنه يأبى أن يكون سيداً في البلاد العربية إن هي لم تلاحق قضيتها وتطالب بحقوقها القومية المقدسة . ويدعي أنه عقب هبوطه دمشق في ديسمبر سنة ١٩١٤ واطلاعه على الاوراق التي سرقها الشعبي من حزب « اللامركزية » في القاهرة وسلمها لسفير الدولة العثمانية في أثينا ، ومعظمها صور رسائل تهويش ، مصادمتها مع ذلك بخطهم ومن غير اطلاع معظم أعضاء اللامركزية عليها ، وحصوله على الوثائق التي تركها القنصل الفرنسي في بيروت (قصداً غالباً) ، كل ذلك دله على ما زعم أنه من المسائل السياسية الجوهرية في بلاد العرب . وما أخره عن الايقاع بالناس إلا غموض الحالة العامة . ونحن إذا استثنينا تشهيره نخلة باشا المطران في شوارع دمشق ثم قتله إياه في جهات (جرابلس) ـ وهو ما يفسر بنجاح الالمان في البلجيك واكتساحهم شمالي فرانسة ـ نستطيع أن نقول إجمالا إن كل فتك بالأحرار العرب وأمر بتعذيب أهلهم وذويهم ، وبطش بالآمنين المطمئنين ، كان يسير مع انتصار الدولة حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل . فالقافلة الأولى من الشهداء ذهبت إلى عاليه مثلا عقب إخفاق الحلفاء في الدردنيل ، والثانية ذهبت إلى المشانق عقب انكسار الانكليز في العراق واستسلام الجنرال (تونزند) وجيشه في كوت الامارة

(الكلام بقية) عبد الرحمن شهبندر

أقدم الرواد في العالم
هم المصريون أهل ايلفنتين

بقلم الأستاذ عبد القادر حمزة

كل من يقرأ تاريخ مصر القديم يجد ارتباط مصر بالسودان مستمراً في جميع العصور. وذلك أن المصريين لم يكادوا يشعرون بأنهم نظموا شؤونهم الداخلية وأقاموا في مصر العليا ومصر السفلى ملكاً قوي الدعائم حتى تطلعت أنظارهم إلى وراء حدود بلادهم. وكان من الطبيعي حينئذ أن يتجه تطلعهم إلى الأقطار التي يأتيهم منها النيل قبل أن يتجه إلى أقطار أخرى. ولهذا فتحوا النوبة وحكموها وكان من وزراء مصر في بعض العصور وزير يسمى «حاكم النوبة».

ولم يكتف المصريون بأن يفتحوا النوبة ويحكموها كما كانوا يحكمون إمارات فلسطين وسورية ونهر الفرات، بل نزح إليها منهم من استعمروها ونقلوا إليها الديانة المصرية، والعادات المصرية، والأنظمة المصرية، حتى لم يكن يمكن أن يقال إلا أنها جزء من مصر. وربما كانت النوبة هي البلاد الوحيدة التي مصرها المصريون هذا النوع من التمصير.

وقراء التاريخ يعرفون أيضاً أن هؤلاء المصريين من أهالي النوبة أغاروا على مصر حينما ضعفت شوكة الفراعنة وحكموها حقبة قصيرة من الزمن.

فارتباط النوبة بمصر لم ينقطع في عصر من العصور، وأهل النوبة هم من أصل مصري. ولهذا لم يكن غريباً أن يجد هذا الارتباط القوي أثراً — بل آثاراً — في الوثائق التي يعثر عليها كل يوم في مصر والنوبة معاً. ومن حسن الحظ أن من هذه الوثائق ما يكشف لنا عن الخطوات الأولى التي خطاها المصريون في اتجاههم إلى السودان. وهي خطوات لم يكونوا فيها فاتحين تؤيدهم في فتوحاتهم الأسلحة والجيوش، بل كانوا رحالين رواداً يرودون الأقطار التي يأتيهم منها النيل، كما يرود العلماء الآن الأقطار المجهولة. وقد ترك لنا بعض هؤلاء الرواد المصريين قصصهم، وحكوا لنا ماذا فعلوا، وأي تجارة جلبوا، وقد عاشوا في زمن الأسرة السادسة أي من نحو ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد، فهم أقدم من يعرفهم العالم من الرواد طلباً للعلم والتجارة.

وهؤلاء الرواد هم من أهل إيلفنتين التي تعرف الآن باسم جزيرة أسوان. وقد وجدت قبورهم ووجدت فيها نقوش تدل على رحلاتهم في النوبة. وأحدهم يسمى «هرخوف»، وهو يقول لنا في قصة حياته إنه كان يعيش في عهد الملك ميرنوفيس الأول (هذا الملك يسمى أيضاً مرنرع)

ففى السنة الخامسة من حكمه جاء الى ايلفنتين فوجدت عليه وفود من القبائل الضاربة فى الصحراء وهى قبائل واوايتو وماراو واريثيت وقدموا له الطاعة فغره ذلك الى ارسال بعثة تزود البلاد المجاورة للنيل ، فوقع اختياره لهذا الغرض على هيركوف ووالده . وهنا يقول هيركوف :

« أرسلنى جلالة الملك مع والدى « ايرى » الى بلاد « امامى » لفتح الطريق اليها . فقمت بهذه المهمة فى سبعة أشهر وعدت من بلاد « امامى » بكل أنواع العروض فكوفئت على ذلك بالثناء العظيم »

وبعد ذلك بقليل عاد هيركوف الى الرحلة مرة ثانية ، ولكنه رحل فى هذه المرة وحده . قال :

« خرجت من ايلفنتين فسرت الى بلاد « اريثيت » ثم الى بلاد « ماخير » ثم « دار-ريزى » التابعة « لاريثيت » فامضيت فى ذلك ثمانية أشهر وعدت من هذه البلاد من عروض التجارة ما لم يسبق لغيرى أن حمله منها الى مصر . وسرت فى أراضى أمير « سيتو » التابعة لشعب اريثيت فاجتزتها . وهذا عمل لم يتفق مثله لرئيس من رؤساء القوافل الذين خرجوا من قبل الى بلاد امامى »

ولم تكن هذه الرحلة آخر رحلات هيركوف لانه يقول لنا بعد ذلك :

« وأمر جلالة الملك أن أرحل مرة ثالثة الى بلاد امامى فخرجت من ايلفنتين الى الواحة فوجدت أمير أمامى يسير الى أرض « تيميهو » فى الزاوية الغربية من السماء ليحارب أهلها . فسرت معه الى أرض « تيميهو » ووصلت اليها وهدمته عدما جعلته يشكر جميع آلهة فرعون ... وهكذا كسبت قلب أمير امامى وجئت بلاده من ... الى اطراف ... فوجدت امير اريثيت « وسيتو » واهل أواوت « يعيشون فى سلام . وكنت أسير ومعى ثلثمائة حمار محملة مواد ذكية الرائحة وابنوسا وعاجا وجلود وحيد القرن وجلود النمر وأشياء اخرى كثيرة من أنواع العروض التجارية الثمينة »

ويقول هيركوف انه فى رحلته هذه كان معه حراس مصريون يحرسونه وكان معه مساعدون له من بلاد امامى . أما الحمير التى معه فقد اشتراها من مشايخ بلاد اريثيت كما اشترى منهم الثيران والمأكولات التى احتاج اليها هو ورفاقه فى أثناء رحلته

ولما وصل هيركوف الى حدود مصر احتفل الملك باستقباله احتفال من يقدر رحلته . قال هيركوف :

« وارسل جلالته لمقابلتى السيد أونى على سفينة محملة حلوى وأشياء طيبة وجعة » (١)

---

(١) أول من عثر على هذه القصة فى قبر هيركوف وترجمها هو العالم الايطالى شيابارلى E.Schiaparelli فى سنة ١٨٩٢ . ثم عثر من بعده العالمان مورجان M. Morgan وبوريان M. Bouriant على قبور أخرى فيها قصص تدل على أن اصحابها كانوا أيضا رواداً مثل هيركوف

ومما يجب ألا يفوتنا هنا أن قبر السيد أونى الذى يذكره هيركوف قد كشف وان صاحبه ترك فيه كتابات حكى فيها قصة طويلة لحياته وللمناصب التى تقلب فيها . وقد دلت هذه القصة على ان أونى صار مديراً لقصر الملك فى عهد بيبى الثانى الذى خلف ميتروفيس الأول . وهذا معناه ان أونى حينما كلف استقبال هيركوف كان من كبار الموظفين المتصرفين بين الرعاية الملكية ، ولهذا رأى هيركوف فى اختياره لاستقباله شرفاً عظيما ، ثم رأى ان يسجل هذا الشرف فيما يكتبه من نفسه

وهذا الذى كتبه هيركوف ظاهر الدلالة على أن فراعنة مصر كانوا فى عصر الأسرة السادسة وقبل ذلك أيضا يعنون بإيفاد البعثات الى النوبة ليكشفوا بلادها وناسها، ثم ليجلبوا منها عروض التجارة . وكان للمصريين شغف بعروض معينة يجلبونها من النوبة أهمها المواد ذات الرائحة الذكية والعاج والآبنوس وجلود الحيوانات المتوحشة . وكان الرواد المصريون يقضون فى هذه الرحلات أزمنة طويلة بدليل أن هيركوف قضى فى واحدة منها سبعة أشـــهر وفى أخرى ثمانية أشهر

ولا نعرف الآن هذه الاسماء التى ذكرها هيركوف للبلاد والقبائل . ولكن من المرجح انها لاتتجاوز دائرة النوبة الى الشلال الرابع ويقول العلامة ماسبيرو إن أرض «تيميو» التى قال هيركوف انها « فى الزاوية الغربية من السماء » هى بعض واحات الصحراء (١) . وإنما جعلت السماء هنا اساسا للتحديد لأن عامة الشعب كانت تعتقد إذ ذاك أن النيل يأتى من السماء

ويلاحظ أن هيركوف كان يستخدم حمير ، وهنا كانت قافلته مؤلفة فى رحلته الثالثة من ثلثمائة حمار وذلك لأن الجمل الذى يسمى «سفينة الصحراء» لم يكن معروفاً فى مصر والنوبة فى ذلك الوقت . ولم تكن الخيل معروفة فيهما أيضا

* * *

وهل كان هيركوف وأبوه أول الرواد الذين ارتادوا النوبة ثم عادوا منها بالمعلومات العلمية وبعروض التجارة ؟

كلا فان فيما كتبه هيركوف نفسه مايدل على أن رواداً مصريين آخرين سبقوه بنحو مائة سنة (فى عهد الاسرة الخامسة) واراد لهم حسن حظهم أن يعثروا بقزم كان يسمى « دانجا » فلما عادوا به الى مصر فرح به فرعون واتخذ منه مسلياً له فى مجالس انسه . وكان «دانجا» هذا بارعا فى رقص الزنوج وفى الاتيان بحركات مضحكة فكانت تسليته للملك تجعل من وجوده فى القصر قنية ثمينة . ثم مات فبقيت ذكراه عالقة بالفراعنة وصار العثور على الاقزام التى من نوعه من أهم اغراض الرواد المصريين الذين يرتادون النوبة

(١) كتاب Causeries d'Egypte ص ١٩

وشاء الحظ الحسن لصاحبنا هيركوف أن يرحل الى النوبة مرة رابعة فى عهد ببى الثانى وان يعثر فى رحلته هذه على قزم كالقزم دانجا وان يقتنصه ويعود به الى مصر. فاسمع الآن ماذا يقول لنا هيركوف فى ذلك.

يقول لنا فى قصة طويلة انه أرسل الخبر الى الملك فجمع الملك وزراءه ثم اصدر امراً اسبغ فيه على هيركوف الهدايا وعطايا ثم طلب منه أن يحضر اليه بالقزم على جناح السرعة. وخاف الملك ان يفلت القزم من هيركوف فى الطريق فاصدر اليه الأمر الآتى :

وحينما يركب القزم السفينة معك اجعل عليه حراساً يقظين فى كل جانب من جوانب السفينة لئلا يسقط فى الماء. وحينما ينام فى الليل اجعل حراساً يقظين ينامون معه فى فراشه. ويبدل هؤلاء الحراس عشر مرات فى الليلة.

وكانت هذه السفينة التى ركبها هيركوف والقزم سفينة أرسلها الملك لنقلهما. واصدر الملك اوامر الى جميع رجال الحكومة بأن يقدموا للسفينة وركابها المؤونة الكافية طول الطريق

• • •

فاهل اقليم اسوان هم على هذا اقدم من يعرفهم العالم من الرحالين الرواد وفراعنة الأسرتين الخامسة والسادسة هم اقدم من يرى العالم فيهم ملوكا مشجعين على الرحلات العلمية والتجارية فلنعرف عن ابناء مصر الحديثة هذا الفضل العلمي لمصر القديمة

عبد القادر حمزة

شجر يمشي

ما نحن إلا شجر   جذوعه مقطعه

يمشي لغير غاية   وليس يدرى مصرعه

طاهر الطناحي

رواد النهضة الادبية الحديثة *

بقلم الاستاذ خليل مطران

سيداتي : سادتي

اللجنة التي دعوتكم باسمها ، قوامها فريق من الأدباء وفريق من المتأدبين

أدباء تبينوا أن لهذا الشرق رجالا عظماء ، طلعوا في سمائه طلوع النجوم الزواهر في المائة الأخيرة من السنين ، وكان منهم على الأخص أعلام للبيان ممن يتيه بهم زمانهم على كل زمان ، فتحرمتهم المنايا ، لم ينصف الاكثرون منهم في حياتهم ولا بعد مماتهم ، وظفر الاقلون منهم ببعض ما يحق لهم من الرعاية ، إما قبيل رحيلهم من الدنيا ، وإما على أثر رحيلهم ، ثم أسدلت الحجب على أعيانهم وعلى آثارهم ، فما تطالع عنهم شيئاً إلا عرضاً ، وما تسمع عنهم شيئاً إلا عرضاً ، كأنهم لم يكونوا منا ، وكأن أناساً غيرنا هم المسئولون وهم المعنيون باحياء ذكرياتهم وتخليد صورهم وسيرهم

عز على أولئك الادباء الذين أشرت اليهم ألا ينبرى أناس من أرباب الاقلام والالسنة المعاصرين لأداء هذا الواجب الذى أعمل عن غيرية على تركه من الاساءة الشديدة إلى الكرامة القومية ، ومن التفريط في ثقة المعاصرين والآتين على سجايا أجدادنا الماضين ، واتفقوا على أن يبدأوا بأعلام الادب ، فيجعل كل منهم واحداً من أولئك الاعلام موضوعاً لمحاضرة يلقيها في هذا النادى

وأما المتأدبون من أعضاء هذه اللجنة وزمرة كريمة من خريجي مدرسة مطرية ، تعاهدوا على تصريف شعورهم الوطني الصادق في همتهم الفتية النامية للقيام بكل ما يقتضيه من الجهود إعداد وسائل النظام والروعة للحفلات التي ستلقى فيها تلك المحاضرات

وانى باسم هذه الجماعة من الادباء والمتأدبين لأرى من الواجب بادىء ذى بدء أن أثني أطيب الثناء على حضرات السادة الاماثل المنتظمين بادارة النادى الشرقي لماتفضلوا به علينا من المؤازرة القيمة التي ستمكننا من أداء مهمتنا في أحب مكان وتحت أسمح رعاية

أما موقفي الآن لتحدث اليكم ، فما الغرض منه إلا أن أجمل تحت أعينكم البرنامج الذى وضعته للسلسلة التي ألمحت اليها آنفاً من محاضرات ستكون وسيلة متصلة لأمرين نحبوبهما ، الأمر الأول هو أن نعرض عليكم صور أكابر العاملين في النهضة الأدبية العربية منذ بدئها في هـــذا

* ألقيت هذه المحاضرة القيمة في النادي الشرقي بالقاهرة

العصر ، أي منذ قرن على التقريب ، والطبع قد عنيت بالصور ترجمة الحال لكل منهم وبيان أعماله وآثار يثبته فيها وسائر ما يهم الوقوف عليه من شئونه الخاصة والعامة

والامر الثاني أن تسمعوا نخبة يصح أن نعدها من خيرة الخلف لذلك السلف يتعاقبون على هذا المنبر ويذكرون لكم بألسنتهم الفصيحة وأساليبهم المتنوعة "مثل مفيد ومفكه من" أنباء أولئك العظماء

قلت إني وضعت البرنامج ، ولكن أرجو الا يسبق إلى أذهانكم من نطقي بضمير المتكلم ، أن لي أدنى فضل فيه أو في الدعوة إلى المهمة المرتبطة به أو في العمل لها بأكثر من أني أجبت دعاء من دعا لالقاء هذه الكلمة التمهيدية — وانما الفضل الاكبر فيما نوينا وسنقوم به ، أنا وأولئك الزملاء ، يرجع إلى روح لطيفة نقية فياضة قوية متشبعة بحب الشرق الذي هي منه ، متفانية في الاخلاص لكل من ينتمي اليه ، روح متمثلة لدينا في أبرع مثال من الجمال ، وعققة في سيرتها بيننا غاية ما تتمناه من الفضائل المرأة الادبية الحصيفة الحرة الشمائل . أظن تبينوا من هذه الاشارة أن الموصوفة بما هي ، مدام خير ، ؟ أجل هي مدام خير التي تفكر ليل نهار في قومها ومعاصر قومها . وتنفق ما يشاء الله من عزيمتها في كل ما يجلب لهم عزاً أو يدفع عنهم ذلا ، وتثب من أوقات واجبها لاسرتها وواجبها لنفسها وقتاً تهبها لكل خدمة وطنية شريفة ، مستمدة لذلك إرشاد قرين رصين حكيم ، ومعززة بعون شريك لها في الحياة يتمم المساعي الحميدة من عنايات شريكته ما يقضي به سمو من يقدم الخير الخاص على الخير العام . فالى هذين الصديقين الكريمين أهدي ما هما حريان به من خالص الشكر

أما العلماء والادباء الذين ندبوا لاعداد هذه المحاضرات ، فانتدبوا بلا تردد لمعاناة تلك المشقة الكبيرة لا من أجل ما يصحبها من اللذاذة أو الفخر ، بل من أجل ما يحمل ضمنها من الفائدة الشاملة . فطلبهم بالغون ما يريدون من سد تلك الثلمة الشائنة الواسعة المدى بين حاضرنا وماضينا القريب

عفواً يا سيداتي وسادتي اغتفروا لي خشونة اللفظ . إن تلك الثلمة لشائنة كما وصفتها ، وانما بقدر ذلك لضارة . وأي ضرر أعم من أن تكون أمة لايكاد يتصل عتيدها بعهيدها حتى تنقطع الصلة ويصبح أمس الغابر كألف عام غابر

ان وشك النسيان وسرعة السلوان هما آفة آفاتنا في الشرق . ومعاذ الله أن أقول انهما من أصل الفطرة . فلقد اذكر ولقد تذكرون ما كان من حرص العرب على مفاخرهم في الجاهلية وفي صدر الاسلام الى أن بدأ عهد الانحطاط الطويل المريض الذي فعل بنا أفاعيله بعد ذلك في مدى يناهز الف سنة :

فى الجاهلية كان لا يموت ميت من أبطالهم أو شعرائهم حتى يبعث الف بعث ويصور الف صورة فما تغفل جولة جالها وما تفقد كلمة قالها

وفى صدر الاسلام الى القرن الرابع أو مابعده لم تضع مفخرة ـ وان قلت ـ من مفاخر المهديين جيهم. وربما ملكت الحماسة نفوس المعجبين بأبطالها وشعرائهما وأدبائهما فما تورعوا ان يضيفوا محامد الى محامدهم، وكثيراً ما باعدت هذه الحماسة بين الاصل والنقل لا فى الوقائع المحكية بل فى الاقوال المروية. فمن لم تزدها جمالا فقد أريد بها ولا مراء أن تزيدها فى النفوس عظماً وجلالا

وكان من دواعي الاسى لنا نحن أهل هذا الزمن أن الاسلوب الذى جرى عليه أولئك المتقدمون فى الترجمة للابطال والشعراء والادباء. لم يدركوا فيه معنى التحقيق والتدقيق فى امر الماشى، واثر البيئات وذكر العوامل المفرقة بين مقومات شخص ومقومات آخر، كما ندرك ذلك فى أيامنا، فاغفلوا شئوناً لم يخطر لهم تدوينها لظنهم أن مألوفاتهم فى السكنى والكساء والمعايشة والمعاشرة باقية على الدهر كما هى بلا تغيير ولا تبديل وهذا الاغفال قد ترك لنا فراغاً واسعاً يصعب على الباحثين ما أن يصيبوا فى اثبات شكل ما يسدونه به. ولو شئت لضربت لكم أمثالا لا تحصى على ما كان من شدة كلف العرب فى حبهم المهديين بحفظ أسماء الابطال والشعراء والادباء منهم، وبالعناية برسومهم حبة فى قلوبهم وترديد ما أثر عنهم سواء فى ذلك ما جل وما دق من الاعمال أو الاقوال

على ان هذه العجالة لا تتسع الا للعبارة الموجزة او الاشارة العاجلة. وانما اردت من مدتها ان اثبت لديكم بايجاز ان تناسى العظماء مما عند مدركهم الدنيا فى امد قصير او طويل لم يكن خلقة فينا بل قد طرأ بعد عهد الانحطاط وقد اصبح بحكم التقادم شبيهاً بالخلق ويا للأسف

فالآن يريد فريق من كهولنا اولى الروية ومن شباننا ذوى الحبة ان يتغلبوا على هذه الروية المثقلة على طباعنا، وان يتخلصوا من اثرها السيء لانقاذ روائع من بين هذه الحقبة الاخيرة احسوا الى امتهم ايما احسان ببعثهم الادب العربى وتفانيهم فى اضافة عهد حديث الى عهده العتيق. ويعتقد اولئك الاخوان عن ان ما فاتنا من قبل ينبغى ألا يفوتنا من بعد وهم مصدقون لقول من قال ان الانصاف بطيء ولكنه يجيء. فما اجدرهم ايها السادة بما قالكم عليهم وحسن مؤازرتكم لهم

لم يكد الربع الاول من القرن التاسع عشر ينقضى حتى بدأت حركة ادبية مباركة

بدأت متساوقة فى مصر وفى الشام، ولكن الميئات لها والممهدات لفلاحها كانت مختلفة اختلافاً كبيراً بين الواحد والآخر من هذين البلدين بل بين الولايتين فى القطر الواحد على ما سترون

فأما فى مصر ، فالامة كما تعلمون كانت تتكلم العربية ، لم يكلفها حكامها من الاتراك تعلم لسانهم ولا هى وجدت من البواعث ما يحدوها على تعلم ذلك اللسان . ومعظم الذين ولوا الامور فيها كانوا يخاطبونها بلغتها وندر فيهم من يلجأ إلى التراجمة ، ولكن الأمية كانت فاشية الى اقصى حد ، وعز أن توجد ، إلا فى بعض المدن أو القرى الكبيرة ، كتاتيب يلقن فيها الاطفال شيئاً من الدين ويعلمون اوليات القراءة والكتابة والحساب . وفيما عدا ذلك كان خريجو الازهر هم الذين يسمعون الناس فى صلوات الجمع أو مناسبات أخر عظات وارشادات لاتتعوق بعباراتها إلا قليلا على العامية المتداولة . وتلك العامية لم أعد الحقيقة فى وصفها حيث قلت من خلطة ساقتها الى العجمة والركاكة المتفشية بخليط لاوصف له من الرطانات والكلمات المنحرفة بمدلولات جديدة عن أصل مدلولاتها ، كانت الاداة العربية التى يتفاهم بها القوم نطقاً وكتابة .

فلما استتب الامر لمحمد على الكبير مؤسس الاسرة المالكة وشاع فى الامة شعور بانها أصبحت دولة مستقرة ، لا ولاية مستباحة ، وان لها وجوداً ذاتياً ظاهرته الاولى لغتها العربية ، وان المهيمن عليها قد شرع فى تجديد عام وتبدد من غياهب الجهل لتبين تلك الجماهير التى شملها سلطانه انها غدت تكون شعباً بمميزاته واستقلاله عن الشعوب الاخرى ، ولما أرسلت البعثات الى الغرب وشيدت دور التعليم وبدئت الاعمال التى تتطلب ارتقاء وتحتم معها شيئاً من النزوع الى التنور والتفقه ، دب دبيب الحياة فى اللغة القليلة من المتعلمين يومئذ وأخذت تباشير النهضة تظهر متتابعة فى كل ما احاط بها من النور من لم يعل من تنشيط لها وترغيب فيها

فأما الذين جاءوا فى طليعة أولئك الاعلام يومئذ فهم : الشيخ حسن العطار ، الشيخ حسن قويدر ، محمد سيد احمد باشا ، رفاعه بك رافع الطهطاوى ، رجال مدرسة الالسن . ثم طرأت دون اطراد السير الى الامام وقفة لم يطل مداها مدة عباس الاول وسعيد . فلما تولى اسماعيل استأنفت النهضة نشاطها وذاعت فيها اسماء الشيخ محمد شهاب الدين ، عبد الله فكرى باشا ، على مبارك باشا ، السيد على الدرويش ، ابراهيم بك مرزوق ، محمد قدرى ، الشيخ على أبى النصر ، الشيخ عبد الخالق الزرقانى بين ناثرين وشعراء . على ان بعض هؤلاء ادرك زمن توفيق وفى عهده قويت النهضة ثم اطردت الى اليوم بارزة بها — من الذين توفوا الى رحمة الله — اسماء الشيخ محمد عبده ، محمود سامى البارودى باشا ، شفيق منصور ، عبد الله نديم ، الشيخ حمزة فتح الله ، عائشة التيمورية ، محمود واصف ، الشيخ احمد مفتاح ، احمد سمير ، اسماعيل صبرى باشا ، محمد حفنى ناصف بك ، ابراهيم اللقانى ، ابراهيم المويلحى وابنه محمد المويلحى ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، مصطفى بك نجيب ، الشيخ على يوسف ، قاسم بك امين ، محمد فتحى زغلول باشا ، الشيخ المهدى ، السيد توفيق البكرى ، مصطفى كامل باشا ، الشيخ مصطفى المنفلوطى ، الشيخ الخضرى ، أمين بك الرافعى ، سعد زغلول باشا ، محمد حافظ ابراهيم بك ، احمد شوقى بك ، محمد ابراهيم هلال بك ، وهبه تادرس بك

هذا في مصر . واما في الشام ولبنان ونهضتهما متصلة منذ الساعة الاولى بنهضة مصر وكتب الفريقين متداولة بين القطرين ، فقد كانت عوامل التنشيط والترغيب معدومة في الولاية السورية او في حكم المعدومة ، وذلك لحالة خاصة ينبغي من اجلها ان نفرق في البحث بين ما جرى في تلك الولاية وما جرى في لبنان ومتصرفية بيروت . قال الاستاذ الكبير محمد كرد علي بك : « وظهر الضعف في الشعر خلال القرون الاخيرة وتسلسل عليه القرون الى ان خلع في اوائل هذا القرن الثوب البالي القديم ولبس ثوباً جديداً فيه من جلال الحديث ومن جمال القديم ما جمع به الجسم والروح . بدأ هذا من لبنان وبيروت ثم تناول مدن الشام » . على انكم ستجدون من القائمة التالية ان عدد الادباء المشاهير الذين اخرجتهم الولاية السورية النهضة الادبية العربية لم يكن الا كبر بجانب الذين اخرجها بهم لبنان ومتصرفية بيروت . وذلك لان الحكم التركي في دمشق وتوابعها كان اشد موقعاً في النفوس وكان كبراؤها فريقين احدهما متصل بالولاة واعوانهم وانما يعنى بالتركية والآخر متجه الى تعهد المزارع او الى الاتجار ولم تكن لهم جميعاً ادنى عناية بلغة لا يرجى منها مغنم . هذا في حين ان جماهير الاهلين كانوا رازحين تحت وقر التكاليف التي يسومهم اياها ذلك الحكم ، وقلما يجد اناس منهم مصلحة في العناية بغير ما يكسبون ادنى ارزاقهم

فاذا انتقلنا الى لبنان وجدنا بلاداً عربية وحكومة عربية يتفراحاً شعورها بالتبعية العثمانية ويقل في الغالب تبعاً لدورات شعورها الرسمي . ولكن نقمة العرب على كل حال لا ينفذ اليها شيء قهار مستغرق من عوامل الاشتراك فاذا سبب الفصاحة لكساد بضاعتها وندرة طارقيها فالاستعداد لقبولها موجود والحكومة قل فيه الشعر لا يمنع حملها على الذين ينبغون فيها كما انها بعد فتنة الستين لا تعطي كل الاعتناء على الذين يحمونها

وكانت بيروت بعث المدينة الذكية ذات الفسحة المرجعة لكل رقي أشبه بالمصب الذي تفضي اليه الاماقي اللبنانية فتجد مبناً خصباً ومردهراً صالحاً ، توطنها الشعراء والادباء النازحون اليها من الجبل واتسع فيها ميدان عملهم وتفكيرهم ، وزادهم نشاطاً والمنية هبوب التعب من أبنائها لمنافستهم . فأتت من هذا الاشتراك المعنوي بين شطري الشام تلك الطفرة المدهشة التي أبرزت في أقل من مائة حول الشعراء والكتاب الذين سأتلو عليكم أسماء المتوفين الى رحمة الله منهم وهم : الشيخ ناصيف اليازجي ونجلاه ابراهيم وخليل وكريمته وردة ، مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك ، بطرس كرامة ، المطران جرمانوس فرحات ، الخوري نقولا صايغ ، انطون شحلع ، كمال الدين الحريري ، الامير عبد القادر الحسني الجزائري ، رزق الله حسون ، عمر الانسي ، أمين الجندي ، نقولا الترك ، عبد الله الطرابلسي ، ناصيف المعلوف ، بطرس وسليم وسليمان وعبد الله البستاني ، أبو الحسن الكستي ، عمر الباقي ، أحمد فارس الشدياق ، ابراهيم الحوراني ، أديب اسحاق ، مارون النقاش ، فرنسيس المراش ، خليل الخوري ، سليم وبشاره تقلا ، نقولا

ترما ، نجيب وأمين الحداد ، عبده بدران ، الياس صالح ، عبد الحميد الرافعي ، أمين وشبلي الشميل ، بشاره زلزل ، فيليب جلاد ، جرجي زيدان ، يعقوب صروف ، الياس فياض ، طانيوس عبده ، جبر ضومط ، سليم سركيس ، وديع عقل ، سليم عنحوري ، داود بركات ، وبعض هؤلاء مدين لمصر باستكمال أدبه فيها

عددت من حضرتني أسماؤهم من الشعراء والكتاب مصريين وسوريين ولبنانيين وفيهم الشموس والاقمار وفيهم الكواكب الصغيرة الاقدار ، ولكن لكل منهم شأناً وأثراً يصح ان يتوخاهما أحد الذين سيحاضرونكم ليستخرج منه عبرة خاصة أو حكمة جامعة . فمن اطلاعكم على هذه الاسماء يتلخص في اذهانكم برنامج الخطب القيمة التي ستسمعونها وليس مفروضاً أن يتناول البحث كلا من تلك الاسماء ، ولكنا وكلنا وسنكل الى كل من يساهم معنا في هذا العمل من الادباء اختيار أي شاعر اشتهر أو كاتب ذي خطر ، يرى من نفسه قدرة على الترجمة له ، وتقصي سيرته واعماله ، وتلخيص شيء من مأثوراته ، بحيث يتسنى له بما لديه من الوسائل ان يصوره لكم في صورة ناصعة خالصة من شوائب الريب نقية من اعلاق الشبهات والظنون ، فيسلم تاريخ مجدنا الادبي مما اعتوره من ثلمات النسيان . وقد يفسح الله لنا ان ننشر تلك المباحث في كتاب فيشيع تداولها ويصبح مما في كل بيت من بيوتنا وبين أيدي كل رجل من رجالنا وفتى من فتياننا ذخيرة تلتقي فيها ، من مغلقات مثبتة ومطالب متباعدة ، مفاخر قومية هي أجدر شيء بأن نستفيد منه دروساً غالية وان نحرص عليه قدر حرصنا على الاعتلاق بما أتاه من الناس لا حصة لها في مفاخر البيان ، على حين أن لنا بها حصة وأي حصة

أيتها السيدات وأيها السادة تطالعون في الصحف كل يوم ما يعمله الغربيون وما يبتكرونه احياناً من الذرائع لاحياء ذكرى عظمائهم ولتخليد سيرهم ولاستبقائهم بين الناس بمرأى منهم ومسمع في كل آن . وما احسبكم تظنون ان تلك الامم الراقية نهاية الرقي الذي بلغته الانسانية الى الساعة ، تسرف في اضاعة اوقاتها لاقامة حفلات او زينات او مشاهد ليس لها من المرمى السامي ما يعادل قيمة الوقت الثمين الذي تهبه لها

فنحن اليوم بعملنا هذا ، وما اصغره من عمل ، نحاول ان نقول لأولئك الموتى المستوحشين عودوا من قبوركم الى الانس باهليكم ومحبيكم وعارفي جميلكم . عودوا ولو لم يكن اللقاء الذي نعده لكم أقواس نصر فخمة ولا معاهد شمية ضخمة . عودوا لتشهدوا ان البعثة الأدبية التي افنيتم فيها قواكم وارخصتم لها اعماركم قد ولدت فيهم بعثة خلقية لا تتم الا بها حياة الامم في معناها الاعم ، ولا تبلغ الا بها غايات العزة القعساء والشرف الارفع

خليل مطران

شخصيات الشهر

الملك جورج الخامس

بمناسبة اعتلائه العرش من ٢٤ سنة

احتفل جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى فى ٦ مايو المنصرم بانقضاء أربع وعشرين سنة على اعتلائه العرش ، وفى ٣ يونيو الجارى يحتفل جلالته بعيد ميلاده وبلوغه التاسعة والستين من عمره

ولا يخفى أن جلالته لم يكن وارث الملك ادورد السابع بل كان شقيقه الأكبر ، وكان يدعى الدوق أوف كلارنس ، فلما توفى هذا على أثر مرض لم يمهله طويلا انتقل الارث إلى الملك جورج ، وعندئذ تجلت أخلاقه للشعب بأجمل مظاهرها اذ أعلن خطبته لجلالة الملكة مارى وكانت مخطوبة قبل ذلك لشقيقه الاكبر . فلما انتقل إلى جوار ربه شق على جدته الملكة فكتوريا أن يكسر قلب خطيبته فدعت اليها البرنس جورج وقالت له إن الاب به تدعوه إلى جبر خاطر ذلك القلب الحزين ، فلبى الدعوة وفى ٦ يوليو سنة ١٨٩٣ عقد قرانه على الاميرة مارى الملكة الحالية

ومنذ أعتلى الملك جورج العرش فى ٦ مايو سنة ١٩١٠ إلى نشوب الحرب الكبرى لم يطرأ على بلاده ما يتيح له اظهار صفات شعبه ، غير أنه ما كادت الحرب تقع حتى وقف جلالته بجوار شعبه جنباً إلى جنب يشاطره سراءه وضراءه ، وقد كان أول من ضرب لرعيته المثل العليا فى التضحية والاقتصاد ، فأمر بعدم استعمال اللحم فى المطاعم الملكية الا مرة فى الاسبوع وأمر كذلك بألا يوقد فى السراى كل ليلة إلا موقد واحد

ولم يكتف بما تقدم بل زار ميادين القتال غير مرة متفقداً حالة جنوده . وكان فى كل مكان ينزله يقوى الروح المعنوى فى نفوس الجنود ويحثهم على المثابرة والاستبسال . وطالما حاول كبار القواد أن يثنوه عن هذه الزيارات التى كان يستهدف فيها لأعظم الأخطار فلم يفلحوا

وأبدى جلالته فى التحولات السياسية التى طرأت على انجلترا بعد الحرب العظمى كياسة برهنت على أن الصفات اللازمة للرجل السياسى والربان الماهر متوافرة فيه ، فانه لما أسفرت الانتخابات النيابية فى سنة ١٩٢٤ عن فوز حزب العمال بالاغلبية البرلمانية لم يتردد فى النهوض بواجبه الدستورى ، فدعا اليه المستر مكدونلد وعرض عليه تأليف الوزارة الجديدة بصفته زعيما للأغلبية . وتساءل بعضهم عما تكون عليه العلاقات بين الاثنين وهل ينجح كل منهما فى

مسايرة الآخر ، فلم يمض على تأليف الوزارة أيام حتى أثبت الملك جورج للملأ أنه ملك جميع الانجليز . وسرعان ما أصبح المستر مكدونلد من المقربين الى جلالته

وبهذه المناسبة يجدر بالكاتب أن يلقى ضوءاً من الحقيقة على أمر لا يعرف كثيرون حقيقته فالشائع بين الناس أن ملك انجلترا لا يؤدى عملا سياسياً لانه ملك دستورى يترك لحكومته حرية التصرف فى كل صغيرة وكبيرة . أما أن الملك جورج دستورى فهذا أمر مسلم به وأما أن حكومته هى المسئولة عن كل شيء فهذا أمر مسلم به كذلك . ولكن جميع المطلعين على بواطن الامور فى انجلترا يعلمون أن لجلالته نفوذاً شخصياً عظيما فى الحكومة وأنه يندر ألا تستأنس الوزارة برأيه فى أى مسألة من المسائل الهامة

وقد ظل الملك جورج محتفظاً بقواه كاملة الى أن أصيب من سنوات بانفلونزا اقترنت بالتهاب فى الرئتين ، واشتد الخطر عليه حتى ان الجماهير كانت تمضى ساعات طويلة وهى واقفة أمام سراى بكنجهام فى انتظار النشرات الطبية للاطمئنان على حالة مليكها . وأخيراً من الله عليه بالشفاء فكان فرح الشعب البريطانى بذلك عظيما . وللحال شرع أفراده يكتتبون بالاموال لاهداء هدية فاخرة الى جلالته يعبرون بها عما يكنونه له من حب وولاء ، وما كاد باب الاكتتاب يقفل عن نحو مائتى الف جنيه حتى كتب جلالته الى القائمين به يشكرهم على غيرتهم ويرجو منهم أن يوزعوا هذا المال على الجمعيات والمؤسسات الخيرية فأطاعوا أمره

المسيو بارتو
بمناسبة رحلته فى أوربا الوسطى

رأى الهر هتلر بعد تقلده زمام الحكم أنه لا يستطيع أن ينصرف الى تحقيق الاصلاحات الداخلية التى يريدها لالمانيا ما لم يكن واثقاً من أنها لن تخوض غمار حرب جديدة فى السنوات العشر المقبلة ، والتفت يميناً ويساراً فلم ير غير حدود (المانيا - بولندا) مكاناً قد تندلع منه نار الحرب التى لا يريدها ولو مؤقتاً على الاقل ، فاتصل بالساسة البولنديين وكان من نتيجة هذا الاتصال أن عقدت معاهدة بين المانيا وبولندا تعهدت فيها كل منهما باحترام حدود الاخرى وبعدم الاعتداء عليها ، وجعلت هذه المعاهدة نافذة لمدة عشر سنوات

وكان من البديهى ألا يقابل الرأى العام الفرنسى هذه المعاهدة بارتياح اذ عدها تقرباً بين بولندا والمانيا مع أن المعروف أن بولندا حليفة فرنسا ، بل هى مشمولة الى حد ما برعاية فرنسا لها وحمايتها ، فلم يكن من المنتظر ان تقدم على عمل كهذا بدون موافقة فرنسا عليه

ويظهر أن هذه المسألة أهاجت الرأى العام الفرنسى أكثر مما صورته التلغرافات الخارجية بدليل أن المسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية الحالى رأى وجوب زيارة وارسو عاصمة

بولندا للاجتماع باقطاب حكومتها واستطلاع حقيقة شعورهم نحو فرنسا ومدى المعاهدة التى عقدوها مع المانيا . ومما تحسن الاشارة إلى أن وزراء الخارجية الفرنسيين لا يخرجون من بلادهم الا قليلا وما من واحد منهم زار بولندا بعد انتهاء الحرب العظمى

وقابلت بولندا كلها ، حكومة وشعباً ، المسيو بارتو بأعظم مظاهر الحفاوة والتكريم ، وخصصت الصحف البولندية اعمدة برمتها للتنويه بالصداقة البولندية الفرنسية وبما لفرنسا من ايادٍ بيضاء على بولندا وقالت ان الفضل الأكبر فى تحقيق استقلال هذه الدولة الفتية يعود الى فرنسا . وصفوة القول ان بولندا انتهزت فرصة زيارة المسيو بارتو لتقيم الدليل على أن المعاهدة التى عقدتها مع المانيا لم تمس علاقاتها بفرنسا وعواطفها نحوها وانها انما عقدت المعاهدة مع المانيا لكى تأمن خطر الحرب من جهة المانيا لأنه الخطر الوحيد الذى تخشاه

وبعد ما انتهى المسيو بارتو من زيارة بولندا عرج على تشكوسلوفاكيا فقوبل فيها بما قوبل به فى بولندا من حفاوة وحماسة ، وظلت الاعلام الفرنسية مرفوعة على الدور الرسمية والخاصة فى براغ العاصمة طول مدة اقامته فيها

وقد نجح المسيو بارتو فى خلال اقامته فى براغ فى ازالة أسباب الخلاف التى كانت قائمة من مدة بين تشكوسلوفاكيا وبولندا مما أدى بالتالى الى تعزيز أركان السلام فى تلك البقعة من أوربا

السنيور جراندى

سياسته وجولاته الأخيرة فى عواصم أوربا

اختط السنيور موسولينى لنفسه خطة واضحة منذ قبض على زمام الحكم فى بلاده ، وهى ألا يذهب بشخصه الى جنيف ليمثل إيطاليا فى اجتماعات جمعية الأمم وألا يسافر الى أية عاصمة من عواصم أوربا لحضور مؤتمر أو للاشتراك فى مفاوضة . وكان من أثر هذه الخطة أن رأينا رئيس وزارة بريطانيا العظمى يذهب بنفسه إلى روما لأول مرة فى تاريخ أوربا السياسى ليفاوض زميله رئيس وزارة ايطاليا فى مشكلات أوربا الكبرى

وكان لا بد للسنيور موسولينى والحالة هذه أن يختار من ينوب عنه فى جنيف ، وفى المؤتمرات الدولية ، وفى المباحثات والمفاوضات التى تدور الآن بين حكومات دول أوربا العظمى على مسألة نزع السلاح وغيرها من المسائل الخطيرة ، فوقع اختياره فى بادىء الامر على السنيور جراندى فعينه وكيلا لوزارة الخارجية الايطالية وهو ما زال فى الثلاثين من عمره وأوفده الى جنيف فمثله أحسن تمثيل فرقاه الى مرتبة وزير وقلده وزارة الخارجية وصار يوفده الى المؤتمرات الدولية

ثم رأى السنيور موسولينى أن المصلحة تقضى بتعيين السنيور جراندى سفيراً لايطاليا فى

لندن فعاد هو الى تقلد وزارة الخارجية بنفسه واختار السنيور سوفتش وكيلا لها وأوفده فى الشهرين الماضيين الى جميع عواصم أوربا الكبرى لينوبه فى محادثات نزع السلاح وتعديل نظام جمعية الأمم وتعزيز استقلال النمسا وغيرها

والسنيور سوفتش شاب لم يتجاوز الاربعين الا قليلا وهو من الشبان النابهين الذين يصح أن يقال إن موسولينى اكتشفهم وجعل بلاده تستفيد بمواهبهم

الميجر فاى : رجل النمسا القوى

ثلاثة رجال يقودون النمسا فى الوقت الحاضر وهم : الدكتور دولفوس رئيس الحكومة ، وهو الذى يرسم سياستها الخارجية ، والبرنس ستار همبرج وهو الذى يتولى قيادة الجيش (الهايمفير) ويتوسل بنفوذه الشخصى لانقاذ الجيش خاضعاً للدكتور دولفوس ، والميجر فاى وكيل رئيس الوزارة وهو الرجل الذى يحكم حقيقة لأنه هو الذى يبت بكل كبيرة وصغيرة فى الشؤون الداخلية حتى ان بعضهم يصفه بقوله : « الرجل الذى خلف دولفوس » . وهو لم يتجاوز الاربعين من عمره

وقد كان الميجر فاى ضابطاً فى الجيش النمسوى فى أثناء الحرب العظمى فامتاز باقدامه وشجاعته ، وهو ما زال إلى اليوم محتفظاً بالصفات اللازمة للقادة . وقد قال عنه كاتب انجليزى عرفه شخصياً : « إنه يعرف كيف يطيع ، ويعرف كيف يحمل غيره على طاعته »

ويقول العارفون إن الميجر فاى هو الذى وضع خطط مقاومة الاشتراكيين فى المدة الاخيرة فتغلب عليهم فى سنة ١٩٣٤ كما تغلب عليهم فى السنوات الواقعة بين ١٩٣١ - ١٩٣٣ لما أرادوا تحويل نظام الحكم فى النمسا إلى نظام اشتراكى محض ، ولذلك لما تخلى الدكتور دولفوس عن « وزارة السلامة » لرأس الحكومة لم يجد من يحل محله فيها غير الميجر فاى فقلده إياها وهو محتفظ بها حتى يومنا هذا مع تقلده لمنصب وكالة الوزارة كلها . و « وزارة السلامة » هى الوزارة التى أنشئت فى النمسا دون غيرها من البلدان لحماية سلامتها من الاشتراكيين النمسويين ومن النازى الالمان

كريم ثابت

أثر الحضارة اليونانية في مصر

منظر عام للمباني والمنازل المكتشفة هذا العام في تونة الجبل

تونة الجبل ناحية بمركز ملوي بمديرية أسيوط كانت تعرف عند قدماء اليونانيين باسم «هرموبوليس»، وبلغت في عهد الحكم اليوناني لمصر شأواً بعيداً من المجد والشهرة. وظلت من أشهر مدن مصر نحو ستة قرون أي منذ بدء الاحتلال اليوناني (في القرن الرابع قبل الميلاد) حتى أواخر القرن الثاني بعد الميلاد.

ومنذ عهد غير بعيد شرعت الجامعة المصرية في القيام بأعمال الحفر في الناحية المذكورة للبحث عن آثار «هرموبوليس»، فعهدت في ذلك إلى بعثة برآسة الأستاذ سامي جبره. فوفقت البعثة في سنة ١٩٣٣ إلى إماطة اللثام عن كثير من تلك الآثار. وفي الشتاء الماضي واصلت أعمالها في الجهة الغربية من «هرموبوليس» حيث كان معبد «توت» قديماً فوفقت للعثور على آثار كثيرة حلت طائفة من الأمور التي كانت غامضة في تاريخ مصر، ولا سيما تاريخ الحقبة التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية في وادي النيل والتي ابتدأت باحتلال الإسكندر ذي القرنين لهذه البلاد.

وفي الواقع أن آثار تونة الجبل هذه تدل على مدى تغلغل المدنية اليونانية في مصر في تلك الحقبة، يدل على ذلك أن المصريين في ذلك العهد كانوا يعرفون اللغة اليونانية وقصائد هوميروس ومنظومات غيره من الشعراء.

ومن جملة الآثار التي عثرت عليها البعثة ضريح لكاهن معبد «توت» المشار إليه. واسم هذا

الكاهن « بيتوسيريس » وقد عاش قبيل الفتح اليوناني بقليل . وعلى جدران ضريحه من الداخل رسوم بارزة تمثل الكاهن وأفراد أسرته بالثياب اليونانية ، وبعضهم بالثياب المصرية ، أما الكاهن نفسه فإن الرسوم البارزة تمثله بمصري محلي على أسلوب الشعائر الدينية اليونانية . ويستفاد من هندسة الضريح أن المصريين في ذلك العهد كانوا يميلون إلى الهندسة اليونانية . فالضريح قائم على أرض مرتفعة قليلا وهو على شكل معبد له باب يرقى إليه بسبع درجات . وواجهة الضريح مزيج من الهندسة المصرية والهندسة اليونانية . وفي أعلاها « من جهتي اليمين واليسار » مائدتان صغيرتان أو كوتان مربعتا الشكل على كل منهما مشكاة من طراز شرقي

وقد كانت البعثة تسعى في الشتاء الفائت إلى اكتشاف الطريق الأصلي الموصل بين الأضرحة التي وفقت إلى اكتشافها منذ سنتين (في الناحية الجنوبية من الساحة التي يقوم فيها ضريح بيتوسيريس) وبعض البيوت ذات الطرز التي يرجع تاريخها إلى ما بعد زمن بيتوسيريس . ومن حسن الحظ أن البعثة وفقت إلى اكتشاف ذلك الطريق وعثرت في أثناء عملها على ساحة كبيرة تحيط بها بيوت مبنية بالحجر الرملي ، وهي ذات طرز هندسية مختلفة . فبعضها ذات واجهة من الطراز المصري عليها إفريز (كورنيش) وأعمدة تيجانها زهرة اللوتس ، وكوى (نوافذ) ذات مشبكات . وبعضها ذات واجهة من الطراز المصري الممزوج بالطراز اليوناني . والبعض الآخر من طراز لا هو مصري ولا يوناني . وقد عثر الأستاذ جبره في أحد هذه المنازل على سرداب ضيق يبلغ طوله نحو ١٥ مترا ويوصل إلى سرداب أوسع منه من الطراز المصري . وعثر أيضا على تابوتين بظاهر أنه اللصوص

طراز من قبور المساكن على قاعدة مرتفعة وله نوافذ ذات عوارض متقاطعة وله شكل الأبنية [illegible] المصرية

سطوا عليهما في العصور الماضية . وعلى التابوتين اسماء كبه و توت » واسماء آبائهم واجدادهم في حينين من الزمن

ومن العجب ما عثر عليه الاستاذ جبره مجموعة من التصاوير الملونة على جدران ناووسين مدهونين بالأحمر عن الحرق . وهذه الجدران مطلية من الداخل بالكلس الابيض الناعم وقد رسمت عليها صور غير متقنة لمشاهد مأخوذة من قصة اغامنون ومن الاساطير اليونانية ، وقصة اوديب . وعلى جدار آخر صورة ايلكترا ابنة اغامنون لابسة ثياب الحزن السوداء وجالسة امام محراب خاص بالجنائز كانت قد شيدته تذكاراً لأبيها ، ووراءها طفلان عاريان من اطفال اليونان يرجح ان احدهما هو اخوها اورستيس والآخر صديقه بيلادس . وفي غرفة اخرى صورة يبلغ عرضها نحو متر وعلوها نحو تسعين سنتيمتراً ، وتمثل مشهدين من مشاهد حياة اوديب . ففي الجهة اليمنى صورة اوديب يحرّ عنق ابيه لايوس ملك طيبة ، وعلى كثب منهما امرأة تحاول الفرار وقد بدت عليها علامات الذعر ، واسم هذه المرأة « احتوى » او الجهل . وفي الجهة اليسرى صورة اوديب واقفاً امام طيبة التي على شكل قنطرة وهو يجيب عن اسئلة توجهها اليه امرأة بصورة ابي الهول . وفي منتصف اللوح صورة امرأة هي على ما يظهر رمز الى مدينة طيبة

وجميع هذه الصور مرسومة على لون ازرق فاتح وفوقها افريز عرضي وتحتها صورة مسطورة لامرأة جالسة امام محراب هي على الارجح ... اوديب

مدفن من الطراز اليوناني وله مدخل مستقيم وعمره ٢٣٠٠ عاما وقد اكتشف في هرموبوليس ويدل على التحول التام في فن البناء المصري القديم

معبد مزدوج كان من بين الآثار الغريبة التي اكتشفتها الجامعة المصرية هذا العام

وعلى بعد نحو ثلاثين مترًا من «بيت» أوديب هذا «بيت» آخر في الطابق الأول منه صورًا تمثل على الأرجح حكاية دخول الحصان الخشبي مدينة طروادة. ومن الغريب أن نجد مشاهد مأخوذة من الأساطير اليونانية القديمة على جدران مدينة من مدن مصر الوسطى تبعد نحو ٢٧٥ ميلاً عن الاسكندرية إلى الجنوب. وأغرب من ذلك أن تلك المشاهد هي يونانية بحتة ولا علاقة لها بالحياة المصرية

والخلاصة أن الاكتشاف الذي تم للأستاذ سامي جبره يدل دلالة قاطعة على مدى تغلغل الحضارة اليونانية في مصر في الخمسة القرون التي عقبت حكم بطليموس الأول في مصر. وكان انتشار هذه الحضارة بفضل انتشار المدارس اليونانية في جميع أنحاء وادي النيل. وكان المصريون في تلك المدارس يتعلمون الآداب اليونانية ويدرسون أشعار اليونان وأساطيرهم. وفضلاً عن ذلك كان في البلاد مسارح يونانية تمثل فيها روايات من نوع التراجيديا

الاستاذ شميت رئيس البعثة السوفيتية في خيمته في الثلوج القطبية

فاجعة الباخرة تشيليوسكين

وافت الانباء البرقية بخبر غرق هذه الباخرة في أواسط شهر فبراير الماضي . وكانت قد صعدت إلى بحار القطب الشمالي وغايتها بعثة علمية غرضها جمع الارصاد العلمية وفحص تلك البحار لمعرفة الطرق التي تستطيع البواخر غير المختصة بتكسير الجليد أن تسير فيها . وكانت الباخرة «كراسين» (وهي من بواخر تكسير الجليد) قد أعدت لشق الطريق للباخرة تشيليوسكين [illegible] والمسيو [illegible] رئيس البعثة بالباخرة المذكورة يروي لنا خلاصة ما حدث . قال :

في أثناء المرحلة الاولى من مراحل سفرنا [illegible] آكام الجليد من جهتي الشرق والغرب ، ولكننا [illegible] من الباخرة كراسين لانها كانت [illegible] وقد أصيبت بعطب في محركاتها . ومع أنها [illegible] لانها كانت [illegible] في فتح الطرق للبواخر الاخرى

ووصلت باخرتنا الى مضيق بيرنغ من دون أية مساعدة ، أي أنها اجتازت مياه البحار الشمالية كلها وحدها . ولما كانت في مضيق بيرنغ أحاطت بها آكام الجليد مرة أخرى

وقبل أن نصف كيفية غرقها نقول إنها مدة بقائها [illegible] كانت تجاهد [illegible] الاهوال وتحاول التغلب على ما يحدق بها من الاخطار . وكان مصيرها معلقاً بحركات الجليد . لذلك أعددنا أمتعتنا واستعدادنا لجميع الطوارئ . وكنا كلما تقدمنا خطوة الى الامام زادت آكام الجليد المحيطة بنا حتى أصبح سطح البحر كله تقريباً مكسواً بتلك الآكام

ولما اشتد الخطر من كل ناحية لم نجد بداً من انزال كل ما معنا من زاد وذخيرة على آكام الجليد ، ولكن بعد قليل تفرقت تلك الآكام وخيل الينا أن الخطر قد زال . فأعدنا الزاد والذخيرة إلى الباخرة ، وفي الوقت عينه أخذنا نراقب حركات آكام الجليد بكل دقة [illegible] الطوارئ . وكان كل فرد منا ومن بحرية الباخرة يعلم ما يجب عليه أن يعمل ساعة وقوع القضاء واضطرارنا الى مغادرة الباخرة

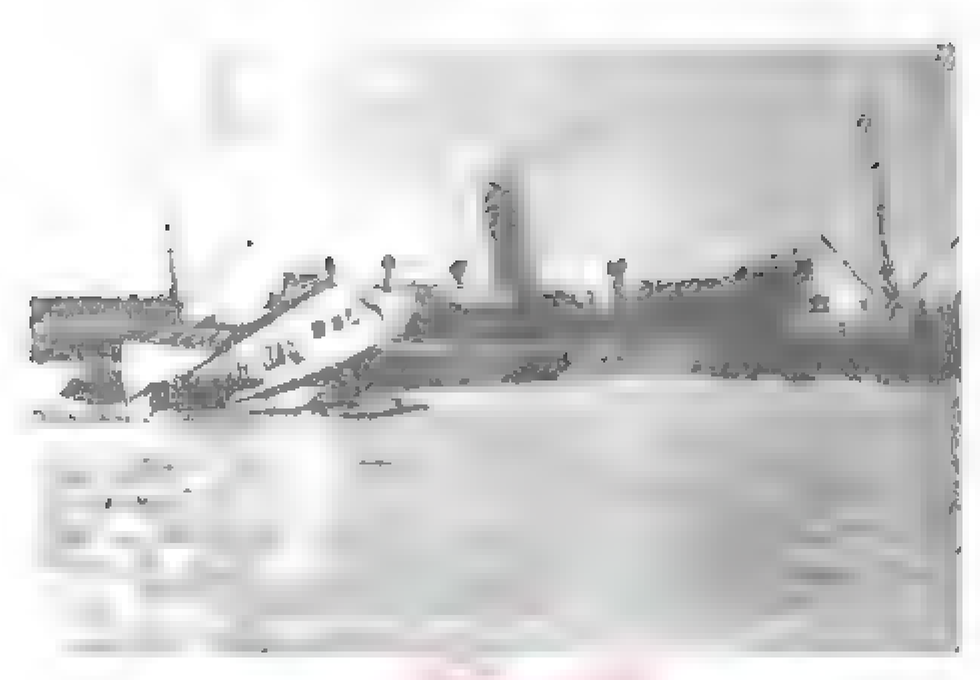

([illegible]) [illegible] السوفيتية وقد حصرها الثلج في [illegible]

ولم تقف الباخرة عن سيرها، ولم ينقطع رجال العلم عن مواصلة عملهم وتدوين المعلومات العلمية التي كانت تعرض لهم . وكنا نرى [illegible] ثم تدنو وتقف حولنا كالجبال الشامخة او كالاسوار المنيعة ، وكانت منتشرة على البحر الى مدى البصر ، وبعضها يبلغ عدة امتار في الارتفاع . ولم يبق عندنا شك في انه لا باخرتنا ولا باخرة اقوى منها تستطيع الثبات امام تلك الجبال

وفي اوائل شهر فبراير دنت احدى تلك الآكام حتى اصبحت على قاب قوسين . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان آكاما اخرى دنت منها . وفي ١٣ فبراير عصفت ريح شمالية شديدة وتساقط علينا ثلج يعمي الابصار . واشتد البرد حتى هبط الى الدرجة الثلاثين تحت الصفر ، وخشينا ان نؤخذ على غرة في تلك العاصفة الهوجاء وان تحدق بنا آكام الجليد من دون ان نراها . فلم نجد بدًّا من بث الارصاد في كل جهة على ظهر الباخرة مع اننا كنا نعلم ان مثل تلك المراقبة ما كانت لتجدينا قلامة ظفر في ظلام الليل الحالك

وبعد الظهر ابصرنا عن يسارنا جبلا هائلا من الجليد متجهًا نحونا وارتفاعه لا يقل عن ثمانية

انتظار . فصدرت الأوامر بانزال الزوارق والذخيرة في الحال ونفذت تلك الأوامر بكل نظام . وأخذ كل واحد منا مركزه بلا فوضى ولا ارتباك . وما هي إلا دقائق حتى انشق الجبل عن يسارنا واندفع نحونا واندفعت معه صخور الجليد الكثيرة الطافية على وجه الماء ، ثم صدم الجبل هيكل الباخرة صدمة عنيفة فتطايرت « الصواري » وأحدثت أضلاع السفينة تتفكك وتحدث أصواتاً مزعجة . وصدمنا الجليد صدمة اخرى قذفت بنا جميعاً الى الوراء . وعلمنا ان القضاء المحتوم قد نزل لان الباخرة أخذت في الغرق . وصار الماء يتدفق الى غرفها والى غرفة الآلات

ولم نستعمل سوى مركب واحد من مراكب الباخرة الثلاثة لاننا كنا نريد الاقتصاد في الوقود وكان ذلك المركب الى الجهة اليسرى من الباخرة ـ أي إلى جهة آكام الجليد . وصدمت هذه الآكام المركب صدمة عنيفة أزاحته من مكانه وقطعت مصححات الانقاذ . ومن حسن الحظ لم ينفجر المركب لأن شقوقاً حدثت به فانطلق البخار من عنفه . على أن الباخرة كان محكوماً عليها بالغرق لا محالة ولم تكن في الأرض قوة تستطيع إنقاذها . فتلك أحدنا مركباً منها لننقل عليه ما نستطيع حمله من زاد وذخيرة

وانبعث في جميع جوانب الباخرة وفي مقدمتها ثقوب جديدة كانت السبب في التعجيل علينا لأن الماء أخذ يتدفق من كل جانب . وكان على سطح السفينة [illegible] من إنزاله على الجليد قبل غرق الباخرة [illegible] وفي تلك الدقيقة عينها كانت آلة الراديو تشتغل باستمرار طالبة المعونة من جميع الجهات

وأخذ مقدم الباخرة يغوص [illegible] وكان لا يزال في الباخرة خمسة عشر نوتياً يحاولون إنقاذ ما يحتمل أن يكون قد بقي في الباخرة من زاد ولوازم وكان آخر من غادر الباخرة رئيس البعثة والقبطان وأمين [illegible] والبحار . ومن سوء الطالع أن جرفت الأمواج آخر هؤلاء الثلاثة وكان يبتلعه اليم . فغرق وكان حزننا عليه عظيماً لاننا لم نستطع إنقاذه . وما هي الا ثوان أخر حتى ابتلعت الأمواج الباخرة فغابت عن الانظار وبقينا نحن على آكام الجليد

وأقبل الليل بظلامه المفزع . فلبس كل منا السكيس الخاص بمثل هذه الأحوال للوقاية من البرد . وظل عمال الراديو الابطال يعملون بلا انقطاع طالبين لنا النجدة . وفي صباح اليوم التالي تمكنا من الاتصال بمحطة « كوبنهاجن » وكنا قد نصبنا خياماً على الجليد لنقيم بها الى ان يأتينا الفرج . اما حالة رجالنا المعنوية فكانت باهرة مدهشة . وكان النظام مستتباً . وظلت كذلك الى ان اتاح الله لنا من انقذنا من ذلك الجليد المقلق

متحف الشمع

أقيم في القاهرة متحف للصور والتماثيل الشمعية كان محل إعجاب كل من زاره من الغربيين وغيرهم ، وقد أخذ في الاستعداد لإقامته منذ سنتين الأستاذ فؤاد عبد الملك ، حتى استطاع أن يبرزه إلى حيز الوجود في هذه الأيام . وهذا المتحف يحوي طائفة من الصور والتماثيل المصرية والتاريخية المصنوعة من الشمع ، منها ما يمثل الحوادث ومنها ما هو رمزي أو خيالي يرمي إلى فكرة اجتماعية . وقد اشترك في هذا المتحف عدد من الفنيين المصريين ، فاستطاعوا أن يبرهنوا على ما لهم من مقدرة فائقة في هذا الفن تلفت النظر إلى ما أبدعوه من صور وتماثيل لا تقل في إتقانها وروعتها عما يشاهد في متاحف الشمع في أوربا

وقد نشرنا هنا بعض مناظر من هذا المتحف ، وكلها تشهد بما حواه من أمثلة فنية حسنة ، وتدل على أن الذين عنوا بإقامته والذين اشتركوا في صنعه إنما أدوا إلى الفن خدمة جليلة ، وبثوا في الجمهور روحاً طيبة بما أعادوا إليه من ذكريات تاريخية مجيدة ، ومن آثار فنية تطبع في النفس أحسن الأثر

امرأة فرعون تنتشل « موسى الكليم » من اليم ، وهي من بعض مناظر متحف الشمع بالقاهرة

ج هاوي مع زوجته على الطريقة
القديمة في متحف الشمع

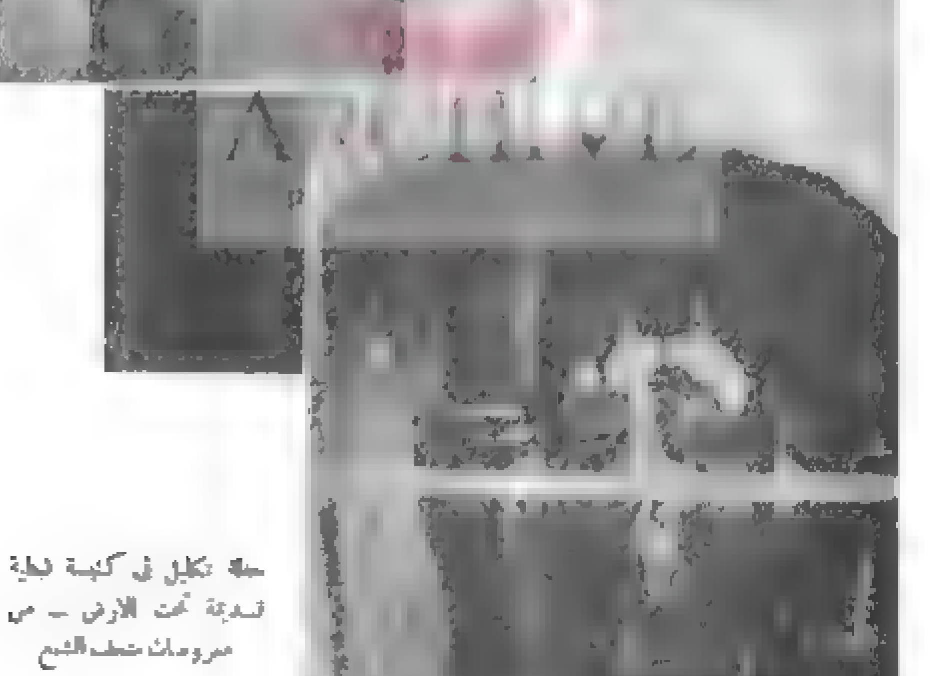

حفلة تكليل في كنيسة نجاية
قديمة تحت الارض — من
معروضات متحف الشمع

الامبراطورة أوجيني وقد وضع تاجها الامبرالاي باري

مشهدان من

حفلة افتتاح قنال السويس في متحف الشمع

دي لسبس وخطيبته في استقبال المدعوين

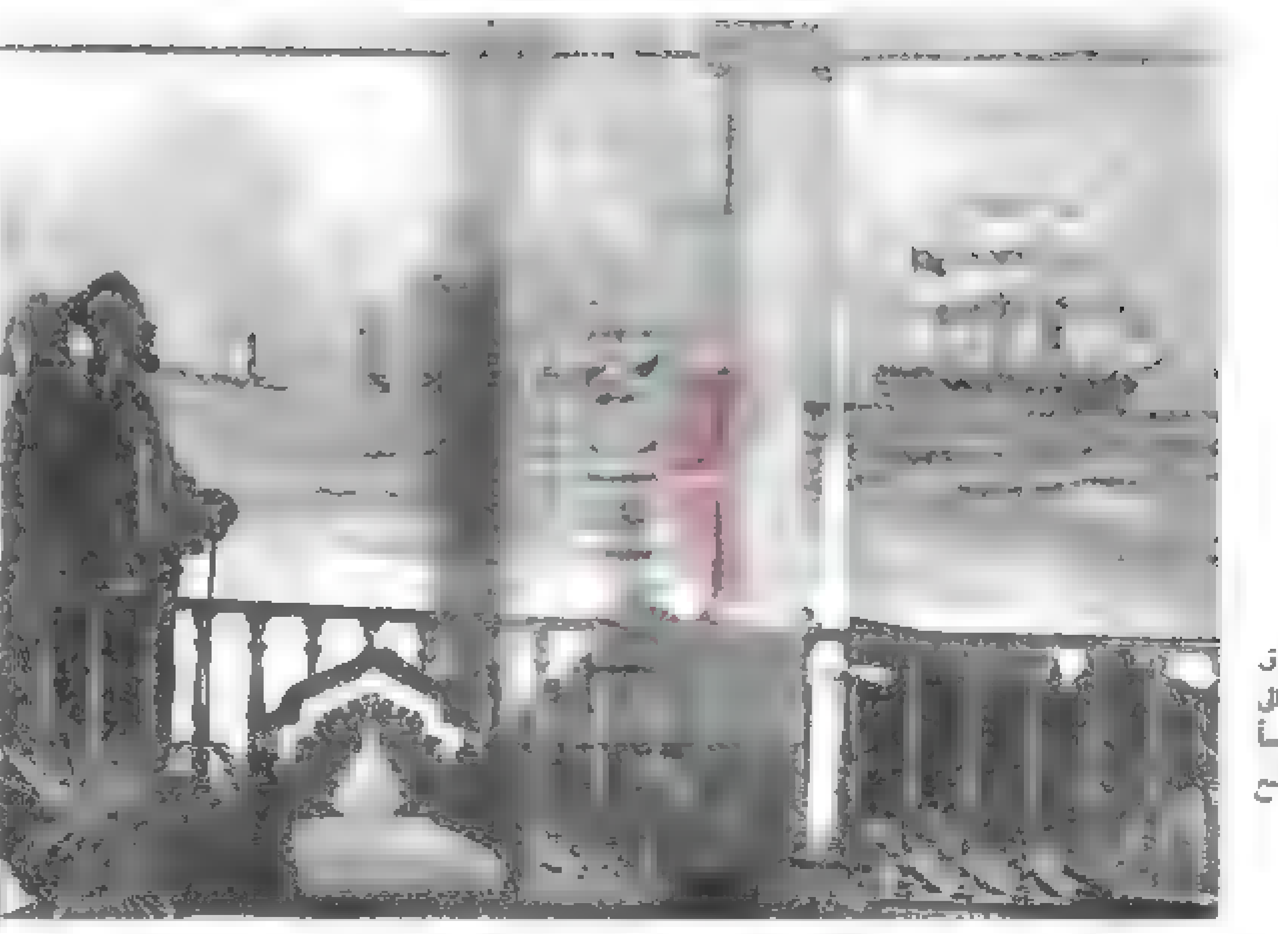

عسكري من الباشي بوزق
وقد وقف ينظر الى
الاسطول المصري راجعاً
من عكا ـ متحف الشمع

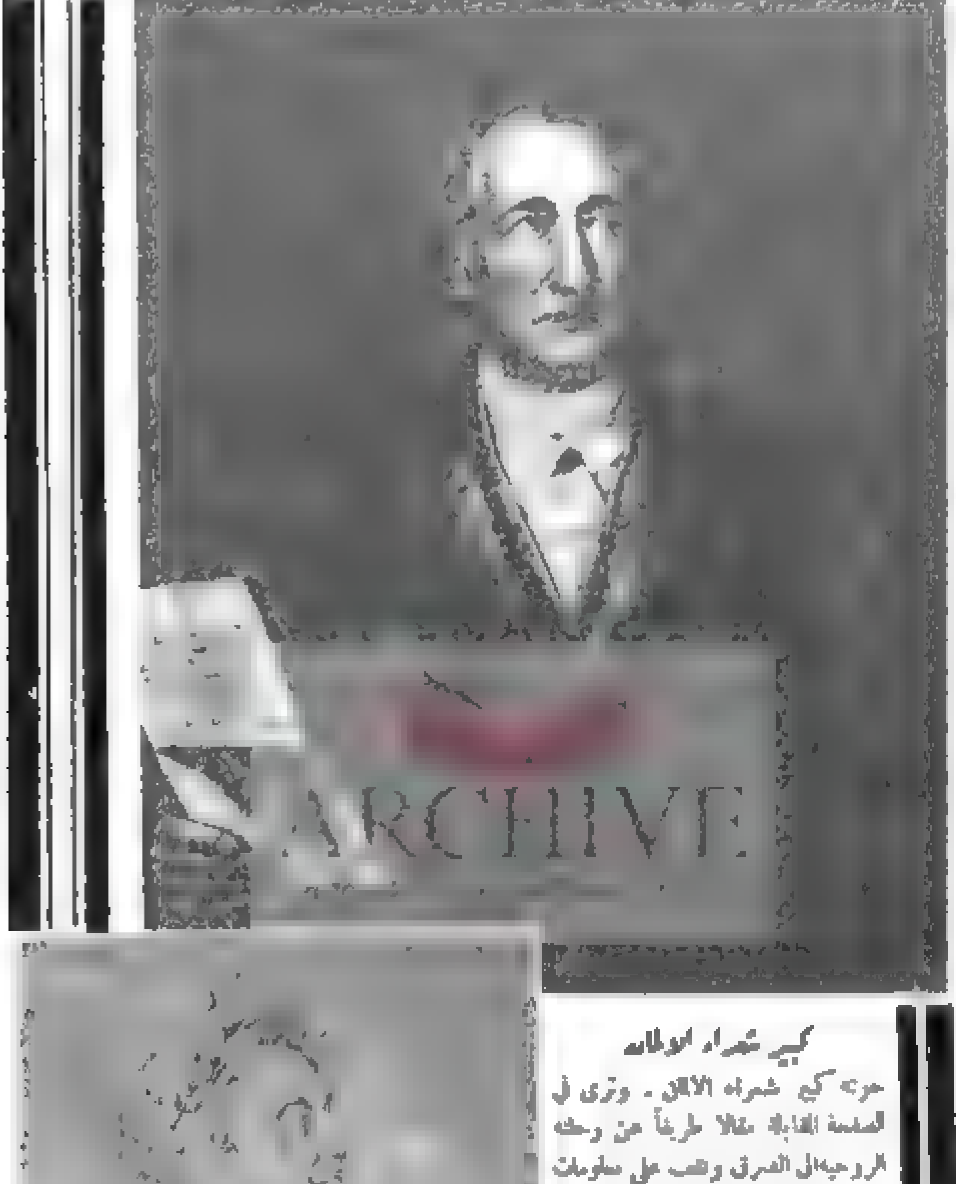

كبير شعراء الالمان

جوته كبير شعراء الالمان . وترى في الصفحة التالية مقالا طريفاً عن رحلته الروحية الى الشرق وقف على معلومات نادرة وافية عن مدى استغراقه فيه وتأثره به

« جوته على فراش الموت »

الهجرة الى الشرق *

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

هي هجرة الى الشرق القديم ، هاجرها من الغرب جوته اديب الالمان وشاعرهم العظيم

وجوته رجل نادر المثال ، لم ينحصر في نطاق ، ولم يستأثر به أسلوب ، ولم يفرد نفسه لمذهب ، ولم يملكه لون من ألوان الحياة . بل عاش مفهوم الحس ظاهره وباطنه ، يستوعب كل ما صادفه ، ويضيف الى حياته كل ما أمكن إضافته ـ كأنما همه أن يتحقق في شخصه « الانسان » بجملته ، بمعناه الأعم المطلق . وهذا النزوع الى « الانسانية » كان حافز حياته الطويلة من أولها الى آخرها . ولقد أفلح الرجل الى حد كبير في تحقيق هذا الحلم بالكامل . فكان الوطني الالماني وكان الاوربي وكان العالمي . وتقاسم تأليفه الناثر والحافظ والصوفي . واجتمع فيه الشاعر الشادي والعالم الطبيعي والمفكر والفيلسوف

ولكن نقصر كلامنا هنا على جوته الشرقي

كان جوته منذ صباه يهوى تواريخ الشرق وشعره ، فدرس العربية ، وأدمن مطالعة التوراة ، وكان يهتز لها ويجد فيها مصدراً مترعاً في حومة حياته يخصب من عالم شعره . وكان يخص بالذكر منها « كتاب راعوث » وهو عنده أشبه بقصيدة رائعة ، في أحضانه الربيع وحياة الفرد وسحره الخلاب . وكذلك هو يتذوق « نشيد الانشاد » ويصفه بالبديع ويعده في الرقة وحرارة الحب ، ويستروح من خلاله نسمة دافئة تهب من جنوب بقاع لبنان ، وتتراءى له فيه حياة الحقول الوادعة ومزارع الكروم والحدائق والعطور ، كأنه يستشعر شيئاً من رحمة أمس ، وفيما وراء ذلك جميعه يتخيل ديوان سليمان وأبهة ملكه

وينتقل جوته من العهد القديم العبري ، الى عصر الجاهلية العربية ، حيث يقع في مترجمات المستشرقين على الكنوز المذخورة في المعلقات . وهي القصائد التي تكللت بالفوز في ذلك النزال الأدبي في أسواق الشعر بين فحول الشعراء العرب ، فيتمثل منها قوما من الرعاة أهل البداوة المقاتلين ، لا يبرح يستغرقهم ما بين قبائلهم من ترات وخصومة . والمعلقات تحدثه بأقوى بيان عن العصبية التي تربط أبناء القبيلة الواحدة ، وعن روح الاقدام والبسالة ، وطلب المجد والتماس الفخار ، والتعطش الى ادراك الثأر . وتتقدم هذه القصائد العارمة : النسيب ، فيلطفها بأسى الحنين ولوعة الحب والوفاء وحسن الصنيع . وذلك جميعه في أريحية بالغة أقصى حد . ويزيد في قيمة هذه القصائد المصاحبة

* اعتمدنا في هذه الكلمة على جوته ولشتنبرجر وبيتكوب وغيرهم

أن لكل منها صفتها الغالبة التي يلمسها ولا ينكرها. فيرى مع المستشرقين من أهل زمانه ان معلقة «امرىء القيس» عذبة مرحة، مشرقة المعنى رشيقة اللفظ، ذات طلاوة وافتنان. و«طرفة» فيه اقتحام وحيوية وتوثب. ومعلقة «زهير» رصينة، مترفعة عن الزخرف، عفيفة المنطق، مهذبة مشذبة، جمة الأمثال الراجحة والمواعظ الأدبية. ومعلقة «لبيد» لطيفة الوقع، صادقة الحكاية، أنيقة رقيقة يشكو فيها الشاعر من حبه حيث يتخلص من ذلك الى تعداد مناقب هو والاشادة بقبيله. وتبرز معلقة «عنترة» مفاخرة متوعدة، بليغة الدلالة، جزلة العبارة، حالية بمحاسن الوصف والاستعارة. وينشده «عمرو بن كلثوم» في قوة وروعة وفخامة. ويحدثه «الحارث بن حلزة» غزير الحكمة ظاهر الحصافة، عالي الهمة وافر الكرامة

وقد استشهد جوته من ديوان الحماسة بقصيدة «تأبط شراً» التي مطلعها:

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل

وهو يقف عليها شارحاً سياقها مبيناً مواقعها، وكيف اصبحت الحكاية فيها شعراً يحسن التصرف في سوق التفاصيل، وتدبير أوضاعها، واختيار مواقعها، مع البعد كل البعد عن زخارف القول بحيث يبقى على القصيدة طابع الجد والحدث الجلل

• على أن الذي شغل جوته أكثر الشيء هو شخصية محمد. وغير خاف أن العالم المسيحي كان من أيام الحروب الصليبية معيبة الحال سيء الرأي في صاحب الدين الاسلامي. وكانت الكنيسة تتعمل القرآن وتحرم ترجمته، حتى جاء القرن السادس عشر والسابع عشر، فعمد بعض العلماء الى نشر تراجم له مشفوعة دائماً بالطعن والتنقص، من فيض الحمية ودمع المحبة، وحرصاً منهم على تزكية النفس والتكفير. ثم يرجع على الأثر ما يسمونه عصر النور وكان دعاته يحملون على الأديان حملتهم الشعواء، ولا يرضون أن يروا في أصحابها الا دجاجلة مغرورين يزعمون للناس أنهم ملهمون. الا أن الاحوال تبدلت، وانبرى بعض المحققين من جهابذة الغرب الى هدم التخرصات الشائعة عن محمد في العالم المسيحي، وكتبوا سيرته بروح خالية من الاستغراق في الموضوع والتنزه عن الهوى. فتجلى لهم محمد العبد، الثابت اليقين في الله الواحد الاحد، وعرفوا فيه أداة كريمة سخرها الله لنشر التوحيد من أقطار الهند الى ربوع اسبانيا. ولقد اطلع جوته وقتئذ على سيرة محمد، وحيا فيه النبي العظيم والروح القوي، حاطم الاصنام، الداعي الى دين الفطرة. ولم يقف عند ما زعموا به من شوائب البشرية

وقرأ جوته القرآن وطبع مختارات منه مأخوذة عن الترجمة الادبية. وظل طويلا يمعن في درسه امعان الباحثين، وهو يقول اننا قد لا نحب لاول قراءته ولكنه يعود فيجذبنا ويروعنا وأخيراً يلزمنا احترامه. ويستشهد جوته بآيات الكتاب العزيز: «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » . ويقول جوته : ان القرآن يردد قواعد هذا الدين ويكرر التبشير والتذير سورة بعد سورة ، وهو لا يرى فى هذا التكرار ما يراه النقاد الغربيون . لان النبي لم يرسل برسالة شاعر لمجرد التفنن فى ضروب الكلام ، وعرض الصور المتنوعة على الاهواء والاوهام ، واستحداث اللذة وافتعال الطرب ، بل هو بنص القرآن بعيد عن هذا الوصف . وانما هو نبي مرسل لغرض واحد مرسوم يقصد اليه بأبسط الوسائل وأقوم طريق . وهذا الغرض هو اعلان الملة وجمع الشعوب حولها واحتوازهم الى لوائها . فكتابه المنزل يقتضى من الناس الخبوت والايمان لا مجرد المتعة والرضى . واذا ما عرض القصص فالحكمة فيه ضرب الامثال والعبرة

وأراد جوته تأليف قصة تمثيلية عن محمد ، وشرع فيها من أيام شبيبته فنظم مناجاة للنبي وحده ليلا فى الخلاء تحت السماء الصافية السافرة النجوم ، وقد اقتبس فيها هذه الآيات فى دحض الشرك : « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناماً آلهة ؟ انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم انى بريء مما تشركون . انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » . ثم أدار جوته حواراً بين محمد وبين فاطمة ، كأنه وضع نشيداً عن سورة مقطعات يتناوب انشادها على وزوجه فاطمة بنت الرسول . وهو تصوير بارع لقوة هذا الانسان المبعوث من عند الله ووصف شعرى لنبض الاسلام وسرعة ذيوعه حتى انتظم النجاد والوهاد وبلغ الى المحيط الاعظم :

« على ـ أنظر الى ينبوع الجبل يتألق من البشر كأنه الكوكب الدرى !

«فاطمة ـ من وراء السحاب ، غذت الملائكة طفولته بين الصخور والادغال !

«على ـ انه لينحدر فى عنفوان صباه من السحبة متدفقا فوق صلد الجلاميد ، ويثرى متوثباً نحو السماء مهللا تهليل الفرح !

« فاطمة ـ وفى انحداره على المجرى يطارد الحصباء المجزعة

« على ـ وكالقائد الرسيخ الثابت الخطى يقود فى اثره جدوله من الجداول

« فاطمة ـ وثمة فى الوادى تتفتح الازهار تحت أقدامه وتحيا المروج من أنفاسه !

« علي — ولكن لاشيء يستوقفه ، لا الوادي الظليل ، ولا الرياحين التي تطوق سيقانه وترمقه بلحاظها الوامقة . بل هو عجلان يتثنى مندفعاً الى الوهاد

« فاطمة — وعن محبة وسماح تتسلسل الانهار اليه مندفعة فيه . وها هو ذا يدخل الوهاد فخوراً ببهائه الفضي

« علي — والوهاد فخور به ، وتتبعه أنهار الوهاد

« فاطمة — وجداول النجاد مهللة من الفرح متصايحة

« علي وفاطمة معا — أخي ، يا أخي خذ معك اخوتك !

« فاطمة — معك ، الى ابيك الشيخ ، الى البحر المحيط الازلي الذي ينتظرنا باسطاً ذراعيه . لقد طال ما بسطهما ليضم بنيه المتلهفين شوقا اليه !

« علي — فانا في هذه الصحراء الجرداء ، تبتلعنا الرمال الرمضاء ، وتمتص دماءنا الشمس الصالبة في السماء ، ويصدنا الكثيب من الكثبان ، فنلبث عنده غديراً راكداً من الغدران . يا أخي ، خذ معك اخوتك بالوهاد

« فاطمة — خذ معك اخوتك بالنجاد

« علي وفاطمة معا — خذنا معك الى أبيك

« علي — تعالوا جميعا . . ! وها هو ذا العباب يربو ويزخر ويزداد عظمه . وهو ذا شعب بأسره ، يحمل زعيمه الى أوج علي وفي زحفه الظافر تختار الممالك ويخلع اسمه على الامصار وتنشأ المدائن عند قدميه

« فاطمة — ولكنه لايلوي على شيء . لا المدائن ، ولا الابراج المشيدة المتوهجة الذرى ، ولا صروح المرمر ، وكلها من آثار عمله وقدرته

« علي — وانه ليقل فوق مناكبه الجبارة منشآت السفن ، ترفرف قلوعها أفواجاً فوق هامته ، وتخفق مشرعة الى السماء شاهدة على قدرته وعظمته . . . وهكذا يمضي باخوته

« فاطمة — بذخائره . بأبنائه

« علي وفاطمة معاً — الى أبيهم الذي ينتظرهم ويضمهم الى صدره وهو يضج من الفرح »

ولم تزل فكرة هذه الرواية ماثلة في مخيلة جوته حتى وضع مشروعها . وعلى مقتضاه تبدأ الرواية بنشيد ينشده محمد وحده بالليل تحت السماء الصاحية ويشعر بنفسه المدركة على التأمل والتفكير تسمو صعداً الى الله تعالى الذي تستمد سائر الكائنات آية وجودها من وجوده . ويكاشف محمد بهذا الهدى زوجه خديجة فتؤمن به طواعية أول المؤمنين . ثم في الفصل الثاني يقوم النبي بناصره علي بالدعوة الى دينه بين قومه فيلقى منهم العطف أو المعارضة على حسب

جيادهم . ويقع الخلف بين القوم وتشتد الملاحاة ويضطر محمد الى الهجرة . وفي الفصل الثالث ينتصر على خصومه ويطهر الكعبة من الأوثان ، وتستوي دعوته ديناً مقرراً ، وتجتمع له أسباب الجهاد قولاً وعملاً ، ويظهر الرجل السياسي الى جانب الرجل النبي . وفي الفصل الرابع يتابع محمد مغازيه ، ويتخذ لها عدتها ويتوسل بوسائلها ، وتدس له السم امرأة من خيبر ثكلت زوجها . والفصل الخامس يبلغ فيه محمد أوج مجده وتحل عظمته الروحية ، ثم تعاوده غوائل السم فينتقل الى جوار ربه . . . غير أن الرواية وقفت عند حد المشروع

ولا تسل عن فرحة جوته عندما جاز مدينة « فيمار » نفر من شعب الشكير الروس المسلمين على ظهور جيادهم ، ونزلوا بها ، واتخذوا أحد معاهد البروتستانت مسجداً للصلاة . وقد حضر جوته صلاتهم ، وسمعهم يرتلون آيات القرآن ورأى إمامهم ، وحيا أميرهم في المسرح . وهو يذكر في غرة المحبور أنهم اختصوه من رمايتهم بقوس وسهام لم يزل يعلقها فوق موقده تذكاراً باقياً . وكان جوته يعالج محاكاة الكتابة العربية ورسم حروفها ، ويغتبط وهو يقيمها ويسطرها من اليمين الى اليسار على عكس كتابتهم

فهل قنع جوته بهذه الرحلة في هذا الشرق ؟

حقاً ، ان فيه مقنع وأي مقنع . ولكن جوته المتكرر من حوله عن لا يبرح متنقلاً ، ورحلته الى الشرق لا بد أن تجمع الشرق السامي والآرى كما يقولون ، شرق مصريين والعرب ، وقد تقدم بالقدري ، وشرق الهند والفرس ، ومركب جوته في هجرته الى هذا الشرق أو ذاك هو مائدة كتب الرحلات ومترجمات الأدب

فهو اذن قد شهد الأوثان الهندية الخالدة الجميلة ، وتعرف الى ثلاث والثالث من آلهتهم واطلع على مطولات أساطيرهم ، واختار بين أثاويه مذاهبهم ، وتعجب لاختلاط الشهوات والقداسات والتقاء الأرض بالسماء ، وقد تولدت في هذه الرحلة الى جنب « فاتحة فوست على المسرح » أساطير هندية رائعة نعرض منها هنا « الآله والراقصة » :

هبط « مهاديفا » رب الأرضين للمرة السادسة وجعل نفسه واحداً منا ، وشاء أن يبلو أفراحنا وآلامنا ، فارتضى هذه الدنيا سكناً ، وخضع لكل نوبة . وبعد أن استطلع للمدينة استطلاع السائح ، وترصد الأكابر ولاحظ الأصاغر ، غادر المدينة في غبش المساء ولمتعد . وفي ظاهر المدينة حيث تقوم المنازل النائية الأخيرة ، لمح صبية جميلة مخمرة الخدين من الطلاء ، صبية من البنات الساقطات :

ـــ سلامي اليك أيتها العذراء

ـــ شكراً على هذا الشرف ! انتظر. سأخرج اليك في الحال

ـــ ومن تكونين ؟

— راقصة، وهنا بيت الحب

«ثم نشطت للرقص. ورنّت صنوجها، ودارت في لطف، ومالت، وتثنّت، ومدت له باقة خاطبة وده. وكانت فتانة. فاجتذبته الى عتبة الباب ثم إلى خدرها

— أيها الغريب الجميل، لسرعان ما ينير كوخي. أمتعب أنت؟ إني هنا رهينة بالتسرية عنك وتدليك قدميك الموجعين. لك كل ما تريد، من راحة أو نشوة أو مداعبة

«وأقبلت على الاوجاع المتصنعة تأسوها. وابتسم الاله، مغتبطاً بأن رغب هذا القلب الآدمي الممعن في التلف. وطالبها بما تؤديه الاماء من خدمات، فاذا هي تتهلل لها وتزيد ابتهاجاً بها، واذا هذا الذي كان أول الامر في الفتاة تطبعاً بصنع — وهي لا تشعر — طبعاً لها. وكما أن الزهرة تحملها الثمرة فكذلك الاخلاص اذا تفتح في القلب كان الحب غير بعيد. وقد شاء هذا القاضي الاعظم المتحكم في الرفيع والوضيع أن يشتد في ابتلائها بالشدة والروعة والألم. فقبل خدعها المطلق بالحرقة، فأحست عندئذ لواعج العشق وهامت وجداً وفاضت دموعها للمرة الاولى وجثت عند قدميه. وما تحنو اليوم — وا أسفاه! — لشهوة أو لمكسب ولكنها خذلتها أوصالها المتفترة. وأسدل الليل أستاره الكثيفة، وفي جنحها تطيب الاعراس المسكرة في فراش الغرام. وبعد هوهن من الليل أخذها النعاس بين العناق والقبل. ثم هبت مبكرة بعد هجعة قصيرة. فألفت مضيفها الحبيب على صدرها ميتاً مغلولاً، وانكبت عليه وبكت. هيهات لها أن توقظه. وسرعان ما حملوا الجسد الهامد الى المحرقة. وسمعت ابتهالات وتراتيل الجنازة، فهبت وانطلقت مسرعة وشقت الجمع

— من أنت؟ وما شأنك في المحرقة؟

«فانطرحت على النعش وملأت الفضاء بعويلها: زوجي! أريد زوجي! سأسعى اليه حتى القبر. أتراني مبصرة حياله الاسنى يتساقط رمادا؟ لقد كان لي أكثر من كل امرأة سواي. وا أسفاه! ليلة نشوة واحدة!

«هذا والكهنة يرتلون: نحن نحمل الكهول بعد أن استنفدوا أيامهم وأملى لهم الاجل. نحن نحمل الشباب المختصر قبل أن يخطر الموت لهم في بال». ثم يقول الكهنة: «هذا الفتى لم يكن زوجك. أنما أنت راقصة. وليس لك من حق. كلا. لا يتبع الجسد الى ملكوت الموتى الصامت الا الظل وحده. لا يتبع الروح الا الزوجة وحدها. هذا واجبها وهذا مفخارها معه. اعزفي أيتها الابواق لحن النعي المقدس. ويا أيتها الآلهة الخالدون ادعوا لجواركم من جوف اللهب هذا الفتى، فخر زماننا»

«كذا أنشد الجميع، وزادوا قلبها التياعا غير راحمين. فاذا هي تندفع ممدودة الذراعين وتلقي بنفسها في الضرم المودي. ولكن، ها هو ذا الاله الفتى يرتفع من جوف اللهب معانقاً حبيبته. وكذلك يرفع الخالدون بأذرعهم الملتهبة الارواح الضالة الى عليين. وتبتهج الآلهة بندم الخاطئين»

والى هذه الأساطير العطبة الرائعة المتصلة بالآلهة، يتصل جوته حكايات «بيدبا» التي وضعها للملك «دبشليم» على ألسنة الحيوان. وقد لاحظ جوته ان الفرس نقلوا هذه الحكايات دون غيرها عن الهند لعدم اتصالها بالوثنية الهندية المعيبة، ونفور أذواقهم المترفة من تذوق تلك الطبقة الأدبية الموحشة. أما حكايات «كليلة ودمنة» هذه فتقع موقع القبول عند الناس أجمعين، وقد صار لها شأنها الكبير عند الفرس والعرب لما تنطوي عليه من الخبرة بالحياة والحكمة العملية

والآن نرى جوته على الستين، ولكنه يجدد الشباب أبداً كالخالدين، وقد اختار لهجرته الأخيرة أرض الجنات والبساتين، أرض الورد والبلابل، والحب الحسي والوجد العلوي. ولقد استغرق فيها ونسي عالمه الخارجي، فتارة يستمع الى شاهنامة الفردوسي تلك الملحمة الطويلة البهلوية الناطقة بالروح القديمة المقوية بين الأساطير والتواريخ. وتارة يسمع للأنوري وهو يتعلق بأذيال الكبراء ينشدهم قلائد المديح والثناء. وأحياناً يشترك مع «النظامي» مواطنه في متابعة مقادير المجنون وليلى وخسرو وشيرين: وهما على الدوام الالفان العاشقان بحكم المقدور والحس الباطن والطبع والعادة والميل والاشتياق. غير ان العادات والأهواء والمصادفات العمياء والقهر والاكراه، تفرقهما وتضرب بالفرقة بينهما، ثم يعودان الى اللقاء في ظروف شائقة عجيبة، ولكن لتنزعهما الواحد من بين ذراعي الله طارىء عاجل من الطوارىء، ويفرق بينهما فرق [illegible] جوته [illegible] السعدي، فحديقة ورده لطوقها دانية، وحكمه [illegible] هندية. أو الى «جامي» المتدفق مزاج بين الحس والروحانية. وقد يذكر «جلال الدين رومي» [illegible] ويجد معضلة، فيلتمس حل هذه الأسرار الدقيقة في الأحداث من ظاهرة [illegible] جديدة في حاجة الى حلول جديدة. فيلوذ بمذهب التوحيد المطلق

وأما الذي اتخذه جوته مرشده الأمين في [illegible] نحو الشرق منبع الحكمة والحنين، فهو «شمس الدين محمد حافظ الشيرازي» أرق شعراء الفرس الغنائيين

وفي هذا الحين كانت أوربا تتزلزل تحت أقدام الجيوش. وقد دارت الدوائر وأصبحت الدول المغلوبة ذليلة. وبات نابليون النسر العظيم مهيض الجناحين كالسجين. ولكن جوته كان بعيداً بفكره يتبع حافظاً، ويترنم بنشيد الهجرة:

«الشمال والغرب والجنوب أقطارها تتكسر بدداً، وعروشها تثل، وممالكها تنهار. فهاجر، وامض الى الشرق الطهور تستروح الطيب من الآباء الطيبين. وبالحب والنشوة والغناء يرد عليك نبع الحياة وريعان صباك»

والعجيب أن جوته كلما تقدمت به السن وآذنت شمس حياته بالغروب، كان يزداد تطلعاً الى الشرق. ولا غرو، فقد قضى هذا الرجل العامر بالحياة نحبه وعيناه الى النافذة، وهو يتمتم بهذه الكلمة العليا والمطلب الأخير: المزيد من النور!

عبد الرحمن صدقي

البحث عن الثروة المعدنية بالقطر المصري*

بقلم الدكتور حسن بك صادق
مراقب مصلحة المناجم والمحاجر

في البلاد رغبة ملحة تظهر واضحة عند كل مناسبة، في اجتماعات مجالسنا النيابية وعلى صفحات جرائدنا ومجلاتنا وفي الأسئلة التي توجه إلينا من كل من يهتمون بشئون البلاد الاقتصادية للوقوف على ثروة مصر المعدنية والمدى الذي يمكن الاعتماد عليه عند تقدير الثروة الأهلية العامة

وللبلاد في هذه الرغبة خير قدوة في شخص مليكها المعظم فؤاد الأول الذي يحيط بعطفه الكريم جميع القائمين بشئون التعدين في مصر. وقد أولاهم عام ١٩٢٧ شرف زيارتهم في أماكنهم النائية والوقوف بنفسه الكريمة على ما يبذلونه من جهود. وقد سن حفظه الله بتلك الزيارة سنة اتبعها من بعده الكثيرون من أولي الأمر فكانت لزياراتهم خير الثمرات

وليست هذه الرغبة للوقوف على ما قد يكون للبلاد من ثروة معدنية كمية فحسب، بل هي مظهر من المظاهر التي تجلت في السنين الأخيرة سجعة ما يشعر به جميعاً من أن الزراعة وإن كانت هي العماد الأكبر لثروتنا الأهلية والتي تتجه نحو أغلب مصر جهود بادية بحيث لا تنفرد دون غيرها باهتمامنا، بل يجب أن تتجه جهود بعض أبنائنا نحو الصناعة والتجارة حتى تقوم مدنيتنا الحديثة على أساس استقلالنا في كل ما يمكن أن نستقل فيه من مرافق عن البلاد الأخرى

وللثروة المعدنية من خامات ووقود علاقة وثيقة بمختلف الصناعات فلا تقوم لهذه قائمة إلا إذا توافر لها كل ما يلزمها من خامات في داخل البلاد

تلبية لهذه الرغبة وإرضاء لجميع من يهتمون بمرافق الدولة الاقتصادية، رأينا أن نعرض بيانا مختصراً للجهود التي بذلت فيما مضى وما يبذل في الوقت الحاضر وما يجب أن يبذل في المستقبل للوقوف على كنه الدفين من هذه الثروة في الأراضي المصرية وما يجب أن يتخذ من الإجراءات نحو استثمارها والاستفادة منها في إقامة صناعات مصرية لسد حاجة البلاد وللتصدير

ولكي يقدر تقديراً صحيحاً عظم هذه الجهود التي يجب أن تبذل في البحث نذكر أن مساحة القطر المصري تبلغ نحو ٢٤٠ مليون فدان، منها ٧ ملايين من الأراضي المزروعة أو القابلة للزراعة

---

* ألقيت هذه المحاضرة بمؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية بالقاهرة

فى وادى النيل والدلتا أى ما لا يزيد عن ٣ ٪ من مجموع المساحة . أما السبعة والتسعون الباقية فهى أراض صحراوية يحورها الماء ، غير مأهولة إلا بالنزر اليسير من البدو الرحل . هذه المناطق الشاسعة لا أمل لها فى الحياة إلا بقدر ما قد يوجد فى بطون صخورها من ثروة معدنية دفينة .

ولا شك أن المجهود الذى يجب أن يبذل فى فحص هذه القفار الشاسعة تحت هذه العوامل القاسية يجب أن يكون مجهوداً جباراً منظماً متصلا يستمر بغير كلل أو ملل عدداً كبيراً من السنين وبغير أن يكون لما يناله من نجاح أو اخفاق أى أثر فى استمراره

هذا المجهود يتطلب من القائمين به أن يكونوا شديدى الثقة والايمان فى المهمة التى ألقيت على عواتقهم وأن يكونوا قد تزودوا من علوم التعدين والجيولوجيا بأحدثها ، وأن يكونوا ذوى أناة وصبر على الشدائد ، راضين بما قسم لهم قانعين بما ينال عملهم من نجاح ، وان لم يعد عليهم بربح مادى ، فعلى الأقل بالشعور بأنهم يقومون نحو وطنهم بخدمة من أجل وأشرف الخدمات

ولا تقف صعوبة ظروف الصحراء عند حد عمليات البحث ، بل تلازم أيضاً عمليات الاستغلال ، فوسائل العمل والنقل وتدبير الماء والوقود والعناية بالعمال ، وتموينهم بحاجتهم من ماء ومأكل ، كل ذلك يتطلب ممن يقومون بتدبير شئون العمل فى المناجم المصرية حيلة واسعة لاستنباط وسائل تجمع بين القصد فى النفقات والكفاية للعمل . وقد يكون من ألذ الدراسات الاحاطة بما يبتدعه مهندسو المناجم المشتغلون فى الصحارى المصرية من وسائل للتغلب على الصعاب

أمام هذه الظروف القاسية وما يتطلبه التغلب عليها من نفقات كبيرة قد يتعذر على الفرد وحده أن يقوم بمجهود مرضى فى البحث ، بل يجب أن تضطلع بأعبائه بعض الجماعات أو الشركات أو الحكومة المصرية نفسها . والأخيرة بحكم ملكيتها للأراضى التى تستكن فى بطونها الخامات المعدنية وبحكم ما ألقى على عاتقها من الاشراف على الشئون الصناعية فى البلاد ، يقع عليها قبل غيرها واجب البحث عن المعادن وتشجيع استثمارها

وقد كانت هذه هى الحال منذ أقدم عصور التاريخ المصرى فكان فرعون مصر هو الذى يوفد البعثات للبحث عن الذهب والنحاس والاحجار الكريمة فى مجاهل الصحارى . وفى خزائنه كانت تودع المعادن التى تعود بها هذه البعثات . وكان هو الذى يتولى توزيعها على اتباعه وحتى على من يدينون له بالولاء من ملوك البلاد الاخرى . وفى الخطابات التى تبادلها بعض الملوك الفراعنة مع ملوك الشام وآسيا الصغرى أصدق دليل على ما نقول

وإنا لنطأطىء الرؤوس إجلالا للدقة التى كانت للمصريين القدماء فى البحث عن المعادن . فلسنا مبالغين إذا قررنا أنه فيما يختص بالذهب على الأقل لم يعثر الباحثون بعد على عرق واحد لم يقم المصريون القدماء بفحصه واستغلاله . ولا يختلف الحال عن ذلك كثيراً فى شأن المعادن الأخرى التى كانت لها قيمة عندهم كالمغرة (أوكسيد الحديد) والأحجـــار الكريمة (الزمرد

والزبرجد) والنحاس . كذلك كان هناك نشاط فى استغلال مناجم الذهب والأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد والفيروز إبان الحكم العربى الاسلامى . وكتب المقريزى والمسعودى وغيرهما تفيض بالشرح عن أخبار هذه المناجم وما كان يستخرج منها من كنوز . ولا شك أن استغلالها كان على يد بعثات حكومية كما كان فى عهد الفراعنة

توالت على مصر بعد ذلك عصور ضعف واضمحلال اضطرب فيها الحال فى الصحارى واستوحش البدو القاطنون بها فحالوا دون أى توغل فيها ، فاسدل ستار كثيف عليها وأضحت الصحارى المصرية محاطة بظلام حالك من الأوهام الباطلة ومضى عليها فى ذلك بضعة قرون

على أنه فى القرن الثامن عشر كان يفد على مصر من وقت لآخر بعض الرحالة من علماء الفرنسيين والطليان والانكليز ، نذكر من بينهم Sicard عام ١٧١٧ و Donate ١٧٥٩ - ١٧٦٢ و D anville عام ١٧٦٦ و Burce عام ١٧٩٠ وغيرهم

فكان من بين ما زاروه ووصفوه وادى النطرون وبعض جهات الصحراء الشرقية وخاصة جبل الزيت ومناجم الزمرد والزبرجد ومحاجر الالباستر قرب بنى سويف ، ولو أن أوصافهم كانت تعوزها الدقة العلمية التى امتاز بها من جاء بعدهم

وفى أوائل القرن التاسع عشر غزا مصر نابليون بونابرت واصطحب معه اليها جماعة من مشاهير العلماء الفرنسيين فكلفهم بدراسة عدة مستفيضة لمختلف الموضوعات الخاصة بمصر ، فقام من بينهم Valentia عام ١٨٠٩ بفحص مناجم الذهب بوادى العلاقى بالصحراء الشرقية بين أسوان والبحر . و Quatremere عام ١٨١١ بفحص مناجم الزمرد بسكيت وزبارا على مقربة من شواطىء البحر الأحمر جنوب القصير

وامتاز من بينهم جميعا Bertere بدقة ملاحظاته وواسع اطلاعه . وله فى كتاب وصف مصر عام ١٨١٣ كتابات قيمة عن الجيولوجيا المصرية ووصف بعض الأحجار التى استغلها القدماء واستعملوها فى معابدهم وهياكلهم

ولما استعاد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير لمصر وحدتها القومية ، وأراد أن يجعل منها بلاداً حية قوية ، رأى أنه لتحقيق ما كان يصبو اليـــه من إقامة مختلف الصناعات لا بد له من الوقوف على ما فى البلاد من ثروة معدنية، فاستعان بعدد كبير من علماء الأوروبيين وأرسل منهم بعثات إلى مختلف نواحى الصحراء ، وكان يشرف بنفسه على تنفيذ خطته ويتسمع عن كثب النتائج التى وصلوا اليها ، وبهذا بدأت المرحلة الأولى فى البحث المنظم عن المعادن المصرية

وقد كان أظهر هؤلاء العلماء وأكثرهم اتصالا بالموضوع الذى نحن بصدده : Cailliaud ١٨١٥ - ١٨١٨ الذى قام بفحص مناجم الزمرد فحصاً دقيقاً . و Ruppel ١٨٢٩ وكانت جهوده موجهة نحو شبه جزيرة سينا حيث استكشف خامات النحاس والحديد .

و Sir J. Wilkinson ١٨٣٥ الذى زار جبل الزيت وفحص البترول الذى ينشع على مقربة منه ، ومواطن الكبريت فى جمسا ومحاجر الالباستر قرب تل العمارنة وأسيوط ، ومناجم الزمرد والرصاص وغيرها . و Brocchi ١٨٤١ - ١٨٤٣ أعاد فحص مناجم الرصاص والزمرد والذهب وزار محاجر الحجر السماق الامبراطورى بجبل الدخان

على أن Russeger ١٨٤١ - ١٨٤٨ كان أظهرهم جميعاً إذ كان أول من وضع خريطة جيولوجية للقطر المصرى مع تدوين أوصاف دقيقة عن بعض المناطق التى تحتوى رواسب معدنية

أما Figari Bey ١٨٤٤ فكان من أكثرهم تنقلا فى الصحارى المصرية وطبع خريطة جيولوجية كبيرة ، إلا أنه كانت تعوزه الدقة العلمية ، فقد أظهر البحث فساد الكثير من نظرياته . وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً فى وجود الفحم الحجرى وقام ببحوث كثيرة عنه بينما كان يشك كثيراً فى وجود البترول . وقد ظهر أن الحال عكس ذلك فيما بعد

ومن الطليان أيضاً Forni الذى قام ببحوث بأمر والى مصر عام ١٨١٩ ولم تطبع بحوثه إلا عام ١٨٥٩ ، تناول فيها وصفاً دقيقاً لأغلب المواطن المعدنية المعروفة

ومن أشهر هؤلاء العلماء Linant de Belle Fond الذى بعثه محمد على باشا فى بعثة نيلية إلى ما فوق أسوان ، فلما وصل إلى وادى العلاقى عاق سير سفينته تيار شديد من جراء انحدار مياه السيول من وادى العلاقى ، فرسا بسببه ، وفحص الحصى الذى قذفت به السيول فوجد فيه حصيات من الكوارتز الحامل للذهب فدعاه ذلك إلى ترك السفينة والقيام برحلة إلى أعالى وادى العلاقى فزار مناجم الذهب القديمة فى سيجع ودرهيب ووضع بحثاً عام ١٨٦٨ وصف شيق دقيق ، على أنه لم يصحب وصفه بخريطة تحدد مواضع المناجم التى زارها

هذا قدر مختصر يدل على المجهود الكبير الذى بذله محمد على باشا للكشف عن ثروة مصر المعدنية . وإذا لم تؤد هذه البحوث الى استغلال المناجم فقد كان لها على الأقل الفضل الأول فى إماطة اللثام عن لغز الصحارى المصرية ، وكانت المعلومات التى جمعها هؤلاء العلماء والنتائج التى حصلوا عليها نوراً استضاء به من جاء بعدهم

ولم يكن المغفور له اسماعيل باشا أقل اهتماما بالمباحث المعدنية أو أقل تشجيعاً للقائمين بها من جده العظيم فساعد فيجارى ولينان دى بلفون على الاستمرار فى بحوثهم التى بدءوا بها قبل ولايته حكم مصر ، كما أنه فتح الباب على مصراعيه لغيرهم من الرواد . وقد اشتهر من بينهم Oscar Fraas الألمانى عام ١٨٦٧ بمباحثه فى سينا وعلى الطريق بين قنا والقصير ، و Bauermann عام ١٨٦٩ الذى كان أول من لاحظ وجود خامات الحديد والمنجنيز بشبه جزيرة سينا ، و Lartet ١٨٦٩ الذى كان اول من أعطى بيانا شافياً عن الصخور المصرية من الناحية الطوبوغرافية

وكان من أشهر من جابوا الصحارى فى عصر اسماعيل Schweinfurth ١٨٧٥ - ١٨٧٨ الذى

ضمن بحوثه فى الصحراء الشرقية خرائط دقيقة ، وكانت لكتاباته أهمية فى مباحث البترول بجبل الزيت . وكذلك Karl Vonzittel الذى كان له الفضل عام ١٨٨٠ فى تبويب وتهذيب النتائج العلمية التى وصلت اليها بعثة Rhols الشهير . . الى هنا انتهت المرحلة الأولى من مراحل البحث وهى التى قام بها الرواد بزيارات واسعة المدى لمختلف المناطق . فاذا لم تؤد مباشرة الى استغلال مناجم معينة فقد كان لها فضل تمهيد الطريق الى البحوث المنظمة فيما بعد

وبدأت المرحلة الثانية بانشاء قسم المساحة الجيولوجية عام ١٨٩٦ وكان انشاؤه على أساس مذكرة قدمها الكابتن (كولونيل) ليونز Lyons مدير المساحة إذ ذاك . وكانت عبارة عن مجموعة الادارات الفنية فى الحكومة المصرية . والمقدمة التى وضعها الكابتن ليونز لمذكرته توضح الغرض الذى من أجله أنشىء ذلك القسم وقد جاء فيها ما ترجمته :

« ان الغرض من انشاء قسم المساحة الجيولوجية هو قبل أى شىء فحص الموارد المعدنية للبلاد وتدوين المعلومات عن مختلف الرواسب ، وخاصة من بينها تلك التى لها قيمة اقتصادية كالفحم والعروق المعدنية ورواسب الأملاح وغيرها . يأتى بعد ذلك فى الاهمية تدوين هذه المعلومات بطريقة سهلة التناول كوضعها على خرائط وفى مذكرات وتقارير تفسيرية الخ . ويعتمد الوقوف على حقيقة التركيب الجيولوجى لأى منطقة على معرفة الطبقات الصخرية التى يجب اختراقها فى أى نقطة وتقدير سمك كل منها تقديراً دقيقاً »

وقد عقب الكابتن ليونز على هذه المقدمة بتصوير خطة التى اتبعت فيما بعد وعادت بأحسن النتائج كما سنبينه وقد اشترك فى تنفيذ خطته الموضوعة شبان من الانكليز الذين تخصصوا فى العلوم الجيولوجية فقاموا بأجل الخدمات للجيولوجيا المصرية والبحث عن المعادن فى هذه البلاد . نذكر من بينهم الدكتور هيوم Hume المستشار الجيولوجى للحكومة المصرية . والدكتور بول Ball مدير قسم مساحة الصحارى والذى جعل من مساحة الصحارى فناً دقيقاً ذا قواعد علمية ثابتة . و Beadnell ، وبارون Barron وغيرهم . فاختص كل واحد منهم بناحية من نواحى الصحراء الشاسعة استكشفوها استكشافاً جيولوجياً عاماً ودونوا مشاهداتهم فى تقارير مستفيضة هى عمدة معلوماتنا الجيولوجية المصرية . ثم فورنت النتائج التى وصلوا اليها جميعاً وبوبت ووضعت فى خريطة جيولوجية مقياس (١) فى المليون نشرتها مصلحة المساحة عام ١٩١٠

ويمكننا أن نقرر أن هؤلاء العلماء قد وضعوا بعملهم هذا الأساس العلمى الذى يجب أن يقوم عليه البحث المنظم للكشف عن الثروة المعدنية المصرية

ولم تكن بطبيعة الحال خريطة عام ١٩١٠ كاملة فى كل النواحى ، على أن العمل المستمر بعد ذلك والذى اشترك فيه جميع من التحقوا بالقسم الجيولوجى قد مكن من سد الفراغ وتصحيح بعض المعلومات حتى ظهرت عام ١٩٢٨ الخريطة الجيولوجية الكاملة التى لا تقل دقة عن مثيلها

فى البلاد الأوربية . وقد اعتبرها المؤتمر الجيولوجى خليقة بادماجها فى الخريطة الجيولوجية للعالم .
وقد أثمرت هذه البحوث الجيولوجية ثمراتها المباشرة فأدت الى اكتشاف الفوسفات عام ١٨٩٧ ، ولو أن الاجراءات الخاصة بفحصه فحصاً تعدينيا تتطلب وقتا طويلا ، فلم يبدأ استغلاله فعلا إلا عام ١٩٠٨ بالمناطق القريبة من سفاجة على البحر الأحمر . كذلك اكتشف معدن المنجنيز عام ١٨٩٨ ثم بدأ استغلاله بعد ذلك عام ١٩١١ . وهكذا كانت النتائج التى وصل اليها الجيولوجيون فى هذه المرحلة سبباً مباشراً فى بدء استغلال الكثير من المناجم المصرية الحالية

أما البترول فقد قدمنا أن وجوده كان معروفاً منذ القدم ثم زار مواطنه بعض المستكشفين ، كما أن الاعمال التى قامت بها احدى الشركات التى كانت تستغل معدن الكبريت بجمسا أثبتت عام ١٨٦٣ وجوده بكميات خليقة بأن تشجع الاعتقاد فى امكان انتاجه انتاجاً رابحاً

وقد اتخذت الحكومة المصرية خطة ايجابية فى شأن البحث عن البترول منذ عام ١٨٨٥ عندما كلفت أحد المهندسين الاخصائيين فى حفر الآبار بحفر بئرين فى جمسا وأخرى فى جبل الزيت ، فوصلت آبار جمسا الى نتيجة ايجابية ، إذ وجد فى احداها زيت البترول على عمق ١٠٦ أقدام وبقوة ٣٫٥ طن فى اليوم ، وفى الثانية على عمق ١٣٧ قدماً وبقوة ١٫٥٠ طناً يوميا . على أنها برغم ذلك وبحجة انها تكبدت نفقات جسيمة فى غضون عام ١٨٨٨ تعطيل العمل وسد الآبار . وهكذا قضى على مشروع استغلال حكومى لم يعثر على أن يستأنف مرة أخرى فيما بعد وبنشاط أكبر على يد احدى الشركات الاجنبية التى تقدمت لاستغلال منطقة جمسا عام ١٩٠٨ . وبذلك بدأت مصر تتبوأ مركزها بين البلاد المنتجة للبترول

وكان النجاح الذى صادفته هذه الشركة فى جمسا مشجعا لشركات أخرى وللحكومة نفسها على العناية الجدية بالبحث . فقدمت شركات عديدة بفحص نقط متفرقة على مقربة من شواطىء خليج السويس وفى الجزائر الواقعة عند ملتقى ذلك الخليج بالبحر الأحمر . واذا كان قد أخفق أكثرها إلا أن واحدة من بينها وفقت فى النهاية الى استكشاف حقل الغردقة الذى يربو مجموع انتاجه فى العشرين سنة الأخيرة على ثلاثة ملايين طن من البترول

كذلك قامت الحكومة بنصيبها من البحث واستعانت على ذلك بآراء الاخصائيين فى شئون البترول . واذا كانت بحوثها أوقفت إبان الحرب العالمية الكبرى إلا أن هذه الحرب نفسها قد علمتها الأهمية الخاصة التى لمواد الوقود فى حياة الامم ، فأعادت البحث النشيط بمجرد زوال ضرورات الحرب . ولم تقف عند حد البحث العلمى بل تعدته الى عملية دق الآبار فوفقت الى انتاج صغير من حقل أبى دربة على شاطىء سينا قرب بلدة الطور وهو الحقل الذى أعطى امتيازه فيما بعد الى زكى ويصا بك . كذلك حفرت بئراً فى أبى شعر قرب حقل الغردقة ولكنها لم تصادف فيه نجاحاً

وللاخفاق في البحث عن المعادن قيمته لمن يعلم كيف يستفيد منه . ذلك أن اخفاق الحكومة واخفاق الشركات كان نتيجة حالات جيولوجية خاصة يتطلب حلها الاستعانة في البحث بوسائل علمية جديدة، هذه الوسائل هي المعروفة بالوسائل الجيوفيزيكية أي التي تعتمد على خواص الارض والصخور والمعادن، وهي التي أفردت لها محاضرة في المؤتمر الاول من مؤتمرات هذا المجمع

ومع أن هذه الوسائل هي حديثة الابتكار وتطبيقها في البحث هو وليد الحرب العالمية نفسها، فان الحكومة المصرية لم تتوان في الأخذ بها . وقد انتدبت للقيام بها في مناطق البترول المصرية بعض الاخصائيين من الألمان . وكانت النتائج التي وصلنا اليها قيمة حاسمة ولو انها لاتزال في حاجة لمباحث تكميلية نرجو أن تزول قريبا الظروف المالية التي أدت الى العدول عنها

الى هنا قام البحث على أكتاف أجنبية وبأموال جلها أجنبية . على أن النهضة القومية التي عمت البلاد في عهدها الحالي تدل على أن بقاء هذا الحال من المحال وأن كرامتنا القومية تقضي بان نقوم بأنفسنا بهذا الواجب . وقد أحست الحكومة افتقار البلاد للاخصائيين في الجيولوجيا وعلوم التعدين ، فأوفدت بعثات عديدة من الشبان النابهين الى أمريكا للبترول والى انجلترا للجيولوجيا والتعدين والى المانيا للعلوم الجيوفيزيكية . وقد عاد أغلب هؤلاء بعد أن استكملوا عدتهم من العلم واشترك بعضهم فعلا في البحوث التي قامت بها الحكومة في السنين الاخيرة وهم جميعاً متحمسون لتسلم شعلة الجد والبحث ورفعها والنهوض بها لخير البلاد

وهنا ستبتدئ المرحلة الثالثة من مراحل البحث وهي مرحلة البحث التفصيلي الذي يقوم على أساس المعلومات التي وصلت اليها نتيجة المرحلتين السابقتين

هذه المرحلة هي أشقها جميعاً لانها تقتضي مباحث دقيقة ، وتتطلب من القائمين بها دقة وعناية ومن المشرفين عليها ألا يصرفهم الاخفاق مرة وأخرى عن الاستمرار بها

وسيكون أساس البحث في هذه المرحلة الاخيرة تقسيم الصحارى المصرية الى مناطق يقوم كل باحث بفحص منطقة معينة فحصاً يتناول كل دقيق في التركيب الصخري والمعدني للمنطقة

ويودنا جميعا أن يمتاز عصر فؤاد الأول باتمام هذه المرحلة الى نتيجتها الموفقة وأن تمتاز عن المراحل الأخرى جميعاً في أنها تقوم على أكتاف ابناء البلاد . ومن دواعي اغتباطنا أن حضرة صاحب المعالي وزير المالية قد لمس هذه الحاجة لاستعادة نشاط البحث في رحلته الاخيرة لمناطق البحر الاحمر، فلم يتأخر عن مد يده باعتماد مبلغ من المال يخصص له . ونرجو أن يكون أول الغيث

حسن صادق

النسيان

وظيفة عقلية لها أهميتها

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

تمهيد

لعل الناس منذ بدءوا يدرسون أنفسهم ويلاحظون عقولهم ، لم يسيئوا فهم وظيفة من أهم الوظائف العقلية ويقسوا فى الحكم عليها قدر ما أساءوا الى « النسيان » ـ فهم جميعا يعدونه نقصا فى العقل وضعفا فى الذاكرة ، بل قد يتوهم البعض فيعتبره مرضا من الامراض المعطلة للتقدم والارتقاء لايقل خطورة عن الصرع والشلل ، لا لشىء إلا لمجرد انهم أصبحوا ينسون تجاربهم التى عفا عليها الزمن ومواعيدهم واسماء اصدقائهم أو كما تقول العامة «ما أكلوه بالامس» وليس قدماء الفلاسفة وعلماء النفس والباحثون فى طبيعة العقل بأعدل حكما من سائر الناس . فهم فى الوقت الذى يجمعون فيه على أن الذاكرة هى أهم القوى العقلية الضرورية لتقدم العقل ونموه ، ويعدونها أصلح أساس للتربية والتعليم مادامت التربية تتضمن الانتفاع من الخبرة والتجارب الماضية ، يعتبرون النسيان عبثا ونقصا وعيبا لاسبيل الى إزالته ولا مرد له . اذا بهم يهملون النسيان ويقللون من شأنه ولا ينظرون اليه أكثر من نظرتهم الى اللص الخبيث الذى يتسلل خفية الى مخزن العقل فيسلبه أعز مقتنياته

ويسخرون جميعاً من Ribot عندما يحاول أن يفهمهم بأنه وظيفة طبيعية لها من الاهمية البيولوجية ما للذاكرة تماما وله مالها من أثر كبير فى التعليم المنتج والخبرة النافعة

وفى الواقع قد يخيل الى الانسان أن الذاكرة والنسيان وظيفتان متعارضتان تشتركان فى عملية عقلية واحدة وهى الحفظ والتعليم وانما تعملان فى اتجاهين متضادين . فالاولى تجلب المعلومات من الخارج وتخزنها فى العقل وتحفظها هناك أمدا طويلا ، والاخرى تسطو على المخزون فتبدده كالحنفية والبالوعة ، الاولى تملأ والثانية تفرغ ، وما يبقى فى الحوض يترتب على مقدار غلبة احداهما للاخرى

الذاكرة ليست ملكة

ومعظم الخطأ فى هذا الرأى يرجع الى مادرج عليه العلماء ، منذ أن وضع افلاطون

مذهب الملكات الخاطئ، الى الآن، من اعتبار الذاكرة ملكة أو قوة طبيعية موروثة، من وهبها الله إياه كان جباراً في الحفظ قوياً في التذكر فيذكر كل شيء يقع تحت حسه وفي أي وقت يشاء، ومن حرمها كان ضعيف الذاكرة بطيء الحفظ سريع النسيان لا يذكر ما يقال له بعد لحظات. أما المتوسط فيستطيع أن يقوى ذاكرته في جميع النواحي بالتمرن على حفظ الشعر أو اللاتينية أو قواعد الهجاء حفظا صما كما تقوى العضلات بالجهاز

وقد اثبتت التجارب الحديثة بالدليل العملي الذي لا يقبل النقض أنه ليست هناك لدى أي انسان - اللهم إلا في بعض الحالات الشاذة - قوة للتذكر أو ملكة تكون قوية على وجه العموم أو ضعيفة في جميع النواحي

أنواع الذاكرة

وانما هناك أنواع متعددة من الذاكرة لاعدد لها، كل منها يتطلب استعداداً خاصاً مستقلا عن غيره من الاستعدادات بحيث يصح أن يكون الانسان العادي قويا جدا في بعضها ومتوسطا أو ضعيفا جداً في البعض الآخر. فهناك الذاكرات البصرية والسمعية والشمية وغيرها، لكل حاسة ذاكرة خاصة، فيكون الانسان أكثر استعداداً لقبول ما يصل اليه عن طريق القراءة والبصر وحفظه وتذكره ان كان بصريا، والسمعيات ان كان سمعيا. وفوق هذا كله فكل نوع من هذه الانواع ينقسم بدوره الى أنواع أخرى. ففي النوع البصري نجد ذاكرات الحروف والالوان والاشكال والارقام والاسماء. فيذكر الانسان وجوه الاشخاص ولا يذكر اسماء اصحابها من غير أن يكون في ذاكرته نقص أو في عقله ضعف. وأكثر من هذا كله قد تنقسم كل من هذه الى فروع ثانوية. ومن نظر هذه بوصفنا البحث في أن لكل شيء ذاكرة خاصة به. فقد يذكر الانسان تواريخ الحوادث بالسنين ولا يذكر ارقام التليفون مع انها كلها ارقام. وقد وجدت من معارفي الخاصة أن تذكر الالوان الحمراء يقتضي استعدادا آخر غير تذكر الزرقاء. وعبثاً يحاول الانسان أن يخلق في نفسه عن طريق التمرين والحفظ نوعاً جديداً من التذكر ليس له استعداد طبيعي فيه. وكل مايعمله التمرين هو تقوية النواحي الموجودة بالفعل. أما النواحي الاخرى فتزول آثارها بسرعة وتتدرج الى النسيان مهما كررت وحفظت. فالتمرن على حفظ الشعر لا يجدي غير القدرة على تذكر الشعر

فمن الطبيعي جداً أن ينسى الانسان بسرعة مايحفظه من الامور التي لا يتوافر لديه استعداد خاص يقبلها وحفظها

النوع الاول من النسيان

وهذا النوع من النسيان ليس إذن ضعفاً طارئاً على الذاكرة وانما هو ضعف طبيعي في

القدرة على الحفظ يقابله بالتحقيق تعويض فى القدرة على حفظ انواع أخرى قد لاتظهر لنا واضحة وضوح التى يخيل الينا اننا ضعفاء فيها ،وهذا النوع بالضرورة لا علاج له

على اننا فى الغالب نجد الطبيعة قد عدلت الناس فاعطتهم نصف الذاكرات وحرمتهم النصف الآخر . فليبحث كل منا عن انواعه القوية فينظمها ويمرنها ويقويها ليتمتع بها على الوجه الاكمل وعن النواحي الضعيفة فيريح نفسه من عناء تمرينها

تحليل الذاكرة

ونحن كذلك اذا نظرنا للذاكرة جملة من حيث هى وظيفة عقلية نجدها ليست شيئاً واحداً أو عملية عقلية واحدة ، وانما هى قوة أو استعداد طبيعي للاحتفاظ بالآثار التى تجد طريقها الى الذهن تسمى « الحافظة » وهى التى تخزن الآثار وتحتفظ بها وتظهرها وقت الحاجة لتذكرها - وعمليتان عقليتان : الاولى تستقبل الآثار من الخارج وتضمها وتربطها بغيرها وتقدمها الى الحافظة (ان صح استعمال هذا المجاز) وتسمى عملية « التحصيل » ، والثانية تخرج مافى الحافظة إلى مجال الشعور من جديد وتظهر ماتعلمه الانسان من قبل عن طريق الآثار المحفوظة فى الذهن وهى عملية « التذكر »

والقوة الطبيعية هى صفة فسيولوجية موروثة محدودة لاتعدل ولاتتغير من حيث مداها وسعتها وقدرة احتفاظها بالآثار إلا فى حالتى الصحة والمرض ، وتتطور بالضرورة مع السن ، فهى إذن حالة ثابتة ، وما دامت هذه تختلف عند الافراد فمن الطبيعى أن يختلف الناس فى قوة حفظهم ومدى بقاء الآثار فى أذهانهم ومع هذا فقد يتساوى بعض الافراد فى قوة الحافظة ويختلفون فى القدرة على التذكر خلافاً منشؤه طرق الحفظ وتنظيم المعلومات وربطها بغيرها

فبعض الناس يكدسون المعلومات فى اذهانهم تكديساً بدون ترتيب ولا نظام فتستنفد سعتها بسرعة وتمتلىء كما يمتلىء المخزن الواسع ويضيق بما فيه على سعته اذا وضعت فيه الصناديق بغير نظام ، بحيث لايستطيع صاحبه أن يجد صندوقاً منها فى وقت الحاجة اليه ، كما يصعب الامر على التلميذ الذى يفاجئه الامتحان على غير استعداد فيحشو ذهنه بجميع العلوم من غير تنظيم ولا ترتيب فتصبح ذاكرته واسعة المدى كثيرة الآثار ولكنها عديمة الفائدة وغير مسعفة . وآخرون ينظمون علمهم ويرتبون معلوماتهم فتقبل حافظاتهم الكثير من غير ان تستنفد سعتها بحيث يسهل عليهم تذكر ماحفظوه . فالاستعداد الطبيعى للحفظ وحده لايكفى اذا لم تساعده طريقة منظمة للحفظ والتحصيل

النوع الثانى من النسيان

وبعبارة أخرى قد تكون الذاكرة قوية فى استعدادها ولكنها سريعة النسيان لتشويش

المعلومات فى الذهن وسوء نظامها . وهذا النوع على كثرة تفشيه بين الطلاب يمكن علاجه باتباع الطرق المثلى فى التحصيل

وما دامت عملية التذكر تعتمد كل الاعتماد على طريقة التحصيل فمن الواجب على كل متعلم أن يراعى العوامل التى تؤثر فى التحصيل على وجه العموم ، والطرق الخاصة التى يجب ان تتبع فى كل فرع من فروع العلم فلكل فرع خصائصه وطبيعته وطرقه التى توافقه

عوامل الحفظ الجيد

أول شرط من شروط الحفظ الجيد أن تتوافر الرغبة والميل لما يراد حفظه . فمن العبث ان يحاول الانسان حفظ شىء لا يميل ولا يرتاح اليه . ومهما بذل من جهد واستخدم من ارادة وأكثر من تكراره فانه لابد ينساه ولا يستطيع أن يحفظه فى ذهنه طويلا . فضلا على ما يحدثه هذا الحفظ من ملل وتعب . أما العلوم الأخرى التى لا مفر للطلاب من استيعابها وحفظها على كره لتأدية الامتحان ـ وما أكثرها فى المدارس ـ فلا حيلة لهم فيها ولكنهم يستطيعون تخفيف العبء بربطها بمعلومات أخرى تكون أكثر تشويقا وترغيبا فيكسبوها شيئاً من السهولة . فاذا وجدت الرغبة وجب أن يتحين الانسان الفرصة التى يكون فيها مرتاح العقل والبدن فلا يحفظ أبداً شيئاً وهو مجهد ، والا أفسد عليه التعب ـ أو على الأقل الملل والسآمة ـ كل ما يبذله من جهد . ثم يجلس جلسة مريحة وفى جو جيد مناسب ويقرأ الموضوع الذى يراد حفظه على مهل ، حاصراً كل انتباهه فى المعنى دون اللفظ ولو كان شعراً ، حتى اذا ضمن المعنى وفهم الموضوع واستوضح جميع النقط بحيث لا يترك نقطة واحدة غير مفهومة ولا واضحة فقد أتم الشطر الذى لابد منه وهو التكرار فيراجع الموضوع بسرعته العادية مرتين أو ثلاثا ثم يسمعه من الذاكرة رأساً ، فاذا اتضحت له النقط الصعبة أعاد النظر اليها . ثم يترك الموضوع لفرصة أخرى يحفظه على دفعات ويعطى نفسه شيئاً من الراحة بين كل مرة وأخرى ، ولا يجهد نفسه فى محاولة حفظ الموضوع دفعة واحدة مهما كان هاما . فقد أثبتت التجارب الحديثة أن الحفظ مع التسميع ومراجعة النقط الصعبة لا غير افضل من الحفظ المستمر لكل الأجزاء . وكذلك التكرار الموزع على فترات أفضل بكثير جداً من الحفظ دفعة واحدة . بل ان تكرار موضوع ما كل يوم اربع مرات لمدة خمسة أيام أفضل من تكراره عشرين مرة فى يوم واحد تتخلله فترات الراحة . وهذا بدوره أفضل بكثير من تكراره عشرين مرة دفعة واحدة وفى جلسة واحدة ، فضلا عن أن التكرار بهذا النظام يسهل العمل ويريح العقل ، ولا نحتاج فى مرات التكرار الى ما يحتاج اليه التكرار المستمر والحفظ المتواصل . ومن هذا نرى ان ثمة أعشار المجهود الذى يبذله الطلاب فى الحفظ المستمر يضيع سدى ، فلا توصلهم معلوماتهم لأكثر من يوم الامتحان ثم تتبخر فيضاعفون الجهد فى العام التالى لاعادة ما تبقى عليه

معلومات العام الدراسي المقبل. ولو اقتصدوا في مجهودهم ونظموا طرق حفظهم لأراحوا أنفسهم وانتفعوا بما حفظوه. ويحسن أن يكتب الطلاب مذكرات مختصرة بعد الانتهاء من التحصيل مباشرة. والكثير من الناس لا يتثبتون من الحفظ إلا اذا كتبوا الموضوع كله بأنفسهم، وكذلك يختلف الناس بطبيعتهم في الطريقة الحسية التي تصل بها المعلومات أذهانهم. فمنهم البصريون الذين يعولون على القراءة والنظر والسمعيون الذين يفضلون السماع أو القراءة بصوت مرتفع والحركيون الذين يمثلون لأنفسهم المعاني بالحركة. فليتبع كل واحد نوعه في الحفظ. وللتصور أثر كبير في تسهيل التحصيل وسرعة التذكر فتصوير البصري لنفسه المناظر التي يتضمنها الموضوع كأنه يراها بعين عقله والسمعي مايجد من احاديث وأصوات كأنه يسمعها بعين عقله والحركي يتمثل الحركة حتى لكأنه يشعر بها تحدث في عقله. كل هذا من أهم العوامل للحفظ

ولكل فرع من الفروع طريقة خاصة تناسبه. فالشعر وما هو في حكم الشعر يسهل حفظه للصغار بالطريقة الجزئية فيحفظون كل بيت على حدة حتى يتثبتون منه ولكنهم مع هذا قد ينسون أوائل الأبيات ويجدون صعوبة في ترتيبها. والكبار توافقهم الطريقة الكلية فتحفظ القطعة كلها جملة من أولها لآخرها وتكرر هكذا. وأفضل من هذا وذاك الجمع بين الطريقتين والحفظ بالطريقة المزدوجة التي وصفها وجربها في اعطاء ومصر فأتت بأحسن النتائج. وذلك بأن تقسم القطعة إلى أجزاء كل جزء منها مستقل في معناه على قدر الامكان، ويحفظ الجزء الاول على حدة حتى يشعر الحافظ بأنه قد بدأ يتمكن منه فلا يستمر فيه حتى يتم الحفظ وإنما يقرأ القطعة كلها مرة واحدة ثم ينتقل إلى الجزء الثاني فيكرره عدداً من المرات أقل من عدد مرات الجزء الأول بواحد فقط ثم يقرأ القطعة كلها مرة أخرى حتى ينتهي. وقد يحفظ القطعة كلها قبل أن يصل إلى آخر جزء فيها. ولا داعي للاسهاب في ذكر الأسس السكولوجية التي تبنى عليها هذه الطرق

أما الكلمات الأجنبية ومقابلاتها بالعربية أو ماهو في حكم الكلمات فتقرأ كل كلمتين معاً طرداً وعكساً، ولا تقرأ مجموعة الكلمات متتابعة، فهذا يسبب الخلط في ربط الكلمات وما يقابلها. وفي الموضوعات الأخرى التي يعول فيها على المعنى يقرأ الموضوع حتى يفهم وتلخص نقطه وترتب. وبعدئذ يكرر حتى تأتي الألفاظ عفواً مكملة للمعنى

وظيفة النسيان الطبيعية

على أنه إن صح أن يعتبر النسيان من الناحيتين السابقتين ضعفاً في الحفظ أو نقصاً في التذكر فان للنسيان على وجه العموم وظيفة طبيعية هامة يقوم بها العقل مباشرة منذ نشأته لمصلحته ولضمان بقائه مستعداً لاستقبال الآثار الجديدة وحفظها وتذكرها. فالطفل الصغير منذ أيامه الأولى تمر عليه آلاف المؤثرات ويتردد مرورها فتدخل آثارها إلى ذهنه قوية من غير تنظيم

ولا ترتيب ، النظام الضروري مما يزاحم التافه الذي لا شأن له . وهناك تجد مكاناً فسيحاً وحيزاً متسعاً لا حد له تتكدس هنالك بغير نظام ولا ارتباط كما تفعل الجماعة من الهمج والمتوحشين إذا اجتمعوا معاً في صعيد واحد . ولذلك تجد الأطفال يتعلمون كل شيء ويذكرون كل شيء ويستطيعون حفظ الألفاظ مهما كثرت حفظاً صماً ما دام الفراغ في الذهن موجوداً ، أكثر مما يستطيعون تذكر المعنى الذي يحتاج إلى الفهم والإدراك الصحيح . ولكن هذه المساحة الواسعة لا تلبث حتى تمتلئ وتضيق بما فيها على رحبها ، والطفل لم يتعلم بعد شيئاً جديراً بالحفظ أو مفيداً له في حياته العملية ، وأمامه السنين الطوال تمده بآلاف التجارب الجديدة والأمور الهامة التي لا غنى له عن تذكرها فإما أن يستمر العقل في قبول كل ما يصل إليه حتى يفيض الإناء بما فيه فلا يبقى فيه غير القديم وهذا مستحيل، بل إن صح هذا لكان في غير مصلحة الإنسان لأن العقل الذي يحتوي كل شيء حتى يزيد عن طاقته لا يفضل العقل الذي لا يحتوي على شيء ما . وإما أن يعمد إلى الاقتصاد والترتيب والتنظيم والحكم على القيم النسبية . وبعبارة أخرى هو يقوم بعملية حذف ومراجعة فما كان هاماً لازماً للحياة أو متصلاً بها مباشرة أبقاه في المقدمة على أتم استعداد للظهور في مجال الشعور بمجرد أية إشارة من المؤثرات والظروف الخارجية . ويليه ما يتصل بالحياة الحاضرة من طريق غير مباشر كحوادث الماضي القريب أو أمور الماضي البعيد التي يجعلها مركزها الممتاز في تاريخ حياة الإنسان دائماً أبداً ظلية عميقة رونقها وشبابها ثم الأمور التافهة من حياتنا العادية أو التي انقطعت الصلة بيننا وبينها منذ أمد بعيد ومضى ما ذكرنا بها من جديد . وهذه السلسلة ما كملها تتدرج إلى الخلف بالتدريج كلما ازدادت الخبرة واتسعت التجارب وجدت أمور هامة . وهكذا كلما ابتعد شيء عن محور حياتنا تخلف من السلسلة حتى ينتهي به الأمر إلى الاندراج في زوايا النسيان وهكذا يستطيع العقل تماماً أن يحتفظ في عرينه بما يحتاج إليه ولا يزيد عن طاقته ، وما لا يحتاج إليه يلقيه في خضم اللاشعور ويصبح من تراث العقل الباطن

ومن هذا نرى أننا لا ننسى الأشياء دفعة واحدة إلا في الحالات اللاشعورية ، وإنما تضيع معالمها بالتدريج كالبناء تزول منه أبوابه ثم حوائطه وبعدئذ يندك أساسه . فنحن ننسى مما نسمعه من الكلام حروف العطف أولاً ثم الظروف ثم الصفات وغيرها مما ليس من أساس الكلام ، وبعدئذ الأسماء النكرات فالأفعال وأخيراً أسماء الأعلام . وهذا النوع الثالث من النسيان هو إذن وظيفة طبيعية للعقل لا تقل أهمية عن التذكر ، بل هي متممة لها وبغيرها يستحيل على العقل أن يستمر في التعلم وكسب الخبرة والمعرفة

بقي نوع آخر من النسيان له أكبر اتصال بحياة الإنسان الوجدانية ، وأخطر أثر في الاضطرابات العصبية وحتى أمراض الجنون . ولأهميته سنفرد له مقالاً آخر إن شاء الله

محمد مظهر سعيد

بعد رحيل بونابرت عن مصر

الفرنسيون الذين تمصروا وأسلموا

ساعدني الحظ في حياة المأسوف عليه شارل جليارد و بك مؤسس وصاحب « متحف بونابرت » بالقاهرة ، الذي نقلت محتوياته الآن الى باريس ، فجمعت طائفة من المعلومات والمذكرات استقيتها من الاوراق والملفات والوثائق التي كانت مكدسة في خزائن المتحف ، وقد ساعدني بعضها على وضع أقاصيص نشرت في السنوات الماضية بمجلات « دار الهلال » ولكنني رأيت اليوم أن ألقى مع القارىء نظرة عامة على موضوع لا يخلو من الاهمية والطرافة ، وأن أستعرض معه فريقاً من الجنود الفرنسيين الذين لم يعودوا إلى وطنهم مع فلول حملة بونابرت الشهيرة ، بل آثروا البقاء في الشرق واستعاضوا عن دينهم وقوميتهم بدين آخر وقومية أخرى

سألت المرحوم جليارد و بك ذات يوم :

— يقال إن أفراداً كثيرين من جنود نابليون ظلوا مقيمين في مصر بعد رحيل القائد العظيم وانهزام خلفائه ، وإن معظم أولئك الجنود قد اختلطوا بالشعب المصري وأصبحوا منه ، وإننا لو بحثنا لوجدنا في القاهرة والاقاليم كثيراً من الاسر المصرية تجري في عروق أبنائها دم أولئك الجنود ، فهل عندك ما يثبت تلك الاقاصيص ؟

لم يجب جليارد و على سؤالي ، بل نهض ودعاني الى اللحاق به ، وقادني الى خزانة كبيرة ألصقت على زجاج إحدى دفتيها ورقة كتب عليها : « بعد رحيل بونابرت » وفتح الرجل الخزانة وتناول منها ملفاً ضخماً ألقى به الي وقال :

— ابحث بين هذه الاوراق تجد ما تنشده

جلست وقضيت ساعة او أكثر أقلب تلك الاوراق القديمة ، وعدت حاملا معي التفاصيل الآتية :

كثر فرار الجنود الفرنسيين من الجيش على أثر نزول الانجليز في « ابي قير » في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٠١ ، وأرسل القائد الفرنسي الجنرال « مونو » الى القائد الانجليزي يطلب منه تسليم أولئك الفارين إذا ما لجأوا الى الانجليز ، لانزال العقاب بهم

لكن القائد الانجليزي لم يجبه الى طلبه ، بل مهد السبيل أمام الفارين لكي يبتعدوا عن الجيش الفرنسي ويتوغلوا ما استطاعوا في داخلية البلاد

وأخيراً انتهى الامر بهزيمة الفرنسيين ، ورحل جيشهم عن مصر وبقي فيها عدد كبير من

أولئك الجنود الفارين ، الذين لم يلحقوا باخوانهم العائدين الى الوطن خوفاً من العقوبة الصارمة التى كانت تنتظرهم

وجعلوا منذ ذلك الوقت يجوبون البلاد متنكرين ، وقد أصبحوا فى حالة من البؤس والشقاء يرثى لها

وجاء فى احدى الرسائل الخطية المحفوظة فى ملفات جلبارمو بك ، ان عدد أولئك الفارين بلغ المائة

حاول ثلاثة منهم ان ينضموا الى الحجاج المسافرين مع المحمل الى مكة المكرمة ، ولكن الحراس اكتشفوا أمرهم ، فحكم عليهم الوزير التركى محمد باشا بالاعدام ونفذ فيهم الحكم شنقاً فى ٢٧ شوال سنة ١٢١٦ هـ

وكان بعض رفاقهم عازمين على اللحاق بالمحمل مثلهم للخروج من مصر والسعى وراء الرزق فى قطر آخر ، لكن ما حل باخوانهم جعلهم يخافون على حياتهم ، فاختبأوا فى القاهرة عند اصدقاء من المصريين كانوا يعطفون عليهم ويحفظون لبونابرت جميل الذكرى

وعلم الحاكم التركى محمد باشا ان فى العاصمة فريقاً من اولئك الجنود ، فرغب فى استخدامهم فى جيشه لما كان يعرفه عنهم من شجاعة ومهارة ، فاطلق رجاله فى أثرهم للبحث عنهم فى كل مكان

وعثر الجند على بعض ونفر من اللاجئين فجاءوا بهم الى محمد باشا الذى طيب خاطرهم واغدق عليهم العطايا ، وعهد اليهم بتعليم فرقة من المتطوعين السودانيين فنونه . وبعد شهر واحد كانت الفرقة السودانية قد انشئت . واعجب بها محمد باشا وعم بعطفه أعضاءه .

وما بلغ خبر الفرقة الجديدة مسامع بقية اللاجئين حتى خرجوا من مخابئهم مطمئنين وأسرعوا الى محمد باشا طالبين الالتحاق باخوانهم فضمهم الى الفرقة ورفعهم الى مصاف الضباط

ولكن محمد باشا لم يحسن استخدام تلك الفرقة السودانية الممتازة بجنودها الأشداء وضباطها المدربين . غير ان الجنود والضباط أنقذوا حياة ولى نعمتهم ، فى أثناء الثورة التى نشبت فى القاهرة والتى كان يذكى سعيرها فى الخفاء داهية عصره محمد على باشا الكبير

فر الحاكم التركى من القاهرة مرافقه فى فراره المخلصون له من الضباط الفرنسيين وجنودهم السودانيين . وكان على رأسهم فى ذلك الوقت « الكابتن كومب » (Combes) وهو المعروف باليوزباشى « سليم » بعد ان اعتنق الاسلام

ومن أغرب ما يروى عن اليوزباشى سليم كومب هذا ، أنه قاد حملة مصرية على طرابلس الغرب فكان النصر حليفه وهزم الطرابلسيين فى موقعة حامية وأسر قائدهم . وعندما جيء اليه بذلك القائد ، عرف فيه سليم كومب زميلا قديماً ، كان مثله جندياً من جنود بونابرت ، وفر مثله

من الجيش بعد معركة أبى قير ، ولجأ الى طرابلس الغرب حيث اعتنق الاسلام وعهد اليه حاكم تلك الولاية قيادة جيشه بعد ان أطلق الرجل على نفسه اسم « زيد عبد الله الطولونى » نسبة إلى مسقط رأسه « طولون » فى فرنسا !

وهكذا التقى الزميلان الصديقان فى ميدان القتال ، وكل منهما فى ناحية ، بعد ان حاربا فى جيش نابوليون جنباً الى جنب

وكان المرحوم شارل جليارد بك يقول إنه عرف فى سنة ١٨٨٠ رجلا من أسرة « الطولونى » الطرابلسية وإن ذلك الرجل هو حفيد زيد عبد الله الطولونى الفرنسى

وعند ما عاد سليم كومب الى مصر ، كان محمد على باشا قد استولى على مقاليد الامور فيها ، وقضى على المماليك وصفا له الجو ، فحار سليم فى أمره ، ولكنه تقرب من محمد على باشا بواسطة صديق له يدعى « نورو » وانتهى الامر بأن انضوى الضابط الفرنسى المسلم تحت لواء محمد على باشا

أما نورو فهو أيضاً احد أولئك الفرنسيين الذين اعتنقوا الاسلام بعد رحيل بونابرت وقومه ، فاتخذ اسم « عبد الله النورى » وعهد اليه محمد على باشا قيادة فرقة من فرسانه

ويروى عن النورى هذا انه كان ذات يوم سائراً فى معية محمد على باشا الى القلعة ، فوقف الباشا أمام منزل أحد أتباعه ، وجىء اليه بفنجان قهوة ليشربها ، فتقدم عبد الله النورى ووضع يده على كتف سيده وقال :

— لو كنت مكانك يا مولاى لما شربت القهوة الا فى القلعة !

فعمل محمد على باشا بمشورته ، واتضح له فيما بعد أن مضيفه كان قد وضع له فى القهوة سما زعافا مدفوعا الى ذلك من أعدائه الاتراك

ومما يسترعى النظر ان معظم الجنود الفرنسيين الذين بقوا فى مصر واتخذوها وطناً واتخذوا الاسلام دينا ، كانوا يختارون اسم « عبد الله »

وكان محمد على باشا يقدر شجاعة أولئك اللاجئين ويعجب بهم ويرغب فى استخدام مواهبهم . ومما يذكر بهذا الصدد أنه كان بين المماليك الذين دعاهم محمد على باشا الى القلعة للفتك بهم كما هو معروف مشهور ، عشرون فارساً من الفرنسيين . وقد أراد الباشا ان ينقذ حياة أولئك الابعدين لانه لم يكن يخشى منهم شيئاً ، فأوعز الى أحدهم باستنقاذ رفاقه فى احدى القاعات ، وهكذا انقذهم من الموت ، فما كادوا يستقرون فى القاعة حتى انطلقت النيران وعلا الصياح وقضى على المماليك

وقد عرف له المماليك الفرنسيون العشرون ذلك الصنيع وحفظوا له من أجله الجميل ، فانضموا اليه واخلصوا له الخدمة ، وعلوا طول حياتهم من أوفى الاوفياء للسيد الحديد وخاضوا غمار المعارك بقيادة أبنائه

وعندما جاء الكولونيل سيف الى مصر ، وعهد اليه محمد علي باشا تنظيم جيشه ، وجد الرجل بين الضباط والفرسان نحو ثمانين من أبناء وطنه ، فكانوا له عوناً كبيراً فى القيام بمهمته

والكولونيل سيف (Sèves) كما هو معلوم هو الذى صار فيما بعد سليمان باشا الفرنساوى الشهير

وكان بعض أولئك الفرنسيين لايزالون محتفظين بأسمائهم الفرنسية ، فحملهم سليمان باشا على ابدالها بأسماء مصرية ، كما انه حمل من لم يعتنق الاسلام منهم على اعتناقه . وهكذا أصبح جميع أولئك اللاجئين الفرنسيين فى مصر ، مصريين ومسلمين

والى القارىء الآن قائمة ببعض الاسماء التى عثرت عليها مدونة فى مذكراتى مع أسماء أصحابها الفرنسية الأصلية :

١ — عبد الله مونو : الجنرال مونو القائد الفرنسى العام بعد مصرع الجنرال كليبر بيد سليمان الحلبى

٢ — سيف : سليمان باشا الفرنساوى . وهو أشهر من نار على علم

٣ — كومب : البوزباشى سليم . وهو الذى جاء ذكره فى هذا المقال وقاد حملة طرابلس

٤ — ثالو : ريد عبد الله الطولونى . وقد اعتنق الاسلام فى طرابلس وجاء الى مصر مع زميله كومب الذى تغلب عليه كما جاء فى هذا المقال

٥ — مورو : عبد الله مورى . وهو الذى أشار على محمد على باشا بالامتناع عن شرب القهوة فى طريقه الى القلعة

٦ — ماتيو : محمد الموشحى ، وقد عهد اليه محمد على باشا بتنظيم المدفعية . وكان سليمان باشا الفرنساوى من أشد المعجبين به ، وقال عنه مرة ان القنبلة التى يصنعها محمد الموشحى لا يمكن أن تخطىء المرمى ولو اخطأت لانتحر محمد حنقاً !

٧ — لوبو : عبد الله التولوزى . وقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى مدينة تولوز مسقط رأسه فى فرنسا

٨ — سوليه : عبد الله الطرابلسى . وهو جندى بسيط فر بعد معركة أبى قير وذهب إلى طرابلس مع ريد عبد الله الطولونى ووقع فى الأسر معه وقد بصحبته إلى مصر مع البوزباشى سليم كومب

٩ — سولومياك : عبد الله السلامك . ومما يروى عن هذا الضابط ان محمد على باشا سأله عن اسمه ، فأجابه : « سولومياك » فقال محمد على باشا : « اذن ، ستحرس السلامك ياسولومياك فى هذه الأيام العصيبة التى نجتازها ، فإن اسمك نفسه يحدد مهمتك » وعرف الرجل منذ ذلك الوقت باسم « عبد الله السلامك » وقد اشترك فى حروب الشام ويغلب على الظن أنه قتل فى معركة « الزراعة » الشهيرة

١٠ — موريه : عبد الله النوبي . وهذا الضابط كان قد التجأ الى الجيش الانجليزي فاطلق سراحه وسافر إلى بلاد « النوبة » هارباً من العقاب في عهد الجنرال مونو . ولم يعد الى مصر إلا بعد أن استقرت فيها الأحوال . وجاء ببعض المتطوعين من النوبيين وانضم معهم الى جيش محمد على باشا فاطلق عليه اسم « النوبي »

١١ — جوزيف : يوسف الفرنساوي . وكان المرحوم شارل جلياردو بك يؤكد ان أسرة هذا الجندي لاتزال باقية إلى الآن في مصر وان بعض الذين يدعون « بالفرنساوي » ليسوا من سلالة سليمان باشا وأسرته ، بل من سلالة « يوسف الفرنساوي » هذا

١٢ — دوكلو : عبد الله الدكلاوي . وقد قتل هذا الجندي في حرب فتح السودان وترك ابناً وحيداً قتل مثل أبيه في الحرب ، في سنة ١٨٣٢

١٣ — اوزيس : عبدالله مالك . ولم اعثر على خبر عن هذا الجندي غير اسمه وكان جلياردو بك يقول ان أوزيس كان ماهراً في صنع القنابل وان محمد على باشا قد استخدمه في مصانع الاسلحة

١٤ — ربعير : عبد الله الجداوي . وقد أطلق عليه هذا الاسم لانه سافر في مهمة الى « جدة » في أثناء حرب الوهابيين . وقد أصيب بجرح اقعده عن العمل طول حياته . ويظهر انه مات في سنة ١٨٢٩ تاركا أربعة أبناء . وكان قد تزوج سبع مرات

١٥ — سابل : احمد النوري . وجاء في جندي أوردن مصحف بونابرت ما ترجمته : « عرف النوري بهذا الاسم لأن [illegible] في جامع النوري بمصر »

١٦ — كادبو : أحمد [illegible] وقد رحل هذا الجندي عن مصر وعاش في لبنان في عهد الامير بشير الشهابي

١٧ — جابير : سليمان جابر . وهو من رجال المدفعية الذين اشتركوا في حصار عكاء . وكان ياوراً لسليمان باشا الفرنساوي في حروب الشام . ومات وهو في السابعة والتسعين من عمره

١٨ — كابيل : محمد كامل . قتله الدروز في ثورتهم على ابراهيم باشا . وكان مشهوراً بين الجنود بمهارته في ضرب الرمح

وهناك أسماء أخرى كثيرة ، أضرب صفحاً عنها لانى لم أعثر على شيء من التفاصيل الخاصة بها ومن يطالع كتاب « رحلة إلى الشرق » للكاتب الفرنسي جيرار دي نرفال ، أو كتب الرحلات الاخرى التي قام بها بعض الفرنسيين في القرن الماضي ، يقرأ الشيء الكثير عن أولئك الجنود الفرنسيين وأسرهم

وقد يكون أبناء بعض هذه الاسر الآن يجهلون ان الدم الفرنسي قد جرى في عروق أجدادهم

حبيب جاماتي

الصداقة ترياق اجتماعي

بقلم الأستاذ محمد أمين موسى
أستاذ علم النفس فى دار العلوم سابقاً

مما يلاحظه كل مهتم بالشؤون الاجتماعية فى مصر أن أواصر المودة بين الناس مفككة، وأن ذوى القربى كثيراً ما يشكون بالخلافات التى تؤدى بأفراد العائلة الواحدة من الشقاء وأسباب خصومة وحزازة إلى المحاكم، وقد تؤدى بهم إلى السجون. مثال ذلك أنك تنتقل من حى إلى حى، فلا يودعك جيرانك الذين عشت إلى جانبهم سنوات، ولا يتجشمون عناء زيارتك بعد ما بعد مزارك. وأما جيرانك الجدد فلا يرحبون بمقدمك، وكل ما يولونك من مظاهر الود أنهم يبادلونك التحية ويقرئونك السلام من وراء قلوبهم. وهذا التقاطع الشائع بين الجيران هين العواقب إذا قيس بما يستفحل من شر واحقاد بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين عائلة وعائلة. والصحف طافحة بأخبار اعتداء الابن على أبيه والأخ على أخيه، وقتل الأخت أو الأم كما يكون من الأسر الريفية. أما القضايا المدنية التى تبرمها الصحائف المدنية بشأن عدد [illegible] و [illegible] فتملأ

وهذا الذى تراه بين الجيران وبين أفراد الأسرة الواحدة، تراه فى المدرسة وفى مكان العمل، سيان فى ذلك مصالح الحكومة ودواوينها والمصانع والورش والحقول والريف، حتى تلاميذ المدرسة الواحدة لا يستحوذ عليهم شعور الصداقة، بل تجمعهم شيع متنافرة، وأحزاباً متناكرة

والموظفون كذلك جماعات تأتلف وتتنافر كمجموعات الحب فوق الكأس المترعة بالجعة. والعمال والفلاحون طوائف منعزلة عن بعضها، ويندر أن تجد فى المدرسة أو الديوان أو المصنع أو الحقل جماعة واحدة تخلص فى الصداقة للصداقة

ما منشأ ذلك الشعور؟؟! وإلى أى الأسباب نرد ذلك الفرار من الألفة؟؟! ولأى شىء قل أن تدوم الصداقة بين اثنين أو أكثر مدى الحياة أو على الأقل فترة من العمر يجنى الأصدقاء والخلان أثناءها ثمرات الوداد؟!

مرد ذلك إلى عوامل عديدة، أهمها حب الذات. فالأغلبية الساحقة من الأفراد فى شعبنا يعيش الواحد منهم لنفسه قبل أن يعيش لغيره. ورب العائلة، على ما نشاهده، يضع مصالح ذاته فوق مصلحة الأسرة، يتمتع بالحياة كيفما اتفق وبأى ثمن، ويسعد على حساب أولاده. ونظرة واحدة إلى القهوات والأندية وأماكن التسلية واللهو، تدل على ذلك بأبلغ بيان. فالأعيان يهجرون قراهم فى الأقاليم ويقضون فى القاهرة والإسكندرية أشهراً منفردين يبددون الأموال فى

رغبة أنفسهم ويمالئون فى حرمان عائلاتهم مادياً ومعنوياً . المتعلمون وغير المتعلمين فى العواصم يتركون دورهم ويقضون نصف اليوم تقريباً على القهوات وفى المنتديات ، حيث ينعمون بشطر لايستهان به من دخلهم

الولد الصغير يتخذ أباه قدوة ومثالا ، وحتى الطفل يتأثر بوالديه . والابناء المصريون معذورون اذا احتذوا أمثلة آبائهم ولمحوا عن سوالهم فى الأنانية وحب الذات . والأنانية مدرجة الخلاف وأصل القطيعة . فاذا انتقل الولد الى المدرسة لاتفارقه أنانيته . والأرجح أن حبه لذاته يباعد بينه وبين رفاقه ويحفر بينه وبينهم هوة سحيقة

هذا الى أن تقاليدنا وعاداتنا رجعية تضع الاغلال والقيود فى عنق الاولاد وتعرض على عواطفهم صنوفا من الكوابح والضواغط ، قد تسحق النفوس الصغيرة أو تحول العواطف البريئة عن مجراها الطبيعى الى انحلالات شاذة . . . . . . مثال ذلك أن الولد الصغير والغلام اليافع بينما يلقى عليه أبوه دروسا فى الأنانية بيمه ، يجد نفسه حبيساً فى المنزل ممنوعا من « الشجرة المحرمة » ويعنى بها شجرة الغرائز الجنسية . والقراء يعلمون الزواجر والنواهى التى تعرض على الاولاد والبنات والتى تشتد بعد البلوغ الى أن تعود كوابت قاسية تنهض سياجا غليظا بين الجنسين اللطيف والخشن . فالولد ينهرونه عن اللعب مع البنات ، وقد يزجرونه عن الانسجام مع « فلان » من الاولاد و « علان » بحجة انهم خطر على أخلاقه ، مفسدة لميوله . والبنت تمنعها من عن اللعب مع الاولاد ، ولا يسمح لها بالتمادى فى صحبة آلها بحجة خطرهن على دينها وسلوكها . أو بحجة الفوارق الاجتماعية والوراثية من غنى وفقر أو حسب ونسب . وصفوة الحق أن هذه النواهى والزواجر تمعن بفتور الفرقة بين الجنسين وتجعل الوفاق بين الزوج وزوجته فى مستقبل من أشد المستحيلات

وعند ما يستحكم الخلاف بين الزوج وزوجته ، وعند ما يفر الزوج من الدار لاشباع رغباته واسعاد ذاته ، وعند ما تشتد النواهى وتقسو الزواجر ــ عند ما يكون هذا هكذا ، يشب الولد أنانيا يفضل نفسه على سواه ويفر من زملائه ، ويحب العزلة والانفراد . وكذلك البنت يشتد حب نفسها ولا تصبر على وداد اقرانها ؛ وتصحرها الحياة بين جدران سجن يحجبها عن العالم ، فتنتحى لها من نفسها سجنا تلوذ به طوال حياتها وتظل تحلم بالسعادة وتكابد مضض الجوع العاطفى ، وتطلق تتوق الى الفردوس الموعود ، فردوس الحياة الزوجية

أما فى المدرسة ، فليس فى مناهج تعليمنا ما يشجع على الألفة ، وليس فيها ما يعمل على تقارب القلوب ، وان كنت لا انكر ان تلاميذ اليوم أوفر نصيبا من دواعى الالفة وأسباب التعاون من الذين تقدموهم . الا ان الرياضة البدنية لا يزال ينظر اليها اليوم كوسيلة لتربية الاجسام ، وليس كوسيلة صالحة لغرس روح التعاون وتوثيق عرى الصداقة . والرحلات المدرسية يتخذونها وسيلة للفرجة على المناظر والآثار ، لا وسيلة لانماء روح الجماعة وفناء الفرد فى المجموع . وليست جمعيات التمثيل والسينما

والصور المنتشرة فى المدارس الا وسيلة للتسلية وقتل الوقت ، وليست وسيلة لترقية العواطف وتهذيب الاخلاق وسكب إكسير الحنان والمودة فى القلوب

من أجل هذا ، يعانى الشباب أزمة خلقية نفسانية خطيرة ، سببها ما قدمناه من انانية وعزلة وجفاء عن الاهل والخلان . ومن أجل هذا أيضاً ، صار الخلاف والشقاق والفرقة من أبرز مظاهر الحياة الخلقية بين الرجال عندنا . من ان هذا الشقاق وعدم التعاون ، دب الى الجمعات والهيئات والاحزاب ، ففرق شمل الوحدة القومية

فالمصرى فى حياته الخاصة والعامة منكوب بعدم الصداقة ، لا يتذوقها وهو صبى ولا يحسها وهو شاب ، ويفتقدها وهو رجل فلا يجدها . وما نقوله عن « المصرى » ينطبق على « المصرية » الى حد كبير . فالشاب الذى حرم الصداقة يشب منطويا على نفسه كثير الامانى حرم الجد ، يجزع من الحقائق ، ويهرب من الواقع الى الخيال ، مزعزع الثقة بنفسه ، وتلازمه هذه الخلال حتى يفارق دنياه

وهذه هى علة التزاحم على الوظيفة الحكومية ، وعدم الاقدام على الاعمال الحرة ، وخيبة الامل قبل الشروع فى تنفيذ الخطط والمشروعات . وذلك لان الوظيفة الحكومية تدر رزقاً مضمونا بلاعناء والترقى فيها تساعد عليه أخلاق الضعف وعجز النفوس

وعلى ضوء ما قدمت ، ندرك الاثر الذى يحدث عن عدم استحكام أواصر الألفة والصداقة بين أفراد الشعب ، وما ينشأ عن ذلك من الاحجام عن الزواج ، والرغبة فى حياة العزلة ، ومغالاة فى الانانية ، والزواج غير الموفق فى غالب الاحوال ، والمتاعب التى لا تنقضى ولا تنقطع فى جميع مرافق الحياة بسبب الانانية وحب الذات وبسبب الخوف الناشىء من ضعف الثقة بالنفس

تلك ملاحظات موجزة ، وفى كل منها عبرة لمن يعى صدقها ، وعندى متى بات كشعب قد اطرحنا الصداقة من حسابنا ، فقد أصبح من الضرورى أن نعنى بها لكى نداوى نفوسنا المنشأة ونعالج أعراض العلل فى الشباب والرجال ، ان كان ذلك فى المستطاع

محمد امين موسى

استدراك على مقال

كتب السيد ابرهيم ميخائيل عطاء فى احد اعداد الهلال الماضية مقالة نفيسة عن العالم الالمانى تشندورف والنسخة السينائية . وقد جاء فى هذه المقالة ان تشندورف وجد مع نسخة السينائية « انجيل برنابا » الذى اعتمده المسيحيون فى القرون الاولى والذى حكمت المجامع فيما بعد بعدم قانونيته . والواقع أن تشندورف عثر على رسالة برنابا لا « انجيل برنابا » لان « انجيل برنابا » لم يعثر عليه احد حتى الان . وما يسمى الآن « انجيل برنابا » (وقد طبع كتاب بهذا العنوان سنة ١٩٠٧ بمصر) هو تأليف حديث كما يتضح لكل ذى معرفة تاريخية

القس سيكورد كيلف الدانيماركى

امراض النوابغ

بقلم الدكتور عبد الرءوف حسن

لست من القائلين بأن العبقرية منشؤها العلل والامراض ، جسمانية كانت أم عصابية ، إذ البحوث الجديدة كلها مجمعة على أن العبقرية لغز لا سبيل الى ادراك كنهه وسر سيبقى محجوباً عنا تفسيره أبد الدهر

مثلا لا أسلم بالرأى القائل بأن الميكروب والجراثيم قد تلهب المخ وتنشط الاعصاب ، فتولد العبقرية . لا أسلم بهذا ، واضحك ملء فمي من الذين اقترحوا حقن الاذكياء بجرثومة الزهرى ، لكى تجنى الانسانية ثمرة العبقرية الحادثة بمفعول السموم التى تفرزها « الاسبيروخيتا باليدا » (١) هذه

إذ لو كان هذا الرأى صحيحا ، لاستتبع أن يكون كل مصاب بالزهرى عبقريا وهو عكس مايقع تحت أنظارنا وتجاربنا

لكن من جهة أخرى يمكن القول بأن الامراض المعدية ، مثل الزهرى والسل والملاريا والسرطان ، قد تؤثر على سلوك الشخص وتكيف عقله وتوجهه الى نواح معينة ، وتجعله يعمل سباحا فى الحياة على منهاج . ولا شك فى أن الميكروبات والجراثيم تؤثر على الجسم - خصوصاً المجموعة العصبية - عن طريق سمومها . ولا شك فى أن هذا التأثير يظهر جلياً فى تصرفات بعض النساء والعظماء . إلا أن جوهر العقل لا يتأثر وطبيعة النفس لاتتحول . اللهم إلا أن يشتد مفعول هذه السموم الميكروبية فوق الحد المعتاد ؟ ! وحتى اذا اشتد فانه لايخلق من الغبى ذكياً ، ولا من الذكى عبقرياً ، ولا من الخامل عظيما

أنتقل بعد هذا الايضاح الموجز الى موضوعى فاقول :

كلما قرأت فى كتب السير عن عظيم أو عبقرى قضى نحبه فى ريعان العمر ، فكر فى شىء واحد ، فكر فى السل . فانك اذا بحثت فى حياة الذين ماتوا قبل الاوان من عباقرة وافذاذ ونابهين ، لوجدت انهم شكوا من علة الصدر التى أعيت الطب والاطباء - الا وهى السل

مات الزعيم الشاب مصطفى كامل مريضا بداء السل الرئوى . وكلنا يعرف أنه سقط فى الميدان منهوكا مكدوداً من العمل المتواصل ، لانه كان رحمه الله شعلة متقدة أضاءت بقوة ثم خدت

(١) الاسبيروخيتا باليدا هى الاسم العلمى للجرثومة المسببة لمرض الزهرى ، وهى تسبح فى الدم ، ثم تستقر فى الانسجة العصبية وغيرها ، وتفرز سموما باستمرار

وهكذا حال الذين يصابون بهذا المرض الوبيل ، يشتد نشاطهم ويزيد مجهودهم عن المألوف ثم تحترق الشمعة وتتلاشى من الوجود

انظر كيف كان نشاط الشاعر الانجليزي ، كيتس ، ثم انظر كيف ذبلت زهرته في العقد الثالث . وأغلب الظن أن ، باسكال ، الرياضي العظيم والمفكر المنقطع النظير مات مسلولا قريع العمر . كذلك عندي يقين لايتزعزع ، يجعلني اعتقد أن ، سافو ، سيدة الشاعرات ، كانت مصابة بالسل ، لانها صنعت اشعاراً نارية عبرت بها عن عواطف واحساسات نارية . وقد قدمت أن المزاج النارى والنشاط الخارق من أعراض السل حيث لا تمهل الفريسة إلا وقتا قصيراً تستنفد خلاله قوى الانسان ويستنزف معين نشاطه

قالوا وكان الفيلسوف الالمانى ، نيتشه ، مصابا بالزهرى الوراثى ، الذى ابتلاه فى أخريات حياته بالجنون ، فمات ذاهلا لا يعى شيئاً . ونحن نعرف كيف شذ هذا المفكر بآرائه وكيف كانت قسوته على الضعفاء ومقته لمن يستحثون الاخذ بيدهم ويستأهلون الرفق الذى لم يذقه هو والحنان الذى احتاج اليه على سرير الموت فلم يظفر به . والذى لون تفكير هذا الفيلسوف بذلك اللون الدموى الوحشى ، هو أثر الدخيل الناشىء من سريان الزهرى فى جسمه وضغطه على مخه وأعصابه . والمعروف الثابت هو أن جرثومة الزهرى تستمرىء الجهاز العصبى وتعيث فيه اتلافا وفساداً

وما كانت خاتمة حياة ، موبسان ، لتكون الانتحار ، لو لم يكن مصابا بالزهرى الوراثى . فهذا الكاتب الفنان قطع رقبته ، بموسى ، على حين لاداعى للانتحار بعد ان أحرز مجداً بين الفنانين وأصاب الغنى والشهرة ولم يكن فاشلا فى غرامه !! لكنه الزهرى الذى يطبق على الاعصاب فيوسعها ألما وتعذيباً ويحيدها عن تأدية وظيفتها على الوجه الطبيعى ، ويكون الاضطراب الملعون ويكون الشذوذ فى السلوك والفكر

ويخيل لى أن شذوذ ، آل بورجيا ، وشذوذ ، نيرون ، يعزى الى اصابتهم بالزهرى الوراثى . ويساعدنى على التصريح بهذا الرأى أن الحياة فى عهد هؤلاء كانت ملوثة غير شريفة وان الاخلاق انحطت وتدهورت فى أواخر الامبراطورية الرومانية وأواخر حكم البابارات ، كما ينبئنا التاريخ

هذا عن السل وعن الزهرى ، فاما عن الملاريا فأقول :

ان حمى الملاريا تظل تفتك بالدم وتؤذى الاعصاب ، دهراً طويلا . وهى اذا أزمنت صعب التخلص منها . وقد وصفها الشاعر العربى ، أبو الطيب المتنبى ، فأجاد . ولا شك فى أنه مرض بها ، ولا يبعد أنه ظل يشكو من تألبها عليه طوال الحياة ، خصوصا وعلاجها بالكينا لم يكن معروفا وقتذاك

وهذه الحمى المعدية - بواسطة الناموس - لها أعراض عصبية ثابتة ، لكنها لا تؤثر في المخ والاعصاب تأثيراً سيئاً ، ولا تلون المزاج بالوزن القاتم ، ولا تلهب المصاب بها فيتضاعف نشاطه ويستفحل مجهوده . واذا أردت أن تعرف مفعول الملاريا المزمنة ، في عقلية الرجل العظيم وتصرفاته ، فاقرأ حياة « جورج واشنطن » . فقد اشتكى من الدوسنطاريا والملاريا مدى عمره . ويظهر لى من تتبع حياته المرحبة ومقارنتها باعماله ومساعيه ، أن الملاريا ساعدت على تقوية ارادته ، لأنه قاومها بعناد فقويت شكيمته وتفاقم ثباته ، إلا أنه كان دائم الشكوى من مضايقاتها ، كما كان لا ينقطع عن علاجها بمرقة حقاق الاخصائيين

فما تقدم يتضح أن الموت يسرع الى المصابين بالسل إسراع النار في الهشيم ، بينما يدب ببطء شديد في مرضى الملاريا المزمنة ، وأما في الزهري فتأتى المنية على دفعات ! !

بقيت كلمة عن السرطان نقولها استيفاء للبحث . فلا شك فى أن هذا الداء العياء ، ذهب بحياة عباقرة عديدين ، نذكر منهم الامام الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغانى وابقراط أبو الطب وجبران خليل جبران

ومما يلاحظ على ضحايا السرطان انهم من فئة المفكرين والمشتغلين بالشئون الفلسفية أو العقلية البحتة ثم يلاحظ أيضاً انهم قضوا نحبهم بعد أن جاوزوا الثلاثين من العمر وقطعوا من العقد الرابع شوطاً ليس بقصير ، فالشيخ محمد عبده مات فى نحو الستين وجمال الدين حوالى الستين أيضاً ، وأبقراط مات وهو شيخ ملأ الدنيا علماً وحكمة وجبران مات فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره

وهذا يعزز النظرية الحديثة التي تقول : إن واحداً من كل عشرة أناس يصاب بالسرطان بعد الخامسة والثلاثين من عمره

• • •

يغنى الايجاز عن الاسهاب فى مواطن مثل هذه المواطن التي نحن بصددها . فاتم بحثى القصير بتقرير نقطة اساسية ، ألخصها فى ان الامراض المعدية لاشأن لها بالعبقرية ، وانما كل ماتعمله هو أن تؤثر فى اتجاه العبقرية ونوع عملها فى الحياة . فليس هذا عبقرياً وذاك فذاً ، لانهما أصيبا بالزهرى أو السل أو السرطان ، وإلا لاستتبع أن يرقى كل مصاب بهذه الامراض المعدية الى الاوج ويتخذ فوق جبين الشمس مقعده

دكتور عبد الرءوف حسن

التأمين الصحى البريطانى

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
مدير مستشفى الملك

ليس غريباً أن تقوم الحكومات بإجبار العمال من رعاياها على المساهمة فى أى مشروع للتأمين الصحى لأن حسن الصحة من أهم الشئون الجديرة بعنايتها

وقبل قيام الحكومات بنصيبها فى التأمين الصحى عن العمال أنفسهم تأليف جمعيات للتعاون للقيام بهذا الغرض . وهذه الجمعيات لم تكن لتشمل جميع العمال ولا سيما تلك الطبقات الفقيرة التى لم تستطع توفير قيمة الاشتراك فى جمعيات التعاون . فاذا حل المرض بعميد العائلة وقف رزقه الذى كان جارياً وزاد فى الطين بلة احتياجه إلى دفع نفقات العلاج من أجر الطبيب وثمن الأدوية الضرورية

أساس المشروع

ولعل أول مشروع حقيقى للتأمين الصحى هو الذى ظهر فى ألمانيا فى سنة ١٨٨٣ ، وحذت النمسا حذوها فى سنة ١٨٨٨ ثم المجر سنة ١٨٩١

أما فى بريطانيا فصدر قانون التأمين الصحى فى سنة ١٩١١ ونفذ فى سنة ١٩١٢ ، وهو يشمل كل عامل يدوى سواء أكان ذكراً أم أنثى تجاوز سنة السادسة عشرة ، وكل عامل آخر لا يزيد إيراده السنوى عن ٢٥٠ جنيهاً

وكل عامل ينضوى تحت لوائه له الحق فى بعض الامتيازات ، وأهم هذه الامتيازات ما يسمى بامتياز التداوى ، وامتياز المرض ، وامتياز عدم القدرة على العمل

ويتلخص امتياز التداوى فى تيسير العلاج للعامل المريض بمعالجة طبيب ممارس يستطيع أن يأمر بما يلزم من الأدوية وبعض أدوات طبية وجراحية معينة . ويحتم امتياز التداوى على الطبيب أن يحفظ سجلات للمرضى وأن يعطيهم شهادات لمجازات مرضية . وهذا هو أساس التأمين الصحى

وليس من ينكر حق العامل الفقير فى أن يعالج فى وقت المرض علاجاً تاماً ، يعالجه الطبيب الذى يختاره بمساعدة حكومته ، ولا واجب الطبيب فى القيام بالعلاج خير قيام لأنه يأخذ أجراً عن العامل سواء أكان مريضاً أم سليماً . ومن المعقول أن ندرك أن العامل إذا كانت صحته جيدة أصبح عمل الطبيب أقل بغير أن ينقص دخله وهو نظام ظاهر الوجاهة

مهمة الطبيب

وللطبيب تأثير مهم فى نفقات المشروع . فالأدوية والضمادات وغيرها مما يحتاج اليـه المريض تصرف من الصيدليات بإذن كتابى من الطبيب . وكذلك اختبار المرض ، وهي الاوراق التى يحصل عليها المرضى من الجمعيات المعتمدة لايمكن الحصول عليها الا بشهادة من الطبيب ، ومراقبة النفقات التى تصرف للمرضى بأوامر الاطباء هي سبب المتاعب والصعوبات التى تواجه المشروع ، وعلى عوز هـذه النفقات يدور نقد المعارضين . ومن الحق القول بأن نظام التأمين الصحى الرسمى قد اضطرب اضطراباً عظيماً للاعتبارات المالية

وليس من الضرورى الكلام على تاريخ المشروع الاصلى وما ظهر حوله من المناقشات والاعتراضات مما أدى إلى تعديل القـانون حسب الظروف ، ولا الكلام على الانظمة المتبعة فى تنفيذه . ويكفى ذكر كلمة الدكتور دين (Dain) رئيس اللجنة الفرعية من الجمعية الطبية البريطانية لقانون التأمين الصحى فى مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب العلاج الطبى بالتأمين (Medical Insurance Practice) : «لشد ما يدهش كثير من النـاس من أن مسألة علاج المريض بالطبيب وهي تلك المسـألة العادية قد احتاجت الى كثير من الانظمة والقواعد ولكن الاحوال الحاضرة هي نتيجة الخبرة والحاجة . ويظن من الضرورى أن نصنع التعاقد الصحيح بناء على أن خدمة الطبيب للمريض يقوم بها ويدفع أجرها فريق ثالث لا يحضر الخدمة ولا يشاهدها ، وعن شدة الالحاح على الاطباء بالانضمام إلى مشروع التأمين الصحى ، وحرية الاختيار لكل من الطبيب والمريض . فهذه الاصول الاولية هي سبب انعدام التعاقد الصحيح»

والمشاهد انضمام كثير من الاطباء بغير أن يعرفوا حدود هذه الانظمة الكثيرة والقواعد المعقدة واستمرارهم فى العمل بغير أن يتمشوا معها . ولا شك أن ذلك مما يؤدى الى ارتباك شديد

المشروع والحرب الكبرى

لقد كانت الحرب الكبرى سبباً لكثير من متاعبنا الحاضرة . وليس غريباً أن تتهم هذه الحرب بالفوضى التى تلابس مشروع التأمين الصحى فى بريطانيا خصوصاً وأن المشروع لم يظهر فيها الا قبل الحرب بسنتين . وعلى ذلك تكون مدة الحرب ، ومدة التضخم المالى القصيرة التى أعقبتها ، والأزمة المالية التى تلتها واستمرت الى وقتنا الحاضر ، كل أولئك له شأن فى هذه الفوضى

ومع تسليمنا بتأثير هذه الحرب وما نشأ عنها من انحطاط الاخلاق انحطاطاً عم كل الطبقات ، ومن بينهم الأطباء ، فهناك صعوبات لازمت مشروع التأمين الصحى فى أثناء تنفيذه فى بريطانيا وهى صعوبات كان من الضرورى التنبه اليها لاتقائها لان أساس المشروع غير صحيح

وقد قال بريد (Brend) فى كتابه « الصحة والحكومة » : « ان قانون التأمين الصحى هو أكبر مشروع للصحة العامة نفذ فى هذا البلد . فلم يسبقه مشروع له علاقة كبيرة بعدد عظيم من السكان ، واقتضى ميزانية كبيرة وادارة هائلة ، وادعى القوم له فى أثناء تنفيذه فوائد جسيمة ، ولم يتقدمه مشروع قد فشل فى تحقيق غرضه الاول كما فشل هذا المشروع

« ان غرضه الاصلى هو تحسين صحة طبقات العمال . ومن الضرورى أن نحكم عليه من هذه الناحية ، فالمشروع لم يحسن الصحة العامة ، أو على الاصح لم يحسن الصحة تحسناً يتناسب مع نفقاته . وبذلك يمكن أن نقول إنه فشل فى تحقيق غرضه الاول »

هذه العبارة وان ظهرت أنها خلاصة عصرية وصحت عيوب النظام الا أنها قد قيلت فى سنة ١٩١٧ قالها بريد كما ذكرت فى كتابه « الصحة والحكومة » الذى نشر بعد ظهور القانون بخمس سنين . ولم يقتصر على ذلك بل استأنف قائلا فى المشروع الذى نقل عن المشروع الالمانى الذى نفذ فى سنة ١٨٨٤ :

« فى سنة ١٩١٠ أى قبل ظهور قانون التأمين الصحى كنا نثق ثقة عظيمة بالعلم الالمانى ونحسن الظن بالانظمة الالمانية . ولم يكن يبق أن نعتبر تقليدنا للانظمة الالمانية لتغير وجهة نظرنا فى الخلق الالمانى بعد ذلك تغيراً عظيماً . ولكن النظام الالمانى لم يكن جديراً بالتقليد فى ذلك الوقت لعيوبه . ولابد أن يعتبر المشروع الالمانى كان مشروعاً جديداً لان النقص فى تنفيذه فى المانيا كان لاشك يوضح أن المشروع قد فشل من الناحية الصحية تماماً كما ظهر فشله جديداً بعد ذلك

« وانه وان يكن القانون البريطانى قد تحاشى بعض الاسس من مشروع الالمانى إلا أنه قد أدخل عليه كثير من التعديل والتفصيل . فقد أخذ من مشروع الالمانى نظام الالتزام وهو تهيئة العلاج بواسطة الاطباء . وهذا النظام هو نفسه الذى أدى الى كثير من المشاحنات فى المانيا بين جمعيات التأمين وبين الاطباء ، مما أدى الى اضرابهم أو الى التهديد بالاضراب ، وأدى الى التمارض والى عيوب أخرى أصبحت ظاهرة الآن »

وما أعظم هذا الاعتراف . فهو فى الحق اعتراف كبير الشأن لصدوره منذ بضع سنين

المشروع والازمة الاقتصادية

وهناك مسألة ثابتة فى الاهمية وهى تأثير الازمة الاقتصادية من الناحية الخلقية فى الطبقة العصرية سواء أكان هذا التأثير فى العمال أم فى الاطباء أم فى غيرهم . فظروف الاحوال تؤز كل انسان وهو سائر فى سبيله أزاً

قال ارمسترنج فى كتابه « بقاء الاصلح » وهو المؤلف من الذين يعتقدون أن التأمين الصحى الاجبارى مشروع عقيم غير اقتصادى :

وكل الظروف التي تقتضي تعويضاً أو مكافأة تميل الى الازدياد والانتشار . فاذا أعطى المريض تعويضا أو مكافأة في أثناء مرضه أو اذا أعطى العامل العاطل من العمل تعويضا أو مكافأة في أثناء عطلته من مال الغير ، فلا بد من ازدياد المرض أو البطالة . أما اذا اعتمد الانسان على الحياة الصحية للصحة ، وعلى العمل للاجر ، وعلى الاقتصاد من اليوم الابيض لليوم الاسود ، فالحياة الصحية والعمل والاقتصاد كل أولئك لابد أن يزداد للحصول على الفائدة المادية . فاذا أمكن الحصول على الفائدة المادية بقليل من المجهود مع اهمال الصحة والعمل والاقتصاد فلا بد من ازدياد هذا الاهمال »

ومن المغالطة أن يعتقد الانسان أن فوائد التأمين الصحي ليست من باب المعونة والمساعدة بل من الفوائد الشرعية ، نتيجة اقتصاد العمال ما يدفعونه اجباريا من رسوم التأمين . ذلك لان التأمين الحقيقي لا يشترك فيه الامن توقع الانتفاع منه . أما هذا التأمين فيشترك فيه أصحاب الاعمال ودافعو الضرائب وعدد كبير من العمال الذين لا يتوقعون المرض أو البطالة . أما المستفيدون من التأمين فهم كالمتسولين يعيشون من جيوب غيرهم . فكل زيادة في الهبة التي تمنح للعاطل من العمل ، وكل سهولة في منحها من شأنها زيادة البطالة . وكل امتياز للتداوي ، أو للمرض أو لعدم القدرة على العمل ، وكل تسهيل للحصول على هذه الامتيازات يبعث على المرض أو التمارض

يزعم كثير من الناس في هذا العصر أن اذا قلنا ان طبقات العامة يجوز في حقهم ما يجوز في حق غيرهم من سائر البشر من صفات الضعف الانساني ، فقد قلنا شططاً وشتمنا هذه الطبقات أو احتقرناها . وقد لا يغيب عن الذاكرة ما حدث مرة في البرلمان الفرنسي إذ قال المسيو بلوم M. Blum الوزير المسئول الذي في حوزته الهبات والمكافآت التي تمنح للعاطلين من العمل اذا كانت كبيرة فقد تشجع على البطالة ، أقول لقد قال المسيو بلوم هذا الوزير إنه قد أهان العامل الفرنسي اهانة عظيمة بذلك

وهي طريقة عصرية لاستهواء الجماهير لكنها طريقة ممقوتة ، وخوف الحاكمين من مقاومة هذا التيار مما يشجعها ، وهي دليل على فساد الاخلاق فساداً مؤلما

ومن هذا النوع ما ذكره الدكتور كوكس (Dr. A. Cox) وقد كان سكرتيراً للجمعية الطبية البريطانية في مقالة قدمها لمؤتمر المعهد الصحي الملكي في سنة ١٩٣٠ :

« أجمع كل مراسلي تقريبا على ان لنظام التأمين الصحي مع سائر الانظمة الاخرى التي للمساعدة الاجتماعية أثراً سيئا في طبقات العمال ، فهم يعتقدون ان ازدياد طلب امتياز المرض او امتياز البطالة يعبر عن تضحية مالية كبيرة ناشئة عن توهم العمال توهما جديداً علما بأن الخزانات العامة لا تفرغ ولا تفنى »

الأدب الطبي والمشروع

ولقد اقتصر الدكتور كوكس فى كلامه على الجمهور من العمال والعاطلين من العمل ولم يقل شيئا عن الأطباء . ولعل رأيه فيهم هو رأى لو استراش (John St. Loe Strachey) إذ يقول :

« ما من صناعة أقرب لغواية الشيطان حتى لقد ينسى صاحبه الشرف والشفقة والإنسانية ، كصناعة الطب ، وهى كذلك أدنى الصناعات لاستغلال الآلام البشرية . لكنها فى الوقت نفسه هى أفضل الصناعات ، لأن صاحبها أشد الناس تأثراً بهذه الغواية وأشدهم مقاومة لها . فيذكر الجمهور ذلك وهم يتهكمون على الأدب الطبى لأنهم يعتقدون أنه لنفع الأطباء ذاتيا وماديا . وما الأدب الطبى إلا خير وسيلة لإنقاذ المريض وخلاصه »

أما السير ارثر نيوز هولم فأكثر جرأة على الأطباء إذ يقول فى كتابه « الطب والحكومة » ما معناه : « إنى أعتقد أن مستقبل الطب يتوقف على المستوى الأدبى للأشخاص ذوى الشأن . وأكثر ما يكون ذلك فى عمل التأمين الصحى الذى يقتضى تحرير شهادات بعدم القدرة على العمل . فعيوب هذا التأمين ناشئة على الأغلب من عيوب الطبيعة الإنسانية التى لا يخلو منها المرضى ولا الأطباء . ولا تبرر هذه العيوب الحكم على المشروع بالفشل إلا إذا استعصت هذه العيوب على العلاج وأصبحت الإدارة باهظة النفقات »

والواقع أن بعض المعترضين من هذه الوجهة من الناس هو من النفر يجوز عليه ما يجوز عليهم من العيوب ، فالعصمة للأنبياء والملائكة وحدهم . ألا يستحق طبيب الالتزام فى معاشه وحياته على مرضاه وهم من عنصر البشر أيضا ؟ فإن طلب مرضى من الطبيب شيئا لا حق لهم فيه ، فلا عذر للطبيب فى إجابة طلبهم لو أن الأمور تسير سيرا صحيحا

الطبيب والجمهور

ولا بد من موافقة الدكتور هارى روبرتس (Dr. Harry Roberts) فى رأيه أن الجمهور جاهل جهلا تاما بوظيفة الطبيب ونفعه للفرد والحكومة إذ يقول :

« إن الضرر كل الضرر هو اعتقاد كثير من الأطباء فى حياتهم على رأى الجمهور فيهم . وهم أكثر اهتماما بالحصول على ثقتهم وجمع أرزاقهم من المحافظة على كرامة المهنة »

ومتى كان الجمهور أو الأغلبية المطلقة على جهل تام بكل ما يتعلق بالصحة والمرض فلا بد أن يكون خربة اختيار الطبيب سهل التأثير فى تكييف الأعمال الخصوصية لرأى الجمهور . ولزيادة الإيضاح أقول إن الطبيب الذى يطاوع ضميره ويرفض وصف دواء لمريضه لعدم حاجته إلى دواء لابد أن تنقص التحويل المالية التى تصرف له كل ثلاثة أشهر نقصا تدريجيا . ومن ذلك يرى

الانسان ان نظام العمل بالالتزام ، والعمل الخصوصي أو العمل في جمعيات التعاون القديمة ، كل أولئك سواء . فاعتماد الطبيب في حياته على رأى مرضاه هو سبب هذا الضرر

واذا كان المثل الاعلى أن يسير نظام الالتزام على رأى بعضهم سير الاعمال الخصوصية بقدر الامكان فلا بد أن يأخذ الالتزام عيوب الاعمال الخصوصية

ففي الأعمال الخصوصية يريد المرضى أن يلاطفهم الاطباء وأن يجيبوا لهم طلباتهم . ولما كانت الحاجة المالية هي التي تقرر العلاقات بين الاطباء والمرضى فكثيرا ما نرى المرضى تمر من التداوى عند الأطباء الذين لا يجاملونهم على قدر عقولهم والذين لا يسايرونهم في كل مايشتهون . فقد لايرى الطبيب ضرورة وصف دواء للمريض الذى يلح على تناول شيء من الدواء فاذا لم يساير الطبيب المريض تركه للتداوى عند غيره

واذا كانت الحاجة المالية هي رأس كل خطيئة ، وهي في هذه الايام قد اشتدت بسبب الازمة المالية التي عمت كل الطبقات وكل البلاد ، وبسبب تكاثر الاطباء تكاثراً عظيماً عقب الحرب العظمى ، وإذا استطاع الطبيب أن يحسر مريضاً أو أكثر في الزمن القديم محافظة على تقاليد المهنة فهو في هذا الوقت لا يستطيع أن يحسر مريضاً أو اكثر حتى من مرضى التأمين ممن يعالج الواحد منهم بما لايزيد عن بنسين في الاسبوع

انحطاط المستوى الادبي

لقد انحط بكل أسف المستوى الادبي انحطاطاً كبيراً . ومما يدل على ذلك ما قاله وزير العمل في مجلس النواب في ٣ نوفمبر سنة ١٩٣٢ اذ ذكر عدداً كبيراً من المقتدرين الذين استغلوا نظام إعانات العاطلين من العمل استغلالا كان من نتيجته حرمان بعض العاطلين ممن هم في حاجة شديدة الى هذه الاعانات لانهم باعوا بعض لوازمهم . فقد ضرب مثلا برجل أعزب يملك مبلغاً موظفاً لايقل عن ١٧٠٠ جنيه . وبرجل متزوج له في بنك ٢٤٠ جنيهاً وله في صندوق التوفير في البريد ٢٤ جنيهاً وله أيضاً ١٠٠ر١ جنيه في بنك آخر . فهذا الرجل قدم طلباً لاستمرار صرف الاعانة له بعد أن استولى على الحد الاعتيادي للاعانة

قصص وحوادث

أما في نظام التأمين الصحي فيسعى كثير من المشمولين بلوائه للحصول على كل ما يمكن الحصول عليه سواء أسمح لهم التأمين بذلك أم لم يسمح . وهم يسوغون عملهم بقولهم انهم مضطرون للمساهمة في هذا النظام بما يخصم اسبوعياً من أجورهم

واليك التفصيل :

ان الشهادات الالتزامية هي كالشيكات المالية وإن قلت قيمتها وإن لم تتجاوز بضعة شلنات بصفة امتياز المرض (Sickness Benefit)

فقد ذكر طبيب في الاجتماع الالتزامي السنوي في سنة ١٩٣٠ حكاية رجلين أرادا أن يشهدا السينما ولم يكن في جيبهما نقود ، فخطر لهما أن يذهبا إلى طبيب الالتزام . وقد توجه فعلاً وأخذا منه شهادة مرضية . وبتقديمها للصراف أعطاهما خمسة شلنات

وذكر أيضاً قصة طاهية أرادت أن تحصل على شيء من لا شيء ، فذهبت إلى طبيبها الالتزامي وقدمت له بطاقتها وقالت له : « انى أريد دواء » واعترفت أنها ليست مريضة وانها تريد أن تأخذ شيئاً بدلا مما يخصم منها . ولما رفض قالت له : « اذن اذهب للتداوى عند غيرك »

ولا شك ان هذه الحوادث اعتيادية تصادف كل أطباء الالتزام في أثناء أعمالهم

ومثل الوصفات الطبية الالتزامية الشهادات المرضية الالتزامية . فالوصفات الطبية أو التذاكر هي أوامر للصيدليات بصرف أدوية يختلف ثمنها من بنسات إلى شلنات يتقاضاها الصيدلي مضافاً اليها أجر تركيب الدواء . وكثيراً ما يطلب من الصيادلة أن يصرفوا أشياء أخرى غير موصوفة في التذاكر بدلا مما هو مذكور فيها . يحكى ان سيدة طلبت من صيدلي أن يعطيها أحمر للخدود وطلبت أخرى أحمر الشفاه . وهذه المقايضة التي تحدث بين فريقين هما المرضى من ناحية والصيادلة من ناحية أخرى وزرها عليهما معا . وما أصدق قوله تعالى في كتابه الحكيم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » أي لا تأثم آثمة اثم أخرى . وعلى أطباء الالتزام من مسئولية نصيبهم في هذا الاثم فهم الذين يصفون أو يكتبون هذه التذاكر

فالأطباء متهمون اما بالاسراف في وصف الأدوية اسرافا لا تبرره الامراض ، وإما بشهادة الزور بكتابة شهادات بغير حق

ومن متاعب صرف الأدوية إلحاح المرضى على الأطباء بطلب زيت السمك والماطين وسائل البرافين وغيرها من الأدوية الغالية الثمن ليبدلوا بها غيرها من الأصناف التي يحتاجون اليها . وكثيراً ما تشجع الصيادلة هذه المقايضة لانهم يعطون مرضى الالتزام الذين تكثر تذاكرهم بعض الهدايا

وقد تتنافس الصيدلة كما يحدث في بعض المناطق فيتسابقون إلى اعطاء المرضى أصنافاً ضرورية كالصابون وكالروائح العطرية بصرف التذاكر من عندهم . ومن الصيدلة من يعطي شيئاً من النقود على كل تذكرة يصرفها . وقد اتضح أن المناطق التي تكثر فيها هذه الرشوة تكثر عند أطبائها مرات التردد وتكثر فيها دعوة الأطباء للمرضى ليلا

ومن طريف ما يحكى أن صيدلياً قد دق جرسه دقا عنيفاً بعد منتصف الليل . فقام الصيدلي من نومه مذعوراً وأطل من النافذة فرأى آنسة بملابس السهرة . قال : وماخطبك ؟ (وهو يمسح جبانه

على معصمه) أمريض فى خطر ؟ » فأجابت فى شىء من الدلال : « لا ، ولكنى مضطرة للذهاب لحفلة ساهرة راقصة وقد افتقدت أحمر الخدود » فرد الصيدلى بشىء من البرود : « آسف جداً لأنى لا أحفظ عندى من أحمر الخدود ما يكفى لصبغ خديك »

أفإذا كان هذا الصيدلى فى احدى المناطق المذكورة وكانت هذه الآنسة من أفراد الالتزام أكان يستطيع أن يقابل طلبها البارد بمثل جوابه البارد ؟

متاعب الطبيب

ومن سوء حظ الطبيب أن كل ما يصرف للمريض سواء أكان نقوداً بصفة امتياز المرض أم دواء للمرضى لا يصرف الا بموافقته واعتماده . نعم ليس للمريض حق فى شىء لا يستحقه قانونا وليس للطبيب أن يصف للمريض الا ما يستحقه مرضه . ولكنه يخشى غضبه مما يسوقه الى ارضاء مرضاته باجابة طلباته من شهادات مرضية فى غير محلها ومن أدوية لا يقتضيها المرض

ولقد جد القوم لمعرفة سبب الزيادة فى طلبات امتياز المرض وامتياز عدم القدرة على العمل ، بتحريات حديثة أجراها مفتشو المناطق فى آخر سنة ١٩٣ . وقد حادثوا عدداً عظيماً من أطباء الالتزام فى جهات مختلفة بمناسبة الاحصاءات التى تدل على زيادة عدد المرضى العالين على هؤلاء المفتشين ، فقال لهم بعض الاطباء إنهم لا يستطيعون أن يمشوا مع مصالحهم خوفاً من ضياع مرضاهم

وادعى البعض أنهم يأبون أن يحرموا مرضاهم من مساعدة الصندوق بما اشتكوا من مرض أو من عدم القدرة على العمل

ولعل خوف الاطباء من ضياع مرضاهم هو السبب فى الاسراف فى وصف بعض المقويات وبعض المسهلات مما يعلم الاطباء أنه يستعمل لسائر أفراد العائلة . وكثيراً ما يمر المريض على طبيبه فيخبره أنه ليس مريضاً ولكنه يحتاج الى شىء للتقوية ، حتى لقد قال كبير من كبار المفتشين فى شمالى ارلنده فيما قاله من الملاحظات على نظام الالتزام فى سنة ١٩٣٢ : « إذا طلب المريض مقوياً فطلبه لا يدل على أنه مصاب بالانيميا وأنه يحتاج الى مركب حديدى ، أليست هذه اهانة للطبيب ؟ وأليست هذه الملاحظة أو الاهانة دليلا على جهل بعض القائمين بعمل التأمين الصحى ؟ » نعم ليس للمريض حق فى طلب المقويات . فاذا وجده طبيبه فى حاجة اليها فهو لا يتأخر فى وصفها له

ولئن كان الشىء بالشىء يذكر فلأذكر أن مرضى الالتزام يكرهون أن يحالوا على مفتشى المناطق ، ولذلك يخشى أطباء الالتزام احالتهم على المفتشين فى أحوال الاشتباه أوفى أحوال التمارض . وهنا يصح ان أقول إن هؤلاء المفتشين قد وضعوا فى النظام لمساعدة الهيئات المتعددة من جهة ولمساعدة أطباء الالتزام من جهة أخرى باعطائهم رأياً ثانياً فى أحوال الاشتباه . ففى الاحوال

النادرة التى يحيل فيها أطباء الاكتتاب المرضى على هؤلاء المفتشين يخشى الاطباء أن يعرف مرضاهم أنهم الذين أحالوهم . فقد حدث فى اجتماع لجنة الاكتتاب بلندن أن عرضت شكوى من طبيب خلاصتها أن الجمعية المتحدة التى كانت إحدى أعضائها مريضة عنده أخطرت الطبيب عن فحص الجمعية أنه هو الذى أحالها على مفتش المنطقة . ومن الصعب أن يفهم الانسان ما يقصده المشتكى من شكواه . وأصعب من ذلك أن يفهم الانسان ما وجه اهتمام اللجنة بهذه الشكوى اهتماماً عظيماً دعا لتقديمها الى السير والتر كينير (Sir Walter Kinnear) بوزارة الصحة . وقد حدث فى اجتماع ورستر (Worcester) فى ابريل ١٩٣٢ ، من أطباء التأمين ومواب الجمعيات المتحدة ، أن قدم الاطباء اعتراضاً على إخطار الجمعيات المرضى بأن أطباءهم هم الذين يرسلونهم الى مفتش المناطق . فهلا يدل ذلك على خوف الاطباء من مرضاهم وأن هم الاطباء هو إدراك رضاهم ؟

وما هو عدد المرضى المحالين على مفتشى المناطق فى الايام الاخيرة ؟ إن العدد يتجاوز نصف مليون كل سنة . وإن الاطباء يرسلون من هذا العدد نحو الثلث . فما عسى أن يخشى الاطباء ؟ إنهم يستطيعون أن يخبروا عدد الذين يحيلونهم بالثقة ثم يقولوا للمرضى إن الجمعيات المتحدة لا تثق بهم وهى المسئولة عن الاحالات . ومن مكر بعض الجمعيات تفهيم المرضى أن هذه الاحالات إنما يقصد بها زيادة العناية بأمرهم لأنها استشارات طبية

ومن ذلك يتضح أن المشروع فى تنفيذه ينطوى على كثير من الخوف والشكوك . وخير ما نختم به هذه المقالة تلك الحكمة الذهبية التى سمعتها من زميل الدكتور عبد الحميد حمدى المرابى عن المستر استيد محرر مجلة المجلات الانكليزية وهى :

Doubts and fears lead always to failure and they can never accomplish anything

---

حول « مذكراتى فى نصف قرن »

كنا نشرنا فى هلال ابريل الماضى مقالا عن الحياة الداخلية فى قصور اسماعيل ، بعث به الينا حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا من كتابه (مذكراتى فى نصف قرن) قبل أن ينشر . وقد أرسل الينا سعادة مصطفى باشا ماهر مدير المنيا سابقاً يصحح ما ورد فى هذا المقال من أن المرحوم محمد بك الناغى كان سفرجى الخديو اسماعيل ، والحقيقة أن عبد الحق بك كان سفرجى الخديو . أما محمد بك الناغى فقد كان الشماشرجى الخصوصى للمغفور له الخديو اسماعيل

وقد عرضنا هذا التصحيح على سعادة شفيق باشا فأقره وأذن بنشره . وهو يشكر سلفاً كل من يرشده إلى خطأ أو ملاحظة فى الجزء الاول الذى أصدره من هذه المذكرات

الاذاعة اللاسلكية

وتأثيرها في اللغة والادب

وسائل الاتصال

قسم الأديب الانجليزي هـ . ج . ولز تاريخ الانسانية الى خمسة أدوار :

(١) قبل الكلام (٢) الكلام (٣) الكتابة (٤) الطباعة (٥) الميكانيكا والكهرباء

وليست هذه الادوار في حقيقتها إلا الوسائل التي استطاع الانسان بها الاتصال بأخيه الانسان والتفاهم معه في شئون الحياة المادية والفكرية . ولم يكتف الذين على قيد الحياة منهم بالاتصال والتعاون بل عملوا بواسطة الأدب وبقية الفنون الرفيعة الاخرى على الاتصال بالاجيال اللاحقة فسجلوا أفكارهم وعواطفهم وأخيلتهم بل وطرائق معيشتهم . وبذلك ساعدوا تطور الانسانية كما حفظوا معظم تراثها على الاجيال والعصور ...

ونحن إذا حاولنا تطبيق هذه الوسائل التي ذكرها ولز على حواس الانسان نجد الكلام يعتمد على السمع في وصوله إلى العقل ونجد الكتابة والطباعة معتمدتان على النظر ، كما نجد بعض المخترعات الحديثة ـ في عالم الفنون ـ تعتمد على الحاستين معاً كالصور الناطقة التي تعرض على أبصارنا المناظر والأشخاص وعلى آذاننا الحديث والموسيقى ، إلا أن المخترعات الاخرى تقوم على احدى الحاستين كالتلغراف اللاسلكي والسلكي والتليفون والراديو ...

وكل مؤرخي الآداب متفقون على أن الكلام والالقاء كان لهما شأن كبير في العصور القديمة . فأنت تعرف كيف كان ينشد هوميروس الياذته في بداوة اليونان ، وتعرف كيف كان العرب يجتمعون في عكاظ يتبارون في القاء الخطب وإنشاد القصائد . ولعلك سمعت هؤلاء الشعراء الجوابين الذين يقصون على أبناء الريف أخبار الهلالية والزناتية وما اليها

واخترعت الكتابة وتطورت على الزمن من الصور إلى الرموز أو الحروف ونافست الكلام والالقاء وتغلبت عليهما لانهما ينعدمان بذهاب قائلهما أو سامعهما ؛ فاذا وجد من يرويهما فان تنقل الرواية في العصور يجعلهما عرضة للنقص والاضافة والتحريف . أما الكتابة فمحوطة في الاوراق والكتب ، باقية ما بقيت الاوراق والكتب ، يستفيد الناس منها ما ظلت اللغة التي كتبت بها

وجاءت الطباعة فأظهرت الكلمة المكتوبة على الكلمة الملفوظة ، فاذا بالخطباء والشعراء

والكتاب والعلماء وكل من له فكر من الافكار أو خلجة من الخلجات . . . إذا بهؤلاء جميعاً يعتمدون على الطباعة ، بل إن الخطيب إذا ألقى والشاعر إذا أنشد والعالم إذا حاضر لا يقتصر الواحد منهم على جمهوره من السامعين بل يرسل كلامه إلى الصحف أو يجمعها فى الكتب !

وكما ساعدت الميكانيكا والكهرباء الطباعة ومضاعفة الانتاج وسرعته ، كذلك ساعدت فى الوقت نفسه فى سرعة الانتشار والتوزيع أو قل ساعدت الناس فى سرعة الاتصال الفكرى والمادى . فاذا كان الناس قد استطاعوا السفر بأجسامهم ومتاعهم من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر فكذلك استطاعت أفكارهم أن تعبر المحيطات وأن تصعد الجبال وأن تنحدر فى الاودية والسهول .

والمخترعات لم تساعد الكلمة المكتوبة أو المطبوعة وحدها وإنما ساعدت الكلمة الملفوظة أيضاً ، ساعدت بتسجيل الاصوات فى الفونوغراف وانتقالها فى الاسلاك وطبقات الهواء .

وعلى هذا فان أهم أثر للاذاعة اللاسلكية فى الادب سيكون من غير شك غلبة النهوض بالكلام على حساب الكتابة والطباعة .

اللغات والاذاعة

ولا يغرب عن [illegible] أن [illegible] حاولت تخطيط الحدود التى كانت تفصل الجماعات اللسانية بعضها عن بعض ، [illegible] كانت [illegible] ولا [illegible] من أكبر العوامل فى [illegible] الناس وتنازعهم . بيد أن المنافسة بين اللغات [illegible] فكان لا [illegible] من تغلب إحدى اللغات ولعلها كانت لغة السادة أو الحكام أو الفاتحين [illegible] من [illegible] كانت لغة المتغلبين تسود بسيادة أصحابها . ومثال ذلك [illegible] اللاتينية فى [illegible] فى [illegible] ، [illegible] اليونانية ثم العربية فى الشرق ، إلا أن اللغات الاخرى لم تندثر [illegible] فى حدود [illegible] التى تتعلق بها . واللغات فى صراعها كالامم والافراد ، تؤثر كل واحدة منها فى الاخرى بالذات أو بالواسطة . وجرت العادة أن تكون اللغة الغالبة لغة الادب والثقافة ، أو بعبارة أخرى لغة الكتابة والتأليف . كما تصبح اللغة المغلوبة لغة الكلام والحديث لغة الحياة اليومية فى المنازل والاسواق .

ومن هنا نشأت هذه المشكلة التى لا تزال قائمة فى معظم الامم والتى تختلف قوة وضعفاً باختلاف البيئات والثقافات ، وهى الفرق الواضح بين لغة الكتابة ولغة الحديث أو كما نعرفها نحن فى مصر والشرق العربى ، الفرق الواضح بين اللهجة الفصحى واللهجة العامية .

ومن البديهى أن الاذاعة اللاسلكية لا تقوم على اللغات المحلية وانما تقوم — فى أغلب الاحيان — على اللغات الغالبة الواسعة الانتشار وهى بعينها — كما أوضحنا — لغات الثقافة والادب .

ومن البديهى كذلك أن الراديو ينتشر بسرعة عظيمة جداً من بعض طويل وقت حتى نرى أجهزة الراديو تتغلغل فى الريف كما تغلغلت فى المدن ، وسيكون لهذا نتيجته المنطقية المعقولة وهى

نحو هذا الفرق — بالتدريج — القائم بين اللهجات الفصحى واللهجات العامية

وليس من شك فى أن ألسنة العامة ستقومها هذه الاذاعة لانهم سيعملون على محاكاة الراديو — راغبين أو كارهين — فى نطق الالفاظ ، كما أنهم سيأخذون منه الكثير من الجمل والتعابير ، وبهذا يتخلصون شيئاً فشيئاً من خصائص لغاتهم المحلية

أثر الاذاعة فى الخطابة

وكانت الخطابة فى دور الكلام — ولنأخذ تعبير ولز — هى الوسيلة الاولى فى الاقناع والتأثير ، وكان الوعظ الدينى لايقوم إلا عليها ، كما كانت المنافسة السياسية لا تجد ماتعتمد عليه سواها ، ولكنها بعد ظهور الطباعة والصحافة ضعفت شيئاً فشيئاً ، ولم تكن تنتعش إلا فى أوقات الثورات ، كما كانت تستيقظ فى زمن الانتخاب وما اليه من المناسبات التى تدعو العامة إلى الاجتماع . وقد فقدت مكانتها الرفيعة التى كانت لها بين الانواع الادبية ، فلما ظهر الراديو قوى هذا النوع الادبى واشتد ساعده . فانت اذا قرأت الصحف اليومية تقرأ أن هتلر خطب أنصاره فى الراديو وأن لويد جورج تحدث الى الناخبين فى الراديو وأن ... وأن ... والخطب التى تلقى فى المؤتمرات الدولية العامة تذاع على الملايين بواسطة الراديو . وليس علينا الآن إلا أن ننتظر قليلا حتى نسمع ونحن جلوس على مقاعدنا الوثيرة المريحة وفى غرفنا الدافئة الهادئة خطب موهوبين لا يقل أى أحد منهم فى شىء عن ديموستين وشيشرون وسحبان !

وما نقوله عن الخطابة نقوله عن شقيقتها المحاضرة التى لم تصبح مقصورة على المعاهد والجمعيات العلمية ، بل اتسع نطاقها بفضل الراديو وأصبحت ربة المنزل تسمع محاضرات فى التدبير المنزلى كما يسمع زوجها المحاضرات فى العمل والعلم ، ومن ثم وجدت السلطات التى تقوم على الصحة العامة وسيلة إيجابية نافعة فى نشر الدعوة الصحية

أثرها فى الشعر

وأثر الاذاعة اللاسلكية فى الشعر أكبر من أثرها فى الخطابة والمحاضرة ، ذلك لان الشعر كان قد أصبح فناً أثرياً قلما يعنى به الناس لغلبة التفكير المادى على العاطفة وسيادة الحياة الميكانيكية على الحياة الروحية ، ولكن كلما بعد عهد الناس بالحرب الكبرى وآثارها ونتائجها عادوا الى المتاع الروحى يلتمسونه عند الفنانين من الموسيقيين والشعراء والرسامين . آية ذلك هذه الانتعاشة التى نشاهدها فى جميع ميادين الآداب والفنون حتى بات الذين كانوا يظنون أن دولة الادب قد دالت وأن العلم التجريبى المادى هو كل شىء فى هذا العصر ، يؤمنون بأن آثار الحرب الكبرى — كآثار كل حرب — وقتية تزول بزوال مؤثراتها ، وأن شعور الانسان هو شعور الانسان فى كل زمان لايمكن أن يصيبه التغير أو الفناء

عاد الناس يهتمون بالشعر اداً فلم يكن بد للذين يقومون على الاذاعة اللاسلكية من أن يساهموا في احيائه ، وقد قامت شركة الاذاعة البريطانية بالتجارب والتحريات ، فصح لها أن الناس على عهدهم في الاهتمام بالشعر ، ولما كان لابد من الالقاء والانشاد فقد ظهر الشعر الغنائي بمقطوعاته القصيرة ثم زاوجوا بين الشعر والموسيقى واختاروا ذوى الاصوات السليمة لالقاء الشعر

والشعر العربي سيتأثر بالاذاعة اللاسلكية ، ما في ذلك شك ، فعلى الشعراء أن يوجهوا عنايتهم الى «الشعر اللاسلكي» ـ اذا صحت هذه التسمية ـ الذى يعتمد على التأثير والموسيقى والعاطفة . ونحن نميل الى أن شعراء المعاني لن يجدوا النجاح الذى سوف يجده شعراء العواطف والاخيلة والاوزان

الدرامة في اللاسلكي

وتصر الاذاعة اللاسلكية على أن تغزو الدرامة وأن تخرج للناس لوناً جديداً من ألوان الادب الدرامى لايهتم بالمناظر والاضواء وانما يهتم بالحوار والموسيقى

والدرامة اللاسلكية تعتمد على الأذن وحدها . ومن هنا تحدث الى الاوبرات وقد نجحت في إذاعتها من غير كبير عناء . وبهذا بعثت المسرحيات الغنائية الموسيقية بعد أن ظن البعض أنها ماتت ولن تعود

وكان المسرح في أوائل هذا القرن قد انتصر في الدرامات الاجتماعية التي حمل لواءها أمثال «إبسن» و «برنارد شو» ولكن هذه الدرامات [illegible] على المسرح [illegible] ظهور النجاح الذى كان وقفاً على درامات الحركة والمفاجأة أمثال [illegible] . [illegible] أن الاذاعة اللاسلكية وجدت ضالتها المنشودة في هذه الدرامات الاجتماعية لانها تقوم على الحوار وهو العنصر الاساسي في الراديو

ومن هنا يحق للذين كانوا يتشاءمون من انتهاء مسرح العرب في اعتماده السابق على الصخب والضوضاء لاثارة الغرائز ، أن يتفاءلوا لان اللاسلكي لا يمكن أن يعتمد الا على الدرامات الهادئة التي تسعى جهدها لتحليل نفسية عامة والكشف عن نزعاتها ، أو حل معضلة اجتماعية عن طريق الحوار . ولن يكون للاشارات «والبانتوميم» أثرها القديم . ولذلك لن ينجح من الممثلين للدرامة اللاسلكية الا من صفا صوته وعرف كيف يتحدث بما يريد أشخاص الدرامة أن يتحدثوا

وقد نجح في أوربا وأمريكا نوع من الادب الدرامى لا نستطيع أن نصفه بالسمو ، ذلك لانه يعتمد على فكاهة الحديث ، أو بعبارة مصرية يعتمد على «النكتة» والتلاعب بالالفاظ . وهذا النوع الشعبي لو اتجه اليه الراديو المصرى نجح فيه نجاحاً لا حد له . ولئن كانت السينما الناطقة قد دعت بالشبان والملحنين والمؤلفين والممثلين الى الالتجاء اليها فان أمامهم ميداناً جديداً عليهم أن يقتحموه وهو ميدان «الراديو دراما» ، كما ان على المخرجين أن يتجهوا الى اخراج هذا الفن الادبي وأن

يدرسوا دقائقه وتفاصيله ، فقد ألفت الكتب الكثيرة فى هذا الباب باللغات الأوربية التى يحـذقها الكثيرون من أبنائنا

القصة ونقد الكتب

وقد اهتم الاوربيون الذين يقومون على الاذاعة اللاسلكية ببقية الفنون الادبية الاخرى ، فلم يغفلوا القصة واختاروا الأقصوصة الصغيرة الواضحة ذات المغزى التى لا يقصد بها المؤلف إشباع شهوة الكتابة فى نفسه وإنما يقصد بها الوعظ الخلقى أو الدينى أو الاجتماعى . كما أذاعوا الاقاصيص الفكهة والصور الادبية والكاريكاتير ، الخفيفة المحببة الى النفوس

وو جدت الاخبار الصغيرة بذرة صالحة فى ميادين السياسة والاقتصاد ، فكان الراديو لا يفتأ يشير كل يوم إلى المبتدئين أو الراحلين أو المتوفين من عظماء السياسة ورجال المال والاعمال

وفى انجلترا باب يجب ألا ننساه فى مصر ، وهو باب التعريف بالكتب الجديدة ونقدها ، فان هذا الباب يساعد على نشر الثقافة ، ويعمل على التوازن بين القراءة والاستماع . فما لاشك فيه أن الاذاعة اللاسلكية قد قللت من عدد القارئين وأن الراديو قد أخذ يحل محل الصحيفة والكتاب

والنقد — إذا كان لابد من النقد — الذى يمكن توجيهه إلى الأدب اللاسلكى بصفة عامة هو بعينه النقد الذى وجه إلى الصحافة من زمن بعيد ، وهو أن الراديو شىء لا يؤمن بأدب الخواص وأشباه الخواص وإنما يميل إلى أدب السوقة ، أو بعبارة أدق ، يميل الراديو إلى الأدب الديمقراطى الذى يعنى بالكم ولا يعنى بالكيف

* * *

ويجب علينا قبل أن نختم هذا البحث أن نطالب من القائمين على المحطة الحكومية الجديدة أن ينظروا فى هذه الاتجاهات وأن يحترموا الأدب فى برامجهم التى سوف يذيعونها كل يوم أو كل أسبوع. فمن حقى ، بل من حق كل مصرى مثلى ، أن يسمع قصائد الشعر التى تهز المشاعر كما يسمع الخطب التى تحرك القلوب ، بل وكما يسمع الدرامات الاجتماعية والموسيقية التى تؤثر فى النفوس وتهذب الاخلاق . عليهم أن يقتفوا آثار الغرب فى هذا السبيل مع العناية بدراسة نفسية الشعب المصرى ورغباته وميوله واحتياجاته ، فالاذاعة اللاسلكية لا تقوم على من يذيعها وإنما تقوم أولا وقبل كل شىء بمن يسمعها ويحاول الاستفادة منها . . .

عبد الحميد يونس

احد اعضاء ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نابوليون الزنجي المجهول

[خلاصة مقالة نشرتها مجلة المعرفة
لـ... بيرز ، لاثنين من المؤرخين الانجليز]

جزيرة «هايتي» هي احدى جزائر الانتيل الكبرى الواقعة بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية غرب الاوقيانوس الاتلانتيكي – استعمرها الفرنسيون مدة وكان لاحدهم بها عبد زنجي يدعى هنري كريستوف ولد سنة ١٧٦٦ وانتظم في سلك الجيش الفرنسي الذي كان في المستعمرة فأظهر شجاعة ومقدرة فائقتين واخلاصاً للفرنسيين حمل هؤلاء على ترقيته إلى رتبة قائد (جنرال) على الجيش المستعمرة . وذلك في مدة حكم «دسالين» . وشبت نار الثورة في الجزيرة وقام الأهالي يطالبون بالاستقلال فطردوا الفرنسيين سنة ١٨٠٧ وأصبح هنري كريستوف رئيساً للجزيرة وقائداً عاماً للجيش . ثم أخذ بعد ذلك يقصي جميع منافسيه والذين كان يخشى بأسهم . وفي مارس سنة ١٨١١ نودي به ملكا واتخذ لنفسه لقب هنري كريستوف الاول

ولما استتب له الامر استبد بالرعية واخذ يظلم الشعب ويحكمهم بالارهاب حتى بلغ عدد ضحاياه الالوف . ومع أنه كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة فقد شجع العلوم وأنشأ المدارس وقام باصلاحات كثيرة . ولم يكن غروره ليقف عند حد فكان يرتكب من أعمال الظلم والقسوة ما تشيب منه الشياطين . وكان دائماً يخشى أن يعود الفرنسيون الى الجزيرة فينتقموا منه . ولذلك شرع في بناء قلعة حصينة لا تزال تعرف الى هذا اليوم باسم قلعة «لافيريه» (La Ferrier) وكان مغرما بتقليد نابوليون في ثيابه وحركاته وسكناته . ولذلك لقب في كتب التاريخ بنابوليون الزنجي

أما قلعة «لافيريه» المذكورة فواقعة في الجزء الشمالي من الجزيرة ولكنها قلعة لا يعرفها الا القليلون . قيل انه لم يفرغ من بنائها الا قبيل وفاة هنري كريستوف بقليل وانه هلك في بنائها عدد من العمال قدره بعض المؤرخين بعشرة آلاف وقدره غيرهم بعشرين الفا . ولا يتسع هذا المجال لوصف تلك القلعة ، وانما نقول انها من أمنع قلاع العالم ويزيدها مناعة موقعها الطبيعي . ووضع بها هنري كريستوف ٣٦٥ مدفعا – بعدد أيام السنة – وأكثرها من المدافع البرونزية التي استولى

عليها عند الثورة . وكان بعضها مدافع ضخمة جداً جرها الى موضعها العالي ألوف من الجنود والأهالي . قيل ان هنري كريستوف أبصر ذات يوم مائة رجل يحاولون عبثاً أن يجروا أحدها وقد أخذ منهم الجهد كل مأخذ فعجزوا عن تسلق الجرف . وألقى بعضهم بحباله على الارض قائلين انهم عاجزون عن القيام بتلك المهمة . فما كان من «جلالته» إلا أن أطلق الرصاص على كل رجل رابع منهم وأمر الباقين بانجاز العمل . وعبثاً حاول هؤلاء أن ينجزوه فان أجسامهم كانت تتصبب عرقاً وهم يلهثون من شدة الاعياء . فصوب جلالته غدارته مرة ثانية اليهم وقتل كل رجل ثالث من الباقين . وتوعدهم بلحاقهم برفاقهم إن لم يقوموا بالعمل . ولا تسل عما بذلوه من الجهد لاجباره

وتروى عن هذا الرجل روايات تدل على أنه كان مجنوناً . فقد شيد لنفسه خلاف القلعة قصراً فخماً سماه «سان سوسي» . وأحاط نفسه بالخدم والحشم والاعوان ومنح الرتب والالقاب الغريبة «كسمو أمير الضلع» و «صخامة كونت الكأس» و «دوق المارملاد» (المربى) و «دوق الليموناده» وما إلى ذلك . وكان أثاث القصر من أفخر ما أخرجته معامل أوربا . وأرض جميع الغرف من الرمر النقي وخشب «الماهوجني» . وتحت القصر جدول ماء جار لترطيب الجو وتبريده

ولا يزال القصر والحصن باقيين حتى الآن خاويين خاليين إلا من الوطاويط التي تملأ جوهما في الليل . ويقال إن هنري كريستوف جمع ثروة لا تقل عن ثلاثين مليون دولار لا تزال كنزاً مطموراً في احدى غرف القلعة . ويشك الكثيرون من المؤرخين في تصديق هذه الرواية

ومما يروى عن هذا الرجل أنه كان يستخدم الكثيرين من الاوربيين في الاعمال الهندسية وفي كل ماله علاقة بتدريب الجيش . فاذا أراد المرونة ان يلازم اتهمهم بالجاسوسية وبأنهم يرمون بيع الخرائط الحربية المتعلقة بمملكته للدول الاوربية فيأمر بقتلهم سراً . وكان يطلب نفساً بقتل الارقاء ويلهو برؤية دمائهم . وكثيراً ما كان يأمر باخضاع أعدائه حتى يموتوا أو يوثق أيديهم وأرجلهم ويطرحهم طعاماً لكلاب البحر الشرسة . قيل ان أحد المهندسين قال له ذات يوم انه فرغ من بناء الغرفة السرية المخصصة لايداع كنوزه وأمواله . فما كان من الملك الا أن جرد سيفه وأغمده في صدر ذلك المهندس البائس ثم دفعه يتدحرج على جرف هار . لانه كان يخشى ان هو أبقاه حياً أن يبوح للناس بأمر الغرفة ويدلهم عليها . وأمر مرة أحد ضباطه أن يجرد سيفه ويغمده في صدر زوجته وصدر أولاده ليلهو بموتهم . فلم يستطع ذلك الضابط المسكين أن يعصي أمره

وأخيراً طفحت كأس معاصي الرجل وظلمه . وكان قد أصيب بشلل جزئي . فشق الناس عليه عصا الطاعة وزحفوا على قصره يرمون تمزيقه . فلما رآهم هاجمين عليه تناول غدارتيه فصوب احداهما الى دماغه والاخرى الى قلبه وأطلقهما فخر صريعاً ومات لساعته . وكان آخر أعماله الدالة على جنونه أن الرصاصتين اللتين أطلقهما على نفسه كانتا من ذهب لانه لم يرد أن يموت كما يموت الناس عادة . وكانت وفاته سنة ١٨٢٠ أي قبيل وفاة نابوليون بونابرت الذي أولع بالتشبه به بسنة

معجزات لورد

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
لورنتون . بقلم حامد عيان]

في مقاطعة « البيرينيه العليا » التابعة لفرنسا بلدة تسمى « لورد » مشهورة بما يقع فيها من المعجزات . ويحج اليها المصابون بالأمراض المستعصية من جميع أنحاء العالم ويقدر عددهم بنحو مليون نفس في العام . ويؤخذ من البيانات التي يعول عليها أن نحو ٩٩ في المائة من هؤلاء الحجاج انما يؤمون « لورد » طلباً للهدى الروحاني لا رغبة في الحصول على الشفاء فقط . ويبلغ عدد المصابين بالأمراض الخطرة منهم نحو عشرة آلاف في العام ، ينال نحو مائة وخمسين منهم الشفاء التام ، ويعطيهم أطباء لورد شهادات بأنهم قد شفوا من أمراضهم . وتدل حكايات مرضهم وشفائهم على ان نيلهم الشفاء لم يكن سوى معجزة حقيقية . مع ان الحوادث التي من هذا القبيل نادرة نسبياً ولكن العبرة في مثل هذه الحالات ليست بالعدد النسبي بل بالحدوث في حد ذاته

يبدأ الحجاج يفدون إلى لورد منذ منتصف شهر مارس قبل أن يذوب الثلج الذي يكسو قمم التلال المحيطة بهضبة البلدة . ويجيء القوم من آسيا وأوربا وأميركا وبينهم الفرنسيون والاميركيون والانجليز والايطاليون والاسبانيون واليابانيون والصينيون وغيرهم من جميع أنحاء المسكونة

وعندما يصل الحجاج إلى لورد يستقبلهم عمال متطوعون بارشاد جمعيتين فرنسيتين كاثوليكيتين . وهاتان الجمعيتان تضمان أمراء ونبلاء وأشرافاً وأساتذة ومعلمين ومستخدمين . وبينهم ممرضات وطباخات وعاملات قد تطوعن للخدمة مجاناً

وتبدأ القطارات في الوصول إلى لورد منذ الساعة الرابعة صباحاً وفي كل قطار بضع مئات من الحجاج . فيستقبلهم المتطوعون والمتطوعات وينقلون المرضى منهم في مركبات خاصة إلى المستشفيات . ومما يجدر بالذكر أن المرضى يوضعون في تلك المستشفيات معاً سواء أكانت أمراضهم معدية أم غير معدية . فترى المصدورين والمسلولين والمتقولين والمصابين بالأمراض الزهرية ، ينامون في غرف عامة معاً لا يفصل بينهم شيء ولا يحاذرون خطر العدوى . وقد تجد بينهم أشخاصاً هم أقرب إلى الخيال منهم إلى الحقيقة لأن الامراض لم تبق منهم سوى أنفاس تتردد في أجسام بالية . ومع شدة تعرض أولئك البائسين للعدوى فان أطباء لورد يؤكدون انه لم يقع هنالك أي حادث من حوادث العدوى . وقد كتبت مرة إحدى الممرضات الانجليزيات تقول : « انا نسر ها بمناعة الميكروبات . ولم يستطع أحد أن يثبت وقوع حادث واحد من حوادث العدوى عندنا »

يبدأ سيل الزوار في الاتجاه الى كهف لورد (الجلالية) منذ الساعة السادسة من صباح كل يوم .

وينقل كل مريض على لوح من خشب يسير على دواليب (عجلات) وعند الوصول إلى الكهف يقف القوم خارجاً يصلون وينشدون الأناشيد الدينية وأعينهم شاخصة إلى تمثال « سيدة لورد » الرخامي . ويطيل بعضهم التحديق إلى ذلك التمثال حتى يخيل إليهم انه يبتسم لهم ويحني رأسه قليلا .
وفي الساعة العاشرة صباحاً تفتح الحمامات أبوابها للمرضى . وهذه الحمامات ثلاثة : منها واحد للرجال واثنان للنساء . ولا يسع كل حمام سوى ثلاثة أشخاص معاً . ولا يتغير الماء الا مرة في اليوم

أما كنيسة روما فليس لها في معجزات لورد رأي رسمي الا أنها تعترف بحصول تلك المعجزات وتعزوها إلى قوة مريم العذراء . ولكن كهنة لورد لا يفتأون ينصحون لجميع الذين يحجون ذلك المكان ان يلتمسوا رحمة الله والهدى الروحي لا المعجزات المادية . ومع ذلك فان حديث القوم هنالك لا يدور الا على محور واحد وهو المعجزات

وفي سنة ١٨٨٧ أنشىء في لورد مجمع من كبار الاطباء لفحص المعجزات واصدار بيانات وشهادات بشأنها . ويضم هذا المجمع اليوم عشرة أو اثني عشر من كبار الاطباء يساعدهم الكثيرون من الرهبان والاعوان من جميع النحل والاجناس ويطلع على تقاريرهم جماهير كثيرة من الاطباء . ويقف الاطباء عند الكهف (حيث يقال إن العجائب تقع) فكلما شفي مريض شفاء عجيباً حملوه للحال وذهبوا به إلى المستشفى حيث يفحصونه فحصاً دقيقاً بجميع الوسائل الحديثة من أشعة « اكس » وخلافها . وبعد الاطلاع على تاريخ مرضه وسيره والتدقيق في جميع العوامل الملابسة له يصدر مجمع الاطباء شهادة رسمية على أحد الأوجه الآتية :

(١) فاما ان تشتمل الشهادة ان العليل كان مصاباً بمرض هستيري — وفي هذه الحالة لا يعتبر شفاؤه معجزة

(٢) أو أن الشفاء ليس تاما حتى الآن وانما هو تحسن محسوس

(٣) أو أن المرض الذي شفي منه كان قابلا للشفاء بالطرق الطبية فلا يصح القول بأن الشفاء كان اعجوبة

(٤) أو أن المرض كان مستعصياً غير قابل للشفاء وقد زال زوالا تاما بطريقة خارقة للطبيعة . وفي هذه الحالة يطلب من العليل أن يعود بعد سنة ليفحصه الاطباء مرة أخرى فاذا اتضح لهم ان المرض قد زال نهائياً أصدروا شهادة رسمية بأن الشفاء كان معجزة بالمعنى الفعلي . وفي هذه الحالة يعلن اسقف « الابرشية » حدوث المعجزة بناء على شهادة الاطباء

ومما يروى من هذا القبيل ان فتاة تسمى اليزابيث دلو ذهبت إلى لورد في سنة ١٩٢٦ وكانت مصابة بسرطان في المعدة قد سد البيلورا (فتحة المعدة السفلى) فتولدت عنه أورام في الكبد . ولما فحصها الاطباء بأشعة اكس حكموا بالاجماع بأنها غير قابلة للشفاء . إلا أنها لما استحمت في لورد شعرت وهي في الماء بآلام مبرحة عقبها راحة تامة . فلما خرجت من الماء كانت قد نالت الشفاء التام

ومن ذلك أيضا ان رجلا يدعى جبرائيل جرجام زار لورد فى سنة ١٩٠١ وكان مصابا بشلل فى وسطه ناشىء عن اصابته وهو مسافر بالسكة الحديدية ذات يوم ، اذ صدمت القاطرة وجرح الكثيرون من الركاب واضطرت شركة السكة الحديدية ان تعين له معاشا سنويا مدى الحياة على سبيل التعويض . وكان عموده الفقرى قد التوى بسبب تلك الصدمة وخرجت احدى الفقرات من موضعها . ولما زار لورد شفى من اصابته شفاء تاما . ولا يزال يزور تلك الكعبة فى كل عام وفاء لنذره أن يخدم المرضى الذين يحجون الى هنالك

ومن أغرب معجزات لورد ان جنديا انجليزيا يدعى جون ترايبور أصيب بالشلل والصرع فى الحرب العظمى الماضية ففرضت له الحكومة الانجليزية معاشا يتقاضاه مدى العمر . الا أنه زار لورد ونال الشفاء التام . ومع انه نبه الحكومة الانجليزية الى كونه قد نال الشفاء فلا تزال الحكومة تدفع له المعاش المقرر . لانه لايزال فى نظرها من مشوهى الحرب !

والشهادات الرسمية المؤيدة لوقوع حوادث من هذا القبيل كثيرة متنوعة . وهذه الحوادث أقرب الى المعجزات منها الى أى شىء آخر . وقد رد الدكتور أوجست فاليه مرة (وهو رئيس أطباء مجمع لورد سابقاً) على انتقادات المعترضين الذين لا يؤمنون بمعجزات لورد فقال : « ان حوادث الشفاء التى تقع فى لورد هى عمرة وقف أو تعطيل موقت لنواميس الطبيعة بقوة خارقة هى فوق تلك النواميس . أما واضع الطبيعة ونواميسها فهو الله . وعليه فلا مناص لنا من التسليم بان القوة التى تعطل تلك النواميس مؤقتاً هى الله » .

وكتب الكاهن جون لا فارج الامريكى فى مجلة أميركا يقول : « ان الذين يؤمنون بوجود الله لا يحتاجون الى أى تعليل يشرح لهم كيفية وقوع تلك المعجزات . أما الذين لا يؤمنون فلا يقبلون أى تعليل »

هل الحرب تجلب الرخاء

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة دي
كنتري هوم، للاستاذ جون فلين]

يفكر البعض فى هذه الازمة الاقتصادية الحالية فيقولون لو أن حرباً وقعت غداً لزالت البطالة من البلاد ولوجد كل فرد من الناس عملا يدر عليه الارباح ولاشتغلت مصانع النسيج والثياب والاحذية والماكولات وغيرها فضلا عن معامل المؤونة والذخيرة والاسلحة . وإنك لتسمع كيفما توجهت حديثاً بهذا المعنى سواء فى مجتمعات العقلاء وفى مجالس العامة . وقد كتب أحدهم يقول :

« كما أدرنا الطرف نرى الملايين من العمال العاطلين . وليست شرور البطالة أقل من شرور الحرب » فانك اذا حادثت بعض الجنود الذين خاضوا غمار الحرب الماضية وهم اليوم عاطلون من الاعمال قالوا لك انهم يفضلون أن يخوضوا أوحال الخنادق وميادين القتال على أن يجلسوا في عقر دارهم بلا شغل ولا عمل . نعم انهم لا يفضلون الحرب على السلام ولكنهم يفضلونها على البطالة »

وكتبت مجلة أميركية أخرى تقول : « لن ترفع أسعار القمح في العالم الا الحرب »

أمثال هذه الاقوال تدل على أن الناس في الازمة العصيبة يتجردون من كرههم للحرب . ومن دواعي الأسف أن الذين بأيديهم مقاليد الامور ينتقلون من تجربة الى أخرى محاولين اصلاح الاحوال فيفشلون المرة بعد الاخرى ويستولي عليهم اليأس فيركبون متن الشطط ويحيدون عن جادة الحكمة والروية . ومثل هذه الحال شديدة الخطر جداً لانها تقوي في صدور الناس الميل الى الحرب . والعقلاء البعيدو النظر يعلمون ان الحرب لا تجلب الرخاء

ورب معترض يقول : « ان الحرب الماضية جلبت الرخاء . فلماذا لا تجلبه اذا وقعت مرة أخرى ؟ » . الجواب عن ذلك بسيط وهو : لما وقعت الحرب الماضية كانت دول أوربا غنية جداً وكان في وسعها شراء جميع ما تنتجه المعامل من أسلحة وذخائر ومأكولات وملبوسات . ولم تنقض على تلك الحرب سنة حتى بدت آثار الضعف المالي تبدو على الدول المتحاربة ومع ذلك استطاعت أن تستدين مئات الملايين من الجنيهات لمواصلة الحرب

وانضمت أميركا في تلك الحرب [illegible] رواج دولاب الاعمال في الولايات المتحدة رواجاً منقطع النظير حتى اضطرت المعامل على اختلاف [illegible] استخدام النساء لسد حاجات الجيش والحلول محل الرجال في [illegible] واستدانت الدول من أميركا أموالاً وفيرة وانفقتها في أميركا نفسها ثمن المواد والاسلحة والذخائر والسلع التي اشترتها . وقد انقضت اليوم الحرب ولم يبق في أيدي الدول الدائنة سوى سندات هي أقرب شيء الى « قصاصات أوراق » . ويبلغ الدين الذي لاميركا على الدول بموجب هذه « القصاصات » نحو ألفي مليون جنيه فضلاً عن ديون دولية أخرى تطلب أميركا . فاذا فرضت وقوع الحرب مرة أخرى فهل في خزائن الدول الاموال اللازمة لشراء ما يحتاج اليه المتحاربون من سلاح وذخيرة ومأكول وملبوس ؟ واذا لم يكن عند الدول الاموال النقدية اللازمة فكيف يروج دولاب الاعمال وكيف يعود الرخاء ؟

ان معظم الدول هي اليوم على شفير الافلاس لا تستطيع ايفاء ما عليها من الديون ، وبعضها قد انكرت ديونها وأبت ايفاءها فقضى ذلك على سمعتها المالية وضاعت الثقة بها . فهل الحرب في مثل هذه الحال تجلب لها الرخاء ؟ لا شك أنه إذا وقعت الحرب الآن زاد الضيق والخراب وكانت العاقبة وخيمة جداً . والشيء الوحيد الذي يمكن أن تسفر عنه الحرب والحالة هذه هو تراكم الديون والقضاء على البقية الباقية من الثقة بالدول وبموقفها المالية

البحر ينبوع الحياة وقبر الاحياء

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة لورنجيس
تايمس . بقلم الاستاذ راتسوم ستون]

هنالك باعثان يعللان ميل الانسان الى البحر واغتباطه بمرآه (أولهما) أن بين دم الانسان وماء البحر صلة وثيقة (وثانيهما) أن بين تتابع المد والجزر من جهة والفترات التي تقع فيها المواليد من جهة أخرى علاقة محسوسة . ولشرح ذلك نقول إن علماء البيولوجيا قد حللوا دم الانسان وماء البحر فوجدوا العلاقة وأوجه الشبه بينهما قوية جدا ونسبة الاملاح في كل منهما واحدة والاملاح نفسها متماثلة فاستدلوا من ذلك على أن ماء البحر هو أصل دم الانسان

أضف الى ذلك أن فترات التوالد عند البشر خاضعة لنواميس قائمة على تتابع حركتي المد والجزر . وهاتان الحركتان خاضعتان كما لا يخفى لحركات القمر الاسبوعية . وحياة المخلوقات الحيوانية البحرية المجاورة للسواحل خاضعة كل الخضوع للمد والجزر . فبيض تلك الحيوانات يوضع في الفترة التي تتخلل المد والجزر وتتفقس عند حدوث أمد ثابت لا تقله ولا تعدوه . ولو تم التفقس في غير ذلك الميعاد ما لبثت الصغار أن تموت . واذا لم يتيسر للبيض أن يتفقس عند وصول موعده أطالت له الطبيعة المهلة فترة أخرى أو فترتين أو أكثر . وكل فترة هي مدة كاملة تقع بين المد والجزر بحيث إنه لا يحدث أي تفقس قبل انتهاء فترة كاملة . ويقول العلماء إن الماء هو مصدر كل مخلوق حي . وبناء عليه تكون حركات جميع المخلوقات الحية خاضعة لنواميس حركات القمر لا لنواميس حركات الشمس . والقمر يتحكم في المواليد ومواعيدها بوجه عام

ولوجود العلاقة التي أشرنا اليها بين ماء البحر ودم الانسان نرانا نطرب دائمًا لرؤية البحر ولسماع عجيج أمواجه . ومنذ عهد قريب شرع العلماء في سبر مياه البحار ودرس الخلائق التي تسكن في أعماقها والاحراج والغابات والكهوف والجبال والاودية التي فيها . وقد ثبت الآن أن بعض تلك الغابات هي منذ العصر الجيولوجي المعروف بالكمبريان وان النباتات التي فيها لم تتغير حتى الآن لان مياه الاوقيانوس لم تتغير

ولعل أعظم تلك الغابات هي الكائنة في قاع المحيط الباسفيكي على كثب من سواحل كاليفورنيا . ويبلغ ارتفاع بعض أشجارها نحو مائة وثلاثين أو مائة وأربعين مترًا أي انها تشابه في ارتفاعها أعلى أشجار السكويا التي توجد في كاليفورنيا . ولاغصان الاشجار البحرية المذكورة أكياس صغيرة تشبه فقاقيع الماء وهي ملأى بغاز لطيف جداً يجعل الاغصان منتصبة دائمًا ومتجهة الى العلاء . ولو أتيح للانسان أن يمشي في قاع الاوقيانوس بين أشجار تلك الغابة الكثيفة لظن أنه في حلم مفزع

ورأى من الحيوانات المائية الغريبة ما لا يقع تحت الحصر وبعضها يرجع الى العصور الجيولوجية الخالية ولم يؤثر فيها ناموس التطور كثيراً لان بيئتها لم تتغير عما كانت عليه منذ ألوف الاحقاب

وقد اكتشف العلماء في منتصف قاع الاوقيانوس الباسفيكي صحراء كبيرة جداً تمتد من خط الاستواء شمالا الى منتصف الطريق بين اليابان والولايات المتحدة . وليس في هذه « الصحراء » أسماك أو حيوانات بحرية لان قلة المادة الفوسفورية فيها تبعد هذه الحيوانات عنها

وقد قام العلماء حديثاً بعدة تجارب علمية لمعرفة المدى الذي يصل اليه نور الشمس في البحر . فوجدوا أن هذا النور لا يخترق ماء البحر الى عمق أكثر من مائتي قدم ، وأن البحر بعد ذلك العمق ظلمات بعضها فوق بعض الا ما ينبعث فيه من اشعاع بعض الحيوانات المائية الغريبة . وفي الواقع أن بعض تلك الحيوانات أشبه بمصابيح كهربائية تنبعث منها أنوار تجعل منظر البحر على ذلك العمق مخيفاً رائعاً . ومصدر تلك الانوار تيارات كهربائية تتولد في أجسام الحيوانات . وبعضها يشع اشعاعاً عظيماً جداً بحيث يمكن قراءة أدق أنواع الكتابة على نورها . وبين تلك الحيوانات طائفة تنبعث عنها جميع الاشعة الضوئية من بنفسجية وزرقاء وخضراء وصفراء وبرتقالية وحمراء

أما ثقل ضغط الماء على ذلك العمق فما لا يتصوره العقل ، فهو يبلغ نحو خمسة أطنان لكل قيراط مربع . ومع ذلك فان في قاع الاوقيانوس شبه سلة فيها مجموعة من الازهار وهي هائلة الحجم يبلغ قطرها بضع مئات من الاميال ، وهي من مادة قصفة سريعة العطب حتى إنه لو أمسك بها واحد لتفتت في يده . ومع ذلك فان ثقل ماء البحر فوقها لا يكسرها لانها كثيرة المسام شبيهة بالاسفنج

والحيوانات المائية التي تسكن في قاع الاوقيانوس لا تعجز عن الصعود الى سطح الماء لان لها أشباه مثانات مملوءة غازاً لطيفاً فاذا صعدت الى السطح نقص ضغط الماء فتنفجر تلك المثانات أو الاكياس فتموت . واذا وقع ذلك وماتت تلك الحيوانات عادت وغرقت الى قاع اليم لان انفجار أكياسها يطرد الهواء الذي كان يساعدها على الارتفاع الى السطح . وحالما تصل الى القاع تلتهمها الحيوانات الاخرى وتبتلعها . ولما كانت درجة برودة الماء في ذلك العمق شديدة جداً فالبكتيريا لا تعيش هنالك . وعليه فان المواد الغذائية التي تهبط الى القاع لا تفسد بل تحفظ مدة طويلة كما تحفظ الاطعمة في الآلات المبردة

ويؤخذ من تجارب علمية كثيرة ان الذين يغرقون في البحر تصل أجسامهم الى القاع . فلا صحة اذن للاعتقاد القائل إن تلك الاجسام تظل معلقة في منتصف العمق . وحال وصولها الى القاع أو الى المنطقة القريبة منه تصبح طعاماً للحيتان التي تكثر هنالك ولتنانين البحر العظام

أضف الى ذلك أن تلك الحيوانات هي من شر الانواع المفترسة فهي تأكل بعضها بعضاً وقلما تموت موتاً طبيعياً . وفي هذا حكمة سامية اذ لولا أنها تأكل بعضها بعضاً لاتتن ماء البحر بما يتكدس في قاعه من اشلاء ألوف الملايين منها

الحزب الملكي في فرنسا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة كرانت
هستوري . السيدة هارلوت مورو]

لا بد لمن يزور فرنسا أن يخطر بباله هذا السؤال وهو : كيف حصل بقاء فكرة الملكية في فرنسا مع أنها لا تلائم طبيعة الشعب الفرنسي ومزاجه ؟

الحقيقة أن فكرة الملكية لم تزل من فرنسا قط زوالا تاماً . ولقد كانت البلاد منذ ستين سنة على وشك العودة الى الملكية لان الهيئة الوطنية التي تم انتخابها على أثر الحرب السبعينية كانت الكثرة فيها للحزب الملكي ، وكان هذا الحزب على وشك تنصيب الكونت دي شامبور المطالب الشرعي بالعرش ملكا على فرنسا باسم هنري الخامس ، لولا أنه أبى أن يستبدل راية أسلافه البيضاء بالراية المثلثة الالوان (التي كانت في نظره رمزاً الى الثورة) وفي الواقع أنه لم يقم في العالم من كان أقرب من هذا الرجل الى العرش لولا أن عناده أفقده اياه . وكانت نتيجة عناده أن الحزب الملكي ضعف بعد ذلك كثيراً ولم يختتم القرن التاسع عشر حتى كان أعضاؤه يعدون على رءوس الاصابع

أما اليوم فان هذا الحزب سوى شبح ضعيف ، وعضوه ليسوا سلالة الاعيان الذين أسسوه والذين كانت ميولهم وعواطفهم مع الملكية لا تصلح شخصيتها ، بل هم رجال يفضلون الملكية على الجمهورية لاعتقادهم أن الملكية أفضل نظام وأن الوطن في أشد الحاجة الى ملك يتولى شؤونه

أما الفضل في الحزب اليوم من عدد فعائد الى كفاية أساطين الحزب ومقدرتهم السياسية والادبية . فهنالك شارل موراس (ويلقبونه فيلسوف الحزب) وهو من أبلغ الكتاب الفرنسيين ومن أقدر حملة الاقلام بينهم . وهنالك ليون دوده (ابن الفونس دوده الروائي الطائر الصيت) وهو أيضاً من أقدر حملة الاقلام في فرنسا ومن أبلغ خطباء مجلس النواب فيها . وكثيراً ما يتغلب صوته في المجلس على ضجيج النواب وصياحهم . وزعماء فرنسا السياسيون كلهم يخشون قلم ليون دوده وهجماته اللاذعة . وما أكثر السياسيين الذين قضى عليهم دوده بقلمه الفتاك

وهنالك جاك بنفيل وهو أيضاً من أساطين الحزب الملكي ومن أشدهم رزانة واعتدالا . ولعل اعتداله راجع الى كونه مؤرخاً قبل كل شيء ، والاعتدال من أبرز صفات المؤرخ . ومن أبلغ مؤلفات هذا الرجل كتاب ترجمة نابوليون بونابرت وتاريخ فرنسا

وقد كان في وسع هؤلاء الاساطين الثلاثة أن يصلوا لو أرادوا إلى أرقى مناصب الدولة . إلا أنهم قد فضلوا خدمة وطنهم وحزبهم وهم يبتعدون عن تلك المناصب غير متأثرين بما تفرضه عليهم من تبعات . ومما يدعو الى الاسف أن جميع هؤلاء الزعماء هم رجال نظريات لا عمليات وهم يجهلون

حزبهم باخلاص لا تشوبه شائبة ويبذلون فى سبيل ذلك شيئاً كثيراً

ويمتاز هذا الحزب باحترام الملكية ونظام الاسرة ويقول بضرورة الدين . وهذه المبادىء يرتاح اليها كل شعب معتدل غير متهور . ولهذا نجد الكثيرين من الشعب الفرنسى يعطفون على مبادىء الحزب الملكى ويوافقون على الانتقادات اللاذعة التى يوجهها الى الديمقراطية (الجمهورية) والحزب لا ينفك يذكر بين الفرنسيين أن الحكومة التى هى مدينة بمركزها لنواب الامة هى مقيدة برغائب أولئك النواب . ولما كان أولئك النواب من العامة فان تحكيمهم لايعتد بعيداً فهم من الجهة الواحدة قصار النظر ومن الجهة الاخرى يعنون معظم الوقت فى الاحتفاظ بمراكزهم النيابية

ومما يجدر بالذكر أن مبادىء الحزب الملكى فى فرنسا تشبه مبادىء النظام الفاشيستى فى ايطاليا شبهاً عظيماً . وفى الواقع ان جريدة «الاكسيون فرانسيز» لسان حال الحزب نشرت مبادىء هذا الحزب قبل ظهور الفاشستية بعشرين سنة . ومن مقتضيات هذه المبادىء وجوب فناء الفرد فى الجماعة وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . والدولة فى نظرهم هى أسمى مظاهر القومية والوطنية

وقد استهوت هذه المبادىء جماعات كثيرة من الشبان الفرنسيين فالتفوا حول الحزب ولقبهم الشعب «بباعة صحف الملك» (كاملو دوروا) ومعظمهم من طلبة المدارس والجامعات يدربون تدريباً عسكرياً . وعددهم ليس كبيراً ولكنهم ذوو جرأة وعزم . وكثيراً ما يتصدون الاشتباك مع رجال البوليس فى الشوارع لاتفه الاسباب وغرضهم من ذلك خفض شأن النظام الجمهورى والاعتداء على مظاهره كلما سنحت الفرص . ترى لماذا عطف الشبان الفرنسيون اليوم على النظام الملكى؟

الجواب عن ذلك أن من طبيعة الشباب أن يثور على القيود والتعاليم التى يفرضها عليه الجيل الذى تقدمه . فهو يأنف من تقليد آراء أبويه لانه يحسبها عتيقة . والنظام الجمهورى الحالى مشبع بالروح السائدة فى فرنسا منذ أوائل القرن الحاضر والتى تجنح الى مقاومة رجال الدين . كذلك ترى الشبان المتحمسين ثائرين على هذه الروح طالبين ما هو جديد . ومن مقتضيات الملكية فى نظرهم حرمة السلطة والاديان . أضف إلى ذلك أن الجمهورية اليوم وقد مر عليها ستون عاماً لم تحقق الامانى التى كان الكثيرون من الفرنسيين يتعلقون بها . مهما يكن رأى عامة الشعب فى حسن النظام الجمهورى وملاءمته للاحوال الحاضرة . وقد كان هذا النظام يستهوى جمهور الشعب الفرنسى يوم كان قد سئم مساوىء الملكية . أما اليوم فقد نسى تلك المساوىء وصار لا يرى الا مساوىء الجمهورية

ولا يعزب عن البال أن فى النظام الملكى كما فى الفاشستية كثيراً من الابهة والمظاهر الخلابة وهى مما يستهوى قلوب الكثيرين ويستثير فيهم روح الفخر والاعجاب . أضف الى ذلك أن امام الجمهورية الفرنسية اليوم مشاكل داخلية تدل على فساد الادارة واضطراب النظام . والملكيون يستعينون بهذه المساوىء والاضطرابات لتشويه النظام الجمهورى فى نظر الشعب

مهد الانسان الاول

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
ميوزيوم نيويورك، للاستاذ ديفز]

ما من عاقل الا وخطر بباله هذا السؤال وهو : « أين كان مهد الانسان الاول ؟ » والمباحث الانثروبولوجية الاخيرة تستبين الجواب عن هذا السؤال . فآثار « انسان جاوى » و « انسان بكين » وغيرها تثبت لنا وحدة أصل الانواع البشرية . واليوم يجيئنا العلماء ببرهان جديد على تلك الوحدة وعلى أن البشر نشأوا في الاصل في مكان واحد ، ومن هذا المكان تفرقوا على وجه البسيطة

في جنوب الاوقيانوس الباسيفيكي وعلى بعد نحو أربعة آلاف كيلو متر من سواحل شيلي جزيرة بركانية تسمى « جزيرة العيد الكبير » تكاد تكون اليوم مهجورة ولا ذكر لها إلا على الخرائط الجغرافية . وقد عثر علماء الآثار على نحو أربعمائة تمثال حجري في هذه الجزيرة ، وهي تماثيل كبيرة الحجم ولكنها من درجة منحطة في الفن . وعثروا أيضاً على الواح خشبية (مع انه ليس في الجزيرة شجر) قد نقشت عليها كتابات باحرف غريبة مناهية في القدم ، وترجع — على ما يؤخذ من قرائن كثيرة — إلى الزمن الذي انتقل فيه الانسان من العصر الحجري إلى العصر النحاسي

وفي وادي نهر الاندوس مدينتان متناهيتان في القدم تسميان « هارابا » و « موهنجو دارو » وتدل الآثار التي فيهما على أنهما كانتا مأهولتين منذ نحو أربعين قرناً على الاقل . ومن تلك الآثار نقوش وكتابات تشبه النقوش والكتابات التي في جزيرة العيد الكبير شبهاً تاماً ، مما يدل على أنه كان بين « هارابا » و « موهنجو دارو » من جهة وجزيرة العيد الكبير من جهة أخرى علاقة متينة . ولاكتشاف هذه العلاقة شأن عظيم في علم الانثروبولوجيا لانها تدل على أن الانسان الاول اجتاز الاوقيانوس الهادي على أرومات أشجار مجوفة وانتشر في أنحاء مختلفة قادماً من المنطقة التي يطلق عليها علماء الجغرافية اليوم اسم « جاوى — الصين » وهي موطن حضارة « هارابا وموهنجو دارو »

ومما يجدر بالذكر أن الآثار التي عثر عليها العلماء في هذه المنطقة هي أقدم الآثار البشرية على الاطلاق ، فهي ترجع إلى ما قبل العصر الحجري بكثير — أي إلى عصر الحلقة المفقودة يوم لم يكن للارض عهد الا بالحيوانات و « بانسان جاوى » و « انسان بكين » وغيرهما من المخلوقات التي كانت وسطاً بين القرد والانسان والتي بدأ من بعدها العصر الحجري . ولم يعترض أحد حتى الآن على القول بان العصر الحجري هو أول عصور الحضارة البشرية ، فوجود آثاره في مكان دليل على أن ذلك المكان شهد الانسان الاول أي الانسان في فجر حضارته

واليك بعض آثار الحضارة الاولى التي عثر عليها العلماء في منطقة « جاوى — الصين » وهي

هي بعينها الآثار التي عثروا عليها في جزيرة العيد الكبير مع بعد الشقة بين المكانين ، مما يدل على أن الشبه بينهما ليس عرضاً واتفاقاً بل هو ناتج عن علاقة وثيقة بينهما :

فمن ذلك قصبة مجوفة يطلق منها الصياد بالسهام المسمومة على الحيوان أو على العدو . فهذه القصبة بعينها كانت موجودة في كل من المكانين المذكورين . ومنها القذافة وهي آلة لقذف النصل أو الحربة الى مسافات بعيدة . ومنها حلقة مستديرة تبرز من محيطها شبه أسنان تجعلها أشبه بنجم ذي شعاع . وهذه الحلقة تستعمل عند القوم في الحرب لضرب رؤوس الاعداء . ومنها آلة البومرانج والمقلاع والنشاب والخذاف الشبيه بالمكاز والارماث المصنوعة من قصب مجوف والقوارب المصنوعة من أرومات الشجر مجوفة . والمرزاك (وهو الكوخ المقام فوق الشجرة) . وعصي مستطيلة لحل الاثقال بين شخصين أو أكثر

هذا قليل من آثار كثيرة وجدها العلماء متماثلة في مكانين يبعد أحدهما عن الآخر بعداً شاسعاً وتفصل بينهما بضعة آلاف من الاميال . ولا تعليل لهذا التشابه إلا أن نفترض أن تلك الاختراعات المتقنة نقلت من أحد المكانين الى الآخر منذ أقدم الاحقاب في أثناء النزوح أو المهاجرة . وقد جرى سيل هذه المهاجرة شرقاً وكانت أول مراحله جزيرة العيد الكبير . ثم استمر الى أن وصل الى أميركا الجنوبية والى النصف الجنوبي من أميركا الشمالية حيث ما تزال بعض تلك الاختراعات باقية

أضف الى ذلك أنك اذا فحصت التركيب الجسمولوجي لأجسام السكان الاصليين المقيمين بالبلاد التي كانت في طريق تلك المهاجرة تجد ذلك التركيب متماثلا . مما يؤيد القول بأن سيل المهاجرة نبعاً من منطقة « جاوى - الصين » واتجه شرقاً ويقول الاستاذ كوبرس هناك قرائن تدل على أن سيل المهاجرة لم يكن واحداً بل متشعباً وأن من هذه الشعب خطاً يمتد من منطقة « جاوى - الصين » جنوباً شرقياً الى جزيرة تسمانيا ومنها الى أميركا الجنوبية عن طريق القطب الجنوبي . وقد كان القطب في إبان تلك المهاجرة (أي منذ نحو ثمانية آلاف سنة) ذا جو معتدل . أضف الى ذلك أن خطوطاً أخرى للمهاجرة اتجهت من المنطقة الاصلية الى أميركا الشمالية عن طريق بوغاز بهرنج ، وخطوطاً أخرى اتجهت غرباً وجنوباً غربياً الى افريقيا . والدلائل على ذلك كثيرة متوافرة

هذه نظرية تشرح كيفية نشوء الانسان الاول وانتشاره على سطح الكرة الارضية . ونحن نجد اليوم آثاراً متماثلة لذلك الانسان في أنحاء كثيرة من افريقيا وأميركا بل في أوربا نفسها . ويقول الاستاذ ريفيه وهو من كبار علماء الانتروبولوجيا ان طريق المهاجرين الاولين يكاد يكون محققاً اليوم ، فقد تركوا في كل مرحلة من مراحل سيرهم آثاراً باقية حتى الآن ، ونجد اليوم بعض اختراعاتهم منتشرة في أنحاء متفرقة من الكرة الارضية ، فيزعم الانسان أن وجودها هناك - على بعد الشقة بين تلك الامكنة - انما هو من قبيل العرض والاتفاق . وهذا الزعم خطأ فان جميع الاماكن التي توجد فيها تلك الاختراعات كانت مراحل أو محطات في خط السير الاصلي

الاحتيال على الكسب

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ريدرز دايجست . بقلم الاستاذ وإى جابلز]

يجد السائر في شوارع المدن الكبرى محطات لبيع البنزين لاصحاب الاوتوموبيلات . وقد خطر مرة لاحد ملاحظى تلك المحطات أن يحمل أصحاب الاوتوموبيلات على شراء فوق ما يحتاجون اليه من البنزين . فكان كلما وقف به صاحب أوتوموبيل وطلب ثلاثة جالونات أو أربعة يتمهل ذلك ويسأل : « هل أملأ الخزان كله يا سيدى ؟ » وفى أكثر الاوقات كان « الزبون » يجيب بالايجاب وبدلا من أن يدفع ثمن ثلاثة جالونات أو أربعة يدفع ثمن كمية أكبر — أى ملء الخزان . وقد أدت هذه الحيلة اللطيفة الى زيادة أرباح الشركة بمقدار عشرة فى المائة

وخطر لهذا الملاحظ بعد ذلك حيلة أخرى . ذلك أنه كان عند ما يمر به صاحب اوتوموبيل ويطلب مقداراً يتجاهل الكمية التى يطلبها ويسأله : « كم سعة خزان الاوتوموبيل ياسيدى ؟ » فيجيبه كذا من الجالونات . فيشرع فى العمل ويملأ الخزان كله . وفى أكثر الاوقات كان صاحب الاوتوموبيل يخجل من منعه من ملء الخزان . وبهذه الطريقة ربحت « المحطة » زيادة أخرى

ترى مما تقدم أن فى وسع كل عاقل أن يحتال على زيادة رزقه بشىء من التفكير . وكل زيادة فى الرزق تشجع على الاسترسال فى التفكير . وهذا هو السبيل الى الكسب وفى ترويج وسائل الرخاء وقوامه الابتداع . وكل ما يقتضيه الابتداع هو ترويض النفس على مواصلة التفكير والتماس وجوه التحسين فى جميع مناحى الحياة

ولبلوغ هذه الغاية يجب على المفكر أن يكثر من الاهتمام بالطبيعة ومظاهرها المختلفة مهما تكن تلك المظاهر تافهة . وكثيراً ما أدى مثل ذلك الاهتمام الى اختراعات واكتشافات عظيمة . فمخترع الطيارة المعروفة باسم « طوب » (Taube) والتى اشتهرت فى الحرب الماضية ، اهتدى الى اختراع تلك الطيارة كونه رأى ذات يوم بزرة شجيرة كرمة فى الهند أوحت اليه شكل طيارته . وأمثال هذا الاختراع لا تقع تحت حصر . وفى وسع كل مفكر عادى — اذا روض نفسه على التفكير — أن يبتدع ويستنبط

قيل إن المستر هنرى فورد أغنى أغنياء العالم وصاحب معامل الاوتوموبيلات المعروفة باسمه ، خطر له ذات يوم أن ينشىء مصنعاً للساعات الدقيقة يصنع كل يوم الفى ساعة . وقد حسب أن نفقات صنع ساعة كهذه من معدن النيكل لا تزيد على ٣٧ سنتاً (نحو سبعة قروش ونصف قرش بالنقود المصرية) ففى الامكان بيعها بنصف ريال بربح نحو ٢٥ فى المائة أو أكثر . على أن فورد لم ينفذ هذا

للمشروع لسبب من الأسباب ولكن غيره اقتبس فكرته في أمريكا ونفذها على نطاق ضيق

وانظر إلى الحيلة اللطيفة التالية : أعلنت إحدى شركات حفظ الفواكه في أمريكا أنها في حاجة إلى عشرين ألف شجيرة برقوق في خلال مدة لا تجاوز عشرة أشهر على أن تكون تلك الشجيرات صغيرة ورخيصة لكي يتسنى للشركة نقلها « وشتلها » في أراضيها . ولم يكن من الممكن في الظاهر إجابة طلب الشركة اذ لم يكن يوجد في ولاية كاليفورنيا كلها عشرون ألف شجيرة برقوق ، فضلا عن أن الفصل لم يكن يصلح لزراعة البرقوق . إلا أن أحد الأذكياء المشتغلين بعلم النبات وبالزراعة حل تلك المشكلة بحيلة لطيفة . ذلك انه بادر إلى زرع عشرين ألف شجيرة لوز (وكانت زراعة اللوز ممكنة في ذلك الفصل) فلما كانت الشجيرة تبرز فوق التربة حتى طعمها بالبرقوق . وبهذه الحيلة تمكن من بيع عشرين ألف شجيرة برقوق للشركة في المدة المعينة

وقد تم النجاح لذلك الزارع الذكي بفضل تفكيره وحزمه وإقدامه . وهي صفات لا غنى عنها لمن يريد النجاح في العالم ، ويجب ترويض النفس عليها . وقد أثبت الاختبار في أحوال كثيرة أن هذه الصفات هي « رأس مال من لا مال له »

ومن الأدلة على صدق هذا القول أن مدير أحد المطاعم بمدينة نيويورك كان في حاجة إلى بضع فتيات (جارسونات) لخدمة عملائه ولم يكن نشر في إحدى الصحف عن حاجته هذه حتى انهالت عليه طلبات الاستخدام من عدة فتيات . ولما دقق في طلباتهن رأى ستاً منهن من ذوات الشعر الأحمر فخطرت بباله هذه الفكرة وهي : « لماذا لا أختار جميع الفتيات من ذوات الشعر الأحمر لينال المطعم شهرة خاصة » . وما كادت الفكرة تخطر بباله حتى نفذها . وأدى ذلك إلى نجاح المطعم نجاحاً غير منتظر وظلت « ذوات الشعر الأحمر » حديث الناس في تلك المدينة مدة طويلة

فترى إذن أن الابتداع من مستلزمات النجاح في هذا العالم . والذين يكتفون بالسير على الأساليب القديمة لا يمكن أن يضمنوا النجاح باستمرار . بل لابد لهم من مواصلة التفكير والتفنن والاستنباط . وفي الواقع أن لكل فكرة جديدة قيمة وأثراً في تحقيق النجاح . فالتاجر يستطيع أن يروج تجارته بأن يعمد إلى وسائل جديدة ، ولكل جديد قيمة وطلاوة . فمن ذلك أن أحد باعة المظلات كان عنده كمية كبيرة منها قد كسدت ، فأخذ يعرضها في الأيام الماطرة أمام باب دكانه وكتب عليها أنها « للأجرة » ، وجعل الأجرة موازية للثمن ، فكان الكثيرون من المارة أمام دكانه في الأيام الماطرة يستأجرون المظلات فمنهم من يعيد المظلة ومنهم من لا يعيدها . وفي كلتا الحالتين يكسب التاجر . . .

ان خطأ الكثيرين ممن يعملون في الحياة يرجع إلى كونهم يحملقون كثيراً الى الريال القريب منهم ولا يمدون بنظرهم قليلا الى كنز الذهب البعيد عنهم . فهم لا يهتمون الا بالمكسب القريب لان المكسب البعيد مستور عن أنظارهم ويحتاج الى قليل من التفكير

حكومات مطلقة وحكومات حرة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة الاوسيرفاتوري رومانو.
بقلم السنيور جوليلمو فريرو]

إذا أجلت طرفك في المنطقة الواقعة بين سواحل البحر الابيض المتوسط والاوقيانوس المتجمد الشمالي رأيت طائفتين من الحكومات يختلف نظام الحكم فيهما كل الاختلاف . ففي الجهة الواحدة ترى ايطاليا والنمسا والمانيا وبولونيا وروسيا . ومن الجهة الاخرى ترى فرنسا وانجلترا والبلجيك وهولندا ودول السكندناف والولايات المتحدة . ويمكن أن نصف دول الطائفة الاولى بقولنا انها دكتاتورية مطلقة السلطان ، والثانية ديمقراطية حرة . وكل منهما تدعى أنها تستمد سلطتها من الامة . فايطاليا والمانيا مثلا تدعيان أنهما تحكمان بارادة شعبيهما كما تفعل فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة . أما روسيا فتدعى أنها تستمد سلطتها من الكثرة التي يتألف منها شعبها وهي الطبقة التي تعيش من كدحها ، وتعرف في اصطلاح علم الاجتماع السياسي بطبقة « البروليتاريا »

وفي كل من طائفتي الدول المذكورتين تجرى انتخابات نيابية في أوقات معينة — اما بطريق الاقتراع العام أو بطريق الاقتراع المقيد . ولكل منهما مجلس نيابي يسن القوانين ويهيمن على أعمال السلطة التنفيذية

والنظرية (العقلية) الغربية لا تعرف الا مبدأين اثنين يسوغان امتلاك السلطة أو مباشرتها وهما الوراثة والانابة . وقد فقد المبدأ الاول (أي الوراثة) كثيراً من الشأن الذي كان له حتى أواخر القرن الثامن عشر ، فلم يبق الا المبدأ الثاني أي الانابة أو تخويل الامة حق الحكم عليها لشخص تضع فيه ثقتها

فالفرق اذاً بين نظامي الحكم ليس في « شرعية » الحكم — اذ أن كليهما شرعي — بل في أسلوب الحكم الذي يجب تطبيقه . ففي الحكومات الديمقراطية كانجلترا وفرنسا والبلجيك وسويسرا والولايات المتحدة يجرى الاقتراع العام لا بتسيير رجال الحكومة بل تبعاً لعوامل اجتماعية مختلفة لا تتعرض لها الحكومة ولا تسعى للتأثير فيها . فالاحزاب السياسية والنقابات الصنعية والشركات المالية والطوائف الدينية والمصالح العلمية والادبية والاقتصادية — جميع هذه العوامل تعمل بحرية تامة وتسير الانتخابات بدون تدخل رجال الحكومة

أما في الحكومات المطلقة أو الدكتاتورية فان القوة التي تنظم الانتخابات النيابية هي الحكومة نفسها حتى ليصح القول بأن الحكومة فيها ليست سوى قوة هائلة لتسيير الانتخابات والتحكم فيها

هذا هو الفرق الاساسي بين طائفتي الحكومات المشار اليهما وهو فرق عظيم جداً سينبئ بسرور

الزمن حتى تصبح الطائفتان تختلف احداهما عن الاخرى لا فى العموميات فقط بل فى الجزئيات أيضا

ثم ان نتيجة الانتخابات النيابية فى الحكومات الديمقراطية الحرة غير معروفة ولا يمكن الانباء بها مقدما لانها خاضعة لعوامل كثيرة متضاربة . وقوى المعارضة نفسها تتمتع بأكبر قسط من الحرية. لذلك يحترم الجميع نتيجة تلك الانتخابات ويعتبرونها قانونية مهما تكن . ثم ان المعارضة قد تنكر مقدرة الحكومة التى تقوم على أثر تلك الانتخابات وقد ترتاب فى أهليتها وكفايتها . ولكنها تعتبرها حكومة قانونية من كل وجه . ولكل طائفة أو « هيئة » سياسية أو علمية أو دينية أو اقتصادية حق اسماع صوتها وشكاويها وانتقاداتها بملء الحرية . وإذا أخطأت الحكومة أمكن تقويم عوجها

أما فى الحكومات المطلقة أو الديكتاتورية فان تسيير الانتخابات يكون بيد الحكومة منذ أول الامر . ونتيجة تلك الانتخابات معروفة قبل حدوثها لان الحكومة هى التى تعينها . والحكومات فى هذه الدول مسيطرة على الرأى العام بطريقة الصحافة أو دور العلم أو «الهيئات» الدينية أو غيرها. وكثيراً ما تنحاً الى الغاء الاحزاب السياسية وتقييد الحريات والى القضاء على كل ضرب من ضروب المعارضة مع ان المعارضة شرط لازم « لقانونية » الحكم « وشرعيته ». وفى الواقع أن وسائل الضغط والاستبداد التى تلجأ اليه اليوم بعض الحكومات المطلقة لا مثيل لها فى تاريخ الحكومات المطلقة الماضية . ومن دواعى الاسف انه اذا أخطأت الحكومة المطلقة فليس ثمة من يجرؤ على ردها فتستمر على خطئها

ترى كيف نعلل وجود حكومات مطلقة هذا عددها اليوم فى أوربا ؟

يدعى الذين بيدهم مقاليد هذه الحكومات أن النظام الذى يسيرون عليه جديد وأنه ثورة على النظم النيابية البالية . وليس فى هذا القول شىء من الصحة فليس نظامهم جديداً بل هو تجربة قديمة جربت فى فرنسا والمانيا وغيرهما من الدول ثم فشلت . وفى الواقع أن هذه النظم التى يدعى القائمون بنشرها أنها جديدة — سواء أكانت فاشستية أم نازية أم بولشفية — ما هى الا عرض من أعراض العلل التى قد ابتليت بها النظم النيابية ولا سيما نظم الاقتراع العام . ومن دواعى الاسف أن البسطاء الذين تستهويهم الوعود الخلابة يثقون بكل ما يلقى عليهم من أقوال ماسين القوى التى أوصلت تلك النظم الديكتاتورية الى مقام السلطة المطلقة . وفى الواقع أن لتلك النظم علاقات وثيقة تربطها بنظم الملكيات المطلقة الاستبدادية التى كانت تسود أوربا حتى القرن الثامن عشر والتى لم تشب نار الثورة الفرنسية الا للقضاء عليها . ولكن الانسان سريع النسيان ضعيف الذاكرة وإلا لعلم انما يجرى اليوم فى بعض البلدان الاوربية المطلقة هو بعينه ما جرى فى فرنسا فى عهد الامبراطورية الثانية وما جرى فى غيرها فى عهد حكومات أخرى . وأن النظم المطلقة التى يدعون اليوم أنها جديدة وأنها « ثورة » على النظم النيابية البالية ما هى فى الحقيقة سوى جهد اليائس المستميت تبذله الحكومات الملكية المطلقة لاستعادة سلطانها الذى قد قضى عليه قضاء مبرما الى ما شاء الله

تقدم العلم والعالم

مصدر جديد للقوة

فى بعض الانباء العلمية أن بعض المهندسين الايطاليين وضعوا خطة غريبة لاستخدام قوة البخار الطبيعى المتصاعد من الارض فى بعض أنحاء ايطاليا، لتسيير القطرات البخارية ولاسيما القطار الذى يسير بين رومه وفلورنسة. ويظهر أن فى ايطاليا منطقة تبلغ مساحتها نحو مائة ميل مربع يتصاعد البخار من شقوقها باستمرار ومن ذلك ثغرة أو شق يتصاعد منها نحو مائتى الف وعشرين الف رطل من البخار فى الساعة تحت ضغط تسعة وخمسين رطلا فى البوصة المربعة. وهنالك ثغرات أخريات إذا أضيف ما يتصاعد منها إلى ما يتصاعد من الثغرة الاولى تولدت من ذلك [illegible] كيلواط من القوة [illegible] وستكون هذه التجربة من أغرب التجارب الهندسية الحديثة. وإذا نجحت فيكون [illegible] قد اهتدى إلى وسيلة جديدة من وسائل استخدام القوة

الحشرات في الشتاء

هنالك أنواع كثيرة من الحشرات تقضى فصل الشتاء فى شبه نوم عميق ولا تستيقظ منه إلا فى أوائل فصل الصيف. وهذا ما يعرف عند علماء الحيوان «بالتشتية» وبعض تلك الحشرات تخرج من مخابئها قبل بدء فصل الصيف اذا اعتدل الجو وأشرقت الشمس. فاذا اضطرب الجو وعاد البرد فاشتد مرة أخرى عادت إلى مخابئها

وفى مقدمة الحشرات التى تفعل ذلك الذباب والزنابير والنحل والفراش على اختلاف أنواعها. وقد رتبت الطبيعة لهذه المخلوقات أن تتغذى بما تحتاج اليه فى فصل الشتاء بطرق مختلفة تلائم حالة كل منها. وهى دليل قاطع على عظمة حكمة الخالق

طيارة المستقبل

مازال فن الطيران فى مهد طفولته والآراء مختلفة فيما سيكون من أمره فى المستقبل. وقد وضع بعض المهندسين الانجليز تصميما هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة، لطيارة تستطيع نقل الف وخمسمائة راكب وتقطع المسافة بين سوثمبتون (انجلترا) ونيويورك فى أقل من خمس عشرة ساعة أى بسرعة مائتين وعشرين ميلا فى الساعة. ويعتقد واضعو هذا التصميم [illegible] يقضى [illegible] الحاضر من السنين حتى يتحقق هذا الحلم ويمتلىء الجو بالطيارات الهائلة لنقل ألوف الركاب بين أوربا والعالم الجديد

الاعاصير في الارض وفي الافلاك

كان الاعتقاد السائد عند العلماء حتى الآن أن جو بعض الاجرام الفلكية البعيدة هادىء لا زوابع فيه ولا أعاصير. ولكن الارصاد الفلكية الاخيرة التى قام بها العلماء مستعينين بالآلات الدقيقة قد أثبتت أن فى تلك الاجرام أعاصير ليست أعاصير الكرة الارضية سوى نفحات نسيمية عنها. وقد تمكن العلماء أيضاً من قياس سرعة الهواء فى أثناء تلك الاعاصير

ففي النجم المسمى لبوريس مثلاً – وهو من القدر السابع عشر – بلغت سرعة الريح أربعين ميلاً في الثانية ! وفي النجم المسمى « ابسلون اوريجيه » (ويسميه العرب عسك الأعنة) بلغت السرعة اثني عشر ميلاً في الثانية . وفي النجم « الفا فرساوس » وهو من القدر الاول بلغت السرعة أربعة أميال في الثانية . أما في الكرة الارضية فقلما تزيد سرعة الاعاصير على ثلاثة أميال في الدقيقة الواحدة

مخدر جديد

يستعمل الاطباء الجراحون اليوم في انجلترا والمانيا مخدراً جديداً يسمى «ايفيان» Evipan ويصلح لطائفة من العمليات الجراحية لا يصلح لها مخدر آخر . وهذا المخدر يحقن به العليل في عروق ذراعه فيحدث نوماً عميقاً هادئاً في خلال ثلاثين ثانية وبعد انتهاء العملية يستيقظ العليل ولا يشعر بشيء مما يشعر به المرء عادة في مثل هذه الاحوال

حبر غريب

اخترع أحد الاميركيين حبراً جديداً من أهم مزاياه أنه لا يمحى من الورق ولكن يمكن ازالة أثره اذا سقطت نقطة منه على الثياب أو غيرها من متاع البيت كالستائر والسجادات . وهذا الحبر يباع في زجاجات مختلفة الحجوم ولا يمكن قلب الزجاجة أبداً لان قاعدتها ثقيلة بالنسبة الى بقية جسمها

الحياة في الاجرام الفلكية

يعلم القراء الجدل القائم بين علماء الفلك بشأن وجود الحياة (أو عدم وجودها) في بعض الافلاك العلوية . والارجح أن هذا الجدل سيظل قائماً مدة طويلة وأن العلماء لن يتمكنوا من الاتفاق على قرار قاطع بهذا الشأن. فالقائلون بعدم وجود حياة في أي جرم من الاجرام العلوية يبنون حكمهم على القول بأن شروط الحياة هي هي سواء في هذا العالم وفي العوالم الأخرى . أي أنها تحتاج الى غذاء معين ودرجة معينة من البرودة والحرارة والى عناصر معينة كالأوكسجين والايدروجين وغيرها . والذين يقولون بوجود الحياة في الاجرام العلوية الاخرى ينكرون ذلك ويقولون ليس من الحكمة تقييد الحياة التي في تلك الاجرام بشروط الحياة في عالمنا الارضي ، فقد يحتمل أن يوجد أحياء لا يحتاجون الى الاوكسجين أو الايدروجين ويحتاجون الى غيرهما من عناصر الطبيعة . وقد توجد مخلوقات تتغذى بغير المواد التي يتغذى بها البشر على هذه الارض . بل قد توجد مخلوقات حية تستطيع أن تعيش في درجة عالية من الحرارة لا تستطيع أن تعيش فيها المخلوقات الحية على هذه الارض . أضف الى ذلك أن هنالك ناموساً طبيعياً يعرف بناموس الاقتصاد الازلي ولا يتفق مع حصر الحياة في الكرة الارضية فقط ونفي وجودها في الاجرام الاخرى فليست الكرة الارضية أحسن من تلك الاجرام بوجه من الوجوه ولا هي أكبر منها وليس لها أية مزية عليها حتى تختص بالحياة دونها . وليس من الحكمة أن يوجد الخالق الملايين منها (ومن جملتها الكرة الارضية) ويطلقها لتسبح في الفضاء قاصراً الحياة على واحدة فقط هي كرتنا الارضية

ومع ذلك فقد جارانا الآن عالم من كبار علماء الفلك في اميركا هو الدكتور والتر آدمس مدير مرصد مونت ويلسون بكاليفورنيا يقول

انه بعد درس الارصاد الفلكية أعواماً طويلة قد انتهى الى هذه النتيجة : وهي أن الحياة لا توجد الا على الكرة الارضية وان القول بوجودها في أجرام أخرى لا تؤيده القرائن . اما هنالك احتمال ضعيف : أن تكون موجودة في المريخ والزهرة فقط ، والزهرة أكثر ملاءمة للحياة من المريخ مع انه لم يستطع احد أن يرى الزهرة حتى الآن بسبب ما يكتنفها من السحب الكثيفة الدائمة . وفوق هذه السحب طبقة كثيفة من ثاني أوكسيد الكربون يبلغ سمكها نصف ميل . وقد يكون وجود هذه الطبقة قرينة على وجود الحياة النباتية في الزهرة والارجح أن جو هذا السيار أشد حرارة من جو الكرة الارضية . ولكن فوق طبقة ثاني أوكسيد الكربون المشار اليها طبقة من « الستراتوسفير » تشبه « ستراتوسفير » الكرة الارضية تماماً وتبلغ برودتها خمساً وعشرين درجة تحت الصفر . أما عنصر الاوكسجين الذي هو ألزم العناصر للكائنات الحية على الارض فلا أثر له مع جو الزهرة أو المريخ ، وانما يحتمل أن يكون الزهرة بين سحبها والغيوم التي تكتنفها قليل من الاوكسجين والبخار المائي اللازمين للحياة

مصابيح كشافة للقطرات

تنوي شركة اتحاد السكك الحديدية الباسفيكية أن تقوم بتجربة جديدة لاتقاء المصادمات التي تقع بين القطرات وما يصادمها في طريقها . فقد جهزت احد قطراتها السريعة بمصباح كشاف قوي جداً له شعاعان ينبعث أحدهما عمودياً في الجو فينير منه منطقة كبيرة الى ارتفاع عظيم . وينبعث الآخر افقياً امام القطار فيخترق سحب الضباب وينير الطريق في الليل الحالك

الاحوال الجوية

يؤخذ من دروس الارصاد الجوية منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن أن متوسط درجة البرد آخذ في النقصان ، أي ان حدة البرد تنقص نقصاً تدريجياً . ثم إن هنالك مناطق على سطح الكرة الارضية قد زاد فيها متوسط البرد عما كان عليه منذ منتصف القرن الماضي ، ولكن العبرة بمتوسط درجة البرد لجو الكرة الارضية كلها

فمن سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٧٤ كان متوسط درجة البرد في الشتاء في تناقص مستمر ثم وقف ذلك المتوسط في الاربع السنوات التي عقبت ذلك . ثم عاد الى التناقص بدرجة محسوسة . على أن علماء الطبيعة يرجحون أن يعود البرد الى الاشتداد ردحاً من الزمن كما كان في الماضي . وهكذا دواليك يتعاقب البرد والحر ويتدرج متوسطهما في الارتفاع والانخفاض الى أن تنطفئ الشمس بعد ملايين القرون فيهلك بانطفائها كل مخلوق حي على وجه الكرة الارضية

خشب لايحترق

وفق أحد علماء الكيمياء الانجليز الى طريقة اذا عولج بها الخشب أصبح غير قابل للاحتراق . ومن مقتضى هذه الطريقة أن يوضع الخشب في وعاء مسدود سداً محكماً بحيث لاينفذ اليه الهواء ، ويعرض لدرجة عالية من الضغط تحت البخار ثم يعالج بمحلول كيماوي يسد جميع مسام الخشب بعد طرد الهواء منها ثم يوضع في فرن خاص فيصبح بعد ذلك غير قابل للاحتراق

وتقول مجلة « بوبيولار ميكانيكس » التي نقلنا عنها هذا الخبر إن الحكومة البريطانية أمرت باستعمال هذا الخشب في صناعة السفن والطائرات

النوم والاحوال الجوية

يؤخذ من مباحث كثيرة قام بها جمهور من العلماء الأميركيين أن مدة نوم الأولاد تختلف باختلاف الحالة الجوية . فهي أطول في الايام الماطرة منها في أيام الصحو . والاولاد ينامون في الشتاء أكثر مما ينامون في الصيف . والذكور ينامون أكثر من الاناث . واذا حدث انقلاب فجائي في الحالة الجوية ظهر ذلك في مدة نوم الأولاد في الحال . فاذا استمر هذا الانقلاب طويلا عاد متوسط النوم الى مداه الاعتيادي

أما الاعتقاد بأن الطفل الرضيع ينام أكثر من الولد بين الثالثة والسابعة من عمره فلا يؤيده الاختبار

طعم السكر

قد يقع في ذهن المرء أن طعم السكر هو هو عند جميع الناس . ولكن التجارب العلمية التي قام بها بعض العلماء تثبت أن هذا الطعم يختلف باختلاف الاشخاص . وليس ذلك فقط بل إن جميع أنواع الذوق — من حلو ومر وحامض ومالح وغير ذلك — تختلف باختلاف الاشخاص لانها تتوقف على تركيب خلايا اللسان وكيفية اتصال هذه الخلايا بمركز الذوق في الدماغ

ولا حاجة الى القول بأن للحلاوة والمرارة والحموضة وغيرها درجات مختلفة . وهنالك ست عشرة درجة لحلاوة السكر الاعتيادي

ورق لا يحترق

اخترع أحد اهالي مدينة بتسبرج باميركا طريقة كيماوية اذا عولج بها الورق والمنسوجات القطنية على انواعها وغير ذلك من المواد أصبحت غير قابلة للاحتراق . والورق المعالج بهذه الطريقة لا يفقد شيئاً من مزايا لونه أو نعومته أو متانته . واذا عم استعمال هذا الورق في صناعة الكتب قل الخطر من التهام النيران لها

مجموعة من النباتات

في جامعة مشيجان باميركا مجموعة نباتية ليست أكبر مجموعة من نوعها في العالم ومع ذلك فانها تحتوي على مائتي الف وعشرين الف نوع من النباتات التي تنمو في جميع الاقطار . وقد بدىء بجمع نباتات هذه المجموعة منذ خمس وتسعين سنة واشترتها جامعة مشيجان من أصحابها منذ نحو ثلاثين سنة

الموز

لم يكن الموز من أنواع الفاكهة الشائعة بين المتمدنين قبل أوائل القرن التاسع عشر . ولم تكن أوربا تعرف هذه الفاكهة قبل ذلك العصر إلا بالاسم . أما الآن فقد أصبح الموز منتشراً في جميع انحاء العالم وهو من أكثر أنواع الفاكهة غذاء

الفحم

قد يقع في ذهن بعض القراء أن استعمال الفحم الحجري حديث العهد . إلا ان مجلة بوبيولار ميكانيكس الاميركية تقرر أن الصينيين اكتشفوا الفحم الحجري في منشوريا واستعملوه منذ ثلاثة آلاف سنة

سرعة الطيور

مازال سرعة الطيور مضرباً للامثال . على ان ابطأ الطيارات هي أسرع من أسرع الطيور. واليك معدل سرعة بعض الطيور :

بعض أنواع العقبان ١١٠ أميال في الساعة
السونو ١٠٦ أميال في الساعة
الخطاف ٦٨ ميلا في الساعة
حمام الزاجل ٦٠ ميلا في الساعة
الكروان الذهبي ٦٠ ميلا في الساعة
القطا ٥٧ ميلاً في الساعة
الرخم ٥١ ميلا في الساعة
البط البري ٥٠ ميلا في الساعة
الزرزور ٤٩ ميلا في الساعة
الغراب ٤٥ ميلا في الساعة
اللقلق ٤٥ ميلا في الساعة
البط ٤٤ ميلا في الساعة
اليمام ٣٧ ميلا في الساعة
الدراج ٣٢ ميلا في الساعة
الحسون ٣٠ ميلا في الساعة

فترى من هذا الجدول أن سرعة الطيور ليست شيئاً يذكر بجانب سرعة الطيارات التي قد تصل الى أكثر من مائتي ميل في الساعة

اسباب السمانة

يظهر ان آراء الاطباء في تعليل السمانة تختلف اختلافا كبيراً. فبينما ترى بعضهم يقول إن الافراط في الاكل ليس سبباً من أسباب السمانة وإن «استعداد» الجسم هو العامل الاكبر ترى اطباء آخرين يؤكدون ان الغذاء هو العامل الاكبر . وكل من الفريقين يقدم أدلة كثيرة لاثبات دعواه . ويؤخذ من آخر المباحث الطبية بهذا الشأن أنه وإن كانت بعض الاجسام لاتسمن مهما أفرطت في الاكل فان للغذاء علاقة بالسمانة لايمكن انكارها . والمواد الدهنية أكثر تأثيراً في الاجسام من غيرها فهي تؤدي الى السمانة إلا في أحوال نادرة لايصح القياس عليها . وتلي المواد الدهنية المواد «النشوية» فان الاكثار منها يؤدي الى السمانة . ويقول الكثيرون من الاخصائيين إن محاربة السمانة بالوسائل الصناعية مضر بالصحة وان خير طريقة لتلافي السمانة هي السير على نظام خاص من الغذاء يستوفي جميع شروط التغذية ويجتنب المواد الدهنية والنشوية على قدر الامكان

المقاييس قديماً وحديثاً

كان الانسان في فجر المدنية يستعمل يديه ورجليه وجسمه لقياس الاشياء . وقد اخترع الشبر والقدم والاصبع والذراع والخطوة والقامة وهلم جراً، للدلالة على المقاييس وطبيعي أن تلك المقـــاييس كانت تختلف باختلاف الاشخاص أما الآن فان العلم قد أوجد لنا مقاييس متناهية في الدقة والاتقان . وأي دليل أصدق على هذا من قولنا إن طول بعض أمواج الاشعة لايزيد على جزء من عشرة آلاف الف مليون من المتر ؟ . وقد كان هذا الطول منذ الازل وسيظل الى الابد هو هو لا يتغير ولا يؤثر فيه مرور الوقت

ارتفاع البنايات قديماً

لم يكن الاقدمون مغرمين بتشييد بيوت عالية السكن إلا لاغراض معينة . فهم بنوا برج بابل مثلا خوفاً من الطوفان ، وكانوا يبنون أبراجاً عالية للدفاع عند هجمات الاعداء . وبني

عدا ذلك كانت البيوت والمساكن مزدحمة وقلما تزيد على طبقتين (دورين) ويظهر أن الامبراطور اغسطوس قيصر كان يكره البنايات العالية، فانه ما كاد يصبح امبراطوراً على رومة حتى أصدر أمراً نهى به عن تشييد بنايات يزيد ارتفاعها على ٦٨ قدماً بمقاييس هذا الزمن، أو نحو عشرين متراً وثلاثة أرباع المتر . وقد كان من السهل تنفيذ ذلك الامر فى ذلك الزمن فان العالم لم يكن قد ازدحم بسكانه كما هو اليوم، وكان فى العاصمة الرومانية مجال يتسع لكل من يريد أن يشيد له بيتاً لسكناه

سمك لا ينمو

فى أعماق البحار ضرب من السمك لا ينمو ولا يكبر جسمه منذ ولادته إلى وفاته . فاذا كان طول السمكة منه بوصة مثلا عند ولادتها بقى كذلك من دون أن يتغير . والغريب فى أمر هذا السمك أن اناثه أكبر جسماً من ذكوره بما لا يقاس . فطول جسم الذكر منه لا يزيد على بوصة واحدة وثلاثة أرباع البوصة، حالة أن طول جسم الانثى قد يكون عشر بوصات ونصف بوصة

الصواعق والكرة الارضية

يبلغ عدد الصواعق التى تسقط من أعالى الجو على الكرة الارضية كل يوم نحو أربعة وأربعين الف صاعقة . ومن دواعى الارتياح أن أكثرها يتلاشى فى الفضاء ولا يحدث أضراراً تذكر

جو الفطبين

يقول علماء الجيولوجيا إن تربة القطبين تدل على أن الحالة الجوية فيهما قبل العصر الجليدى كانت معتدلة جداً تشبه الحالة الجوية فى أى إقليم معتدل فى الوقت الحاضر

هالة الشمس

كان العلماء حائرين حتى الآن فى ماهية العنصر الذى هو مصدر اشعاع هالة الشمس . وقد تمكن أخيراً اثنان من العلماء الاميركيين (وهما الاستاذ منزل مدير مرصد جامعة هرفرد والاستاذ بويس مدير معهد مساتشوستس الفنى) من معرفة ذلك العنصر فاذا هو الاوكسجين لا أكثر ولا أقل . وقد وضعا بلغة فنية صماها خلاصة اكتشافهما بهذا الشأن

أول عهد الاوتوموبيلات

لما اخترع الاوتوموبيل لم يشع استعماله كثيراً فى أمريكا . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية أن عدد الاوتوموبيلات فى الولايات المتحدة كلها منذ أربعين سنة لم يكن يزيد على أربعة اوتوموبيلات فقط

خسائر الحرب الماضية

فى أحدث الاحصاءات الرسمية التى لدى عصبة الامم أن مجموع الخسائر من الجنود المقاتلين فى الحرب العظمى الماضية ـ لجميع الدول ـ بلغ ثلاثة عشر مليوناً، حالة أن الخسارة من الاهالى غير المحاربين بلغت ثمانية وعشرين مليوناً

زيت الحوت

يحتوى لسان الحوت على ما يزيد على ثمانية فى المائة من مادة الزيت الموجودة فى جسمه كله . والاسكيمو يصطادون الحوت ويأكلون لحمه ويستضيئون بزيته

كتب جديدة

لندن

بقلم الاستاذ احمد عطية الله

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
صفحاته ٣٦٨

« كان من حظى أن أطلعنى مؤلف هذا الكتاب على كثير من أجزائه قبل تمام طبعه . تصفحت هذه الاجزاء فى أقل من ساعتين ، وكنت فى تلك اللحظات القديدة أشاهد شريطاً سينماتوغرافياً مفيداً

« صحبنى المؤلف الى أغلب مشاهد لندن تلك المدينة الضخمة التى يزيد عدد سكانها عن سكان ممالك عظيمة فى أوروبا والقارات الاخرى

« وليست لندن عظيمة بعدد سكانها فحسب بل هى عظيمة بما تحويه من ثروات هائلة فنية وعلمية ومادية . انها عظيمة بقدمها وذلك القدم الذى كساها رداء من الجلال والهيبة ، عظيمة بتاريخها السياسى القديم ، عظيمة بمجهوداتها الحديثة للاحتفاظ بمركزها العالمى الرفيع

« بذلك أكبرت عمل مؤلف هذا الكتاب القيم ، فقد استطاع فى زمن قصير أن يجوب معى أنحاء تلك المدينة المترامية الاطراف »

تلك فقرات من هذه المقالة القيمة التى كتبها فى صدر هذا الكتاب الدكتور حافظ عفيفى باشا وزير مصر المفوض السابق فى لندن . وقد شهد فيها بما قام به الاستاذ احمد عطية الله من جهود فى تأليف هذا الكتاب ، وبما يستحقه من ثناء وتقدير لقيامه بهذا العمل المفيد .

ولا ريب أن هذا الكتاب سيستفيد منه كل من زار هذه المدينة العظيمة وكل من لم يزرها . أما الاول فسيحتفظ من هذه الدراسة التى تضمنها (كتاب لندن) بعدة ملاحظات ومعلومات دقيقة فاته الاحتفاظ بها والعناية بملاحظتها . وأما الثانى فسيستفيد - الى ذلك - بالاطلاع على مالم يسبق له الاطلاع عليه من حياة هذه المدينة الاجتماعية والادبية والتاريخية والعصرية ، وقد عرضها المؤلف عرضاً متقناً ، فالمتصفح لهذا الكتاب كأنه يشاهد - كما قال حافظ عفيفى باشا - شريطاً سينماتوغرافياً متقناً يعطيك صوراً واضحة لمحاسنها ومباذلها ، ولكثير مما حوته من ألوان الرقى وأمثلة التقدم الذى بلغته لندن فى المدنية الحاضرة

الاعشاب

تأليف الشاعر المصرى محمود ابو الوفا

طبع بمطبعة الاعتماد بحارة الروبى بالقاهرة .
صفحاته ١٢٧

آه يا يوم اللقاء	ليتنى كنت إلها
كنت صيرتك فى الـ	أيام يوماً لا يضاهى
لامرت الشمس تبقى	فيك لم تبرح سماها
ثم أمددتك شهراً	وأفلا تمسى ضحاها

تلك بضعة أبيات من إحدى قصائد هذا الديوان أو هذه الاعشاب الحية النضرة التى ازدانت بها صفحات الديوان الثانى للشاعر المصرى المجيد الاستاذ محمود ابو الوفا . فقد

امتاز هذا الشاعر برقة العاطفة وسلاسة الاسلوب وحلاوة المعنى واقتداره على المزج بين التفكير والعاطفة ، وبين الفلسفة والخيال

وقد تصفحت هذه القصائد فاذا فيها من الاغراض الوطنية والاجتماعية والفكاهية ، وغيرها ما ينتقل فيه اللحن من روض الى روض ، ومن جمال إلى جمال ، ومن معان وجدانية إلى معان عاطفية ، ومن أفكار فلسفية إلى خواطر نفسية ، كلها ينم عن حياة مملوءة بألوان من الفرح والحزن ، والرضى والغضب ، والتفكير والخيال ، والأمل واليأس . ولقد ابدع الشاعر فى تصويرها تصويراً صادقاً جميلا . ولسنا فى مقام الافاضة فى تعريف الأستاذ محمود ابو الوفا للقراء ، فقد عرفوه غير مرة بآثاره البليغة التى نشرها فى كثير من الصحف ولقد قرأوا فيه الشاعر المبدع الوثاب ، الذى قست عليه الحياة ، ولكن على الرغم من قسوتها وسطوتها ، لم تنل من جوهر نفسه الصافى وملكته الشاعرة ، بل استطاع أن يتخذ من سوء الحياة موضوعاً لشعره ، ومن محنة الايام وسيلة إلى الاجادة فى فنه . كأنه أراد أن يديل منها بما يفيد الفن ويزيد فى ثروة الأدب

الملاح التائه

ديوان الاستاذ على محمود طه

طبع بمطبعة الاعتماد ، صفحاته ١٠٥

لم يشهد الشعر العربى نشاطاً بين الشبان فى النهضة الاخيرة كهذا النشاط الذى يبدو من شعراء الشباب وأنصار الشعر العربى ومحبيه بعد وفاة المرحومين حافظ ابرهيم وأمير الشعراء شوقى بك . وقد كنا نظن أن الشعر سوف تدول دولته ويقضى عليه فى وقت أصبح النثر فيه المقام الاول . غير أننا أصبحنا نرى تسابقاً إلى الاجادة فى الشعر العربى ورفع لوائه . وبرز الشبان يسمون بخطوات واسعة فى هذا الميدان ليعيدوا للشعر مكانته ودولته . ولقد كنت أقرأ للاستاذ على محمود طه بعض القصائد التى ينشرها فى المجلات الاسبوعية والشهرية، فالمح فيها ثقافة أدبية ، وأجد فيها روحاً شاعرة تدعو إلى الحكم بأن هذا الأديب شاعر بطبيعته ميال الى الافاضة والاجادة ، عاشق لفنه نشط مجتهد فيه ، شأن الفنان الذى يخدم الفن لذات الفن ، وهو فى ذلك يرضى ميله وهواه . ومن هذه الناحية تعرف كيف يجيد « شاعر الوجدان » كما سماه بعضهم ، وكيف يتخير الموضوعات الفنية الجديدة التى تسمو عن الابتذال ، وتعطك لوناً من الشعر جديداً بأفكاره وخواطره ، قد عبأ بأسلوبه العربى المتين. وحسبنا من التجديد أن نكون متجددين فى أفكارنا وخواطرنا ، محافظين على قواعد لغتنا لقد أعجبت حقاً بهذا الشاعر الذى يحافظ على لغته وينحو فى موضوعاته وخلجاته ناحية جديدة ، وأطربنى عند تصفح ديوانه كثير من نفثاته ، كميلاد شاعر ، وجموع الهارب ، ورأيتها الاشباح ، وعلى الصخرة البيضاء ، والاجنحة المتكسرة ، والله والشاعر ، والشاطىء المهجور ، ورثاء حافظ وشوقى وعدلى يكن . وقصيدة البحيرة المترجمة عن لامارتين

ملوك الطوائف

ونظرات فى تاريخ الاسلام

للعلامة دوزى ـ ترجمها الأستاذ كامل كيلانى

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، صفحاته ٤٤٦

لا أدرى كيف أصف نشاط الأستاذ كامل

كيلانى فى خدمة المكتبة العربية بما يصدره من الكتب المؤلفة والمترجمة والمهذبة والمشروحة. فبين آونة وأخرى نرى له كتاباً أدبياً أو قصة للاطفال أو ديواناً مهذباً أو مشروحاً لشاعر من الشعراء ، أو قصصاً من روائع ما أنتجه نوابغ الادباء الغربيين ، أو كتاباً تعليمياً يهدى الناشئـــة الى صناعة الانشاء والاجادة فى فن الكتابة

وهذا الكتاب الجديد الذى أصدره أخيراً قام بتأليفه العلامة المستشرق (دوزى) وقد بحث فيه تاريخ الاندلس بعد ما زالت عنها الخلافة الاموية ، وانقسمت إلى عدة ولايات متناحرة متنازعة ، وتكلم بالتفصيل عنها وعن نشأتها وتاريخ الاسلام فى هذه البلاد ، ثم عرض نظرات فى ديانة العرب فى الجاهليـــة ومعتقداتهم وأساطيرهم ، ثم نظرات فى تاريخ الاسلام بعد وفاة النبى وفى عهد أبى بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز ، وتكلم بعد ذلك عن أسباب انتشار الاسلام ، ومعجزة الاسلام وقواعد الاسلام إلى غير ذلك

وقد أحسن الاستاذ كامل كيلانى باصدار هذا الكتاب مترجماً إلى اللغة العربية لأن هذه الترجمة ولا شك خدمة لقراء هذه اللغة الذين يهمهم أن يطلعوا على كل ما يدونه الكتاب الغربيون عن العرب وتاريخهم وحضارتهم ، سواء أكان فيما يدونون ما يرضيهم ويرضى الحقيقة التاريخية أم كان فيه ما لا يرضيهم ولا يقنع المؤرخين

شمهورش

تأليف الاستاذ محمد فهمى يوسف

طبع بمطبعة الجامعة المصرية الحديثة . صفحاته ١٢٦

أخذت حوادث ملوك الجن فى مصر دوراً هاماً فى هذه الايام ، وصار الناس يتحدثون عنها فى المحافل والمنازل بعد هذه الفضائح التى اكتشفها البوليس وقبض على أصحابها من الدجالات والدجالين الذين يمرون بالبسطاء ويخدعون العامة بالاحتيال عليهم . ولقد كان للاستاذ محمد فهمى يوسف محرر جريدة الاهرام الغراء فضل اطلاع الجمهور على تفاصيل هذه الحوادث بحكم مهنته وبما طبع عليه من المهارة والنشاط فى الوصول إلى دقائق الحوادث واكتشاف أسرارها والوقوف على تفاصيلها . وقد جمع فى هذا الكتاب الممتع طائفة غريبة من حوادث ملوك الجان . وهى حوادث واقعية أغرب من الخيال . وقد حلى هذه المجموعة بصور فوتوغرافية لكثير من الحوادث التى وقعت فى مصر . فنثنى على نشاط الاستاذ فهمى وجده واجتهاده فى خدمة الجمهور بما يهدى اليهم كل يوم من معلومات ممتعة وحوادث طريفة

ابنة الشمس

تأليف الاديب فرنسيس سفنتش

طبعت بالمطبعة الاميرية ببولاق . صفحاتها ١٦٥

هذه احدى الروايات الخمس التى فازت بجائزة وزارة المعارف المصرية فى مباراة سنة ١٩٣٢ . وهى رواية مصرية عنى الاديب فرنسيس سفنتش بتأليفها تأليفاً تمثيلياً . واجتهد فى صياغتها بأسلوب سلس رقيق يناسب الجو المسرحى ويتفق مع فصاحة اللغة وأذواق الجماهير . وقد كان من هذه العناية التى بذلها هذا الاديب الشاب أن فازت روايته بهذه الجائزة بين كثير من الروايات التى قدمت للجنة التحكيم.

ولقد قالت هذه اللجنة فى خلال تقريرها عن الروايات الفائزة : « . . . ومما ما تجلجل فيه البيان مبالغة فى تصوير العصر القديم ومحاكاة لهجاته و أساليب القول كرواية ابنة الشمس »

فتهنئ الاديب فرنسيس بهذا الفوز ، وبهذا الظهور الذى أتيح لهذه الرواية فى ثوب من الطبع الجيد والورق الجميل

ليالى باريس

بقلم الاديب نزيه مسعد

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة ، صفحاته ٢٠٠

هذه مذكرات طريفة دونها الاديب نزيه مسعد عن رحلته إلى باريس وعن أهم ما لفت نظره فى هذه الرحلة منذ بدأها من مصر إلى أن عاد اليها ، وقد تحدث فيها عما شاهده فى مرسيليا وباريس وجنيف وعن الصحافة الفرنسية وعن بعض المهاجرين من الشرقيين فى أوربا كالامير شكيب ارسلان ، وعن حياة الصنعة و الحى اللاتينى وما فيه من مآس ، وعن المطاعم والملاهى ، وعن الجامعات وحى الفن واللهو (مونبارناس) وعن الجاليات الشرقية وعن مجلس نواب فرنسا ورئيس الجمهورية والمواصلات وغير ذلك من الموضوعات . وقد اختتمه بفصل عن ملكات الجمال فى الامم المختلفة والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومزين بالصور . وقد كتبه المؤلف بلغة سهلة فصيحة . ولا ريب أن مثل هذا الكتاب مما يشتاق إلى مطالعته القراء لانه يعرض عليهم ألواناً مختلفة من الحياة الباريسية

كتب أخرى

(مثلنا الاعلى) رواية ممتعة بقلم الاديب عبد الحميد عباس المعلم بمدرسة تطبيقات المعلمين سابقاً ببغداد . طبعت بمطبعة الحكومة . صفحاتها ٣٩

(ثمن فتاة) رواية قيمة نشرت تباعاً بجريدة الاهرام الغراء . تأليف الكاتب الانجليزى ماكويل . وترجمها الى العربية ترجمة سلسة فصيحة الاستاذ عبد المنعم حسن . طبعت على نفقة مكتبة الوفد بالقاهرة . صفحاتها ٢٧٣

(مصير المدنية الاسلامية) فصل من كتاب « روح السياسة العالمية » للفيلسوف الامريكى هوكينك . قامت بترجمته ونشره لجنة الثقافة فى ثانوية الموصل . طبع بمطبعة النجم صفحاته ٤٦

(فن الكتابة) أو كيف ندرس فن الانشاء . اقتباس وترجمة الاستاذ كامل كيلانى . صفحاته ٣٢ طبع بمطبعة سعد بمصر بالفجالة

(الخط الكوفى) الرسالة الثانية . وفيها كلمة عن تحسينه وادخال الشكل والاعجام عليه بقلم الاستاذ يوسف احمد مفتش الآثار العربية سابقاً . صفحاته ٣٢

(تاجر البندقية) قصة طريفة مترجمة من قصص شاكسبير للاطفال بقلم الاستاذ كامل كيلانى . طبعت بمطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة . صفحاتها ٦٨

(المنقذ من الضلال) تأليف حجة الاسلام الغزالى . نشره وعلق حواشيه مكتب النشر العربى صفحاته ١٠١ طبع بمطبعة ابن زيدون بدمشق

السنوات العشر المقبلة

وكيف تكون حالة العمران فيها

ظهر في بلاد الإنجليز كتيب يشتمل على طائفة من المقالات الشائقة بأقلام نخبة من أكابر الكتاب، فيما ستكون عليه حالة العالم في خلال السنوات العشر المقبلة، من حيث بعض النواحي العمرانية كالطيران والبيولوجيا والطب والحرب والاكتشاف والصحافة وما إلى ذلك من الشؤون. وقد رأينا أن نورد فيما يلي خلاصة تلك المقالات لأنها لا تبسط حالة الاجتماع في جزء معين من أجزاء المعمور فقط بل تتناول كثيراً من الأنحاء

في الطيران

كتب المقالة الخاصة بالطيران رجل من كبار أهل الفن فقال إن الطيران خطا في السنين الأخيرة خطوات واسعة، ليس في زمن السلم فقط بل في زمن الحرب أيضاً، وسيستمر يرتقي حتى يبلغ درجة الكمال

فأما الطيران التجاري فإن التقدم مرجو فيه في كل من طائرات البريد وطائرات الركاب التي تحلق فوق الأوقيانوسات. ولا يخفى أن رجال الأعمال يقدرون بروح العصر ظهور الطائرات السريعة لنقل البريد. وفي الولايات المتحدة طائرات من هذا النوع تنقل البريد من الساحل الغربي إلى الساحل الشرقي في مدة وجيزة. وليس للأحوال الجوية أي تأثير في أسفارها

ومع ذلك فإن العالم ينتظر أن يرتقي الطيران لنقل البريد في خلال السنوات العشر المقبلة وأن تتمكن الطائرات من نقل الركاب فوق الأتلانتيك والباسفيك وغيرها من البحار

ويقول بعض المهتمين بشؤون الطيران إن مشكلة نقل الركاب فوق الأوقيانوسات لن تحلها إلا المناطيد — وتعرف عند أهل الفن بسفن الجو — وهي أخف من الهواء. ويزعم غيرهم أن هذه المشكلة لن تحلها إلا الطائرات. ولكل من الفريقين حجج ليس هذا مجال نقدها. وعلى كل فإن العالم سيرى في بحر السنوات المقبلة تجارب كثيرة لتنظيم النقل الجوي عبر الأتلانتيك من جهة الشمال، وسيتوقف نجاح هذه التجارب على تحسين الطائرات وترقية عددها وأجهزتها

وهناك مشاكل كثيرة تعترض استنباط طائرات تحمل من الركاب أو البضاعة ما يسد نفقات طيرانها مسافات طويلة كالمسافة بين ارلندا ونيوفوندلندا مثلا، وهي نحو ألف وتسعمائة ميل، وعلى

الطائرة أن تجتازها دون أن تقف في الطريق . والأرجح أن استنباط طائرات تستطيع الطيران البعيد هو في حيز الامكان ولكن اضطرار الطائرات إلى حمل ما يلزمها من الوقود السائل لا يترك فيها مجالا كبيراً لنقل الركاب والبضاعة

ولكي ينجح الطائرات صفقات منها يجب أن تستطيع الطائرة حمل عشرين راكباً على الاقل مع امتعتهم . فاذا امكننا أن نقلل من ثقل الطائرة لنزيد في عدد الركاب وفي يجب أن ينقلوه معهم من أمتعة فقد حللنا المشكلة

لنفرض أن ثقل الطائرة أربعون الف رطل مثلا وان متوسط ثقل الراكب وأمتعته نحو مائتين وخمسين رطلا . فاذا أردنا أن نمكن الطائرة من نقل عشرين راكباً مع أمتعتهم وجب أن نقتصد ½ ١٢ في المائة من ثقل الطائرة (أي خمسة آلاف رطل)

ترى هل يمكننا أن نوجد معدناً أخف بما يوازي ½١٢ في المائة من المعدن الذي تصنع منه الطائرات في الوقت الحاضر ؟

الجواب أن القرائن كلها تدل على امكان ذلك ، ولكن لابد من مرور الزمن لبلوغ درجة الاتقان وقد يقتضي ذلك أكثر من عشر سنوات . وعلى كل فان القرائن تبشر بالنجاح

ومن المحتمل أن يتخذ الطيران في السنوات العشر المقبلة وجهة جديدة وهي التحليق في طبقة الجو المعروفة « بالستراتوسفير » ، فقد أثبت الاستاذ بيكار منذ عهد قريب أن التحليق الى ذلك الارتفاع ليس مستحيلا ، كما أن تعميق البحوث العلمية في هذه السنة في تلك الطبقة سيكشف لنا القناع عن حقيقة الأحوال الجوية في تلك الطبقات . ومن المحتمل أيضاً أن يكون الطيران السريع فيها أسهل منه في طبقات الجو السفلى ، ولكن هذه الجهة يقتصر الطيران في الستراتوسفير على الاسفار الطويلة لنقل البريد فقط

في البيولوجيا

يبلغ قطر ذرة البروتين — كذرة الهيموجلوبين — نحو أربعة أجزاء من المليون من المليمتر . وهذه الذرة ليست حية ولكنها جزء من جسم حي . وهي تختلف عن البكتيريا بكون هذه حية وطولها أقل من جزء من الف من المليمتر

ويعتقد العلماء ان سر الحياة هو بين هذين الحجمين . وعلم البيولوجيا يسعى اليوم لاستجلاء ذلك السر

والكيمياء العضوية تثبت لنا أن الخلية الحية تتألف من عدد لا يحصى من الذرات الحية ولكل ذرة منها عمل هو قوام الحياة

وعالم الكيمياء يجهل ترتيب هذه الذرات وعلماء البيولوجيا يتلمسون طريقهم في الظلام لاستجلاء

تلك السر مستعينين بالاشعة التي وراء البنفسجية وبأشعة اكس وغيرها . وهم يسعون أيضاً لاستجلاء حقيقة الذرات المعروفة عند علماء البيولوجيا بذرات الوراثة أو الكروموسومات . وقد ثبت الآن ان حجم كل كروموسوم لا يزيد على جزء من مائة ألف جزء من المليمتر

وليس في الوسع التنبؤ الآن بما ستسفر عنه مساعي العلماء في هذا الشأن ، ولكن من المحتمل جداً أن يتوصلوا منها الى معرفة أسرار السرطان والشيخوخة

وما تزال الكيمياء الحيوية أو البيولوجية في أوائل عهدها . وستشهد في السنوات العشر المقبلة عزل ذرات الفيتامين والهورمونات وجلاء سر الانزيمات وغيرها

وسيتقدم علم الوراثة في العقد المقبل من السنين تقدماً محسوساً فيحل سر الوراثة والتغير ويعرف العلماء سبب الاختلاف بين أفراد الجنس الواحد . وإذا عرفنا ذلك أمكننا أن نحكم مقدماً أن فلاناً مثلاً من الاطفال معرض للوفاة بمرض الحصبة أو بغيره . وإذا توصلنا الى هذا العلم أمكننا أن نتلافى شوائب الوراثة وأن نصلحها

وقد تمكن علماء النبات في خلال الاعوام العشرة الماضية من استنباط عدة أنواع جديدة من النبات بوسائل صناعية ، كما تمكنوا من ايجاد نبات قديم بوسيلة صناعية . وليس ما يمنع من استنباط أنواع جديدة من الحيوانات أيضاً بمثل الوسائل

ومن المحتمل أن يعثر العلماء على كثير من الحيوانات المنقرضة ، كالحلقة المفقودة ، التي بين الاسماك والحيوانات الثديية والتي عثر عليها العلماء أخيراً في جزيرة [illegible] ، وكانسان بكين ، وغيره

وسيوجه اهتمام خاص في خلال العشر السنوات المقبلة إلى الحيوانات التي تكثر في بعض البلدان دون غيرها . ولا يخفى أن تلك الحيوانات (كالارانب في كندا) تتوالد بكثرة غير معتادة في فترات معينة ، حالة أن غيرها تتناقص في تلك الفترات تناقصاً محسوساً كأنها مصابة بمرض ومن المحتمل أن جلاء سر هذه الفترات سيجلو أيضاً سر ازدهار بعض الشعوب في أزمنة معينة واندثار غيرها في تلك الازمنة

وسيتقدم علم الفسيولوجيا النباتية في خلال الاعوام العشرة المقبلة تقدماً محسوساً يتمكن الانسان بفضله من اكثار خصب بعض النباتات لزيادة الانتفاع بها

ولا شك أن الولايات المتحدة في مقدمة البلدان التي تعنى بالمباحث البيولوجية ، على ان الازمة الاقتصادية العالمية قد وقفت عثرة في سبيل تلك المباحث وهذا ما يدعو إلى أشد الأسف ، كما أن الاضطهاد الذي وقع أخيراً على بعض العلماء في المانيا كان له أسوأ الاثر في مواصلة المباحث البيولوجية هناك . على أن العلماء الروس يقومون الآن بنصيب كبير من هذا العمل . ويقال إن نحو ربع المؤلفات التي تبحث في العلوم البيولوجية في العالم تصدر اليوم من روسيا . وليس في وسع أي كاتب أن يتكهن بما سيبلغه علم البيولوجيا في خلال السنوات العشر المقبلة

فى الطب

من تحصيل الحاصل القول بأن الطب الراقى سيزداد تحكما فى الامراض الوافدة فى خلال العقد القادم . فان انتشار المستحضرات فى جميع الانحاء كفيل بذلك . وفى الواقع أن كثرة المستشفيات المجهزة بأحسن العدد والآلات أمر لا مندوحة عنه إذا أريد أن يتحكم الانسان فى الامراض

وإذا نظرنا الى علم الطب نفسه وتتبعنا الخطوات التى خطاها فى بعض السنوات الماضية جاز لنا أن نعلل أنفسنا بأن تقدمه سيكون عظيما جداً فى خلال السنوات العشر المقبلة . والرجاء عظيم جداً بالتقدم فى معرفة خواص العقاقير ومعرفة علاقة السيكولوجيا بالامراض . ومن الغريب أن هذا العصر الموسوم بعصر المادة قد كان أقل العصور ايماناً بقوة العقاقير . ومما يجدر بالذكر ان العلماء عرفوا فى أوائل القرن الحاضر أن جسم الانسان يصنع فى الداخل العقاقير التى يحتاج اليها لاتمام وظائفه . وقد أثار هذا الاكتشاف اهتمام الناس بوظائف الجسم الكيمياوية . ومنذ عهد غير بعيد اكتشف العلماء مواد جديدة هى عامل التغذية فى المواد الغذائية وأطلقوا عليها اسم الفيتامين . وهى مواد نباتية الاصل لا غنى عنها للجسم لان نقصها يؤدى الى أمراض معروفة وهذه الامراض كثيرة وعدد ما يثبت منها [illegible] على ذلك [illegible] كل يوم

وقد ثبت منذ عهد قريب أن هنالك مواد كيميائية تتولد فى الجسم وتعرض للانسجة الرسائل التى تنقلها الاعصاب . وفى نهاية الاعصاب مادة تساعد على شرح تلك الرسائل او الاشارات . ويظهر أن السموم عندما تدخل الجسم تؤثر فى تلك المادة على أن بعض العقاقير إذا وصلت إلى تلك المادة حالت دون وصول السموم اليها فكأنها تتغلب المرض عليها . وقد يفضى درس خواص هذه العقاقير الى تقدم علم تركيب الادوية

وما زال علماء الكيمياء يسعون لمعرفة حقيقة الهورمونات والفيتامينات . وقد استطاع بعضهم تحضير بعض تلك المواد بالوسائل الصناعية وأفضى ذلك الى نتائج مدهشة أهمها ان المواد اللازمة للتوالد والنمو فى الاحداث ولنشوء السرطان هى « متحدة » مما كيمياوياً أى انها متشابهة ومن نوع واحد . وكذلك اتضح للعلماء ان بعض أمواج النور ذات الاطوال المعينة تستطيع انشاء الفيتامين (د) فى الدهن الذى تحت الجلد . وكأن هذا الفيتامين يلتقط أشعة الشمس التى تقع على الجسم ويخزنها ثم يستعملها لانارة الانحاء المظلمة من باطن الجسم

فالعلم اذن قد أثبت فائدة أشعة الشمس كما أثبت فائدة الهواء الطلق . وفى الاعتراف بفائدة الشمس والهواء عودة الى مبادىء اسكولابيوس اله الطب فى أساطير اليونان . على أن فى العودة الى تلك المبادىء عودة أيضاً الى علاقة النفس بالجسد والى سلطان السيكولوجيا على أعضاء الجسم ذلك السلطان الذى قد بدأ يتجلى للعلماء أكثر فأكثر منذ الحرب العظمى الماضية . وأى دليل

أصدق على ذلك من تأثير الطبيب في نفس العليل ؛ فان العليل — سواء أظهر الشجاعة أم تكلفها — لا يخلو من قلق باطني . وقد يكون هذا القلق هو كل ما به من داء . وفي الواقع ان بعض المرضى هم مرضى لانهم يشعرون بانهم ليسوا سعداء ، وبعضهم يشعرون بانهم غير سعداء لانهم مرضى . وكثيراً ما يكون الشقاء الذي يشعر به الانسان ناشئاً عن عدم توفيق معيشته على أحوال البيئة التي هو فيها فيتولد في داخله خوف لا يزول الا باظهار العطف عليه وتفهيمه كيفية ذلك التوفيق

واذا نظرنا الى الجراحة رأينا أن التقدم فيها على أجلاه في جراحة الدماغ والرئتين . على أن في مقدمة ما يعنى به الجراحون الآن مسألة التخدير . وقد توصلوا الى طريقة يخدرون بها العليل في سريره من دون أن يعلم . وفي هذا تخفيف كبير لما قد يستولي عليه من الفزع

في الحرب

يعتقد سواد الناس انه اذا وقعت حرب أخرى في المستقبل ، فستكون في الجو أكثر منها على البر . أما الرجال العسكريون فلا يرون هذا الرأي، بل يعتقدون أن الحرب المقبلة ستكون مشابهة من أكثر الوجوه للحرب الماضية

ومما يجدر بالذكر أن كثيراً من قواد الحرب ما يزالون يعتقدون أن العامل الاكبر في المعارك هو الهجوم بصفوف متراصة وهو مبدأ وضعه نابليون وقد جرى عليه قادة الجيوش من ذلك اليوم الى الحرب العظمى الماضية ، وهو سبب الفشل الذي منيت به أعظم حملة عسكرية في تلك الحرب ، ومع ذلك مازال الكثيرون من قواد الجيوش يتمسكون بهذا النظام ويعتدون بالمشاة (وهم الجيش الاكبر في القتال) على الاعداء فتحصدهم مدافعهم الرشاشة حصداً متصلاً . وقد حدث مراراً في الحروب الماضية أن مدفعاً واحداً انتصر على صفوف مئات من الجنود لانه دار عليهم مدفعه السريع وأثخن فيهم قتلا وجرحاً

ويقع تبعة استمرار هذا النظام على رجال السياسة أيضاً فانهم ما يزالون حتى الآن يقيسون قوة الجيوش بعدد الجنود الذين تتألف منهم ، كما يقيس الانسان قوة السفينة بمجموعها من عدد الاطنان

وقد تعددت المدافع السريعة منذ الحرب الماضية وتنوعت في جميع الجيوش ، وفي تعددها وتنوعها زيادة في القوة الدفاعية في البر . وبقدر زيادتها نقصت المدافع الضخمة لان الاختبار أثبت أنها لاتتفق ومبدأ الاقتصاد ، فالفائدة المرجوة منها دون النفقات التي يتحملها الجيش . ومما يجدر بالذكر أن تحسيناً كبيراً قد طرأ على الدبابات منذ الحرب ، ومع أن فائدتها عظيمة جداً لا يزال عددها قليلا نسبياً في جميع الجيوش

وللمدافعين مزية دائماً على المهاجمين اذ في استطاعتهم أن يتحصنوا في مواقعهم ، ولو أطلق

للهاجمين عليهم الغازات المختلفة ومن في الامكان اتقاء هذه الغازات بالمسك ثم المختلفة

ولعل غاز الخردل من أشد تلك الغازات فتكاً . فهو ينتشر بسهولة على مسافات واسعة ومن خواصه أنه غاز غير منظور . ولاتقاء شره لابد للجنود من إلباسهم ثياباً خاصة أشبه بالثياب التي يلبسها الغواصون . ولكن هذه الثياب ثقيلة تعوق الجندي عن الحركة . فضلا عن أن هذا الغاز ينتقل من جندي الى آخر بالعدوى أي باللمس كما تنتقل جراثيم الامراض

واستعمال الغازات يقوي الميل الى تقوية وجوه الدفاع . ومن المحتمل أن يوجه كل جيش مقاتل همه الى اتخاذ خطة الدفاع في جانب من ساحات القتال مع القيام بالهجوم في ميادين أخرى

ثم ان الهجوم بصفوف متراصة يجعل مهمة الطائرات الحربية أسهل ، اذ في امكان هذه الطائرات أن تلقي قذائفها بسهولة وأن تصيب اهدافها أكثر مما لو كان الهجوم بصفوف غير متراصة . ولاشك أن عمل الطائرات في أوائل الحرب سيكون ذا تأثير عظيم فان المطلوب منها عرقلة الجيوش عند التعبئة وانزال الاضطراب بها وتدمير مستودعاتها وذخائرها منذ أول الحرب

وفي الواقع إذا تمكنت الطائرات من تدمير مواقع العدو المركزية ومستودعات ذخائره فان ذلك يعجل بانتهاء الحرب

ومن الحقائق المسلم بها أن عدد الطائرات الحربية متناسب مع الجيوش . فكلما كان الجيش كبيراً وجب أن يكون عدد الطائرات كبيراً . ولكن كبر الجيوش وكثرة الطائرات والاسلحة تجعل الاشراف على شؤون الجيوش ، على المعامل التي تخرج الاسلحة والذخائر أصعب . والخوف كل الخوف من الجيوش الصغيرة العدد المشكلة تشكيلا فنياً في الطائرات فان في وسعها القاء الذعر في جيوش الاعداء نظراً الى سهولة الاشراف عليها وتوجيه حركاتها ، مع تأمينها من مفاجآت العدو إلى أقصى حد ممكن

في الاكتشاف

إن مستقبل الاكتشاف متوقف على اتساع نطاق الطيران . وقد كان هذا الاكتشاف يتم قديماً بتحمل أهوال الاسفار والاغتراب أعواماً كثيرة كما وقع لستانلي ولفنجستون اللذين اكتشفا مجاهل القارة المظلمة . وعلى كل فان القارات المجهولة لم يبق منها سوى قارة القطب الجنوبي إذ ما تزال أشبه بسر مستغلق لا نعلم شيئاً من حقيقته . والعالم في حاجة الى مغامرين أشداء البأس يواصلون جهود سكوت وشاكلتن في هذا الشأن

وفي الواقع أن الطائرات ستواصل في المستقبل تلك الجهود فتطير فوق مجاهل القطب الجنوبي وتمسحها وتصورها صوراً فوتوغرافية . ومثل هذا العمل لم يبدأ بداءة جدية حتى الآن وهو

متروك للذين سيجيئون بعدنا . ومع أنه أقل خطراً من الأعمال التي أنجزها رواد المجاهل في الماضي فانه يقتضي شجاعة وقوة وصبراً ورغبة في المغامرة

وعلى كل فان الاكتشاف في خلال السنوات العشر المقبلة سيكون موجها الاكثر الى درس بعض الامور التفصيلية بالمجاهل غير المعروفة كمسح تلك المجاهل ودرس طبوغرافيتها وتصوير جبالها وسهولها وأوديتها . وستتجه الانظار الى مجاهل القارة الافريقية أكثر من اتجاهها الى مجاهل أية قارة أخرى . وقد بدىء في الواقع بارتياد تلك المجاهل إذ توالت البعثات العلمية الى جبال الهملايا بقصد تسلق قمة افرست . ومع ان تلك البعثات لم تنجح النجاح التام حتى الآن فقد اسفرت عن جمع طائفة كبيرة من المعلومات الثمينة المتعلقة بطبوغرافية تلك الجبال وطبيعة حيواناتها ونباتاتها وغير ذلك من الامور ذات الشأن

وليست جبال الهملايا سوى حلقة واحدة في سلسلة جبال آسيا . فهناك جبال كثيرة ما تزال سراً مستغلقاً على علماء الجغرافيا حتى الآن كالجبال الموسومة على الخرائط الجغرافية بحرف (ك ٢) وهي واقعة على مدى بضع مئات من الاميال الى الشمال الغربي من سلسلة الهملايا . وقد تسنى لكاتب هذه السطور أن يصل إلى تلك الابعاد إلا أنه لم يستطع أن يكتشف سوى ما مساحته نحو الف ميل مربع . ثم ذهب بعده الدوق داروزي والدوق دي سبوليتو وقد أسفرت رحلة كل منهما عن جمع طائفة كبيرة من معلومات ثمينة . ونحن الآن في حاجة ماسة الى من يكتشف لنا سلاسل جبال «كاراكورام» و«هندكوش» و«كوين لون» و«ترانس شان» وغيرها من الجبال الممتدة من تبت الى الصين والواقعة في نواح أخرى من قارة آسيا . وهذه جبال تحيط بها مجاهل لا يعرف عنها العلم شيئا

وخلاصة القول أن جهود المكتشفين ستنصرف في خلال السنوات العشر المقبلة الى استجلاء أسرار آسيا وجبالها ومجاهلها ومجاهل قارة القطب الجنوبي . والاكتشاف كهذا يقتضي عزماً واقداماً لا حد لهما فضلا عما يقتضيه من الاموال الوفيرة . على أن عهد الاكتشاف الفردي قد انقضى . فلن يقوم بالاستكشاف في المستقبل سوى البعثات والجماعات المجهزة بأحدث الوسائل العلمية

في الصحافة

يقول المستر بلومنفلد في كتابه «الصحافة في هذا العصر» إن صفات الصحفي اليوم أضعف مما كانت منذ عشرين سنة أو أكثر . ويرجع هذا الى عدة أسباب ، أهمها الميل الى ما يسمونه «بالتخصص» ، فالصحفي يعتقد اليوم أنه لا يطلب منه أن يكون ملماً إلا بشأن واحد من شؤون الاجتماع كالألعاب الرياضية مثلا أو كسوق الاوتوموبيلات أو ما إلى ذلك . وقد كان الصحفي منذ ثلاثين أو أربعين سنة إذا طلب اليه أن ينشىء مقالة في اي موضوع ، كتبها باتقان لا مزيد عليه . أما

الآن فان الذى يحرر صفحة السينما مثلا قلما يحسن الكتابة فى غير هذا الموضوع . ونتيجة هذا الضعف فى صفة الصحفى أن الشبان المتعلمين الاذكياء لا يجدون فى الصحافة ما يستهويهم . وفى الواقع أن الصحافة فى هذا العصر هى أحط من الصحافة فى مستهل هذا القرن من الوجه العقلى . فاذا تصفحت أى صحيفة انكليزية تصدر اليوم فى انجلترا تجدها دون المستوى العقلى الذى كانت عليه منذ عشرين أو ثلاثين سنة . وفى الواقع أن الفرق يظهر على أجلاه اذا قابلنا صحف سنة ١٩٣٤ بصحف سنة ١٩١٤ وما قبلها . وليس ذلك راجعاً الى تغير أصحاب الصحف بل الى تغير عقلية الجمهور وذوقه . وقد كان قراء الصحف بالامس أرقى عقلياً من قراء الصحف فى هذا العهد . ولهذا نجد القراء اليوم يميلون الى تصفح ما يطالعونه بسرعة كبيرة ويفضلون قراءة الخلاصات الموجزة ليتمكنوا من الالمام بمعظم ما يقع من الحوادث

ويعتقد المستر موسدلد أن مستقبل الصحافة زاهر وان صحف الغد ستكون أرقى من صحف اليوم عقلياً وعلمياً واجتماعياً ، وسيقل اهتمامها بالاخبار التافهة التى تشغل حيزاً كبيراً من صفحاتها . ولعل فى مقدمة الاصلاحات التى ستطرأ عليها زوال العنوانات الضخمة التى تنشر بأحرف كبيرة لاجتذاب نظر الجمهور وهى تشغل حيزاً كبيراً بغير طائل . وفى الواقع أن الغرض الاكبر من استعمال تلك العنوانات الضخمة هو أن يتمكن محرر مؤونة ملء فراغ كبير وأن تجتذب أنظار القراء كما يفعل الذين يحشون مادة حديثه بسلسلة من علامات الترقيم . واذا كان الجمهور راقيا فى ادراكه وحسيته فانه يفضل الاطلاع على الآراء الحقيقية أكثر من الاطلاع على الصور

على أن أعظم تغير سيطرأ على صحف المستقبل هو أنها ستنفصل من حزبيتها وتصبح أكثر شبهاً بمنابر العلم تدافع من موقفها آراء الجميع على حد سوى . وليس معنى ذلك أن الصحف الحزبية ستزول بل أنها ستنحصر فى الذين ليسوا من حزبها بنظرة جد واحترام لان آراءهم جديرة بالاعتبار

ولا بد من تنقيح قوانين الصحافة والتشدد فى معاقبة من يظهر سيرة ويختلق عليه أموراً بقصد تحقيره . أما خوف بعض أصحاب الصحف من انتشار اللاسلكى من كونه سيؤثر فى الصحف فليس فى محله . وستنمو المجلات الاسبوعية وتكثر ويتسع نطاق قرائها . ولن يدهشنا ان نرى مجلة « كاسكتاتور » مثلا تصبح فى خلال السنوات العشر التالية أكثر مما هى الآن وأن يهبط ثمنها الى سنين (أى من ثمانية مليمات) وأن يزداد عدد ما يباع منها الى مائة ألف كل أسبوع . وإن مجلة اسبوعية لا يقل عدد صفحاتها عن الاربعين ولا يزيد ثمنها على ستين ويحررها طائفة من مشهورى الكتاب لابد ان تحرز نجاحا عظيما فى عالم الصحافة . وأعتقد أن صحافة سنة ١٩٣٤ ستكون احسن من صحافة سنة ١٩٣٣

غرائب المطالعات

بقلم الأمير مصطفى الشهابي

[طالع القراء في الأعداد الماضية بعض مقالات طيبة لحضرة العالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي . وها نحن في هذا الشهر نتحفهم بهذا المقال الطريف ، الذي يتحدث فيه عن طائفة من غرائب العادات في بعض الأمم مما شاهده أو طالعه . وهذه العادات جديرة بالمطالعة والدرس لما فيها من غرابة ، ولأن كثيراً منها يرجع لأسباب اجتماعية وتاريخية واقتصادية]

إذا استحكمت العادات في قوم من الأقوام وتوطدت دعائمها وتأصلت عروقها وورثها الأبناء عن الآباء ، ظن الناس أن هذه العادات أصبحت حقيقة من حقائق الكون الثابتة وأنها لا تتبدل ولا تتحور ، وأنه لا يجول في خلد أحد تبديلها أو تحويرها ، وأنه أيسر من ذلك أن تقف الشمس عن الدوران وأن تزول الأرض وزوالها. ولو مد هؤلاء الناس أبصارهم إلى بعيد لرأوا أن ظنهم هذا لا ظل له من الحقيقة ، وأن هنالك أقواماً لهم من العادات ما يستنكره غيرهم أشد الاستنكار ، وأن هنالك من ... في العقائد والعادات ما يدعو إلى الهزؤ والسخرية. وهذا ما سأقصه عليك في بعض ما شاهدته أو طالعته من الغرائب ، وإن كان فيها ما تشمئز منه النفوس

ولنبدأ بالقملة فهي في ذيل من الأمثال ، لكنها لا وزن لها عند بعض الأقوام . ونحن إذا رأينا قملة في رأس أحدهم عمدنا إلى الكحول والزئبق نكافحها بهما مكافحة الأبطال ، والنفس أشد ما تكون تقززاً وتنفراً ، ولكن القمل يا صاح ليس عدواً لكل الناس ، فبعض سكان أستراليا الأصليين لهم رءوس محشوة قملاً ، والقمل من المآكل الشهية لديهم فإذا التقى صديقان قدم كل منهما رأسه إلى الثاني فجعل يصطاد القمل فيه وراح يلتهم صيده بشراهة . . .

ولا يذهبن بك الظن إلى أن هذه الحشرة التي تمجها نفوسنا هي فريدة في هذا الباب ، ففي داخل أندونيسيا قبائل إذا عضها الجوع أكلت الدود الكبار والجراذين والخنافس والجعلان وأضرابها من الحشرات . وكل هذا لا يستغرب ، فقد أكل الفرنسيون في حرب السبعين (سنة ١٨٧٠) أمثال هذه المآكل كما أكلوا الفيران حتى بيع الجرذ بفرنكين نقداً ذهباً ، والجوع قتال كما تعلم ، ولله در الكاتب الفرنسي (ميربو) في روايته « جنة التعذيب »

فقد وصف كيف كانت حكومة الصين السابقة تعذب المجرمين بطرائق تقشعر منها الأبدان . منها وضع هؤلاء التعساء في أقفاص وتجويعهم حتى إذا نفد صبرهم وثب بعضهم على بعض فقتل القوى الضعيف وأكل لحمه نيئاً

وأكل لحم الانسان عادة ما برحت متبعة كما لا يخفى في كثير من القبائل الهمجية . ويقول الرواد إن بعض القبائل في سومطرة كانوا من أكلة لحوم البشر ، وان الجديرين لديهم بأن يدعوا فيؤكلوا هم أسرى الحرب والمعتدون على السابلة ولصوص الليل والزناة وغيرهم ، وإن عندهم شرائع وعادات في طرائق الذبح وفي تجزئة الذبيح واقتسام لحمه ، منها أنه يحق لزوج الزانية أن يختار أجود قطعة من لحم الزاني الذى فجر بامرأته ولا تنس أن هؤلاء الناس كانوا يأكلون أقاربهم إذا أسنّوا وقعدوا عن العمل . وقد ذكرتني هذه الحال بجملة لأحد الكتاب الفرنسيين المشهورين ، خلاصتها أنه إذا ضاقت الأرض بسكانها واشتد التزاحم بين الناس فنضطر الى الاستفادة من لحم الذين يتوفاهم الله من أقاربنا كأن نبيعهم بعد الوفاة من أرباب المطاعم حتى إذا حان وقت الغداء دخل أحدنا مطعماً وصاح « يا غلام إلىّ بصحن من لحم ابن عمي » أو : « هات قطعة من عجيزة [illegible] » [illegible] ؟ فلعل هذا اللحم يكون ألذ من لحم [illegible] لا سيما إذا كان صاحبه من [illegible] في هذه الحياة . . .

ثم لقد أوصت الأديان بحلول [illegible] فمتى [illegible] أكل لحمهما من دود الأرض وجراثيمها ؟ [illegible] بعضه ويمنع حوزته

ولنعد بعد هذا لا [illegible] وهي موضوع [illegible] اليوم . فنحن نغتسل بالماء ، وعندنا غرف فيها يغتسلن بالماء المعطر ، ولكن أتظن أن كل الناس على هذا ؟ فالاسكيمو القاطنون على مقربة من القطب الشمالي تبدو لهم وجوه سمر لما يعلوها من الوسخ لأن الرجل لا يغتسل إلا نادراً . وإذا اغتسلت المرأة استعملت البول لهذا الغرض في بعض الأنحاء ولهذا تفوح منها رائحة كريهة مضافة إلى رائحة لباسها الملطخ بالشحم وبالسمك . . . وافرض ، حماك الله ، أنك علقت بحب واحدة من تلك السيدات فما أنت صانع به ؟ إنك لا تتصور الحب إلا في قصر كالخورنق أو السدير مع غانيات كالحور العين مضمخات بالملاب والعنبر والند ، ورافلات بالدمقس وبالحرير فتنتشق من أجسامهن روائح الجنة وتمتع عينك وأذنك بما لا عين رأت ولا أذن سمعت من قدود هيفاء أو لثاء وأصوات دونها أصوات الملائكة في جنة الخلد التي إليها تبعثون !

ولكن يا أخي دنياك هذه ليست كلها كما تتصور أو ترى في روايات السينما الفنية بغاداتها وقصورها وملابسها وزخارفها . فلقد كنت البارحة أهبط جبل قاسيون الى مدينة دمشق فاسترعى نظري رجل وامرأة مستلقيين على قمة (مزبلة) أحد الحمامات يتقبلان او بل في أتونه وهما يتداعبان ويتمارحان ويتغزلان ويتحابان، وكأني بهما أسعد حالاً من صاحب « الحمراء » أو من قال: « حسد القصر فيكم الزهراء » . وقد أعاد منظرهما على بالي بعض نكات اميل زولا المصور الماهر لسفلة الناس وعامتهم . فهو إذا ذكر تعاشق الفلاحين رسمه لك على المزبلة أو القش أو بين البرسيم والصمصمة أو بجانب قطيع من الغنم، والعشاق عندها طربون لموسيقى شجية من خوار البقر وقباع الخنازير ونبيب التيوس . وإذا تحدث معك عن [illegible] المعدنين صور لك رجلاً وامرأة في قعر بئر يحفر بأن الارض بالمعول لاستخراج الفحم الحجري من جوفها في حرارة تذيب الادمغة ورطوبة تزهق النفوس ومياه تغوص الارجل فيها ومع هذا يجد العامل والعاملة في هذا المكان الخيف مجالاً للمغازلة والمداعبة والمهارشة واطفاء لاعج الغرام، وأرجلهما قد غيبت الى الركبة في الحمأ المسنون . ولله في خلقه شؤون

وهذه أسنانك [illegible] في كل صبح وتمحي عليها بالمسحوق (المعجون) والمعجون أحدث ورداً وعكساً وطرداً حتى [illegible] ويشرق [illegible] . [illegible] في مخيلتك كاعباً حسناء في غلالة نوم واقفة [illegible] تريك [illegible] [illegible] في خيالك وتستغرق في تصوراتك هذه [illegible] بروز جمال السن في تسويدها فترام يصبغون أسنانهم بالسواد [illegible] بإستمرار حتى إذا اسودت تلك الاسنان يكون [illegible] أشدها سواداً . . .

ونحن نستقذر الكلاب ولا نربيها في البيوت إلا للصيد أو للتحرش باللصوص على حين أن الاوروبيين يربونها مع الاولاد والنساء كالقطط والدواجن . وقد فتحوا لها أخيراً في باريز مطعماً يطعمونها فيه فاخر المآكل ويسقونها سائغ الشراب . وفي التبت شمالي الهند سكان يحنطون الكلاب ويضعون موتاهم زاداً لها . وأغرب من هذا قبيلة من قبائل أوقيانوسيا يعتقد أفرادها أنهم تحدروا من نسل كلب اسمه « بَنْ » وأميرة من الأميرات . ولذلك قدسوا الكلب وحرموا قتله . فهل لمجالسنا البلدية أن ترفق بهذا الحيوان الاليف فلا تدس له السم كما تكاثر نسله في الشوارع والأزقة وملأوا الهواء نبحاً وهريراً ؟ وهل من أديب ينبئنا أن إحدى قبائل العرب الاقدمين كانت تسمى كلاباً وأنها كانت من أشد القبائل شكيمة ومن أقواها

للضيف وأمنها للمستجير حتى قال الشاعر معرضاً بمجدها وسؤددها :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ولا حد لغرائب الناس على الارض في معتقداتهم وفي أحلامهم وعاداتهم . فنحن نسمي الأولاد بأسماء رفيعة تدل على الايد والقوة ومحاسن الصفات ، وفي « لاوس » يسمونهم بأسماء وضيعة خيفة أن يستولي الجن عليهم . فهذا طفل اسمه سلح الاوز، وذاك خثي البقر، وذلك روث الخنزير . ومتى كبر الاطفال قل تأثير الجن فيهم وتعرضهم لهم فجاز إذن تبديل أسمائهم بما هو أقل فظاعة مما ذكر، كمثل الارنب والجرذ والضفدع ... ولم تتصل بي أسماء الذين يبلغون الشباب هل تظل على حالها أو يقوم مقامها ما هو أصلح منها لانه يفرض في الشباب نزوع عن الخضوع لسلطان الجن وميل إلى مقارعة هؤلاء الطغام الاوغاد

ويذكرون أن القضاء في تلك البلاد كان بسيطاً سريعاً ، فالقاضي كان يحكم على المذنب في جلسة واحدة ، وإذا حكم عليه بالقتل قتله بيده . وقد تصورت لو كان عبد العزيز فهمي باشا قاضي قضاة مصر ومصطفى [illegible] قاضي قضاة الشام يقومان بعملهما في تلك البلاد لرأيناهما عن يمينهما كتب القانون وعن شمالهما سيف ونطع ، حتى إذا حكما على مجرم بالقتل وثبا عليه فجندلاه على الارض « بطعنة رمح أو [illegible] » ...

• • •

وبعد فليس الانسان منفرداً بهذه العجائب ، ففي دوحتي الحيوان والنبات ما هو أغرب منها . وهذه استراليا ففيها حيوانات لبونة لها مناقير كمناقير الطيور وفيها نمل لا حصر له ، ولقالق سود ، وأشجار ترسل صفائح أوراقها صعداً إلى السماء ، وأخرى تتعرى في الشتاء من قشورها لا من أوراقها ، وهنالك ثمار من الكرز لحمها ضمن النواة لا نواتها ضمن اللحم ... فأي حكمة في هذا ، وأين الحقيقة المجردة في مختلف الآراء والمعتقدات ؟

دمشق مصطفى الشهابي

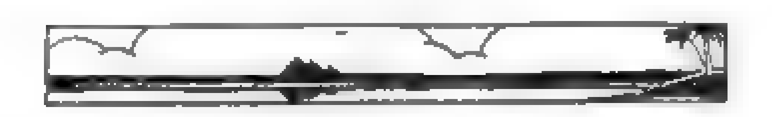

احمد جمال باشا

وزير البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

عرض الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر في «الهلال» الماضي لسيرة جمال باشا في سورية وتظاهره في أول الامر بتأييد النهضة العربية . وعرض كذلك [illegible] على مصر إبان الحرب الكبرى والاضطهادات التي انتشرت في البلاد عقب [illegible] . وقد سبق أن نشرت في «الهلال» مايروى عن حياته قبل قدومه سورية . وننشر هنا نبذة [illegible] وشهادة المارشال هندنبرج [illegible]

أما جمال باشا قبل الانتصارات الالمانية التركية التي طار لها لبه والتي عبثت بحكمه الجنائية في سورية عبثاً ، فهو جمال المتربص تارة وجمال المنقض على دولة الخائن لخليفته وسلطانه تارة أخرى ، كما تدل على ذلك الوثائق الآتية التي ذاع على ألسن الناس في دمشق خبرها ، والتي كان الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل عارفاً [illegible] بين جمال باشا من الظواهر السياسية [illegible] ، وانتهت أخيراً برسالة في صدد [illegible] معالمها واخفاء كل أثر من آثارها . لكن [illegible] الدهر [illegible] سيسدل عليها ستار من النسيان تقتل من فاتهم شأنها ، ولم [illegible] قامت في روسيا سيذكرون في أحد الايام عرش (آل رومانوف) ويقتلون القيصر والقيصرة وأولادهم شر قتلة وينشرون على الملأ فضائح المعاهدات السرية [illegible] الحلفاء مما وجدوه في سجلات وزارة الخارجية الروسية القيصرية ، وكان مما عثروا عليه أيضاً بين هذه المعاهدات وثائق من أغرب الوثائق تتعلق بتآمر احمد جمال باشا على الدولة العثمانية والتجائه الى ألد خصومها في تحقيق مطامعه الشخصية من انشاء دولة بتأييدهم وحمايتهم يكون على رأسها ويتولاها من بعده ابناؤه واحفاده ، وان تكون حدودها حدود منطقة الجيش العثماني الرابع الذي تولى قيادته من جبال (طوروس) شمالا حتى [illegible] جنوبا وأن تتسع شرقاً وجنوباً وشمالا فتشمل العراق والحجاز واليمن وبعض الولايات الاناضولية

يبلغ عدد هذه الوثائق التي نشرها البلشفيك ثلاث عشرة وثيقة تاريخ الاولى منها ٢٦ اكتوبر سنة ١٩١٥ رقم ٦٣٩ وهي بامضاء المسيو سازانوف وزير الخارجية الروسية الى سفارتي باريس وروما ، وفيها الشروط التي يشترطها احمد جمال باشا على الحلفاء ليثور على السلطان وحكومته ، ثم رسالة بامضاء السفير الروسي في بخارست المسيو بوكلوفسكي وتاريخها ١١ دسمبر

سنة ١٩١٥ الى وزارة الخارجية في بطرسبرج ، وفيها تأييد خبر الخلاف الذي نشب بين جمال باشا ورجال الحكومة المركزية ، وامكان استمالة جمال باشا الى الحلفاء ، وحمله على الثورة على حكومة استمبول . ورسالة من روما تاريخها ٢٨ دسمبر سنة ١٥ من السفير الروسي المسيو كريس الى وزارة الخارجية في بطرسبرج ، وفيها موافقة السنيور سونينو على اثارة جمال باشا ، ورسالة تاريخها ٢٧ دسمبر سنة ١٩١٥ من السفير الروسي المسيو ازوفولسكي الى وزارة الخارجية في بطرسبرج وفيها أن المسيو بريان اظهر اهتماماً كبيراً بهذا الاتفاق ولكنه قال ان هذه الشروط لا تتفق ومطامع الانكليز المعروفة ، ولكن بعد الانقلاب الوزاري في فرنسا عاد المسيو ازوفولسكي فقال بتاريخ ٢٩ دسمبر رقم ٨٥٤ انه اجتمع بالمسيو بريان وباحثه في الامر فوجد منه معارضة جدية لان الخطة الموضوعة للاتفاق وان كانت حسنة في الظاهر إلا أن الفرنسيين يرونها عقفة لرغبة روسيا وحدها بالاستيلاء على المضايق واستمبول ، في حين انها تحرمهم من البلاد التي وعدوا بها كفلسطين وسوريا وقسم من كليكية ، وهي بلاد لا يمكنهم التخلي عنها ابداً ، وعدا ذلك فالحكومة البريطانية تفكر في ايجاد حكومة عربية مستقلة ، ثم اعقب السفير هذه البرقية بملحق خصوصي رقم (٨٥٥) ذكر فيه الحدة التي اظهرها المسيو بريان وكيف ان الوزراء الفرنسيين عارضوا هذا الاتفاق بشدة جهراً ، لانهم لا يرون في الاقتراحات المقدمة لمعارضة جمال باشا إلا تحقيقاً لاماني الروس في الاستيلاء على استمبول والمضايق دون أقل ضمان للسيادة الفرنسية المقررة على الشرق . وقال السفير في ختامه : « والذي اعتقده عقيماً لهذه الفكرة ان يبدل هذا الاتفاق بصورة تحفظ للفرنسيين حقوقهم المقررة على سوريه وفلسطين وكليكية ، وفي هذه الحالة يمكن استئناف المفاوضات مع جمال باشا » . وفي اليوم السابع عشر من يناير سنة ١٩١٦ حث وزير الخارجية الروسية المسيو سازانوف سفير روسيا في باريس على الاسراع في ارسال الوسطاء الى مصر لان هؤلاء الوسطاء قالوا ان البطء في بدء المفاوضات يحول دون تحقيق الفوز المنتظر . ولكن رغم هذه المفاوضات وصرف النظر عنها تماماً أتى من جانب الانكليز ، فقد ارسل السفير الروسي في لندن المسيو بكندورف الى حكومته في ٢٧ يناير سنة ١٩١٦ يقول : « اجابني نيكولسون ان الحكومة البريطانية بعد فحصها القضية من جديد وتقليبها اياها على جميع وجوهها ترى من الضروري عدم اشتراكها في هذه المفاوضات والتنازل عنها نهائياً لأن المفاوضات التي تدور مع العرب تدور في جو صاف وصورة ملائمة للعرب والانكليز معاً ، وهي لا تريد المفاوضات مع جمال باشا بوجه من الوجوه » . وذكر المسيو ازوفولسكي في الختام في يوم ١٣ مارس سنة ١٩١٦ ان المسيو بريان قابل (ظفرياف) أحد الوسطاء مقابلة حسنة ، إلا انه لم يعده وعداً ثابتاً بل حاول التخلص من أي وعد قطعي .

وقصارى القول أن الدولتين المعظمتين انجلترا وفرنسا قاومتا سراً مشروع المفاوضة مع

جمال باشا أشد مقاومة ووضعنا العراقيل في سبيله ، وحسب السفاح عاراً انه ان لم يثر في وجه الخليفة محمد رشاد ، فليس ذلك عن وطنية عثمانية وحمية اسلامية وصدق واخلاص ، بل لأن نفس الذين اراد أن يخدمهم ويحرر بلاده وحكومته بالانضمام اليهم ردوه رداً قبيحاً مستهجناً

ومن أغرب الظواهر الاجتماعية ان رجلاً مثل احمد جمال باشا اقترف اعظم جناية في تاريخ الاسلام الحديث بالمشانق التي نصبها في سورية ، والتي لولاها ما استطاع ثائر من العرب ان يثور على الترك ويرفع السلاح في وجوههم بصورة مؤثرة ، وهو مع ذلك لم يتورع ان يلجأ سراً الى انكلترا وفرنسا لتساعداه على دك حصون الخلافة وتمزيق اوصالها ، إن رجلاً كهذا الرجل ما يزال معدوداً في بعض الأوساط الاسلامية بطلاً من ابطال الاسلام ، في حين أن رجلاً مثل الحسين بن علي وقد قام في وجه اقسى الظالمين للدفاع عن نفسه وعن قومه وبذل تاجه في سبيل فلسطين رداً للوطن القومي الصهيوني حتى انتهت حياته بالنفي والتشريد ، ما يزال متهماً في صدقه ووطنيته وعقيدته ! ومثل هذا الخطل في الرأي والزلل في فهم الحوادث مقياس لسهولة التضليل في العالم الاسلامي ، وغني عن البيان أن انقياداً للاضاليل بمثل هذه السهولة لا تتفق بالرأي العام المسلم الذي لا بد منه للنهضة السياسية الصحيحة

ويخيل الي أن الدعاية التي شنها [illegible] وزملاؤه الاتحاديون ، من أن الثورة العربية هي سبب انهزام دولة الخلافة وسقوط الخلفاء عن العرش ، أثرت في بعض الاوساط الشرقية اثرها ، لبعد هذه الاوساط عن اتصال بالحقائق [illegible] ، ولسرعة تأثر اهليها بكل ما عليه مسحة دينية ، مع أن تاريخ الحرب العامة دلنا من غير شك على ان معركة المارن الاولى التي حدثت في شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ والتي انسحبت الجيوش الالمانية في نهايتها كانت ذات معنى حاسم . قال الجنرال لودندورف في مذكراته : « لقد دهشت للتفاؤل الذي كان منتشراً في برلين في اواخر اكتوبر سنة ١٩١٤ كأن الناس لم يقدروا الخطر المروع الذي كان محدقاً بنا في تلك الايام » (١)

وقال انور باشا للمارشال هندنبرج : « مهما حصل في آسيا فان الفصل النهائي في هذه الحرب سيكون في اوربا ، لذلك اضع جميع الفرق العسكرية التي استطيع الحصول عليها تحت تصرفك » (٢)

ومن سوء حظ السفاحين من الاتحاديين الطورانيين ان أخص حلفائهم يجهلون تهمة الفرقة التي حصلت بين الترك والعرب . وحسبنا ان نذكر هنا شهادة الجنرال لودندورف وهو رئيس اركان حرب الجيش الالماني ، فقد جاء في ذكرياته عن الحرب قوله : « ان الحكومة التركية استمرت على موقفها السابق نحو الاقوام العثمانية الاخرى ، ومع كل ما بذلته بنفسي من

(١) My War Memories, Vol. I P. 70

(٢) Out of My Life, P. 181

الانقاس والاستعطاف فالترك لم يبذلوا سعياً واحداً جدياً لصرم حبال السياسة القديمة التى سلكوها مع العرب »(١)

على أن رئيس أركان حرب جمال باشا وهو الميرالاى على فؤاد باشا لم يحجم ان يقول فى مذكراته عن هذا السفاح : « انه بالمظالم والمغارم التى ارتكبها أعطى الحسين بن على عذراً مقبولا يعتذر به امام المسلمين عن انتقاضه »

وتتلخص سياسة السفاح فى البلدان العربية ، بعدما بهر بصره لمعان سيف النصر الجرمانى التركى فى اوربا وآسيا ، فى اطفاء الذهنية العربية المشتعلة وسحق من هم مظنتها ، وقد سلك فى ذلك طريقة شيطانية معروفة منذ بيلاطوس إلى اليوم ، وهى : أن يجمع المجرم والبرىء على صعيد واحد ، ويقيد الجاسوس والحر بصفاد واحد ، ويرفع اللص والشريف على مشنقة واحدة ، ليظهر للعالم الشرقى الساذج بهذه الطريقة الحقيرة احرار العرب بمظهر الخونة المأجورين لدول الاستعمار وهذا غاية ماحاوله فى كتابه « الايضاحات السياسية » وأذكر جيداً انى لما قرأت فى هذه «الايضاحات» الاسباب التى حملته على شنق عبد الوهاب بك المليحى مثلا - وهو من كبار الأحرار الذين انجبتهم البلدان العربية - وجدتها فى اتهامه بانه « لايحب الدولة العثمانية » فلو تنزل العدل فصار يحاكم الناس على الحب والبغض ويرسلهم الى المشانق بمجرد الهواجس فى نفوسهم لما أحل العودة الى القرون الوسطى والمعيشة تحت ظل « ديوان التفتيش » وفى عقيدتى ان حرق (برونو) فى آخر القرن السادس عشر كان أشد هولا من شنق عبد الوهاب بك فى سنة ١٩١٦ ، لأن ذاك وضع لما من علم وفلسفة دك به عرش الاكليروس ، وأما هذا فتهمته كلها انه كان يبغض الدولة العثمانية او بالاصح حكومة الاتحاديين ؟ ومن أغرب ما اقصه على القراء من الحوادث التى تتعلق بى نفسى - وهو ما يدل على جرأة السفاح على الناس بالكذب والبهتان - انى فى سنة ١٩١٥ جمعت نخبة منتخبة من ابناء بلادى ما يزال عدد منهم كبير على قيد الحياة فى منزل المرحوم شكرى باشا الايوبى ، وذلك للبحث فى تنظيم قوى البلاد لمقاومة الافرنج المستعمرين ومنعهم من دخول سوريا وتأييد الجيوش العثمانية فى الدفاع عن حوزة الوطن ، لكن جمال باشا لم يمتنع ان يقول عنى (فى الايضاحات) انى كنت على اتصال برؤساء العشائر لتحريضهم على الانتقاض على الدولة

ولما ذكرت فى آخر مقالى فى « هلال » مايو الماضى عن السفاح أنه كان يسترشد بجنكيز وهولاكو وتيمورلنك ومن حذا حذوهم ، لم أكن مبالغاً ولا ألقيت الكلام على عواهنه . وذلك للنص الآتى الذى سمعه ألوف الناس من فمه فى الجامع الأموى فى مساء السابع والعشرين من رمضان فى تلك السنة ، فقد حدث أن الامبراطور غليوم أهدى السلطان صلاح الدين الأيوبى

---

(1) My War Memories, Vol. I P. 256.

ثريا من الذهب أرسلها مع معتمده البارون اوبنهيم ، فكان من نصيبي أن أخطب في الحفلة التي أقيمت لهذا الغرض مع من خطبوا على دكة أقيمت في صحن الجامع ، فاغتنمت تلك الفرصة لأذكره بالموقوفين في الديوان العرفي في عاليه من أحرار البلاد ، وعاقبته . فإذا اراد احمد جمال باشا ان يحتفل الناس بذكراه على اختلاف عناصرهم واجناسهم بعد مرور القرون العديدة ، كما يحتفلون في هذا المساء بذكرى صلاح الدين ، فما عليه إلا أن يعفو عفوه في اجراء العدل والبعد عن التنكيل ، وضربت على ذلك بعض الأمثلة من سيرة السلطان الكبير ، فما كان من السفاح الا أنه تخطى دور من تقرر ان يخطبوا قبله مثل الوالي خلوصي بك والبارون اوبنهايم ليقول لي : « ليس السلطان صلاح الدين الخليفة الوحيد في الاسلام ، بل هنالك من يضارعونه في العظمة والمجد مثل الخليفة السلطان سليم ، فقد قتل هذا في سبيل المملكة اخوته وابناءه وزوجته وغيرهم ممن لا تحضرني اسماؤهم » . فقلت للواقفين بجانبي عن الأحرار الموقوفين : « العوض بسلامتكم » ، وقلت في نفسي مستهزئاً : « نعم المثل الاعلى للاحتذاء » .

ومن بعد ظهور الثورة العربية في أواسط سنة ١٩١٦ ، وإخفاق الطائفة في سحقها كما ارم الاستانة ، ومن بعد الانهزام المتواصل الذي لاقته جنوده على الجبهة الجنوبية ، ومن بعد انتشار اخبار السوء عنه في كل مكان وتحفز البلاد العربية في كل جهة للانتقام للدماء الشهيدة التي أهرقت ظلماً وعدواناً ، كفت الحكومة المركزية يده عن العمل في نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وبعد حين غادر سورية مصحوباً مكتئباً بعض الالم ، وطرح اعلامه المعيبة من نافذة القطار الى اعماق نهر (بردى) على جانبي الطريق .

وعقيب الهدنة في اكتوبر سنة ١٩١٨ غادر الاستانة سراً في غواصة المانية نزل بأوديسا ثم قصد المانيا . فلما احتجت الحكومة العثمانية على المانيا لإيوائه الاشخاص ... قصد الى سويسرة وأقام في احدى قراها باسم المهندس خالد بك ، وفيها دون مذكراته ، ثم سافر الى روسيا فأفغانستان ، وهناك دعته الحكومة لتنظيم جيشها . وروى لي صديقي أديب خان غال الملك ، ثريا ، أنه بينما كان يقطع ظهور الجبال على الحدود الروسية هو واحمد جمال باشا على ظهور الخيل زفر هذا زفرة خرجت من اعماق صدره وكان في حالتها « لم يفلت من يدي الا رجل واحد » ، فقال أديب خان : « ومن هو ؟ » فقال : « الدكتور شهبندر » .

وبينما كان ذاهباً الى المانيا لشراء السلاح للجيش الافغاني وزيارة أسرته في ميونيخ مر بتفليس فتصدت له عصابة من الارمن اغتالته في وسط المدينة هو وكاتبه وساعيه ، وذلك في اليوم الحادي والعشرين من تموز - يوليو - سنة ١٩٢٢ ، وكان رجال الاطفائية بجانب المغتالين فطاردوهم وأطلقوا عليهم النار ولكنهم لم يحرزوا منهم بطائل .

وحدث على عهد الحكومة الوطنية في سورية أن أرسل الكولونيل ايستون ضابط الارتباط

البريطانى الى الوزارة يقول: ان المندوب السامى لحقائق الآستانة يسأل عن الحقائق الثابتة التى تؤيد التهم الجنائية الموجهة الى جمال باشا، لان طلب تسليمه سيكون شرطاً من شروط الصلح. ومن حسن حظ التاريخ والعدل والوطنية أن هذا الشرط صرف النظر عنه فلم ينفذ. والا كان احمد جمال باشا شهيداً من شهداء الحرب العالمية كما هو فى نظر بعض السخفاء بطل من الابطال

ولا يفوتنى فى الختام ان اشير إلى شهادة من أكبر قائد المانى بحق العرب، سأوردها هنا على سبيل التعزية لمن بقى من اخواننا الترك الصادقين على ولائه للعرب، ولم يجار فتيان الاتحاديين السفاحين فى خططهم المشئومة الهدامة، وأعمالهم الجنائية الدالة على قصر النظر. قال المارشال هندنبرج:

«لقد أبغض العرب الترك فى تلك الديار - العراق وسورية - كما أبغض الترك العرب. ومع ذلك فالتوابير العربية بقيت تحارب تحت الاعلام التركية ولم تنهزم جماعات الى صفوف العدو، وان هو لم يقتصر على وعدها بجبال من الذهب فقط، بل أسرف فى تفريق الذهب عليها الذى هو ضالتها المنشودة. ووراء الجيش الانكليزى الهندى الذى ظل أنه يحمل الحرية المنشودة للقبائل العربية التى أرهقتها مظالم الترك قامت هذه القبائل نفسها فانقضت على هؤلاء المدعوين منقذين. ولا بد ان هنالك قوة من القوى كانت رابطة للاتحاد بين العنصرين، وهى قوة والحق يقال ليست نتيجة ضغط خارجى، بل نتيجة التحام داخلى او شعور بالمصلحة المشتركة. ولا يجوز أن تكون السلطة بأيدى المرسلين على دست الحكم وتركها هى وحدها التى زودت المملكة العثمانية بهذه القوة الارتكازية فالعرب كان فى وسعهم الافلات بسهولة من نطاق هذه السلطة، اذ كان عليهم أن يرفعوا سلاحهم فقط ويتمشوا من حاداتهم الى جهة العدو أو أن يشعلوا نيران الثورة وراء صفوف الجيش التركى، ولكنهم مع ذلك لم يعملوا شيئاً من هذه الاعمال» (١)

عبد الرحمن شهبندر

جرأة...

قالوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لهمْ ما فى التلاقى ولا فى غيرِه حرَجُ
منْ راقبَ الناسَ لمْ يظفرْ بحاجتِه وفازَ بالطيِّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

بشار بن برد

---

(١) Out of my Life P, 303

بعث الفن المصري القديم

وهل يقضى عليه بموت مختار

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

لست أدري إن كانت مصر تزداد كل يوم شعوراً بالهوة الفسيحة العميقة التي دهمت الفن فيها بموت مختار، المثال النابغة. أما أنا فشعرت بهذه الهوة منذ اللحظة التي نعي فيها مختار، وأنا أزداد بها كل يوم شعوراً. وليس يدفع هذا الشعور إلى نفسي ما كان لمختار من طابع ظاهر في تماثيله. فمهما يكن لمختار من طابع ذاتي قوي غاية القوة فإن هذا الطابع الذاتي لم يكن هو الذي سما بفن مختار إلى مكانه الرفيع في الحياة. إنما يدفع هذا الشعور إلى نفسي مذهب مختار في الفن. هذا المذهب الذي جعل غرضه وغايته بعث فن النحت المصري الفرعوني في عصرنا الحاضر بعثاً نرى معه الفن المصري الحديث أقرب ما يكون إلى فن الفراعنة، ونراه مع ذلك أقوى ما يكون تعبيراً عن المعاني التي تثير الهمم، أتقن في عهدنا، وأدقه في الأداء، وأقربه إلى النفس

وهذا المذهب هو الذي جعل تماثيل مختار تحمل روح الفن الفرعوني بالرغم من أن هذا الفن المصري القديم قد كان يعتبر إلى أن بعثه مختار فناً أثرياً وكفى. ومن أن مختاراً في دراساته للفن الجميل سواء بالقاهرة أو باريس لم يدرس الفن الفرعوني على أنه حلقة متصلة بالفن الحديث اتصال الفن الإغريقي والفن الروماني القديم، وإنما درسه على أنه مظهر للوثنية المصرية القديمة ولعقائد أهل تلك الأجيال في الحياة والموت. لكن مختاراً لم يلبث أن اتصلت روحه بهذا الفن المصري القديم حتى لامس الفن جانب روحه المصري، وحتى استثارت أعماق نفسه بوحي أجداده الذين عمروا واديها من ألوف السنين، وحتى رأى ما سوى الفن الفرعوني زخرفاً لهذا الفن القوي البسيط العظيم، وحتى آمن لذلك بأن بعث هذا الفن ليس بعثاً لجانب أثري من الحياة، وإنما هو بعث للفن الصحيح في أقوى مظاهره عظمة وأعظمها جلالاً، وحتى توفر لذلك بكل روحه ونفسه لتحقيق هذا البعث توفراً صادف أعظم النجاح بما خلف مختار من آثار خالدة. وصادف نجاحاً لا يقل عظمة بما أسبغ من طابعه على الفن الغربي الحديث من بساطة وقوة وعظمة، بساطة لا تعرف زخرف الفن اليوناني وزركشته وإن لم تنكرها، وقوة لا تعرف العواطف المشبوبة بحكم الشهوة المادية وحدها، وعظمة لا تعرف المصانعة والمداورة، بل عظمة يفوح شذاها من القوة والبساطة مجتمعين

وليس أحد يقف أمام تماثيل مختار صغيرها وكبيرها إلا يلمح فيها هذه المعانى جميعاً أياً كان رأيه فيها من الناحية الفنية ، ويلمحها صريحة واضحة دالة على إيمان مختار بها واستلهامه وحيها فى علم وذكاء وموهبة فنية منقطعة النظير . ولقد اتيح لى يوماً أن ألمح إيمان مختار نفسه بهذه المعانى فى مختار نفسه لا فى أى واحد من تماثيله . ذهبنا جماعة قبل سنة ١٩٢٥ نزور سقارة ومختار أحدنا . وقد أخذنا القطار وسيلتنا إلى السفر يومئذ فكان لابد لنا أن نمر بالبدرشين متطين الحمر ذهاباً وأوبة . وعند البدرشين تمثالا رمسيس ملقى أحدهما على الارض مهشمة ساقه ، ملقاة إلى جانبه على الارض تجاهه ، تحيط بالآخر جدران تحول دون عبث الاطفال والعابثين به لأنه أحسن من صاحبه الاول حالا وأقل تحطيماً فهو أجدر بالرعاية . وعند البدرشين كذلك تمثال ابى الهول الباسم الجاثم فوق صخر تحيط به مياه نشع راكدة . ولقد وقفنا عند هذه التماثيل الثلاثة فى ذهابنا وفى أوبتنا ، وإن أطلنا وقوفنا حين الأوبة لما تلقى الشمس على التماثيل من ضياء انحدارها الى المغيب ما يزيد فى حيويتها وفى وضوح المعانى التى اراد المثالون المصريون القدماء أن تنم أجزاؤها عنها وتتحدث بها . أى إيمان هذا الذى ارتسم على وجه مختار حين كان يحدق بهذه التماثيل ! وأية قداسة كانت تفيض بها ألفاظه وهو يحدثنا عنها وعما تنطق به من دقيق الفن . هذا وهو قد رآها قبل ذلك مرات وعشرات المرات . ويمسح بيده على ساق رمسيس ويحدث عن مبلغ دقتها الفنية واتساقها على دقيق مع دقائق علم التشريح . وكعب القدم وعظامها الكثيرة الصغيرة ، وموج الجلد من فوقها ، واصابع القدم . ثم ينتقل مختار الى الصدر والرأس ويحدث عن هذا الفن الذى بلغ شأوه ما يستطيع الفن أن يبلغ من جمال . فأما أبو الهول الباسم الجاثم على صخرته فوق المياه ، فكان فى رأى مختار تحفة فنية تتوارى أمام ابتسامته ابتسامة الجيوكندة على نحو ما صورها ليوناردو دافنشى وتمحو أمام جبهته وأمام نظراته كل النظرات وكل الجباه . وهو مع ذلك يمثل ما أراد المصريون من أبى الهول أن يمثله : قوة الحكمة ، الحكمة القوية التى كان مختار يؤمن بها ويخضع لها ويثور فى سبيلها ، الحكمة القوية التى تأبى الطيش ولا ترضى الذلة وتعتصم بالأناة وحسن الروية ، حتى إذا لم يكن بد من أن تظهر القوة الباطشة بزانها دفعاً للمذلة من غير طيش لم يكن مفر مما ليس منه بد . وإن كانت الحكمة كفيلة أكثر الأمر بأن تتغلب على الطيش وعلى القوة الباطشة جميعاً .

على أن هذا الاعجاب بالفن المصرى الفرعونى لم يجعل إيمان مختار به إيمان مقلد ينقل ولا يجدد ويستلهم آثار هذا الفن ولا يستلهم الحياة . إنما استلهم مختار من هذا الفن روحه والأساس الذى يقوم عليه . أما فيما وراء ذلك فقد كان يستلهم حياة مصر الخالدة المتجددة فى خلدها والتى جعلت توحى اليه بهذا الفن كما كانت توحى به للاقدمين .

أنظر الى تماثيله تجدها مختلفة كل الاختلاف عن التماثيل المصرية القديمة ، متصلة أشد الاتصال

بالحياة المصرية الحديثة ، وهي مع ذلك تصدر عن وحي أزلي خالد أوحى بها وبالتماثيل القديمة على السواء . هذا الوحي يستطيع كل موهوب أن يستمده كما كان الفراعنة يستمدونه . وقد كان مختار يستمده من البيئة الطبيعية المصرية ومن الفن في أدق ما وصل اليه الفن

ليجلس من شاء عند سفح الاهرام وليحدق ببصره إلى ناحية النيل يرى السماء المهيبة الجلال في صفوها تظل نطاقاً من الخضرة الباسمة تمتد وراءه صحراء تذهب مع البصر إلى الأفق حيث تتصل بالنيل أو يكاد يفصلها عنه نطاق من الخضرة أشد من النطاق الأول ضيقاً . وليجلس من شاء بعد أن يتخطى المزارع الى تلال صقارة وليرسل ببصره من فوق تلك التلال تمتد الصحراء من ورائهـا في نطاق الخضرة ، والى الصحراء تمتد مرة اخرى امام النطاق الأخضر وامام التلال ، وليحدق من شاء من فوق جسر النيل في مصر العليا بمنظر ما أشد شبهه بهذا المنظر ، وما اشد جلال السماء وبساطة الصحراء وقوة الخصب في ذلك النطاق عنده ، وفي جلال السماء بساطة وقوة وفي قوة الخصب روعة وجلال وفي بساطة الصحراء المفسحة عظمة ورهبة ، ومن خلال هذه المناظر تقع العين على المصرية الريفية المشرقة القد البارزة النهـد الجذاب لونها القمحي أو الأسمر وهي تارة تسير وجرتها فوق رأسها وأخرى يثني قوامها اللدن عند حافة النهر لتملأ جرتها وفي مرة ثالثة تستند الى جرتها [illegible] نعيما ومشقتها من فجر اليوم الى مغيبه . أي وحي يستمد الموهوب من هذا في عصرنا الا ما استمد مختار ؟ وهذه تماثيله أمامنا ترسم تلك الصور [illegible] وترسم الى جانبها صور [illegible] ومن النبل والهيبة في سان الملوك وما اليها من شبهها وكلها مختار [illegible] لكن هذه الحياة التي كانت تلهم الأقدمين عظمة التماثيل التي ترك الاقدمون [illegible] صور الخير والشر وقوة الطبيعة جميعاً لم تكن قد قصت كل سرها عند مختار . [illegible] في بداءة الامر من صور أنها تشاهده على القاعدة الجنبية لتمثال سعد زغلول من صور الحصاد والزراعة وأنواع السعي في الحياة مما يصل بين الانسان والطبيعة بصلة أقوى مما صور لنا مختار في تماثيله التي سبقت تلك القاعدة . وأحسب أن مختاراً قد كان مقدراً له لو لم يتخطفه الموت من بيننا أن يفحص سر الطبيعة المصرية حتى يصل من ذلك الى التصوير الرمزي للحياة الروحية كما يفهمها مصري ليجعلها في تماثيلها التي لا تقل قوة عبارة ولا بساطة مظهر ولا عظمة إلهام عما خلف الفراعنة الاقدمون

بعث مختار اذن ذلك الفن المصري الفرعوني القديم مصوراً في صور من الهام حياة مصر الحاضرة ، وبلغ من ذلك مقاماً يحسد عليه ولكنه لم يبلغ أن يصل الى ما تنطوي عليه الطبيعة المصرية من سر ليجلوه في صور من هذا الفن القديم الحديث لا تقف عند تخليد جانب من صور الحياة المصرية ، بل تخلد هذه الصور وأسرارها جميعاً . وهاهو مختار قد ودع الحياة في ريعان الحياة وفي بداية إلهام الرجولة إيماءً ورسالة الطبيعة للفن ورجاله . أفيقضي بموت مختار على بعث الفن الفرعوني؟

ليس التشاؤم من طبعي . لكنني أخشى أن ننتظر طويلا قبل أن يعود النشـــاط إلى هذا البعث على نحو ما كان في حياة مختار . ذلك بأن هذا الفنان الذي غادرنا مغموراً فضله حتى من عارفيه والمعجبين به في حياته ، كان يبلغ إيمانه برسالته حداً لا يقف عند إبرازها في هذه التماثيل البديعة التي حازت الاعجاب في فرنسا مهد الفن أكثر مما حازته في مصر مهد الفنان ، بل كان يتخطى إلى الدعوة إلى هذه الرسالة دعوة حارة قوية صادقة تترك في نفس من يدعوهم اليها أعمق الأثر وأقواه . لم يكن واحد من الصحفيين في الصحف اليومية ولا في المجلات الاسبوعية أو الشهرية إلا ويعرف مختاراً . وكان أكثرهم يمت اليه بشيء من الصداقة قل أو كثر . وكان مختار قل أن يكلمهم في السياسة أو في الاقتصـــاد أو في الاجتماع ، وكثر ما يكلمهم في الفن بوجه عام ، في النحت والتصوير والرسم في مختلف صوره وفنونه . وكان يدعوهم إلى مشاهدة ما يقام من المعارض للفن ويلح في الدعوة إلحاحاً رفيقاً قوياً فيه دعابة وفيه عنف وفيه شيء من التوسل والتهديد معاً . وما أحسب أصدقاءه من رجال الفن المصريين والأجانب المقيمين بمصر إلا يشعرون بالخسارة الفادحة التي نزلت بالفن بموت مختار . وفي هذه المعارض كان الناس يرون القطع البديعة من تماثيل مختار . وكان هو يضن أكثر الأحيان بالتحدث إلى زائري معارض الفن عنها إلا أن يكون لأصدقائه وأخصائه . لكن أصدقاءه من رجال الفن كانوا يتولون الحديث عنه ، وكانوا يقولون ما يريدهم أن يقولوا ، فكانوا يبثون إلى النفوس دعوته إلى الرسالة التي يؤمن بها ويدعون إلى غرسهم إيماناً كإيمانه بالفن المصري الفرعوني القديم وضرورة بعثه فناً مصرياً حديثاً . وبعثت وجهة نظره بعد أن أقامه نهضة مصر في أظهر مكان من عاصمة مصر ، ونشر مختار في أخوانه حب هذا الروح المصري ودعا الكتاب ودعا الصحف والمجلات لتشاطره رأيه وللسعي وراءه إلى منحه . وبذلك خطا هذا المذهب في سنوات قليلة خطوات واسعة تأثر بها الفن في الغرب ، ولعله تأثر بها أكثر مما تأثر بها الفن في مصر

هل بين رجال الفن عندنا من ورث مذهب مختار وورث نشاطه وورث إيمانه إيماناً يدفعه إلى الدعوة إلى رسالته ؟ قد يوجد هذا الرجل أو هؤلاء الرجال . لكني أقرر هنا أني لا أعرفهم . ومن أجل ذلك قدمت أني أخشى أن يطول الزمن قبل أن يعود هذا البعث للفن المصري القديم إلى مثل النشاط الذي دفع به اليه مختار . فالحلقة الذي يدفع رسالة ما إلى الامام لابد أن يكون له من الايمان بها ما كان لأبي بكر من إيمان برسالة محمد ، إيمان لم يتردد معه في خوض حروب الردة رغم ما كان يخشى أكابر المسلمين من خطرها . ورسالة مختار في الفن رسالة قوية متينة الأساس تدعمها البيئة المصرية القوية الخالدة فلا خوف لذلك عليها أن تموت . ولئن طال الزمن قبل أن تعود إلى مثل نشاطها أيام رسولها الاول فانها يوم تعود ولعل هذا اليوم لا يكون بعيداً ، ستعود بقوة ونشاط مضاعفين . وستعود لتقر في حياة الغد وفي العالم كله مذهبها وقواعدها

محمد حسين هيكل

الكتاب والقراء

بقلم الدكتور طه حسين

> ... القراء كل شيء بالقياس الى الكتاب ، ويوشك
> ألا يكون الكتاب شيئاً بالقياس الى القراء ...
>
> ... متى يتاح للكتاب ان يثأروا من القراء وان يقدموا
> انفسهم عليهم ، وان يؤثروها من دونهم بالعناية ؟ ...

وتستطيع أن تعكس العنوان فاني لم أرد تقديماً ولا تأخيراً ، ومن اوليات النحو أن الواو لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً . فينبغي الا يغضب القراء اذن لأن المصادفة ارادت لعنوانهم ان يتأخر في اللفظ . فانا اؤكد لهم ان أشخاصهم مقدمون في المعنى أو مقدمون في حقيقة الأمر ، بل استطيع أن اؤكد لهم انهم فوق التقديم لانهم كل شيء . وليس الكتاب بالقياس اليهم شيئاً أو لايكادون يكونون بالقياس اليهم شيئاً . وآية ذلك أن الكتاب لايعيشون إلا للقراء وان القراء يستطيعون ان يعيشوا وهم يعيشون لغير الكتاب ، يعيشون لأنفسهم كما يعيشون لغيرهم ، ولكن غيرهم هذا ليس كتاباً أو يجب ألا يكون كتاباً . وآية ذلك أيضاً أن الكتاب يفكرون في القراء حين يقدمون على الكتابة وحين يمضون فيها وحين يفرغون منها ، فأما القراء فلا يفكرون في الكتاب إلا حين يقرأونهم ، ومن يدرى ؟ لعلهم يفكرون فيما يقرأون دون ان يفكروا فيمن كتبوه ! ومن يدرى ؟ لعلهم يقرأون فلا يفكرون فيما يقرأون ولا فيمن كتب لهم مايقرأون ، انما يمرون ابصارهم على هذه الحروف والسطور يتبينون ما فيها من الالفاظ ويلمون بما تدل عليه من المعاني الماماً خفيفاً جداً ، ويمضون اولا يقفون عند هذه المعاني لانهم يريدون أن ينفقوا الوقت أو أن يشغلوا عن شيء بشيء ، أو أن يدعوا النوم الى جفون يستعصي عليها النوم

القراء اذن كل شيء بالقياس الى الكتاب ويوشك الكتاب ألا يكونوا شيئاً بالقياس الى القراء . ولو أن القارىء استطاع أن يدخل بين الكاتب وبين نفسه وأن يشهده حين يهم بالكتابة ثم حين يهجم عليها ويمضي فيها ، لرأى شيئاً عجباً . رأى أن الكاتب يصارع خصمين عنيدين ، أحدهما الموضوع الذي يريد أن يكتب فيه ، والثاني القارىء الذي يريد أن يكتب له ، ورأى أن الموضوع في أكثر الأحيان ليس أشد الخصمين عناداً ولا أثقلهما خصومة ، وإنما الخصم العنيف العنيد حقاً هو هذا القارىء الذي لا يعرفه الكاتب ولا يستطيع أن يحصي ميوله

وأهوائه وعواطفه ولا أن يتبين ذوقه ولا أن يستيقن بما يلائمه وما يخالفه ، وإنما هو خطر محقق واقع، ولكنه مبهم غامض شائع مختلف متناقض متفاوت لا سبيل إلى حصره ولا إلى تحديده ولا إلى العلم بالطريق التي يجب أن تسلك اليه

ومن هنا ينبغي للكاتب المصرى أن يسأل نفسه : متى يتاح للكتاب أن يثأروا من القراء ، وأن يقدموا أنفسهم عليهم ، وأن يؤثروها من دونهم بالعناية ؟ . ولا أقول متى يتاح للكتاب أن يثأروا من القراء ومن أنفسهم وألا يفكروا إلا في الفن وحده ولا يعنوا إلا بالفن وحده . فقد يظهر أن هذا الأمد ما زال بعيداً أبعد من أن نطمع اليه أو نطمع فيه

ولكن السؤال الاول قريب المنال يمكن أن نقف عنده بعض الشيء وأن نلتمس له جواباً . فهل في مصر هؤلاء الكتاب الذين لا يفكرون في القراء أو الذين لا يسرفون في العناية بالقراء واستحضار أشخاصهم الخطرة دائماً حين يكتبون ؟ . والغريب أن كثرة القراء تظن بل تؤمن بغير هذا ، تؤمن بأن الكتاب لا يفكرون فيها ولا يحفلون بها ولا يرجون لها وقاراً ، وإنما يقدمون اليها ما يخطر لهم في غير عناية ولا إطالة تفكير . وقد يكون هذا شأن جماعة من الناس لا أعرفهم ، ولكن الشيء الذي لا اشك فيه هو أني لم أستطع في يوم من الايام ان اقدم على الكتابة إلا وأنا احسب للقراء اشد الحساب واعسره والشيء الذي لا اشك فيه ايضاً اني لا اعرف كاتباً مصرياً حديثاً جداً الاسم تحدثت اليه الا رأيته يخاف من القراء مثل ما اخاف ، ويخصهم من العناية والتفكير مثل ما اخصهم به وربما اكثر مما اخصهم به . ولكن القراء في حقيقة الامر صعاب لعلهم الى ارضائهم من سبيل فهم ينكرون بعض ما يقرأون لا يكتفون بالانكار ، ولكنهم يضيفون اليه شيئاً من معتب ولعله يضيف ان الكاتب لم يحفل بهم ، ولم يؤد لهم ، ولم يجمع كل ما يملك من الجهد ، ولم يبذل كل ما يملك من القوة ليرضيهم ويقدم اليهم ما ينتظرون . كأنه يعرف ما يرضيهم ، او كأنه يعرف ما ينتظرون . ولا يخطر للقراء ان الكاتب قد يعطيهم كل ما يستطيع ان يعطيهم وقد يبذل لهم جهد المقل على انه كل ما يملك والغريب ان القراء يعرفون لانفسهم الحق في ان تنشط القراءة حين تواتيها الظروف او تفتر عن القراءة حين لا تواتيها الظروف ، وهم لا يعرفون للكتاب مثل هذا الحق ، ولا يقدرون ان نفوس الكتاب كنفوسهم تنشط حين تتهيأ لها اسباب النشاط وتفتر حين تجتمع عليها اسباب الفتور . والقراء معذورون فهم لا يضربون على ايديهم ولا يكرهونهم على الكتابة اكراهاً ، وإنما يعرض الكتاب عليهم آثارهم ، فمن حقهم ان تكون هذه الآثار التي تعرض عليهم والتي يغرون بها ويرغبون فيها ، وقد يكرهون بالاعلان اكراهاً على شرائها وقراءتها ، ملائمة لما كانوا ينتظرون ، مكافئة او كالمكافئة لما يبذلون من نقد ولما ينفقون من جهد ، ولما يريدون ان يضيعوا من وقت . واذا كان الكتاب معذورين لانهم لا يستطيعون أن يأخذوا على أنفسهم عهداً بالاجادة

دائما ، واذا كان القراء معذورين لأنهم لايستطيعون أن ينفقوا مالهم وجهودهم ووقتهم فى غير غناء ، فمن يكون الملوم وعلى من تكون التبعة ؟ فقد يجب أن يكون هناك ملوم يحتمل التبعة ويتم على حسابه الصلح بين الكتاب المظلومين والقراء المعذورين

هذا الملوم موجود من غير شك ، ولعله ليس واحدا ، ولعله ليس اثنين ، ولعل احصاءه ليس بالشيء اليسير . فالقراء فى مصر قليلون ، هذا شيء لاشك فيه . ولكن الكتاب أقل منهم ألف مرة ومرة ، فاحصاء القراء يرقى الى الألوف بل الى عشرات الألوف ، واحصاء الكتاب لايكاد يرقى الى العشرات . وهؤلاء القراء القليلون بالقياس الى مصر ، القليلون بالقياس الى حاجات الكتاب والناشرين ، الكثيرون مع ذلك بالقياس الى طاقة الكتاب ، هؤلاء القراء يختلفون فيما بينهم اختلافا شديداً موجباً لليأس من ارضائهم حقاً ؛ منهم المثقفون الذين لايعجبون الا بمقدار . ومنهم انصاف المثقفين الذين يعجبون حين لايوجد مايعجب ويسخطون حين يجب أن يرضوا . ومنهم الذين لاحظ لهم أو ليس لهم إلا حظ يسير من الثقافة ، ولكنهم كغيرهم محتاجون الى أن يقرأوا قادرون على أن يشتروا الصحف والكتب والمجلات . وكل فريق من هؤلاء ينقسم فى نفسه الى طوائف ، هؤلاء تثقفوا فى المدارس المدنية العالية المصرية ، وهؤلاء تثقفوا فى الجامعات الأوربية ، وهؤلاء خرجوا من الأزهر بعد أن أتموا الدرس فيه ، وهؤلاء ظفروا بالشهادة الثانوية المدنية أوهم يطلبونها ، وآخرون ظفروا بالشهادة الثانوية الأزهرية أوهم يطلبونها ، وقوم وقفوا عند الشهادة الابتدائية ، وقوم لم يجاوزوا ما تعلموا فى الكتاب . وكل أولئك على ما بينهم من الاختلاف والتفاوت يريدون أن يقرأوا ويريدون أن يرضوا . وليس فى مصر إلا عدد يسير من الكتاب لا يبلغ العشرات مختلف الثقافة ، وهو مكلف أن يقدم لهؤلاء جميعاً مايلائم طباعهم وأذواقهم وثقافتهم ومنهم الغلب

وشيء آخر يمكن أن يكون ملوما وهو انقطاع هذا العدد اليسير من الكتاب الى الصحف على اختلافها ، وعجز أكثر هؤلاء الكتاب عن أن يفرغوا لما يحبون من ضروب الادب وفنون الانشاء . ومن ذكر الصحف فقد ذكر النظام والاطراد . ومن ذكر النظام والاطراد فقد ضيق على الفن أشد التضييق وقال للاجادة والاتقان اذهبا فليست مصر لكما بدار . وذلك أن الفن فى حاجة الى الحرية الواسعة وان الاجادة والاتقان فى حاجة الى راحة النفس وفراغ البال . استغفر الله فلست أريد من راحة النفس وفراغ البال هذا المعنى الواضح الذى يفهمه الناس جميعاً والذى لايتاح للادباء ولو أتيح لهم لما صنعوا شيئاً . وانما أريد راحة النفس وفراغ البال من هذا النظام والاطراد وهذا الالحاح الذى يخضع له الكاتب حين ينقطع لصحيفة يومية أو اسبوعية أو شهرية . فكيف اذا انقطع الكاتب لهذه الصحف جميعا ؟ وكيف اذا ألحت عليه المطبعة فى كل يوم وفى كل اسبوع ، وفى كل شهر ، وكيف اذا

اجتمعت عليه هذه الضروب الثلاثة من الالحاح فى يوم واحد . فقيل له اكتب ليقرأ الناس اذا أصبحوا أو أمسوا ، واكتب ليقرأ الناس اذا كان يوم كذا فان المطبعة لا تستطيع أن تنتظر ، واكتب ليقرأ الناس اذا كان أول الشهر فان صدور المجلة لا بد من أن يكون منتظما مطرداً

هذا النظام الذى يهدر حرية الفن والذى يقطع الاسباب بين الكاتب وبين الاجادة والاتقان هو الملوم الاول حين يقصر الكتاب ولا يبلغون من ارضاء القراء ما يريدون . لانه يدفع الكتاب الى الاسراع والعجلة . ومن ذكر الاسراع والعجلة فينبغى له ألا يذكر معهما الفن ، ولا أن ينتظر منهما اجادة أو اتقانا . وأمر النظام والاطراد لا يقف عند هذا الحد ، فلو انه يحول بين الكتاب وبين الاجادة فيما يقدمون الى الصحف من المقالات والفصول التى لم يقدر لها النضج ، لهان احتماله ، ولقيل للقراء لوموا الكتاب إن شئتم فى هذه الفصول واعرضوا عن قراءتها ان أحببتم ، وتعزوا عنها بهذه الكتب القيمة التى تقدم اليكم من حين الى حين . ولكن الامر أعسر من هذا كله وأشد حرجا . فمن للكتاب بالوقت الذى يفكرون فيه ، ومن لهم بالقوة التى ينفقونها فى الدرس ، ومن لهم بالجهد الذى ينفقونه فى الانشاء ، ومن لهم بفراغ البال الذى يستعينون به على الاجادة ؟ من لهم بهذا كله والمطبعة من ورائهم تلهبهم الحاحا ، ليقدموا لها من الفصول اليومية والاسبوعية والشهرية ما ينبغى أن يصدر فى نظام ودقة واطراد ؟ والصحف المختلفة منصرفة لا تمنع الكتاب من الاجادة فيما يكتبون لها فحسب ، ولكنها تمنعهم من الاجادة فى يكتبون لانفسهم وللناس . استغفر الله بل هى تمنعهم الكتابة لانفسهم وللناس . صدقنى أيها القارئ العزيز ان الكتاب الذين تضيق بهم وتقسو عليهم أبطال فى مصر حقاً يحتملون من الجهد مالا تستطيع أنت أن تحتمل بعضه . وأى عناء يمكن أن يقاس الى هذا الحزن العميق الذى يجده الكاتب حين يخطر له الموضوع الطريف فيود لو يفرغ لدرسه والكتابة فيه ثم ينصرف عن ذلك أشد الصرف واعنفه لان المطبعة تريد منه الفصل الذى يجب أن يظهر فى نظام واطراد

خطرت لى هذه الخواطر منذ ساعة حين فرغت من قراءة فصل فى الوفيل ليتزير حول تحقيق يشتغل به بعض الناس فى فرنسا وموضوعه هذه المسألة : « أيستطيع الكتاب أن يكونوا صحفيين » وصاحب هذا الفصل يجيب : « نعم » فى شىء من الاحتياط . أما انا فاحب أن أعكس المسألة : « أيستطيع الصحفيون فى مصر أن يكونوا كتاباً ؟ » . ففى مصر صحافيون . فاما الكتاب بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة فاخشى ان اقول انهم سيوجدون ان شاء الله بعد زمن طويل أو قصير ، ولكنهم سيوجدون

طه حسين

فقرنا في الثقافة العلمية
لا يعوضه غنانا في الثقافة الادبية

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

تكاد مدننا حتى قرانا تغمرها أجهزة الراديو . ولا أظن أحداً من يجلسون لدى الجهاز ويسمعون الموسيقى التي تصدر من عطلات قصبة لا يدهش من هذا الاختراع الذي إذا فحصت جهازه تجده بسيط الأدوات . ولكن هل خطر لأحد في بلادنا الشرقية أن يعمل أجهزة راديو او أن يقتبس معملا من معامل أوربا لصنعها كما فعل اليابانيون ؟ وإذا بحثنا عن يفهمون سر الراديو هذا وأعني نظريته العلمية فكم واحداً نجد منهم يا ترى ؟ لا أظننا نجد واحداً في كل عشرة آلاف . أفليس عجباً غريباً أن هذا الاختراع المدهش الشائع بيننا لا يثير فينا شهوة معرفة هذا السر واستطلاع كنهه ودرس نظريته ، هذا إذا لم يثر فينا الطمع باستغلاله كما تستغله الامم الاخرى ؟

وهل الراديو وحده أعجوبة هذا العصر ؟ أين السينما الناطق ؟ أين التلفون الأوتوماتيكي ، أين التلفون اللاسلكي ، أين التلغراف وأين وأين وأين ... ماذا أعد وماذا أحصي وقد امتلأ هذا العصر بعجائب الاختراعات والمخترعات . وأي متاع من الأمتعة التي نستعملها ليس من الاختراعات الحديثة العجيبة وليس مصنوعاً بآلة (مركبة) عجيبة ؟ ولماذا نعد كثيراً ومن حولنا ومن فوقنا وتحتنا تعمل أعمال عجيبة غريبة عن علمنا وعن تصوراتنا وليس إلا النزر اليسير من ناسنا يفهمون بعض (لا كل) المبادىء العلمية التي نشأت تلك الاختراعات منها ؟

الآن العمل جار على ساق وقدم في مشروع جر ينابيع البترول من العراق في أنابيب إلى طرابلس وحيفا . وأظن هذا العمل من أبسط الأعمال . ولكن كم واحداً منا يعلمون كيفية جر تلك الينابيع في بلاد جبلية من مستوى البحر الى مستواه الآخر ؟ مشروع كبير يعمل في بلادنا ، وقلّ من يدري كيف يعمل فكيف بنا اذا قيل لنا لماذا لم تعملوا هذا المشروع أنتم بأنفسكم ، بل تنتظرون أن تعمله أمة أخرى وتنازعكم القسم الاوفر من غلته ؟

• • •

أظن فيما تقدم من التمثيل كفاية لتصوير البون الشاسع بين تقدم الغرب وتأخر الشرق . هم فكروا ودرسوا وفهموا وعلموا ثم عملوا واستغلوا علمهم وعملهم . ونحن لم نشترك معهم إلا

باستهلاك الغلة فقط. وكانت غلة غالية الثمن كلفتنا القسم الأعظم من تعبنا وكدنا في الاسترزاق وفي بعض الأحوال دفعنا استغلالنا قسماً من ثمنها. فبيننا وبينهم مسافة طويلة في مضمار التقدم العمراني. هم يركضون ونحن نمشي الهوينا. فلا أدري كيف نستطيع اللحاق بهم ونحن على هذه الحال؟ إذا لم يكن في وسعنا أن نستنبط ونخترع أفليس في وسعنا أن نستعمل اختراعاتهم كما يستعملها اليابانيون الآن؟ وإذا كنا الى اليوم لانستطيع أن ننتحل شيئاً من اختراعاتهم بل مازال نعتمد في الاسترزاق على استغلال الأرض والطبيعة على الأساليب القديمة لكي نقايضهم ثمرات اختراعاتهم بحاصلات مجهوداتنا العتيقة الشاقة، فكيف يمكن أن نتوقع حياة قوية استقلالية؟

لست مكتشفاً علة فينا خافية على أحد، فكلنا يعلم ما نحن فيه من التقصير. ولكن لا بد أن يلوح في بال القارىء أن يسأل: ما سبب هذا التقصير فينا؟ وربما استغربه لعلمه أننا نحن من سلالة نشرت الحضارة على العالم ومن أرومة أسست المدنية التي يتمتع بها الجنس البشري كله الآن. فلا يمكن أن يكون السبب ضعفاً في العقلية الشرقية، بل لا بد أن يكون السبب أخلاقياً اجتماعياً. فما هو؟

• • •

لا يخفى أن الاختراع ثمرة العلم العملي، والعلم العملي وليد النظريات. مثلاً: اللاسلكي (والراديو صنف منه) اختراع ماركوني بمعونة السير أوليفر لودج وغيره من العلماء، ولكن هذا الاختراع هو ثمرة علم نظري — ثمرة نظرية قال بها فاراداي أولاً منذ زمان، ثم حققها مكسويل وغيره من العلماء. وفي هذا المثل كفاية للتمثيل على أن كل اختراع منتج إنما هو نتيجة العلم. ولكن أي علم؟ علم الطبيعة في المادة والقوة وميكانيكيتهما، والحرارة والنور والكهرباء والمغنطيسية، ثم الكيمياء الخ، من ضروب العلم المنتجة مباشرة وغير مباشرة. فإذا لم يكن لأمة غرام بالعلم الطبيعي فلا ينتظر منها أن تستطيع استغلال الطبيعة بأخصر الوسائل الاقتصادية، ولا يرجى منها أن تكتشف من أسرار الطبيعة ما يمكن استغلاله

فأوربا كانت منذ بدء النهضة الى اليوم مغرمة بالعلوم الطبيعية، وكانت شهوتها لهذه العلوم تحرض فيها الشهوة الى استكناه أسرار الطبيعة. وكلما اكتشفت سراً توخت استغلاله لنوال مكافأة استكداد قرائحها في الاستكناه. وبتلك الشهوة جرت هذا الشوط العظيم في مضمار العمران وخلفت سائر أمم الشرق وراءها. فإذا اقتنعنا بصحة هذا التفسير لتقدم أوربا أدركنا في الحال سر تأخرنا

لا أظن أنه بعد هذا القول يبقى عند القارىء شك بأن سر تأخرنا هو نفورنا الى العلم الطبيعي وأي نفور! — نفور مستحكم!...

أعنى بالثقافة العلميـة تحصيل علوم الطبيعة ـ لا الأدب ـ فنى خرجت من منطقة المدارس والـكليات التى تجهز من الثقافة أساسها فقط لانسود تجد الثقافة التى عينها أثراً . لا تعود تجد إلا ثقافة أدبية ، أدبية فقط ، والنزر اليسير من الثقافة فى الطب والحقوق وما اليهما من العلوم الفنية العملية

فاطنان الورق التى تمر يوميا فى آلات الطباعة عندنا لا تعنى بغير الأدب مع قليل من المباحث الاخلاقية والاجتماعية . والوف الكتب التى تصدر كل عام من مطابعنا ، إذا استثنينا منها الكتب المدرسية ، لا تحتوى الا على الادب والشعر واللغة وتاريخ الأدب وتاريخ العرب ونحو ذلك . والحكومة التى تتظاهر بأنها تعنى بنشر الثقافة مشغولة من هذا القبيل باعادة طبع متون الكتب العربية القديمة مثل صبح الأعشى والأغانى ونحوها . وكبار كتابنا لايبارون الا فى مضمار الأدب والتاريخ والنقد الأدبى والشعرى . واذا جئت تمحص تآليف كتابنا وكتاباتهم فلا تجدها الا تكراراً لمعلومات قديمة فى الادب والشعر والتاريخ باساليب جديدة . وزبدة القول لا تجد فى جونا الثقافى إلا نبود الادب والشعر خافقة فى كل ناحية حتى أصبح المتعلم الاعتيادى يعتقد أن العلم ، كل العلم ، هو الادب والشعر والتاريخ واللغة فقط . وكان من جراء هذا الاعتقاد أن أحد الناس قال يوماً من الأيام فى حديث : « إن فلاناً (لا أسميه) هو أعلم عالم على وجه الأرض » وأنت وأنا نعلم أن فلاناً هذا الذى يعجب صاحبنا به ضليع فى اللغة واصولها ونحوها فقط ، وما بعد ذلك لا يفقه شيئاً

ولا تقتصر هذه العقيدة على العوام بل تكاد تكون شاملة . فان من نعدهم علماءنا هم علماء الأدب والتاريخ . والى الآن لا نعرف أحداً ممن نالوا لقب دكتور (بغير الطب) إلا دكاترة الأدب والحقوق (ما عدا نفر قليلا جداً حصلوا على لقب دكتور بسعيه) . ولـكن الى الآن لانعرف بيننا عالما طبيعياً بالمعنى الذى اتضح فى هذا المقال . لا اعتقد أن أمتنا خلت من بعض علماء من هذا الصنف ـ علماء طبيعيين . وانما الثقافة الادبية كسفت الثقافة العلمية فاختفت أنوار هؤلاء وما درى بهم إلا المحتكون بهم

• • •

ولـكن على أى الثقافتين : الادبية أم العلمية ، يستند العمران ؟ وهل قامت المدنية الحديثة على الادب والشعر والتاريخ ام على العلوم الطبيعية ؟ وهل تستمد الامم فى تنازع البقاء أسلحتها وذخائرها من الادب والشعر أم من الكيمياء والكهرباء وما اليهما ؟ . واذا قامت قيامة حرب شعواء عامة يوماً من الايام وأصبحنا فى موقف ليس فيه إلا أحد أمرين : اما الفناء أو الدفاع حتى السلامة ووجهت الاعداء ترميـا من الجو بمفرقعات وغازات جهنمية ، فهل ندفع الويل عنا بمجلدات صبح الاعشى والاغانى . وهل نصد قنابل الاعداء بدواوين شعرنا وكتب أدبنا

منذ شرع الجنس البشرى يتحضر كان العلم الطبيعى العملى مرقاته التى يرقى عليها الى قمم النجاح العمرانى . ولم تكن الفنون الجميلة - ومنها الادب والشعر - الا حليا لعمرانه . وفى أى عصر من العصور لم تتغلب أمة على اخرى الا بما كان عندها من ثقافة علمية تقدرها على استنباط أدوات وأسلحة تكفل لها الغلبة . ويوم كان العرب يغزون اوربا كانوا متفوقين على اهلها بالعلم ، ثم بالصناعة التى أثمرها العلم . وما غلبوا أمة إلا غصبوا علومها واكتسبوا الاصوب منها وأضافوه الى علومهم واستعملوه فى صناعاتهم وحروبهم . وكذا فعلت أمم أوربا لما جعلت دول العرب تدول

والآن نحن فى عصر اتسعت فيه دائرة العلوم الطبيعية اتساعا عظيماً جدا حتى اصبحت دوائر الادب والشعر ، حتى دوائر العلوم الاجتماعية والاخلاقية ، كجزر صغيرة جدا فى بحر العلوم الطبيعية الخضم . ولذلك فالامة التى لاتخوض غمار هذا البحر بسفن الثقافة العلمية الضخمة تبقى محتبسة فى تلك الجزر تحت رحمة أنواء البحر . فالله فى أى جزيرة قاحلة نحن فى ذلك البحر ؟

فيما يكون علماؤنا متناقشين فى أصل لفظة من ألفاظ لغتنا يكون علماء الغرب مكبين على بحث الوسائل لفلق الكهرب واستكشاف ما فيه من طاقة عظيمة (قوة) واستنباط الوسائل لاستخدام هذه القوة واستغلالها . وفيما يكون علماؤنا مشتغلين فى تصحيح تاريخ كتاب قديم مخطوط ووصفه وتمحيص نصوصه وشرح الظروف التى أنشىء فيها وسيرة صاحبه الخ - وبعطب الا تكون لهذا الكتاب قيمة إلا القيمة الاثرية - يكون علماء الغرب منهمكين فى البحث عن أسرار الاشعة الكونية ودرسها لاستكشاف ما يمكن من الاستفادة العلمية أو العملية منها . وفيما يكون علماؤنا لاهين فى اختلاق فلسفة لشاعر أو أديب قديم لم يدر الفلسفة فى حياته ، أو استخراج نظريات لمؤلف عتيق ليس له نظر إلا فى ظواهر الامور ، يكون علماء الغرب مستغرقين فى اكتشاف أسرار العناصر الحيوية كالفيتامينات والهرمونات وعناصر الغدد الصماء الفعالة . وفيما يكون أدباؤنا سابحين فى بحار الخيال لكى يبلوروا الاوهام فى بلورات لفظية ، يكون علماؤهم سابحين فى الفضاء اللامتناهى بمراصدهم ليستكشفوا أقاصى الكون ويعلموا صلة الكرة الارضية به ونسبة الانسان إليه . وفيما يكون أدباؤنا متبارين فى أساليب الانشاء ومتنافسين فى النقد الادبى والشعرى ، يكون علماؤهم الفنيون متبارين فى استنباط الآلات والادوات اللازمة لتنازع البقاء والاسترزاق ، من أسلحة حربية ومعامل صناعية لا تعد ولا تحصى . وفى ابان هذا التباين بيننا وبينهم فى الاعمال الحيوية نصيح ونصخب متشكين من اعتداء الغرب على الشرق وافتئاته على استقلاله متجاهلين أن عملية تنازع البقاء لا تزال حادة بين الامم وان كانت تتضاءل شيئاً فشيئاً بين وحدات الامة ليحل التضامن والتعاون محلها . فاذا جاز لنا أن نصخب فلنصخب ضد أنفسنا لان الذنب ذنبنا فى اهمالنا الثقافة العلمية

* * *

ان استرسالنا في الثقافة الادبية واعراضنا عن الثقافة العلمية لا يختلف عن طموحنا بالترف والبذخ عن جهادنا في حلبة التنازع الامي ، بحيث ينتهز منازعونا فرصة غفلتنا للاستحكام منا والتحكم بنا والاغتنام منا

الادب شيء جميل جداً . ولا بد منه حلية للثقافة العامة . ولكنه لا يغني عن العلم العملي في الجهاد الحيوي . فمثلنا في الاقتصار عليه مثل من تأنق في ملبسه وأسرف في تأنقه ولكنه غفل في ما كله فلم يقتت القوت المغذي المقوي لجسمه . فكان جميل المظهر ولكنه ضعيف الجوهر . فعند المزاحمة كان مغلوباً مسبوقاً الى الغنائم فلم ينل نصيبه

ترى ما الوسيلة الفضلى لتقوية ثقافتنا العلمية وتنشيطها بحيث تتناسب مع ثقافتنا الادبية ويكون لنا منها ما للامم الاخرى من قوى التفكير والبحث والاختبار والامتحان ومن النتائج العملية التي يمكن استثمارها واستغلالها والتي تؤهلنا للاستعداد الكافي لمنافسة الامم الاخرى ومزاحمتها والدفاع عن كياننا ؟

لا ريب أن الوسيلة لهذا كله تبتدىء في التعليم من أول درجاته الى آخرها . أعني أن برنامج التعليم يجب ان يوسع في العلوم الطبيعية والرياضية (لان الرياضة أصبحت مفتاح كنوز العلوم الطبيعية) وان يختصر ما أمكن في علوم اللغة والادب والتاريخ . ويجب أن يدرس الطلبة العلوم الطبيعية باسلوب مشوق جداً ولاذ وأن يفهموا من نمط التدريس أن هذه العلوم أولية في البرنامج وأن الادب وفروعه علوم ثانوية هذا أولا

ثانياً : يجب أن تكون معامل الاختبار والامتحان والتمرين في كل علم مستوفية العدد والآلات والادوات في كل مدرسة وكلية علمية وأن تطلق أيدي الطلبة في استعمالها

ثالثاً : يجب أن توجد معامل كبيرة غير معامل المدارس ، مستوفية جميع الادوات والعدد ، وأن تكون مفتوحة لجميع المتخرجين في المدارس العليا ممن يريدون أن يجروا بحوثاً علمية وينقبوا ويتحروا ويختبروا ، تفتح لهم مجاناً بلا مقابل مهما كلف ذلك الحكومة . لان ثمرات العلم الحديث في الغرب تجنى من أمثال هذه المعامل

رابعا : يجب أن يكون الى جنب هذه المعامل مكاتب عمومية مفتوحة لجميع الرواد وطلاب العلم مجاناً . وان تحتوي على كل مستطرف من مؤلفات العلوم الحديثة باللغات الاوربية الغنية بالعلوم ولا سيما الانكليزية والفرنسية لان هاتين اللغتين أشيع اللغات الاجنبية في الشرق . لا يكفي أن يوجد في العاصمة وغيرها من المدن الكبرى مكتبة واحدة . بل يجب أن يكون في كل حي مكتبة صغيرة مستوفية الكتب الحديثة القيمة . وأما المكتبة الكبرى التي في شارع محمد علي فما هي الا متحف أثري لمؤلفات العرب القديمة ، فتغني لطلاب الادب والتاريخ فقط لان ما فيها من العلم الحديث الذي نحن بصدده لا ينقع غلة ولا يشفي علة

خامساً ينبغي ان يؤلف مجمع علمي بحت (غير المجمع اللغوي) يشترك فيه المثقفون ثقافة علمية . يلقون فيه محاضراتهم عن نتائج أبحاثهم ومطالعاتهم ودروسهم واختباراتهم العلمية ويتناقشون فيها . لابد من عضد الحكومة المالي لهذا المجمع لكي تقوم له قائمة . ومجمع كهذا إذا قام بوظيفته حق قيام لفت نظر مجامع اوربا اليه وبادلها نتائج أعماله . واذا ظهر فيه نابغة أو نوابغ برز بنظرياته ومباحثه واكتشافاته العلمية الى رحبة العلم الاوربية ، وقبله علماء أوربا كواحد منهم ساد على تقديم بحثاً له . وبدون مجمع كهذا لا يمكن ان يلمع نابغة ما بحيث يبلغ لمعانه الى الغرب ، بل يبقى نوره خابياً وراء الغيوم الى أن ينطفىء من غير أن يدري به العالم

سادساً : يجب أن تهتم الحكومة بترجمة أهم التآليف العلمية الحديثة الى لغتنا ونشرها على طلاب العلم . فنحن أحوج جداً الى كتب كهذه منا الى الاغاني وابن خلدون وغيرها من كتب العرب مما طبع مراراً وفائدته العمرانية لنا ضئيلة جداً

سابعاً : يجب أن تساعد الحكومة المؤلفين في العلم الذين لا نشك في قيمة تآليفهم العلمية ، بأن تبتاع من نسخ تآليفهم ما يساوي نفقات الطبع على الاقل لكيلا يغرموا مع ذهاب أدمغتهم ذهوب مالهم ، وهم على الغالب قليلو اليسر والرخاء . وربما كانوا في عسر . لا بد من اعانة الحكومة لان المطبوعات العلمية لا تصادف اقبالا كالمطبوعات الفكاهية ونحوها ولا سيما في بدء النهضة العلمية حين يكون الميل الى المطالعات العلمية ضعيفاً

ثامناً : يجب أن تساعد الحكومة مالياً المجلات العلمية التي لم يشك في خدمتها الجليلة للعلم بحيث يتسنى لهذه أن تجعل قيمة اشتراكاتها رخيصة جداً فيكون رخصها من وسائل انتشارها

هذه أهم الوسائل لتنشيط الثقافة العلمية وتحريض شهوة المتعلمين والمتقفين للاستمرار في درسها ومطالعة كل جديد فيها واقتناء المؤلفات المستجدة بها . وعلى تمادي الزمن تتبوأ ثقافتنا العلمية مجلسها اللائق بها الى جنب الثقافة الادبية ، حتى اذا انصرفت الاذهان اليها كانصرافها الى الثقافة الادبية وتيسرت جميع الوسائل اللازمة للراغبين في البحث والاختبار والاكتشاف ، قوي أملنا بأن نستغل العلم ونستثمره كما يستثمره الغربيون الآن في كل شأن من شؤون الحياة . وليس بمستبعد أن تثمر الثقافات العلمية عندنا اختراعات ذات شؤون عظيمة القيمة تكون علة رقي الامة ووسيلة لاستقلالها

هذه قضية حيوية يعرضها العاجز كاتب هذا المقال على أهل التفكير الحر لكي يمحصوها ، حتى اذا استصوبوها ابدوها وسعوا الى تنفيذ الوسائل التي سردناها . وإلا فنبقى في عوزنا وتقهقرنا بالنسبة الى تقدم غيرنا الى أن ننقرض وتشغل مكاننا أمم أخرى نشيطة جديرة بالحياة والبقاء

نقولا الحداد

مصائب المناجم

في أواخر شهر مايو الماضي وقعت فاجعة مؤلمة في أحد مناجم الفحم بقرب بلدة لييرشي بالبلجيك ، إذ حدث انفجار داخل المنجم أودى بحياة سبعة وخمسين عاملا

وحوادث الانفجار التي من هذا القبيل من أكبر المعضلات التي تشغل اليوم بال العلماء ، لأنهم ولئن يكونوا قد وفقوا إلى تقليلها كثيراً جداً إلا أنهم لم يستطيعوا حتى الآن منعها أو تلافي أضرارها تلافياً تاماً

ولا يخفى أن أشد عوامل الانفجار التي يخشاها عمال المناجم هو الغاز الذي يتجمع في المنجم على مر الأزمان . وقد كانت الطريقة المتبعة منذ نحو قرن لاكتشاف ذلك الغاز بعيدة كل البعد عن مقتضيات الإنسانية ، إذ كان يؤمر أحد المسجونين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة بأن ينزل إلى المنجم وبيده مشعل مشتعل . فإذا كان في المنجم غاز انفجر وقتل ذلك المنكود الحظ فيعرف العمال أن النزول إلى المنجم خطر . وإذا عاد ذلك المنكود الحظ حياً وبيده المصباح ثبت أن المنجم خال من الغاز فلا خطر من الانحدار إليه

وفي أوائل النصف الثاني من القرن الماضي استعيض عن تلك الطريقة المفجعة بوسيلة علمية ، إذ أثبتت التجارب الكيماوية أن غاز المناجم إذا امتزج بالهواء الاعتيادي بنسبة لا تزيد عن ستة في المائة (من الغاز) فلا خطر من انفجاره ، ولذلك أعدت الوسائل اللازمة « لتهوية » المناجم حتى يضعف الغاز ويزول خطر الانفجار

إلى اليسار : في الممرات السفلى حيث يزحف العامل على مستوى بأية ٤٣

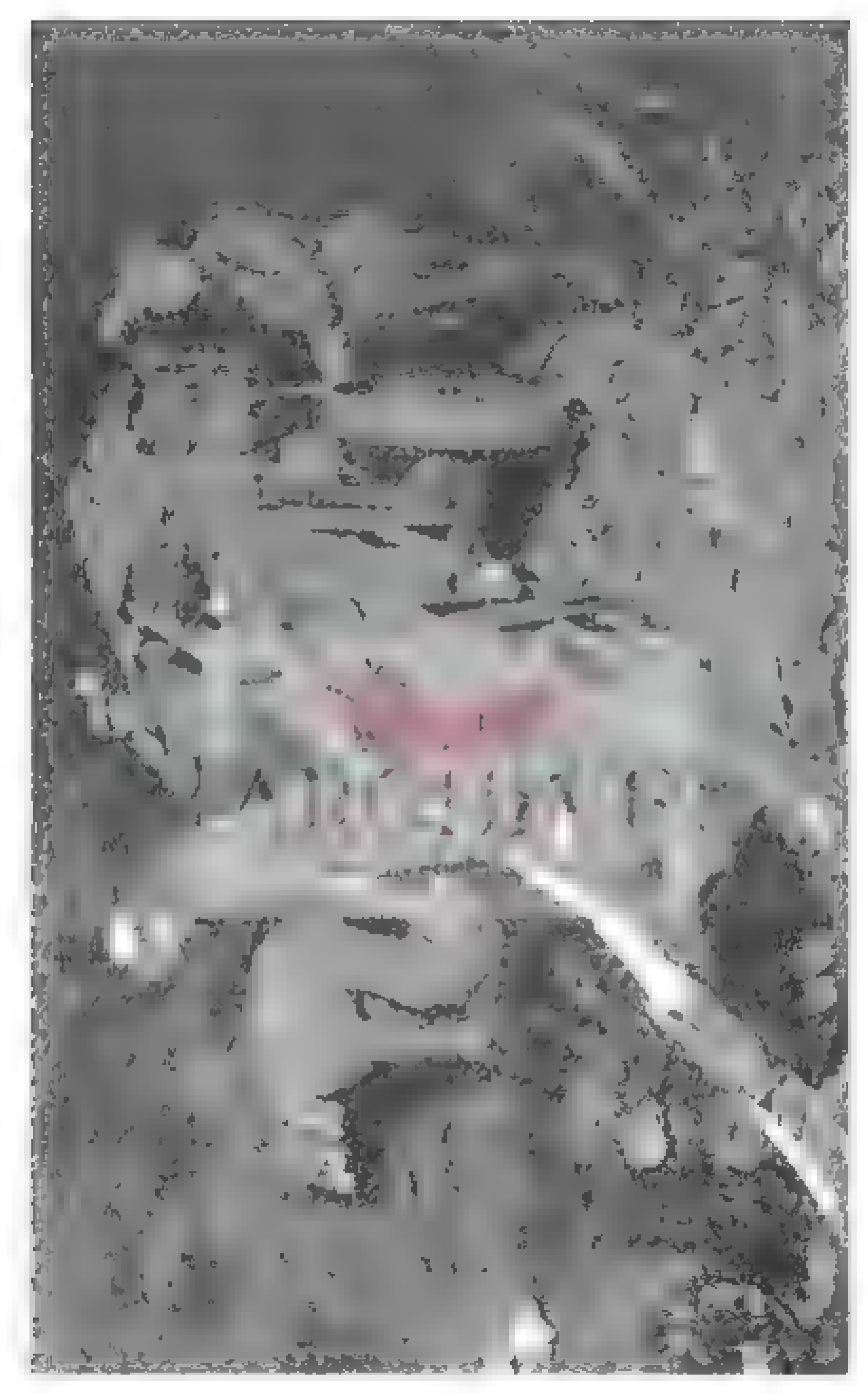

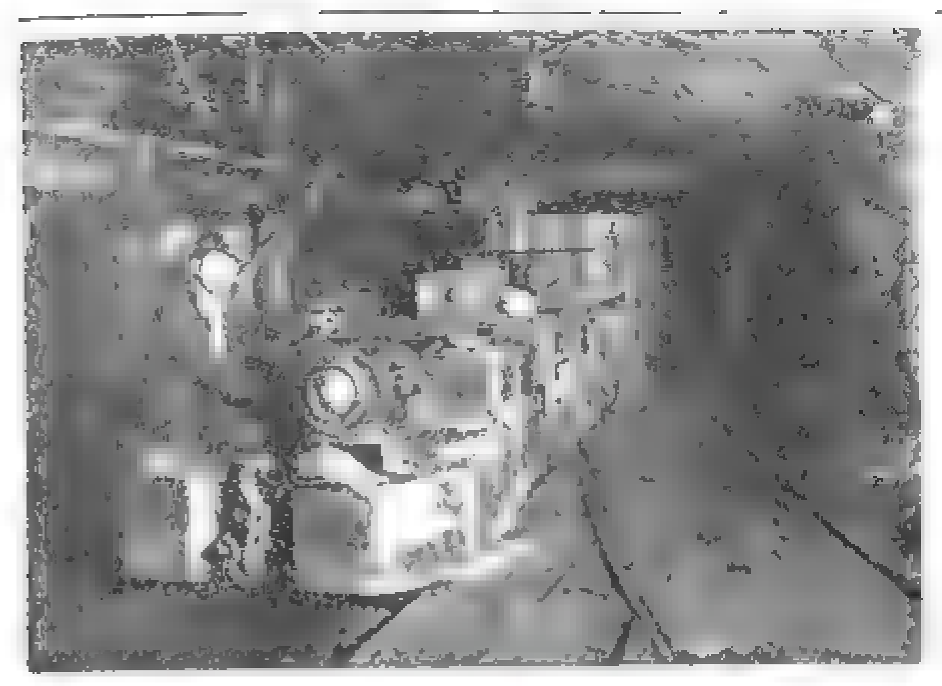

العربات مشحونة فحماً

إلا أن خطراً آخر ظهر بوجود وهو غبار الفحم [illegible] اذ ثبت بالاختبار أن هـذا الغبار اذا انتشر وزالت منه كل رطوبة أصبح شديد الالتهاب والانفجار في حالات معينة . واذا انفجر لم يبق ولم يذر وتولد عنه غاز أول أكسيد الكربون [illegible] في خطر .

ومن وسائل السلامة المستعملة اليوم مصباح خاص يساعد على اكتشاف الغاز في المنجم . والمجال لا يسمح بوصف هذا المصباح وصفاً مسهباً ، وانما نقول إنه عند وجود غاز في المنجم تحيط نوره هالة غير لامعة فيكون ذلك بمثابة انذار . والمصباح المذكور دقيق الصنع سريع العطب يجب الاهتمام به وحفظه نظيفاً بغاية العناية ، والا فانه لا يؤدي وظيفته بالتمام . ومما يدعو الى الأسف ان عمال المناجم قلما يعيرون مصابيحهم العناية التامة

ومما يجدر بالذكر ان المواد المتفجرة التي يستعملها عمال المناجم لنسف بعض الصخور الفحمية هي من نوع خاص يعرف بمفرقعات الأمان لا تحدث انفجارا ولا خطراً في المنجم

وقد نقصت الاصابات الخطرة في المناجم نقصا محسوسا كما نرى من الاحصاء الآتي :

عدد الوفيات في كل عشرة آلاف عامل من عمال المناجم

	من سنة ١٨٨٠ — ١٨٩٠	من سنة ١٨٩٠ — ١٩٠٠	من ١٩٢٠ — ١٩٣٠
بسبب انفجار الغاز والغبار	٨٫٢٤	٠٫٨٢	٠٫٥٣
بأسباب اخرى	١٥٫٣٦	١٣٫٢٣	١٠٫١٦

مدرسة للامومة

مهما تقدمت المرأة وزاحمت الرجل في مختلف الاعمال فلا تزال وظيفتها الاولى هي الامومة . فعلى المرأة قبل كل شيء، ان تنتج للاسرة وللوطن أطفالا أصحاء أقوياء وان تربيهم وفق قواعد الصحة وعلى أساس من الخلق القويم حتى ينفعوا أنفسهم وبلادهم

غير ان تعليم البنات قد ظل زمنا من الدهر في أوربا كما هو في مصر الآن ، يهتم بالتدبير المنزلي وبالحساب والعلوم وغير ذلك ويهمل أهم ما ينبغي للفتاة ان تعرفه ، وهو الامومة وما يتبعها من طرق تربية الاطفال والعناية بصحتهم والرقابة على نمائهم . وذلك لان المعلمين والمعلمات كانوا يحسبون ان الكلام في الامومة مما يجرح خفر التلميذات العذارى ، فكن يتخرجن في المدارس وهن جاهلات بأهم ما كان ينبغي لهن ان يتعلمنه ويدركن كنهه . ومن ثم نجد نساء كثيرات يجهلن الامومة ولا يعرفن طرق العناية بأنفسهن عند الحمل والولادة ولا العناية بأطفالهن بعد ذلك

وقد لاحظ ذلك ولاة الامور في المانيا وشق عليهم ان تبقى أولئك الامهات جاهلات أخص شؤونهن فأنشأوا لهن مدرسة وجاءوهن فيها بالمعلمات ، يعلمنهن طرق العناية بالطفل وتربيته ، ومعالجته ، وتغذيته . وكل ذلك وفق أحدث الوسائل الصحية

ولم يقف الاقبال على هذه المدرسة على النساء المتزوجات ، والامهات منهن فحسب . بل أقبلت عليها أيضا فتيات في سن الزواج ، وأعربت لنا احدى هذه الفتيات ، عما يشعرن بأهمية الدروس التي تلقى بتلك المدرسة ، وتقديرا (للامومة) التي هي أهم وظائف المرأة ، بل هي الغاية من وجودها في الحياة

منظر فصل دراسة في مدرسة الامومة، وترى المعلمة وهي تبين للامهات كيف يجب ان يحمل الطفل وكيف ينبغي وزنه بين حين وآخر

حين تكون الام مصابة ببرد وزكام يجب ان تلبس كمامة حتى لا تنقل اليه العدوى

كيف ينبغي ان يحمل الطفل الرضيع دون الاضرار به

في أسفل : قبل ان تحمل الام طفلها وهو عاري الجسد يجب ان تغسل يديها جيداً

البراكين والحقائق العلمية

البركان

(معرب فولكانوس اللاتينية) جبل نارى يقذف الحمم والمواد المصهورة من فتحة في أعلاه تسمى الفوهة . ويختلف قطرها باختلاف حجم البركان . وفي العالم براكين كثيرة بعضها مطفأ والبعض الآخر « عامل » أي مشتعل يقذف الحمم في فترات متقطعة وفوهته مكتنفة دائما بالادخنة وسحب البخار العاري . وكثيراً مايظل البركان منطفئاً عدة قرون ثم يعود الى ثورانه فجأة

والحمم والمواد التى تقذفها فوهة البركان تختلف في مادتها وتركيبها ، فمنها المواد المصهورة السائلة ومنها سحب الادخنة والغازات ومنها شظايا الحمم المتطايرة . وكلها على درجة شديدة من الحرارة مما يثبت أن جوف الكرة الارضية مملوء بمواد ساخنة شديدة الحرارة

ويعتقد فريق كبير من العلماء ان بين ثوران البراكين والزلازل علاقة وثيقة . ولهم في ذلك اقوال وادلة ليس هذا مجال شرحها . على ان فريقاً آخر منهم ينكر هذه العلاقة بحجة ان العلم لم يثبتها حتى الآن اثباتاً قاطعاً . وقد افضى انفجار البراكين في اوقات مختلفة الى فواجع كبيرة . ففي سنة ٧٠ للميلاد مثلا ثار بركان فزوف بايطاليا (بالقرب من مدينة نابولى) فدفن مدينتي بومباي وهركولانيوم تحت حممه واهلك خلقاً كثيراً . ومن اعظم فواجعه من هذا القبيل في الازمنة الحديثة هي ثوران بركان ... (الواقعة بين جزيرتي جاوى وسومطره) في سنة

مناظر حمم تشبه الاملاح المتجمدة

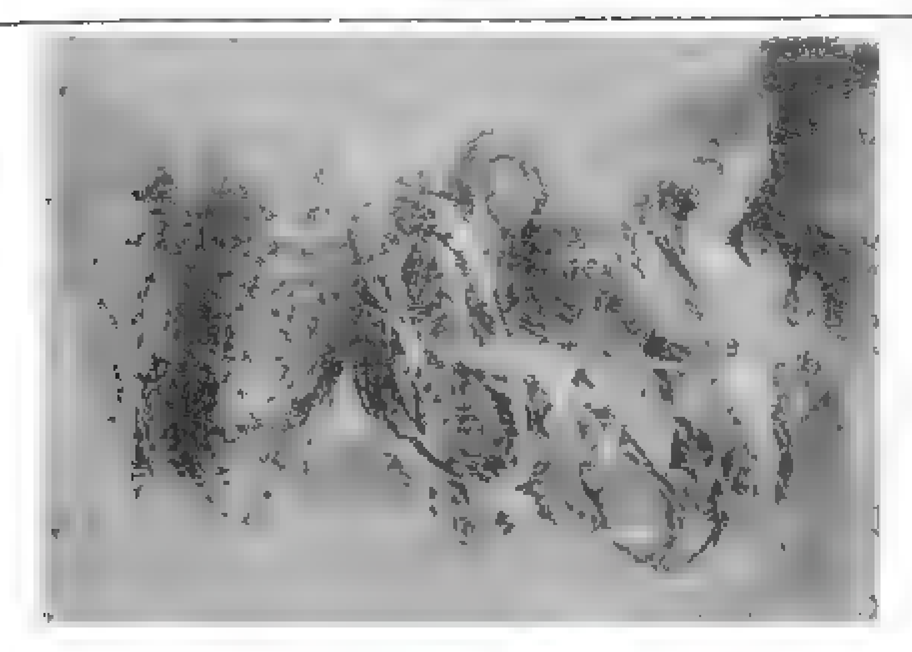

جسم تشبه خيوط الغزل أو الشعر الناعم ، ولا يكاد يصدق أن هذه الأشياء هي حمم قذفها بطن الأرض

١٨٨٣ إذ تفجرت أبخرته ونثرت مقذوفاته الى ارتفاع ثلاثة عشر ميلاً ، وغمرت مياه البحر أربعين بلدة وقرية على السواحل في عمق ثلاثين متراً ، وبلغ عدد الضحايا ستة وثلاثين ألفاً من الأهالي . وفي سنة ١٩٠٢ ثار بركان جزيرة مارتينيك فدمر مدينة سان بيير كلها وأهلك خمسة وثلاثين ألفاً من السكان

وقد اهتمت الحكومات والمعاهد العلمية في الأزمنة الحديثة بدرس خواص البراكين لاستجلاء أسرارها ومعرفة كل ماله علاقة بها والتوصل (اذا امكن) الى الانباء بمواعيد ثورانها قبل وقوع ذلك لاتقاء أخطارها . وفي مقدمة الحكومات التي تعنى اليوم بدرس أحوال البراكين الولايات المتحدة وايطاليا واليابان وجميعها من الدول التي تكثر البراكين في بلادها ، وقد اصيبت بنكباتها أكثر من غيرها . وترى هنا صوراً لبعض المشاهد المأخوذة من بركان كيلويا بجزيرة هاواي في أثناء ثورانه . وقد أوفدت حكومة الولايات المتحدة بعثة الى هناك برئاسة الاستاذ جاجار لدرس كل ماله علاقة بالبراكين . ولا حاجة الى وصف الأهوال التي تعانيها أمثال هذه البعثات والأخطار التي تتعرض لها . ومما يروى من هذا القبيل ان بعثة علمية يابانية قضت منذ عهد قريب مدة طويلة فوق فوهة أحد البراكين اليابانية وهي تجمع المعلومات وتصور بعض مناظر البركان غير مكترثة لما تتعرض له من الأخطار . ولا عجب فان أبطال العلم قلما يكترثون لما يتهددهم من مصائب الطبيعة

صورة البركان كيلويا الثائر بجزيرة هاواي وهو من أكبر براكين العالم ، وقد رسم هذه الصورة الاستاذ توماس جاجر رئيس البعثة التي اوفدتها الحكومة الاميركية لدرس احوال البركان المذكور . ويبلغ قطر فوهته نحو عشرة كيلومترات

في اليسار : الاستاذ توماس جاغار يرسم مناظر بركان كيلويا الثائر وذلك بطلب من الحكومة الاميركية . ولا يخفى انه من الخطر أن يدنو الانسان من فوهة البركان الثائر . وهناك ترى الاستاذ جاغار هنا يرسم البركان من بعد بواسطة جهاز التصوير يعرف بالتليفوتو أو آلة التصوير عن بعد

في اسفل : السيل في المنطقة التي بردت من الحمم وقد حدث ذلك فوق فوهة البركان الثائرة وأرسلت عليها الآلات لقياس درجة الحر ... ثورة البركان

في أعلى قمم لبنان

رحلة الى القرنة السوداء

بقلم الاستاذ توفيق اليازجى

يطيب لى كلما ذهبت إلى لبنان أن أقصد إلى الارز وأقيم فى الفندق الحديث القائم فى ظلاله لأنى أجد اللذة فى الهدوء والسكينة، لأنى المصايف المكتظة. وأنعم بالهواء الجاف المنعش الذى يبعث فى الجسم حياة جديدة. وتستهوينى المناظر التى يمتد فيها البصر مئات من الأميال وتجمع بين جبال يبلغ علوها ألوفا من الأقدام وأودية تكاد توازى سطح البحر وهضاب مطرزة بالقرى وغابات خضراء تغطى قمم جرداء. وهذه المناظر لا يستطيع ان يتمتع بها المرء إلا فى تلك الناحية من لبنان

وكنت ألهو كلما ذهبت الى تلك البقعة التى لا نظير لها فى مصايف العالم الاخرى بتوقل الجبال والتصعيد فيها. فزرت مرة ظهر القضيب — تلك القمة التى تشرف من الشرق على سهل البقاع والجبل الشرقى وحرمون، ومن الغرب على بحر من بيروت الى اللاذقية، وعلى اطراف سهول عكار وحماة من بلاد السوريين. أما فى الصيف الماضى فانى عولت على الصعود الى القرنة السوداء التى هى أعلى قمم لبنان اذ يبلغ ارتفاعها ٣٦٠٠ متر عن سطح البحر فهى أعلى من فم الميزاب ومن ظهر القضيب (٣٢٠٠ متر)

وساعدنى الحظ وأنا فى فندق الارز بالاجتماع بالدكتور [illegible] بك حكيمباشى البوليس فى مصر فوجدته أعظم منى شغفا بحب الطبيعة هناك وبتوقل الجبال وأعظم خبرة بشعابها وخافيها. فلم يطل بنا الامر حتى عزمنا على الذهاب معا الى القرنة السوداء وقررنا ان يكون صعودنا اليها يوم ٢١ اغسطس فأعددنا للامر عدته ونهضنا فى نحو الساعة الرابعة من صباح هذا اليوم وجىء الينا بالبغال للركوب، وأعد لنا الفندق ما يلزم لنا من الزاد فى الطريق وأخذنا ما نحتاج اليه من الدثار لتقى البرد الشديد

سرنا فى بادىء الامر متجهين شرقا الى فم الميزاب وكان الهواء شديد البرودة يلسع الوجه لسعا. وما زلنا سائرين نتوقل الجبل فى طريق لا تكاد البغال تحسن سلوكه لولا أنها اعتادت السير فيه، حتى بلغنا فم الميزاب بعد ثلاث ساعات. وكان يخيل الينا فى خلال الطريق اننا كالسنور الذى يتسلق شجرة ضخمة عالية. وكنا على طول الطريق نسير فى خط معوج مرة الى اليمين وثانية الى اليسار لكى نتمكن من ارتقاء الجبل. وعندما بلغنا فم الميزاب طلعت علينا الشمس مكسوفة وكان البرد قد أخذ منا مأخذه وجمدت أصابعنا عن الحركة من شدة البرد، وجفت شفاهنا وكادت ألسنتنا تنعقد.

فنزلنا عن مطايانا واسترحنا قليلا وتناولنا شيئاً من الطعام . ثم استأنفنا السير إلى القرنة السوداء فاستغرق وصولنا اليها نحو ساعة ونصف ساعة من الزمن

تختلف طبيعة الارض والمناظر اختلافا تاما في الشقة التي بين غابة الارز وقم الميزاب عنها في الشقة التي بين قم الميزاب والقرنة السوداء . ففي الاولى يمر المرء في بادىء الامر ببعض الاراضي الزراعية التي ينبت فيها القمح أو الشعير بعد أن يغمره الثلج أربعة أشهر من السنة فيخرج من الارض هزيلا. وبعد أن يفارق المرء هذه المنطقة يدنو من منطقة جرداء لا أثر فيها لغير الصخور والحجارة وتقع العين في بعض الاحيان على رعاة الماعز الذين يقضون الصيف في تلك المرتفعات وترعى مواشيهم ما ينبت من الاعشاب القليلة بين الصخور . ولكن عندما يفارق المرء هذه البقعة يصل إلى القمة الجرداء القاحلة التي لا يستطيع غير الطير أن يطرقها . وتظل هذه القمة ممتدة حتى قم الميزاب . وقد أثر الثلج فيها مع توالي العصور تأثيراً كبيراً ففتت الصخور وحولها الى حجارة متفاوتة الحجم ، وتألفت من هذه الحجارة طبقة يزيد سمكها على متر واحد في بعض الاحيان . فلو وقف المرء في رأس الجبل وحاول النزول لوجد أن الحجارة تنهار تحت قدميه فيقطع مسافة طويلة في انحداره بدون أن يأتي بحركة لان الحجارة تتدحرج تحته فتجري به كالعربة . وقد خبرت ذلك بنفسي يوم زرت ظهر القضيب في صيف سنة ١٩٣٠ واخترت هذه الطريقة في النزول من الجبل بدلا من سلوك الطريق التي جئت منها . فكانت الحجارة تنهار تحت قدمي وأنا واقف وتنقلني نحو ٢٠ أو ٣٠ متراً إلى أسفل . وعندما كنت أهدأ بعض تركها بعضها على بعض كنت أنقل خطوة اخرى فتنهار الحجارة ثانية وتتدفق معها . وظللت أستخدم هذه الطريقة المبتكرة من طرق المواصلات حتى دنوت من أسفل القمة وبلغت المنطقة الصعبة فتحولت إلى الطريق العادية

وعندما يجتاز المرء قم الميزاب يجد أنه أمام واد عظيم في رأس الجبل تحيط به قمم عديدة من اليمين والشمال . وكثير من هذه القمم يكسوه الثلج الابدي أو يتراكم على جوانبه . ولا يكاد المرء يقطع أمتاراً قليلة حتى يرى ذات اليمين وذات اليسار ثغرات واسعة يحتوي بعضها على الثلج ، فيدرك عند ذلك كيف تتألف الينابيع في لبنان . وبما أن الثلوج التي تتراكم في الشتاء يبدأ ذوبانها وانسيابها الى ذلك « الوادي » في رأس الجبل في مستهل الربيع فتفتح المياه ثغرات في الارض وتنساب الى قلب الجبل وتخرج من جوانبه المتعددة ينابيع تذيب في طريقها ما في باطن الجبل من المعادن وتخرج باردة نقية تحمل الغذاء للشاربين

وكنت كلما دنوت من ثغرة اقف الى جانبها وأتأمل فيها فتمر امامي بسرعة البرق المراحل التي تجتازها المياه منذ تبخرها الى أن تسقط ثلجاً على تلك القمم وتملأ تلك الثغرات وتذوب فيها وتغوص في قلب الجبل وتخرج ينبوعاً صافياً من أحد جوانبه مخترقة في باطنه دهاليز سرية وسط كنوز من المعادن لا يعرف الانسان شيئاً عنها الا ما يذوب منها في المياه . ويتراوح قطر فوهة الثغرة

بين مترين وستة أمتار . وكلما عمقت ضاقت . ومتى نفد منها الثلج لا يبقى فيها سوى الحصى والتراب

وجميع الصخور والحجارة التى مررنا بها وتأملناها من النوع الجيرى فلا أثر فى الجبل للحجارة البركانية . على أننا عثرنا فى قمة القرنة السوداء على حجارة فى شكل أصداف كبيرة . فان لم تكن الطبيعة قد كونتها تكويناً خاصاً جاء صدفة فى هذا الشكل فمن المرجح أنها أصداف متحجرة . وهذه الفكرة تقودنا الى القول بأن ذلك الجبل الشاهق كان فى أحد الأزمنة الغابرة فى قاع البحر

وتطل القرنة السوداء على سهول حمص حتى تدمر وعلى بلاد عكار وبلاد العلويين كلها . ومتى التفت المرء جنوباً رأى صنين . ولكنه يهزأ لأول مرة فى حياته بصنين لانه يشعر أنه فى مكان يعلو عليه . ومن القرنة السوداء يرى المرء جميع الروابى القائمة على قمة الجبل وهى تكاد تكون سلسلة موضوعة فى شكل اهليلجى ذى حلقات متعددة . وبين كل رابية وأخرى وهدة صغيرة يتراكم الثلج على جوانبها . فالثلج فى تلك القمم ليس متصلا بعضه ببعض فى زمن الصيف لانه يأخذ بالذوبان منذ بدء الربيع . وكلما مرت الايام عظم ذوبانه حتى يصبح فى أول الشتاء بقعاً منتشرة هنا وهناك يزيد عددها على العشرين ، ويتراوح طول كل منها بين ٢ و ١٠ متر وسمكها بين متر وعشرة أمتار

ومن المناظر التى تسحر الألباب منظر ... من الثلج الى جانب القمة المجاورة للقرنة السوداء يزيد طوله على ٢ متر ويبلغ عرضه نحو ٦٠ متراً وقد رأينا المياه تذوب من جوانبه وتنحدر إلى أسفل القمة ثم تتحول الى أسفل الساقية وتدخل فيه ثغرة تشبه مغارة واسعة وتظل متجهة غرباً الى أن تصل بعد ثلاثين متراً الى مكان منخفض فى الارض تغور فيه . وقد حاولت أن أتتبع ذلك الجدول فسرت محاذياً له ودخلت الثغرة فوجدتها منفسحة يزيد ارتفاعها على أربعة أمتار وسعتها على ستة أمتار . وما بلغت المكان الذى رأيت المياه تغور فيه حتى فصعدت فعثرت بالتراب يغوص تحتها فسحبتها فى الحال . ولما كانت المغارة مكونة فى قلب ونساف الثلج فان المياه تقطر فيها على الدوام من الداخل وتزيد مجرى الماء الوارد من الخارج قوة وغزارة

وقد جلسنا الى جانب المياه وتناولنا الغداء وشربنا من ذلك الماء الطبيعى العذب واسترحنا نحو ساعة من الزمن ثم استأنفنا السير راجعين . وبلغنا الفندق بعد أربع ساعات من السير المتواصل ووجدنا عند وصولنا أننا لم نشعر بالتعب العظيم الذى كنا نتوقعه لان جودة الهواء عوضت لنا كل ما فقدناه من قوة فى الطريق . فوصلنا الفندق ونحن أعظم نشاطاً مما كنا عندما تركناه

وها أنا أكتب وصفاً وجيزاً لهذه الرحلة بعد ان مضى عليها نحو سنة من الزمن ، ولكن لم يبرح من ذهنى شئ من جمال تلك البقاع ، ولا من لذة تلك الرحلة ولا من جودة الهواء . وأظنى مازلت محافظاً على جانب عظيم من النشاط الذى كسبته باقامتى بضعة عشر يوماً فى ظلال الارز

توفيق اليازجى

الليالى الفاطمية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[وهذا الفصل يرى القارىء طرفاً مما انتهت إليه الحياة الاجتماعية المصرية فى عصر الدولة الفاطمية من البذخ والترف والبهاء ، ويشاهد كيف كان الفاطميون يحيون مواسمهم وأعيادهم ويبالغون فى الاحتفال بهذه المواسم والأعياد الفخمة المآدب والحفلات الشائقة التى تنم عما كانوا عليه من ثروة ضخمة]

كان عصر الدولة الفاطمية عصر من أزهر العصور ، يجتمع فيه كثير من أسباب القوة والعظمة والبهاء . وكانت هذه الدولة الشامخة التى قامت تمثل زعامة الاسلام والخلافة فى ظروف دينية وسياسية خاصة ، أشد الدول الاسلامية حرصاً على أن تطبع الشعب والمجتمع بطابعها الخاص ، وان تصوغ روح الشعب وعقليته وتفكيره وحياته العامة والخاصة وفقاً لمناهجها الخاصة ، فنرى الحياة الاجتماعية المصرية فى العصر الفاطمى تتخذ صوراً ومظاهر خاصة وتتقلب بين ألوان من البذخ والترف والبهاء قل أن نجدها فى عصر آخر من عصور مصر الاسلامية . ونراها أحياناً تمتاز بألوان من الغرابة والشذوذ والاغراق المدهش . وقد كانت هذه الحياة الاجتماعية الباهرة الشديدة معاً فى ذاتها مرآة للدولة الفاطمية ينعكس عليها كثير مما امتازت به هذه الدولة من القوة والعظمة والبهاء والاغراق فى بعض مناهجها السياسية والدينية والعقلية . ويرجع هذا التطور العميق فى الحياة المصرية الاجتماعية فى العصر الفاطمى الى عصر المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر وأول خلفائها بها . فقد شهد الشعب المصرى يومئذ من قوة الخلافة الجديدة وفخامة رسومها وفيض بذخها ما بهره وأثار اعجابه . وكانت مواكب الخلافة الفاطمية ، وحفلاتها الرسمية والشعبية ، أياما مشهودة تثير فى المجتمع القاهرى كثيراً من الجلال والروعة وتمده بكثير من دواعى البهجة والسرور . وحتى فى عصر الحاكم الذى امتاز بكثير من صنوف الاضطهاد والشذوذ . نرى أثر هذا الطابع الضخم المرح فى كثير من ألوان الحياة الاجتماعية المصرية

كانت الحفلات والمآدب والليالى الفاطمية مواسم وأعياداً شعبية حقة ، وكانت القاهرة أثناء هذه الحفلات والمواسم تبدو فى حلل بديعة من الزينة والانوار الفخمة . وقد نتصور ونحن نتلو ما كتبه مؤرخون معاصرون مثل ابن زولاق والمسبحى وابن المأمون فى وصف هذه المشاهد وجمالها وبذخها ، انها ليست من مشاهد العصور الوسطى وانها بالعكس خليقة بأعظم مشاهد العصر الحديث وأروعها (١) وكانت المواكب الرسمية الفاطمية فى مقدمة هذه المشاهد والمظاهر الباذخة ، فكان

---

(١) راجع شذوراً من وصف ابن زولاق للمواكب والحفلات الفاطمية فى كتاب « اتعاظ الحنفاء » للمقريزى حيث يقتبس كثيراً من كتاب ابن زولاق عن المعز لدين الله . وهو أثر لم يصل الينا . وأيضاً فى

ركوب الخليفة يوم الجمعة وفى الاعياد الرسمية كيوم رأس السنة الهجرية ويوم عاشوراء والمولد النبوى الكريم ومولد على بن أبي طالب ومولد ولديه الحسن والحسين ومولد السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب اليها الخلفاء الفاطميون وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه ، وغرة رمضان ، وموسم عيد الفطر ، وموسم العيد الاضحى ، ثم الاعياد الرسمية الاخرى كفتح الخليج ويوم النيروز ، من المواكب والايام المعهودة التى يهتز لها الشعب ويعم فيها السرور والبهجة والعطاء والسعة . وفى عصر الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين بمصر ، بلغت المشاهد والليالى الفاطمية حداً كبيراً من الاغراق . وكان الحاكم مضطرب الاهواء والنزعات . فكانت هذه الاعياد والليالى التى أريد بها ان تكون للناس مواطن حبور ومتعة ، تغدو فى كثير من الاحيان نقمة على الشعب القاهرى . وبينما يتخذ الحاكم حيناً من الليل موعداً لمجالسه وموعداً لركوبه وطوافه يشق خلاله أحياء القاهرة وشوارعها ، وبينما يجعل الشعب القاهرى كخليفته من الليل وقت العمل والتعامل . وتبدو القاهرة فى تلك الليالى شعلة من الانوار ، وتزدهر فيها مواطن السمر واللهو والعبث ، وتنفق فى أسواقها ومنتدياتها الاموال الوفيرة فى المآكل والمشارب وأسباب المتعة ، اذا بالحاكم ينقلب فجأة فيلغى الركوب فى الليل ، ويأمر بمنع السمر واللهو والغناء واغلاق دور اللهو ، ويمنع الناس من الخروج ليلا بعد العشاء فى القصور . فتسود السكينة والظلام أحياء القاهرة وتبدو اذا دخل الليل كأنها مدينة محصورة . واذا به يمنع النساء من الخروج والسفور فتغيض البهجة من المجتمعات وتسود المدينة وحشة وغمة . ثم اذا به يعود فجأة الى تنظيم المواكب الليلية ويبيح للشعب ما حظر عليه من قبل ، وهكذا (١) . على ان عصر الحاكم بأمر الله كان فترة غير عادية تميز بما كان يغلب على الحاكم نفسه من ألوان الاغراق والشذوذ . فلما انقضى عادت الايام والليالى الفاطمية الى سابق انتظامها وبهائها

وكانت الاعياد الدينية الرسمية فى عهد الدولة الفاطمية عديدة كما قدمت . ومنها أعياد خاصة بالخلافة الفاطمية شرعت لغايات دينية وسياسية خاصة ، كالاحتفال بمولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد ولديه الحسن والحسين ، ومولد زوجه السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبى ، ويوم عاشوراء أو عاشر المحرم وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على فى كربلاء (سنة ٦١ هـ) . وكان الخلفاء الفاطميون يبالغون فى الاحتفال بهذه الاعياد باقامة المآدب والحفلات الشائقة ويكثرون فيها من البذل والعطاء .

خطط المقريزى حيث يقتبس منه فى وصف الاعياد الفاطمية . وراجع شذوراً من تاريخ المسبحى (وقد ضاع أيضاً ولم يصل الينا) فى الخطط ، وكذلك شذوراً من تاريخ ابن المأمون ، فى وصف مشاهد الدولة الفاطمية وبلاطها (الخطط — مصر — ج ٢ — ص ٤٥٥ وما بعدها من الفصول)

(١) راجع طرفاً من تقلبات الحاكم بامر الله فى مسائل الحظر والاباحة واصدار القوانين والاوامر الشاذة وتنظيم المواكب الليلية فى خطط المقريزى — مصر — ج ٤ — ص ٦٨ وما بعدها

ويحتفل به الشعب كله وتحتفها أيام حبور وبهجة الا يوم عاشوراء فقد كان يتخذ يوم حزن يعمل فيه سماط كبير يسمى سماط الحزن . ولم تكن غاية الخلافة الفاطمية أن تتخذ من هذه الاعياد الخاصة وسيلة لكي تغمر الشعب بوابل من الحفلات والمآدب الشائقة ، تبهره وتثير فيه عواطف الاعجاب والعرفان فقط ، ولكنها كانت ترمي الى غاية أبعد ، هي التأثير في روح الشعب وعقليته وتوجيه إلى مايلائم خطط السياسة الفاطمية وغاياتها ، وغرس المبادىء الشيعية في نفسه بوسائل عملية . وقد نجحت الخلافة الفاطمية في تلك السياسة إلى أبعد مدى ، واستطاعت غير بعيد أن تطبع الشعب المصرى بطابع قوى من التشيع والولاء لدعوة الشيعية استمر زهاء قرنين

وكانت المآدب الفاطمية من الاحداث الاجتماعية الشهيرة في هذا العصر ، وكان القصر الفاطمى يعنى بتنظيم المآدب والاسمطة الرسمية عناية خاصة ويبالغ في تجهيزها وتنميقها . وكانت هذه المآدب تقام في ليالى الاعياد الرسمية ، ومنها مآدب رمضان . ففى كل مساء من مستهل رمضان حتى السادس والعشرين منه تقام المأدبة الملكية في البهو الكبير (الايوان) ويرأسها قاضى القضاة ويشهدها مئات من الامراء والكبراء . وفى يوم عيد الفطر ثم في يوم الاضحى تقام مأدبة ملكية رسمية كبرى يشهدها ويرأسها الخليفة بنفسه . وقد وصف لنا ابن الطوير بعض مناظر هذه المآدب أو الاسمطة الفاطمية الشهيرة في قوله : « فاما الاول (أعنى السماط) من عيد الفطر فانه يعبى في الليل بالايوان قدام الشباك الذى يجلس فيه الخليفة فيمد مامقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة أذرع من الخشكنان والفانيذ والبسندود (ثم ذكر عنه مدار الفطرة) . فاذا صلى الفجر في أول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ومكن الناس من ذلك المسدود فأخذ وحمل ونهب . . . » . وبعد ركوب الخليفة للصلاة والعود الى القصر يقام سماط الطعام على مائدة كبيرة من الفضة تمد طول القاعة الكبرى (الايوان الكبير) في عرض عشرة أذرع وتجهز بآنية الفضة والذهب وتزين بالازهار ، وتجهز بأروع وأشهى الاصناف ويشهدها نحو خمسمائة من الامراء والكبراء . وهنا نحيل القارىء على ما كتبه ابن الطوير في وصف تلك المآدب الباهرة ، وما كانت تمتاز به من البذخ والاناقة والبهاء مما لا يكاد يضارعه شىء في المآدب الملكية أو الرسمية في عصرنا (١)

ومن الليالى الفاطمية الشهيرة ليلة فتح الخليج أو وفاء النيل ، وهو عيد قومى كان يحتفل به دائماً في جميع الدول الاسلامية . ولكنه كان كباقى الاعياد في هذا العهد يمتاز بكثير من الرونق والبهاء ، فيركب الخليفة الى الخليج في موكب ضخم ، وينصب هناك سرادق هائل تبلغ مساحته نحو الف الف ذراع ، وتنصب فيه قاعة الخلافة . وتوزع الكسوات والهبات الملكية ، وتصطف العشارى (السفن) الرسمية في النيل ، وتصطف الجنود على الشاطئين . وعندما يعلن وفاء النيل الى الخليفة

(١) نقل المقريزى أقوال ابن الطوير في خططه — ج ٢ — ص ٢١٩ — ٢٢١

تقام عند المقياس مأدبة ليلية حافلة ، ويحتفل الشعب القاهري كله بهذا العيد . وتقام المآدب وتنظم الملاهي ومجالس الأنس والغناء في كل مكان ويعم الحبور والمرح . ومما يلي الوقود الأربع وهي ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه يخرج فيها الناس إلى الجامع الأزهر ، ويبدو الجامع فيها كأنه شعلة من النور ، وتضاء على جنباته المشاعل والوقدات الساطعة ويعقد في صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برآسة قاضي القضاة ، ويبعث الخليفة إليهم بسلال من الأطعمة والحلوى ، وتضاء المساجد الأخرى وتبدو القاهرة كلها في حلل بديعة من الأنوار الساطعة.

وكانت ثمة أعياد رسمية أو قومية أخرى كانت أحياناً تقام في وابل من البذخ والمرح وأحياناً تفرض في إقامتها قيود معينة ، ذلك لأنها لم تكن أعياداً إسلامية أو خلافية . ومن ذلك عيد النيروز (النوروز) القبطي وعيد الغطاس النصراني . وقد فرضت في أوائل الدولة الفاطمية قيود كثيرة على إقامة النيروز والغطاس . وكان يحظر فيهما الوقود أحياناً ثم رفع هذا الحظر في أواخر الدولة الفاطمية فكان يحتفل بهما في وابل من الوقود والنيران والضجيج والمرح

وكان الخلفاء الفاطميون يشهدون في معظم الأحيان هذه الحفلات والليالي ، ويعقد الحفل الخلافي في إحدى المناظر الملوكية الفخمة التي أقيمت في عدة جهات بالقاهرة في القصر الكبير والجامع الأزهر وعلى شاطئ النيل وفي جهات أخرى . فكان حضور الخليفة بموكبه الرسمي الباذخ يبث في هذه الحفلات والليالي كثيراً من البهاء والروعة ، ويبث في نفوس الشعب كثيراً من الحماسة والابتهاج . وكان حضور الخليفة مظهراً دائماً لهذا البذخ والعظمة اللذين امتازت بهما الدولة الفاطمية طوال عصرها

* * *

هذه لمحة سريعة في وصف الأعياد والليالي الفاطمية . وقد نقل إلينا المقريزي عن مؤرخي الدولة الفاطمية الذين شهدوا فخامتها وبذخها فصولا رائعة عن هذه الحفلات والليالي الباهرة وهي فصول تذكي الخيال إلى الذروة ، وتبدو كأنها قصص مغرق مما نقرأ في قصص « ألف ليلة وليلة » . وقد كانت القاهرة بلد الفاطميين ومعقل دولتهم ودعوتهم يومئذ عروس الإسلام بحق ، وكانت تفوق في الفخامة والعظمة والبهاء كل عواصم الإسلام في المشرق والمغرب ، وكانت الدولة الفاطمية أكثر الدول الإسلامية يومئذ فتوة وقوة وغنى . وكان هذا البذخ الذي يتجلى في كثير من نواحي الحياة الاجتماعية المصرية في هذا العصر دليلا على ما انتهت إليه هذه الدولة من مراحل التقدم والحضارة والترف . وقد فقدنا كثيراً من تواريخ هذا العصر وآثاره ، ولكن القليل الذي انتهى إلينا منها يكفي لتصوير ما انتهت إليه الخلافة الفاطمية من العظمة والروعة والبهاء

محمد عبد الله عنان

المحامي

المارستانات في التاريخ
وكيف كانوا يعالجون المجانين

البيمارستان أو المارستان كلمة فارسية مركبة من « بيمار » (أو « مار ») أي مريض ، و « ستان » أي موضع . وتطلق على المكان الذي يعالج فيه المصابون بالأمراض العقلية . وقد كانت المارستانات فيما مضى أشبه بالسجون منها بالمستشفيات ، وكان الذين يحشرون فيها يعاملون بأشد ضروب القسوة والعذاب

ليست المارستانات حديثة العهد بل هي قديمة وجدت منذ أكثر من سبعمائة سنة ولكنها لم تصل إلى نظامها الحالي إلا منذ عهد قريب أي منذ منتصف القرن التاسع عشر . ولم يكن قطر من أقطار العالم في العصور المتوسطة يخلو من مارستان أو موضع يحشر فيه المجانين . وكان الناس في ذلك العهد ـ حتى العقلاء منهم ـ يعتقدون أن المجانين هم أشخاص حلت فيهم الأرواح الشريرة وتسلطت عليهم وصارت تسيرهم ، ولذلك كان الأطباء يعالجون أولئك المساكين طبقاً لما يقتضيه هذا الاعتقاد . أي أنهم كانوا يعذبون المجانين ويتفننون في القسوة عليهم بحجة طرد الشياطين والأرواح الشريرة منهم . وكثيراً ما كان المجانين يطرحون في غيابات السجون راسفين بالسلاسل والأصفاد

أما المصابون بضرب خفيف من الجنون فكانوا حتى أواسط القرن الثامن عشر يعاملون معاملة أدعى إلى الرأفة ، إذ كان يعهد إلى الجمعيات الدينية في العناية بهم والاهتمام بأمور معيشتهم ، وفي بعض الأحوال كان أولئك المجانين يتركون مطلقي السراح يعيشون في القفار أو الغابات لا يخشى أحد أذاهم . بل لقد كان الناس ينظرون اليهم بعين الهيبة والخشوع ويعتبرونهم من أولياء الله . أما الذين يخشى شرهم فكانوا يقيدون ويزج بهم في السجون . ولذلك كنت ترى معظم السجون في تلك العصور غاصة بالمجرمين والمجانين معاً ، وكلا الفريقين راسف بالقيود والاصفاد ، ولم يتم فصل إحدى الطائفتين عن الاخرى إلا بعد ذلك بزمن . فصار المجانين يرسلون الى الأديار التي كان الرهبان قد شرعوا في الخروج منها . ومن أقدمها « دير بدلام » (بيت لحم) بانجلترا وكان قد أنشىء سنة ١٢٤٧ ديراً لرهبان « نجم بيت لحم » ورواهباته وقد أعيد بناء هذا الدير سنة ١٦٧٦ وجعل مستشفى خاصاً بالمجانين

وفي أواخر القرن الثامن عشر قام طبيب فرنسي يدعى پينل (Pinel) وأخذ يدعو الى الرفق بالمجانين في جميع أنحاء العالم والى وجوب معالجتهم على وجه يتفق ومقتضيات الانسانية .

وكان قد زار المجانين في مارستان سالتربير وبيستر بباريس فرآهم يعانون أشد صنوف الاضطهاد ومعظمهم راسفون بالاصفاد الحديدية كأنهم شر أنواع المجرمين . ومع أن أوربا كلها بوجه عام وفرنسا بوجه خاص تأثرت بدعوته واشمأزت من وصفه لما كان المجانين في ذلك العهد يعانونه ، فان حالة أولئك البائسين ظلت على ما هي عليه في جميع أنحاء اوربا الى ان كانت سنة ١٨٣٨ اذ بدأت الحكومة الفرنسية تشعر بوجوب الاصلاح وازالة الظلم الواقع على المجانين . ومنذ ذلك العهد بدىء بنقل المجانين من السجون الى ملاجىء ومستشفيات بنيت لهم خاصة وكان ذلك في الواقع بدء عهد جديد في معاملة المصابين بالامراض العقلية . والفضل في ذلك كله عائد الى فرنسا

وكان التحسن في أساليب معالجة المجانين بطيئاً . وفي الواقع ان هذا التحسن لم يصبح عمومياً الا في اواسط القرن التاسع عشر . فان تحويل السجون والملاجىء التي كان يحشر فيها المجانين الى مستشفيات خاصة بالامراض العقلية لم يتم الا حوالى منتصف ذلك القرن . وفي الوقت الذي بدأ فيه ذلك التحسن واتخذ وجهة جديدة أخذ ميل الاطباء والحكومات يتجه الى التمييز بين انواع الامراض العقلية بقصد التفرقة بين المصابين ، وانشاء ملاجىء أو مستشفيات خاصة بكل طائفة منهم . فنشأت في معظم اوربا مستشفيات للمصابين بالجنون الحاد ، واخرى للمصابين بالجنون المزمن وغيرها للمصابين بالجنون الاجرامي أو للمصروعين او للمصابين بضعف العقل وهلم جراً . ثم ان هنالك مستشفيات تنشأ بعضها من الاغنياء وغيرها للفقراء . وبعضها شعبي والبعض الآخر تشرف عليه الحكومات او الجمعيات الخيرية ويباشرها فريق من مهرة الاطباء الاخصائيين

وقد وصلت المارستانات الحديثة الى درجة من حسن النظام هي من مفاخر المدنية الحاضرة وزالت شوائب العهد السابق يوم كان المجانين يعاملون معاملة مجرمين فتقيد ايديهم وارجلهم بالسلاسل ويزج بهم في غيابات السجون . واصبحت المارستانات تعتبر مستشفيات بالمعنى الحقيقي ، فيها الغرف المستوفية لجميع شروط الصحة ، وبعض تلك الغرف ينام فيها شخص واحد وبعضها ينام فيها غير واحد . وقد ارتقت فيها وسائل المعالجة حتى بلغت حداً بعيداً من الاتقان . وفيها عدا ذلك حدائق ومتنزهات ووسائل الرياضة والتسلية والراحة العقلية والجسمية

ولعل اقرب المارستانات الى الكمال هي الموجودة اليوم في المانيا ، فانها قائمة على احسن النظم الطبية مقرونة بأرقى مبادىء الانسانية . وخير هذه المارستانات وافضلها من كل وجه مستشفيات صغيرة للمصابين بالامراض العقلية الحادة . وفي كل بلدة يزيد عدد سكانها على خمسين الفاً مستشفى من هذا النوع فضلا عن مستشفيات خاصة للمصابين بالجنون المزمن والاخيرة أشبه ببيوت قائمة في وسط مزارع جميلة وحدائق غناء يجد فيها المرضى جميع وسائل الراحة والهناء ويراقبهم أطباء اخصائيون . ومع ان المرضى الذين يوضعون في هذه المستشفيات هم من النوع

الذى لا يرجى شفاؤه فان الاطباء المعهود اليهم فى المعالجة يواصلون العمل كأنهم غير يائسين من شفاء أولئك المرضى ويبذلون فى القيام بهذه المهمة جميع ضروب الرأفة والعناية والاهتمام

ومما يدل على اتجاه الافكار الى الناحية الانسانية من معالجة المجانين وضعاف العقول أنك تجد اليوم فى جميع انحاء العالم المتمدن ملاجىء ومستشفيات لا يعامل فيها أولئك البائسون الا بكل رأفة وتؤدة . ولما نشبت الحرب العظمى الماضية كان معروفاً من اول الامر أن بعض الجنود الذين سيخوضون غمرات الحرب ويخرجون منها سالمين قد يصابون بنوع من أنواع الجنون . لذلك قررت وزارة الحرب البريطانية منذ أول الحرب ألا تأذن بارسال أى جندى الى مارستان او ملجأ من ملاجىء الامراض العقلية الا اذا ثبت على وجه لا يقبل الشك ان اصابته من النوع غير القابل للشفاء . أو إذا ثبت بعد معالجته اثنى عشر شهراً أنه لا أمل من شفائه . وقد اسفر هذا النظام عن احسن النتائج ـ الامر الذى حمل وزارة الصحة البريطانية على اعادة النظر فى نظام المارستانات من أساسه

ومما يجدر بالذكر أن بلدية لندن قد أنشأت مستشفى للامراض العقلية باسم « مستشفى مودزلى » وهو من أرقى المارستانات فى العالم ، والمعالجة تجرى فيه على أحدث النظم العلمية . وسبب تسمية هذا المستشفى باسم « مودزلى » هو ان طبيباً انجليزياً مثرياً يدعى الدكتور هنرى مودزلى وقف مبلغاً كبيراً من المال على بنائه من جيبه الخاص . وفى هذا المستشفى مائة وخمسون سريراً ، وجميع المعدات اللازمة لايواء المصابين من الرجال والنساء . وهو اليوم من المستشفيات التابعة لجامعة لندن . وتلقى فيه محاضرات علمية فى معالجة الامراض العقلية ويطبق فيه العلم على العمل

ثم ان لمعظم مستشفيات لندن اقساماً خاصة بالامراض العقلية الا أنها لاتقبل المصابين فى القسم الداخلى ، بل ترسلهم ـ اذا اقتضى الامر ـ الى المارستانات أو الملاجىء الخاصة بهم

* * *

ويمكننا ان نقول بوجه الاجمال ان جميع المارستانات فى بلاد الغرب تجرى اليوم على نظم متماثلة من حيث تقسيم الجنون الى أنواع ـ منها الخطر ومنها غير القابل للشفاء ومنها الذى يرجى شفاؤه . وأكثر هذه المارستانات خاضع لاشراف الحكومات . والصفة البارزة فى جميعها هى ناحيتها الانسانية

واذا نظرنا الى الولايات المتحدة نرى ان معالجة الامراض العقلية فيها تجرى فى الغالب فى مستشفيات خاصة غير واقعة تحت اشراف حكومى . ويتصل ببعض تلك المستشفيات مدارس خاصة لتعليم طب الامراض العقلية وتطبيق العلم فيها على العمل . على ان جمهور الشعب الاميركى

يميل اليوم الى انشاء مستشفيات مختلفة يختص كل منها بنوع من انواع الامراض العقلية. وقد أنشأت حكومات الولايات بعض المستشفيات العامة للطبقة الوسطى من الناس. أما الاغنياء فليس لهم مارستانات خاصة. على ان هنالك عدة مدارس طبية لتعليم الطب العقلي ولمعالجة الأمراض العقلية

• • •

والجنون كما لايخفى انواع ودرجات مختلفة وهو ينشأ من أسباب متنوعة يصعب حصرها في مثل هذه العجالة. وأهم تلك الانواع الآتية:

(١) السفه والعته

(٢) جنون الشيخوخة (الخرف) وهو الناشيء عن كبر السن

(٣) جنون السكر ـ وهو الناشيء عن ادمان المخدرات والمشروبات الروحية على انواعها

(٤) الجنون الناشيء عن شلل بعض مراكز الدماغ

(٥) الجنون الناشيء عن الصرع

(٦) الجنون الناشيء عن الوراثة

وهنالك انواع اخرى لا تتسع لها هذه العجالة ولا لاقتضاء الحديث في معالجة أمراض الجنون يقضي بانشاء مستشفيات خاصة لكل نوع من هذه الانواع ونسأم أن بعض علماء الامراض العقلية ينكرون أن ادمان المخدرات والمشروبات الروحية سبب مباشر للجنون، ويقولون ان ذلك الادمان هو على الارجح عرض من أعراض الجنون أو ـ على الاقل ـ ان العلاقة بينه وبين الجنون ضعيفة فيصح الاعتبار بها

ويعتقد آخرون أيضاً أن الجنون موروث على حد لا يعتد به إلا اذا شملت الوراثة كلا الوالدين أي إذا كان كل منهما من أبوين مصابين بضعف العقل

ومن الصعب جداً تعريف الجنون علمياً. فضعف العقل يتدرج حتى يصل الانسان الى حالة لا يستطيع معها أن يدرك الضار من النافع. وهذا دليل على ان ضعف العقل درجات. ومن الصعب جداً ان نقول أين ينتهي العقل ويبدأ الجنون مع أن هذا التمييز مهم جداً من وجهة القانون. وكثيراً ما اختلف المشترعون على تحديد الجنون

ومما يجدر بالذكر أن الاقدمين كانوا ينظرون الى المجانين بعين الهيبة والخشوع. ولا تزال بعض امم الشرق تنظر اليهم هذه النظرة وتحسبهم قديسين من «الأولياء». ويقول بعض علماء السيكولوجيا ان العبقرية والجنون كثيراً ما يلتقيان عند نقطة مشتركة بحيث يصعب التمييز بينهما. وهذا هو السبب فيما نشاهده أحياناً من غرابة اطوار بعض العلماء. فديوجينس الفيلسوف اليوناني المشهور الذي عاش من سنة ٤١٣ الى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد كان من أغرب الناس اطوارا إذ كان

يعيش في برميل ويسير في الشوارع حاملا مصباحاً في رابعة النهار ، ويقول للذين يسألونه عن سبب ذلك إنه يبحث عن انسان . ولو كان عائشاً بيننا اليوم لحسبناه مجنوناً لا محالة وأمثال ديوجينس في التاريخ كثيرون تشف أعمالهم عن غرابة أطوار هي أقرب الى الجنون منها الى العقل. ولو اعتدى ديوجينس على أحد بالضرب مثلا لقيل انه مجنون لا محالة . فكأن الحد الفاصل بينه وبين الجنون هو الاعتداء على الغير . وهو حد غير صريح ولا يصلح للتفرقة بين حالتين متناقضتين هما التعقل والجنون

ولعلنا لانخطىء إذا قلنا إن تقدم المدنية وازدياد نسبة المجانين في العالم يسيران معاً . وقد لايصعب أن ندرك العلاقة بين الاثنين . والاحصاءات التي يوثق بها تدل على أنه كلما ارتقت المدنية زادت نسبة الجنون . وليس في الأمر غرابة إذا تذكرنا شوائب المدنية وازدياد مشاغلها واهتمام الانسان بجميع مظاهرها . ويقول بعض علماء الاجتماع إن الجنون الناشىء عن أسباب المدنية يصيب الرجال والنساء على حد سوى ويحدث غالباً ما بين العقدين الثالث والرابع من العمر . وهو يزداد غالباً في البلاد الحارة حيث تنتشر الملاريا والهوستطاريا والحميات المختلفة فتساعد على نهك قوى الجسم واضعاف العقل . ويقال انه عندما يصل المرء الى طور البلوغ تحدث داخل الجسم بعض التغيرات الكيميائية التي تعرض الانسان للجنون كما ان الوصول الى سن الشيخوخة يضعف قوى العقل ويرجع بالانسان إلى مستوى عقلي لايختلف كثيراً عن مستوى عقل الطفل . والملاحظ هو أن أكثر مستشفيات العالم لم يعد من بها من المجانين الطاعنين في السن قليل جدا نسبياً

س .

ضرر القوة

الضعفُ أجمد نسبةٍ من قوةٍ	تنمى إلى الإضرار بالمخلوقِ
كالحرب يوقدها الملوك طماعة	في نهب أوطانٍ وسلب حقوقِ
وإذا القوى برزتْ لفتح ممالك	سدّتْ على العمران كل طريقِ

مرسي شاكر الطنطاوي

أثر المدنية في تطور الغذاء*

بقلم الاستاذ عبد الله صدقي
أستاذ الكيمياء بمدرسة دمنهور

تطور الغذاء تطوراً عظيماً منذ العصور القديمة التي كان يعيش فيها الانسان كالحيوان البري يقتات بالثمار والحبوب والجذور ، ثم تنوع غذاؤه بالعثور على العسل والبيض ، وبالاتجاه الى صيد الاسماك والحيوان الصغير . وتقدم الانسان فتوصل بذكائه ومهارته إلى تحسين سلاحه فأمكنه اصطياد الحيوان الكبير ، وشعر بحاجته الى الدفء فاكتشف طريقة اشعال النار ، ولاحظ ان بعض الاغذية عند وضعها مدة في النار تصبح أسهل تناولا وحينئذ صار يتناولها مطبوخة

وقد استعان الانسان بآلاته الاولية البسيطة في حرث الارض وزراعة النبات الذي يمده بالاغذية المحببة الى نفسه ، وبذا أصبح لا يعتمد في غذائه على مجرد المصادفة ، بل أخذ في اختزان بعض حبوبه لموسم آخر . وبدلا من ان يتكل على حظه في الصيد للحصول في كل مرة على اللحوم اللازمة له ، أخذ في استئناس الحيوان وتربيته ليزوده بما يحتاج اليه من اللحم واللبن والبيض ، وعندما لاحظ ان محصولاته تنهك الارض عمد الى الهجرة مع قطعانه ليبلغ أرضا أخرى . وبهذه الطريقة أصبح المورد الغذائي للانسان أكثر ضمانا وازداد النوع الانساني تكاثراً

على ان المورد الغذائي اذا كان مضموناً في بعض المناطق ، ففي الاقاليم الشمالية الباردة كان يصيبها الشتاء خصوصاً عقب موسم الجدب ، فيصبح من المتعذر ايجاد مرعى للحيوان أثناء تلك الشهور الزمهريرية ، ولهذا تحدد عدد الحيوان فيها واقتصر أهل تلك البلاد على تربية أجودها وأكثرها انتاجاً . وكانوا في مدة الخريف يعمدون الى ذبح معظم الحيوان وتمليح لحومه أو تدخينه حفظاً لها من التلف لاستهلاكها في الشتاء . إلا أنهم لم يجدوا في تلك الاغذية المملحة والمدخنة الفائدة المرجوة ، فقد ظهر مرض الاسقربوط بكثرة بين الطبقات المتوسطة في تلك البلاد وتفشى في لندن حتى كانوا يسمونه أحيانا « بمرض لندن » أما علية القوم وأشرافهم فكان صيدهم كفيلا بتزويدهم بما يحتاجون اليه من اللحوم الطازجة طوال مدة الشتاء . ولقد كان من نتيجة تقدم طرق المواصلات ان نزح سكان بعض البلاد عن بلادهم واستوطنوا غيرها ، وشنت بعض الممالك الغارة على الأخرى فنشطت حركة الاستعمار . ثم قامت البعثات الاكتشافية نحو المناطق المجهولة ، فساعد ذلك في انتقال الاغذية

---

* اعتمدنا في هذا البحث على ما كتبه بلير وأولسن

وتبادل كما ساعد فى انتقال العادات من بلد لآخرى. فاستوردت الممالك الشمالية مايلزمها من بذور النباتات التى تزرع فى المناطق الدافئة لتجربة زراعتها ، وكان من حسن حظ هذه الممالك أن نمت بعض تلك النباتات فيها بنجاح . فلم تكن فى انجلترا مثلا عادة أكل السلاطة الخضراء حتى أدخلتها الملكة كاترين زوجة هنرى الثامن لاستخدامها بستانياً هولاندياً . كما أن البطاطس الذى كان غذاء الخنازير ولم يكن يتغذى به من الانسان الا طبقة الفقراء المعوزين ، أصبح من الاغذية الهامة الثابتة التى يستهلك منها العالم مقادير وافرة . وكذلك أدخل البرتغاليون زراعة البرتقال فى ممالك البحر الابيض المتوسط فى القرن السادس عشر ، وأصبحت هذه الفاكهة بعد ذلك من الفواكه الشهيرة

ويمكن القول بأن نوع الغذاء صار الى أحسن حالاته من منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، فقد تقدمت الزراعة تقدماً عمومياً حتى أصبح لكل مملكة مورد طيب من الاغذية المتنوعة المزروعة فى بلادها . وازداد تنوع أصناف الغذاء باستيراد بعض الاغذية والفواكه من الممالك الاخرى وكان معظم الغذاء يؤكل طازجاً دون أن تدخل عليه تلك المؤثرات الضارة التى أدخلها حديث الميكانيكى والكيماوى فى غذائه

وقد شهد القرن التاسع عشر عدة تطورات فى نوع الغذاء الذى كان يستعمل فى معظم أنحاء العالم . وقد حدثت هذه التغيرات تدريجاً من غير أن نشعر بها ، حتى إن شيوخنا المسنين لم يلحظوا مطلقاً ذلك التعديل الذى حدث فى غذائهم طوال حياتهم . فاذا ما تحدثت أمامهم الآن عن الغذاء والفيتامينات يجيبونك فى تهكم وسخرية « نحن لم نكن نعلم شيئاً عن تلك الفيتامينات عندما كنا صغاراً ، ومع ذلك كنا نتمتع بصحة جيدة بدونها » ويعتقد أنهم محقون فيما يقولون ، فقد كانوا يتناولون من أغذية طبيعية لم تفقد شيئاً من عناصرها الحيوية ، ولم تتلف أو تغيرها يد العمليات التجارية . كما أن أطفالهم لم تكن ترضع من الزجاجات بل كانت ترضعهم أمهاتهم أو مرضعاتهم

وكان السكر حتى عهد ليس ببعيد جداً أحد الكماليات النادرة الوجود . ولم تبدأ صناعة السكر الا فى نهاية القرن الثامن عشر حيث أمكن استخراجه من البنجر فى ألمانيا . فلما تقدمت صناعته بسرعة وتحسنت انخفضت أسعاره فزاد استهلاكه زيادة عظيمة وما زال استهلاكه فى زيادة مستمرة فى جميع الممالك المتمدنة . ويعتبر الامريكيون من أكبر مستهلكى السكر فى العالم ، وذلك لكثرة ميلهم للحلوى . ولقد كان من جراء الاسراف فى أكل السكر ان زاد انتشار مرضين من أفتك أمراض المدنية وهما : السرطان والبول السكرى . وفيما مضى لم تكن ثمة علاقة للمصنع بالغذاء الذى نتناوله ، أما الآن فقد تدخلت العمليات الصناعية بين الانسان وبين غذائه من نبات وحيوان . فأصبحت ترى حانوت بيع المأكولات الحديث حاشداً بالعلب والصفائح التى أخرجتها المصانع ، وأصبحنا نأكل ما بداخلها دون أن نعرف شيئاً عما أضيف الى غذائنا أو سلب منه . فاذا فحصنا تلك المستحضرات المحفوظة نجدها صبغت بالالوان الزاهية كى تشابه الالوان الطبيعية لتلك المواد .

فالنبات المحفوظ يصبغ باللون الأخضر الزاهى ، وعصير الفواكه باللون الأصفر أو الأحمر ، والزبدة باللون الذهبى وهكذا

وكذا أغذية الحبوب قد عانت الكثير من اختراع آلة الطحن . ففى قديم الزمان كان محصول الحبوب الأساسى هو الأرز وكان يدق باليد قبل استعماله . كما أن القمح فى معظم البلاد كان يطحن فى الطاحون المحلى ولا ينفصل منه شىء من ردته ، الا جزء يسير . وقد اشتهرت جنود ذلك العهد باعتدال قاماتهم وقوة بنيتهم وحدة نظرهم وسلامة أسنانهم ، الا أن ذلك الغذاء الذى كانوا يتناولونه لو رأيناه لاستبشعناه ولاشمأزت نفوسنا منه . فقد كان حسبهم فى اليوم قدر من الحبوب تؤكل صحيحة كما نبتت ، أو تدق أثناء سير الوقت وتصنع خبزاً خشناً ، وكانوا فى حروبهم يعتمدون على لحوم الحيوانات الصغيرة التى تصادفهم فى الجبال . أما الآن فالبون شاسع بين غذاء أولئك الجنود البواسل وبين الدقيق الأبيض الناصع واللحوم والخضراوات المحفوظة التى يتزود الجنود فى معسكراتهم البعيدة

فالمطاحن الحديثة تتنافس اليوم فى استخراج الدقيق الناعم الناصع البياض من تلك الحبوب السمراء ، وهى تتوصل إلى ذلك بالإمعان فى عزل الردة والأجنة عنها . فأصبحنا لا نأكل من الحبوب الا اللباب القليل أو العديم القيمة الغذائية ، وفقدنا بعزل الردة والأجنة من الحبوب أهم المواد الغذائية التى تحتويها

وقد أخذ عدد سكان العالم تزايد أسرع من القرن التاسع عشر واخترعت الآلات فتحولت بعض البلاد من زراعية الى صناعية ، وأصبحت الأجزاء فى حاجة الى من يمدها بالمواد الغذائية اللازمة لها فاعتمدت على استيرادها من البلاد الزراعية . وعند النقل طرأت عدة تغيرات على طبيعة الغذاء . أما الحبوب فلم يكن ثمة كبير عناء فى تصديرها ، وأما المواد الأخرى السريعة التلف مثل الفواكه واللحوم والأسماك والخضر فكان لابد من حفظها بتجفيفها أو تمليحها ثم تعبئتها فى العلب ، كما كان يستعان بالكيماويات فى حفظ البعض منها

وكان لاكتشاف البكتريا وطرق انتقال الأمراض المعدية فى أواخر القرن الماضى وقعه السيء فى النفوس ، فقد شعرنا بأننا مهاجمون من جميع الجهات بتلك الجراثيم والطفيليات المعدية . وكان معروفاً أن أسهل وسيلة لانتقال البكتريا الى الجسم هى عن طريق الغذاء . فكنا نحترس من أكل المواد الخام الطازجة مثل السلاطة والفواكه . وأصبح لابيضاض لون أغذية الحبوب عندنا دلالة على النظافة والخلو من الجراثيم ، وصرنا ننظر الى الحبوب السمراء بشىء من التوجس والخوف

ثم لوحظ أن تعقيم اللبن فى المدن كان له أثر واضح فى تقليل نسبة وفيات الأطفال بمرض الإسهال ، فبدأ القوم تعقيم المواد الغذائية للوقاية من بعض الأمراض الأخرى الا أنها كانت تفقد بتعقيمها أهم عناصر الغذاء

كان يدور محور التفكير فيما مضى على أى الأغذية يمكن اعتباره جيداً ومفيداً وأيها يمكن

اختباره ضاراً أو عسر الهضم ، الا أنه لم يمكن الاهتداء إلى نتيجة محققة قاطعة ، إذ كان اختيار الاغذية وما يزال يعتمد في أساسه على موافقته للشخص أو استطابته لذوقه . وقد تمكن الفلاسفة وعلماء الكيمياء الحيوية في غضون السنوات الثلاثين الاخيرة من بحث موضوع الغذاء والتغذية فاصبح الآن علما يرتكز على حقائق وتجارب قياسية دقيقة ، وأصبحت النتائج التي استخلصها البحث العلمي قابلة للتطبيق التام . وعلى الرغم من أن هذه النتائج ما زالت ناقصة ، الا أن هناك حقائق كافية معروفة يمكن الاسترشاد بها في اختيار الغذاء الصالح

ولقد أثبتت التجارب أن مقاومة الانسان للامراض واستكماله النمو يتوقفان اساسياً على الغذاء الذي يتناوله أكثر من أي عامل آخر . فالجسم المتزن البنيان حصن منيع ضد الاصابة بالجراثيم أو بالطفيليات الكبيرة مثل الديدان المعوية . وللاحصائيات التي قد يسخر منها البعض أهمية عظمى في استخلاص العوامل المهمة التي لها علاقة بصحة الناس وغذائهم وعاداتهم في جميع انحاء العالم ، وهي تلقي ضوءاً ساطعاً على منشأ الأمراض الخاصة ببعض الأمم المتمدنة

فالانسان المتمدن ليست له غريزة اختيار ما يصلح له من نوع الغذاء ، فكونه يميل الى بعض الاغذية ولا يميل إلى البعض الآخر لايمكن اعتباره مرشداً يركن اليه ، وبخاصة بعد أن غمرته تلك المنتجات التي تقدم اليه في شكل جذاب . ولو أردنا الآن أن نجد أناساً يتمتعون بصحة جيدة وتركيب جسمي متين وبنية قوية ، فعلينا أن نبحث عنهم في تلك الأركان المنعزلة من العالم حيث اضطرتهم الاحوال الجغرافية أو اضطرتهم التقاليد الغذائية أن يتمسكوا بعاداتهم الأولى التي كان غذاء آبائهم وأجدادهم من قبل ، فتراهم يأكلون الحبوب الكاملة والفواكه والخضروات الطازجة مع كمية لابأس بها من اللبن والزبد ومع قليل من اللحم أو بدونه ، وتراهم قد اكتسبوا بهذا الغذاء الصحة الجيدة والعمر المديد . فهم لايشكون تلك الأمراض التي تصيبنا الآن ، والتي يحق لنا أن نسميها أمراض المدنية . فلسنا نجد بينهم مثلا من يشكو الامساك أو عسر الهضم أو الالتهاب المعدي أو المعوي ولا من يشكو النقص أو الزائدة الدودية أو حصى المرارة أو الروماتزم أو السرطان أو البول السكري ، بينما هم يعيشون تحت وطأة ظروف قاسية ، وقد يتعرضون فضلا عن ذلك للرطوبة والبرد القارس والقيظ الشديد . وقد شوهد أن الاوربيين الذين يستوطنون تلك الاصقاع يكونون أكثر اهتماماً بمسكنهم ونظافتهم ، ومع ذلك فهم يعانون تلك الأمراض السالفة الذكر ويموتون بكثرة ضحية السرطان . ولقد استنتج الاطباء الذين قضوا عدة سنوات في دراسة هذه المناطق أن حالة أهلها الجيدة والحالة المرضية للمستوطنين الاوربيين مرجعها اختلاف الغذاء ، فالاوربيون هناك لا يقنعون بالغذاء المزروع في بلادهم بل يستوردون الدقيق الابيض والسكر . ولو أن أهل تلك البلاد تحولوا إلى المأكولات التي يستوردها الاوربيون منهم لعانوا نفس الامراض ولما استمتعوا بعد ذلك بتلك الصحة المتينة والاسنان السليمة

عبد الله صدقي

حول البيت الحرام

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى

الامين المساعد بدار الآثار العربية

في هذا العام زار الاستاذ حسن محمد الهواري مكة المكرمة وقام بفريضة الحج . وفي خلال زيارته قام ببحوث أثرية وتاريخية في الاماكن المقدسة التي مر بها . وقد بعث الينا بهذا المقال القيم عن البيت الحرام

تقوم مكة في وسط واد منخفض تحيط به الجبال العالية . ولعل هذا الموقع كان من الاسباب التي دعت ابراهيم عليه السلام لبناء البيت العتيق أو الكعبة فيه . فانك اذا سرت من شاطئ البحر الى الشرق أو هبطت من الشام الى الجنوب أو صعدت من اليمن إلى الشمال أو قدمت من نجد قاصداً الغرب ، رأيت مكة موطناً آمنا ، طوقته الجبال العالية وسورته الطبيعة بأسوار منيعة وزودته بحصون وقلاع هي قمم الجبال . وإذا علمت ان الموقع لانخفاضه كان مجمعاً للسيول فطبيعي أول وهلة انه كان انسب موقع يلجأ اليه الهائم في البيداء والقفار

• • •

هبط ابراهيم برحاله وبنى البيت العتيق أو الكعبة ، وفجر جبريل عينا نبع منها الماء وقال لهاجر زمي زمي فسميت زمزم ، وترك ابراهيم ابنه اسماعيل وعاد إلى موطنه في الشام ، وترعرع اسماعيل في مكة أو بكة لانها تبك الماء بكا ، ولعل ذلك يزيدك ايضاحاً ويبين لك العلة في اختيار هذا المكان . ثم تزوج اسماعيل من جرهم وجاء ابوه من الشام ليزوره فقابلته الزوجة مقابلة لم يرتح اليها ابراهيم ، وقال لها قولي لزوجك يغير عتبة داره . فطلقها وتزوج غيرها فأحسنت لقاء ابيه وشكرت حسن الحال والمآل وكان منها النسل الصالح الكثير . وكان اسماعيل وابوه يعبدان في البيت العتيق الاله الواحد الاحد . وسمي البيت بالكعبة لكونه مكعبا . وشاءت بعض قبائل العرب أن تتخذ لنفسها كعبات أخرى ولكنها لم تبلغ مابلغته كعبة مكة من المهابة والاحترام . وكان العرب بطبيعتهم رحلا وكان لهم مركز عظيم ايام ان كان الجمل سفينة الصحراء ، فنقلوا المتاجر واشتغلوا بالتجارة واختلطوا بالامم التي طال عليها أمد الملك والحضارة ورأوا معابدها وما بها من أصنام ، فنقلوا إلى كعبتهم الكثير منها وصوروا على جدرانها صور الرسل والانبياء . ولما ضاقت الكعبة بما فيها نصبوا الاصنام خارجها وكثر عددها حتى بلغ ثلثمائة وستين صنما يعبدونها من دون الله

ولم تكن مكة فى الجاهلية ذات منازل . وكانت قريش بعد جرهم والعمالقة ينتجعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها انتسابا الى الكعبة . وكان ذوو الرأى والتجربة منهم يتخيلون أن سيكون لهم شأن وانهم سيتقدمون العرب لما اختصت به الكعبة من المنزلة ، فحافظوا عليها فى الجاهلية . وأول من شعر بذلك كعب بن لؤى بن غالب وكانت قريش تجتمع اليه فى كل جمعة . وكان يوم الجمعة فى الجاهلية يسمى عروبة ، فسماه كعب يوم الجمعة . وكان يخطب فى قريش فيه ويخبرهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انتقلت الرياسة بعده الى قصى بن كلاب فبنى بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين قريش ، ثم صارت لتشاورهم وعقد الالوية فى حروبهم . قال الكلبى فى كتاب « الاصنام » : « فكانت أول دار بنيت فى مكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه وكلما قربوا من عصر الاسلام ازدادوا قوة وكثرة عددهم حتى دانت لهم العرب » .

وعمرت الكعبة فى الجاهلية والنبى فى الخامسة والثلاثين من عمره . وحكاية تحكيم العرب له فى حسم الخلاف فى وضع الحجر الأسود مشهورة معروفة ، وقد رأينا صورة خيالية لها من عمل الفرس فى جامع التواريخ لرشيد الدين يرجع عهدها الى سنة ٧١٠هـ (١٣١٠-١٣١١ م) (١)

• • •

كانت الكعبة وبقيت مقصودة من جميع القبائل بل من بعض الأقطار المجاورة لجزيرة العرب يحجون اليها ويقدمون لاصنامها الهدايا والفداء . وكانت الاصنام كثيرة ولها اسماء تعرف بها ، منها ماورد ذكره فى القرآن الكريم ومنها ماورد ذكره فى اشعارهم . واشهرها اللات والعزى ومناة ، وكانت العزى اعظمها عند قريش خاصة والعرب عامة .

وكان هبل صنما فى جوف الكعبة من عقيق احمر على صورة انسان مكسور اليد أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكانت عنده القداح التى يستشيرونها فى المعضل من الامور .

• • •

رأى النبى عليه الصلاة والسلام أن قومه على غير حق فى عبادة هذه الاصنام ، وأوحى الله اليه بدين الفطرة دين الاسلام ، فآذاه قومه لان فى آرائه الجديدة ضياعا لمنزلتهم ودينهم ودمائهم

---

(١) أكثر الفرس فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين من تزيين كتبهم وخصوصاً كتب التاريخ بالصور ، وصوروا النبى صلى الله عليه وسلم فى مواضع كثيرة : منها بشارة جبريل للسيدة آمنة بميلاده عليه السلام ، وصوروه طفلا بعد أن وضعته امه وشابا وهو يضع الحجر الاسود فى الكعبة ورجلا عندما رآه الراهب بحيرا الذى عرف فيه علامات النبوة ، وصوروه وهو يستمع الى الوحى من جبريل وفى غار حراء ، عندما هاجر الى المدينة ، وهو على البراق ، وفى الجنة ، وبين الانبياء حول العرش ، وغير ذلك من الصور الكثيرة فى جميع مراحل الحياة . وقد جمعنا وهى تربو على أربعين صورة . وقد استأذنت احد العلماء فى نقدها ونشرها تنويراً للأذهان فاذن بذلك . وسيطلع عليها قراء الهلال قريباً

لسطوتهم وجاههم ، هاجر الى المدينة خوفاً من اذاهم ، حتى اذا اشتد عضده عاد الى مكة ليسترجع بيت أبيه اسماعيل ويحطم ما به من الاصنام ويطهره من الرجس والكفر والالحاد ، فدخلها في العام الثامن من الهجرة وأخذ قضيباً في يده وصار يحطم الاصنام وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمحو الصور التي على الجدران فأزالها وترك صورة ابراهيم عليه السلام فأمره بمحوها وقال : « قاتلهم الله ! جعلوه شيخاً يستقسم بالازلام » .

أما صورة عيسى وأمه عليهما السلام فقد قال الازرقي انهما بقيتا حتى رآهما من أسلم من نصارى غسان

وكان على أحد عمد الكعبة تمثال مريم عليها السلام وفي حجرها ابنها مزوقاً

• • •

وقد صور الفرس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحطم الاصنام . ولكن أتدري كيف صوروه ؟ . صوروه وقد رفع علياً على كتفه ليتمكن على من تحطيم الاصنام التي كانت على رفوف علوية مثبتة في جدران الكعبة . ولذلك معنى آخر يقصده الشيعة

• • •

وبعد أن حطم عليه الصلاة والسلام ما في الكعبة من أصنام طاف حولها وحطم كل الاصنام التي كانت في ساحتها . وقد قال ابن هشام عن دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة : « كأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله وهم متقلدون سيوفهم » .

واني أرى أن هذا المنظر بعينه كان يعاد في كل فتح وغزو وهو هو بعينه عند ما طافوا حول الكعبة وكسروا الاصنام التي حولها . وبعد أن فرغوا من ذلك ذهبوا الى الصفا والمروة ليشرفوا من مكان عال على الكعبة وليتأكدوا انها أخليت مما حولها من أصنام وليكسروا ما في الصفا والمروة أيضاً من أصنام . ثم اتدري ما الصفا والمروة ؟ هما موضعان في سفحي جبلين من الجبال المشرفة على مكة ، كان يستطيع الواقف فيهما اذا أسند ظهره الى الجبل أن يرى الكعبة وما حولها أيام لم يكن بمكة أبنية غير الكعبة . فيغلب على ظني أن الحجاج في الجاهلية كانوا بعد زيارة الكعبة يصعدون الى هذين الموضعين ليمتعوا نظرهم بمنظر عام للكعبة وما حولها من اصنام . ولكن مع توالي الزمن نصبت الاصنام في هذين الموضعين (الصفا والمروة) وجلس بجوارها سدنة وكهنة يصحبون الحجاج عند الزيارة في خطوات مخصوصة ، كما نعمل نحن الآن بعد الانتهاء من الحج ونريد أن نمتع نظرنا بالكعبة والحرم فنصعد الى جبل أبي قبيس المشرف على

الحرم وهو أعلى من الصفا بكثير . وقد عرف أهالى مكة ذلك وأرادوا استغلاله لمصلحتهم فقالوا هنا المكان الذى انشق فيه القمر وهنا الموضع الذى أذن فيه بلال وهنا وهنا . ويصحبونك عند الزيارة ويلقنونك الأدعية فى نظير ما تجود به عليهم من صدقة . ولم يقتصروا على ذلك بل بنوا وشيدوا ليوهموا الناس صدق قولهم . وحسنا فعلت الحكومة الحجازية الآن فى هدم هذه المنشآت التى كانت كالأصنام بل أشد خطراً

• • •

أخليت الكعبة من الأصنام وبقيت فى وسط مكة كقوس النصر فى وسط الميــــدان . واصبحت قبلتنا التى نتوجه اليها فى صلاتنا اينما كنا وحيثما وجدنا . وكان اهل مكة يصلون فى الفناء الذى حولها ، فرأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يسور الفناء فبنى سوراً قصيراً . وكانوا لقصره يضعون عليه القناديل فى اثناء صلاة العشاء والفجر ، ولكن لم ينقض القرن الأول الهجرى حتى نصبت فى هذا الميدان الاساطين (الأعمدة من الرخام) وبنيت الجدران بالاحجار فأصبح الميدان مسجداً ، فى وسط صحنه (١) الكعبة ، وتحيط به الاروقة (٢) المسقوفة اشبه ما يكون بجامع احمد بن طولون ، والكعبة كالقبة التى فى وسط الصحن . وقد زين الوليد جدران المسجد بالفسيفساء الجميلة ، ولكن توالى الزيادات والاصلاحات والتعمير لم يبق من هــــذه الفسيفساء شيئاً يبين انها كانت جميلة مثل فسيفساء قبة الصخرة ببيت المقدس وفسيفساء الجامع الاموى بدمشق المعاصرة لها

وإن لم يبق لنا من عهد الامويين شيء ما فقد بقى من عهد العباسيين عدة اعمدة من الرخام عرفنا اربعة منها بزخارفها الجميلة والنصوص الكوفية التى عليها المتضمنة اسم المهدى وتاريخ عمارته للحرم وهى سنة ١٦٧ هـ . واصل هذه الاعمدة من مصر والشام . اما الكتابات والنقوش الجميلة فهى من عمل الكوفيين كما قرأنا ذلك فى النصوص الكوفية ، ولم يذكر مؤرخ انها من عمل الكوفيين ابداً ، حتى ان الازرقى وهو اول مؤرخى مكة وابن جبير وهو الرحالة الوحيد الذى دون فى رحلته بعض النصوص التاريخية اغفل فيما نقله من نصوص السطر الاخير الذى فهمنا منه ان هذه الاعمدة من عمل اهل الكوفة

• • •

توالت الزيادات والاصلاحات والتعمير على الحرم المكى بعد ذلك كما يستدل من الكتابات

---

(١) صحن المسجد جزؤه الأوسط المكشوف

(٢) الرواق هو أحد الاجزاء الاربعة المحيطة بصحن المسجد وتكون مسقوفة وسقفها مقام على الاعمدة من الرخام أو الكتل من البناء

الكثيرة التي بالحرم وأقدمها من عهد المهدى ومؤرخ سنة ١٦٠ هـ وآخرها من عهد عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل السعود ومؤرخ سنة ١٣٥٢ هـ

وكثرة النصوص التي بالحرم المكي تدل على ظاهرة غريبة لم نرها في غير الحرم المكي. نرى الملوك في غير مكة يهدم اللاحق ما عمل السابق وينسب المتأخرون لأنفسهم ما ليس لهم من عمل المتقدمين، كما فعل المأمون عندما أراد أن ينسب لنفسه قبة الصخرة التي ببيت المقدس فمحا اسم عبد الملك بن مروان ووضع اسمه عوضاً عنه ولكنه ترك التاريخ من غير تغيير ففضح سره

وليست هذه البدعة خاصة بالخلفاء والأمراء المسلمين، بل ان الفراعنة في مصر كثيراً ما غيروا ومحوا ونسبوا لأنفسهم ما ليس لهم، وهاهو رمسيس قد وضع اسمه على كثير من آثار السالفين ليمجد نفسه ويوهم العالم أن الدنيا كلها من صنعه

أما في مكة وما اتصل بمكة من البقاع المقدسة فقد أخذت الروعة والهيبة والخوف من الله تعالى تدب في نفوس كل من له ضلع في التعمير والاصلاح، فلا يمحو اللاحق ما فعل السابق ولا يهدم الخلف أعمال السلف، بل نرى أن الخليفة أو الملك أو الأمير إذا أراد تعميراً جمع النصوص التذكارية الدالة على عمل سابقيه ووضعها في البناء بعد التعمير بجوار اسمه، بل رأينا في الحرم المكي أكثر من ذلك، رأينا أن السلطان الغوري، واليه يرجع الفضل في اصلاح الحطيم وحجر اسماعيل، أمر فكتب على الحطيم في صفحة الغوري أسماء جميع الملوك الذين سبقوه في إصلاحه مع ذكر تاريخ كل عمارة ثم كتب اسمه بعدهم في تواضع واتزان. وكذلك سلاطين آل عثمان قد يبدأ السلطان منهم عمل الاصلاح ولا يتم ما نواه ثم تعاجله المنية، فيأتي السلطان الذي يتولى الملك من بعده ويتم العمارة ولكنه يخصص جزءاً كبيراً من النص التذكاري للسلطان السابق صاحب الفضل في البدء بالعمل

• • •

أما الكعبة نفسها فقد شاهدنا في داخل جدرانها سبعة ألواح من الرخام تذكاراً لكل من كان له الشرف في تعميرها. أولها مؤرخ سنة ٦٢٩ هـ. وآخرها مؤرخ في سنة ١١٠٩ هـ. ولم تكن العمارات العديدة سبباً في أن يطمس أحدهم اسم صاحب السابق له.. وأرى أن ذلك يرجع إلى ما تلقيه الكعبة من روع وهيبة واحترام

حسن محمد الهوارى

عبادة الحية في التاريخ

الحية في الدين وفي الاساطير

الحية من أقدم الحيوانات التي لفتت نظر الانسان فعرف شرها وسعى لاتقائها . ولا تخلو أساطير أمة من الامم من الاشارة اليها والى الرعب الذي تلقيه في قلب الانسان والحيوان . وقد عزا اليها بعضهم قوى خارقة وزعموا في جملة ما زعموه أنها تستهوي فريستها وتوقعها في شبه سبات مغناطيسي ليسهل عليها الفتك بها

والحية أنواع كثيرة بعضها سام (ولا يزيد على السدس) والبعض الآخر غير سام . وقد اشتهرت بالمكر والدهاء والغدر والحكمة في تجنب الاخطار . وأشير اليها في الكتب المنزلة باسم الشيطان . وفي التوراة أنها كانت سبب سقوط آدم وحواء وخروجهما من الجنة . وفي أساطير آردشت أن الشيطان بدا للانسان الاول في صورة حية وأغراه أن يفعل الاثم . والصلة بين هذه الاسطورة ورواية التوراة واضحة كل الوضوح

وكانت عبادة الحية منتشرة بين الهنود وغيرهم من الامم القديمة . وكثيراً ما نرى على الآثار المصرية رسم انسان [illegible] ورمح يطوف به رأس حية كبيرة . ونرى على بعض الآثار الاخرى رسم كرة مجنحة . وكان ذلك من الرموز المقدسة عندهم . وفي التوراة أن بني اسرائيل ألحوا وتذمروا على الله وهم في برية سيناء فأرسل الله عليهم حيات سامة تحدث الحرقة ، وكانت لدغتها مميتة فأهلكت منهم الكثيرين ، فتوسلوا الى موسى ليشفع لهم عند الله فأمر الله موسى بأن يصنع لهم حية من النحاس ويرفعها على راية فكل من لدغ ونظر اليها شفي . وفي برية سيناء حتى الآن أنواع سامة من الحيات

وفي أساطير الاقدمين أن الحيات والتنانين والزحافات المجنحة كانت دائماً تحرس الكنوز المقدسة ، وكثيراً ما اتخذ الاقدمون من الحيات تعاويذ يتقون بها الشر . واتخذها بعضهم رمزاً الى الطب أيضاً . وفي الاساطير الهندية أن الغني إذا مات بلا عقب عاد الى الارض ممسوخاً في صورة حية لحراسة كنوزه وأمواله . وفي الاساطير الايطالية أن قميص الحية يجلب حسن الحظ . أما وصف الانجيل الحية بالدهاء فمأخوذ على الارجح من عقيدة شرقية قديمة . فقد كانت كلمة « الحية » عند الفينيقيين مرادفة لكلمة الحكمة . وكان العرب يصفون الرجل الحكيم أو الداهية بقولهم إنه حية الوادي أو حية البلد . وعزا « جارجا » الفيلسوف الهندي معرفة الحكمة والفلسفة الى « سيشا ناجا » أي « الحية الاله » وفي الخرافات الفينيقية أن حكمة الآلهة ومعرفة الغيب منقوشة على سبعة ألواح تحرسها حية هائلة . وفي

الخرافات البابلية أن « حيا » — أي الحية — هي ينبوع كل حكمة ومعرفة . ومثل ذلك في خرافات هنود أميركا القدماء وفي أساطير كثير من الامم البائدة

وليس المكر والدهاء أبرز صفات الحية بل هنالك ماهو أهم وهو قدرتها (في زعم بعض الاقدمين) على شفاء الامراض المستعصية . جاء في بعض الخرافات أن الامبراطور ثيودوسيوس الذي كان مصاباً بالعمى استعاد بصره لان حية كان قد أحسن اليها وضعت حجراً على عينيه . وفي الخرافات الفينيقية أن الملك قدموس وزوجه مسخا حيتين كبيرتين لشفاء الناس من جميع الامراض . وما يزال أهالي قبرص يعتقدون الى هذا اليوم أن قرن الحية يشفي من الامراض المستعصية . ومما يذكر بهذا الشأن أن محكمة مدينة لارنكا (من مدن قبرص) حكمت في سنة ١٨٩٩ على رجل من الاهالي بدفع غرامة ثمانين جنيها لانه أتلف قرن حية كان يملكه رجل يوناني ويستعمله لشفاء بعض الامراض . وكان قدماء اليونان يربون الحيات في هياكل اسكولابيوس اله الشفاء ويعتنون بها . ونقل الامبراطور قسطنطين من مدينة دلفي الى القسطنطينية تمثال حية وجعله حارساً لمدينة القسطنطينية . وفي خرافات بعض الشعوب الافريقية ان المريض اذا لمس قميص حية شفي من مرضه . وبين هذه الخرافات وحكاية حية النحاس التي سبقت الاشارة اليها (والتي صنعها موسى لبني اسرائيل) صلة لا تخفى

ومن عقائد اليونان الاقدمين أيضاً أن « بوزيدون » اله البحر والانهار كان حية هي سبب ما يحدث في الارض من الزلازل . ومنها « تيفون » اله الشر وكان مخلوقاً عجيبا نصفه تنين والنصف الآخر حية كانت تحدث الزلازل في العالم . والاسم الذي سمى اليونان نهر العاصي بشمالي سورية وكانوا يعتقدون أن في هذا النهر هو نهر الحية « تيفون » المذكورة . ومن خرافات الفرس أن قوس قزح هو الحية السماوية قد صعدت الى الجو من الينابيع والانهار . وما يزال بعض الهنود يسمون المجرة « طريق الحية » ويعتقدون أن هذه الحية هي سبب الكسوف والخسوف . فاذا كسفت الشمس أو خسف القمر أقاموا شعائر دينية يقومون فيها بضروب العبادة للحية

والقصص الشعبية (Folk Lore) القديمة والحديثة تفيض بذكر الحيات . ليس في الشرق فقط بل الغرب أيضاً . ففي بعض تلك القصص أن لكل أسرة حية تحرس أفرادها . وفي بعض أنحاء الهند أن العقم هو عقاب المرأة التي تقتل حية البيت . وإذا قتل أحدهم حية غير متعمد وجب عليه دفنها باحتفال خاص واقامة الشعائر الدينية لها . وفي تاريخ الهند والصين واليونان اشارات متعددة إلى أن الملوك والسلاطين الذين حكموا العالم ولدوا من حيات

واذا رجعت الى أقدم عصور التاريخ رأيت قبائل كثيرة تنتسب الى الحيات وتدعي أنها تسلسلت منها . وقد تسمت عدة قبائل منها بأسماء الحيات ولا سيما في أواسط افريقيا والهند . وما

يزال بعض الهنود يحرمون الى هذا اليوم ذكر اسم الحية لئلا يرتكبوا اثما عظيما . وبعض هنود أميركا يحرمون قتل الحية ذات الاجراس لانها مقدسة . وسكان النيجر (بافريقا الوسطى) يحرمون قتل الحية المعروفة بالكوبرا وهى من أشد الحيات فتكا بالانسان . ومما يجدر بالذكر أن فى معاهدة « خليج بيافرا » الواقع على سواحل افريقا الغربية مادة تنص على تحريم قتل الكوبرا مراعاة لشعور الاهالى . ويعتقد هنود اميركا الشمالية أنه اذا اعتدى انسان على الحية ذات الاجراس استنجدت هذه أخواتها من الحيات لتنتقم لها . وفى البنجاب بالهند قبيلة تعرف « بقبيلة الحيات » من عاداتها أنه إذا ماتت حية كفنوها ودفنوها باحتفال عظيم . وهناك قبيلة أخرى إذا قتل أحد أفرادها حية وضعوا فى فمها قطعة من النقود ودفنوها باحتفال عظيم . وهذه القبيلة تعتقد أن لسعة الحية لا تؤثر فى أفرادها . وكذلك يعتقد شعب البزيل Psylli بافريقا . و « الاوفيوجنيون » Ophiogenes الذين كانوا يسكنون جزيرة قبرص قديما . ومعنى كلمة « اوفيوجنيس » مواليد الحيات . ومثلهم أيضا المارسيون Marsians من شعوب ايطاليا القدماء . واشتهرت « قبيلة الحيات » فى كشمير بمعرفة علم الطب وهم يعزون هذه المعرفة الى أسلافهم « الحيات » .

ومما يروى عن شعب البزيل المذكور أنه عندما يولد لأحدهم طفل يضعه امام الحية فاذا عفت عنه كان من الاولياء وأقيم لوالديه احتفال خاص ، وإن فتكت به كان والداه من المجرمين . ومثل هذه العادة كانت شائعة بين بوبي آب المصرى وبين « الاوفيوجنيس » أيضا (وقد تقدمت الاشارة اليهم) وكان الغرض منها تحقيق عفة الأم . وقد ذكر « سترابون » اليونانى هذه العادة . وقال ان الغرض الحقيقى منها كان تحقيق نسب الطفل المولود وهل هو من صلب أبيه أو فيه دم اجنبى . وماتزال هذه العادة باقية حتى الآن فى « سنغامبيا » أيضا فى افريقا الغربية بين الساحل الغربى وغيانا حيث يعتقد الاهالى ان حية تزور كل طفل حديث الولادة قبل انقضاء ثمانية أيام على ولادته لتحقق نسبه

ومما ذكره بلوطرخوس المؤرخ أن قدماء اليونان كانوا يقرنون الحية بالكثيرين من أبطالهم الخرافيين وذكر فوتيوس بطريرك القسطنطينية الذى عاش فى القرن التاسع أن اليونان كانوا يسمون البطل عادة « بالأرقط » أى المنقط كالحية . وفى أساطير معركة سلاميس ان البطل « كيخروس » برز لسحق الاعداء (الفرس) بصورة حية هائلة . وبمرور الزمن أصبحت سير أبطال اليونان متصلة بذكر الحيات . وكان الناس يحمون قبور أولئك الابطال ويتبركون بها . وقد أدرج بعضهم فى عداد الآلهة . وذكر المؤرخ كروك أن من عادات قبيلة الساتى أو السوتى بالهند انه اذا مات الرجل دفنت زوجته معه حية ووضع على قبرها تمثال حية مشرئبة عنقها إلى ما حولها تحرس القرية أو المدينة وتظل كذلك إلى أن تحل محلها حية أخرى تقام على ضريح امرأة أخرى موءودة

وكان لمدينة أثينا حتى القرن الثالث للميلاد حية تحرسها . وكانت هذه الحية تحفظ في هيكل اريكثيوم المقام على قمة الاكروبوليس بمدينة أثينا ، وكان لها كهنة خصوصيون يقومون بالعناية بها ويقيمون لها الشعائر الدينية فاذا ماتت بحثوا عن خليفة لها تحل محلها . وكان طعامها الكعك المصنوع بالعسل . وقد روى مؤرخو اليونان انه لما نشبت الحرب الفارسية في القرن الخامس قبل الميلاد امتنعت تلك الحية عن تناول طعامها مدة طويلة فاستدل الكهنة من ذلك على أن الآلهة غير راضية عن أثينا

وما تزال الشعائر الدينية تقام للحيات في أنحاء مختلفة من العالم حتى الآن . ففي ولاية بهار بالهند تقام أعياد الحيات في شهر أغسطس من كل عام ويشترك فيها الهنود من جميع الطبقات وتخرج النساء (ويعرفن « بزوجات الحيات ») إلى الشوارع يستجدين أكف المحسنين لمساعدة أهل القرية . وفي ترامكور بالهند تقتني كل أسرة تمثال حية . وفي يوم معين تخرج كبرى بنات الاسرة الى الشوارع حاملة التمثال المذكور في احتفال عظيم ثم تعود إلى دارها وتلزم العزوبة مدى العمر

وفي بلاد داهومي بافريقا الغربية يعتبر الاهالي الحية إلهة الحكمة ويقيمون لها شعائر العبادة في أيام معلومة من السنة ويزعمون أنها مصدر كل خير وبركة وأنها هي التي فتحت عيني الانسان الاول . والصلة واضحة بين هذه العقيدة وقصة سقوط آدم وحواء . وكهنة داهومي يقضون كل سنة سبعة أيام معتكفين في معابدهم ملتزمين الصمت التام احتراماً للحية ، وهم خبيرون بمختلف ضروب الترياق وما يشفي منها من لدغات الحيات السامة ، وإذا خرجت حية من حيات الهيكل ولدغ حجزه الكهنة سنة كاملة في الهيكل يعلمونه في خلالها أسرار عبادة الحية وأناشيدها والرقص الديني الخاص بها . وإذا لمست الحية امرأة أصبحت في عرفهم مقدسة وحلت عليها روح الاله وصارت زوجة للحية . « وزوجات الحيات » كثيرات في الهيكل ولمعيشتهن نظام خاص يراعيه مراعاة دقيقة ولا يجوز لاحداهن أن تتزوج . وهنالك أعياد يتهتكن فيها في الهيكل ويرتكبن جميع ضروب الفحشاء مع الكهنة علناً . فاذا ولد لهن أولاد قيل انهم « نسل الحية المقدسة » . وكلما مر امرؤ بتلك الحية حياها باحترام . فاذا قتلها — ولو عن غير قصد — أحرق حياً . أضف إلى ذلك أن هنالك أعياداً خاصة تقدم فيها الضحايا البشرية « للحية المقدسة »

وفي تاريخ اليونان أن بعض الشعوب الاغريقية كانت تقيم عيداً لفصل الزرع تحتفل به النساء فيلقين بالخبز وبلحم الخنزير طعاماً لحيات المقدسة في المغاور والكهوف استجلاباً لبركتها . وهذا العيد من أقدم أعياد اليونان وكانوا يقيمونه في أيام بداوتهم وقد حافظوا عليه مدة طويلة . وكانت كاهنات ديونيسوس أو باكوس يخرجن من الهيكل في أعياد معينة وحول رقابهن الحيات المقدسة . وكن ينهمكن داخل الهيكل في شر أنواع الخلاعة . وكان اليونان يقيمون مثل تلك الاعياد

على ضفاف نهر أوفيت (نهر العاصي) حيث كانت الكاهنات يلقين كسر الخبز أمام الحيات ثم يجمعنها ويوزعنها على الحاضرين والحاضرات

وفي تاريخ اليونان الخرافي عدة اشارات إلى معارك وقعت بين الأبطال الخرافيين والحيات. من ذلك أن هرقل صارع حيات وتنانين وتزوج الحية المقدسة المسماة «اكيدنا» Echidna فصار جد السكيثيين الذين كانوا يعبدون الحيات. ومن تلك الخرافات أيضاً أن فورباس من أبطال اليونان قتل الحية «أوفيوراه» وأنقذ جزيرة رودز من الحيات. وفي أساطير الفرس اشارات كثيرة إلى معارك وقعت بين الحيات والأبطال الخرافيين

وقد بقيت عبادة الحية شائعة في بلاد الحبش حتى منتصف القرن الرابع الميلادي أي إلى ما بعد وصول المسيحية اليها. وما يزال بعض الأحباش يعتقدون إلى الآن أن صلوات القديسين هي التي قتلت التنين الأعظم أو الحية عدوة الانسان. ومن الخرافات التي شاعت بين مسيحيي فرجية بآسيا الصغرى أن الحواريين فيلبس ويوحنا قتلا الحية «أكيدنا» التي تقدمت الاشارة اليها. وكان أهالي جبال البيرينيه في أوائل عهدهم بالمسيحية يقيمون في كل عام عيداً يشتركون فيه مع رجال الدين في اقتناص الحيات وحرقها رمزاً إلى انتصار الانسان على الخطيئة. وما يزال المسيحيون إلى الآن يصورون القديس جرجس (مارى جرجس) وهو يطعن التنين أو الحية رمزاً إلى الانتصار على الخطيئة. ولعل أغرب الاحتفالات التي لا يزال المسيحيون يقيمونها إلى هذا اليوم احتفال أهالي كوكلوما بجبال أبروزي بايطاليا. وكان هؤلاء الأهالي من عبدة الحيات في العصور الخالية. وفي أوائل القرن الحادي عشر نشأ بينهم راهب يدعى سان دومينكو دي فوليو صومعة اشتهرت فيما بعد بحوادث الشفاء العجيبة التي كانت تتم فيها. وفي الخميس الأول من شهر مايو من كل سنة يقيم الأهالي عيداً يسمونه عيد الحيات، فتسير طائفة منهم في شوارع البلدة وكل منهم حامل عدة حيات ملتفة حول عنقه وبيده صورة القديس سان دومنيكو المذكور. وهذا العيد هو أثر باق من آثار عبادة الحيات في ذلك المكان. والأهالي يدعون — إن صدقاً وإن كذباً — أن الحيات لا تلدغهم وإذا لدغتهم فإن سمها لا يؤثر فيهم. وفي بلاد البنغال عيد خاص بالحيات يسير فيه الرجال في الشوارع والحيات ملتفة حول أعناقهم يتقدمهم زعيمهم راكباً جاموساً وحول عنقه حية هائلة من نوع البوا أو البيتون وهما أطول أنواع الحيات وأضخمها تقتلان فريستهما بسحق عظامها

ص . ع .

المغامرون الاجانب في مصر
فى أوائل القرن التاسع عشر

ليس بين الذين أتحدث عنهم اليوم مصرى واحـد . ولكنهم جميعاً عاشوا فى مصر واختلطوا بالمصريين وقطعوا كل علاقة لهم بأوطانهم الاولى ، ولم تدون أسماؤهم إلا فى تاريخ مصر

كان الاوربيون فى القرن الثامن عشر ينظرون الى مصر نظرهم الى قطر تكتنفه الاسرار وتكثر فيه الاخطار والمهالك ، فلا يفكر فى الشخوص اليه أحـد ولو كان من أشد المغامرين جرأة واقداماً

ولكن الحملة الفرنسية التى قادها الجنرال بونابرت الى الشرق فانتزعت مصر من قبضة المماليك الى حين ، وشقت لنفسها طريقاً الى سورية خـلال الصحراء . تلك الحملة هدمت السور الذى ظل مدة من الزمن قائماً بين مصر والعالم الغربى ومهدت السبل لاستيلاء محمد على على مصر من ناحية ولتدفق العلماء وطلاب الرزق على وادى النيل من ناحية اخرى

فبعد رحيل الفرنسيين عن مصر ، أصبحت البلاد ملتقى جيش متنوع الاشكال والاجناس من التجار والمهربين والاطباء وعلماء والمرابين والمهندسين والدجالين والمغامرين

وحديثنا اليوم يتناول فريقاً من أولئك المغامرين وطائفة من الاشخاص الغريبى الاطوار وما كان أكثرهم فى تلك الحقبة من الزمن !

* * *

« زانتى » جزيرة صغيرة على مقربة من سواحل اليونان ، كان سكانها فى ذلك الوقت خليطاً من الغربيين والشرقيين ، وكان يعيش فى زانتى ثلاثة شبان يعرفون بها باسم « اخوان جايتا » Gaeta وكانوا يشتغلون فى صنع المراجل والمساخن « والحلل » وأدوات المطبخ على اختلاف أنواعها ، ولكنهم كانوا يتوقون الى حياة أخرى ، ويتضايقون من قضاء أيامهم ولياليهم أمام الموقد والسندان

وخطر لاحدهم ذات يوم خاطر أفضى به الى أخويه ، وهو أن يبيع الثلاثة دكانهم وما فيـه من أدوات ومعدات ، ويسافروا الى مصر ويعرضوا خدماتهم على « مراد بك » الذى كثيراً ما يتحدث عنه البحارة والتجار القادمون فى المراكب الايطالية والفرنسية من ثغر الاسكندرية

ولقى هذا الاقتراح قبولا . وما هى إلا أيام حتى كان الاخوان « جايتا » فى طريقهم الى مصر

أدرك مراد بك ، سيد المماليك فى ذلك الوقت ، أن فى وسعه استغلال مواهب اليونانيين الثلاثة .

وبعد ما أكدوا له أن فى استطاعتهم أن يجلبوا له المنافع فى مصر بدل أن يبتاعها من الافرنج ، لم يتردد الرجل فى ضمهم الى حاشيته ولكنه اشترط عليهم شرطاً أساسيا :

« يجب أن تعتنقوا الاسلام وهذا مالايكلفكم شيئاً ، فان أخى نفسه كان مسيحيا ثم اصبح الآن مسلما ولا يزال يتمتع بصحة جيدة ! »

لم يكن ذلك الشرط الدينى ليقف عائقا فى سبيل الاخوان الثلاثة الذين ما كانوا فى يوم من الايام شديدى التدين . فبعد ان خلعوا عنهم ثيابهم الرومية وارتدوا ثياب المماليك جحدوا بدينهم واعتنقوا الاسلام وعرفوا منذ ذلك الوقت باسماء ابراهيم وحسين واحمد

واشهر الثلاثة هو الاخير الذى سمى نفسه « احمد الزنتى » نسبة الى موطنه جزيرة زانتى

ماذا صنع ذلك الرومى المسلم؟

اقنع مراد بك بوجوب الاستيلاء على دارفور واستثمار مناجم الذهب فى ذلك القطر ، وشد الرحال مع حاشية كبيرة حاملا معه أطيب التحيات من مراد بك الى سلطان دارفور عبد الرحمن الرشيدى. ولكن مراد بك لم يلبث ان انهزم فى الميدان أمام بونابرت ، فحاول احمد الزنتى أن يكتسب ثقة القائد الفرنسى كما كسب ثقة القائد المملوك من قبل ، ولكنه لم ينجح . فاطلق آخر سهم من كنانته ، وتآمر على السلطان عبد الرحمن ، ثم بمحاولة مدهشة ، وهى ضرب قصر السلطان بالمدافع وقتله والمناداة بنفسه سلطاناً على دارفور

غير أن المؤامرة فشلت ، ودارت الدائرة على احمد الماكر فراح ضحية مغامرته الطائشة

* * *

ان قصة « جيورجى حاب » أو « احمد الزنتى » يقصها علينا « مسيو اوريان» فى كتاب طريف صدر أخيراً باللغة الفرنسية بباريس (١) وهو يرفع الستار عن شخصيات لمعت فى تاريخ مصر فى الشطر الاول من القرن التاسع عشر أدواراً من الغرابة فى مكان عظيم . فالكتاب لا يقتصر على قصة الاخوان حاب فقط بل يتعداها إلى كثيرين غيرهم

* * *

هذا « باسيل فخر » الذى قدمت أسرته الى دمياط مع من قدم اليها من السوريين فى القرن الثامن عشر . ومعظم تلك الاسر السورية ما تزال سلالتها الى الآن فى الثغر المصرى الجميل أو فى غيره من مدن القطر

كان باسيل فخر تاجراً بارعاً . وقد عرف كيف يتقرب الى المماليك ثم الى الفرنسيين ثم الى محمد على باشا ، وبقى طول حياته حائزاً ثقة الحكام . غير أنه كان يقيد ويستبد ويمنع ويتفع .

(1) Aventuriers et Originaux par Aariant, Gallimard, Paris

بخلاف زملائه المغامرين الذين يسود أعمالهم في معظم الأحيان شيء من الأنانية والاستئثار بالربح . وكان الرجل فوق هذا وذاك عالما فاضلا وباحثا مدققا . وليس أدل على ذلك من انصرافه في سني حياته الأخيرة الى درس اللغة الهيروغليفية والبحث في الكتب القديمة والمخطوطات البالية والنقوش الفرعونية ، عن أسرار الحياة التي عرفها قدماء المصريين وجهلها العالم من بعدهم . ولو نجح باسيل صغر في الوصول الى ضالته المنشودة لكان العالم الآن يسبح في نعيم السعادة والخلد ! ولكنه لم ينجح ويا للأسف ! بل مات في سنة ١٨٢٦ وهو مكب على مخطوطاته وأوراقه وكتبه ، ينقب فيها عن أسرار الحياة !

* * *

وهذا « رواييه » Royer المسكين ، رواييه الذي كان يشغل في الجيش الفرنسي وظيفة رئيس الصيادلة ، والذي أمره القائد العام نابوليون بأن يقتل فقتل . ثم حلت به لعنة اخوانه جميعا ونسيه نابوليون ولم يصنع شيئا من أجله . فقد أراد القائد قبيل عودته من حصار عكاء أن يدس السم لطائفة من جنوده المصابين بالطاعون في يافا . فطلب من الصيدلي « جينيت » ان يعد للجنود السم القاتل فأبى . وتوجه القائد بطلبه الى الصيدلي رواييه فأطاع الأمر الصادر اليه وأعد السم المطلوب ومات ثمانية عشر جنديا فرنسيا مسمومين بيد رواييه .

وجعل الفرنسيون منذ ذلك الوقت ينفرون منه ويتحاشون الاختلاط به ، ويتهمونه علناً بأنه قتل مواطنيهم في يافا . وبعد رحيل الفرنسيين عن مصر ، بقي رواييه في القاهرة ، وتقرب من محمد علي باشا ، وبقي في خدمته سنوات عديدة . ولكن ذلك لم يساعده على محو تلك الطلعة التي وصم بها نفسه ، فظل الناس يحتقرونه ويمتهنون كرامته ويذيقونه ألوان العذاب . ولم يذرف أحد دمعة عليه عندما سقط عن جواده ، في سنة ١٨١٨ ، ومات متأثراً بجراحه . فقد قال الفرنسيون حينذاك : « إن السماء تنتقم للجنود المصابين بالطاعون والذين قتلهم الرجل في يافا ! »

أما اسماعيل بك ، فهو تركي ، ومن المغامرين الذين لا يشق لهم غبار . وكان من رجال البحر المعدودين في ذلك الوقت . عهد اليه محمد علي باشا في قيادة إحدى السفن والطواف بها في موانىء أوربا ، فراح اسماعيل يلقي مراسيه في ثغور ايطاليا وفرنسا والجلترا وروسيا وأسبانيا وهولاندا وغيرها من الاقطار . وكان يتوغل في داخل البلاد تاركا سفينته في الموانىء ، ويقابل الملوك والوزراء والحكام والتجار والصناع ، ثم يعود إلى سيده وسفينته غاصة بالمصنوعات المتنوعة والمنتجات الغريبة والمواد الأولية التي كان محمد علي باشا في حاجة اليها . وقد عاش اسماعيل بك فوق أمواج الخضم ، ومات أيضاً فوقها . فقد فاضت روحه على ظهر سفينته ، في سنة ١٨٢٦ ، وهو عائد إلى الاسكندرية من

رحلة طويلة موفقة ، وكانت السفينة قد أشرفت على الميناء المصرى ، وبظر اليـه اسماعيل بك نظرته الأخيرة

وتوماس كيت Keith رجل اسكوتلاندى كان يحارب فى الجيش الانجليزى مع رفيقه ومواطنه وليم تومسون Thomson فوقع الاثنان فى أسر الارنئوط فى معركة الحماد فى سنة ١٨٠٧ واعتنقا الاسلام وابدلا اسميهما باسمى « ابراهيم آغا ــ وعثمان افندى » .

أما ابراهيم آغا ــ توماس كيت سابقاً ــ فقد اشترك فى حروب محمد على باشا ودخل مكة فى سنة ١٨١٥ مع الجيش المصرى وقتل بعد ذلك بقليل فى إحدى المعارك التى دارت رحاها فى الحجاز بين المصريين والوهابيين

وأما عثمان افندى ــ وليم تومسون سابقاً ــ فقد عاش أكثر من رفيقه ، وربح ثروة طائلة ، وكان ينفق عن سعة ويكرم ضيوفه ويحسن إلى الفقراء . ومات فى أثناء انتشار الطاعون فى مصر ، سنة ١٨٤١

* * *

وهناك شخصية غريبة أخرى يقص علينا كتاب المسيو أوريان قصتها بالتفصيل : لوبرت بك Lubbert Bey

ولوبرت بك رجل فرنسى عرف كيف يعيش طول حياته عالة على الآخرين دون أن يترك لهم سبيلا للتذمر منه . فهو مثال رائع للطفيلى سعيد ، جمع أموالا كثيرة اضاعها جميعاً بلا حساب . وتمتع فى حياته بكل مايستطيع الناس أن تتمتع به من نعم وخيرات وملذات وكان منزله فى القاهرة أشبه بقصور « ألف ليلة وليلة » . ولم تكن له فى البلاد أعداء . وحصل لوبرت بك على ذلك كله بلا مشقة ولا عناء . فقد اكتفى الرجل بأن يحتال على السلطة ويستغلوم لحسابه . فنجح فى خطته هذه الى أبعد حدود النجاح . ولم يعرف الحزن والكآبة والانزعاج الا فى أواخر أيامه ، عندما اعرض عنه محمد سعيد باشا وأمسك عنه عطاياه . فمات فى سنة ١٨٥٩ بالقاهرة

* * *

أما « الشيخ » فاسمه « هين » Hein وهو فرنسى أيضاً . استخدمه محمد على باشا فى مصانعه الجديدة لان الرجل كان نابغة من نوابغ ذلك العصر ، ولكنه كان ثرثاراً إلى حد بعيد ، وظل همه منصرفاً طول حياته الى تلقين الفلاحين والعمال مبادىء الثورة الفرنسية وتعاليمها ، على أمل أن يصنع المصريون فى الشرق ماصنعه الفرنسيون فى الغرب ، ويضرموا نيران الثورة من ضفاف النيل إلى ضفاف الكنج ، ويخلعوا ملوك الشرق عن عروشهم ويدكوا تلك العروش ويقيموا على انقاضها حكم الشعب. كل ذلك كان الشيخ هين يسعى اليه ــ بالقول فقط ــ وهو يعمل فى خدمة محمد على

باشا ! وكان محمد على باشا يعلم ذلك ويقول : « مادام حين يقوم بعمله في المصنع بدقة وأمانة ، فليقتل العمال والفلاحين مايشاء ، وليندفع فى ثورته ما شاءت له أعصابه أن يندفع ! »

وأخيراً ، هذا « محمد افندى » وهو رسام ماهر كان قبل اعتناقه الاسلام يدعى « فيليب جوزيف ماشرو » لم يبتسم له الحظ فى باريس فسعى إلى الرزق فى مصر . وذاق من الحياة حلوها ومرها ، وتقلب فى أكثر من حرفة واحدة . وانتهى الأمر بأن عينه محمد سعيد باشا مديراً لمسرحه الخاص

* * *

هذه نظرة اجمالية الى محتويات الكتاب القيم الذى وضعه المسيو أوربان عن اولئك الاشخاص المغامرين الغريبى الاطوار فى مصر . وهو من الكتب القليلة التى يتناول فيها كاتب غربى بالبحث موضوعات تتعلق بمصر وترتبط بتاريخها ارتباطاً وثيقاً ، دون أن يتحامل على المصريين ، أو تفرط منه كلمة واحدة فى خلال كتابه ، يشتم منها رائحة التحيز أو تنم عن احتقار أو تمد افتراء على التاريخ . وهذا ما يجعل لـكتاب المسيو أوربان فى نظرنا قيمة خاصة ويدعونا الى الكتابة عنه بالتفصيل ، فهو من أجود ما كتب الى الآن عن « زوايا التاريخ » فى مصر

حبيب جاماتى

مباراة القصة العصرية

النتيجة فى العدد القادم

اجتمعت لجنة التحكيم المؤلفة من حضرات : الاستاذ خليل مطران والدكتور منصور فهمى والاستاذ مصطفى عبد الرازق ، لفحص القصص التى وردت الينا من قراء الهلال الذين اشتركوا فى مباراة القصة العصرية . وقد كادت اللجنة تنتهى من عملها الذى استغرق وقتاً غير قليل لـكثرة القصص التى بعث بها حضرات الادباء للاشتراك فى هذه المباراة

ويسرنا أن نكرر أن العدد الذى ورد الى لجنة التحكيم من هذه القصص يدل على اتجاه جديد فى الأدب العربى ، وعلى رغبة قوية فى إجادة هذا النوع من الادب . وسننشر نتيجة هذه المباراة والقصة أو القصص الفائزة فى العدد الذى يصدر فى أول اغسطس القادم

الرئيس روزفلت

ومشكلة الدين بين الدول الكبرى

خاب أمل أوربا عند اطلاعها على رسالة الرئيس روزفلت التي وجهها الى مجلس الامة الامريكي، لانه لم يشر فيها الى مسألة الدين الكبرى لا تلميحاً ولا تصريحاً، وأدركت أن مغزى ذلك انه لا يريد أن يطرح هذه المسألة على بساط البحث في الوقت الحاضر، فقابلت انجلترا هذا الاعراض منه بابلاغه انها لا تدفع في ١٥ يونيو القسط المستحق عليها للولايات المتحدة، لا لرغبتها في التخلص من الدين الذي عليها، ولكن غرضها من هذا التأجيل أن تحل المسألة على قاعدة العدل والانصاف

وما كادت ايطاليا ودول أوربا الوسطى تعلم المسلك الذي سلكته بريطانيا حتى حذت حذوها وأبلغت الحكومة الاميركية بدورها امتناعها عن دفع الاقساط المستحقة انتظاراً لتسوية عادلة. أما فرنسا فكانت قد امتنعت عن دفع ما عليها من زمن طويل

والغريب أن الصحف الاميركية عطفت على موقف الحكومة البريطانية أكثر من عطفها على موقف المستر روزفلت، وقالت إنه كان يجدر به أن يراعي حالة اوربا الاقتصادية، وان يعلم ان مسألة الدين ليست من المسائل التي تحل بقرار حاسم كالقرارات التي يقررها في صدد مشكلات اميركا الداخلية!

ويرى رجال الاقتصاد والاعمال في اميركا أنه ليس في مصلحة الاميركيين أنفسهم ان يتشددوا كثيراً على الاوربيين لان تفاقم الازمة الاقتصادية في اوربا يقفل اسواقها في وجه المنتجات الاميركية

اما حجة المستر روزفلت فهي انه اذا كانت ايرادات الحكومة البريطانية قد زادت في الميزانية الجديدة على المصروفات بنحو خمسين مليون جنيه فهذا دليل على ان حالة الخزانة الانكليزية ليست سيئة كما تصفها الحكومة البريطانية

غير أن لعدم تأييد رجال الاعمال والاقتصاد في اميركا للمستر روزفلت ظاهرة لها اهميتها وهي، سواء أكان جانبه مصيباً في رأيه ام مخطئاً، دليل على ان الشعب الاميركي بدأ ينتقد اعماله وسياسته كما فعل مع كل رئيس سابق في السنوات الست عشرة الاخيرة

البارون الوازي يحل مشكلة السار

في المذكرات السياسية التي وضعها عن الثورة التشكوسلوفاكية المسيو ماساريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا ، أنه لما ذهب الى لندن في أثناء الحرب العظمى لينشر الدعوة للقضية التشكية وفق الى مقابلة مدير مكتب السرادوورد غراى وزير الخارجية إذ ذاك ، فطلب اليه أن يعد له مذكرة عن قضية قومه ، فاعتبر المسيو ماساريك هذه النتيجة خطوة كبيرة في سبيل النجاح

ومن هذا يتبين القارىء أهمية منصب مديرى مكاتب الوزراء في أوربا ، فهناك يعد مدير مكتب الوزير أول مساعد للوزير ، ولذلك يعين مديرو مكاتب وزراء الخارجية مثلا وزراء مفوضين دفعة واحدة عند ما يراد ترقيتهم . وذهب السنيور موسوليني الى أبعد من ذلك في تقدير أهمية مدير مكتبه فأسند هذا المنصب منذ سنتين الى البارون الوازى ، وكان في ذلك الحين سفيراً لايطاليا في تركيا ، فكانت هذه أول مرة تقلد فيها رجل سياسي بمرتبة سفير منصب « مدير مكتب » غير أن المطلعين على نظام عمل السنيور موسوليني يعلمون أن البارون الوازى هو ساعده الايمن ومستشاره الخاص في جميع الشؤون السياسية

ولما أريد أخيراً بحث مشكلة السار في جامعة الامم للبت في أمرها وألفت لجنة محايدة لهذا الغرض برئاسة البارون الوازى شرعت في معالجة هذه المشكلة الدقيقة بحكمة عظيمة ، إذ بدأت تثير نزاعاً خطيراً بين فرنسا والمانيا ، وكان محبو السلام يتتبعون أخبار هذا النزاع بقلق شديد ويخشون أن يتفاقم أمره ان لم تحل المشكلة حلا موفقاً يرضى الطرفين ويبدد الغيوم التي تلبد بها الافق السياسي الاوربى

وبينما الناس يترقبون ألا تنتهى اللجنة المؤلفة برئاسة البارون الوازى من مهمتها قبل آخر يونيو ، وافتنا التلغرافات في خلال الاسبوع الاول منه بان اللجنة رأت بعد الدرس والبحث الطويلين أن يجرى الاستفتاء في « السار » في شهر يناير سنة ١٩٣٥ وهو الاستفتاء الذى سيقول فيه سكان الوادى هل يريدون أن يكونوا شطراً من المانيا أو من فرنسا أو يريدون أن تظل بلادهم منطقة دولية تديرها جامعة الامم

وقد قابلت المانيا وفرنسا هذا الحل بارتياح ، وأبرق المسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية الى السنيور موسوليني يشكر له هذه الخدمة الجليلة التي اسداها البارون الوازى الى السلام العام

وينتمى البارون الوازى الى أسرة ايطالية كريمة . وقد استهل حياته العامة ضابطاً في الاسطول الايطالى ثم اعتزل خدمة الاسطول وانتظم في السلك السياسي فتنقل في جميع مراتبه الى أن بلغ مرتبة وزير مفوض فامتاز بكياسته ومرونته وبعد نظره ، فعينه موسوليني سفيراً في اليابان ثم نقله الى تركيا قبل أن يعينه مديراً لمكتبه

مرقص حنا باشا

عضو الوفد المصرى سابقاً والوزير الأسبق

توفى فى الشهر الماضى المغفور له مرقص حنا باشا عضو الوفد المصرى ونقيب المحامين سابقاً ووزير الاشغال والمالية والخارجية الأسبق

وسيرة الفقيد من أولها الى آخرها سيرة عصامى بلغ اسمى المراتب بذكائه وعلمه ونشاطه واخلاصه وطهارة ذيله

ما كاد رحمه الله يتخرج فى مدرسة الحقوق حتى طرق باب التوظف فى الحكومة فعين فى النيابة، ولكنه لم يلبث حتى اختلف مع رؤسائه على مسألة من المسائل، فاستقال، ثم سافر الى اسيوط وزاول المحاماة فيها بعد ما تعاون مع المرحوم احنوخ فانوس المحامى الشهير مدة غير قصيرة، فلم ينقض زمن طويل حتى اشتهر بدقة مذكراته وقوة حجته وبلاغة لسانه، فنصح له بعض اصدقائه بالقدوم الى العاصمة فقدم اليها. وما هى إلا سنوات حتى غدا من محامى القطر المعدودين. ويقول العارفون إن ايراد مكتبه فى أوج مجده لم يقل عن أربعة آلاف جنيه فى السنة

وهام مرقص بالسياسة منذ شبابه فكان من المعجبين بمصطفى كامل باشا مقدماً الاعتبارات الوطنية على كل اعتبار آخر. ولما قام سعد زغلول باشا بحركته كان فى مقدمة الذين وقفوا جهودهم على خدمتها، فقدر له سعد باشا هذا الاخلاص حق قدره وأضاف اسمه الى اسماء الذين رشحهم ليحلوا محل من يمنى أو يعتقل من أعضاء الوفد، وكان ذلك ليلة نفيه الى سيشل، ولما أريد ضم أعضاء جدد الى الوفد كان الفقيد الكريم فى طليعة هؤلاء، ثم اعتقل بدوره وقضى مدة الاعتقال بين ثكنات قصر النيل وسجن « قره ميدان » والمعتقله

ولما ألف سعد باشا الوزارة الدستورية الاولى اختار مرقص باشا وزيراً للاشغال ولم يقابل رحمه الله اختياره لهذه الوزارة بارتياح عظيم لانه خشى ألا يستطيع أن يخدم فيها بلاده كما يريد أن يخدمها. ولكنه ما كاد يتقلدها حتى نشأ الخلاف الشهير بين الحكومة والمستر كارتر مكتشف قبر الملك توت عنخ آمون فدافع سعادته عن وجهة النظر المصرية دفاعاً مجيداً وقال: اما أن يذعن المستر كارتر لشروط الحكومة المصرية أو يكف عن العمل فى « وادى الملوك » فرفع المستر كارتر أمره للقضاء فحكم للحكومة المصرية

وبعد استقالة الوزارة السعدية عاد مرقص باشا الى الاشتغال بالمحاماة فانتخب نقيباً للمحامين

ولما ألف المغفور له عدلى باشا يكن وزارته الائتلافية قلد الفقيد وزارة المالية فادارها بكفاءة وحزم عظيمين وقاوم بعض المطامع الانكليزية مقاومة شديدة اشار اليها اللورد لويد فى الجزء الثانى من كتابه عن « مصر من عهد كرومر » . . وتقلد الفقيد وزارة الخارجية فى وزارة ثروت

باشا الائتلافية فخلد اسمه بالمذكرة التي ارسلها الى الدول طالبا تعديل انظمة المحاكم المختلطة .
وهذه المذكرة في نظري أول خطوة عملية خطتها مصر في سبيل تعديل تلك الانظمة

وأصيب مرقص باشا على أثر ذلك بمرض عضال لم ينجح فيه دواء وظل يعاني آلامه بصبر ورباطة جأش الى ان وافاه القدر المحتوم فذهب مبكياً على نبوغه ونزاهته من المصريين قاطبة

السر جون سيمون بمناسبة احتمال استقالته

السر جون سيمون من نوابغ رجال القانون في انكلترا ومن أشهر محاميها . وقد كان قبل تعيينه وزيراً يكسب من المحاماة أضعاف مرتبه الحالي . ومن النوادر التي تروى عن ذكائه أن رجلا رفع قضية على شركة الترامواي بدعوى أن قطاراً من قطاراتها صدم أنه صدمة قوية فأصيب برضوض نتج عنها أن أصبح عاجزاً عن رفع إحدى يديه

وكان السر جون سيمون المحامي عن الشركة في تلك القضية ، فلما عرضت على المحكمة جيء بالمصاب وطلب اليه أن يرفع يده فحركها قليلا ثم زعم أنه لا يستطيع رفعها أكثر مما فعل ، فأخذ السر جون يطرح عليه السؤال تلو السؤال عن ظروف الحادث بلهجة العاطف عليه ثم قال له فجأة : « الآن أرني الحد الذي كنت تستطيع رفع يدك اليه قبلا » فلم يفطن الصبي ورفع يده « التي لا يستطيع أن يحركها » . . .

وفي الواقع أن احتمال استقالة السر جون سيمون ليس جديداً ، وقد كان الناس يترقبون استقالته من يوم الى آخر ، ثم قيل إنه سيرحل رحلة بحرية ترويحاً عن النفس فاذا لم يستقل منها استقال بعد عودته وإلا بقي في منصبه . وبقاؤه في منصبه إلى هذا اليوم دليل على أن احتمال استقالته لا يرجع إلى صحة . بل الحقيقة هي أنه مختلف مع بعض زملائه في الوزارة على السياسة التي ينبغي لانكلترا أن تتبعها في كثير من المسائل السياسية الدولية ، وقد تجلى هذا الخلاف أخيراً في الخطبة التي خطبها في لجنة مؤتمر نزع السلاح في جنيف ، فقد كانت خطبة مبهمة مضطربة بقدر ما كانت خطبة زميله المسيو بارتو واضحة جلية

والسر جون سيمون لايلقى تأييداً في داخل هيئة الوزارة إلا من المستر مكدونلد . ولكن النفوذ الحقيقي في هيئة الوزارة البريطانية ليس للمستر مكدونلد بل للمستر نيفل تشمبرلن وزير المالية والسر فيليب ستكليف وزير المستعمرات

ويقال ان الخلاف القائم في داخل الوزارة البريطانية لا يمس السر جون سيمون وحده ، بل يتناول المستر مكدونلد كذلك ، على أن المستر بلدوين والمستر نيفل تشمبرلن والسر فيليب ستكليف - وهم أقطاب حزب المحافظين - يعملون على التخلص من المستر مكدونلد والسر جون سيمون معاً لكي تؤلف وزارة جديدة من المحافظين وحدهم

وقاية العقول

بقلم الدكتور محمد السباعي حسنين

أستاذ الطب الوقائي بكلية الطب سابقاً

ساد رأى القدماء حتى أواخر القرن الثامن عشر في أمراض العقل، فظنوا أن روحاً خبيثة أو شيطاناً يستحوذ على إنسان فيصاب بالجنون أو اللوثة أو الصرع أو المالنخوليا أو الهستريا. فلا غرابة إذا توهموا أن طرد هذه الروح الخبيثة أو ذلك الشيطان يأتى بالشفاء المحقق. وقد تفننوا في طرد الشياطين والأرواح الخبيثة، فاستخدموا السياط والكى وصنوفاً من العذاب لهذا الغرض. وحبسوا المصابين في السجون مكبلين في الأصفاد أو مشدودين إلى الجدران بالسلاسل. وأغرب من هذا أن مستشفى «بدلام» في لندن كان يتقاضى أجراً من المتفرجين الذين يحبون أن يتمتعوا برؤية المجانين والطرق التي يعاملون بها ويعالجون. وبلغ الأمر من الفظاعة أن بعض المتفرجين كان يدفع أجراً علاوة على رسم الدخول، ليشهد الأرواح الخبيثة تخرج من بعض المصابين بواسطة المسهلات القوية أو [illegible] ؟؟!! ولما ولى الدكتور فيليب بينل Dr. Philippe Pinel [illegible] فقد عهد إليه في إدارة بيمارستان السالبتريير لفحص نساء المعتوهات [illegible] فراعته طريقة العلاج الوحشية. ذلك أن أولئك التاعسات كن يعشن [illegible] في غياهب الزنزانات تنهشهن الرطوبة حيث كانت الفيران تقرض أرجلهن وحيث كن يقتلن أعينهن [illegible] أو يقتلن التمرجية انتقاماً. فطلب من ولاة الأمور أن تعامل المعتوهات بالحسنى وينقلن إلى غرف صحية، فأجيب بالرفض خوفاً من أذاهن. وظل الدكتور «بينل» يلح في طلبه فلا يزداد ولاة الأمور إلا تمادياً في الرفض. وأخيراً ثار على هذه القسوة وأمر بتحطيم السلاسل وإطلاق المعتوهات من الزنزانات ونقلهن إلى عنابر يغمرها الهواء والنور. ثم يتبع في ذلك مشيئة ولاة الأمور! ووضع بينل بعمله هذا نواة المستشفيات الحديثة لمرضى العقل. وشتان بين رأى الطب اليوم ورأى القدماء.

إن الجنون بلا ريب من آفات العقل ولكن ليس مجنوناً كل مصاب بمرض عقلى. فالمجنون الذى [illegible] عزله وعلاجه في المستشفى هو الذى يخشى على الناس من سوء تصرفه.

أما إذا أخلد المجنون إلى السكينة واقتصر أمره على نفسه فعذبها وأرهقها أو نكل بها، فلا يجوز حجره في مستشفى الأمراض العقلية وإن كان لا غنى عن علاجه. وللجنون أنواع لا محل هنا لذكرها، وعلى وجه العموم لا يبدر الجنون أن يحدث من شيئين لا ثالث لهما:

اولا ـ تغير فى مادة المخ والاعصاب، كما هو الحال فى الشلل العام الذى يلين فيه المخ ويتحلل وكما هو الحال فى اورام المخ وفى تصلب الشرايين بالدماغ

ثانيا ـ اضطراب يلحق المخ فتختل وظيفته، كما فى جنون الشباب الذى يدهم الفتيان فيما بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين من العمر، ولم يهتد الباحثون الى اليوم الى تغير فى المخ يصحب هذا الداء. وكما فى تلك الاحوال الجنونية التى تتراوح بين الكبرياء العيدة وبين الاستسلام واليأس

وليس صحيحاً زعم القدماء ان الجنون ينتقل بالوراثة وحدها. فقد اثبتت البحوث الحديثة أن أنواعا معينة من الجنون تورث بينها أنواع اخرى يورث الميل اليها والاستعداد لها. فريض السل يورث ولده الاستعداد للاصابة به كما ان المجنون يورث ابنه الاستعداد للجنون

ونعود فنقول إن الجنون أشد الامراض العقلية واعصاها على العلاج. وفى الحق أن شفاءه التام مستحيل. وكل ما فى وسع الطب هو ترويض المجنون وكسر حدته واعادته شخصاً عاقلا

الوقاية خير من العلاج! فهل من سبيل الى الوقاية من الامراض العقلية بانواعها الكثيرة التى تتراوح بين الخطر على الجماعة وبين ما يسمونه « المزاج العصبى »؟

إن الوقاية من الامراض العقلية لم تكن معروفة للاقدمين بل هم لم يفكروا فيها قط. والعصر الحديث ـ أو بعبارة أخرى القرن العشرون ـ جدير بان يفاخر العصور بما ابتكره من أساليب تلك الوقاية. وأرانى قبل إجمال هذه الأساليب مضطراً إلى توضيح المقصود بالأمراض العقلية

تشمل الامراض العقلية عدا الجنون ما يأتى

١ ـ ضروب من الاضطراب فى الوظائف العقلية منشؤها عيب فى التكوين الجسمانى كالدمامة والتناهى فى قصر القامة أو طولها. وكالعمى والعور والسمانة الفاحشة والهزال الملحوظ

٢ ـ مراتب ودرجات من ضعف العقل

٣ ـ شذوذ الفتيان والتواء سلوكهم

٤ ـ عادات اجتماعية كالبغاء والتشرد وحياة التطفل والعيش على اكتاف الغير

٥ ـ المزاج العصبى مثل ادعاء المرض المزمن واحلام اليقظة والشعور بالاضطهاد والخوف من الوحدة أو الأمكنة المزدحمة أو من الصراصير أو الفيران وسرقة أشياء بدون وعى

ولا شك أن الشطر الأعظم من الأمراض العقلية يرجع إلى عهد الطفولة. بل يردها بعضهم إلى ما قبل الولادة فيقول: « ان الوقاية من الامراض العقلية يجب البدء بها من الجد والجدة »

وبعبارة قصيرة: إن تربية الطفل على المبادىء الصحية العقلية، يكفل لنا النجاح فى هذا الصدد. وقد بدأت المجهودات الخاصة بالوقاية حديثاً فى بعض الممالك الغربية وأمريكا بفضل القائمين بالشؤون الصحية، وبفضل هيئات خاصة غير حكومية كان لها نصيب كبير فى هذه المجهودات، إذ أنها قامت بكثير من الأعمال الجليلة فى هذه الشؤون

وطرق منع هذه الأمراض كثيرة : منها إنشاء العيادات الخارجية للأمراض العقلية في أنحاء القطر الواحد لتكفي حاجة المرضى المصابين بالامراض العقلية الخفيفة والاضطرابات التي يطلق عليها اللفظ العادي وهو « عصبي المزاج » وغيرها من الاضطرابات التي أشرنا اليها

لكن يجب البدء بالطفل وهو جنين لأننا نعلم أن كثيراً من الأمراض العقلية ينتقل بالوراثة . لذلك قامت بعض الدول بسن تشريع خاص لتعقيم الرجال بعملية قطع الحبل المنوي ، وتعقيم النساء بعملية ربط « بوق فالوب » حتى لا يكون في الامة أفراد مصابون بأمراض عقلية

يحتاج الطفل لعناية وتدريب من صغره حتى لا يكتسب صفات يحيد معها عن المستوى الطبيعي العقلي . وكانت أكثر الامم نشاطاً في هذا الموضوع بريطانيا العظمى ، حيث أنشأت المدارس التدريبية Nursery Schools وهذه المدارس تقبل الاطفال من سن ١٥ شهراً أو ١٨ شهراً إلى أن يبلغوا السن الملائمة لدخولهم رياض الاطفال . ويكون الطفل وقتذاك تحت رعاية مرضة حازمة تدربه على النظافة واللعب وعدم إعطائه كل ما يريد ، لان الام تكون سبباً — في بعض الاوقات عموماً — في تدريب الطفل على عادات تكسبه المزاج العصبي فيما بعد . مثال ذلك أنه إذا بكى حملته ودللته واسترضته ، وإذا طلب شيئاً يعبث به ولو كان خطراً عليه أعطته ذلك الشيء . كل ذلك من شأنه أن يغرس في الطفل عادة الحصول على كل شيء يريده . ولكن الحال على خلاف ذلك في المدارس التي سبقت الاشارة اليها وهي المدارس التدريبية ، فالطفل تغرس في نفسه منذ الصغر العادات الطيبة التي تهيئه في المستقبل لان يكون رجلا عملياً يعرف ماله وما عليه ، وتهيء له صالحات المدارس التي تحببه وسواء الخلق والجسم القوى

رعاية الاولاد

تنتقل بعد ذلك إلى المدارس الابتدائية ، ففي هذه المدارس مجال آخر للطب الوقائي ، إذ من اليسير ملاحظة حركات الاولاد العصبانية مثل الخوف وعدم الانشراح والامراض المعدية . كل ذلك له تأثير في أعصاب الغلمان . وان عدم دراسة عقلية الاولاد وقياس ذكائهم قد يكون سبباً في إصابتهم بأمراض عقلية خفيفة ، ربما تستفحل مع مرور الزمن

وكثيراً ما نجد الاولاد الذين نرى بالعين المجردة ويعرف فحص ، أنهم في غير المستوى العقلي الطبيعي ، إذا دربوا حسب الانظمة الحديثة للطب الوقائي العقلي شبوا رجالا عاملين وأدوا ما يعهد اليهم من الاعمال بكفاية تامة . لذلك كان من الواجب عند الكشف الطبي لدخول المدارس أن تتمتع بخبرة طبيب من أطباء الأمراض العقلية في منع دخول الأولاد الذين يرى أنهم ليسوا حائزين على الاستعداد العقلي لتلقي العلم

حماية المراهقين والشبان

وأما في المدارس الثانوية فنرى أن فيها كل الخطر حيث يضاف إلى ما سبق ذكره في

الكلام على المدارس الابتدائية ، نمو الأعضاء التناسلية . وهذه مسألة هامة إن لم تعالج بمعرفة طبيب اخصائي في الأمراض العقلية ، كانت سبباً في أن يصبح الطالب مريضاً باضطرابات عقلية

ننتقل بعد ذلك إلى طلاب المدارس العالية فنرى هؤلاء الطلاب معرضين لكثير من الأمراض العقلية التي يمكن تفاديها مثل اضطرابات الجهاز التناسلي والنيوروستانيا والهبوط العصبي الخ ...

وقد وجد أطباء الأمراض العقلية في الممالك المتمدنة أنه من المفيد جداً عدم إجبار الطلبة على سماع المحاضرات ، وبعبارة أخرى ، يترك للطالب الحرية في حضور المحاضرة التي يراها مفيدة له ، أو عدم حضور المحاضرة التي يرى أن عقله لا يمكنه أن يستوعبها . كما وجدوا أنه من المفيد أن تقام المدارس العالية والجامعات في أماكن زراعية بعيدة عن الغواية وأن تتوافر بها الألعاب الرياضية ، على شريطة ألا تكون هذه الألعاب على سبيل المسابقة المجهدة ، بل تكون جزءاً من نظام العمل اليومي ، ولا تقام أمام الجمهور حتى لا تصبغ بصبغة المسابقة . وعلى العموم فان هذه المدارس يجب أن تعلم الطالب النظام وتغرس فيه عادة الاعتماد على النفس والتواضع وتحمل المسئولية ، وتكسبه الأخلاق الفاضلة والصحة . فان نجحت المدارس في بث هذه الروح في النشء ساهمت بنصيب وافر في إعداد أمة حية قوية ، وقللت من المرضى المصابين بالأمراض العقلية

في معترك الحياة

وأما البالغون فيحتاجون إلى معرفة درجة ذكائهم والعمل الذي يمكنهم أن يزاولوه . والانسان في هذه الحياة يحتاج إلى أربعة أشياء وهي : العمل ، اللعب ، الحب ، الدين

ويجب على الانسان أن يأخذ من كل من هذه الأشياء حظه بنسبة معتدلة ، ففي عمله يجب ألا يشتغل بما يفوق إدراك عقله وإلا كان نصيبه الفشل ، وإذا اضطلع بعمل دون كفاءته كان نصيبه الاخفاق أيضاً . ولعبه يجب أن يكون لعباً بريئاً في الهواء الطلق ، على أن يكون معتدلا في ذلك وإلا أضر بجهازه العصبي . كذلك يجب ألا يكون متطرفاً في حبه فلا يصل إلى درجة الجنون ، ولا يميت عاطفة الحب في نفسه ، فان ذلك يؤثر على جهازه العصبي . وهنا أرى الفرصة مناسبة لانصح الفتى والفتاة بعدم اطالة مدة الخطبة اجتناباً للمضار السيئة التي تنشأ عن ذلك مع اقامة أفراح بسيطة . كذلك الحال في الدين ، يجب أن يأخذ الانسان بنصيب معتدل منه فلا يتغالى في عبادته لدرجة أنه يصاب بالاضطرابات في عقله . وفي ذلك قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » . وفي الوقت نفسه يجب على الانسان ألا يهجر دينه هجراناً تاماً ، إذ أنه بعمله هذا يكون قد أبعد نفسه عن التعاليم القيمة التي تردعه عن الغواية والشطط مما يضعف القوى العقلية في الانسان باتيانه الاعمال الشاذة . وعلى كل فرد من المجموع أن يأخذ بنصيب كاف من الراحة والسكون بعيداً عن المشوقات وخصوصاً السيدات في زمن الحمل والحيض

دكتور محمد السباعي حسنين

اللعب ضرورة حيوية
للصغار والكبار

بقلم الدكتور احمد محمد كمال

سيرميني البعض بالكفر الاجتماعي والخروج على تقاليد الجماعة إذا قلت للكبار : العبوا ثم العبوا . . ومن عجيب الامر أن هؤلاء « الكبار » الذين ينكرون نصيحتي ويدعون يحرمون الصغار من اللعب إلا بقدر معلوم ، يلعبون ويلعبون ويلعبون . ولا أغالي إذا قلت إنهم يلعبون أكثر مما يؤدون واجبهم أداء جدياً منتجاً

ولست أدرى منشأ تلك التقاليد الموروثة التى أصبحنا نجلها ونحترمها كما لو كانت من تعاليم السماء ، لست أدرى منشأ التقاليد التى حرمت اللعب ونظرت اليه تلك النظرة الظالمة

فالذى نراه فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ينافى ذلك تماماً ، فقد كان اللعب رياضة يواظب عليها الخلفاء ويشترك فيها الصبية ولا يأباها العلماء المفكرون فدرس والبحث

وهكذا كان الحال فى سائر الحضارات ، فالصيد والقنص ولعب شطرنج والخروج للنزهة فى البحر والبر والسمر ـ كل هذا كان يحرص عليه الملوك والخاصة . أما العلماء وأهل الفكر فكانت رياضتهم المناقشات والمسامرة وقضاء ساعات طويلة فى أحضان الطبيعة

وقد ساء الرأى فى اللعب واختلطت أساليبه ، حتى عاد مشغلة وحتى صار يعطل الناس عن العمل وعن الاستمتاع بالحياة . والدليل على ذلك قائم فيما نراه من لعب « النرد » ساعات من النهار وطرفاً من الليل ، والدليل على ذلك قائم فى عبث « الكرة » الساحقة من « الكبار » بسيرة المعارف وغيبة الاهل والنميمة بأقرب خلق الله اليهم ، والدليل على ذلك قائم فى انصراف المصطفين من الكبار الى الكسل عن البحر وما فيه والى القال والقيل وأشياء أخرى تقتل الوقت !

« ان لبدنك عليك حقاً » ! ! ! هذا الحديث الشريف يحتاج فى تفسيره الى ضوء المعلومات الطبية والبيكولوجية الحديثة . فالجسم ليس آلة . وحتى لو فرضنا أنه آلة ، لوجب أن نريح هذه الآلة وندهنها بالزيت وتتفقد أجزاءها ونلاحظ ما انحرف منها عن طبيعته أو وظيفته . فظاهر أن الجسم لاغنى له عن الراحة ... لكن الراحة هنا فى ذهن الطبيب معنى ، وهنا فى حساب البيكولوجي وزن وتقدير . فالطبيب ينظر الى الراحة كضرورة فسيولوجية ، يتعب الجسم وفى تعبه عناء وكد وخطر ، فالراحة تصلحه وتعيده الى سالف نشاطه وتزوده بالقوة ـ سواء فى ذلك المجموعة

العصبية وما فى من الاجهزة . وأما البسيكولوجى ، والبسيكولوجى الحديث نوع من الطبيب ـ بل هو لا يمكن أن ينجح إلا اذا كان طبيباً ـ ينظر الى الراحة من ناحية النفس . وللنفس معنى فى اعتباره قد يخالف المعروف ، فلنوضحه فنقول : ان النفس فى البسيكولوجيا الحديثة تشتمل على القلب والعقل الباطن والعقل المتنبه اليقظان . وهذه النفس تسأم وتصدأ وتمل ، اذا أرهقناها وضيقنا عليها الخناق فقد تثور وتتمرد وتركبها الشذوذ فتعوج ويكون من شأنها ما تفيض به الأخبار من إجرام وسوء سلوك

فلو أرحنا النفس ، وشغلناها وقت الراحة بأنواع من اللعب ، اذن لجنبناها شروراً كثيرة ، ولعدلنا بها من طريق محفوف بالخطر والمخاطر الى الطريق السوى الحافل بالخير والبركات

وتسألنى عن لعب ـ أو العاب ـ الكبار ، فأقول إنهم فى الغرب يزاولون من صنوف اللعب ضروباً ، ويزاولونها بانتظام . ولعلك قرأت فى التلغرافات أن مستر لويد جورج يلعب الجولف بانتظام ، ولا يتركه حتى فى أحفل أوقاته بالمتاعب والازمات . وقد قرأت أنه تصفح مذكرات خطيرة عن مؤتمر دولى له أهميته ، تصفحها بين فترات اللعب ، فترات لعبة الجولف . . . والمستر روزفلت رئيس الجمهورية الامريكية الكبرى ، من هواة التجذيف وركوب البحر ، وقد أنقذه حبه الرياضة من مرض « شلل الاطفال » الذى أقعده مدة ثم تغلب عليه بقوة العزيمة وقوة الجسم . والعلامة اينشتين يعزف على « الكمان » فى أوقات فراغه من إعنات عقله الجبار . وكان المرحوم المسيو بريان مغرماً بالتجوال فى الاوديه والغابات ، كما كان يدمن مطالعة الروايات لا يترك قراءتها الا وهو على باب مؤتمر أو باب مجلس النواب والوزراء . أما المسيو كليمنصو فقد أولع بتنسيق الحدائق ورعاية أزهارها ، كما كان مولعاً بأحاديث الصالونات وما فيها من « رغى ولت وعجن » . والمشهور عن مستر برنارد شو أنه « مشاء » يقطع الأميال سيراً على أقدامه سيراً حثيثاً لايقوى عليه الا بطل فى المشى ، ثم هو مولع بالقمش والتنكيت طوال أوقات فراغه ، وله نوادر لطيفة وحكايات مأثورة . وما من فنان او أديب فى بلاد الغرب ، إلا ويقضى شطراً من يومه وليله فى « اللعب » على الطريقة البوهيمية ، فبعضهم يناجى الطبيعة والبعض يجالس الناس وراء الجدران ، وقد يخالطون أهل الاجرام والفساد والفجور أملا فى دراسة النفس البشرية وكشفاً لمكنون القلب وبحثاً عن شتى الاهواء والبواعث . وقد اجمع الناس على أن الفنانين والادباء قوم طبيعتهم الكسل وإضاعة الوقت سدى ، وأنكر العلماء فى القرن الماضى حاجة الحضارة الى الشعراء والموسيقيين ورجال الادب ، وحملوا عليهم حملات منكرة . وقد كان الاعتقاد السائد عند علماء القرن الماضى أن الفنون الجميلة والادب لهو وعبث ولعب . أما فى القرن العشرين ، فقد انعقد إجماع البسيكولوجيين على أن الانسان لا يمكنه أن يعيش من غير لعب . وذهبوا يتحدثون عن اللعب وأنواعه للكبار والصغار

يسطنا لك من لعب الكبار صنوفاً ، وها نحن نزيد على ما سلف أن الهوايات كلها من ضروب اللعب : فثم هواية جمع طوابع البريد أو التحف الاثرية أو السجاجيد أو الأسلحة أو الحيوانات والحشرات بائدها وموجودها ، وهواية غرس الحدائق وتربية الطيور والدواجن والكلاب وخيول السباق ، وهواية الرحيل الى البلاد النائية وشواطىء البحر ، وهواية الاشتغال بفن من الفنون الجميلة وهواية السمر والحديث ذى الشجون . هذه وغيرها ضروب من اللعب لا غنى للكبار عن أحدها

فاما الصغار فشأنهم يقرب من حياة الفطرة فى الريف عندنا ، مع تعديل كبير يتصل بمقتضيات الحضارة ، وينهض على أسس بسيكولوجية أسفر عنها البحث ووثقتها التجربة

الطفل فى أوليات عهده بحاجة كبيرة الى اللعب « بالعب » . لكن يراعى فى اختيار اللعب أن تكون من النوع الذى يبث فى الطفل روح الميل الى البناء . فالطفل يريد بطبيعته أن يحطم اللعب ليعرف دخائلها . . . وهذا حسن ، إلا أننا اذا أنشأناه على الميل الى التحطيم ، شب وكبر غير صالح للبناء . ولهذا يحسن - بل يجب - أن نزوده باللعب التى تغرس فيه روح البناء ، كأن نعطيه قدوما من الخشب وبعض المسامير وعلبة الاصرع وعلى من انه قد يدق أصبعه أو يجرح يده ، فانه سيتعلم بعد قليل وبعد جراح ومنغصات تافهة ، لقياس الى الغاية المنشودة ، سيتعلم كيف ينشىء من الخشب والمسامير صندوقا أو مقعدا أو عربة

وفيما يتعلق بالبنات يمكن غرس الأمومة والحنان فى نفوسهن اذا أعطين عرائس ومنازل صغيرة ، مع تعليمهن كيف العناية بالمنزل وترتيبه ورعاية العروسة ، كأنها ربة الدار

ويجب ألا يغفل اللعب فى الهواء الطلق تحت الظلال وبين الأزهار وعلى شواطىء الغدران والبحار ، مع ما يصحب ذلك من لعبة مثل لعبة « استغماية » أو ما شاكلها . وليقضوا فى هذا اللعب أكبر وقت ممكن . وهنا نقول إن الغربيين انشأوا لهذه الغاية مدارس للصغار يدخلونها قبل دخولهم « رياض الاطفال » . ثم لابد لنا من الاشارة الى أن أطفال الريف فيما بين الثالثة أو الخامسة أسعد حالا من صغار المدن ، من حيث اللعب فى الهواء الطلق كيفما شاءوا ومتى أرادوا ، إلا أن لعبهم غير منظم ولا يتجه بهم نحو غاية سامية مشتركة

وفى السنوات الأخيرة بدأنا نهتم بلعب التلاميذ والطلبة ، فانشئت جمعيات الفنون الجميلة فى المدارس الثانوية وكثرت الرحلات ونظمت وتعددت الألعاب الرياضية ، وأخيراً أحرزت « الكشافة » رعاية مليك البلاد وتشرفت بزعامة أمير الصعيد . لكن هذه الحركة فى المدارس ليست واسعة النطاق ، ثم إنه يعوزها تعزيز وتشجيع وتعضيد فى البيوت وخارج البيوت

الدكتور احمد محمد كمال

أقدم كتاب في الجراحة

ملخص محاضرة للدكتور محمد كامل حسين

[ألقى الدكتور محمد كامل حسين الاخصائي في جراحة العظام محاضرة نفيسة ، عن أوراق البردى التي عثر عليها أدوين سميث للمصرلوجي الامريكي ، على أعضاء الجمعية الجراحية المصرية ننشرها فيما يلي]

من عشر سنوات خلت سمعنا فى نفس هذه القاعة الاستاذ برستيد يحاضرنا عن أوراق البردى التى حصلت عليها جمعية نيويورك التاريخية من ورثة المرحوم ادوين سميث ، المصرلوجى الأمريكى الذى عاش فى الاقصر نحو عشرين عاما . وعلى رغم ما لقيه الاستاذ برستيد من عناء فى فض اغلاق هذه الأوراق واستكناه مدلولاتها الفنية ، فانه لم يتردد فى القول بانها تعتبر بدء مرحلة من مراحل التقدم الفكرى الانسانى

وقد استأنف برستيد دراسته لهذه الاوراق ، وكتب عنها بحثاً يدل على ثقافة واسعة ودقة فى تمحيص الحقائق ارتفعت ببحثه الى الذروة التى لا تنال والغاية التى لا تدرك . إلا أن العلامة برستيد اعترف أن تقدير هذه الأوراق واعطاءها ما هى أهل له من قيمة وخطر ، يستعصى عليه ولا يستعصى على طبيب له بموضوعها دراية . وقد حثت الى نداءه والقى دلوى فى الدلاء .

اشترى أدوين سميث هذه الأوراق من الاقصر فى سنة ١٨٦٢ . لكنه لم يدرسها وان كان يعلم موضوعها بالضرورة . وظلت هكذا فى ظلام الى أن دلفت بها جمعية نيويورك التاريخية الى الاستاذ برستيد فوجد أن جزءاً من مقدمتها مفقود ، وانها انتهت عند جملة لا يمكن أن تكون الخاتمة . وهذه الأوراق تولى أحد الكتبة ممن يجهلون الطب ، نقلها من نسخة قديمة يرجع العهد بها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أى فى الوقت الذى بنى فيه الهرم الاكبر

هذه الاوراق عبارة عن سلسلة من الاصابات الجراحية تبلغ ثمانية واربعين ، اتبع المؤلف فى وصفها وعلاجها طريقة واضحة المعالم لا لبس فيها ولا ابهام

ابتدأ باصابات الوجه ، فالصدغ ، فالفك ، فالذقن ففقرات الرقبة ، فالترقوة فالساعد فعظمة القص . وقد توخى أن يتدرج من الاصابات البسيطة السطحية الاقل خطراً ، الى اصابات أعمق غوراً وأشد تعقيداً وأعظم خطراً ، مما يدل على أن طبيبنا المصرى القديم ، قد اختص بموهبة فذة مكنته من إجادة التقسيم واحكامه

وسرد الدكتور كامل حسين الثمانى والاربعين حالة ، وعلق عليها بما ترأى له من الناحية الطبية الحديثة . ثم استنتج ما خلاصته :

أولا ـ أن هذا الطبيب مؤلف هذا السفر النفيس، لا بد أن يكون على دراية طيبة بتشريح الجسم الانسانى. ولا بد أنه حصل على تلك المعلومات من تشريح الجثث ومن عمل الصفة التشريحية (البوستمورتم) لا من عملية التحنيط. فهو يعرف عن المخ وأغشيته السحائية شيئاً لا يستهان به ويشبه تجاعيده بالنحاس الذائب (إشارة الى الطبقة السحابية المكرمشة فوق سطحه) وأما معلوماته عن الجهاز الدموى، فتعتبر جيدة بالقياس الى ثقافة عصره. ومعرفته بالعظام لا غبار عليها. وكذلك معرفته بالقصبة الهوائية

وعن معلوماته الفسيولوجية أقول: إنه استقاها من مشاهداته الاكلينيكية (أى من فحص المرضى وتتبع أثر العلاج فيهم) فقد كان يجس النبض ليعرف حالة القلب، وعرف أن بعض اصابات المخ تحدث شللا فى ناحية الاصابة

لكن معرفته بالباثولوجيا (علم الامراض) أغزر. من ذلك تقريره فى معرض الكلام عن «الحالة الثامنة» إنها تسببت عن اصابة خارجية، وليس عن باعث شيطانى. وتلك حقيقة لها أهميتها، إذ لا يزال الاعتقاد قائما فى بعض نواحى مصر، بأن القوى الخفية تسبب الاصابات، وإن حججه التى وجهها الى مؤلفين مجهولين، لتذكرنا بالمناقشات الحارة التى نقرأها فى تآليف «أبقراط».

عرف هذا الطبيب ماهية الالتهاب ووصف علاماته، ولاحظ خطورة الكسور المركبة المصحوبة بحمى. وعرف «الانضغاط المخى»، وميز بين الخطير منه وبين ما هو حميد العاقبة مأمون المغبة، وقد جاء كلامه عن رضوض الركبة مطابقا لتعاليم الباثولوجيا الحديثة

وناهيك بمعلوماته الاكلينيكية فانها كثيرة. من ذلك أن حصافته أغنته عن الاحصائيات ومقارنتها بعضها ببعض. وقد تنوعت طرق فحصه لمرضاه وتعددت. فلقد كان يلقى عليهم أسئلة غاية فى السداد، وكان يطلب اليهم أن يحركوا رقابهم وسواعدهم وينظروا الى صدورهم ليرى هل حركاتهم تؤلم أم تأتى بصعوبة. وكان يلاحظ حساسية المرضى، ويجس الجروح ليعرف هل العظام التى وراءها قد أصيبت أم بقيت سليمة، ولكى يعرف حالة النبض والحرارة ومقدار ابتلال الكسور. ولست أدرى بأية طريقة كان يحصى النبض من غير ساعة! وقد ذكر علامات وأعراضاً أخرى، كتصلب الرقبة وسلس البول والنزف من الخياشيم واطلاق المنى وغيرها مما يشهد له بطول الباع فى التشخيص ودقة الفحص والملاحظة

أما عن طرق علاجه، فمعقولة وفى بعض الاحيان وافية بالمرام، تدل على خبرة محمودة مما يجب اتباعه. فهو يعيد المفاصل المخلوعة الى سابق حالها، وكذلك الكسور. ويستخدم جبائر من الكتان. ويستعمل الكى ويخيط الجروح ويضمدها ولا يسدها اذا كانت تحتوى على صديد

وانما يصح فرقها بالمكمدات والثلج . ولست أجد وصفا يوفى حذقه فى علاج الانف المكسور والترقوة المحطمة !!

ثانيا – نقض الدكتور كامل حسين رأى الاستاذ برستيد الذى ذهب الى ان مؤلف هذا السفر الطبى الجليل ، هو أحوتب إله الطب عند المصريين ، أو هو كان كبير الاطباء وعميدهم ثم بعض الزمن اتخذوه إلها كما هو الشأن عند القدماء . وقال الدكتور إن ماحتويه الكتاب من اسلوب علمى ينافى طرق الكهنوت واساليبهم فى النظر الى أسباب الامراض

ثالثاً – يقول الاستاذ برستيد إن هذا السفر قد الف فى العهد الذى بنى فيه الهرم الاكبر ، وذهب الى أن مؤلفه لابد أن يكون قد صحب جيشا . وأما الدكتور كامل حسين ، فيفند رأى برستيد هذا ، مستدلا بمادة الكتاب ، ذلك أن الاصابات الواردة فيه تدل على ان المرضى سقطوا من أعلى الى اسفل ، وهذا يتمشى مع فكرة انهم من العمال الذين اشتغلوا فى تشييد الهرم

رابعاً – أن الطب الاغريقى وقف حجر عثرة فى سبيل التقدم فى التشخيص والعلاج . ذلك ان الاغريق كانوا يضعون النظريات والتعميمات والقواعد ، ثم يحاولون تطبيقها . أما المصريون فكانوا يجمعون الحقائق ثم يستخرجون منها بعد تشبيهها وتبويبها ما يصح الاعتماد عليه . وقد أخذ الطب الحديث بطريقة الفراعنة فى دراسة الطب ، واطرح طريقة الاغارقة

فى صيف القاهرة

أيها السائلون عنا بمصر
كيف نُضحى بها وكيف نَبيتُ
نحنُ فى هذه المدينة نَحيا
حين نُمسي وفي النهار نموتُ

خير الدين الزركلى

الحروف العربية والضوابط

تعليق على مقال

طالعت في الهلال الاخير مقالا شائقاً بعنوان الحروف العربية وهل يمكن اصلاحها بقلم الاستاذ طاهر الطناحي . وقد تناول البحث في الضوابط العربية والطرق التي اقترحها بعضهم للتخلص منها أو للاستبدال بها طريقة أخرى تجعل الكتابة منطبقة على النطق . وقد أعجبني من الاستاذ تزييفه لهذه الاقتراحات ، ورده لها بالحجة المرتكزة على المنطق الصحيح والاسلوب العلمي النزيه

وقد تتبع الاستاذ تاريخ تطور الخط العربي والاصول القديمة التي يرجع اليها ويشتق منها بايجاز ودقة . ولكن من أراد أن يحتج بأمر الضوابط فلا يكتفي باستعراض تلك السلسلة فقط ، بل عليه أن يرى هل كانت الضوابط موجودة في تلك الاصول التي يعود اليها الخط العربي ويشتق منها ، أولا ؟ وفي هذا أقول : إن من رجع الى اللغة العبرانية واللغة السريانية شقيقتي اللغة العربية وجدهما يستخدمان الضوابط والحركات على الحروف ووجد تشابها في طرق استعمال هذه الضوابط وتأثيرها في النطق . ويتجلى هذا التشابه بين العربية والعبرانية على الاخص . فاللغة العبرانية تستعمل الحركات الثلاث للفتح والضم والكسر . فبدلا من الضمة التي نستعملها نحن ، لديها نقطة (.) ترسم فوق الجهة اليمنى من الحرف وتدعى (حولم) ، وبدلا من الكسرة تستعمل نفس النقطة التي توضع الآن تحت الحرف وتدعى (حيرك) ، وبدلا من الفتحة تستعمل علامة هكذا (T) تدعى (قامتز) وتوضع تحت الحرف أيضا . وطريقة نطق الحروف التي توضع عليها هذه الضوابط كطريقة نطق الحروف العربية التي تدخلها الضمة والكسرة والفتحة ، بدون أقل فرق في الامالة أو اللهجة

وفي اللغة العبرانية غير هذه الحركات مثل السكون والتشديد أو التخفيف ، كما يوجد في اللغة السريانية مثل هذه الضوابط أيضا . والغرض من هذا هو أن نشير الى وجود الحركات في غير اللغة العربية من اللغات السامية ، مما يجعلنا نفكر في أن لهذه الضوابط أصلا عريقا في اللغة

وما استعمال هذه الضوابط الا نتيجة تفكير منطقي صحيح ، وقياس لغوي متين . فالضوابط تقوم مقام أحرف العلة الثلاثة ، حتى انها تتخذ أشكالها في بعض الاحيان . وفي ذلك اختصار يوافق أصول البلاغة كل الموافقة ، بالاستغناء عن حرف أو أكثر في الكلمة ، فتبدو صغيرة هينة

فالضوابط أصيلة في اللغة كما ذكرت سابقا . ويصعب علينا استبدالها أو تغيير أشكالها لانها وضعت في ألطف شكل يمكن أن توضع فيه

وديع تلحوق

☆ لعل حضرة الكاتب قد انتهى إلى موافقتنا على مذهبنا اليه في مقالنا السابق من أن البحث

فى مسألة اصلاح الحروف العربية مضيعة للوقت دون الوصول الى نتيجة تزيل الصعوبة التى تعترض القارىء . غير انه أراد أن يلفتنا إلى انه كان علينا أن نبحث عن هذه الضوابط فى الاصول التى اشتق الخط العربي منها ، وهل هى موجودة أولا . وفاته أننا بينا فى مقالنا ان الحركات والاعجام فى جميع اللغات التى بها حركات واعجام حادثة فى العصور المتأخرة وليست قديمة. وقلنا : « ولم يأخذ العرب الحركات والاعجام من الانباط والسريان كما اشتقوا الحروف عنهما . فان الخط السريانى والنبطى وسائر الخطوط التى اشتق منها عنان الحطان إلى عهد الفراعنة لم يكن فيها إعجام ولا حركات ولم يكن ذلك الا حادثاً بعد الاسلام . فكأن المصريين والفينيقيين والسريان والنبطيين بقيت حروفهم طول حضارتهم خالية من الاعجام والحركات كما بقيت الحروف العربية خالية منهما حتى أوائل الاسلام »

على أن بحث لا يدور حول المقابلة بين الحركات فى اللغة العربية وشقيقتيها العبرية والسريانية كما ظن حضرته ، ولا على أن حركات اللغة العربية تشابه حركات اللغة العبرية . وانما أردنا فى البحث أن نعطى القارىء فكرة عن ألوان التطور التى مرت بهذه الحروف حتى انتهت الى ما انتهت اليه

ونلاحظ انه يظن ان الحركات فى اللغة العبرية قديمة . والواقع ان عمرها لا يتجاوز ألفاً ومائتى سنة بالتقريب . وقد نشأت فى طبرية ولست الحروف العبرية المبسوطة والمستعملة الآن عند اليهود هى الحروف العبرية القديمة . فان الأولى لم تستعمل الا بعد عصر عزرا الكاتب . وكان يطلق عليه اسم الخط الاشورى أو المربع . أما الحروف العبرية القديمة فتخالف الحروف العبرية المعروفة الآن مخالفة تكاد تكون تامة ، ولم يكن فيها حركات ، ولا إعجام . وقد ذكر حضرة الكاتب ان حركات اللغة العبرية تشابه حركات اللغة العربية ، وليس كذلك . ويكفى ان نلقى نظرة فى التوراة أو فى الكتب العبرية لنرى خلافاً ظاهراً بين الوضعين . فالفتحة فى اللغة العبرية على أربعة اشكال : فتحة طويلة تسمى (قمص) لا (قمتز) ، وفتحة طويلة ممالة وتسمى (صيرى) ، وفتحة قصيرة وهى (بتح) ، وفتحة قصيرة ممالة وهى (سجول) . وكل نوع من هذه الانواع لا يشابه الفتحة فى الضوابط العربية . وكذلك قل فى الضمة والكسرة والسكون والشدة . فهناك الضمة الطويلة (حولم جدول) وهى ليست كما ذكرها الكاتب نقطة فقط . والضمة الطويلة المشبعة (شورك) . والضمة القصيرة (حولم) ، والضمة القصيرة المشبعة (كبوص) . وهناك الكسرة الطويلة (حيرك جدول) والكسرة القصيرة (حيرك) . والسكون اسمه شفا . والشدة اسمها (دغش) . وهناك حركات اعتورها القصر مثل (خطف قمص) و (خطف صيرى) و (خطف سجول) . كما ان هناك حركات يكون الحرف التالى لحرفها مشدداً . . وطريقة نطقها كلها ليست كما يقول الكاتب تشابه طريقة النطق بالضوابط العربية كما يظهر لك من هذا التنويع ، ولولا ان حروف المطبعة لا تسعفنا لظهر للقارىء ظهوراً واضحاً مبلغ الاختلاف فى الصورة بين الضوابط العربية والعبرانية

طاهر الطناحي

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

القارة الغائرة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة الستريتد
لندن نيوز . بقلم الاستاذ ستانلي جاردنر]

سيظل اسم المرحوم السر جون مري مقروناً بذكر رحلة الباخرة المسماة «تشالنجر» من سنة ١٨٧٢ الى ١٨٧٦ وهو مؤسس علم «الاوسيانوجرافي» الحديث . وقد مات وفي قلبه حسرة لان الباخرة «تشالنجر» لم تستطع استكشاف الاوقيانوس الهندي . ولذلك ترك من بعده وصية للقيام بهذه المهمة ، ومن هنا نشأت حكاية «بعثة السر جون مري» . وقد كان لمصر نصيب يذكر منها لأن حضرة صاحب الجلالة الملك أمر بإعارة الباخرة «مباحث» للاشتراك في البعثة ، وجلالته مشهور بالعناية بعلم البحار . وكانت البعثة بقيادة الكولونل سيمور سول يعاونه ثلاثة علماء انجليز وعالمان مصريان وجمع من وزارة البحرية البريطانية . وكان معظم رجال الباخرة من المصريين . وقد شرعت الباخرة «مباحث» في أعمالها في شهر سبتمبر الماضي فاجتازت بحر العرب عدة مرات ومسحت قاعه وأخذت عدة مقاطع من مائه وقاست درجة حرارته في عدة مواضع وأخذت في درس المواد الراسبة في قاعه وآثار الحياة الحيوانية فيه

قامت الباخرة بثماني رحلات رسمت في خلالها خارطة عشرين الف ميل من قاع البحر . واتضح لها أن البحر الاحمر الى عمق مائة قامة مملوء بالحيوانات المائية المختلفة ، ومن دون ذلك الى عمق الف ومائة قامة خال من تلك الحيوانات ، فهو اذن «بحر ميت» . ولا يخفى ان كلا البحر الاحمر وبحر العرب هو من البحور المرجانية وفيه جزائر وسواحل مرجانية كثيرة . إلا أن الساحل الجنوبي لبحر العرب خال من الحيوانات المرجانية . اما جزيرتا زنجبار وبمبا فهما مرجانيتان مرتفعتان تحدق بهما سواحل مرجانية وعرة . ومعظم النباتات فيهما هي اشجار كثة الاوراق وشجيرات من نوع التين الشائك . أما الجزائر الاخرى فقد اتضح انها مرجانية حديثة العهد ماعدا جزيرة سيشيل

ودرس تاريخ نشوء الجزائر يثير جانباً كبيراً من اهتمام العلماء فكم بالأحرى درس تاريخ القارات التي ظهرت واختفت في العصور الجيولوجية البعيدة . وعلم النشوء والارتقاء يقول ان الارض كانت

مأهولة في العصور الجيولوجية الاولى بزحافات هائلة قد انقرضت اليوم ، وكان موطنها الاكبر قارة أطلق عليها علماء الجيولوجيا اسم « جوندوانا » وكانت تمتد من اميركا الجنوبية الى اوستراليا مارة بافريقيا والهند شاملة جزءا منهما . ولدا درسنا آثار البلدان المذكورة — أي أميركا الجنوبية واوستراليا وافريقيا والهند — وجدنا « احافيرها » (أي بقاياها النباتية والحيوانية المتحجرة) متماثلة في كل عصر من العصور الجيولوجية ، وبعض تلك الاحافير يرجع الى العصر الذي كانت فيه جبال الالب والبيرينيه والهملايا والقوقاز لا تزال تتكون تحت سطح البحار ، ومعظم صخورها من بقايا هي كل حيوانات بحرية . ومن المحتمل أنه كان الى شمال خط الاوقيانوس قارة أخرى عظيمة . والعلماء يسعون لمعرفة تاريخ هذه الجبال والقارات وكيف نشأت حتى وصلت الى حالتها الحاضرة وكيف خسف غيرها وطمر . كما ان هنالك عصابا حديدة تحت سطح الماء في خليج عدن عثرت عليها بعثة مري ولا بد من درسها لمعرفة سر نشوئها . ثم ان هنالك سلسلة من الجبال المغمورة بمياه البحر محاذية لسواحل بلوخستان ، ودرس تاريخ نشوئها مهم جداً من الوجه العلمي . وهنالك سلسلة اخرى من الجبال تحت سطح البحر يبلغ متوسط ارتفاعها تسعة آلاف قدم وتمتد على قاع الاوقيانوس من شاجوس الى سقطرى وتشبه في تركيبها سلسلة جبال السند في منتصف قاع الاتلانتيك

ولا يخفى ان الاعاصير والعواصف والزوابع والمنخفضات في ثوران الاوقيانوسات هي سبب الزوابع الخطرة التي تثيرها الرياح والدورات الشديدة ويستدل من فحص نماذج الماء التي اخذتها الباخرة « مباحث » ان هنالك ازمنة تيارات أو مجارٍ تجري متحركة من سطح البحر إلى قاع الاوقيانوس . كما ان البقايا الحيوانية التي تم فحصها حتى الآن كانت انواعاً كثيرة جداً وبينها طائفة كبيرة من الحيوانات المرجانية الشبيهة تمام الشبه بحيوانات شرق افريقيا المرجانية . وجميع هذه البقايا هي مما جمع من عمق مائة قامة فقط كما تقدم القول لان البحر بعد ذلك العمق ظهرت خالية من كل اثر الحياة

وخلاصة القول أن شكل الكرة الارضية في العصر الجيولوجي المعروف بعصر الزحافات الهائلة كان يختلف كل الاختلاف عن شكلها الحاضر فقد اكتشفت بعثة السر جون مري في الباخرة « مباحث » قارة واسعة الارجاء اطلق عليها اسم « جوندوانا » كما تقدم ، وكانت تمتد من اميركا الجنوبية الى اوستراليا مارة بشارقي افريقيا ، والهند ، وهذه القارة مغمورة اليوم بمياه الاوقيانوس وقد كانت في العصور الجيولوجية الغابرة فوق سطح البحر يوم كانت جبال الالب والبيرينيه والهملايا والقوقاز في حالة النشوء . وبقايا الآثار النباتية والحيوانية في جميع اجزاء « جواندوانا » هي متماثلة وهذا دليل قاطع على انها قارة واحدة متصلة الاجزاء والانحاء

أما تزال الفرص سانحة ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة بوبيولار ميكانكس . بقلم الأستاذ هنتورملتر]

كثيراً ما يتساءل الشبان اليوم : هل ازدحمت ميادين الحرف والأعمال بطلاب الرزق بحيث لم يبق مجال لغيرهم أو لا تزال الفرص سانحة كما كانت من قبل ؟ وهل الاختراعات والآلات الحديثة تغنى عن العمال والمتخصصين وتضيق أبواب الرزق أو هي لا تؤثر ولا توصد أبواب العمل في وجوه الشبان ؟

إن العلم والاختبار يؤكدان لنا أن الفرص ليست فقط سانحة كما كانت من قبل ، بل إن الذي ينتهزها يستطيع أن يتمتع بها ويبلغ النجاح على وجه أفضل مما كان يتاح له في أحسن أوقات الرخاء

وفي الواقع أن المشكلة العظمى التي يواجهها الشاب المتعلم اليوم ليست هل الفرصة سانحة أو غير سانحة بل : أين توجد تلك الفرصة ؟

والجواب عن هذا السؤال يجدر بنا أن نلقى عليه ضوء معرفة إجمالية لنعلم ما هي المهن والأعمال الآخذة نطاقها في الاتساع في الوقت الحاضر ، وما هي المهن والأعمال الآخذة في الانحطاط ، وما هو مدى التقدم في ذلك ومدى التقهقر في غيره ؟

هذه الأعمال والصناعات الأساسية التي لا غنى عنها لأية أمة كالزراعة والفلاحة والاشتغال بالمعادن والمعامل . فالبحث في تطور هذه الشؤون في خلال العشرين سنة الماضية يدلنا على أن التقدم فيها قد كان بطيئاً جداً وعلى غير ما كنا نتوقعه سابقاً . ونؤخذ من إحصاءات كثيرة أن مدى ذلك التقدم لم يزد على ستة في المائة مع أن الانتاج فيها زاد على ستة وثمانين في المائة

ولكن لننظر الى المهن الحرة : كالمحاماة والهندسة والطب وطب الأسنان وغيرها ، فما الذي نراه ؟

لقد زاد عدد أصحاب هذه المهن خمسين في المائة في الولايات المتحدة وخمسة وثلاثين في المائة في أوربا في مدة العشرين سنة الماضية مع أن عدد السكان في القارتين المذكورتين لم يزد بمثل تلك النسبة . ومعنى ذلك أن ميادين تلك المهن قد اكتظت بأصحابها فمجال الفرص فيها إذن ضيق ، وليس سبب هذا الضيق انتشار استعمال الآلات الميكانيكية التي تغنى عن الأيدي العاملة بل عدم التناسب بين زيادة عدد الذين يزاولون تلك المهن وعدد السكان

بقي هنالك ميدان آخر لا شك أن الفرصة سانحة فيه كل السنوح ، ونعني به ميدان التجارة ، نعم إن العلم قد استنبط ــ وسيظل يستنبط ــ آلات تغنى عن الأيدي العاملة وتحل محل العمال في انتاج السلع والمصنوعات ، ولكن توزيع هذه المصنوعات وترويجها بين الناس لا يمكن أن يتم بالآلات

خذ الولايات المتحدة مثلا . ففي العقدين الماضيين من السنين زاد عدد المستخدمين في الاعمال التجارية أكثر من خمسة ملايين شخص يقومون بالبيع والشراء وعرض السلع على الناس وهلم جرا . فالسلع قد تكثر بفضل الآلات ، ولكن بيعها (تصريفها) لا يمكن أن يتم بالآلات . وفي الواقع أن نسبة الزيادة في عدد العاملين في هذا الميدان قد وصلت الى ثلاثة وثمانين في المائة

ولشرح ذلك نقول : لنفرض أن صنع طن من ابر الخياطة يقتضي من الايدي العاملة أقل مما كان يقتضيه منذ مائة سنة مثلا — بفضل الآلات الحديثة التي تصنع تلك الابر — فان ضبط حساب هذه الابر وتوزيعها على التجار الباعة والمفاوضة بشأنها والسعي لترويجها — كل ذلك يحتاج الى عمال ومستخدمين ولا يمكن الاستعاضة عنهم بالآلات الميكانيكية . وبعبارة أخرى ان عدد العمال الذين يشتغلون بانتاج هذه السلعة قد نقص بسبب حلول الآلات الميكانيكية محلهم . ولكن عدد الذين يشتغلون ببيعها وترويجها قد زاد زيادة لا سبيل الى انكارها . وعليه فالفرصة في هذا الميدان سانحة

ومع ذلك فالذين يعرفون هذه الحقيقة وينتهزون الفرصة قليلون . يدلك على ذلك تجربة قام بها جماعة من علماء الاقتصاد بامريكا إذ وجهوا الى خمسمائة وثمانية من طلبة العلوم الجامعية بجامعة هارفرد هذا السؤال وهو : ماذا تنوي ان تعمل بعد حصولك على الشهادة الثانوية ، فكان جواب ستة في المائة منهم فقط أنهم سيشتغلون بالتجارة . وأجاب الباقون انهم سيدرسون الطب والهندسة والمحاماة وغيرها من المهن الحرة المحترمة

وما يصدق على الولايات المتحدة يصدق على أكثر بلاد العالم المتمدن . فالفرص التي توجد في الاعمال في ميدان المهن الحرة ولكنها سانحة في ميدان التجارة ثم ... في ميدان المهن الحرة أيضا بابها غير مطروق كثيراً وهو ما يعرفون عنه بالتخصص . فقد لا تكون الفرصة سانحة لمن يحاول مزاولة مهنة الطب بوجه عام . ولكنها سانحة بلا شك لمن يزاول ناحية معينة من هذه المهنة ويتفوق عليه فيها . وقد قال مدير احدى الشركات الهندسية الكبرى في امريكا : انه مع اشتداد الازمة في السنوات الاربع الاخيرة كانت شركته تبحث عن مهندسين اخصائيين فلا تجدهم ، وكانت الاعمال متوافرة لهم

وفي الواقع أن ميدان الهندسة قد يكون اليوم مزدحما بالمهندسين في العالم ، ولكن المهندسين الذين يحسنون نوعا خاصا من الاعمال ويتفوقون فيه هم قليلون جداً . ولا يخفى أن بين الهندسة والتجارة علاقة متينة . فالآلات والمعامل التي تنتج السلع تحتاج الى المهندسين كل الاحتياج . وكلما اتسع نطاق الانتاج زادت الفرص أمام المهندسين الذين يتولون الآلات والمصانع ويشرفون عليها . ثم ان الآلات التي تغني عن الايدي العاملة تحتاج الى أيد تصنعها وتصلحها . والاوتوموبيل الناقل الذي يغني عن الحمالين والعمال لابد له من أيد تصنعه والمعامل التي تصنعه لا بد لها من عمال . فنرى اذن ان الفرص اذا أفلتت من مكان سنحت في مكان آخر

اليانصيب فى الدول المختلفة

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة نيوأوتلوك
بقلم الاستاذ مارتن سومرز]

وصف أحد الكتاب الانجليز « اللوتريات » اليانصيب بقوله إنها ضريبة يدفعها الحمقى بلا تذمر . ولا يخفى أن فى العالم اليوم نحو ثلاثين دولة تبيح بيع أوراق « اليانصيب » وتأخذ حصتها من ثمنها. ولعل الشعب الفرنسى المحب للادخار أكثر شعوب الارض اقبالا على شراء تلك التذاكر

منذ عهد بعيد شعرت الحكومة الفرنسية بشدة حاجتها الى المال . فاقترح بعضهم انشاء « يانصيب » أهلى تأخذ منه الحكومة حصة كبيرة . واعترض بعض المحافظين على ذلك بحجة أن « اليانصيب » أسلوب عتيق لجمع الضرائب لجأ اليه الامبراطوران أوغسطوس ونيرون لموازنة الميزانية الرومانية ، فليس جديراً بالحكومة الفرنسية أن تلجأ الى مثل ذلك الاسلوب . ولكن أنصار اليانصيب فازوا ، وبلغت حصة الحكومة منه فى أواخر السنة الماضية نحو ثمانمائة مليون فرنك

وهنالك حكومات كثيرة غير فرنسا تبيح « اليانصيب » وتأخذ حصتها منه . فهنالك مثلا جمهورية باناما لها « يانصيب » تبلغ جوائزه عدة آلاف من الجنيهات وهو يسحب فى ليلة عيد الميلاد من كل سنة . وهنالك « يانصيب » السباق الارلندى ويبلغ متوسط ثمن ما يباع من تذاكره نحو سبعة ملايين من الجنيهات فى جميع أنحاء العالم لمساعدة المستشفيات الارلندية . والغريب فى أمر هذا « اليانصيب » أن السباق الذى هو مبنى عليه يجرى فى انجلترا ومع ذلك « فاليانصيب » محرم هناك

والحكومة المكسيكية أيضاً « يانصيب » سنوى يبلغ مجموع ثمن تذاكره نحو أربعة ملايين جنيه . والحكومة الاسبانية يانصيب سنوى يبلغ مجموع ثمن تذاكره نحو خمسة ملايين جنيه ويسحب فى ليلة عيد الميلاد . وقد كانت هذه « اللوترية » فى وقت من الاوقات أكبر « يانصيب » فى العالم

والحكومة كوبا « يانصيب » منظم تعنى به الحكومات المتعاقبة مهما تبدلت الاحزاب . والسنيور موسولينى يلجأ الى « اليانصيب » من وقت الى آخر لمواجهة النفقات التى تتطلبها الاعمال الوطنية . ومنذ عهد قريب انشأ هتلر « يانصيباً » لمساعدة العمال العاطلين . والحكومة اسوج « يانصيب » أهلى يلقى من الامة إقبالا عظيما وتأخذ منه الحكومة حصة كبيرة لمساعدة الجماعات التى تعنى بالآداب والفنون والموسيقى

ولعل روسيا السوفياتية هى البلاد الوحيدة التى لا يلقى فيها « اليانصيب » الاهلى أى اقبال . وسبب ذلك أن هذا « اليانصيب » متصل بسندات الحكومة فكل من اشترى سنداً (ويكاد شراء هذه السندات يكون اجبارياً) يعطى تذكرة « يانصيب » . وفى الواقع أن من امتنع عن شراء السند

عرضة لفقدان البطاقة التي يأخذ وجرايته من الحكومة بموجبها . وعند السحب تعلن الصحف وادارات الاخبار والاذاعات بيان النمر الرابحة . ولكن قلما يتقدم الرابحون لاخذ الجوائز إذ لا يرون أى نفع من ذلك مادامت الحكومة تتشدد فى انتزاع الربح منهم ، إما ببيعها لهم سندات الخزانة التى لاقيمة لها فى نظرهم أو بفرض الضرائب الجائرة عليهم

« واليانصيب » محرم فى كل من انجلترا وأميركا واليابان تحريماً باتاً . والشعب الياباني أقبل الشعوب ميلا الى كل ما تشتم منه رائحة القمار . وقد اتفق منذ مدة أن جرى سباق للخيل فى اليابان فكثر عدد المراهنين على الجياد . وحدث ما أثار الشك فى نفوس المراهنين فهجموا على راكبي الجياد « الجوكي » وقطعوهم اربأ اربأ وقتلوا الجياد التى وصلت اليها أيديهم . ومنذ ذلك اليوم أصدرت حكومة الميكادو أمراً بمنع جميع أنواع القمار والمراهنات لانها لا تتفق وطبع الشعب الياباني

أما انجلترا فقد كان اليانصيب فيها مباحا حتى سنة ١٨٢٦ حين صدر قانون بتحريمه فى عهد الملك جورج الرابع . ومع ذلك لا يزال الشعب الانجليزى أكثر الشعوب اقبالاً على شراء تذاكر سباق الخيل فى العالم وهو ينفق نحو أربعين مليون جنيه على شراء تلك التذاكر وكلها أجنبية . ومما يروى من هذا القبيل أن الدوق أوف أثول ، وهو من أكبر سراة الانجليز الاغنياء ، أصدر مرة تذاكر يانصيب « اليانصيب » ثمن كل تذكرة منها عشرة شلنات وعليها هذه العبارة : « إن الدوق أوف أثول سيتصرف بالاموال التى يجمعها كما يحسن فى نظره غير متقيد برأى أحد » . وتمكن الدوق من بيع ٣٣٧ الف تذكرة جمع ١٦٨٥٠٠ جنيه فاعطى من هذا المبلغ نحو ستين الف جنيه للمستشفيات والجمعيات فى نوعات المحسنين ، ووزع الباقى كله على ٧٤٨ من الاشخاص الذين اشتروا التذاكر من دون أى شرح أو تفصيل ، وكان عمله يستحق كل مدح وثناء الا أن اسكتلند يارد (ادارة الشحنة السرية) أقامت الدعوى عليه بحجة أنه خالف قانون «اليانصيب» فدافع الدوق عن نفسه بقوله إن عمله لم يكن « يانصيبا » لانه لم يعد أحداً بأية جائزة . ومع ذلك حكمت عليه المحكمة بغرامة خمسة وعشرين جنيها فدفعها وهو يقول إنه سيعود الى مثل ذلك

وقد انشأت الحكومة الاميركية سنة ١٧٧٦ « يانصيبا » أهليا بلغ مجموع جوائزه خمسة ملايين دولار ، وكان جورج واشنطون أول من اشترى تذكرة من ذلك « اليانصيب » . وفى اميركا عدة مدارس جامعة قامت على الاموال المجموعة من بيع تذاكر « اليانصيب » وفى سنة ١٨٩٣ وقع مايدعو الى الريبة فى تصرفات بعض القائمين « بيانصيب » كبير معروف فى أميركا فاصدر مجلس الكونجرس قانونا حرم به « اليانصيب » بحجة أنه يعود الشعب الاعتماد على الحظ وهذه هى روح القمار بعينها . ومع ذلك لايزال الشعب الاميركى — بعد الشعب الانجليزى — أكثر الشعوب اقبالا على شراء أوراق « اليانصيب » الاجنبي

مصير الجنس الابيض فى آسيا

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة سكريبنر
بقلم الاستاذ ولز هتشكسون]

لا شك أن من أهم المسائل التى تشغل اليوم بال المفكرين من رجال السياسة مسألة احتمال وقوع حرب بين روسيا واليابان تجر اليها الولايات المتحدة . والعارفون بالشؤون الدولية يعلمون ان حرباً كهذه محتملة الوقوع وانها اذا وقعت فالارجح أن تقف فيها الولايات المتحدة بجانب الروس ، لا عطفاً منها على هؤلاء ، بل علماً منها بأن حرباً كهذه ستكون صراعاً بين الحضارة البيضاء والحضارة الصفراء . على انك لو سألت أى أميركى ماذا يفضل الانضمام الى جانب الروس فى حرب كهذه ؟ أجابك جواباً مبهماً إما لانه لا يعرف السبب الحقيقى أو لانه لا يريد أن يعبر عن أفكاره بالصراحة

لقد قضى الجنس الابيض أكثر من مائة عام وهو يحاول نشر سلطانه على آسيا وشعوبها . ولن تدعو الحاجة الى مثل ذلك الوقت لهدم ما بناه والقضاء على سلطانه . وفى الواقع أن الشعوب البيضاء هى اليوم على أهبة الرحيل من آسيا وان يكن الكثيرون يجهلون ذلك

ان اليابان تعتبر نفسها اليوم زعيمة النهضة التى تشعر بها الشعوب الآسيوية وهى مغتاظة من الصين لانها بطيئة السير ولانها لا تريد الانضمام اليها لتعيد مجدها على أن الصين قلقة أشد القلق لانها ترى اليابان باسطة سلطانها على منشوريا وفى نيتها بسط نفوذها على وادى نهر اليانغتسى أيضاً وعن احتلال بعض المواني اذا دعت الحاجة الى ذلك . واليابانيون لا يدركون لماذا لا ينضم اليهم الصينيون اذا كان لابد من اخراج الروس والانكليز والفرنسيين من جميع البلدان الآسيوية التى قد بسطوا عليها نفوذهم كمنغوليا ووادى اليانغتسى ويونان والهند الصينية والهند وغيرها . ان الصين نفسها غير قادرة على طرد الجنس الابيض من تلك البلاد ، فلماذا لا تؤيد اليابان فى تنفيذ تلك السياسة وهى تعلم أن اليابان زعيمة الشعوب الصفراء . ولماذا لا يستطيع الصينيون أن يدركوا انه خير للصين أن تطلق يد اليابان فى الشرق ، بل فى بلاد الصين نفسها لاحلال النظام محل الفوضى ، من أن تعرقل عمل اليابان فى كل مكان

وفى الوقت الذى يعتقد فيه رجال السياسة من اليابانيين ان فى وسع بلادهم أن تنهض بأعباء الزعامة للامم الشرقية الصفراء ، يعتقد رجال الاعمال منهم أن فى وسع التجارة اليابانية أن تقضى على تجارة الغرب قضاء مبرماً . فتضمن الشرقيين بذلك استقلالهم الاقتصادى التام

ولا يخفى أن الازمة الاقتصادية التى عمت العالم فى خلال السنوات الاربع الاخيرة أضرت بتجارة جميع الامم ماعدا تجارة اليابان فقد زادت صادراتها فى خلال تلك السنوات واحداً وخمسين

فى المائة . ولما رأت بريطانيا العظمى أن اليابان تحاول غمر الأسواق العالمية بضائعها ومصنوعاتها حاولت أن توصد فى وجهها أبواب المستعمرات البريطانية ، ولاسيما بلاد الهند وان تقيم دونها أسواراً منيعة من المكوس (أى الضرائب الجمركية) . ولكن اليابان تهددت انجلترا بانها ستمتنع فى المستقبل عن شراء القطن الهندى . فسقط فى يد زراع القطن من الهنود وأخذوا يلحون على حكومة الهند بان تحاسن اليابان وتعقد معها شبه هدنة . فلم يسع هذه الحكومة الا الانقياد . فانقادت مكرهة وهى تعلم أن قضيتها خاسرة . وبريطانيا العظمى — وجميع دول الغرب — تعلل نفسها بان الخطة التى تسير عليها اليابان لغمر تجارتها فى العالم لا بد أن تعود عليها فى النهاية بالخراب

منذ مدة وجيزة ظهر فى أوربا وأميركا كتاب بعنوان « مشكلة الرجل الابيض » لكاتب يسمى « نثانيل بفيفير » وقد بسط رأيه فى مستقبل الحضارة الغربية . وخلاصته ان الرجل الابيض اما أن يحكم المستعمرات الخاضعة له بيد من حديد أو أن يتركها ويخرج منها . وهذا الرأى وان يكن فيه شىء من الشدة إلا أنه صحيح فى أساسه وهو يحل للشكلة التى تواجه الرجل الابيض الذى يحاول بسط سيادته على الشعوب الصفراء . وهذه المشكلة هى هى فى الهند والهند الصينية والهند الهولندية الشرقية والفيلبين والمستعمرات الأوربية فى الشرق الادنى وفى أفريقيا بل فى كل مكان . ولذلك تجد المحافظين الانجليز من الأعضاء يلحون على حكومتهم بالسير على السياسة التى جرى عليها اللورد كرزون فى الهند وهم يرون ان كل تساهل تبديه حكومتهم للهنود وغيرهم من الوطنيين يشجع هؤلاء على طلب المزيد . وهى حقيقة لا سبيل الى انكارها ومع ذلك فان المعتدلين يرفضون العمل بمشورة المحافظين المتشددين لانهم يعرفون أن سياسة حكم بلاد واسعة الارجاء كالهند بحسب تلك الخطة ليست مما تستطيع تحمله اليوم أية حكومة فى العالم . ولذلك تجد انجلترا نفسها مضطرة الى مواصلة السير على سياستها الحاضرة « منح الهنود منحة » واحدة « بعد أخرى » . وهى راجية أن منحتها الاخيرة ستكون آخر المنح ، وهى فى الواقع ليست كذلك

أفليس مغزى ذلك كله واضحاً وهو ان سلطان الرجل الابيض على آسيا قد بدأ يتقلص ، وانه ليس للشعوب البيضاء فى القارة المذكورة الا أن تبحث لها منذ الآن عن منفذ تخرج منه محتفظة بكرامتها ؟ فليس هنالك أى نفع من الاستمرار على مواجهة الاخطار بقصد الدفاع عن سياسة الباب المفتوح فى الصين او فى غيرها من بلاد الشرق فلا قيمة لذلك الباب تستحق اية تضحية

ترى هل يمكن أن يؤدى الاستمرار على السياسة الحالية الى سلام مستقر ؟ ما من رجل عاقل يستطيع أن يجيب بالايجاب . ولن يستقر السلام فى العالم اذا أصر الرجل الابيض على الاحتفاظ بسلطانه على الشعوب الاسيوية الى ماشاء الله . نعم ان السياسة فى الشرق مضطربة كل الاضطراب وقد تظل كذلك نصف قرن آخر أو أكثر . ولكن اصرار الرجل الابيض على مواصلة خطته لا يمكن أن يؤدى الا إلى خسارة مؤكدة

أشد الحيوانات ذكاء

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نيويورك
تايمز ، بقلم الاستاذ جورج جراي]

يزعم الدكتور بلاير مدير حدائق الحيوانات بمدينة نيويورك أن للحيوانات بوجه الاجمال ملكة التفكير وأن لأكثرها حواس أدق من حواس الانسان . فالنحلة مثلا دقيقة حاسة الابصار حتى انها ترى الاشعة التي وراء البنفسجية مع ان الانسان لايستطيع رؤيتها. والكلب دقيق حاسة الشم حتى انه يشم رائحة صاحبه من مسافات بعيدة . والحية دقيقة حاسة الذوق حتى انها لتقذف بلسانها خارج فيها عندما ترى فريستها وتحس حقيقة بطعم تلك الفريسة

هذه أمثلة تدل على دقة حواس الحيوان . على ان الحيوان يشعر فضلا عن ذلك بالغضب والحسد والعطف والحنان وبغير هذه من العواطف التي يشعر بها الانسان . وليس معقولا ان تتصف الحيوانات بهذه الصفات وتكون مجردة في الوقت ذاته من صفة التفكير

ويزعم الدكتور بلاير أن الحيوانات العشرة التي هي أشد ذكاء من غيرها هي الآتية :

(١) الشمبانزي (٢) الاورانج أوتنج (٣) الفيل (٤) الغوريلا (٥) الكلب (٦) كلب الماء (٧) الحصان (٨) أسد البحر (٩) الدب (١٠) القط

ويدل الاختبار على انه لو اتيح للشمبانزي أن يأنس بصحبة الانسان كما قد أنس بها الكلب ألوف الاحقاب لظهر ذكاء الشمبانزي ظهوراً واضحاً وثبت تفوقه على جميع الحيوانات . نعم ان الكلب أسهل الحيوانات ترويضاً ولكن الشمبانزي أشد ذكاء منه ومن جميع الحيوانات . ومن أدلة ذلك ان انثى من اناث الشمبانزي تدعى « ديلي » كانت قد تعلمت الجلوس الى المائدة مع صاحبها واستعمال الشوكة والسكين وسائر أدوات المائدة كما يستعملها الانسان تماماً

ومما يروى عن ذكاء هذه الشمبانزي انهم علقوا لها مرة موزاً متدلياً من السقف ، واذ عجزت عن الوصول اليه جاءت بصندوق خشبي ووضعت فوقه كرسيا ثم اعتلت الكرسي حتى وصلت الى الموز

ويلي الشمبانزي في الذكاء الاورانج أوتانج . ويعتقد البعض ان الغوريلا أذكى منه ولكن نظراً الى نفورها من صحبة الانسان وكرهها الوقوع في الأسر لانعلم من أمرها الا قليلا . ويدل الاختبار على انها اذا وقعت في أسر الانسان لا تعمر طويلا

ويجيء الفيل بعد ذلك فهو من أذكى الحيوانات وأشدها مهارة . ويسميه البعض « فيلسوف المملكة الحيوانية » . وهو يختلف عن جميع الحيوانات بسهولة انقياده لمروضه وسرعة تعلمه

ففى حديقة حيوانات نيويورك مثلا عندما تدخل الفيلة رواتبها لتنام توصد الباب إذا كان الجو بارداً وتتركه مفتوحاً إذا كان حاراً . ومما يحكى عن أحدها وهو فيل هندى أن حارسه وضع أمامه ذات يوم حزمة من الفول السودانى (والفيل مغرم به) وكان الفول بعيداً عنه لا يستطيع الوصول اليه ، فما كان منه الا أن مد خرطومه ودفع نفخة قوية على الحائط . فانعكست عن الحائط موجة هواء دفعت الفول نحو الفيل فالتهمه بسرعة عظيمة

أما ذكاء الكلب فلا حاجة الى اقامة الدليل عليه ويليه الحصان وهو من أذكى الحيوانات . وقد اشتهر فى المانيا منذ عهد قريب جواد يدعى « هانس أبريد » كان يحسب ويحل « المسائل » الحسابية ويدل على الارقام بضرب الارض بحوافره . فاذا كان الرقم آحاداً ضرب الارض بحافر مقدمته اليمنى . واذا كان عشرات ضرب الارض بحافر المقدمة اليسرى . وقد فحص جمهور من العلماء هذا الحصان فرأوا أن صاحبه كان يومىء اليه باشارات خفية لكى يضرب بحافره . ومع انكشاف هذه الحيلة حكم العلماء بذكاء ذلك الحصان لانه كان يفهم اشارات صاحبه

أما كلب الماء — القندس — فالدلائل على ذكائه متواترة . وفى بعض الكتب ان الصيادين يقصدون هذا الحيوان وينزعون خصاه ، فاذا قصدوه ثانية وخاف أن يدركوه رفع رجله لكى يروا انه منزوع الخصى فيرجعوا عنه

وللحيوان المعروف بأسد البحر أيضاً ذكاء عظيم وهو فى البحر كالفيل فى البر سلس الانقياد سريع التعلم . ويليه الدب . والمعروف عنه انه يحب الظهور أمام الناس ويقوم بالالعاب والحيل التى تطلب منه ولا يرفض اطاعة أمر مروضه . وعندما يسمع تصفيق الناس له يطرب وينظر حواليه كأنه يخامره شىء من الغرور . ومن عادة الدب القطبى أن يبحث عن طعامه فى الماء فاذا تساقط الفتات فى الماء ولم يستطع الوصول اليه عمد الى عود يحرك به الماء ليحدث فيه أمواجاً وهذه الامواج ترفع الفتات الى السطح فيلتقطه الدب ويأكله . ويروى عن دب من دببة فالاسكا انه كان اذا أعطى خبزاً يابساً قصد الى غدير الماء وتقع فيه الخبز ليسهل عليه مضغه . واذا كان الخبز طرياً لم يحتج الى بله

أما زعم البعض ان الود الذى تظهره بعض الحيوانات نحو الانسان دليل على الذكاء فغلط شائع . ولعل الاصح ان الحيوان الذى يبدى الغضب والحقد والاستياء أشد ذكاء من الحيوان الذى لا يفعل ذلك . وتعليل هذا ان الحيوان انما يغضب ويحقد لعلمه بان حقوقه قد ديست وبان غيره — انساناً كان أو حيواناً — قد اعتدى عليه . وهذا دليل قاطع على ذكاء الحيوان

أما عاشر الحيوانات الذكية فى نظر الكاتب فهو القط . وقصص القطط الدالة على الذكاء أكثر من أن يتناولها العد

حينما تمطر السماء ذهباً

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «ريكراك» بقلم الاستاذ روجيه سيمون]

إذا جال الانسان في السهول الواسعة الممتدة في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة يرى في بقعة منها حفرة غائرة في الارض إلى عمق نحو ١٧٠ متراً ومحيطها نحو ١٠٠٠ متر. وكان العلماء حتى عهد قريب يذهبون في تعليلها مذاهب شتى، فزعم بعضهم أنها أثر فوهة بركانية وزعم غيرهم أنها شيء آخر. ولكن المباحث العلمية لم تكن تسلم بصحة شيء من تلك الفروض. واتفق أن فريقاً من علماء الجيولوجيا أعادوا فحص الحفرة فوجدوا أنها ليست غائرة عمودياً في الارض بل عن جانب كأن جسماً كروياً سقط على الارض مائلاً، فبدلاً من أن يغوص في قشرة الارض عمودياً كأنه متجه نحو المركز، غاص مائلاً عن ذلك المركز.

ورأى العلماء في هذا الوضع، وفي خلو تلك الجهات من أي أثر للحمم البركانية، أن افتراض كون الحفرة فوهة بركانية هو افتراض ضعيف لا يؤيده أي دليل. فلم يبق إلا افتراض أن الحفرة هي أثر نيزك هائل الحجم سقط في ذلك المكان وغار في الارض.

ومما يؤيد هذه النظرية أسطورة قديمة شائعة بين هنود قبيلة [illegible] المقيمين بتلك الجهات وقد تناقلوها أباً عن جد منذ أقدم الازمنة، وخلاصتها أن إله النار ألقى على ذلك المكان منذ عدة الوف من السنين قذيفة نارية من السماء، فصار الليل نهاراً وملأ الفضاء بدوي هائل سمعه الناس في جميع الانحاء، وغارت القذيفة في الارض وانبعث منها هواء ساخن أحرق النباتات والاشجار على مدى مسافات شاسعة.

وما اطلع علماء الجيولوجيا على هذه الاسطورة حتى رسخت في ذهنهم النظرية التي تقدمت الاشارة إليها أي أن الحفرة التي نحن بصددها هي أثر نيزك سقط على الارض وغار فيها. وبناء عليه عزم العلماء على تحقيق تلك النظرية. فأخذوا يبحثون عن آثار ذلك النيزك في الجهات المجاورة وتحت سطح الارض. وفي الواقع أنهم عثروا على شظايا النيزك في أنحاء متفرقة في أرض تبلغ مساحتها أكثر من ثلثمائة كيلو متر مربع حول الحفرة. وكان بعض تلك الشظايا صغير الحجم والبعض الآخر كبيره يزن بضع مئات من الكيلوجرامات. ومنذ ذلك اليوم لم يبق عند العلماء شك في صحة النظرية التي ذهبوا إليها في تعليل الحفرة فسموها «حفرة النيزك» Cratère du Météore. إلا أنهم أرادوا ألا يتركوا أي مجال للشك، فرأوا أن يحفروا هنالك لعلهم يعثرون على النيزك مطموراً في جوف الارض. ولم يكن العثور عليه مهماً من الوجه العلمي فقط بل من الوجه الاقتصادي أيضاً

فقد قدر العلماء حجم النيزك بنحو عشرة مليارات من الكيلوجرامات من الحديد والنيكل والكوبلت والنحاس والبلاتين والاريديوم . وقيمة كنز عظيم كهذا لايمكن أن تخفى على أحد

وعليه شرع العلماء في سبر الارض هنالك . وكانت نتيجة المباحث الاولى تلقى اليأس في قلوبهم . وسبب ذلك أنهم حفروا الارض « عمودياً » بدلا من أن يحفروها وراباً (حفراً « موروباً ») لان النيزك سقط مائلا لاعمودياً . فعادوا وحفروا في اتجاه سقوط النيزك ، وماكان أشد فرحهم إذ عثروا عليه في هذه المرة مطموراً في عمق نحو ثلثمائة متر !

فأيدت نتيجة هذه المباحث نظرية أولئك العلماء تأييداً تاماً واستقر الرأى منذ عهد قريب على استغلال ذلك النيزك لأخذ ما فيه من المعادن النافعة . ويقدرون الوقت اللازم لذلك بنحو عشر سنوات . واليك كمية المعادن التي يتوقعون استخراجها :

تسعة مليارات كيلوجرام من الحديد

ستمائة مليون « « « النيكل

مائتا مليون « « « البلاتين والنحاس والكوبلت والاريديوم

فاذا لم يكن هنالك غلو في هذا التقدير — وليس ثمة ما يحملنا على الارتياب في صحته — كان هذا النيزك كنزاً سماوياً حقيقياً لا يستطاع تقدير ثمنه

* * *

وعلى ذكر هذا البحث نقول ان الشهب والرجم والنيازك تكاد تكون شيئاً واحداً . فالشهب ترى في الليل كأنها كواكب تنقض من ناحية في السماء وتختفي في ناحية أخرى . والنيازك شهب كبيرة تنقض من الجو وتنفجر ويسمع لانفجارها دوى شديد ثم تختفي . وكثيراً ما تستعمل النيازك بمعنى الرجم أيضاً (كنيزك آريزونا الذى تقدمت الاشارة اليه) وهي شهب تصل الى الارض كأنها حجارة معدنية . وقد عرف الناس الشهب والرجم والنيازك جميعاً منذ أقدم الازمنة . وفي أساطير قدماء الصينيين واليونان والرومان اشارات متعددة اليها . وقد أثبت العلم الصحيح منشأها . وفي العالم اليوم ألوف من النماذج منها محفوظة في المتاحف الجيولوجية المختلفة — بعضها كبير الحجم يزن بضعة ألوف من الكيلوجرامات . وهي في الحقيقة شظايا أجرام فلكية تساقطت في الفضاء فلما دنت من منطقة جاذبية الارض جذبتها هذه نحوها فاحتكت بهوائها فانصهرت

واذا فحصنا النماذج الموجودة في متاحف العالم المختلفة وجدنا تركيبها يختلف اختلافا كبيراً ويمكن قسمتها نوعين : أولهما المعادن المصهورة المكتنفة بمواد ترابية . وثانيهما المواد الترابية المكتنفة بمعادن مصهورة . وأهم المعادن الموجودة في كلا النوعين الحديد والكوبلت والنيكل والفضة والمغنزيوم والسليسيوم والزنك والنحاس وغير هذه من المعادن المعروفة . ووجودها في الشهب والرجم والنيازك دليل على تماثل عناصر المادة في جميع الاجرام الفلكية

السموم التي نتعاطاها

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ريدرز دايجست . بقلم الدكتور مونتاج الامريكي]

ما أكثر العقاقير التي يعلن عنها أصحابها ويعزون اليها الخواص المدهشة ! فمن أقراص تشفي الصداع إلى حبوب تعالج الآلام الى أدوية تزيل الامساك إلى غير ذلك من العقاقير ذات التأثير العجيب

ولعل أكثر العقاقير المعلن عنها هي لمداواة الامساك . والناس يتعاطونها من دون ان يبحثوا عن حقيقتها ليعلموا ماسبب تأثيرها ولماذا هي مسهلة

وفي الواقع أن العقاقير المسهلة انما تقوم بوظيفة الاسهال لان الامعاء لاتقبلها فتحاول طردها إلى الخارج . ولا يخفى ان بعض تلك العقاقير هي ذات تأثير لطيف ولكن البعض الآخر قوي التأثير يحدث تهيجاً شديداً في الامعاء ويفعل فيها فعل السموم . بل هي سموم بالمعنى الحقيقي . وغريب جداً أن يعمد العاقل الى السم ليبتلعه مختاراً

خذ العقار المعروف باسم فينولفثالين (Phenolphthalein) وهو مسهل كثير الاستعمال وقلما يعرف الذين يستعملونه انه سم حقيقي . وهم يتعاطونه بشكل مئات من المستحضرات لان أصحاب مصانع العقاقير قد أدركوا فائدته . منذ زمان طويل وعرفوا ان الجمهور لا بد أن يفضله على غيره إذ لا لون له ولا رائحة ويكاد يكون لا طعم له أيضاً وذرة صغيرة منه تكفي لاحداث التأثير المطلوب . وعليه من الممكن اخفاء تلك الذرة في قطعة من الحلوى ، أو الشكولاتة أو ما أشبه . ولا شك أن الفينولفثالين إذا أخذ بكميات صغيرة وفي فترات متباعدة لا يحدث ضرراً . ومع ذلك فان أجسام الناس ليست متعادلة في قوة احتمالها لتأثير العقاقير . وقد وقعت عدة حوادث وفاة نشأت عن استعمال هذا العقار

ومما يجدر بالذكر أن طائفة كبيرة من العقاقير التي توجد لازالة السمانة تحتوي على كميات متفاوتة من الديونتروفينول ، وكثيراً ما تنجم عن استعمالها حوادث تسمم تدعو إلى أشد الاسف . وقد ذكر أحد الاطباء أن سيدة استعملت بعض تلك العقاقير لازالة سمانتها . فنحف جسمها ولكنها اصيبت باسهال مستعص والتهاب كلوي حاد

ومما يدعو الى الاسف أيضاً أن كثيراً من العقاقير التي توجد لمثل هذه الغاية أو ما يماثلها تكون في صورة اقراص أو حبوب جذابة المنظر تستهوي الاطفال فيأخذونها وهم يحسبونها ضرباً من الشكولاتة أو ما اليها ، ونظراً إلى كون طعمها لذيذاً أو مقبولا يستمرون في أكلها إلى أن يقع المحذور ويموت الولد

وعلى الحكومات واجب عظيم وهو مراقبة العقاقير المعلن عنها والتي تباع في السوق مراقبة دقيقة ولا سيما ما كان خاصاً منها بمعالجة الاطفال والاولاد الصغار فان معد هؤلاء الصغار غضة لا تحتمل التأثير الشديد الذي قد تحتمله معد الاشخاص الكبار أو البالغين . أضف إلى ذلك أن العقاقير المسهلة التي تعطى للاولاد بشكل « ملبس » أو أقراص شكولاتة لاغرائهم بقبولها تنشيء فيهم عادة واضحة وهي الافراط في تناول المسهل وخطرها عظيم جداً لان الذي يعتادها لا يستطيع الاستغناء عنها في المستقبل والا أصيب بالامساك

وكثيراً ما يقصد إلى الطبيب أشخاص مصابون بامراض جلدية وكلوية وغيرها . والطبيب الماهر يستطيع عزو أكثر تلك الامراض إلى الافراط في استعمال الادوية المسهلة . والاطباء الاخصائيون يؤكدون أن ثمانين في المائة من الاشخاص المصابين في معدهم أو أمعائهم هم الملومون فيما يعانونه لانهم أهملوا استشارة الاطباء الاخصائيين وتولوا معالجة أنفسهم بأنفسهم مقتصرين على تعاطي العقاقير المسهلة . ولا شك أن كثيراً من حوادث التهاب القولون والزائدة الدودية تنشأ عن تعاطي عقاقير لم يصفها الحكيم بل وصفها اشخاص يدعون أنهم جربوها

ورب سائل يقول : إذا كانت تلك العقاقير سموماً فلماذا لا تقتل من يتعاطاها كما تفعل السموم عادة ؟ والجواب عن هذا أنها تقتل بلا شك ولكن الفرق بينها وبين السموم الاعتيادية أن تأثير هذه يظهر في الحال ، وتأثير تلك يظهر بمرور الزمن . ولقد يصاب امرؤ بعلة يحار في منشئها ويسأل نفسه من أين جاءت . ولو شحذ ذاكرته لتذكر أنه تعاطى ذات يوم عقاقير لم يصفها له الطبيب الاخصائي بل وصفها صديق ادعى بأنه جربها

ان انتظام وظيفة الامعاء أمر لا غنى عنه من يروم أن يعيش عيشة صحية . وهذا الانتظام يمكن ضمانه بتعويد الامعاء القيام بوظيفتها في مواعيد معينة . وإذا أصر المرء على تحديد تلك المواعيد فلا بد أن تتعادها الامعاء مهما وجدت صعوبة في أول الامر . ولا شك أن الاكثار من الفواكه والبقول يساعد على تعويد الامعاء تلك العادة . وإذا لم يكن بد من الاستعانة بالعقاقير بعد ذلك كله فيؤخذ قليل من زيت البرافين المصفى فان استعماله خال من الخطر

ومن الناس من يوصي باستعمال النخالة لتنظيم حركة الامعاء ولكن استعمالها ليس من الحكمة في شيء لان النخالة تحدث تهيجاً في غشاء الامعاء الداخلي . وهنالك عدة مواد تفضلها وتفوقها والاطباء الاخصائيون يستطيعون أن يصفوها من دون خشية أي ضرر

إن من عادة العطار أن يصف بعض العقاقير في بعض حالات المرض ويدعي أن الاختبار قد أثبت فائدتها . وهو يقول لك : « إذا لم ينفعك هذا الدواء فهو على الاقل لا يضرك » ولكن ما أكثر الذين يذهبون ضحايا جهل العطار !

اذا اردت أن تعرف الانجليز

[خلاصة مقالة من كتاب جنرال « عالم خاص » . للاستاذ أندريه موروا]

اذا كنت مزمعاً السفر الى انجلترا فاعلم أنك ذاهب الى بلاد بعيدة عنك ، لا بما يفصل بينك وبينها من المراسح والاميال ، بل بما يفصل بينك وبين أهلها من العادات والافكار . ومتى وصلت اليها وجدت نفسك فى بيئة غريبة عنك . ولا يمضى على اقامتك قليل من الزمن حتى تقول فى نفسك : « انى لن أفهم هؤلاء الناس ولن يفهمونى » . ولكن لا تيأس ، بل اعلم أنك اذا وقعت من نفس الانجليزى موقع الارتياح اتخذك صديقاً له مدى العمر وقد يبذل نفسه فدى عنك . وقد عرف عن الكولونيل لورنس المشهور أنه بعد أن اجتاز صحراء العرب فى زمن الحرب الماضية ولم يجد صديقاً كان يرافقه من العرب عاد يبحث عنه فى تلك الصحراء المحفوفة بالاخطار . وهذا مثل من أمثلة إخلاص الانجليز للاصدقاء

واعلم أن هنالك بضع قواعد ومبادىء إذا راعيتها فى بلادهم ضمنت لنفسك الراحة وتوثقت بينك وبينهم الصلات

إلبس كما يلبسون وتوخ فيما تلبسه البساطة مع حسن الذوق فذلك من مبادئهم الراسخة . ولا تفرط فى التأنق والهندام فهم يكرهون ذلك ويحسبونه نبواً عن الذوق . ولا تكثر أمامهم من الكلام فان السكوت عندهم فضيلة لا يعاب عليها أحد . واذا لزمت الصمت بينهم قالوا : لله دره ما أسمى أدبه !

واجعل التواضع نصب عينيك فللمتواضع عندهم منزلة سامية . فقد يحدثك أحدهم عن محل سكنه ويوهمك أنه مسكن عادى . فاذا زرته بعد زمن وجدته قصراً يحتوى على ثلاثمائة غرفة مستكملة جميع وسائل الراحة . ومع ذلك يصفه صاحبه بأنه مسكن عادى ! . . .

وقد يكون أحدهم من أبطال لعبة التنس أو الجولف . فاذا سألته : هل تحسن تلك اللعبة ؟ قال لك بكل تواضع انه « يلعبها بمقدار » . وقد يجتاز أحدهم الاتلانتيك عشرين مرة ويجوب معظم أنحاء العالم ومع ذلك اذا سألته : هل ركبت البحر أو سافرت ؟ قال لك « قد فعلت بعض ذلك » . وغرضه من ذلك أن تقف بنفسك فيما بعد على مقدار جهده فتقدره حق قدره

واذا عوملت معاملة سيئة أو بلا انصاف فهاجم خصمك بكل قوة . انهم يكبرون فى الرجل قدرته على الدفاع عن نفسه ويحترمون ذلك فيه كل الاحترام

ومن مبادئهم ألا تكثر من السؤال ولا تكون فضولياً محباً للاطلاع على أسرار غيرك . فقد

عشت مرة ستة أشهر مع صديق لى فى غرفة واحدة وكنا على أتم ما يمكن من المودة والصفاء ، ومع ذلك لم يسألنى قط هل أنا عزب أم متزوج وما هى مهنتى وأين يقيم أهلى . واذا رغبت من نفسك فى اطلاع الانجليزى على أسرارك ، فقد يصغى اليك بكل تأدب ، ولكنه لا يعنى بموضوع حديثك . والانجليز أبعد الناس عن القال والقيل والتعرض لشؤون الغير

ولا تتوهم أن ما أنت عليه من علم وذكاء وفلسفة يرفعك فى أعين القوم . فالعامل الوحيد الذى له قيمة فى نظرهم هو الاخلاق . وليس فى العالم كله بلاد تحترم الاخلاق أكثر من احترامها للعلوم غير انجلترا . وفى الواقع أن الانجليز المثقفين أقل من غيرهم فى العالم ، ولكن ثقافة هؤلاء فوق كل مستوى ، والآداب الانجليزية من اسمى الآداب . واذا أردت اقناع الانجليزى بصحة ما تقوله فابعد ما استطعت عن المنطق ، فليس للمبادىء المنطقية عندهم أية قيمة اذا كان الواقع والاختبار يؤيدانهم . وكثيراً ما يرتابون فى الذين يحبون الجدل والمناقشة ، لاعتقادهم أن الحجة الصحيحة لا تحتاج الى المماحكات المنطقية والى السفسطة فى الكلام . لذلك يجدر بك اذا دخلت فى جدل مع أحدهم أن تطلق المنطق مؤقتاً لان الاختبار عندهم اصدق وأدعى الى الثقة

ومن عاداتهم ان الافراط فى تحمس لا يؤدى الى نتيجة مجدية فلا تفرط فى إظهار الغيرة ولا تكلف النشاط . ولا تبادر الى القيام بأى عمل مالم يطلب منك . وليس معنى ذلك ان الانجليز ميالون بطبعهم الى الكسل ، بل هم يرون فيمن يتكلف الغيرة على عمل ليس من شأنه فضولا لا مسوغ له

وانظر الى مشية الانجليزى الاعتيادية ، فهو يخطو خطوات ثابتة لا هى بطيئة ولا سريعة . كذلك سيرهم فى العالم وفى وسط اعاصير الحياة . انهم سيرون سيراً ثابتاً نحو غاياتهم لا يعوقهم عائق ولا تؤخرهم عثرة . ولكنهم لا يريدون الاعتداء على حقوق غيرهم ولا هم يريدون استعجال ذلك المصير . ومن مبادئهم المأثورة قولهم : « لا تحاول عملا لم يطلب منك ولا ترفض عملا دعيت اليه »

وإياك وارتكاب جريمة فى انجلترا . لقد ترتكب جريمة القتل فى فرنسا فتقف أمام منصة القضاء وأمام جماعة المحلفين . فان كان محاميك مدرباً مفوهاً قديراً على التلاعب بعواطف الجمهور فقد يستطيع انقاذ عنقك من المقصلة . اما فى انجلترا فان أولئك الاثنى عشر محلفا قد يصغون الى محاميك وهو يدافع عنك بكل بلاغة وفصاحة وبعد الفراغ من سماع دفاعه البليغ يصدرون عليك حكمهم بكل تؤدة وهدوء فاذا هو يسلمك الى حبل المشنقة واذا ذلك الدفاع كأنه لم يكن . نعم انهم برءوا منذ بضع سنوات سيدة فرنسية قتلت زوجها ، ولكن زوجها كان اجنبياً . فاجتنب اذن المحاكم الانجليزية وابتعد عنها ما استطعت فان قضاتهم راسخون و « الاستجواب » عندهم فن بالغ حد الكمال فلا يستطيع المجرم الاصرار على الانكار طويلا . وليس فى العالم كله بلاد للقانون فيها الحرمة التى له فى انجلترا وللقضاء فيها المنزلة التى له فى بلاد الانجلو سكسون

تقدم العلم والعالم

قيمة الرجم والنيازك

قرأنا في احدى المجلات الاميركية العلمية خبراً مؤداه أن بعض الرجم يحتوى على شيء من المعادن الكريمة، وهذا شيء يعرفه الكثيرون من فلاحى أميركا ولذلك تراهم اذا عثروا على نيزك أسرعوا ببيعه لعلماء الجيولوجيا. ويقال إن كثيرين من أولئك الفلاحين الذين قد تكون «اطيانهم» مرهقة بالديون ومرهونة، يفرحون اذا وجدوا نيازك في أطيانهم إذ يستطيعون أن يوفوا بها ما عليهم من الديون

ولا يخفى أن الرجم والشهب والنيازك تتساقط على الارض باستمرار. ويقول علماء الجيولوجيا ان نحو عشرين مليون نيزك يصل الى جو الكرة الارضية في كل اربع وعشرين ساعة، ولكن معظم هذه النيازك يصل مصهورة الى الارض بسبب احتكاكها بالهواء

قوس قزح

هي القوس المعروفة التي تظهر في الجو على أثر وقوع المطر وينحل فيها الطيف الشمسي الى الوانه الستة الأصلية. ولا يخفى ان هذه القوس تظهر بشكل نصف دائرة في الجو، ولكن الطيارين الذين يرتفعون الى الطبقات العالية يرون تلك القوس دائرة كاملة ذات الوان جميلة زاهية. وكان بعض الأقدمين يعتقدون في هذه القوس اعتقادات خرافية غريبة من جملتها، أن القوس هي افعى هائلة تعيش في قعر البحر العظيم وتخرج رأسها في احوال معينة فوق سطح الماء لترى حالة الكون

ساعة كروية

اخترع أحد مهرة الصناع السويسريين ساعة غريبة تشبه الكرة الأرضية التي يستعين بها الطلبة على درس الجغرافيا. وهذه الكرة تدور داخل قفص معدني مستدير، وقضبان القفص تدل على الوقت. فاذا كان القضيب الواقع على مدينة لندن مثلا يدل على الساعة العاشرة مثلا كان القضيب الواقع على مدينة القاهرة يدل على الوقت الذي يقابل تلك الساعة

طول اليوم في المستقبل

يبلغ طول اليوم أربعا وعشرين ساعة وهو الوقت الذي تستغرقه الكرة الأرضية في دورتها حول محورها. ولكن طول اليوم لن يظل الى الأبد كما هو الآن بل لا بد أن يزيد زيادة تدريجية حتى يعادل شهراً أو أكثر. وسبب ذلك تأثير المد والجزر في الارض فانه يعوق حركة دورتها بالتدريج. فبدلا من أن تستغرق أربعا وعشرين ساعة فقط في دورتها حول محورها ستستغرق أكثر من ذلك بالتدريج. وقد حسب علماء الفلك أنه بعد انقضاء عدة مئات من الملايين من السنين سيصبح طول اليوم معادلا لشهر واحد. وفي ذلك اليوم سيدور كل من القمر

والارض دورة واحدة على محوره مرة فى الشهر. ومعنى ذلك أن الجزء المعرض من الكرة الارضية لجهة القمر سيظل هو هو وكذلك الجزء المعرض من القمر للارض

فوضى الوقت والراديو

اذا استمعت الى محطة من محطات الراديو البعيدة عنك عدة ألوف من الاميال فقد تسمع صوتاً يقول لك : « اليوم الأحد حدث كيت وكيت » . واذا رجعت الى نفسك علمت أن اليوم ليس يوم الأحد بل يوم الاثنين . ولكن بعد المسافة بين مكانك والمكان الذى توجد فيه تلك المحطة هو سبب هذا الاختلاف

من عجائب التصوير

اخترع أحدهم سائلا اذا طليت به صورة فوتوغرافية زالت الصورة واختفت فاذا أردت اظهارها مرة أخرى طليتها بالماء الاعتيادى بقطعة من نسيج

جو الزهرة

الزهرة هى أكثر السيارات شبها بالارض ، ولذلك يعتقد الكثيرون من علماء الفلك أن من المحتمل وجود الحياة فيها . على أن جرم الزهرة محاط بغيوم كثيفة تحجب رؤيته عن الانظار ، ولم يوفق أحد من علماء الفلك حتى الآن الى شق حجاب تلك الغيوم

مقاومة الحمى الصفراء

وفق معهد روكفلر الاميركى الى مصل اذا حقن به المرء انشأ فيه مناعة من الحمى الصفراء تدوم سنتين . وهذا المصل مأخوذ من مادة مستنبتة فى الفئران البيضاء . ويظهر أن الحقن بها لا ينتج رد فعل ولا حمى . وجميع التجارب التى قام بها معهد روكفلر تدل على فعل المصل المذكور

وفى الانباء العلمية الاخيـــرة أن معهد باستور بباريس أيضا قد وفق الى ملقاح ، واق من الحمى الصفراء مستنبت فى دم الخيل . والمناعة الناشئة عنه تدوم سنتين كالمناعة الناشئة عن الملقاح المستخرج من دم الفئران

المدافع البحرية

يظهر ان تنافس الدول البحرية موجه بالاكثر فى الوقت الحاضر الى استنباط صنف من المدافع التى لا يزيد محيط قنابلها على ست بوصات بشرط ان تؤثر هذه القنابل فى اختراق الواح الفولاذ . وقد وفق الاميركيون الى صنع مدفع يتوافر فيه هذا الشرط ، وهو فضلا عن كونه خفيف الوزن ، يرسل مقذوفاته الى ابعاد شاسعة وتخرق هذه المقذوفات الواح الفولاذ التى تصفح بها السفن الحربية المدرعة . وتقول احدى المجلات الاميركية العلمية إن وزارة البحرية الاميركية قد قامت بتجربة المدفع المذكور فاسفرت التجربة عن نتيجة تدعو الى مزيد الارتياح

زجاج طبى جديد

لا يخفى أن الزجاج الاعتيادى لا يصلح للاغراض الطبية لأن الأشعة التى وراء البنفسجية لا تخترقه . ولكن فى اخبار المجلات العلمية الاخيرة ان شركة وستنجهوس الاميركية وهى من اكبر الشركات الكهربائية فى العالم قد وفقت الى استنباط نوع من الزجاج الاعتيادى الرخيص الثمن ، وهذا الزجاج تخترقه الاشعة

التي وراء البنفسجية . ففي الامكان استعماله بدلا من المصابيح المصنوعة من مادة الكوارتز التي تستعمل في المعالجة بالأشعة

الخيل والكلاب في الحرب

للخيل والكلاب نصيب كبير من الاعمال التي تجرى في ميادين الحرب . ولما كانت الغازات السامة قد أصبحت آلة من آلات القتال اتجهت انظار الدول لوقاية الجنود من فعل تلك الغازات ، ومن ثمة ظهرت الكمامات المختلفة . وقد عزمت وزارة الحرب الاميركية على تجهيز جميع الخيل والكلاب التي تخدم في الحرب بالكمامات الواقية من تلك الغازات . وتلقى أحد المصانع الاميركية امراً بتجهيز خيل الجيش الاميركي وكلابه بما تحتاج اليه من تلك الكمامات

الراديوم في العالم

لا تزيد كمية الراديوم الموجودة في جميع مستشفيات العالم على رطل بلغ ثمنها مئات الألوف من الجنيهات . وفي الأنباء الأخيرة أن البلجيك عرضت على الولايات المتحدة أن تدفع لها جانباً من الدين الذى عليها ، قيمة راديوم ١١

الفيل والبرد

يضرب الناس المثل بجلد الفيل للدلالة على صفاقته وكثافته . ومع ذلك فقد أثبتت التجارب العلمية الأخيرة أن الفيل من أشد الحيوانات تأثراً بالبرد

لفائدة العميان

عزم بعض أفاضل الفرنسيين ممن يهتمون بتحسين أحوال العميان على طبع جريدة بأحرف « برايل » البارزة ، ليستطيع العميان مطالعتها والاطلاع على حوادث العالم فيخفف ذلك شيئاً من مصيبتهم

نوع الدم

يقول أحد العلماء الانجليز إن في وسع العلم فحص المومياءات المصرية القديمة التي ترجع الى أكثر من خمسة آلاف سنة ومعرفة نوع دم صاحبها . ولا يخفى أن العلم قد قسم دم الانسان الى أربعة أنواع فاذا أريد نقل دم من جسم رجل صحيح الى جسم رجل عليل وجب قبل كل شيء أن يكون دم المنقول منه ودم المنقول اليه متماثلين تماماً والا أدى نقل الدم الى خطر عظيم . ويظهر من المباحث العلمية الأخيرة أن دم الناس منذ خمسة آلاف سنة هو كدمهم الآن أى أنه على أربعة أنواع يستطيع العلماء تمييز بعضها عن بعض

بركان « مونالوا »

جزائر الهاواى مشهورة بكثرة البراكين التي فيها وبعضها مطفئ منذ اقدم الأزمنة والبعض الآخر ما يزال مشتعلا ثائراً . ومن تلك البراكين بركان يسمى « مونالوا » قد اشتهر بكثرة ثورانه فقد ثار منذ تسعين سنة الى اليوم ثلاثاً وعشرين مرة فضلا عن ثوران بعض القنن الواقعة على جوانبه

الشوكران

إن نبات الشوكران (وهو النبات الذى أرغم سقراط الفيلسوف على شرب مائه) ليس في الواقع ساماً وهو يشبه من وجوه كثيرة نبات الجزر البرى . فالنبات نفسه ليس ساماً ولكن ساقه وجذوره سامة

متوسط العمر قديماً

كلما تقدمت وسائل الوقاية زاد متوسط عمر الانسان . وقد قام أحد علماء الآثار الاوروبيين بدرس نحو الفي سجل وسند من التاريخ اليوناني القديم ، فاستخلص من ذلك أن متوسط عمر اليونانيين من القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الثالث بعد الميلاد كان نحو تسع وعشرين سنة

البابيروس

يقول بعض علماء التاريخ إن القرائن التاريخية المختلفة تدل على أن ورق البابيروس الذى استعمله قدماء المصريين أدخل إلى بلاد اليونان وروميه بعد غزوة الاسكندر لمصر

كنائس اليهود قديماً

كان يهود فلسطين قديماً اذا أرادوا أن يبنوا كنيساً للعبادة جعلوه متجهاً نحو مدينة أورشليم (القدس) حيث كان هيكل سليمان الشهير

الاشعة التى وراء البنفسجية

من أحدث وجوه استعمال الأشعة التى وراء البنفسجية معرفة التماثيل الرخامية القديمة من التماثيل الحديثة المزورة . فقد تمكن العلماء من الاستعانة بهذه الاشعة على معرفة عمر الرخام وهل هو حديث أو قديم

الزواج في المانيا

تدل الاحصاءات التى لدى عصبة الأمم على أن نسبة عقود الزواج آخذة فى الزيادة فى جميع بلدان الشرق الاقصى ماعدا جزائر الاوقيانوس وانها آخذة فى التناقص فى معظم جميع انحاء أوربا ماعدا المانيا فقد زادت عقود الزواج فيها فى سنة ١٩٣٣ أربعين الفا على عقود الزواج فى سنة ١٩٣٢

وما يقال عن عقود الزواج فى العالم بوجه الاجمال يقال ايضا عن نسبة المواليد فهى فى ازدياد فى معظم انحاء الشرق ولكنها فى تناقص فى أكثر انحاء الغرب . ومما يجدر بالذكر أن علماء الاقتصاد يؤكدون أن المواليد تزداد بين طبقات الفقراء . وتتناقص بين الخاصة فكأن قلة النسل من مستلزمات رقى الاجتماع

المرضى في الطيارات

اخترع مصنع من مصانع الطائرات الاميركية مظلة النجاة (باراشوت) للمرضى الذين ينقلون بالطائرات من مكان الى مكان . وقد جربت هذه المظلة غير مرة فاسفرت التجربة عن النجاح التام

لغة افريقية

بعض القبائل الهمجية التى تعيش فى مجاهل افريقيا لغة غريبة تتألف من الفاظ قليلة . ومن مزية هذه اللغة ان لمعظم المفردات فيها معانى مختلفة وان معنى كل كلمة يفهم من نبرة الصوت فقط

السكر والمفرقعات

يستعمل السكر الذى يستخرج من اللبن الحليب فى صنع اقراص طبية . وفى الوقت عينه يستعمل هذا السكر فى صنع المواد المفرقعة

نجم يخاف الماء

فى جزائر هاواى نوع من النجم يخاف من الماء ولا يقربه إلا عند مايعطش

لوقاية العيون

أصدرت ولاية الينويز الاميركية قانوناً يقضي بمعالجة عيون جميع الأطفال المولودين حديثاً ، بقطرة ، خاصة تقي من الرمد وكثير من أمراض العيون الأخرى

سبب ضعف البصر

المعروف أن سبب ضعف البصر المباشر هو ضعف أعصاب الابصار . وقد كان سبب ضعف هذه الاعصاب مجهولا حتى عهد قريب . إلا أن احد الاطباء الاميركيين قام حديثاً بمباحث واسعة النطاق اتضح له منها أن سبب ضعف الاعصاب هو نقص كمية الفيتامين (أ) من المواد الغذائية التي يتناولها الانسان عادة ويقول الطبيب المذكور إن المباحث العلمية الاخيرة تكاد تجمع على أن ضعف معظم الحواس ناشىء في الأصل من نقص الفيتامين

العلماء الروس

في روسيا عدد كبير من العلماء يعملون بالصمت ولا يسمع العالم شيئاً عن أعمالهم لان الحكومة الروسية لاتذيع شيئاً منها إلا متى وصلت الى مرحلة يحسن الكلام عليها . وفي احدى المجلات العلمية الاميركية أن عشرة الاف عالم من أولئك العلماء يشتغلون الآن بالشؤون الزراعية ويعملون على ترقية وسائلها

انتشار الروماتزم

الروماتزم من أشد الامراض انتشاراً وبخاصة في البلاد الباردة والبلاد التي تكثر فيها الرطوبة . ولعل الروماتزم هو من الامراض المستوطنة في انجلترا وروسيا . وقد عقد الاطباء الروس مؤتمراً في شهر مايو الماضي حضره أكثر من الفي طبيب للبحث في أفضل وسائل العلاج لمرض الروماتزم لمنعه من الانتشار . وفي بعض الاحصاءات الطبية أن ضحايا هذا المرض أكثر من ضحايا أي مرض آخر في العالم

البناء بالحديد

أقيم في مدينة ريشموند بالولايات المتحدة بناء شاهق كله من الحديد ولم يستعمل فيه حجر او خشب أو أية مادة أخرى من مواد البناء ويقال إن هذا البناء يستطيع احتمال أشد الزلازل ولا يتأثر بها

البلح في الولايات المتحدة

البلح من أقدم فواكه البلاد الحارة أو الشبيهة بالحارة وقد جرب الاميركيون زراعته في ولاية كاليفورنيا من الولايات المتحدة فأسفرت التجربة عن نجاح تام ، ثم سعى الاميركيون لتحسين هذه الزراعة فكان مدى التحسين الذي تم لهم في عشرين سنة أعظم بكثير من مدى التحسين الذي تم لزراعة البلح في بلاد الشرق في خلال الفي سنة

استنشاق الاوكسجين

الاوكسجين من الزم العناصر للحياة . ولا يستطيع الانسان أن يعيش بدونه . وقد اخترع أحد الاميركيين آلة أوتوماتيكية تعمل من ذاتها يستطيع الغريق الذي وقف تنفسه أن يستنشق بواسطتها حاجته من الاوكسجين من دون أن يبدي أي جهد في سبيل ذلك . ويسير الاستنشاق بواسطة هذه الآلة سيراً طبيعياً وبسرعة التنفس الطبيعي

كتب جديدة

١ – تفسير القرآن الكريم

٢ – الوحي المحمدي

تأليف السيد محمد رشيد رضا

طبعا بمطبعة المنار بالقاهرة

صفحاتهما ٥١١ و٢٠٣

لفضيلة العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا اسلوب خاص في تفسير القرآن الكريم . وهذا الاسلوب جرى فيه على هدى المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حين كان يلقى بعض دروس التفسير في الازهر الشريف . ويمتاز هذا التفسير بانه يتمشى مع وضعة القرآن الكريم من أنه هداية عامة للبشر في كل زمان ومكان ، وهو جامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول ، وتحقيق الفروع والاصول ، وحل المشكلات الدينية ، والرد على الملاحدين وغيرهم باسلوب محكم الأداء فصيح العبارة مستقيم التفكير . وقد اصدر سيادته أخيراً الجزء الحادى عشر من هذا التفسير وهو كسابقيه في اجادة التأليف واتقان الطبع

أما « الوحي المحمدي » فهو خلاصة عامة من هذا التفسير ، فقد وجد الاستاذ السيد رشيد ان بعض المسلمين قد هجروا القرآن هجراً غير جميل ، وصاروا يجهلون ما فيه من حياة روحية وأدبية واجتماعية وما تضمنه من ثروة وحضارة ، وما له من تأثير صالح في حياتهم المعاشية والمدنية والسياسية ، فألف هذا الكتاب ليبين اعجاز القرآن للبشر بالدلائل العصرية التى يفهمها كل قارىء . وقد أصدر الطبعة الاولى في العام الماضى ، فلاقت من جميع طبقات المسلمين تقديراً جميلا ، وقرظها كثير من كتاب الشرق ، واستأذن بعض العلماء الهنود والاتراك والصينيون في ترجمتها الى لغاتهم . وهاهى ذى الطبعة الثانية من هذا الكتاب النفيس ، وهى تمتاز عن الطبعة الاولى بما أحدث فيها من زيادات وتنقيحات مفيدة

تمصير للميزانية المصرية

تأليف الدكتور محمد توفيق يونس

طبع بمطبعة رغائب . صفحاته ١٩٨

هذه هى الرسالة التى قدمها الدكتور محمد توفيق يونس لنيل الدكتوراه في الحقوق من الجامعة المصرية . وقد نوقشت امام كلية الحقوق فنالت الدرجة العليا وهى « جيد جداً » مع شرف الامتياز بتبادلها مع الجامعات الأجنبية . ولا شك أن هذه الرسالة جديرة بالاعتبار لانها تتناول احدى المسائل المالية الهامة التى تستحق الدراسة العلمية الصحيحة ، فعندنا عدة مسائل في الشئون المالية المصرية اذا بحثت ودرست تألفت منها مكتبة قيمة يرجع اليها الباحثون في هذه الشئون

وقد تناول الدكتور محمد توفيق يونس تمصير الميزانية المصرية ، فاستطاع أن يؤلف منها هذه الرسالة القيمة ، بعد مارجع الى جملة من المصادر الأصلية كالتقارير والمذكرات الرسمية ومضابط مجلس شورى القوانين والجمعية

الشريعة ومجلس الشيوخ والنواب ومجموعات القوانين والمراسيم والاوامر الملكية ومجموعات الوثائق الرسمية والميزانيات والحسابات الختامية ومذكرات اللجنة المالية والمستشار المالي منذ صدرت والميزانية ، حتى الآن . وقد قال المؤلف في هذا الصدد : « على هذا الاساس الوثيق بنيت رسالتي جاعلا نصب عيني أن أرى القارىء في تحضير الميزانية ، كيف تصبح مجموعة من التقريرات الأولية المبعثرة جسما ضخماً منسقاً ، وأن أصور له الميزانية المصرية تصوير الكائن المستقل له اجزاؤه وعضلاته ، مقدماً اليه بياناً عن جميع الادوار التي تمر بها في مرحلة التحضير عدداً وعللا المبادىء والقواعد التي تتصل بها وتقوم عليها » .

ديوان القوصي

للمرحوم الشيخ احمد القوصي

طبع بمطبعة الهلال بشارع محمد بك بالقاهرة
صفحاته ٢٦٠

المرحوم الشيخ احمد القوصي من أدباء الجيل الفائت اشتهر بخفة روحه ودعابته وتناوله للشئون الاجتماعية والادبية باسلوبه الفصيح والعامي ونظم أيام حياته عدة أزجال ومواويل وموشحات . وكانت بعض هذه الأزجال مناظرات بينه وبين بعض كبار أدباء عصره كالمرحوم حفني ناصف وغيره . وقد تألف له من هذه الأزجال والمواويل والموشحات والاشعار الاخرى مجموعة نفيسة اهتم بطبعها ابن أخيه الاديب عبد الرشيد افندي القوصي في شكل انيق . ولا شك ان هذا العمل خدمة محمودة يهديها الى الأدب الشعبي

زردشت بلستانى وفلسفته

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة
صفحاته ٢١٢

ظهر هذا التاريخ النفيس أخيراً وهو كتاب دقيق في فصوله ممتاز في طبعه كتب بلغة فارسية عالية الأسلوب ، ويتناول الديانة القديمة الزردشتية التي كانت سائدة في ايران قبل الاسلام . وقد خصص المؤلف قسما كبيرا من كتابه لتاريخ زردشت الذي كان في مقدمة المعلمين الدينيين ، والذي ما زال يتبع تعاليمه عدد كبير من شيوخ هذا الدين في الهند وفي ايران . وقد أورد المؤلف الفاضل كل ما يتصل بتاريخ زردشت منذ نشأته وقيامه ودعوته ونشره لمذهبه ، وما كان بينه وبين الملوك المعاصرين . وتكلم عن وفاة هذا المعلم وعن خلفه وكيف انتقل الكثيرون من اشياخ هذا الدين من ايران الى الهند وما كان من أثر ذلك في ايران

مهاتما غاندي

سيرة كما كتبها بقلمه
ترجمة الأستاذ اسماعيل مظهر

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة
صفحاته ٢٨٦

نشر مستر اندروز الانجليزي سيرة زعيم الهند الأكبر مهاتما غاندي كما كتبها بقلمه عن نفسه ، فكانت لها قيمتها التاريخية لأنها من مصدرها الصادق الذي لا تشوبه عيوب الاختلاق والخيالات والاشاعات أو الظن والتخمين . ولما كان قراء اللغة العربية يتوقون الى معرفة سيرة هذا الزعيم العظيم ، فقد رأى الاستاذ اسماعيل مظهر أن يترجمها في هذا

الكتاب المفيد الذى نقدمه بين يدى القراء ، جاءت الترجمة كما عرف عن الأستاذ اسماعيل مظهر بليغة العبارة حسنة الاداء وافية بالغرض المقصود

مؤتمر الموسيقى العربية

الفته لجنة تنظيم مؤتمر الموسيقى العربية

طبع بالمطبعة الاميرية بالقاهرة . صفحاته ٤٤٣

فى سنة ١٣٥٠ الهجرية الموافقة سنة ١٩٣٢ الميلادية انعقد مؤتمر الموسيقى العربية بالمعهد الملكى الموسيقى بمدينة القاهرة مشمولا برعاية جلالة الملك فؤاد . وقد دعى إلى هذا المؤتمر طائفة من كبار الموسيقيين وعلماء الموسيقى فى البلاد الشرقية والغربية . وقد ألقيت عدة بحوث فى هذا المؤتمر تناولت كثيراً من نواحى الاصلاح الذى يجب أن يدخل على الموسيقى العربية فى الوقت الحاضر ، كما تناولت حالة الموسيقى فى مصر وسورية والعراق وبلاد المغرب وغيرها من البلاد العربية

وقد رأت اللجنة أن تجمع كل ما دار فى هذا المؤتمر من آراء واجتماعات وبحوث ، فألفت هذا الكتاب الضخم الذى تبلغ صفحاته ٤٤٣ من القطع الكبير عدا مجموعة من صور الموسيقيين والآلات الموسيقية القديمة والحديثة

علم الدولة

الجزء الأول

بقلم الأستاذ أحمد وفيق

طبع بمطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر
صفحاته ٤٩٢

يبحث علم الدولة فى تكوين الدولة وما يتعلق بها ، وهو قسمان خاص وعام ، فالأول ما يتناول دراسة حياة دولة معينة ودراسة أنظمتها ، والثانى ما يبحث فى نظرية الدولة وتكوينها بوجه عام . وهذا العلم بكلا قسميه من العلوم الاجتماعية الهامة ، وهو من أشق الموضوعات التى يتصدى لها المؤلف لأن مراجعه كثيرة متعددة ، ولذلك فإن الأستاذ أحمد وفيق بتأليفه هذا الكتاب باللغة العربية قد قام بمجهود يحمد عليه ، فقد توافر على دراسة هذا الموضوع دراسة وافية وعنى بالناحية المصرية منه وألم به فى مواطن متعددة .

وقد نال هذا الكتاب اعجاب رجال القانون ورجال السياسة وقرظه غير واحد من كبار الكتاب والمحامين ، وقد تصدر بثلاث كلمات إحداها لصاحب السعادة محمد على علوبة باشا والثانية للاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى والثالثة للدكتور محمد حسين هيكل بك . وكل هؤلاء قد وفى المؤلف حقه من الثناء على هذا الكتاب النفيس

وقد بدأ المؤلف كتابه بتعريف علم الدولة وتطور فكرة الدولة وآراء العلماء فيها وبحث فكرة الدولة قديماً وحديثاً ، وما وصل اليه الباحثون من أنها كانت وليدة الطبيعة ، وأتى المؤلف بأسانيد عدة على تطور فكرة الدولة فى الهند وفارس والصين ، وكيف كانت فكرة الدولة عند اليهود ، وفى آثار ظهور المسيحية فى الدولة ، الى آخر ما هنالك من البحوث القيمة التى تضمنها هذا الكتاب . وقد قال سعادة محمد على علوبة باشا فى تقريظه : « إن المطلع على مؤلف الأستاذ احمد وفيق وعلى ما انتهى اليه هو وغيره من المؤلفين الغربيين، يعلم أن أس الدولة وسياجها هو الخلق سياسياً كان أو اقتصادياً أو إدارياً ، وأن النظم التى أوجدها التاريخ فى مراحله سواء أكانت أوتوقراطية أم دستورية أم برلمانية أم

دكتاتورية لم تكن غاية لذاتها ، وإنما هي وسائل مختلفة ترتكز عليها الدولة دائماً في تحقيق رفعة الامة وعلو شأنها ، وهي تدعي أنها تسعى إلى تحقيق المثل الأعلى ، وتعنى به الخلق الطيب الذي تنطوي عليه أعمال الانسان .

كتب أخرى

• (ما هو الكون) وهو يحتوي على نظريات جديدة في الطبيعة وما وراءها . بقلم الأستاذ يوسف شهاب القرنزوزي . طبع بالمطبعة الحديثة ببيروت

• (الرغبة الحمقاء) مأساة مصرية غرامية بقلم عيسى جرجس . طبعت بشركة المطبوعات الوطنية بالاسكندرية

• (ظل أبواب الزواج) حوادث في الحب والزواج بقلم احمد محمد حنفي . طبع بمطبعة النصر بشارع الامير فاروق بالقاهرة

• (علم الكيمياء العملي) الجزء الثاني . تأليف الأستاذ سليم كاول مدرس الكيمياء في الكلية العربية بالقدس . طبع بمطبعة بيت المقدس

• (عصمت باشا . خطبه وأقواله السياسية والاجتماعية) ترجمها الى العربية الاستاذ عبد العزيز الخانكي . وهي مجموعة ثمينة يجدر بكل مهتم بالشئون الشرقية عامة ، والشئون التركية خاصة أن يقتنيها . طبعت بمطبعة السعادة

• (أمراض الاطفال) . الجزء الاول ، وهو كتاب قيم عني بتأليفه ثلاثة من خيرة رجال الطب ، وهم : الدكتور ترابو أستاذ الامراض الطبية والعصبية بالمعهد الطبي العربي ، والدكتور محمد محرم الاستاذ في هذا المعهد ، وعزت مرجان مساعد المخابر في المعهد الطبي العربي . طبع بمطبعة الجامعة السورية

• (ديوان صردر) وهو ديوان طريف نظم الرئيس أبي منصور علي بن الحسن الشهير بصردر . وقد طبعته أخيراً دار الكتب المصرية

• (القراءة الفريدة) الجزء الرابع . وهو كتاب مطالعة للمدارس الابتدائية يحتوي على مختارات وفصول طريفة . جمعه وشرح غريبه الاستاذ شريف الشاشيبي

• (النوم المغناطيسي) تأليف الاديب ميخائيل افندي مسك طبع بمطبعة سابا بالقاهرة

• (علاج السرطان بالأشعة وبالراديوم) وضعه الدكتور عبد اللطيف سلمان ، وهو كتاب علمي نفيس يحتوي على أحدث الآراء الطبية في علاج السرطان . طبع بمطبعة المعارف بالفجالة بالقاهرة

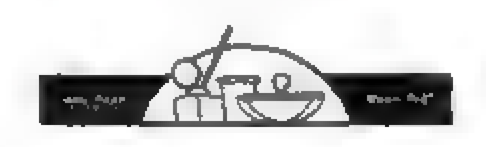

بين الهلال وقرائه

الظفر والذنب

(الحصن – شرقي الاردن) فؤاد صفور

لماذا زال الذنب من الانسان مع ان الظفر لا يزال ينمو في اصابع يده ؟

(الهلال) لان نمو كل عضو من اعضاء جسم الانسان (او ضموره) يتوقف على ناموس الانتخاب الطبيعي الذي يعمل في جميع الاجسام الحية ويكيف شكلها على مقتضى البيئة والاحوال التي تعيش فيها . وهذا المجال لا يتسع لشرح ناموس الانتخاب الطبيعي وكيفية عمله وعلاقة كل من الظفر والذنب به

لحوم الطيور والحيوانات

(جبل عجلون – شرقي الاردن) ابراهيم البيروتي

بعض الطيور والحيوانات – كالدجاج والخنازير وغيرها – تتغذى بالمواد والاطعمة القذرة التافهة . بل المعروف أن الخنزير قد يأكل الجيف الفاسدة . فلماذا لا يمنع الطب اكل لحوم هذه الحيوانات ؟

(الهلال) ان المواد الغذائية التي يتناولها الانسان أو الحيوان تتحول بعملية الهضم الى مواد مختلفة يختص كل منها ببناء عضو من اعضاء الجسم وتنميته . وتعرف هذه العملية بعملية التحويل (assimilation) وهي بمنزلة تنقية أو تصفية للمواد الغذائية التي تدخل الجسم . وكثيراً ما تصاب الطيور والحيوانات بامراض وبائية بسبب ما تأكله . ولهذا تتشدد الحكومات المتمدنة في مراقبة لحوم الحيوانات التي تؤكل لكي تكون نظيفة وخالية من جميع جراثيم الامراض . وان النفس لتعاف اكل لحوم الحيوانات التي تشتهر بالقذارة وبأكل جيف الحيوانات الاخرى ، مع أن الانسان نفسه لا يختلف من الحيوان في كونه يعنى بالحيوان الاليف الداجن ويأكل لحمه ولا يأكل لحم الحيوان المفترس المؤذي . وهي عادة ورثها عن أسلافه يوم كانوا ما يزالون في الطور الحيواني

أما اشارتكم الى ما تسمونه « كهربائية المعدة أو الحموضة » فليست من العلم في شيء ولم نسمع من قبل أن المعدة أو الحموضة كهربائية تطهر المواد الغذائية عند دخولها جسم الانسان

القط والفأر

(جبل عجلون – شرقي الارض) ومنه

المعروف ان الفأر من الحيوانات النجسة والقط يفتك به ويأكله ، ومع ذلك فالانسان لا يأنف من مصاحبة القط وتقبيله ، بل كثيراً ما يجعل ضم القط دلالة على ما يشعر به من المحبة له والعطف عليه . فهل الانسان مصيب في تعلقه بهذا الحيوان وتفضيله اياه على كثير من الحيوانات الاليفة الاخرى ؟

(الهلال) لا نفهم المراد من قولكم ان الفأر حيوان نجس ولا ندرك ان الشرائع الدينية تنص صراحة على انه نجس . نعم انه قذر والنفس تعاف رؤيته ، ولكن أكثر الحيوانات قذرة بطبيعتها اذا تركت وشأنها ولم يعن الانسان بنظافتها . وكذلك القط قذر جداً بطبيعته لولا ان الانسان يعتني به بعض الشيء . ومع ذلك فان مداعبته وتقبيله في فمه لا يخلوان من خطر . وكثيراً ما أدى تقبيل القط الى مرض معد يودي بحياة الانسان . فاحذروا مثل هذه العادة فانها شديدة الخطر

عمق البحر

(كنجستون – جامايكا) قريب حنا

قرأت في احدى الصحف الانجليزية ان الشاه

اكتشفوا سلسلة من الجبال في قاع المحيط الاتلانتيكي يبلغ ارتفاعها فوق قاع البحر نحو ثلاثة عشر الف قدم أي انها أقل ارتفاعا من جبل « بلان » بسلسلة جبال الالب بنحو الفي قدم . فكم اذن عمق الاوقيانوس الاتلانتيكي ؟

(الهلال) ليس عمقه متعادلا في جميع الجهات ويقال ان عمق أعمق مكان فيه نحو ثلاثين الف قدم أو نحو خمسة أميال وثلث الميل . والمحيط الباسفيكي أعمق منه فله جهات يزيد عمقها على اثنين وثلاثين الف قدم أو على ستة أميال

مقدار ماء البحر

(القاهرة — مصر) أحد القراء

يقول علماء الجغرافية ان مساحة مياه البحار في العالم كله تزيد على ثلاثة أرباع مساحة اليابسة (الارض) فهل عرفوا مجموع مقدار المياه التي في تلك البحار ؟

(الهلال) يقولون ان مقدار المياه في البحار كلها نحو واحد وثلاثين مليون ميل مكعب . ولو وزع هذا المقدار على جميع أنحاء الكرة الارضية لغمرها كلها الى عمق ميل ونصف ميل على وجه التقريب . والامطار لا تزيد في هذه الكمية ولا تنقص

سبب الامواج

(القاهرة — مصر) ومنه

ما هو سبب الامواج التي تحدث في البحار ؟

(الهلال) سببها الرياح فهي تهب على وجه الماء فتحدث فيه تموجات لا تلبث أن تنقلب أمواجاً عظيمة . ومثل هذا يقع عندما تأخذ صحناً أو وعاء مملوءاً ماء وتنفخ عليه فان رقرقة لطيفة تنشأ على سطحه وهذا الترقرق هو الموج بعينه مصغراً

كبريت الأمان

(الاسكندرية — مصر) شوقي خليل

ما الفرق بين الكبريت الاعتيادي « وكبريت الامان » ولماذا لا يشتعل هذا الا اذا حككناه « بالعلبة » المختصة به ؟

(الهلال) في الكبريت الاعتيادي تجد جميع المواد الكيماوية اللازمة لاحداث الاشتعال مجموعة في رأس العود . فاذا حككت هذا الرأس بأي مادة خشنة اشتعل العود . أما في كبريت الامان فان المواد الكيماوية المذكورة ليست كلها مجموعة في رأس العود ، بل ان بعضها موضوع في أحد جوانب العلبة . ولاحداث الاشتعال لا بد من حك رأس العود بذلك الجانب

نظرية النسبية

(الاسكندرية — مصر) ومنه

قرأت عدة نبذ ومؤلفات عن نظرية النسبية لصاحبها الفيلسوف اينشتين فلم أجد لها اية قيمة عملية ، فهل انا مصيب في هذا الزعم أو مخطئ ؟

(الهلال) أما انكم لم تجدوا لهذه النظرية قيمة عملية فليس الذنب في ذلك ذنب صاحب النظرية أو ذنب النظرية نفسها . ولا تنس كونها حديثة جداً . والمظنون أنه ليس حتى بين جمهور العلماء كثيرون يفهمونها حق الفهم . على أن هذه النظرية ما تزال في دور الاختبار وان يكن اليوم أقرب الى النواميس العلمية منها الى الفروض . ومع أنها لم تحدث حتى الآن أي انقلاب علمي فان فائدتها عظيمة جداً في العمليات الرياضية الدقيقة التي يلجأ اليها علماء الفلك بوجه خاص . وربما أدت في المستقبل الى ازالة القناع عن الكثير من الاسرار العلمية التي ما تزال مستعصية حتى الآن

الاشجار والجبال

(بيروت — سوريا) م . ص

لماذا لا نجد أشجاراً على قمم الجبال ؟

(الهلال) لان قمم الجبال العالية باردة جداً ولا سيما في الليل ، وبردها القارس لا يتفق وشروط نمو النبات

قراءة الكف

(جنين — فلسطين) حنا سلامه

يقول البعض ان في الامكان قراءة اخلاق الانسان

بعض من الخطوط التي في كفه. فهل هذا صحيح ؟ وما العلاقة بين تلك الخطوط والاخلاق ؟

(الهلال) علم قراءة الكف معروف منذ زمان قديم وقد حاول الكثيرون ان يرجعوه الى اسس ومبادىء علمية فلم يستطيعوا اذ لا علاقة بين خطوط كف الانسان واخلاقه أو مستقبله مهما غالى بعض انصار هذا العلم في الدفاع عنه

عيد الكرنفال

(سليمانية — العراق) حبيب سليمان بطرس

ما هو مبدأ عيد الكرنفال الذي يتنكر فيه الناس ؟

(الهلال) الكرنفال عيد كان شائعاً عند الشعوب الوثنية القديمة من يونانية ورومانية وغيرها . وكان يراد به الاسترسال في اللهو والسرور الى اقصى حد . ولما جاءت المسيحية حافظت على هذا العيد وجعلت تحتفل به في يوم البلاد ورأس السنة ويوم التضحية . وكان الكرنفال على اشده ووقعاً في ايطاليا حيث نشأت في اوائل القرن الثامن عشر المراقص التي كان الراقصون يتنكرون فيها بمختلف الازياء . ولما حدثت الثورة الفرنسية انصرف الشعب عن الكرنفال في طول فرنسا وعرضها . ومع ذلك فهذه الاعياد تحدث اليوم الى حد من ماض قد زالت شائعة بين المسيحيين وبخاصة في أوربا . ولعل كرنفال نيس والبندقية اعظم عيد من هذا النوع في العالم

الكتب السياسية

(سليمانية — العراق) ومنه

لماذا تسمى الدول بعض الكتب السياسية التي تنشرها باسماء الالوان ؟

(الهلال) كان الانجليز أول من درج على هذه العادة فسموا مجموعة الوثائق السياسية الخاصة بمسألة من المسائل المهمة « الكتاب الازرق » لان لون غلاف هذه المجموعة كان أزرق . وما زالوا يصدرون من وقت الى آخر « كتباً زرقاً » و« بيضاء » وتبعهم على غيرهم من الدول فظهرت الكتب الصفراء (في اليابان) والحمراء (في روسيا) والخضراء (في مصر) وغير ذلك . وهذه الالوان هي الالوان الوطنية الخاصة بها كل دولة من الدول

البنج

(الكوفة — العراق) مشترك

ما هو البنج ؟ وكم من الزمن يدوم تأثيره في الجسم ؟ وهل في استعماله ضرر صحي ؟

(الهلال) جاء في قاموس الفيروزابادي ما يأتي : « البنج نبت مسبت معروف غير حشيش الحرافيش مخبط للعقل مجنن مسكن لاوجاع الاورام والبثور ووجع الاذن ، وأخبثه الاسود ثم الاحمر وأسلمه الابيض » وما نظنكم تقصدون بالبنج الا هذا النبات ، واستعماله في الشؤون الطبية قليل جداً في هذه الايام لان هنالك أنواعاً أخرى من المخدرات أفضل منه من كل وجه وهي ضرورية لا مندوحة عنها للجراحين والاطباء . واذا استعملت بالحكمة وبموجب مشورة الطبيب كان نفعها أعظم من ضررها . ويختلف الزمن الذي يدوم فيه تأثيرها باختلاف انواعها واختلاف الكميات التي تستعمل منها

درجة الحرارة

(القاهرة — مصر) أحمد الشركسي

هل تزيد درجة حرارة الماء اذا استمر غليانه ؟

(الهلال) من المعروف ان الماء يغلي عند الدرجة ١٠٠ بمقياس سنتجراد ، فاذا وصل الى هذه الدرجة وظل على النار فان درجة حرارة الماء لا تزيد وانما يزيد تبخره

أعلى درجات الحرارة

(القاهرة — مصر) ومنه

ما هي أعلى درجة من الحرارة اوجدها العلم بالوسائل الصناعية ؟

(الهلال) هي الدرجة اربعة آلاف بمقياس سنتجراد (نحو ٨٢٠٠ بمقياس فهرنهيت) وقد توفرت من فرن كهربائي فيه عدة أقواس كهربائية . وهذه الدرجة من الحرارة تكفي لصهر جميع المواد تقريباً وبعضها يتحول بخاراً في الحال

مراحل الهلال

من الجزء السابع عشر والثامن عشر من السنة الرابعة ـ صدرا في مايو سنة ١٨٩٦

المهدوية في الاسلام

المشهور بين المسلمين من أوائل الاسلام الى الآن انه سيظهر رجل منهم يؤيد الدين ويظهر لواء العدل ويستولي على الممالك الاسلامية يسمى المهدي ويستندون ذلك الى أحاديث نبوية ، بحث كثيرون من علماء الاسلام في صحتها وفسادها وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون . ومن أوثق الأحاديث المروية من هذا القبيل رواية الترمذي وهي : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي » ورواية الحاكم وهي : « يملأ الارض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً » ولم يرد في صحيح البخاري ومسلم ذكر المهدي ولكنهم ذكروا أحاديث أخرى يرد فيها اسمه انتقدها ابن خلدون انتقاداً طويلاً في كلامه عن « أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس الخ . » في مقدمته الشهيرة . فمن أراد الاسهاب فليراجعه هناك

على أن ذلك لم يقلل شيئاً من اعتقاد الجمهور في مجيء المهدي . فما زال المسلمون منتظرون مجيئه وقد أدى ذلك الى ظهور جماعة كبيرة في أزمان مختلفة ادعى كل منهم انه المهدي المنتظر فالتفت حوله الاعراب وأسس بعضهم دولاً مختلفة سيأتي ذكرها تباعاً الى الآن . على أن كثيرين آخرين لم يكادوا يظهرون دعواهم حتى طوى الزمان ذكرهم لأن الاحوال لم تكن مساعدة لظهورهم

على أن بين الشيعة والسنة خلافاً من قبيل المهدي وزمن ظهوره . فأهل الشيعة يعتقدون انه ظهر في أواخر القرن الثالث للهجرة في شخص أبي القاسم محمد ابن الحسن العسكري الامام الثاني عشر وانه سيظهر ثانية قبل انقضاء العالم من سرداب في سر من رأى بالعراق . وأما أهل السنة فيقولون انه لم يظهر بعد . وبحثنا في الموضوع ذكر الذين ادعوا المهدوية من أول الاسلام الى الآن

(١) محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية . ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين فدعا الناس اليه وكان له أخ اسمه ابراهيم ، نصره وتم بدعوته فتح البصرة والأهواز وفارس ومكة والمدينة وبعث عماله الى اليمن وغيرها . وكان ذلك في زمن الامام مالك فأفتى له وشد أزره فكثرت دعاته حتى كاد يذهب بدولة العباسية لو لم يتدارك المنصور أمره ويتغلب عليه ويقتله (ترى تفصيل أخباره في الجزء السادس من تاريخ ابن الأثير)

(٢) عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب التي فتحت الديار المصرية في أواسط القرن الرابع للهجرة وبنت مدينة القاهرة على يد قائدها جوهر . وقد اتسعت دولة الفاطميين وامتدت سلطتهم وطالت أيام حكمهم (ترى تفصيل أخبارهم في الجزء الاول من تاريخ مصر الحديث)

(٣) محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي المغربي ، ويكنى أبا عبد الله ، أصله من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب رحل الى الشرق حتى انتهى الى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي وغيره من أهل العلم منهم واشتهر بالنسك والتقوى وساح في الحجاز وجاء مصر ثم سار الى المغرب وأقام بمراكش وغيرها وتأسست على يده دولة عظيمة في أوائل القرن السادس

للهجرة هي دولة عبد المؤمن

(٤) العباس الفاطمي ظهر بالمغرب في آخر المائة السابعة للهجرة وادعى المهدوية فكثر أنصاره وعظمت شوكته حتى دخل مدينة فاس عنوة وأحرق أسواقها وبعث العمال الى الاعمال لكنه قتل غيلة

(٥) السيد احمد ظهر في اوائل القرن التاسع عشر للميلاد في جبال الهند وحارب الاسياخ على حدود بنجاب الشمالية الغربية سنة ١٨٢٦

(٦) محمد المهدي السنوسي ابن الشيخ محمد السنوسي الذي ظهر في المغرب في أواسط هذا القرن وأصله من جبل سنوس بجزائر الغرب نبغ (والده) سنة ١٨٣٧ ولاقى من بعض اولي الامر الاسلامي ترحاباً لنشر دعوته وايدها وكان مقامه الرئيسي في جغبوب على مقربة من واحة سيوه نحو الغرب

(٧) محمد احمد المهدي السوداني وقد نحا في دعواه منحى الشيعة فقال انه الامام الثاني عشر الذي ظهر مرة قبل هذه . وفي تسمية اتباعه بالدراويش تأييد لرأيه في ميوله الشيعية لان لفظة درويش فارسية

باباوات رومية

من رد على سؤال :

(الهلال) كان الباباوات في أول عهد النصرانية يقاسون اضطهاداً هائلاً من اباطرة الرومان قبل اعتناقهم الديانة المسيحية ، وأكثر باباوات القرون الاولى ماتوا قتلاً ، وبالطبع لم يكن لهم سلطة زمنية . فلما تنصر الامبراطور قسطنطين الاكبر منح بابا رومية المعاصر له واسمه سلفستر سلطة زمنية على سبيل الهبة الوثنية سنة ٣١٤ م . أما السلطة الزمنية الرسمية فبدأت سنة ٧٥٥ على عهد البابا استفانوس الثالث ثم توسعت توسعاً حسناً سنة ١٠٦١ م على عهد البابا اسكندر الثاني ، ولم ينقض القرن الثالث عشر حتى صرح البابا بونيفاسيوس الثامن قائلاً : « ان الله اجلسه فوق الملوك والممالك » وأخذت املاك رومية تتسع بغير حرب ولا كفاح بل بالتقدمات من الملوك الخاضعين للكنيسة الكاثوليكية بتلك الاعصر ، حتى دخلت سنة ١٨٦٠

وقد بلغت مساحة مملكة رومية البابوية ١٦ الف ميل مربع وعدد سكانها ٣ر١٢٥ر٠٠٠ نفس وفيها كثير من المدن والقرى لا فائدة من ذكر أسمائها

ومما يذكر من اعمال الباباوات الدالة على مقدار ما بلغت اليه عظمتهم ونفوذهم في السلطة الزمنية أن البابا ادريان الاول ضرب نقوداً باسمه سنة ٧٨٠ م وأن البابا غريغوريوس السابع اوقف هنري الرابع امبراطور جرمانيا سنة ١٠٧٧ م ثلاثة أيام عند باب قصر كانوسا حافي القدمين في زمهرير الشتاء يلتمس العفو . وسبق أن هنري الثاني ملك انكلترا امسك بالمهماز البابا اسكندر الثالث وهو يركب فرسه سنة ١١٦١ م . والبابا سيلستينوس الثالث رفس تاج الامبراطور هنري السادس برجله وهو جاث امامه ، اراد بذلك بيان مقدرته على تولية الملوك وعزلهم . وقس عليه

أما أول من صرح للبابا بالسلطة الزمنية رسمياً فهو بيبين ملك فرنسا سنة ٧٥٥ م بعد أن وهبه عدة مدن وقرى ثم اعترف به جميع الملوك الخاضعين لكنيسة رومية

أما راتب البابا السنوي الذي اشرتم اليه فحقيقته ان مملكة ايطاليا لما توحدت وضمت رومية وملحقاتها اليها سنة ١٨٧٠ اقررت قراراً رسمياً بتاريخ ٩ اكتوبر من تلك السنة على عهد البابا بيوس التاسع ان البابا يعتبر رأس الكنيسة الاعظم مع بقاء رتبته وحقوقه كأنه ملك مستقل . واقرت قراراً آخر في ١٣ مايو سنة ١٨٧١ على راتب سنوي مقداره ٣ر٢٢٥ر٠٠٠ فرنك أي ١٢٩ر٠٠٠ جنيه تدفع لكل من يتولى الكرسي البابوي فضلاً عن الاملاك التي تركت له وفي جملتها قصر الفاتيكان وقصر لاترن وقرية كاستيل غوندولفو وغيرها . أما الراتب فان البابا لم يطلبه قط ولو لم يمض حق طلبه بمضي المدة (خمس سنوات) لبلغ دين البابا على حكومة ايطاليا الآن ٣ر٢٢٥ر٠٠٠ جنيه او لو قبل بذلك الراتب وتناوله في حينه لكانت ايطاليا الآن في حال من العسر المالي فوق ما تعلم بمقدار ما يؤثره خروج مثل هذا المبلغ من خزائنها

اللغة اليونانية واللاتينية

الفرق بين اللغتين اليونانيتين القديمة والحديثة كالفرق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العربية العامية . فاللغة اليونانية القديمة تشابه اللغة العربية الفصحى من حيث تعدد أساليب الاعراب وأنواع الاشتقاق ودقة التعبير . واللغة اليونانية الحديثة تشبه اللغة العربية العامية مشابهة كلية . ومن أوجه المشابهة أيضاً أن اللغة العربية الفصحى واليونانية القديمة من اللغات الراقية القديمة واللغتين العربية العامية واليونانية الحديثة من اللغات الحديثة التي تشوشت ألفاظها واختلت تراكيبها بتغلب الالسنة العامة عليها واختلاط من تطرق الدخيل اليها فاختصرت فيها أساليب الاعراب وقل عدد المشتقات . ففي اللغة العربية العامية تداخل الاعراب واختلط المثنى بالجمع وتشابه جمع المؤنث السالم والمذكر السالم وغير ذلك . وهذا هو حال اللغة اليونانية الحديثة تقريبا . وما اللغة اليونانية الحديثة حقيقة الا لغة عامة اليونان الا أنهم اهتموا بها فضبطوا أشكالها وقواعدها وألفوا الكتب في صرفها ونحوها واعرابها فصارت أقرب الى اللغات الفصحى من لغة عامتنا .

فالمشابهة بين اللغتين اليونانيتين القديمة والحديثة أقرب من المشابهة بين الانكليزية والفرنسية لأن هاتين اللغتين تختلف احداهما عن الاخرى في أصل منشئها وترجعان الى فرعين من فروع اللغات الآرية بينهما بون شاسع من حيث التركيب والاشتقاق والتصريف .

أما ما تراه بينهما من المشابهة فهو طارئ على ألفاظها نشأ عن تسلط الرومانيين على انكلترا وفرنسا معا فاقتبستا كثيراً من الالفاظ اللاتينية فظهرت متشابهة فيهما ثم اختلط الانكليز بالفرنسيين فأخذ بعضهم من بعض والانكليز أكثر اقتباسا من الفرنسيين فظهرت هذه المشابهة في الالفاظ . وأما في أصول اللغة وقواعدها فالفرق بينهما بعيد جداً كما لا يخفى على العارف بهما

أما الفرق بين اللاتينية واليونانية فهو كالفرق بين اللغة العربية واللغة السريانية أو العبرانية على أن بين اليونانية واللاتينية تشابهاً كليا من حيث القواعد والاشتقاق والالفاظ وكذلك بين العربية والعبرانية أو السريانية فمن اللاتينية مثلا (Pes) (قدم) تقابلها باليونانية (LLove) ، وفي اللاتينية (Deos) اله وفي اليونانية (Oeoo) وأكثر الالفاظ في هاتين اللغتين تتشابهان على هذه الصورة كتشابه الالفاظ في العربية والسريانية أو العبرانية . ومثل ذلك يقال في الاشتقاق والتصريف والتركيب . ولولا ضيق المقام لجئنا بأمثلة عديدة في سائر هذه اللغات

سلق البيض في الفصح

ومن ورد على سؤال :

للناس في أصل هذه العادة أقوال متضاربة معظمها لا يخرج عن حد التخمين والحدس . فمن قائل ان البيض رمز عن موت المسيح مع بقائه حياً لأن البيضة ميتة بحسب الظاهر ولكنها تتضمن عناصر حية وقال آخرون غير ذلك . ولكن بعضهم كتب مقالة ضافية بشأن هذه العادة تحرى فيها حقائقها فوجد أنها عادة صينية جرى عليها الصينيون في القرن السابع قبل الميلاد ولم تصل أوربا الا في الأجيال المتوسطة . أما الحكمة في هذه العادة أو سبب ظهورها فهو مجهول تماماً . ولكنها لم تكد تصل أوربا حتى انتشرت في سائر ممالكها فجرى عليها الناس خاصتهم وعامتهم وجاءت الشرائع في القرون الأخيرة . وبعض أمم أوربا تعتبر سلق البيض وتلوينه في عيد الفصح أمراً مقدساً ، فالايطاليون يحملون البيض في وعاء كبير يحملونه الى الكنيسة فيباركه الكهنة ثم يعودون به الى منازلهم ويجعلونه على صحف المائدة فاذا أكلوا البيض جمعوا قشوره وجعلوها على السطوح خوفا من أن تدوسها الاقدام اذا رميت على الارض . ومثل ذلك يفعل أهل اسكوتلاندا وغيرهم

أما الاسبانيون والجرمانيون فلا يعتبرون تلك العادة مقدسة على أنهم يحافظون عليها كل المحافظة ويشترون شأنها احتفالا ويتهادونها على التداول ويتأنقون في زخرفة البيض وتلوينه . وأكثر الناس تفننا في ذلك الانكليز فهم يلونون البيض بالذهب ويرسمون عليه رسوما جميلة ويطوقونها بشرائط ملونة ، الى غير ذلك مما لا حاجة بنا الى تفصيله

نداء الابوة

بقلم الاستاذ احمد عبد القادر المازنى

دبت الحياة فى الدار ، وسادت الحركة كل نواحيها ، فتطاير السكون من أرجائها وكان الخدم يجيئون ويذهبون ، والاصوات تنبعث من أغلب الحجرات ، والضحكات ترن من هنا وهناك ، وصوت الراديو يدوى فى حجرة الاستقبال ، و « عزيزة » فى غضون ذلك كالحركة الدائمة تتنقل بين الغرف ، وتحيى من تجد من ضيوفها بكلمات حلوة معسولة رقيقة ، تشفعها بابتسامة خفيفة عذبة ، ثم تهرول الى موضع الخدم فتلقى على هذا أمرها وتعدل من عمل ذاك ، وأخيراً تذهب الى مخدعها ، وتقف أمام نافذته المطلة على الحديقة والتى تستطيع أن تشرف منها على الباب الخارجى لدارها الكبيرة

وفى هذا المكان ومعزل عن الناس ، تطلق « عزيزة » نفسها من اسار التكلف ، فتغيض الابتسامة من ثغرها ، ويعبس وجهها ، وينقطب جبينها ، وتبدو نظرة الألم فى عينيها ، وهى تحدق بهما فى الباب الخارجى ، حتى إذا سمعت صوت سيارة يدوى ، خفق قلبها خفقة شديدة ، ومالت الى الامام ، وتفتحت عيناها الى الطريق ، وأصبحت وجهاً من هاتين العينين السوداوين الواسعتين ، وتمرق السيارة فى الطريق العام الواقع قبالة الدار ، فتتمدد فى وقفتها ، وتعود الى وجهها مظاهر الالم والضجر ، وتصدر من فيها زفرة منبعثة من أعماق القلب

واستندت عزيزة الى النافذة فى احدى هذه الوقفات ، وراحت تغالب العبرة التى ترقرقت فى مآقيها حتى لا تنحدر على وجنتيها ، خشية أن تتابعها اخواتها ، وخشية ألا تستطيع بعد ذلك أن تمالك نفسها أمام ضيوفها

وطفقت تتعجب كيف استطاع زوجها أن يخلف وعده معها وأن يحرجها هذا الاحراج الرهيب أمام أهلها ! ألم تبتهل اليه فى صباح اليوم أن يتفضل بالعودة إلى الدار ليتناول الغداء مع أهلها الذين دعوا أنفسهم الى ضيافتها ؟ ألم تضرع اليه أن يغير من مسلكه فى الحياة معها ولو يوماً واحداً فيعود الى الدار ، ويقضى بعض الوقت مع أهلها ، ثم له أن يعمل بعد ذلك ما يشاء ، وأن يذهب الى حيث يريد ؟

يالله !! وماذا كان فى مقدورها أن تفعل خيراً مما فعلت ؟ لقد تكتمت آلامها جهدها ، ودفنت أشجانها فى أعماق قلبها ، وأقامت بين حقيقة أمرها وبين أنظار أهلها المتطلعة اليها سداً منيعاً

لا يستطيعون أن يستشفوا من خلاله ما تقاسيه فى حياتها من آلام مبرحة ، وما تعانيه من هذا الزوج المائت بجبانه وحياتها ، والذى لا يحفل بها إلا بقدر ما يحفل بمخلوق آواه الى داره ، يكسوه ويطعمه لوجه الله

انقضت أعوام أربعة لا تذكر من أيامها يوماً سعيداً واحداً استمتعت فيه بالحياة مع زوجها أو نعمت فيه بعطف منه . وانها لتكاد تنسى — من فرط ما عانت وما لا تزال تعانى — شهر العسل الذى لم تنعم بالسعادة فيه دون غيرها من بنات حواء ، والذى تستمتع به كل انثى بقسم لها الزواج

ولقد تأملت — وما تنفك تأمل — لتسترد زوجها اليها وترجعه عن غيه ، وتريه سواء السبيل . ولكنه ما يزال يركب رأسه ، ويتسكع فى غيه ، ويهمل زوجه وابنه وداره ، ويذهب فى ملذاته مذهباً بعيداً شائناً

ولكن ماعلة اهماله اياها وهجرانه لها هذا الهجران الطويل الامد ؟ أتراها دميمة غير جذابة ؟ وارتمت أنظار عزيزة صوب المرآة وترددت لحظة قصيرة ثم تقدمت فى بطء الى المرآة ووقفت قبالتها

وطالعتها على صفحة المرآة صورة رائعة الحسن فاتنة الجمال ساحرة اللحاظ ممشوقة القوام هيفاء القد ، وقد أبرز ثوبها الأنيق كل مفاتن جسمها البديع

وفتح الباب فجأة وهى تدير أنظارها فى صورتها ، فدارت على عقب وأرسلت نظرة عاجلة الى الباب ، ورأت أمها واقفة بالعتبة ، فتكلفت الابتسام ، وتقدمت الى أمها ، وقالت فى صوت تكلفت فيه الحبور :

— أنا سعيدة جداً بوجودك اليوم يا ماما

وكانت أمها لا تنفك تطيل النظر اليها فى صمت . ثم ردت الباب بيدها من ورائها وهى لا تنفك تديم النظر اليها وقالت :

— ماذا تفعلين ؟

فظلت عزيزة مبتسمة الثغر وقالت :

— كما رأيت . كنت أرى ثوبى فى المرآة خشية أن يكون به عيب

— وأين عزت ؟

فخفق قلب عزيزة ، غير انها ظلت متكلفة ابتسامتها وهدوءها ، وقالت :

— انه قادم حالا

واستدارت الام إلى الباب فأغلقته . ثم قبضت على ذراع ابنتها ، وقالت وهى تجرها الى أريكة كانت موضوعة فى صدر الغرفة :

ـــ أريد أن أحدثك قليلا

ووجب قلب عزيزة ، إذ كانت موقنة أن هذا الحديث سيدور حول زوجها ، بيد أنها استكانت الى مشيئة القدر

وافتتحت الأم الحديث حين استقرتا على الأريكة فقالت :

ـــ والى متى يا عزيزة هذه الحياة الآلية ؟

وكانت عزيزة جالسة على قتاد ، وقلبها سريع الخفقان ، ولكنها جاهدت حتى استطاعت أن تجمع شمل نفسها المبددة ، وأن تتمالك رباطة جأشها ، وتتكلف الهدوء والسكينة فى حديثها . وقالت :

ـــ حياة من يا أماه ؟

فرنت اليها أمها فى دهشة وقالت :

ـــ حياتك أنت ؟

ـــ أنا ؟ ومن أخبرك أنها حياة آلية ؟

فبدا على الأم نفاد الصبر وقالت فى صوت ارتفع قليلا :

ـــ أتظنين انى عمية لا أفهم ؟ انى أمك اشعر بكل ما يختلج فى صدرك من فرح وشجو دون حاجة الى كلام منك يكشف لى عن حقيقة شعورك !

ـــ ولكنى سعيدة يا أماه !

فقالت الام فى نبرة الحزن :

ـــ وأنا موقنة أنك شقية بنفسك فى حياتك الزوجية

ـــ أنت على حق فى هذا الظن

ـــ كلا ، وليس هو بظن ، ولكنه يقين

فصمتت عزيزة وقالت :

ـــ ولكن ما داعية هذا الكلام يا أماه ؟ هل شكوت اليك ؟

فمطت الأم شفتها السفلى وقالت :

ـــ انك لا تعمدين الى تمويه ما فى قلبك كأنى لست أمك ، ولكنى لست فى حاجة الى بثك لأعلم الحقيقة ، انى شاعرة بشقائك

فطوحت عزيزة يدها وقالت :

ـــ ولنفرض انى تعيسة فى حياتى ، فماذا تريدين أن يكون ؟

فاشتدت نظرتها الى ابنتها وقالت :

ـــ أريد ؟ أريد أن تدافعى عن نفسك ، وأن تعمل ما تعمله من تكون فى مركزك

فارتفع حاجبا عزيزة وقالت :

— وماذا كانت تعمل ؟

— اوه ! انك تضايقيني بمثل هذه الاسئلة السخيفة !..

فقالت عزيزة في هدوء عجيب :

— لا تنسي أنها أول تجربة لي من نوعها

فأطالت الأم النظر اليها وقالت :

— طالما كنت لينة ضعيفة فهو جدير أن يستبد بك وأن يشتد في طغيانه . ان الرجال مستبدون طاغون طامعون ، ولكنهم إذا وجدوا من يستطيع أن يصدهم ويوقفهم عند حدهم ويعاملهم بالمثل عيناً ، لانوا وخضعوا واستكانوا . وقد رآك عزت ضعيفة فاستبد بك ، ورآك مستكينة فاشتد في استبداده وطغيانه

وسكتت لحظة فقالت عزيزة :

— وما علاج مثل هذه الحال ؟

فقامت الأم أملا وبادرت بقولها

— أن تستبدي به كما استبد بك ، وأن تثوري عليه ثورة ترد اليه عقله الذاهب . وإذا احتاج الأمر منك أن تمضي وأن تعودي الى أبويك حتى يعرف قدرك

فسكتت عزيزة لحظة ثم قالت :

— وابني محمود ؟

— وما دخل ابنك ؟

— ماذا يكون من أمره ؟

— سيكون معك بطبيعة الحال

— اعرف هذا ، ولكني أسأل ماذا يكون من أمره اذا قضى الله بالفراق بين أبويه ؟

— فراق ؟ اني لا أقصد فراقاً . انه ضرب من التهديد حتى يرعوي

— من الرجال من يبعث التهديد فيهم روح العناد ، وعزت من هؤلاء . انه زوجي وقد استطعت ان أقف على طباعه ونزعاته . ولو أني وجدت ثمرة من وراء هذه الطريقة التي تشيرين علي بها لأقدمت عليها بلا مراء . ولكني أعلم علم اليقين أن العاقبة ستكون سيئة . واذا كانت هذه الوسيلة تنجح مع بعض الرجال ، فاني اؤكد لك فشلها مع عزت

فبدا التبرم على وجه الأم وقالت :

— اذن فالذنب ذنبك انت لا ذنبه . انت راضية بهذه الحال فلا غرابة اذا لم يغير من مسلكه

فظهر الألم على وجه عزيزة وقالت :

— إذا كان هناك ذنب فهو ذنبك أنت يا أماه ، ومعذرة اذا صارحتك برأيي لأول مرة . لقد تقدم إلى خطبتي كثيرون ، وكان من بينهم العاقل الحازم الرضي الاخلاق ، وكان من بينهم الوديع الهادىء الذي يعرف كيف يكون من خير الازواج . ولكنك أبيت زواجي من هذا وذاك وارتضيت عزت وحده زوجا لي لانه غني واسع الثروة . ولو أني تركت لرغبتي لكان من المحتمل ان أوثر عليه رجلا فقيراً يعرف الزوجية حقها وواجبها . والآن وقد تزوجت من عزت وأعقبت منه محموداً ، وقضيت في عشرته أربعة أعوام ، هل تريدين مني ان اقوض حياتي الزوجية بيدي ؟ . . .

فقاطعتها أمها على عجل بقولها :

— ليس هذا ما أعنيه

— سواء عنيته ام لم تعنه فان النتيجة واحدة في الحالتين . انني لا استطيع ان اقوض هذه الحياة حتى تبلغ الروح التراقي ، وحتى يتملكني القنوط

— اذن فانت تعسة

— لست انكر ، ولكني لا أريد ان امكن الالسنة من أن تلوك قصتي . اني أطوي اضالعي على جراحي حتى يأذن الله لها بالشفاء . وما جدوى الشكوى والبث والانين ؟ ستكون قصتنا مضغة في الافواه ، يتسامرون بها ويتفكهون . وليس لي من وراء ذلك كله نفع . وخير من الشكوى الصبر على اصلاح الامور ، واعادتها الى نصابها ، هذا خير وأجدى وأعود بالنفع على وعلى ابني الذي أضحى اليوم بسمتي وهنائي وراحتي من اجله

— ولكن يا ابنتي . . .

فقاطعتها عزيزة بقولها :

— صبراً يا أماه . كان من نصيبي أن اتزوج من عزت ، وكان من نصيبي أن اقاسي بعض الآلام معه ، ولكن من المحتمل — بل من المرجح — أن هذه الآلام لن تدوم . انك تطلبين مني ان اثور على زوجي وأن اهجره حتى يعتدل ويسلك سواء السبيل . ولكنك نسيت انه شاب قد ورث ثروة عظيمة من أبيه . وللشباب حكمه وسلطانه . وللثروة اثرها السيء . . . .

فابتسمت الأم وقالت :

— انك فيلسوفة

— ان الشقاء خير معلم . وطالما فكرت في أمري وهجس في خاطري ان أعمل ماتشيرين علي به وجال في ذهني الف خاطر غير ما تذكرين . ولكني كنت أقلب الرأي في ذهني وأقابله باخلاق زوجي ونزعاته وآرائه لأرى مايكون من نتيجته ، وقد سلكت بعض السبل ، واتبعت بعض ما جال

في ذهني من الآراء ومثلت فيها حيناً . وما زال عزت سالكاً سبيله . إني أريد أن أسألك سؤالاً

— نعم

— هل تسعين إلى طلاق منه ؟

— حاش لله يا ابنتي

— إذن فرجائي إليك ألا تثيري على بخلق هذه الصورة مرة أخرى . إنها أسوأ صورة يمكن أن تقدمها أم إلى ابنتها . إنما نبغي أن نصلح من أمره ، حسناً . دعيني إذن أعالج الأمر وحدي حتى إذا فشلت لجأت إليك ، ولك إذ ذاك أن تفعلي ما تريدين

— الأمر إليك يا ابنتي . إنني لا أفكر إلا في مصلحتك

— وطبعاً هذا ما أفكر فيه كذلك . ورجائي إليك مرة أخرى ألا تقولي شيء مما دار بيننا من الحديث

فالت الأم على ابنتها وقبلتها في حنان وقالت :

— لا تحزني يا عزيزتي . إنك عاقلة رزينة منذ حداثتك . ومن كانت كذلك فلن يكون مآلها إلا السعادة

وعادت فقبلتها ثم غادرت الغرفة

* * *

وظلت عزيزة مكانها وقد وضعت ساقاً على ساق ، وسندت مرفقها على ساقها واعتمدت ذقنها على راحة كفها ، وراحت تسرح أمامها نظرة شاردة ساهمة

وطنت كلمات أمها في أذنيها ، إنك عاقلة رزينة . . . وما كان جدوى هذا العقل وتلك الرزانة ؟ أو ليس الحمق ، أحياناً ، أعود بالنفع على الناس ؟ ولولا رزانتها ما عانت كل الذي عانته في حياتها . ولو أنها كانت حمقاء هوجاء لثارت على أهلها حين تقدم عزت طالباً الزواج منها ، وظلت في ثورتها حتى يتخرج ابن عمها في مدرسته العليا . نعم إنها لم تعشق ابن عمها ، ولكنها تفضله بلا مراء على كل من عداه ممن تعرف ، فهو مثلها عاقل رزين . ومن كان كذلك كانت الحياة معه ملأى بالسعادة والهناء

ولو أنها كانت حمقاء هوجاء لثارت على زوجها واخضعته لمشيئتها ، وطالبته بحقوقها منذ بداية حياتها معه ، ولكنها عاقلة رزينة منذ حداثتها . فصبرت على الصبر مجدي ، وما أجدى . وتجلدت على مضض عسى أن يتبين من تلقاء نفسه ما هي عليه من ولاء ووفاء . ولكنه أغمض عينيه وسد أذنيه ، وانطلق في سبيل غوايته غير حافل بها وغير مكترث لأمرها الذي كانت تحسب أنه سيقرب بينهما

أي ذنب جنت ؟ وما موضع النقص فيها حتى يهمل أمرها كل هذا الإهمال ويسعى وراء الراقصات وغير الراقصات ممن يسبين قلبه ؟ إنها جميلة بل هي فاتنة في حسنها وجمالها وهي إلى

جانب ذلك مثال الزوجة التي تسعى الى ارضاء زوجها ولو كان من وراء ذلك تضحية دعتها وراحتها. فاذا يطلب منها أكثر من هذا ؟ ألا يستطيع الرجل أن يفتح عينيه ويتبين البون الشاسع بين الزوجة الوفية المطيعة وبين المرأة الخليعة المستهترة الداعرة ؟

ووقفت على قدميها واتجهت الى النافذة ومرت أمام المرآة . فوقفت قبالتها لحظة تدير أنظارها فى صورتها التى طالعتها على صفحتها ، ثم تنهدت وسارت إلى النافذة فوقفت أمامها تنظر الى الطريق من خلالها

ومرت لحظات وهى فى وقفتها جامدة النظرات شاردة الذهن . ثم سمعت وقع خطوات تقترب من الباب ، فدرت على عقبيها واتجهت الى ناحيته وفتحته فى اللحظة التى همت فيها أمها بفتحه

وقالت الأم : « ان اباك يسأل عنك »

— انى ذاهبة اليه

وسارت الى حيث كان أبوها ، ووقفت الأم مكانها ترنو اليها بانظار بادية الألم ، ثم هزت رأسها وتبعتها

* * *

انقضى اليوم دون أن يحضر عزت إلى داره

وكثر تساؤل القوم عن عزت ، حتى صحب زوجه عزيزة ، وحتى كادت تبكى من فرط ألمها . ولم تجد مخرجا لها إلا أن تبعث من خادم علام أن يلقى اليه فى غرفة الاستقبال ، ويبلغها أن رسولا جاء من قبل سيده ، ليفهم انه قد حدث عطل بسيارته استدعى ذهابه بها إلى الجراج لاصلاحها وانه قد يتأخر بعض الوقت لهذا السبب

وجاء الغلام إلى حجرة الاستقبال ، وأبلغ سيدته هـذا الاعتذار المكذب على مسمع من الضيوف ، وما كاد ينتهى الغلام من روايته حتى وقفت عزيزة ، باسمة الثغر ، مشرقة الوجه وقالت :

— اذن هيا نتناول طعام العشاء

فقال أبوها : « خير لنا أن ننتظر قليلا »

فابتسمت عزيزة وقالت :

— لا فائدة من الانتظار لأنى أعرف شدة حرصه على سيارته الجديدة ، فهو لن يدعها تزيد الصناع دون أن يشرف على عملهم بنفسه . تفضل يابابا

وبهذه الاكذوبة استطاعت أن تنجو من حرج موقفها ، وما استراب أحد ، عدا أمها ، فى هذا الاعتذار

بيد أن قلبها ظل كالرجل يغلى ويفور ، فلم يغمض لها جفن ، وظلت ساهدة الطرف ملتاعة القلب ، ثائرة حانقة ، تفكر فى كل خاطر حتى عاد زوجها فى الثانية بعد منتصف الليل

وسمعت بوق سيارته يدوى فى سكون الليل ليفتح له البواب . وبعد دقائق سمعت وقع خطواته فى (الصالة) ثم فى غرفته ، وكان يسير فى خطوات ثقيلة غير متزنة ، فأيقنت أنه مخمور كعادته فى كل ليلة . . وهبت عزيزة من فراشها وفتحت الباب الفاصل بين المخدعين ، ورأته يهم بخلع ثيابه ، فوقفت ترنو اليه بانظار حداد ، وعين ملتهبة ، وصدرها يعلو ويهبط ، ودماؤها تغلى فى عروقها زاخرة موارة . وقد فقدت فى هذه اللحظة تمالكها ، فشعرت بمثل الرعدة تسرى فى أعصابها ، وبرودة فى أطرافها

ورآها عزت واقفة بالباب ، فتوقف لحظة عن خلع ثيابه ، ونظر اليها فى صمت وسكون ، وكأنما شعر بهذه العاصفة فلم ينبس بلفظ ، ثم عاد يستأنف فى خلع ثيابه

وقالت عزيزة فى صوت جهدت أن يكون هادىء النبرات : « أين كنت إلى الآن ؟ »

وعلى الرغم من استخفافه بأمرها ، فقد شعر بجرمه وأحس رهبة الموقف ، فلاذ بقوله :

ـــ كنت مع بعض الصحاب

ـــ ألم أتوسل اليك أن تعود ظهراً ؟

ـــ لم استطع

ـــ ما الذى منعك ؟

فنظر اليها فى حدة وقال « اف . أتريدين محاسبتى ؟ »

ولم تستطع عزيزة كبح جماح عواطفها ، فقالت فى صوت اختلطت فيه نبرة الحدة :

ـــ ان هذا من حقى . لقد احتملت كل عبثك واستهتارك بواجبك ، واعراضك عن دارك ، واهمالك شأن أسرتك . احتملت أن أراك تخرج من الدار فى الصباح لتعود فى صباح اليوم التالى مخموراً ثملا . احتملت أن أرى ابنى يبحث عن أبيه فى أنحاء الدار ، ويناديه ليل نهار ، دون أن تقع عينه عليه الا فى فترة قصيرة فى الصباح . احتملت أن أعيش فى دارك كمخلوقة تطعمها لوجه الله . وليست زوجة لها حقوق تستطيع أن تطالبك بها ، وترغمك على الاعتراف بها . صبرت وتجلدت راجية أن تنبين على مر الأيام مبلغ ماتجنى بى من ظلمك وعسفك ، ولأنى كنت أعلى ما أعانى بعجوة عن الأنظار . أما اليوم وقد افتضح أمرى ، وأحرج موقفى ، واستطاع أهلى أن يتبينوا مبلغ استخفافك بشأنى واستهتارك بكرامتى . أما اليوم وقدم تحديتنى علنا ونصبتنى العداء جهارا ، فلا حاجة إلى تكتم ماجهرت به ، والى احتمال ما كان سراً مطويا بينى وبينك . . . .

ولم عزت أن يقاطعها فرفعت يدها فى وجهه وقالت فى صوت علت نبراته دون أن تشعر :

لا تقاطعني ودعني أتمم حديثي . لم احتمل ما احتملت ، ولم أصبر واتخذ ضعفاً مني وخوراً، كلا . فما كان هذا مني ضعفاً ولكني أملت أن يأتي يوم تتبين فيه عبث الحياة التي تحياها، وتتلمس ولائي ووفائي ، وترى رأي العين انك تبدد حياتك في باطل ليس يجدي ، وانك تبدد كذلك حياة زوجتك وابنك ظلما وعدوانا . صبرت راجية . . . .

وعاد عزت مهم بمقاطعتها مرة أخرى . وعادت هي الى رفع يدها في وجهه والى متابعة حديثها :

— انى اعرف انك ستعمد الى معاذير مختلقة كاذبة واهية . وقد استمعت الى ما قيه الكفاية أربعة أعوام ، فلست أريد منها المزيد ، ولن أقبلها . لقد صبرت على عبثك راجية أن ترعوى يوماً ، وأن تعود الى عشك فتهنأ بأسرتك وتتم اسرتك بوجودك بينها وبعطفك عليها ورعايتك لها . ولكنك ظللت سالكا سبيلك المعوج برغم كل جهودي وتوسلاتي . كأنك صببت نفسك عدواً لي ولابني . وكأنك لست زوجا لي ولا أبا لابنك وقد نفد صبري وضاق ذرعي . فلن أستطيع ان أظل على احتمالي لعبثك واستهتارك . وسادعك منذ الغد . وسأقضي أياماً أو شهوراً أو اعواما ، والامر موكول اليك ، حتى تستطيع أن تفكر في أمرك ، وأن تتبين اى الامرين أصلح لك ، وأكثر ملاءمة : الزواج أم العزوبة . وسأعود ايت راضية يوم تعرف لزوجك وابنك حقهما

ودارت على عقبيها وهمت أن تعود الى غرفتها فأهاب بها : عزيزة

فاستدارت له وقالت :

— لم أحدثك بما حدثتك به لاني اريد جدلا وشجاراً . ولكني كشفت عن حقائق ، فلك أن تفكر فيها وأن ترى سبيلك من خلالها . وقد تحسبني الآن عابثة . ولكنك ستدرك إن عاجلا وان آجلا اني سلكت معك خير سبيل يمكن أن تسلكه زوجة مع زوجها العابث

وبارحت الغرفة واغلقت الباب وراءها . وظل عزت واقفاً مكانه وهو لما يتم خلع ثيابه

وكانت كلمات زوجته قد تغلغلت في اعماق قلبه وآلمته الحقائق المرة التي كشفت عنها وحزت في نفسه نبرة الألم المختلجة في صوتها

وتابع عزت خلع ثيابه ، وتناول سيجارة من علبته واشعلها وهو شارد الذهن يفكر فيما سمع منذ لحظات . وكانت اخر ما تزال تلعب بعقله وتدور في رأسه . بيد ان كلمتها كانت لا تنفك تطن في أذنه . وذكر عزت قولها له : « . . . ابنك يبحث عن أبيه ويناديه » . . .

واختلجت عاطفة الابوة في قلبه ، فغادر غرفته وهو يسير وئيداً منحنى الرأس يدخن سيجارته في بطء وشرود

ودخل غرفة ابنه ، وكان لها بابان ، احدهما كان مفضياً إلى (الصالة) والآخر إلى غرفة زوجه

ووقف قبالة المهد الذي يرقد فيه ابنه ، وراح ينظر الى ذلك الملاك الجميل

وابتسم الطفل في نومه . ورأت الابتسامة في نظر ابيه ، فابتسم في ابتسامه ، وقذف سيجارته على الطنفس ، ووضع قدمه على ما ظنها سيجارته . ثم انحنى على المهد وطبع قبلة على جبين الطفل ثم اعتدل في وقفته وظل لحظة ينظر الى ابنه . . وغادر الغرفة وأوى إلى فراشه

* * *

ودوى صوت مزعج رهيب في سكون الليل

وهب عزت من فراشه مذعوراً وانتصب واقفاً على قدميه وغادر غرفته الى الصالة

ودوى الصوت مرة أخرى . وتبين فيه صوت زوجته عزيزة . فاندفع من مكانه كالمجنون ، وفتح باب غرفتها . ورأى ألسنة النيران مشتعلة في غرفة ابنه وهي تطول وتقصر وقد سدت الباب الفاصل بين غرفة زوجته وغرفة ابنه . كأنما هي تحول دون دخول احد

وكانت عزيزة واقفة وسط غرفتها ، وهي ترى ألسنة النيران تمتد اليها ، وتطول وتقصر ، كما يداعب الحيوان فريسته بذراعه

وفي مثل سرعة البرق ، وفي غير وعي ، اندفع عزت في داخل الغرفة ، ونحى زوجته عن طريقه ، ثم قفز الى غرفة ابنه قفزة قوية . وسقطت قدماه على نيران حامية ، وشعر بألمها ، ولكنه اندفع الى المهد وقد أحاطت به النيران ، وكانت تمتد الى الطفل فتطويه

وانتزع عزت ابنه من مكانه وخرج به من الباب الآخر المفضي الى الصالة وهو يعدو عدو الظليم . وعلى الرغم من اشتداد النيران ، وتكاثف الدخان . فقد وقفت عزيزة وسط غرفتها ، وقد سمرت مكانها ، ووجف قلبها ، وهي ترى زوجها مندفعاً الى انقاذ ابنه

ورأته يخرج به في لحظة ، فاندفعت الى الخارج ، وتناولته منه بين ذراعيها ، وراحت تحتضنه الى صدرها في حنان عظيم . . وبادر خادم ذكي الفؤاد الى التليفون فاستدعى رجال المطافئ

وخفت لهفة عزيزة على ابنها حين رأته سليماً ، ورمت أنظارها الى حيث كان زوجها ، فألفته على أحد المقاعد وقد أغمي عليه من فرط الألم ، فنهضت من مكانها على عجل ، وأعطت طفلها الى خادم ، وطلبت منها أن تخرج به الى الحديقة . واستعانت بخادمين ، ونقلت زوجها الى غرفة بعيدة عن مكان الحريق . ثم بادرت الى التليفون واستدعت طبيب الأسرة

* * *

أطفئت النيران بعد أن أتت أثاث الغرفتين ، وخرج الكل منها سليماً إلا عزت . فقد أصيب بحروق شديدة في قدميه وأخرى خفيفة في وجهه

ولزم عزت فراشه ، وقد ضمدت حروقه وشدت اللفائف حول وجهه وقدميه

ونسيت عزيزة موجدتها عليه وحنقها وسخطها وآلامها وأشجانها ، ولم تذكر إلا فضله

العظيم عليها وصنعه الجميل معها حين أنقذ ابنها وفلذة كبدها من بين ألسنة النيران

ونسيت عزيزة أن محموداً ابنه كما هو ابنها ، وأنه أنقذه لأنه ابنه لا لأنه ابنها

بيد أن هذا الصنع الجميل قد أثر في قلبها أبلغ التأثير ورفع مكانه في نظرها وأفاض حب له وإعجابها به وعطفها عليه . ولزمت مخدعه تخدمه وتمرضه وتسهر على راحته ، وأبت أن تدع أحداً يقوم بخدمته ، وأبت إلا أن تلازمه ليل نهار

وكان عزت يرى منها هذا الولاء العجيب وذلك الوفاء الفذ ، وعادت كلمات الحادثة المثرثرة الحكيمة الآلية تطن في أذنيه ، وتبين من ثناياها ما هي عليه من عقل راجح ولب رصين وولاء أنعم به من ولاء ، وعجب كيف استطاع أن يغمض عينيه فلا يرى كل هذه المزايا الفذة ، وعجب كيف فضل عليها نساء داعرات خليعات

وراح عزت ينظر إلى زوجته وهي تذهب وتجيء في الغرفة ، تقوم بشأنه وشأن ابنه في غير كلل أو ملل ، ويرى ما هي عليه من جمال فتان وحسن خلاب وأدب جم

ونظرت اليه عزيزة فجأة بدافع لا تدرى كنهه ، ورأته يتطلع اليها بأعين ملؤها الاعجاب ، فخفق قلبها خفقة البهجة وابتسمت ابتسامة خلابة وقالت في رقة :

— ما بالك تنظر إلى هذه النظرة ؟

— أكاد أراك على حقيقتك للمرة الاولى

فالتفت عليه حانقة ... وقد استندت بيديها على فراشه وقالت :

— وماذا رأيت ؟

— رأيت أني كنت أعمى أحمق مغروراً

فضحكت ضحكة ... رقيقة ... . « إني لا أسألك عن رأيك في نفسك »

فابتسم وقال : « ورأيت أنك جديرة بكل حب ، وأني أحبك وأعبدك »

فازداد امتقاعها وقبلته في فمه ثم ابتسمت وقالت :

— ألم تر كنك أني أحبك ؟

— كان جديراً بي أن أرى ذلك منذ سنوات

— أحمد الله أنك استطعت أن تراه ولو بعد حين

— ولكن . . . .

وصمت لحظة فقالت : « ولكن ماذا ؟ »

— هل أرجو منك صفحاً وغفراناً ؟

— حسبي أنك عدت إلى وإلى ابنك ، فأغتفر لك ذنوب الدنيا والآخرة

« ابن الطبيعة »

القصة الفائزة الثانية

قطعة لحم

بقلم الدكتور بشر فارس

ــ هب يا مبروك !

ــ أهب ؟ لم ؟ ما الساعة ؟

ــ الساعة السابعة يا بليد . ألم أقل لك أدرك التلاميذ قبل دخولهم المدارس واعرض عليهم أوراق « يانصيب » ؟ إنك لا تصنع شيئاً في عرض هذه الأوراق على الشيوخ والكهول . فعليك بالشباب ، ولا تنس أن تقول لهم إنك يتيم ، لا مأوى لك ولا عائل ، فإنهم أرق قلباً وأخفض جناحاً

ــ أرق قلباً ! أخفض جناحاً ! ماذا تقولين يا خالتي ؟ هل نسيتِ أني كلما قصدت واحداً من هؤلاء التلاميذ انقض على بين يدي في استهزاء وقسوة ، حتى الفتيات لا يعطفن علي ؟

ــ معاذ الله ! إن الرحمة قد تساقطت من قلوب الناس ألا يعطف خلق على طفل مثلك مسكين ضئيل ؟ هب ! هيا

قالت هذا ثم بسطت يدها إلى مبروك وجذبته من حصيره وهزته هزة عنيفة . فتصور مبروك وهم أن يضج ، فصمت ، فأخذ يفرك عينيه ويتثاءب ويتمطط

ــ يا مبروك إن تبع عشرين ورقة تأكل من اللحم ، وإلا فطعامك ما تعلم

ــ إني أسمع هذا منذ سنة ، ولا سبيل لي أن أبيع عشرين ورقة في يوم واحد ، ولكني اشتهي اللحم !

ــ اشتهاك الموت يا عقرب ! ثمن عشرين ورقة ثم اللحم ـ هذه كسرة خبز وقطعة « مش » ـ لا تحس إلا الأكل يا لعين ، وزوج خالتك يكد صباح مساء من أجلك ، وأنت تعلم أن الحال لا يكاد يصيب الرزق . قطع الله تلك المدنية التي تحول بين الفم والقصعة ـ انطلق يا بليد وإياك واللعب

دس مبروك « المش » وكسرة الخبز في جلبابه . ويا له من جلباب مقدود من ناحية مرقع من أخرى ، فوقه معطف افرنجي لا لون له ، إلا أن طائفة من البقع تزينه . وكان الجلباب

والمعطف لا يستطيعان جميعاً أن يسترا القذارة المنتشرة على أطراف مبروك وعنقه . وكأن القذارة أصابت هناك مكاناً طيباً فاطمأنت به فربضت

انطلق مبروك ثم عاد مساء ، وما انفك ينطلق ويعود ، ويبيع العشرين ورقة من وراء طاقته . وكأن هذه الورقات العشرين يلفظن قطعة اللحم التي يشتهيها ، فلا بد له من تذهن حتى يظفر بالقطعة . وكان يتفق له أن يبيع ست عشرة ورقة بل سبع عشرة ، فيتحسس قطعة اللحم تحت الاوراق الباقية ، فيجن جنونه ، ويطير إلى الناس يعرض الاوراق عليهم ، فإن نظر اليهم لمع بعينيه ذلك البريق الذى يلمع بطرف الغزال ساعة يخشى التلف ، وإن لوح باوراقه كان لمن يلوح بمنديله وهو آخذ فى الغرق

خاب مسعى مبروك الخبية كلها ، ولكن هل علمت الطفل إلى ما يقع تحت حسه ؟ خاب أمل مبروك فلم يلبث أن انسلخ من جانب الحقيبة لينطلق إلى جانب الخيال فى غير كلفة عليه . فجعل يتوهم عالماً يسد حاجة نفسه ، وما الحاجة التى بنفس مبروك سوى أكل اللحم ! فانه لا يطمع فى جلباب قشيب ولا يرغب فى مشاهدة صور متحركة ، فليس هذا مما يتمثل له فى البيئة التى يعيش فيها ، ولكن الذى يراه ويقصر عنه فى آن هو أكل ذلك اللحم الشهى

فكان العالم الذى توهمه مبروك واستطاب الانسراح فى حسه عالماً تتزاحم فيه اللحوم . وأى اللحوم يا ترى ؟ أصناف الدجاج وألوان الخروف ؟ كلا بل صنف واحد ولون واحد : ذلك اللحم الذى يحمله زوج خالته قطعة قطعة على صحن الارز يوم الجمعة وأيام الاعياد . وكان هذا العالم المتوهم يقع عند مبروك موقع العالم المحسوس ، وهل ثمة ما يفرق بينهما عند الطفل !

* * *

ـــ يا ولد

ـــ !

ـــ يا ولد

ـــ أطال الله عمرك يا سيدى . خذها منى . خذها انها الورقة الرابحة

ـــ لا حاجة بى الى ورقتك . بل هل لك أن تحمل حقيبتى الى دارى ، فتظفر بالأجر ؟

اضطرب مبروك ساعة : أيحمل الحقيبة فيظفر ببضعة نقود ؟ ولكن أين هذا من عمله وأوامر خالته ؟ الا أنه خطر بباله أن النقود تهيء له اللحم ، فما أبطأ حتى نسي أوامر خالته وأعرض عن عمله . فتناول الحقيبة فى أسرع من ارتداد الطرف وتبع صاحبها . وفيما هو يسير اذ عرض له أن صاحب الحقيبة ربما حرمه الأجر . ألم تعده خالته فى عيد الاضحى الذى مضى بقطعة لحم ثم لم تمكنه الا من سمكة . فان هى أخلفت وعدها فلم لا يخلف صاحب الحقيبة وعده ؟

عرض هذا لمبروك ثم رسخ فى ذهنه حتى انه أراد أن ينهب الارض عدواً فينتهى الى بيت الرجل ، فيطمئن باله

بلغ الرجل المكان الذى أراده ، فاخذ الحقيبة من بين يدى مبروك ثم دس فى يده قرشاً . فنظر اليه مبروك نظرة الذاهل . فظن الرجل أنه يستقل القرش ، فابتسم وسمح بآخر . فولى مبروك خشية أن يسترد الرجل القرشين ، وأخذ يركض حتى خفى عنه . فلما هدأت نفسه هرول الى مطعم من مطاعم السوقة :

ـ بعنى يا عم من اللحم الذى يأكله زوج خالتى

ـ الذى يأكله زوج خالتك ؟ هل لزوج خالتك لحم معين ؟

ـ لا أدرى ، ولكننى أريد الذى يأكله

ـ وما يأكل ؟

ـ اللحم ، سبحان الله !

ـ ولكن اللحم على أصناف !

ـ ماذا تقول ؟

ـ قاتلك الله أنت وزوج خالتك ! قل لى كيف تريد أن تأكل اللحم ؟

ـ أريد أن آخذه على الارز

ـ خذ من اللحم المسلوق اذن

ـ هات . وان لم يكن ذلك الذى يأكله زوج خالتى فلا بارك الله بك

ـ ما أقصر عقلك !

سلك مبروك قطعة اللحم فى جيب من جيوب جلبابه ، ثم انزوى ناحية بحيث لا يراه أحد فاستل القطعة ، وجعل يتأملها كمن يتأمل امرأة امتنعت عليه ثم انقادت له ، وقلبها ظهراً لبطن كالفنان الذى يدير بين يديه تمثالا صغيراً نحته بعد طول عناء ، وحملها الى أنفه كطالب يخرج يشم شذاها قبل أن يقتنيها ويضمها الى صدره على غير وعى ويملأ منها عينيه

أبى مبروك أن يأكل القطعة لساعته ، مغالباً نفسه ، فسلكها ثانية فى جيبه حتى يجعلها قطعة قطعة على طبق الأرز الذى يتغدى به . وكان ـ وهو يسرع إلى بيته ـ يحرك شدقيه ويخرج لسانه فيمسح به شفتيه كأنه يتتبع طعم اللحم فيهما . وكانت يده تتحرى القطعة من حين إلى حين كى يفيق من إغماء فيتحسس قلبه

دخل مبروك الدار وقد حاول خاله . وتلفت لعله يصيب مكانا يخبيء فيه قطعة اللحم . فوقع بصره على طست صغير ، فرفعه بعض الشيء ثم دس تحته القطعة . وما فرغ من عمله حتى صاحت به خالته وأمرته باحضار خبز . فانطلق وما كاد ينطلق حتى هبت ريح شديدة رمت عن النافذة

جانباً من « الخيشة » التى كانت تقوم مقام الزجاج . فتنبهت الخالة ، فبادرت الى النافذة ، وحاولت أن تسد الثغرة فلم تفلح ، فنظرت حولها ، واذا القطـة يمرض نفسه ، فجذبته ، واذا قطعة اللحم تتضح . فهوت عليها وجعلت تحدق اليها دهشة . ولما عاد مبروك استخبرته الخبر بلهفة . فأخذ مبروك يلفق قصة عجيبة ، أراد بها أن يجادل عن نفسه ـ قال :

« ان رجلا علاقا تعرض لى وانا أجول ، فقال لى : انى افتش عنك من زمن ، صاحبنى قليلا فأبيت . فما زال بى حتى تبعته . وما كدت أسايره حتى غاب عنى فجأة كأن الارض انشقت من تحت قدميه . فلبثت باسطا يدى ابحث عنه . واذا قرش يقع فى يدى . واذا صـوت يهمس فى أذنى : أن اشتر قطعة من اللحم واذهب بها الى بيتك ، وادفعها الى خالتك » .

سمعت الخالة هذا الحديث الذى لا يقدر على مثله سوى الاطفال ، وهى لا تشك أن مبروكا يعبث بها . فنشته ودنت منه متوعدة . فحلف مبروك بأغلظ الأيمان انه صدقها الخبر . فهمت به تريد أن تضربه . فعاد إلى ايمانه يديرها على لسانه كما يدير الناسك خرزات المسبحة . فأمهلت الخالة لحظة وقد نال منها الصدق الذى فى لهجة مبروك فنمت بلطمتين أو ثلاث ، ثم قالت له :

ـ ان جزاءك أن تراني انا وزوجى نأكل هذا اللحم

لما غابت قطعة اللحم فى بطون الخالة وزوجها ، دنا مبروك منهما فدفعته خالته فى عنف ، وأغلظ زوجها له الكلام . إلا أن مبروكا تلطف وتمادل ثم مال الى خالته وقال فى لهجة المستعطف : بالله خبرينى عن طعمها . قالت : « مالك وللحمة ، الك الارز » ثم انصرف

انصرف مبروك كئيباً باكياً يجر قدماً ثقيلة . وما بلغ رأس الزقاق الذى يسكن فيه حتى رآه الشيخ « مرسى » ، ذلك الشيخ الذى يقضى نهاره عند رأس الزقاق ساكناً هائم الطرف ، كأنه يستوضح مشكلات الكون !

لمح الشيخ دمعة تندر من عين مبروك ، فقال له :

ـ ما لك ؟

ـ لا أم لى

ـ وما بكاؤك إذن ؟

ـ أباك أنا ؟

ـ سبحان الله ! طفل ومكابر !

ـ بالله ياشيخ مرسى إن لى سؤالا ، فهل تسمع ؟

ـ هات يامبروك

ـ لاتظنى اسألك اهتماماً منى بالسؤال . غير أنى حلمت حلماً عجيباً ، وفيه ما أحب أن استفسر عنه

ـ هات سؤالك ثم ابسط حلك

ـ هل طعم اللحم بعيد عن طعم السمك ؟

ـ ما هذا السؤال ؟ والله يا مبروك انى لم اذق اللحم من زمان ، فأنت تعلم انى فقير ، وفقير اليوم غير فقير أمس . إلا انى لا أشك ـ على ما اذكر ـ أنه شتان مابين طعم اللحم وطعم السمك .

ـ يالله ! هل الفرق عظيم ؟ ـ عظيم . . .

ـ عظيم جداً تعنى ؟

ـ اى والله . ان بين الطعمين مابين . . . مابين . . كيف أشبه ؟ . . مابين شارع فؤاد الاول وحارة درب المهابيل

ـ يارسول الله !

ـ ما حلك الان ؟ ـ حلى ؟ دعه !

راح مبرك موزع العقل . أبين طعم اللحم وطعم السمك ما بين فؤاد الاول ودرب المهابيل ؟ اللحم ـ اذن ـ شيء عظيم !

راح مبروك وطعم اللحم يشغل حلقه . وبينما هو فى الطريق إذ عرضت له فتاة فى سنه

ـ مالك يامبروك تقمص وجهك كأنك تمديت صمصمه ؟

ـ دعيني وشأني يازينب . فانى لا اريد اللهو اليوم

فضحكت زينب ، ثم احدثت بقرص مبروكا من هنا وهناك . فرد مبروك ، فلم ترتد عنها فاذا جلدها ينشق عن بعض ذراعها . فصر مبروك عفصل روى ملتوما . فمسه فاذا لحم غض يضطرب تحت أنامله . فانمس عينه بعضة عضة مفترس . فصوت الفتاة ، فهرب مبروك ولسانه يمص اضراسه

* * *

كرت الايام ، والعالم الذى كان أنشأه مبروك فى مخيلته أخذ يتزوى شيأ فشيأ حتى توارى . فعاود البشر قلب مبروك ، وراجعت الطمأنينة نفسه فاسترد طفولته وصفاتها فجعل يبسم للحياة ويطلب اللهو ، وكان وقع اليه أن اللهو ـ فى المولد النبوى ـ لايترك غاية وراءه ، فظل يرقب المولد وهو يتنزى

ولما كان المولد باكر مبروك الميدان الذى تنصب فيه الخيام . فبات يطوف بينها ، وهو صبيب من كل لون من الوان اللعب ما شاء الله ان يصيب . وكان يلذ له ان يعبث بالخلق : فتارة يزحم هذا ، واخرى يصدم تلك . وفيما هو يلهو إذ رأى عصبة من الناس يسيرون منتظمين فتبعهم اندفاعاً ، وما زال يتبعهم حتى ولجوا خيمة فتلوا بد شيخ اكل السجود جبهته ، مستو على كرسى دمى ، ثم دخلوا خيمة وراء الخيمة الاولى ، فاقتص مبروك اثرهم ، ثم جلسوا هنالك

حلقة حلقة ، فجلس معهم وهو لا يدري ماذا يصنعون وما كانت إلا ساعة حتى خرج شيخ من ورائهم ، على رأسه عمامة خضراء ، وبين يديه قطع لحم ومن خلفه مشايخ يحملون اطباق ارز. فوضع كلهم طبقاً وسط كل حلقة ، ثم أخذ الشيخ يوزع قطع اللحم

فلما رأى مبروك هذا حتى اهتز وجعل يضرب بمعصميه على فخذيه ويصوت بلسانه وهو لا يتمالك في مكانه . واذا العالم الذى انشأه فيما مضى ثم انزوى يبرز ثانية ـ امام عينيه ـ وضاء ملتهباً

كان مبروك يراقب الشيخ وهو يوزع قطع اللحم على غيره . وسرعان ما رأى القطع تمتد من يدي الشيخ فغص بريقه ، غير ان الشيخ دعا بغيرها فاسترد مبروك أنفاسه وما لبث حتى تنبه الى أن المولد النبوى ليس بمجال لعب بل مجال جد . فاخذ يفطن الى محاسن الدين خلف ليتقطعن الى العبادة

قدم الشيخ الحلقة التى فيها مبروك . وبينما هو يفضى بيده الى مبروك ـ وعيناه منصرفتان الى من بعده ـ هب الرجل الجالس بجنب الطفل ـ وكان اسود شديد السواد ـ فاختطف القطعة على حين غفلة من الشيخ فصاح مبروك بالشيخ فلم يعتد به . فقام اليه يجذبه من ثيابه فرده الشيخ فتشبث به مبروك بأنامله كما يتشبث المكروب بأمله فقال له الشيخ : مكانك يا ولد . فهم مبروك أن يشرح ماجرى له ، فقال الاسود ـ وفمه مشحون باللحم : لا تصدقه يا سيدى الشيخ إنه لئيم . فقال الشيخ : ما قصتكما ؟ فاحتد مبروك يمتم ، وحلقه بالشيح شرق ، فبادر الأسود الشيخ وقال له : انه يزعم ـ ما احقره ! ـ انى اختطفت القطعة من بين يديه ! فالتفت الشيخ الى رجال الحلقة لعله يصيب من يشهد لمبروك او عليه ، واذا رجال الحلقة يلتقمون الارز وقد حصروا كل حواسهم فى افواههم . فالتفت الشيخ الى مبروك وقال له : لو كنت صادقاً لشهد لك هؤلاء الرجال

وقف الطفل ساعة مدهوماً به ثم ادار نظره الى الحلقة وطبق الارز ، فاحس بما يحس به الزاهد فى الدنيا عند زخارفها

صدمت الحياة مبروكا ذلك اليوم ، فأثارت الفتنة فى نفسه إذ جعله يفطن الى أن الشقاء لم ينطو بين جدران بيته

ذهب عقل مبروك من جراء تلك الصدمة . والذى زاد فى ذهابه أنه كان طفلا لا يقدر أن يتبصر فيما دار له ، ولا يقوى على أن يميز بين الذى فى اعتقاده والذى فى الواقع

خرج مبروك من المولد وقد عرفت نفسه ما النقمة . فأخذت تتمثل الانتقام

فسار على وجهه ، وهمه مجانبة المولد ، إلا أنه لمح ـ عند منعطف طريق ـ تلك الخيام الناهضة . فشبه له انها شياطين عمالق . فنظر اليها ورأسه تشقه نزوة الحنق ، وصدره تأكله وقدة الوغر . ثم اتفق له أن يذكر أنه حلف لينقطعن الى العبادة ، فأخذ يعضض شفتيه وهو يعيد ، كأنه يقول : ان الورع لمن مشاغل من امتلأ بطنه

* * *

عزم مبروك - على غير تفكير - أن يشتفى من الشيخ ذى العمامة الخضراء . صمد النية على أن يسرق قطعة لحم . ألم يمنعه الشيخ اللحم ؟

عقد النية على ذلك وهو لم يحاول أن يجد صلة سبب بين صنيع الشيخ به ورغبته فى سرقة اللحم . وهل الطفل عهد بالمنطق ؟

جعل مبروك على نفسه أن يسرق قطعة لحم . فراح يدبر كيف يصنع . فما لبث أن خرج يوماً - وبين يديه أوراق « يانصيب » - الى ذلك المطعم الذى قصد اليه فيما مضى من الزمان فطفق يعرض أوراقه على الجالسين . قدمه الواحد بعد الآخر . وكان ينظر تارة الى الجالس وأخرى الى طبقه وهو لا يدرى ما يصنع ، حتى صار الى شيخ ضرير يلمس طبقه ، فأهوى مبروك بيده ليختطف قطعة لحم عجلة غارقة فى مرق كثيف . فاذا يد الشيخ قد هداها الله - بعد طول ضلال - الى الطبق ، واذا اليدان تجتمعان على قطعة اللحم . فصاح الشيخ صاحب المطعم : قاتلك الله ، أتسلبنى الطعام وأنا ضرير ؟ فهم مبروك بالفرار . فادركه صاحب المطعم ولطمه ثم جره الى شرطى مستند - فى الطريق - الى عمود من أعمدة المصابيح ناعس الطرف كأن الناس يسهرون عليه !

* * *

— ما اسمك ؟ مبروك ياسيدى المأمور

— ما اسم أبيك ؟

— أبى ؟

— نعم ، أبوك ؛ أليس لك أب ؟

— أمن الواجب أن يكون لى أب ؟

— ما أحمقك أو ما أقبحك !

— تسألنى عما لا علم لى به ؟ ألا اننى اسمع اخوانى يحدثوننى عن آبائهم . وأما أنا فلا أب لى فأحدث عنه

— أين تقيم ؟

— أقيم مع خالتى

— وأين تقيم خالتك ؟ — مع زوجها

— وأين يقيم زوج خالتك ؟ — معى ومع خالتى

— هزه ياشرطى ، لعله يدرك أنه ماثل بين يدى مأمور

— وا ذراعاه !

— أين تسكن ؟ — لقد أجبتك

— أقول لك : أين تسكن ؟ أعني هل لك مسكن ؟

نعم لي مسكن . ثم لي حصير أزرق انام عليه . وبودي لو يكون لي حصير أصفر مثل الذي تحت قدميك فهل تعيرني إياه ؟

— كيف ياسفيه ! أين موقع مسكنك ؟

— في « زقاق الجليس » عند شارع « كلوت بك » .

— ما حرفتك ؟

أبيع أوراق يانصيب ، هل لك في ورقة ياسيدي ؟ مد الله عمرك !

— أمجنون انت ؟ خبرني ما الذي حملك على سرقة اللحم ؟

— الشيخ ذو العمامة الخضراء !

— لاتمزح ياردبل ، وإلا فالعصا — والله لا امزح ياسيدي

— إذن لم سرقت قطعة اللحم ؟ — سرقتها لاغيظ ذلك الشيخ

— قل الحق — الحق اقول

— اصفعه ياشرطي — أواه أواه !

— أكنت تشتهي اللحم ؟ — كثيراً كثيراً

— أما ترى عليك جناحاً ؟ — مم ؟ في اشتهاق اللحم ؟

— اعلم أن من يشتهي اللحم يعرف كيف يكد في سبيل أكله . وكأني أتوسم فيك الخبث ، ومن يطل النظر الى ملامح وجهك يدرك انك نزاع الى الشر . ولا بد لنا أن ننفض عن المجتمع مثل هذا الغبار

— هل انتهيت ياسيدي ؟ اني ذاهب

— ماذا تقول؟

— نعم ، ذاهب . لانني لم ابع ورقة واحدة طوال يومي ، واني لأخشى العقاب حين اعود الى خالتي

— ياشرطي أوسع هذا الغلام ضرباً . فانه ليعبث بالشرطة كلها ، ثم ألقه في حجرة من حجراتنا فيبيت فيها ، حتى ننظر في أمره . وكيفما كان الحال فانه لطفل أمار بالخبث ، والخير كل الخير أن نأخذه أخذ العنيف

• • •

لولا فزعة شديدة نالته من سواد الحجرة ، ولولا تكسير في نواحي جسمه ، لبات مبروك ليله قرير العين ، مطمئناً الى غده ، لانه قام في ذهنه أن ليس بينه وبين المأمور إلا سوء تفاهم .. ولو علم أن الذي بينه وبين المأمور مابين الفقير والغني « رقيب افندي »

الأزهار المداسة

بقلم الامير مصطفى الشهابي

كنت البارحة أنحدر الى دمشق من داري في سفح (قاسيون) فاسترعى نظري جار يدوس أزهاراً ذابلة ملقاة في الطريق منها ورد وخطمي وخشخاش ومرغريتا وغيرها تتخللها زهرات صغيرات من الفل ، وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها وطمست بهجتها . فتذكرت على الفور قصيدة مرقصة عنوانها « السجينة » لشاعرنا العربي الامريكي الرقيق « ايليا ابو ماضي » نشرها في المجلد الخامس والستين من المقتطف ووصف بها زهرة كانت تعيش في الحقل قريرة العين هادئة البال سعيدة بالتراب النقي والهواء النقي والظل الندي ، ونور الشمس ودفئها وتراقص الاغصان على موسيقى الرياح وتطاير الفراش في النهار وتهاوي النيازك في الليل . فاذا بغاو من غواة الزهر يقطفها مغتبطاً بها فيضعها في زهرية ويسجنها في غرفة . فتتألم وتتضجع وتستغيث من نظرات الفساق وأنوف العشاق وفجور الفساق . فلا رقص الكواعب في القصر كرقص الفراش في الحقل ، ولا المصابيح المتلألئة في الابهاء كنور الكواكب الصيب في الدجى ، ولا ماء التبر الذي تسقاه في الزهرية كقطرات الندى في منبتها ، ولا عطر الحسان في عنق كريح التراب في غضونه . ويشتد السجن على تلك الزهرة المسكينة فتصفر وتذوي وهي في شرخ شبابها والفصل ربيع والهواء عليل ، حتى اذا جف رواؤها وعز شفاؤها طرحت فخرج بها خادم عديم بشمال

نظرت الى الجار يطأ تلك الأزهار دون أن يتعثر أو يتخشع فدنوت منه وبدأت الحديث بتلك القصيدة الفصحى ثم قلت . أو تدري يا صاح أن من الازهار الجثة النادرة نبتات يظل الزهارون يتعاهدونها سنين عديدة بالتطعيم تارة والتهجين أخرى ثم بالانتخاب والاصطفاء حتى تجيء كما يريدون من حيث تلونها وتزيينها وتبرقشها وأنهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات ؟ وهل علمت أنني قبل بضعة أيام بينا كنت عازماً على زيارة أسرة من الاسر لاح لي ألا أدخل الدار فارغ اليدين فصرت الى زهار فوالله ما رضي أن يبيعني باقة حقيرة يحملها الطفل فلا تثقله بأقل من ليرة سورية والناس في ضيق والأزمة مستحكمة الحلقات تشد على أعناق الناس وتمنع الكسرة من الرغيف عن حلوقهم ؟! واذا استسهلت الليرة السورية فسل سهل بن هرون عنها يجبك بمثل ما أجاب الرجل الذي استعطاه درهماً وهو قوله : « لقد هونت الدرهم وهو طابع الله في أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم . ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هونته . وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم . . »

لقد عبد بعض المصريين الاقدمين اللوطس وتوهموا أن الاله (رع) بلد من زهرته . وقدسوا الهرة وتخيلوا (هاتور) تخرج من بين أوراقها لتجعل الناس من الخالدين . وسمى العلماء بعض الازهار باسم آلهة اليونان والرومان . واتخذ الناس كثيراً من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النعوت المستملحة والصفات المستحبة ، فالبنفسج للحشمة والورد للجمال وهكذا . وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر فمثلوا الخدود كالورد والعين كالنرجس والشفة كالشقائق . أما بعض الهواة من الشعوب والملوك فقد خص كل منهم نفسه بزهرة أو بنبتة فكانت شعاراً له ودليلا عليه كالنخلة شعار العرب ، والاقحوان والكاميليا شعار اليابان تراها على نقودها وطوابعها ، كما ترى زهرة الآلام والزهرة الخالدة وعود الصليب على طوابع الصين . ولكم حفر النقاشون زهرة الزنبق على الاسلحة القديمة ، واعتز الانكليز بالوردة والارلنديون بالطرفيل واسبان غرناطة بالرمان وجمهورية البرتغال بالبرتقال

ولما رأيت الجار ساكنا يصغي الى حديثي الطويل الممل استرسلت فيه قائلا : —

هلا أنست نظرك فى أوراق هذه النباتات التى نموسها شأنك وأدركت أشكالها العجيبة من بيضية وسنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومفرصة الى عشرات من الصفات المختلفة ؟ وهذه الزهرات التى تمركها بحدائك ، هلا علمت شيء أجل الاشياء على هذه الكرة وأنقاها وأحبها الى قلب الانسان بألوانها الزاهية الانيقة وأشكالها المتنظمة الرشيقة وطرق ازهرارها المتفاوتة ؟ وهل جال فى خلدك أن تدخل قبة الصخرة فى القدس أو المسجد الاموى فى دمشق فترى تزاويق الزهر وتعاريج الورق فى زخرف عرق أخاذ ، ما برح ولن يبرح بهجة العين ودهشة المتأمل منذ ماسته اليد الصناع أيام كان الامويون ملوك الارض وسادة هذه الدنيا ؟ ثم هل عرجت على تدمر أو بعلبك فرأيت الازاهير كيف تنقش فى الصخر الاصم لتخلب الناس بها ؟ أو جزت الصالحية على الفرات أو أقمية على مقربة من العاصى فالقيت بنظرة على تلك النباتات المزهرة التى صكونوها من دقائق أحجار الفسيفساء ؟ ولكم نقش المصريون الاقدمون زهرة اللوطس وورقتها على هياكلهم وآنيتهم ونقودهم وحليهم . وكم سحرت أوراق الاقحوان فنانى اليونان والرومان فأوجدوها على أعمدة قصورهم وهياكلهم . ولم يكتف الاوربيون فى القرون الوسطى بهذا النبات بل نقشوا على جدران الكنائس زهر النيلوفر والسوسن والبنفسج وغيرها

ومالنا والناس نبحث عن حبهم الزهر فى الحقب الخوالى ؟ أفلسنا نرى فى أيامنا هذه رجالا متأنقين لكل منهم زهرة خاصة به لا تفارق معطفه البتة ؟ ونرى كواعب من غوانى النساء لا يستقبلن فى منازلهن إلا والزهر فى شعورهن أو فى نحورهن أو على أكتافهن حتى على خصورهن ؟ ولله در الذى قال إن الزهر يتبعنا من المهد الى اللحد . فاذا ولدت استقبلوك بالزهر واذا ختنت كللوك بالزهر

وإذا عيدت أهدوا اليك الزهر وإذا أعرست غمروك بالزهر وإذا انتقلت الى جوار ربك بعد عمر طويل حملوا الزهر أمام نعشك وفرشوا به قبرك أو نثروه عليه نثرا . وأي دار كبيرة تخلو من حديقة للأزهار يتولاها بستاني لبق ؟ وهل بهجة الدار غير أزاهيرها الفتانة ؟ ومهما حقرت الدار وكان صاحبها من ذوي الفقر والخصاصة فهي لا تخلو من زهرة في حوض أو في أصيص يبسم لها صاحب الدار كلما مر من أمامها وشاهد كأسها السندسية وتويجها النضر وأسديتها المتوالية ومدقتها المنضورة بمباهج الحياة . ورب بيت حقير في المزرعة الصغيرة عرشوا على جدرانه الياسمين أو الورد أو زهرة الآلام أو اللبلاب أو اللبلان او أشباهها فكستها بأغصانها المتشابكة وأوراقها المخضلة وأزهارها الفتانة حتى صيرت البيت أروع في العين من جلال القصر المنيف . ثم لا بد لي أن أحدثك عن الزهارين وفنهم في اعداد الزهر المبكر والزهر المتأخر . وعن أسواق الزهر في حواضر البلاد ، وعن بائعات الزهر ومنهن الجميلات المتبرجات اللواتي تكاد تضاهي على ما يبعن . ومن أعياد الزهر وكيف تنتهك فيها حرمة هذه المخلوقات الملائكية ليلهو ابن آدم بنشقاتها . وعما يستعمل من الأزهار في عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الشعانين وغيرها من الأعياد . وكل هذا يحتاج الى وقت طويل . وإنما نحن نتحدر الى دمشق وحوادث الذي قصصت عليه هذا الحديث ... لم تتحرك له شعرة . ولما هممت بالعودة الى تنبيهه عن وطئه للأزهار الملقاة في الطريق ... كان منه الا أن قام الى زهرة من الفل كانت في يده وقال « تنتشي وتحتفي اليوم وأعيدها الى غد » ثم انصرف مايديه وما يعيد . فلما كان الغد قرع علي باب الدار باكرا وقال : « أين الفلة » فقلت : « فسدت فنبذتها » فقال : « ووطئتها أنت أو وطئها غيرك دون أن يتحرج أو يتألم فاعلم يا صاح أن هذا هو مصير كل حي في هذه الدار الفانية وان كل ما تحدثت الي به البارحة عن قداسة الزهر ولزوم رعايته كلام أجوف لا طائل فيه . فالزهرة لها عمر محدود متى استوفته عادت الى التراب فاندمجت به فاعتقدت بها زهرة ثانية الى أن تهرم هذه فتموت فيكون مصيرها مصير الأولى وهكذا . فأما والأزهار بالغة أجلها سواء أكانت في الحقل ام في غرفتك ام على رأس غادة ، حسنك فمن اللائق بمكان ألا تتمتع بها على الشكل الأتم . وما برح الضعيف مسخراً للقوي والحياة عراك بين الأحياء مستديم . ولو أن الانسان اقتصر على الاضرار بالأزهار وعف عن ايذاء ابناء جنسه لكان الخطب أهون والبلاء أيسر ، ولكن هيهات . . . »

دمشق   مصطفى الشهابي

سقوط الدولة الاموية

وقيام الدولة العباسية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدولة الاموية دولة الامبراطورية الاسلامية الكبرى، ففي ظلها امتدت الفتوح الاسلامية شرقا الى السند وغرباً الى المحيط واسبانيا، ووصلت الامبراطورية الاسلامية إلى ذروى ضخامتها وقوتها، متماسكة الاجزاء موحدة السلطان والامارة. ولكن فتوة الدولة الاموية ومنعتها ووحدتها لم تكن طويلة الامد، ولم تأت فاتحة القرن الثاني للهجرة حتى كانت هذه الدولة التي لم تجز بعد طور فتوتها، قد هرمت سراعاً وأدركها الانحلال والوهن، وتصدع صرح وحدتها الشامخ. واختتم ثبت الخلفاء الاقوياء من بني أمية بالوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان (٨٦ — ٩٩ هـ)، ثم بأخيهما هشام (١٠٥ — ١٢٥ هـ). ومنذ عصر هشام أحدث عوامل الانحلال والتفكك تعمل عملها في هذا الصرح القوى، فلم يمض طويل حتى اضطرمت الاندلس بالفتن وخرجت عن حظيرة الامبراطورية ولم يبق للخلافة عليها سوى سمعة اسمية. واستقل الزعماء المتغلبون بحكم افريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضة الخلافة. وتضعضع سلطان الخلافة في الولايات الشرقية النائية مثل خراسان وفارس. وأخذ ملك بني أمية يهتز فوق بركان مضطرم من الدعوات الخصيمة التي لبثت قبل ذلك بضعة قرن تعمل عملها في الخفاء، ثم لاح لها أن الفرصة قد آذنت بالانفجار

ولهذا الانحلال الذي سرى الى الدولة الاموية قبل أن تستكمل أطوار نموها وتوطدها، أسباب خاصة ترجع إلى الظروف التي قامت فيها، والى الآثار الدينية والمعنوية التي أثارتها السياسة الاموية في الجزيرة العربية ثم الى نتائج تلك المعركة الخالدة بين مختلف العناصر والعصبيات التي اشتركت في بناء الامبراطورية الاسلامية. فقد انتزع بنو أمية الخلافة والملك خلال معركة اعتبرها فريق كبير من الامة العربية خروجاً على آل البيت ذوى الحق الشرعي في الخلافة، وبوسائل لم تكن دائماً نزيهة ولا عادلة. وكان لما ارتكبه بنو أمية خلال هذه المعركة من الاحداث المثيرة، مثل القتك الذريع بآل البيت وشيعتهم (١) واقتحام المدينة ومكة والعيث فيهما واستباحة الحرم

(١) كان مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء عاشر المحرم سنة ٦١ هـ ومقتل عدة من أبنائه وذويه أشهر حوادث الفتك بآل البيت

المقدسة (١) أسوأ وقع في نفس الأمة العربية. وألقى الشيعة مصحف آل البيت وحملة دعوتهم في تلك الأحداث المثيرة غذاء المنشور بالسياسة الأموية وأساليبها. وأصيبت هيبة الخلافة الأموية من هذه الناحية بصدع لم تنهض من بعده. وذكت عوامل السخط عليها. واستغل الشيعة هذه العاطفة لبث دعوتهم وتدعيم عصبيتهم، وحشد الأنصار الساخطة في صفوفهم. وكان اضطرام العصبية والخلافات القومية من جهة أخرى يعمل عمله لتمزيق روابط هذه الامبراطورية الشاسعة. ففي افريقية كانت ثورات البربر القومية تستنفد قوى الخلافة ومواردها بلا انقطاع. وكان الخلاف بين العرب والبربر في الأندلس يهدد مصاير الاسلام والخلافة في ذلك القطر النائي، ويبث في عضد الزعماء والقادة، ويبعث الاضطراب والوهن الى صفوف الغزاة. وكان العرب أنفسهم قدوة سيئة في تفرق الرأي والكلمة. فكانت المعركة الخالدة بين مضر وحمير، وبين مختلف القبائل والبطون، تمزق أوصال الوحدة العربية وتقوض دعائم هذه العصبية القومية التي دفعت يوم اتحادها وتماسكها سيل الفتوح الاسلامية الى أقاصي المشرق والمغرب

كانت الخلافة الأموية تسيطر على دولة عظيمة مترامية الأطراف. ولكن سلطانها الحقيقي كان محدود المدى داخل هذه الامبراطورية الشاسعة. وكان موقفها يقوم على دعائم مضطربة. وفي ذلك ما يفسر تلك الظاهرة التي يعرضها لنا سقوط الدولة الأموية. فبينما هي تبدو في أوج قوتها وفتوتها، إذا بها تنهار فجأة، وتبدو في أحوال مظاهر ضعفها وتفككها. ويبدو ما كان يحيط بسلطانها الشامخ من عوامل مضعضعة وما كان يهدده من عوامل الهدم الخفية المنوية والنفسية. وكانت هذه العوامل الخفية في الواقع أخطر ما كان يهدد سلطان بني أمية. فإن تلك الأحقاد المرة التي أثارتها السياسة الأموية في نفوس خصومها كانت تسري وتضطرم، وتحيط ملك بني أمية بسياج خطر من الحفيظة والبغض. وكانت هذه الخصومة الخطرة التي يذكيها حب الانتقام هي عماد الدعوة الشيعية التي لبثت تشق طريقها منذ مقتل علي، ثم مقتل بنيه من بعده. ثم تأثلت وتوطدت منذ أوائل القرن الثاني من الهجرة. واستطاع الشيعة أن يظهروا في النواحي ولا سيما في العراق وخراسان وأن يضرموا عدة ثورات محلية خطيرة. لكن هذه الحركات الأولى أخمدت في سيل من الدماء، بيد أن القمع كان يذكي النضال وإراقة الدم تذكي ظمأ الانتقام. ولم تكن الحركة متكافئة من الوجهة المادية. فلم يكن للشيعة جيوش منظمة أو موارد يعتد بها. ولكن خطر الحركة كان يجثم في نواحيها المعنوية. واشتد هذا الخطر حين ضعف أمر العمال في النواحي واتسع الأمر على الحكومة المركزية. واختل سلطانها في الأنحاء النائية، وأضحى عرضة للانتقاض والانهيار

---

(١) في سنة ثلاث وستين من الهجرة أعلن أهل المدينة خروجهم من طاعة بني أمية. فسير يزيد بن معاوية جنده الى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة فاقتحمها واستباحها الجند وارتكبوا فيها أشنع الآثام. ثم سار جند بني أمية الى مكة فحاصروها وضربوا البيت الحرام بالمنجنيق والنار

ولبث دعاة الشيعة زهاء نصف قرن ينظمون دعوتهم ويضعون لها الاصول والقواعد ويحشدون لها الصحب والانصار فى سائر النواحى . وكانت كثيرها من الدعوات الثورية تلقى فى الخفاء تأييداً كبيراً . وليس من موضوعنا أن نتحدث عن مبادىء الشيعة ورأيهم فى الامامة ومساقها . ويكفى ان نقول إن اختلاف الشيعة فيما بينهم على حق الامامة ومساقها فى ولد على ، لم يحل دون اجماعهم على خصومة بنى أمية ولا دون استمرار الدعوة الشيعية وتقدمها . وكانت امامة الشيعة قد انتقلت بعد مقتل الحسين الى أخيه محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية (١) فلما توفى سنة ٨١ هـ قام بها ولده أبو هاشم عبد الله بوصية منه . واستمر أبو هاشم أيام الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان قائماً بأمر الشيعة يعملون عليه ويؤدون اليه الخراج . ثم توفى مسموماً بتحريض سليمان بن عبد الملك (سنة ٩٨ هـ) وأوصى بالامامة الى ابن عمه محمد بن على بن عبد الله بن العباس كبير عليه الشيعة يومئذ . والعباس هو ابن عبد المطلب عم النبى (ص) . وتقدمت الدعوة الشيعية على يد محمد ابن على تقدما كبيراً . وظفرت فى ذلك الحين بأعظم دعاتها العباسيين ، وهو أبا مسلم الخراسانى . وكان أبو مسلم فتى مغموراً أصله من مرو ونشأ بأصبهان واتصل ببعض نقباء الشيعة فى الكوفة ، فآنسوا فيه ذكاء خارقاً وحماسة تضطرم لآل البيت ودعوتهم . وسار معهم الى محمد بن على بمكة فأعجب بذكائه وعزمه واختاره داعية للشيعة فى خراسان (٢) ولما توفى محمد بن على وخلفه فى الامامة ابنه ابراهيم الملقب بالامام بعهد منه (١٢٦هـ) استمر أبو مسلم فى مهمته يبث الدعوة ويحشد لها الانصار . وكانت خراسان كما قدمنا احصن ميدان للدعوة الشيعية بعدها عن الحكومة المركزية وتضاعف الفتن فيها بين المضرية واليمانية . وكان أمرها من قبل بنى أمية نصر بن سيار فى مأزق صعب يستنجد عبثاً بحكومة دمشق ويشهد تفاقم الحوادث عاجزاً ، وحركة الشيعة تشتد وتجتاح خراسان بسرعة . ويروى ان نصر بن سيار كتب الى مروان بن محمد الخليفة يومئذ هذا الشعر القياس بالبوءة والنذير يستنجد به ويستحثه للدفاع عن عرشه وتراث اسرته :

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام

---

(١) وهو اخو الحسن والحسين من الاب فقط . ويعرف بابن الحنفية نسبة لامه خولة بنت جعفر بن قيس المعروفة بالحنفية

(٢) تختلف الرواية الاسلامية اختلافا كبيراً فى أصل أبى مسلم ونشأته . فيقول البعض انه حر يرجع الى اصل فارسى وضيع وانه ولد باصبهان ونشأ بالكوفة . واسمه الحقيقى ابراهيم بن عثمان بن بشار . ويقول البعض انه مولى من اصبهان واسمه ابراهيم . وقيل انه عبد لبكير بن ماهان احد عمال السند وانه استصحبه الى مكة فى زيارته لابراهيم الامام فاعجب بذكائه وفطنته واشتراه منه . واما تسميته ابا مسلم فيقال انه سمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم واتخذ كنية ابى مسلم، وقيل ان ابراهيم الامام هو الذى سماه بابى مسلم . ولما ظهر ابو مسلم وقوى امره ادعى انه من آل البيت من ولد سليط بن عبد الله بن عباس (راجع ابن الاثير ج ٥ ص ٩٣ — ٩٥ وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٢ — ٣٥٤ وابن خلدون ج ٣ ص ١٠٠ و١١٧ — ١٢٠)

فان النار بالعودين تذكى — وإن الحرب أولها الكلام
فان لم يطفها عقلاء قوم — يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري — أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما — فقل قوموا فقد حان القيام
ففري عن رحالك ثم قولي — على الاسلام والعرب السلام(١)

وكان ابو مسلم رجل الموقف يدبر الخطط براعة وقوة ، فلم يمض حتى ألفى الفرصة سانحة للعمل الحاسم ووثب في صحبه على نصر بن سيار وقوات بني أمية ، وهزمهم في عدة معارك (سنة ١٢٩ — ١٣٠ هـ) واستولى على مرو وسمرقند وخراسان ونيسابور وطرد منها عمال بني أمية ، وفر نصر بن سيار الى العراق ، وبسط أبو مسلم سلطانه على خراسان وفارس ، ورفع بها شعار الشيعة الاسود ، ودعا لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي المعروف بالسفاح أخي ابراهيم الامام . وكان الخليفة الاموي مروان بن محمد قد هاله ما رأى من تغلغل الدعوة الشيعية فقبض على ابراهيم الامام وهو يومئذ باحدى قرى الشام ، وزجه في السجن حتى مات (سنة ١٣٢ هـ) وزعم أخوه عبد الله ابو العباس واصحابه انه أوصى اليه بالامامة من بعده . فدعا له ابو مسلم في خراسان وفارس كما قدمنا . ثم سير أبو مسلم جيشاً الى العراق فلقيه أميرها ابن هبيرة في قواته ، ووقعت بين الفريقين على ضفاف الفرات معارك شديدة هزم فيها ابن هبيرة وفر بعده الى الشمال . واستولى الشيعة على العراق ودعوا لأبي العباس (ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ) ونزل ابو العباس عبد الله السفاح بالكوفة واستقر بها يرقب الحوادث (٢)

(١) تروى هذه الابيات بصور اخرى

(٢) من هو السفاح ؟ أهو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي أول خلفاء بني العباس أم هو عمه عبد الله بن علي ؟ تختلف الرواية الاسلامية في ذلك اختلافا كبيرا . فان الطبري (مصر ج ٩ ص ١٢٣) وابن خلكان (الوفيات ج ١ ص ٣٠٤) وابن الاثير (ج ٥ ص ١٥٤ و ١٥٥) وابن خلدون (ج ٣ ص ١٢٨ و ١٣١ و ١٧٣) يقولون ان السفاح هو أبو العباس عبد الله بن محمد أول خلفاء بني العباس . ويذكر لنا الطبري وابن الاثير كيف ان ابا العباس هو الذي اطلق على نفسه هذا اللقب حين القى خطابه الاول بمسجد الكوفة على اثر مبايعته بالخلافة فقال للناس في ختام خطابه : « فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبيح » الطبري (ج ٩ ص ١٣٢) وابن الاثير (ج ٥ ص ١٠٠) . ولكن هنالك رواية اقدم منها تذكر أن لقب السفاح لم يطلق على ابي العباس ولكنه اطلق على عمه عبد الله بن علي . ومن اصحاب هذه الرواية ابن قتيبة الدينوري (راجع الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٤٨) وصاحب اخبار مجموعة في تاريخ الاندلس (ص ٤٨) ، ووجه الرواية ظاهر من الوجاهة فيما ارتكب عبد الله بن علي من الفتك الذريع ببني أمية . بيد انا اخذنا بالرواية الاولى ، اولا لانها رواية جمهرة الاقطاب الثقات من المؤرخين ، وثانيا لان الذي اوصى بمطاردة بني امية والفتك بهم انما هو أبو العباس ذاته ، ولم يكن عمه عبد الله بن علي سوى منفذ لارادته وامره

وكان مروان بن محمد بن الحكم أو مروان الثانى (١) فى ذلك الحين يتخذ الأهبة للدفاع عن ملك بنى أمية الذى تصدع صرحه سراعاً . فحشد جيشاً ضخماً وسار شرقاً حتى وصل الى ضفاف نهر الزاب وهو فرع أيسر من دجلة يتصل به فى الضفة الشرقية ، جنوب شرقى الموصل ، وسار لقتاله قائد المسودة (الشيعة) فى العراق ابو عون عبد الملك بن يزيد الازدى ، وأمده أبو العباس بجيش آخر بقيادة عمه عبد الله بن على ، وبلغت قوات الشيعة كلها زهاء عشرين ألفاً وبلغت القوات الاموية زهاء مائة وعشرين ألفاً . ولكن حماسة الشيعة كانت تغنى عن الكثرة ، وكان تعاقب الظفر يذكى عزائمهم ويضاعف قواهم ، وكان الجيش الاموى على ضخامته قد خبت عزائمه واختلت صفوفه ، وعاثت قواه المثوبة . والتقى الفريقان على ضفة الزاب اليسرى ونشبت بينهما معركة شديدة حاسمة انتهت بهزيمة الجيش الاموى وتمزيقه ، وذلك فى الحادى عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٢ هـ (٢٥ يناير سنة ٧٥٠ م) وغرق فى النهر آلاف من جند الشام وعدة من زعمائه وقادته ، واستولى الشيعة على أسلابه . وفر مروان فى فل من صحبه صوب الشام فسار فى أثره عبد الله بن على وحاصر دمشق وافتتحها فى الخامس من رمضان . وفر مروان الى فلسطين ثم الى مصر . فبعث السفاح فى أثره جيشاً بقيادة عمه صالح بن على فلحق به فى مصر وظل يطارده من مكان الى مكان حتى ظفر به فى قرية بوصير من مديرية الجيزة ، وهنالك مزقت البقية الباقية من أنصار بنى أمية وقتل مروان آخر خلفاء الامويين بالمشرق وأرسل رأسه الى السفاح ، وذلك فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ

وهكذا انهارت دعائم الدولة الاموية سريعة مدهشة وقامت على أنقاضها دولة بنى العباس ، ولاريب أن أكبر الفضل فى تحقيق ذلك مصرع الشامخ يرجع فى معظمه الى تلك الشخصية العظيمة ، ونعنى أبا مسلم الخراسانى كان أبو مسلم احدى هذه العبقريات الشاملة التى تفتح فى معترك الانقلابات الحاسمة وتقوم على سواعدها الدول العظيمة . وكانت دعوة الشيعة وإمامة آل البيت محض هذا الانقلاب وروحه . ولكن بنى العباس ما كادوا يتبوءون ذلك الملك الباذخ حتى غلبت عليهم عصبية الاسرة . وألفوا فى أبى مسلم ما فيه تخشى عواقبه وفى الدعوة الشيعية خطراً يجب القضاء عليه . فلم تمض أعوام قلائل حتى قتل أبو مسلم (شعبان سنة ١٣٧ هـ) قتله ابو جعفر المنصور أخو السفاح وخلفه . ثم تتبع زعماء الشيعة وولد على بن أبى طالب بالنفى والمطاردة حتى مزق شملهم وسحق دعوتهم . واستخلص بنو العباس تراث بنى أمية لانفسهم . وقامت تلك الدولة العباسية الباهرة تصل تاريخ الاسلام فى المشرق وتسير به الى عصر جديد من العظمة والبهاء

محمد عبد الله عنان
المحامى

---

(١) يعرف مروان بن محمد ايضاً بمروان الجعدى ، وحمار الجزيرة ، او مروان الحمار

عصر العربات

وهل يعود من جديد

انتشرت السيارات وعم استعمالها ، واذا شكت سكك الحديد في نواحي العالم من منافسة السيارات لها ، فان العربات العتيقة التي تجرها الجياد لم تشك تلك المنافسة . لان الذي يشكو لا بد ان يكون له وجود ، وتلك العربات تكاد تعدم الوجود اليوم . اما في القاهرة والاسكندرية والمدن المصرية الكبرى ما يزال نجد عدداً من تلك العربات . غير أن العواصم الاوربية لم تعد ترى في شوارعها عربة واحدة . وهي التي كانت منذ سنوات قليلة تملأ الشوارع حتى كانت السيارات إذ ذاك أمراً مستحدثاً يلفت الانظار إذا مرت واحدة منها

مخزن الأعنة

مجموعة الأعنة في مصنع العربات الوحيد الذي بقي في برلين ، وتحتاج هذه الأعنة الى زمن طويل حتى تنفد ، وذلك لقلة الاقبال على شراء العربات في هذا العصر الذي طغى فيه سلطان السيارات

وقد كان « شارع لوبره » ببرلين مملوءاً بالورش التي تصنع عربات الركوب على أنواعها المختلفة ما بين فيتون ولاندو وكاريت ودوكار الخ . حتى كان أهالي برلين يسمون ذلك الشارع « شارع العربات » . أما الآن فلم يبق هناك سوى ورشة واحدة يملكها رجل اسمه « ياكوب تسوندر » . ولما كانت نفقات صنع العربات قد أصبحت باهظة لقلة ما يصنع منها أو لندرته ، فإن هــذا الرجل صار يشتري العربات القديمة ـ وخاصة عربات الأسرة المالكة القديمة ـ ويصلحها ويجددها ثم يبيعها للمشترين القليلين

وهنا نقول إنه ما تزال في ألمانيا سوق لعربات الركوب برغم خلو المدن الكبيرة منها وسوقها هو في الأقاليم حيث يفضلها كثير الزراع على السيارات لاسيما في المسافات القصيرة . ولا يخفى ان الزراع في جميع البلدان م محافظون على القديم بطبيعتهم ، فضلا عما لعربات الركوب من فخامة في المظهر وأبهة لا تدانيها فيها السيارات مهما علت

ولا يفوتنا ونحن نطرق هذا الموضوع أن نقول إن العربات لا يبعد ان تبعث من جديد وقد تغلب على السيارات أو تنافسها منافسة شديدة وذلك بفضل الضريبة الفادحة المقررة على السيارات والتي تزيد فداحة كل حين في مختلف البلدان . وقد نرى قريباً أثر ضريبة السيارات التي يعتزم تنفيذها في مصر ، فإذا بالعربات تكثر مجدداً وإذا بالحوذية يستعيدون مكانتهم ورخاءهم بعد حين

طبيانه ا

مقارنة طريفة بين طب العربات القديمة وطب السيارات الحديثة . ونظرة بسيطة إلى حالة كل من الطبيبين تدل على أن إصلاح العربة أيسر من إصلاح السيارة ، ومع ذلك فقد اختفت الأولى واغتصبت مكانها الأخيرة في أوروبا عامة

احتضار

تمثل هذه الصورة أحد [illegible]

مقبرة العربات

عدد كبير من عجلات العربات على اختلاف أحجامها ، وقد منيت سوق هذه العجلات بالكساد تبعاً لما أصاب العربات من جراء رواج السيارات

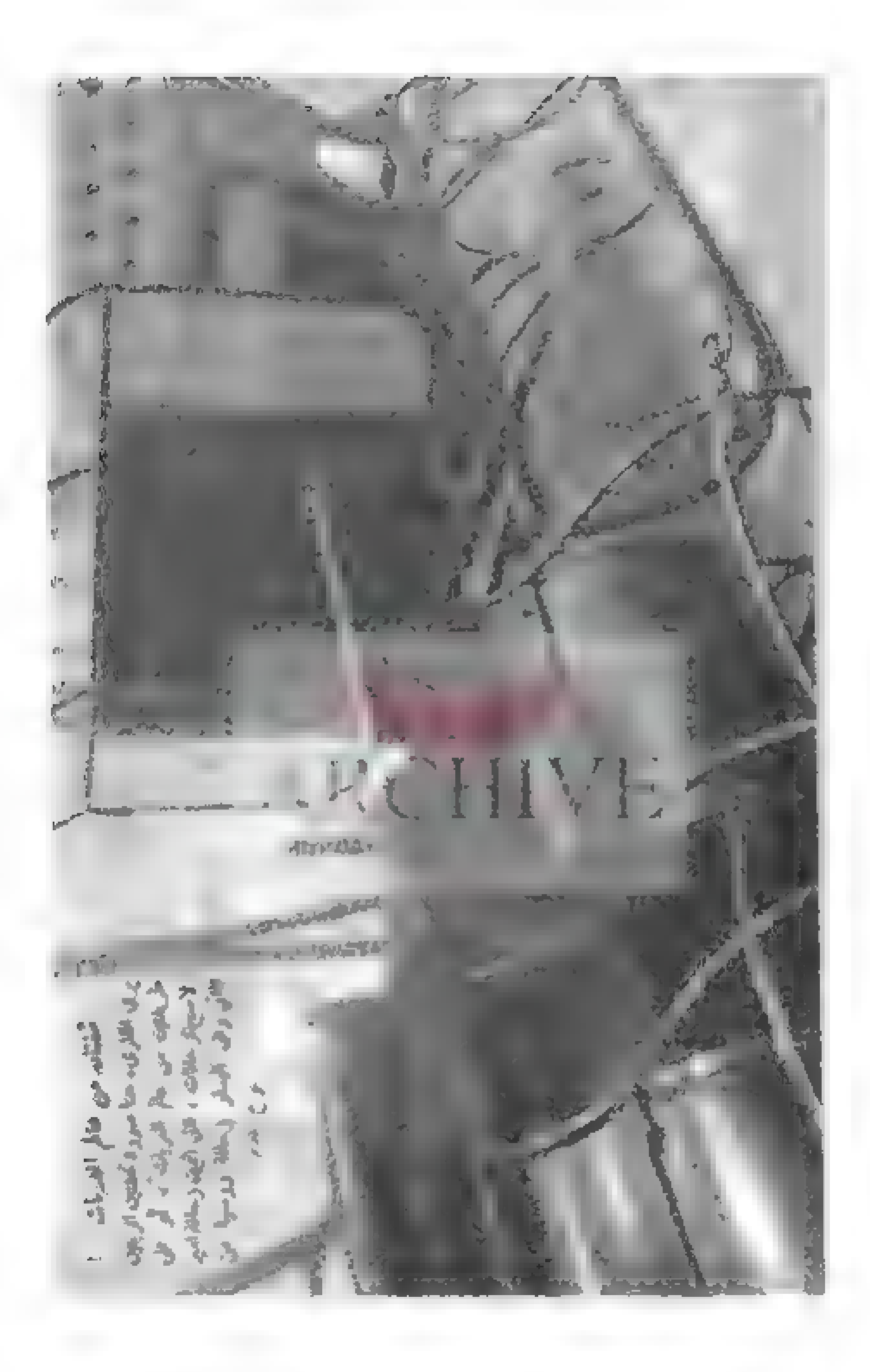

بين العربة والسيارة

عربة من طراز خاص [illegible] العادية [illegible]

الوجاهة

كانت ملابس الحوذية في أيام انتشار العربات من المناظر التي تزيد العربات وجاهة ، ونرى هنا أشكالاً من القبعات الرسمية التي كانت تزين رءوس الحوذية قديماً

إذا تحدثنا عن « امرأة اليوم » فإنما نعني المرأة من طراز خاص لها ميزات كثيرة ، لم تكن لأمها وجدتها من قبل . فمثلا لا تعد النساء كلهن يباشرن ضروب الرياضة ، ولكن المرأة الرياضية هي امرأة اليوم . وليس كل النساء كواكب سينمائية ولكن ممثلة السينما هي امرأة اليوم . والمرأة التي تقص شعرها ، أو التي تشتغل بالبنوك والمكاتب ، أو التي هي عاملة في المصانع ، أو التي تتزوج من الرجل زواجاً قائماً على الزمالة والمساواة ، هي التي نسميها « امرأة اليوم » .

وحينما ظهرت المرأة في ميدان من ميادين الحياة العصرية اتسع معنى هذا الاصطلاح . فمنذ سنوات معدودة ، لم يكن أحد يتصور أن المرأة ستقود سيارتها بنفسها ، أو ستقوم بالرحلات الجوية المجهدة معرضة حياتها ، أو ستظهر في مختلف ألعاب الرياضة وضروب المسابقات الحديثة ، أو ستعمل في المشارب والمطاعم وهي تدخن سيجارتها علناً ، أو ستقف في المجتمعات والبرلمانات خطيبة مرشدة ، لم يكن أحد يتصور أن المرأة ستصبح هكذا على قدم المساواة مع الرجال

العمل

هنا الفتاة سالاك تعمل أمام تمثال مادة طرية . وترى على اليدين مظاهر الخشونة من آثار النحت

الأقدام

من هذه الكتلة الخشبية الجرداء يجب أن تخرج الفتاة أثراً فنياً يروق الناظرين . وها هي قد جاءت بالعمل وراحت تزيل القشور لتعرف نوع الخشب قبل أن تشرع في العمل الجدي

في الحقوق والكتابات ، وهي مع ذلك لا تفقد أنوثتها ولا تقل فتنة عن نساء الأجيال الماضية بل تفوقهن رشاقة وجاذبية !

ولعل المرأة الفنانة هي أحدث طراز للمرأة الحديثة . وانك لتراها في مدارس الفنون وفي معامل الفنانين أو في معامل خاصة بها وهي تحمل أزميلها وتنحت الحجر أو تشكل الجبس لتصنع تماثيل لا تقل في شيء عن تماثيل الرجل الفنان

والمرأة المثالة أو الرسامة - أو الفنانة بوجه عام - لا تتخذ من فنها وسيلة للتسلية ، بل انها مثل زميلها الرجل تعيش من أجل الفن وتفني حياتها فيه . ومن النساء من هن مثالات مطبوعات ، ورسامات موهوبات ، يعرضن منتجاتهن في معارض الصور والتماثيل فيحرزن اعجاباً لا يقل عن نصيب أرقى الفنانين من الرجال

واذا كانت المرأة المصرية قد بدأت تقبل على فن الرسم وتبدي فيه مهارة فائقة وفناً دقيقاً ، فانا لا نلبث حتى نراها تقبل كذلك على فن النحت مقتدية بأختها الغربية مترسمة خطاها في سبيل التقدم والحضارة

اوسقباء

الفتاة المثالة وقد جلست الى مكتبها صامتة لتسوعي الخاطر لكرة ترسمها على القرطاس لتبرزها فيما بعد مجسمة

السكون

مائدة الادوات في استديو هذه اليوم المثالة ، وقد خيم عليها السكون بعد طول ما تناولتها يد الفنانة

نحو النور !

الفنانة تعمل في هدوء ورقة في استديو النحت . وترى وجه التمثال والفنانة متجهين نحو النور ..

جد، الذكرى
كتلة من الحبر تناولتها الثلاثة بأزميلها فبدأت الكتلة تتجلى عن تمثال في طور التكوين

علاج الفجوات

إحدى الفنانات تعالج الفجوات التي بدت في أحد تماثيلها ، بأن تحشوها بقطع دقيقة من الخشب